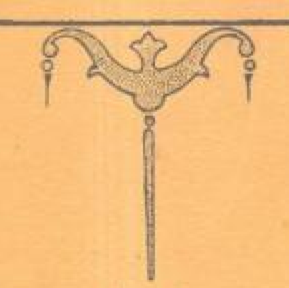




مستقبل العمران

الحب : لادلر

العلم : لهكسلي

التعليم : لولز

الاسرة : لرسل

الاقتصاد : لتشايس

رجال الشهر

غازوردي ، غاندي ، سايس ، صديق بك

الازمة الاقتصادية

واشتباك المصالح الدولية



الجزء الاول من المجلد الثالث والثلاثين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٢٧ ذي القعدة سنة ١٣٢٥

اسكار الثاني ملك اسوج

الملك العالم الكاتب الشاعر وهو الابن الثالث من اولاد الملك اسكار الاول بن المرشال برنادوت الذي توج ملكاً على اسوج باسم كارلس الرابع عشر . ولد في ٢١ يناير سنة ١٨٢٩ ودرس في مدرسة ابسالا الجامعة فامتاز بالعلوم الرياضية ونظم الشعر البليغ وهو فتيّ وعينت اكادمية العلوم الاسوجيَّة جائزةً لمن ينظم ابلغ قصيدة فنظم قصيدة بعث بها اليها من غير امضاء ففضلتها على سائر القصائد التي قدمت اليها ومنحتها الجائزة وهي لا تعلم اسم ناظمها • وكان يكتب ويخطب ويباحث ويجادل وخطبهُ من الطبقة الاولى في الفصاحة وحسن البيان حتى تكاد ترتقي الى درجة الشعر وترجم كثيراً من الاشعار النفيسة الى اللغة الاسوجيَّة فزادت بها غنًى على غناها

وتوفي اخوهُ سنة ١٨٧٢ فآل الملك اليهِ وشغلتهُ مهامهُ اولاً عن النظم والانشاء ولكنهُ عاد اليهما بعد حين • وقد كتبنا ترجمتهُ مفصلة في مقتطف سبتمبر سنة ١٩٠٥ وذكرنا فيها ترجمة شيء من نثرهِ الشعري الذي نشر في مجلة القرن التاسع عشر سنة ١٨٨٩ ولا بأس باعادتهِ الآن

" الفصل الخريف وقد بدت الغزالة فوق الافق كرة من الذهب الوهاج • وقبل ان ترسل اشعتها وتبعث في الهواء حرارتها رأيت اشجاراً اصفرَّ ورقها وقارب الانتثار مضى نهارها ودنا ليلها نهار قصير لكنهُ بهيج فضتهُ بالغبطة والحبور في ربوع الشمال

" لما اشرقت شمس الربيع واذابت الثلج والصقيع وانفك قيد الجداول وسمع خرير الماء

في المسايل وتغنت الطيور في افنانها وبدت البراعم من جفون اغصانها واكتست الادواح حللاً تباهي بالوانها وتجلّت الاهات الصيف بغدائر من النضار يسن بجمالهنَّ عجباً ويتهن دلالاً ويتعانقن عناق العشاق ويبسطن ظلهنَّ الظليل ليتفيأهُ كل عابر سبيل

" والصيف قصير الاقامة في بلاد الشمال فيرتحل ارتحال المسافر وتقف تلك الادواح لوداعهِ مطرقة الراس كاسفة البال تطرح تيجانها بايديها اسفاً وشجناً وكأن لسان حالها يدعو من يمرُّ بها ليقف ويعتبر

" أُخيَّ — للانسان ايضاً ربيع وصيف وخريف . الربيع الصبا والصيف الشباب والخريف الشيخوخة لكن صيفهُ قد لا يخلو من آثار الخريف وخريفهُ لا يخلو من تباشير الربيع فان الحزن يصيّر الصباح مساء والربيع خريفاً . وشجرة الحياة التي عصفت بها العواصف يعسر عليها الانتصاب ولا تعود الى رونقها وروائها الاّ بعد كرور الايام . وقد لا تستردها ما لم يمرَّ بها سامري ويمد اليها يد المعونة حتى النخل الباسق في القفار تلفحهُ ريح السموم وتطرحهُ على الثرى مهما رسخ في الارض اصلهُ وعلا الى السماء فرعهُ ولكن الخريف على ظلمتهِ لا يخلو من بهجة الربيع . انظر الى تلك الادواح فان ليل الشتاء يكاد يدركها لكنها راضية مطمئنة ترجو انهُ متى انقضى الشتاء بزمهريرهِ تعود الشمس فتكتنفها بالبهاء وتسمع حولها تغريد الطيور تدعوها الى حياة جديدة وافراح مجيدة وهذا شأنها دواماً . سلسلة متصلة حياة وموت وموت وحياة

" ونحن . نحن الذين تعلو شكوانا كلما جرت الرياح على غير ما نريد ونعارض الحق في قضائهِ ويحملنا الغرور على ان نودَّ ان يكون العالم طبق مشتهانا ماذا يجب علينا ان نتذكر ونعتبر

" ألا نرى في ضمائرنا ما يدلُّ على البعث والنشور على ربيع يأتي بعد خريف الحياة وموت الشتاء . أوَ ليس ذلك آكد واسمى من كل ما في الحياة . ألا نرى شيئاً من الحب والوئام في هذه الدار الفانية أوَ ليس ذلك افضل من كل الملاذ مهما غالى بها اخو الدنيا . فعلى مَ نقنط والربيع الذي يتلو شتاء الموت ابديٌّ دائم البقاء وهو امجد من كل ربيع نراهُ في هذه الدنيا شمسهُ الله ونحن فيهِ ملائكة

" والصداقة التي تمكّنت ربطها في هذه الدنيا ألا تتبعنا الى الاخرى . على مَ لا تزيد عراها وثوقاً واحكاماً

" الصداقة ربطت قلوب الناس في كل العصور ربطت قلوب الذين يرمون الى غرض

واحد ولو اختلفت سبلهم ومناحيهم · هذه الصداقة لا بد وان تتبعنا الى المرفإ الامين ترافقنا الى الربيع الابدي وتكون لنا خير ذكرى لحياةٍ دنيا قضيناها في خريف هذا العمر"

والَّف وهو ولي العهد سيرة الملك كارلس الثاني عشر فعارض بها السيرة التي الفها له' فولتير في بلاغة عبارتها وفاقها في البحث وصدق الرواية

ولما توّج ملكاً على اسوج ونروج خطب في قومهِ فقال في جملة ما قاله' اني اقتداء باسلافي العظام اخترت شعارًا لنفسي واني عالم حق العلم ان التاج الذي آل اليَّ لم يُؤَل لكي اباهي بهِ وافتخر بل لكي اسعى جهدي في مصلحة المملكتين المتآخيتين فان هذا هو الغرض الذي صرت لاجلهِ ملكاً ولذلك ساجعل شعاري Brödrafolkens Val ! فعسى ان يعبر هذا الشعار عن حبي الصادق للامتين اللتين اتحدتا في عهد سلفي العظيم وسعادتهما غايتي العظمى في هذه الحياة الدنيا وعسى ان يدل على ما اقصده' لهما بعون الله كملك لاسوج ونروج

ولقد بذل قصارى جهدهِ للتوفيق بين مصالح الامتين الامة الاسوجية والامة النروجية ومضى عليهِ ثلاث وثلاثون سنة وهو يجاهد في هذا السبيل لكنهُ عجز عن نيل ما تمناه' وسعى اليهِ جهده' لا لقصور منهُ ولا لقصور في الوسائل التي استخدمها بل لان الامتين متخالفتان في اللغة والمشارب والاميال ويستحيل التوفيق بين مصالحهما في كل شيءٍ فتفاقم الخلاف رويدًا رويدًا الى ان انفصمت عُرَى الاتفاق حديثاً . وقد قال في هذا الشأن ان الاتحاد الذي لا يرضى بهِ الفريقان كلاهما عن طيب نفس لا ينفع الفريق الواحد ولا الآخر

وكتب هو ومشيروه' الى مجلس الامة النروجي يقول ان اسوج لا ترغب في اجبار نروج على البقاء معها لان هذا الاجبار لا يتم بغير حرب فتزول مزية الاتفاق الذي اساسهُ السلام والنفع العام ولذلك تفضل اسوج الانفصال على ان تضطر نروج على البقاء معها رغماً عن ارادتها

وتمَّ هذا الانفصال على سلام لكنهُ اثَّر في نفسهِ تأثيرًا شديدًا ومرض منذ عهد قريب وقضى نحبهُ في الثامن من دسمبر ودفن في التاسع عشر منهُ

وكان طويل القامة مهيب الطلعة محبًّا للعلم والعلماء عارفاً بلغات كثيرة بليغ الانشاء بالانكليزية · اهتم بتاريخ العرب قبل الاسلام واقترح على الباحثين تأليف تاريخ لهم وعين جائزة لمن يفي كتابهُ بالمراد فلم ينل الجائزة احد

لورد. كلفن

نعى البرق علامة عصره لورد كلفن اكبر علماء الطبيعة . فقد اشتهر القرن الماضي بثلاثة من اعلام العلماء وهم باستور في فرنسا وهلمهلتز في المانيا وكلفن في انكلترا وكل منهم مشهور بمكتشفاتهِ العلمية الكثيرة والفوائد العملية التي نتجت منها اما الاولان فقضيا في اواخر القرن الماضي واما الاخير فبقي في صحتهِ العقلية الى ان قضى نحبهُ في اواخر هذا العام

ولد لورد كلفن سنة ١٨٢٤ وسمي وليم طمسن وكان ابوهُ استاذاً للعلوم الرياضية في مدرسة بلفست ثم عين استاذاً لها في مدرسة غلاسكو الكلية فجعل يحضر الدروس الرياضية وعمرهُ احدى عشرة سنة وكان يدهش التلامذة الكبار بسرعة حلهِ للمسائل العويصة فلما رأى ابوهُ منهُ هذا الميل الى العلوم الرياضية وهذه القريحة المتوقدة ارسلهُ الى مدرسة كمبردج فاحرز فيها قصب السبق على اترابهِ وشرع وهو هناك ينشئ المقالات في المواضيع الطبيعية كالحرارة والكهربائية وكان مغرماً بالالعاب الرياضية ايضاً واحرز الجائزة الاولى فيها ثم عين استاذاً للفلسفة الطبيعية في مدرسة غلاسكو ولكنهُ لم يقتصر على التدريس بل كان يبحث في نواميس الطبيعة فوجد المجال واسعاً لمداركهِ الواسعة وذكائهِ الفائق . وكان بعضهم ساعياً في مد السلك الكهربائي بين اوربا واميركا ولكنهُ خشي ان الكهربائية لا تجري عليهِ بالسرعة المطلوبة لما يتولد من المجاري الكهربائية المضادة لها في الماء المحيط بالسلك فعكف الاستاذ طمسن على البحث في هذا الموضوع فاكتشف النواميس المتعلقة بهِ . وكان عند الشركة التي تريد مد السلك الكهربائي عالم كهربائي تعتمد عليهِ في هذه المسائل فحاول تخطئة الاستاذ طمسن ولكن الاستاذ طمسن ردَّ عليهِ بالدليل الرياضي فعزلتهُ الشركة واستعاضت عنهُ بالاستاذ طمسن . ولهُ الفضل الاول في مد الاسلاك الكهربائية بين اوربا واميركا وفي كل البحار لانهُ هو الذي سهَّل اكثر المصاعب التي كانت تحول دون ذلك . واستنبط حينئذٍ الآلة ذات المرآة التي تظهر فيها العلامات الكهربائية مهما كان مصدر الكهربائيَّة ضعيفاً حتى اذا صُنعت بطريةٌ لا يزيد حجمها على حجم الحمصة فعلامات الكهربائية المتولدة منها يمكن رؤيتها بهذه الآلة بعد ان تسير على السلك بين اوربا واميركا وهذا من اغرب ما ذُكر في الاعمال الكهربائية . واشتهر اسمهُ حينئذٍ شهرة فائقة فلما اتمَّ مدَّ السلك الكهربائي بين اوربا واميركا أُعطي لقب سر فصار يلقَّب بالسر وليم طمسن وكان ذلك سنة ١٨٦٦ و بهِ عُرف عند قراء المقتطف . الا ان الآلة ذات المرآة لا ترسم صور العلامات الكهربائيَّة بل

لا بدَّ لها من رجل يرسم العلامات حالما يراها ولذلك اعمل فكرتهُ فاستنبط قلمًا يرسم هذه العلامات بالحبر حالما تظهر في المرآة · وغنيٌّ عن البيان ان هذين الاختراعين وغيرهما من الاختراعات التي اخترعها حينئذٍ هالت عليهِ ميازيب الثروة لما فيها من النفع العملي فجنى من علمهِ ما قلما يجنيهِ العلماء انفةً او اهمالاً

وامتاز باتقانهِ كل آلة وقعت في يدهِ ومن ذلك اتقانهُ الحك البحري فانهُ اخذ مرةً يكتب مقالة في الحك فلم يكد يتم الجزء الاول منها حتى رأى ان فيهِ خللاً كبيرًا يمكن تلافيهِ وهو شدَّة تأثرهِ بحديد السفينة التي هو فيها حتى ينحرف عن جهتهِ الحقيقية فنشر الجزء الاول من مقالتهِ سنة ١٨٧٤ ولم ينشر الجزء الثاني منها الاَّ بعد خمس سنوات لانهُ رأى الخلل كما تقدم واخذ في اصلاحهِ فاستنبط الحك الجديد الذي يعتمد عليهِ الآن ارباب السفن

وامتاز ايضًا بتعقيد عبارتهِ في الانشاء لان بداهتهُ قوية جدًّا فترى اعوص المعاني واكثرها تعقيدًا جلية واضحة ولذلك لا يهتم بيسطها · وقد حاولنا مرارًا مطالعة كتابهِ في الطبيعيات فكنا لا نطالع فصلاً منهُ حتى يعترينا الملل ونشعر كأَن القوة العصبية قد نفدت من دماغنا · ومن عباراتهِ العويصة قولهُ في عنوان مقالة "هذه نظرية بسيطة للمجاورة الكهربائية المغنطيسيَّة في الحلقات الناقصة مع ما يترتب عليها من معادلات الحركة الكهربائية في المادَّة الثابتة المتماثلة الاجزاء والمختلفتها" · وقد اضطررنا ان نبسط هذا العنوان بعض البسط في الترجمة تبعًا لقواعد اللغة العربية ولو ترجمناهُ كما هو لكان لغزًا من الالغاز

واشتهر بكثرة وضعهِ للكلمات العلمية فكلما بدا لهُ معنًى جديد وضع لهُ كلمة جديدة وارسلها بين العلماء فيشيع بعض هذه الكلمات ويثبت في كتب العلم ويهمل بعضها ويلغى وهذا مما يزيد مؤلفاتهِ عوصًا لان من لم يألف مصطلحاتهِ العلمية يضطر ان يعمل فكرتهُ كلما عثر بواحدة منها

وقد اثرنا عنهُ قبلاً مذهبًا جديدًا في حقيقة جواهر الاجسام · فان العلماء يقولون ان الاجسام مؤلفة من جواهر فردة لا تتجزأ ونسبتها الى الجسم الهيولي نسبة الخرفان الى قطيع الغنم مثلاً فالقطيع المؤلف من خمسة عشر خروفًا يمكن قسمتهُ الى ثلاثة اقسام متساوية والى خمسة اقسام متساوية والى خمسة عشر قسمًا متساويًا لكن لا يمكن قسمتهُ الى قسمين متساويين ولا الى غير ذلك من الاقسام المتساوية لان كل تقسيم منها يستدعي قسمة خروف منهُ والخروف لا يقسم ويبقى خروفًا · وكذا الاجسام تقسم (حينما يتركَّب بعضها مع بعض) على نسب مخصوصة تدل على ان جواهرها الفردة لا تتجزأ بل تنتقل من مركب الى آخر بكليتها. وذهب

جماعة منهم الى ان هذه الجواهر صلبة قاسية كروية الشكل ولكنهم لم يجمعوا على ذلك بل اختلفت آراؤهم لكثرة الاختلاف في خواص المادة ولان المذهب العلمي لا يصح فرضهُ ما لم تفسر بهِ هذه الخواص كلها او اكثرها

وذهب العالم هبس الى ان الجواهر قد تكون نوعًا من الحركة في الاثير وقال ملبرنش انها قد تكون اضطرابات صغيرة في مادة الاثير اي ان المادة او الهيولى هي الاثير نفسهُ ولكننا لا نشعر بهِ الاَّ اذا اضطرب فنشعر حينئذٍ بمراكز الاضطراب ومجموع هذه المراكز هو الجسم الهيولي الذي نراهُ ونلمسهُ

وكان الاستاذ تايت صديق السروليم طمسن ورصيفهُ يبحث عن دوائر الدخان التي تظهر احيانًا فوق المداخن في الآلات البخارية او تخرج من افواه مدخني التبغ فلما وقع نظر السروليم طمسن عليها قال على مَ لا تكون جواهر الاجسام حلقات في الاثير كهذه الحلقات في الدخان فانها اذا كانت كذلك وتحركت حيث لا تجد مقاومة بقيت تتحرك ابد الدهر الى ان يشاء مبدعها ابطال حركتها . ثم جعل يبحث في هذا الموضوع وقال ان كل ما اكتشفهُ وحققهُ من المواد العلمية لا يعدُّ شيئًا بالنسبة اليهِ وكان يجب عليهِ ان لا يشتغل بغيرهِ . وقد اشبعنا الكلام على هذه الحلقات وقتما شرع في البحث فيها وتعليل خواص الهيولى بها

ومن التحقيقات التي خالف بها العلماء وخالف ما ذهب اليهِ اولاً هو اثباتهُ جمود باطن الارض فان العلماء استنتجوا ان باطن الارض لم يزل مصهورًا سائلاً لشدة الحرارة المركزية فابان انهُ لو كان باطنها سائلاً لبطل دورانها كما يبطل دوران البيضة اذا أُديرت قبل ان تسلق

وهو القائل ان بزور الموجودات الحية وقعت على الارض مع النيازك او الرجم . قال اذا جرت الحمم المصورة من جبال النار لم يمضِ عليها زمن طويل حتى يبرد سطحها وتنبت فيهِ النباتات وتدب عليهِ الحيوانات وهذه النباتات لم تتولد فيهِ من نفسها بل حملت الرياح بزورها من مكان آخر والقتها على الحمم حالما بردت فنمت عليها . والحيوانات لم تتولد من نفسها على الحمم بل انتقلت اليها من مكان آخر . وهذا شأن الجزائر البركانية التي تتكون حديثًا في قلب البحر فانها تكون في اول الامر خاوية خالية لاحيوان فيها ولا نبات ثم لايمضي عليها زمن طويل حتى يغطيها النبات ويسرح فيها الحيوان وهما لم يتولدا فيها من نفسهما بل حملتهما اليها الرياح والامواج . وهذا شأن الارض كلها فانها كانت في اول امرها مصهورة لا نبات فيها ولا حيوان ثم برد سطحها وجمد وتغطى بالنبات والحيوان فقد وصلت بزورهما اليها من مكان آخر بقياس التمثيل

ولم يكد يقول هذا القول حتى انبرى لهُ المعترضون من كل ناحية بعضهم عارضةً عن علم مثبتاً ان الرجم تحمى حموًّا شديدًا قبل بلوغها الارض فلا تبقى فيها البزور حية لو وجدت فيها . وهذا الاعتراض يثبت اذا ثبت ان الرجم تحمى دائمًا من ظاهرها وباطنها حموًّا يميت كل الاحياء ويسقط اذا ثبت انها لا تحمى دائمًا هذا الحمو . والثاني هو الارجح لان حموَّ ظاهر الجسم لا يستلزم حمو باطنهِ ايضاً بل ان حمو الظاهر قد يبرّد الباطن كثيرًا حتى اذا استحال الظاهر بخارًا من شدَّة الحمو برد الباطن وصار جليدًا من شدَّة البرد . وبعضهم عارضةُ عن غرض ان لم نقل عن جهل زاعماً ان مذهبهُ هذا ينفي قدرة الخالق على خلق الاحياء . كأن قدرة الخالق وسلطانهُ محصوران في كرتنا هذه الصغيرة فاذا اتتها بزور الاحياء من كرة اخرى اكبر منها واعظم خرجت عن قدرة الخالق . ولم نرَ احدًا قاوم رأياً علمياً عن غرض وتعصُّب الاَّ رأيناهُ حاول التخلص من ورطة ليقع في شرّ منها

لكننا لا نرى موجباً لمذهب السر وليم طمسن لانهُ اذا كانت بزور الاحياء قد وصلت الى الكرة الارضية من جرم آخر من اجرام السماء فالاحياء قد تكونت باديءَ بدءٍ في ذلك الجرم او في جرم آخر سابق لهُ . اي ان لها بداءة في جرم من الاجرام . وعليهِ فلا مانع يمنع ان تكون لها بداءة في جرمين او اكثر وان تكون لها بداءة في الكرة الارضية نفسها ايضاً اي تكون الاحياء الارضية خلقت في هذه الارض لا في غيرها

وغنيٌّ عن البيان ان الذين يوفقون الى خدمة بلادهم في الممالك الاوربية تعترف بلادهم لهم بالفضل وتظهر لهم ذلك بما لديها من الادلة فتوجه اليهم المدارس والجمعيات العلمية ما عندها من الرتب والحكومة ما عندها من النياشين والالقاب ولذلك حاز السر وليم طمسن اسمى هذه الرتب وجعلتهُ الحكومة الانكليزيَّة في عداد امرائها فصار يسمى لورد كلفن وهو اول رجل حاز رتبة الامارة بعلمهِ . وحقًّا اننا لا ندري كيف توجه لقلب الامارة الى مئات من رجال السياسة والادارة والحربيَّة والبحريَّة ولا توجههُ الاَّ الى بضعة رجال من ارباب العلم لكن العلماء لا يعبأُون بذلك والاَّ لكان كثيرون منهم في عداد الامراء لان الامارة لا تسعى الى الناس بل هم يسعون اليها غالباً . ومهما يكن من الامر فان ارتقاء السر وليم طمسن الى مراتب الامراء قد سرَّ رجال العلم قاطبةً وحسبوهُ اكراماً موجهاً الى العلم نفسهِ

ولا جدال في انهُ من اعظم علماء الرياضيات ان لم يكن اعظمهم كلهم ولكنهُ كان يخطئُ في ابسط الاعمال الحسابية كالجمع والطرح وهو يحلُّ اعوص المسائل ويبيّن النواميس المتسلطة على الاجرام السموية والمواد الطبيعيَّة

ولقد يأسف البعض لانهُ لم ينقطع للعلم وحدهُ بل قرن بهِ العمل وربح من ذلك اموالاً طائلة ولكنهُ سار في سبيل الفلسفة العملية واثبت ان نفع العالم والفيلسوف لا يتمان في هذه الدنيا ما لم يخدمها المال وشأنهُ في ذلك شأن الشعراء والمصورين الكبار الذين يبيعون منظوماتهم ومصنوعاتهم باغلى الاثمان ولا لوم عليهم ولا تثريب

وقد اشتهر بالاخلاص والبعد عن الدعوى والغرور فاذا خطأهُ احد في مذهب من مذاهبهِ او رأي من آرائهِ اعترف بخطاءٍ علانيةً ولم يستمسك بالباطل ولا ادَّعى العصمة وكان من ابعد الناس عن انتحال ما لغيرهِ او ادّعاء ما ليس لهُ وتراه يعزو الى مساعديهِ ما يكتشفونهُ ولو كانوا قد اكتشفوهُ بارشادهِ ويباهي بذلك اكثر مما لو كان هو المكتشف. اجتمع حولهُ تلامذة مدرسة غلاسكو سنة ١٨٩١ وهنأوهُ بانتخابهِ رئيساً للجمعية الملكية فقال لهم ان الهناء مشترك بيننا لانني انا تلميذ مثلكم في هذه المدرسة منذ خمس وخمسين سنة الى الآن وسأبقى تلميذاً فيها مدى الحياة . وكان قلبهُ متعلقاً بتلامذتهِ وعينهُ ترقبهم في كل مطالب الحياة مفتخراً بارتقائهم وهم ايضاً كانوا متعلقين بهِ يفتخرون بانهم من تلامذتهِ

ومما يوصف بهِ ايضاً انهُ كان وديعاً لين العريكة الى الدرجة القصوى ولكنهُ اذا رأى عيباً في احد تلامذتهِ او المشتغلين معهُ وبخهُ بصرامة ثم لا يلبث ان يتغلب عليهِ طبع الحلم والتودُّد فيبش في وجههِ ويتبسم كأنهُ ندم على ما فرط منهُ

وسنة ١٨٩٦ كان قد مضى عليهِ خمسون سنة منذ جعل استاذاً في مدرسة غلاسكو الجامعة فعيَّد لهُ ابناؤُها وعلماء الارض عيداً جمع ضروب الابهة والاكرام وحضرهُ جمع غفير من اكبر علماء الارض من كل الممالك في اوربا واسيا واميركا واستراليا وارسل اليهِ ولي عهد انكلترا (الملك الحالي) رسالة يقول فيها اني مشارك لنوَّاب المدارس الجامعة والجمعيات العلميَّة في الممالك الانكليزية وسائر ممالك الارض الذين اجتمعوا في مدرسة غلاسكو الجامعة التي ذاع صيتها باشغالك العلمية الفائقة الوصف والقيمة التي اشتغلتها فيها مدة الخمسين سنة الماضية " . وبعثت المرحومة ملكة الانكليز الى حاكم مدينة غلاسكو ان يبلغهُ تهنئاتها بمضي خمسين سنة منذ صار استاذاً في مدرسة غلاسكو

وبعد ثلاث سنوات استعفى من تدريس الفلسفة الطبيعيَّة لكنهُ بقي يبحث في المواضيع العلميَّة العويصة ويجادل ويناضل الى ان ادركتهُ الوفاة في السابع عشر من شهر دسمبر الماضي . وهو من اول العلماء الذين منحهم ملك الانكليز نشان الاستحقاق الجديد حالما وضعهُ ومعهُ نشان الاستحقاق من بروسيا ونشان لجون دونور من فرنسا ونشان الكنوز المقدس من اليابان

الشفاء الغريب

ايضاح الغامض

اطّلعت في هذه الايام على خطاب لرجل فرنساوي اسمهُ المسيو ماغنين " استاذ في مدرسة المغنتيزم " نقلهُ المقتطف عن " مجلة العلوم النفيسة " (الشفاء الغريب سبتمبر ١٩٠٧) . وخلاصتهُ انهُ شفى بالمغنطيسيَّة فتاة كان قد حكم بعض الاطباء بانها مصابة بعلل مختلفة منها السل الرئوي واعوجاج العمود الفقري وشلل الطرفين السفليين . ثم بعد الشفاء فحصها اثنان من الاطباء المذكورين آنفاً واثبتا انهُ لم يبقَ فيها شيءٌ من العلل التي سبق ذكرها . والظاهر ان هذا الاستاذ لم يقتصر في الشفاء على ما كان فيهِ من القوة بل استعان بما سمَّاهُ " بالذات الثانية " وهي فتاة كان يحبها من قبل وقد استحضرها من عالم الغيب . وعند نظري الى هذه " الحادثة " لم ارَ غريبة واحدة فقط بل غرائب كثيرة لا يمكن اثباتها والتصديق لها الاَّ اذا كانت البينة عليها ممَّا لا يشوبهُ ادنى ريب وهو غير ما رأيتهُ في ما قيل هنا

من المقرَّر عند الاطباء ان من العلل التي تصيب الانسان علتين تتخذان صوراً كثيرة بحيث قد يخدع الطبيب ويخطئ في تشخيصهِ وعلاجهِ وهما الهستيريا اكثرها في النساء وسوء الهضم اكثرهُ في الرجال . وقد جرى لي في خبرتي الطويلة حوادث شتى من هذا القبيل اذكر منها اثنتين تشهدان لما سبق وكان الشفاء فيهما غريباً في الظاهر ولا غرابة فيهِ في الحقيقة وربما كان فيهِ التفسير الطبيعي للحادثة التي ذكرها " الاستاذ " وقال انهُ شفاها بقوة المغنطيس الحيواني

الحادثة الاولى . دُعيت مرةً الى مداواة فتاة لم اكن اعرفها من قبل فرأيتها نحيفة البنية طريحة الفراش منذ ستة اشهر مفلوجة الطرفين السفليين لا قوة فيها على الحركة البتة . فسألت هل سبق ذلك سبب كمرض او لطمة على اسفل الظهر فقيل لي لا . ثم فحصت العمود الفقري فلم اجد شيئاً يدل على مرض في الفقرات القطنية او في الحبل الشوكي . ومن النظر العام الى الفتاة وسنها ومزاجها وعدم وجود سبب آلي اصلي او منعكس للاعراض الواقعة قلت في نفسي ليس هذا فالجاً حقيقياً بل هو من انواع الهستيريا التي تزيَّت بهذا الزيّ الغريب وعلى ذلك يجب ان يكون العلاج . ويكون بامرين احدهما بالدواء والثاني وهو

الافضل باقناع المريضة بحقيقة الحال وانهاض قوة الارادة فيها للغلبة على المرض . ولم يكن حينئذٍ في الغرفة الاَّ والدتها فطلبت منها ان تخرج وتتركنا وحدنا برهة قصيرة . ولما خرجت قلت للابنة ليس مرضك الفالج كما ارهموك وكما تظنين بل هو شيءٌ عصبي سهل الزوال واني اصف لكِ الدواء المفيد واضمن لك الشفاء التام بشرط ان تكوني واثقة بما قلتهُ لكِ وان تعيني الدواء بكل ما فيكِ من قوة الارادة لتحريك رجليك والنهوض من الفراش . قالت وكانت على جانب عظيم من الذكاء لقد وثقت بكلامك وسافعل كما امرتني . وبعد اسبوع عدتها فرأيتها تمشي في البيت ولم يبقَ اثر من ذلك الفالج الوهمي وقد مضى عشرون سنة منذ ذلك الزمان اشاهدها من حين الى آخر وهي لا تزال أيمًا وعرضةً لاعراض هستيرية خفيفة لا عبرة لها

الحادثة الثانية . طُلبت مرةً لمشورة طبيَّة ولما حضرت رأيت فتاة قويَّة البنية نائمة على فراشها لم تفتح عينيها ولم تتكلم ولم تأكل ولم تشرب ولم تنتبه الى شيءٍ منذ ثلاثة عشر يومًا وفي كل تلك المدة كانت متيبسة (التشنج الدائم) كانها قطعة واحدة من الخشب الذي لا ينثني ولم تحرك البتة . وبعد الفحص الطبيعي لم اجد علة في الدماغ او الحبل الشوكي فالتفت الى الطبيب وقلت هي علة هستيرية ولا ريب . قال نعم هكذا كان حكمي وهكذا كان علاجي الذي لم يأتِ بشيءٍ من الفائدة . ثم سألتهُ هل جرَّب سكب الماء البارد على الرأس بغزارة قال نعم قلت لا بأس باعادة العمل لاني لم أرَ حادثة قط قويت على هذه الوسيلة مدة النوبة الحادَّة . ثم جذبنا جسم الفتاة بجملتهِ الى جانب الفراش لانهُ لم يمكن تحريك رأسها وحدهُ وسكبنا على رأسها ماء غزيرًا مدة طويلة . وما كنت أراهُ دائمًا من شهقة طويلة يعقبها الصحو التام في مثل هذه الاحوال لم اره هذه المرة مع اننا افرغنا على رأسها جرارًا كثيرة من الماء البارد . ولما اقتنعت ان لا فائدة من اطالة سكب الماء قلت في نفسي ان هذه الابنة صاحية العقل شاعرة بكل ما حولها سامعة كل ما يقال لها ولو كانت لا تستطيع النطق وهو ما تتميز بهِ الهستيريا عن الصرع وغيرهِ من العلل الدماغيَّة الشوكية فلم يبقَ لي حيلة الاَّ ان آمرها فتطيعني . فوضعت يدي تحت رأسها وقلت لها بصوت الآمر اجلسي . واعدت الكلام اكثر من مرَّة ولكن الحال لم تتغير وبقي عنقها متيبسًا لا تثنيهِ عشرة رجال الاَّ اذا خلعوا مفاصلهُ او كسروها . ثم قلت لها بصوت حادّ قاطع اجلسي حالاً وانا اساعدكِ وحاولت اجلاسها فطاوعتني هذه المرة وتناينت وجلست ولكن عينيها بقيتا مغمضتين فقلت لها افتحي الآن عينيكِ وانظري اليَّ ففعلت ونظرت الى وجهي وتبسمت وتكلمت وعادت الليونة

الطبيعيَّة الى جسدها وزالت الاعراض بالكلية . هذا وابوها وامها والطبيب ينظرون اليَّ حائرين كأني ساحر او مارد . وقد خرجت من ذلك المكان مندهشاً مما لم ارَ لهُ مثيلاً في شدتهِ وخضوع ارادة المريضة لكلام العقل والامر لا لشيء فيَّ او فيها او فينا معاً من قوة خارقة العادة

ومثل ذلك يقال في شفاء كثير من الامراض بفعل الثقة بالطبيب والدواء . وهو كمذهب فريق آخر من المشعوذين الذين يزعمون ان لا حقيقة للمرض في الخارج بل هو مجرد وهم في الداخل فاذا اقنعوا المريض بان لا مرض فيهِ نال الشفاء ولذلك يسمون مذهبهم "الشفاء بالايمان" وليس في كل ذلك الاَّ عمل العقل بالجسد وهو كالقول الجاري "آمن بالحجر تبرأ" او كالفعل المسمى بالاستهواء . وكثيرًا ما يأتيني اناس يتوهمون ان بهم امراضاً مختلفة ولا ارى مرضاً فيهم فاقول لهم ليس بكم من علة اذهبوا وراعوا شروط الصحة في الطعام والشراب والنوم والرياضة ونقاوة الهواء وابعدوا عن كل سبب مضعف مضرّ وهذا كل ما تحتاجون اليهِ . ثم كثيرًا ما يعود اليَّ بعضهم ويقولون هل تتذكرنا اتيناك من بضع سنوات وصرفتنا بوصايا صحيَّة فقط ووثقنا بما قلتهُ لنا فزال منا الوهم او الانحراف الذي كنا نشكوهُ . ومن هذا القبيل قول اطباء العرب ان الطبيعة والمرض خصمان اذا غلبت الطبيعة برأ المريض واذا غلب المرض هلك العليل . وقول اطباء الافرنج ان للامراض الحادة سيرًا محدودًا وان في الطبيعة قوة لدفع المرض يسمونها "قوة الطبيعة المداوية" (Vis Mdicatrix Naturæ) وان اكثر ما يفعلهُ الطبيب انما هو مساعدة هذه القوة بقواعد الصحة والدواء وانهاض امل المريض خاصةً . ثم اذا كان هناك من الظواهر المبهمة ما هو مجهول السبب وصح احياناً قول شكسبير الراوي الشهير "ان في السماء والارض امورًا اكثر مما تحلم بهِ فلسفتنا" فالزمان يدركها ويعلِّلها ويفسرها بحسب السنن التي وضعها الله في الكون

يوحنا ورتبات

ترع المرّيخ والحياة فيهِ (١)

تمهيد

الاستاذ لول من اعظم علماء الفلك في اميركا وهو مدير مرصد باسمهِ وعضو في اكثر الجمعيات الفلكيَّة في اوربا واميركا وتقوم شهرتهُ برصدهِ للمرّيخ اكثر من ثماني عشرة سنة اكتشف في اثنائها اكثرما هو معروف الآن من الخطوط والآثار التي تظهر على وجه ذلك السيار اعني جداولهُ او ترعهُ وواحاتها. وقبل ان اطرق الموضوع رأساً اوجه النظر الى خلاصة ارصادهِ التي جمعها في تسع وثلاثين مادة :—

(١) المرّيخ يدور على محورهِ في ٢٤ ساعة و ٣٩ دقيقة و ٣٥ ثانية وهذا هو يومهُ الشمسي فيكون اطول من يومنا بمقدار الكسر المذكور

(٢) ميل محورهِ على سطح فلكهِ ٢٣ درجة و ٥٩ دقيقة فتكون فصولهُ اشبه بفصول سنة الارض وعلى نفس ترتيبها ولكنها ضعفها تقريباً

(٣) سنتهُ تتألف من ٦٨٧ يوماً من ايامنا او ٦٦٩ من ايامهِ

(٤) عند قطبيهِ بقعتان تظهران جلياً تتكونان في الشتاء وتذوبان في الصيف فتدلان على مادة تتجمع هناك بسبب البرد

(٥) حينما تذوب البقعة البيضاء يحيط بها منطقة زرقاء تتبعها وتتراجع معها حينما تتقلص وهذا ينفي إمكان تكونها من الحامض الكربونيك ويدل على انها ليست الا ماء من كل المواد المعروفة

(٦) في منطقة القطب الجنوبي الزرقاء إتساعات او انفراجات وذلك حيثما تتكاثر البقع الخضراء الكبيرة الملاصقة لها

(٧) تقلُّص الثلج بسرعة يدل على ان كميتهُ قليلة ويشير الى قلة المياه على سطح السيَّار

(٨) الذوبان يحدث دائماً وابداً في ذات المكان وبنفس الطريقة سنة بعد سنة

(٩) الدليل على ذلك تكرار ظهور بعض الاودية والشقوق في المكان نفسهِ سنة بعد سنة

(١٠) زيادة ما يتراكم من الثلج في القطب الجنوبي وكون المساحة المغطاة بهِ اعظم مما هي في الشمال بالنسبة لمباينة فلكهِ وميل المحور يدلان على ان كثافتهُ قليلة

(١) من خطبة للاستاذ منصور حنا جرداق م · ع · تليت في حلقة الادباء بمدينة بيروت في ١٤ نوفمبر سنة ١٩٠٧

(٣١) ومع ان البقع ليست الآن بحاراً لكن يظهر من رصدها انها منخفضة وربما كانت بحاراً في غابر الزمن

(٣٢) ولكون البقع هي اقسام المريخ التي ينبت فيها النبات الآن يستدل على انها كانت بحاراً اذ يرشح اليها الماء لانخفاضها وذلك ينطبق على ما هو معروف من ادوار حياة كل سيار وعلى ما هو مسلم بهِ من قوانين الغازات المتحركة

(٣٣) لا جبال عالية في المريخ ويظن من الارصاد ان سطحهُ مستوٍ تقريباً

(٣٤) يسبح في جوهِ غيومٌ رقيقة تنعقد على اشكالٍ وهيئات متباينة والمظنون انها غبار في الغالب

(٣٥) في اقاليمهِ المعتدلة والحارة يظهر من وقت الى آخر بقع بيضاء يظنُّ انها صقيع تدوم عدة اسابيع وعليهِ يكون الهواء بارداً

(٣٦) وفي ذات الوقت تدل هذه البقع على ان معدل حرارة القسم الاكبر من سطح السيار تحت درجة الجليد

(٣٧) في فصل الشتاء تكون اكثر اقسام المناطق المعتدلة مغطاة بغطاء ابيض اللون وهو اما صقيع وهو الارجح او غيوم رقيقة

(٣٨) يحيط بالقطب الشمالي بخار لطيف عدة اسابيع مدة الربيع وذلك على اثر ذوبانها

(٣٩) عدا ما ذكر يكون جو المريخ صافياً نقياً جافاً كجوّ الصحراء

واكثر هذه الامور مشهود بصحتها وما كانت الارصاد مدة العشر السنوات الاخيرة الاَّ لتؤيد حقيقتها وتثبت صدقها مع ان الطرق التي استعملت كانت متنوعة متباينة . واذا دققنا النظر فيها نجد انها تثبت للمريخ وجود ايام وفصول كايامنا وفصولنا وانهُ محاط بجوّ يحمل البخار المائي والحامض الكربونيك والاكسجين وان مياههُ قليلة جداً وحرارتهُ اقل من حرارة ارضنا لكنها فوق درجة الجليد الاَّ في ايام الشتاء وفي الاقاليم المتجمدة لقربها من القطب وان النبات موجود في بعض اقسام سطحهِ فالهواء من اهم ضروريات الحياة لانهُ يفصل المريخ عما يحيط بهِ من الفضاء ويحفظ حرارتهُ من الافلات بالاشعاع ويكوّن وسطاً لطيفاً فيهِ تجري وتتم عوامل النمو والاندثار. ثم يلي الهواء الماء وهذا موجود بالنسبة لما نعرفهُ عن طبيعة البقع القطبية التي يستحيل ان تكون شيئاً آخر لان الحامض الكربونيك لا يكون محاطاً بمنطقة زرقاء واذا سلمنا بوجود الهواء والماء لزم ان نسلم بوجود النبات اذا توفرت جميع المواد اللازمة لحياتهِ . والتغيرات التي تطرأ على البقع الزرقاء لا يمكن تعليلها الاَّ بوجوده

الترع

واول رجل وُفق الى رؤية خطوط غير طبيعية على سطح المريخ هو شيبارلي الفلكي الايطالي وحينما اظهر نتيجة ارصادهِ قامت عليهِ قيامة الفلكيين ونسبوا ذلك الى خلل في نظرهِ ونقص في معداتهِ ولكنَّ قومتهم عليهِ لم تثنِ عزمهُ بل تابع ارصادهُ واخذ غيرهُ يزاول الرصد وبعضهم بنى مراصد معدة لهذه الغاية فقط . فكانت النتيجة اثبات ما اعلنهُ ذلك الفلكي الايطالي الحاد البصر مع ان فريقاً من قادة الفلكيين حتى في الوقت الحاضر ينفون حقيقة هذه الترع و ينسبون رؤيتها الى الوهم ولكن لا يغرب عن اذهاننا ان رؤيتها تتوقف على حالة الهواء وانسب مكان لرصدها حيث يكون الهواء نقياً صافياً ثابتاً لا تعبث بهِ المجاري العنيفة المسببة عن اختلاف الحرارة . و يشترط ان يكون الراصد حاد البصر متوقد الذهن زاول الرصد مدة طويلة

والذي تتوفر لديهِ الشروط المذكورة يرى خطوطاً دقيقة مستقيمة تخرج من البقع الزرقاء وتنتشر على سطح السيار كأنها شبكة عنكبوت ومما يستلفت النظر ان جهة امتدادها محكمة ولا يعقل ان تكون من قبل الطبيعة لان تسعين في المئة منها تماماً لا اعوجاج فيها محدودة الجوانب كأنها خطت بقلم وعرض الخط يبقى على نسق واحد من اولهِ الى آخرهِ وهذا العرض لا يمكن معرفتهُ بالتمام لتعذر وسائط القياس والطريقة الوحيدة لتقديرهِ تتم بمقابلة نتيجة الارصاد مع النتيجة التي تظهر بوضع شريط معروف الحجم على ابعاد مختلفة . ففي مرصد لول استطاعوا ان يروا شريطة قطرها ٠٫٧٢٦ من العقدة على بعد ١٨٠٠ قدم ومعدل قياس قطرها ٦٩ من الثانية . و بحكم الاستنتاج النظري قدروا انهُ يمكن ان يرى خط على سطح المريخ عرضهُ ثلاثة ارباع الميل ولكن تأثير المحيط وما يفقد من النور والتحديد الواضح في التلسكوب يزيد هذه الكمية الى ميلين فالخط الطويل يظهر وان يكن قليل العرض لان المؤثر الضعيف الذي لا تأثير لهُ بذاتهِ على قسم صغير من شبكية العين يُشعر بهِ اذا فعل على اجزاء عديدة منها متصلة ومرتبة في صف واحد وحينئذٍ ينطبق على المبدإ العام وهو ان مجموع الحس ينبه الوجدان . وقد تبين من الامتحانات والتجارب المذكورة ان ٦٩ من الثانية اقل حد لرؤية الخط الحقيقي واذا نقص عن ذلك انتفى بالكلية . واذ ذاك يتعذر تعيين نوع المؤثر هل هو حقيقي او وهمي . اما قياس عرض الخطوط التي على سطح المريخ فاعظم من الحد المذكور واضيقها يختلف من الميلين الى الثلاثة واوسعها من الخمسة عشر الى العشرين ميلاً بين ان معدل طولها الف ميل . ومن غريب امرها ان اكثرها اذا لم تقل كلها

تكون اقواس دوائر عظيمة تصل بين نقطتين وعليه لا تكون طبيعية بل تدل على انهُ لا بد من وجود عقل احكم صنعها وتنظيمها

واذا دققنا النظر نرى ان هذه الترع ليست مستقلة بعضها عن بعض بل هناك روابط تربطها وتضمها الى نظام واحد فكل ترعة تتصل من كل من طرفيها ببحيرة او بترعة أُخرى وقد يلتقي ثلاث منها فاكثر او ست او سبع او اكثر الى اربع عشرة في نقطة واحدة مما يدل على ان فيها يداً للصناعة الهندسية وانها مصنوعة لمقاصد دعت اليها احوال خاصة فاستقامتها تنفي انها انهر وكون عرض الترعة واحد من اولها الى آخرها ينفي انها شقوق . ولا يحتمل ان تكون مسببة عن انفجارات بركانية او غيرها او نتجت عن التقلص الذي يحدث في ادوار حياة كل سيار لان ذلك يحدث في اماكن دون غيرها ونتائجهُ خاصة به تميزهُ عن سواهُ . وحقيقة انتظامها وانتشارها تدل على ان السبب الذي دعا تكيانها كان عامًّا على وجه السيار وذلك ينفي انهُ طبيعي لان الطبيعي يختصر ضمن المناطق . فالعوامل التي تؤثر في المنطقة الحارة يبطل فعلها في المتجمدة والعكس بالعكس بين اننا نرى نظام الترع لا يقف عند حد بل يخترق كل حاجز طبيعي وينتشر على سطح السيّار

اما الجهات التي تنتشر فيها الترع فمتعددة . وبالنسبة للمساحة يظهر انها متوزعة بالتساوي وهذا ينطبق على المناطق ايضاً الّا اذا قربت من القطبين فهناك يتكاثر عددها وعليهِ نستنتج انهُ لا بد من وجود علاقة متينة تربط الامرين وتجعل الواحد يتوقف على الاخر وهذا يؤيد ما استنتج سابقاً من ان الترع تخرج من خط الثلج القطبي ومن الخلجان التي في البقع الخضراء القاتمة ونقصد اهم نقط سطح السيار ويستدل ان الخطوط تصل بين اهم المراكز الطبيعية التي لسببٍ ما يجب ان تربطها بعضها ببعض وبما انها تختلف عنها بنوعها ولكنها تتوقف عليها تشير الى انها حدثت او انشئت بعد وجودها للحاجة اليها

ازدواج الترع

وهناك امرٌ عجيب وهو ان بعض الترع يظهر مزدوجاً اي تظهر الترعة الواحدة ترعتين متوازيتين يفرقهما بعد واحد تقريباً على طولها. ففي سنة ١٨٧٩ بينما كان شيبارلي مشغولاً برصد الترع التي كان رآها سابقاً دُهش لرؤية احداهن مزدوجةً وعهدهُ بها مفردة فنسب ذلك للوهم والخيال ولكن عاد فرآها سنة ١٨٨٢ وكانت اوضح من قبل وبعد قليل ظهر لهُ عدد ليس بالقليل من نوعها واذ شك بصحة ما رآهُ أخذ يغير العدسيات ويركبها على اشكال مختلفة حتى لو كان الخلل في السبب لتغير المسبب ولكن بدون فائدة لان الترع المزدوجة

بقيت مزدوجة والمفردة مفردة · اما المزدوجة فترى بشكل خطين منفصلين في صورة واحدة لها حجم واحد وطول واحد وعرضهما والمسافة بينهما يكادان يكونان متماثلين ولا يظهر الازدواج الّا لمن تمت فيهم شروط المقدرة على رؤيتهِ وتوفرت لديهم الاحوال المناسبة لرصدهِ ولكن صعوبة اجتماع هذه الشروط وعدم توفرها لدى البعض قادتهم الى انكار هذا الازدواج · اما الاعتراضات التي قدمت لدحض دعوى الازدواج فكثيرة ولكنها فندت كلها[1]

قلت سابقاً ان الترع المزدوجة تتألف من خطين متوازيين بينهما فاصل وازيد الآن ان الفاصل من لون ارض السيار اي احمر برتقالي ومعدل عرضهِ خمس درجات او اكثر (وقياس الدرجة سبعة وثلاثين ميلاً) · اما رؤية الخطوط المزدوجة فاسهل من رؤية المفردة لان حجمها يزيدها وضوحاً · ومع انهُ ليس بالسهل قياس عرض خطوطها لان شعر الميكرومتر غليظ بالنسبة لدقة الخطوط ونحافتها لكنهم تمكنوا من قياس بعضها بعد العناء الشديد فوجدوا ان معدل طول احداهن ٢٢٥٠ ميلاً وعرض كل من خطيها عشرون ميلاً وبعدهما ١٣٠ ميلاً

وعدد الترع التي اكتشفت حتى الوقت الحاضر اربع مائة احدى وخمسون منها مزدوجة والباقية مفردة · وكان الفلكيون يعتقدون سابقاً ان الترع المزدوجة تظهر اولاً مفردة ثم ترى مزدوجة ثم وجدوا ان الازدواج صفة ملازمة لها لا تنفك عنها ولكن لاسباب لا يظهر احد الخطين الّا بادق الآلات وربما لا يرى على الاطلاق . وقد وجد بالاختبار ان هذه الصفة (اي الازدواج) تتوقف على الفيضان الحاصل من ذوبان الثلوج القطبيَّة فبعد ابتدائهِ بقليل يرى احد خطي الازدواج ثم يرى الثاني اذا تعاظم ولكن اذا كان نقص في الفيضان فلا يرى الازدواج على الاطلاق وحينئذٍ تظهر الترعة مفردة · والامر الغريب الذي انبه الخواطر اليهِ ان الخط الذي يظهر اولاً او في حالة الانفراد سنة بعد سنة يبقى هو هو ولا يظهر رفيقهُ ولذلك يدعونهُ الترعة الاصلية ورفيقهُ الثانوية

فالاصلية تمتاز بوضوحها وباهمية مكان خروجها والنقط التي تمر عليها وتنتهي فيها .

---

(١) في هذا الصباح بينما كنت اطالع التقارير المرسلة الى مرصدنا عثرت على خلاصة اعمال اللجنة الفلكية التي ارسلت الى اميركا الجنوبية لرصد المريخ تحت رئاسة العلاَّمة دافد تود استاذ الفلك والرياضيات في كلية امهرست وقد ذكر فيها انهم اخذوا سبعة آلاف (٧٠٠٠) رسم فوتوغرافي باحدث الآلات وادقها وهذه الرسوم تتضمن صور الترع المفردة والمزدوجة والواحات وتنطبق تمام الانطباق على صور ورسوم الاستاذ لول النظرية

وعليهِ لا يبعد ان تكون الثانوية انشئت بعد الاصلية لمقاصد دعت اليها الحاجة . فكأنما الازدواج تمَّ باضافة خط آخر يعين الاول ويتمم القصد الذي انشئا من اجلهِ وليس من الضرورة ان يكونا متوازيين في عرف الهندسة لان بعض هذه الخطوط المزدوجة يزداد انفراجاً كلما طالت المسافة وبعدت عن المخرج

والخطوط المزدوجة تكثر في المنطقة التي هي ضمن اربعين درجة الى الشمال والجنوب من خط الاستواء والباقي ٧ في المئة منها تمتد الى الحد ٦٣° بين ان المفردة تكثر قرب القطب فكأن المزدوجة تقوم مقامها في الاقاليم الاستوائية والمعتدلة . والترع المزدوجة لا تمر في البقع الزرقاء الخضراء بل تخرج بعض الاحيان منها اما الترع المفردة فتمر فيها وتتقاطع ايضاً ولا يكون ثمة ادنى تأثير على جهة سيرها

واغرب من منظر الترع المفردة والمزدوجة منظر النقط السوداء المستديرة التي دعاها الاستاذ لول واحات . اما تاخر اكتشافها فينسب الى صعوبة رؤيتها لما يحول من الموانع الجوية والنقص في دقة وتحكيم آلات الرصد . وقد بلغ عدد ما اكتشف منها حتى الوقت الحاضر ١٨٦ وقطر بعضها ٧٥ ميلاً الى ١٠٠ ميل واصغرها يختلف بين ١٥ ميلاً الى ٢٠ وكلها تنتشر بانتظام تام حيث تلتقي الخطوط ولكنها ليست نتيجة تقاطعها لان استدارة شكلها تنفي ذلك ولونها اشد سواداً من نقط التقاطع . وهذه النقط اوسع من عرض الخطوط ومعظم انتشارها في البقع السوداء

وقد استنتج من المعاينة والمراقبة ان النقط الكبيرة تختص بالترع الكبيرة والمزدوجة والنقط الصغيرة تختص بالترع الصغيرة وعليهِ يكون حجم الفريق الواحد متوقفاً على حجم الآخر . ويظهر ان علاقة الترعة المزدوجة التي تنتهي بنقطة كبيرة غريبة جداً . وهي ان خطي الترعة يمسان النقطة ويحيطان بها وهذا من اكبر الادلة على ان الازدواج ليس نتيجة الوهم والخداع لانهُ لو كان ذلك صحيحاً لوجب ان نرى النقطة مزدوجة لا مفردة

سيأتي البقية

منصور حنا جرداق

نائب استاذ الرياضيات في المدرسة

الكلية الاميركية ببيروت

الرحلة الحديثة

(٨) يوم آخر في منشستر

يوم ليس كالايام رأيت فيهِ اعظم اعمال الانسان وادقها وانفعها . رأيتُ معمل ارمسترنج الذي يصنع فيهِ اكبر المدافع واثقل اسلحة البوارج . الخصمين المتباريين المدافع والبوارج الاولى تزيد طولاً لترسل مقذوفاتها الى ابعد مدى وقوةً لتقوى على خرق اثخن الدروع واشدها صلابةً والثانية تزيد متانةً ومناعة حتى تحتمل رشق اكبر القنابل واسرعها وانفذها ولا تخرق ولا تتصدع . والعلوم الرياضية والهندسيةُ والطبيعيةُ والكياوية مسخرة كلها لهذين الغرضين تقوية المدافع وتقوية البوارج لكي تستعزَّ الدول وتحمي متاجرها فيزيد الاغنياء غنىً والمترفون ترفاً . ولولا فضلاؤهم الذين ينفقون عن سعة في اصلاح شؤون العمّال والعجزة لكانت نتائج هذه المباراة شرًّا محضاً على نوع الانسان

ورأيت في ذلك اليوم معمل شوابي الذي تطبع فيهِ منسوجات منشستر بالوانها البديعة واشكالها الدقيقة فتروج في مشارق الارض ومغاربها وتتباهى بلبسها غواني الهند والصين كما تتباهى غواني مصر والسودان

ورأيت ايضاً مكتبة ريلندس التي جمعت اقدم الكتب المطبوعة وانفس كتب الخط العربيَّة حتى يقال ان فيها نسخةً من اشعار هوميروس مترجمة الى العربيَّة منذ عهد طويل

وما اكثر ما يعيهِ الذهن اذا تفرَّغ المرء لمرادهِ ولم يشغلهُ عنهُ شاغل . وهانذا اصف بعض ما علق بذاكرتي وبقي فيها الى الآن من تلك المشاهد ولو مرَّت عليهِ الايام والشهور

معمل ارمسترنج

استاذن لي الصديق الكريم الخواجه يوسف غبريل اصحاب معمل ارمسترنج واصحاب معمل شوابي فاذنوا لنا في مشاهدة معمليهما بعد ان علموا ان غرضي علمي محض

فقصدنا المعمل الاول عند الضحى وكانت الشمس قد بدَّدت الغيوم من جو منشستر ومزَّقت دخان معاملها فصفا وجه السماء وسكنت مجاري الهواء وسارت بنا المركبة بين حراج غضاء تكتنف ما بني فيها من قصور الاغنياء الى ان لاحت لنا مداخن المعمل منتظمة متناسقة والدخان يصعد منها بعضهُ كثيف قاتم كالسحاب وبعضهُ لطيف دقيق كالضباب والمعمل بناء فسيح يشغل ثلاثين فداناً من الارض وفيهِ خمسة آلاف عامل . (ولارمسترنج معمل آخر في السوك في الجهة الشرقية من انكلترا اكبر من هذا كثيرًا يبلغ عدد عمالهِ احياناً اربعة وعشرين

القاً فلا يماثلهُ في اتساعهِ الاَّ معمل كروب في المانيا وكلاهما فرسا رهان في المباراة بعمل المدافع)
فقابلنا مديرهُ الهمام المستر متيوس بالترحاب ومشى معنا ساعتين يرينا الاعمال كلها من اصغرها وادقها الى اكبرها واضخمها من الخطوط الدقيقة التي يكون منها الف خط في العقدة من صفحة الفولاذ الى المدافع الكبيرة التي طول المدفع منها ستون قدماً . ومن صفائح الفولاذ التي بُولغ في صقلها حتى صارت تلتصق بعضها ببعض اذا وضعت احداها على الاخرى كأنها قطعة واحدة متصلة الدقائق الى صفائح البوارج التي ثقل الصفيحة منها اثنا عشر طناً فاكثر

ويمكنني ان اقسم هذا المعمل حسب انواع اعمالهِ الى اربعة اقسام

الاول قسم الامثلة والقوالب وفيهِ ترسم الآلات والادوات وتصنع لها امثلة من الخشب (ارانيك) حسب شكلها وتوضع في التراب الدقيق المجهَّز لهذه الغاية ثم تخرج منهُ فيبقى مكانها فارغاً ليصبَّ فيهِ ذوب الحديد او ذوب الفولاذ فيملأهُ ويجمد فيهِ ويخرج منهُ مسبوكاً حسب الشكل المراد ثم يخرط ويهذَّب كما سيجيء

وفي هذا القسم عدد عديد من المهندسين والرسَّامين والنجَّارين والخراطين وساحقي التراب وصانعي القوالب وكلٌّ منهم يعمل عملهُ الخاص بهِ فيجيء مكملاً لعمل غيرهِ كأنهُ عضوٌ من اعضاء جسم حي يعمل لحياة الجسم كلهِ

والثاني قسم الاتاتين حيث يصهر الحديد والفولاذ وتنصبُّ صهارتهما في المراجل الكبيرة انهاراً يخطف الابصار ضياؤُها وتشوي الابدان حرارتها . وقفت امامها عن كثب وسمعت زفيز نيرانها ورأيت تألق انوارها وقد بلغت حرارتها درجة البياض . وما اتون الفتيان ولا جحيم دانتي ولا بركان اتنا باشد هولاً من اتون تطرح فيهِ قناطير الحديد فتصهر صهراً ثم تتفجر انهاراً . وتصبُّ هذه الانهار في المراجل حتى اذا امتلأَت دارت بها روافع كالموازين وافرغتها في قوالبها الى ان تبرد وتجمد ثم تحمى ثانيةً وتطرَّق حتى تتماسك دقائقها تماسكاً وتخرط بعد ذلك او تقشط وتصقل حسبما يراد ان يعمل منها

ولو اقتصرت هذه الاتاتين على حرق الفحم والحطب ما استطاعت ان تصهر هذه المقادير الكبيرة من الحديد بهذه السرعة ولكن في المعمل آلات بخارية قوية تدفع الهواء السخن وتزجهُ في الاتاتين فيزيد حرارة النار ويسهل عليها صهر الحديد

والثالث قسم المطارق والمعادل المائية التي اخترعها ارمسترنغ وكانت سبب ثروتهِ وشهرتهِ . هناك رأينا العجب العجاب رأينا اعمدة من الحديد قطر العمود منها متر او اكثر وثقلهُ مئات من القناطير يحمى الى درجة البياض ويوضع على سندان وتنزل عليهِ مطرقة كبيرة

فتضغطهُ كأنهُ قرصة من العجين وكلما برد قليلاً أُعيد الى الاتون ثم ارجع الى تحت المطرقة . والآلة التي تتولى وضعهُ في الاتون واخراجهُ منهُ ووضعهُ تحت المطرقة وادارتهُ تحتها تفعل ذلك بالدقة التامة كأَنها يد الحداد تدير قطعة من الحديد بملقط . ولا يزال يدار تحت المطرقة وهي تضغطهُ كذلك الى ان يدق ويندمج اندماجاً ويصير في الشكل المراد

والمحادل تعلو وتهبط وتدور يمنة ويسرة بالضغط المائي فتحمى الواح الحديد وتوضع تحتها فترقها رقًّا . يكون طول اللوح منها مترين وعرضهُ مترين وسمكهُ نصف متر وثقلهُ عشرة اطنان او اثنا عشر طنًّا فترى اصابع من الحديد قطر الاصبع منها نحو نصف متر تعلو تحتهُ وترفعهُ وتنقلهُ من مكان الى آخر وتحرفهُ من جهة الى اخرى كأنهُ قرص من الخبز تلعب بهِ باصابعك والمحادل الغليظة تنحدر اليهِ وتدور عليهِ حتى ترقَّهُ وتدمج دقائقهُ ويعاد الى الاتون فيحمى ثانية ويعاد رقهُ كذلك الى ان يصير في السماكة المطلوبة والاندماج المطلوب من غير ان تمد اليهِ يد عامل . ولو اجتمع كل عمَّال الارض ما استطاعوا ان يحركوا لوحاً من تلك الالواح ولا ان يلمسوهُ وهو كالنار المحتدمة . وغاية ما يفعلهُ العمال هناك انهم يحركون مفاتيح الآلات التي تحمي الالواح وتضغطها وترقها على ما تقدَّم

هذه هي الالواح التي تصفح بها البوارج فتقع عليها القنابل التي تمزق الصخور وتهدم الحصون فترتد عنها حاسرة لكن قنابل المدافع الحديثة قد تخرقها خرقاً كأنها من الخشب السخيف لا من الفولاذ الرزين

والمطارق والمحادل تتحرك بقوة الضغط المائي ولكن الماء لا يُدخل المضاغط باليد كما في المضاغط العادية بل بالكهربائية فان في المعمل آلات بخارية قوية جدًّا تتحوَّل قوتها الى كهربائية وهي التي تحرك سائر الآلات وتديرها والعمَّال يساعدونها لا غير . والقوة البخارية آتية من حرارة الفحم الحجري ولولا مناجم الفحم ومناجم الحديد في البلاد الانكليزية ما تأصلت الصناعة فيها ولا نمت هذا النمو

والرابع قسم المخارط والمقاشط والمثاقب فترى المدفع الذي طولهُ ستون قدماً وثقلهُ ستون طنًّا مركبًا في المخرطة يدور فيها ويخرط من طرف الى طرف كأَنهُ قب الميزان يخرطهُ الخراط المصري او السوري بالقوس والوتر . ويثقب بالمثقب من فمهِ الى خزنتهِ كأنهُ ماسورة التدخين . وترى صفيحة الفولاذ التي ثقلها عشرات من الاطنان تجري تحت المقشطة او تجري المقشطة عليها فتفعل بها فعل الفارة بالخشب . ولا تسل عن الدقة في هذه الاعمال العظيمة فان الحديد يقشط ويجلى حتى يصير كالمرآة ويكون استواؤهُ تامًّا حتى يلصق سطح

منهُ بسطح آخر ويتعذر فصلهما اذا لم يزلق احدهما عن الآخر

والمدافع الكبيرة التي تصنع هناك يلف عليها السلك الدقيق طاقاً فوق طاق ويدمج بعضهُ ببعض حتى تزداد متانتها ويتعذر انفجارها متعذراً . والاَّ فالقوة التي تدفع قنبلة ثقلها ٢٤ قنطاراً وتوصلها مسافة عشرين ميلاً لا يقوى على حفظها الحديد مهما كان صلباً ما لم يزنَّر باسلاك الصلب مراراً عديدة

ومديرو هذا المعمل يفتخرون بمتانة حديدهم فاننا دخلنا غرفة الاستقبال الفتونا الى قطعة كبيرة جداً من الحديد توضع في البواخر الكبيرة لتدير دفتها وقالوا لنا صنعنا هذه الركبة للباخرة الفلانية رديفاً منذ كذا وكذا من السنين حتى اذا انكسرت ركبتها كما يحدث عادةً اعطيناها هذه بدلاً منها وحتى الآن لم تنكسر ركبتها فبقيت هذه عندنا . وقبل ان خرجنا من المعمل ادخلونا الغرفة التي يمتحنون فيها صلابة الحديد وربطوا قضيباً غليظاً من الفولاذ من طرفيهِ ثم اداروا مضغطاً مائياً فجعل يشدُّ ذلك القضيب ويمطهُ كما تمطُّ " قضيب المعلّل " الى ان انقطع فقاسوا بذلك متانتهُ الشديدة

وقد سألت المدير عن الممالك التي تناظرهم الآن في عمل مثل هذه المدافع والصفائح والآلات فقال ايطاليا واليابان وقد تمرَّن مديرو معاملها في معملنا وابتاعوا آلاتهم منا واعترف لليابانيين بالذكاء والمهارة

هذا ما وعتهُ الذاكرة . وقد ادهشتني سعة المعمل عن كتابة مذكرة بما كنت ارى فيهِ فلم احاول ان اصف للقارىء الكريم الاَّ ما بقي في ذهني من الاستغراب

معمل شوابي

عدنا من معمل ارمسترنغ واسرعنا الى معمل شوابي خارج منشستر في بلد يجاور لها فرأينا مداخن المعامل تناطح السحاب كأن البلد كلهُ موقوف عليها لكثرة مياههِ وعن يسارنا غابة فسيحة لاهالي منشستر يخرجون اليها للنزهة والرياضة . ولقينا مدير المعمل فرحَّب بنا وسار من فورهِ يرينا اقسام معملهِ المختلفة وهو ابنية منفصلة كأنها بنيت في اوقات مختلفة حسب نمو العمل وتدار آلاتهُ بآلات بخارية كثيرة اكبرها آلة على مدخنتها ٣٢٠ قدماً وهي اعلى مدخنة في تلك الجهات ولعلها من اعلى مداخن المعامل في الدنيا تقف امام قاعدتها فتظن نفسك امام برج عظيم ثم تلتفت الى رأسها فلا تكاد تراه كأن بناتها من نسل نمرود فبنوها برجاً يصلون بهِ الى السماء

ولقد كنت ارى المنسوجات المطبوعة بالوان مختلفة فاعجب بدقة رسمها وجمال الوانها

واعرف ان طبعها كذلك يقتضي تعباً كثيراً لشدّة ما يعانيه اصحاب المطابع في طبع الالوان المختلفة ولكن لم اكن اتصوَّر مقدار التعب الذي يعانيه الرسَّامون والنقاشون في رسم تلك الاشكال على اساطين النحاس ونقشها عليها ولا الاساليب المختلفة التي استنبطوها لذلك · فالمتر الذي يباع بقرش او غرشين يشتغل في رسم رسومه ونقشها اشهر الرسَّامين والنقاشين اياماً كثيرة · ولولا اتساع التجارة الانكليزية وطبع الالوف والملايين من ذلك المتر لوجب ان يكون ثمنهُ جنيهات كثيرة · وان لمن الحماقة ان تحاول بلادٌ مباراة البلاد الانكليزية في نسج المنسوجات وطبعها ما لم تكن لها تجارة واسعة مثلها

والاعمال هنا ثلاثة اقسام الرسم والحفر والطبع فالرسم يجري على اساليب مختلفة ترى البعض يرسمون الرسوم بايديهم على اساطين النحاس والبعض يرسمونها على الورق و ينقلونها الى الاساطين والبعض يرسمونها على الاساطين بآلات تنقلها اليها نقلاً عن رسوم اخرى والبعض ينقلونها اليها بالفوتوغرافيا · والعبرة الكبرى ليست في الرسم بل في وضع جزء منهُ على هذه الاسطوانة وجزء على اسطوانة اخرى وجزء على ثالثة حسب الالوان التي يتركب منها الرسم · فاذا كان المراد طبع وردة حمراء غصنها اخضر واسدبتها صفراء وشوك الغصن احمر وكل من هذه الالوان الاربعة مؤلف من لونين مفتوح ومغلق فعلى الرسَّام ان يرسم اجزاء هذه الوردة على ثماني اساطين مختلفة ويحكم وضعها حتى اذا مرَّت تلك الاساطين على النسيج الواحدة بعد الاخرى وطبعت عليهِ ما عليها من الرسم بالّلون الخاص بها يكون من مجموع ذلك صورة الوردة من غير ان يقع لون منها على اللون الذي يحاذيه او يبعد عنهُ · وهل تدري المرأة التي تختار قماشاً رسومهُ نقط او خطوط او دوائر من لون واحد وتفضلهُ على قماش آخر رسومهُ عروق وازهار مختلفة الاشكال والالوان ان نفقات الرسوم الاولى لا تعد شيئاً مذكوراً بالنسبة الى نفقات الرسوم الثانية · ولكن النفقات الكثيرة لا تحسب شيئاً اذا كان المصنوع كثيراً جداً · فاذا بلغت نفقات رسمٍ الف قرش وبيع منهُ مليونا متر اصاب المتر منها نصف مليم لاغير فلا شأن لهُ في ثمن ذلك المتر

هذا من حيث الرسم ودقتهُ اما الحفر فبعضهُ باقلام الفولاذ حسب الاسلوب القديم وبعضهُ بآلات دقيقة تحرك طبقاً لرسوم اخرى او لاشكال هندسيةٍ وبعضهُ بالحوامض الكيماوية

والاساطين من النحاس تسبك وتجلى في المعمل نفسهِ وخزانتهُ ممتلئة بالقديم منها وهي مختلفة الاطوال والاقطار

والعملان المتقدمان اي الرسم والنقش تمهيد للعمل الثالث وهو طبع الالوان على

المنسوجات . ويتمّ في مطابع كبيرة تطبع بلون واحد او اثنين او ثلاثة او اربعة او اكثر حسب المراد . والمطابع كثيرة هناك تملأ غرفاً فسيحة فترى اساطينها تغمس في الاصباغ الملونة وتدور على النسيج فتطبع عليهِ ما هو مرسوم فيها من الاشكال . ومن مجموع ما على الاساطين كلها تتألّف الاشكال والعروق والازهار التي ترى على المنسوجات القطنيّة والصوفية والكتانية والحريريّة من احمر وبرتقالي واصفر واخضر وازرق ونيلي وبنفسجي وفضي وذهبي . والفضي والذهبي لامعان كمعدنيهما اذا صُقلا . ومن الاصباغ مواد كيماوية تُحدِث بتبيرها فتزيلهُ او تنيرهُ . والوان هذا المعمل من اثبت الالوان كلها وهذا سرّ نجاحهِ

مكتبة ريلندس

ثم عدنا الى منشستر وانتقلنا من دار العدل الى دار العلم دخلنا مكتبة ريلندس فدهشت من فخامة البناء الذي بني لها وحسن اتساقهِ فانهُ مبني بالحجر الرملي الوردي اللون وقد اتُّبع فيهِ الاسلوب القوطي من اساليب البناء فتراهُ يتجلّى بمثل افخر مباني العصور الوسطى في المدائن الاوربيّة

وتمتاز هذه المكتبة على غيرها من المكاتب العمومية بكثرة ما فيها من الكتب التي طبعت قبل سنة ١٥٠١ فان فيها ٢٥٠٠ كتاب منها وتمتاز ايضاً بكثرة كتب الخط العربيّة

اما الكتب المطبوعة فتبتدئ مما طبع عن صفائح منقوشة من الخشب قبل ان استعملت الحروف المقطوعة ويظهر منها كيف تدرَّجت الطباعة الى ان بلغت ما بلغتهُ الآن من الاتقان

والظاهر انهُ خطر لبعض الناس في القرون الوسطى ان يوزّعوا على الزوار والحجاج اوراقاً فيها صور وصلوات فاجتزوا عن نسخ نسخ كثيرة منها بنقشها على الخشب وطبع الورق بها بعد تحبيرها . والغريب ان اهالي اوربا لم يفعلوا ذلك قبل اوائل القرن الخامس عشر مع ان اهالي القطر المصري كانوا يطبعون على المنسوجات قبل ذلك بسنين كثيرة واهالي الصين كانوا يطبعون قبلهم بقرون . وكما تدرّج الناس من الكتابة الصورية الى الكتابة بالحروف التي تدلّ على الاصوات تدرجوا من الطبع بالصفائح الى الطبع بالحروف المقطعة . وفضل هذا الاستنباط تدَّعيهِ المانيا وفرنسا وهولندا لكن حجّة المانيا اقوى من حجة غيرها . واول ما طبع بحروف مقطعة رسائل البابا نقولا الخامس طُبعت سنة ١٤٥٤ ثم التوراة وقد بُدئ بطبع اول نسخة منها سنة ١٤٥٨ وتمت سنة ١٤٦١ . واول كتاب ذكرت فيهِ سنة طبعهِ كتاب الزبور الذي طبع سنة ١٤٥٧ . والنسخ القديمة التي في هذه المكتبة كثيرة وثمينة جدًّا تباع النسخة منها بالوف من الجنيهات والذين صنعوا حروفها اتقنوها احسن اتقان وقد

طبعوا الكتب الدينيّة قبل غيرها ثم كتب الادب الشهيرة . وكانت الطباعة باللغة اللاتينيّة وبعد نحو مئة سنة صنعت الحروف العربيّة وطبع بها قانون ابن سينا برومية سنة ١٥٩٣ وهندسة اقليدس التي ترجمها نصير الدين الطوسي طبعت سنة ١٥٩٤ اي ان الاوربيين طبعوا كتب العلم العربيّة قبلنا بنحو ٢٥٠ سنة

اما المكتبة العربيّة فقدمها لورد كروفورد واضيفت الى هذه المكتبة وهي عشرة لآف مجلد وبعضها من اندر كتب الخط العربيّة وهي لم تبوّب حتى الآن ولا كان الدخول اليها مباحاً للجمهور لكن مديرها فتحها لي . واول كتاب وقعت يدي عليهِ نسخة من شرح المتنبي في مجلدين كبيرين بخط فارسي جميل . ولقد وددت ان اقيم هناك اياماً افتش عن الكنوز الثمينة المدفونة في تلك المكتبة ولكن كانت الشمس قد اذنت بالمغيب ولا ازال عاقداً النية على زيارتها في فرصة اخرى اذا فُسح لي في الاجل

وفي هذه المكتبة اكثر من مئة الف مجلد ولها ريع واسع يكفي لنفقات حفظها اوقفتهُ ارملة المستر ريلندس تذكاراً لزوجها وفيها تماثيل كثيرين من المشاهير وفطاحل رجال العلم والادب من هوميروس الشاعر اليوناني الى دالتون الكيماوي الانكليزي

بين دجلة والفرات

بين احناء دجلة والفراتِ	حيّ البؤس فوق ارض مواتِ
بعد ان كانت في القديم جناناً	باسقات الاشجار مشتبكاتِ
ورياضاً انيقة وحياضاً	مترعاتٍ وانهراً جارياتِ
وبساتين فوقها الطير تشدو	بشجيّ الالحان والنغماتِ
ورياحين من جميع صنوف الـ	زهرِ تهدي روائحاً عطراتِ
فترى الناس ينسلون اليها	رتّعاً في مروجها الخضلاتِ
فتحيي وجوههم نفحات الـ	طيب محمولة على النسماتِ
موقف للغرام في كل وجهٍ	جامع للفتيان والفتياتِ
ولديهِ ملاعبٌ لظباءٍ	حالياتٍ كثيرة اللفتاتِ
جنة عند جنة عند اخرى	هكذا يمتددنَ متصلاتِ
تحتوي انواعاً من الزهر شتى	وتعي اصنافاً من الثمراتِ

ادخلوها يا اهلها بسلام وكلوا ما شئتم من الطيباتِ

***

غادرتها ايدي الزمان جحيماً بعد تلك الرياض والجناتِ
من رأى الارض في العراق مواتا ذهبت ثمَّ نفسهُ حسراتِ
ان بين النهرين والارض تشقى لجنانًا تبدَّلت فلواتِ
حييت بالعمران دهرًا طويلاً ثمَّ ماتت من بعد تلك الحياة
كل كونٍ فانهُ لفسادٍ كلُّ جمعٍ فانهُ لشتاتِ
اين انهارها التي كنَّ فيها جارياتٍ طلقًا على الجنباتِ
نهر عيسى وبيطرٍ ورُفيلٍ ودُجيلٍ وطابقٍ والصراةِ
ما رأينا كمثل دجلة سطرًا لو قرأنا صحائف الكائناتِ
لا ولا كالفرات في الارض حاشا النيل نهرًا يفيض في ميقاتِ
دجلةٌ دجلةٌ فلم تتغيّر وكذاك الفرات عين الفراتِ
ما نضا الماءَ غيرانٍ رجال العدل ماتوا في الاعصر الخالياتِ

***

قد سكنّا وليتنا ما سكنّا في بلادٍ كثيرة الازماتِ
في بلاد نُسام فيهنَّ خسفا ونطيل السكوت كالامواتِ
فكأن الاحرار فيها عبيد وكأن الاباة غير اباةِ
لهف نفسي على مبانٍ حسانٍ زارها الهادمون بعد البناةِ
ليت شعري حتّام نحن رقود في فراش النسيان والغفلاتِ
ارتقت سلّم التقدم ناسٌ ووقفنا في اسفل الدركاتِ
فخروا بالعلوم اذ رفعتهم وفخرنا بالاعظم النخراتِ
ركدت ريحكم ركودًا ثقيلاً فسكنتم والناس في الحركاتِ
كم الى كم شيوخكم في رقاد كم الى كم شبابكم في سباتِ
استعينوا كالغير بالعلم فيما نابكم فهو ينزع الكرباتِ
وهو كالماء يذهب الرجس عنا وهو كالنور يمحق الظلماتِ

***

ايها الجهل هل زمانك ماضٍ ايها العلم هل اوانك آتِ

قل لبغداد ما استطعت فنوحي واسعفيني بوابل العبرات
فسابكي قومي وابكي بلادي وقبور الآباء والامهات
ثم ابكي بحرقة ثم ابكي هكذا هكذا ليوم الممات

ابن العراق

ميزانية الحكومة المصرية

لسنة ١٩٠٨

جاء في المذكرة التي رفعتها اللجنة المالية الى مجلس النظار انها قدرت الايرادات لسنة ١٩٠٨ ١٥٠٣٠٠٠٠ جنيهاً مصرياً
والمصروفات ١٤٧٣٠٠٠٠ " "
فالزيادة في الايرادات ٠٠٣٠٠٠٠٠ " "

الايرادات

يزيد تقدير الايرادات سنة ١٩٠٨ عن تقديرها سنة ١٩٠٧ مبلغ ٢٩٠٠٠٠ جنيهاً مصرياً اكثرها من سكك الحديد والجمارك اي من زيادة الثروة العمومية . وينتظر حصول نقص في بعض انواع الايرادات يبلغ مجموعه ٦٢ الف جنيه مصري وهو خاص برسوم القيد وايرادات المحاكم الشرعية وايراد تشغيل النقود وغير ذلك كما انهُ حذف من تقدير ايرادات سنة ١٩٠٨ بابان من ابواب الايراد كانا مقدرين في ميزانية سنة ١٩٠٧ بمبلغ اجمالي قدره ٢٧٥ الف جنيه مصري وهما بدل الخدمة العسكرية والايراد الناتج من بيع الاملاك الاميريَّة وبسبب هذا الحذف وذاك النقص يصبح صافي الزيادة في تقدير ايرادات سنة ٩٠٨ بالنسبة الى سنة ٩٠٧ مبلغ ٢٩٠ الف جنيه مصري فقط

اما ايراد بدل الخدمة العسكرية فسيقيد في حساب خصوصي ويستعمل لتحسين حالة الانفار المقترعين في الجيش والبوليس

اما الايراد الناتج من بيع الاملاك الاميريَّة فيضاف من الآن فصاعداً الى المال الاحتياطي العمومي

المصروفات

يتضح من مقارنة تقدير مصروفات سنة ٩٠٨ بتقدير مصروفات سنة ٩٠٧ ما يأتي

تقدير سنة ١٩٠٨	١٤٧٣٠٠٠٠	جنيه مصري
تقدير سنة ١٩٠٧	١٤٢٤٠٠٠٠	" "
زيادة في تقدير سنة ١٩٠٨	٠٠٤٩٠٠٠٠	" "

واهم الزيادات مبينة في ما يلي

نظارة المعارف العمومية

زيادة ٧٦٤٥٠ جنيهاً مصرياً وهي مخصصة لتوسيع نطاق التعليم في جميع فروعه وانشاء مدرسة القضاء الشرعي وتنظيم ادارة الزراعة والتعليم الصناعي وتحسين حالة الفقراء والعرفاء

نظارة الداخلية

(ديوان العموم والبوليس) زيادة ١٤٠٤٥ ج . م وهي ناشئة عن مصاريف البوستة وثمن الادوات المكتبية وعن تحسين حالة معاوني وضباط البوليس وجاوشية المدن وعن زيادة لاعتمادات المقررة للمصروفات المتنوعة بسبب ارتفاع اثمان الملبوسات واسعار الاغذية

(مصالح الصحة) زيادة ١٢٨٦٥ ج . م ومعظمها ناشئ عن ارتفاع اسعار الاغذية والتوريدات وعن مصاريف البوستة واتساع نطاق الاعمال في مصلحة الكنس والرش

(السجون) زيادة ٤٦٢١٠ ج.م منها مبلغ ٣٨٠٠٠ ج.م ناشئ عن ادراج الايرادات والمصروفات الخاصة باشغال المسجونين الصناعية في الميزانية العمومية والباقي من الزيادة ناشئ عن ارتفاع اسعار الاغذية

نظارة الحقانية

زيادة ٤٣٥٦٩ ج .م وهي ناشئة عن تحسين حالة القضاة الشرعيين وتجديد وظائف في المحاكم المختلطة وزيادة الاعتمادات المقررة للمصروفات المتنوعة و بنوع خاص اعتمادات المصاريف القضائية واجر النساخين

نظارة الاشغال العمومية

زيادة ٥٣٥٣٣ ج . م وهي ناشئة عن تنفيذ النظام الجديد لتعيين مرشحين مصريين في الوظائف العالية التنفيذية وعن اتساع الاعمال في ادارة الري والمدن والمباني وعن انشاء قومسيونات محلية وزيادة الاعانة الممنوحة لبعض القومسيونات الحالية

الخدمات المتنوعة

في مصروفات هذا الباب نقص بمبلغ صافيه ١٣٧٤٦ ج . م فقد حذف من ربط الخدمات المتنوعة الاعتماد الذي كان مقرراً للادوات المكتبية ووزع على مصالح الحكومة وانقص الاعتماد المخصص لتعديل الضرائب ومن جهة اخرى زيد مقدار الاعانة الممنوحة للجمعية الزراعية الخديوية ورتبت اعانة لجمعية الزهور التجارية وزيد الاعتماد المقرر لشراء القمح الخاص لفقراء مكة والمدينة وذلك بسبب ارتفاع اسعار هذا الصنف

الاقاليم والمحافظات

زيادة ٣٧٩٨٩ ج . م وهي ناشئة عن مصاريف البوستة وثمن الادوات المكتبية المنقول اعتمادها من فصول اخرى بالميزانية وعن زيادة المبلغ الذي تدفعه الحكومة للخفراء وذلك لملاحظة الخطوط الحديدية وعن زيادة الماهيات في الدرجة الاخيرة من درجات المستخدمين

خفر السواحل

زيادة ١٣٣٣ ج . م بسبب انشاء فرقة هجانة بمرسى مطروح وسيدي براني وزيادة الاعتمادات المقررة للمصروفات المتنوعة وخصوصاً في ما يتعلق بمصاريف البوستة وثمن الادوات المكتبية

السكك الحديد والتلغرافات

زيادة ٢٦٤٠٩٥ ج . م وهي ناشئة عن زيادة الايرادات فيتبعها زيادة مناسبة في المصروفات وعن ارتفاع اسعار الفحم وادراج نفقات نقل البضائع من المحطات بالميزانية وعن تقرير اعتماد في الميزانية للخطوط الفرعية في الوجه القبلي

البوستة

زيادة ٢٠٣٠٠ ج . م وهي ناشئة عن اتساع نطاق الاعمال في هذه المصلحة

نظارة الحربية

زيادة ٤٨٨٠٢ ج . م ومعظم هذه الزيادة ناشئ عن ارتفاع اسعار الاغذية والتوريدات والباقي ناشئ عن زيادة قوة العربان وعن تحسينات مختلفة الغرض منها سرعة تنقلات الجيش

تعديل درجات المستخدمين

اما الاعتماد البالغ قدره ٧٢ الف جنيه المربوط في ميزانية سنة ٩٠٧ لتعديل درجات

المستخدمين ربط ايضاً في ميزانية سنة ٩٠٨ اجمالاً ولكن المنظور ان تنتهي مسألة تعديل الدرجات قريباً فيوزع هذا الاعتماد على مصالح الحكومة لتحسين حالة المستخدمين الداخلين في هيئة العمال

ابطال المعافاة من دفع رسوم البوستة

ان الاعتماد البالغ قدره ٣٥ الف جنيه المربوط في ميزانية سنة ١٩٠٧ تحت هذا العنوان قد وزع على مصالح الحكومة في ميزانية سنة ١٩٠٨

هذه خلاصة المذكرة التي رفعتها اللجنة المالية الى مجلس النظار فصادق عليها وخير ما فيها زيادة نفقات نظارة المعارف ٧٦٤٥٠ جنيهاً فان هذه الزيادة تساوي كل ما كان يربط لميزانية المعارف منذ بضع عشرة سنة وعليهِ زيدت وظيفة محرر اول في القلم الافرنكي راتبها ٤٨٠ جنيهاً ووظيفة مترجم راتبها ٣٣٦ جنيهاً ووظيفة مترجم اخرى راتبها من ١٩٢ الى ٢٤٠ جنيهاً ومترجمين راتب كل منهما من ١٤٤ الى ١٩٢ وجعل روساء الاقلام ٧ بدلاً من ٨ ومساعدو تعليم الجمباز ٢٤ بدلاً من ١٥

وانشئت وظيفة حكيمباشي بالقسم الطبي راتبها ٤٨٠ ج٠م والغيت وظيفة الحكيمباشي التي كانت مدرجة بين الموظفين الذين ليس لهم درجات براتب ٤٠٠ ج٠م واستبدلت بوظيفة حكيم راتبهُ ٢٠٠ ج٠م وزيد مفتشان في قسم التفتيش احدهما راتبهُ من ٦٠٠ الى ٨٠٠ ج٠م والثاني من ٤٢٠ الى ٥٤٠

وجعل راتب كل من نظار مدرسة الطب ومدرسة الحقوق ومدرسة المعلمين الناصرية ٩٠٠ ج٠م في العام وراتب كل من ناظر مدرسة المعلمين الخديوية ومدرسة القضاء الشرعي ٧٠٠ ج٠م في العام وزيد عدد المدرسين الذين راتبهم من ٦٠٠ الى ٨٠٠ ج٠م في قسم التعليم العالي من ١٠ الى ١٢ والذين راتبهم ٤٢٠ الى ٥٤٠ من ١٠ الى ١٣ والمساعدين الذين راتبهم من ٢٨٨ الى ٣٨٤ من ٩ الى ١٤ والذين راتبهم من ٩٢ الى ٢٤٠ من ١٠ الى ١٥

وجعل عدد المدرسين الذين راتبهم من ٤٢٠ الى ٥٤٠ في التعليم الثانوي ١١ بدلاً من ١٠ والذين راتبهم من ٢٨٨ الى ٣٨٤ ٩٠ بدلاً من ٨٢ والذين راتبهم من ١٩٢ الى ٢٤٠ ١١ بدلاً من ١٣

وزيد ناظر في التعليم الابتدائي راتبهُ من ٣٨٨ الى ٣٨٤ بدلاً من ناظر راتبهُ من ١٩٢ الى ٢٤٠

وجعل عدد المدرسين الذين راتبهم من ١٩٢ الى ٢٤٠ ١٨ بدلاً من ١٥ والذين راتبهم

من ١٤٤ الى ١٩٢ ٦٥ بدلاً من ٥٥ والذين راتبهم من ٧٢ الى ١٢٠ ٣١٨ بدلاً من ٣٠٨

وانشئت وظيفة وكيلة في قسم تعليم البنات راتبها ٣٣٦ ج ٠ م

وانشئت وظيفة ناظر للكتاتيب راتبها ٢١٦ ج ٠ م وجعل عدد المدرسين الذين راتبهم من ١٤٤ الى ١٩٢ ج ٠ م ٥ بدلاً من واحد

وأُلفت ادارة الزراعة والتعليم الصناعي العمومية من ناظر راتبهُ ١٧٥٠ ج ٠ م ومفتش راتبهُ ٥٠٠ ج ٠ م ومفتش آخر راتبهُ ٤٠٠ ج ٠ م

وجعل راتب ناظر مدرسة المهندسخانة ٩٠٠ ج ٠ م وناظر مدرسة الزراعة ٩٠٠ ج ٠ م

وأُنشئت ورشة صناعية لاسيوط وورشة للعاصمة وعين لها مديران راتب كل منهما ٦٠٠ ج ٠ م في العام و ١٠ رؤساء مجموع رواتبهم ٢٩٨٨ ج ٠ م ورسامان وضابطان ونحو ٦٠ معلماً للاشغال ٠ وزيدت مصروفات الرسالة المصريَّة باوربا من ٩٠٠ ج ٠ م الى ٤٩٧٧ ج ٠ م ومرتبات التلامذة من ٤٧٠٠ الى ٨١٠٠ ج ٠ م وثمن التعيينات من ٢٤٦٦٨ الى ٣٢١٠٠ ج ٠ م والمكافآت المتنوعة من ١٤٩٠ الى ٢٤٠٠ ج ٠ م وعين ٧٠٠ ج ٠ م للادوات العلميَّة الجديدة والمتحصلات الكيماوية للمعامل و ٢٠٠ ج ٠ م للاشغال اليدوية

واهم ما في ذلك اولاً ان اساتذة المدارس يزاد عددهم خمسين استاذاً ومعلوم ان الخمسين يستطيعون ان يعلموا الف تلميذ الى الفين

ثانياً تأليف ادارة الزراعة والتعليم الصناعي وانشاء ورشة صناعيَّة لاسيوط وورشة للعاصمة يكون فيهما مديران و ١٠ رؤساء ونحو ستين معلماً

ثالثاً زيادة نفقات الرسالة المصرية من ٩٠٠ جنيه الى ٤٩٧٧ جنيهاً وزيادة المكافآت من ١٤٩٠ جنيهاً الى ٢٤٠٠ جنيه

ولذلك ينتظر ان يزيد نفع نظارة المعارف في العام المقبل زيادة كبيرة ٠ وعسى ان نتوالى زيادة ميزانيتها على هذه النسبة سنة فسنة وان يزيد عدد المدرسين والتلاميذ على نسبة اعظم جداً كي تصل البلاد بعد عهد قريب الى درجة من انتشار التعليم العمومي تماثل ما وصلت اليهِ البلدان التي سبقتنا في هذا المضمار

ومها اهتمت الحكومة في نشر التعليم لا تبلغ الغاية المطلوبة ما لم تساعدها الامة وتبذل اقصى جهدها في تعليم ابنائها و بناتها

كيف تصير قويًّا

٢

لا مشاحة في ان افضل ما يحرزهُ المرء في معترك الحياة عضلات قوية تؤهلهُ للقيام باعمالهِ وقضاء مهامهِ . ولقد توهَّم قوم ان الرياضة البدنية لا مزيَّة لها الاَّ انها تنمي العضلات فتتماسك وتقوى وفاتهم انها تصلح معايب في المرء لم يكن يحلم ان طبيباً يستطيع اصلاحها . فالذين يخمعون في مشيهم ويتهادون يساراً ويميناً لا يكون ذلك ناشئاً عن علة متأصلة في اجسامهم او نقص في اعضائهم وانما هو وهن في عضلاتهم لعدم تمرينها فتعجز عن القيام بوظائفها وتفقدهم الرشاقة والخفة والرونق في مشيهم ووقوفهم وقعودهم اذ الرياضة القانونية تصلح الاكتاف فتمنع هبوطها واستدارتها وتوسع الصدر فتبرزهُ وتقوّم الظهر فتعتدل القامة . ثم ان العيوب التي مرَّ ذكرها قد تكون ناشئة عن ان الاعضاء الداخلية مقصرة في اداء وظائفها مختلة في نظامها ولاسيما الرئتين فانهما لا تعالجان الاَّ بالرياضة فتى قويتا رغد العيش وطابت الحياة

ويخطئ من يتوهم ان الرياضة القانونية لا تنفع الاَّ الاحداث فقد ظهر بالتجارب انها لا تنفع الاحداث فقط بل تنفع الذين تجاوزوا منتصف العمر حتى الشيوخ والسبب في ذلك انها تجعل عضلات الجسم قادرة على حفظ العظام في مراكزها فاذا ضعفت ارتخت وارتخت معها عدة اعضاء . يُعتبر ذلك بهبوط الاكتاف وانحنائها الى الامام مع ان وظيفة العضلات ان تحفظها في مراكزها راجعة الى الوراء واذا كانت اضلاع الصدر مرتخية ضغطت على الرئتين فضاق الصدر وصعب التنفس

على ان كل ما قلناهُ عن منافع الرياضة لا يعدُّ شيئاً مذكوراً في جانب ما تحدثهُ في الاعضاء الداخلية فانها تزيد القلب والرئتين حركة وعملاً فالعدو والتصعيد في الجبال مثلاً يضاعفان ضربان القلب ويسرعان التنفس اضعافاً ويدخلان الى الرئتين مقداراً كبيراً من الهواء فيسري الى شعب دقيقة فيهما لا يبلغها بالتنفس العادي . فهذا الضرب من الرياضة يوسع الشعب فتقوى الرئتان والقلب معاً . ومن القواعد المعروفة طبيًّا انهُ كما زاد ضربان القلب زاد مقدار الدم الذي يوزَّع في الجسم فيتم بذلك النمو والتجدد الحيوي ويسهل افراز الفضلات ويزيد ايضاً مقدار الاكسجين او العنصر الذي ينقي الدم ويطهر خلايا

الجسم فتتجدد قوى الدماغ لانهُ ينقى من الفضلات والنفايات بما يسري اليهِ من الدم النقي وكذلك الكبد فانها تزيد في الافراز من الصفراء اللازمة للهضم وتفرز المعدة ايضاً عصاراتها فتزيد الشهية الى الطعام ويتناولهُ الآكل مريئاً

فيتضح مما تقدم ان كل جزء في الجسم تكسبهُ الرياضة قوة ونشاطاً فيقوم بالوظيفة التي خصَّ بها ولذلك اجمع الخبيرون على ان من يتعود الرياضة ويشعر بمنافعها يتعذر عليهِ تركها والعود الى ما كان عليهِ من الخمول والكسل

∴

يتجلى لنا الآن امر خليق بالاعتبار نظرًا الى العصر الذي نحن فيهِ عصر التباري والتنازع فان ضياع بضع ثوانٍ او دقائق يضيع المستقبل او يفقد الحياة اذا لم يكن الجسم قويًا خفيفًا. هنا رجل مشرف على الغرق وهناك قطار تريد اللحاق بهِ وهنالك رجل احدق بهِ الخطر من نار تكاد تمد عنقها اليهِ فاذا كنت متعودًا الرياضة القانونية استطعت تخليص الغريق وادراك القطار وتنجية الثالث من خطر النار

ولرب معترضٍ يقول ان من الناس مَن يقع ميتًا اذا اجهد نفسهُ بالجري فتكون الرياضة آفة على مستعملها والجواب ان موت هذا الرجل لم يكن الاَّ لضعفٍ في قلبهِ وسبب الضعف انهُ لم يعتد الرياضة فوهن قلبهُ ولم يعد يستطيع القيام بعمل شاق كالجري وكان الواجب ان يقوم قلبهُ بعملهِ كسائر اعضاء الجسم سواءٌ كان الجسم هادئًا او في اشد حركة فاذا رمت ان تعرف قوة قلب رجل لم يعتد الرياضة اوضعفهُ فجسَّ نبضهُ وهو ساكن مستريح ودعهُ يصعد سلمًا و ينزل عليها مسرعاً مرة او مرتين وعدَّ بعد ذلك ضربات نبضهِ تجد انها زادت عن المعتاد من ثلاثين الى خمسين ضربة في الدقيقة ولكن الذي اعتاد الرياضة لا تزيد ضربات نبضهِ اكثر من عشرٍ او خمس عشرة ضربة في الدقيقة. فصعود السلم والنزول عليها طريق يتسنى بها لكل واحد ان يختبر قوة قلبهِ وان يرى الفرق العظيم في اثناء ترويض جسمهِ بنقص ضربات نبضهِ

ومن اشد ما اصيب بهِ رجال عصرنا عصر التنعم والترف ان الواحد منهم لا يبلغ منتصف عمرهِ حتى تراهُ غير قادر ان يعدو قيد ميلٍ واحد بغير ان يقع في خطر او يشعر بتعب شديد في رجليهِ وضيق في صدرهِ يوهمهُ ان الموت ادنى اليهِ من الحياة. مع ان الواجب عليهِ ان يعدو ميلين او ثلاثة اميال على معدل ثمانية اميال في الساعة ولا يشعر بتعب او اقل انزعاج

ومن العادات المتبعة استعمال اليد اليمنى دون اليسرى فتقوى تلك وتضعف هذه وكثيراً ما تكون الرجل اليمنى اكبر قليلاً من الرجل اليسرى لانها اكثر استعمالاً فينشأ عن ذلك ان الجانب الايمن يصير اقوى واشد احتمالاً من الجانب الايسر فتتقوس سلسلة الظهر الى جهة اليسار وتهبط الكتف اليمنى . ففي كل اربعة اشخاص لا يوجد الاّ واحد سليماً من هذا العيب ولكن الرياضة القانونية تصلحهُ وتجعل اليدين متناسبتي القوة في العمل فاذا فقد معتاد الرياضة يمناهُ لم يتعسَّر عليهِ العمل بيسراهُ واذا اصابت يمناهُ آفة او تعبت من العمل اراحها واستعمل يسراهُ بدلاً منها

⁂

كل عضو يتحرك في الجسم انما يتحرك منقاداً لفاعلٍ في الدماغ يصل اليهِ بشعبة من الاعصاب فترويض العضلات ترويض للاعصاب والدماغ وبعبارة اخرى ان الاعصاب تشتد وتقوى والدماغ تتجدد قواهُ وينمو ويزيد اقتداراً على العمل وهذا هو السبب في كون الرياضة تجعل المرء ثابت الجأْش ذا ارادة وتوازن عقلي وخاطر سريع متأَهباً مستعداً لان يذلل الصعاب فتنقاد اليهِ صاغرة . فهي ولا خلاف في الاستدلال خير علاج لذوي الاشغال العقلية وسائر الذين تستدعي اعمالهم توارد الدم الى ادمغتهم فاستعمالها امر واجب وضربة لازب لطلبة العلم والمهندسين والكتاب . وما عجز الطلبة عن اتمام دروسهم او اصابتهم الامراض بُعَيد اتمامها الاّ لكونهم في الغالب قد اهملوا الرياضة البدنية. ومثل هذا يقال عن الذين يصابون بعجز فجائي من ذوي الاشغال العقلية كالمشترعين والاساتذة فقد كان في استطاعتهم درء الفواجيء لو راضوا ابدانهم

ولا يخفى ان الدماغ يتهيج اذا توارد الدم اليهِ عند الافراط بالاشغال العقلية فيصير صاحبهُ ميالاً الى اعطاء النفس هواها ولكن هناك امراً يجب ان لا ننساهُ وهو ان الرياضة تجعل المرء ينام مستريحاً ساكن البال هادئاً فراحتهُ هذه ترد اليهِ قوتهُ العقلية وتسلطهُ على ارادتهِ . اعتبر ذلك في القبائل الهمج الذين يعيشون على الصيد والقنص واكل الحشائش القليلة الغذاء فان اتباعهم لاهوائهم اقل كثيراً من الذين يعيشون مترفين منعمين فلهذا يجدر بالوالدين والمعلمين ان يعوّدوا الصغار الرياضة البدنية ولاسيما في هذا العصر الذي زاد فيهِ الميل الى اتباع الاهواء وكان اتباعها والانصياع لها نقطة سوداء في صحيفة القرن العشرين الذي بلغ العلم فيهِ قمة مجدهِ واوج رفعتهِ . ويقول ربَّانو السفن انهُ اذا قلَّ العمل على البحَّارة مالوا الى التمرُّد فلذلك لا يتركونهم بلا عمل ولو جلوا الادوات الحديدية

قوانين الرياضة

(١) الرياضة القانونية ذات المنفعة الحقيقية هي التي تحرك بها كل عضلات الجسم حركات طبيعية معتدلة منتظمة

(٢) يشترط في الرياضة ان تكون مطردة ونعني بذلك مخالفة ما يتبعهُ اصحاب الاعمال فانهم يقضون اسبوعًا او اسبوعين في الصيد مرة في العام او يمشون مسافة طويلة مرة في الشهر وما شاكل ذلك مما يؤلم العضلات او ييبسها بدلاً من ان يقويها فيقل الميل الى الرياضة فالواجب استعمالها كل يوم لان العضلات تفتقر اليها افتقار الجسم الى التغذية. ومن يحاول ترويض جسمهِ في يوم عطلة ما يغنيهِ عن ترويضهِ شهرًا مثلهُ مثل من يحاول اكل غذاء شهر في يوم واحد فلذلك يجب الترويض كل يوم والاحسن ان يكون في ساعة معينة

(٣) ان انفع الاوقات للرياضة الساعة العاشرة صباحًا والذين تمنعهم اشغالهم عن ذلك فليختاروا ساعة معينة من نهارهم فينالوا الفائدة المرومة . ولكن يشترط على ضعاف البنية ان لا يروضوا اجسامهم مدة طويلة قبل طعام الصباح . لان المصابين بسوء الهضم اذا مشوا مسافات شاسعة قبيل طعام الصباح قد يغمى عليهم او يشعرون بقلة القابلية للاكل وضعف في الهضم فيجب والحالة هذه قسمة وقت الرياضة بجملتهِ نصف ساعة قبل الفطور ونصف ساعة قبل النوم

(٤) من الحكمة والصواب في اعتياد الرياضة ان لا تكون عنيفة متعبة في بادىء الامر ولا سيما اذا مارسها ذوو العضلات الضعيفة فان كثيرًا من الناس يبدأُون الرياضة بعنف فتضعف عزيمتهم وتثبط همتهم لما يصابون بهِ من الألم والتيبس في عضلاتهم فيتركونها وشأنها فالواجب اذًا استعمال الرياضة استعمالاً قانونيًّا ونعني بذلك ان يتدرج بهِ تدرجًا كمن يصعد سلّمًا فيجد الصعب في نهاية الامر سهلاً وسبب ذلك ان العضلات تحتاج الى زمن كافٍ لانمائها وتقويتها

حكي ان احد الرومانيين القدماء بدأَ يحمل عجلاً على اكتافهِ و يطوف بهِ حول مرسح الالعاب وظل يحملهُ كل يوم وكان كلما كبر العجل وزاد وزنهُ قويت عضلات حاملهِ حتى اتت على الرجل ايام كان الناس ينظرون اليهِ معجبين بقوتهِ لانهم يرونهُ حاملاً ثورًا ضخمًا يطوف بهِ كأنهُ يحمل عجلاً صغيرًا

سنأتي البقية رحمه صروف

التاريخ امس واليوم

قلّب ما شئت من كتب التاريخ المكتوب قديماً من كل امةٍ تحت الشمس روت عن الماضي خبرًا كاليونان ابناء الفلسفة والرومان اخوان الشرائع والعرب وارثي الحضارة فانك لا تكاد تجد من كتبهم في التاريخ ما يخلق بهِ ان يسمى تاريخاً لان كتّاب اولئك المؤلفات اليونانية والرومانية وفي صدرهم المنعوت ابا التاريخ لم يحلموا انهم يدوّنون علماً ولكنهم كتبوا كأنهم يؤلفون كتباً يخلبون الالباب ببلاغتها ويزينون بها بعض الفضائل وينحون منحًى سياسيًّا فلما نبغ كتبة الاسلام لم يخرجوا عن مناهجهم وتابعهم فيهِ مؤرخو العصور الوسطى فالحديثة

ومعظم ما تهافتت عليهِ اقلامهم المبالغة في سرد الوقائع والغلو في الوصف والقصور عن الاحاطة بالاخبار فبعدت بذلك تواريخهم عن الحقيقة لانهم لم يقصدوها وما زال هذا حال التاريخ لا يكاد يكون لهُ شأن مذكور بين العلوم والفنون الى القرن التاسع عشر حين نهض بعض الجهابذة فصيّروهُ علماً قائماً بذاتهِ تخرج عن كونهِ وقائع مسرودة خالية من الفائدة العلمية الى حقائق سياسيةٍ واجتماعيةٍ ذات علاقةٍ بالآداب والمؤثرات الاقتصاديةِ والمواقع الجغرافية وخصائص الامم

فاصبح التاريخ من العلوم التي يتلقاها الطلبة في المدارس ووضعت في اصولهِ الكتب الموثوقة ونهض للكتابة فيهِ رجال العلم فلم ينصرفوا الى تسطير الوقائع الحادثة في ايامهم فقط بل عادوا الى ما تداولتهُ الايدي من تواريخ الاقدمين وقرأوها واتخذوا من وقائعها مصدرًا جروا في اثباتهِ وتحقيقهِ على قواعد ابتدعوها فكان نتاج بحثهم تاريخاً جديدًا للازمنة القديمة

واتفق جمهورهم على ان علم التاريخ انما هو سيرة البشر وان كتبهُ ضربان ضرب يسرد الحقائق الثابتة سردًا وضرب يبحث في تجريح تلك الحوادث لمطابقتها على طبيعة العمران فيستخرج منها احكاماً ادبية وفلسفية وسياسية. وهذا الضرب الثاني اهم كتب التاريخ لان تجريح الروايات اي فحصها وتمييز صحيحها من فاسدها على نسقٍ علمي واظهار اعمال الرجال المذكورين والتنويه بما في تلك الاعمال من الحسن والقبيح وبيان الذرائع التي توصلت بها الامم الى ذروة نجاحها او انحطت الى دركات تأخرها والبحث في السنن والشرائع وتأثيرها على المجتمع في كل طورٍ من اطوارهِ كل ذلك من المباحث المفيدة للناس والمثقفة للاذهان ومذ اعتمد الباحثون هذه الحقائق تقمصت كتب التاريخ من المنفعة واللذة ثوباً قشيباً

وغرض التحريج التاريخي بيان الحقائق مجرَّدةً عما يلابسها من الاكاذيب والاوهام . واصوله عليّة تقتضي اطلاعاً واسعاً على كثيرٍ من العلوم والفنون اذ يتعذر على من لم يكن ضليعاً ان يصل بحثهِ الى نتيجةٍ صحيحة ولذلك يعتاص تأليف التاريخ لهذا العهد على كثيرين من الكتّاب الذين لا يستعدون لهُ استعداداً كافياً

وحسبك ان على المؤرخ ان يتمكن كل التمكن من علم المنطق وان يعتمد فيهِ على النسق الافرنجي الحديث لتحقيق قضايا التاريخ لاسيما الشهادة بضروبها فان سبرها يجب ان يكون دقيقاً . ويعتمد في ذلك على اساليب شتى منها مطابقة الروايات فانك اذا اشتبهت مثلاً برواية وردت في احد التواريخ تعيَّن عليك ان تقرأ كتاباً آخر فان وجدتها واردةً فيهِ ولم يكن في راويها مظنة النقل عن الكتاب الاول فقد وقعت المطابقة . اعتبر ذلك بما ورد في التوراة من ان الكلدان من سلالة كوش اي انهم حاميون والحال ان بعضهم ارتاب في صحة هذه النسبة لظنهم ان الكلدان والاشوريين من اصلٍ واحد هو الساميّ فعاد المشككون الى قراءة التواريخ القديمة المأثورة عن بيروسوس و بوليهستور واوسيبوس الارمني وديودورس الصقلي وغيرهم فوجدوا اقوالاً تؤيد حامية الاصل الكلداني بتفرقتهم بين الجنسين الكلداني والاشوري فرجحت عندهم صحة رواية التوراة

الأ ان هذه المطابقة قد يعتورها عند مقابلة الروايات شيء من الاختلاف في مؤداها فيعدل في اعتبارها الى التحريج واقتراب احد القولين من الممكن وقوع مثلهِ عادةً فيرجح . مثال ذلك ما استفدناهُ من الرواية المأثورة قبيل هذا عن حاميةَ الكلدان فان المشككين انما اعتمدوا رواية هيرودوتس القائل ان نينوس مؤسس نينوى عاصمة الاشوريين هو ابن بعلوس جد الكلدان فكأنهُ جزم بوحدة الاصل في الامتين . لكن الثقات من المحققين رأوا روايات المؤرخين الاخرين لا تدل على تلك الوحدة بل تعتبر كلاً من الامتين منفصلةً عن الاخرى وان هيرودوتس المعتمد مصدراً للريب هو نفسهُ قال في موضعٍ اخر من تاريخهِ عند ذكره جيش زركيس الفارسي والامم السائرة تحت لوائهِ انهُ يذكر الكلدان والاشوريين كلاً لوحدهِ . رأى المحققون ذلك فرجحوا القول بحامية الكلدان وسامية الاشوريين

ومن ضروب الشهادة التاريخية ايضاً التقليد وهو الحديث الشفاهي ترويهِ الالسنة شعراً او حكايةً وهو لا يعتمد كثيراً الاّ اذا بلغ حد التواتر ولم يكن مؤداهُ مخالفاً للمألوف . مثال ذلك ما عُرف من حديث امين بك المملوك المصري وكيف انهُ وثب بفرسهِ من قلعة مصر يوم قتل المماليك وانهُ قبل ان يصل الى الارض رمى بنفسهِ عن جوادهِ فسلم وفرَّ

هارباً فهذه الرواية تداولها الناس في مصر وسوريا الاَّ ان بعض كتابنا لم يحفل بها لانها لم ترد في التواريخ المعاصرة والحال ان الحادث مستفيض بين الناس بحيث بلغ حد التواتر. فضلاً عن انهُ ورد في بعض النصوص الصحيحة ان امين بك اتجه بعد فرارهِ صوب دار السعادة ودخل في خدمة الدولة العثمانية ونال الولاية على طرابلس الشام سنة ١٨٢٢ مع رتبة الميرميران فهدانا هذا الى البحث والتحقيق وعثرنا على كتاب مخطوط في مكتبة المدرسة الكلية الانجيلية في بيروت لفاضل مشهور بين كتابنا هو المرحوم نوفل نوفل الطرابلسي الذي ذكر امين باشا في جملة من تولى طرابلس. فثبت لنا من ذلك صدق جزء من الرواية وبعثنا نبحث في طرابلس بين شيوخها واذ سئل المرحوم نقولا بك نوفل من افاضل اعيانها عن الرجل اجاب انهُ سمع من غير واحد من شيوخ عائلتهِ ان امين باشا كان يحدثهم بالواقعة وكيف وثب بحصانهِ من فوق جدار القلعة. وبالبحث في الموضع المشار اليهِ من ذلك الجدار يتبين ان العلو لم يكن شاهقاً. ونحن نعلم ان وثوب الرجل بجوادهِ من فوق الجدار ثم وثوبهُ من على ظهر الجواد قبل بلوغهِ الارض يجعل مسافة الوثوب كأنها من الموضع الذي ترك فيهِ ظهر جوادهِ فان صح القول ببقاء الانسان مالكاً رشدهُ محافظاً على وعيهِ في ساعة الخطر لا يبقى من غبار على الرواية لانها ممكنة الوقوع ويرجح قبولها لبلوغها حد التواتر فضلاً عن ثبوت بعض اجزائها

ثم ان في سبيل قبول الشهادة التاريخية صعاباً اهمها الوثوق بحال الشاهد فرداً كان او جماعة وهذا الوثوق يتناول السلامة من الغرض او الكذب او الجهل فان كلاً منها قد يحرف بالقول عن جادة التصديق فالقاعدة العامة التي يجب الانتباه اليها في التاريخ هي التدقيق في موضع الرواة من الابتعاد عن الخلال الثلاث التي ذكرت. اعتبر ذلك في رواية امين بك نفسها فان تجريحها يدل على احد امرين اما ان الناس يومئذٍ استعظموا نجاتهُ من مجزرة القلعة فاخترع المعجبون بهِ الرواية واشاعوها في سوريا ومصر كذباً او غرضاً او جهلاً بالصحيح الواقعي منها او ان الرجل لما نجا اشاع ذلك بين ذويهِ ومريديهِ كذباً وتفاخراً. هذا من حيث التقليد المأثور شفاهاً واما الروايات المكتتبة فالمثال منها نعود بهِ الى هيرودوتس فان من جملة ما آخذهُ بهِ المحققون في وحدة الاصل بين الكلدان والاشوريين انهُ لم يكن ضليعاً بمعرفة التاريخ القديم واستشهدوا على صحة قولهم بجهلهِ احوال امتهِ القديمة اذ يطلق على اهل البلوبنيس اسم الدوريين وذلك قبل ان اغار الدوريون على ذلك القطر واذ يقول عن اثينا في زمن وفد كراسوس انها كانت ثانية مدائن اليونان وهي لم تكن كذلك. وبهذين

المثلين اثبتوا لهُ جهل التاريخ القديم لان من يجهل ماضي تاريخ قومهِ لا يؤخذ بقولهِ في ماضي غيرهم

ثم ان من شبهات المؤرخين ان يكون واحدهم نقل خبرًا فرواهُ غيرهُ عنهُ وتداولتهُ بعد ذلك الاقلام في عصورٍ متطاولة والخبر المأثور يكون في اصلهِ محتملاً للصدق والكذب فمثل هذا النقل المسلسل لا يعتبر عند النقدة صالحًا للتطبيق والتصديق

ومن الاصول المنطقية التي تعتمد في التاريخ الاستقراء والتمثيل والقياس فاما الاستقراء فهو استنتاج احكام عامة من مشاهدات خاصة واركانهُ اربعة الملاحظة والفرض والاستنتاج والامتحان ومثالهُ في التاريخ لو قرأنا في تاريخ مختصر ان اسكندر المكدوني مات في بابل ولم يذكر سبب موتهِ لحسبنا خبر الموت ملاحظة وفرضنا انهُ مات في حرب او مسمومًا او حتف انفهِ . ثم اذا انعمنا النظر في حالة ذلك الزمن فوجدنا ان بابل كانت في حوزتهِ وان اهليها كانوا خالدين الى طاعتهِ بحيث لم يقع فيها او في جوارها حرب او قتال لانتفى الظن بانهُ راح قتيلاً . واما موتهُ بالسم فنفرض لهُ فرضين الاول انهُ تجرعهُ من تلقاء ارادتهِ قصد الانتحار بهِ ولكننا نرى في شؤونهِ من العزة والصولة واستفحال الملك ونيل اماني النفس الكبيرة وعقدهِ العزيمة على اعمال اخرى مجيدة كل ذلك لا يبقي لظن الانتحار مجالاً فنعود الى الفرض الثاني وهو ان السم دُس لهُ خلسة بيد اثيمة تريد اغتيالهُ فنرى ان بطانة الاسكندر كانت تحبهُ حبًّا يقرب من العبادة اذ اغدق عليهم النعم وبهِ ظهرت مفاخرهم واليهِ تنتهي عزتهم واما الناقمون عليهِ منهم فلا يخال اقدامهم على القطيعة لئلاَّ يتصل بهِ سر نجواهم فيعود سعيهم مردودًا عليهم بالنكال فينتفي هذا الفرض ايضًا ولا يبقى الاَّ القول بموتهِ حتف انفهِ . هذا هو الاستقراء وميزانهُ الامتحان وبهِ يظهر صدق النتيجة

ولا يقتصر الاستقراء على اظهار النتائج الجزئية فقط بل يكشف ايضًا النواميس العامة التي تستولي على الكون فاذا قرأت مثلاً ان المادبين قبل اغارتهم على بابل كانوا في حال الفطرة الساذجة والخشونة وانهم بعد غلبهم على القوم وفتح عاصمتهم انغمسوا في نعيم العيش والترف فاثر ذلك في اخلاقهم وعاداتهم اذ انقلبوا من اقدام الفطري وجرأتهِ الى سكينة الحضري ودعتهِ فاضاعوا مزيتهم الحربية فصولتهم فالسيادة التي احرزوها بقوة سيوفهم — متى عرفنا ذلك حكمنا بالاستقراء باستنتاج ناموسٍ عام نرى لهُ في حوادث التاريخ اشباهًا وهو ان الترف مفسدة الاخلاق وطليعة الاضمحلال

اما التمثيل فمبنيٌّ على قاعدةٍ طبيعيةٍ هي ان الاسباب المتشابهة تنتج نتائج متشابهة فاذا

ورد في التاريخ ان امةً ضاقت بها ارضها فهاجرت ثم رأينا امةً اخرى بليت بارزاء تلك حكمنا بمهاجرة هذه الامة ايضاً

الّا ان السبيل لصحة التمثيل عسيرٌ لانهُ يقتضي لمن يعمل بهِ ان يكون واسع الاطلاع ليستطيع المقابلة التامة بين ظروف الحالين ليصح حكم التمثيل بينهما فان لم يكن المؤرخ مطلعاً جاء حكمهُ زائفاً لان الاختلاف القليل في احد الظروف ربما كان بذاته كافياً لاحداث نتائج تخالف النتائج الاخرى فيفسد القياس

فالمثال التاريخي على وحدة الظروف الاَّ قليلاً ان الهكسوس المعروفين بملوك الرعاة اكتسحوا مصر وغلبوها على السيادة في معظم ارجائها وكانوا كثار الجند فدانت لهم البلاد لكنهم لم يملكوا عواطف المغلوبين بل ظلوا يحسبونهم غرباء عنهم في الدين والجنس واللغة مع ان الغالبين اصطبغوا بصبغتهم وتعلموا لغتهم وعلومهم وطال بهم عهد السيادة في وادي النيل ثم ناهضهم بعض الامراء المصريين وحاربوهم وظفروا بهم وطردوهم فرجعت مصر بعد فوز امرائها كأن لم تكن خاضعةً للاجنبي · هذا حال مصر · وبعد قرون وقع شبهٌ قريب مثلهُ في بريطانيا · فان اهليها كانوا مستقلين بزعامة امرائهم الوطنيين لكنهم كانوا في حال الجاهلية فجاءهم الرومان وغلبوهم على اطراف جزيرتهم وملكوا بعض ارجائها ومصّروها على نهجهم الروماني وشرعوا يذودون عن حياض تملكهم بقوة حاميتهم وبقي الامراء الوطنيون على استقلالهم في الداخلية · فوجوه الشبه بين الحادثين ان المصريين والبريطانيين غُلبوا على بلادهم فملك الفاتح بعض اطرافها وظلَّ الوطنيون مستقلين في انحاء منها وان سيادة الغالبين قامت بحد السيف وحفظت طويلاً بقوة الحامية فلما ضعفت القوة واستشعر القومان بوهن الغالبين ناهضوهم فغلبوهم وطردوهم . وبهذا يظهر التمثيل تاماً حتى لو جهلت النتيجة المروية عن احدى الامتين لقيست على النتيجة الحاصلة للاخرى · اما وجوه الاختلاف في الجزئيات فهو ان الهكسوس قدموا مصر وهم في حال الجاهلية بينما كانت مصر راقيةً بخلاف حال الرومان فانهم كانوا قد بدأوا في حضارتهم وارتقى بهم تجتمعهم عن مجتمع البريطان ايام غزوهم لجزيرتهم فكانت النتيجة مختلفةً لان الرعاة استفادوا من رقيّ المجتمع المغلوب بينما ان الرومان لم يفيدوا المجتمع البريطاني كثيراً لانحصار حضارتهم في دائرة ضيقة هي النطاق المغلوب على وطنيتهِ

اما القياس فهو عكس الاستقراء اي استنتاج احكام جزئية من امور عامة فاذا عرفت ناموساً عاماً استنتجت منهُ حكماً مخصوصاً مثال ذلك ان من السنن المعروفة ان الترف

اذا استحكم في القوى بافرادها [illegible] لا انحطاط فاذا رأيت قومًا قد [illegible] تقدم الذوق [illegible]
على كبر لهم ورثت [illegible] متقدمين [illegible] بالانحطاط في افرادهم [illegible] في تقدمهم

ولكن الكليات المنطقيَّة لا تكفي وحدها بل يجب على المؤرخ الحاذق ان يستعين بالعلوم الاخرى واولها علم الآثار وهو يبحث في العاديات التي خلفها الاقدمون سواءٌ كانت كتابيَّة او صناعية فترى الامم القديمة قد تركت كثيرًا من الكتابات على الصخر والحجر والآجرّ والبردي باقلامها الجمَّة ولغاتها الكثيرة من بائدة وحيَّة وتجد من الاصنام والتماثيل والآنية والنقود المضروبة والبنايات وغيرها ما يظهر للباحث شيئًا من بقايا الدهور

غير ان استطلاع كل هذه الآثار ليس بالمستطاع الاَّ اذا تعلَّم الانسان وتمكن من علوم اخرى هي في اصلها فروع من علم الآثار فلا تجد في البلدان الراقية من يتعرف الى التاريخ الاَّ وقد تمكن من معرفة اللغات القديمة والحديثة واهم الاولى اللغتان اليونانية واللاتينيَّة لما فيهما من المؤلفات القديمة ولان تمدن الامتين اللتين تكلمتا بهما شمل قسمًا عظيمًا من العالم المعروف في عصرها وخلَّف آثارًا مكتوبةً بهما ويلي هاتين اللغتين اللغات العربية والعبريَّة والسريانية والقبطيَّة فانهنَّ مفتاح اللغات البائدة كالارامية والفينيقيَّة والمصريَّة وليست معرفة هذه اللغات بذات فائدة للمؤرخين ما لم تكن مدعمةً باصول علم اللغات المسمَّى Philologie لان بها تعرف قربى تلك اللغات الى بعضها من حيث كلماتها وصرفها ونحوها فالتمكن من هذه المعارف يسهل على المؤرخ فهم ما يقرأ من الكتابة القديمة الاَّ ان قراءة تلك الكتابات تقضي بوجوب معرفة الاقلام التي كانت تكتب بها تلك اللغات كالمسمارية والهيروكليفية وغيرهما مما وضع لهُ الفرنجة علمًا يقال لهُ علم قراءة الاقلام Caléographie . لكنَّ المؤرخ لا يستطيع لهذا العهد الاحاطة بكلها وجد من الآثار وقرئَ من الاقلام ما لم يطلع على ما كتب العلماء والباحثون عنها وما قرأوا من اقلامها

ومن ثمَّ يجب ان يكون عارفًا ايضًا باصول علم النقود المضروبة Numismatique لان الملوك والامراء يضربون النقود باسمائهم فاذا خفيت على المؤرخ حقيقة زمن احدهم فاحسن سبيل لتحقيق ذلك هو البحث في نقود ذلك الزمن فضلاً عن ان كثيرًا من وقائع التاريخ ظهر ثبوتها بكلمة او كلمتين محفورتين على قطع النقود اعتبر ذلك بما ورد عن فتح الرومان لليهودية ومصر وغلبتهم على البرثيين وغير ذلك

ومن الفروع المهمة لعلم الآثار علم التوقيت Chronologie فان به تعرف الازمنة التي وقعت فيها الحوادث وهذه المعرفة قد لا تنال من النص التاريخي فيعدل الى استخراج

مجهولها بالمقابلة على معلوم يتصل بها او بالفرض المتبع في الاستقراء او بدقة النظر في الصنعة ان كان ثمت اثر صناعي والحسبان على اثره من المصنوع لان مهرة العارفين بالصنعة القديمة متى رأوا مصنوعاً عرفوا منشأه وزمنه وقلما يخطئون في احكامهم

ولنضربن مثلاً لاستخراج الزمن المجهول فانه ورد على اثر لسنحاريب ملك اشور انه لما فتح بابل استرجع منها الاصنام التي كان مروداخ نادين اخي ملك بابل قد غنمها من تغلث فلاسر الاول ملك اشور قبل زمن سنحاريب باربع مئة وثماني عشرة سنة . والمعلوم من هذا المثل ان فتح بابل كان سنة ٦٨٨ ق.م والمجهول هو الزمن الذي غلب فيه تغلث فلاسر الاول لكن متى اضفت عدة السنين التي بقيت الاصنام فيها عند الغالبين اي ٤١٨ عرفنا ان الزمن المجهول هو سنة ١١٠٦ ق.م

ومن امثلة الفرض ان العلامة رولنسون اراد تحقيق قول هيرودوتس ان السلطنة الاشورية بدأت حوالي سنة ١٣٠٠ ق.م ففرض ان تغلث فلاسر الاول كان على اريكة اشور سنة ١١٣٠ وقد سبقه عليها ستة ملوك والمستفاد من جدولين ظهرا بين الاثار يحتويان اسماء الملوك ومدة جلوس كلٍ منهم ان المعدل المتوسط لسني جلوس الواحد منهم نحو عشرين سنة فمدة الملوك الستة نحو ١٢٠ سنة قبل تغلث فلاسر وحدث في خلال هذه المدة فترة او فترات يبلغ مداها خمسين عاماً فالمجموع ١٣٠٠ سنة

ومما يذكر ان هذه العلوم المحسوبة من فروع علم الاثار متداخلة بعضها ببعض لا يستطيع الانسان ان يحيط بفرعٍ منها كل الاحاطة الا اذا كان له المام بالعلوم الاخرى ولذلك تجد علماء الاثار من الافرنج ضليعين في كل فرعٍ من علومها

ومع ان المشاركة في علوم الآثار كافية في اطلاع المؤرخ على حقائق كثيرة من شؤون الزمن الماضي فانه يضطر ان يكون متمكناً من علم هندسة البناء لانه كثيرًا ما يضطر الى ان يستخرج من شكل البناء الصابر على الدهر معرفة الامة التي عنت ببنائهِ والزمن الذي بني فيهِ . ولا خفاء ان علماء هذا الفن قد دوَّنوا مشاهداتهم ورتبوا اشكال البنايات القديمة وبحثوا فيها فصارت كتاباتهم قياساً يُرجع اليهِ في الحكم على ما لم يرَ منها

اما الجغرافيا فمن العلوم الضرورية التي لا يستغنى عنها لان معرفة مواقع البلدان وتخومها وانهارها وجبالها وحاصلاتها مما لا بد من الاحاطة بهِ لئلا يخبط المؤرخون في ابحاثهم خبط عشواء حتى ان كثيرين من ثقات الباحثين لا يكتفون بما يقرأُون من كتب هذا العلم ومن رحلات السياح بل يرحلون بانفسهم الى البلاد التي يقصدون البحث في تاريخها

ويقصدون مواقع الحوادث ليكونوا على ثقة مما يكتبون

هذا اهم ما يضطر المؤرخ الى معرفته ولعل بعض الناقدين يقول اني اذًا يتيسر لنا ان ينشأ بين كتابنا مؤرخ مدقق ونحن لا نجد بين علمائنا من برع في كل فرع من هذه العلوم فضلاً عن العلوم الاخرى التي تحسب مدرجة لهذه قلت ان الاعتراض في محلهِ لا سيما وان الافرنج يتخرجون في المدارس العالية ثم يدخلون المدارس الاختصاصية فيبرعون في فرع او فرعين من العلوم ولا يكتفون بما حصلوا بل ينصرفون الى قراءة كتابات من سبقهم قراءة دقيقة حتى يحيطوا بها علماً ومتى اشتد ساعدهم لا يقدم احدهم على التأليف الاَّ اذا استعان بغيره من المبرزين في الفروع التي لا يكون هو نائل القدح المعلّى فيها

على انا نحن لم نبلغ من التأليف خطة الابتداع وجهد النابغ منا ان يجيد الاتباع متحدياً الذي نقل عنهُ من الافرنج وحسبنا ذلك الآن ان صحَّ النقل ر . ن

اصل النبط في البتراء

بين البحر الميت (بحيرة لوط) وخليج ايلة (العقبة) منخفض من الارض يبلغ طولهُ نحواً من مئة ميل . وهذا المنخفض يعرف بالغور وقد يطلق عليهِ وادي العربة بال او بدونها . وعرض هذا الوادي بين اربعة اميال واربعة عشر ميلاً . وهو قفر بلقع قليل النبات شديد الحرّ . والى شرقيهِ سلسلة جبال ادوم المعروفة قديماً بجبل سعير وتعرف اليوم بجبال الشراة وجبال الشوبك

في هذه الجبال في منتصف المسافة تقريباً بين البحر الميت وبين خليج العقبة موقع مدينة بترا (البترا) وهي مدينة سالع القديمة عاصمة الادوميين قبل ايام نبوخذنصَّر وتعرف خرائبها اليوم باسم وادي موسى

ان المسافر من الشام الى العربية جنوباً يصل الى هذه المدينة ولا يراها بل لا يرى الاَّ الجبال المحيطة بها . وفيما هو لا يرى الاَّ تلالاً تجيء وتلالاً تذهب يقع بينها – وكأنما بغتة – على مطمئن من الارض اذا بلغ منتهاهُ غرباً وقع على سِلعٍ او شقٍّ او شجٍّ بين هذه الجبال وهذا السلع تعلوهُ الصخور عن جانبيهِ كالجدار الى ما يبلغ نحواً من ثلاثمئة قدم او يزيد احياناً . وعرضهُ لا يتجاوز في كثيرٍ منهُ بضعة امتار . وطولهُ نحو من الفي متر الى الفين وخمسمئة فاذا انتهى المسافر الى آخر هذا السلع انكشف امامهُ مطمئن او قاع من الارض

تعلوهُ الجبال من جميع جهاتهِ . واتساع هذا القاع شرقاً بغرب ينحرف الى الشمال نحو من ثلثي ميل وشمالاً بجنوب ينحرف الى الغرب نحو من ميل ونصف الميل . في هذا القاع كانت سالع الادومية او بتراء النبطية مدينة الغنى والتجارة مئات من السنين

لمن كانت هذه المدينة اولاً

قلنا انَّ موقع المدينة في منبسط من جبال الشراة وهي الجبال المعروفة في التوراة بجبل سعير . وكان يسكنها قديماً قوم يعرفون بالحوريين . والظاهر ان سعير كان اميرًا على اولئك الاقوام وبهِ سمي الجبل جبل سعير . اما من كان هؤلاء الحوريون ومن اين جاؤوا فارى انهم من القبائل العربيَّة الجنوبيين اهل اليمن وحضرموت وقد جاؤوا البلاد غازين مع من جاء من القبائل العديدة التي غلبت على سوريا ومصر وكان منها الدولة المعروفة بدولة الرعاة او دولة الهكسوس في بلاد مصر. فان هذه القبائل تغلَّبت كما ارى على معظم سوريا لذلك الحين كما تغلبت على مصر واقتسمت البلاد فنزلت كل قبيلة منها في ناحيةٍ كان لها السيادة عليها على شاكلة ما كان في ايام الفتوحات العربية الاسلامية . وارى ايضاً انَّ اصل الحوريين من حضرموت من قرية او مدينة من مدن تلك البلاد فنسبوا اليها تمييزًا لهم عن غيرهم من بقية قبائل اليمن وحضرموت

وبعد ان استوطن الحوريون البلاد والامارة فيهم لآل سعير ولبثوا فيها حتى سميت الجبال باسمهم وعرفت البلاد انها بلادهم جاءت القبيلة العبرانية الشهيرة اعني قبيلة ابرهيم الخليل ونزلت البلاد غربيَّ الاردن وكانت تتردَّد فيها من شكيم في الشمال الى بير سبع في الجنوب

ولما كانت هذه القبيلة العبرانية دخيلة على من سبقها الى البلاد من القبائل العربيَّة الجنوبية كان لا بدَّ لها بحكم الضرورة والعادة من ان تحالف من كانت تنزل في جوارهِ من الامراء والرؤساء وهكذا جاء النصُّ صريحاً في سفر التكوين ان ابرهيم الخليل حالف عانر واشكول وممرا في حبرون وابيمالك ملك الفلسطينيين في جرار على مقربة من بير سبع . وجاء ايضاً في السفر نفسهِ انهُ اي ابرهيم اعطى عشرًا من كل شيء لملكي صادق ملك شاليم بعد ان رجع من محاربة كدرلعومر ملك عيلام . وبالاجمال كانت القبيلة في اول امرها كما يقول الكتاب غرباء ونزلاء لا يملكون في البلاد شبرًا من الارض ولعلَّ حقل المكفيلة في حبرون كان اول قطعة من الارض تملكوها بجوار المدن او القرى الكبيرة اشتراها ابرهيم من عفرون بن صوحر الحثيّ باربعمئة شاقل من الفضة مدفناً ليدفن فيهِ سارة زوجتهُ

الاَّ ان القبيلة لم تلبث كثيرًا في البلاد حتى انقسمت الى قسمين انحاز احدهما الى لوط

(ابن اخي ابرهيم) وبقي الآخر وهو اكبر القسمين في الراجح مع ابرهيم وتحت رئاستهِ فهدَّ ذلك من ابرهيم وفتَّ في ساعدهِ حتى همَّ ان يعود الى مصر مخافة ان تتخطفهُ امراء البلاد الكثيرون ولم تطمئنَّ نفسهُ الاَّ بعد ان ظهر لهُ الله وطيَّب خاطرهُ بان وعدهُ ان يعطيهُ البلاد لهُ ولنسلهِ من بعدهِ . ومع ذلك ترك البلاد في جهات نابلس حيث كان وارتحل الى الجنوب واقام عند بلوطات ممرا وربما كان ذلك بعد ان استوثق من عانر واخويهِ اشكول وممرا وهم امراء الديرة في حبرون وجوارها بحلفٍ عقدهُ معهم . وارجح ان ابرهيم فضَّل الاقامة بين حبرون و بير سبع بعد انفصال ابن اخيهِ عنهُ لما آنس في نفسهِ من الضعف بعد ذلك الانقسام ولان البلاد في جهات نابلس كانت اكثر ساكنًا وامراء تخاف من ثمَّ كثرة التقاضي على المرعى والجوار لكثرة الامراء بخلاف البلاد بين حبرون و بير سبع فانها كانت اقلَّ ساكنًا وامراء فضلاً عن انها اقرب الى البريَّة حصن اهل الخيام الذي يدفع عنهم تعدّي اهل المدن واطماعهم

والظاهر من سفر التكوين (وهو في رأيي تاريخ لامراء هذه القبيلة ابرهيم واسحق ويعقوب قصدًا ومن كان لهُ علاقة بهم كلوط وعيسو عرضًا كتبهُ يوسف بعد ان صار وزيرًا لفرعون ومسلَّطًا على كل ارض مصر) انَّ لوطًا لما لم يبقَ لهُ مطمع بالاستقلال مع الكنعانيين ورأى نفسهُ مكثورًا منهم مغلوبًا لعصبيتهم سواء سكن المدن او الخيام اخلد الى الحضارة ووطَّن نفسهُ على مخالطة القوم والسكنى بينهم مقهورًا فسكن من ثمَّ في صدوم مستضعفًا لا يقوى على حماية ضيفهِ من تعدّي السفهاء ولا ان يدفع عنهم سفالة الغوغاء

واما ابرهيم فكان اشدَّ شكيمة من ابن اخيهِ واكثر مالاً وتابعًا منهُ فلم يرَ ما رآهُ ولا انكسر انكسارهُ ففضَّل من ثمَّ سكنى الخيام على سكنى المدينة وبقي يتنقل في البلاد تارةً ينزل في جهات حبرون واخرى في جهات بير سبع

وطالت غربتهُ في كنعان وامتدَّت بهِ الايام ولم يتغيَّر عن عزمهِ الاول في ارادة الاستقلال عن اهل البلاد وترك مخالطتهم . ولعلَّ السبب في ذلك انهُ كان اعرق في البداوة من اولئك الكنعانيين فكان من ثمَّ لا تعجبهُ اطوارهم ويأنف من كثير من آدابهم وعوائدهم وفقًا لما نراهُ حتى الساعة من تجافي امراء البادية عن المدن وانفتهم من كثير مما فيها وفي اهليها . ولعلهُ فضلاً عن منصبهِ الديني كان يرى بيتهُ وان كان نزيلاً على الكنعانيين اكرم محتدًا واعلى شرفًا من بيوتاتهم . وما زال هذا الفكر شديدًا في نفسهِ الى ان ماتت سارة اميرة قومها وسيدة عقيلات القبيلة عن آخرهنَّ

فبعد موتها اغضى شيئاً عن انفتهِ السابقة وانكسرت حدَّة ما كان يراهُ من التفاوت بينهُ وبين الكنعانيين بدليل انهُ مالَ الى مصاهرتهم واخذ قطورا احدى بناتهم زوجة لهُ . على انهُ وان يكن قد رضي ان يأخذ لنفسهِ زوجةً من بنات كنعان لم يرضَ ان يأخذ منهم لابنهِ اسحق لانهُ كان يراهُ الوارث الشرعي لامارة القبيلة وفيهِ عزّها وبقاء ميزتها لان سيادتها كانت تحيط بهِ من جانبيهِ دون بقيَّة اخوتهِ ولذلك ارسل الى عشيرتهِ والى بيت ابيهِ فخطب لهُ من هناك اميرةً من بنات عمهِ رفقة ابنة بتوئيل بن ناحور اخي ابرهيم

وكبر بيت ابرهيم وكان لهُ غير اسمعيل واسحق اولاد كثيرون من قطورا ومن حجين او رعوة على قول بعض المؤرخين (انظر ابن خلدون جز ٣ وجه ٣٨ و ٣٩) وحدث فيهِ من الفرقة ما يحدث عادةً في امثالهِ من بيوت رؤساء القبائل الشرقية فذهب اسمعيل في جهةٍ ومعهُ قسم من القبيلة في الراجح وابناء قطورا في جهة اخرى ومعهم قسم آخر وكذلك ابناء رعوة او حجين . الاَّ انَّ معظم القبيلة بقي مع اسحق في جهات بير سبع فانهُ كان يفضّل الاقامة هناك في جوار الفلسطينيين كما كان ابوهُ يفضل حبرون وجوار بني حثٍ . وعقد اسحق حلفاً مع ابيمالك ملك جرار وكان ابرهيم ابوهُ من قبلُ قد عقد حلفاً مع ابي ابيمالك هذا على الارجح

قلنا ان ابرهيم كان يرى في اسحق الوارث الشرعي لرئاسة قبيلتهِ وانهُ كان يربأ بنفسهِ عن مخالطة الكنعانيين ومصاهرتهم فارسل من ثمَّ عبدهُ الى بيت ابيهِ في ارام النهرين وخطب لهُ ابنة عمهِ رفقة فولِد لهُ منها ولدان توأمان هما عيسو ويعقوب . ولما كبر الولدان وقعت المغايرة والمنافسة بينهما على رئاسة القبيلة . وكانت الرئاسة لعيسو لانهُ البكر وكان اسحق ابوهُ يحبهُ ايضاً ويفضلهُ على اخيهِ الاَّ ان رفقة كان هواها مع يعقوب فعملت معهُ على كيد عيسو وبحيلتها صرفت عنهُ بركةَ ابيهِ فحزَّ ذلك في نفسهِ واشتدَّ الخلاف بينهُ وبين اخيهِ . وكان عيسو على ما ارى محبَّباً الى القبيلة وهواها معهُ فلما عظم الخلاف بينهُ وبين اخيهِ كما اشرنا اليهِ وبلغ الامر غايتهُ تخوَّف يعقوب على نفسهِ وعلم انَّ لا بقاء لهُ مع اخيهِ ورأت رفقة امهُ ايضاً حرج حالتهِ فارسلتهُ الى فدَّان ارام الى بيت خالهِ لابان

وبعد ان هرب يعقوب الى فدَّان ارام انفرد عيسو برئاسة القبيلة وكانت بير سبع حيث يقيم هو وقبيلتهُ قريبة من جبل سعير (جبال الشراة) فتعرَّف عيسو بامرائها من آل سعير وخطب منهم احدى بناتهم واسمها اهوليبامة فزوَّجوهُ وحالفوهُ فترك بير سبع ونزل عليهم في ديارهم فاشتملوا عليهِ واختلطت القبيلتان ومع الايام كثر آلُ عيسو آلَ سعير وغلبوا

عليهم حتى تنوسي امر الحوريين واصبحت البلاد خالصةً للادوميين وتسمت باسمهم ايضاً ولم يبقَ من اثر لامراء آل سعير الحوري الاّ الجبل فانهُ ما زال يعرف باسم امرائهِ الاولين مئات من السنين بعد انقراضهم ولا يزال علماء الكتاب والتاريخ يعرفونهُ بهذا الاسم وهو اشهر عندهم من الشراة لحد هذه الساعة

ظهر لنا مما مرَّ ان البلاد كانت اولاً للعرب الجنوبيين المعروفين باسم الحوريين وانهم كانوا من جملة القبائل التي غزت سوريا ومصر في ايام دولة الرعاة المشهورة في مصر ثم غلبهم عليها الادوميون نحو ١٥٠٠ قبل المسيح. والادوميون هم ابناء عم اليهود كالعرب الاسماعيليين الاّ انهم اقرب اليهم من هؤلاء فانهم اخوتهم من اسحق ابن ابرهيم وسارة والاسماعيليون ابناء عمهم اسمعيل ابن ابرهيم من هاجر جارية سارة كما هو المتعارف والمشهور

كم من الزمان بقيت جبال سعير ومدينتها المحصنة سالع (البترا) في يد الادوميين

بعد ان خرج الاسرائيليون من مصر وبقوا المدة المشهورة في التيه جاؤوا اخيرًا الى قادش فارسل موسى من هناك رسلاً الى ملك ادوم يقول فيها

" هكذا يقول اخوك اسرائيل قد عرفت كل المشقة التي اصابتنا . ان اباءنا انحدروا الى مصر واقمنا في مصر اياماً كثيرة واساء المصريون الينا والى ابائنا فصرخنا الى الرب فسمع صوتنا وارسل ملاكاً واخرجنا من مصر وها نحن في قادش مدينة في طرف تخومك دعنا نمرّ في ارضك " الخ

وظاهر جلياً من هذه الرسالة ان الادوميين كانوا لذلك الحين قد استولوا على البلاد ولم يبقَ معهم اسم للحوريين ولا ذكر لامرائهم من آل سعير واصبحت البتراء (سالع) قرية من قراهم او مدينة من مدنهم لكن لم يتمّ هذا الاستيلاء للادوميين الاّ بعد ان جرت بينهم وبين اخوانهم حروب شديدة كانت الدائرة فيها اخيرًا على آل سعير فانجلوا عن البلاد وغادروها ملكاً لآل عيسو يتولاها ملك منهم يرجع اليهِ امر بقية الامراء والرؤساء ويدينون لهُ بالطاعة. كل ذلك تمَّ وابناء عمهم آل يعقوب كانوا لا يزالون في مصر (انظر سفر التثنية ص ٢ : ٢١ و٢٢)

وخرج الاسرائيليون من مصر وجاؤوا بلاد كنعان فحاربوا الاموريين وغيرهم من القبائل الكنعانية شرقي الاردن وغربيهُ ولم يتعرَّضوا اولاً لانسبائهم من القبائل العبرانية اعني الادوميين والموابيين والعمونيين وكانوا لذلك الحين قد رسخت قدمهم في البلاد واقتطعوا لهم نصيباً معيناً فيها

والذي اراهُ ان هذه القبائل التي ذكرناها كان ضلعها مع الاسرائيليين لما يعرفونهُ لهم من القرابة في النسب ولما كان بينهم وبين جيرانهم القبائل الكنعانية من الحروب والعداوات (راجع تثنية ص ٢) . واستمرَّ الادوميون في بلادهم لا ينازعهم منازع في ارضهم ولا يطمع في اخضاعهم احد من جيرانهم الموابيين والاسرائيليين الى ايام شاول اول مَن ملك على بني اسرائيل . فلما ملك وانضوى اليهِ الاسباط الاثنا عشر — وكانوا من قبل قد تفرقت كلمتهم وانخضدت شوكتهم — ادَّى ذلك الى التحكك بالقبائل المجاورة ومن جملتهم الادوميون (انظر صموئيل الاول ص ١٤ : ٤٧) فجرت مناوشات بينهُ وبينهم ولا يبعد ان يكون سبب ذلك ان الادوميين انتصروا للعمالقة على شاول او انهم تمددوا على حدود الاسرائيليين الجنوبيَّة حيث تتماس تخوم سبطي يهوذا وشمعون بتخوم الادوميين ومهما يكن من سبب تلك المناوشات التي اجراها شاول فالمرجح انها كانت من قبيل الدفاع عن التخوم دفعاً لعادية الادوميين لا من قبيل الطمع في اخضاعهم فانقضى من ثم ملك شاول ولم يكن كبير امرٍ بين اسرائيل وادوم

فلما ملك داود واجتمعت اليهِ كلمة الاسباط الاثني عشر واخذ اورشليم عنوةً من اليبوسيين وجعلها داراً لملكهِ راع ذلك الامم المجاورة ولاسيما الفلسطينيين وتخوَّفوا عاقبتهُ عليهم فناصبوهُ العداوة وفتحوا عليهِ ابواب حربٍ شديدة الَّا انها لم تغلق الَّا بعد ان ذلوا وتركوا لهُ ما كانوا استولوا عليهِ من بلاد اسرائيل في ايام شاول وما قبلهُ ايضاً

وكان الادوميون من جملة الامم الذين حاربوا داود ولا نعلم ماذا كان سبب تلك الحرب الَّا ان يكون المزاحمات التجارية والظاهر ان الادوميين ضايقوا داود اولاً بدليل ما ورد من الاشارات في منظوماتهِ ومن تلك الاشارات ما جاء في المزمور ١٠٨ فانهُ يقول فيهِ من يقودني الى المدينة المحصَّنة من يهديني الى ادوم اليس انت يا الله الذي رفضتنا ولا تخرج يا الله مع جيوشنا . اعطنا عوناً في الضيق فباطل هو خلاص الانسان . بالله نصنع بباس وهو يدوس اعداءنا "

ولا شك انهُ يشير بالمدينة المحصنة الى سالع (البتراء) وهي من احصن مدن البلاد وقلَّ ان تكون مدينة احصن منها — كما يتبين من اللمحة التي وصفنا بها موقعها في اول مقالتنا هذه — الَّا ان الغلبة كانت اخيراً لداود فانهُ التقى بالادوميين في وادي الملح الى جنوبي بحيرة لوط وقد جمعوا لهُ قواتهم عن آخرها فسيَّر اليهم ابشاي بن صروية اخاه وكان من نخبة قواده ونشبت بينهُ وبينهم معركة من اعظم المعارك واشدّها هولاً فاسفرت عن ثمانية عشر الفاً قتلى

من الادوميين وهذه المعركة هي المعركة الوحيدة التي يقال في تاريخ داود انهُ نصب لها تذكاراً وكان من نتيجتها ان الادوميين ذلوا لداود واستعبدوا لهُ فوضع لهُ محافظين في ادوم كلها وضرب عليهم جزية ما زالوا يؤدونها لهُ ولاعقابهِ الى ان قام يهورام ابن يهوشافاط فانهم عصوا يهوذا في ايام هذا الملك ورجع اليهم استقلالهم مدة الى ان اخضعهم امصيا احد ملوك يهوذا الا انهم عادوا الى استقلالهم وما زالوا على ذلك الى ايام نبوخذنصر ملك بابل الذي افتتح اورشليم وسبى معظم اهلها الى عاصمة بلادهِ في اوائل القرن السادس قبل المسيح

وخلاصة ما ذكرناهُ ان سالع (البتراء) بقيت في حوزة الادوميين مدة تزيد عن الالف سنة قام في اثنائها ملوك كثيرون على ادوم وكثيرون من هؤلاء ملكوا في ادوم قبل ان يملك ملك على بني اسرائيل · وامتدَّ نفوذ الادوميين في اول امرها وفي آخرهِ قبل غزوة نبوخذنصر الى يهوذا وفلسطين فبلغ الحجاز ونجداً شرقيَّ المدينة (يثرب) وشماليها وكانت طريق القوافل تمرُّ عليها من العربية السعيدة جنوباً وخليج فارس شرقاً فكثر بذلك غنى اهلها وعظم جاههم فاشتدت كبرياؤُهم ولاسيما على اليهود جيرانهم وابناء عمهم في اورشليم واليهودية فخرَّ ذلك حتى في نفوذ الانبياء منهم وانذروهم بسوء المصير . قال ارميا النبي يخاطب الادوميين · قد غرَّك تخويفك كبرياءُ قلبك يا ساكن في محاجىء الصخر الماسك مرتفع الاكمة · وان رفعت كنسرٍ عشك فمن هناك احدرك يقول الرب وتصير ادوم عجباً كل مارٍّ بها يتعجب ويصفر بسبب كل ضرباتها (ارميا ص ٤٩)

وقال حزقيال — هكذا قال السيد الرب من اجل ان ادوم قد عمل بالانتقام على بيت يهوذا وأساء اساءةً وانتقم منهُ لذلك هكذا قال السيد الرب وامدُّ يدي على ادوم واقطع منها الانسان والحيوان واصيرها خراباً من التيمن والى ددان يسقطون بالسيف (حزقيال ص ٢٥ : ١٢ و ١٣)

وقال حزقيال ايضاً — هكذا قال السيد الرب هانذا عليك يا جبل سعير وامدُّ يدي عليك واجعلك خراباً مقفراً . اجعل مدنك خربةً وتكون انت مقفراً وتعلم اني انا الرب لانهُ كانت لك بغضة ابدية ودفعت بني اسرائيل الى يد السيف في وقت مصيبتهم وقت اثم النهاية لذلك حيٌّ انا يقول السيد الرب اني اهيئك للدم والدم يتبعك · اذ لم تكره الدم فالدم يتبعك فاجعل جبل سعير خراباً ومقفراً واستأصل منهُ الذاهب والآئب (حزقيال ص ٣٥)

وفيما نقلناهُ شاهد لا يردُّ على ان الادوميين كانوا سكان جبل سعير الى ايام حزقيال وارميا وان ذلك الجبل كان فيهِ غير مدينة من جملتها سالع (البترا) وانَّ الادوميين

كانوا متبسطين فيها وراء جبل سعير وانَّ البلاد من تيمان الى ددان كانت خاضعةً لهم او على الاقل كانت تمرُّ بها قوافلهم وتجاراتهم لا يعارضها اهل البلاد من العرب اما حلفهم كان لهم معهم او رهبة من سطوتهم وخيفة من انتقامهم

اما تيمان المشار اليها في حزقيال فواقعة الى الجنوبي الشرقي من البتراء ولعلها هي تيماء الحالية الى شمالي مدائن صالح. واما ددان فارجح انها دَدُ التي يشير اليها الشاعر العربي بقوله

كأنَّ حدوج المالكيَّة غدوةً خلايا سفينٍ بالنواصب من دَدِ

ودَد موضع بسيف كاظمة من ارض البحرين والالف والنون فيها مزيدتان للنسبة كما في عبّادان ومهلبان وجبيران ومحمدان وزيادان وعميران وخالدان وعبد الرحمانان نسبة الى عباد ومهلب وجبير ومحمد وزياد وعمير وخالد وعبد الرحمان على طريقة اهل البصرة

بقي علينا في مقالتنا الحاضرة سؤَال نسألهُ ونجيب عليهِ تأسيساً لما يبنى عليهِ كلامنا في المقالة التالية التي نأتي فيها على ذكر الانباط واصلهم تتمة للبحث الذي نحن فيهِ والسؤَال هو

من هي القبائل او الامم التي كانت تسكن سوريا وجبال الشراة في ايام نبوخذنصر: والجواب ما يأتي

(١) الاراميون في دمشق وتوابعها وفي أيلة على البحر الاحمر

(٢) اليهود اعني سبطي يهوذا وبنيامين ومن بقي في البلاد من بقايا الاسباط العشرة

(٣) السمرة في نابلس وجوارها

(٤) العمونيون

(٥) الموابيون

(٦) الادوميون

(٧) الفينيقيون اهل صور وصيداء والملحقات بهما

(٨) الفلسطينيون في غزة وعسقلان واشدود

(٩) العرب

(١٠) اخلاط من الكنعانيين على اختلاف قبائلهم

هذه هي الشعوب التي كانت في البلاد عندما غزا نبوخذ نصر سوريا او ارض كنعان وافتتح اورشليم . وسنرى في المقالة التالية اسم الانباط او النبطيين زبد على هذه الاسماء المارَّة وعُرف في ايام خلفاء الاسكندر ونذكر اذ ذاك ما يتعلق باصلهم والبلاد التي جاؤُوا منها . وموعدنا في كل ذلك العدد القادم من المقتطف ان شاء الله

جبر ضومط

العيون والكتب

اوردنا في الجزء السابق سؤالاً لاديب قال فيهِ "لماذا لا تجعلون ورق مجلتكم احسن مما هو الآن وتزيدون بدل الاشتراك بما يقوم بفرق الثمن". ونرجح عندنا انهُ يريد بحسن الورق ان يكون الورق جيداً صقيلاً ناصع البياض فاجبناهُ ان ورق المقتطف من اجود انواع الورق واغلاها فلا يتغير لونهُ بمرور الزمن لانهُ خالٍ من الخشب وقد انتقيناهُ قليل البياض وغير صقيل لكي لا يتعب بصر القراء

وقد رأينا ان نزيد ذلك بياناً الآن لانهُ قد كثر عدد القراء في الامة وسيزيدون كثرة سنة فسنة وقراءة الكتب والمجلات ولاسيما كتب التعليم تؤثر في عيون قرائها وقد تورثهم السآمة والضجر او تضعف عيونهم وتعرضها لآفات تدوم فيها مدى العمر. وكم من امرىءٍ لو علم ان قصر بصرهِ نتج من قراءة الكتب الدقيقة الحرف لودَّ لو لم يقرأ كتاباً في حياتهِ. فعلى الوالدين ومديري المدارس ان يعلموا اي نوع من الورق واي نوع من الحروف يريح البصر واي نوع يتعبهُ وعلى المرء ان لا يفرّط في استعمال عينيهِ اذا وجد الى ذلك سبيلاً لانهما ليستا بضاعة تباع في السوق او آلة يسهل اصلاحها بعد خللها

وقد اطلعنا في الصيف الماضي على مقالة في هذا الموضوع للباحث المحقق الاستاذ هيوي من اساتذة مدرسة بنسلفانيا الجامعة نشرها في مجلة العلم العام الاميركية وجمع فيها خلاصة ما وصل اليهِ بحث الباحثين في هذا الموضوع وما وجدوهُ اصلح من غيرهِ من جهة ثخن حروف الطباعة وطولها وطول السطور والبعد بينها ولون الورق وصقالهِ يؤخذ منها ان تعب البصر يزيد على نسبة صغر الحروف كما ظهر بالامتحان وتزيد السرعة في القراءة على نسبة كبر الحروف ووضوحها. ومعلوم ان الامتحان كان في الحروف الافرنجية لا العربية ولكن تطبيقهُ على الحروف العربيَّة ليس صعباً وحينئذٍ فحرف المقتطف المسمَّى بالجنس الثاني في اصطلاح مطابع سورية وبنط ١٨ في اصطلاح مطابع مصر من النوع الذي لا يتعب العين ما خلا الحروف القصيرة منهُ مثل الباء والنون المتوسطتين فان قصرهما يجعلهما في الحد اللازم لوضوح الحروف واذا قصرتا عن ذلك تسيران تتعبان العين

وثخن الحرف يجب ان يكون ربع مليمتر على الاقل. وحرف الالف في حروف المقتطف

وهو ادقها لا يبلغ ثخنهُ سوى خمس مليمتر اذا كان جديداً فهو ادق قليلاً مما يلزم للوضوح التام ولكن طولهُ يشفع بهِ فانهُ ثلاثة مليمترات واذا كان علو الحرف مليمترين ونصف مليمتر كفى لراحة العين ومع هذا فاننا نفضل حروف المقتطف المستعملة قليلاً على الحروف الجديدة لان الاستعمال يزيد ثخنها فيصير ادقها بالقدر المطلوب. ولو وجدنا حرفاً طول حرف المقتطف واثخن منهُ قليلاً لفضلناهُ عليهِ وطبعنا المقتطف بهِ لاننا نتوخَّى دائماً ان يكون المقتطف نافعاً من كل وجه ولا يكون منهُ اقل ضرر

هذا من حيث طول الحروف وثخنها وقد بحث العلماء الاوربيون والاميركيون في طول الفسحة التي تجعل بين الحروف في الكلمة الواحدة لان حروفهم منفصلة كما لا يخفى. اما حروفنا فاكثرها متصل فلا سبيل للبحث فيها من هذا القبيل . وقد وجدوا ان الفاصل بين الحرفين يجب ان لا يقل عن ثلاثة اعشار المليمتر وهو ثلاثة اعشار المليمتر او اكثر في حروف المقتطف المنفصلة وفوق ذلك فالحروف العربيَّة غير مستقيمة فيدنو بعضها من بعض من مكان ويبعد من مكان آخر فيبقى الفصل بينها كبيراً ولو كادت تتماس من بعض جهاتها فلا تتعب البصر من هذا القبيل

وهنا امر لم يشر اليهِ الاستاذ هيوي ولا الذين نقل عنهم وهو ان العين لا تتعب من قرب الحروف الا اذا كانت متوازية لان اقل خلل في تحكيم الصور فيها يلقي بعضها على بعض فتتشوش الصورة واما الحروف غير المتوازية فلا ضرر من قربها ولو اتصل بعضها ببعض كالحروف العربية المتصلة وحروف الخط الافرنجية. ويرى بعض الباحثين في هذا الموضوع ان البعد بين السطور يجب ان لا يقل عن مليمترين ونصف مليمتر ويرى غيرهم ان لا داعي لهذا البعد كلهِ بل يستعاض عنهُ بتكبير الحروف . والبعد بين سطور المقتطف يبلغ الحد المطلوب او يزيد عليهِ وقد تشذُّ بعض الحروف عن ذلك كما اذا وقعت الحاء الاخيرة في السطر الاعلى فوق الكاف او اللام في السطر الذي تحتهُ فلا يكون لها شأن في اتعاب البصر لانها قليلة اذ انها لا تقع مرةً في السطر او السطرين والحكم على مجمل السطر لا على بعض حروفهِ

وبحث كثيرون في طول السطور فوجدوا ان طول السطر يجب ان لا يزيد على تسعة سنتمترات الى عشرة لكي لا تتعب العين في تتبُّعهِ وانتقالها من سطر الى سطر ويجب ان يلزم هذا الحد في كتب التدريس ولا بأس بتخطيهِ قليلاً . وقد جعلنا طول سطر المقتطف احد عشر سنتمتراً ونصف سنتمتر لكي لا نسرف في كثرة البياض على غير جدوى ونود الآن

لو اقتصرنا على جعله عشرة سنتمترات لان قراءة السطور القصيرة اسهل من قراءة السطور الطويلة

وقد وجد الدكتور ديربورن ان العين تقف في بداءة السطر وفي نهايته كانها تتبصَّر في طوله وما يحويهِ في وقوفها في بداءتهِ وتتبصر في الانتقال الى السطر الذي يليهِ في نهايتهِ ولا يسهل عليها هذا التبصر الّا اذا كانت السطور قصيرة وحتم ان السطر في كتب التعليم يجب ان لا يزيد طولهُ على ستة سنتمترات الى ثمانية ويجب ان تكون حروفها كبيرة ثخينة لا تتعب العين في استيضاحها على الاطلاق ولاسيما الكتب التي يتعلَّم فيها الصغار

اما الورق فيجب ان يكون ابيض ويفضل الاستاذ جافال ان يكون في لونهِ صفرة قليلة وعلى كل حال يجب ان لا يكون صقيلاً لان الورق الصقيل يعكس نوراً كثيراً الى العين فيشوش رؤيتها ويتعبها ولاسيما اذا قرأ الانسان على نور قنديل . وما يقال في ورق الكتب يقال في ورق الخرائط ويطلق ايضاً على الالواح السوداء فانها كلها يجب ان لا تكون صقيلة لامعة فتتعب العين بما ينعكس من النور عنها

وقد ظهر من امتحان كتب التعليم في المانيا وروسيا وغيرهما من ممالك اوربا ان خمسة وثمانين في المئة منها لا يصلح للتعليم من حيث صغر حروفهِ وسقامة طبعهِ وصقال ورقهِ . والكتب الاميركية اصلح من الكتب الاوربية ولو قليلاً من هذا القبيل . والقواميس الدقيقة الحروف يجب ان تحرَّق كلها او يمنع استعمالها على الاطلاق لان كثيرين ضعف بصرهم من استعمالها

وخلاصة ما تقدم ان ورق الكتب والمجلات يجب ان لا يكون صقيلاً ويحسن ان يكون ابيض ناصع البياض او يكون ضارباً الى الصفرة ويجب ان تكون الحروف غير دقيقة والسطور غير طويلة . ونزيد على ذلك ان الحبر يجب ان يكون اسود ليظهر جليًّا وان لا يكون الورق شفافًا ولو قليلاً لئلا تتشوش رؤية سطور الصفحة الواحدة بما يظهر ممَّا تحتها . وان يكون الفاصل بين الكلمات اكبر من الفاصل بين حروف الكلمة الواحدة

فعسى ان يلتفت رؤساء المدارس وطابعو الكتب عندنا الى هذه الحقائق ويحلوها محلها من النظر لئلاَّ تصير مطالعة الكتب والجرائد آفة على العيون

———

نساء المتوحشين

لقد اكثر علماء العمران من البحث عن حال النساء في المجتمع الانساني وخاضت مجلاتنا وجرائدنا عباب هذا البحث غير مرة الاّ ان للفيلسوف سبنسر كلاماً يُستطاب اعتمادهُ في هذه المقالة لما فيهِ من الفوائد

ليس في الكون مظهرٌ ادلّ على تقدم النوع البشري من المقابلة بين حالة النساء عند المتوحشين وحالهنّ عند المتمدنين فنرى من الجهة الواحدة انهنّ يعاملنَ بمنتهى القسوة التي لا تطاق ومن الجهة الاخرى نراهنّ في بعض الشؤون يتقدمن على الرجال

ومن الغني عن البيان ان النساء متى تعرضن لقسوة الرجال بالضرب واقلال التغذية واكثار العمل اصبحن لا يقدرن على تربية الاولاد تربيةً تزيد المجتمع عدداً وقوةً فلا يلبث ذلك المجتمع ان يضمحل لان تلك القسوة تعمل في الضعيف فتسلب من القبيلة قدرتها على حفظ مقامها ازاء قبيلة اخرى . ولا غروَ ان الام المعرضة للقسوة البالغة ولا تغذي اولادها لبان القوة والنشاط فيكثر الموت فيهم رضعاناً وتعرو من ينجو منهم من مخالب المنية المخافة فينشأون ضعافاً خائري القوى لا يقوون على الاحتفاظ بقيام مجتمعهم

واكثر نساء المتوحشين يؤخذون سبياً من قبيلٍ مغلوب في الحرب او يكنّ في جملة السلب وقد ينال المرأة من الغالب او السارق ضربة يراد بها منعها عن الذود عن نفسها او الاستغاثة بقومها وهذه الضربة قد تكون داميةً او جارحةً لاحد اعضاء جسمها جرحاً يعطل ذلك العضو مدةً من الزمن . وقد يطعنها سابيها برمحهِ فيعطب جسمها ويأخذها الى مخيمهِ وهناك يلقي على عاتقها كل اعباء الاعمال الثقيلة

فاذا استولدها الاولاد اضطرت للاعتناء بهم والقيام على لوازمهم وهي في الوقت نفسهِ عاملة على خدمة زوجها بل عبدها . اما اكلها فلا يكون الاّ بقية ما يفضل عن زوجها

فمثل هذه المعاملة القبيحة متى جرت في قبيلةٍ يعسر تغييرها لان الاستمرار عليها يحدث انحطاطاً ادبياً وجسمياً ومتى وقع الانحطاط الجسمي انتفت العواطف والحاسيات حتى ان المعرضات لمثل تلك الاهانات يخسرنَ كثيراً من محاسنهنّ فنجد النساء في الطبقات السفلى من البشر اقلّ جمالاً من رجالهنّ فقد ورد عن قبيلة البوتواس ان الرجال ليسوا على شيء من الجمال ولكن النساء في منتهى الشناعة لانهنّ يحملنَ اعمالاً شاقة ولا يأكلن طعاماً كافياً

وقيل في اهل كوريا ان النساء في غاية الشناعة واما الرجال فانهم من احسن الاسياء بين

شكلاً وترى النساء يعاملن كالبهائم . ومما يزيد في الاثبات انا نرى بعض قبائل من اهل الفطرة يحسنون معاملة المرأة بعض الشيء كالقمون وتكرج فنجد نساءهم جميلات

الا ان قسوة الرجال على النساء وخشونة معاملتهن في قبيلٍ لا تحول دون حصول بعض افراد النساء على شيء من السيادة والنفوذ حتى على الرجال فقد روى غير واحدٍ من الباحثين انهُ رأى عند الفوجيين امرأةً طاعنة في السن تسود على قومها وكذلك روى غيرهُ ان المعمرين والمعمرات عند الاستراليين لا يعدمون نفوذاً بين قومهم فضلاً عن ان بين كثيرٍ من قبائل المتوحشين المسرفين في ظلم نسائهم نرى الحاكمات والاميرات النافذات في القبيل كلهِ

على ان قيام امرأة وبضع نساء بالامر عند قومٍ لا يدل على انهم يعترفون للمرأة بمعادلة الرجل ولو اذعنوا في الاحايين لواحدةٍ منهن لان الاصل البعيد في تحكم الرجل بالمرأة يرجع الى قوتهِ وضعفها

وقد كثرت النقول الصحيحة الدالة على ان المتوحشين على اختلاف طبقات انحطاطهم في سلم الخلق يعتبرون المرأة ملكاً للرجل يحق لهُ التصرف فيهِ على مطلق ارادتهِ

وقد نقل هيرن عن احد شيوخ قبيلةٍ تسمى شيبوايان قولهُ . خُلقت المرأة للعمل فالواحدة من النساء تحمل او ترفع ما يستطيعهُ رجلان وانهن ينصبن لنا الخيام ويصنعن الثياب او يصلحنها ويسعين بتدفئتنا وبالحقيقة انهُ لا يستطاع السفر مسافةً في هذه البلاد ما لم يُستعن بالمرأة

وهذا الظن بالمرأة وقدرتها على العمل لا ينحصر في مثل تلك القبيلة المنحطة بل تجدهُ يخطر ببال اقوام أكثر منهم ارتقاء في سلم الحضارة فان رجال قبيلة الكفرة في جنوبي افريقية يحسبون المرأة ثور زوجها وما اشتراها الا لتعمل لهُ

ونقل شوتر عن الكفرة ايضاً ان الواحد منهم اذا قتل امرأتهُ يدافع عن نفسهِ بقولهِ اشتريتها وكفى

واحراز الزوجة بالسبي او بالشراء يجرّ الى مثل هذا الظن لان السبية من قوم مغلوبين اذا اتى بها سابيها حيةً اصبحت لهُ ملكاً لا ينازعهُ في احرازها احد كأنهُ اشتراها بمالهِ

وشراء النساء بالمال هو السبب الفعال لاساءة معاملتهن والحق ان المبادئ الادبية ومصالح المجتمع كليهما يشكوان من بيع النساء وشرائهن . اعتبر ذلك بان ابا الابنة المبيعة لا يراعي ارادتها ولا يحرص على سعادتها وانما تكون الكلمة العليا لطمعهِ في ثمنها . فان كان ذلك حال الاب الطماع وهو لم تعطفهُ اواصر الابوة فما القول في عاطفة رجل غريب يسعى

لشراء زوجة تكون في داره امة تقوم على حاجياته غير عارفة لذاتها وجوداً ولا ارادة

فالاب الطماع يطلب بالفتاة ثمناً فيسومه الزوج فيها حتى يتفقا فتخرج من دار ابيها لتكون امة او بهيمة في دار مالكها . فان كانت عقيماً ولم ترزق البنين حق لزوجها ان يبيعها كما اشتراها لتكون رقاً لغيره وذلك ان لم يعطف ابوها عليها فيرد لزوجها الثمن الذي اشتراها به

وفي بعض الانحاء الافريقية يطلب الاب من الخاطب ما يقدر على ادائه ثمناً لابنته من البقر والثياب والاساور . وللزوج حق بيع امرأته فهذا الانحطاط في شأن المرأة حتى يؤخذ بديلها من الثيران والبقر وغيرها من البهائم والمتاع يجعلها تعتبر معادلة لتلك البهم . وحالها هذا نتاج تسلط الرجل المطلق وقيام حب الذات فيه قياماً لا موضع معه للغيرية

واعظم مظاهر الجور والامتهان ما يشاهد عند قوم من ان الرجل اذا مات عن زوجة انتقلت بالارث لذوي قرباه . روى سمث عن المابوشه ان الارملة عندهم متى مات زوجها ملكت قياد نفسها ما لم يكن قد خلّف اولاداً من غيرها فشبوا فانها حينئذٍ تصبح ملكاً لهم جميعاً لانها تحسب من جملة المتاع المتروك لهم ارثاً

فنتج من هذه الامثلة ان المرأة عند المتوحشين متى اشتراها رجلها او سرقها او سباها تصبح ملكاً لهُ يتصرف فيها على اهوائه غير مراعٍ ميلها وارادتها

وثمت سبب آخر وهو توزيع الاعمال بين الرجال والنساء ومجال المشاهدات فيه متسع يمتد من بين ادنى طبقات الناس الى من يعلوهم في سلم الحضارة بعض الدرجات ولذلك استدل الباحثون على كثير من اعمال المرأة في تلك المجتمعات المنحطة . فيناط بالمرأة كل عمل كبيراً كان او صغيراً ما لم يكن مما تقصر عنهُ قوتها البدنية او نشاطها وذكاؤها . اما الرجل فان عملهُ ينحصر في ما يحتاج الى القوة . فقد عرف ان نساء قبيلة القاسمان التي انقرضت لهذا العهد كن يتسلقن الاشجار ويحفرن الارض بحثاً عن بعض اصول النبات الذي يأكلونهُ ويخضن مياه الشواطئ فيلتقطن الاصداف والمحار ويصطدن الاسماك ويرجعن الى بيوتهن ليعتنين باولادهن اما رجالهن فانهم يقنصون الحيوان لما في القنص من بذل القوة والجهد

ومتى كانت مأكل قوم من لحوم الحيوانات الكبيرة تصبح اعمال النساء قاصرة على حمل ما يصطاد رجالهن الى البيت حيث يؤكل اللحم وتعتني المرأة بمعالجة الجلود وتجفيفها للانتفاع بها ومثل هذا تجد اولئك الرجال اذا غزوا وسلبوا حملوا غنائمهم الى بيوتهم فسلموها لنسائهم ليعتنين بها

واعظم من هذا ما يشاهد عند الاسكيمو فان النساء مطالبات ببناء البيوت حتى انهن يحملن على عواتقهن الحجار الضخمة التي تكاد تدق رقابهن كل هذا والرجال ناظرون اليهن يكادون لا يحركون اصبعاً في معونتهن

وفي كثير من القبائل ترى النساء مطالبات بنقل اثاث البيوت من موضع الى اخر والرجال جالسون لا يبالون ولا ينحصر هذا في القبائل الرحّل والمجتمعات المنحطة فقط بل قد يتجاوزها الى مجتمعات اعلى منها كالقبائل ذات الانعام والتي تعرف الزراعة وتستغل الارض بعض الشيء فقد كتب ماركراف عن قبيلة التوبس انهم متى رحلوا يحمل الرجل سلاحه فقط ويسير واما المرأة فانها تحمّل كما يحمل البغل

ولقد تمحّل بعضهم اعذاراً لاولئك الرجال الذين يلقون اعباء العمل على نسائهم من غير ما مساعدة منهم قالوا ان الرجال يقضون ايامهم في الصيد والقنص تحصيلاً لرزقهم ورزق عيالهم وتشديداً لعزائمهم فاذا رجعوا الى بيوتهم تكون اعمالهم قد انهكتهم تعباً فلا يقوون على مشاركة النساء في اعمالهن التي يحسبونها اخف تعباً وانهم لا يحملون شيئاً في رحلاتهم غير سلاحهم ليكونوا على اهبة للقاء الاعداء ومقاتلتهم اذا دهموهم

ومتى تحضر المجتمع اختلف توزيع الاعمال فصار الرجل يقوم باعمال البناء ولكن لم ينتف وجود النساء بين البنائين ومثل ذلك قطع الاشجار واغرب من هذا ان معالجة الطعام واضرام النار وامثال ذلك تمسي من اعمال الرجل ولو كان زعيماً في قومه واما البيع والشراء بين المتوحشين والراقين عنهم قليلاً فهما ايضاً من خصائص الرجل ولكن بعض المجتمعات تمنح النساء حق الاتجار فتجد اسواق جاوى غاصة بالنساء المتجرات

وكأن الرجال والنساء قد تبادلوا اعمالهم في بعض المواضع حيث ترى النساء يبعن ويشترين ويعملن كل اعمال الرجال بينما يكون رجالهن جالسين في البيوت يغزلون او يحيكون او يعملون الاعمال النسائية الاخرى · والذي ارى ان هذا التبادل في العمل نتيجة انقلاب حال الرجل من الشدة والتمرن على السلاح الى الخمول والتخنث · وعقبى استمرار النساء على الاعمال العسيرة التي يضطررن اليها مرضاة لرجالهن وتنفيذاً لرغائبهم وجورهم فيهن حتى صرن يعملن اعمالهم · وهذا التخنث بلغ في بعضهم حداً جعلهم يحسبون العار لاحقاً بالرجل الذي ينزل السوق للبيع والشراء

وكأنهم خلطوا بين الاعمال فاصبح الرجل يهان اذا حمل قربة ماء او اذا خبز عجيناً ولكنه لا غبار عليه اذا غسل الثياب من غير ان تسعفه المرأة · وفي مجتمعات اخرى تعاف

النساء الخياطة جملةً فان مست الحاجة اليها قام بها الرجل

كل هذا الاجمال يدل ان انفة الرجل الفطري وشدة بأسه حملتاه على اختيار الحرب والصيد والاستئثار بهما عملاً وترك ما عداهما للمرأة · واذا اعتبرت حالة المجتمعات الاولى ترى هذين العملين اي الحرب والصيد من اشد الحاجيات لزوماً ليس فقط لقيام المجتمع بل لحفظ بقاء الفرد · ومتى اضطر المجتمع الى الذود عن حاله لا يجد من يعتمده الاّ الرجال لانهم اشداء واما النساء فالغالب فيهنّ الضعف ولكنّ ضعفهنّ نسبي اي بمقابلة قوتهنّ بقوة رجالهنّ وانت تعلم ان الحمل والولادة والرضاع تجعل المرأة في حالةٍ لا يستطاع معها القيام باعمال الحرب والصيد ومع ذلك فقد وجد في بعض المجتمعات نساء شاركن الرجال في الحرب والقتال وحسبك شاهداً المحاربات المعروفات بالامازون

وفي بعض المجتمعات ترى الصيد والقنص ميسوراً يستطاع اخذهُ على هينةٍ ويستوي فيهِ الرجل العاجز والقويّ والمرأة والصبي ففي مثل ذلك المجتمع لا تجد حالة النساء منحطةً كحالة سائر النساء عند المتوحشين لانهنّ ولئن كنّ كغيرهنّ يحسبن ملك الرجل وتحت مطلق تصرفهِ فان لهنّ رأياً وكلمةً في المجتمع · وفوق هذا فان النساء اللواتي ينهضن مع رجالهنّ للحرب كما في الداهومي ترتفع منزلتهنّ وحسبك ان الرجل في تلك القبيلة يجامل امرأته ولكنها لا تنال تمام حقوقها بالنظر لجنف الرجل وجورهِ

ويستفاد من هذا ان فرق العمل بين الرجل والمرأة هو السبب الاهم في انحطاط النساء الا ترى ان الرجل الذي يقدم على الاعمال الكبرى كالحرب والصيد وهما للذود عن المجتمع وحفظ بقائهِ يحسب نفسهُ قد اتمّ عملاً مهمًّا لا تقدر على عملهِ شريكة حياتهِ فلا ينظر اليها بعين الاعتبار· يؤيد هذا انهُ في المواضع التي زال بها السبي واستولى العمل او كاد بطل اثر الفرق بينهما وكادا يستويان واما الفارق الآخر الذي ذكرناهُ اولاً اي شراء المرأة او امتلاكها سبياً او اختطافاً فهو فاعلٌ ايضاً في حطتها عن مالكها يؤيد هذا ما عرفناهُ من ان بعض القبائل التي لا تبيع بناتها بيعاً بل توجب على خطابها ان يخدموا اباها فيكافئهم عن خدمهم باعطاء البنت فان حالة الفتاة تكون ارقى لان زوجها تدانى الى خدمة ابيها سعياً في الحصول عليها فلا يعقل ان تنال من زوجها غضاضةً لا سيما وانها مدى وجود خطيبها قائمًا في خدمتها تقع بينهما المجاملة والملاطفة والاستئناس وربما دب الحب

وليس ما ذكرنا كل ما في الوطاب من شأن النساء في المجتمعات الجمة بل ثمت مواضيع شتى يحسن الالمام بها ولعلنا نعود الى هذا البحث في فرصة اخرى م · ن

صور السماء

وقع لنا منذ سبع عشرة سنة ونيف كتاب جليل في علم الفلك فاشرنا اليهِ في ما كتبناهُ عن صور السماء في المقتطف الصادر في شهر مايو سنة ١٨٩٠ حيث قلنا " واننا نكتب هذه السطور وامامنا نسخة من كتاب ابي الحسين الصوفي الذي الَّفهُ للسلطان الغ بك في اواسط القرن الرابع للهجرة وفيهِ رسوم ملونة للابراج وبقية الصور السموية اجاد المصور رسمها وتزويقها وافرغ فيها دقيق الصنعة ورسم الكواكب فيها بالذهب ومثَّل بصور الرجال والنساء هيئات الفرس "

وقبل ان نراجع مسوَّدة ما كتبناهُ اخذ الكتاب صاحبهُ وباعهُ لمكتبة فرنسا الوطنية ثم لم نقف لهُ على اثر. ويظهر لنا الآن اننا اخطأْنا في قراءة مقدمة الكتاب فانهُ لم يؤلف لألغ بك بل نسخ لهُ لان الصوفي كان في اواسط القرن الرابع للهجرة وأُلغ بك في اواسط القرن التاسع فبينهما نحو خمس مئة عام . وبلغنا حينئذٍ من مختار باشا الغازي ان هذا الكتاب طبع في روسيا وارانا كراريس منهُ وصورها مثل الصورة المقابلة ولكنها غير ملونة . والمعروف عن ابي الحسين الصوفي قليل جدًّا فلم نرَ لهُ ترجمة في ابن خلكان لكن ابا الفرج الملطي ذكرهُ فقال " ان عضد الدولة فناخسرو شاهنشاه بن بويه كان اذا افتخر بالعلم والمعلمين يقول معلمي في الكواكب الثابتة واماكنها عبد الرحمن الصوفي وفي حل الزيج الشريف ابن الاعلم وفي النحو ابو علي الفارسي . وكان عبد الرحمن بن عمر بن سهل ابو الحسين الصوفي الرازي فاضلاً نبيهاً نبيلاً ومن تصانيفهِ كتاب الصور الشمالية مصور والارجوزة وكتاب مطارح الشعاعات وتوفي سنة ٣٧٦ عن ٨٥ عاماً "

واشار اليهِ ابن الاثير في حوادث سنة ٣٧٦ حيث قال — وفي هذه السنة توفي ابو الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفي المنجم لعضد الدولة وكان مولدهُ بالري سنة احدى وتسعين ومائتين

وقال المستر الارد غور في مقالة نشرها حديثاً في مجلة المعرفة الانكليزية ان المسيو شيلرُب الفلكي الدنماركي نشر سنة ١٨٧٤ ترجمة فرنسوية لكتابين عربيين من كتب الصوفي احدهما في المكتبة الملكية بكوبنهاغن والثاني في المكتبة الامبراطورية ببطرس برج . والنسخة التي في مكتبة كوبنهاغن اشتراها نيبهر سنة ١٧٦٣ وهي حسنة الخط وقد نسخت سنة ١٦٠١ عن نسخة كتبت سنة ١٠١٣ عن نسخة الصوفي الاصلية وصورها ملونة حسنة الرسم

ولا يحتمل ان تكون النسخة التي رأيناها دون غيرها من النسخ لانها منسوخة لأُلغ بك الذي كان جامعاً بين عزة الملك والبراعة في علم الفلك وهي من كتب المرحوم عسَّاف الزيات الذي توفي في هذه العاصمة منذ بضع عشرة سنة

وقال المستر غور ان الصوفي بنى كتابهُ على كتاب بطليموس المعروف بالمجسطي ولكنهُ لم يكتفِ بمتابعتهِ بل رصد النجوم كلها نجماً نجماً وعيَّن اماكنها واقدارها بالتدقيق التام . اما اماكنها فاكتفى باصلاحها بالنسبة الى مبادرة الاعتدالين واما اقدارها فاعتمد فيها على رصدهِ وهو يذكر ايضاً قدر الكوكب حسب بطليموس اذا كان مخالفاً للقدر الذي ظهر لهُ ومن ثم فلكتابهِ فائدة كبيرة في الاستدلال على تفسير اقدار النجوم من عصر بطليموس او هبرخس الى عصر الصوفي ثم الى عصرنا هذا . ولم يكتفِ الصوفي بذلك بل قابل بين اقدار بعض الكواكب . واكثر اقدار الكواكب التي ذكرها الصوفي مثل اقدارها المعتمد عليها الآن في زيج ارجلندر وزيج هيس ولو خالفت اقدار المجسطي

ومما تمتاز بهِ ارصاد الصوفي انهُ لم يذكر لون الشعرى العبور مع ان هبرخس وبطليموس قالا ان لونها ضارب الى الحمرة فكأَن احمرارها كان قد زال في ايامهِ وصار كما هو الآن . وقد بيَّن الاستاذ سي الفلكي ان لون الشعرى كان احمر في الازمنة الغابرة وقد قال سنكا انها كانت اشد حمرةً من المريخ

وقال الصوفي ان لون الغول احمر وهو الآن ابيض ولذلك فلونهُ او لون تابعهِ قد تغيَّر من عصر الصوفي الى الآن . وذكر السديم الذي في المرأة المسلسلة ولم يذكرهُ احد في اوربا قبل سنة ١٦١٢ حين ذكرهُ سمعان ماريوس اما الصوفي فيذكرهُ كشيء مشاهد في عصرهِ

وتكلَّم على مبادرة الاعتدالين فقال ان بطليموس واسلافهُ راقبوا حركة دائرة البروج فوجدوها درجة كل مئة سنة اما هو فوجدها درجة كل ٦٦ سنة . وهي الآن درجة كل نحو ٧١ سنة ونصف سنة . وعلَّل استخدام منجمي العرب لمنازل القمر باعتمادهم على الشهر القمري

وقال ان كثيرين يحسبون عدد النجوم الثابتة ١٠٢٥ والحقيقة ان عدد النجوم الظاهرة اكثر من ذلك والنجوم الخفيَّة اكثر من ان تحصى . وعدَّ ١٠٢٢ من النجوم ٣٦٠ منها في الصور الشمالية و ٣٤٦ في دائرة البروج و ٣١٦ في الصور الجنوبية

وقال المستر غور في ختام مقالتهِ ان كتاب الصوفي اصح من كتاب بطليموس وزيجهُ اصح زيج وصل الينا من كتب القدماء

هذا وقد وقع لنا رسالة عربية في صور السماء ونحن ندرس علم الفلك منذ نحو اربعين

سنة لا يذكر فيها اسم مؤلفها فنسخناها حينئذٍ وقد جُعل فيها عدد الكواكب في الصور الشمالية ٣٨٦ وفي الجنوبية ٣١٠ وفي دائرة البروج ٣٤٩ والجملة ١٠٤٥ . والرسالة تقع في نحو اثنتي عشرة صفحة من صفحات المقتطف وسننشرها في جزئين تاليين ونعلق عليها شرحاً وجيزاً

اما الصور المرسومة امام هذه المقالة فمنقولة عن كتاب الصوفي وهي حسب اعدادها المرسومة معها

(١) الدب الاصغر (٢) الدب الاكبر (٣) التنين (٤) قيفاوس (٥) العواء (٦) الفكة (٧) الجاثي (٩) الدجاجة (١٠) ذات الكرسي (١١) برشاوش (١٢) ممسك الاعنة (١٣) الحواء

واسماء نجومها مكتوبة فيها بالعربية ولو كان خطها دقيقاً لا يكاد يرى بالعين لدقتهِ وسنشبع الكلام عليها وعلى غيرها من صور السماء في الاجزاء التالية

العلم في العام الماضي

الانثروبولوجيا (اي علم الانسان)

احتفل الانكليز في شهر اكتوبر الماضي ببلوغ الاستاذ تيلر ابي علم الانثروبولوجيا في بلاد الانكليز السنة الخامسة والسبعين من عمرهِ والفوا كتاباً في المواضيع الانثروبولوجية تذكاراً لذلك

ويحث علماء الانثروبولوجيا في زمن استعمال الحديد فاعترض الاستاذ ردجواي على قول القائلين ان الحديد استعمل في القطر المصري منذ عهد قديم جدًّا وقال ان اول ما استعمل كان في اواسط اوربا وذلك منذ عهد غير بعيد . وقال الاستاذ بتري ان اهالي مصر استعملوا الحديد على قلة قبلما شاع استعمالهُ باربعة آلاف سنة . وقال الاستاذ نافيل ان استعمال الحديد لم يشع في القطر المصري قبل عصر الرومانيين

ويحث الاستاذ نافيل في اصل المصريين الاقدمين وقال ان الشعب الذي اكتشف آثارهُ الاستاذ بتري وقال انهُ سابق لزمن التاريخ هو اصل سكان مصر ولعل البرابرة منهُ ثم دخل مصر شعب آخر وامتزج بالسكان الاصليين فتولد الشعب المصري من هذا المزيج ولعل هذا الشعب الثاني جاءها من جنوبي بلاد العرب وهو حامي مثل سكانها الاصليين. وقال الاستاذ بتري ان اقدم المدافن المصرية التي اكتشفها يمتد في تاريخهِ الى سبعة آلاف

سنة قبل المسيح وفيهِ صور اناس ابدانهم حمراء وشكلهم مثل البشمن او شكل الصور التي وجدت في بعض الكهوف الفرنسوية وهم اقدم سكان القطر المصري وجاء بعدهم شعب يشبه الاموريين سكان سورية ويظهر من الآثار ان هذين الشعبين سكنا القطر المصري معاً منذ زمن قديم جداً

البيولوجيا (اي علم الاحياء)

كثر البحث في داء النوم لاكتشاف علاج لهُ وقد اكد البعض ان الاتوكسيل (وهو مركب زرنيخي) يفيد في شفائهِ ولكن فائدتهُ غير مضطردة · وفي ٧ نوفمبر اعلن بلروطمسن ان طرطرات الصوديوم الانتيموني يفعل بميكروب هذا الداء فينقي الدم منهُ وان الجرذان التي عولجت بهِ شفيت ولم يعاودها الداء بعد مضي ٦٦ يوماً وقد عولجت بهِ حقناً وجرعتهُ اصغر من جرعة الاتوكسيل واشد منها فعلاً

ثم ظهر ان للتمساح علاقة بانتشار داء النوم واشار البعض باستئصال التماسيح فيستأصل الداء لان استئصال الذباب الذي ينقل عدواهُ ضرب من المحال

وثبت ان حمَّى مالطة تتولد من شرب لبن المعزى فمنعت حامية مالطة من شرب هذا اللبن

وتلا الاستاذ فارمر خطبةً موضوعها الخلايا وقال ان الاهميةَ الكبرى للنواة التي في الخليَّة فاذا قسمت خلية قسمين وكانت النواة في احدهما نما وظهرت فيهِ كل خواص الخليَّة الحيَّة كيماوية كانت او طبيعيةً واما القسم الاخر الخالي من النواة فلا يظهر فيهِ شيء من ذلك

الجغرافيا

كان اكثر هم الاوربيين والاميركيين مصروفاً الى اكتشاف الاصقاع القطبية في جهات القطب الشمالي وجهات القطب الجنوبي وحاول بعضهم الذهاب الى القطب الشمالي بالبلون وصنع بلوناً لهذا الغرض لكن الرياح عبثت بهِ فعدل عنهُ · وستذهب بعثة انكليزية الى جهات القطب الجنوبي في اوائل سنة ١٩٠٨ ثم تتبعها ثلاث بعثات اخرى · وقد تبرعت الحكومة الفرنسوية باربعة وعشرين الف جنيه لبعثة الدكتور شاركو وستعد لهُ سفينة خاصة وتوضع فيها مؤونة تكفي بعثتهُ سنتين

واكتشف سڤن هدن سلسلة من الجبيرات في نجود تبت غربي الصين وعبر شعاباً في الجبال علو بعضها ١٩٠٠٠ قدم فوق سطح البحر وبلغ مصادر الكنج · واكتشف الدكتور

ستين مواقع المدن القديمة الى الشمال والى الجنوب من لب نور فوجد ان بعضها خرب منذ القرن الثالث للميلاد · وعثر على كثير من الكتابات القديمة بعضها بلغة هندية قديمة وبعضها بالصينية · وعبر صحراء شاسعة حيث سار ماركو بولو ووجد هناك سلسلة من الحصون تمتد ١٤٠ ميلاً وتصل بسور الصين وقد بنيت في القرن الثاني قبل المسيح و بقيت الحامية فيها الى القرن الثاني بعد المسيح · وساح في جبال نان شان وارتفاع بعضها ٢١٠٠٠ قدم · ووصل المستر اندرصن الى بركان كيوشوي وقال انهُ اكبر البراكين كلها فان مساحة فوهته مئة ميل مربع وضرب كثيرون من السياح في بلاد الصين وبحثوا عن منابع انهارها

وقطع الكبتن ارنود صحراء افريقية من الجزائر الى الدهومي وساح الدكتور ولستون في بلاد ومفمبرو فوجد فيها تسعة براكين ارتفاع اعلاها ١٤٠٠٠ قدم وقرب اعلاهُ غابة كبيرة من القنا الهندي يقال ان سكانها من الاقزام · وقطع صديقنا المستر سفدج لندر افريقية من شرقيها الى غربيها بطريق لم يطرقهُ سائح اوربي قبلهُ وزرناهُ في لندن فارانا خريطة الطريق التي سار فيها وما جلبهُ من البلاد من المصنوعات والتحف وفي جملتها انياب افيال يبلغ طول بعضها نحو ثلاثة امتار وكان مشتغلاً بتأليف كتاب كبير عن رحلته

وخطب لورد ابروزي في ابتداء العام امام الجمعية الجغرافية الملكية ووصف جبال رونتزوري (جبال القمر) وقال انها ستة جبال يبلغ ارتفاع اعلاها عن سطح البحر ١٦٨١٥ قدماً

ولا يزال البحث الجغرافي والجيولوجي جارياً في مصر والسودان بهمة رجال مصلحة المساحة الجيولوجية وهم يخططون البلاد ويبحثون في جيولوجيتها ويرسمون ذلك في خرائط ملونة تدل على شكل الارض وارتفاعها وبنائها الجيولوجي ومعادنها

الجيولوجيا

امتحن الاستاذ جولي الصخور المستخرجة من سرب سمبلون فوجد فيها شيئاً كثيراً من الراديوم والظاهر ان الراديوم كثير في جوف الارض ويظن العلماء الآن ان لهُ يداً في تكون جبال الارض

وخطب الاستاذ غريغوي في مجمع تقدم العلوم البريطاني عن اصل المعادن اي كيفية رسوب العناصر المعدنية في مناجمها وذهب ان مناجم الذهب في بلاد الترنسفال كانت ساحلاً بحرياً وان الذهب رسب بين حصاها من ماء البحر او جرفتهُ السيول اليها ثم انحسر البحر عنها وشخصت الارض فصارت كما هي الآن

التقليد

التقليد ميل فطري في الانسان يدفع بهِ الى محاكاة من اعتقد فيهِ التفوق عليهِ فيتحداهُ في معظم شؤُونهِ واحوالهِ على حد قول القائل

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام فلاحُ

على ان هذا التقليد لا يقف عند حد الانتفاع بالمتابعة ولا الاعتقاد بتفوق المقلَّد فقد يندفع الانسان في غالب الاحايين بميلهِ الفطري الى اقتفاء الاشياء وتحديها من غير تحكيم الروية ولا بعامل الاستحسان وانما بدافع طبيعي فيهِ

وترى الاطفال تتبع حركات الابوين والقائمين على تربيتهم وتمثلهم في اشياء كثيرة تقع من اهلهم موقع الاستغراب فينسبون صدورها الى قوةٍ كبيرة في مداركهم ويتفاءَلون خيرًا وما هي في شيء مما يزعمون وانما تلك اعمال بعثها التقليد الفطري ولا يد للتعقل والارادة في اعمال الفطر وكيف تصدر عن شيء لم يتكوَّن بعد ولا حان وقت ظهورهِ. على ان التقليد الفطري هو الاستاذ الاكبر للطفل الذي يلقنهُ التكلم ويعلمهُ المشي. وكثيرات من الامهات ذات الحنان الشديد تقضي عليهن قوة العواطف في ملازمة الطفل والاكثار من الحركات والتكلم معهُ لاسيما اذا كان وحيدًا فلا يطول الامر بهِ حتى يقوى على التكلم كما هو مشاهَد من حالات الابكار الذين يولدون وعاطفة حنان الابوين في ابَّان اشتدادها

وليس التقليد بأُستاذ الكلام للطفل فقط وانما هو استاذ الانسان في وضعهِ الكثير من الفاظ اللغة فقد حلَّل اللغويون من علماء اوربا الفاظ اللغات القديمة الاصلية فوجدوها علي قسمين قسم منها يعرف بالمحاكاة Onomatopee وهي الكلمات التي يحاكي التلفظ بها صوت الشيء الذي تعنيهِ والقسم الثاني التمثيلي Mimique وهو تمثيل الشيء باشارة تنبه الفكر الى المقصود من الافكار والعواطف. اعتبر ذلك بما تراهُ في الكثير من كلمات لغتنا العربية اذ انها ولا بدع من اللغات السامية القديمة وهي ملأى بالالفاظ الموضوعة لمحاكاة صوت الشيء الذي تعنيهِ من مثل اذا تكلم الانسان وكان في خياشيمهِ خنة يقال خنخن واذا اخذ في الضحك الشديد يقال قهقه ولصوتهِ قهقهة واذا تحاكَّت الاشياء اليابسة واصاتت يقال لصوتها خشخشة واذا خرج صوت من الانسان لتوجع او غم يقال صاح واذا صات من حلقهِ وانفهِ يقال شخر ويقال لصوت الماء الجاري خرير ويقال لصوتهِ في الجرة او الكوز بقبقة ولصوتهِ اذا استخرج من الانية قرقرة واذا سال قليلاً قليلاً قيل بضَّ بضيضًا و يقال لصوت

البقر خوار وللسنور مواء ولصوت النائم الغطيط · والعواء والوعوعة للذيب والنقنقة للدجاجة والنقيق للضفدع ونجد من تلك الكلمات الشيء الكثير مدونًا في كتب اللغة ومعاجمها

كان التقليد استاذ الانسان الاول في وضع اللغة وفي الكثير من حاجاتهِ الاولية التي قلد بها الحيوان من مثل انهُ اخذ عن الشمبانزي كسر الجوز بالحجر ورأى الطير يبني عشاشهُ فحداهُ باصطناع الاكواخ من غصون الاشجار وشهد الحيوان يأوي الكهوف التجاءً اليها من صبارة البرد فاقتفاهُ في حفر المغاور او حفرها على شواطىء الانهار والاودية وتعلم النسج من العنكبوت والسباحة من الحيوانات التي تعوم في مياه البحيرات والجداول الى غير ذلك من الصنائع التي كان التقليد سببًا لوجودها وليس هو بالغاية التي ترقى اليها الصنائع على ما يظن البعض

وليس التقليد من خصائص دور الطفولية وطور البداوة في الامم بل يتناول جميع ادوار الحياة وكل اطوار رقي الشعوب بين قلة فيها وكثرة و بين ابتغاء النفع و بين الرغبة في المتابعة غير مشروط فيها النفع والضرر الّا انهُ في اطوار الرقي وادوار الرجولية يتوق المقلد لاتباع المتفوق عليهِ معنًى وحسًّا · قال العلاّمة ابن خلدون في ذلك ما يأتي ان النفس ابدًا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت اليهِ اما لنظرهِ بالكمال بما وقر عندها من تعظيمهِ او لما تغالط بهِ من ان انقيادها ليس لغلب طبيعي انما هو لكمال الغالب فاذا غالطت بذلك واتصل لها حصل اعتقادًا فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت بهِ اه

وحقيقة هذا القول ظاهرة لمن اطلع على سير الشعوب ووقف على ما فعل التقليد في الاخلاق والعادات والافكار وسائر الشؤون الانسانية وانهُ يتسلل الى الامم فيقلب احوالها ويكيف طبائعها ولا يقف في سبيلهِ ما يكون من البغضاء والنفور بين الطوائف وبين امة واخرى ويشترط في حصول التقليد الامتزاج والاختلاط سواءٌ كان موصولًا بالحب او الكره والعبرة فيهِ للقرب بحيث تأخذ العين ما يقرها والعاطفة ما يثيرها

على أن الى جانب الميل التقليدي في الانسان ميلًا آخر يعاكسهُ وهو الميل الى الاستقلال · وعلى نسبة قوة هذه العاطفة في الامة او ضعفها يتوقف اعتلاؤُها في سلم الحضارة والعمران ولسوء الحظ ان هذه العاطفة فينا ضعيفة جدًّا ان لم نقل ضعيفة منا وان التقليد تأصل في عروقنا وصار من طبيعة الشرقي والخاصة المميزة لنوعهِ

واذا اراد المطالع الوقوف على نتائج التقليد ومؤَثراتهِ في الاعمال والاخلاق والعادات وسائر الشؤون فليقابل بين تلميذين الواحد منهما اوربي من اهل الاستقلال والثاني شرقي

من ذوي التقليد يراها اذا تعلّما معاً حرفة من الحرف كالنجارة والحدادة والبناء وغيرها او تلقنا العلم في احدى المدارس تفوّق الشرقي في الاخذ والتعلم وفاز على الغربي وهذا مشاهد في ابناء بلادنا الذين يطلبون العلم في مدارس اوربا فان الواحد منهم على انهُ غريب اللغة والبلاد يسبق رفاقهُ من الاوربيين ويحوز التبريز عليهم الاَّ انهُ متى خرج الاثنان من تعلم الحرف او تلقن العلم وبعبارة اخرى متى خرجا من دائرة التقليد الى عالم العمل والاستنباط وقف الشرقي عند حد التلقين وسار الغربي وخُلُق الاستقلال يدفعهُ الى الاختراع والاستزادة على ما تعلّمهُ في صنعتهِ او ما تلقنهُ من علومهِ

ويظهر الفرق جليًّا بين الاستقلال والتقليد في ادارة الاعمال على انواعها من قضاء وتجارة وزراعة وعلم وغير ذلك. ترى الشرقي اذا اشتغل في احدى دوائر تلك الاعمال وكان العمل معيناً محدوداً من كتابةٍ او محاسبةٍ او شيءٍ آخر ليس من نوع الادارة اتم عملهُ بكل سرعة واتقان وتعذر على الغربي مجاراتهُ في ذلك او التفوق عليهِ وان كان العمل من نوع الادارة التي تطلب الاستقلال في الفكر وتحتاج في الاحايين الى استنباط طرق او ايجاد وسائل لنجاح العمل كان السابق في هذه الحلبة الاوربي يؤيد ذلك غير واحد من المشاريع الوطنية التي تولَّى ادارتها رجال من الشرق فانها لم تقوَ على السير طويلاً واندرجت في خبر كان. واليك مثالاً اخر على استرسال الشرقي للتقليد الشعر العربي فان العرب قالوا الشعر زمن الجاهلية وبرعوا فيهِ كثيراً ولا غروَ فالعرب من الشعوب السامية التي استغرقت في عالم الخيال لاسيما وانها في الجاهلية وزمن الفتح اوائل الاسلام كان لها من الحرية والاستقلال ما اكسب شعرها قوة البلاغة واختراع المعاني والتفرد في ابتكار اساليبهِ مما هو ظاهر في اشعار الجاهلية والمخضرمين والمولدين. ثم توالت الايام وكرت الدهور على هؤلاء الشعراء النابغين وخلفهم الوف مؤلفة ممن انتحل صناعة الشعر فلم نرَ بينهم على كثرتهم من خرج عن دائرة التقليد ولا من خطَّ لنفسهِ منهاجاً جديداً بل جماعهم استفتح قصائد المدح بالغزل او التشبيب فتغنى بذكر الاباطح وبرقة ثهمد وارام وجرة ووصف المحبوب بالمقلة النجلاء والشامة الخضراء والوجنة الحمراء وناداها بليلى ودعد وسلمى وهند وزينب وتخلص الى وصف ممدوحهِ بالاسد الرئبال والبحر الخضم والسحاب والجوهر الفرد وقس على هذا الباب كل ابواب القريض من رثاء وهجو وفخر وتهنئة وعتاب وزهد الى غير ذلك مما وضعهُ الاولون ولم يتعدَّهُ المتأخرون حتى ولا في الالفاظ المفردة

ويتفاخر اليوم اهل القطرين المصري والشامي بانهما في دور النهضة وما اخلق هذا

الدور بالتسمية بدور التقليد الجديد ذلك ان الحوادث السياسية في النصف الاخير من القرن الماضي دفعت بجماعة من الاوربيين والاميركيين الى استيطان القطرين والاقامة بيننا فاستهوانا جمال حضارتهم وتفوقهم بالعلم والمال · والنفس منغورة على الاقتداء بمن تعتقد فيهم الكمال والتشبه بهم ولذلك هبت همم اهل القطرين هبة قوية لتحدي الاوربيين وتتبع خطواتهم فلم يمضِ علينا الزمن الطويل حتى صار يعسر على اعاظم النقدة التمييز بين البعض منا وبينهم في الملبس والمسكن والمطعم وحتى ان نفرًا منا قلدوهم في الرطانة وركاكة التعبير

وحبذا لو دفعنا التقليد الى مجاراتهم في الشؤُون النافعة من حيث الاخلاق والصدق والاستقلال في الفكر وحرية الضمير والقول والاجتهاد والاقتصاد ونكران الذات واشباه ذلك من الفضائل التي تخرج بنا من دور التقليد الاعمى الى دور الاستقلال والاختراع ي · ي





الخزانات وموسم القطن

وهو خطبة للسر وليم ولككس تلاها في الجمعية الجغرافية الخديوية في ٣١ دسمبر

اني مهتم باعداد طبعة ثالثة من كتابي " الري المصري " ولذلك رأيت ان اقضي الشتاء الماضي في البحث عن مياه النيل ومستقبل زراعة القطن لكي اضيف ذلك الى كتابي. وكنت ارجو ان اعود بعينات من التربة والقطن من كل جهات وادي النيل وقد جمعت ما جمعت منها ولكنني اضطررت اخيرًا ان اتركها راضيًا من الغنيمة بالاياب (ثم ذكر المرض الذي اصابهُ في اعالي السودان وشكر للذين اعتنوا بعلاجهِ وتمريضهِ وعاد الى موضوعهِ فقال)

ان من يصعد من سواحل البحر المتوسط الى البحيرات الاستوائية يرسخ في ذهنهِ ان نجاح البلاد وانتشار زراعة القطن فيها مرتبطان احدهما بالآخر كأنهما شيء واحد وان وادي النيل من اصلح البلدان لزرع القطن

فالوجه البحري من العاصمة الى بحر الروم ومن بني سويف الى العاصمة يزرع فيهِ القطن

الجيد لان الهواء البحري يلطف حر صيفهِ . وقد قال المستر فودن ان بني سويف هي الحد القبلي لاجود انواع القطن المصري . وبين بني سويف واسيوط يكون القطن جيداً ايضاً لا يفوقهُ الاَّ قطن الوجه البحري واما جنوبي اسيوط فالصيف احر ولا بدَّ من الاعتناء في اختيار انواع القطن التي يصلح زرعها هناك . وقرب اصوان وجنوبيها تصير زراعة القطن صيفية او شتوية واذا احسن اختيار التقاوي امكن الحصول على قطن جيد من الزراعة الصيفيَّة ومن رأْي المستر غوريف ان هذا القطن يجب ان يزرع في الاسابيع الثلاثة الاول من شهر يونيو . وبرد الشتاء شمالي الخرطوم يحول دون تفتيح لوز القطن فيهِ واما في جوار الخرطوم وفوقها جنوباً فحر الصيف ليس اشد من حر البلاد التي شمالي الخرطوم وبرد الشتاء قليل فلا يعوق تفتيح القطن الجيد في الشتاء ولذلك يمكن جعل القطن هناك من مواسم الصيف او مواسم الخريف والشتاء وقد رأيت الناس يجمعون قطنهم الجمعة الاولى في جوار الخرطوم في يناير سنةً وفي فبراير سنةً اخرى وكان الموسم جيداً . ويصدق ذلك على كل جهات البحر الازرق . ورأيت لوز القطن مفتحاً في يناير على البحر الابيض وبعض الوطنيين يزرعون القطن هناك على شاطئ النيل بعد رجوع مياه الفيضان تماماً

وقد شاهدت القطن مزروعاً للتجربة على البحر الابيض في كل مكان من نهر السبت الى غندكرو وكان قدحان قطفهُ في شهر يناير . ويختلف الاقليم بين الخرطوم وغندكرو فيناير ابرد الشهور في الخرطوم وهو احرها في غندكرو . ورأيت لوز القطن مفتحاً جنوبي غندكرو الى مسندي في أُنيور ولكن الاراضي المزروعة قطناً هناك قليلة جداً ولم ارَ انهُ يزرع بقصد بيعهِ الاَّ في مسندي واقمت يومين في منولا حيث يراد انشاء الخزان في اعالي النيل لافحص تلك الجهات فرأيت القطن مزروعاً في حديقة هناك ولوزهُ مفتح والشجر كبير نضر وقطنهُ كثير. ولا ري جنوبي غندكرو فتعتمد المزروعات فيها على المطر فقط واخبرت ان شهر يناير اجف شهور السنة من حيث المطر ومن حيث الندى واصلح الشهور لجمع القطن . وسافرت شهر فبراير فلم ارَ مطراً بين غندكرو واوغندا وكانت الاعشاب محروقة في كل مكان والبلاد كلها في اشد الجفاف الاَّ المستنقعات الآسنة ورأيت حقولاً من القطن الجيد قرب مسندي علو اشجارهِ ست اقدام وهي مغطاة باللوز الابيض ولا احد يهتم بجمعهِ لان السكان لا يهتمون الاَّ بمزروعاتهم من الموز والبطاطا الحلوة . واستغربت انهم لا يزرعون السمسم هناك مع انهُ يجود في ذلك الاقليم . ويظهر لي انهُ يمكن زرع القطن الجيد بين مينولى ومسندي اذا سكن تلك البلاد اناس دئبون على الزراعة فان اقتلاع الاعشاب من الارض

ليس امراً كبير المشقة والتربة جيدة والاقليم مناسب ومدة القيظ تكفي لجمع القطن

ورأيت حقولاً خصيبة في اوغندا مملوءة بزراعة القطن وهو مغطّى بالوز الابيض والوقت مناسب لجمعهِ لكن ذلك غير عادي فان الشتاء الذي كنت فيهِ هناك كان شديد القيظ على خلاف المعتاد وانا مرتاب في ان مدة القيظ تطول في الشتاء هناك عادةً حتى تكفي لجمع القطن . والظاهر ان الاور بيين المقيمين شمالي البحيرة يفضلون زراعة الصمغ الهندي والذين الى جنوبيها يفضلون زراعة النباتات ذات الالياف . ولكن الوطنيين في كل مكان يفضلون زراعة الموز والبطاطا وقصب السكر

ولا فرق بين الفصول في اوغندا نفسها من حيث درجة الحرارة ولكن شهر يناير يكون اجف الشهور . وعندهم وقتان يحبس فيهما المطر والندى الواحد في الصيف والآخر في الشتاء ولكن جمع القطن لا يكون الاَّ في الشتاء وقد كان كذلك حينما كنت هناك . وكل القوافل الآتية من اوغندا الى غندكرو تفضل السفر في شهر يناير لان العشب يكون قد احترق وجفت الارض وانحبس المطر والندى غالباً

وقد التقيت بقوافل كثيرة من الحمالين سائرة شمالاً وبقطعان كثيرة من البقر مسوقة الى الشمال . واذا عمرت البلاد امكن تربية المواشي فيها من الغنم والبقر والمعزى في كل البلاد بين نيمولي واوغندا وفي اوغندا نفسها و يكون من تربيتها ربح وافر والسكان يميلون الى ذلك اكثر مما يميلون الى زرع القطن

وقد تختلف الآراء في مستقبل البلدان التي على اعالي النيل والمزروعات التي يناسب زرعها والصناعات التي يحسن تعاطيها هناك ولكن قلما يرتاب احد في انهُ لا يمكن ان توجد زراعة تناظر زراعة القطن في مصر والسودان من الآن الى سنين كثيرة . وقد تبقى زراعة القصب مفضلة على زراعة القطن جنوبي اسيوط ولكن هذا ليس من رأيي . وفي السودان قد تبقى زراعة القمح مفضلة على زراعة القطن ولكن اذا تسهلت الوسائل لري القطن صارت الافضلية لهُ هناك ايضاً . ولا بد من الري للقطن في مصر وفي السودان اما في السودان فمن ١٥ مايو الى ١٥ مارس واما في مصر فمن ١٥ مارس الى ١٥ اكتوبر ومياه الري ضرورية في المكانين بين ١٥ مايو و ١٥ يوليو حين يكون ماء النيل على اقلهِ وهذا يجعل خزن المياه ضرورياً جداً لتوسيع زراعة القطن في القطرين

وفي الوجه البحري اكثر من مليون فدان من الاراضي التي يمكن ان تصير اخصب اراضي القطن في الدنيا وهي بور الآن لقلة المياه ولهذا السبب عينهِ افضل اطيان السودان باقٍ

مهملاً . ويسير المرء اياماً متوالية في سهول الوجه البحري فيراها براري قاحلة مستملحة لان ليس لها ماء صيفي حتى تزرع سنة ارزًا وسنة قطناً دواليك فتصير جناناً نضرة بعد ان كانت براري قاحلة . ورجال الحكومة لا يسمحون بالري الصيفي في السودان الاَّ في اماكن مخصوصة ويمنعون اخذ الماء من النيل من اول فبراير الى ١٥ يوليو (اي في الوقت الذي يصلح فيهِ زرع القطن) . مشيت في شهر يناير الماضي في اطيان مزروعة قطناً في جوار الخرطوم بعضهُ زرع في شهر يونيو اصلح الشهور لزرعهِ هناك وبعضهُ بعد ١٥ يوليو والاول كثير الخصب كثير اللوز كبيرهُ والثاني لوزهُ ظاهر في غير اوانهِ ويحتاج الى الري حتى شهر مارس ولكن سينقطع الماء عنهُ في آخر يناير . والذين يباح لهم رفع الماء من النيل في ١٥ يوليو لا يستطيعون زرع قطنهم كلهِ في ذلك اليوم بل بعد ذلك بمدة طويلة ولا يخفى ما في ذلك من الخسارة عليهم

قلت انهُ لا يباح الري الصيفي في السودان الاَّ في اماكن قليلة مخصوصة لقلة مياه النيل حينئذٍ وذلك بين آخر يناير ووسط يوليو مع ان القطن يحتاج الى الماء من نصف مايو فصاعداً . تحرم من تشغيل طلمبا قطرها ثماني بوصات في الخرطوم في ذلك الوقت وبين غندكرو والكنيسة على البحر الابيض يجري الماء الغزير من النيل في مجارٍ كثيرة تكفي لري كل القطن الذي يزرع في وادي النيل . وقد اشار رئيسنا السابق الدكتور شوينفرث منذ ثماني سنوات بسد هذه المجاري تمهيداً للتحكم بماء النيل ويالها من مشورة حكيمة مثل كل مشوراتهِ

قلت ان زراعة القطن في السودان تحتاج الى الماء من ١٥ مايو الى ١٥ مارس وفي مصر من ١٥ مارس الى ١٥ اكتوبر . ويكون ماء النيل كافياً من اول اغسطس الى ١٥ ابريل ولذلك يجب ان يزاد بطريقة ما من ١٥ ابريل الى اول اغسطس اي مدة ثلاثة اشهر ونصف . والحقيقة ان الماء غزير على مدار السنة وكافٍ لري وادي النيل كلهِ ريًّا صيفيًّا ولكنهُ غير موزع بالسواء على شهور السنة كلها فعلى مهندسي الري ان يأخذوا الزيادة من الاشهر التي يزيد فيها الماء عن الحاجة ويضيفوها الى الاشهر التي يقل فيها الماء عن الحاجة حتى يصير كافياً على مدار السنة . وقد جاءت القناطر الخيرية وقناطر اسيوط وقناطر اسنا التي قاربت الكمال الآن مسهلة لرفع الماء حينما لا يكون الفيضان وافياً وهذه القناطر كلها قد عززت القطر المصري من حيث ضمان الري

لما خطبت في هذه الجمعيَّة في يناير سنة ١٩٠٤ عن خزان اصوان وبحيرة مورس قلت ان مصر تحتاج الى خزانات تكفي لخزن اربعة آلاف مليون من الامتار المكعبة حتى تضاف

الى ما يكون في النيل من الماء فيكفي الري الصيفي وبذلك يزيد موسم القطن من ستة ملايين ونصف مليون قنطار الى عشرة ملايين قنطار فتزيد ثروة القطر المصري الزراعية ما يساوي ٦٠ مليونًا من الجنيهات المصرية

وقلت حينئذٍ ان خزان اصوان يسع الف مليون من الامتار المكعبة ولكنني هندسته حتى يمكن ان يعلَّى ستة امتار اخرى فيصير يسع الفي مليون من الامتار المكعبة. ووادي الريان يسع الفي مليون اخرى فضلاً عن كونهِ يقي الوجه البحري من الغرق اذا زاد فيضان النيل عن الحد . وحضضت على انشاء خزان وادي الريان لكي يصير مخزنًا لما يزيد من مياه الفيضان حالما تتم الاعمال التي يراد عملها في النيل الابيض لتزيد بها المياه الصيفية. واشرت ايضًا بعمل اعمال تحوُّطية على فرع رشيد من فرعي النيل وقاية للوجه البحري اذا زاد الفيضان في سنة من السنين . وختمت خطبتي بقولي " انهُ حينما تصير المياه الاضافية من اعالي البحر الابيض كافية حتى تغني عن وادي الريان يصير وادي الريان منفذًا لما يزيد من مياه الفيضان كما كانت بحيرة مورس في الزمن القديم فيضمن الري الصيفي لمصر وتأمن شر الغرق "

وانتقد السر وليم جارستن اقوالي في كتابهِ النفيس عن "حوض النيل الاعلى" فاستحسن تعلية خزان اصوان وقال ان نفقات تعليتهِ لا تزيد على نصف مليون جنيه واستحسن ايضًا الاعمال التحوطية على فرع رشيد ولكنهُ لم يستحسن استخدام وادي الريان خزانًا . وحث ايضًا على اصلاح مجرى البحر الابيض حالاً وعلى الاخذ في مشروع من المشروعات التي ذكرها في كتابهِ

ولو شُرع في تعلية الخزان وحفر الترعة الى وادي الريان في الوقت الذي شُرع فيهِ بعمل الفرش امام الخزان لكان ذلك من خير الاعمال للقطر المصري فكنا نرى الخزان قد عُلي الآن الى الارتفاع الذي هُندس لهُ وفيهِ الفا مليون متر مكعب من الماء والترعة الموصلة الى وادي الريان قد تمت وذلك الوادي مثل بحيرة مورس في الزمن القديم منفذًا لما يزيد من مياه الفيضان في الزمن الذي يبلغ فيهِ الفيضان حد الغرق ويتضاعف الماء المخزون للري الصيفي ويؤمن خطر الغرق وتكون الاموال التي انفقت على ذلك من خير ما انفقتهُ مصر منذ ايام الملك امنهوتب الذي انشأ بحيرة مورس وووقى بها القطر المصري من غائلة الغرق منذ اربعة الاف سنة

ولكن ذلك لم يقع ولا يزال خزان اصوان مقتصرًا على خزن الف مليون متر من الماء

وقد شُرع في اعمال يقتضي اتمامها خمس سنوات او ست سنوات لتعلية الخزان سبعة امتار وتعريضهِ خمسة امتار حتى يزيد ما يسعهُ الآن الف وثلثمئة وثلاثين مليوناً من الامتار المكعبة بنفقة مليون ومئة الف جنيه . ولو علّي ستة امتار فقط حسب هندستهِ الاولى لما احتاج الى التعريض ولتمت تعليتهُ في ثلاث سنوات ولما زادت نفقات تعليتهِ على نصف مليون جنيه ولوسع الف مليون متر اخرى . فقد زيدت النفقات الآن ستمائة الف جنيه لكي يزيد ما يسعهُ ثلثمائة وثلاثين الف متر مكعب فقط وهذا الاسراف في الوقت والمال مما لا ترضى بهِ الحكومة في الوقت الحاضر . والزيادة في العرض البالغة خمسة امتار ستبنى على الفرش الذي امام الخزان لا على اساس معدّ بنوع خاص ليحتمل هذا الحائط الثقيل الذي يتغير الضغط عليهِ دواماً ولذلك يكون هذا الحائط مثل رقعة تضاف الى وجه الخزان وتربط بهِ بقضبان من الحديد فاذا استراح جانب من هذا الحائط كما يرجح مزق وجه الخزان لا سيما وان وجههُ ليس من نوع البناء الذي داخلهُ . والراسخ في ذهني ان بناء سدود الخزانات الكبيرة يجب ان يكون من نوع واحد لكي يقوى على احتمال ضغط الماء الذي يزيد وينقص دواماً . ثم ان سد الخزان في حالتهِ الحاضرة يقوى على تعليتهِ ستة امتار كما شهد كل مهندسي الري في هذه البلاد . وقد خفي عليَّ السبب الذي جعل السر بنيامين باكر المهندس المستشار للحكومة المصرية يشير بتعليتهِ سبعة امتار بعدما مانع في تعليتهِ ستة امتار . ولقد كان يجدر بهِ ان يشير بتعليتهِ خمسة امتار بدلاً من ستة لزيادة الامن . ولا ارى سبباً جعلهُ يشير بما اشار بهِ الاَّ التخلص من الموقف الحرج الذي وقف فيهِ اولاً لما عارض السر وليم جارستن في تعليتهِ . وهاكم ما قالهُ السر وليم جارستن في انتقاد رأيي في الجريدة الرسمية قال

"بحثت في تقريري الحديث "عن حوض النيل" في آراء السر وليم ولككس ووافقتهُ على تعلية خزان اصوان ستة امتار فوق الحد الحالي الذي يمكن رفع الماء اليهِ الآن وقبلما وافقتهُ على ذلك اطلعت على حسابات المستر وب ومهندسيهِ ووثقت ان الخزان يحتمل هذه التعلية من غير اقل خطر بناء على كل النظريات المقبولة في بناء الخزانات"

والمرحوم السر بنيامين باكر كان رجلاً عظيماً ومعتاداً الاعمال العظيمة فاذا غلط فغلطتهُ عظيمة ايضاً وستضطر مصر ان تدفع ستمائة الف جنيه من اجل هذه الغلطة . ولكن البواطن لا تخفى والمهندسون المستقلون في هذه البلاد الذين يعرفون تاريخ الخزان يهزأُون بذلك

ستأتي البقية

اطيان شركة العربية

دعا مديرو هذه الشركة جماعة من اصحاب الاطيان الواسعة وارباب الصحف الافرنجية والعربية لمشاهدة اطيانها وما عملتهُ من الاعمال الهندسية الزراعية. فلبى الدعوة نحو ثلاثين نفساً وساروا بقطار خاص الى رأس الخليج وكان النهار من اجمل ايام الخريف في هذا القطر نسيم لطيف وشمس تحجبها الغيوم الرقيقة تارة وتنقشع عنها اخرى حتى اذا وصلنا الى اطيان الشركة ركبنا مركبات تجرها البغال على قضبان الحديد وسرنا في الاطيان من اولها الى آخرها وكان مدير الشركة العام سعادة منصور شكور باشا ومفتشو اعمالها معنا يشرحون لنا ما نراهُ ويجيبوننا عما نسألهم عنهُ فاقمنا في الاطيان نحو خمس ساعات قضيناها في المشاهدة والبحث والاستقصاء. وهاك خلاصة ما وقفنا عليهِ

للشركة نحو ٨٦٩٠ فداناً اكثرها بور لا يزرع لكن ارضها منبسطة تمام الانبساط فيسهل تقصيبها بقليل من النفقة. وقد قصبت جانباً كبيراً منها على قرب عهدها بشرائها. وتربتها طمي ضارب الى الصفرة ليس فيهِ من الاملاح سوى ملح الطعام السهل الذوبان فغسلها واصلاحها قريبان جداً. والواقع ان الارض تقصب وتزرع ارزاً سنة واحدة واذا لم يتيسر زرع الرز فيها بعد تصاحيها لضيق الوقت زرعت ذنيبة وتزرع رزاً في السنة التالية ثم تزرع البرسيم بعد الرز فينبت فيها كلها ويجود وتصير صالحة لزرع القطن. وقد قيل لنا ان الاطيان التي زرعت قطناً هذا العام حاسب بعضها على سبعة قناطير وبعضها على اربعة او خمسة ورأينا شاباً واقفاً في غيطهِ وهو مزروع برسيماً وبرسيمهُ جيد فمشينا اليهِ وسألناهُ لمن هذا الغيط فقال لابي اشتراهُ من الشركة فقلنا لهُ بكم اشترى الفدان فقال بمئة جنيه فقلنا اذا كانت الارض زراعية من قبل فقال كلاَّ ولكنها قصبت وزرعت رزاً مرة واحدة فاشتراها ابي ودفع ربع الثمن وسنزرعها قطناً بعد البرسيم. ثم تمامل فقلنا لهُ ما لك فقال سنزرعها قطناً ولكنني لا اظن انها توفي المال. فقلنا وكم هذا المال لا نظن ان الضريبة كبيرة على هذه الاطيان. فقال كلاَّ ولكن مرادي القسط الذي يجب ان ندفعهُ للشركة. فقلنا لهُ انكم تزرعون ثلث الاطيان التي اشتريتموها قطناً فان كان محصولهُ يوفي قسط الاطيان كلها او اكثرهُ فتكونون قد اشتريتم ثروة ليس اربح منها فتبسم وقال ان شاء الله

وقد باعت الشركة حتى الآن نحو ٣٦١ فداناً من اطيانها بثمن اكثرهُ ١٧٠ جنيهاً الفدان واقلهُ مئة جنيه ومجموعه ٤٣٥٥٣ جنيهاً ومتوسطهُ اكثر من ١٢٠ جنيهاً الفدان وهو

بثمن جيد جدًّا ولكن جانباً من الاطيان المبيعة كان يزرع قبلما اشترتهُ الشركة

قلنا ان الاطيان منبسطة ومعدنها جيد ولكن فيها علة لم يكن التغلب عليها سهلاً لغير شركة كبيرة وهي علة الصرف فان جانباً صغيرًا من الاطيان يصرف بالراحة على ارتفاع من متر الى متر ونصف والجانب الاكبر لا يصرف بالراحة لانهُ لا يعلو الآن عن سطح المصرف العمومي سوى نصف متر فاضطرت الشركة ان تقيم وابورات كبيرة للصرف وقد حفرت للاطيان مصارف عميقة جدًّا وهي ترفع الماء منها بالآلات الرافعة وتصبها في المصرف العمومي والآلات من النوع الذي يوقد فيهِ فحم الانثراسيت فنفقاتها قليلة بالنسبة الى غيرها . وقد قيل لنا ان نفقات صرف الفدان الواحد لا تزيد في السنة على اربعين غرشاً وقد تكون ثلاثين غرشاً فقط فهي نفقة قليلة جدًّا بالنسبة الى فائدتها وبالنسبة الى ما ينفق عادة على ري الاطيان العالية . ثم ان الصرف بالآلات خاضع لارادة المالك وغير متوقف على عمق المصرف العمومي وتطهيرهِ وارادة رجال مصلحة الري وتعللاتهم الكثيرة وحسبهُ فائدةً انهُ يصرف الاطيان على عمق مترين او اكثر فتنغسل وتحلو في سنة او سنتين بينما ان الارض التي لا تصرف الاَّ على عمق متر قد لا تحلو في ثلاث سنوات او اربع

وهذه الاطيان قسمان كبيران يفصل بينهما ارض للحكومة مساحتها نحو اثني عشر الف فدان وهي منبسطة مثل اطيان الشركة ومن معدنها فاذا تيسر للشركة ان تشتريها من الحكومة بثمن معتدل كان ذلك صفقة رابحة جدًّا لان الاعمال الابتدائية التي عملت حتى الآن تغني عن كثير من الاعمال اللازمة لاطيان الحكومة . وقد بلغنا ان الشركة ساعية الى ذلك وحبذا لو تساهلت الحكومة معها لان احياء الارض الموات الواسعة النطاق لا يتيسر الاَّ باعمال عظيمة يعجز عنها الافراد ولا يقدر عليها الاَّ الشركات وقد اصبح إحياء الاراضي البور ضربة لازب ولو لم تزرع الاَّ زراعة شتوية لان الحبوب التي تستغل الآن من القطر المصري لم تعد تكفي سكانهُ وجانب كبير من ماء النيل يذهب في الشتاء هدرًا فلا تعذر الحكومة اذا بخلت بهذا الماء لري الارض البور وزرع المزروعات الشتوية

النيترو بكتيرين في الزراعة

وصفنا في الجزء الماضي الطريقة التي استنبطها الاستاذ بتملي لتطعيم التقاوي بنوع من الميكروبات فتجود حتى في الصحاري القاحلة لان هذه الميكروبات تأخذ لها غذاءها النيتروجيني من الهواء . وقد اتفق المستر ستد صاحب مجلة المجلاَّت الانكليزية مع الاستاذ بتملي على ان

يأخذ منهُ هذه المستنبتات الميكروبية ويبيعها بثمن بخس جدًّا لكل من يطلبها منهُ وهذا الثمن هو خمسة شلنات لكل جالون من المستنبت والجالون يكفي لتطعيم عشرة افدنة فتكون نفقة تطعيم الفدان غرشين ونصف غرش

وقال الاستاذ بتملي في كراسة نشرها في هذا الموضوع " ان في التراب عشرة عناصر لازمة لنمو النبات وخصبهِ سبعة منها توجد بكثرة في كل تربة وثلاثة قليلة في بعض الاراضي وهي النيتروجين والفصفور والبوتاسيوم والارض التي تكرَّر زراعتها نقلَّ منها هذه العناصر جدًّا فتفتقر اليها . وقد حللت الارض الزراعية في اميركا فوجد في الفدان منها ٢٦٠٠ رطل من النيتروجين و٤٨٠٠ رطل من الحامض الفصفوريك و١٣٤٠٠ رطل من البوتاسا فاذا زرع قمحًا وبلغت غلتهُ ٢٨ بشلاً او نحو ٥ ارادب اخذ القمح منهُ نحو ٥٩ رطلاً من النيتروجين و١٩ رطلاً من الحامض الفصفوريك و٢٧ رطلاً من البوتاسا

"ولا خوف من افتقار الارض الزراعية الى الفصفور والبوتاسا لسهولة الحصول على الاسمدة التي فيها فصفور وبوتاسا واما السماد النيتروجيني فقليل والموجود منهُ الآن وهو الغوانو (اي زرق الطيور البحرية) ونيترات الصودا يكادان ينفدان . ولكن ظهر ان النباتات التي من نوع القطاني كالفول والترمس تستمد النيتروجين من الهواء بواسطة بعض الميكروبات" وعلى هذا الاكتشاف المهم بني استخدام النيترو بكتيرين في الزراعة على ما ابنّاهُ في الجزء الماضي

موسم القطن المصري

اتضح الآن ان موسم هذه السنة ليس كبيرًا كما قدر اولاً رغمًا عن اتساع زراعة القطن . فقد بلغت مساحة الاطيان المزروعة قطنًا ١٦٠٣٢٢٤ وكانت في الموسم السابق ١٥٠٦٢٩٠ فالزيادة في مساحة الارض نحو مئة الف فدان ولكن موسم القطن لا يزيد عن الموسم الماضي وقد يقلّ عنهُ . وقد كانت مساحة الاطيان التي زرعت قطنًا سنة ١٦٠٥ نحو ١٥٦٦٠٠ اي اقل من الاطيان التي زرعت قطنًا سنة ١٩٠٦ بنحو ستين الف فدان . ومن سنة ١٨٩٨ الى الآن زادت مساحة الارض المزروعة قطنًا اكثر من الثلث فانها كانت ١١٢١٢٦١ فدانًا فصارت نحو ١٦٠٠٠٠٠ فدان لكن كمية المحصول لم تزد سوى السدس كأن جانبًا كبيرًا من الارض التي زرعت قطنًا ارض جديدة لا يجود القطن فيها



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناه ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من أصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

جورج سبيرو

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف الاغر

غدوت ممنوناً لما جاء في مجلتكم الزاهرة في شهر دسمبر من تقريظ وانتقاد لكتابي المسمى بجورج سبيرو الذي قد عنيت بتعريبهِ غير انهُ اسمحوا ان اسرد على صفحات مقتطفكم الاغر هذه الكلمات الوجيزة ايضاحاً للحقيقة التي يجدُّ وراءها كل محب للعلم مثلكم فاقول:

ليس للفلكي كاميل فلاماريون كتاب يدعى بجورج سبيرو ولم اتصرف في تعريبهِ مختزلاً سالكاً طريقاً سار عليها للان السواد الاعظم من كتبة لغتنا العربية خطة لم ترق لديكم ولم يستحسنها كل اديب غير ان ما ظننتموهُ كتاباً لم يكن بالحقيقة الاَّ رسالة صغيرة الحجم كبيرة الفائدة من جملة اوضاع ذلك الفيلسوف

فعوضاً عن الاختصار قد اضفت على تلك الاسطر شروحاً وفصولاً كاملة كفصل الحياة في العوالم الاخرى وغيرهِ واقتطفت موضوعها من عدة مؤلفات لذلك العلامة متبعاً فيها اراءهُ حرفيّاً حتى غدت تلك الرسالة كتاباً

فالاقبال الذي نراهُ في الشرق على ابتياع الكتب ولا سيما العلمية منها .... وصعوبة الموضوع لتعلقهِ باهم المسائل كالبحث في المادة والقوة والروح والخلود والحياة في العوالم الاخرى كل ذلك حملني ان اجمل تلك الرواية في قالب عربي توخيت فيهِ تقريب اعتقادات فلاماريون للاذهان وهذا عذر يعذرني عليهِ حتى المؤلف نفسهُ الذي نحا هذا النحو في كتاباتهِ للجمهور وكنت على رأي له تاس الشاعر الايطالي كطبيب زخرف الكاس ليسهل تداول الدواء

زاكي زفل

الحكومة الشوروية

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

طالعتُ المقالة التي خطتها يراعة العالم النحرير السيد البكري وموضوعها الحكومة الشوروية فرأيتهُ قد جاهر فيها بما قالهُ الفلاسفة الاجتماعيون وهو ان الحكومة الشوروية ارقى انواع الحكومات الثلاث الاستبدادية والملكية المقيدة والشوروية وانها لا تكون الأَ في الامة المرتقية التي استردَّت حقوقها كلها · وقد صرَّح في كلامهِ ان الامة التي حكومتها شوروية ارقى من الامة التي حكومتها ملكية مقيدة وهذه ارقى من الامة التي حكومتها استبدادية لان الامم على ثلاث حالات منحطة ومرتقية بعض الارتقاء ومرتقية كل الارتقاء

ثم ابان سماحتهُ ان حكومة الامم الاسلامية كانت من النوع الثالث اي شوروية في الصدر الاول زمن الخلفاء الراشدين . ولا شبهة انها الآن من النوع الاول في اكثر الممالك الاسلامية وان تحطتهُ فمن النوع الثاني الأَ في بلاد الفرس حيث حاولت هذا العام ان تصير من النوع الثالث وقد كانت هناك الى الآن من النوع الاول اي الاستبدادي. ثم اذا راجعنا تاريخ الامم الاسلامية شرقاً وغرباً رأينا ان الحكومة الشوروية لم تدم نصف قرن ثم انقلبت الى حكومة استبدادية او ملكية مقيدة · والنتيجة التي لا مفرَّ منها حسب مقدماتهِ ان هذه الامم كانت مرتقية في الصدر الاول ثم انحطَّت حالاً وعادت الى حال "الطفولية والجهالة" كما قال سماحتهُ . فهل الامر كما قال او ان الحكومة التي كانت في الصدر الاول لم تكن حكومة شوروية حقيقية بل لم تكن حكومة بالمعنى الذي نفهمهُ الآن اي نتيجة حال الامة بل كانت حالةً طارئةً على الامة لاسباب خصوصية فحالما ضعف تأثير تلك الاسباب عادت الامة الى الحكومة التي تستحقها

ثم ان سماحتهُ قد خالف في اواخر مقالتهِ المبادئ التي قرَّرها في اوائلها فقاد المبادىء التي قرَّرها في اوائل مقالتهِ ان الامة التي ترتقي تسترد حقوقها جميعها وتقيد حكومتها باستشارتها في كل عمل . ثم قال ان الاحتلال جاء فنزع الحكومة الشوروية من البلاد المصرية . اي ان الامة المصرية كانت قد ارتقت فاستحقت الحكومة الشوروية ونالتها ولم يكن الأَ بضع سنوات حتى جاء الاحتلال ونزع منها ما نالتهُ باستحقاقها فلم تستطع ان تحتفظ بهِ وهو القائل قبيل ذلك ان " الامية غالبة الآن على الناس " وان " الجهالة هي ام

الاسباب في كل ما ألمَّ وبلمُّ بهذه البلاد" ومع ذلك يكون الانكليز هم السبب في نزع الحكومة الشوروية . اليس الاقرب الى العقل ان تكون الحكومة الشوروية التي اعطيت للامة في اخريات ايام الخديوي اسمعيل باشا حكومة مستعارة لم تتصل الامة اليها بالارتقاء الطبيعي الذي ذكرهُ في اول مقالتهِ فلما زالت اسبابها زالت هي ايضاً . وقد اكون مخطئاً في ما ذكرت ولكن مقدماتهِ ونتائجهُ لا ترتبط الا بهذا الفرض اي انهُ قد تدعو الدواعي الى اعطاء امة حكومة شوروية وهي لم تستعدَّ لها فلا تلبث تلك الحكومة حتى تزول وتعود الامة الى الحكومة التي تستحقها مصداقاً للحديث الشريف " كما تكونوا يولَّى عليكم " وقد وقع ذلك في عهد الخلفاء الراشدين ووقع ايضاً في اواخر حكم اسمعيل باشا واوائل حكم توفيق باشا فارجو من سماحتهِ ان يزيدنا بياناً في هذا الباب ولهُ الاجر والثواب .

ولا يظنَّنَّ سماحتهُ انني اقصد انتقاد كلامهِ او التعقب عليهِ . كلاَّ فان غرضي اظهار حقيقة جوهرية لانهُ ان كانت بلادنا قد اضاعت الحكومة الشوروية التي اعطيت لها في اواخر ايام اسمعيل باشا لانها كانت غير مستعدة لها فهي الآن ليست اكثر استعداداً مما كانت حينئذٍ ولا شعورها الوطني اكثر تنبهاً فتكون النتيجة اننا اذا أُعطينا الحكومة الشوروية الآن نفعل بها ما فعلنا بتلك . وعلى كلٍّ يحتاج الموضوع الى زيادة بحث وتحقيق

طالب حقيقة

الكنغرو

جناب الدكاترة اصحاب المقتطف

رأيت بمجلتكم في المجلد الثاني والثلاثين صفحة ١٠٢٩ في باب المسائل سؤالاً من حضرة مصطفى افندي عثمان عن حيوان رآهُ بالمركز المذكور ويريد معرفة اسمهِ فكان الجواب ان اسم هذا الحيوان (الكنغرو) ومن بعض اوصافهِ ان لهُ كيساً في بطنهِ تقيم فيهِ صغارهُ مع ان الحيوان المذكور الذي رئي في الناحية المذكورة ليس فيهِ هذا الكيس فارجوكم افادتي عن اسم هذا الحيوان

احمد عزى

ملاحظ بوليس مركز ابو قرقاص

[المقتطف] يظهر ان الحيوان الذي رأيتموهُ ولم تروا فيهِ الكيس لحمل الاناث هو الذكر لا الانثى

باب التقريظ والانتقاد

الاحتفال بالمنار

يعرف قراء المقتطف كلهم او جلهم جريدة المنار التي تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران . ولقد رحب المقتطف بها حين صدورها منذ عشر سنوات وسرَّهُ نجاحها المستمر في خدمة الحرية الدينيَّة ومحاربة البدع والاضاليل

وفي مصر فاضل يعلي شأن الاصلاح الديني وينوّه بهِ وهو اسمعيل بك عاصم فلما اتمَّ المنار السنة العاشرة من انشائهِ أولم لمنشئهِ العالم المحقق السيد رشيد رضا وليمة فاخرة دعا اليها اصحاب المجلات العربية وخطب فيهم خطبة نفيسة وصف بها المجلات العلميَّة الادبيَّة احسن وصف ووفَّى المنار حقَّهُ من المدح وذكر فقرات من العدد الاول منهُ حيث قال ان وظيفتهُ "الحث على تربية البنات والبنين واصلاح كتب العلم وطريقة التعليم وشرح الدخائل التي مازجت عقائد الامة وشبَّهت الحق بالباطل حتى صار انكار الاسباب ايمانًا وترك الاعمال المفيدة توكلاً ومعرفة الحقائق كفرًا والتسليم بالخرافات صلاحًا واختبال العقل ولايةً والخنوع تواضعًا والتقليد الاعمى علمًا وايقانًا . واقناع ارباب النحل المتباينة بان الله تعالى شرع الدين للتحاب والتواد والبر والاحسان وان المعارضة والمناصبة تفضي الى خراب الاوطان" وشكر الذين لبُّوا دعوتهُ على ما افادوا بهِ الوطن بمجلاتهم

فردَّ عليهِ حضرة صاحب المنار ردًّا وجيزًا كلهُ حكمة وتواضع وكأن شعورهُ بهذا الاكرام اضطرَّهُ الى الايجاز وهو اللسن البليغ المعاني الفصيح المقال . واوحى الينا كرم المحتفل وفضل المحتفَل بهِ كلمات قلناها وقد حفظها حضرة المحتفَل بهِ واوردها في منارهِ باحسن مما اوردناها وهي نقلاً عن المنار

"عند ما قدم السيد رشيد رضا الى هذه الديار كتب اليَّ بعض اهل العلم (وذكر اسمهُ) كتابًا يقول فيهِ انهُ قد ظعن الى مصر عالم واسع الاطلاع قادر على البيان والافصاح عن علمهِ حرٌّ لا يخاف في ابداء ما يعتقد شيئًا . فلما اطلعت على العدد الاول والثاني من المنار جزمت برأي قلتهُ وكتبتهُ بعد ذلك غير مرة وهو ان اخواننا المسلمين سينظرون في المستقبل

الى صاحب المنار وكذا الى المفتي (يعني الاستاذ الامام) كنظر النصارى في اوربا الى لوثير وكلفن

" ذلك ايها السادة لان الدين لهُ اعظم تأثير في الاحوال الاجتماعية فما من مدنية قامت في العالم الا وكان اساسها الدين . اننا لا نبحث في اصول الاديان لاننا كلنا نعتقد انها من الله فهي فوق البحث ولكن فهم الناس للدين هو الذي يصدم عن المدنية او يسوقهم اليها فقد كان اهل اوربا يفهمون الدين المسيحي فهماً حال بينهم وبين العلم والمدنية عدة قرون وبعد ان قام فيهم لوثير وانصارهُ بالاصلاح الديني تغير فهم الناس للدين تغيراً كان مبدأ لمدنيتهم الحاضرة . وقد كان العرب من قبل يفهمون الاسلام فهماً دفعهم الى المدنية والعلوم ثم انقلبت الحال وصار المسلمون محتاجين الى اصلاح يجمع بين الدين والمدنية وان صاحب المنار هو الذي اخذ على نفسهِ القيام بهذا الاصلاح في مجلتهِ المنار التي اجتمعنا للاحتفال بها في هذه الليلة اجابة لدعوة صديقنا الخطيب الفاضل والمحامي الشهير اسماعيل بك عاصم . ان صاحب المنار يقاوم البدع والخرافات ويشرح الدين شرحاً يسهل سبيل المدنية ويهدم العقبات التي تعترض سالكيها ويبين كيفية سلوكها فهو يهدم ويبني في وقت واحد

"ثم ذكر ان هذا العمل يسر المسيحيين وغيرهم من سكان الشرق ويعدونهُ خدمة عامة لاخاصة بالمسلمين لانهم يعلمون ان الشرق الادنى لا يرتقي الا اذا ارتقى المسلمون اذ هم العنصر الاكبر فيهِ . واثنى على المحتفل لاجلهِ واشار الى ما لقيهُ من المصاعب وصبرهِ عليها وعلى اسماعيل بك عاصم بما يليق بغيرتهِ على العلم وحبهِ لهُ واكرامهِ لآلهِ "

هذا وخير ما يقال في هذا الاحتفال ان الفضل يعرفهُ ذووهُ فنهنئ رصيفنا الفيلسوف الحكيم صاحب المنار بما نال من اكرام جلة القوم لهُ ولمجلتهِ في كل الاقطار التي تقرأ فيها اللغة العربية . راجين ان يرى الاصلاح الذي يسعى اليهِ مشيد البنيان موطد الاركان

القاهرة والقدس ودمشق

CAIRO, JERUSALEM and DAMASCUS.

هذا كتاب اشتهر في العربية مع انهُ موضوع بالانكليزية لان مدارهُ عربي والبحث فيهِ عن عواصم البلادين العربيتين مصر والشام . وضعهُ صديقنا الفاضل الدكتور مرغوليوث استاذ العربية في مدرسة اكسفرد الجامعة شارحاً فيهِ صوراً ملوّنة وغير ملونه صوّرها المصوران

ترهوبت وبرّات وهي تمثل بعض المباني والآثار العربية في هذه العواصم الثلاث

وقد بحث المؤلف في تاريخ هذه العواصم بحث المؤرخ المحقق الذي لا يذكر القصص الموضوعة كأنها اخبار محققة ولا يورد المظنونات كأنها مرجحات ولا يلبس الامور المرجحة لباس الحقائق المقررة · اعتبر ذلك بما ذكرهُ عن تاريخ اورشليم عاصمة اليهود وقبلة المسيحيين حيث قال

" ان الزمن الذي كانت فيهِ هذه المدينة عاصمةً لبلاد اليهود كلها قصير جدًّا يشمل عصر داود وعصر سليمان · واذا اعتمدنا على نص التوراة ولم نوغل في تجريحها رأينا ان اولهما اخضع كثيرين من الشعوب المجاورة ووصل هذه المدينة بزمن التاريخ ولكن لا يعلم الزمن الذي كان فيهِ · والاعمال التي نسبت اليهِ لجعل هذه المدينة عاصمة لم تفصَّل تفصيلاً كافيًا لا يضاح ذلك · والظاهر ان اسمها اقدم من زمنهِ وانهُ وجدها كلها او بعضها في يد شعبٍ يسمى اليابوسيين وسميت بالاضافة اليهم · وقد ذُكر اسم البعض من رجال هذا الشعب بعد ما استولى على حصنهم · والمظنون ان هذا الحصن كان على تل ثم اضاف اليهِ تلالاً اخرى وسوَّر الجميع · والذين ساعدوهُ في فتح الحصن اخذوا المساكن التي وجدوها فيهِ وأُذن لغيرهم في بناء غيرها . والناس يسرعون للانضواء تحت لواء الغالب ولا بد من ان يكون سكان اورشليم قد كثروا قبل وفاة داود · ومن المؤكد على ما يظهر انهُ لم يبنِ هيكلاً لمعبود شعبهِ ولا بد من سبب لذلك فقال اليهود بعدئذٍ انهُ اسرف في سفك الدماء فحُرم من بناء الهيكل ولعل السبب الذي ذكرهُ الذين قبلهم كان غير ذلك "

نقول ولو ابقى ملوك اليهود في مدنهم آثارًا منقوشة ومكتوبة كما ابقى ملوك مصر وبابل واشور لكان الاستدلال على تاريخهم اسهل وادق نعم ان التوراة تذكر تاريخ اليهود واسلافهم بالتفصيل من الخليقة الى قرب زمن المسيح ولكن علماء التاريخ يفرضون انهم ليسوا يهودًا ولا نصارى ولا تابعين لملة اخرى وهم يبحثون في الاخبار التاريخية فيجرّحون تاريخ التوراة كما يجرحون تاريخ هيرودوتس ولا يقبلون منهما الا ما تؤيدهُ الآثار وينطبق على العقل ولا يناقض العلم وشأنهم في ذلك شأن الطبيب والفلكي والكيماوي والطبيعي

هذا ولنعُد الى كتاب الاستاذ مرغوليوث فنقول انهُ جعل اكثر من نصفهِ للقاهرة وقسم الباقي بين القدس ودمشق فذكر خلاصة تاريخ هذه العواصم الثلاث من حين انشئت الى الآن وخلاصة الاخبار المتعلقة بها ووصف اشهر مبانيها

والكتاب كبير يقع في نحو ثلثمائة صفحة كبيرة وقد اعتمد مؤلفهُ على ثقات الباحثين

والمؤرخين وذكر من كتبهم ومقالاتهم التي اعتمد عليها الخطط التوفيقية لعلي باشا مبارك ورسائل البعثة الاركيولوجية الفرنسوية في القاهرة ومقالات هرتز بك وتاريخ مصر الحديث اصديقنا جرجي افندي زيدان ومنشورات جمعية النقب في فلسطين وكتاب حسر اللثام· وحبذا لو اعتمد ايضاً على تاريخ الجبرتي ورسائل المستر باركر فانهما من اصح التواريخ الحديثة عما حدث في عصرهما كما اتضح لنا من مقارنتهما بغيرهما ونحن نكتب تاريخ محمد علي وابرهيم باشا في المقتطف · وقد ساعدتهُ زوجتهُ الفاضلة في كتابة الفصول المتعلقة بوصف المباني وقال انهُ لم يقرأ كتاب المستر لاين بول عن القاهرة لان كل من يطالع ذلك الكتاب النفيس تحدثهُ نفسهُ بالانتحال منهُ

وقد اهدى المؤلف كتابهُ الى دولة الاميرة الجليلة منشطة العلم والعلماء البرنسس نازلي هانم · وهو مطبوع طبعاً متقناً وصورهُ الملونة وغير الملونة من ادق ما رأيناهُ منشوراً في الكتب · وحبذا لو أُتحفت العربية بكتاب مثل هذا الكتاب

شلال اصوان

رسالة مسهبة للدكتور جون بول من ادارة المساحة الجيولوجية وصف فيها شلال اصوان والارض المجاورة لهُ وصفاً طوبوغرافياً وجيولوجياً وقدَّم لذلك مقدمة تاريخية واوضحها بالخرائط الملونة والرسوم الكثيرة · قال في التمهيد التاريخي ان هناك مدافن الدولة السادسة التي كانت قبل المسيح بثلاثة آلاف وخمس مئة سنة وهناك ايضاً آثار من ازمنة كل الدول المصرية التالية حتى البطالسة والرومانيين هذا فضلاً عن ان الحجارة التي نقشت فيها حوادث تاريخ مصر مجلوبة من هناك · ثم وصف الطريقة التي جرى عليها اراتستنس لمعرفة محيط الكرة الارضية من قياس المسافة بين اصوان والاسكندرية ومعرفة الفرق بينهما في العرض وذلك قبل المسيح بمئتين وثلاثين سنة · واراتستنس هذا ولد في كيرين سنة ٢٧٦ قبل المسيح واتى الاسكندرية بدعوة من بطليموس اورجيتس وجُعل حافظاً لمكتبتها ولهُ كتاب كبير في الجغرافيا وهو من الكتب المفقودة ولكن توجد منهُ اقتباسات في كتب غيره مثل كليوميدس وسترابون وبلينيوس

اما من حيث الصخور حول الشلال فاكثرها من الغرانيت اي من الصخور النارية والمتحولة ويغلب فيها الغرانيت الاحمر الذي منهُ اكثر المسلات والتماثيل المصرية وبعض المباني القديمة كالهيكل الذي قرب اهرام الجيزة · وتمتد هذه الصخور جنوباً مسافة ٢٣ كيلو

متراً ومع صخور الغرانيت صخور اخرى نارية وغير نارية وقد عُرّضت كلها لحركات ارضية عظيمة فاختلطت بعضها ببعض واستحالت من نوع الى آخر . وفوق الصخور النارية التي على الضفتين صخور رسوبيةٌ رملية وظفالية تكوّنت فوقها في الازمنة الغابرة بعد ان خمدت الافعال النارية

ورسوم هذه الرسالة جميلة جداً ولاسيما رسوم الحجارة بالوانها المختلفة حتى كأنها رخام صقيل

حياتنا الادبية

هو فصول في الفلسفة الادبية ألَّفهُ حضرة السري الاديب صالح بك حمدي حماد وتابع فيهِ القائلين ان اصول الآداب مودعة في الانسان فهي في نفسهِ وعقلهِ وان فكرة الخير عامة مطّردة في البشر وهي لازمة بالضرورة وغير ممكن ان تنفك عن النفوس البتة . ولا يخفى ان الباحثين في هذا الموضوع غير مجمعين على ذلك بل بعضهم يقول كما قال ابو الطيب

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلَّة لا يظلمُ

او كما قال بولس الرسول ان اردتُ ان افعل الخير ارى الشر حاضراً عندي . كنا نراقب في هذه الاثناء ولدين صغيرين صبياً وبنتاً عمر الصبي نحو سنتين وعمر البنت نحو اربع سنوات فرأيناها يكذبان ويخدعان ويحتالان ولو رآهما علماء الفلسفة الادبيَّة الذين يقولون ان اصول الآداب مودعة في نفس الانسان ولا تنفك عنها البتة لغيروا اعتقادهم ولكننا نرجح ان اخلاق هذين الطفلين تتهذَّب متى كبرا في السن اي تظهر فيهما الاخلاق الفاضلة التي اكتسبها اسلافهما بالاختبار كما ظهرت فيهما الصفات الطبيعية التي ورثاها من اسلافهما

وفصول الكتاب سبعة عشر ومن مواضيعها المسؤولية الادبية والحرية الادبية وواجبات الانسان نحو ذاتهِ وواجبات الزوجين وواجبات القرابة والصداقة وآداب الرؤساء والمرؤوسين والعدالة والاحسان والوطن والهيئة الاجتماعيَّة ووظيفة الحكومة وادب الحقوق الدولية الخ. وقد طبَّق المؤلف كل فصل منها على حالتنا الاجتماعيَّة فانتقد او حث او نصح حسب ما رآهُ لازماً . من ذلك انهُ صوَّب الانتظام في الجندية ولام المصريين لانهم ينفرون منها مع ان جمهوراً من فلاسفة العصر وتولستوي الفيلسوف الروسي في مقدمتهم يقولون ان الجندية من اكبر الويلات على نوع الانسان ويغرون اتباعهم بالامتناع عن الخدمة العسكرية ويعيرون الحكومات لانها تنفق اموال الامة في سبيل تمرين رجالها على قتل غيرهم . قال المؤلف " والذي يشاهد فرح الشبان المقترعين في البلدان الاوربيَّة وعائلاتهم عند الانخراط في

سلك الجندية ليأسف على تلك الاحوال الشائنة المزرية التي تشاهد لدينا من مناحات العائلات وتكدر نفوس الشبان الذين يؤْخذون لهذه الخدمة الوطنية الشريفة بل المدرسة التهذيبيَّة الجليلة " . وقد اصاب في انهُ لا يليق باحد ان ينوح ويندب على اخذ ابنهِ للعسكرية ولا يليق بشاب يؤْخذ لهذه الخدمة ان يظهر الجبن والاسف الشديد . ولكن الحق يقال اننا لم نرَ الاوربيين يسرون باخذهم للعسكرية بل يسلمون بذلك كواجب لا بدَّ لهم من قضائهِ فيذهبون الى الخدمة العسكرية كما يذهب العامل في الصباح الى المعمل حيث يتعب ويكدح لعيالهِ . وبعضهم يفتدون انفسهم بالبدل . والانكليز الذين الخدمة العسكريَّة عندهم غير اجبارية يحتالون على الشبان احتيالاً بالمشروبات والرشى حتى يكتبوا اسماءهم في الجندية وكثيرون من هؤُلاء يندمون على ما فعلوا ولكنهم لا يعودون يستطيعون التخلص مما ارتبطوا بهِ . ولا شبهة ان الجنديَّة مكروهة بنوع عام وهي من الشرور التي لا بدَّ من ازالتها حالما تكسر شوكة المتنفعين منها وتتعلَّم الممالك ان تحكّم العدول في فصل خصوماتها كما يحكّم الناس القضاة في فصل خصوماتهم . وسيحتقرنا ابناء العصور التالية على تقريرنا نظام الجندية اكثر مما نحتقر الفراعنة الذين سخروا رعاياهم لبناء الاهرام

والكتاب يقع في مئتي صفحة وهو كثير الفوائد فنثني على همة مؤَلفهِ الفاضل

كتاب صحة الانسان

في وقاية الاسنان

وضع هذا الكتاب طبيب الاسنان خليل افندي حداد الحائز على الشهادة القانونية من المكتب الطبي السلطاني . وقال انهُ اقتطفهُ من كتب اشهر الاطباء الذين كتبوا في هذا الفن واضاف اليهِ ما عرفهُ بالتجارب العديدة التي مرَّت بهِ اثناء معاطاتهِ طب الاسنان

والقسم الاول من الكتاب في وصف الاسنان وتشريحها وكيفيَّة نموها وهو علمي والثاني في امراضها والوقاية منها وهو عملي مفيد لجمهور القراء . ومن الوصايا التي ذكرها المؤَلف لحفظ الاسنان وسلامتها من الامراض

(١) اجتناب المأكولات والمشروبات البالغة من السخونة درجة زائدة

(٢) اجتناب المشروبات البالغة من البرودة حدًّا زائدًا

(٣) عدم استعمال المآكل والمشروبات السخنة والباردة بالتعاقب

(٤) تقليل شرب التبغ والامتناع عنهُ اذا امكن ولاسيما وقت الجوع

(٥) اجتناب كل المواد الشديدة الحموضة وغسل الفم بعد اكل الحوامض

(٦) اجتناب المآكل الحلوة الى درجة زائدة لان لها تأثيرًا مضرًّا في الاسنان

(٧) نزع بقايا الاكل عن الاسنان بواسطة الريش المعروف ويجتنب استعمال الدبابيس خوفًا من الجرح والتهاب اللثة

(٨) يجتنب تكسير الاشياء الصلبة بالاسنان او رفع شيء ثقيل بها لانهُ يجعل من ذلك رضة في السن تؤثر في عصبهِ تأثيرًا لا تحمد عقباهُ

(٩) يجب على كل احد ان يحضر الى طبيب الاسنان مرةً على الاقل كل ثلاثة اشهر ليفحص اسنانهُ جيدًا و يعطيهُ الدواء اللازم لها حتى اذا وجد نقدًا يسرع في حشوهِ قبلما يتسع ويتصل الى العصب وهي الواسطة الوحيدة لحفظ الاسنان

والوصية السادسة وهي اجتناب اكل المآكل الحلوة اشار بها البعض وقالوا ان الامم التي تكثر من اكل السكر يكثر النقد في اسنانها . ولكننا لا نرى ما هي العلاقة بين اكل الحلويات وآفات الاسنان ولا نظن ان الاستقراء يؤيد هذا القول

والوصية التاسعة تفيد اطباء الاسنان اكثر مما تفيد غيرهم . وخير منها ان يوصى الناس لكي يستعملوا اسنانهم استعمالاً يقيهم من مشاهدة طبيب الاسنان ولو مرةً في العمر فان الفلاحين في مصر والعرب في البادية والزنوج في افريقية يشبون و يشيخون واسنانهم بيضاء كاللؤلؤ وصلبة كالصوان لانهم يعتدلون في طعامهم وسهرهم واستعمال قواهم العصبيَّة

وفي الكتاب فوائد اخرى كثيرة وهو يطلب من المكتبة الكلية في بيروت لصاحبها سليم افندي ميداني

خزانة الادب

في قواعد لغة العرب

هذا الكتاب من اوسع كتب النحو واحسنها وضعاً واسهلها مأخذًا اذا دخل ابوابهُ الطالب بعد ان يدرس كتابًا ابتدائيًّا في الصرف والنحو كالاجرومية وشرحها حتى يعرف مصطلحات الفن وجد فيهِ كل ما يحتاج اليهِ طالب علم النحو من قواعد وامثلة وتمارين ويخرج منهُ وقد عرف قواعد الاعراب ومرن على الانشاء البليغ . لكنهُ لا يخلو من شيء من التساهل او الخطإِ ولاسيما في اوائلهِ كقولهِ في تعريف الاسم في الصفحة الثالثة " انهُ ما وضع للدلالة على الذات " فان هذا التعريف لا يشمل المصادر

واسماء المعاني كالضرب والقتل والمحبة والفضيلة · وكقولهِ في تعريف الفعل انهُ "ما وضع للدلالة على الحدث" فان هذا يصلح ان يكون تعريفاً للمصدر لا للفعل · وكقولهِ في تعريف الاسم ثانيةً في الصفحة التاسعة انهُ "ما افاد معنىً في نفسهِ خالياً بحسب وضعهِ من الزمان" فقولهُ خالياً خالف فيهِ التعريف المشهور بل خالف الشرح الذي علقهُ على هذا التعريف وهو ما يدلُّ على مجرَّد الزمان لا على معنىً مقترن بهِ فكلمة مقترن اوغيرمقترن اصلح كلمة لهذا الغرض · ومن هذا القبيل ذكرهُ عبارات صحيحة وطلبهُ من التلميذ ان يصلح ما فيها من الخطإ كقولهِ ماذا اظهر ألينًا ام عنادًا · وكقولهِ لن تبلغ ما تأمل الاَّ بصبرك على ما تكره · وحبذا لو خلا الكتاب من هذه الهفوات وان كانت قليلة يسهل اصلاحها في الطبعة الثانية . فلمؤلفهِ الفاضل الاستاذ قلتى اباديز الشكر الوافر على ما بذلهُ من العناية في تأليفهِ وتقريب قطوفهِ



باب المسائل

(١) فيضان النيل

رأس التين · محمد افندي رمضان الغولي · ذكر كثيرون من افاضل المؤرخين ومنهم لبسيوس وصاحب العقد الثمين ان الآثار التي أقيمت في جهتي قمنه وسمنه بوادي حلفا من ايام العائلة الثانية عشرة تدل دلالة واضحة على ان فيضان النيل كان يبلغ في ذلك العصر زيادة عما يبلغهُ الآن بنحو ثمانية امتار وكسور واليكم ما قالهُ العلاَّمة لبسيوس المذكور "كان فيضان النيل في عهد العائلة الثانية عشرة يزيد اكثر من فيضانهِ الآن في جهة سمنة وقمنه ٨ امتار و ١٧ سنتيمترًا وان زيادتهُ المتوسطة في عهد امنمحت الثالث تزيد على فيضانهِ الحالي سبعة امتار وقد وجد من الآثار ما يؤيد ذلك في ايام العائلة الثانية عشرة · فهل من سبب يعرف لتلك الزيادة العظيمة

ج المظنون ان مجرى النيل كان مسدودًا هناك بسد طبيعي او صناعي فكان الماء يعلو فوقهُ كما يعلو في خزان اصوان الآن · ثم انهُ اذا ارتفعت مياه الفيضان هناك ثمانية امتار فوق الحد العادي لا يستلزم ان ترتفع ثمانية امتار في سائر مجرى النيل لضيق مجراهُ هناك · ومن المحتمل ان الارض شخصت عند شلال سمنة بعد كتابة ذلك الفيضان فارتفعت لكن النيل عاد فعمَّق مجراهُ وبقي مكان الكتابة مرتفعاً · ولو ارتفع الفيضان كلهُ ثمانية امتار عن اعلى حد يصل اليهِ الآن لغمر

القطر المصري كلهُ وغرّق كل سكانهِ وخرَّب كل مبانيهِ

(٢) الشعوذة والسحر

هفانا بكوبا . الخواجه شكري نصر . قرأت المقالة المدرجة في الجزء التاسع والعاشر عن اسابيا بلاديو والتعليل عن القوة الفاعلة في امور مثل هذه . وقد رأيت اعمالاً تشبه اعمالها من رجل اميركي اسمهُ ديموند منها انهُ اتى بخزانة تسع اثنين ودعا ثمانية رجال من الحضور ليفحصوها وبعد ان فحصوها فحصاً مدققاً اتى بكيس من الكاوتشوك وادخل فيهِ امرأتهُ بعد ان ربط يديها الى الوراء بزنجير حديد مقفل وربط الحضور الكيس من الخارج وبصموهُ بالشمع الاحمر ثم ادخلوهُ الخزانة واقفلوها وربطوها من الخارج بحبال متينة وادخلوها داخل ستارة ودخل زوج المرأة معها ايضاً ثم عدَّ ثلاثاً فرأينا الرجل ضمن الكيس في الخزانة والمرأة خارجها . ومنها انهُ ربط بزناجير حديد مقفلة في رقبتهِ و يديهِ ورجليهِ ووسطهِ وأُدخل ضمن خيمة صغيرة وبعد برهة وجيزة خرج محلولاً من الجميع الا من الزنجيرين اللذين برقبتهِ فانهُ عجز عن حلهما حينئذٍ ولم يتمكن من حلهما الا بعد نصف الليل . وقد قال البعض ان هذه الاعمال شيطانية والبعض قالوا انها سحر اما انا فلا احسبها الا من قبيل التخيل والخداع ولكنني لا اعرف تعليلها فارجو ان تعللوها لنا وتخبرونا ما هو السحر

ج ان الكيس الذي رُبط وضع فيهِ خابور كبير في فوهتهِ لما زمت وربطت . وبسهولة ينزع الخابور منهُ فينزع الرباط عنهُ ثم يعاد اليهِ و يوضع الخابور في مكانهِ فيظهر كانهُ لم يفتح . وعلى هذه الصورة فتح الرجل الكيس وخرجت امرأتهُ منهُ ودخل هو بدلاً منها واعادت هي ربط الكيس والخابور . ولاحد جوانب الخزانة صائر يدور عليهِ كالباب وذلك الجانب ممكّن من طرفهِ المقابل بزنبلك غير ظاهر فاذا ضغطت عليهِ انفتح بسهولة ثم يعاد الى مكانهِ فينقفل الزنبلك و يظهر ان الخزانة لم تفتح . والزناجير التي تقفل يكون فيها حلقات تنفتح وتنطبق بزنبلكات فيها وما الاقفال سوى طرق للغش . والرجل الذي حاول فك الزنجير من عنقهِ فعل ذلك على سبيل الخداع ليظهر للمشاهدين انهُ فك بقية الزناجير بقوتهِ ومهارتهِ . اما السحر فحيل واخاديع تجوز على عقول السذج ولا تفوق في غرابتها اعمال مهرة المشعوذين

(٣) مصدر النيازك

نوفو هورزنت . الخواجه خليل اسطفان . لي صديق لا يصدّق انهُ يهبط شيء من السماء على الارض بل يقول ان النيازك هي من مقذوفات البراكين فما رأيكم في ذلك

ج ان ما يقولهُ صديقكم قال بهِ بعض علماء الطبيعة ايضاً ولا يبعد ان يكون بعض

الحجارة النيزكية من مقذوفات البراكين كالغبار البركاني الذي تقذفهُ البراكين في ثورانها ويقع في امكنة بعيدة عنها ولكن اكثر علماء الطبيعة على ان اصل النيازك من نجوم متكسرة او من مواد منتشرة في الفضاء ولبعضها مدارات معلومة بالحساب فيعلم وقت اقتراب الارض منها وجذبها لها

(٤) شفاء الحوَل

ومنهُ نسمع ان العين الحولاء يمكن ارجاعها الى اصلها وذلك بعملية جراحيَّة فهل هذا صحيح وهل يقدر على ذلك اي طبيب كان

ج ان الجراح الماهر او الطبيب الذي اعتاد الاعمال الجراحيَّة يستطيع ان يزيل الحوَل بعمليَّة جراحيَّة ولكن ليس كل انواع الحوَل يصلح بعملية جراحيَّة او يقتضي عمليَّة جراحيَّة

(٥) اللغة الاكثر انتشارًا

ومنهُ اي لغة عدد المتكلمين بها اكثر من المتكلمين باية لغة اخرى

ج الانكليزيَّة فان عدد المتكلمين بها الآن نحو ١٣٠ مليونًا . والعربيَّة تقرأ في كل البلدان الاسلاميَّة ولكن الذين يتكلمونها اقل من الذين يتكلمون الانكليزيَّة او الالمانية

(٦) تنبيه للمقتطف

مصر . احد المشتركين . المقتطف بحر زاخر جامع لعلوم الاوائل والاواخر فهو كنز للعلوم والمعارف ومجمع للتليد منها والطارف بل هو تاريخ للعلوم في جميع الايام وسيرها وتقدمها على ممر السنين والاعوام . . . . واني اتجاسر واقدم لكم الملاحظات الآتية لكي تلحظوها بعين الالتفات وهي

اولاً تبتدئون في بعض الاوقات في نشر فصول في علم من العلوم ثم تغفلونها بالكلية وذلك مثل ما نشرتم بعض الفصول الاولية في علمي الجغرافيا والميكروبات ثم تركتموها بالمرة مع اننا ننتظر دائمًا هذه المباحث الطلية حتى نستفيد منها ويكون لنا منها اخيرًا كتاب تام في كلٍّ من هذه العلوم

ثانيًا وعدتم بنشر جملة رسائل متتابعة في علم الفلك ولم تفوا بوعدكم

ثالثًا قليلاً ما تنشرون من الخطب والمباحث التي تلقى في الجمعيات العلمية المصرية مثل المجمع العلمي والجمعية الجغرافية الخديوية فكثيرًا ما يلقى فيهما خطب مفيدة جدًّا عن مصر والسودان فتغفلونها او تذهلون عنها قليلاً مع انهُ يجب ان تنشر هذه الخطب برمتها وفائدتها عظيمة للقراء ولا تخفى على حضرتكم كما اننا ننتظر ان تنشروا في المقتطف المقالات الآتية التي أُلقيت حديثًا وهي (١) مقالة السر وليم ولككس عن الخزانات والقطن في مصر (٢) مقالة عمر بك لطفي عن البنوك والمصارف وتاريخها (٣) مقالة احمد بك كمال عن مصر (٤) مقالة

احمد بك زكي عن تخيل العرب اكتشاف اميركا · ولا يخفى عليكم ان هذه المقالات نشرت في الجرائد اليومية لكن نشرها في المقتطف اعم وابقى

رابعاً لم نطالع في شهر دسمبر الحالي التاريخ السنوي الذي تعودتم نشرهُ في كل سنة وهو يحتوي سلسلة الحوادث العلمية والادبية والسياسية التي حصلت شهرًا شهرًا في العالم أجمع ولعلكم تنشرون هذا الفصل في عدد يناير المقبل واهميتهُ لا تقدَّر فهي تاريخ للعلوم والمعارف يمتاز المقتطف بنشرهِ وفي الختام ارجو ان تقبلوا مني فائق الاحترام واكم الرأي في نشر هذا في المقتطف لاني لا اقصد المدح ولا الانتقاد وانما اقصد الفائدة الحقيقية لي وللمشتركين

ج اننا نشكر حضرة السائل على ما تفضل بهِ من مدح المقتطف وعلى ما نبهنا اليهِ من العيوب وهو اهم في نظرنا من المدح ونستميحهُ في ابداء عذرنا واحتجاجنا عن الامور الاربعة التي ذكرها واحدًا واحدًا

اولاً اننا لا نتذكر اننا ابتدأنا ننشر فصولاً في علم من العلوم قاصدين ان نتمها حتى يصير من كلٍّ منها كتاب ثم اغفلناها. نعم اننا ننشر فصولاً ابتدائية في العلم الواحد ويكون قصدنا منها ايقاف القراء على المبادىء الاولية في ذلك العلم حتى يسهل عليهم فهم ما ننشر بعد ذلك فيهِ من الفصول او المقالات الاَّ اننا وعدنا غير مرة بالعودة الى موضوع من المواضيع في الجزء التالي ثم لم نعد اليهِ وذلك من قبيل السهو لا غير وقد نعد بالعود اليهِ في جزء تالٍ ثم لا نعود اليهِ الاَّ بعد زمن طويل لكثرة ما لدينا من المواد او لتفضيلنا الاهم على المهم او لاننا لا نجد فيهِ متسعاً للكلام · وما دام الغرض ملء المقتطف بالمباحث المفيدة فلا فرق بين ان تكون في هذا الموضوع او ذاك ما دمنا نتخير اكثرها فائدةً واقربها مأخذًا

وجوابنا عن الامر الثاني مثل جوابنا عن الامر الاول .

اما الامر الثالث وهو اهم مطالبكم فجوابنا عنهُ ان العادة المتبعة ان اصحاب الخطب والمقالات العلمية يرسلون نسخاً منها الى المجلات فتنشرها كلها او تلخصها وقد فعل السر وليم ولكس كذلك فبعث الينا بنسخة من خطبتهِ الاخيرة فترجمنا جانباً منها ونشرناهُ في هذا الجزء من المقتطف في باب الزراعة وسنتمها في الجزء التالي . اما الخطب الاخرى التي تشيرون اليها فلم يتكرَّم اصحابها علينا بنسخ منها . ثم انهُ يتعذَّر علينا ترجمة المقالات العلمية التي تكتب باللغة الفرنسوية ولا نستطيع ان نعتمد على ترجمة غيرنا لها. ولو كان المقتطف اضعاف ما هو لوجدنا من المباحث ما يملأهُ اما وهو نحو مئة صفحة فقط فنجتهد لكي نختار لها ما يستفيد القراء من قراءتهِ ولا يملونهُ

واما الامر الرابع وهو التاريخ السنوي فيكلفنا جمعهُ تعباً كثيراً وسنجتهد لكي نعود الى نشرهِ . ونكرر تقديم الشكر لحضرتكم لاجل غيرتكم على المقتطف واهتمامكم بكثير فوائدهِ



مياه القاهرة

لما كثرت الشكوى من مياه الشرب في القاهرة انتدبت الحكومة ثلاثة من الخبراء الاوربيين ليمتحنوها ففعلوا ذلك ورفعوا تقريرهم الى مجلس النظار في ٢٤ دسمبر فتقرر تشكيل لجنة برئاسة المستر وب وعضوية كل من اللورد ادورد سسل والمستر جرام ومحمد انيس باشا والدكتور ابرهيم حسن باشا وبوغص نوبار باشا لفحص التقرير المذكور وابداء رأيهم عن افضل الوسائل التي يلزم اتخاذها لاصلاح الماء

وخلاصة التقرير . اولاً ان مياه روض الفرج مرشحة جيداً في طبقات الارض التي تمرُّ فيها . ثانياً ان فيها قليلاً من الحديد والمنغنيس وبعض الطحالب ولكن ليس فيها ميكروبات مرضية ولا سبيل لوصول الميكروبات المرضية اليها من مجاريها الاصلية . وقساوتها (اي عدم رغي الصابون فيها) لا تضرُّ بالصحة . ثالثاً ان فيها حامضاً كربونيكاً فتؤَثر بانابيب الرصاص . رابعاً ان الآبار التي تستخرج منها غير موقية الوقاية التامة من وقوع الشوائب فيها . خامساً ان الانابيب التي تجري فيها دقيقة في الغالب وتنظيفها غير سهل والضغط عليها ليس كافياً لرفع المياه الى اعالي المنازل فيضطر اصحاب المنازل العالية ان يرفعوا المياه بطلمبات ويجمعوها في خزانات على السطوح فتتعرض لوقوع الشوائب فيها ولتولد البعوض

ولهذه الاسباب اشاروا بوقاية الآبار من ان تتطرق اليها الشوائب وبان يزاد ضغط الماء وتوسع الانابيب وتقلل انابيب الرصاص وتجدد انابيب الحديد القديمة ويحسن وصلها بعضها ببعض وبانابيب الرصاص

اما ماء النيل المرشح الوارد الى الجيزة والعباسية فيكتسب في بعض فصول السنة رائحة وطعماً غير مقبولين ناشئين عن وجود مواد عضوية وعن نمو وتحلل بعض انواع الاعشاب المائية وعدا ما ذكر لا يوجد في تركيبهِ الكيماوي او صفاتهِ الطبيعية ما يعترض عليهِ

ولكنهُ معرَّض للتلوث ببراز المصابين بالحمى التيفويدية والكوليرا وهو من اكبر بواعث العدوى بهذين المرضين فيجب ان يطهر من كل شائبة بالطرق الطبيعية والصناعية وتطهيرهُ الآن غير كافٍ ولذلك فمياه روض الفرج اسلم عاقبة من مياه النيل المرشح صناعيًّا اذا نظرنا اليهِ من الوجهة الوبائية

ويظهر لنا من مطالعة هذا التقرير انهُ اذا رشح ماء النيل الترشيح الكافي فهو افضل من ماء روض الفرج لانهُ خالٍ من ثلاثة عيوب موجودة في مياه روض الفرج الاول صحي وهو اذابتهُ الرصاص من انابيب الرصاص ولحام الانابيب . والثاني والثالث اقتصاديان وهما تديغ الثياب وقت غسلها بما فيهِ من الحديد والمنغنيس وقلة اذابتهِ للصابون وقت الغسل بهِ وللاطعمة وقت طبخها . ولكن اذا تعذر جرّ ماء النيل من اماكن يؤْمن تلوثهُ فيها بالمبرزات وتعذَّر ترشيحهُ ترشيحًا ينقيهِ من الميكروبات المرضية فماء روض الفرج اسلم منهُ عاقبةً وسنعود الى هذا الموضوع

جنازة لورد كلفن

نشرنا ترجمة لورد كلفن وصورتهُ في صدر هذا الجزء . وقد اراد الانكليز ان يكرموهُ ميتًا كما اكرموهُ حيًّا فدفنوهُ في وستمنستر مدفن ملوكهم وعظمائهم الى جانب نيوتن وهرشل وليل وسبنسود وداروِن الذين خلدوا اسماءهم في صفحات التاريخ بمكتشفاتهم العلمية . وسار في جنازتهِ كبار العلماء ونوَّاب المدارس والجمعيات العلميَّة من كل الاقطار وحضر الصلاة عليهِ دوق ارجيل نائبًا عن الملك والكولونل بغ نائبًا عن ولي العهد والماجور غرين ولكنصن نائبًا عن دوق كنوت اخي الملك ومحافظ لندن بحلتهِ الرسمية وكان ذلك في الثالث والعشرين من دسمبر

الدكتور جانسن

يوم كان علماء الانكليز يحتفلون بجنازة فقيدهم لورد كلفن توفي عالم كبير من علماء فرنسا وهو الدكتور جانسن الفلكي المشهور عن ثلاث وثمانين سنة . ولد بباريس سنة ١٨٢٤ ودرس الرياضيات والطبيعيات في مدرسة العلوم وجعل استاذًا للطبيعيات ورصد كسوف الشمس في ترانى سنة ١٨٦٧ واشترك مع سان كلر دفيل في بعض المباحث البصرية وفي رصد كسوف سنة ١٨٦٨ ووصل الى نتائج اشتهر بها في البحث عن طبيعة الشمس وهو اول من استعمل السبكتروسكوب في رصد الاكليل واثبت وجود الغاز الملتهب فيهِ وبيَّن كيف ترى المشاعل حول قرص الشمس ولو لم تكن مكسوفة . وهذا الاكتشاف اكتشفهُ السر نورمن لُكْيَر في ذلك الحين وكلٌّ يجهل ما اكتشفهُ الآخر . وبيَّن

ايضاً كيفية تصوير الشمس بواسطة نور واحد من انوار الطيف · ورصد عبور الزهرة في اليابان سنة ١٨٧٤ ورصد عبورها في اوران سنة ١٨٨٢ · ثم جُعل مديراً لمرصد مدون وبقي في هذا المنصب الى ان ادركتهُ الوفاة· وكان اكثر بحثهِ في الشمس وفي هل تحتوي اكسجيناً واضطر ان يبني مرصداً لذلك على قنة جبل بلانك حيث سمك الثلج ثلاثون قدماً او اكثر وصعد الى هذا المرصد وعمرهُ سبعون سنة واقام فيهِ اربعة ايام يبحث عن وجود الاكسجين في الشمس

الاستاذ اصاف هول

هذا عالم آخر من مشاهير علماء الفلك قضى في الثاني والعشرين من شهر نوفمبر الماضي وهو مشهور باكتشافهِ قمري المريخ · ولد سنة ١٨٢٩ ودرس في مدرسة مشيغان الجامعة باميركا وساعد الاستاذ بوند في مرصد مدرسة هارفرد ثم جعل استاذاً للرياضيات في المدرسة البحرية ثم استاذاً للفلك في مدرسة هارفرد الجامعة ولهُ مكتشفات علمية كثيرة غير قمري المريخ . وشارك في رصد الكسوفات والبحث عن طبيعة الشمس ورصد النجوم المزدوجة وفي البحث عن مواقع النجوم في القنوان وقد اعترفت المدارس والجمعيات العلمية بفضلهِ ومنحتهُ القاباً كثيرة

زراعة القطن في مصر

جاء في مربوط الميزانية المصرية لسنة ١٩٠٨ ان مساحة الاطيان التي زرعت قطناً في العشر السنوات الماضية كانت على ما في هذا الجدول

سنة	افدنة
١٨٩٨	١١٢١٢٦١
١٨٩٩	١١٥٣٣٠٥
١٩٠٠	١٢٣٠٣٢٠
١٩٠١	١٢٤٩٨٨٤
١٩٠٣	١٢٧٥٦٨٠
١٩٠٣	١٣٣٢٥١٠
١٩٠٤	١٤٣٦٧٠٨
١٩٠٥	١٥٦٦٦٠١
١٩٠٦	١٥٠٦٢٩٠
١٩٠٧	١٦٠٣٢٢٤

ويظهر من ذلك ان مساحة الارض التي تزرع قطناً تزيد او تنقص من سنة الى اخرى مئة الف فدان وقد ابنا في مكان آخر ان موسم سنة ١٩٠٧ لا يزيد على موسم سنة ١٩٠٦ مع ان مساحة الارض المزروعة قطناً زادت مئة الف فدان وهذا ينفي ما يقال من ان الاهتمام بزرع القطن في بعض الجهات الافريقية يؤثر تأثيراً يشعر بهِ في سعر القطن المصري لان كل ما زرع حتى الآن وما يمكن ان يزرع بعد عهد قريب لا يبلغ مئة الف فدان

الآن تقدير الحكومة لمساحة الارض المزروعة قطناً تقريبي فقط لان اصحاب الاطيان انفسهم لا يعرفون مساحة ما يزرع قطناً من اطيانهم وتقديرهم لهُ يحتمل الزيادة والنقصان الى حد عشرة في المئة والغالب انهم يهملون الاطيان التي يرون قطنها ضعيفاً جداً فلا يحسبونها

النقود الواردة والصادرة

بلغت قيمة النقود الواردة الى القطر المصري وقيمة النقود الصادرة منهُ في السنوات الست الماضية ما في هذا الجدول وذلك بالجنيه المصري

السنة	الواردة	الصادرة
١٩٠٢	٤٧٧٩٢٦٦	١٨٣٤٤٥٧
١٩٠٣	٦٤٣١٥٦٩	١٧٨٥٩٣٣
١٩٠٤	٧٦٠٦٨٦٤	٢٧٣٠٨٩٠
١٩٠٥	٤٧٨٢٢١٥	٣٨٦٩٩٣٩
١٩ ٦	٩٠٧٧٤٠٣	٢٠٦٧٧٠٦
١٩٠٧	٧٣٥٠٠٠٠	٤٩٠٠٠٠٠
والمجموع	٤٠٠٢٧٣١٦	١٧٢٨٨٩٢٥

والوارد والصادر سنة ١٩٠٧ ذكر بالتقريب لان تقرير الجمارك عن العام الماضي لم يصدر حتى الآن · ومجموع الوارد يساوي اربعين مليوناً من الجنيهات ومجموع الصادر يساوي نحو ١٧ مليوناً فالفرق بينهما وهو ٢٣ مليوناً من الجنيهات لا يزال في القطر المصري

ومعلوم ان النقود الواردة اكثرها ليرات انكليزية وقليل منها ليرات عثمانية وفرنسوية ونقود فضية · وقد يسأل سائل اين الذهب الباقي في هذا القطر · ولا شبهة ان جانباً كبيراً منهُ في البنوك ولعلَّ الموجود فيها الآن لا يقل عن اربعة ملايين من الجنيهات والباقي اكثرهُ صنع حليّ تحلّت بهِ النساءُ فان في القطر نحو اربعة ملايين من النساء والبنات ولا يقلُّ متوسط حلى كلٍّ منهنَّ عن اربعة جنيهات فعندهنَّ من الحلى ما يساوي ١٦ مليوناً من الجنيهات

تحويل النحاس

يظهر من تجارب السر وليم رمسي ان اشعة الراديوم تؤثر في النحاس فتحول بعضهُ الى عنصر ترابي وهو عنصر الليثيوم فاذا ثبت ذلك باعادة الامتحان ثبتت استحالة العناصر الكيماوية بعضها الى بعض

الجنون والوراثة

ظهر من بحث مستفيض في بيمارستانات المجانين ببلاد الانكليز انهُ اذا كان والدو المجانين سليمي العقل فعدد المجانين من اولادهم ٢١ في المئة فقط واذا كان احد الوالدين مجنوناً والآخر سليم العقل فعدد المجانين من اولادهما ٢٤ في المئة واذا كان الوالدون مجانين كلهم فعدد المجانين من اولادهم ٥٠ في المئة · وهذا دليل قاطع على ان الوراثة

تقوي الاستعداد للجنون اي ان اولاد المجانين يكونون معرَّضين للجنون اكثر من غيرهم

ميزانية الحكومة المصرية

قدرت ايرادات الحكومة المصرية سنة ١٩٠٨ بمبلغ ١٥٠٣٠٠٠٠ جنيه مصري وهاك اهم ابوابها

جنيه مصري	
٥٠٦٣٠٠٠	اموال الاطيان
٠٢٠٤٠٠٠	عوائد الاملاك
١٨٨٠٠٠٠	الجمارك
١٥١٠٠٠٠	الدخان والتنباك
٠٢٥٠٠٠٠	رسوم اللبانات (المواني)
٩٠٠٠٠	" الفنارات
٤٣٠٠٠	" مصايد الاسماك
٩٠٠٠٠٠	" التسجيل
٣٥٢٥٠٠٠	دخل سكك الحديد
٠١٢٥٠٠٠	التلغرافات
٢٨٠٠٠٠	البوسطة

وقدرت المصروفات بمبلغ ١٤٧٢٠٠٠٠ جنيه مصري وهاك اهم ابوابها

١٠٠٠٠٠	مخصصات الحضرة الخديوية
٩٦٧٧٢	مرتبات العائلة الخديوية
٨٠٨٦٠	كابينه الحضرة الخديوية
١٠٢١٦	مجلس شورى القوانين
١١٦٩٨	نظارة الخارجية
٢١٠٠٣٩	نظارة المالية
٤٥٠٤٥٠	نظارة المعارف
٢٣٩٥٣٥	البوليس
٢٧٨٢٤٤	المصالح الصحية
١٧٣٠٣٤	السجون
٢٤٠١٩٠	المحاكم المختلطة
٣٠٤٩٤٣	المحاكم الاهلية
٦٤٩٦٠	المحاكم الشرعية
١٣١١٦٥٢	نظارة الاشغال
٠٤٩٠٣٨٤	ادارة الاقاليم وماليتها
٠١٢٥٣٥٠	الجمارك
٠١٤٢٨٣٩	خفر السواحل
٠١٠٦٨٦٠	المواني والفنارات
٢١٩٣٦٥٨	السكك الحديد
٠١١٢٥٦٩	التلغرافات
٠٢٥٩٧٩٨	البوسطة
٠٦٧٠٨٣١	نظارة الحربية
٠١٤٦٢٥٠	جيش الاحتلال
٠٦٦٥٠٤١	ويركو مصر
٠٣٠٧١٢٥	فائدة الدين المضمون
١٠٦٢٢٣٥	" " الممتاز
٢١٨٢٩٠٦	" " الواحد
٠١٥٠٠٠٠	قسط المقابلة
٠١٥٣٢٩٥	" الخزانات
٠٣٧٩٧٦٣	مصروفات السودان

هذا وقد ذكرنا في فصل آخر في هذا الجزء مقدار الزيادة التي زيدت في كل باب من هذه الابواب على ميزانية السنة الماضية

عدم نجاح البلون

يظهر ان البلون لا يستطيع ان يقاوم الرياح مهما اتقن صنعهُ فتبق تعبث بهِ اكثر مما تعبث بالسفن الشراعية . فان البلون الفرنسوي لابتري الذي تغنت الجرائد بمدحهِ وانتظام سيرهِ في الهواء افلت في آخر نوفمبر الماضي من ايادي مئتي نفس كانوا ممسكين بهِ وهم بصلحونهُ وطار وحدهُ والرياح تعبث بهِ حتى بلغ بلاد الانكليز ولذلك ضعفت الآمال بالاعتماد على البلون في مواقع القتال

مخدر جديد

يظهر ان المخدر الجديد الذي اسمهُ ستوفاييين Stovaine يحقن بهِ تحت الجلد فيشل العضو الذي يحقن بهِ ويبقى الانسان في وعيهِ حتى يسهل قطع يدهِ او رجلهِ وهو صاحٍ ولكنهُ لا يشعر بالالم . ثم اذا زال فعل الستوفاين لا يشعر الأ كمن رضت يدهُ او رجلهُ المقطوعة . وكلمة ستوفاييين مأخوذة من ستوف الانكليزية اي فرن وهي ترجمة اسم المكتشف بالفرنسوية فان اسمهُ المسيو فورنو

مدارس المانيا الجامعة

قالت مجلة ناتشر ان الحكومة الانكليزية تهتم بما تبنيهِ المانيا من البوارج الحربية ولا تهتم بالاموال التي تنفقها على مدارسها الجامعة ثم قابلت بين ما كانت تدفعهُ المانيا لمدارسها الجامعة سنة ١٨٩١ وما تدفعهُ لها الآن وهو كما ترى في هذا الجدول بالجنيهات الانكليزية

	١٨٩١	١٩٠٦
مدرسة برلين	١٠٧٠٥٧	١٦١٥٣٩
مدرسة بون	٠٤٥٨٠٦	٠٥٩١٩٢
مدرسة برسلو	٠٤٤٧٤٩	٠٦٦٣٧٥
مدرسة غوتنجن	٠٣٠٨٧٧	٠٣٥٣٠٣

وهلم جرًّا . ثم ذكرت غنى المدارس الاميركية الجامعة ودخلها من اوقافها وقالت انهُ آخذ في الازدياد على الدوام فقد كان دخل مدرسة نيويورك ٧٠٥٧٠٠ جنيه سنة ١٩٠٠ فبلغ ٩٨١٣٠٠ جنيه سنة ١٩٠٥ وكان دخل مدرسة بنسلفانيا ٣٩٠١٠٠ سنة ١٩٠٠ فبلغ ٥٣٤٤٠٠ سنة ١٩٠٥ والزيادة من ريع الاموال التي وقفت عليها

الطائر المنير

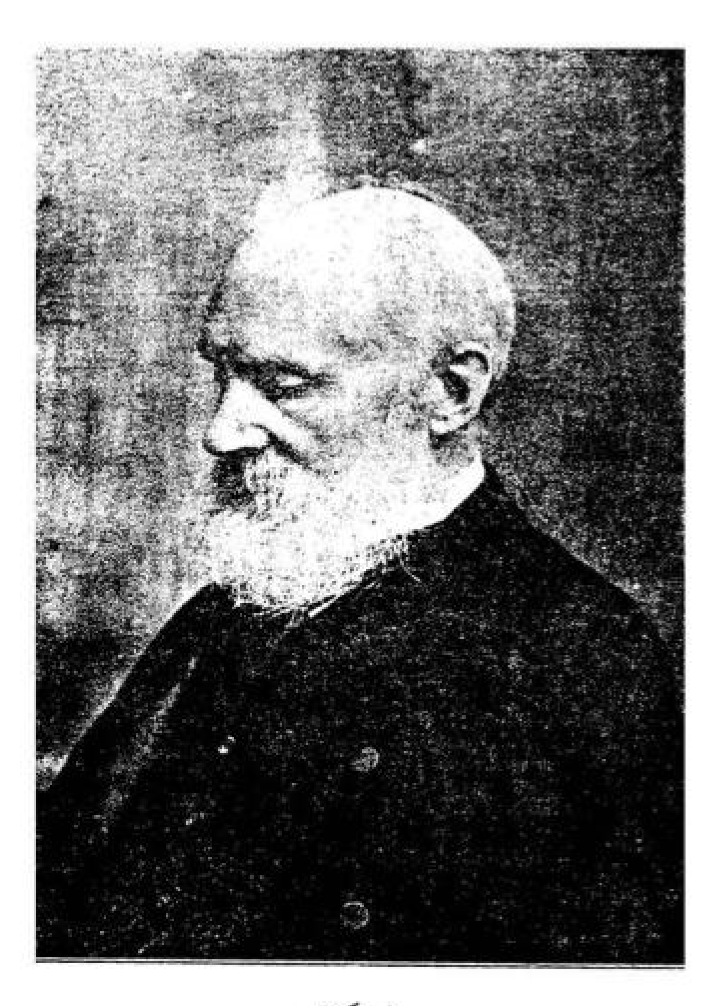
وصف السر دغبي بغوث طائرًا يرى ليلاً منيرًا كالحباحب وظنَّ انهُ من جنس البوم

كسوفات سنة ١٩٠٨

تكسف الشمس كسوفًا تامًّا في ٣ يناير يرى في القسم الاستوائي من الاوقيانوس الباسيفيكي . وتكسف كسوفًا حلقيًّا في ٢٨ يونيو يرى كذلك في بلاد المكسيك وفلوريدا وتكسف كسوفًا آخر حلقيًّا في ٢٣ دسمبر يرى في الاوقيانوس الجنوبي وجنوبي اميركا وافريقية



اسكا الاقى مالك اوز



لورد کالفن

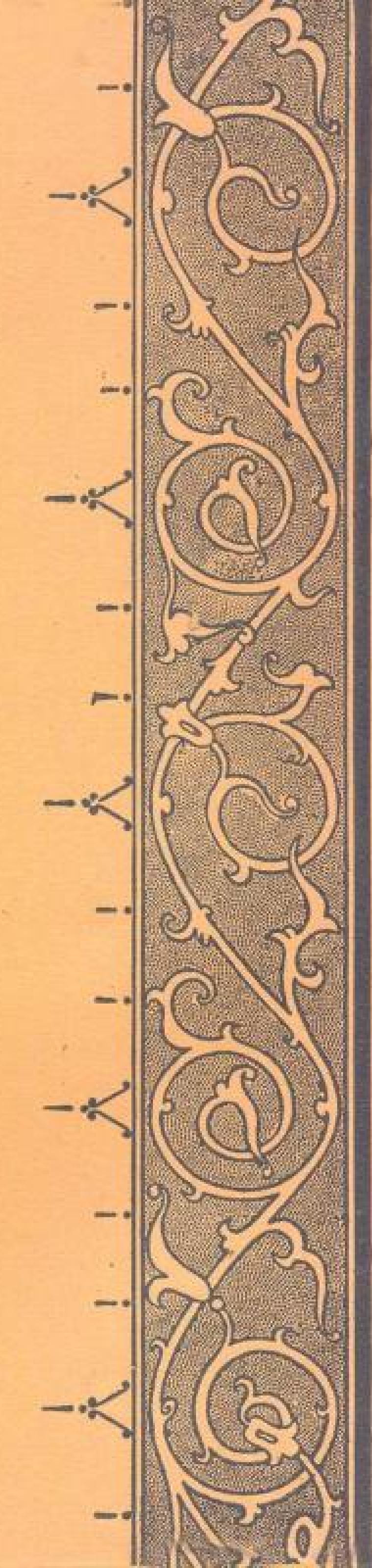


بعض الصور الشمالية من صور السماء

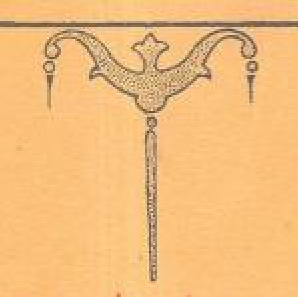
فهرس الجزء الاول من المجلد الثالث والثلاثين

١ اسكار الثاني ملك اسوج (مصوَّرة)
٤ لورد كلفن (مصوَّرة)
٩ الشفاء الغريب . للدكتور يوحنا ورتبات
١٢ ترع المريخ والحياة فيهِ . للاستاذ حنا جرداق
١٩ الرحلة الحديثة
٢٥ بين دجلة والفرات . لابن العراق
٢٧ ميزانية الحكومة المصرية
٣٢ كيف تصير قويًّا . لرحمه صرّوف
٣٦ التاريخ امس واليوم . ر . ن
٤٣ اصل النبط في البتراء . للاستاذ جبر ضومط
٥١ العيون والكتب
٥٤ نساء المتوحشين . م . ن
٥٩ صور السماء (مصوَّرة)
٦١ العلم في العام الماضي
٦٤ التقليد . ي . ي

٦٧ باب الزراعة * الخزانات وموسم القطن . اطيان شركة الغربية . النيترو بكتيرين في الزراعة موسم القطن المصري
٧٦ باب المراسلة والمناظرة * جورج سيمو . الحكومة الشوروية . الكنغرو
٧٩ باب التقريظ والانتقاد * الاحتفال بالمنار . القاهرة والقدس ودمشق . شلال اصوان حياتنا الادبية . كتاب صحة الانسان . خزانة الادب
٨٦ باب المسائل * فيضان النيل . الشعوذة والسحر . مصدر النيازك . شفاء الحوَل . اللغة الاكثر انتشارًا . تنبيه للمقتطف
٩٠ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ١٤ نبذة







مستقبل العمران

الحب : لادلر

العلم : لهكسلي

التعليم : لولز

الاسرة : لرسل

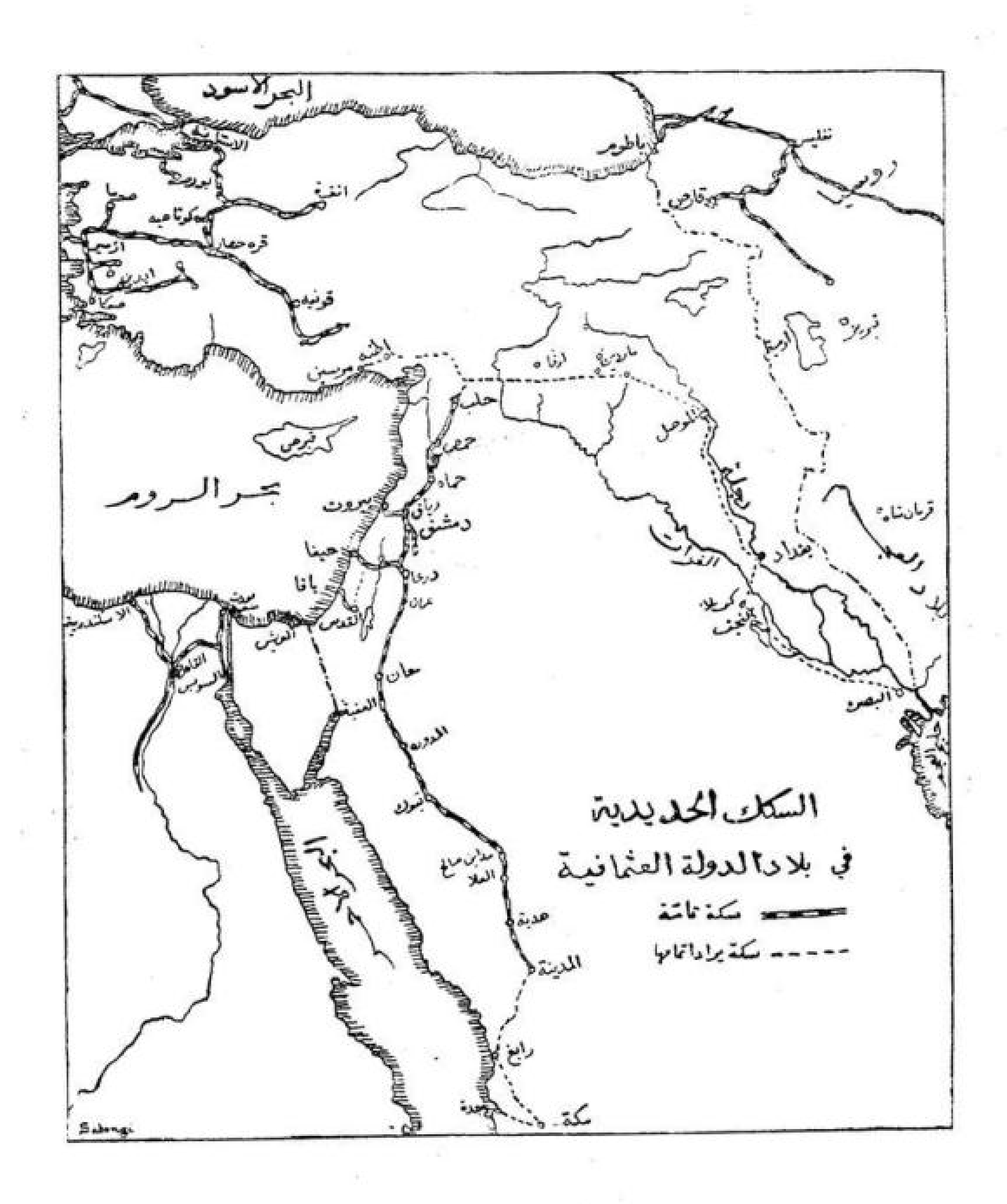
الاقتصاد : لتشايس

رجال الشهر

غازوردزي ، غاندي ، سايس ، صديق بك

الازمة الاقتصادية

واشتباك المصالح الدولية



السكك الحديدية
في بلاد الدولة العثمانية
سكة تامة
سكة يراد اتمامها
البحر الاسود
بحر الروم
قبرص
الاستانة
انقرة
قونيه
قره حصار
كوتاهيه
باطوم
تفليس
قارص
تبريز
حلب
حماه
بيروت
دمشق
حيفا
يافا
القدس
معان
المدورة
تبوك
مدائن صالح
العلا
هدية
المدينة
رابغ
مكة
جدة
الموصل
بغداد
البصرة
كربلاء
النجف
Sabongi

المقتطف

الجزء العاشر من المجلد الثالث والثلاثين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٦ رمضان سنة ١٣٢٦

سكة الحجاز

لقينا بالامس ضابطاً من ضباط الجيش العثماني الذين اقاموا في اليمن سنين كثيرة فوصف لنا تلك البلاد وصفاً اقرب الى تخيُّلات الشعراء منهُ الى حقائق العلماء . ويظهر من اقوال الثقات الذين طافوا في جزيرة العرب من حدود اليمن وحضرموت جنوباً الى حدود مكة شمالاً بعيدين عن الساحل الغربي ان وصفهُ صحيح لا مبالغة فيهِ وان البلاد تشبه لبنان وسويسرا. جبال مرتفعة تجتذب الغيث من السحاب . وسهول منبسطة تكسوها الرياض والغياض باثواب قشاب . واودية منخفضة تجري في قلبها الغدران وتكتنفها الروابي والهضاب

جزيرة العرب اوسع بلدان الدولة العثمانية مساحتها مليون ميل مربع وقد يظن لاول وهلة انها كلها صحارٍ وقفار وجبال صخرية قاحلة كما يراها من يدخلها من ساحل البحر ولكن الذين تيسَّر لهم اختراقها والبحث فيها من اهل العلم والسياحة يقولون ان ثلثها صحارٍ لا تسكن وثلثاها اراضٍ زراعية خصيبة لا تعوزها الاَّ ايادي العُمَّال ولكن القفار تحيط بها فيتوهَّم من يراها ولا يخططها ان البلاد كلها مثلها . ولقد احسن القس زويمر حيث قال ان بلاد العرب مثل سكانها ظاهرها عبوس كالح وقلبها ملؤُهُ الكرم والبشاشة

فمن نجد الى اليمن وعمان جبال مرتفعة علوها نحو ٣٠٠٠ قدم عن سطح البحر ثم تعلو رويداً رويداً حتى يبلغ ارتفاعها عشرة آلاف قدم فتكون مثل اعلى جبال لبنان . والحر شديد في سهولها واوديتها ولكن الرطوبة قليلة الاَّ في سواحلها البحرية ولذلك يكون حرُّها محتملاً واما في جبال اليمن وعمان فلا تزيد الحرارة فيها في شهر يوليو على ٨٠ او ٨٥ بميزان فارنهيت فهي مثل بلاد الشام من هذا القبيل وابرد من القطر المصري . ويتكوَّن الصقيع في صنعاء

ثلاثة اشهر من السنة و يغطي الثلج جبل قُبَيل في فصل الشتاء كلهِ و يشتد البرد شتاء فيهِ وفي كل الجانب الشمالي من بلاد العرب . والهواء في نجد طيب منعش للابدان

وقال السر وليم موير في وصف الطائف " بلاد خصيبة جميلة . غدران في كل مكان تنحدر من الآكام . وسهول لابسة حلةً سندسيةً ومحلاة بقلائد الاشجار وظلها الوارف . والطائف مشهورة بفاكهتها عنبها كبير الحب لذيذ الطعم واثمارها مختلفة الانواع والاشكال . الخوخ والرمان واللوز والتفاح والمشمش والتين والسفرجل كلها كثيرة جدًّا و بالغة اقصى درجات الكمال في نموها وطيب طعمها "

وليس في بلاد العرب انهار كبيرة ولكن الامطار التي تقع فيها ولا تجري في غدرانها تغور في ارضها وتظهر ثانية عيونًا متدفقة في الجهات الشرقية منها في الاحساء والبحرين . وتكثر السيول في اليمن وفي كل اودية بلاد العرب . بلاد مثل هذه يحيط بها البحر من ثلاث جهات بين الهند ومصر والشام على ابواب اوربا وقد سماها الرومان بالعربية السعيدة لكثرة خيرها وميرها مرَّت عليها القرون وهي تزيد انحطاطًا قرنًا بعد قرن وعامًا بعد آخر حتى في الزمن الذي ارتفع علمها على الجانب الاكبر من المعمورة كانت تستورد الطعام من مصر والشام والاَّ مات اهلها جوعًا والى الآن لا معيشة لاهل عاصمتيها الاَّ من الحجاج

ليقل المفسرون ما شاؤوا في تفسير ذلك فانهُ لا يغير حالة البلاد الحاضرة وهي ان خيرها كثير ولكن لا ينتفع بهِ اهلها ولا غيرهم . ولم يكن اهلها كذلك من قديم الزمان لانهم اهل تجارة وكان لهم ملك واسع وانفة شماء حتى اعجزوا الروم والفرس وكان المصريون قبل ذلك ينظرون اليهم بعين المهابة والوقار ويحسبون بلادهم منبع الخيرات وجنة الخلد

اشرنا الى الماضي البعيد لنسترشد بهِ الى المستقبل اما ما بينهُ وبين الزمن الحاضر فاننا نودُّ ان ننساهُ ولا نذكر منهُ الاَّ حسنة واحدة فتحت باب المستقبل الذي نتمنى ان يعيد الى البلاد عزها الاسبق . وهذه الحسنة هي سكة الحديد التي فُتحت رسميًّا في اول الشهر الماضي

شرعت الحكومة العثمانيَّة في انشاء هذه السكة من الشام الى الحجاز سنة ١٩٠٠ ففي شهر ابريل من تلك السنة اعرب جلالة السلطان عن رغبتهِ في انشائها ودعا المسلمين في كل اقطار الارض الى الاشتراك في هذا العمل الجليل بالتبرع بالمال واكتتب هو بخمسين الف ليرة عثمانيَّة فلبَّى المحسنون طلبهُ من كل اقطار المسكونة وابتدأ العمل في ٣١ اغسطس من تلك السنة وهو عيد الجلوس الخامس والعشرون . ولقد سار العمل من دمشق الى المدينة سيرًا حثيثًا على غاية الانتظام

فبين دمشق ومعان ٤٥٩ كيلو مترًا ومحطات كثيرة · ومعان امام خرائب البتراء المدينة القديمة التي كانت عاصمة مملكة الانباط · وقد ظهرت فوائد هذه السكة في كل تلك البلاد مع قرب العهد بها فزادت عمارتها وانشئت فيها القرى ونشطت الزراعة من عقالها. والبلاد كلها من اخصب البلدان وقد كانت تمون الالوف والملايين في غابر الزمان . واصبحت عمان بلدة كبيرة انشئت فيها ورشة لاصلاح القاطرات والمركبات ومخازن للبضائع وفندق للسياح وهي مرتفعة عن سطح البحر ١٠٧٤ مترًا فتضاهي مصايف لبنان في ارتفاعها ويقال ان هواءها جاف جدًّا وانهُ ابرد من هواء حلوان واجف فهي مصحة للابدان من اجود المصاح

والسكة بين دمشق ومعان تكاد تكون في مستوى واحد . وتهبط بعد معان قليلاً ثم تصعد الى علو ١١٥٢ مترًا فوق سطح البحر عند محطة عقبة الحجاز وهي امام خليج العقبة والمسافة منهُ اليها نحو ٩٠ كيلو مترًا ومن السويس الى خليج العقبة ٢٦٠ كيلو مترًا فالمسافة كلها اقل من ٣٥٠ كيلو مترًا ومن السويس الى معان اقل من ٣٢٠ كيلو مترًا فلو انشئت سكة حديدية من السويس الى معان او الى عقبة الحجاز لما زادت نفقات انشائها على مليون جنيه

والبلاد بعد عقبة الحجاز قفار تنحدر رويدًا رويدًا الى ان تصل الى تبوك حيث الارتفاع عن سطح البحر ٧٧٥ مترًا والبعد عن دمشق ٦٩٢ كيلو مترًا وهناك محطة كبيرة ومستشفى وورشة لتصليح الآلات ثم ترتفع الارض بعد ذلك رويدًا رويدًا حتى يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر ١١٠٣ امتار عند الدار الحمراء و ١١٥١ مترًا عند المطلع ثم تهبط باسرع مما صعدت وعند المطلع مفرق السيول بين وادي عطبل ووادي حمض

وستكون مدائن صالح او العلا المستودع الكبير قبل الوصول الى المدينة المنورة وذلك يتوقف على الماء فاذا وجد ماء كاف في مدائن صالح اختيرت على العلا

ولهذه السكة مبدأ آخر من مدينة حيفا على شاطىء بحر الروم الى درعا كما ترى في الخريطة التي في صدر هذا المقالة · وطول السكة كلها من دمشق الى المدينة المنورة ١٣٠٠ كيلو متر وكيلو متران وقد بلغت نفقات انشائها ثلاثة ملايين من الجنيهات وحينما يتم انشاؤها الى مكة المكرمة يصير طولها ١٧٥٧ كيلو مترًا والى جدة يصير طولها ١٨٢٠ كيلو مترًا ومن حيفا الى درعا ١٦١ كيلو مترًا · وبين المدينة ومكة تصل السكة الى شاطىء البحر الاحمر عند رابغ فتصير رابغ مرفأ يوصل منها الى مكة جنوبًا والى المدينة شمالاً ولا

تزيد نفقات مد السكة الى مكة وجدة على مليون وربع مليون من الجنيهات اذا عمل فيها الجنود كما عملوا في السكة الى المدينة

والبلاد بعد مكة شرقاً وجنوباً بلاد الخير والميرة فلا بدَّ من مد سكك الحديد فيها مع الزمن لاستثمار خيراتها فاذا تمَّ لها ذلك واعتمد اهلوها على سعيهم لا على صدقات الحجاج واموال الاوقاف صارت من اوفر بلدان الدولة العثمانية عمراناً

وقد اثنى الذين شاهدوا هذه السكة ورأوا جودة ادواتها وعرفوا قلة نفقاتها على دولة المشير كاظم باشا الذي كان ناظراً للانشاءات وقومنداناً للجنود العاملة وعلى سعادة ميسنر باشا رئيس المهندسين الالماني الذي تولى انشاءها الى ان بلغت مدائن صالح عند حدود الحجاز

ولا يخفى ان اكثر دخل السكة سيكون من الحجاج ولذلك لا يظهر نفعها تماماً الاَّ بعد وصولها الى مكة وحينئذٍ يصير منها دخل وافر يزيد على نفقاتها لانهُ اذا فرض عدد الحجاج الذين يأتون بها الى مكة خمسين الفاً فقط ومتوسط اجرة الواحد منهم عشرة جنيهات بلغ دخلها من ذلك نصف مليون من الجنيهات في شهرين من الزمان و يظهر لنا ان الدخل يتضاعف في السنة كلها. ومهما كانت النفقات كثيرة لا تزيد على سبعين او ثمانين في المئة من الدخل فتقوم السكة بنفقاتها وصيانتها ويبقى منها شيء من الربح فوق النفع الكبير الذي تنتفع البلاد منها بزيادة عمارتها. واذا مدَّت الى اقصى اليمن وحضرموت عادت تلك البلاد في ربع قرن الى المنزلة التي كانت فيها لما لُقبت بالعربيَّة السعيدة. ولقد احتفل بافتتاح هذه السكة رسمياً في اول سبتمبر الماضي في المدينة المنورة فقدمها الوفد السلطاني من دمشق وفيهِ كثيرون من مكاتبي الجرائد و بينهم مندوب من قبل المقطم وافتتح الاحتفال مفتي دمشق الشام بالدعاء للاسلام وتلاهُ دولتلو كاظم باشا بخطبة وجيزة شكر بها الجنود لقيامهم بانشاء هذه السكة قياماً يخلد لهم الذكر والفخر في تاريخ الجنود العثمانية واطنب في شكر المهندسين على ما بذلوهُ من الهمة وما تحملوهُ من المشاق حتى انجزوا عملهم وتكلَّم بعض الحضور بما ناسب المقام ووقف جواد باشا رئيس الوفد السلطاني وابلغ الجنود شكر الحضرة السلطانية لهم ثم اعلن افتتاح السكة رسمياً . وكان المهندس الماهر مختار بك حاضراً وهو الذي اتمَّ السكة من مدائن صالح الى المدينة المنورة فحملهُ الجموع هو وجواد باشا على الاكف من شدَّة الاحتفاء بهما وطلبوا من مختار بك ان يقسم لهم على انهُ يتم السكة الى مكة المكرمة فاقسم انهُ يبذل جهدهُ في هذا السبيل

الثورة العثمانية

من ينظر في حوادث الكون بعين التروي يجد انها تتبع في سيرها اسلوبين مختلفين الواحد اسلوب التدرُّج اي التغير البطيء المتوالي والثاني اسلوب الانقلاب الفجائي . والغالب ان يشترك الاسلوبان معاً فيكون الاول ممهدًا للثاني . فاذا اختلَّ بناء بيت انصدعت جدرانهُ كلها اوبعضها ومال على احد جوانبهِ ميلاً طفيفاً وقد تمرُّ عليهِ الايام والسنون وميلهُ لا يزيد في اليوم والشهر زيادة يشعر بها ثم ينهدم كلهُ بغتةً في لحظة من الزمان . واذا فعلت الزلازل بجبل فقدت جانباً منهُ فقد يبقى ذلك الجانب متصلاً بالجبل وتمرُّ السنون وهو يزيد انفصالاً عنهُ زيادة طفيفة جدًّا لا تكاد تظهر لعين الرائي الى ان تختل الموازنة ويقع مركز الثقل خارج القاعدة او يتغلب الثقل على قوة الاتصال فينهدم ذلك الجانب بغتةً ويخرِّب في طريقهِ القرى والمزارع

وقد حدث شيء من ذلك في البلاد العثمانية فان سوء الادارة الذي حل بها منذ خمسة وعشرين عاماً زاد رويدًا رويدًا حتى انفتهُ النفوس الكبيرة فانصدع بعضها وهاجر البعض الاخر من البلاد وجاهر بمقاومة سوء الادارة وكشف عيوبهِ وهو لا يزيد الاَّ استحكاماً الى ان ضاقت حلقاتهُ على ضباط الجيش العثماني واكثرهم من المتعلمين المتهذبين الذين يأنفون من الضيم ولا يصبرون على المذلة اذا استطاعوا الخروج منها . وكان اصحاب النفوس الكبيرة الذين غادروا البلاد العثمانية قد اتحدوا على التنديد بالادارة السيئة الضاربة اطنابها في بلادهم فاشترك معهم كثيرون من اولئك الضباط وجاهروا بطلب الاصلاح اي باعادة القانون الاساسي وجعل حكومة البلاد العثمانية دستورية نيابية مثل سائر البلدان الاوربيَّة . ولما رأى رجال الحكومة ان هذا الطلب عادل وانهُ لاقبَل لهم بمقاومة الجيش قرَّ رأيهم على اعادة القانون الاساسي واجابة حزب تركيا الفتاة او جمعية الاتحاد والترقي التي الَّفها ضباط الجيش فصدر امر جلالة السلطان باعادة القانون وحلف على العمل بهِ امام شيخ الاسلام والغى طغمة الجواسيس وامر بانتخاب النوب لمجلس المبعوثان واسند مناصب الوزارة الى الوزراء الذين اشارت بهم جمعية الاتحاد والترقي الى ان يجتمع مجلس المبعوثان وتسند الوزارة الى زعمائهِ . ولقد كنا نثبت في المقطم جريدتنا اليومية عيوب الحكومة الماضية ولاغرض لنا الاَّ الارشاد الى مواقع الخطإ لاصلاحهِ والاشارة الى المفاسد لازالتها ومرَّت عشرون سنة من حين انشاء المقطم الى ان صدرت الارادة السنية باعادة القانون الاساسي ونحن جارون في خطة

واحدة نمدح ما نراهُ مستحقاً للمدح ونذم ما نراهُ مستحقاً للذم من اعمال الحكومة الماضية . وصغار الاحلام يظنون اننا نندد بالدولة العثمانية نفسها وما تنديدنا الاَّ بالحكومة العثمانية او الحكومة الحميدية التي كانت سائدة في ذلك الحين

ولم يحن الوقت الآن للبحث في تاريخ هذه الثورة التي قلبت الحكومة العثمانية من حكومة استبدادية الى حكومة دستورية وذكر اقدار الرجال الذين كانت لهم اليد الطولى فيها والدماء التي اريقت في سبيلها . ولكن لا بدَّ من فعل ذلك كلهِ حالما تتوطد اركان مجلس المبعوثان وحينئذٍ تكون مجلدات المقتطف العشرين من خير المصادر لجمع الحقائق التي يتألف منها تاريخ هذه الثورة الشريفة وتكون الاعمال التي عملتها جمعية الاتحاد والترقي والاقوال التي فاه بها زعماؤُها من ادلّ الادلة على نبالة الامة التركيَّة وكرم اخلاقها

وقد اشتهر من هؤُلاء الزعماء اسم ضابطين من ضباط الجيش وهما انور بك ونيازي بك وأثر عملهما في نفوس الامة العثمانية عموماً تأثيراً دعاها الى الاهتمام بانشاء بارجتين حربيتين تسميها باسميهما اعترافاً منها بفضلهما فأبيا ذلك وطلبا ان تسميا باسم مدحت باشا واضع القانون الاساسي واحمد نامق كمال المنشىء التركي البليغ الذي رقّى مدارك امتهِ بكتاباتهِ

وقد جرى لمكاتب التيمس مع انور بك احد هذين الزعيمين حديث اعرب فيهِ عن مقاصد جمعية الاتحاد والترقي فآثرنا اثباتهُ هنا لانهُ من اقوى الادلة على نبالة مقاصد هذه الجمعية وحصافة رأْيها وحسن نظرها في العواقب قال المكاتب

جرى لي حديث طويل حلي مع انور بك هذا الصباح قبل مغادرتي لسلانيك وهو يجيد الفرنسوية فكان يكلمني بها بتأنٍ وتروٍّ وتواضع ويشرح سياسة جمعية الاتحاد والترقي باسهاب ويخبرني بما تنوي فعلهُ في المستقبل وهو من اوجه اعضائها كما لا يخفى . وهاك الاقوال التي قالها نقلتها وهو يفوه بها وارسلتها لتنشر برضاهُ وموافقتهِ قال

" تراني اشتغل في مكتبٍ سياسي ولكن ارجو ان تعلم اني لست زعيماً لثورة بل جندي اضطرتهُ الاحوال الى الاشتغال بالسياسة . فقد ساقتني التقادير الى هذا المكان لاني وان كنت قد انتظمت بين اعضاء جمعية الاتحاد والترقي منذ اعوام لم اقدم على عمل عمومي حتى وشى بي جواسيس المابين وصدر اليَّ الامر بالذهاب الى الاستانة فلم امتثل الامر بل فعلت كما فعل رفيقي نيازي بك فالتجأْت الى الآكام وكان من وراء ذلك انني نلت شهرة لم اكن اطلبها ولا كنت اسعى اليها ولكن يعلم اخواني الضباط لحسن الحظ ان منتهى رغبتي واقصى مناي خدمة وطني بكل انضاع

اما الثورة فثورة وطنية لا ثورة عسكريّة لانها ثورة امة باسرها على حكومة اوصلتها الى شفا اليأس والقنوط وليس الجيش صاحب الامر والنهي فيها بل هو خادم الامة المنفذ لارادتها المتمم لرغائبها . هذه حقيقة اريد ان ترسخ في الاذهان · اما جمعية الاتحاد والترقي فقائمة الآن مقام مجلس المبعوثان وهي تشير على الحكومة بما يجب عليها فعلهُ وتمدها بالرأي وتطلعها على كل ما تهم معرفتهُ في المسائل العمومية

وقد كانت هذه الثورة ثورة على استبداد المابين ولكن اللجنة تؤيد السلطان الملك الشرعي ما دام يحترم الدستور

اما الدول الاوربيّة فاللجنة تروم اكتساب ثقتها باجتناب كل ما يسوءها · وقد عاد النظام الى مكدونية الآن لا بفعل الدول بل لان تأثير الثورة فيها كان تحريك عوامل الصلح والسلام بين اهليها· واما مسألة استرجاع الدول لضباط الجندرمة من مكدونية فمن المسائل التي يتعلق بالدول حلها وستحل من نفسها بطبيعة الحال لانهُ اذا بقي النظام مستتباً في مكدونية فان الدول تسترجع جنودها طبعاً لزوال الحاجة اليهم

واما الجيش العثماني فجمعية الاتحاد والترقي تريد اجراء الاصلاح التام فيهِ · فينبغي للرعايا العثمانيين ان ينالوا كلهم نصيبهم من الخدمة العسكريّة مهما كانت اديانهم ومذاهبهم فكما ان الجيش البريطاني في الهند مؤلف من المسلمين والبراهمة والسك والمسيحيين كذلك يجب على المسيحيين ان ينتظموا في سلك الجيش العثماني ويقفوا فيهِ جنباً لجنب هم واخوانهم المسلمون · وكذلك يجب اصلاح نظام الجيش وجعل طريقة التعليم والتمرين فيهِ اصلح والعمل بها اسهل مما هو عليهِ الآن وتوسيع المجال للافراد حتى يظهروا ما امتازوا بهِ ويتقوى روح التعاون والتضامن بينهم · وقد كانت عزائم الضباط تثبط في ما مضى والذين يجدُّون ويجتهدون منهم يوشى بهم الى المابين ويتهمون بالتآمر على الفتن واما في المستقبل فسيكون المجال فسيحاً في الجيش لكل من يجدُّ ويقصد التقدم والنبوغ فيهِ والخلاصة ان الذي نريدهُ هو جيش وطني لا جيش اسلامي فقط

وليس للجامعة الاسلامية محل في خطة جمعية الاتحاد والترقي · والقطر المصري خارج عن نطاق اعمالنا ومراميها وحزب تركيا الفتاة يأبى التعرض لعمل الحكومة الانكليزية المجيد في مصر ولا يعير المهيجين والمحرضين فيها اقل مساعدة او التفات فهمُّ اللجنة كلهُ هو اصلاح تركيا وترقيتها على المبادىء الدستوريّة واملنا ان نجد في ذلك تأييداً من حكومة الملك ادورد وميلاً الينا وعطفاً علينا من الحكومة الانكليزية " · اه

قال المكاتب . فهذه هي كلمات ذلك الضابط العثماني الشاب الذي اكتسب بسالته وسمو اخلاقهِ مزيد الاحترام والحب والاكرام من امتهِ وهو لا يزال في السابعة والعشرين من عمرهِ يستخدم النفوذ الذي حازهُ بحكمة ودراية تحكيان حكمة اقطاب السياسة المجربين وحنكة ذوي الخبرة المدربين . انتهى

وقد اشتهر هذان الضابطان الصغيران في رتبتيهما في الجيش الكبيران بقلبيهما ونفسيهما اشتهاراً عظيماً فطبق اسماهما الآفاق وتحدث العثمانيون والاجانب بصنيعهما فقرنت الصحف العثمانية اسم كل منهما بكلمة (قهرمان حريت) اي بطل الحرية

ونيازي بك يوزباشي في الجيش العثماني ولد في رزنه من ولاية موناستير ونشأ فيها وهو اشد شكيمة واقوى عضلاً واصبر على الحرب والقتال من رفيقهِ انور بك . كلفتهُ الدولة مطاردة العصابات البلغارية منذ خمسة اعوام فقام بمهمتهِ خير قيام الا انهُ كان كما قبض على رجال عصابة ترد اوامر الاستانة الى المتصرف او القائمقام باخلاء سبيلهم . ولما علم ان لا فائدة من تعبهِ وتعقبهِ الثوار قعد عن ذلك واخذ يفكر في طريقة اخرى ينجي بها البلاد مما وقعت فيهِ . ثم انشأت جمعية الاتحاد والترقي فرعاً لها في سلانيك فانضم اليهِ واصبح من اقدر رجالهِ وانفذهم كلمة . ولما قررت الجمعية وجوب استعمال القوة كان نيازي بك اول من استنفرتهم الى القتال فنفروا . وهو يناهز الخامسة والثلاثين حسن الطلعة براق العينين تدل ملامحهُ على الفروسية والشجاعة والاقدام

وانور بك ارق من صديقهِ عاطفة وانحل جسماً . ولد في الاستانة وتخرج في مدرستها الحربية ثم انتظم في سلك الفيلق الثالث فبلغ درجة بكباشي فيهِ . وهو من خيرة الضباط المتعلمين قضى في مقدونية زماناً طويلاً فاثرت فيهِ حالها الاخيرة تأثيراً عظيماً ورأى البلاد تخرج من يد الدولة رويداً رويداً فاخذ مع اخوانهِ الضباط يفكرون في طريقة يصلحون بها تلك الحالة فلما تأسس فرع جمعية الاتحاد والترقي في سلانيك دخل فيهِ واحكم صلات المودة بينهُ و بين نيازي بك و بقية اخوانهِ وكان من خيرة الرجال العاملين على نشر الآراء الحرة بين طبقات ضباط الجيش . فلما دنت ساعة العمل واستنهضت الجمعية همة اعضائها نهض في مقدمتهم برجالهِ وانضم الى نيازي بك فكان روح تلك النهضة الشريفة للاصلاح والحرية

هذان هما البطلان اللذان يعزى اليهما الفضل الاكبر في تخليص الدولة العثمانية مما كانت فيهِ كما يعزى الى الذين جاهروا بالسنتهم واقلامهم من احرار العثمانيين .

المجتمع الروماني زمن القياصرة

لمّا دالت الحكومة الجمهوريّة من البلاد الرومانية انتهت السلطة فيها الى القياصرة الذين تبوأوا الملك ووسدت لهم السلطة المطلقة فكانوا رؤساء المجلس الاعلى وقادة الجيش وواضعي الضرائب ومشترعي الشرائع والاسياد المطاعين في اوامرهم والحاكمين بلا معارض

وكان القيصر يتمتع ما دام حيًّا بالحكم المطلق واليهِ ينتهي الامر والنهي حتى اذا مات اجتمع المجلس الاعلى المعروف بالسنا وجعل يبحث في اعمالهِ ويفحص سائر شؤونهِ واحوالهِ فاذا تبيّن لهُ منها ما يخرج عن العدل وكان مشوبًا بالجور والظلم امر بكسر تمثالهِ ونبذ اسمهِ من مصاف العظماء واذا ظهر لهُ عكس ذلك ووجد اعمالهُ طيبةً لا غبار عليها من الظلم والعسف رفعوهُ الى مصاف الارباب وصار في عداد الالهة على ان هذا المجلس قلما شجب اعمال القياصرة ولهذا صار اكثرهم اربابًا وشيدت لهم الهياكل وقام الكهان على سدانتهم . وتأليه الملوك عادةٌ سرت اليهم من البلدان اليونانية الشرقية

وترى صفحات التاريخ ملأى باخبار القياصرة واستبدادهم في الامة وانتهاء السلطة اليهم فكانوا يأتون من الاعمال ما يريدون غير معارضين في شيء مما يحكمون بهِ على الناس واملاكهم ونفوسهم على ما قال في ذلك مشترع روماني ان امر القيصر فوق كل شريعةٍ الأ انهُ كان بينهم نفرٌ من ذوي النفوس الطاهرة يتبعون الحق في احكامهم فلا تسكرهم خمرة السؤدد ولا تأخذهم بهرجة الملك فيسرفون في الجور والعسف كما فعل نيرون في اعنات الاعيان ومصادرة الاغنياء

قلنا ان القيصر كان يترأس المجلس الاعلى المعروف بالسنا وقد ظلَّ هذا المجلس على شأنهِ الاول ايام الجمهورية يضمُّ اليهِ اعاظم الاغنياء وكبار رجال السلطنة وتتطاول الى الدخول فيهِ كبراء الامة ولا بدع فهو اعظم منصبٍ واشرف مقام يستطيع الروماني الحرّ الوصول اليهِ متى كانت الاسر النبيلة تتفاخر باحراز احادها العضوية فيهِ وإن كان في زمن القياصرة عطلاً من كل سلطة غير اتسام الاعضاء بالنبالة والشرف

وما كان الشعب الروماني في اعتبار الحكومة كل من سكن البلاد واقام فيها بل جماعة الوطنيين المتمتعين بالحقوق المدنية المتازين على مساكنيهم بامور كثيرة من مثل حسبان الوطني عضوًا في الهيئة السياسية يحق لهُ الانتخاب وحضور الحفلات المقدسة والتمتع بجباية

الشريعة والزواج القانوني وان يكون ابا عائلة بمعنى انهُ السيد المطلق على زوجتهِ واولادهِ وهو حرّ في الوصاية والبيع والشراء. ومن لم يكن وطنياً يمنع من حضور الحفلات ومن التجند ولا يستطيع الزواج ولا يحسب ابا عائلة ولا صاحب ملك ولا يباح لهُ الاحتماء بمدل الشريعة ولا طلب المقاضاة في المحاكم

ولم يكن الوطنيون سواء من حيث الحقوق والاعتبار بل كانوا مراتب بعضها فوق بعض ولكل مرتبةٍ منها شأن خاص يميزها عن المرتبة الاخرى واعلى تلك المراتب شأناً الاعيان وهم ابناء اعضاء المجلس الاعلى (السنا) او الولاة والقضاة وكان كل من تولّى احد هذه المناصب العالية حسب نبيلاً واتصل الشرف باولادهِ من بعدهِ وكان اذا حاز رجل منهم منصباً ترديّ بحلةٍ موشاة بالارجوان واتخذ مقعداً خاصاً بالوظيفة وحق لهُ ان يصنع تمثالاً على صورتهِ وينصبهُ في احد مخادع منزلهِ الى ان يموت فيحمل التمثال فوق عجلةٍ ويسار بهِ في موكبٍ حافل وبعد التأبين يوضع في مقدس البيت ويحسب في عداد آلهة العائلة حيث كان من عادة الاسر الرومانية ان تعبد اجدادها

ولما رأى القياصرة ان البيوتات الشريفة القديمة على وشك الاندثار طفقوا يولون مناصب الشرف اغنياء الرومانيين من التجار والصيارف وكبار الملاك بحيث لم يطل الامر كثيراً حتى اصبحت العيال الرومانية ذات الثروة الطائلة من الاشراف وكانت عيشة كل واحد من هؤلاء الاشراف في منتهى الابهة يحيط بهِ عدد من الارقاء يقيمون على خدمتهِ في قصرٍ فخيم في رومية يزدحم فيهِ كل يوم جماهير من الزائرين يجيئونهُ لتأدية الاحترام . ولم يكن عمل الشريف الاّ الانهماك بالملذات والاسترسال الى الشهوات وكان اذا خرج الى السوق يحفّ بهِ خلق كبير من الارقاء والاتباع .. هذه كانت عادة الاشراف والاعيان ومن احجم منهم عن اتباعها سلقتهُ الالسن بالهزء

ويلي هؤلاء الاشراف جماعة الفرسان وهم الوطنيون اصحاب الثروة الذين لم يتصل اليهم الشرف ارثاً عن آبائهم على انهم لا يبلغون هذه المرتبة الاّ اذا تسجلت ثروتهم في دفاتر الحكومة وتبلغ من المال قدراً معلوماً يساوي من نقود هذه الايام زهاء عشرة آلاف فرنك ويحق لاهل هذه المرتبة حضور المشاهد والملاعب العمومية والجلوس فيها بعد الاشراف وان ينتخب منهم الولاة والقضاة واعضاء المجلس الاعلى ومن نال منهم احدى هذه الوظائف حسبوهُ شريفاً وتوارث الشرف عنهُ ابناؤُهُ من بعدهِ وحينئذٍ يحق لهم التمتع بامتيازات الاعيان من مثل التصدر في المحال الاولى في الملاعب والحفلات واذا حكم عليهِ بالموت فلا يكون

بالصلب او بالقائهِ الى الوحوش الضارية · ولا يُعاقب بالعذاب كما كان يعاقب المجرمون من سائر مراتب المجتمع

ويلي هاتين المرتبتين الوطنيون الاحرار وهم السواد الاعظم من الشعب الروماني ويؤلفون من الوطنيين الايطاليين اهل الصناعات والحرف ومن ابناء الارقاء المعتقين وكلهم يظلّون على ما توارثوهُ من الاعمال ولا يحق لهم حمل السلاح ولا الانتظام في سلك الجيش

ولقد كان اهل هذه المرتبة معظم الشعب الروماني قبل ان استفحل شأن السلطنة وامتدت فتوحاتها الى شرق الارض وغربها ثم انهُ تغير الحال في هيئة الاهلين بما اضيف اليهم من الارقاء المعتقين الذين لما ضاقت بهم اسباب الارتزاق شرعت الحكومة منذ سنة ١٢٥ قبل المسيح تستحضر القمح من صيسيليا وافريقيا وتبيعهُ منهم بنصف ثمنهِ وسنة ٦٥ قبل المسيح صارت توزع القمح والزيت مجانًا حتى بلغ عدد من توزع عليهم القوت مجانًا سنة ٤٦ قبل المسيح ٥٢٠,٠٠٠ نفس

اما الارقاء فكانوا احطّ مراتب المجتمع الروماني شأنًا واشدها شقاء واكثرها ويلاً القتهم رحى الحرب الى رحمة الظافر فحقن دماءهم وابقى عليهم كأنهم المتاع يتصرف فيهم على ما يشاء غير معارض فيما يريدهُ منهم وقد جعلتهم سنن الحروب القديمة غنيمة الظافر وثمرة انتصارهِ · وكان من عادة الرومان اذا زحفوا لاكتساح بلاد سار معهم تجار الرقيق ليشتروا منهم اساري الحرب ويسيروهم الى اسواق رومية ليباعوا فيها بالمزايدة · وقد كان في مدينة من المدائن الرومانية سوق خاصة لبيع الارقاء كما كان فيها اسواق اخرى لبيع الخيل والبقر وغيرهما من الحيوانات الاليفة وكانوا يوقفون الرقيق المعد للبيع على دكة عالية ويضعون في عنقهِ بطاقة تعلن عمرهُ ومناقبهُ ومعايبهُ

ولم يكن يباح للرقيق التمتع بالحقوق المدنية ولا يجوز لهُ التملك ولا الزواج ولا ان يكون ابا عائلة ولا ان يرافع في المحاكم مطالبًا المعتدي عليهِ بشرعة القانون وللمالكهِ فيهِ حق تصرُّف المالك بملكهِ فيبعث بهِ الى اي موضع شاء ويشغلهُ بما اراد من الاشغال الشاقة وهو غير مسئول في اطعامهِ كثيرًا او قليلاً ولا في ضربهِ الضرب الشديد حتى الموت

واما معاملة السيد للرقيق فكانت على ضروب شتى تختلف لاختلاف اخلاق الاسياد وطباعهم فقد كان للادباء منهم عواطف سامية ومبادئ جليلة فلا يلقى الارقاء منهم الاّ اللين والتودُّد فقد انبأتنا الاخبار عن شيشرون وسنكا وبلينيوس انهم كانوا يطعمون الارقاء من افخر ما يأكلون ويجالسونهم على موائد الطعام ويحادثونهم في شؤونهم ويكثرون لهم

الهبات حتى اذا ماتوا اخلفوا لاولادهم شيئاً من المال . وعلمنا من سِير غيرهم انهم كانوا يعاملون الرقيق كالحيوان الاعجم ويأخذونهُ بكل ضروب القسوة والجنف . قيل ان احد الاعيان بينما كان يطعم السمك في بركة ماء في بيتهِ واذ مرَّ بهِ واحدٌ من الارقاء فكسر اتفاقاً وعاء كان هناك فاحتدم السيد غيظاً وطرح الرقيق في البركة ليكون طعاماً للسمك . وحدَّث سنكا باشياء كثيرة مما كان يعانيهِ الارقاء من جنف الاسياد وغطرستهم من ذلك انهُ اذا تنحنح الرقيق او عطس وسيدهُ على مائدة الطعام او وقع المفتاح منهُ على الارض فاصات تقوم قيامة السيد فيوسعهُ ضرباً وشتماً فاذا تبرم او ظهرت على وجههِ علائم الكدر والملل جلدهُ بالسوط شديداً . وكان بعض الاسياد يضرب الرقيق ضرباً مبرحاً حتى يكسر عضواً من اعضائهِ من ذلك ان الفيلسوف ابكتوتس كان جنبهُ مكسوراً من ضرب سيدهِ لهُ يوم كان رقيقاً . ولم يكن النساء اوفر حلماً من الرجال ولا اقل منهم قسوةً فقد كانت الاماء يقمن على تزيين سيداتهنَّ وتبريجهنَّ والسيدات يغرزن الابر في ذراع الامة المسكينة وهي تحتمل عذاب الوخز المرصاصَّة والسيدة مسرورة من هذه المداعبة . ولم يكن الراي العام يسفه مثل هذه القسوة ولا كانت الشريعة تنهى عن ارتكابها حتى انهُ كان في القرن الاول للمسيح انهُ اذا قُتل سيد في منزلهِ اقتصت الحكومة من ارقاء المقتول وان لم يكن لديها ما يثبت ارتكابهم الجريمة او يوقع الشبهة عليهم

وكنت ترى جلد الارقاء ازرق من ضرب السياط وكان لباسهم قمصاناً من الاسمال البالية وهم يحلقون شعور رؤُوسهم ويدمغون جباههم ويعاقب الآبق منهم شر عقاب بان يلقى الى الوحوش الضارية فتمزقهُ تمزيقاً

وكان كلما اعتز شأن رومة وعظم سلطانها ازداد عدد الارقاء فيها حتى صار الواحد من الاشراف يملك من العشرة الى العشرين الف رقيق على ان كثرة الارقاء وما كانوا يقاسونهُ من جور الموالي ادى بهم الى شق عصا الطاعة والخروج على اسيادهم في مواضع كثيرة من السلطنة من مثل ثورة صقلية وسبارتاكوس اللتين افضتا الى اضعاف صولة الاشراف واعتلاء شأن الارقاء

ولما وقفت السلطنة الرومانية عن السعي وراء توسيع املاكها عدلت الى الرفق بالارقاء واصدرت امراً سنة ٢١٢ تعلن فيهِ وطنية سكان السلطنة من اشراف وارقاء

ولم يكن النساء احراراً فكانت العذراء في البيت تحت امر ابيها يتصرف في شؤُونها على ما يريد ولا ارادة لها على نفسها فيختار لها الزوج ويزفها اليهِ واذا صارت زوجة لبثت

ايضاً تحت سلطة زوجها وهو سيدها المطاع فاذا شاء ابقى على حياتها او اماتها غير مسؤول

ومع ما للرجل الروماني من السلطة المطلقة على زوجته فقد كان يساويها بنفسه ولا يسومها الخسف او يعمل على حطة قدرها فيعهد اليها بادارة المنزل والرئاسة على الارقاء فيه وهي تقوم بتربية الاولاد والعناية بهم والنظر في شؤون الارقاء وتوزيع الاعمال عليهم ولا تحتجب عن الرجال شأن النساء عند اليونان وانما كانت تجلس في القاعة تستقبل الزائرين من الرجال وتأكل معهم في الولائم على موائد الطعام وتحضر الحفلات والمشاهد الأ انها لم تكن على شيء من العلم لقعود الرومان عن تعليم بناتهم وكان جل ما يطلبونهُ من المرأة الزهد ويذكرونهُ لها على ضريحها حيث يكتبون عليهِ كانت تلازم البيت وتقوم على غزل الصوف

وكان الاب الروماني كاهن العائلة في عبادة اسلافها والسيد المطلق في شؤونها يحق لهُ طلاق زوجتهِ وطرد اولادهِ او بيعهم جميعهم في الاسواق وغير ذلك من حق المالك في ملكهِ وكان الصبيان يشاركون الاب في اعمالهِ وتقيم البنات في البيت تحت امرة الام يتعلمن الغزل والنسج ويتدربن على القناعة والطاعة

ولم يكن للرومان عناية كبيرة بتعليم اولادهم فكان معظم الاهلين اميين يجهلون القراءة والكتابة الأ نفرًا من اغنياء الامة واشرافها كانوا يبعثون باولادهم الى المدارس ليتلقوا فيها القراءة والكتابة والبيان في اللغتين اللاتينية واليونانية عن اساتذة يونانيين يقبضون اجورهم الزهيدة من الآباء ويسلكون في التعليم طريقة الضرب بالسوط والقضبان وقد وجدوا في بمباي صورة تمثل المعلم يجلد تلميذًا ورفاقهُ قابضين عليهِ

ان انصراف الرومانيين الى السياسة وتطلعهم الى الفتوحات حال دون سعيهم وراء العلم ومع ذلك فقد اخذوهُ عن اليونان وسلكوا فيهِ مناهجهم فبعد ان كانت مدارسهم مقتصرة على تعليم الاولاد القراءة والرياضة البدنية صارت تلقنهم العلوم لاسيما البيان بكل ضروبهِ ولم تعدم الفلسفة طلاباً يؤمون دارها ويرفعون لواءها والئن لم يزيدوا على ما وضع اليونان شيئًا فقد تسربت الرواقية بآدابها الى شرائعهم وكان لها فيما سنوهُ شأن عظيم

وما ضرب الرومان عن الفنون صفحاً ولا اهملوا الصناعات وان لم تكن نشأة ارضهم فقد تحدوا اليونان فيها وتابعوهم في معظمها وازدهت الآداب اللاتينية في ايام اغسطس قيصر وعظم شأنها حيث ظهر في تضاعيفها فطاحل الشعراء مثل فرجيل وهوراس واوفيد وغيرهم ومثل ذلك قل عن صناعة البناء في عهد هذا القيصر فقد بلغت من الاحكام والجمال مبلغاً كبيرًا وكانت منازل الاغنياء في شكل يباين شكل الدور الفخيمة لعهدنا هذا اذ لم يكن لها

من واجهات الى الخارج وغرفها مظلمة صغيرة يتخللها نور النهار من عرصة الدار وكانت القاعة الكبرى في الوسط وهي ملأى بتماثيل اجداد الاسرة وتنار من كوى قائمة في السقف وفسحة الدار مبلطة بالفسيفساء

وكان للتمثيل شأن عظيم عند الرومان يتوافدون اليهِ في ايامهِ المعروفة افواجاً ويحسبونهُ من اعظم مظاهر الانس واكبر مجالي السرور حتى كان القياصرة يزيدون في عدد ايامهِ المعينة استرضاء للامة فقد كانت تقام زمن الحكم الجمهوري ٦٦ مرة كل سنة فزيدت في زمن القياصرة حتى صارت ١٥٥ مرة في السنة وتبتدئ الالعاب عادةً عند شروق الشمس وتختتم عند غروبها ولا يحضرها غير الاحرار من الوطنيين

وكانت الالعاب عندهم على ضروب شتى منها التمثيل وقد اتبعوا فيهِ لاول عهدهم النهج اليوناني بان يلعب الممثلون ادوارهم بوجوه عارية على ان هذا الضرب من التمثيل والضروب الاخرى منهُ كالتراجديا وغيرها لم تنطبق على اذواق الرومانيين ولا راقت في اعينهم لخلوها من العواطف السامية والرغبة في العلم وتملك الميل الحربي فيهم بحيث لا تسرّ نفوسهم ولا ترتاح خواطرهم الآ حيث يرون الدماء تهرق والنفوس تزهق من مقارعة الابطال ومصارعة الوحوش

وقد بذل الرومان جهدهم في تشييد المحال المعدة للالعاب والتمثيل فاقاموها بين التلال والآكام ليكون الموضع على شكل مستدير ويصلح مقاعد للمشاهدين وكانت الملاعب القديمة مؤلفة من قسمين قسم معد للمشاهدين وهو على شكل نصف دائرة والقسم الثاني للممثلين على شكل قائم الزوايا وكان موضع المتفرجين فسيحاً جدًّا في احد ملاعبهم يسع زهاء مئتين وخمسين الفاً وقيل انهم زادوهُ في القرن الرابع اتساعاً حتى صار يسع حوالي ثلثمائة وخمسة وثمانين الفاً

وفي تلك المحال المعدّة للالعاب كان يزدحم اشراف الرومانيين والوطنيون الاحرار منهم مع نسائهم واولادهم ويقيمون النهار بطوله يتفرجون على الملاعب الكثيرة منها سباق المركبات التي تجرها اربعة افراس وكان السائق يعدو بمركبتهِ ثلاث مرات حول الملعب. ويتم في النهار الواحد خمسة وعشرين شوطاً وكان لكل سائق جماعة من النصراء والمتشيعين يحملون اشارةً ملونةً تميزهم عن نصراء السائق الآخر وكان الناس يتحدثون كثيرًا بامر هذا السباق ويهتمون بهِ جدًّا حتى كان القياصرة انفسهم في بعض الاحايين ينحرفون الى حزب منها دون الآخر وتتخذ المناظرة شكلاً سياسياً

وهناك نوع اخر من الالعاب لهُ شأن عظيم ذلك ان تطلق الوحوش الضارية على مشهد

من المتفرجين ويبرز لقتالها الرجال الاشداء مسلحين بالحراب ثم زادوا هذه المشاهد شراسة بان تبرز الرجال وهي عزل من السلاح لمقاتلة الوحوش فتهجم عليهم الكواسر وتمزقهم تمزيقاً تقشعر منهُ الابدان ومع ذلك لم يكن يرى شيءٌ من علائم الكدر والاشمئزاز على وجوه المتفرجين من الرجال والنساء والاولاد بل كان يرى عليهم دلائل المسرة والرضى

ومن المشاهد الوطنية المصارعة وهي مبارزة الرجال بالسلاح فكانوا يأتون بالمحكوم عليهم واسرى الحرب والارقاء الى ساحة الملعب حيث يعتقل كل واحد منهم سلاحهُ الوطني ويقتتلون حتى يلقي الظافر خصمهُ على الارض مجندلاً بدمائهِ وكثيرًا ما كان يدخل في زمرة المتبارزين جماعة من الوطنيين الاحرار حتى من الاشراف انفسهم ويأخذون في المناجزة حتى ينالوا شرف الغلبة او يقضى عليهم

وكانت الحلقات شائعة في كل البلاد الرومانية على ان معظمها كان في المواضع اليونانية الشرقية وكان لكل صناعة حلقة خاصة بها تجمع اعضاءها الى التعاضد والتعاون وكان ينخرط في سلك تلك الحلقات احيانًا نفر من الاغنياء واصحاب الثروة كحلقة العشارين جباة الضرائب والحلقة التجارية التي كانت تتجر بين ايطاليا وغاليا الاَّ ان سواد اعضائها كان من الاوساط

ولم تكن الحكومة الرومانية راضية عن هذه الحلقات فكانت تثبط سيرها وتمنع اجتماعها ثم عدلت الى الرفق بها وآل الامر اخيرًا في القرن الثالث ان مدت لها يد الاسعاف

ولئن بلغت هذه السلطنة العظيمة مبلغًا عليًا من البسطة والجاه وتوفرت فيها اسباب الحضارة والعمران فقد كانت آداب اهلها سافلة كلها فساد ودعارة حيث كان الفسق والفجور والغلو في الترف وقسوة الاسياد على الارقاء زيًا متبعًا لا تحمرَّ لهُ الوجوه ولا تبكت عليهِ الضمائر ومما زاد في طين فسادهم بلة ضعف التدين فيهم لان عقيدتهم الاولى على خشونتها كانت لا تخلو من زواجر تنهى عن المنكر فلما ضعفت فيهم بما تبينوهُ من وهنها ضربوا بفضائلها عرض الحائط ولم يرجعوا الى عاداتهم القديمة ولا الى الفضائل الفطرية التي تحلى بها اجدادهم

والفرق بين اليونان والرومان ان الاولين ظلُّوا سائدين في آدابهم عصورًا طوالاً بعد سقوط دولتهم بخلاف الرومان الذين سقطت آدابهم ابَّان ازدهائهم السياسي وامتداد سلطانهم وبعبارة اخرى غُلب اليونان على ملكهم وممتلكاتهم ولكنهم غلبوا بلغتهم وعلومهم وآدابهم فكان اليوناني المغلوب سيدًا بعلمهِ وحكمتهِ والروماني غالبًا بسيفهِ وبطشهِ ومغلوبًا بفسادهِ وطيشهِ

طرابلس صموئيل يني

الراهن والواهن في المادية

(تابع ما قبله)

الحياة

ما هي الحياة وكيف ظهرت " ابقيت القوة الخالقة السنين الطوال تنظر الى السديم وترقب المادة الاصلية الى ان تقلصت وانفصلت الارض عن الشمس ام صبرت حتى تكونت القشرة الخارجية على وجه الارض وحتى تصاعد البخار وتجمعت المياه في الابحار وصارت الارض صالحة للحياة ثم قالت لتكن الحياة فكانت " . سؤال سألهُ تندل واجاب عليهِ بان الحياة نشأت من مادة الكون الاصلية نشوءا طبيعياً محضاً . وكيف يسوغ القول بان الحياة دخلت المادة دخولاً وكل ما في الكون حولنا شاهدٌ على وحدة الكائنات وعلى ارتباطها الكلي بعضها ببعض . قال هيكل " نقصد بالنشوء العام ان في الطبيعة وحدةً جامعة تدفع الكون الى الترقي وان كل ما في العوالم من حركات الاجرام السماوية الى حركة الحجر الذي ترميهِ ومن حياة النبات الى قوى النفس حاصل بتفاعل الجواهر والقوة[1] " وقال ايضاً " ان اكتشاف الاحياء الميكروسكوبية المعروفة بالمونوا (Monua) دليل واضح على امكان حدوث التولد الذاتي فان هذه الاحياء على بساطتها التي لا بساطة بعدها حية تظهر فيها الحياة كما تظهر في غيرها من الاحياء ولا ريب ان كل الانواع نشأت من اصول كهذي " [2] على ان هكسلي قد وجد في رأس شوكة القربص من صغار الدقائق البروتبلاسمية ما تحسب المونوا جواميس بالنسبة اليهِ وعندهُ ان من دقائق كهذي نشأنا كلنا رجالاً ونساءً ولنسمع حجتهُ في ذلك

قال — " من يسمعني اصرح بان حركات القفجا والفورميزا (نباتات معروفة) ليست الاَّ بعض خواص المادة البروتبلاسمية يندهش وينسب قولي هذا الى الهذيان ولكنهُ لو علم ان البروتبلاسم المركبة هي منهُ هو عين البروتبلاسم في سائر الاحياء لما توقف عن التصريح بمثل ما صرحت بهِ بل وزاد على ذلك ان كل حركة حيوية هي خاصة من خواص القوى الكامنة في البروتبلاسم " [3] اه

ان العقل لا يمكنهُ انكار ناموس الاتصال لانهُ يراهُ جليا في كل اجزاء الوجود فاذا

---

(1) Truths of Evolution (2) تاريخ الخليقة لهيكل ٧٥ (3) Errors of Evolution

سلمنا بظهور الحياة بغتةً هتكنا حرمة هذا الناموس وهو مما لا يسلّم بهِ العقل ولو دقيقةً واحدة. اوَ ليس واضحاً ان مملكتي النبات والحيوان مشتركتان في الحيوية وقوة الحس نستنتج ذلك من عدم امكاننا ان نضع حدًّا فاصلاً بينهما فكيف يسوغ لنا ان نقول ان حياة النبات غير حياة الحيوان وان القوَّة الخالقة خلقت كلاًّ منهما خلقاً خاصاً . واذا التفتنا الى الجماد رأينا ان ناموس الاتصال واضح فيهِ ايضاً اعتبر ذلك في المشابهة الكلية بين احط الاحياء وبين اقرب المركبات الكيماوية الى الحي فتكاد لا ترى ثمت من فاصل بينهما. نعم لم يستطع احد ان يعبر الهوَّة التي بين الجماد والحي ولم يستطع احد حتى الوقت الحاضر ان يولّد الحياة توليدًا اصطناعياً ولكنَّ ذلك لا ينفي القول بهِ ولا يزعزع الرأي القائل بان الحياة قوة مادية او كما قال سبنسر "وفاق تام بين الاحوال الخارجية والاحوال الداخلية "وهوذا العلم نفسهُ يصرّح بان ما نسميهِ قوةً حيويةً ليس الاَّ قوى كيماوية . تتغير بتغيُّر القواعل الفاعلة فيها. وكما ان الآلة لا تستطيع ان تخلق قوةً جديدة كذلك الجسم فانهُ يأخذ القوى من المحيط ويكيفها بحسب الاحوال . فالمشي والعدو والتسلق والجذب والدفع والتنفُّس والهضم وغيرها ليست الاَّ حركات ميكانيكية كيماويةً وما القوَّة التي تراها في العضلات الاَّ القوَّة التي كانت في الطعام والشراب . قال هربرت سبنسر " امس كان العلماء يجزمون بانهُ يستحيل اصطناع مركب آلي اما اليوم فقد بطل وهمهم في ذلك لاسيما وقد تمكنوا من صنع الوف من المركبات الآلية ولا يبعد انهم يتمكنون من صنع اكثرها " اه

وقال هكسلي في كلام لهُ عن اصل الحياة . " ان وجود الحياة متوقف على وجود بعض المواد الطبيعيَّة كالحامض الكربونيك والماء والنشادر فاذا انتزعت احدى هذه المواد ذهبت بالحياة اجمع . ومن المعلوم ان البروتبلاسم مؤلف من كربون وهيدروجين واكسجين وكل من هذه الثلاثة جامد لا حياة فيهِ فاذا سأل سائل كيف تهيأ للحياة ان تنبعث مما لا حياة فيهِ قلنا كيف تهيأ للماء ان يتولد من الهيدروجين والاكسجين ولا اثر للمائيَّة في احدهما — انقول ان المائيَّة اتت من حيث لا نعلم ودخلت في اكسيد الهيدروجين حالما تمَّ تركيبهُ ام نقول ان المائية خاصة من خواص المادة تظهر في تركيب خصوصي كالاكسيد المذكور . واذا لم نستطع ان نقول ان المائيَّة دخلت في مركب الاكسجين والهيدروجين فماذا يسوغ لنا ان نقول ان في بعض التراكيب الخصوصية تدخل الحياة دخولاً وانهُ متى تمَّ تركيب البروتبلاسم دخلت الحياة من الخارج واستقرت في بيتها الجديد . أليس ذلك مجرد تحكم ومحض مكابرة أوَ ليس الاولى ان نقول ان الحياة ناتجة من تركيب خصوصي في المادة " اه

هذا ولقد بطل ما كان يزعمهُ الخلقيون من خلق الانواع دفعةً واحدة ورجعوا الى القول بان الانواع من اصل واحد بسيط او من اصول قليلة ولكنهم توقفوا عن عبور ما بين اصل الاصول والجماد وتركوا الماديين وحدهم يجتازون على جسر ناموس الاتصال الذي المنا اليهِ سابقاً

الحياة " هي البروتبلاسم ليس الاَّ وكل مظاهرها ناجم عن حركات تلك المادة الغريبة الشاملة الاحياء . ولم يرَ العلماء في تجاربهم حتى الآن سوى العناصر الكيماوية . نعم لم يتمكنوا من توليد الحياة اصطناعياً وقد لا يتمكنون من ذلك لعسرهِ ولكنهم لا يرون في الحياة غير قوة من قوى المادة . قال زهاوي زاده جميل صدقي افندي في كلام لهُ عن التولُّد الذاتي[1] " وربما سلَّم بعض الحيويين بالترقي والنشوء للآليَّات الاَّ انهُ يبقى مصرًّا على عدم التسليم بان الحياة نوع من القوى الطبيعيَّة او هي تحوّلٌ عنها . والمحققون على انها قوة من القوى الطبيعيَّة للدلائل التي تدل بمجموعها على صدق الدعوى وان كانت ضعيفة بالنظر اليها واحدًا واحدًا . والاكثر على انها فوق الطبيعة لمجرَّد ان المثبتين لا يستطيعون ان يستخرجوا اليوم من الجماد حيوانًا او نباتًا . وليت شعري كيف يمكن لهم ان يتصوروا الشيء خارجاً عن الطبيعة وهل يوجد محل خارج عن الطبيعة حتى يمكن ان يردَ منهُ الشيء فيحل في الطبيعة ثم يخرج منها اليهِ . الم يكفِ المخالفين اقناعاً ان كثيرًا من الامور التي كانوا يظنونها خارجة عن الطبيعة اكتشف اخيرًا حقيقتها فاعيدت الى محلها في الطبيعة

" وما ادراك لعلَّ الحياة ايضاً من تلك الامور واذا لم تكن الحياة من نوع القوى الطبيعيَّة فكيف تحول الواحدة منها الى الاخرى .... ايريدون ان يصنعوا بايديهم اليوم مادة حيَّة من الجماد واساً حتى يصدّقوا . كلاَّ فان الزمان الذي يتهيأُ فيهِ هذا ربما كان بعيدًا لما ان حقيقة الحياة لم تكشف بتمامها في الحاضر وجلُّ ما يظنهُ العلماء انها والقوى الطبيعيَّة في الاصل واحد

" لا اخال العلماء يقولون بالحدوث والاعدام للاشياء في الحاضر بجميعهم قائلون بالبقاء وعلى هذا فأسالكم اذا مات حيوان فمن المحقق ان الحياة لم تبقَ فيهِ وحيث انها لم تعدم فلا بدَّ انها ذهبت فلننظر كيف يمكن لها ان تذهب . واذا وضعنا الحيوان المذكور في قنينة سميكة الجدران مسدودة سدًّا محكمًا ومات فيها كيف تذهب حياتهُ . فهي لكونها لا تعدم لا بد انها تفارق جسدهُ وتذهب واذا ذهبت فعلى اي كيفية تخرج من القنينة . هل تنفذ

(١) المقتطف مجلد ٣٠ ص ٩٠٠

مسامّ القنينة وتخرج كذلك فاذن هي جسم كالاجسام او انها تهز جدران القنينة او الاثير المتخلل مسامها فهي اذن حركة وقوة كسائر القوى ولا يتصدر لخروجها الاّ احدى هذه الكيفيات . اه "

وكلام الماديين في نشوء الحياة من الجماد كثير وانما اكتفيت بهذا النذر القليل حباً بالاختصار . ولنتقدم الآن الى الفصل الثالث من موضوعنا وهو يبحث في ان العقل كالحياة قوة من قوى المادة

العقل

وكما ارجع الماديون الحياة الى المادة هكذا ارجعوا العقل الى حركات في الدماغ وقالوا ان لافرق بين المظاهر العقلية والقوى الحيوية وان لا فصل في الخط الذي يصل الاميبا والبرتوجونا بافلاطون وشكسبير

العقل قوّة مستقرّة في الدماغ وهي تتحوّل الى غيرها من القوى الطبيعيّة . فالحرارة والنور والحركة مثلاً قد تتغير فتصير شعوراً وفكراً والعكس بالعكس . والمادة لم تكتسب حركتها وقواها من الخارج بل هي ازلية فيها فما الذي يحمل البعض على القول بان للكون روحاً شاملة هي اصل الحياة او ان للفرد نفساً خاصة هي مبعث العقل . العلّ المادة مرسح فقط تظهر فيه القوى وتمثل ادوارها ام هي منشأها وعلة وجودها . ولا يُستفاد من ذلك ان الفكر خاصة من خواصّ المادة العامة . كلاّ فانهُ كما ان الذوق لا يكون الاّ في اللسان والشم في الانف والمرارة في الكبد هكذا الفكر لا يوجد الاّ في عضو خاص به وهو الدماغ[1] . قال دافد هارتلي " ان اختلاف النفس عن الجسد عرضيّ لا جوهري فان التجارب الصادقة ترينا ان العلاقة بين الجسد والنفس كلية ومن المستحيل ان يتفاعل شيئان مختلفان في الجوهر — اني ارى العالم الماديّ كالسلّم درجات فاذا بدأنا بالحجر الذي هو احطّها ثم شرعنا نصعد الى النور الذي هو اعلاها وبعبارة اخرى اكثرها روحاً وحياة رأينا الفرق بين الحجر والنور عظيماً الى درجة يعسر فيها تصوُّر كونهما مادة على السواء ومع ذلك فنحن لا ننكر مادية النور بل لا نقول بفرق بين الحجر والنور من جهة الجوهر . فماذا يمنعنا عن الصعود الى ما فوق النور حتى نصل الى العقل فان الفرق بين الشعور والنور اقلّ منهُ بين النور والحجر " اه

قال الماديون بمادية العقل وهم يستندون في ذلك كما المعنا سابقاً الى ناموس الاتصال

(1) تولند . تاريخ الفلسفة لوبر

فلا يرون من فصل في هذا الوجود — النبات متصل بالحيوان والجماد بالنبات — اذ بذلك تتم الوحدة الرابطة الكائنات بعضها ببعض والقول بفصلها واستقلالها لا يقبله الباحث المدقق اعتبر ذلك في احط الحيوانات المعروفة فترى انها بسيطة جداً لا اعضاء لها ولا اعصاب ومع ذلك فلها قوة الحس التي تمكنها من القيام بامر حياتها وانك لترى كما ارتفعت في سلم الاحياء ان ارتقاء الجهاز العصبي مطرد وان القوى النفسانية متوقفة في ظهورها على درجة ارتقاء الجهاز العصبي وهذا التوقف او هذه العلاقة كلية بحيث لا يمكن وجود العقل والادراك الا متى بلغ العصب من الارتقاء مبلغاً عظيماً جداً . فبدلاً عن ان يكون الجسم خلية واحدة او مجموع خلايا قليلة كما هي الحال في بعض الاحياء الدنيئة كالبروتوزوى والمونوا والاسفنج نراه يتقدم حتى يصير ذا اعضاء مستقلة ثم يظهر فيه العصب الواحد ويتقدم العصب بتقدم الحيوان ويتفرع الى اعصاب كثيرة ثم يرتقي ويتزايد حتى يصل في الفقريات الى الجهاز العصبي العظيم البالغ في الانسان اعظم اطوار ارتقائه

ثم ان الدماغ درجات فمنهُ الصغير والمتوسط والكبير ومنهُ البسيط والكثير التركيب على مقتضى ارتقاء الفرد الحي وعلى درجة تقدمهِ في ميدان النشوء العام . واعظم الادمغة وارقاها دماغ الانسان فان فيهِ من التلافيف والصلات ما لا يوجد في غيرهِ من سائر الحيوان . واذا هبطنا من الانسان الى ما دونهُ من الحيوان رأينا الدماغ يصغر تدريجاً حتى لا نعود نرى لهُ من اثر في الحيوانات التي لا فقار لها . بل نرى هنالك عوضاً عنهُ العقد العصبية متفرقة في الجسم على ابعاد مختلفة . وتقل العقد والاعصاب كما هبطنا حتى نصل الى حيث لا عصب ومع ذلك نرى ان الحيوان لا يزال يتأثر من المحيط ويتحرك بحسب المؤثرات الفاعلة فيهِ . فكيف ذلك وكيف نرى علاقة العصب بالقوة المنبعثة منهُ ولا نقول بان هذه القوة خاصة من خواص البروتبلاسم . الحس من خصائص البروتبلاسم وهو مما يشترك فيهِ الحيوان والنبات وتتوقف قوتهُ على مقام الفرد الحي في عالم الاحياء واليهِ ارجع الماديون كل المظاهر العقلية والغرائز الداخلية . فقالوا في الغريزة مثلاً انها نتيجة الاختبار المكرر . فان من الفواعل الطبيعية ما هو محبوب ومنها ما هو مكروه فاذا تأثر حيوان لفاعل مكروه اندفع عنهُ واذا تكرر ذلك المؤثر تعلم الحيوان ان يكرههُ وهذا الكره يتقوى ويتوارثهُ الخلف عن السلف فيصبح غريزة او ملكة فيهِ

من ينكر قوة الفهم والادراك في الحيوان ألا ترى ان الثعلب يقيس ويستنتج وبعبارة اخرى يتفلسف وليس لديهِ الا الشعور بالمؤثرات الخارجية . نعم لا يستطيع ان يجرد لان

التجريد يقتضي جهازاً عصبياً اكثر تركيباً وملاءمة لذلك . واذا كان الحيوان (وليس له الا الحس) يقرن الحوادث بعضها ببعض ويدرك بواسطة الاختبار ما يهمهُ ادراكهُ من ماجريات الكون فلماذا نجعل عقل الانسان مستقلاً او لماذا نخلق فيهِ نفساً تستقرُّ في الجسد وتبعث اليهِ بالعقل هبةً من النفس الشاملة . هل الانسان من فلتات الطبيعة شاذٌ عن مجرى الكون اوهو من هذا العالم خاضع للنواميس التي يخضع لها سائر الاحياء . ان العقل يقوى بقوة الاعصاب ويمرض بمرضها بل يموت بموتها وهذا مناقض لمبدإ استقلالهِ اذ ان ذلك يقتضي كونهُ كاملاً في البساطة والكامل في البساطة كيف ينمو ويقوى ويموت ؟ قال احدهم " اذا كانت النفس غير ماديَّة فلا حيز لها وما لا حيز لهُ لا يوجد في مكان فهو غير موجود "

جاء لسبنسر في فلسفتهِ الاديَّة قولهُ (١) — " العقل عبارة عن الشعورات الناشئة من المحيط وعن علاقات تلك الشعورات بعضها ببعض . فالشعور الاول بسيط جدًّا وعملهُ الحركة الانعكاسيَّة ولكنهُ يزداد تركيباً كلما ازدادت المؤثرات وكلما كثر الاختبار . اما الفعل الانعكاسي فهو انتقال التأثر من عصب الحس الى عصب الحركة رأساً بدون توقف . فاذا حدث التوقف وذلك عند ازدياد العلاقات والشعورات في الاعصاب الحساسة صار عدد الصور الناشئة عن ذلك كبيراً جدًّا بحيث يتعذر انتقالها الى اعصاب الحركة بدون توقف قليل وهذا التوقف القليل قبل الحركة هو الفكر . وكلما ازدادت المؤثرات وكثر تركيب الشعور والصور المسببة عنها طال التوقف او الفكر حتى تصل في ذلك الى حالة الحكم والتمييز وهي الحالة التي نتمكن فيها بعض الصور من النظر الى بعضها ومن التأثر المتبادل " اه

فنستنتج من ذلك ان العقل اولهُ وآخرهُ الشعور وان الشعور مسبب عن تأثر العصب من المحيط واما القول بان العقل جوهر مجرد عن المادة فمما لا يوافقنا عليهِ العلم اذ لا وجود لغير المادة في عالم الوجود . اعتبر ذلك في الادلة الآتية (٢)

(١) ان النفس تنمو بنمو الجسد وتتكامل قواها بتكامل قواه فاعضاء الجسد تتكامل الدنيئة منها اولاً فتفعل افعالها ثم التي فوقها كذلك ولا تزال تتكامل حتى تصير كفأً لقضاء كل اعمالها . وينشأ الجسد ثم ينمو حجماً وقوةً حتى يأتي طور الانحطاط فينحط وفي غضون ذلك تشرع النفس في النمو ولا تزال تتقوَّى وتنمو حتى تصير كفأً لقضاء اعمالها

---

(١) المجلد الاول ص ١٠٤ من Synthetic philosophy باب الفلسفة الادية

(٢) نقلت بتصرُّف قليل عن مذهب الماديين في المقتطف السنة الخامسة ص ١٦٢

(٢) ان النفس لا تكتفي بمقارنة الجسد والنمو بنموهِ بل تعتمد عليهِ ايضاً للحصول على المعرفة وما يتلو تلك المعرفة من الانفعال اللذيذ او المؤلم كالانبساط والانقباض

(٣) انها والدماغ سيّان فانهُ اذا اصاب الدماغ ما يغيّر تركيبهُ او يحبط اعمالهُ او اذا قطعت اعصاب من اعصابهِ فربما جُنّ الانسان وذهب عقلهُ فينقلب ما نسميهِ نفساً فيصير ذاتاً اخرى تعاكس تلك في طبعها كما يستدل من انعكاس افعالها . والخلاصة اننا لا نعلم بوجود النفس (او العقل) غير مقارنة للجسد ولا دليل لنا من البحث والمشاهدة على وجودها كذلك وان النفس تنمو بنمو الجسد وتعتمد عليهِ في ادراكها وانفعالها وترتقي بارتقائهِ وتضعف بضعفهِ . ويترتب على ذلك ان النفس فعل من افعال الجسد وان جوهرها جوهر الدماغ وبهذا يتضح سبب نموها بنمو الجسد واعتمادها عليهِ في الادراك . واما كونها جوهراً غير مادي فلا يحل مشكلاً من المشاكل ولا يقنع عقل العاقل — انتهى باختصار —

سأل العقليون كيف يصير الشعور عقلاً وكيف تتحول التأثرات الخارجية الى عواطف داخلية وقاموا يندّدون بالقائلين بذلك وقد فاتهم ان ناموسي بقاء القوة واستمرارها يفسران ذلك باجلى بيان فانهُ كما ان النور والحرارة ضربان من الحركة هكذا الشعور والفكر والارادة وغيرها ضروب من الحركة يتحول بعضها الى بعض طبقاً لناموس بقاء القوة

اما الارادة فيرجعون بها الى الاميال والعواطف التي تنشأ من الشعور . ولما كانت الاميال متباينة القوى كان لا بد لاحدها ان يكون الاعظم فيها قوة وتأثيراً . والارادة انما هي اتباع هذا الميل الاعظم فهي مقيدة بمثل ما تتقيد بهِ سائر الاميال . انظر الى نفسك حينما تعمل عملاً فترى انك مدفوع الى ذلك العمل بعلل كثيرة وهذه العلل اما ان تكون خارجيةً تأتيك من المحيط رأساً او داخليةً تمرّ منها على عدة اسباب حتى تصل الى السبب الاول وهو المحيط فالمحيط كل شيء ومها اراد الانسان فهو انما يريد مدفوعاً بما لا قبل لهُ على عصيانهِ

هذا ما يوصلنا اليهِ البحث والمقام اضيق من ان اسهب في ردّ كل مظهر عقلي الى اسباب خارجيةٍ لاني لا اقصد في كلامي الليلة الأ ان اختصر معنى الماديةَّ على طريقة واضحة بحيث يتناول العقل القصد المراد منها لا سرد الادلة والبراهين في تقريرها ولا لبسط التجارب في شرح مشاكلها وغوامضها

بقي عليَّ امر لا بد لي من ذكرهِ في هذا الباب وهو (الوجدان الذاتي) او الشخصيةَّ . فالمعترضون يقولون لو فرضنا ان النفس مؤلفة من جواهر فردة فكيف تم لتلك الجواهر

العديدة ان تصير ذاتاً واحدة تشعر بوجودها وتدرك ما هو خارج عنها . ومع عظم اهمية هذا الاعتراض فهو لا يفند شيئاً من المبادىء المادية اذ ان بمثل هذا الاعتراض يعترض على العقلية نفسها فكيف تجيب لو سئلت كيف تم للصور العقلية ان تصير صورة واحدة . ذلك سرّ لا المادية تفسره ولا العقلية تفسره وجل ما للماديين في ذلك قولهم[1] ان بين اعصاب الحس واعصاب الحركة علاقة داخلية فاذا كانت تلك العلاقة منظمة جداً اي قد تكرر حدوث الفعل فيها مراراً عديدة كانت الحركة انعكاسية والاَّ فهي وجدانية بمعنى انها تقتضي توقف الصور عن المرور فتقع تحت حكم الفكر والارادة . فالوجدان هو الحالة التي تكون فيها العلاقة بين عصبي الحس والحركة غير كافية لمرور الشعور في طريقة يكون العقل بها انعكاسياً

جاء للويس في كتابه مسائل الحياة والعقل ص ١٩٦ ما يأتي :— الشعور ثلاثة انواع — شعور الحس وشعور الفهم وشعور الارادة . ولا يفرق الشعور العام عن الوجدان العام الاَّ التمييز ولكن التمييز نفسهُ شعور يفوق ما سواهُ في التأثير والقوة . فالوجدان هو الشعور نفسهُ في حالة يرى بها ما سواهُ من الشعورات الذاتيَّة او الشخصيَّة فما هي الاَّ مجموع الصور العقليَّة مجموع تتحد فيهِ صفات كل صورة ويكون من اتحادها فرد او حال . ومَثَلُ هذه الشخصية مَثَل مركز الجاذبية في جسم ما فانهُ كما ان لكل جزء من الجسم ثقلاً خاصاً ومركزاً خاصاً وان لمجموع الاجزاء ثقلاً هو مجموع اثقالها ومركزاً هو ملتقى مراكزها هكذا لكل صورة من صور الدماغ مركز . ولكن مركز المراكز هو الوجدان الذاتي وكما يتغير مركز الجاذبيَّة بتغير الاجزاء هكذا يتغير الوجدان بتغير الصور العقليَّة . وقال سبنسر ايضاً

" ان الصور المولدة في الدماغ لا بدَّ لها من رابطة او مركز عام تمرّ فيهِ فكلما ازدادت الصور قلَّ الوقت اللازم لمرور كل صورة على حدة فصارت الصور تمر متلاحقة متماسة وحدث من ذلك خط من الصور متصل هو الوجدان الذاتي او النفس

فالنفس حاصلة من تلاقي القوى العقليَّة فاذا فني الدماغ وفنيت المظاهر العقليَّة فني العقل وتلاشت النفس

هذي هي مبادىء الماديين فلنتقدم الى الرد عليها مختصرين في الرد ما اختصرنا في الكلام عنها

(ستأتي البقية) انيس الخوري

---

(١) سبنسر

تجارة مصر منذ مئة عام

يعلم قراء المقتطف حال التجارة المصرية الآن مما ننشرهُ لهم عاماً بعد عام . وقد اطلعنا على كتاب للمسيو جيرار الذي كان رئيساً لهندسة الجسور والطرق في زمن الحملة الفرنسوية وصف فيهِ احوال القطر المصري الزراعية والصناعية والتجارية فرأينا ان نقتطف المقالة التالية من قسمهِ التجاري

(١) التجارة الداخلية

لا اهمية للتجارة بين اسنا والشلال الاول لان الاهالي هنالك فقراء يكدحون وراء رزقهم اليومي وينقلون النزر اليسير مما يستغنون عنهُ من لوازم المعيشة في قوارب يسيرونها في النيل الى الجهات القريبة منهم . غير ان مدينة اسنا وهي محط رجال البكوات المنفيين تفوق ما يجاورها من المدن في اهميتها التجارية لاسيما وان العرب الضاربين في الصحاري المجاورة من العبابدة والبشارية يختلفون اليها لشراء حاجاتهم من مثل القطاني والارز والحديد والاقمشة التي يبدلونها بجمال وفحم وصمغ وعبيد مما يقع لهم الاستيلاء عليهِ إما في الصحراء وإما خطفاً من قلب افريقية

ويكثر في اسواق اسنا الزبدة والجبن والحبوب والدجاج والحمام والخضر والصوف وغزل القطن جميع ذلك يرسل اليها من الجهات القريبة منها فضلاً عما يرد اليها من مصر واخصهُ الحديد والرصاص والنحاس والصابون والارز . وفيها مستودعات لواردات سنار من ريش النعام والعاج والابنوس وصغار العبيد الذين لا يمكثون فيها الاَّ ريثما يتهيأ ترحيلهم الى القاهرة

ويرسل منها الى مصر مقادير وافرة من زيت الخس والتمر والفحم والسنا والشبَّة وقليل من الحبوب

واجرة قنطار الزيت (١٢٢ رطلاً) من اسنا الى القاهرة ٤٠ مايدة (٥ غروش صاغ) واجرة قنطار البلح (٢٥٠ رطلاً) ٨٠ مايدة ويصدر منهُ من النوبة وغيرها بطريق اسنا نحو خمسة آلاف قنطار سنوياً . واجرة قنطار الفحم ٣٠ مايدة الى مصر حيث يباع القنطار بزرَّين محبوب (اي ٣٦٠ مايدة)

واكثر ما تنقل البضائع الى مصر بالنيل في مراكب ملاحوها من البرابرة . وسواد التجار يفضلون طريق النيل لانهُ اقل تعرُّضاً لسطو الاشقياء وغزو الغزاة من العرب

وبلي اسنا في الاهمية التجارية في اعالي الصعيد بلدة قوص من حيث يرسل الشال الصوف الابيض الى مصر و يصدَّر القمح الى بلاد العرب بطريق القصير

وتقام في كل اسبوع اسواق للبيع والشراء في جميع مدن الصعيد .أهمها سوق مدينة الفيوم التي يأتيها الاهالي والعرب من جميع الانحاء المجاورة يتبادلون فيها السلع والمأكولات . وتضرب على هذه الاسواق رسوم يتقاضاها البك المتولي امر الجهة التي تقام فيها اوالكاشف الحاكم عليها . وكان الرسم المضروب على سوق مدينة الفيوم ١٤٠٠٠ مايدة (كل ٨ مايدات نحو قرش صاغ) سنويًّا ولكن المتعهدون يضربون رسومًا مختلفة على كل ما يدخل الى هذه السوق فيبلغ ما يأخذونهُ سنويًّا نحو ١٧٠٠٠٠ مايدة . فكان رسم الدخولية ١٠ مايدات على كل اردب قمح ولا شيءَ من الرسوم على الاقمشة القطنية والصوفية والقطن المغزول لان الحاكة يدفعون رسومًا خاصة بحرفتهم فتُعفى لذلك مصنوعاتهم من سائر الرسوم . ومعدل الربا في الفيوم ١٠ في المئة سنويًّا

وفي القاهرة اسواق عديدة لبيع المأكولات وغيرها . ولهذه الاسواق شرطي بمعونة الآغا يتفقدها كل يوم راكبًا حصانهُ يتقدمهُ وزَّانٌ حامل ميزانًا كبيرًا ومُنجًا مختومة ويتبعهُ نفر مسلحون بالعصي . فاذا تقدمت اليهِ شكوىً من شارٍ يشكو بها نقص الوزن يأمر وزانهُ الخاص بتحقيق ذلك امام حانوت البائع فان وجد اعوجاجًا في البائع احالهُ على أتباعهِ يقوّمون اعوجاجهُ بعصيهم . فيتألب حولهُ الباعة جيرانهُ يهتمُّون بأمرهِ و يدخلونهُ الى دكانهِ مطيبين خاطرهُ حتى اذا جاء دور احدهم في الانطراح تحت عصيّ رجال الآغا يعاملهُ هو بنفس هذه المعاملة

وقد تجري شُرَطِ الاسواق على هذه الخطة في المدن الاخرى المهمة ولكن بطريقة اقلّ انتظامًا

وتمتاز طنطا عن جميع مدن الوجه البحري باتساع اشغالها واهمية اسواقها وموالدها السنوية ولاسيما مولد السيد احمد البدوي الذي يعلن الباشا الحاكم بوم افتتاحهِ بفرمان يرسلهُ الى المديريات السبع وهي : الصعيد والجيزة والبحيرة والمنوفية والغربية ومديريتي الشرقية . فتزدحم الجماهير في وكالات الجامع الاثني عشرة وفي الاسواق والارباض تغشاها الخيم . وكان امر البوليس منوطًا بكاشفين ترسلهما مديريتا المنوفية والغربية فيشرفان على الاسواق الغاصّة بالمواشي والماكولات وضروب الاقمشة البلدية والاوربية والهندية يؤتى بها من الاسكندرية والقاهرة . و يحافظان ما امكن على الأمن وهو كما ذكرنا قبلاً عرضة لان

تعبث بها العرب والاحزاب الاستبدادية . وتقام ايضاً اسواق على جانب من الاهمية في محلة مرحوم وسمنود . وتعتبر المنصورة نقطة الاتصال بين القاهرة ومدينتي دمياط ورشيد حيث مخازن البضائع الاوربية والسورية

اما الامن في الوجه البحري فمختل في الداخلية اذ لا وجود للبوليس الا في المدن المهمة وعلى الشطوط والاطراف حيث تكثر تعديات العرب .

(٢) التجارة بين مصر وداخلية افريقية

تقوم القوافل التجارية في اوقات معينة الى مصر من دارفور وسنار وفزان وهاك بيان امر كلٍ منها

قافلة دارفور

تحمل هذه القافلة الى الديار المصرية العاج والتمر الهندي والقرب من جلود الجمال وريش النعام والشثم والكرابيج والصمغ والشبة والنطرون وبعض جلود النمر الخ . غير ان معظم تجارتها بالرقيق الاسود صبياناً وبناتاً بعضهم يختطفه النخاسون من قرى دارفور وبعضهم يؤخذون اسرى في الحرب . ويباع الرقيق في القاهرة بما يساوي الآن خمسين ريالاً مصرياً (١) والخصي منهم بضاعف ذلك وفي دارفور نفسها يدفع الجلابون على روايتهم ثمن الرقيق الواحد اربع شقق او خمس من قماش الكتان الاسيوطي او من قماش القطن المحلاوي

وتؤلف القافلة من خمسة الاف جمل تقطع المسافة بين دارفور واسيوط في ٤٠ او ٥٠ يوماً . وبما ان آبار المياه في الطريق بعيدة بعضها عن بعض ومدة السفر طويلة يخصص الجلابون وهم ارباب القوافل نحو ثلث جمال القافلة لحمل الماء والتمن فقط لحمل البضائع والباقي لاغراض مختلفة من مثل الركوب ونقل الذخائر والمؤن واحمال الجمال التي تعقر او تموت في الطريق

وكان لا يسمح للقافلة ان تتخطى اسيوط الا بعد دفع الرسوم التي يبين مقدارها كاشف الواحات الخارجة لقيم القافلة وهذا يتقاضى من كلٍ من الجلابين السهم الذي يلحقهُ من ذلك . وكانت الضريبة على كل رأس رقيق نحو ٧٠ غرشاً صاغاً وعلى الجمل نحو ٣٥ غرشاً صاغاً . وتؤخذ ضريبة ثانية على القافلة في القاهرة تساوي ربع هذا الرسم عدا رسم الدخولية في مصر العتيقة بواقع ١٢ غرشاً على الجمل . ويدخل مصر سنوياً من دارفور بين خمسة آلاف وستة آلاف رقيق اربعة اخماسهم جوارٍ . ويرئس كل قافلة قائد من قبل

(١) نستعمل في ما يأتي قيم العملة الحالية

ملك دارفور يستولي على مرتب من الجلابين وهو ٣ غروش عن كل جمل و٧ غروش عن كل رفيق

اما مقادير البضائع التي تنقلها قافلة دارفور سنويًّا الى القاهرة ومتوسط اثمانها فبوجه التقريب كما يأتي :—

عاج ٤٥٠ قنطارًا ثمن القنطار ٩ جنيهات

تمر هندي ٦٠٠ قنطار. ثمن القنطار جنيهان

صمغ عربي ١٥٠٠ قنطار والقنطار منها ١٥٠ رطلاً ثمن القنطار ٤ جنيهات

شثم ٦٠٠ قنطار ثمن القنطار ٦ ريالات

كرابيج ٣٠٠ كرباج ثمن الكرباج ٧ غروش

ريش نعام ٢٥ قنطارًا ثمن قنطار الاسود منهُ ١٧ جنيهاً والابيض نحو سبعة اضعاف ذلك

قِرَب من جلود الجمال والثيران ٤ آلاف زوج ثمن الزوج ٤ ريالات

نطرون الف قنطار (القنطار ١٢٠ رطلاً) ثمن القنطار ٦ ريالات

شبة ٢٠٠ قنطار (القنطار ١٥٠ رطلاً) ثمن القنطار ريال ونصف وهي تستخرج من قاع البحيرات والمستنقعات في دارفور

وقد تستغرق إقامة الجلابين في مصر اكثر من ستة اشهر يستبضعون في اثنائها ما يلزم لهم من السلع البلديَّة والاوربيَّة من مثل الاقمشة والخرز الملوَّن والدمالج والحديد والرصاص والنحاس والسلاح والبارود والحلى الفضيَّة الخ

وفي هذه الاثناء يبيعون معظم جمالهم فلا يبقون منها الاَّ ما يلزم لرجوعهم · وفي عودتهم يدفعون في القاهرة رسماً قدرهُ ½ ٥ غرش عن كل جمل محمَّل

قافلة سنَّار

تسير قافلة سنَّار في طرق متشعبة تنتهي الى ابريم في النوبة ومن هناك تتابع السير الى دارفور فاسنا حيث تحط رحالها زمناً يتمكن فيهِ الجلاَّبون من بيع جانب من جمالهم وبضاعتهم ثم تقلع القافلة ببضاعتها في النيل الى القاهرة وفي اجتيازها النيل تدفع ضريبةً في منفلوط قدرها ثلاثة غروش صاغ عن كل رأس رقيق واخرى في المنيا وضريبة ثالثة في بولاق · غيران كلاًّ من الضريبتين الاخيرتين يساوي نصف الضريبة الاولى

والذي يختلف من محمولات هذه القافلة عمَّا تقدم ذكرهُ في الكلام على قافلة دارفور

هو الرقيق الحبشي الذي تحضر هذه القافلة عدداً قليلاً منهُ فيباع باكثر من غيره والتبر ومقدارهُ قليل ايضاً وتباع الاوقية منهُ في مصر بنحو اربعة جنيهات ونصف

قافلة فزّان

بلاد فزّان في داخل بربرا على بعد عشرين يوماً من طرابلس الغرب واربعين من القاهرة وفيها نحو اثنتي عشرة قرية يختلف بعدها عن طريق القافلة بين نصف يوم وثلاثة ايام. وهي في فيافٍ قلما يقع فيها المطر فتسق بالآلات. واهلها مسالمون متحضرون يربّون المعزى والجمال والحمير وليس عندهم خيل ولا غنم

وفي يوليو سنة ١٨٠٠ حضر شيخ قافلة فزّان الى القاهرة ومعهُ ثمانية تجار وثمانية جمّالة معهم خمسة وعشرون جملاً ستة منها محملة بضاعة طرابلس الغرب من طرابيش وبرانس واحرمة صوفية وعشرة محملة تمرًا وما بقي للزاد ونحوهِ من لوازم السفر. وكان جميع رجال القافلة عزلاً من السلاح مع ان قبيلة اولاد علي كانت قد سلبت القافلتين السابقتين عند حدود مديرية البحيرة

ويغلب ان يكون التجار المرافقون لهذه القافلة من الحجاج القاصدين مكة فيحضرون معهم شيئًا من الاقمشة الطرابلسيَّة يعتاضون بارباحها عن بعض نفقاتهم

وتعود القافلة ببعض الاقمشة الكتانية والارزّ اما الحاجات الاخرى فتشتريها من طرابلس الغرب

اختراق افريقية

اشرنا في العام الماضي الى رحلة صديقنا المستر سفدج لندر واختراقهِ افريقية من شرقيها الى غربيها في طريق لم يسر فيهِ احد من الاوربيين قبلهُ. وقد بعث الينا الآن بخطبة تلاها في الدار العلمية الملكية ببلاد الانكليز فرأينا ان نقتطف منها ما يلي قال

لقد اخترقت افريقية من شرقيها الى غربيها في اوسع عرض منها وقضيت في ذلك ٣٦٤ يوماً في الحل والترحال واضطررت ان اعرّج مرارًا واسير في طرق ملتوية فبلغت المسافة التي قطعتها ٨٥٠٠ ميل. قمت من جيبوتي في املاك فرنسا وقطعت بلاد الحبشة الى نهر بارو وزرت القبائل النازلة الى الشمال والجنوب من نهر السبت وهو امتداد نهر بارو وكان سفري كلهُ على الخيل والبغال الى ان وصلت الى النيل على سبعين ميلاً من كدك (فشودا) جنوبًا

ومن ثم قطعت بحر الغزال والحراج التي تليهِ الى نهري مبومو واو بنغي في بلاد الكنغو الفرنسوية وزرت في طريقي ولاية الكنغو الحرة · ولما وصلت الى حيث ينحرف نهر اوبنغي الى الجنوب سرت في جهة شمالية غربية مع جماعة من رجالي نحو بحيرة شاد وعبرتها ولكنني لم اواصل السير هناك غرباً بل ارتددت شرقاً لاني اردت ان اتفحص بعض المنخفضات في صحراء الكانم وزرت في طريقي بعض القبائل النازلة شمالي بحيرة شاد وعبرت بلاد الشتاقي ودرت جنوباً الى ان وصلت الى الطرف الشمالي الشرقي من بحيرة شاد وقطعت ٨٥٠ ميلاً من الصحراء راكباً على الجمال الى ان وصلت الى النيجر بطريق سوق زندر ثم سرت بقارب ٦٨٠ ميلاً فوصلت الى مدينة تمبكتو وواصلت السير في النيجر وعبرت نهر السنغال الى ان وصلت الى الراس الاخضر وهو ابعد نقطة من افريقية غرباً

وقد استعملت في رحلتي هذه كل انواع المطايا الخيل والبغال والحمير والثيران والجمال والقوارب الخشبية والحديدية والارماث · ولم يكن معي في وقت من الاوقات اكثر من ثلاثين دابة للحمل ولا اكثر من اربعين رجلاً · ولم اكد اقطع ثلث هذه المسافة حتى فارقني كل رجالي وذلك في اصعب الاماكن في قلب افريقية ولم يبقَ معي الاَّ رجل واحد من اهالي الصومال فاحتلت انا وهو على تسيير قافلتنا وعبور الحراج بها وكانت الامطار تتدفق علينا تدفقاً واستخدمت رجالاً غير الذين تركوني ولكني لما مررت في بلاد التوارك لم يبقَ معي منهم سوى ثلاثة وست جمال وجُنَّ اثنان من الرجال · وكنا نقطع ٢٣ ميلاً كل يوم والعادة ان اصحاب الرحلات لا يقطعون هناك اكثر من عشرة اميال في اليوم · واطول مدة استرحت فيها ١٢ يوماً لما بلغت النيل وعشرة ايام في تمبكتو

وكان اكثر سيرنا في بلاد وبيئة انتشرت فيها الحمى الملارية ولما وصلت السنغال كانت الحمى الصفراء ضاربة اطنابها فيها · ولما بلغت الساحل الغربي ركبت سكة الحديد الفرنسوية ولكن اتفق ركوبي في مركبة فيها رجل فرنسوي مصاب بالحمى الصفراء فاضطررت ان اقيم في الكورنتينا · ولم يكن معي ادوية تستحق الذكر في كل سفري ولا آلة لترشيح المياه · ولا اهتممت بلذع البعوض ولا بالوسائل الطبية وكانت النتيجة اني عدت الى اوربا وانا على تمام الصحة ولم البس في هذه الرحلة خوذة تقي من الشمس ولا ثياباً تقي من المطر بل لبست ثيابي العادية التي البسها في مدينة لندن وقطعت هذه المسافة كلها وليس معي شيء من الاسلحة ولا سكين صغيرة الاَّ ان رجالي كانوا مسلحين بالبنادق الكثيرة الطلقات ولكن قلما كنت اعطيهم خرطوشاً ولم يكن معي رجل ابيض وقد قمت وحدي بكل نفقات هذه الرحلة

هذه خلاصة رحلتي والآن اشرحها لكم باكثر تفصيل واسهب في وصف غريبة او غريبتين من الغرائب الكثيرة التي لقيتها فيها

لم يكن اختراق بلاد الحبشة من الصعاب ولكنني خفت من حدوث ما لا يحمد في سكة الحديد من جبوتي الى ديردوى مسافة ١٩٠ كيلو مترًا لكثرة اهتزازها ولما بلغت ديردوي مضيت الى مدينة هرر وقابلت رأس مُكُنَّن وهو من اقدر رجال الحبشة . ولما عدت الى ديردوى نظمت قافلتي واتجهت نحو العاصمة ومررت في بلاد تكاد تكون قفرًا وزرت في طريقي كثيرًا من قبائل الدناكل وهم اقوام لا بأس بهم ولكنهم كثيرًا ما يقتلون الغرباء الذين يمرُّون في بلادهم و يمثلون بهم وكانوا قد قتلوا رجلين من العرب ورجلاً من الاحباش قبلما اخترقت بلادهم بايام قليلة . وقد خاف منهم الجنود الاحباش الذين اتوا معي لحمايتي. و بلغت اديس ابابا عاصمة الحبشة بعد سير اثني عشر يومًا ونزلت ضيفًا على السرجون هرنجتون سفيرنا لدى الامبراطور منلك وعلى الاوربيين القلال العدد الذين هناك. ولقيت من الامبراطور كل حفاوة واكرام . واديس ابابا اشبه بمعسكر كبير منها بمدينة وقصر منلك او قصوره فيها اشبه بمعمل كبير منها بقصور الملوك فان داخل اسوارها مضرب النقود والآلات التجارية والورش المختلفة ومنلك يقضي اكثر اوقاته فيها لا على عرشهِ لانهُ يكره السياسة

والسرجون هرنجتون رجل مقتدر وبحكمتهِ وحسن تدبيرهِ بقي اسمنا مكرَّمًا في بلاد الحبشة ولولاهُ لخسرنا ما كان لنا من النفوذ وخرجنا من تلك البلاد صفر اليدين . اما الآن فلا خوف على نفوذنا هناك والفضل كل الفضل لهذا الرجل . وكل من يزور بلاد الحبشة يقول ان فيها رجلين يخشى بأسهما ويحمى جانبهما وهما الامبراطور منلك والسرجون هرنجتون . والامبراطور يعتمد على رأي السرجون و يقدر مشورتهُ قدرها وعندي ان كثيرًا من الاصلاح الذين تمَّ في بلاد الحبشة كان بمشورتهِ

وكلمة الامبراطور نافذة في رعيتهِ وهم يعبدونهُ عبادة كأنهُ اله و يشاركهم في ذلك غير الاحباش من القبائل الخاضعة لهم وكلمتهُ شريعة لهم وامرهُ مطاع فيهم ورجالهُ يتغلبون على اعدائهم بما لهم من الهيبة في النفوس لا بمهارتهم الحربيَّة فاذا توفي منلك لم يسهل على مَن يخلفهُ ان يقبض على زمام البلاد لاسيما وان عيون الدول الاوربيَّة طامحة اليها من كل الجهات

ومنلك من اعدل الملوك واكرمهم واشدهم رزانة . ولو كان اصغر سنًّا وساح في اوربا لعاد منها بامور كثيرة تأول الى اصلاح بلادهِ . وكل ما تحتاج اليهِ بلاد الحبشة حكومة منظمة وشرائع ثابتة

ولم اجد كبير صعوبة في المسير من تلك البلاد الى نهر السُّبت ولقيت في طريقي قبائل الغالا في غربي بلاد الحبشة وهم يكرهون الاحباش مع انهم خاضعون لهم واذا مات منلك فلا يبعد ان يخلعوا طاعة الاحباش ويستظلوا بالعلم البريطاني . وهم اهل نظر يحرثون الارض ويربون المواشي ولهم المام بالتجارة و يدينون بالاسلام

والجانب الغربي اخصب بلاد الحبشة وهو معتدل الهواء لارتفاعهِ ويسهل اصلاح زراعتهِ وفيهِ البن البري وهو من افخر انواع البن والصمغ الهندي ومعادن كثيرة ويجمع التبر من مسيل نهر بارو

ويلي الارض المرتفعة ارض منخفضة من املاك الحبشة يديرها اناس من حكومة السودان وهناك يسكن اليمبو وهم جيل من الناس طوال القامة جدًّا كأنهم الجبابرة

واول نقطة فيها مأمور مصري جمبلا وهي خبيثة الهواء لا تبقي على انسان ولا حيوان رأيت فيها بعض تجار اليونان وكلهم في حالة يرثى لها من فعل الحمّى الملاربة بهم ورأيت على قبر الجنرال غاتكر قطعتين من الخشب في شكل صليب وكثيرًا من الشوك منعًا للضباع من نبش الجثة و اكلها

ولقيت قبائل النوير جنوبي نهر السُّبت وهم اقوام غريبو الاطوار لا يأتمنون احدًا ولا يأتمنهم احد عندهم كثير من المواشي لكنهم لا يبيعون منها ولا يقايضون وثيرانهم ليست اقل شراسة منهم فكانت تهجم على دواب قافلتي حيثما رأتها ورجالهم يطلون ابدانهم بطلاء ابيض واما نساؤهم فيحافظن على لونهنَّ الاسود ولا يلبسن الاَّ ابسط الملابس الطبيعية .
وكلهم ممتازون بطول ارجلهم و يطلون شعورهم بطلاء لزج و يجمعونها معًا في شكل مستدق وهذا الطلاء يصبغ الشعر بلون احمر . و يدلُّ طول سوقهم على انهم مخلوقون ليعيشوا في بلاد كثيرة المستنقعات كأنهم طيور الماء وكثيرًا ما ترى الواحد منهم واقفًا على رجل واحدة كأنهُ مالك الحزين

وقد اضطررت ان اعبر نهر السبت مرارًا كثيرة وهو عميق سريع الجري فكنت اجد مشقة كبيرة في عبرهِ برجالي و بغالي وكانت البغال تسبح سباحة ونحن نطلق البنادق حولها خوفًا من التماسيح وكابدنا مشقات كثيرة الى ان بلغنا التوفيقيَّة على النيل وهي اقفر بقاع الارض(١) وهناك حامية من الجنود السودانية

ولما دنونا من النيل دخلنا بلاد الشلوك وقد كانوا اكثر عددًا واقوى صولة منهم الآن

(١) [المقتطف] وصلنا اول تلغراف منهُ من التوفيقية

ولكن حملات الدراويش والمصريين والنخاسين بددت شملهم وكادت تقرضهم ويظهر من انتشار لغتهم انهُ كان لهم صولة واسعة فاني رأيت الناس يتكلمونها او يفهمونها في عالية الحبشة وبلغني ان الامر كذلك في الجنوب حتى فكتوريا نينزا . وهم فريقان احدهما يعترف بالقرابة بينهُ وبين النوير ولا سيما بين الدنكا . واكثر الشلوك الآن على ضفة النيل الشمالية بين بحيرة نو ومصب السُّبت وبلادهم سهل فسيح تكثر فيهِ الاعشاب الكبيرة وتخترقهُ الخيران الكثيرة والمنخفضات التي يغمرها الماء زمن فيضان النيل وليس فيها الاَّ قليل من شجر الدوم والهجليج والدلب ويفسد هواؤُها في فصل المطر

وقلما يتزوج الرجل من الشلوك بغير امرأة واحدة لغلاء مهر النساء فان مهر الزوجة لا يكون اقل من ثلاثة ثيران او اربعة او اربعين رأساً من الغنم او المعزى عدا الهدايا التي يهديها الخطيب الى اهل الفتاة قبل الاتفاق على مبلغ المهر وتعد الثيران او الغنم والمعزى التي يتفق عليها بقطع من القش توضع على الارض وقت الخطبة فاذا تم الاتفاق بين الخطيب واهل الفتاة على المهر اخبروها بذلك حتى اذا قبلت اهدى اليها الخطيب سواراً من النحاس او العاج فتلبسهُ بذراعها . وقد يتزوج احدهم بفتاة ويعد اهلها بالمهر ثم يعجز عن الوفاء بوعده فتؤخذ زوجتهُ منهُ . وبعض الشلوك ينزعون الثنيتين والرباعيتين من الفك الاسفل كما تفعل بعض القبائل في قلب افريقية

والبلاد حول بحر الغزال من اقبح البلدان وقد اتفق اني مررت فيها من مشرع الرق الى واو في اشد شهور السنة حرًّا وجفافاً قبل فصل المطر وكثيرًا ما كنت اعجز عن استقاء الماء الكافي لما معي من الدواب من الآبار التي هناك

والدنكا اقارب الشلوك جاء اسمهم على ما اظن من دنجو الذي يقال في تقاليد الشلوك انهُ كان اخاً لجوا كنجو وهما اول من ظهر من قومهما في تلك البلاد فاختصم الاخوان وعبر دنجو النيل وسكن على ضفتهِ اليمنى ومنهُ جاءت قبائل الدنكا

ولما قطعت بلاد بحر الغزال ووصلت الى ديم زبير سرت في المراج الاستوائية متجهاً الى الجنوب ومررت على كثير من القبائل في اطراف بحر الغزال . اما قبائل النيام نيام فليس هذا اسمهم بل هو لقب ضمهُ بالقيهم بو غيرهم واما هم فيسمون انفسهم أسندد من سنده اي نحت . وقد رأيت بعضهم وهم مشوهو الخلقة بطونهم كبيرة ورؤُوسهم مستطيلة بلهٌ خبثاء لا يؤمن شرهم لكنني وجدت في لغاتهم امورًا تدل على انهم منحطون من اصل مرتقٍ وهذه الامور قد تكون عرضية ولكن سواء كانت عرضية او غير عرضية فهي مما لم ارَ لهُ مثيلاً

في الايطالية والفرنسوية والالمانية والاسبانية والبرتغالية والانكليزية فاذا اراد الواحد منهم ان يضيف اليهِ شيئاً غير حي خارجاً عنهُ استعمل ضمير المتكلم المضاف اليهِ كما نقول بيتي ورمحي ولكن اذا اراد ان يضيف اليهِ شيئاً متعلقاً بهِ مثل ابيهِ ويدهِ لم يقل كما نقول نحن ابي ويدي بل اضافهُ الى ضمير مثل الضمير المرفوع عندنا كأنهُ يقول اب انا يد انا للدلالة على ان المضاف من اهلهِ او من نفسهِ · وبعض الاسماء عندهم مستعار من الحوادث الطبيعية او من عالم النبات فمعنى اسم اللحية عندهم مطر الذقن ومعنى اسم الراحة ورقة الذراع ومعنى اسم الظفر قشر الاصبع واسم القدم ورقة الساق ويسمون النجوم بما معناهُ اعداء الشمس · وللواحد والاثنين والثلاثة الى الخمسة اسماء مفردة واما الستة فاسمها واحد من اليد الاخرى والسبعة اثنان من اليد الاخرى والثمانية ثلاثة من اليد الاخرى والاحد عشر واحد من القدم والستة عشر واحد من القدم الاخرى والحادي والعشرون رجل واصبع والحادي والاربعون رجلان واصبع والحادي والستون ثلاثة رجال واصبع وهلم جرًّا

وكان غرضي الوصول الى مملكة زميو وهي اكبر الممالك في اواسط افريقية فقطعت الحراج لهذه الغاية وتركني حينئذٍ كل الرجال الذين كانوا معي ما عدا واحدًا من اهالي الصومال فسقنا القافلة وحدنا وكان فصل المطر فمات اكثر الدواب التي معي وكان الحر شديدًا يزهق النفوس والارض مستنقعًا متصلاً والاشجار تلطم الاحمال على ظهور الدواب فتحلها او توقعها ونضطر الى ربطها مرارًا في اليوم والامطار تنصبُّ علينا كأفواه القرب والاشواك والادغال تنشب في اقدامنا وأُصبنا كلانا بالحمى ومضى علينا شهر ونحن على هذه الصورة نقاسي اشد المشاق الى ان بلغنا نهر مبومو وكان في قافلتي ثلاثون دابة بين بغال وحمير فلم يبق منها سوى اربعة حمير فاسترحت هناك يومين استرجعت فيها قوتي وعدت الى مواصلة المسير

وعلى نهر مبومو ونهر اوبنغي قبائل كثيرة اكثرها من اكلة لحوم الناس والنهران يفصلان بلاد الكنغو الحرة عن الكنغو الفرنسوية وما رأيتهُ من بلاد الكنغو الحرة يدل على حسن الادارة فيها واهاليها على تمام الرضى وقد اصلحت طرق البلاد وزراعتها وما يشاع على ضد ذلك غير منطبق على الحقيقة · والموظفون الايطاليون في حكومة الكنغو باذلون اقصى جهدهم في اسعاد السكان والسكان يحبونهم ويكرمونهم

وقد قطعت مرارًا الطريق الذي مرَّ بهِ الكولونل مرشان ورأيت الخريطة التي رسمها منطبقة غاية الانطباق على البلاد وهي في غاية الضبط والاحكام

وقمت من اوبنغي باربعين حمّالاً وسرت نحو بحيرة شاد وكان الفصل لا يزال ممطراً واضطررنا ان نقطع انهراً كبيرة وغر على كثير من القبائل الغريبة الاطوار وفي جملتهم قبيلة المنجيا وقبيلة السنجا ونساؤهما يثقبن شفاههنّ السفلى ويدخلن في الثقب عوداً او عظماً او قطعة مستطيلة من البلور او يعلقن في الشفة العليا حلقةً كبيرة جدّاً حتى تطول الشفة بها وتتدلى وقد يعلقن حلقة بكل شفة من الشفتين

وزرت بلاد الالمان في الكيمرون ولقيت حسن الضيافة من الموظفين الالمانيين ووجدت انهم يحسنون الاعتناء بالسكان وان البلاد آخذة في الارتقاء بعنايتهم

وقد قيل ان ماء بحيرة شاد آخذ في النبوض ومن المحتمل انها تجف تماماً لكثرة التبخُّر منها ولان الانهر التي تصب فيها تحمل اليها كثيراً من الطمي فيرسب فيها و يختلط بالنباتات التي تنبت وتيبس فيها فيعلو قاعها رويداً رويداً . ولا شبهة ان هذه البحيرة كانت في العصور الغابرة اوسع مما هي عليهِ الآن . وقد حفر الملازم فريدنبرج بئراً على بعد من البحيرة فوجد ترابها طبقات مترادفة من الرمال والمواد النباتية البالية وهي تدل على ان البحيرة كانت تغمر المكان الذي حفرت فيهِ البئر وتبين كيف ترسب المواد النباتية والرمال بعضها فوق بعض

وسرت في نهر النيجر بقارب من الحديد فقضيت ٢٨ يوماً حتى وصلت الى تنبكتو ولم يسر القارب في مسيل النيجر نفسهِ بل في الارض التي طغى عليها ماؤُهُ . ولا تسل عمَّا لقينا من المشاق في طريقنا من القصب والحلفا ولا ما بُلينا بهِ من البعوض . وكثيراً ما كنا نجد الجنادل في طريقنا والماء يجري بينها سريعاً مزبداً فنضطر ان نعود ادراجنا . واتفق مرةً ان وصلنا الى شلال من هذه الشلالات فخرج الرجال من القارب وربطوهُ بالحبال من الجانبين لكي يمنعوهُ من الانقلاب وبقيت انا وحدي فيهِ والدفة في يدي وكانت امتعتنا فيهِ لكن المياه رفعتهُ وقذفت بهِ فوقع الرجال الممسكون بالحبال في الماء وكاد بعضهم يغرق ودفع القارب الى اسفل وامتلا ماء لكنني نجوت من الغرق وانقذنا القارب والامتعة

اما مدينة تنبُكتو فمبنيَّة على جانبي كثيبين من الرمال ممتدين شرقاً وغرباً فيها خمسة الآف من السكان المقيمين واربعة الآف من التجار الذين يترددون عليها اكثرهم من طرابلس الغرب ومراكش وغدنون وتدوف وطوات واهاليها يتكلمون بكثير من اللغات الافريقية

واسهب الخطيب في وصف معادن البلاد ونباتاتها ومدح الموظفين الفرنسويين على ما لقيهُ من كرمهم وقال ان العلماء منهم باذلون جهدهم في درس طبائع البلاد ومصادر ثروتها والاساليب التي تستثمر بها والضباط الذين يقودون جنود السنغال ماهرون في كل شيء فتراهم

يمسحون البلاد ويبنون البيوت ويحفرون الترع ويعلمون الاهالي كل ما يحتاجون اليهِ لمعيشتهم ورجال الادارة منهم من اكثر الرجال حنكة وامهرهم في اساليب السياسة . وختم بالشكر للورد كرومر والسردار ولوكيلي فرنسا وبلجكا السياسيين في مصر وللكبتن اون لانهم كلهم ساعدوهُ بما سهل عليهِ اختراق افريقية

معجم الحيوان

[لا يخفى على مَن اشتغل بالترجمة من اللغات الاوربيَّة او بالتأليف على منهاج الاوربيين ان من انواع الحيوان والنبات ما اسماؤُهُ معروفة مشهورة كالغراب والفرس والتين والزيتون فلا تخفى على احد ولا تخفى دلالة الاسم على المسمَّى . ومنها ما اسماؤُهُ غير معروفة او غير مشهورة او اخطأَ المترجمون في ترجمتها وشاع الخطأُ دون الصواب وهذه كلها يستصعب المترجم تحقيقها من مظانها كلما وصل اليها وليس في العربية حتى الآن قاموس عربي افرنجي عُني مؤَلفهُ بترجمة كل اسماء الحيوانات والنباتات التي لها اسماء في العربيَّة او بين الناطقين بها ناهيك عن ان تعريف اسماء الحيوانات والنباتات في كتب اللغة العربية قلما يدل عليها

وقد عني صديقنا الدكتور امين معلوف منذ مدة بالبحث عن اسماء الحيوانات ووضع لها معجماً ذكر فيهِ الاسم العربي والاسم الفرنسوي والاسم الانكليزي والاسم العلمي ووصف كل حيوان وصفاً اوجز فيهِ او اسهب حسب مقتضى الحال فرأَينا ان ننشر هذا المعجم تباعاً في المقتطف لعرضهِ على الباحثين في هذا الموضوع وعسى ان يتحفنا المؤَلف بمعجم آخر للنبات لانهُ يبحث في هذين الموضوعين بحثاً دقيقاً يعود عليهِ بالشكر . المقتطف]

ذوات الايدي الاربع QUADRUMANA

البَعَام Anthropopithecus troglodytes. E. Chimpanzee. F. Chimpanzé

نوعٌ من القرود الشبيهة بالانسان واقربها اليهِ في تركيب الجسم . طول البالغ منهُ نحو متر ونصف ويداهُ تصلان الى ركبتيهِ فقط ولا ذنب لهُ . وطنهُ الحراج الكثيفة في اواسط افريقية

اما لفظة البَعَام هذه فقد سمعتها مرارًا من عرب السودان وهو الاسم الذي يعرف بهِ

هذا الحيوان عندهم وقد ذكر هذه اللفظة الدكتور شويتفورث[١] ونعوم بك شقير[٢] والبكباشي امري[٣]

﴿ الغُورِلاَّ (افريقية) ﴾ Gorilla. E. Gorilla. F. Gorille. جنسٌ من القرود الشبيهة بالانسان وهو اكبر من البَعَام واقوى منهُ واشرس

﴿ الإنسان الوَحشي[٤] (تعريب أُرانغ اوتانغ بلغة ملقة) ﴾ Simia Satyrus. E.&.F. Orang-Outang من القرود الشبيهة بالانسان ولكنهُ اقل شبهًا بهِ من البعام والغورلاَّ وهو اقصر منهما ويداهُ طويلتان جدًّا ومسكنهُ الاشجار في غياض بورنيو وسومطرة

وقد ورد ذكر هذا الحيوان كثيرًا في كتابات العرب ولكنهم لم يضعوا لهُ اسمًا على ما اعلم . فقد جاء في كتاب عجائب الهند لبُزُرك بن شهريار[٥] " قال حدثني محمد بن باشاد قال رأيت بسريرة (سَرَبْزَة)[٦] عند امرأة بها دابة على صورة بني آدم الاَّ ان وجههُ اسود مثل وجه الزنج ورجليهِ و يديهِ طوال ازيد مما عليهِ الآدمي ولهُ ذنب طويل وعليهِ شعر مثل شعر القرد .... فقلت لها ما هذا فقالت " من اهل الغياض والاشجار " .وكان يصيح صياحًا ضعيفًا لا يفهم ما هو . وهو قريب من القرد الاَّ ان وجههُ وجه بني آدم وخلقتهُ مثل بني آدم " . وارجح ان هذا الحيوان هو الانسان الوحشي بعينهِ ولو وصفهُ بطول الذنب فقولها لهُ " من اهل الغياض والاشجار " هو ترجمة ارانغ اوتانغ بلغة تلك البلاد . وجاء في آثار البلاد للقزويني وعجائب المخلوقات لهُ ايضًا شيء مثل هذا عند ذكرهِ جزيرة زابج[٧] وعليهِ ارى ان احسن تسمية لهذا الحيوان هو ما وضعهُ المرحوم احمد فارس

﴿ الجِبُّون (معرَّبة) ﴾ Hylobates E.&.F. Gibbon. جنس[٨] من القرود

---

(١) The Heart of Africa, by Dr. Schweinfurth. (٢) تاريخ السودان لنعوم بك شقير وقد جاء فيهِ سهوًا ان البعام هو الاران اوتان وهذا لا وجود لهُ في افريقية (٣) دليل الحيوان الى لغة عرب السودان البكباشي امري (٤) طبائع الحيوان للمرحوم احمد فارس طبع في مالطة سنة ١٨٤١

(٥) هذا الكتاب نشرهُ في اوربا المسيو فان درليث وعلق عليهِ شرحًا مستوفيًا يدلُّ على مكانة ناشرهِ من العلم والتدقيق ثم انهُ بعد صدور مقالة المطبوعات المعربة في مجلة المشرق ظهر هذا الكتاب مطبوعًا في مصر وحبذا لو ان طابعهُ اشار الى فان درليث . واظنهُ لم يطلع على مقالة مجلة المشرق (٦) فرضة ونهر في سومطرة اسمها الآن بالمبانغ

(٧) المرجح انها جاوى او بورنيو (٨) قد اتبعت اصطلاح المحدثين في ترجمة Genus جنس و Species نوع و Variety صنف و Family عائلة و Order فصيلة وهلمَّ جرًّا

الشبيهة بالانسان وهو طويل اليدين جدًّا ويوجد منهُ انواعٌ كثيرة اكثرها في جزائر المحيط الهندي

﴿ القِرْد · الرُّبَّاح ﴾ والانثى ﴿ إِقْقَة ﴾ Papio. E. Baboon F. Babouin.

القرد حيوانٌ من ذوات الايدي الاربع وهو قصير الذنب متصلّب الألْيَتين قبيح المنظر رأسهُ شبيهٌ برأس الكلب ويوجد منهُ انواعٌ كثيرة منها نوعٌ واحدٌ في اليمن والباقي في افريقية · والقرود هي الحيوانات التي نراها مع القرّادين ويسميها اهل الشام السعادين ومن اسماء القرد الشائعة عند العامة الميمون وهو اسم القرد بالتركية ومن الغريب ان علماء الحيوان يطلقون لفظة الميمون ايضاً على نوعٍ من القرود قائم بنفسهِ ويسمى عندهم C. Maimon وهذه اللفظة ليست مشتقة من العربية او التركية بل من لفظة يونانية معناها السعلاة

والقرد كما وصفهُ العرب هو الحيوان الذي يعرفهُ اهل مصر والسودان وبلاد العرب بهذا الاسم في وقتنا الحاضر وهو ما يسميهِ الافرنج بابون ولذلك لا ارى موجباً لاستعمال لفظة سعدان او ميمون او بابون كما تجد ذلك في بعض المؤلفات الحديثة ولا بأس بتسمية الحيوان الذي يسميهِ الانكليز Mandrill بالميمون فهو احد انواع القرود ويعرف عند الافرنج بالميمون ايضاً · اما البعام وما يليهِ من القرود فالاصلح تسميتها "بالقرود الشبيهة بالانسان" كما يفعل الافرنج. اما الرُّبَّاح فهو ذكر القرود في كتب اللغة وحسب رواية المسعودي[١] هو القرد بلغة اهل اليمن ويُظن ان هذه اللفظة من اصلٍ ساميّ بمعنى رب او سيد[٢] لانهم كانوا يعظمون القرد في اليمن كما كان يفعل قدماء المصريين

﴿ النِّسْنَاس والنَّسْنَاس ﴾ E. Monkey واحد النسانيس وهي طائفة من ذوات الايدي الاربع تحتها اجناس وانواع كثيرة ويختلف النسناس عن القرد بطول ذنبهِ وعدم تصلّب اليتيهِ وهو الطف منهُ منظرًا واقل شراسةً

والنسناس في كتب العرب جنس من الخلق يثب على رجل واحدة لكل واحد منهم يدٌ ورجل من شقٍّ واحد او خلق على صورة الناس وخلاف ذلك من الاقوال الخرافية. وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب انهُ أُتي بنسناس من اليمن الى الخليفة المتوكّل. واما في وقتنا الحاضر فاهل مصر واليمن والسودان يطلقون هذه اللفظة على ما يسميهِ الانكليز

---

(١) مروج الذهب للمسعودي (٢) Symbolae Physicæ seu Descriptiones Mammalium &c. Ehrenberg & Hemprich.

Monkey وقد استعملها كثيرون من المؤلفين بهذا المعنى ولا ارى مانعاً لذلك فكثير من اسماء الحيوانات المعروفة عند الافرنج مأخوذ عن خرافات اليونان وعندي ان العرب قديماً استعملوا هذه اللفظة لهذا الحيوان بعينهِ ثم بالغ كتابهم في وصفهِ شأنهم في كل شيء . ومبالغتهم في الوصف امرٌ مشهور ولدينا امثلة كثيرة عن حيوانات بالغوا في وصفها حتى يتوهم القارئ انها خرافية كالأصلة مثلاً فالقارئ يرتاب في صحة وجود هذا الحيوان حسب وصفهم لهُ والاصلة تعرف بهذا الاسم في السودان في وقتنا الحاضر وهي من الثعابين الكبيرة وسيأتي ذكرها

❖ الليمُور (لاتينيَّة بمعنى شَبَح) ❖ E. Lemur F. Lémur جنس من ذوات الايدي الاربع وهو دقيق الخطم كبير الاذنين وذنبهُ طويل وكثيف الشعر ورأسهُ شبيه برأس الثعلب ويوجد منهُ اجناس وانواع كثيرة اكثرها جميلة المنظر

ذوات الايدي المجنحة CHEIROPTERA

❖ الخُفَّاش (من الخَفَش اي ضعف البصر) . الوَطْوَاط . السَّحَا (لعلها من صحيح بالمصرية القديمة[1]) ❖ E. Bat. F. Chauve-Souris. الخفافيش طائفة من الحيوانات اللَّبونة[2] وهي مجنَّحة الايدي وتطير ويوجد منها اجناسٌ وانواعٌ كثيرة

❖ المصَّاصة[3] ❖ F.&F. Vampire. من الحيوانات اللبونة الطائرة التي تشبه الخفافيش وهي اكبر منها . تهاجم الانسان وغيرهُ من الحيوان وهو نائم وتمصّ دمهُ الى ان يموت . وتوجد المصَّاصة في اميركا الجنوبية

اكلة الحشرات INSECTIVORA

❖ التَّلبَا (معرَّب اللفظة اللاتينية) الخُلد الاوروبي ❖ Talpa. E. Mole. F. Taupe نوع من اكلة الحشرات التي تعيش تحت الارض وهو مفيد للزراعة لانهُ يأكل الحشرات بخلاف الخلد المعروف في الشام ومصر فانهُ من القضَّام واكلة البقول وهو مؤْذٍ للزراعة كثيراً

---

(١) بغية الطالبين في علوم وعوائد قدماء المصريين لاحمد بك كمال (٢) هذه اللفظة وضعها المرحوم الدكتور زلزل تعريباً للفظة Mammalia (٣) هذا الحيوان لا اسم لهُ بالعربية وهذه اللفظة وردت في معجم بادجر واظنها من اوضاعهِ وهي في غاية الموافقة

والحيوان المسمى Mole بالانكليزية لا اسم لهُ بالعربية ولا وجود لهُ في مصر والشام فالمسمى خلدًا بالعربية يسميهِ الانكليز Mole-rat وسيأتي ذكرهُ. وهذا الخطأ في الترجمة قد ينتج عنهُ ضرر كبير فقد رأيت احدى المجلات العربية تشير بتربية الخلد لاهلاك الحشرات . ولكن الخلد لا يأكل الحشرات مطلقًا بل جذور النباتات وهو مؤذٍ للزراعة كثيرًا ولا ريب في ان تلك المجلة نقلت ذلك عن احدى اللغات الاوربية فظنت ان Mole او Taupe هو الخلد بالعربية فاذا كان لا بد من ترجمة Mole بالخلد وجب تسميتهُ بالخلد الاوربي تمييزًا لهُ عن الخلد المعروف عندنا

﴿ القُنفُذ · الأَنقد · الحسيكة · الشُّقة ﴾ Erinaceus. E. Hedgehog. F. Hérisson.

جنس من الحيوان من اكلة الحشرات وهو اكبر من الفار قليلاً وجسمهُ مغطًّى بشوكٍ قصير وتسميهِ العامة في الشام بكبَّابة الشوك . اما في مصر وبلاد العرب فيعرف بالقنفذ

وقد ظن كثيرون ان القنفذ هو الدُلدل او النيص Porcupine لان القنفذ من اسماء الدلدل في بعض انحاء الشام والحقيقة ان القنفذ هو هذا الحيوان القصير الشوك المسمى Hedgehog والدلدل هو المسمى Porcupine وهذا من فصيلة غير فصيلة القنفذ وسيأتي ذكرها . فعرب البادية[1] واهل مصر يسمون هذا الحيوان قنفذًا كما ذكرت وقد جاء في كلام العرب ما يؤيد ذلك . قال الدميري " القنفذ صنفان قنفذ يكون بارض مصر قدر الفار ودلدل يكون بارض الشام والعراق في قدر الكلب القَلَطي " وقال عند ذكر الدلدل " الدُلدُل عظيم القنافذ وانما شبهتهُ بالقنفذ لانهُ اكثر ما يظهر بالليل ولانهُ يخفي رأسهِ في جسدهِ ما استطاع " وقال الجاحظ " وفرق بين القنفذ والدلدل كفرق ما بين الفار والجرذان والبقر والجواميس والبخاتي والعراب والضأن والمعز والذر والنمل " . وقد ذكر الجاحظ وكثيرون غيرهُ ان القنفذ يأكل الحيات وهذا لا يصدق على الدلدل لانهُ من القضام واكلة البقول الاَّ ان بعض علماء العربيَّة حسبوا القنفذ والدلدل نوعًا واحدًا وقالوا ان الدلدل هو القنفذ او العظيم من القنافذ . اما لفظة ابي شوك فيطلقها عرب البادية على القنفذ وعرب السودان على الدلدل

تنبيه ان حرف E المتقدم على الاسماء الافرنجية يدل على الانكليزية والحرف F على الفرنسوية

---

(1) Arabia Deserta, by C.M. Doughty, I. p. 326

السوريون في زمن الفتح

قلنا في المقالة التي صدَّرنا بها الجزء الماضي ان الممالك العثمانية كانت قبل عهد العرب اكثر سكاناً واوفر عمراناً مما هي عليهِ الآن حتى لا يكاد يصدّق ان سكانها الحاليين هم نسل الذين بنوا هياكل بابل واشور ولقصر وكرنك وبعلبك وتدمر

ولا يختلف اثنان في ان عمران البلاد كان بالغاً اقصاه في زمن الاشوريين والمصريين والفينيقيين واليونان والرومان الى القرن الاول والثاني من التاريخ المسيحي ولكن من يقرأ فتوح الشام للواقدي ونحوهُ من الكتب العربيَّة يتوهم ان سورية كانت خالية من رجال العلم والفضل في زمن الفتح وقُبيلهُ وبُعيدهُ لانهُ لا يرى لهم فيها ذكراً ولا اثراً كأنَّ عمرانها كان قد زال وعفيت آثارهُ منذ قرون كثيرة لكن المحققين اثبتوا ما ينافي ذلك فانهُ كان للسوريين في ذلك العصر شأن كبير في العلوم والفنون والصناعة والتجارة فقد نشأ منهم كثيرون من الاعلام مثل بروكوبيوس المؤرخ بل اشهر مؤرخي مملكة الروم (البزنطية) وهو سوري ولد بقيصريَّة من اعمال فلسطين في اواخر القرن الخامس للميلاد ودرس الشريعة وسار مع بليساريوس قائد جنود الروم من قبل الامبراطور يوستنيانوس لمحاربة الفرس سنة ٥٢٦ للميلاد ولمحاربة الوندال في افريقية سنة ٥٣٣ ولمحاربة القوط الشرقيين في ايطاليا سنة ٥٣٦ . وعاد الى القسطنطينيَّة فاكرمهُ الامبراطور يوستنيانوس وجعلهُ محافظاً على المدينة سنة ٥٦٢ . والَّف تاريخاً كبيراً في ثمانية مجلدات اثنين منها لحروب الفرس من سنة ٤٠٨ الى سنة ٥٥٠ واثنين لحروب الوندال من سنة ٥٣٢ الى سنة ٥٤٦ واربعة لحروب القوط وهي تمتد الى سنة ٥٥٢ والَّف ايضاً ستة كتب عن المباني التي انشأها يوستنيانوس او رممها . وعن سير الناس المتصلين ببلاطهِ . واشهر كتبهِ تاريخهُ عن الحروب لانهُ اثبت فيهِ ما رآهُ مرأى العين او ما بحث عنهُ وحققهُ بنفسهِ

ومنهم اڤغريوس المؤرخ وهو من اهالي سورية وكان من كبار المحامين وقد تقلب في كثير من مناصب الدولة الرومانية ولهُ تاريخ موثوق بهِ للمدة التي بين سنة ٤٣١ و ٥٩٤

ومنهم يوحنا النحوي وسرجيوس الحمصي العالم بطبائع الحيوان . وسرجيوس الراسي الطبيب شارح فلسفة فيثاغورس وافلاطون . وساويروس الانطاكي

ووصل السوريون الى بلاد الهند واقاموا في سواحلها ووصلوا الى جبال حملايا وفي

اشعار الهنود اشارات الى التعاليم التي تعلموها من السوريين في ذلك الحين ووصلوا الى بلاد الصين في عهد الامبراطور تاي تسنغ بين سنة ٦٢٧ و ٦٤٩ وقد وُجد في بلاد الصين لوح عليهِ كتابة صينيَّة وكتابة سريانية وتاريخ الكتابتين يوافق سنة ٧٨١ المسيحية ويظهر منها ان امبراطور الصين امر حينئذٍ بترجمة الانجيل الى اللغة الصينيَّة ونشرهِ في بلاد الصين وامر ايضاً بان تبنى كنيسة للمسيحيين وان السفارة التي ارسلها ملك الروم الى بلاد الصين سنة ٦٤٢ كانت من السوريين النسطوريين . وحروف الهجاء المغولية مشتقة من الكتابة السريانية

هذا من حيث تأثير السوريين في البلدان الشرقية قُبيل الفتح وبعيدهُ اما تأثيرهم في البلدان الغربية فيكفي للدلالة عليهِ ما قالهُ القديس ايرونيموس وهو " ان حب الكسب حمل السوريين على ارتياد العالم كلهِ وغرامهم بالتجارة جعلهم يطلبون الغنى تحت شفار السيوف ويغلبون الفقر باقتحام المخاطر في الوقت الذي تغلَّب البرابرة فيهِ على المسكونة " . وقد كانت صور عاصمة الفينيقيين ملكة التجارة قبل المسيح باحد عشر قرناً وصارت في القرن الخامس والسادس بعد المسيح محور تجارة الحرير . وكان التجار يفدون على ايطاليا من صور وبيروت . وتدل الكتابات القديمة التي وجدت في آثار اوربا ان السوريين كانوا في اكثر مدن اوربا التجارية في ناربون وبوردو وليون وجينه وبسانسون واورلين وتور وباريس وستراسبرج وترف ورتزابرن وبافاريا وفي سوث شيلدس من انكلترا . ولم يكتفوا بالتجارة بل اشتغلوا بزراعة الجنائن ونقلوا الى اوربا كثيراً من الاثمار والبقول وعلموا اهليها كيفيَّة زرعها واتجروا فيها بالمنسوجات الحريريَّة وادخلوا الى اوربا اسلوب النقش السوري وقد استخدمهم شارلمان لتنقيح ترجمة الاناجيل

وهم الذين بنوا المباني الكبيرة لملوك الحيرة وبني غسان وبني ساسان ايضاً كما يستدل من وجود اوراق العنب في نقوش تلك المباني وقد وجدت آثار عربيَّة قديمة من القرن السادس وعليها كتابات عربية وسريانية وهي تدلُّ على ان السوريين بنوها للعرب او كانوا مشتركين معهم فيها

لكن مجد الملك والاستقلال زال عنهم منذ خربت مملكتهم ولم يعد اليهم الأ في زمن العرب حين صارت دمشق كرسي الخلافة العربيَّة في عهد بني امية ثم اعيد الملك اليها مراراً ولكنهُ كان كموج البحر وقت جزرهِ يتقدم قليلاً ثم يرتد اكثر مما تقدم . وعسى ان يكون زمان الجزر قد انقضى وحان زمان المد فتعود البلاد السوريَّة مع سائر البلاد العثمانية الى اوج مجدها الذي فارقها دهوراً طوالاً

الطيران والمراكب الطيارة

تأتينا الانباء البرقية هذه الايام عن طيران ريت وفرمن وزبلن بآلاتهما الطيَّارة . وترد الاخبار عن الجوائز السنية التي وُعد بها مَن يقطع المسافة الفلانية ببلونهِ او طيارتهِ. وقد عاد الناس الى احلامهم التي كانوا يحلمون بها في طفوليتهم وهي مجاراة الطيور والتخلص من مشقة السير برًّا وبحرًا . ولكن هل تتحقق تلك الاحلام اي هل يصير الطيران عملاً تجاريًا فتصنع مركبات طيارة يطير بها الناس عامتهم وخاصتهم من مصر الى الاسكندرية مثلاً بدلاً من السير بسكة الحديد فتغني آلة الطيران عن القطرات البخارية كما اغنت هذه عن الجمال والخيل والبغال ويصير نقل البضائع بين مصر والاسكندرية بالمركبات الطيارة اقل نفقة من نقلها بسكة الحديد . ونقلها من الاسكندرية الى مرسيليا اقل نفقة من نقلها بالسفن البخارية او تبقى المركبة الطيَّارة العوبة يلعب بها الناس يركبها اثنان او ثلاثة للنزهة او آلة حربيَّة يصعدون بها للاستطلاع كما يركبون الغواصات ويسيرون تحت الماء . هذه المسائل قد اجبنا عنها غير مرة وقلنا ان ركوب الهواء من باب تجاري ضرب من المحال ما لم تكتشف قوة تمنع ثقل المادة

وقد اطلعنا الآن على مقالة في هذا الموضوع للاستاذ سيمون نيوكم رئيس الجمعية الفلكيَّة باميركا نشرتها مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية فرأينا ان نلخص منها ما يأتي قال

ان ما تمَّ حديثًا من استنباط طيارة طار بها الانسان اول مرةٍ ومن الاصلاح المستمر في البلون حتى صار يدار في الهواء كما يريد راكبهُ قد جعلا الاكثرين يظنون انهُ سيكون للطيران شأن كبير في التجارة . ويظنون الناس في ما تفضي اليهِ المخترعات الجديدة مبنية على ما علموهُ مما افضت اليهِ المخترعات القديمة فان ازدياد النجاح في الآلات الهوائية كازدياد النجاح في الآلات البخارية ولذلك يظن لاول وهلة ان الآلات الهوائية ستصل الى ما وصلت اليهِ الآلات البخارية او الآلات الكهربائيَّة . بل ان النجاح في ركوب الهواء ايسر تصورًا من نجاح الآلات البخارية والآلات الكهربائية لاننا لم نكن نعلم ما ستفضي اليهِ واما الآلات الهوائية فالغرض الذي ترمي اليهِ معلوم محدود وهو ركوب الهواء والسير بالمركبات الهوائية بدل السير بالمركبات البخارية والسفن البخاريَّة . ولما وضعت الآلة البخاريَّة في اول مركب بخاري كانت في تراكيبها واوصافها مما يستحيل ان تسير بهِ

السفن الكبيرة في عرض البحار ولم تبلغ ما بلغتهُ الآن الاَّ بعد ان تناولتها ايدي المخترعين والمستنبطين فغيروا وبدلوا وزادوا وانقصوا واصلحوا كثيرًا حتى بلغت ما بلغتهُ

وليست المسألة الآن مسألة امكان الطيران او امكان ركوب الهواء فانهُ قد ثبت من زمان منغلفيه انهُ يمكن عمل بلون يطير في الهواء ويحمل في مركبتهِ رجلاً او اكثر وثبت منذ عشرين سنة انهُ يمكن التحكم بالبلون حتى يذهب يمينًا او شمالاً حسبما يشاء راكبهُ. وثبت الآن انهُ يمكن ان تُصنع طيارة كبيرة ذات سطحين مستويين تحمل الانسان وتطير بهِ. ولكن المسألة المهمة هي هل في الامكان السير في الهواء من باب تجاري اي هل يمكن ان نبدل مركبات سكة الحديد والسفن التجارية بمركبات طيارة كما ابدلنا مركبات الخيل والبغال بمركبات سكة الحديد وكما ابدلنا السفن الشراعية بسفن بخارية

ولا بدَّ قبل الايغال في هذا الموضوع من ذكر الفرق بين تقدُّم المعارف وتقدم المخترعات فالمعارف لاحد لها واوضح دليل على ذلك اكتشاف الراديوم فان هذا العنصر يُصدر من الحرارة ما لا ينطبق على قاعدة من القواعد العلمية الطبيعية فاذا كشفت العلوم سبيلاً لابطال الثقل اي لملاشاة الجاذبية فذلك السبيل يغير مسألة الطيران كل التغيير ويسهّل ما نراهُ الآن متعذرًا وكذلك اذا امكن استخلاص الراديوم بالقناطير بدلاً من استخلاصهِ بالقمحات او اذا اكتُشف معدن او مزيج معدني اشد متانة من الفولاذ عشرة اضعاف فمسألة الطيران تتغير عما هي عليهِ الآن

ولكن رجال الاختراع غير ملتفتين الآن الى هذه الجهة اي انهم لا يحاولون اكتشاف طريقة لابطال الثقل ولا اكتشاف منجم للراديوم يستخلص منهُ بالقناطير ولا عمل مزيج معدني امتن من الفولاذ مرارًا كثيرة وقد تركوا ما هو محجوب في علم الغيب وهم يحاولون الآن استخدام الامور المعروفة للوصول الى ركوب الهواء من باب تجاري

ولركوب الهواء الآن طريقتان مختلفتان الاولى طريقة الآلات التي تطير في الهواء بواسطة حركتها كما يطير الطائر بتصفيق جناحيهِ. والآلة التي جاءت وافية بالغرض حتى الآن هي ذات السطوح المستوية. وقد استعمل البعض آلة ذات اجنحة تطير بحركة اجنحتها ولكن ذات السطحين جاءت اصلح منها حتى الآن وسواء كان الفوز اخيرًا لهذه او لتلك فهي آلة تطير بحركة اجزائها لا غير لانها اثقل من الهواء جدًّا فلا تطير من نفسها

والثانية طريقة الآلات التي فيها غاز اخف من الهواء يملأ بهِ كيس كروي او اسطواني فيبقى اخف من الهواء ويطير بخفتهِ وتضاف اليهِ آلة تديرهُ فيتجه بها هو وما يتصل بهِ ويسير

من مكان الى آخر. وقد اطلقنا على الاولى اسم الطيارة وهو مثل الاسم الذي استعملهُ الكاتب (flyer) وعلى الثانية اسم البلون وسماهُ الكاتب مركب الهواء (airship)

ومجال الطيارة محدود اكثر من مجال البلون لانهُ لا بدَّ لها من سطح متسع حتى يحملها الهواء ولا بدَّ من ان يتسع سطحها على نسبة ثقلها فاذا حمل المتر المربع ثقلاً معلوماً لزم لعشرة امثال ذلك الثقل عشرة امتار مربعة ولالف ثقل مثلهُ الف متر مربع ويجب ان تكون السطوح افقية . والطيارات التي صنعت حتى الآن تحمل رجلاً واحداً او اثنين فاذا اريد ان تحمل مئة رجل وجب ان يتسع سطحها مئة ضعف او خمسين ضعفاً . ويظهر باقل نظر ان ذلك ليس مما يمكن العمل بهِ لانهُ اذا اتسعت السطوح كذلك لم يعد في الامكان عمل عصي خفيفة تحملها وتكون متينة واذا كانت العصي متينة كافية لحملها وجب ان يزيد ثقلها فلا تعود الطيارة تحملها وتحمل الرجال الذين يركبونها

ثم انهُ اذا اختلَّ شيءٌ في آلة الطيارة فلا يمكن ايقافها في الهواء لاصلاحهِ لانها اذا وقفت عن الحركة وقعت كما يقع الطائر اذا كسر جناحهُ ولم يصنع الناس حتى الآن آلة لا يمكن ان يقع خلل فيها فاقل خلل يصيبها يعرّض كل راكبي الطيارة للقتل . ولو كانت السفن تعرَّض للغرق كلما وقع خلل في آلتها البخارية لما رأينا سفن البخار تقطع البحار

ولا بدَّ للطيارة من ان تطار قريبة من الارض لكي يبقى راكبها قادراً على رؤية سطح الارض وتحكيم وضع سطوحها بالنسبة اليهِ لان كل انحراف في وضع السطوح بسبب سرعة الطيارة او بطئها ومقاومة الهواء لها يعرّضها للوقوع كما تقع اذا كنت واقفاً في قطار سائر ووقف بغتةً

وهاتان العلتان لا تتناولان البلون لان طيرانهُ مناسب لجرم الغاز الذي فيهِ لا لسطحهِ فيمكن تكبيرهُ في الطول والعرض والعمق لا في الطول والعرض فقط كسطحي الطيارة ويمكن توقيفهُ في الهواء لاصلاح ما يعتري آلتهُ من الخلل . وقد يظن لاول وهلة انهُ اذا كبر جرم البلون كثيراً وجب ان تزاد القوَّة اللازمة لتسييرهِ على نسبة جرمهِ . وليس الامر كذلك لان القوة اللازمة لتسيير السفن الكبيرة لا تزيد على نسبة جرمها وثقلها بل على نسبة مربع طولها واما سعة السفينة لحمل البضائع فتزيد على نسبة مكعب طولها اذا كانت الابعاد متناسبة اي اذا وجدت سفينتان من شكل واحد تماماً وطول احداهما مئة متر وطول الاخرى مئتا متر ولزم لتسيير السفينة الاولى الف حصان فيلزم لتسيير الثانية اربعة آلاف حصان ولكن اذا كانت الاولى تحمل الف طن فالثانية تحمل ثمانية آلاف طن لا اربعة آلاف طن .

وعلى هذا المبدإِ تزيد قوة البلون بزيادة حجمهِ ويزيد الاقتصاد في القوة اللازمة لادارته. فلا شيءَ من النواميس الطبيعيَّة يمنع تكبيرهُ الى اي حد اريد . والمسألة المهمة هي الى اي حد يمكن تكبيرهُ وتبقى ادارتهُ ميسورة

واول شيء يعترض تكبير جرم البلون مقاومة الهواء لهُ وهو مسرع فيهِ فان اكثر القوة التي تستعمل لتسيير القطرات البخارية ينفق على مقاومة الهواء لها فيجب ان ينفق اضعاف اضعاف تلك القوة على مقاومة الهواء لبلون يحمل ما يحملهُ القطار البخاري ويسير بسرعتهِ اي اذا صنعنا بلوناً يحمل من الناس والبضائع ما يحملهُ قطار بخاري ويسير بسرعة مثل سرعتهِ وجب ان نضع في ذلك البلون آلات بخارية قوتها تزيد على قوة آلات القطار البخاري مراراً كثيرة وتحرق فيها من الفحم او من الوقود ايًّا كان نوعهُ اضعاف اضعاف ما يحرق في القطار البخاري . فاذا بلغت اجرة نقل القنطار في القطار البخاري خمسة غروش فلا يبعد ان تبلغ اجرة نقلهِ في البلون مئة غرش او مئتي غرش والمسافة واحدة والسرعة واحدة . فلا يحتمل ان يستعمل البلون من باب تجاري الاَّ اذا كشف العلم نواميس غير معروفة من نواميس المادَّة لا دليل الآن على وجودها

ولكن لاستعمال البلون مزايا على سكة الحديد لا يصح اغفالها فاولاً لا يلزم لهُ مد الخطوط الحديدية وهي كثيرة النفقة جدًّا وثانياً توجد بقاع من الارض لا يمكن مد سكة الحديد اليها كالاصقاع القطبيَّة فهذه يمكن البلوغ اليها بالبلون ولكن الاماكن التي من هذا القبيل قليلة جدًّا وليس لها شأن كبير وما بقي من الاماكن التي لم تصل اليها سكك الحديد حتى الآن ستصل اليها عاجلاً او آجلاً ومهما كانت نفقاتها كثيرة فهي ليست شيئاً في جنب النفقات اللازمة لنقل الركاب والبضائع بالبلونات هذا اذا سهل عمل بلون يحمل الركاب والبضائع وكان الخطر من ركوبهِ والنقل بهِ قليلاً جدًّا كالخطر من ركوب سكك الحديد والسفن البخارية ولكن اين تلك السهولة واي امان لمن يسير على متن الريح بالنسبة الى مَن يسير على بساط الارض

وقد اهتمت الدول الاوربيَّة بالبلون لاستعمالهِ في الحرب ولا شبهة في فائدتهِ للاستطلاع ولكن هل من فائدة لهُ في الهجوم على العدو اي في نقل الجنود والقاء القنابل على الحصون والمدن ولا سيما اذا كانت البلاد جزيرة مثل انكلترا يسهل الوصول اليها بالبلون ويصعب بغيرهِ وقت الحرب

ان جرم البلون كبير جدًّا فلا يخطئهُ رصاص العدو ورصاصة واحدة تخرقهُ وتتلفهُ

مهما كانت صغيرة واذا كانت مما يتفرقع اشعلت ما فيهِ من الغاز فيحترق ويهلك من فيهِ . ورجل واحد معهُ بندقية كثيرة الطلقات يستطيع ان يتلف عدداً كبيرًا من البلونات قبلما يعلم الذين فيها اين هو . وكم بلون يلزم لنقل جيش كبير يخشى شرهُ . ولا بدَّ لهذه البلونات ان تبيت العدو ليلاً او في الصباح حين يغشاها الضباب والأَ رآها العدو واتلفها حالاً . وكيف يتيسر لها النزول من الهواء في حالك الظلام او حينما يكون الضباب مغطياً الارض لان الذين في البلون لا يعلمون اين هم الا من مشاهدة الارض تحتهم . نعم قد يعينون موقعهم من مراقبة الشمس والنجوم ولكن ذلك صعب ولا يمكن التدقيق فيهِ كما يمكن في السفن البحرية

هذا من حيث استعمال البلون لنقل الجنود اما من حيث استعمالهُ للهجوم اي لاطلاق المدافع وطرح الديناميت فلا تطلق منهُ الا مدافع صغيرة جداً لا يعتدُّ بها في حروب هذه الايام واذا القى الديناميت في اماكن مزدحمة بالسكان مثل مدينة لندن اضرَّ بها ولكن ذلك ممنوع بقوانين الحرب الحاضرة . وغاية ما يستطيعهُ من الضرر غير الممنوع انهُ يطرح الديناميت على الحصون والسفن الحربيَّة ولكن الديناميت الذي يطرح طرحاً لا يؤثر مثل الديناميت الذي يطلق اطلاقاً كالتربيد ونحوهِ . ويسهل تسديد المدافع عمودية الى البلون حتى تصل قنابلها الى علو ميلين وقنبلة واحدة تخرق البلون وتتلفهُ . وقنبلة الديناميت التي يطرحها البلون عن علو ميلين يجب ان تكون صغيرة خفيفة لان الهواء هناك خفيف جدًا يبلغ ثقلهُ النوعي ربع ثقلهِ على سطح الارض فلا يستطيع البلون ان يحمل قنابل ثقيلة . ولذلك فاحتمال ضرر الحصون بقنابل الديناميت التي تطرح من البلونات قليل جدًا

وطرح قنابل الديناميت على السفن الحربيَّة اقل ضررًا لان البلون يكون سائرًا ولا يسهل على مَن فيهِ معرفة مقدار سيرهِ بالتحقيق ولا معرفة مقدار سير السفينة بالتحقيق حتى اذا القيت قنبلة من البلون تصل الى السفينة فاذا كان في بلون مئة قنبلة وزن كل منها طن والقاها على سفينة حربيَّة من علو ميلين فالمرجح انهُ لا يصيبها منها الا قنبلتان او ثلاث وهذه القنابل لا تضر السفينة باكثر من ثغرة تثغرها في ظهرها اما جوانبها فتبقى سليمة . ثم ان البلون الذي يحمل مئة قنبلة من هذه القنابل يجب ان تكون سعتهُ اللازمة لحمل القنابل وحدها خمس مئة الف متر مكعب وذلك يعادل اسطوانة قطرها اكثر من ٢٥ مترًا وطولها الف متر

ولذلك كلهِ لا يحق لانكلترا ان توجس اقل خيفة من ان يهاجمها عدو بالبلونات . وما الحرب بالآلات الطيارة الا من قبيل التخيلات الشعرية

طيارة ريت وسهولة الطيران

جاء في الفصل السابق ان الطيران بعيد او مستحيل من باب تجاري ولكن اعمال الناس لا يقصد بها الكسب دائماً فالذي يركب اوتوموبيلهُ ويخرج بهِ للنزهة ينفق عليهِ في يومهِ خمسين غرشاً او مئة غرش وهو لو ركب الترامواي الكهربائي لسار تلك المسافة عينها بغرشين او ثلاثة . والذي يركب يخته ويسير في عرض البحار من مرفإ الى آخر ينفق عليهِ في سنتهِ الوفاً من الجنيهات وهو لو ركب سفينة بخارية من سفن التجار لاكتفى بعشر تلك النفقة

ويظهر لنا ان الطيارة التي صنعها ولبور ريت واخوهُ ستستعمل يوماً ما كما يستعمل الاوتوموبيل حتى اذا خرجتَ الى النزهة رأيت عشرات منها وكل طيارة لا تزيد في طولها وعرضها على الاوتوموبيل الكبير وراكبها يطير بها فوق الارض ويسير بسرعة الطيور . نعم لا تصير هذه الطيارة بحيث تنقل بها البضائع كالمركبات التي تجرها الدواب او كالمركبات البخارية ولا تناظر الترامواي الكهربائي ولكنها تقوم مقام البيسكل وقد تقوم مقام الاوتوموبيل وتمتاز عليهِ في كونها تحمل راكبها فوق الاشجار والجدان وتسير بهِ في اماكن لا طرق فيها . وايضاحاً لذلك نشرح طيارة ريت وما عُمل بها حتى الآن

تؤلف هذه الطيارة من سطحين منبسطين متوازيين ينصب احدهما فوق الآخر طول كلٍ منهما ١٢ متراً وعرضهُ متران والبعد بينهما ست اقدام اي اقل من مترين قليلاً والعوارض المبسوط عليها هذان السطحان من الخشب الخفيف المتين وكذلك العوارض او العصي الفاصلة بين السطحين . والسطحان من نسيج رقيق متين كالشاش المعروف بالموصلينا . فالطيارة مثل بيت طويل ضيق لهُ سطح من قماش وارض من قماش وجوانبهُ الاربعة مفتوحة للهواء ويتأ منهُ عوارض دقيقة تتصالب معهُ متصلة بدفة مقدمة ودفة مؤخرة وكل دفة منها سطحان صغيران من القماش احداهما افقية والاخرى عمودية . وهما كالجناحين للطيارة ويوضع داخل هذا البيت آلة غازولين تدير الدفتين . وثقل البيت وحدهُ مع الآلة ٨٠٠ ليبرة وثقلهُ مع ثقل الرجلين الذي يركبانهِ والوقود والماء ١١٥٠ ليبرة ومساحة السطحين والدفة الافقية ٥٧٥ قدماً مربعة فكل قدم مربعة منها تحمل ليبرتين من ثقل الطيارة والرجلين ويقال ان القدم المربعة في بعض الطيارات الفرنسوية تحمل ثلاث ليبرات ونصف ليبرة فطيارة ريت غير مثقلة بحملها ولذلك تسير بسرعة فائقة فقد جاء في الانباء البرقية الاخيرة ان سرعتها بلغت اربعين ميلاً في الساعة . والسرعة تتوقف على ادارة السطحين لا على سرعة

الآلة المحركة . والآلة المحركة تسير الطيارة برفاص لولبي من الخشب قطره ست اقدام وآلة الغازولين هذه قوتها ٢٥ حصاناً

واكبر اعتراض يعترض بهِ على هذه الطيَّارة انها اذا اصابت دفتها آفة ما او اذا اصاب مديرها امر منعهُ من ادارتها سقطت على الارض بمن فيها وليس الامر كذلك في طيارة فرمن لان هذه لا تقع على الارض لاقل علَّة

وطيارة ريت تجري اولاً على عجلتين على خطين من الحديد الى ان تصير سرعتها كافية للصعود في الهواء والغالب ان تصير سرعتها كافية بعد ما تسير مئة قدم او اقل

وقد كتب المستر ريت واخوهُ في مجلة السنتشري الاميركية يقولان ان الطيارة توضع مواجهة للريح على خطين كخطوط سكة الحديد وتدار الآلة التي فيها وتجلس انت في مكانك الى جانب مدير الطيارة وتكون الطيارة مربوطة بحبل فتفكهُ ويكون معها رجل واقف على الارض فيدفعها ويجري معها وقبلما يسير خمسين قدماً تكون سرعتها قد صارت اشد من سرعتهِ حتى اذا قاربت آخر الخطين حرَّك مديرها الدفة المقدمة فترتفع الطيارة عن الخطين وتسبح في الهواء حتى اذا صارت على ارتفاع مئة قدم من الارض لم تعد تشعر بحركتها واذا لم تمكن برنيطتك على رأسك اطارتها الريح عنهُ . ثم يحرك المدير الجناح الايمن فتدور الطيارة الى اليسار ولكنك لا تشعر بشيء كما يشعر من دارت بهِ المركبة بغتةً . وترى الاشباح تحتك على الارض تمرُّ مرَّ السحاب حتى اذا عادت الطيارة الى فوق المكان الذي طارت منهُ اوقف مديرها الآلة المحركة وجعلت الطيارة تهبط على سطح مائل الى ان تصل الى الارض

وظاهر مما تقدم ان مساحة سطحي هذه الطيارة كبيرة جدًّا فان طول كلٍّ منهما ١٢ مترًا وانهُ لا بدَّ لها من عجلة تجري عليها اولاً على خطين من خطوط سكة الحديد ولا يتيسر وجود ذلك في كل مكان وانهُ لا بدَّ لها من رجل يدفعها يعدو وهي على الارض وهذه الشروط كلها مما يمنع استعمالها استعمال الاوتوموبيل ولكن اثبت احد المشتغلين بعمل هذه الطيارات انهُ يمكن عمل طيارة ثقلها ١٥٠ ليبرة فقط فتحمل رجلين وتطير بهما على ما جاء في العدد الاخير من السينتفك اميركان . فاذا ثبت ذلك فتكون مساحة هذه الطيارة نحو ثمن مساحة طيارة ريت ورجلان يحملانها من مكان الى آخر ولا مانع يمنع اتصال العجلتين بها او جعلها اربعاً متصلة بالطيارة فتجري عليها اولاً كما يجري الطائر الكبير على رجليهِ قبلما يطير . واذا كانت على هذه الدرجة من الخفة فلا داعي لخطين حديدين تجري عليهما اولاً

فاذا ثبت الامر الذي ذكرتهُ السينتفك اميركان فلا نرى في النواميس الطبيعية ما

يمنع تحقيق بقية الامور وحينئذٍ يصير الناس يذهبون بطياراتهم كما يذهبون بسياراتهم او دراجاتهم ويطيرون بها من مكان الى آخر كالطيور ولو لم تستعمل لنقل الناس والبضائع كالسفن وسكك الحديد

حركات النبات

ملخصة من خطبة الرئاسة للاستاذ فرنسيس داروِن رئيس مجمع تقدُّم العلوم البريطاني الذي التأم في ٢ سبتمبر الماضي

لا بدَّ لي قبل الدخول في موضوع خطبتي من ان اشير الى الخسارة التي خسرها المجمع البريطاني بموت لورد كلفن فقد انضمَّ الى هذا المجمع سنة ١٨٤٧ وبقي يتردد عليهِ اكثر من خمسين سنة . ولسنا الآن نتكلم على عملهِ في العالم ولا على مقامهِ في عيون اصدقائهِ بل على تأثيرهِ في الذين لم يكن يعرفهم شخصياً فيظهر لي انهُ كانت تنتشر منهُ قوة سحرية تسحر الذين لا يعرفونهُ كما تسحر معارفهُ ولذلك فقدوهُ كما فقدهُ اصدقاؤُهُ . وفقد اعضاء هذا المجمع ايضاً صديقهم السر جون الفانس الذي رأسهم في اجتماع تورنتو سنة ١٨٩٧ ولقد كان يواظب على اجتماعات المجمع من حين انضمَّ اليهِ سنة ١٨٦١ فقد فقدنا شخصهُ المحبوب ومشوراتهِ الحكيمة

واسمحوا لي ان اشير الى شخص آخر وهو السر جوزف هوكر الذي كان رئيساً لقسم النبات في هذا المجمع منذ اربعين سنة وتكلَّم حينئذٍ مدافعاً عن مذهب النشوءِ "بفصاحة ومهارة" كما قال والدي . ويسرُّ كل اعضاء هذا المجمع ان السر جوزف هوكر لم يزل مواظباً على الاشتغال بالمواضيع التي ارتقت في يدهِ والتي اعترف لهُ الجميع انهُ ابن بجدتها وحامي حقيقتها

ولقد تنتظرون مني ان اتلو عليكم خلاصة ما تمَّ في مذهب النشوءِ منذ خمسين سنة اي منذ اول يوليو سنة ١٨٥٨ حينما أُعلن مذهب اصل الانواع بواسطة الانتخاب الطبيعي بلسان المستر داروِن والمستر ولس . وجمع هذه الخلاصة من الاعمال الكبيرة التي لا استطيعها وغاية ما تنتظرونهُ من رئيسكم ان يكلمكم على المواضيع التي اشتغل بها بنفسهِ ولقد كان اشتغالي بحركات النبات فعن هذا الموضوع اتكلَّم وبهِ ابتدئ . ومرادي ان ابيّن لكم بنوع عام كيف ان التغيرات التي تحدث حول النبات تؤَثر فيهِ وتجعلهُ يحرك بعض الحركات ثم

ابين ان ما يصدق على التغيرات الوقتية التي تحدث في النبات ونسميها حركات يصدق ايضاً على التغيرات الدائمة التي نقول انها بنائية اي في بنية النبات

وعندي انهُ اذا كان درس حركات النبات يتناول المنبهات وفعلها بهِ فالتغيرات الحادثة في بنيتهِ تجري هذا المجرى ويجب ان يبحث في الموضوعين على اسلوب واحد ولهذا شأن كبير لانهُ يدلُّ على ان ما نراه في حركات النبات مما يشير الى مبدإِ العادة او الذاكرة لهُ محل في بناء النبات وعليهِ يتمشى تكوُّن الحي من البيضة . ولقد حاول كثيرون ربط الذاكرة بالوراثة وسأحاول انا ايضاً ذلك على اسلوب آخر وهو وراثة الصفات المكتسبة ولو حسبهُ بعضكم من الامور التي انتقضت

الحركات

كتب ابي سنة ١٨٨٠ في كتابهِ عن حركات النبات " انهُ يستحيل ان لا تندهش من المشابهة بين حركات النبات المذكورة آنفاً وكثير من الحركات التي تحركها الحيوانات الدنيا على غير ادراك منها ". وقد وجَّه ساخ الانظار في العام السابق الى المشابهة الجوهرية بين تأثر النباتات وتأثر الحيوانات . والآن لا نقول ان النبات يتكلَّم كما يقال في قصص الاولاد ولكننا نقول ان النباتات والحيوانات متشابهة في انفعالها بالمؤثرات وان ذلك صار من الامور المتعارفة

ومما يستغرب في امر المؤثرات ونتائجها ان مقدار الاثر لا ينطبق دائماً على مقدار المؤثر ولكن لا وجه للاستغراب لاننا نعرف المؤثر والاثر الذي ينتجهُ ولا نعرف الامور المتوسطة بينهما في تركيب الجسم الحي كما ان قذف القنبلة من المدفع لا يساوي فعل الكبسول الذي يحرق الذخير بل يزيد عليهِ كثيراً لانهُ ناتج عن القوى المذخورة في حبوب البارود . وما يقال عن فعل المؤثرات بالنبات يقال عن فعلها بالحيوان

التغيرات البنائية

اي التغيرات التي تحدث في بنية النبات والحيوان تبعاً للمؤثرات . رأى كلبس ان نوعاً من الفطر ينمو على اجسام الذباب الميت ويبقى نامياً ست سنوات متوالية من غير ان تظهر فيهِ اعضاء التوليد ثم اخذ قطعة منهُ وزرعها في مكان آخر فظهرت فيها اعضاء التوليد حالاً

وزُرع نوع من الطحلب الاخضر في سائل فيهِ قليل من مادة مغذية فجعل ينمو بانقسام الحويصلات . وزُرع في ماء نقي في نور ساطع فنما على اسلوب آخر بتزاوج دقائقهِ . ومن ذلك ان نوعاً آخر من النباتات الدنيا اذا زرع في يوم رطب انتج بزوراً بوضعهِ في الماء إما

في النور او في الظلام ولكنهُ اذا زرع في مذوب معلوم لم ينتج بزوراً الاَّ اذا وضع في الظلام. ومن النبات ما يتغير لون زهره من الازرق الى الابيض ومن الابيض الى الازرق حسب تغير احوال زراعته. وتتغير الازهار على صور مختلفة بتغير الاحوال المباشرة للنبات

وظاهر من ذلك ان الاثر يبقى ثابتاً في النبات ويجري النبات عليهِ ولو زال المؤثر كأنهُ يتذكرهُ وينفعل بهِ وهذا اول اصل طبيعي للذاكرة. وما يصدق على النبات من هذا القبيل يصدق على الحيوان بنوع عام فان احوال الحيوانات العليا حتى الانسان نفسهِ تتوقف كثيراً على تاريخها لحالة الواحد منها تتوقف على حالتهِ الفسيولوجيَّة الحاضرة التي اوصلتهُ اليها المؤثرات التي اثرت فيهِ والانفعالات التي انفعل بها والفرق بين الحيوانات العليا والدنيا من هذا القبيل انما هو في الكم لا في الكيف

العادة والحركة

من النبات ما تذبل اوراقهُ ليلاً كالسنط ثم تنتعش نهاراً فيقال انهُ ينام ليلاً ويستيقظ نهاراً وان ذلك حادث من فعل النور بهِ كما يفعل بالواح التصوير وبالراديومتر. ولكن اذا وضعنا هذا النبات نفسهُ في غرفة مظلمة فان اوراقهُ تذبل فيها ليلاً وتنتعش نهاراً ولو لم ترَ نور الشمس فتفعل ذلك بحكم العادة اي ان تعاقب النهار والليل على ذلك النبات اوجد فيهِ عادة يعود اليها كل يوم. وحيث ان المؤثر الخارجي قد زال والنبات في الغرفة المظلمة فالذي اثر فيهِ هو مؤثر داخلي ولذلك يمكن تعريف العادة بانها نتيجة توالي المؤثرات وتوالي آثارها حتى ترتبط تلك الآثار ارتباطاً يجعلها تتوالى من نفسها ولو زالت المؤثرات

وهذا يشبه المثل الذي فرضهُ هربرت سبنسر وهو انهُ اذا وجد حيوان مائي بسيط يقبض اهدابهُ اذا لمستها سمكة او قطعة من نبات البحر فاذا صارت الاسماك والاعشاب تلمسهُ في النور صار اللمس والنور يؤثران فيهِ تأثيرين متصلين في وقت واحد ثم يصير يتأثر من النور وحدهُ لانهُ يعلقهُ بالمؤثر الآخر ويصير ينقبض بالنور ولو لم يلمس

وقد بيَّن جنس اصل الذاكرة في الحيوانات الدنيا كالنقاعيات فاذا صببت ماء فيهِ لعلَّ على حيوان من هذه الحيوانات الدنيا اثَّر فيهِ اولاً اثراً غير ظاهر واذا واظبت على صب ذلك الماء زاد الاثر فالتوى الحيوان الى جانب من جانبيهِ واذا كررت صبَّ الماء دار الحيوان وغيَّر جهة سيرهِ ثم اذا طال صب الماء ايضاً عاد الحيوان الى انبوبهِ الذي خرج منهُ. واذا تكرَّر صب هذا الماء عليهِ صار يفعل الفعل الاخير اي يرجع الى انبوبهِ حالما يصيبهُ الماء من غير ان يتدرَّج على الحالات الاربع المار ذكرها. اي ان الشيءَ اذا تكرَّر اسرع

فعلهُ واسرع الوصول الى النتيجة الاخيرة وهذا نفس ما يحدث في الذاكرة وائتلاف الافكار واحراز المعارف في الناس انفسهم

وقد اوضح كيبل فعل العادة بالحيوانات الدنيا من مراقبتهِ طبائع حيوانات صغيرة تشبه الدود توجد على شواطئ برتني حيث المدُّ والجزر فاذا كان الجزر خرجت هذه الحيوانات واجتمعت في بقع خضراء فاذا عاد المد وغطاها عادت الى مخابئها · ثم نقلت هذه الحيوانات الى حوض الحيوانات المائية فبقيت مدة تختفي في زمن المد مع انها بعيدة عن فعلهِ كانها تفعل ذلك بعادة تمكنت منها

وعادات الانسان من هذا القبيل فاذا اعتاد ان يسير في طريق كل يوم و يدور منها كلما وصل الى نقطة معلومة فانهُ يصير يدور كلما وصل الى تلك النقطة على غير انتباه ولا يفسّر ذلك قولنا ان المحرك الذي يحركهُ للسير كل يوم يكون من مقتضاهُ ان يصل الى تلك النقطة و يعود منها كمن يأخذ تذكرةً ذهاب واياب بسكة الحديد وانما يفسر رجوعهُ بانهُ نتيجة اتصال الافعال العصبيَّة بعضها ببعض من قبيل ائتلاف الافكار · وعلى هذا النمط يستيقظ الانسان في ساعة معلومة صباحاً اذا اعتاد ذلك وعليهِ ايضاً تجري افعال النبات التي تنتاب في اوقات معلومة كذبول الاوراق ليلاً اي انها استمرار فعل موَّثر زال وبقي اثرهُ

وقد يعترض على ذلك بان ائتلاف الافكار يقتضي وجود الاعصاب والنبات لا اعصاب لهُ · ولكن لا ينكر ان في النبات خاصتين على الاقل من خواص الحيوان الاولى شدَّة التأثر ببعض الموَّثرات والثانية نقل هذا التأثر من جزء الى آخر من اجزاء النبات · نعم ليس في النبات مجموع عصبي مركزي وليس فيهِ الاَّ نظام مركَّب من النويَّات ولكن لهذه النويات بعض خواص الخلايا العصبيَّة وبعضها خيوط تفعل فعل الاعصاب وقد قال سبنسر " انهُ كلما تأثر العصب بموَّثر ما صار اقبل للتأثر بذلك الموَّثر " افلا يصدق ذلك على النباتات كما يصدق على النقاعيات · وقد ابنّا انهُ يبقى في النبات اثر الموَّثرات الخارجية كما يبقى في الحيوان فلا مانع يمنع ائتلاف هذه الموَّثرات في النبات كما تأتلف في الحيوان

ورب معترض يقول ان ائتلاف الموَّثرات يقتضي وجود شيء من الوجدان اي شعور الحيوان بانهُ موجود · ويستحيل علينا ان نعرف هل يشعر النبات انهُ موجود او لا يشعر ولكن ناموس الاتصال بين الاحياء يقتضي ان يوجد فيها كلها شيء من القوة العقليَّة واذا صحَّ ذلك وجب علينا ان نعتقد ان في النبات شيئاً من الوجدان الذي فينا

ومذهبي انهُ اذا اعتبرنا التأثر بالمؤثرات الخارجية فالنبات والانسان من قبيل واحد لا فرق بينهما ولكن اذا نظرنا الى تصرف النبات والانسان بهذه المؤثرات وجدنا الفرق بينهما كبيرًا جدًا ٠ وارى نفسي مضطرًا الى القول بان التذكر في كل الاحياء يتوقف على التغيرات التي تحدث في البروتوبلازم ولذلك يجوز ان تستعمل هذه التغيرات دليلاً على الافعال التي يقال لها عادات

العادة في بناء الاجسام

نظرنا في ما يكون في الحركات من الذاكرة وقد ابنت ان التغيرات التي تحدث في بنية الاجسام هي انفعالات ناتجة عن مؤثرات مثل المؤثرات التي تحدث التغيرات الوقتية ٠ وعندي ان اوضح امثلة العادة موجود في ابنية الاجسام الحيَّة وانفعالها بالمؤثرات الخارجية فالحي يتكوَّن من جرثومة اصلية بسلسلة متتابعة من النمو والانقسام وكل حلقة من هذه السلسلة تتبع التي قبلها كما تتابع الاعمال التي تعمل بمجرَّد العادة ٠ وما التولُّد سوى نوع من العادة اي انهُ سلسلة من الافعال يتلو بعضها بعضًا بعد زوال الفواعل التي كانت تفعلها اصلاً ٠ وبين التولد والعادة مشابهة حقيقية لا وهمية ولذلك قلت ان للذاكرة محلاً في بناء الاجسام كما لها محل في الاعمال الوقتية التي تعملها الاجسام الحيَّة ٠ ولا ينكر ان في ادوار التولُّد الصفتين اللتين تكونان في العادة وهما الثبوت حتى يصير العمل آليًا والتغير حتى يمكن تغيرهُ ولو قليلاً . فان العادة لا تكون ثابتة دائمًا بل قد يعتريها التغير على اوجه مختلفة فقد يُنسى بعضها وقد يضاف اليها انفعالات جديدة ٠ وكذلك التولُّد فان الدرجات الاولى منهُ تجري على نسق واحد كأنَّ امورها كلها ثابتة والدرجات الاخيرة كثيرة التغيُّر كأنَّ كثيرًا من امورها متغير ٠ وقد ابان والدي انهُ " اذا حسبنا ان الانواع تنوعات ثابتة الخواص حقَّ لنا ان ننتظر تغيرًا في اعضائها التي تغيرت منذ عهد قريب ولذلك فالصفات التي تميز النوع اكثر تغيرًا من الصفات التي تميز الجنس "٠ وهذا يصدق على العادة فاذا اعتاد رجل من صغرهِ ان يكرّر جملة معلومة ثم زاد عليها في كهولتهِ بعض الكلمات فانهُ يجد تغيير الزيادة اسهل من تغيير الاصل

ومن المقرر ان الحيَّ الذي يتولد من بيضة يمر في نموهِ على الاطوار التي مرَّت عليها اسلافهُ في سلسلة نشوئها ٠ وهذا يماثل ما يحدث في الذاكرة فكم من مرة نحاول ان نتذكر بيتًا من قصيدة فلا يخطر على بالنا ما لم نتلُ القصيدة من اولها الى ان نصل الى ذلك البيت كأنَّ كل بيت منها ينبه الذهن الى البيت الذي بعدهُ

وقد ذهب هرنغ الى ان الذاكرة والوراثة من قبيل واحد وقال "ان بين ما انا عليهِ اليوم وما كنت عليهِ امس الليلَ والنومَ وفقد الشعور ولا موصل بينهما الاَّ الذاكرة " وكذلك يوجد فاصل بين كل حي وما يتولد منهُ ولا يصل بينهما الاَّ الذاكرة الموجودة في خلايا الجراثيم التي يتولد الحي منها . وكل حي متصل بالاصل الذي يتولد منهُ بالذاكرة . وخلايا الجراثيم التي يتكون الجنين منها متصلة بالجسم كلهِ حتى تضاف اليها آثار جديدة كما فعلت الفواعل بالجسم الذي هي منهُ . وهذا يضطرنا الى التسليم بمذهب الوراثة الجسدية او وراثة الصفات المكتسبة . ولهذا الموضوع اي لوراثة الصفات المكتسبة شأن كبير في وراثة نتائج التعليم والتهذيب او التغرير والتضليل او التحسين والتشويه او الاستعمال والاهمال. وقد تكون وراثة الصفات المكتسبة اصلاً اساسياً في النشوء والارتقاء

[ثم شرح الخطيب مذهب وسمن وما يُعترض بهِ عليهِ وما فيهِ مما يؤيد المذهب الذي ذهب هو اليهِ اي ان آثار المؤثرات تحفظ في الخلايا والجراثيم التي يتكون الجسم منها وتظهر بعد ذلك بفعل مثل فعل الذاكرة . الى ان قال] فالكلب الذي يهارش الكلاب و يعضها قد يعض شفتيهِ احياناً فيصير يبعد شفتيهِ كما هجم على غيرهِ وتتمكن منهُ هذه العادة حتى تصير صفة موروثة و يصير يكشر عن انيابهِ كما اغتاظ. ولعلَّ عادة الكشر عن الاسنان وقت الغيظ موروثة في الناس من اسلافهم الذين كانوا يعضون غيرهم ويبعدون شفاههم لئلاَّ تصيبها اسنانهم . وما الاحياء سوى سلسلة كبيرة متصلة الحلق وكل حلقة منها تعلمت بالاختبار شيئاً كان يجهلهُ اسلافها ورسخ بعض ما تعلمتهُ فيها وظهر في نسلها بنوع من التذكُّر . ومذهب التذكُّر هذا يقوي مذهب النشوء بالانتخاب الطبيعي ويوضحهُ فانهُ اذا كان مؤدَّى النشوء تدريب الاحياء وتعويدها فهلاك الاحياء التي لا تتعلم ولا تتدرب هو جزء جوهري من النشوء ومنهُ اكبر فائدة في نشوئها . ولا يكتفي الانتخاب الطبيعي بذلك بل يرقي الاحياء اي يعلّم كل نوع جديد منها ما تعلمهُ سلفهُ ويزيد عليهِ كما يفعل من يربي الحيوانات ويدربها على الاعمال المدهشة التي تعملها في المشاهد العمومية . فيفعل النشوءُ ما يفعلهُ المدرب وسبيلهُ الصبر والمواظبة وطول الزمان

اسباب الاحتلال البريطاني

(٢)

لما تمرّد الجيش المصري في ٩ سبتمبر خاف المداينون الفرنسويون على ديونهم فاقترحت الحكومة الفرنسوية على الحكومة الانكليزية ان تشتركا في المراقبة عليهِ وترسلا جنرالين من قوّادهما ليتوليا امرهُ وتدريبهُ. فقالت الحكومة الانكليزية للحكومة الفرنسوية هب ان الجيش المصري لم يطع اوامر هذين الجنرالين فماذا تفعل. فاجابت الحكومة الفرنسوية انهُ يجب حينئذٍ على انكلترا وفرنسا ان تؤيداهما وترسلا بوارجهما الى الاسكندرية. وأُرسل هذا الاقتراح الى مصر فازدراهُ شريف باشا والسر اكلند كولفن ورجعت فرنسا عنهُ الى ان تغيرت الوزارة الفرنسويَّة في اواسط دبسمبر سنة ١٨٨١ وجاء غمبتا وهو في عنفوان قوتهِ فقال للورد ليونس سفير انكلترا انهُ لا بدَّ من تأييد الخديوي وجعلهِ يثق بمساعدة فرنسا وانكلترا لهُ واقناع خصومهِ نصراء اسمعيل باشا وحليم باشا ان فرنسا وانكلترا لا تتخليان عنهُ ولا تسلمان بتوسط الباب العالي. وقال انهُ قد حان الوقت للاشتراك في العمل اذا دعت الحاجة الى ذلك

ولما بلغ كلام غمبتا اذن لورد غرانفل وزير انكلترا اجاب بما يستفاد منهُ تأييد الحكومة الفرنسويَّة في وجوب الاهتمام بالمسألة المصرية واظهار اتفاقهما ولكن لا بدَّ من النظر والتدقيق قبل اختيار السبيل الذي تجريان فيهِ اذا عاد الاضطراب الى مصر

وفي ٢٤ دبسمبر قال المسيو غمبتا ان مجلس الاعيان المصري قارب الاجتماع وانهُ لا بدَّ وان يغير في مركز مصر السياسي فيكون من الحكمة ان فرنسا وانكلترا تخبران معتمديهما ليبلغا الخديوي انهما تؤيدانهِ لكي يتقوّى على تعزيز سلطتهِ فيكون ذلك بمثابة الخطوة الاولى من اتفاقهما في المسألة المصرية حتى اذا عرض ما يدعو الى عمل آخر عملتاهُ معاً متفقتين

وكتبت انكلترا الى معتمدها في مصر تستشيرهُ في ذلك فاجاب انهُ لا بأس بهِ وطلب منها ان تنتظر مذكرة كتبها السر اكلند كولفن شرح فيها حالة مصر بالتفصيل واوجب بقاء المراقبة المالية وكل ما يتعلق بها واخراجها من اختصاص مجلس الاعيان او مجلس النواب. واوجب ايضاً بقاء الموظفين الاوربيين في المناصب التي هم فيها لاتمام اصلاح الحكومة

ووصلت هذه المذكرة الى لندن في ٢ يناير وفي ذلك اليوم عينهِ وصلت اليها اللائحة

التي كتبتها غمبتا لترسل الى مصر باسم انكلترا وفرنسا . وارسلت انكلترا هذه اللائحة الى معتمدها في مصر بالتلغراف في ٦ يناير وارسلت فرنسا لائحة مثلها الى معتمدها فابلغها المعتمدان الى الخديوي فاعرب لهما عن شكرهِ لدولتيهما. ولكن نواب الامة المصرية اغتاظوا من هذه اللائحة وحسبوا ان غرضها تأييد الخديوي عليهم ونزع سلطة الباب العالي . وكانت نتيجتها اتحاد النواب والجيش على مقاومة انكلترا وفرنسا والرجوع الى تركيا لانقاذهم من اعتداء اوربا

وكان مراد الحكومة الانكليزية انهُ اذا دعت الضرورة الى المداخلة الفعلية في شؤُون مصر فلا بدَّ من الالتجاء الى الدولة العلية واما فرنسا فكانت تحسب ذلك ضربًا من المحال ولا ترضى بتوسط تركيا في حال من الاحوال . والظاهر ان الحكومة الانكليزية رضيت باللائحة المشتركة وما فيها من التهديد والوعيد منعًا للمداخلة الفعلية فجاءت اللائحة موجبة لهذه المداخلة وللحال شعر وزيرها لورد غرانفل بخطإِهِ واراد ان يتلافى الامر بتفسير يرسلهُ الى مصر وطلب من سفير انكلترا في باريس ان يذاكر الحكومة الفرنسوية في امر هذا التفسير فاجاب غمبتا انهُ ينظر في الامر ولكنهُ لا يرى فائدة من ارسال اي تفسير كان

واراد مجلس الاعيان حينئذٍ ان ينظر في قسم من ميزانية الحكومة المصرية فاعترض المراقبان وشريف باشا على ذلك وعرض الامر على الحكومة الانكليزية فاجاب لورد غرانفل ان لا مانع عند الحكومة الانكليزية من ان ينظر مجلس الاعيان في الميزانية . قال ذلك وهو يرغب في التخلُّص من الارتباط مع فرنسا . اما فرنسا فاجابت بانها لا تسلّم لمجلس الاعيان ان ينظر في الميزانية لئلا يؤول ذلك الى ابطال ما فعلهُ قومسيون التصفية وابطال المراقبة المالية . فاضطرت الحكومة الانكليزية ان تجاري الحكومة الفرنسوية وشريف باشا في منع مجلس الاعيان من النظر في الميزانية ولكنها وضعت مشروعًا يخوّل النواب المصريين المراقبة على الايرادات وعرضتهُ على الحكومة الفرنسوية . فقال غمبتا انهُ يوافق عليهِ مبدئيًا ولكن "الموافقة مبدئيًا" في عرف السياسة لا تفيد شيئًا . ثم نقّح المشروع تنقيحًا ازال فائدتهُ . ولما اخبر شريف باشا مجلس الاعيان بما قرَّ عليهِ قرار فرنسا وانكلترا ذهب وفد منهم الى الخديوي وطلبوا منهُ تغيير الوزارة حالاً وقدموا اليهِ نسخة من قانون اساسي ليوقعها وقالوا ان النظر في ميزانيتنا ليس من المواضيع التي يحق للدول الاجنبيَّة ان تباحثنا فيهِ . فاضطرَّ ان يجيبهم الى طلبهم وعيَّن محمود باشا سامي رئيسًا للنظار حسب طلبهم وكان ناظرًا للحربيَّة وذلك في ٣ فبراير سنة ١٨٨٢ وجعل عرابي ناظرًا للحربيَّة

ورأى شريف باشا حينئذٍ ان لا بدَّ من رفع الامر الى الباب العالي ومجيء الجنود

العثمانية الى مصر لحفظ النظام فيها وكان هذا رأي الخديوي ايضاً اما غمبتا فكان مخالفاً لها في الرأي وحاسباً ان الخطب يتفاقم بمجيء الجنود العثمانية الى القطر المصري فكتب لورد غرانفل الى لورد ليونس سفير انكلترا في باريس يقول ان مقتضى سياسة انكلترا حفظ سلطة الباب العالي على مصر واذا حدث فيها امر يدعو الى المداخلة الفعلية فالحكومة الانكليزية تعترض اشد الاعتراض على احتلال البلاد لان هذا الاحتلال يلقى المقاومة من مصر ومن تركيا ويحرك غيرة الدول الاوربيَّة ويثير الظنون في نفوسها ويؤدي الى مشاكل كثيرة وفرنسا لا ترضى ان تحتل انكلترا مصر ولا انكلترا ترضى ان تحتل فرنسا مصر ولا يناسب ان تحتلها الدولتان معاً واما احتلال الجنود العثمانية فانكلترا لا تودهُ ولكن الاعتراض عليهِ اقل من الاعتراضات على احتلال فرنسا وانكلترا كلتيهما او احتلال واحدة منها واسلم عاقبة

وفي اليوم التالي استعفى غمبتا وخلفهُ المسيو ده فرسينه

واستخلص لورد كرومر مما لخصناهُ من كتابهِ ومما لم نلخصهُ لضيق المقام ان الحكومة الانكليزيَّة كانت تودُّ ان لا تتداخل في شؤُون مصر بالقوة الحربية وانهُ اذا كان لا بدَّ من القوة الحربيَّة وجب ان تكون من الدولة صاحبة السلطة على مصر وهي تركيا لا من فرنسا ولا من انكلترا . ولو ترك لورد غرانفل حتى يتصرف في هذه المسألة حسب رغبتهِ لما وقع الاحتلال على الراجح ولما وقع الاحتلال الانكليزي على الارجح . ولكنهُ انقاد لرأي غمبتا فدخل مأزقاً افضى الى الحرب والاحتلال . وقد انفردت انكلترا بذلك لان وزارة فرسينه ابت ان تشاركها بعد ان اشار غمبتا بهذه المشاركة

وحاولت انكلترا حينئذٍ ان تغير بعض البنود في قانون مجلس النواب المصري فقال لها المسيو ده فرسينه " انهُ من السخافة ان نفكر في شكل البساط الذي نفرشهُ في البيت والبيت مشتعل ". وزاد السر اكلند كولفن على ذلك وقال " ان البيت آخذ في التهدُّم على رؤُوسنا ونحن نفكر في بناء طبقة اخرى فوقهُ . فالبحث في القانون الاساسي عبث قبل استتباب سلطة الحكومة وقمع الثورة العسكرية "

ولم يكن عرابي يجد غير التنشيط من الاستانة ومن بعض الانكليز المؤيدين للحزب الوطني واشهرهم المستر بلنت فانهُ كان في مصر بين سنة ١٨٨١ و١٨٨٢ فالقى مهمة مع العرابيين ولم يخطر ببالهِ ان مساعدة الامَّة في ما تطلبهُ لا يكون بمساعدة جيشها على التمرُّد وكان يحض الامَّة على الالتصاق بالجيش والَّا اخذت اوربا بلادهم فقد ذكر الاستاذ شوبنفرث

العالم الطبيعي المشهور في كتاب كتبهُ الى جريدة التيمس في ٢١ يونيو سنة ١٨٨٢ ان اهالي جرجا اروهُ تلغرافاً مرسلاً اليهم من المستر بلنت يخاطب فيهِ اعضاء مجلس النواب المصري قائلاً

Si vous allez vous désunir de l'armée, l'Europe vous annexera

اي اذا كنتم عازمين ان تنفصلوا عن الجيش فاوربا تضمكم اليها . ويعتقد لورد كرومر ان المستر بلنت كان حسن النيَّة ولو كانت نتيجة نصحهِ مناقضة لما قصد . اما نحن فلا نعتقد الاخلاص في هؤلاء المحرضين ولا نحسب الَّا انهم مأجورون من المداينين لحمل انكلترا على ضم البلاد اليها حتى تصير ديونهم بمأمن من كل خطر او حتى ترتفع قيمة سنداتها

ومن ثم زالت سلطة المراقبين فاستعفى المسيو دبلنير ولما رأى محمود باشا سامي رئيس النظار انهُ لا يستطيع عزل كل الموظفين الاوربيين خذلهُ الحزب الوطني واتهمهُ عرابي بالتذبذب واخذ يرقي ضباط الجيش من غير امتحان وانتشرت الفوضى في البلاد وزالت هيبة المديرين وجعلت عصابات اللصوص تسطو على القرى وكثر ابتياع الاسلحة النارية واقفلت البنوك ابوابها دون المستدينين وجعل صغار المرابين يأخذون ستة في المئة شهرياً وهبطت اسعار الاطيان حتى ان الفدان الذي كان يباع بستين جنيهاً بيع بثمان وعشرين جنيهاً . وجعل الجنود يقولون ان الاطيان اطيانهم لا اطيان اصحابها وبدت كل علامات الثورة في البلاد وخاف اصحاب المصالح الكبيرة من الوطنيين وحاولوا الانفصال عن الجيش

وقد اعترض الباب العالي على لائحة انكلترا وفرنسا وقالت روسيا والنمسا والمانيا وايطاليا انهنَّ يردن بقاء الحالة في مصر على ما كانت عليهِ اي على ما اتفقت عليهِ الدول الاوربيَّة وما هو وارد في فرمانات الدولة العلية ذات السيادة على القطر المصري . فاستاء الباب العالي من قولهنَّ " ذات السيادة " وقال ان لهُ سلطة فعلية على البلاد وان سلطان العثمانيين هو سلطان المصريين . فعرضت انكلترا مسألة مصر على الدول الاوربيَّة وطلبت منهنَّ ان ينظرن فيها وبينما كانت المخابرات السياسية العقيمة دائرة بين الدول الاوربية حدث في مصر حادث تفاقم بهِ الخطب وهو ان تسعة عشر من الضباط الشراكسة اتُّهموا بالمؤامرة على قتل عرابي فقبض عليهم وعلى غيرهم وفي جملتهم عثمان باشا رفقي الذي كان قبلاً ناظراً للحربيَّة وحوكموا في مجلس عسكري سري وحكم على اربعين منهم بالنفي الى اقاصي السودان وكان عثمان باشا رفقي واحداً منهم



جغرافية الشريف الادريسي

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

وقعت لي نسخة من كتاب نزهة المشتاق في ذكر الامصار والاقطار والبلدان والجزر والمداين والافاق . ولم يذكر فيها اسم مؤلفها ولا مكان طبعها فكتبت الى مدير المشرق اسأله عن ذلك بالكتاب الآتي وهو

"حضرة العالم الفاضل الاب لويس شيخو المحترم

غب الاحترام . اعرض مما حصل مؤخرًا في نوبتي كتاب في علم الجغرافيا موسوم "بنزهة المشتاق . في ذكر الامصار . والاقطار . والبلدان . والجزر . والمداين . والآفاق" . وهو في نسخة مطبوعة غير وارد فيها اسم مصنفها ولا المدينة التي طبعت فيها لكنني ارجح من هيئة حروفها وكلمة GEOGRAFIA المطبوعة على ظهر جلد الكتاب بحروف مذهبة ان ذلك كان بمدينة رومية من ايطاليا وان عهد طباعتها يتناول نحو ثلاثة قرون . وهي مؤلفة من ٣٢٦ صفحة وفي كلٍّ خمسة وعشرون سطرًا بمعدل نحو ثماني كلمات لكل سطرٍ منها . وقد استفتح مصنفها الكلام فيها بما نصهُ

"بسم الله الرحمن الرحيم وبهِ الاعانة — الحمد لله رب العالمين

اما بعد اني وقفت على الكتاب المسمَّى بنزهة المشتاق في احتراق (بالحاء المهملة غلط طبع والصحيح اختراق) الآفاق . وتأملت معانيهُ ومقاصدهُ . واستحسنت مصادرهُ وموارده . الأ انهُ اكثر القول واعاد . ونقص من ذكر بعض الاقاليم وزاد . على حسب ما احب واراد . فاخذت من كلامهِ ما وافق المراد . وما بهِ الحاجة ماسة الى معرفة المرامي والبلاد . ومن الله عزَّ وجل اسأل العون لا اله الأ هو وهو حسبي ونعم الوكيل"

وقد تحريت بما لديَّ من الوسائل عن واضع هذا الكتاب النفيس فلم اتوصل الى نتيجة على انني اعلم ان الكتاب الذي يشير اليهِ هذا المؤلف المجهول الاسم العيسوي المذهب هو

"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للشريف ابي عبد الله محمد ابن محمد الادريسي الصقلي المولود بمدينة سبتة من قواعد بلاد المغرب سنة ٤٩٣ هجرية والمتوفى سنة ٥٦٠ . وهو كما لا يخفى احد ائمة العرب الذين اشتهروا بعلم النجوم والجغرافيا وغيرهما . وروى صاحب كشف الظنون وغيرهُ من المحققين انهُ صنف كتابهُ هذا لروجار الفرنجي الثاني صاحب صقلية وهو من اصدقاء الشريف وانجزهُ في منتصف المائة السادسة للهجرة . وورد ايضاً في كشف الظنون بخصوص الكتاب المذكور ما نصهُ . "والمعروف انهُ اختصرهُ بعضهم" على انهُ اغفل اسم مختصرهِ

وفي هذا الصدد اقول انني رأيت في بعض المطولات ما يستفاد منهُ ان كتاب الشريف الادريسي طبع على اصلهِ العربي برومية سنة ١٥٩٢ ميلادية عن نسخة خطية وجدت وتشتت باحدى مكاتب فلورنسا وان الاستاذ جبرائيل الصهيوني مدرس اللغتين السريانية والعربية والترجمان يوحنا الحصروني وكلاهما من موارنة جبل لبنان اجابا دعوة من دعاهما وترجما الى اللاتينية مختصر كتاب الشريف الادريسي وطبعت هذه الترجمة في باريس سنة ١٦١٩ . وان هاتين النسختين العربية الاصلية والترجمة اللاتينية تعتبران مختصراً عن نسخة عربية كبيرة تلفت في حريقة مكتبة الاسكريال باسبانيا سنة ١٦٧١ . فان قام برهان صحيح على هذا المختصر العربي المنسوب للادريسي وذلك بوجود نسخة منهُ او اكثر في احدى المكاتب العمومية او الخصوصية اقول "قطعت جهيزة قول كل خطيب" . لكنني اخشى تطرق الخطاء في هذه المسألة وان يكون ما ترجمهُ العالمان المذكوران هو كتاب آخر يصح القول عنهُ استناداً على اشارة كشف الظنون المذكورة آنفاً اعني (والمعروف انهُ اختصرهُ بعضهم) انهُ هو النسخة التي وقعت في نوبتي كما بسطت في صدر تحريري هذا . ويجرئني على اعتبارهِ كذلك ما شاهدتهُ مؤخراً وهو عنوان مطبوع على جلد نسخة اخرى من الكتاب نفسهِ (حوتها مكتبة احدى المدارس في بيروت) ينص ان مؤلفها الادريسي والحقيقة انها كما قلت سابقاً لمؤلف عيسوي نبغ في اواسط القرن السادس من التاريخ الهجري . فلا يبعد ان مشابهة مبحث الكتابين وترتيب فصولها قد اورثا هذا الالتباس والسهو

ومع ما في ذلك كلهِ فنظراً لما اعهد في حضرتكم من الفضل جئت باسطري هذه راجياً ان تتكرموا بالافادة على صفحات مجلة مشرقكم الغراء عما تعلمونهُ عن مصنف الكتاب المذكور ولا زلتم مرجعاً لكل مستفيد

الداعي

مراد بارودي صيدلي

بيروت في ٢٩ آذار سنة ١٩٠٨

فاجاب حضرتهُ في العدد الرابع لشهر نيسان (ابريل) سنة ١٩٠٨ صفحة ٣٢٠ من مجلة الشرق بما نصهُ

"س سألنا جناب الصيدلي مراد افندي بارودي ما نعرف عن جغرافية الشريف الادريسي وطبعاتها

جغرافية الادريسي

ج جغرافية الشريف الادريسي من اجلّ وانفس ما وضعهُ العرب في تخطيط البلدن. وكتابهُ معنون بنزهة المشتاق في اختراق الافاق يعرف منهُ اربع نسخ كاملة اثنتان منها قديمتان مزّينتان بخوارط عديدة ملّونة زاهية الواحدة في مكتبة باريس العموميَّة. والاخرى في خزانة كتب اكسفورد وفي المكتبتين ايضاً نسختان اخريان كاملتان دون الخوارط. وهذه الجغرافية قد نقلها اميداي جوبار الى الافرنسية عن نسختي باريس. اما النص العربي فلم يطبع منهُ الاّ بعض الاقسام كوصف الشام ووصف المغرب ووصف ايطالية. ومن الجغرافية المذكورة مختصر منهُ عدة نسخ اشهرها نسخة باريس ولا يعرف اسم صاحبها. وهذا المختصر قد طبع اولاً في رومية في مطبعة اسرة مادسيس سنة ١٥٩٢. وطبع على صورتين الاولى في العربيَّة فقط دون ذكر محل الطبع والسنة وعنوانها "نزهة المشتاق في ذكر الامصار والاقطار والبلدان والجزر والمدائن والافاق" والثانية في العربية مع عنوان لاتيني والتصريح باسم المطبعة وسنة الطبع وهذا المختصر نقلهُ الى اللاتينيَّة العالمان المارونيان جبرائيل الصهيوني وحنا الحصروني وطبعاهُ في باريس سنة سنة ١٦١٦"

ولما وقفت على هذا الجواب ورأيت ان حضرتهُ اغفل سؤالي واجابني ببعض ما ذكرتهُ في خطابي كأني غير عالم بهِ كتبت اليهِ في ذلك اقول

غب الاحترام. اعرض اني تناولت منذ بضعة ايام العدد الرابع من مجلة المشرق الغراء للسنة الحالية وطالعت فيهِ جواب حضرتكم على رسالة قدمتها لكم في الشهر الماضي استعلاماً عن كتاب عربي في علم الجغرافيا عنوانهُ (نزهة المشتاق في ذكر الامصار والاقطار والبلدان والجزر والمداين والافاق) قد اسعدني الحظ مؤخراً بان اشتريت منهُ نسخة ضممتها الى خزانة كتبي المطبوعة والمخطوطة. ومن مراجعة النظر على الرسالة المذكورة يتبين لحضرتكم ماهيتها وانها ليست سؤالاً بسيطاً تجرّد عن نصب البحث والاستقصاء

لجأت الى فضلكم في هذه القضية واملت ادراك المطلوب. على انهُ لسوء الحظ قد فاتني ذلك اذ وجدت جواب حضرتكم لا ينطبق على الغاية التي توخيتها. ويتبين الامر من اعادة

النظر على نص سوالي المتعلق بالمختصر الجغرافي الذي عندي وجوابكم عليهِ وقد اوردتموه معنوناً "جغرافية الادريسي" . نعم لم انسَ انني في رسالتي الاولى اتيت عرضاً على ذكر العلامة الفلكي الجغرافي المشهور بالشريف الادريسي والكتاب الذي صنفهُ لملك روجار الثاني في علم الجغرافية . وفضلاً عن ذلك لا اجهل ما كان للمومإ اليهِ من المنزلة العلمية السامية عند علماء المشرق والمغرب ولا سيما بكتابهِ هذا الموسوم "بنزهة المشتاق في اختراق الآفاق" . وقد طالعت في مظانهِ كل ما قيل عنهُ حتى وانهُ كان المعول عليهِ عند الفريقين دهوراً عديدة ولدي ايضاً بعض الملاحظات على استقصاءات الفريق الثاني لكن لا محل لاستيفاء الكلام عليها في هذا المقام

وقد ذكرتم حضرتكم في جوابكم عرضاً ان لكتاب الشريف الادريسي مختصراً مقتصرين بالتنويه بهِ ان اسم صاحبهِ غير معروف وانهُ يوجد منهُ عدة نسخ اشهرها نسخة باريس على انكم لم تتفضلوا مراعاة للمقام ببيان شيء من امر هذا المختصر فحرمتموني الفائدة المطلوب التوصل اليها بواسطتكم رغماً عن انني متخذ المختصر الذي عندي موضوعاً للسوءال والبحث عن اسم واضعهِ ليس الأ . وقد قلت في رسالتي الاولى مصرحاً انهُ لرجل عيسوي نبغ في اواسط المائة السادسة للهجرة . فاعود الآن وارجوكم نظراً لتوفر الوسائط المعتبرة لديكم ان تفيدوني عن علاقة المختصر بنسخة باريس التي اشرتم اليها — بالمختصر نسختي — والمختصر الذي يستفاد وجوده من رواية كشف الظنون الوارد فيها باثناء وصفهِ لكتاب الشريف الادريسي "والمعروف انهُ اختصرهُ بعضهم" وقد ذكرت الداعي الى ذلك في رسالتي السابقة

ايضاً ورد في جواب حضرتكم ان طبعة سنة ١٥٩٢ برومية هي عن نسخة المختصر الباريسية . وقد رأيت في دائرة المعارف البريطانية ان طبعة تلك السنة نقلت عن نسخة عربيةٍ مخطوطة مصنفها الشريف الادريسي عثر عليها باحدى مكاتب فلورنسا كما ذكرت قبلاً . فالقارئ يرى في هاتين الروايتين تناقضين احدهما مصدر النسخة المذكورة والاخر التباس كونها المختصر المجهول اسم صاحبهِ او الكتاب الاصلي للشريف الادريسي . فايتهما اصح يا ترى . على انني اقول لا بد من التوصل الى الحقيقة بزيادة التحري والتمحيص

وبعودي الآن الى هذا الموضوع ارجو ان لا احمل حضرتكم ثقلة كبيرة على انني واثق انكم تجدون لي عذراً مقبولاً نظراً لاهمية الموضوع عند القوم الساعين وراء هذه المباحث التي لا تخلو من فوائد ذات شأن . ورغبة في زيادة التمحيص والاستقصاء ارجوكم ان تكرموا بنشر عريضتي هذه بنصها في العدد القادم من مشرفكم الاغر فعساها ان تصيب من

فضلكم وفضل بعض القراء المطلعين نصيباً طيباً ولا زلتم من اكابر الفضل والادب

حاشية — لربما ترون حضرتكم من المناسب ان تنشروا رسالتي الاولى الوارد فيها مقدمة المختصر الذي عندي ليعرف الكتاب قراء المشرق الذين يودون البحث في هذا الموضوع . او اذا شئتم ان تقتصروا على اثبات المقدمة فقط في المحل الموافق فالامر موكول لعناية حضرتكم"

ثم كتبت اليهِ ثانيةً وثالثةً فاجاب في العدد الثاني من المشرق وهو لشهر آب (اغسطس) الماضي بما نصهُ

"س عاد جناب الفاضل مراد افندي البارودي وطلب منا زيادة ايضاح في مختصر جغرافية الادريسي المعروفة "بنزهة المشتاق ومخترق الآفاق" وما يوجد بين المختصر المطبوع في رومية من العلاقة مع المختصر الذي ذكرهُ صاحب كشف الظنون اذ قال "والمعروف انهُ اختصرهُ بعضهم"

مختصر نزهة المشتاق للادريسي

ج نجيب على هذا السؤال ان المستشرقين الذين وصفوا كتاب الادريسي ومخطوطاتهِ الكاملة او المختصرة لم يزيدوا بياناً على ما اثبتناهُ سابقاً في جوابنا الاول لجناب المستفيد (ص ٣٢٠) واذ لم نطلع نحن عياناً على هذه المخطوطات فلا يمكننا ان نجيبهُ جواباً شافياً يروي غليلهُ . وغاية ما امكننا استخلاصهُ من اوصاف العلماء التي فيها تباين والتباس عظيم ان الشريف الادريسي ألّف كتابهُ نزهة المشتاق لروجار صاحب صقلية ومن هذا الكتاب اربع نسخ نسختان في باريس ونسختان في اكسفورد واجود هذه النسخ واكملها نسخة باريس الموسومة بالعدد ٢٢٢١ وهي كاملة وفيها ١٩ خارطة ومثلها في الجودة نسخة اكسفورد التي عددها ٣٨٣٧ — ٣٨٤٢ الَّا انها ناقصة . ومع نفاسة هذا الكتاب الجليل لم يطبع منهُ حتى الآن الَّا بعض الاقسام كوصف الشام ووصف ايطالية ووصف المغرب . الَّا انهُ نقل بتمامهِ الى الفرنسوية بهمة العلامة جوبرت (Gaubert) . ويظهر ايضاً ان الشريف الادريسي صنَّف لملك غليلم الاول كتاباً جغرافياً اوسع دعاهُ روض الانس ونزهة النفس وهو اليوم مفقود قال العلامة دوزي (ان ابا الفدا استعان بهِ في كتابهِ تقويم البلدان ودعاهُ كتاب المالك) . اما المختصر المدعو (نزهة المشتاق في ذكر الامصار والاقطار والبلدان والجزائر والآفاق) فيعرف منهُ ست نسخ والمستشرقون لا يعيرونها كبير بال ولذلك يعدونها دون وصفها او المقابلة بينها . وعلى رأي العلامة جوبرت ان النسخة المطبوعة في رومية سنة

١٥٩٢ هي المختصر الموجود في خزانة كتب باريس وانها هي التي نقلها سنة ١٦١٩ العالمان المارونيان جبرائيل الصهيوني وحنا الحصروني الى اللاتينيَّة وسمياها بالجغرافية النوبية (Geographia Nubiensis) هذا محصَّل بحثنا في هذا الشأن وان اسعدنا الحظ في سفرنا قريباً الى اوربا ان تراجع هذه المخطوطات فعلنا ان شاء الله فيمكننا ان نزيد المستفيد ايضاحاً " . انتهى

انني اشكر حضرة الاب الفاضل على رجوعهِ الى هذا الموضوع رغبة في ارواء غليل المستفيد الذي لدى اطلاعهِ على الجواب المار ذكرهُ رأى كما لا بد ان يرى غيرهُ من المطلعين عليهِ انهُ جاء ايضاً غير وافٍ بالمقصود وفيهِ من التكرار لما ورد في جواب حضرتهِ الاول ومن الخروج عن الغاية المطلوبة ما لا يخفى علي صاحب البصيرة . هذا فضلاً عن انهُ لم يتعرض فيهِ قط لايراد ادنى فائدة او اشارة الى مصنف ذلك المختصر " العيسوي المذهب " الذي هو اساس السؤال والبحث . ولو اقتصر حضرتهُ على ذلك فقط لما عرَّض نفسهُ للمؤاخذة في ما تذرَّع بهِ من الاغضاء عن اصحاب الفضل وبخسهم اشياءهم اذ قال " والمستشرقون لا يعيرون نسخ المختصر المذكور كبير بال ولذلك يعدونها دون وصفها والمقابلة بينها " . فبين حكمهِ هذا وما يعتدّ بهِ المصنف العيسوي المومإِ اليهِ كما يستفاد من قولهِ في المقدمة (وهو السبب الذي دعاهُ الى وضع الكتاب) " اما بعد انني وقفت على الكتاب المسمى بنزهة المشتاق في اختراق الافاق (كتاب الشريف الادريسي) وتأملت معانيهُ ومقاصدهُ واستحسنت مصادرهُ وموارده . الّا انهُ اكثر القول واعاد ونقص من ذكر بعض الاقاليم وزاد على حسب ما احب واراد الخ " تناقض ظاهر يستلفت النظر . اما ما عزاهُ حضرتهُ الى المستشرقين بدون تخصيص من انهم لم يعيروا نسخ المختصر المذكور كبير بال فانهُ قول عام ولا يخلو من الغرابة وكان الاصوب لحضرتهِ ان يصرح باسم من ذهب منهم هذا المذهب

وقد قصدت الآن حدائق مجلتكم المقتطف الشهيرة مؤملاً دانيات القطوف من اثمارها في هذه المسألة التي ابسطها على صفحاتها لكل راغب في هذه الابحاث واسلفكم الشكر الجزيل

مراد بارودي

[المقتطف] ان ما ذكرتموهُ عن الشريف الادريسي وكتابهِ نزهة المشتاق هو المعروف المذكور في الانسكلوبيذيا البريطانية وكشف الظنون وغيرهما . اما النسخة التي وقعت لكم من المختصر فقد راينا في المكتبة الخديوية نسخة مثلها مطبوعة وعلى ظهر الصفحة الاولى منها ما يأتي

في جغرافيا الكلية
De Geographia
Universali
كتاب نزهة المشتاق . في
ذكر الامصار. والاقطار.
والبلدان . والجزر
والمداين
والافاق
Hortulus
Cultissimus, mire Orbis regiones, Provincias, Insulas
Urbes, carumq. dimensiones & Ori—
zonta describens
Romae
In Typographia Medicea ;
M.D.XCII

ومقدمتها مثل مقدمة النسخة التي عندكم تماماً وكلمة اختراق بالحاء المهملة . وهي كثيرة التصحيف والخطإ المطبعي وفيها ٣٢٦ صفحة في كل صفحة ٢٥ سطراً وارقام الصفحات غير مطبوعة عليها بل مكتوبة كتابةً بقلم الرصاص . وحيث ان اسم الكتاب ومكان طبعهِ على ظهر الصفحة الاولى التي فيها المقدمة فهذه الطبعة غير الطبعة التي عندكم ولو ماثلتها في ما ذكرتموهُ من المقدمة او تخالفها في الصفحة الاولى على الاقل . وطول الصفحة ½ ٢٣ سنتمتر وعرضها ١٦ سنتمتراً وطول الكتابة فيها الى آخر البروازين ١٨ سنتمتراً وعرضها ١٠ سنتمترات ولها حلية في منتصف البرواز من الجهات الاربع ولم يذكر فيها اسم المختصر

وفي المكتبة الخديويَّة المجلد الاول من كتاب الشريف الادريسي نفسهِ الذي الفهُ سنة ٥٤٨ وهو خط نسخ سنة ٧٤٨ اولهُ مذهب الحواشي والفواصل وفيهِ رسوم ملونة يراد بها خرائط البلدان و يبتدئ هكذا

" كتاب فيهِ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق

" الحمد لله ذي العظمة والسلطان والطول والامتنان والفضل والانعام . والآلاء الجسام الذي قدَّر فحكم ورزق فانعم وقضى فابرم ودبر فاتقن و بدأ فاحسن ما صور " . . . الى ان قال " وان افضل ما عني بهِ الناظر واستعمل فيهِ الافكار والخواطر محاسن الملك المعظم رجار المعتز بالله المقتدر بقدرتهِ ملك صقلية وانطاكية وانكوره وقلورية امام رومية

الناصر لملة النصرانية اذ هو خير من ملك الروم بسطاً وقبضاً " وعلى ظهر هذه الصفحة اسم الكتاب تحيط بهِ رسوم مذهبة

وطول الصفحة منهُ نحو ٣١ سنتيمترًا وعرضها ½ ٢٣ وطول الكتابة فيها ½ ٢٢ وعرضها ½ ١٦ سنتمترًا وفيها ١٣ سطرًا وفي بعض الصفحات اسطر قليلة او كلمات قليلة . وقد قابلنا بين النسخة المطبوعة والنسخة المخطوطة فرأينا المطبوع مختصرًا من المخطوط بحذف امور اكثرها مما لا يدخل في علم الجغرافيا ولو لم يخلُ من فائدة . وايضاحاً لذلك نذكر فقرة من كل منهما وقد اختصرنا ما نقلناهُ عن كتاب الادريسي حيث ترى النقط

من كتاب الادريسي

" والسرين حصن حصين حسن موضعهُ كثيرة مياههُ ولواليهِ وجابيهِ شيءٌ معلوم ورسم ملزوم على المراكب الصاعدة والنازلة من اليمن بالتجار والمتاع والدقيق وجباياتهُ المحصلة يصل نصفها الى صاحب تهامة ونصفها الثاني الى صاحب مكة الهاشمي وكذلك من السرين الى مرسى السفينة ثلث مراحل وهي قرية عامرة وبها مستراح للمراكب ومنها الى جدة على الساحل ثلث مراحل وهي فرضة لاهل مكة وبينهما اربعون ميلاً . وجدة مدينة عامرة تجارتها كثيرة واهلها مياسير ذوو اموال واسعة واحوال حسنة ومواع (؟) ظاهرة ولها موسم قبل وقت الحج مشهود في البركة تنفق فيهِ البضائع المجلوبة والامتعة المستجبة والذخائر النفيسة وليس بعد مكة مدينة من مدن الحجاز اكثر من اهلها مالاً ولا احسن منهم حالاً وبها والٍ من ناحية الهاشمي صاحب مكة يقبض صدقاتها ولوازمها ومكوسها ويحرس عمالتها ولها مراكب كثيرة تتصرف الى حالات كبيرة وبها مصايد للسمك الكبير والبقول بها ممكنة .... ومدينة مكة قديمة ازلية البناء مشهورة البناء معمورة مقصودة من جميع الارض الاسلامية واليها حجهم المعروف وهي مدينة

من المختصر

" والسرين حصن حصين وكذلك من السرين الى حرس السفينة ثلثة مراحل وهي قرية عامرة وبها مستراح للمراكب ومنها الى جدة على الساحل ثلث مراحل وهي فرضة لاهل مكة وبينهما اربعون ميلاً ومن مكة الى المدينة التي تسمَّى يثرب على طريق الجادة نحو عشر مراحل (وذكر هنا الطرق بين مكة والمدينة بالاسهاب وذكر ما لا ذكر لهُ في كتاب الادريسي هنا ثم قال) وحولها (اي حول المدينة) نخل وتمرها حسن ومنهُ يتقوتون في معايشهم وليس لهم زرع ولا ضرع وشرب اهلها من نهر صغير يأتي اليها من جهة المشرق جلبهُ عمر بن الخطاب "

بين شعاب الجبال وطولها من المعلاة الى المستفلة نحو ميلين وهو من جهة الجنوب الى جهة الشمال ومن اسفل جبل اجناد الى ظهر جبل قعيقعان ميل والمدينة مبنيةٌ في وسط هذا الفضاء .... وفي وسط مكةَ مسجدها الجامع المسمَّى الحرم وليس لهذا الجامع سقف وانما هو دائرة كالحضيرة . والكعبة وهو البيت المسقف في وسط الحرم . وهذا البيت طولهُ من خارجهِ من ناحية المشرق اربعة وعشرون ذراعاً وكذلك طول الشقة التي يقابلها من جهة الغرب و ..... الخ "

وقال في الكلام على المدينة

"والمدينة يثرب في مستوى من الارض حارة سبخة كان عليها سور قديم وبخارجها خندق محفور وهي الآن في حين تأليفنا لهذا الكتاب عليها سور حصين منيع من التراب بناهُ قسيم الدولة المغربي .... واهلها فقراء قليلو المال لا صنع لهم ولا ضياع عندهم وحولها نخل كثير وتمرها حسن ومنهُ يتقوتون في معايشهم ولا لهم زرع ولا ضرع وشرب اهلها من نهر صغير يأتي اليها من جهة المشرق جلبهُ عمر بن الخطاب " ..

ولم يذكر مدفن النبي ولا اشار اليهِ

وظاهر من ذلك ان الفرق بين الاصل والمختصر كبير جدًّا . وقد قال حضرة محرر المشرق في جوابهِ الاول ان المختصر طبع على صورتين الاولى لم يذكر فيها محل طبعهِ والسنة التي طبع فيها والثانية ذكر فيها العنوان اللاتيني واسم المطبعة وسنة الطبع . وعليهِ فالمرجح ان النسخة التي عندكم هي من الصورة الاولى والنسخة التي في المكتبة الخديوية من الصورة الثانية

ولا نعلم كيف استدللتم على ان المختصِر مسيحي ولكن يظهر لنا من كلامهِ على بيت المقدس ان استدلالكم وجيه فقد نعت قبر المسيح بالمقبرة المقدسة واستعمل بعض التعابير الدينيَّة المسيحيَّة . ولسوء الحظ لم نستطع ان نقابل ذلك بما ذكرهُ الشريف الادريسي لان الجزء الذي في المكتبة الخديوية ينتهي في الاقليم الثاني والكلام عن بيت المقدس في

الاقليم الثالث . ويحتمل ان يكون الطابع للمختصر قد زاد هذه النعوت

ويتضح مما تقدم اولاً ان النسخة التي عندكم تشبه النسخة المطبوعة التي في المكتبة الخديوية ولكنها تخالفها في ذكر العنوان . ثانياً انها مختصرة من جغرافية الشريف الادريسي ولكنها ليست له فانتم مصيبون في استنتاجكم . وثالثاً ان المختصِر مسيحي على الراجح كما استنتجتم

ولم يذكر في نسخة المكتبة الخديوية اسم المختصِر كما لم يذكر في نسختكم ولم نعثر على اسمهِ في ما عندنا من المظان

ثم اننا وجدنا في سكلوبيديا تشمبرس الانكليزية ان المختصر طُبع في كسروان من اعمال لبنان بحروف كرشونية وذلك سنة ١٥٩٧ فلعلَّ اسم المختصِر ذكر في هذه الطبعة وعساكم تعثرون على نسخة منها

والخلاصة ان ما ذكرتموهُ عن جغرافية الشريف الادريسي صحيح وان المختصَر لرجل آخر غيره كما قلتم وان هذا المختصر طبع على صورتين كما قال محرر المشرق وعلى احدى الصورتين تاريخ الطبع وهو سنة ١٥٩٢ ومكان الطبع وهو رومية والصورة الاخرى غفل من ذلك ولا نعلم اسم المختصر والمرجح انهُ مسيحي واذا وقعت لكم نسخة من الطبعة المطبوعة في كسروان فمن المحتمل ان تجدوا فيها اسمهُ



عبرة وذكرى

استاذيَّ الفاضلين

قضى والدي نحبهُ منذ سنة واحد عشر شهراً ولهُ من العمر اربع وخمسون سنة وكان يدخن من التبغ كل يوم اربعة دراهم فقط ويتعاطى من الافيون كل يوم بقدر القمحة في الصباح ومثلها في المساء . فسألتهُ يوماً هل يمكن ان يبطل الدخان فقال لي لا يمكنني ذلك لاني اشربهُ منذ اكثر من ثلاثين سنة وكنت اشرب منهُ في اليوم الواحد اكثر من اوقية فولَّد عندي داء البلغم حتى منعني النوم فاستشرت طبيباً فاشار عليَّ بابطالهِ واذا لم يكن ابطالهُ بالمرة فاخفف من شربهِ فبلغ بي التدريج في التخفيف من شربهِ الى ان صرت اشرب منهُ اربعة دراهم كل يوم كما ترى . فبينما كنت اسرح الطرف في رياض المقتطف اذ وقع

نظري على نبذة في مضار التدخين فدفعتها اليهِ وقلت لهُ طالع هذه النبذة فطالعها بامعان ولما انتهى من مطالعتها قال لي ان شاء الله سأجتهد في ابطالهِ . فبعد ان كان يشرب اربعة دراهم في اليوم صار يشربها في يومين وهكذا الى ان ابطلهُ تماماً . ثم قلت لهُ كيف ترى صحتك الآن فقال لي احسن منها قبل فجزا الله المقتطف ومنشئيهِ عني خيراً . وبعد مدة اطلعتهُ على نبذة في مضار الافيون فطالعها وقال لي اني أُصبت منذ عشرين سنة بمرض عضال اعيا الاطباء فوصف لي احد الاصحاب الافيون فقلت لهُ ان الطبيب لا يرضى بذلك فقال لي خذهُ بدون اطلاع الطبيب ولا تخبرهُ بذلك فطاوعتهُ على ما امر وقام في نفسي ان من ضمن الاسباب التي ساعدت على شفائي الافيون فصرت اتعاطاهُ على هذه الصورة الى الآن ولكنني سأشرع في ابطالهِ دفعة واحدة

واول يوم ابطل الافيون حصل لهُ اسهال بسيط فلما مرَّ اليوم الثاني وما بعدهُ ازداد الاسهال واخذت قوتهُ في الاضمحلال . على انهُ كثيراً ما كانت تأتيهِ هذه الحالة ولكن بصفة ابسط من ذلك . فسألتهُ هل يرغب في اخذ شيء منهُ ثانياً فاجاب كلا . واخذ جسمهُ في الانحلال فاستحضرت لهُ بعض الاطباء فوصف لهُ الادوية اللازمة فلم تنجع وتوفي بعد مضي ستة اشهر من تاريخ هذه الحادثة . على انني لو أُعطيت حريتي لطلبت تشريحهُ لمعرفة ما تفعلهُ هذه السموم القاتلة في جسم الانسان . ولكن ما قدر كان

مصر في ١٢ سبتمبر سنة ١٩٠٨ احد المشتركين ح ١٠

كتاب المصابيح

حضرة صاحب " المقتطف " الاغر

بمناسبة خبر كتاب المصابيح للبغوي الذي ادرجتم خبرهُ وكتبتم عنهُ في المقتطف (المجلد ٣٣ ص ٤٥٤) بادرت الى كتابة هذه السطور . وهو ان عندي ايضاً نسخة من مصابيح البغوي وهي وان لم تكن اقدم من نسختكم لكنها من الآثار القديمة النادرة مكتوبة من اولها الى آخرها بقلم واحد وبمداد واحد ليس في سطورها ولا في رسوم كلماتها واشكالها تفاوت اصلاً

والكتاب على قطع كبير في ٣٠٧ صفحات في كل صفحة منها سبعة عشر سطراً واكثر كلماتهِ مشكولة وبين اسطرهِ وحواشيهِ شروح كثيرة بخطوط مختلفة بحيث لا يوجد في حواشيها واطرافها موضع خالٍ من الكتابة . وورق الكتاب من نوع واحد متقن جداً مكتوب على آخرهِ هكذا :

"تم الكتاب بحمد الله ومنهِ بعون الله وحسن توفيق الملك الفتاح الكبير وفرغت يد معلقهِ الضعيف الفقير النحيف المسيء المذنب الراجي عفو ربهِ الخبير وكرم المولى البصير وهو على ما يشاء قدير ايوب بن يعقوب الاكبر من احسن الله اليهِ واليهما من شهر المبارك اواسط شهر ربيع الآخر في يوم الاحد في بلدة بروسا حرسها الله تعالى من جميع آفاتهِ مع بلاد المؤمنين لسنة اربع وسبعين وسبعمائة من هجرة النبي صلى الله عليهِ وسلم حامداً لله ومصلياً على نبيهِ محمد وآلهِ وصحبهِ اجمعين رحم الله امرءًا نظر فيهِ وقرأ ودعا لكاتبهِ المذنب آمين يا رب العالمين" . وبعدهُ مكتوب بخط آخر هكذا :

"قابلتهُ وصححتهُ ثالثاً مع الاصل مرتين في بلدة دمشق غفر الله ذنوبهُ وذنوب المسلمين الناظرين"

ولعل المراد من قولهِ الاصل هو نسخة المصنف نفسها والله اعلم

بلدة "اورنبورغ" في الروسيَّة رضاء الدين بن فخر الدين

ما الذي اتى بهِ دارون

حضرات اصحاب المقطم

قلما تفتح كتاباً من كتب الافرنج الباحثة في العلوم الطبيعية الآ وتجدهم ينوهون فيهِ بمذهب النشوء الذي قال بهِ دارون ظناً منهم ان دارون هو اول من ابتدعهُ . على ان هذا المذهب ليس من مبتدعات دارون ولا رسل ولا غيرهما بل هو من مبتدعات العرب وقد كانوا يدرسونهُ في مدارسهم كما يظهر من اقوال فيلسوف كبير من فلاسفتهم وهو ابن مسكويه المتوفى في آخر القرن الرابع الهجري حيث قال

"اول ما يرقى النبات من منزلتهِ الاخيرة ويتميز بهِ من مراتبهِ الاول هو ان ينقلع من الارض ولا يحتاج الى اثبات العروق فيها بما يحصل لهُ من التصرف بالحركة الاختيارية وهذه الرتبة الاولى من الحيوانية ضعيفة لضعف اثر الحس فيها وانما تظهر بجهة واحدة اعني حساً واحداً وهو الحس العام الذي يقال لهُ حس اللمس وذلك كالصدف وانواع الحلزون الذي يوجد في شاطىء الانهار وسواحل البحار وانما تعرف حيوانيتهُ و يعلم انهُ ذو حس واحد من اجل انهُ اذا استلب من موضعهِ بسرعة وعلى عجلة وخفة فارق موضعهُ واستجاب للاخذ وان أُخذ بابطاء وعلى ترتيب لزم موضعهُ وتمسك بهِ وذلك لانهُ يحس ان لامساً يريد اخذهُ فيصعب حينئذٍ جذبهُ وتناولهُ من مكانهِ لتشبثهِ بهِ وهو يضعف عن التنقل وان كان قد

انقلع من الارض وصارت لهُ حياة ما لانهُ في الافق القريب من النبات وفيهِ مناسبة منهُ . ثم ينتقل عن هذه الرتبة الى ان ينتقل ويتحرك وتقوى فيهِ قوة الحس كالدود وكثير من الفراش والدبيب ثم يرتقي عن هذه المرتبة ايضاً ويقوى اثر النفس الى ان يصير منهُ الحيوان الذي لهُ اربعة حواس كالخلد وما اشبه . ثم يرتقي من ذلك الى ان يصير لهُ من حس البصر ضعيف كالنمل والنحل والحيوان الذي عيونهُ تشبه الخرز وليس لها اجفان ولا ما يستر احداقها ثم يقوى ذلك الى ان يصير منهُ الحيوان الكامل في الحواس الخمس وهي مع ذلك متفاوتة المراتب فمنها البليدة الجافية الحواس ومنها الزكية اللطيفة الحواس التي تستجيب للتأديب وتقبل الامر والنهي وتستعد لقبول اثر النطق والتمييز كالفرس من البهائم والبازي من الطير . ثم يقرب من آخر مرتبة البهائم ويصير في افقهِ الاعلى وفي مرتبة الانسان وهذه المرتبة وان كانت شريفة فهي خسيسة دنية بعيدة عن مرتبة الانسان وهي مراتب القرود واشباهها من الحيوان التي قاربت الانسان في خلقتهِ الانسانية وليس بينها وبينهُ الا اليسير الذي ان تجاوزهُ صار انساناً فاذا بلغهُ انتصبت قامتهُ ويظهر فيهِ من قوة تمييز الشيء اليسير فضل تمييز واهتداء الى المعارف ويقوى فيه اثر النفس ويقبل التأديب بالفهم والتمييز "

فترون من ذلك ان هذا الكلام مثل كلام فلاسفة القرن العشرين من هذا القبيل واعم منهُ فهل منا معشر الشرقيين من رجل يرفع عقيرتهُ امام الغربيين ويريهم ان رأي النشوء ليس من آراء فلاسفتهم ولا من مميزات جيلهم وانما هو رأي العرب ايام كانت دولتهم هي الدولة وصولتهم هي الصولة حين كانت الفلسفة في عصورها الذهبية

علي سيد يوسف

[المقتطف] ليس المراد بمذهب دارون القول بان انواع الحيوانات والنباتات مرتقٍ بعضها من بعض لان هذا قال بهِ كثيرون قبل دارون من ايام اليونان والرومان بل المراد بمذهب دارون ان هذا الارتقاء حدث بقوة طبيعية تدريجية وهي الانتخاب الطبيعي والجنسي واقامة الادلة القوية على ذلك . ولا يزال جمهور من العلماء والفلاسفة يخالفون دارون في ذلك فبعضهم يقول ان هذا الارتقاء حدث بالانتخاب الفسيولوجي وبعضهم يقول انهُ لم يحدث بقوة طبيعية بل بقوة الهية فلا سبيل للبحث فيها . فهل تظنون ان ابن مسكويه كان يقول ان كل انواع النبات والحيوان تولدت بقوة طبيعية لا الهية فان كان الامر كذلك فقد سبق دارون الى هذا القول ويبقى ان تذكروا هذه القوة والادلة التي اقامها على ان هذا التولُّد حدث بها لان دارون لم يكتفِ بالقول بل حاول تأييد قولهِ بالامتحان والمشاهدة مدة سنين كثيرة

وجمع مما شاهدهُ وامتحنهُ بنفسهِ ومما شاهدهُ وامتحنهُ غيرهُ ما لو ترجم الى العربية لملأ عشرة مجلدات مثل مجلدات المقتطف فهل فعل ابن مسكويه مثل ذلك

ان نسبة ما فعلهُ ابن مسكويه وكل فلاسفة العرب والعجم والهند واليونان والرومان من حيث مذهب النشوء الى ما فعلهُ داروين كنسبة القارب الصغير الذي يصنع الآن في بلاد الفلاحين ويسع رجلين او ثلاثة الى السفينة البخارية التي تقطع الاوقيانوس بعشرة آلاف راكب وفيها من الآلات البخارية ما قوتهُ قوة اربعين الف حصان . او كنسبة العربية التي يجرها حمار الى قطار سكة الحديد . او كنسبة عزبة صغيرة مبنية بالطوب الى مدينة كبيرة مثل القاهرة او باريس او لندن

واذا اردنا ان نباهي باسلافنا فالمباهاة ليست هنا بل في المبادىء الاخلاقية والفلسفية التي وضعوها او اهتدوا اليها فانها قد تفوق المبادىء التي وضعها علماء اوربا وفلاسفتها وكذلك يمكن المباهاة بهم في كثير من الامور الادبية والصناعية التي كادوا يبلغون بها حدَّ الكمال



باب الزراعة

الزراعة المصرية
في عهد الاحتلال الفرنسوي

ادوات الزراعة — معيشة الفلاح — واحوال البلاد

في هذا الزمن (اي في آخر القرن الثامن عشر) لا تزال ادوات الزراعة واخصها المحراث والنورج والمحفة (المسوحة) والمنجل والرفش والمذراة على ما كانت عليهِ منذ القدم فلم ينبغ من حسّن فيها او اضاف اليها شيئًا بل بالعكس قد يستغني عن استعمال بعضها كما يشاهد ذلك في ادفو حيث يستغنى عن استعمال النورج ويكتفى ببسط ما يراد درسهُ على الجرن وتستخدم الثيران لدوسهِ الى ان يتكسر دقيقًا وتتناثر الحبوب من سنابلها . وفي معظم جهات القطر المصري يستخرجون الحبوب مما لا يصلح قشهُ علفًا بدقهِ بالنبابيت الى ان تتناثر الحبوب منهُ وهي ابسط عملية تعمل بالفطرة

وأكثر ما يستخدم من البهائم في الزراعة الثيران وقد يستخدمون الاناث للحرث ويندر استخدام الحمير والجمال لذلك

ومن تأمل حالة الفلاح يرَ تمام المشابهة بين سذاجة معيشتهِ وبساطة اعمالهِ . فانهُ يشتغل من طلوع الشمس الى غروبها ويعيش على الذرة والبصل والخيار والقثاء والجبن والفول والعدس الخ فيأكل في اليوم مرتين احداهما في الساعة الحادية عشرة صباحاً والاخرى في المساء وقلما يأكل اللحم الاَّ في شهر رمضان فيأكل شيئاً من لحم الماعز او لحم الجاموس مسلوقاً

وتختلف اجرة العامل في الزراعة باختلاف الاماكن فهي في الصعيد غرش او اقل يومياً وتتراوح في مديرية الفيوم وضواحي القاهرة والوجه البحري بين غرش وغرشين

ونقدر نفقة مأكل الفلاح في الوجه القبلي بنحو ثلث غرش في اليوم

وهو لا يلبس الاَّ جبة سمراء محوكة من صوف الغنم البلدي وشالاً يضعهُ على كتفيهِ وعمة يستعملها نحو ثلاث سنين ونصف سنة فتبلغ نفقة ملابسهِ سنوياً ١٨ فرنكاً ونفقة مأكلهِ ٣٥ فرنكاً . ويضاف الى ذلك نفقات شتى تقدر باثني عشر فرنكاً فيكون مجموع ما ينفقهُ الفلاح الصعيدي سنوياً نحو ٦٥ فرنكاً . وتزيد عن ذلك قليلاً نفقات الفلاح في الوجه البحري

هذه هي حالة الفلاح فيما يختص بمعيشتهِ واعمالهِ . فيرى منها بُعدهُ عن التمتع بالراحة او التمكن من تحسين حالة الزراعة ولا سيما ان معظم المزارعين ليسوا مالكين بل مستاجرين وان المماليك كانوا يضربون الضرائب الباهظة على الاراضي ليتمتعوا بحاصرهم لعلمهم ان البلاد ليست لهم فلا يهمهم امر تحسينها . وفضلاً عن ذلك كانوا قوماً همجاً على جانب عظيم من الجهل فاستأصلوا بجهلهم كل نظام يعود بالاصلاح

ومع كل هذا الانحطاط كانت البلاد بين اسيوط وقنا تتحسن في اواسط القرن الثامن عشر لخروجها في ذلك الوقت عن حكم المماليك

ويقطن في اماكن مختلفة على جانبي النيل اقوام رحلت اليها من اليمن وقبائل اتتها من شمال افريقيا فبقي بعضها على بداوتهِ يرعى المواشي وتحضَّر البعض الآخر واحترف الزراعة

وكان منذ نحو ٢٥٠ سنة ان قدمت من ضواحي تونس قبيلة تدعى الهواري واحتلت ما بين جرجا وفرشوط واخذت تعمر الاراضي المقفرة وتغتصب القرى العامرة الى ان استتب لها امتلاك كل البلاد ما بين هو وقرية الشيخ سليم واثرت فعلت كلمتها وامتدت سطوتها

تحت امرة شيخها الذي كان يقيم في فرشوط . وآخر من قاد هذه القبيلة شيخ اسمهُ همام حكم الصعيد من اسيوط الى اصوان وكان يستولي على ريعهِ فيبلغ سنويًا بنحو ١٥٠٠٠٠ اردب حنطة يدفعها لباشوات مصر وبكواتها . وكانت سلطتهُ تتعاظم بتعاظم الشقاق بين المماليك واخيرًا جرد عليهِ علي بك جيشاً عظيماً يقودهُ محمد ابو الذهب فالتقاهُ همام بخمسة وثلاثين الف فارس ولكنهُ هزم عند اسيوط وفرّ الى اسنا حيث مات في سنة ١٧٩٦ وصادرت الحكومة املاكهُ . وقد اتفقت الالسن على امتداح هذا الشيخ وما بذلهُ من العناية بالجسور وحفظ الامن بواسطة خفر انشأهُ في البلاد

وبعد موتهِ صار الصعيد ملجأً للبكوات الفارين فاستفادوا من استخدام الخفر الذي لم يكن لهُ مثيل في المديريات الاخرى . وكانت مطامعهم في العودة الى الحكم على القاهرة تقوي نهمهم في ابتزاز ثروة البلاد فبهظوها بالضرائب الفادحة وزادوا زراعتها انحطاطاً وظلوا على ذلك الى ان استولى الفرنسويون على مصر

اما قبائل العرب التي احتلت ضفتي بحر يوسف والعطفية على شاطىء النيل المقابل فنزعت الى الزراعة ولكنها لم تنزع عنها عاداتها الموروثة من الغزو والقتال . فكانت احياناً تحارب واحياناً تسطو على القرى المجاورة فتضطر اهلها إما لمهاجرتها واما لفداء انفسهم وكان موقف الفلاحين حرجاً اذ يرون انفسهم بين قبائل متعادية عرضة للنهب والسلب فيلتزمون ان يدفعوا جانباً كبيرًا من الضرائب عن القبائل التي تتكفل بحمايتهم من العربان جيرانهم ومن القبائل الرحل التي كانت تجتاح اكثر انحاء الفيوم . وآل الامر الى ضعف الفلاح ورهبتهِ حتى لقد كان ينظر الى هؤلاء الاعراب نظر المستأجر الضعيف الى المالك القوي

وعلت سطوة البدو في جميع اطراف القطر المصري ما خلا الاماكن القريبة من المدن الكبرى حيث قوة الحكومة على اشدها في الوجه البحري ولا سيما عند اطراف صحاري برزخ السويس وجوانب بحيرة مربوط القديمة كانت فرسانهم تجتاز النيل لاقل داع فتدخل البلاد خلسة وتنهب القرى المجاورة

هذه كانت حالة البلاد لذلك العهد اعراب تغزو وحكام تلهو وفلاح يشقى وارض بالدماء تسقى

الري في العراق

لقد كانت فاتحة اعمال الحكومة العثمانيَّة الحاضرة ان اهتمت بمصادر ثروة البلاد وباغزر هذه المصادر بل المصدر الحقيقي المنتج وهو الزراعة · وكأنها نظرت الى نجاح القطر المصري الذي خرج من الافلاس الى السعة باصلاح الري فارادت ان تقتدي بهِ ولذلك استدعت مهندس الري صاحب المشروعات الكبيرة السر وليم ولككس ليتولى ادارة الري في البلاد العثمانية ولاسيما في العراق العربي

ولم يخطر على بال السر وليم ولككس لما انتبه الى ري العراق منذ خمس سنوات وكتب فيهِ ما كتب مما عربناهُ ونشرناهُ في المقتطف انهُ يرى في حياتهِ تحقيق امانيهِ ولا خطر ذلك على بال احد بل لقد قلنا لهُ ان المشروع حسن لذاتهِ ولكن اين الامان على حياة العمال ومَن يكفل للفلاح هناك ان يتمتع بثمرة تعبهِ ونحن نرى الناس يتركون اراضيهم بوراً هرباً من جور الملتزمين والحكام ولكن التغيير الكبير الذي حدث في الحكومة العثمانيَّة يوم اعلان الدستور قد ازال كل العقبات من سبيل هذا المشروع فاستدعي صاحبهُ حالاً لتحقيقهِ ولم يبق الآن الا ان تصادق الحضرة السلطانية عليهِ

وقد رأينا ان نعيد الآن نشر خلاصة الخطبة الاولى التي القاها السر وليم ولككس في هذا الموضوع وقد نشرناها حينئذٍ في جزء مايو سنة ١٩٠٣ وهذا نصها

انتفض بابل واشور عنهما غبار العصور الغابرة . ويعود الى بغداد عصر الرشيد والمأمون ويرتع الامن في ربوع العراق وتفيض الخيرات من دجلة والفرات · كل ذلك محتمل وقد صار على قاب قوسين بعد ان اعتمدت الدول الاوربية على مد سكة الحديد الى بحر فارس. ولكن كم يبقى للسكان من خيرات بلادهم بعد ان تتمكن فيها اقدام الاوربيين وتعطى لهم الاراضي الواسعة مع الامتياز وكيف يجاري ابناء المشرق الذين ضعفت هممهم من طول ما لقوا من الذل والامتهان ابناء المغرب الذين نشطوا للعمل منذ مئتي عام وهم لا يرون غير مثيرات النخوة ومقويات العزائم حتى من ملوكهم وامرائهم · هذه مسألة يصعب النظر فيها من الآن

أما تلك البلاد فكانت مهد العمران وخصبها الطبيعي مما لا يختلف فيهِ اثنان وقد كان ريها منتظماً في العصور الغابرة انتظاماً لا يفوقهُ انتظام الري في القطر المصري الآن · ومن رأي السر وليم ولككس المهندس المشهور في هذا القطر انهُ يسهل اعادتها الى ما كانت عليهِ

فتصير مثل القطر المصري من حيث سهولة الري والصرف وتدفق الخيرات . وقد انشأ خطبة مسهبة في ذلك تلاها في الجمعية الجغرافية فلخصنا منها ما يلي لعلهُ يكون محرضاً لابناء الشام والعراق على ترك المهاجرة الى البلدان القاصية وانتظار ما يمكن عملهُ في بلادهم . قال مامفادهُ

ان مدينة بغداد تعلو عن سطح البحر (بحر فارس) ٦٦ مترًا وتبعد عنهُ ٥٥٠ كيلو مترًا على خط مستقيم او ٨٠٠ كيلو متر اذا قيس البعد على مسير دجلة . وحولها الآن قفار قاحلة ولكنها كانت في سالف الزمن تاج ما تمتلكهُ الدول التي دان لها المشرق . هذا كان شأن البلاد على مئة ميل حول بغداد من كل ناحية

اذا نزلت في دجلة من الشمال الى الجنوب تصل اولاً الى دورا مأخذ ترعة نهروان والسهل الذي نصب فيهِ نبوخذ نصر التمثال الذهبي ولعلهُ نصبهُ تذكارًا لتجديد هذه الترعة . ثم تل اتج حيث مات الامبراطور يوليانوس من جراحهِ حينما أُخرج الرومانيون من تلك الاقطار واستولى عليها ملوك الفرس فدان لهم المشرق كلهُ . ثم تصل الى اوفيس التي كان فيها اغنى اسواق المشرق التجارية ومنها الى بغداد عاصمة الخلفاء العباسيين . فالمدائن عاصمة آل ساسان ملوك الفرس فسلوقية عاصمة المكدونيين في المشرق واخيرًا تصل الى بابل سيدة المدائن وهي على الفرات لا على دجلة

والبلاد بين ترعة نهروان وبين دجلة شرقًا وغربًا عجزت قبائل العرب عن العيث فيها فظلت اخصب بلدان المشرق وكأن ملوك الكلدان انشأُوا تلك الترعة وغيرها من الترع لكي يمنعوا الغزاة عن بلادهم كما فعل مينا ملك مصر لما حوَّل مجرى النيل الى الجهة الشرقية امام منف لكي يكون فاصلاً بينها وبين القبائل التي كانت تغزو بلادهُ آتية من بلاد العرب

ويقع المطر في تلك البلاد لكنهُ قليل جدًّا لا يكفي للزراعة . يقع في السنة من اربعة سنتيمترات الى ٢٤ سنتمترًا لا غير فلا بدَّ من ري الارض من الانهار والترع اذا اريد ان نزرع شيئًا

ودجلة من بغداد الى بحر فارس قليل التحدُّر لا يزيد تحدُّرهُ على ١/١٣٠٠٠ فهو مثل النيل من هذا القبيل ويفرق عنهُ في ان الدلتا التي يرسب فيها طمي دجلة بعيدة عن مصبهِ وليست مثل الدلتا التي بين فرعي النيل

ويبتدئ دجلة من الآكام التي الى الجنوب الغربي من بحيرة وان ويمر من عند مدينة نينوى القديمة ويقطع تلالاً مجربة ويعمق مجراهُ حتى يصير نحو ٢٥ مترًا وسرعتهُ مترين ونصف متر في الثانية من الزمان ثم يخرج منها ويدخل واديًا منبسطًا فتقل سرعتهُ وتصير

متراً في الثانية وهناك يلقي ما كان يحمله من الطمي فتكوّن منهُ سهل خصيب حول بغداد . وعلى ثمانين كيلو متراً من بغداد جنوباً تصير الرواسب التي ترسب منهُ ناعمة جدّاً مخلوطة بالملح وتستمرّ على ذلك الى البحر فلا تصلح للزراعة مثل الاراضي التي حول بغداد . ويفيض كما يفيض النيل ويغمر الاراضي التي حولهُ من بغداد الى البحر ويصب فيهِ نهران من الجهة الشمالية الشرقية احدهما فوق بغداد والآخر تحتها ويتفرع من ثانيهما ترع كثيرة

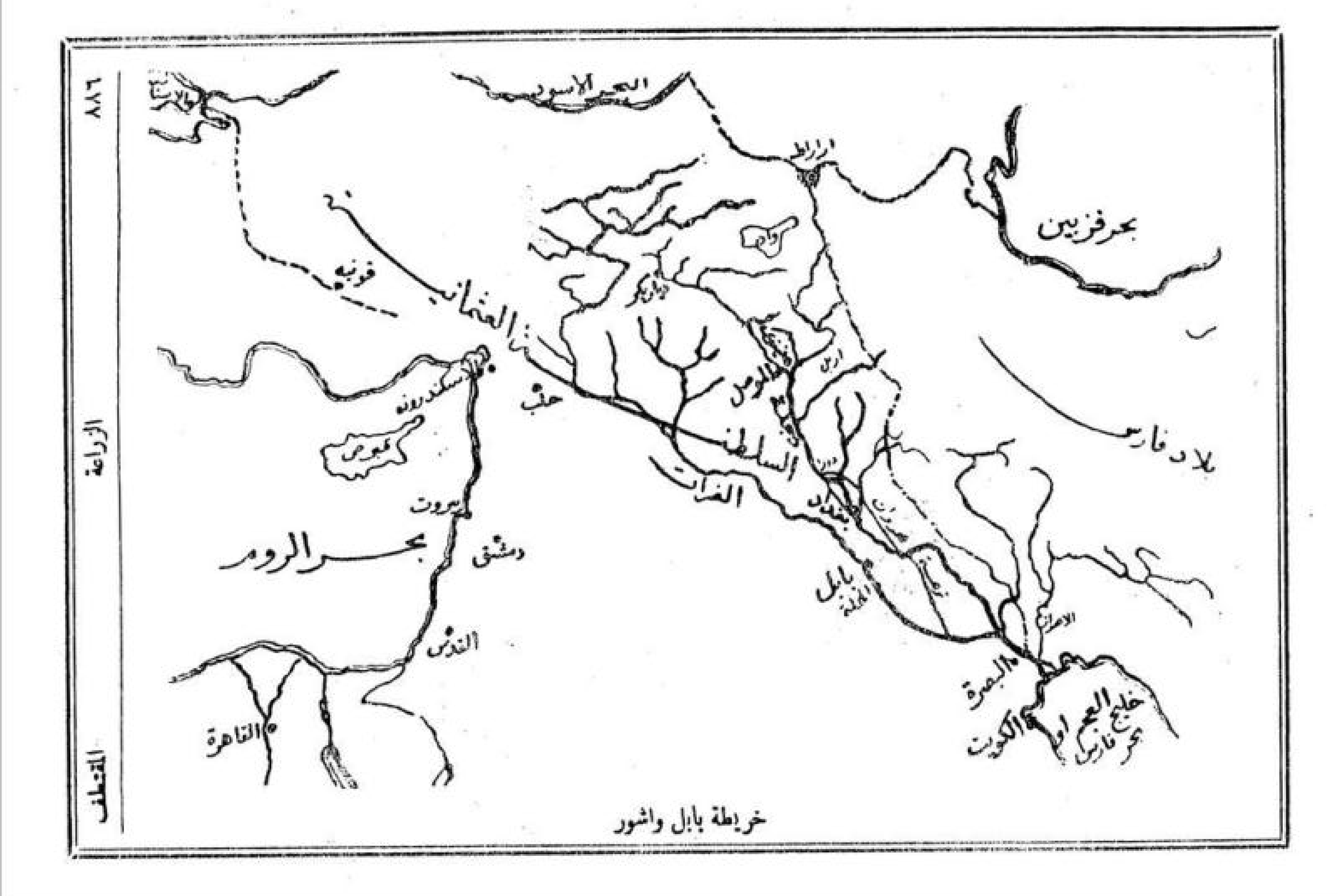
ويبتدئ فيضان دجلة في اواخر فصل الشتاء حتى اذا اشتدّ الحر واذاب الثلج عند مصادره ومصادر نواصره زاد فيضانهُ فصلح للري الصيفي مثل انهار الهند . وكلما زاد الحر شدة وزادت حاجة المزروعات الى الماء زادت مياههُ فيضاناً

وفي رأس ذلتا دجلة خرائب مدينة اوفيس وهي مثل القاهرة في مصر ومنها تبتدئ الترع العظيمة التي تروي ذلتا العراق

وكان للري هناك سبيلان كبيران الواحد بترعة نهروان والثاني بترعة دجيل جنوبيهُ وكان الاقدمون قد اقاموا سدوداً في الاماكن العالية ترتفع بها المياه ويقال ان الاسكندر المكدوني خرب بعضها ليغزر الماء في دجلة ويسهل عليهِ ركوبهُ بسفنهِ ولا بدّ من ان يكون بناها بعد ذلك

وترعة نهروان في العراق مثل احد الرياحات الكبيرة في القطر المصري طولها اربع مئة كيلو متر وقد بلغت اعلى درجة من الانتظام على عهد بني ساسان ملوك الفرس ثم على عهد هرون الرشيد . ولها مأخذان من دجلة حتى اذا ملأ الطمي احدهما ولزم تطهيرهُ جرى الماء اليها من المأخذ الثاني . وبُعد المأخذ الاول عن الثاني ستون كيلو متراً وعند ملتقى المأخذين قنطرة موازنة اسمها القنطرة الكسروية وعند مأخذ الفرع الاعلى قنطرة اخرى للموازنة تسمى قنطرة الرصاص لان الرصاص مصبوب بين حجارتها وكذلك عند المأخذ الثاني قنطرة موازنة اخرى وهي الآن خراب

ثم اسهب في وصف الاعمال الهندسيَّة التي كانت على دجلة من ترع وقناطر وسدود وما اشبه لتسهيل الري وبيَّن ذلك كلهُ بالرسوم وقال في وصف ترعة نهروان ان ترع مصر لا تقابل بها لان اكبر ترعة في القطر المصري لا يزيد عمقها على عشرة امتار وعرضها على ستين متراً واما ترعة نهروان فيبلغ عمقها احياناً خمسة عشر متراً واتساعها ١٢٠ متراً . هذا من حيث نظام الري الاول واما نظام الري الثاني بترعة دجيل فمدارهُ على ترعة طولها مئة كيلو متر وعرضها خمسون متراً



خريطة بابل واشور

وبيَّن كيف خربت تلك البلاد وعفت آثار مدنها بطغيان دجلة على ترعتيهِ وتخريبهِ سدودهما وجرفهِ كل ما في البلاد من مدن وقرى ومزارع وانسان وحيوان فانتشر الخراب في بلاد طولها اربع مئة كيلو متر وعرضها ثلاثون كيلو متراً كانت اعمر بلدان المسكونة واكثرها سكاناً . وعندهُ ان تلك البلاد تعود الى مجدها السابق باصلاح ترعة نهروان واصلاح ري العراق بها . ثم شرح الاعمال الهندسيَّة اللازمة لذلك وقدَّر ما يلزم لها من النفقات وما ينتج عنها من الفوائد فقال ان النفقات تبلغ ثمانية ملايين من الجنيهات يصلح بها مليون و ٢٨٠ الف فدان من اجود الاراضي الزراعيَّة فيصير الفدان منها يساوي ٣٠ جنيهاً على الاقل فتساوي كلها ٣٨ مليون جنيه ولا يقلُّ صافي ربعها في السنة عن مليوني جنيه فيكون المال الذي ينفق على اصلاحها قد جاء بفائدة ٢٥ في المئة سنوياً

هذا من حيث الارض العالية التي في بداءة ذلك دجلة اما البطائح التي تحتها ولاسيما بين دجلة والفرات فهي قاحلة الآن ولكن الدلائل كثيرة على انها كانت تروى وتستغلُّ في قديم الزمان كما يظهر من آثار الترع والاعمال الهندسيَّة التي فيها . وهناك ارض مساحتها مليون ونصف مليون من الفدادين بين بغداد وبابل يمكن اعادة ريها وزرعها وقد تلفت منذ عهد طويل وصارت مستنقعات لان الترع التي فيها أُهملت لما تولَّى البلاد اناس لا يحسنون امرها فامتلأت مجاريها طمياً وحشائش وتهدمت جسورها فلم تعُد تكفي لاحتواء ما يجري فيها من الماء ففاض على الارض التي حولها واغرقها فصارت مستنقعات وبطائح

وقابل تلك البلاد بالقطر المصري وقال ان مجرى النيل لم يمتلئ بالطمي مع ما مرَّ عليهِ من القرون لان ري الحياض كان من مقتضاهُ اجراء ماء الفيضان الى الحياض على جانبي النيل فيرسب ما فيهِ من الطمي ويعود اليهِ صافياً ولكن اذا بطل ري الحياض في القطر المصري خشي ان يرسب الطمي كلهُ في مجرى النيل فلا يعود كافياً لاحتواء ماء الفيضان كلهِ فيطغى على البلاد ويغرقها وحثَّ على الانتباه لذلك من الآن . ثم عاد الى ري العراق فقال ان نجاح مصر ابتدأ يوم صمم مهندسو الملك مينا اول الفراعنة على اعلاء جسر النيل الغربي وترك الجانب الشرقي من غير جسر حتى يمتنع طغيانهُ على الجانب الغربي فيصلح للزراعة ومثل ذلك يمكن ان يفعل في العراق فيقام جسر لدجلة على الضفة الغربيَّة وجسر للفرات على الضفة الشرقية ويمد جسر الفرات الى ما تحت بابل وجسر دجلة الى عند منعطفهِ . وتصلح الارض التي بين هذين النهرين وتفتح فيها الترع وتزرع

وقد ثبت لي من اعمال الري في مصر ان كل النفقات اللازمة للسدود والترع والمصارف

وما اشبه تبلغ خمسة جنيهات ونصف جنيه عن كل فدان والنفقات اللازمة لهُ من تقصيب وتلويط وما اشبه تبلغ ثلاثة جنيهات ونصف جنيه والجملة ٩ جنيهات فيصير يساوي ثلاثين او اربعين جنيهاً وقد قدرنا ثمن فدان الارض على ترعة نهروان في بلاد العراق بخمسة وثلاثين جنيهاً بعد اصلاحهِ واصلاح ريهِ لان الفدان الذي مثلهُ في مصر يساوي الآن من ستين جنيهاً الى مئة فنقدر الفدان الذي يصلح بين دجلة والفرات بخمسة عشر جنيهاً اي بنصف ما يساويهِ الفدان الذي مثلهُ في مصر وهناك مليون وخمس مئة الف فدان يمكن اصلاحها كذلك ينفق على اصلاحها وريها وصرفها ١٣ مليون جنيه فتصير تساوي ٢٢ مليون جنيه

وباضافة الاراضي التي في رأس ذلتا دجلة الى البطائح التي تحتها تصير المساحة ٢٨٠٠٠٠٠ فدان والنفقات اللازمة لاحيائها ٢١ مليون جنيه فتصير تساوي ٦٠ مليون جنيه على الاقل

وفي ذلتا الفرات ودجلة خمسة ملايين فدان اي قدر مساحة الاراضي الزراعيَّة في القطر المصري كلهِ واذا ابتدأ العمل في اصلاحها سهل جلب المال من اوربا لاتمامهِ فان الفدان في مصر يحمل من الدين عشرين جنيهاً ومع ذلك لا يجد الحمل ثقيلاً . ثم اذا مُدَّت سكة الحديد وكثرت فروعها في البلاد زاد السكان وزادت الخيرات وارتفع ثمن فدان الارض المصلحة في اعالي البلاد من ٣٥ جنيهاً الى ثمانين وفي اسافلها من ١٥ الى ٣٥

وختم خطبتهُ بكلام بليغ قال فيهِ

ان امامنا الآن إحياء بلاد قديمة كان اسمها مرادفاً للخصب والفلاح والعظمة مدة قرون كثيرة فقد كان هناك سهول خصبة ومدن عامرة وملوك اعزاء وقوَّاد اشداء ورجال حكماء تداولوها الوفاً من السنين كما تشهد كتب الاخبار ونقوش الآثار وهي لا تقل عن اخبار مصر وآثارها قدماً وصحة . وهناك ادلة كثيرة على غنى تلك البلاد وانها كانت مطمح انظار الفاتحين والتملك عليها غاية ما يفاخرون بهِ فان الدولة التي كانت تملك تلك البلاد في العصور الغابرة كانت تملك المشرق والدولة التي تفقدها تفقد المشرق . بلاد مثل هذه جديرة بان تحيا من مواتها . وان عرفنا السبب الذي اقفرها سهل علينا ان نعيد اليها خصبها السابق . والارض التي اجابت داعي العلم القديم فتدفقت منها خيرات كفت بلاط ملوك الفرس معا يؤثر عنهم من الانغماس في الترف والملاذ لا بدَّ من ان تجيب داعي العلم الحديث وترد المال الذي ينفق عليها اضعافاً كثيرة . ولا بدَّ الآن من الاستعانة بمعارف الغرب على هذه الاعمال كما استعين سابقاً بمعارف الشرق . وقد كانت تلك البلاد تروى وتزرع بواسطة معارف حكماء الكلدان ومهندسيهم ومراقبي الاحداث الجوية منهم وصار احياؤها وزرعها الآن اصعب

مما كان قبلاً ولكن علوم ابناء هذا العصر صارت ارقى من علوم الاقدمين ولا يصعب معها رد تلك البلاد الى سالف مجدها فتعود جنة الشرق كما كانت قبلاً ويقصدها الناس من مشارق الارض ومغاربها

وتسمى بغداد دار السلام وقلما وجدت السلام من حين بنيت الى الآن لما حلَّ بها من تيمورلنك وهولاكو وخلفائهما الذين اضروا بالبلاد اكثر مما اضرَّ بها تحول دجلة عن مجراهُ ولكنها ستجد السلام الذي أضيفت اليهِ تيمناً وستجتمع الوف وعشرات الالوف من العمال من الهند ومن مصر ايضاً يجتمعون في ذلتا دجلة يمدون سكة الحديد من الكويت الى الشمال ويفتحون ترعة من اوفيس الى الجنوب

وستشرع السكة الحديد بنقل العمال والادوات من خليج العجم لحفر الترع واحياء الموات وانشاء المدن ولا يتم مدها واتصالها باسيا الصغرى حتى يكون جانب كبير من الارض قد أُصلح وكثرت خيراتهُ لتنقلها السكة شرقاً وغرباً . وليس على وجه البسيطة ارض اصلح من اراضي دجلة لزرع الحبوب ولقد سمعت الدكتور شوينفرث رئيس هذه الجمعية السابق يقول فيها ان من هناك اصل القمح وانهُ كان ينبت بريّاً في تلك البطاح ومنها نقل الى اربعة اقطار المسكونة ويخصب هناك القطن والذرة وقصب السكر وكل الحاصلات المصرية التي تنبت صيفاً. وهناك وطن المزروعات الشتوية كالحبوب والقطاني والبرسيم والافيون والتبغ وليست بي حاجة الى الكلام على فراديس بابل وبغداد القديمة . والارض التي اقليمها يزكي المزروعات زكاءها في الاقاليم الحارة وانهارها تسق من ثلج الجبال فتروي ملايين الفدادين وقت اشتداد الحر والظما لا يعقل انها تبقى قفراً قاحلاً بعد ان تخرقها سكة الحديد وتسعى عاصمتها بغداد وراء موارد الثروة. ولا بدَّ من ربح وافر لتلك الطريق مما تنقلهُ من بضائع الشرق والغرب ولكن اذا عاد الى البلاد سابق خصبها وتدفقت منها الخيرات زاد ربحها ربحاً وتحققت فيها آمال الذين انشأوها وخالج نفوسهم احياء البلاد لما اشاروا بها

انتهى كلام السر وليم ولككس ملخصاً وقد الحق خطبتهُ برسوم كثيرة نقلنا واحداً منها لكي يتضح للقارىء مواقع الاماكن التي ذكرها واضفنا اليهِ اسماء اماكن أُخرى اتماماً للفائدة

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعيّن حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) حقيقة السحر

البني جيورجيا باميركا · الخواجه الياس نعوم · هل في الساحر قوة فائقة الطبيعة يفعل بها الاعمال التي تنسب الى السحرة واليكم مثالاً من ذلك

وقع شابٌ في هوى ابنة شريفة واذ لم يتوقَّع واسطة للوصول اليها دفعهُ الغرام لاستخدام السحر فذهب الى انسان مشهور بهذه الصنعة واطلعهُ على امرهِ . فقال لهُ الساحر اذهب الى بيتك ونم وهي تأتي اليك عند منتصف الليل وعليك ان تترك النافذة الوسطى مفتوحة · فذهب الشاب ومن شدة اشتياقهِ لم ينم بل بقي منتظرًا قدوم محبوبتهِ ولكنهُ نسي فتح النافذة الوسطى · فعند انتصاف الليل احسَّ فاذا بشيءٍ لطم النافذة فكسر زجاجها ووقع على صحن الدار اذ كانت غرفتهُ عليَّة فنزل ليرى ماذا جرى فرأى البنت التي يهواها مخدشة الرأس والوجه تتخبط بدمائها · فللحال ذهب الى الساحر واعلمهُ بالامر فحينئذٍ اعطاهُ الساحر ورقة وامرهُ ان يضعها في فمها ففعل وللحال طارت كما جاءت راجعة الى بيتها · وفي اليوم التالي رآها اهلها وسألوها السبب فلم تجب بكلمة ولم تفتح فاها بل كانت تذهب وتجيء كأنها سالمة واخبر اهلها بعض الشيوخ وبعد الفحص حكموا انها مسحورة · ففتحوا فاها واخرجوا الورقة منهُ وفي تلك الدقيقة وقعت على الارض مائتة · فما قولكم في تعليل هذه الحادثة

ج انا لا نصدقها بل نعتقد انها موضوعة وليس في البشر قوة فائقة الطبيعة فاذا استطاع احد الناس ان يفعل فعلاً مناقضاً للنواميس الطبيعيَّة او مخالفاً لها كما فعل هذا الساحر وجب ان نتثبَّت اولاً من ان ما نسب اليهِ من الفعل قد حدث حقيقة فاذا وجدنا انهُ حدث حقيقةً فيكون قد حدث بقوة طبيعيَّة لم نكن نعرفها فنبحث عنها وعن الاسباب التي تجعلها خاصَّة بالساحر دون غيرهِ · ولم نبحث حتى الآن عن عمل من الاعمال المنسوبة الى السحرة ورأيناهُ

صحيحاً ولا علمنا ان احداً بحث بحثاً مدققاً عن اعمال السحرة ووجد انها صحيحة · وقد كتبنا فصولاً مسهبة في فساد السحر في السنين الاولى من المقتطف فعليكم بمراجعتها · ولا تنسوا ان افضل مقياس تعرف بهِ صحة الدعاوي هو استعمالها والانتفاع بها فلو كانت دعاوي السحرة صحيحة لاستعملها الناس وانتفعوا بها كما يستعملون الطب والصناعات المختلفة · افرضوا ان الساحر الذي اشرتم اليهِ قدر حقيقة على سحر هذه الابنة وجعلها تذهب ليلاً الى بيت رجل وتلقي نفسها من نافذة بيتهِ فما كان يمنعهُ من جعل قوّاد اليابان يلقون انفسهم في البحر حينما كانت الحرب ناشبة بين الروس واليابان فيستتب الفوز للروس او ما يمنعهُ من جعل ابنة احد كبار الاغنياء تهواهُ وتأتيهِ بثروة ابيها · وانتم تعلمون ان السحرة اي مدعي السحر من افقر الناس فلو كان فيهم قوة سحرية كما يزعمون لاستفادوا منها واغتنوا وعاشوا بالراحة والرفاهة

(٢) المندل

ومنهُ · هل المندل صحيح وكيف تعللون هذه الحادثة

سرق لنسيب لي شيء وضع عندهُ امانة واذ لم يهتدِ اليهِ ذهب الى ضارب مندل فاحضر هذا ابنة لا تتجاوز الثانية عشرة من عمرها واحضر طستاً مملوءاً ماء وامر البنت ان تنظر في الماء ثم امرها ان تعزم الملك الاحمر ففعلت فاتى الملك الاحمر ومعهُ رجالهُ وكلهم بهيآت غريبة . وبعد انصراف الملك امرها بان تسأل احدهم عن سارق ذلك الشيء وان يأتي بهِ فذهب وبعد قليل رجع ومعهُ الرجل السارق ووصفت ملامحهُ فعرفهُ نسيبي · ثم امرها ان تسأل عن موضع السرقة وان يذهب معها ويريها اياها · فاحست البنيَّة انها ماشية في اسواق المدينة وصارت تذكر اسماء الشوارع التي مرت بها الى ان انتهت الى بيت فذكرت اسم صاحبهِ ودخلت معهُ فاراها الشيء المسروق واين هو موضوع · فعندئذٍ ذهب نسيبي الى البيت الذي وصفته البنت فشاهد المسروق في نفس المحل الذي وصفتهُ . فما قولكم في هذا ايضاً

ج لقد سمعنا قصصاً كثيرة مثل هذه ولكننا لم نرَ احداً حتى الآن استرجع بواسطة المندل شيئاً سُرق لهُ . والقصة التي اخبركم بها نسيبكم مخالفة للنواميس المعروفة ولا نتردد في الحكم انها غير صحيحة او ان الصحيح منها غير ما ذكرتم ولو كانت صحيحة كلها لاستخدم المندل في اكتشاف السرقات كلها واغتنى صاحب المندل من هذه الصناعة في اسبوع واحد وان قيل كيف يروي الناس روايات كاذبة مثل هذه قلنا ان بعض الناس يسهل عليهم ان يخدعوا غيرهم بمثل هذه الاكاذيب فيختلقونها لكي يخدعوا بها غيرهم او لكي يسلُّوهم وبعضهم يتوهم امرًا ثم يصدق وهمهُ

كأنهُ من الحوادث الواقعة. قلنا انهُ ان كان في القصة المتقدمة شيء من الصحة فيكون غير ما ذكرتم ونحن نريد بذلك انهُ قد يصيب الابنة الناظرة الى الطست شيء من الذهول كما يصيب من ينام النوم المغنطيسي فتصير تتوهم انها ترى ما يذكرهُ لها منومها كأنها تحلم حلماً فاذا كان ضارب المندل عارفاً بالسارق والمسروق فقد يستطيع ان يهدي الابنة اليهِ باسئلتهِ لها. واذا كان كلامها وكلامهُ مبهماً وكان صاحب السرقة معتقداً ان السارق فلان فلا يبعد ان يطبق كلامها المبهم على ما هو راسخ في نفسهِ فيراهُ منطبقاً عليهِ واذا صدقت في حادثة من مئة حادثة ذكر الناس هذه الحادثة ونسوا التسع والتسعين

(٣) اختلاف الوقت

فوه. حسن افندي حسن الملاحة. لقد بحثت مع كثيرين من المشتغلين بعلم الهيئة في تحديد الوقت بين بلدين طولها وعرضهما معروف معلوم بطرق سهلة فلم نتوفق الى طريقة عامة لذلك الموضوع. وقد رأينا بعد طول البحث ان نرسل الى جنابكم سؤالاً آملين ان تتكرموا بحلهِ وبتعيين الطريقة الحسابية العامة لحل امثالهِ وهو: عرض القاهرة ٠َ ٤٠َ ٢ ٣٠ وطولها . والوقت ١١ ساعة و٥٠ دقيقة قبل الظهر فكم تكون الساعة في المدينة المنورة وعرضها ١٥َ ٢٤ وطولها ٣٩َ ٣٩ ٨

ج ان المسألة بسيطة جداً ولا داعي لتعيين العرض فيها. وطريقتها ان تستعلموا فرق الطول بين المكانين فيكون الفرق في الوقت دقيقة واحدة لكل ١٥ دقيقة من الطول او ساعة لكل ١٥ درجة. وفرق الطول بين القاهرة والمدينة ٥١٩ دقيقة من القوس فهي تعدل ٣٤ دقيقة من الساعة و٣٦ ثانية وعليهِ يكون الوقت في المدينة المنورة حينئذٍ بعد الظهر باربع وعشرين دقيقة و ٣٦ ثانية

(٤) شركة السوكرتاه

الاقصر. م. ر لقد سوكرت حياتي على مبلغ ٥٠٠ جنيه عشرين سنة في شركة جريشام وانا ادفع اليها الآن ٦٢٣ غرشاً كل ثلاثة اشهر فما هو المبلغ الذي يعطى لي بعد مضي العشرين سنة واذا توفيت حينئذٍ فهل يعطى ورثتي المبلغ المؤمَّن عليهِ مع الارباح وكم هي وهل تستحسنون عمل هذه الشركة وهل هي مأمونة

ج ان الارباح التي تعطى لكم او لورثتكم تتوقف على شروطكم مع الشركة. والشركة التي ذكرتموها مأمونة ومن احسن الشركات وشروطها عموميَّة مطبوعة. ونحن نستحسن مبدأ شركات التأمين لان الغرض منها جمع المال من الذين يعيشون عمراً طويلاً واعطاؤُهُ لورثة الذين يموتون باكراً كما ان غرض شركات سوكرته الحريق جمع المال

من الذين لا يحترق ما يسوكرونهُ واعطاؤُهُ للذين يحترق ما يسوكرونهُ

(٥) سقوط ثمر المنجو

المودة . حنا افندي عبد الملك . ما السبب في سقوط طرح اشجار المنجه قبل دور استوائها وما هي الواسطة لحفظها

ج ان اسباب سقوط الثمر عن الشجر قبل نضجهِ مختلفة فقد تكون ضعف الشجر وقد تكون كثرة حملهِ وقد تكون حشرات تضرب عروقهُ وقد تكون تعرُّض الشجر للرياح الشديدة والغالب انكم تجدون سقوط الثمر عندكم ناتجاً عن سبب او اكثر من هذه الاسباب

(٦) جنين البيضة

مسيسبي باميركا. الخواجه داود سليمان ابو حيدر . جاء في الجزء الثامن من المقتطف هذه السنة في الكلام على الوراثة ان جنين الطائر يتكون في البيضة فنرجو الافادة هل يتكون الجنين من صفار البيضة او من بياضها او منهما كليهما

ج يبتدئ تكونهُ من نقطة بيضاء في الصفار. اكسروا بيضة جديدة في صحفة فتروا صفارها يعوم عليها ويكون فيهِ نقطة بيضاء اصغر من حبة العدس وهي الجرثومة التي يتولَّد الفرخ منها ثم تدخل بقية البيضة صفارها وزلالها في تركيب جسمهِ



مجمع تقدم العلوم البريطاني

التأم مجمع تقدُّم العلوم البريطاني في مدينة دبلن في الثاني من سبتمبر برئاسة الاستاذ فرنسيس دارون بن دارون الشهير فخطب خطبة الرئاسة في دار جامعة ارلندا الملكية وقد نشرنا خلاصتها في هذا الجزء ثم خطب رؤساء الاقسام المختلفة في مواضيع اقسامهم و بلغ عدد الحضور ٢٢٧٠

موتمر تاريخ الاديان

التأم موتمر تاريخ الاديان في اكسفود بين ١٥ و ١٨ سبتمبر برئاسة السر الفرد ليل وتليت فيهِ مقالات كثيرة في تاريخ الاديان المختلفة كاديان الشعوب المنحطة واديان الصينيين واليابانيين والمصريين والساميين والهنود واليونان والرومان والالمان والديانة المسيحية . وسنأتي على تفصيل ذلك في الجزء التالي

مؤتمر السل

يلتئم مؤتمر السل الدولي العام في مدينة وشنطون باميركا بين ٢١ سبتمبر و ١٢ اكتوبر برئاسة رئيس الولايات المتحدة

هنري بكرل

خسرت فرنسا والعلم عموماً خسارة كبيرة بوفاة الاستاذ هنري بكرل العالم الطبيعي المشهور . وهو من بيت علم وفضل فان جده انطوان بكرل كان من اشهر علماء الكهربائية في عصره . واباه كان من مشاهير علماء الطبيعة ايضاً

وهنري بكرل المتوفى الآن ولد في اواخر سنة ١٨٥٢ ولما توفي جده سنة ١٨٧٨ اخلفه ابوه وجعل هو مساعداً له ومن اول اشغاله اكتشاف الاستقطاب المغنطيسي وقد اكتشف دوران سطح استقطاب النور بواسطة مغنطيسية الارض سنة ١٨٧٨ وبحث عن حرارة باطن الارض وخواص الكوبلت والنكل المغنطيسية وحقق مقدار خواص الاوزون المغنطيسية ثم التفت الى موضوع الفصفورية الذي اشتغل به ابوه سنين كثيرة وهو اول من نشر شيئاً عن اشعة المواد الفصفورية الذي افضى الى اكتشاف الراديوم وقد اكتشف هذه الاشعة اولاً في الاورانيوم ثم اكتشف انها تفعل فعل اشعة رنتجن وتؤثر بدليل الكهربائية فسميت اشعة بكرل

وسنة ١٨٩٨ رأت مدام كوري ان الثوريوم من العناصر المشعة فجعلت تبحث هي وزوجها في غيره من العناصر فوجدت ان قوة الاشعاع توجد في غير الاورانيوم اشد مما توجد فيه وتوصلت بعد بحث طويل دقيق الى اكتشاف الراديوم وثبت حينئذٍ ان اشعة بكرل موجودة في عناصر اخرى غير الاورانيوم الذي بحث بكرل فيه اولاً واستمر على البحث فرأى ان هذه الاشعة على ثلاثة انواع والف سنة ١٩٠٣ كتاباً كبيراً في هذا الموضوع جمع فيه خلاصة مباحثه فله الفضل الاكبر في انه اكتشف خاصة جديدة من خواص المادة وفتح باباً جديداً للبحث فيها وقد اعطي جائزة نوبل هو ومدام كوري وزوجها سنة ١٩٠٣ ومنح كثيراً من النياشين العلمية

وكانت وفاته في الخامس والعشرين من اغسطس الماضي عن ٥٦ سنة وقد ترك مئة الف فرنك لاكادمية العلوم تذكاراً لابيه وجده

طيارة الاخوين ريت

لا يزال المستر ولبور ريت يطير بطيارته في فرنسا واما اخوه اورفل ريت فكان طائراً بطيارته في اميركا في ١٧ سبتمبر ومعه ضابط اسمه سلفردج فانكسرت شفرة من شفار المروحة (الرفاص) التي تدفع الطيارة

بحركتها فاختلت موازنة الطيارة وسقطت بهما فقتل الضابط وكسرت فخذ المستر ريت

رحلة سفن هدن

بعث الدكتور سفن هدن الى جريدة التيمس تفصيل رحلته الاخيرة الى تبت . وخلاصتها انهُ اكتشف منابع البراهما بوترا ونهر السند ونهر ستلج . واكتشف ان الجبال التي هناك متصلة في سلسلة واحدة وهي اكبر سلاسل الجبال في الدنيا . ومتوسط ارتفاعها اعلى من متوسط ارتفاع جبال حمالايا فان ارفع قنن جبال حمالايا اعلى من ارفع قنن هذه الجبال نحو ٤٠٠٠ او ٥٠٠٠ قدم ولكن منخفضات هذه الجبال ارفع من منخفضات جبال حمالايا . وهي قرعاء لا شجر فيها ولا انجم

ذبح الحيوانات

رأى البعض ان ذبح الحيوانات التي يؤكل لحمها يؤلمها واذا كان لا بدَّ من ذبحها فالشفقة تقتضي ان تذبح على اسلوب لا يؤلمها وعيَّنوا الجوائز لمن يستنبط طريقة لقتل الحيوانات من غير الم . فاعتمدت المانيا على قتل الحيوانات الكبيرة برصاصة تطلق عليها من فرد فتميتها حالاً من غير الم والفرنسويون على مسمار يربط على رأس الحيوان ويضرب بمطرقة فيخرق رأسهُ الى الدماغ ويميت الحيوان في لحظة من غير الم والاسبانيون على قطع الحبل الشوكي برمح او خنجر . وغيرهم على غير ذلك من الوسائل لكي لا يتألم الحيوان حين قتله

السليت Cellit

لا يخفى ان السلولويد يشبه العاج ويمكن تلوينهُ بالوان مختلفة وهو يسبك ويخرط ويلوى ويفعل بهِ كل ما يراد وعيبهُ الوحيد انهُ يشتعل ويلتهب بسرعة وقد حاول كثيرون عمل سلولويد لا يشتعل فنجحوا ولكن السلولويد الذي صنعوهُ لا يذوب الأ في الكلوروفورم فعملهُ مضر بصحة العمال والآن اكتشف نوع من السلولويد يذوب في الكافور وفي الاثير الخليك وغيرهما من المذوبات التي لا تضر بصحة العمال وهو شفاف تماماً لين كالجلد لا ينقصف ولا يؤثر فيهِ الماء ولكن مزيتهُ الكبرى انهُ لا يشتعل . وقد أُطلق عليهِ اسم السليت ففيهِ كل مزايا الزجاج والجلاتين والسلولويد والجلد والصمغ الهندي وهو المادة الوحيدة الجامعة بين شفافية الزجاج وليونة الجلد . وقد شرع الصناع يصنعون منهُ مواد كثيرة جداً

نسف الالغام عن بعد

يقال ان تلميذاً في مدرسة بطرس برج الكهربائية الصناعية اكتشف طريقة لنسف الالغام بالكهربائية من غير سلك ولتسيير الطرابيد ونسفها ايضاً فاذا صح ذلك تغير نظام الحروب البحرية

فهرس الجزء العاشر من المجلد الثالث والثلاثين

٨٠٩ سكة الحجاز (مصوَّرة)
٨١٣ الثورة العثمانية
٨١٧ المجمع الروماني زمن القياصرة . لصموئيل افندي بني
٨٢٤ الراهن والواهن في المادية . لانيس افندي الخوري
٨٣٢ تجارة مصر منذ مئة عام
٨٣٦ اختراق افريقية
٨٤٣ معجم الحيوان (مصوَّرة) . للدكتور امين معلوف
٨٤٨ السوريون في زمن الفتح
٨٥٠ الطيران والمراكب الطيارة
٨٥٥ طيارة رين وسهولة الطيران
٨٥٧ حركات النبات
٨٦٣ اسباب الاحتلال البريطاني

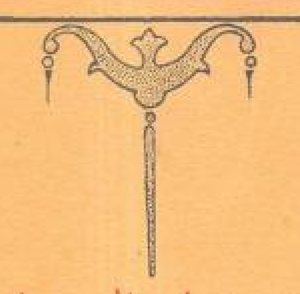
---

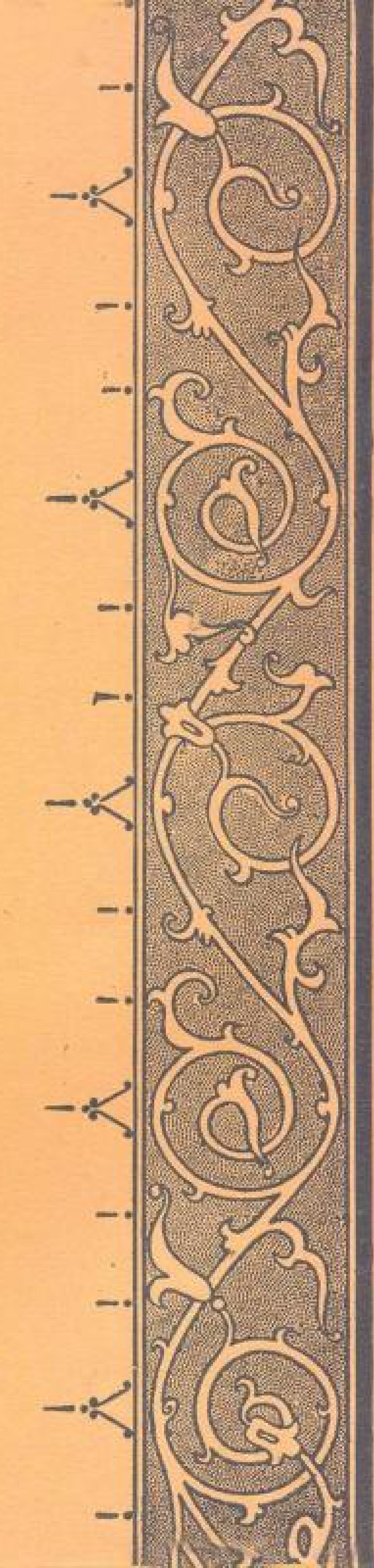
٨٦٧ باب التقريظ والانتقاد * جغرافية الشريف الادريسي
٨٧٦ باب المراسلة والمناظرة * عبرة وذكرى . كتاب المصابيح . ما الذي اتى به داروِن
٨٨٠ باب الزراعة * الزراعة المصرية . الري في العراق (مصوَّرة)
٨٠٩ باب المسائل * حقيقة السحر . المندل . اختلاف الوقت . شركة السوكرتاه . سقوط ثمر المخبو . جنين البيضة
٨٩٣ باب الاخبار العلمية * وفيه ٩ نبذ

رواية فتاة الفيوم ملحقة بالمقتطف



المقتطف





مستقبل العمران

الحب : لادلر

العلم : لهكسلي

التعليم : لولز

الاسرة : لرسل

الاقتصاد : لتشايس

رجال الشهر

غازوردي ، غاندي ، سايس ، صديق بك

الازمة الاقتصادية

واشتباك المصالح الدولية

المقتطف

الجزء الحادي عشر من المجلد الثالث والثلاثين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٧ شوال سنة ١٣٢٦

دولة آل عثمان

سألنا غير واحد من قرَّاء المقتطف ان ننشر لهم تاريخاً مختصرًا لدولة آل عثمان نلمُّ فيهِ بالامور الرئيسة في تاريخهم من حين منشإهم الى الآن مما يمكن ادماجهُ في مقالة او بضع مقالات فرأينا ان اجابة طلبهم قد صارت الآن في حيز الامكان بعد ان استتبت الحريَّة للمطبوعات في الممالك العثمانيَّة وسنقتصر على ذكر الاخبار والحوادث بعد تمحيصها معتمدين على بعض التواريخ الموثوق بها

لما ضعف شأن الممالك الاسلامية في اواسط القرن الثالث عشر قبل قيام صلاح الدين الايوبي وجعلت قبائل التركمان تهاجر من تركستان غرباً هرباً من وجه المغول وطمعاً بالاستيلاء على ما ضعف شأنهُ من بلاد الاتراك السلاجقة هاجر امير من امرائهم اسمهُ سليمان شاه ومعهُ نحو خمسين الفاً من التركمان وكان ذلك حوالي سنة ١٢٢٤ للميلاد او ٦٢١ للهجرة فوصل الى حلب بطريق اذربيجان ثم اراد العودة الى بلادهِ فغرق في الفرات ودفن في جوار قلعة جعبر ويسمَّى المكان الذي دفن فيهِ ترك مزاري اي مزار الترك فرجع اثنان من اولادهِ الى بلادهم بكثير من رجالهِ وكان لهُ ولد آخر اسمهُ ارطغرل فسار باربع مئة فارس من عشيرتهِ الى جهة الاناضول ويقال انهُ رأى في طريقهِ جنود السلطان علاء الدين السلجوقي صاحب قونية تقاتل التتار فانضمَّ اليهم وقاتل معهم فانهزم التتار من وجههم فسرَّ السلطان علاء الدين بهِ واقطعهُ بلادًا خصيبة على تخوم بلاد الروم وهناك ولد لهُ ولدهُ عثمان او عثمان الذي سميت منهُ الدولة العثمانية والامة العثمانيَّة وكانت ولادتهُ سنة ١٢٥٨

وتوفي ارطغرل سنة ١٢٨١ وخلفهُ ولدهُ عثمان فحارب الروم واخذ منهم بلادًا كثيرة

فسرَّ بهِ سلطان السلاجقة وارسل اليهِ لواء ابيض اعلاماً بامارتهِ ولقبهُ عثمان الغازي

وانقرضت الدولة السلجوقية في اول القرن الرابع عشر فانقسمت بلادها الى عشر امارات وكانت امارة عثمان واحدة منها فاستقلَّ فيها وضرب السكة باسمهِ وتابع الغارات على حدود مملكة الروم واستولى على برصى ونيقوميدية ونيقية ٠ وخلفهُ ابنهُ أُرخان الغازي سنة ١٣٢٦ وجعل برصى عاصمة مملكتهِ وقلَّد اخاهُ علاء الدين باشا منصب الوزارة وارسل ولدهُ الاكبر سليمان باشا الى الروملي فاستولى على غاليبولي وأُطلق على رجالهِ اسم العثمانيين نسبة الى والدهِ عثمان الاول ٠ والسلطان ارخان هو اول مَن نظم مملكة آل عثمان في غربي اسيا واقطع قواد جيشهِ الاقطاعات . وقسم بلادهُ اولاً الى سنجقين ثم الى ثلاثة لكي يعبي كل سنجق جيشاً للذود عن البلاد

واقتصر ارطغرل وعثمان الاول على استخدام فرسان الاتراك وكانا يجمعان المشاة وقت الحاجة اليهم لاجل الحصار ومناوشة الاعداء ثم يصرفانهم وقت الاستغناء عنهم فرأى السلطان ارخان ان ذلك غير وافٍ بالغرض فنظم جيوش المشاة او البيادة وقطع لهم الرواتب وقسمهم الى عشرات ومئات والوف جارياً في ذلك مجرى الروم في تنظيم جنودهم وكانوا اولاً من اولاد الاتراك ثم ابدلهم باولاد الروم بمشورة الوزير قره خليل لكي لا يكون لهم عصبيَّة فكثر عددهم حالاً لان النصارى رأوا ان لا ناصر لهم من ملوك الروم وكانوا يكرهون اللاتين فاختاروا خدمة الاتراك وجعل ابناؤهم يتطوعون للخدمة في الجيش العثماني من تلقاء انفسهم او باشارة والديهم ٠ والبسهم الحاج بكطاش واضع الطريقة البكطاشية قبعات من الجلد وسماهم بالانكشارية وهي بالتركية يكي چاري اي الجيش الجديد

ونظم السلطان ارخان فرقاً من الفرسان اضافهم الى الانكشاريَّة وقسموا اولاً الى قسمين الصباحية او الفرسان والسلحداريَّة او المناوشة وهم ايضاً من اولاد النصارى وامرائهم ٠ ولم يكن السلطان ارخان اكبر اولاد السلطان عثمان بل كان اخوهُ علاء الدين اكبر منهُ لكن علاء الدين كان من رجال العلم فلا يصلح لامتشاق الحسام وتوسيع نطاق الملك كاخيهِ ارخان ولذلك اوصى عثمان بالملك لارخان وبتدبيرهِ لعلاء الدين فجعلهُ وزيراً لاخيهِ وبذلك ابطل نظام الوراثة للبكر من الاولاد

ولما كان نجم الدولة العثمانية آخذاً في الاشراق وعلمها في الانتشار كان الصقالبة قد اخذوا في الاعتداء على حدود مملكة الروم من جهة الشرق واستولى ملك السرب على شبه جزيرة البلقان وجعل همهُ حماية البسفور من آل عثمان فاستعان ملك الروم بالعثمانيين

عليهِ فغلبوا السرب سنة ١٣٥٣ وخرج رؤساء السرب والالبانيين على ملك الروم فاستعان بالسلطان ارخان سنة ١٣٥٦ فارسل ابنهُ سليمان لنجدتهِ فعبر البحر على الارماث بثمانين من جنودهِ وامر بعض الزوارق وعبر بها جيشهُ واستولى على غاليبولي في السنة التالية كما تقدم وكان ذلك بداءة فتح العثمانيين في اوربا فافتداها الامبراطور يوحنا السادس بابنتهِ اعطاها زوجةً لارخان ومات الامير سليمان في زمن ابيهِ ودفن في ساحل اوربا تخلفهُ في ولاية العهد اخوهُ مراد وتوفي السلطان ارخان سنة ١٣٦٠ ودفن في مدينة برصى

وزار الشيخ شرف الدين ابن بطوطة الرحالة المشهورة مدينة برصى في عهد السلطان ارخان ووصف ممالك الاتراك واحوالهم المعاشية وصفاً نرى في ايرادهِ اكبر فائدة للباحثين في تاريخ المملكة العثمانية قال في وصف السلطان ارخان "هو السلطان اختيار الدين ارخان بك ابن السلطان عثمان جوق وتفسيرهُ بالتركية الصغير. وهذا السلطان اكبر ملوك التركمان واكثرهم مالاً وبلاداً وعسكراً لهُ من الحصون ما يقارب مئة حصن وهو في اكثر اوقاتهِ لا يزال يطوف عليها ويقيم بكل حصن منها اياماً لاصلاح شؤونهِ وتفقد حالهِ ويقال انهُ لم يقم قط شهراً كاملاً ببلد ويقاتل الكفار ويحاصرهم ووالدهُ هو الذي استفتح مدينة برصى من ايدي الروم وقبرهُ بمسجدها وكان مسجدها كنيسة للنصارى ويقال انهُ حاصر مدينة يزنيك نحو عشرين سنة ومات قبل فتحها فحاصرها ولدهُ هذا الذي ذكرناهُ اثنتي عشرة سنة وافتتحها وبها كان لقائي لهُ وبعث اليَّ بدراهم كثيرة"

وفي رحلة ابن بطوطة امور كثيرة نشير اليها استطراداً لعلاقتها بتاريخ آل عثمان من ذلك انهُ كان ينزل غالباً في زوايا الاخية وهو مرتحل في تلك البلاد وهم دراويش كالرهبان يكرمون الضيف ويقومون على خدمتهِ. قال في كلامهِ على مدينة بولي "ودخلنا المدينة فقصدنا زاوية احد الفتيان الاخية ومن عوائدهم انهم لا تزال النار موقدة في زواياهم ايام الشتاء ابداً يجعلون في كل ركن من اركان الزاوية موقداً للنار ويصنعون لها منافس يصعد منها الدخان ولا يؤذي الزاوية ويسمونها البخاري واحدها بخيري. قال ابن جزى وقد احسن صفي الدين ابن العزيز بن سرايا الحلي في قولهِ في التورية وتذكرتهِ بذكر البخيري

ان البخيريَّ مذ فارقتموهُ غدا يحثو الرماد على كانونهِ الترِبِ
لو شئتمُ انهُ يمسي ابا لهبٍ جاءت بغالكم حمالة الحطبِ

فلما دخلنا الزاوية وجدنا النار موقدة فنزعت ثيابي ولبست ثياباً سواها واصطليت بالنار

واني الاخي بالطعام والفاكهة واكثر من ذلك فللهِ درهم من طائفة ما اكرم نفوسهم واشد ايثارهم واعظم شفقتهم على الغريب والطفهم بالوارد واحبهم فيهِ واجملهم احتفالاً بامرهِ فليس قدوم الانسان الغريب عليهم الا كقدومهِ على احب اهلهِ اليهِ . وبتنا تلك الليلة بحالة رضية ثم رحلنا بالغداة فوصلنا الى مدينة كردي بولي وهي مدينة كبيرة في بسيط من الارض حسنة متسعة الشوارع والاسواق من اشد البلاد برداً وهي محلاَّت متفرقة كل محلة تسكنها طائفة لا يخالطهم غيرهم وسلطانها السلطان شاه بك من متوسطي سلاطين هذه البلاد حسن الصورة والسيرة جميل الخلق قليل العطاء . صلينا بهذه المدينة صلاة الجمعة ونزلنا بزاوية منها ولقيت بها الخطيب الفقيه شمس الدين الدمشقي الحنبلي وهو من مستوطنيها منذ سنين ولهُ بها اولاد وهو فقيه هذا السلطان وخطيبهُ ومسموع الكلام عندهُ ودخل علينا هذا الفقيه بالزاوية فاعلمنا ان السلطان قد جاء لزيارتنا فشكرتهُ على فعلهِ واستقبلتُ السلطان فسلمتُ عليهِ وجلس فسألني عن حالي وعن مقدمي وعمن لقيتهُ من السلاطين فاخبرتهُ بذلك كلهِ واقام ساعةً ثم انصرف وبعث بدابة مسرجة وكسوة . وانصرفنا الى مدينة برلو وهي مدينة صغيرة على تل تحتها خندق ولها قلعة باعلى شاهق نزلنا منها بمدرسة فيها حسنة وكان الحاج الذي سافر معنا (وهو الذي كان يترجم لابن بطوطة) يعرف مدرّسها وطلبتها ويحضر معهم الدرس وهو على علاتهِ من الطلبة حنفي المذهب ودعانا امير هذه البلدة وهو علي بك ابن السلطان المكرم سليمان بادشاه ملك قسطمونية وسنذكرهُ فصعدنا اليهِ الى القلعة فسلمنا عليهِ فرحَّب بنا واكرمنا وسألني عن اسفاري وحالي فاجبتهُ عن ذلك واجلسني الى جانبهِ وحضر قاضيهِ وكاتبهُ الحاج علاء الدين محمد وهو من كبار الكتّاب وحضر الطعام فاكلنا ثم قرأ القراء باصوات مبكية والحان عجيبة وانصرفنا وسافرنا بالغد الى مدينة قسطمونية وهي من اعظم المدن واحسنها كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار

ثم ذكر سلطانها فقال

هو السلطان المكرم سليمان بادشاه وهو كبير السن ينيف على سبعين سنة حسن الوجه طويل اللحية صاحب وقار وهيبة يجالسهُ الفقهاء والعلماء دخلت عليهِ بمجلسهِ فاجلسني الى جانبهِ وسألني عن حالي ومقدمي وعن الحرمين الشريفين ومصر والشام فاجبتهُ وامر بانزالي على قرب منهُ واعطاني ذلك اليوم فرساً عتيقاً قرطامي اللون وكسوة وعيَّن لي نفقةً وعلفاً وامر لي بعد ذلك بقمح وشعير

وسافر من هناك بحرًا قاصداً بلاد القرم ودخل مدناً كثيرة من مدن الترك وقال انهُ

رأى في قيسارية مدينة الماجر يهودياً سلّم عليهِ بالعربي فسأَلهُ عن بلادهِ فذكر انهُ من بلاد الاندلس وانهُ اتى على طريق القسطنطينيَّة العظمى و بلاد الروم وبلاد الجركس وذكر ان عهدهُ بالاندلس منذ اربعة اشهر

ثم قال ورأيت بهذه البلاد عجباً من تعظيم النساء عندهم وهنَّ اعلى شأناً من الرجال — فاما نساء الامراء فكانت اول رؤيتي لهنَّ عند خروجي من القرم رؤية الخاتون زوجة الامير سلطية في عربة لها وكلها مجللة بالملف الازرق الطيب وطيقان البيت مفتوحة و بين يديها اربع جوارٍ فائقات الحسن بديعات اللباس وخلفها جملة من العربات فيها جوارٍ يتبعنها ولما قربت من منزل الامير نزلت عن العربة الى الارض ونزل معها نحو ثلاثين من الجواري يرفعنَ اذيالها ولاثوابها عرى تأخذ كل جارية بعروة و يرفعنَ الاذيال عن الارض من كل جانب ومشت كذلك متبخترة فلما وصلت الى الامير قام اليها وسلّم عليها واجلسها الى جانبهِ ودار بها جواريها وعلى هذا الترتيب نساء الامراء واما نساء الباعة والسوقة فرأيتهنَّ واحداهنَّ تكون في العربة والخيل تجرها وبين يديها الثلاث والاربع من الجواري يرفعنَ اذيالها وفوق رأسها البغطاق وهو اقروف مرصع بالجوهر وفي اعلاهُ ريش الطواويس وتكون طيقان البيت مفتحة وهي بادية الوجه لان نساء الاتراك لا يحتجبنَ . وتأتي احداهنَّ على هذا الترتيب ومعها عبيدها بالغنم واللبن فتبيعهُ وربما كان مع المرأة منهنَّ زوجها فيظنهُ من يراهُ بعض خدامها

ثم ذكر سلطان تلك البلاد وقال " ان اسمهُ محمد اوز بك خان ومعنى خان عندهم السلطان . وهذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة كبير الشان رفيع المكان قاهر لاعداء الله اهل قسطنطينية العظمى مجتهد في جهادهم وبلادهُ متسعة ومدنهُ كثيرة منها الكفا والقرم والماجر وازاق وسرداق وخوارزم وحاضرتهُ اسرا وهو احد الملوك السبعة الذين هم كبراء ملوك الدنيا وعظماؤُها وهم مولانا امير المؤمنين ظل الله في ارضهِ امام الطائفة المنصورة الذين لا يزالون ظاهرين على الحق الى قيام الساعة ايد الله امرهُ واعز نصرهُ وسلطان مصر والشام وسلطان العراق والسلطان اوزبك هذا وسلطان بلاد تركستان وما وراء النهر وسلطان الهند وسلطان الصين

" ومن عادة هذا السلطان ان يجلس يوم الجمعة بعد الصلاة في قبة تسمى قبة الذهب مزينة بديعة وهي من قضبان خشب مكسو بصفائح الذهب في وسطها سرير من خشب مكسوٌ بصفائح الفضة المذهبة وقوائمهُ فضة خالصة ورؤُوسها مرصعة بالجواهر و يقعد السلطان على

السرير وعلى يمينهِ الخاتون طيطغلي وتليها الخاتون كبوك وعلى يسارهِ الخاتون بيلون وتليها الخاتون اردجي ويقف اسفل السرير عن اليمين ولد السلطان تين بك وعن الشمال ولدهُ الثاني جان بك وتجلس بين يديهِ ابنتهُ ابت كجك واذا اتت احدى نسائهِ قام لها السلطان واخذ بيدها حتى تصعد على السرير واما طيطغلي وهي الملكة واحظاهنَّ عندهُ فانهُ يستقبلها الى باب القبة فيسلم عليها ويأخذ بيدها فاذا صعدت على السرير وجلست حينئذٍ يجلس السلطان وهذا كلهُ على اعين الناس دون احتجاب ويأتي بعد ذلك كبار الامراء فتنصب لهم كراسيهم على اليمين والشمال "

ووصف هؤلاء الزوجات واحدة واحدة وقال في وصف الثالثة واسمها بيلون انها بنت ملك القسطنطينية العظمى السلطان تكفور وانهُ زارها فرآها قاعدة على سرير مرصع وبين يديها نحو مئة جارية روميات وتركيات ونوبيات والحجاب بين يديها من رجال الروم فسألت عن حاله ومقدمهِ وبعد وطنهِ وامرت بالطعام فحضر واكل بين يديها. قال " ولما اردنا الانصراف قالت لا تنقطعوا عنا وترددوا الينا وطالعونا بحوائجكم واظهرت مكارم الاخلاق وبعثت في اثرنا بطعام وخبز كثير وسمن وغنم ودراهم وكسوة وثلاثة من جياد الخيل وعشرة من سائرها ومع هذه الخاتون كان سفري الى القسطنطينية العظمى كما نذكرهُ بعد "

وكان سفر ابن بطوطة الى بلاد الترك وبلاد الروم سنة ٧٣٢ للهجرة اوسنة ١٣٣١ للميلاد اي في السنة السادسة من ولاية السلطان ارخان فما رآهُ بعينهِ ووصفهُ في رحلتهِ يصح الاعتماد عليهِ كاصدق وصف لتلك البلاد وسكانها في ذلك الحين وقد قال " ان بلاد الروم احسن اقاليم الدنيا وقد جمع الله فيهِ ما تفرق من المحاسن في البلاد فاهلهُ اجمل الناس صوراً وانظفهم ملابس واطيبهم مطاعم واكثر خلق الله شفقة ولذلك يقال البركة في الشام والشفقة في الروم وانما عني بهِ اهل هذه البلاد وكنا متى نزلنا بهذه البلاد زاوية او داراً يتفقد احوالنا جيراننا من الرجال والنساء وهنَّ لا يحتجبن فاذا سافرنا عنهم ودعونا كانهم اقاربنا واهلنا وترى النساء باكيات لفراقنا ومن عادتهم في تلك البلاد ان يخبزوا الخبز في يوم واحد من الجمعة يعدون فيه ما يقوتهم سائرها فكان رجالهم يأتون الينا بالخبز الحار في يوم خبزهِ ومعهُ الادام الطيب اطرافاً لنا بذلك ويقولون لنا ان النساء بعثن هذا اليكم وهن يطلبن منكم الدعاء. وجميع اهل هذه البلاد على مذهب الامام ابي حنيفة رضي الله عنهُ "

وواضح مما تقدم ان الاتفاق كان تاماً بين الروم الذين بقوا على النصرانية والروم الذين

دانوا بالاسلام والاتراك الذين نزلوا بلادهم يساكن بعضهم بعضاً ويتزوج بعضهم من بعض لا يفرق الدين بينهم وان العادات الرومية كانت متغلبة الى ذلك العهد فيجلس السلطان على عرشهِ وتجلس زوجتهُ معهُ كما يفعل ملوك اوربا الآن وقد رأى ابن بطوطه ذلك بعينهِ واستغربهُ وخصهُ بالذكر ولكنهُ لم يسخر بهِ مع انهُ كان شديد التنطع كما يظهر من تسميتهِ المسيحيين بالكفار وباعداء الله

وواضح ايضاً مما تقدم ان السلطان ارخان كان حينئذٍ اميرًا من امراء تلك البلاد وليس من اعظمهم لكنهُ عمَّر طويلاً فانهُ توفي سنة ١٣٦٠ للميلاد اي بعد نحو ثلاثين سنة من مشاهدة ابن بطوطة لهُ فلا يبعد ان يكون قد فتح بلاداً كثيرة واتسعت مملكتهُ في زمانهِ . وسنأتي على ذكر من خلفهُ من سلاطين آل عثمان واحداً واحداً ونتوخى ذكر ما قالهُ عنهم المؤرخون المعاصرون لهم ونقتصر على الامور الكلية

البلغار

حدث في الشهر الماضي ان بلاد البلغار اعلنت استقلالها عن الممالك العثمانية وقد كانت امارة مستقلة في ادارتها ليس للدولة العلية عليها الاّ السيادة الاسمية . والظاهر انها كانت تطمع في توسيع تخومها فلما رأت ان الشعب العثماني استيقظ ولم يعد في الامكان ان يُنال منهُ شيءٌ اكتفت بما لها واعلنت استقلالها لتضع حدًّا بينها وبين سائر البلاد العثمانية .

وبلاد البلغار بين نهر الدنيوب وجبال البلقان مساحتها ٢٤٦٩٩ ميلاً مربعاً ومساحة الروملي الشرقية المضافة اليها ١٣٨٦١ ميلاً وكان عدد سكانهما منذ ثلاث سنوات اربعة ملايين و ٣٦ الفاً ثلاثة ارباعهم من الروم الارثوذكس والخمس من المسلمين والباقون من الكاثوليك واليهود . وعاصمتها مدينة صوفية سكانها ٨٢٦٢١ نفساً . وقد قدِّر دخل الحكومة هذا العام ١٢٧٢٣٥٧٠٠ فرنكاً ونفقاتها كذلك وتبلغ قيمة صادراتها نحو ١١٥ مليون فرنك وقيمة وارداتها نحو ١٠٨ ملايين فرنك

وكان فيها منذ سنتين ٤٥٨٤ مدرسة ابتدائية فيها من التلامذة مئتان وخمسون الفاً من الصبيان ومئة وخمسون الفاً من البنات وفيها عدا ذلك ٣٨٥ مدرسة عالية تحوي نحو ٢٧ الفاً من الذكور ونحو ١٧ الفاً من الاناث والتعليم فيها الزامي بين السنة الثامنة والثانية عشرة ثم يصير حرًّا . ويظهر لنا مما قرأناهُ عنها ومما سمعناهُ من بعض رجالها الذين التقينا

بهم انها جارية في سبيل الارتقاء جريًا حثيثًا بهمّة شديدة وعزيمة ماضية

وقد كانت هذه البلاد جزءًا من ممالك الدولة العلية ففصلت عنها بمعاهدة برلين سنة ١٨٧٨ بعد الحرب العثمانية الروسية كما سيجيء

واصل سكانها من بلاد الروس نزلوا من ضفاف الفلكا حيث كانت مدينة بلغار عاصمتهم وقطعوا نهر الدانيوب في القرن السادس وتوطنوا في الجانب الشرقي من جزيرة البلقان وغلبوا اهلها الصقالبة الذين سبقوهم اليها ولكنهم اقتبسوا لغتهم وعاداتهم وامتزجوا بهم · وتنصَّر اميرهم سنة ٨٤٦ وحاربوا المجر واليونان في القرن التاسع والعاشر وانتصروا عليهم فبلغوا اوج مجدهم حينئذٍ وتلقب اميرهم بلقب القيصر وكانت مملكتهُ تشمل مكدونية وتساليا والبانيا وابيروس · وسنة ٩٧٦ لقب قيصرهم نفسهُ امبراطور الصقالبة ولكن لم يطل الزمن حتى انفصلت بلغاريا الشرقية عن الغربية وانضمت الى مملكة الروم ثم تبعتها بلغاريا الغربية · وجاهرتا بالعصيان بعد ذلك واستقلتا وعادتا مملكة واحدة تناوئ مملكة الروم وظلت كذلك الى ان دخل العثمانيون اوربا واستولوا على ترنوفو عاصمة البلغار سنة ١٣٩٣ ومن ثم ضعف شأن البلغاريين ومرَّت السنون وهم يزيدون ضعفًا وانحطاطًا الى ان انشئت المدارس في بلادهم في اواسط القرن الماضي فاستيقظوا من سباتهم · والظاهر ان حكامهم والجنود غير المنظمة التي كانت في بلادهم عاملوهم بالقسوة فحدثت "الفظائع البلغارية" وكلنا يعلم ان الحكومة الماضية كانت تجور على رعاياها وتعاملهم بالعنف والقسوة واذا رفعوا رؤوسهم لجأت الى سياسة الحجاج سياسة السيف كما فعلت في بلاد الشام سنة ١٨٦٠ فكانت نتيجة ماحدث في البلغار ان شهرت روسيا الحرب على الدولة العلية بحجة حمايتها لنصارى المشرق وانتهت الحرب بمعاهدة برلين واستقلال البلغار استقلالاً اداريًا تحت سيادة الباب العالي وابيح للبلغاريين ان ينتخبوا اميرهم فيثبتهُ السلطان بموافقة الدول الاوربيَّة

والامير الحالي الامير فرديننd هو اصغر اولاد البرنس اغسطس امير سكس كوبرج وغوثا ولد سنة ١٨٦١ وقد انتخب اميرًا للبلغار سنة ١٨٨٧ ولم تصادق الدولة العلية على انتخابهِ الاَّ سنة ١٨٩٦

والمرجع الآن ان الدولة العلية تعترف باستقلال البلغار ان كانت البلغار تدفع اليها ما يوازي الجزية التي كانت تتقاضاها منها عنها وعن الروملي الشرقية وتدفع اليها ايضًا قيمة السكة الحديديَّة الممتدة في الروملي الشرقية فلا تكون الدولة قد خرجت بصفقة المغبون وانما تكون قد فقدت سيادة اسميَّة لا غير

الاحتفال بالدستور

لقد كان لاعلان الدستور في البلاد العثمانية اعظم وقع في نفوس العثمانيين فعقدوا لهُ حفلات باهرة في بلادهم وفي كل البلدان التي هاجروا اليها تُلي فيها من الخطب والقصائد ما لو جُمع لملأ مجلدات كثيرة . وقد اخترنا من ذلك خطبة وقصيدة رأيناهما من ادل ما انشئ في وصف الحالة الحاضرة . والخطبة وموضوعها " نحن والدستور " لحضرة الاستاذ جبر ضومط من اساتذة المدرسة الكلية الاميركية في بيروت والقصيدة وموضوعها " وليس يفرقنا دين ولا نسبُ " لعزتلو افندم سعيد بك شقير مدير عموم حسابات السودان

نحن والدستور

كنا منذ بضعة اسابيع بل منذ اقلَّ من ذلك يناجي احدنا نفسهُ ولا اقول اصدقاءهُ بسوء ما صرنا اليهِ ويخافُ على نفسهِ مغبَّة تلك المناجاة . يخاف ان يبدو على وجههِ شيء من امارات ما يجول في خاطرهِ فيؤخذ بتبعة ذلك الخاطر ويُساق الى السجن او المنفى . وان كان ممن يؤبهُ لهُ فربما سيق الى القتل او الكورك ومَن يجسرُ ان يدفعَ او يقولَ رفقاً . وربما كان عقاب الشافع او طالب الرفق اشد من عقاب المتهم

منذ بضعة اسابيع كان كثيرون من اعيان العثمانيين واشدهم محبة واخلاصاً في رفع شأن العثمانية يخاف ان تفلت من صدرهِ زفرةٌ او باغتهُ تنهُّد فينقل عنهُ خبر تلك الزفرة او ذلك التنهد جاسوس عليهِ من المتظاهرين بصداقتهِ او ممن هم في خدمتهِ بل ربما نقل عنهُ الخبر احد بنيهِ او امرأتهُ وهناك الطامة الكبرى والبليَّة العظمى

منذ بضعة اسابيع ايها السادة كان تألُّم المتألم منا سرًّا على ما وصلت اليهِ العثمانية وعلى ما صار اليهِ العثمانيون ذنباً من اكبر الذنوب وكان احدنا يخاف ان بعض اهل الشرّ والنذالة يدسُّ في بيتهِ او بين كتبهِ كتاباً او بعض وريقاتٍ بصورة كتاب الى احدهم او مقالةٍ لجريدة فكان ذلك يكفي لان يُحسب من اكبر المجرمين والخونة المارقين ولو كان صدرهُ يغلي بحب العثمانية والعثمانيين

وخلاصة ما يقال أنا كنا منذ بضعة اسابيع والظلمة تغشانا والمخاوف تتهدد كل عثماني حرّ منا تزيه في نفسهِ صادق في عثمانيتهِ مخلص لامتهِ . واريد بالاخلاص الاخلاص الحقيقيَّ المبنيَّ على العلم والحكمة والامانة لا هذا الاخلاص المدَّعى زوراً المنافق فيهِ بهتاناً

الذي كان كثيرون يضمونهُ على وجوههم السمجة والسنتهم الكاذبة

كنا منذ بضعة اسابيع والصدور ضائقة بما فيها والنفوس واجمة من هول ما ترى من موقفها والعقلاء النزهاء لا يدرون ماذا يصنعون ولا ماذا يقولون وكأَنما أُطبقت عليهم السماء وسدَّت عليهم منها منافذ الرحمة او ضغطت عليهم الارض حتى رضتهم رضًّا فالصقتهم بالتراب او دفعتهم الى مخارم الجبال وبطون الغيران وظلمات الكهوف وقد حصرت صدورهم وساءت او كادت ظنونهم تسيء بالعناية الالهية . بينما نحن في هذه الظلمة المدلهمة وفي حال من اليأْس والقنوط ما شهدنا مثلها ولا اباؤُنا الاولون سطع علينا بغتة نور القانون الاساسي فاشرقت على آثارهِ شمس الحريَّة الشخصيَّة والحريَّة القوميَّة والحريَّة الفكرية الادبيَّة

ما بين غفلة عين وانتباهتها يغير الله من حال الى حال

واذا عظمت النعمة فليس بإزائها الاَّ الشكر . فالشكر لله ثمَّ الشكر لهُ . وبعد الشكر لله لا يسعنا الاغضاء عمَّا فعلهُ امراء جنديتنا العثمانية البواسل نيازي وانور والوف امثالهم وكلهم في الشرف والهمة والاستبسال في سبيل العثمانية نيازي وانور

وبعدُ فموضوعي مؤلف من كلمتين الاولى منهما "نحن" والثانية "الدستور" ولا بدَّ لي من تحديد ما يراد بهاتين اللفظين وابدأُ بلفظة الدستور اولاً واعني كل دستورٍ عمومًا ودستورنا العثمانيَّ خصوصًا

ما هو الدستور ؟ هو القوانين المسنونة وفقًا للاختبار والحكمة ليعامل بموجبها افراد الامة اسعادًا لهم من حيث هم افراد واسعادًا وتعزيزًا لهم من حيث هم امة اي مجموع افراد . وللافراد كل الحق والحريَّة ان يتقاضوا المعاملة بموجب نص تلك القوانين صراحةً او ضمنًا وللامة ايضًا ملء الحق والحريَّة ان تحتاط لحفظ هذه القوانين وصيانة حرمتها ممَّن يتخوف منهُ الاعتداء عليها او اهمال العمل بها

هذا تحديد شبيه بتحديد المناطقة ولكنني لا اضمن انهُ جامع مانع كما اني لا اضمن ان يكون موافقًا تمام الموافقة لتحديد فلاسفة العمران او المتشرعين ولكنني اقول انهُ تحديد فيهِ من الصحة القدر الذي اريدهُ لبيان اهميَّة كل دستور وعظم قيمتهِ الحقيقية

على انهُ يجوز تعدد التعاريف اذا كان المعرَّف متَّسعًا كما هي الحال في الدستور لانهُ يجوز ان يكون الحد او التعريف صفةً من صفاتهِ او غاية من غاياتهِ كما يجوز ان يكون بيانًا لكيفيَّة حصولهِ والعوامل التي اثرت في كيانهِ تدريجًا وما أُنفق في سبيل ذلك من القوى المعنويَّة والماديَّة حتى بلغ ما بلغ اليهِ

الدستور ايها السادة هو نتيجة محاربات الخير والشر اجيالاً الله يعلم كم هي عدتها وبعبارة اخرى هو مجموع ما استفادته الانسانية من غلبات الخير على الشر في اثناء العراك الهائل الذي قام بينهما من اول عهد الانسان الى الآن هو نتيجة غلبات العدل على الجور والعقل على الحيوانية والعلم على الجهل في اثناء مئات من الاجيال هو ثمرة عقل كل عاقل في المجتمع الانساني وحكمة كل حكيم واستقامة كل مستقيم وصبر جميع هؤلاء على المجاهدة المستمرة مدى الحياة اثناء الاجيال التي غبرت . هو الغاية ومجموع النتائج التي حصلت من سيف استلَّ في نصرة العدل والحق والاستقامة منذ قام عادل وعارفٌ بالحق ومستقيم بين افراد الانسانية لحد هذه الساعة

الدستور العادل المرعي الاجراء عند كل امة متمدنة هو الغاية ومجموع النتائج التي حصلت من كل لسان تكلم بالحق انتصاراً للعدل واذلالاً للجور كما انهُ غاية ومجموع نتائج كل ما خطَّهُ يراع حكيمٍ عالمٍ وكاتب فاضلٍ انتصاراً للانسانية على الحيوانية وللعلم على الجهل والحكمة على السفاهة ولكل ما هو شريف وعادل على ما هو خسيس وجائر

بل الدستور العادل المرعيُّ الاجراء هو عند التحقيق مظهر لارادة الله في المجتمع العمراني واثر مما علَّم بهِ وجاهد لهُ الانبياء والمرسلون ومن اقتفى خطواتهم واهتدى بهديهم من العلماء الراسخين والاولياء الصالحين والوعاظ اهل الغيرة المتقين

ايها السادة هذا هو الدستور العادل على الاطلاق ودستورنا العثماني دستور خاصٌ يشتمل على كل ما يشتمل عليهِ دستور عام ويتناول كل ما قلناهُ عن الدستور العادل من الصفات والمقوّمات وزيادةٌ ايضاً شأن كل خاصٍ فانهُ يشتمل على العام وزيادة . وهذه الزيادة هي تعريض نفوس نحو من اربعمئة الف رجل من رجالنا العثمانيين للموت في حرب اهليَّة طاحنة . ولولا حكمة امراء هذا الجيش ومن نصرهم من خيرة اعيان العثمانيين بالرأي والمال . ولولا اقتناع جلالة مولانا السلطان بانَّ ما عُرِضَ من الطلب على جلالتهِ بواسطة جنديتنا الباسلة انما هو صوت الامة — لولا ذلك كلهِ لكانت الدماء الآن تسيل انهاراً والاموال تُنفق جزافاً في سبيل الحصول على هذا الدستور

فهذا هو دستورنا العثماني الذي احرزتهُ لنا سيوف اجنادنا العثمانيين بمعاضدة احرارنا المجددين من امراء ووزراء وقادة جند باسل وعلماء اعلام وفقهاء عظام واهل حلٍّ وعقد من اعيان الامة ووجهائها في سائر انحاء المملكة فانهم كلهم رضوا بهِ وحلفوا الايمان الرهيبة على مراعاتهِ والاحتفاظ بهِ كما يحتفظون باموالهم واعراضهم وانفسهم وكلهم امضى على وجوب

الطاعة لهُ والعمل بهِ فاصبح من ثمَّ مجدَ الامة وقوتها وملك كل فرد من افرادها يتمتعون ببركاتهِ في حياتهم ويورثونهُ لمن يخلفهم من ابنائهم بعد مماتهم · فليحيَ هذا الدستور مجد الامة وحياتها وعزها وليحيَ القائمون بنصرتهِ والعاملون بهِ

ترون ايها السادة مما ذكرتهُ في بيان حقيقة الدستور أني لا أرى انَّ افراحنا بهِ هي صبيانيَّاتٌ تافهةٌ ولا احتفالاتنا ومظاهراتنا الخارجية تكرمةً لهُ ولحماتهِ تهوُّساتٌ ضارَّةٌ بل هي مهما بلغت مع القصدِ والحكمةِ قليلةٌ في جنبِ اهميتهِ ومقدار قيمتهِ . واي قيمةٍ اعظمُ من قيمة الحياة حياة الفكر والقول والعمل المشروع للفرد وحياة العزّ والقوة والتوازر والاستقلال والاستبسال للامة · فمن اراد الحياة فليقل ليحيَ الدستور العثماني والقائمون بهِ ومن اراد الموتَ موتَ الذلّ والصغار والاستعباد فلا رحمهُ الله وليمتْ هذا الشخص من بين جماعة العثمانيين الحرَّة

ايها الكرام فرغتُ الآن من الكلام على الدستور وهو احد كلمتَي موضوعي وبقي عليَّ الكلام على الكلمة الثانية منهُ وهي كلمة "نحن" فارجو ان تعيروني إصغاءكم في بيان المراد منها وما اليهِ فانَّ هذا البيان الثاني لا يقلُّ في الاهمية عن البيان الاول إنْ لم يكن اهمَّ منهُ

قلتُ ما محصَّلهُ انَّ دستورنا العثماني هو مجسمُ ارادة الامة العثمانية العادلة الخيّرة وهو ملك أفرادها اليوم وميراثُ ابنائها غداً . وقد نعتنا الارادة بالعادلة الخيرة والَّا فالاستبداد ارادةٌ وحكومة الظلم والجور والبغي ارادةٌ ايضاً · وارادة الامة العثمانية (وكل امةٍ) هي ارادة مجموع افرادها او من ينوب منابهم من المتبوعين واهل الجاه الذين يقولون عن اتباعهم ويقطعون من دون استشارتهم ومراجعتهم

لكن ربما يُستنتجُ من قولنا ان الدستور هو مجسَّمُ ارادة الامة ان قيامهُ او سقوطهُ متوقفان على ارادة الامة فاذا ارادت اقامتهُ قام اي روعيت احكامهُ وعُمل بها واذا ارادت اسقاطهُ سقط اي أُهملت احكامهُ وعُمل باحكام مناقضة لها . وظاهر هذا الاستنتاج صحيح ولكنهُ ظاهرٌ مموَّهٌ مشوبٌ بكدورةٍ من النظر الفاسد · والحقيقة هي ان قيام الدستور اي مراعاة احكامهِ والعمل بها دليلٌ على ان في الامة ارادة خيرة عادلة غالبة والدستور هو مجسم تلك الارادة . واما اذا سقط فلا يكون سقوطهُ دليلاً على ان الامة ارادت اسقاطهُ بل هو دليلٌ على ان الامة ميتة لا إرادة لها كأمة لا كافراد · وبعبارة اخرى لما كانت الامة هي مجموع الافراد كان لنا ان نقول ان قيام الدستور واستمرارهُ مرعيًّا دليلٌ على ان هذا المجموع حيٌّ مريد ارادة خيّرة عادلة اما سقوطهُ اي اهمال العمل بهِ فدليلٌ على ان

هذا المجموع (لا الجميع) ميتٌ جبناً او جهالةً كمجموع لا كافراد اذ لا تخلو الامة من افراد لهم ارادة خيرة تعضد الدستور العادل ولكنهم كثيرًا ما يكونون مضعوفين مغلوبين على ارادتهم كما كان الحال عليهِ بيننا منذ بضع سنتين بل منذ بضعة اشهر

ولنرجع الآن بعد هذا الاستطراد الى بيان المراد بكلمة " نحن " فمن نحن ؟ يجوز لي ان أعمم في الجواب وان أخصص فان عممت قلت نحن من العثمانيين الذين لهم ارادة وارادتهم جزءٌ من ارادة الامة العثمانية . وان خصصت قلت نحن جماعة اكثرهم من اللبنانيين قاموا باحياء هذه الليلة الزاهرة لتحيَّة الدستور والاقرار بالمنة علينا لحماتهِ من امراء جنديتنا البواسل . ومعظم هذه الاكثرية من قضاء الشوف وهم من اعيانهِ واهل الوجاهة فيهم ممن يجوز ان تمثل ارادتهم ارادة الاهلين كلهم او اكثرهم . لكن يا ترى اذا مثلت ارادة هولاء السراة الحاضرين الآن ارادة اكثر اهل قضاء الشوف فهل تمثل ارادة اللبنانيين كلهم . وهب انها مثلت ارادة كل اللبنانيين فهل تنطبق ارادتهم على الدستور العثماني الذي هو مجسم ارادة مجموع الامة العثمانية العادلة المقدسة

جائزٌ ان يكون الجواب من قبيل الجواز او من قبيل القطع بالحكم . اما انا فاقول ان ارادتكم ايها السراة العثمانيون التي تمثل ارادة اهل قضاء الشوف كلهم على الارجحية الغالبيَّة ولعلها ايضاً تمثل ارادة كل اهل لبنان لا تنطبق على ارادة الامة العادلة تمام الانطباق الواجب الأ مع الاخلاص . فان كنتم مخلصين في ارادتكم واتفاقكم المتبادل فارادتكم منطبقة على الدستور وهي جزءٌ من ارادة الامة . اما اذا لم يكن اخلاصٌ وكان هناك اهواء واغراضٌ ذاتيَّة خاصة فحسبكم ان مثل هذه الاغراض كانت فيما مضى سبباً لكل الويلات التي مرَّت بنا . الويلات التي لا نذكرها بل لا تمرُّ في خواطرنا الأ وتنقبض صدورنا اشد الانقباض من مجرد ذكرها بل من مجرد مرورها في البال مرور المسرع فانا اتقدم اليكم بالشرف العثماني و بشرف جنديتنا الباسلة ان تراجعوا ضمائركم وتتفطنوا لخفايا النفس وتفتشوا مخابيها فلعل هناك هوًى يلوّن الارادة حب الذات بلون محبة الامة والشرف ويصوّر لها الغرض الخاص بصورة الغرض العام والمصلحة الذاتية بصورة المصلحة القومية العمومية

ايها الوجهاء من كان منكم يحبُّ الظهورَ وبُعدَ الصيت — ولا عارٌ ولا غضاضةٌ على احد بسبب ذلك — فليراجع نفسهُ وشرفهُ العثماني قبل ان يجزم ارادتهُ بما هو في سبيلهِ من الوسائل التي تؤدي بهِ الى غايتهِ هذه فانَّ هذه المحبة قد تنقادُ للهوى والهوى في جانب الباطل دائماً وعلى عداء مع الدستور المقدَّس

ان المناصب في خدمة الامة على اختلاف انواعها وتفاوت درجات شرفها واهميتها جائزة لكلّ عثمانيٍ كفءٍ لها ومباحٌ لهُ طلبها والسعيُ في احرازها بل والتنافسُ في ذلك ايضاً الاّ انّ الشغفَ بالتربع في المناصبِ قد يُباينهُ الاخلاص احياناً كثيرة ويداخلهُ الهوى ولذلك ففيهِ ما فيهِ من الخطر الذي قد يسوق صاحبهُ الى الجري في خطة القوم السالفين خطة التزلف الى من في يدهم الامرُ والنهيُ والعزلُ والتنصيبُ. فمن كان يرغب في المناصب فليحاسب نفسهُ وليتقِ مغبة التزلف الى من انقذوا الامة من الحالة التي كانت فيها قبلاً الى الحالة الجيدة الشريفة التي هي عليها الآن. فما اوصلنا الى ما وصلنا اليهِ سابقاً الاّ اطماعٌ واغراضٌ وحبٌ وجاهةٍ وتفوّق في غير موضعها او في غير الحقّ تجرّت كلٌّ هذه او بعضها الى التزلف. والمتزلف قلّ ان يصوّر الامور الاّ في غير صورتها الحقيقية. فالاناة الاناة والاخلاصَ الاخلاصَ ايها العثمانيون والاّ شمت بنا الاعداء وكثيرٌ ما هم. اما والذي نفسي في يدهِ اني لأُفضّل ان تضربَ عنقي على انّ آتي ما فيهِ معرّةٌ او غضٌّ من شرف عثمانيتنا الجديدة فانها تجلَّت للملإ اجمع للصديق والعدوّ نقيَّةً من كل دنس ومن ثمَّ فاقلّ هفوةٍ منا نحن مريديها تظهر على بياضها النقي لطخةً سوداء شائنة يتألم لها قلب المحب وتصغرُ نفسهُ ويطير لها فرحاً قلبُ العدوّ وتندفع نفسهُ الخبيثة للتشنيع والمذمة ويطلّ راسهُ كبراً بعد ان كان اخنسهُ صغاراً وجبناً — ومع اني اشعرُ هذا الشعور وانا صادق فيهِ نظير كلّ واحدٍ منكم — مع ذلك لا آمن من بدوات النفس واهوائها الخفيَّة المنحرفة ان تفسد اخلاصي إنْ لم اكن على اشدّ الحذر منها والانتباه لها — اخافُ هذا مع بعدي عن التدخُّل بما يسمونهُ سياسةً او حزباً وانصراف نفسي عن الوظائف جملة بما انا راضٍ بهِ تمام الرضى من خدمة العلم والمتعلمين

على انّ الاخلاص وهو من مقوّمات العثمانية واهمّ اركان هذا البنيان الجديد الشريف الذي شرع فيهِ احرار العثمانيين لا يكفي وحدهُ انْ لم يصحبهُ العلمُ والخبرة فكم من هبَّة جهل وتسرُّعٍ من اخلص المخلصين افسدت رأياً كان فيهِ مجدُ العثمانية وقوّتها وحياتها لم يكن يطمعُ في افسادهِ اعدى اعدائها. والعلم نتيجة الفكرة والتروّي والتدبر فلا بدَّ لنا اذن من كل هذه قبل العمل. وربما الحق بنا المخلص المتسرّع من الضرر في ساعة اضعاف ما يلحقهُ بنا المنافق في ساعات بل في اشهر

تعلمون ايها السادة انّ يومنا الذي نحن فيهِ يوم تأسيس لا تزيين وهو يوم لهُ ما بعدهُ فان كان الاساس من ثمَّ راسخاً ثابتاً فكلما يبنى عليهِ فيما بعدُ يكونُ شبيهاً بهِ ويكون لنا ايضاً

والا فانتم ادرى مني بمصير بنيان تسرع في تأسيسهِ . وعليهِ فنحن اليوم احوج الى التروّي والفكرة من كل الايام التي مرّت بنا ومن كل الايام التي ستمرّ بنا بعد ان تستتب امورنا ويرسخ اساس عثمانيتنا الجديدة الحرّة:

فيا ايها الذين تتسرعون في آرائكم ولا تفكرون في عواقب ما ترتأون ولا في مغبة اعمالٍ لم توفق الى الرأي الصائب دعوا التسرع جانباً فان تسرعكم لا يفيدنا الآن وان كنتم اخلص المخلصين واغير اهل الغيرة الحقة على شرف العثمانية ومصلحة العثمانيين . إنا في حاجة الى المخلصين اصحاب العلم والخبرة الذين قبل ان يقولوا يفكرون ويتروّون وبعد ان يقولوا يفعلون كما يقولون مثل هؤلاء تطمئن اليهم نفوسنا ونسلّم اليهم قيادنا وتدبيرنا

ولا اعني باصحاب العلم والخبرة الثرثارين المكثرين من فضول الكلام كما اني لا اعني بهم من يستظهرون آداباً ويكتبون اقوالاً او يحملون في ذاكرتهم اسفاراً او ينظمون وينثرون مدحاً وهجاء بل اعني باصحاب العلم الذين نحتاج اليهم اليوم اصحاب الرأي الاصيل والتدبير المحكم الذين يعرفون اهواء الامة ويعرفون امراضها ومواضع الخلل فيها ثم هم يعرفون كيف يصرّفون تلك الاهواء على مقتضى العقل والحكمة وكيف يداوون تلك الامراض ويسدّون ذلك الخلل ولا بد ان يكون واحدهم عارفاً ايضاً بمجمل احوال الامة العثمانية وما بينها وبين بقية الدول من المعاهدات والمتاجرات ويعرف ايضاً ما لتلك الدول من الخطط والتقليدات

هؤلاء هم الرجال الذين نريدهم في الوقت الحاضر وهم من المرادين بقولنا "نحن" في موضوعي "نحن والدستور" ثم لا بدّ ان يكون لهؤلاء الرجال من مساعدين على شاكلتهم في الاخلاص والنزاهة والعلم والخبرة . واما الرجال الذين نريدهم مع الايام فلا مجال الآن لذكرهم وتعريفهم وما نطلبهُ من كل واحد منهم . وآخر ما اختم بهِ مقالي أنّا نريد بلفظة "نحن" العثمانيين المخلصين النزهاء اهل العلم والخبرة اهل الحكمة والتدبير الذين يقولون قليلاً ويفعلون كثيراً . نريد بلفظة "نحن" المخلصين من اهل النجدة والفتوّة كهولاء البواسل الذين يبذلون نفوسهم دون الامة ودون انفاذ مآل دستورها او قانونها الاساسي العادل ويجعلون سيوفهم رهناً لاشارة اهل العلم والرأي والحكمة والتدبير من غير لغط ولا قلقلة ولا دعوى. بمثل هؤلاء يحيا الدستور ويعظم شأن الامة فليحيوا وليحيَ الدستور الذي هو مجسم ارادة الامة ارادتها العادلة الخيّرة ولتحيَ الامة وليحيَ ابناؤها هؤلاء الاجناد البواسل وكل اصحاب الارادة الحرّة والاخلاق الشريفة الفاضلة وليحيَ ايضاً رأس الامة العثمانية المجيدة الذي اصبح يرى ويحسب نفسهُ اباً وافراد امتهِ اولاداً والسلام

وليس يفرقنا دين ولا نسبُ

اليوم تفتخر الاتراك والعربُ قد عاد عزهمُ والمجد والحسبُ
عزٌّ بهِ فاخروا من عزَّ قبلهمُ من البرايا وسادوا اينما ذهبوا
لئن تكن عرضت في وجههِ سحبٌ فالبدر في الافق تغشاهُ فيحتجبُ
او لم يكن عاد بعد الحجب مكتملاً فانهُ سائرٌ للتمِّ يقتربُ
واليوم يبدأُ تاريخ لمملكةٍ للجيش فضل بهِ بالتبر يكتتبُ
دستورها للمعالي سوف يرفعها وحكمها الشوروي للمجد يجتلبُ
احرارَ امتنا انهضتمُ وطناً بكم سيبلغ شأوًا دونهُ السحبُ
فكم صبرتم على ضيمٍ المَّ بكم وما ثنى عزمكم ضيمٌ ولا وصبُ
وكم سعيتم وكان الموت يحصدكم فما رجعتم ولا خارت لكم ركبُ
ما مات من بطل الأ انبرى بطلٌ للعيش محتقر في الموت مرتغبُ
في الدردنيل وفي البسفور اعظمكم منها بقايا عليها المجد مكتتبُ
وفي الحجاز لكم في تربهِ رممٌ اسمى واشرف ما قد ضمت الترب
وفي القلوب لكم ذكرٌ يخلد للادهار ما بقيَ التاريخُ والكتبُ
علمتم الشرق والاقطار قاطبةً ان العظيم لديهِ تصغرُ النوبُ
ولا تنال المنى والمرءُ معتزلٌ في بيتهِ جزعاً ان المنى تعبُ
ماتوا فعشنا واحيوا بعدهم وطناً فكل ما نحن فيهِ بعض ما وهبوا
ولم تمت روحهم بل دبَّ ثائرها في من اتى بعدهم كالنار تلتهبُ
اسدٌ بواسل يقفون الاسود وفي صدورهم انفسٌ من دونها الشهبُ
اذا دعا الموت فردًا هبَّ كلهم حتى كأن المنايا الكأس والحببُ
ظن الطغاة سكونًا منهمُ جزعاً لكنهم سكنوا حيناً لكي يثبوا
ومذ غدا الظلم منهُ الارض واجفة ثاروا كأنهم البركان يضطربُ
ما قدموا حذرًا او ردهم خطرٌ وان يكن في جبين الليث ما طلبوا
ولا اشترتهم وعودٌ ملؤها ذهبٌ ولا ثناهم وعيدٌ ملؤهُ الغضبُ
ولا استمالهمُ مجدٌ يكون بهِ ظلمُ العباد ولا غرتهم الرتبُ
قالوا وقد شهروا الصمصام واندفعوا كالرعد يقصف في احشائهِ اللهبُ

لشعب حقٌ اتينا اليوم نطلبهُ ... إما نذوق الردى او يصدق الطلبُ
حقٌ شريفٌ لنا قد بات مغتصباً ... والرد يلزم من قد راح يغتصبُ
عشنا بعصرٍ عجيبٌ أن يماش بهِ ... لو لم نعش فيهِ قلنا إنهُ كذبُ
فالحرُّ مضطهدٌ والامن مضطربٌ ... والعرض منتهكٌ والرزق منتهبُ
فاستلّ سيفاً نيازي كلهُ لهبٌ ... وقال انور قولاً دونهُ الذهبُ
ان التعصب في الاديان حكّم في ... رقابنا الظلم للارواح يستلبُ
الدين لله دينوا كيف شاءكمُ ... أما بدين هوى الاوطان فاعتصبوا
هذي يدي انا والله اخوتكم ... وليس يفرقنا دينٌ ولا نسبُ
وكلنا واحدٌ قد ضمنا علمٌ ... هو الهلال اليهِ الكل ينتسبُ
فيهِ لنا نسبٌ ما فوقهُ نسبٌ ... فيهِ التآخي فلا تركٌ ولا عربُ
فعاهدونا على هذي اليمين ففي ... حفاظها للعلى والعز مطّلبُ
فنحن موتى فان متنا مجاهدةً ... في الحق فالموتُ فيهِ المجد يكتسبُ
حقن الدماء بذلٍّ والردى شرعٌ ... واشرف الدم ما بالعز ينسكبُ
حول الخليفة خوّان لهم اربٌ ... في ذل مملكة عزت بها الحقبُ
ما همهم قط والاكياس عامرةٌ ... دمٌ بها سال او ربعٌ بها خربُ
اذا استجير بهم في أزمة نزلت ... جاءتهمُ فرصة عفواً ليكتسبوا
قد استبدوا باحكام لهم فسدت ... وكان دينهمُ التفريق والعصبُ
ففرقونا وسادوا في مظالمهم ... ان عورضوا نقموا او خوصموا نكبوا
لله كم ركبوا اثماً وكم سفكوا ... دماً بريئاً وكم عاثوا وكم سلبوا
وكم محضناهم نصحاً فما انتصحوا ... وكم صخبنا فلم يسمع لنا صخبُ
اذا التوى الحكم في ارض وخانك في ... تقويمهِ النصحُ لبتك القنا السلبُ
اليوم يومهم جئنا نحاسبهم ... على الذي خسروهُ والذي كسبوا
هبوا اذاً معنا في مطلب جلل ... فالحق منتصرٌ والله مرتقبُ
فيا لها دعوةً في النفس قد وقعت ... كأنها السحر للالباب يختلبُ
هبَّ الجميع فلا الانساب تفرقهم ... ولا مذاهبهم في الدين والشعبُ
اتباع موسى وعيسى والنبي بها ... عافوا الشقاق وفي استجوابها اصطحبوا
لما رأى الظالمون الصوت تجدهُ ... نار البنادق والهندية القضبُ

والشعب والجند بحرٌ هاج مضطرباً … اخلوا كراسيهم كالبرق وانقلبوا
وفرَّ ذاك وهذا راح مختبئاً … يرجو النجاة اثيماً قلبهُ يجبُ
كأنما الارض غضبي في وجوههم … لا الغورُ يعصمهم فيها ولا الهضبُ
وباد للظلم عصرٌ يومهُ حقب … وعاد للعرش عزٌّ كاد ينقضبُ
هزَّ الحسام تخوف السيف يفعل في … ذوي المظالم فعل السيف يختضبُ
فكم ظُلمنا لان الظلم لذ لهم … وكم أُهنا ولا ذنب ولا سببُ
وكم صبرنا فزادوا في مظالمهم … وكم شكونا فكان الويل والحربُ
وكم هجرنا لنجو منهم وطناً … وكم تركنا حبيباً فيهِ يكتئبُ
كأنما نحن اعداءٌ لهم خلقوا … وكل همهم الارغام والسلبُ
لا رحمة ليتيم في قلوبهم … ولا لارملة اودى بها الشجبُ
حال اذا لم تكن في ذاتها عجباً … فانما صبرنا فيها هو العجبُ
أليوم يا ايها الاحرار عيدكمُ … بل عيدنا بكم فيهِ لنا الطربُ
فما سفكتم دماً في نيل مطلبكم … ولا تركتم فتاة الحي تنتحبُ
قد ادهش الارض فعل دونهُ صغرت … اعاظم الخلق ما شادوا وما نصبوا
علم وحزم وتدريب ومقدرةٌ … لم تروها كتب الماضيين والخطب
ان الاولى زعموا بالامس عن سفهٍ … ان لا رجال بتركيا لقد كذبوا
شاء الالهُ على ايديكم عظةً … لمن طغى وغدا للظلم يرتكبُ
أن ليس حق يدوم الدهر محتجباً … وليس من ظالمٍ الأَّ وينقلبُ
اليوم نمرح احراراً بفضلكمُ … نغدو ونمسي ولا همٌّ ولا نصبُ
قد أُطلق الحر من سجن أُهين بهِ … وعاد للوطن المحبوب مغتربُ
فلا جواسيس نخشى من وشايتهم … ولا جرائد تأتينا فنرتعبُ
وان مشينا فلا جاسوس يتبعنا … وان جلسنا فلا جاسوس يرتقبُ
ننام في الليل لا الاحلام تقلقنا … وننهض الصبح لا خوف ولا رُعبُ
ولا نداجي امرءًا قد راح يظلمنا … وننطق الحق لا سجن ولا عطبُ
كم بين حال اتتنا كلها طرب … وبين حال عددتنا كلها رهبُ
من شابهُ الشك في ما نيل من وطر … او ظنهُ حلماً او انهُ لعبُ
يجيبهُ الجيش والاسياف قد شهرت … هذي الحقيقة ما في امرها ريبُ

لا زلت يا جيشنا فخرًا لامتنا وحظ اعلامك الامجاد والغلبُ
كنا نراك رهيبًا بُعدهُ أرب واليوم صرت حبيبًا قربهُ الاربُ
وكنت تنفذ مضطرًا لكربتنا فصرت فرَّاجها ان حلت الكربُ
حررتنا فاذا جدنا بانفسنا فليس نفعل الاَّ بعض ما يجبُ
ما دام سيفك مسلولاً وانت بهِ لنصرة الحق والاحرار تنتدبُ
وكلَّما وقعوا في مأزق حرج منك انبرى لهامٍ جحفل لجبُ
نرقى المعالي وتركيا لنا وطن للعزّ والمجد فيهِ ترفع القببُ

الراهن والواهن في المادية

(تابع ما قبلهُ)

مواضع الوهن في المادية

وجود الله — قال ديكارت الفيلسوف الرياضيّ الكبير في وجود الله ما مؤَداهُ ان صورة الله في عقولنا لا يمكن ان تكون منا لانا محدودون وكذلك صورنا العقلية محدودة ومن المقرر ان العلة المحدودة لا تستطيع انشاء المعلول غير المحدود . اما القول بان صورة الله سلبيةٌ ففاسد لان تلك الصورة اعظم صور عقولنا تتقدَّم جميع الصور في الوضوح والقوَّة بل وبدونها لا يمكننا انشاء صورة المحدود . ولا يسوغ لنا ان نقول ان عقل الانسان غير محدود بالقوَّة ولذلك يمكنهُ انشاء صورة الله . لانَّ صورة الله ليست صورة الكامل بالقوَّة بل صورة الكائن بالفعل اعتبر ذلك في عدم امكاننا ان نضيف شيئًا الى كمال الله مهما اتسع نطاق معرفتنا . وليس ذلك فقط بل وجود الله امر ملازم لصورة الكمال وهو ليس موجودًا لاننا نتصورهُ ولكننا نتصورهُ لانهُ موجود

وقال ليبنتز — ان مجرد قصورنا عن ادراك وجود الله دليل على ان النفس ليست اسمى الموجودات نعم ان لها مكانًا رفيعًا ولكنها قاصرة بحد ذاتها ولذلك ترى افكارنا مضطربةً وصورة الكائن المطلق ضعيفةً ومشوَّشة ومجرَّد هذه الحقيقة يقودنا الى الحكم بان الكائن الاعلى وراء افهامنا وانهُ خلق العالمين مقيدًا فقط بادراكهِ غير المحدود . اه

واللاادرية حليفة المادية في اكثر مبادئها وساعدها الايمن في تعزيز مذهب النشوء الطبيعي على انها تناقضها في مسألة العلة الاولى وهذا امامهم سبنسر فانهُ على تشيعهِ للماديين

نرى فلسفة تتناول النسبي والمطلق او بالحري المظهر والجوهر وهو يقول " مع ان ادراكنا للمطلق مستحيل ومع ان صورتهُ غير واضحة في اذهاننا لكنما وجوده حقيقي لان الوجدان لا يمكنهُ الاَّ ان يرى جوهراً حقيقياً وراء اعراض الطبيعة وهذا الجوهر المجهول ضروري وجودهُ في الذهن لادراك المظاهر الخارجية ومن المستحيل محوهُ من الوجدان " اه . فاللاادرية لا تقول بنفي الخالق او الجوهر المطلق المجهول بل بالعكس تؤيده وتقول انهُ يستحيل تصور النسبي بدون المطلق وان القوة المجهولة مع عدم امكاننا ان ندركها كائنة ولعلها نفس القوة التي ترمي اليها الاديان

هذا من جهة ومن الجهة الاخرى نرى ان العلم لا يسوّغ لنا الجمع بين صفات المادة كما نعرفها وبين القول بحركتها الذاتية الاولى . فان المادة على رأي الطبيعيين هي كمية من قوة الاستمرار والقوة هي المعدل الذي تتحرك فيهِ المادة وهي لا يمكن ان تكون الاَّ في مادتين لاحداهما نسبة خصوصية الى الاخرى ويجب ان تكون محمولة على شيء مادي لان الفضاء لا يحملها فاذا تفاعل جزآن تغير معدل حركة الدقائق وهذا التغير في معدل الحركة هو القوة اما قول بعضهم بان القوة هي كل ما يحدث تغيراً في المادة فلا يجوّز لنا علم الديناميك اطلاقهُ . وهب ان المادة ازلية وان قواها كذلك فكيف تمّ لجواهرها التفاعل ولا شيء بينها غير الفضاء . قالوا الاثير يحمل القوة ولكن اليس الاثير نفسهُ مادة فماذا يحمل القوة بين جواهرهِ . قال الفيلسوف نيوتون " لست اخال فيلسوفاً يزلُّ زلَّة كهذه "

حدّد يونغ قوة الاستمرار بانها الحالة التي لا يمكن للمادة فيها ان تغير حالتها التي وجدت عليها الاَّ لسبب خارجي . فاذا فرضنا على الرأي السديمي المادي ان الكون وجد لنفسهِ فاي شيء دفعهُ الى الحركة . ان قلنا سبب خارجي طبيعي فالعقل يرفض ذلك اي يرفض وجود مادة قبل المادة الازلية . وان قلنا سبب داخلي فوجود الفضاء بين اجزاء المادة يمنع ذلك ايضاً فماذا اذن اليس ذلك دليلاً على علة غير مادية دفعت الكون الى الحركة والارتقاء . ناهيك بوجود العقل المطلق فانهُ اي شبه بين الصور العقلية وبين القوى المادية . نعم ان المنطق قد لا يقودنا الى ادراك عقولنا والى تفهم استقلالها ولكن العقل نفسهُ يمتد في نظرهِ الى ما وراء المنطق ويرينا ما لا تقدر الحواس ان ترينا اياهُ . ويتصوّر من تلقاء نفسهِ حرًّا غير مضطرٍ والعمل الحرّ لا يمكن ان يكون مادياً

العقل المطلق علة الوجود وهو منشأ الحقائق ومبعث الصور الازلية وكل عقل من عقولنا انما هو صورة من تلك الصور الازلية . وقدرة العقل المطلق على ابراز صورهِ الازلية انما هي

الارادة الحرّة فهو يرى ويعرف ويشعر ونفوسنا تشعر بكماله وتراه مُخصصاً دائماً الى الابد

مذهب النشوء الطبيعي — وكما انهم لا يرون في العقل ما ينفي وجود الخالق هكذا لا يرون في العلم ما يثبت مذهب النشوء الطبيعي ولنبسط مبادئهُ مبدأ مبدأ ثم نرى الضعف في كل منها بالاختصار وهي

(١) ان الكون جسم واحد محدود

(٢) ان اصل الكون جواهر فردة كانت في حالة التماثل والتراخي التامة

(٣) ان بقاء المادة والقوة واستمرارها اهم اسباب التغير

(٤) ان التغيّر من البسيط الى المركب يتوقف على مبدأَي التلازم والالفة

(٥) ان الحياة والعقل مظهران من مظاهر بقاء القوة وتحولها

فيعترضون على الاول بان الجسم الواحد لا بدَّ لهُ من نشوء ونموّ وانحلال ادوار تتوالى على كل جزء من اجزاء الوجود فاعتبار الكون كله جسماً واحدًا يقودنا الى القول بانهُ نشأ عن كون قبلهُ وهو خبط ظاهر . ثم ان عقولنا قاصرة عن ادراك كلية الاشياء ولو فرضنا انها استطاعت ان ترى الكون جسماً واحدًا فلا بد لها ان ترى حدودهُ بالنسبة الى غيرهِ لان الجزء الواحد لا تعرف اطرافهُ بلا نسبة الى غيرهِ فاذا صح ذلك لم تقدر ان تقابل الكون الاَّ بالفضاء والفضاء لا نسبة فيهِ ففرضنا اذًا فاسد

اما زعم اصحاب النشوء ان الجواهر الفردة كانت في كمال البساطة والتماثل وانهُ لا بدَّ للبسيط المتماثل من التغير ففاسد ايضاً لانهُ كيف يتهيأ للتام في البساطة والتماثل ان يتغير ولا شيءَ وراءهُ يفعل بهِ ويغير توازنهُ . قال لورد كلفن " اذا كانت البساطة تامة فالسكون ايضاً تام " . فكيف يقبل العقل القول بان الجواهر كانت في حالة التفاعل والحركة . وعلى المذهب المادي يجب ان يبقى الكون كما وُجد منذ الازل اي في حالة السكون والبساطة على ان الكون قد تغير وتبدل وهو في تقدم مستمرّ افلا يقتضي ذلك وجود قوة وراءهُ هي الخالق العلة الازلية التي حركت الجواهر المتماثلة الساكنة والتي دفعت الكون الى الترقي طبقاً لنواميس شاءت فوضعتها حرّة غير مقيدة بناموس

اما القوّة فالعلماء لحد الوقت الحاضر لا يعرفون عنها الاَّ اقلّ من القليل وآراؤُهم في ماهيتها واهنة جدًّا . اعتبر ذلك في سبنسر فانهُ على رسوخ قدمهِ في الفلسفة وقف حيران وسأل نفسهُ — " ما هي القوّة التي نحتم ببقائها ؟ اهي تلك القوة التي تؤثر في عضلاتنا والتي تشعر بها حواسنا ؟ كلاَّ — بل هي تلك القوة المطلقة المجهولة المستقرّة وراء الصور

والمشاهد . ونحن مع عدم امكاننا ان ندركها نتأكد انها ابدية لم تتغير ولن تتغير . كل شيء زائل ولكنها علة العلل الباقية الى الابد " . فالقوة التي نشعر بها ليست علة النشوء والترقي وانما هي تلك القوة المجهولة مصدر كل قوة عقلية كانت او مادية فباي حق نقول انها مادية ونحن لا نستطيع ادراكها بحواسنا بل كيف يسوغ للمادي او للاادري ان يؤمن بقوة كهذه واول مبادئهِ نكران كل ما لا يقع تحت الحس والاختبار

هذا وقد خبط مسعاهم في انشاء العناصر الكيماوية من المادة الاولى واعظم من ذلك خبطهم في مسألة الجوهر الفرد فقالوا ان الجوهر جسم لاحدَّ له ولاهيئة خاصة . وما ابعد قولهم هذا عن الصواب فكأنهم بقولهم هذا يعنون ان الجوهر الفرد جسم ولا جسم فتأمل . ولا يسعني الوقت ان استفيض في الجوهر الفرد وفي احدث الآراء فيهِ فانتقل الى الاعتراضات على الرأي السديمي وهي كثيرة اذكر منها ما اوردهُ العالم الرياضي رابنات احد اعضاء مجمع العلوم الفرنساوي فقد انتقد هذا الرأي انتقاد الرياضي المدقق وبيَّن بالادلة الراهنة انهُ اذا صحَّ قول الفلكيين في ان مدة دوران الشمس تعدل ٣٫٢٥ يوماً فمدة دوران السديم حينما كان ممتدًا الى الارض يجب ان لا تقل عن ٣١٨١ سنة وللسبب نفسهِ يجب ان لا تقل مدة دورانهِ حين كان ممتدًا الى نبتون عن ثلاثة ملايين من السنين وهذا التعديل يجعل نشوء السيارات من مادة الشمس الاصلية امرًا مستحيلاً

ولقد وزن الطبيعي الشهير همبولدت السيارات وقاس كثافتها فوجد ان اثقالها تناقض الرأي السديمي وهاك تعديلهُ

كثافة الارض	١	كثافة اورانوس	١٧٨،
" زحل	١٤٠،	" نبتون	٣٣٠،
" المشتري	٢٤٣،	" الشمس	٢٥٢،
" الزهرة	٩٤٠،	" عطارد	٩٥٨،

فمن هذا يتبين ان الشمس التي يجب ان تكون حسب الرأي السديمي اكثف من جميع السيارات ليست كذلك بل ان كثافتها لا تزيد على كثافة نبتون (وهو ابعد السيارات) الأ شيئًا قليلاً

ومما يناقض الرأي السديمي وجود ذوات الاذناب في النظام الشمسي فان ذلك الرأي يقتضي ان لا يوجد مذنب في نظامنا حتى ولا على ملايين الملايين من الاميال منهُ . فان المذنبات يجب ان تكون في اعماق الفضاء حيث السديم لا يزال يسبح اذ ان كثافة المذنبات

لا تعلو على الصفر شيئاً يذكر . وليس ما ذكرت من اعتراضاتهم الأ وشلاً من بحر فالذي يحب التعمق في ذلك فليراجع ما كتبوه في افلاك السيارات وحركات الاقمار وكمية القوة الموجودة في نظامنا فان هناك من الحقائق ما لا يستطيع هذا الرأي ان يفسره

ولنتقدم الآن الى الحياة — فنرى ان التولد الذاتي وهو من اهم اركان النشوء فاسد وقد نفاه المدققون النفي التام واثبتوا ان الحياة من الحياة والنشوئيون انفسهم لا ينكرون ذلك قال تندل بعد ان بحث في التولد الذاتي نحواً من ثمانية اشهر — " ان اتعابي في تعزيز هذا المبدإ ذهبت ادراج الرياح فاني لم اجد للتولد الذاتي من اثر بل بالعكس رأيت كل التجارب تناقضهُ " . اه . وبمثل ما صرح تندل صرح غيره من كبار النشوئيين كهكسلي وسبنسر و برتون وغيرهم وكلهم مجمعون على ان العلم ينفي التولد الذاتي و ينقض اقوال دعاتهِ .

الحياة من الحياة فبين الحي وغير الحي هوة لا يستطيع العلم ان يعبرها وليس لنا الأ ان نقول ان الحياة نشأت من قوة ليست في المادة

تمسك الماديون بناموس تحول القوى و بنوا عليهِ كثيراً من اقوالهم في ماديَّة الحياة فمن ذلك ان الحياة قوة طبيعيَّة لانها تتحول الى غيرها من القوى الطبيعيَّة ولكن البحث العلمي اثبت نقيض ذلك فقد وجد هاليس انهُ اذا تركنا ساق كرمة ما يمتص الزئبق من انبوب ارتفع الزئبق بقوَّة الامتصاص الى علو ٣٠ بوصة ليس الأ ولكن السيال النباتي يرتفع الى اعلى الاشجار وليس الذي يدفعهُ الى ما ينيف على المئة قدم احياناً بالرغم عن قوة الجاذبيَّة الأ القوة الحيوية التي تقاس بقوة طبيعيَّة . ثم ان الحي يحفظ حرارتهُ و يدفع عنهُ طوارئ المحيط اعتبر ذلك في كريات الدم فانها تسبح في سيال فيهِ كثير من الصودا والبوتاسا ومع ذلك فهي بالرغم عن ناموس الامتصاص تحفظ البوتاسا الموجود فيها فلا يخرج منها وتصد الصودا عن الدخول اليها . وتظهر في الحي قوة الانتخاب والرفض في انتقاء الدم للاكسجين في الرئتين وتركهِ في الانسجة واستبدالهِ هناك بالحامض الكربونيك . فهل في الطبيعة قوة ما تشابه القوَّة الحيوية — تلك القوة العجيبة التي تستخدم العوامل الكيماوية والطبيعة لاتمام مشيئتها . ولقد وضع هكوك للحياة مميزات تميزها عن القوى المادية منها

(١) ان الحياة تتطلب الارتقاء الى ما هو اعلى واسمى . نعم ان كل مركب مؤلف من اجزاء تفقد باتحادها ماهيتها الفردية (وهو ما نسميهِ بالاتحاد السلبي) ولكن الجسم الحي مع احتياجهِ الى هذا الاتحاد لا يكتفي بهِ بل يكيف كل مركب فيهِ تكييفاً يكون منهُ بين المركبات السلبية علاقة عجيبة ندعوها الذاتية او الشخصية

(٢) في ان للحيّ قوة التمثيل وهذا لا يتأتى عن البروتبلاسم وحده بل يدل على ان وراء البروتبلاسم قوة غريزية تدفعهُ الى ذلك

(٣) في ان الحياة تولد الاعضاء العجيبة التي لكلٍّ منها عمل خاص بهِ وهذه الاعضاء يديرها عضو واحد هو رأسها والمتسلّط فيها وهذا اعظم نظام وارقاهُ ومن المستحيل ان نراهُ في العالم الماديّ

هذا والقائلون بالنشوء الآلي اي نشوء الانواع من انواع ابسط منها لم يتجاوزوا الى ما وراء ذلك بل غاية ما وصلوا اليهِ بالاستقراء ان الانواع نشأت من انواع ابسط منها وان كل الاحياء من حي واحد او احياء قليلة جدًّا . فما الذي يسوّغ لنا الاندفاع الى اجتياز ما بين الحياة والموت ونحن لم نستطع حتى الوقت الحاضر ان نبين ان الحياة نشأت من الجماد بل كل تجاربنا في ذلك ذهبت ادراج الرياح . بقي علينا العقل وهو اعظم حجة عند المعترضين على المادية . قال الماديون ان العقل اهتزازات في الدماغ يزول متى زالت تلك الاهتزازات ولقد جمع المقتطف في الجزء الثامن من السنة الخامسة اهم الاعتراضات على هذا المذهب الماديّ ومنها

(١) لو كانت كل افعال نفوسنا اهتزازًا في الدماغ فقط مما يؤثر فيهِ من الخارج لوجب ان المؤثرات المتشابهة تؤثر فيها تأثيرات متشابهة والواقع بخلاف ذلك

(٢) لو كانت النفس لا تحصل الأ من المؤثرات الخارجيَّة لوجب ان تكون افكار الانسان دائمًا حسب ما يؤثر فيهِ والواقع انهُ قد يفتكر بغير ما يؤثر فيهِ

(٣) لو كانت النفس من المؤثرات في الحواس فكيف نعلل القوة الذاكرة ونحن نعلم ان دقائق الدماغ تدثر على الدوام ويتجدد غيرها فيقوم مقامها . فلو كانت الذاكرة مجرد تأثير محسوس في تلك الدقائق لاقتضي زوالها عند دثور الدقائق

(٤) ولو كانت النفس هي الدماغ وكل معارفها من تأثير المحسوسات فبمَ نعلل البديهيات فينا وباي تجريد او تعميم نعلم ان الكل اكبر من جزئهِ وكيف نعلم بلا نظرٍ وكسبٍ ان الاشياء المتساوية اذا اضيف اليها اشياء متساوية فمجموعاتها متساوية . نعم انهُ لولا الحواس لكانت النفس لا تنبه فينا لفعل شيءٍ من افعالها ولكنها متى تنبهت بالحواس صارت فاعلاً مستقلاً لافعال عديدة كما انها تنفعل من الحواس

(٥) ان كل القوى المادية تقبل القياس واما قوى النفس فلا تقاس بقياس ولا يتصوَّر قبولها للقياس . فما لا يقبل القياس ليس كمًّا وما ليس كمًّا فمحال ان يكون قوة مادية . ومنها ان قوى النفس لا يصدق عليها ما يصدق على المادية من بقاء قواها على

مقدارها اذا استحالت بعضها الى بعض . ومنها ان قوى النفس عاقلة مختارة حرة تقصد مما تفعله غاية قد سبق رسمها في ذهنها . انتهى

بقي علينا الوجدان الذاتي وهو اعظم حجج العقليين واقوى اعتراضاتهم في دحض الآراء المادية . يراد بالذات ذلك الشيء الفرد الداخلي الذي يرى ويشعر بنسبتنا الى المحيط والذي يفحص احوالنا الداخلية في تأملاته الانعكاسية . ونحن لا نستطيع ان ندركه بحواسنا وانما نشعر بوجوده متى وقفنا نتأمل في انفسنا فنتأكد اننا لسنا اجساماً مادية فقط بل بالعكس يلوح لنا من وراء المادة كائن لا ندركه تمام الادراك وهو الذي نعبر عنه بكلمة " انا " . فمن اقوال الماديين ان " الذات " لا يمكن ان نتصورها مستقلة عن الجسد . ولقد دفع فيلسوف الالمان الشهير لوتزي هذا الوهم بقوله " ان الذات لا تتوقف على غير الذات ولكن على شعور مستقل بواحد احد يراه العقل ثم يقابله بالخارج عنه وتلك المقابلة واسطة أدراك ما هو خارج عن الذات لانه اذا لم يشعر العقل اولاً باستقلال الذات لا يمكنه ان يجعل نسبة ما بينها وبين غيرها اما الوجدان الذاتي فهو الحالة التي يقف فيها العقل يقابل الذات بما هو غير ذات " . ثم انتقل الى تفنيد قولهم بان الوجدان هو حاصل القوى العقلية فقال في كتابه المشهور (الميكروكوزمس) ص ١٦٣ ما ملخصه — ان صورنا العقلية تظل كما هي مهما تقلبت عليها الاحوال فانك لا تستطيع ان تحد صورتين في الوجدان بحيث يحصل من اتحادهما صورة ثالثة خذ مثالاً لذلك الالوان والانغام فان لكل لون ولكل نغم وجوداً مستقلاً فلا يتحد فيه لونان او نغمان بحيث يصير منهما لون او نغم ثالث فلو كان الوجدان كما يزعمون حاصلاً من الصور العقلية لما رأينا فيه هذا الاستقلال الذي نراه لافراد الالوان والانغام بل كنا نرى حاسة الالم تنقض حاسة السرور وحاسة الحزن تبطل حاسة الفرح . والواقع خلاف ذلك وهذا دليل على وحدانية الوجدان وعلى استقلال الذات او النفس التي ترى افراد الحاسات وتقابلها بعضها ببعض ثم تحكم بميزة كل منها . تمر الصور وتختفي والنفس ثابتة لا تتغير " اه

هذا عن الوجدان اما الارادة فالمادية تقول بتقييدها بناء على الناموس القائل ان لكل علة معلولاً ولكل معلول علة ولكن فاتهم ان هذا الناموس لا يصدق على اطلاقه . قال الفيلسوف المشار اليه آنفاً " لا مسوغ للقول ان كل مظهر من مظاهر الكون انما هو معلول يلزمه علة يدلك على ذلك عدم امكاننا ان نصل الى علة اولى لان تلك العلة حسب هذا المبدإ يجب ان تكون معلولاً لما قبلها ولكن مجرد قولنا بعلة اولى دليل ان ليس كل

شيء معلولاً يجب تعيين علتهِ . فما المقصود اذن من ناموس العلة والمعلول — المقصود منهُ ان كل مظهر يظهر في الوجود يسير بعد ظهورهِ طبقاً لشرائع الكون التي لا تتغير وحدةً — " ان كل جزء من هذا الوجود (مهما يكن منشأهُ) يفعل بغيرهِ مما لهُ علاقة بهِ على طريقة تدفعهُ الى السير بحسب النواميس الطبيعة "

قال لوتزي " ثم لو فرضنا ان الاختبار لا يرينا في الكون الأ العلة والمعلول فما ذلك بدليل على ان الاختبار يصدق على حياتنا العقلية اذ لا مسوّغ لاعتبارها ميكانيكية تسير بحكم الاضطرار " . وختم قولهُ في هذا الصدد بما يأتي " اغرب الغرائب ان يرتاب الانسان في وجود عقلهِ وهو لا يشعر مباشرةً بغيرهِ او ان يعزو وجودهُ الى المادة التي حولهُ وهو لا يعرف المادة الأ صوراً من صور ذلك العقل الذي يتسارع هو الى انكارهِ " اه

كلمة في الختام

هذه مقالة انتقادية وجيزة حاولت ان ابسط فيها مبادئ الفلسفة المادية بسطاً مختصراً بحيث يتناول القارئ معناها من اقرب طريق . والانسان ميال الى الافتكار في منشأهِ ومصيرهِ وهو من حيث ذلك اما مؤمن بما يقولهُ رجال الاديان من الوحي او منكر لهُ ومثل الاول مثَل الطفل يشعر بضعفهِ ويرى ضرورة الاعتماد على ابيهِ فيسير آمناً مسروراً ومثَل الثاني مثَل المتلمس في ظلمات لا يعرف لها اول من آخر وكلاهما سائر نحو غرض واحد

ولقد رأيت الباحث المستجدّ كالنحلة تحطّ على اية زهرة عرضت لها تارةً يعجب بالمادية وطوراً بالالهية وهو بين هذه وتلك كالقارب في الخضم المائج تتقاذفهُ الامواج وتتلاطمهُ اللجج وقد فقد الدفة فاستسلم للعوامل تذهب بهِ حيث شاءت . فاذا تعمق في البحث قليلاً وجد ان اتعابهُ ذهبت سدى وتحقق ان العقل البشري لا يستطيع الوصول الى علة العلل وان الايمان غاية العلم كما انهُ غاية الدين

المادية هي هي من اول نشأتها الى الوقت الحاضر وهي مع تحككها بالعلم لم تشفِ غليل الظمآن الى الحقيقة . والالهية ايضاً لا تفرق اليوم عما كانت عليهِ في قديم الزمان وهي ليست الأ لاهل الايمان والتسليم . والانسان قاصر وسيبقى قاصراً يتوق الى معرفة ما وراء الطبيعة فيرجع خائباً ويطلب ادراك العلة الاولى فيقف حيث كان حيراناً تدهشهُ النجوم بافلاكها وتروق لهُ الطبيعة باشكالها ثم يبدو لهُ الموت فيوجف قلبهُ هلعاً وتظلم دنياهُ فزعاً . المادي يؤمن والالهي يؤمن واساس ايمانهما واحد العجز عن الادراك والتوق الى المعرفة

كل مظاهر الكون اسرار لم يدرك الانسان منها شيئاً فالهُ يتطالّ الى معرفة الجوهر

والجوهر وراء العقل المحدود ألا فليبدأ بنفسهِ كما قال سقراط وليفهمها فان سعادتهُ متوقفة على فهم نفسهِ

الايمان خير من التسرع الى النكران والرجاء اثمن ما يتطلب المرء في دنياهُ وليعتبر الذي تصفح بعض الاوراق بما قالهُ نيوتن امام العلماء " اني لا ازال على الشاطىء اجمع حصى " لنكتفِ بأننا قاصرون عن ادراك ما وراء عقولنا

الكلية السورية الانجيلية — انيس الخوري

معجم الحيوان

(تابع ما قبلهُ)

السباع CARNIVORA

❖ الأَسد والانثى لَبُوءة (من لبُوْ بالمصرية القديمة وهي لَبِي بالعبرانية ولَبُوِي بالقبطية [١]) ❖ Felis leo. E. & F. Lion نوعٌ من السباع [٢] من عائلة السنَّور وهو اشدّها قوةً واهولها منظرًا . لونهُ الغبرة الضاربة الى الصفرة وللذكر منهُ لبدة تزيدهُ مهابةً وقد يكون عطلاً منها

وللأَسد اسماءُ كثيرة اكثرها مشتقٌ من صفاتهِ وقد بحث فيها ابن سيدة بحثًا مستوفيًا في الجزء الثامن من المخصَّص

❖ البَبْر والبَبِر (فارسيَّةٌ معرَّبة [٣]) ❖ F. Tigris E. Tiger F. Tigre نوعٌ

(١) بغية الطالبين ومعجم بروكش الهيروغليفي وغيرها (٢) السبع هو المفترس من الحيوان مطلقًا والعامة تخصصهُ بالاسد وقد استعمل هذه اللفظة بمعنى Carnivore كثيرٌ من كتاب العرب منهم القزويني وابن سيده والجاحظ وهي افضل كثيرًا من تعريب اللفظة الافرنجية بآكلة اللحوم (٣) الالفاظ الفارسية المعربة للسيد ادّي شير رئيس اساقفة سعرد وهو من انفس الكتب العربية المطبوعة حديثًا واني وان كنت لا اعرف الفارسية استميح سيادتهُ في مخالفتهِ في بعض الالفاظ كقولهِ ان لفظة الفارس بمعنى الاسد مشتقة من بارس بمعنى الفهد وارى ان اشتقاقها من فرس الفريسة اي دق عنقها اقرب الى العقل لانهم لم يقولوا الفارس فقط بل قالوا ايضًا فراس والفرّاس والمفترس والفرانس والفريسة الخ هذا فضلاً عن ان الفهد كان معروفًا عند العرب ولا يعقل انهم يستعملون هذه اللفظة للاسد ولفظة بارس هذهِ حسب زعم كاترمير تركية الاصل اخذها الفرس عن الترك ويقابلها يوز بالفارسية (انظر شرح كاترمير لكتاب جامع التواريخ لرشيد الدين صفحة ١٥٩)

من السباع الهندية من عائلة السنّور يعادل الاسد في عظم الجثة والقوة الَّا انهُ اشد منهُ بطشاً وهو ابيض البطن والجانبين مع صفرةٍ ومخطط بخطوطٍ سود

ولا بد لي من الاطالة في الكلام عن الببر والنمر والفهد والوشق وعناق الارض وذلك لكثرة الخطإِ في ترجمة هذه الالفاظ . فالعرب لم يكن عندهم لفظة يعبّرون بها عن هذا الحيوان المسمَّى Tigre عند الافرنج فاستعملوا اللفظة الفارسيَّة ولم يسموهُ نمرًا ولا النمر الهندي ولا بأس بتسميتهِ بالاسد الهندي كما جاء في محيط المحيط فانهُ اقرب الى الاسد مما هو الى النمر . وقد وردت لفظة الببر كثيرًا في المؤلفات العربية وفي الشعر العربي والمقصود بها هذا الحيوان المخطَّط المسمَّى Tigre عند الافرنج فقد جاء في كتاب عجائب المخلوقات "الببر حيوانٌ هندي اقوى من الاسد بينهُ وبين الاسد معاداة واذا قصد الببرُ النمر فالاسد يعاون النمر" وقال الدميري[1] في آخر كلامهِ عن الببر "وذكر في ربيع الابرار ان الببر على صورة الاسد الكبير وهو ابيض يلمع بصفرة وخطوطٍ سود" وقال الجاحظ[2] "الفيل والببر والطاووس والببغاء والدجاج السندي مما خصَّ الله بهِ الهند" . وقال في محلّ آخر "لان هذه السباع القوية الشريفة ذوات الرياسة كالأسد والببور والنمور لا تعرض للناس الاَّ بعد ان تهرم فتعجز عن صيد الوحش" . وهو نفس ما يقولهُ الافرنج الآن عن هذه الحيوانات عند ما تصير من اكلة لحوم البشر . ثم قال في محل آخر "والببر هنديٌّ مثل الفيل ايضاً والكركدَّن فلا يقوم لهُ سبعٌ ولا بهيمة ولا يطمع فيهِ ولا يروم ذلك منهُ" . وقد وردت هذه اللفظة في كتاب كليلة ودمنة ويفهم من سياق القصة انهُ من الحيوانات المفترسة فلو كان المقصود بهِ احد السباع المعروفة عند العرب كالنمر او الأسد او الفهد لما تعذر على ابن المقفع استعمال لفظة عربية حتى اتى بكلمة اعجمية . وقد تُرجمت هذه اللفظة Tiger في النسخة الانكليزية من كتاب كليلة ودمنة[3] وورد ذكرها في مفردات ابن البيطار في آخر باب النمر حيث قال "والببر سبعٌ كبير" وتُرجمت Tigre في الترجمة الفرنسويَّة[4] . وهذه اللفظة مستعملة في بعض انحاء الهند في وقتنا الحاضر لهذا الحيوان بعينهِ[5] وكذلك الفرس

(١) حياة الحيوان الكبرى للدميري (٢) كتاب الحيوان للجاحظ

(٣) Kalila & Dimna, translated from the Syriac by Keith-Falconer

(٤) Traité des Simples, par Ibn El-Beithar, Traduction française

(٥) Ad-Damiri's Hayat Al Hayawan, by Lt.-Col. Jayakar

فانهم استعملوها بهذا المعنى ايضاً كما ورد في شرح جامع التواريخ الذي ذكرتهُ فقد ذكر الشارح كلمة ببر وقال عنها Qui designe le veritable tigre royal [1]

❖ النمِر والنِمر والنَمْر (سمي بذلك للنُمَر اي النقط التي فيهِ) ❖ Felis pardus. E. Leopard or panther. F. Leopard ou panthère.

نوعٌ من السباع من عائلة السنّور وهو اصغر من الاسد الاَّ انهُ اجرأُ منهُ وهو منقط الجلد نقطاً سوداً بعضها يشبه الحَلَق ويوجد منهُ صنف اسود . ووطن النمر افريقية وجنوبي آسية وهو پلنك بالفارسيَّة وقپلان بالتركية [2] وقد سمي نمرًا لانهُ أنمَر اي منقط واهل الشام والعراق وبلاد العرب ومصر والسودان تسمي النمر ما يسميهِ الافرنج Leopard وقد رأيتهُ مرارًا وصدتهُ وسألت العرب عنهُ وكلهم سموهُ نمرًا وهم يعرفون الفرق بينهُ وبين الفهد فالفهد يختلف عنهُ كما سيجيءُ . واسم النمر بالعبرانية نامر [3] وجاء في التوراة "هل يغير الكوشي جلدهُ او النمر رقطهُ" (ار ١٣ : ٢٣) وهو نمرُو [4] بالاشورية وتراهُ مرسوماً على الآثار الاشوريَّة منقطاً . وقد اجمع علماء الافرنج مثل القانون ترسترام [5] وهمبرخ واهرنبرج [6] انهُ المعروف عند علماء الحيوان باسم F.pardus حتى ان الاخرين سمياهُ Felis nimr فوصف النمر في الكتب العربيَّة واستعمال العامة لهذه اللفظة في وقتنا الحاضر والآثار الاشوريَّة والتوراة كلها مجمعة على ان هذا الحيوان مرقط

❖ عَناق الارض . العَناق . التُفَه . الغُنجُل . العُنقُط . المِيلاغ . المِلياغ . الزَغبَر . الزُغبُور . الحُنجُل . الفُرانِق . (معرَّب بروانك بالفارسية اي النذير [7]) ❖

Felis caracal. E. Caracal or Red lynx. F. Caracal lynx.

نوعٌ من السباع من عائلة السنّور وهو اكبر منهُ قليلاً وجميل المنظر جداً . لونهُ احمر ولهُ خصلة من الشعر الاسود في اعلى كلٍّ من اذنيهِ وهو يستأنس بسهولة ويصيد ويسمى سياه كوش بالفارسية وقره قولاق بالتركية ومعنى الاسمين الاذن السوداء ومن التركية اشتقت اللفظة الافرنجية

---

(١) Hist. des Mongols de Rachid El-Din, par Quatremère

(٢) نزهة القلوب نقلاً عن شرح جامع التواريخ الذي ذكرتهُ آنفاً

(٣) Animals of the Bible, by H. C. Hart.

(٤) The Mammalia of Assyrian Sculptures, by Rev. Will. Houghton.

(٥) Fauna and Flora of Palestine, by Canon Tristram.

(٦) Symb. Physic. Mamm., Ehreng. et Hemp.

(٧) الالفاظ الفارسية المعربة . وفي كثير من كتب اللغة الفرانق هو الببر وهو خطأ

وقد وصف مؤلفو العرب هذا الحيوان وصفاً مدققاً حتى لم يبقَ عندي اقل ريب في انهُ المسمَّى Caracal عند الافرنج وليس Badger بالانكليزية و Blaireau بالفرنسوية كما تجد ذلك في اكثر المعجمات فقد جاء في الدميري " عناق الارض دويبة اصغر من الفهد طويل الظهر يصيد كل شيء حتى الطير وهو التُّفَه المتقدم ذكرهُ ". ثم قال عند ذكر التفه " ويسمى عناق الارض والغنجل نوعٌ من السباع نحو الكلب الصغير على شكل الفهد وصيدهُ في غاية الجودة والملاحة وربما واثب الانسان فيعقرهُ ولا يطعم غير اللحوم وقد وصفهُ الناشئ في ابيات

حلوُ الشمائل في اجفانهِ وَطَفٌ	صافي الاديم هضيم الكشح ممسودُ
فيهِ من البدر اسماءٌ توافقهُ	منها لهُ سُفَعٌ في وجههِ سودُ
كوجهِ ذا وجهُ هذا في تدوُّرهِ	كأنهُ منهُ في الاجفان معدودُ
لهُ من الليث ناباهُ ومخلبهُ	ومن غريب الظباء النحر والجيدُ "

وهذا الوصف لا ينطبق على الغُرَيْر Badger بل على ما يسميهِ الافرنج Caracal فالغرير ليس بصافي الاديم بل لونهُ سوادٌ في بياض وغبرة وليس بهضيم الكشح بل يوصف بالسِمَن ولا هو حلو الشمائل ولا مدوَّر الوجه بل مستطيلهُ . واحسن من ذلك وصف القزويني لهُ حيث قال " العناق يقال لهُ بالفارسية سياه كوش فوق الكلب حجماً حسن الصورة جداً لونهُ كلون البعير الاحمر واذناهُ سودٌ ". وهذا الوصف ينطبق تماماً على ما يجيهِ الافرنج Caracal وقد جاء في كتاب التاريخ الطبيعي الانكليزي[1] ان هذا الحيوان يسمى Siah gush بالفارسية ووصفهُ مثل وصف القزويني. وعناق الارض يصاد بهِ في الهند في الوقت الحاضر[2] ولم يسمع مطلقاً ان الغرير يصاد بهِ بل يصيدونهُ في بلاد الانكليز. وهذا الخطأ في ترجمة عناق الارض قديم جدًّا تجدهُ في معجم ريكاردسون المطبوع سنة ١٨٠٦ وقد ارتاب لاين[3] في صحة هذه الترجمة

واول من انتبه لهذا الخطإ على ما اعلم القانون ترسترام فاصاب في ترجمة عناق الارض Caracal ثم عاد وترجم Badger عناق الارض ايضاً نقلاً عن المعجمات . ويظهر لي ان الكولونل جايكر اخذ عنهُ وقال ان Badger يسمى عناق الارض في فلسطين والذي اعلمهُ ان هذا الحيوان يسمى الغُرَيْر في الشام وهو اليَغر والفُرْغُور في كتب اللغة ولا اظن ان ترسترام سمع

(١) The Royal Natural History (٢) دائرة المعارف الفرنسوية وغيرها

(٣) انظر كلمة عناق في لاين

هذه اللفظة في فلسطين وكثير من الاسماء العربية التي ذكرها غير معروفة في فلسطين بل في مصر فقط واظنهُ اخذ اكثرها عن وصف البعثة الفرنسوية لمصر[١]. وقد ورد ذكر عناق الارض في خطط المقريزي نقلاً عن عبد الله ابن سليم الاسواني حيث قال في وصف بلاد البجه اي شرقي السودان "وبها سائر الوحش من السباع والفيلة والنمور والفهود والقردة وعناق الارض والزباد" فلا يمكن ان يكون المقصود Badger لان هذا الحيوان لا وجود لهُ في افريقية. وذكر شو في رحلتهِ ان هذا الحيوان يوجد في شمالي افريقية وسماهُ سياه كوش وقره قولاق وبالانكليزية Black-eared cat لكنهُ لم يذكر لفظة عناق الارض ويظهر انهُ كان معروفاً باسمهِ الفارسي والتركي في تلك النواحي ورحلة شو هذه في اواخر القرن الثامن عشر[٢]

❖ القط[٣] ❖ Felix E. Cat F. Chat جنسٌ من السباع يوجد منهُ انواع كثيرة منها القط الاهلي المعروف ومنها القطاط الوحشية وهي كثيرة

❖ الثِفَا ❖ Felis chaus E. Jungle cat F. Chaus نوعٌ من السنَّور الوحشي وهو اكبر من السنّور الاهلي وقصير الذنب ويوجد في مصر والشام ولم ارَ ذكرًا لهذه اللفظة سوى في الدميري حيث قال "الثفا السنّور البري وهو قريب من الثعلب على شكل السنور الاهلي" ولم يزد على ذلك. والسنور المعروف عند علماء الحيوان باسم F. chaus يعرف في مصر في وقتنا الحاضر بالثِفَا واظنهُ الحيوان الذي يسميهِ الدميري الثفا لتشابه الوصف واللفظ

❖ الجَغْوَر (اميركية معربة) ❖ النمر الاميركي Felis onca. E. & F. Jaguar هذه اللفظة وردت جاكوار وجغور في دائرة المعارف ففضلت الثانية على الاولى

❖ البُومَا (اميركية معربة) ❖ الاسد الاميركي Felis concolor E. & F. Puma

❖ الوَشَق (فارسية معربة[٤]) ❖ Felis lynx E. European lynx F. Loup cervier.

نوعٌ من السباع على شكل عناق الارض الاَّ انهُ اكبر منهُ قليلاً وهو اغبر اللون ومنقط بنقط غير واضحة

---

(١) Description de L'Egypte, tome xxiii

(٢) Travels in Barbary, by Thos. Shaw

(٣) لفظة القط متشابهة في اكثر اللغات وكلها مأخوذة عن العربية وهذه على الغالب اخذها عن مصدرٍ افريقي وهي كديس باللغة النوبية وهو بحث طويل لا محل لهُ هنا

(٤) Note Sur Ibn El-Beithar par M. Leclerc,

وهذه اللفظة لا وجود لها في الدميري والقزويني وكتب اللغة المعروفة وقد وردت في مفردات ابن البيطار ومعجم دوزي[١] وريكاردسون والمنجد[٢] وفي مفردات ابن البيطار الفرنسوية تجدها مترجمة Loup cervier وكذلك في معجم دوزي وذكرها الدكتور رسل ايضاً ويظهر انها كانت مستعملة في ايامهِ في حلب لهذا الحيوان بعينهِ وسماهُ الدكتور رسل Lyux بالانكليزية ووشق بالعربية لكنهُ كتب اللفظة العربية وشاق[٣]

﴿ الفَهْد ﴾ Cynælurus jubatus. E. Cheetah or Hunting leopard F. Guépard ou Leopard de chasse

نوعٌ من السباع بين الكلب والنمر الاَّ ان قوائمهُ اطول من قوائم النمر وهو منقط بنقطٍ سود لا يتكون منها حلق كالنمر ومخالبهُ لا تدخل في قنُوبٍ[٤] كمخالب النمر فهو بهذا شبيه بالكلب وهو يدجن بسهولة ويصيد واسمهُ يوز وپارس بالفارسية وجيته بالهندية[٥] واما في اللغات الاوروبية فقد تقلبت عليهِ اسماء كثيرة كما سيجيء

وقد ظن بعضهم ان الفهد هو ما يسميهِ الافرنج Lyux وبعضهم ترجمهُ Leopard فالذين ترجموا النمر Tigre ترجموا الفهد Leopard والذين ترجموا النمر Leopard ترجموا الفهد Lynx والسبب في ذلك على ما اظن ان الفهد لم يكن معروفاً تمام المعرفة عند الافرنج قبل اوائل القرن الماضي واوّل من وصفهُ وصفاً تامًّا منهم العلاَّمة كوفيه[٦] ولذلك ترى اسمهُ حديثاً عندهم فلفظة Cheetah هندية ولفظة Guépard استعملها الفرنسويون لجلود هذا الحيوان في السنغال[٧] في اوائل القرن الماضي فالذين الَّفوا المعجمات في اوائل القرن الماضي وترجموا النمر Leopard وهو صواب ظنوا ان الفهد هو ما يسمى عندهم Lynx لانهم لم يجدوا حيواناً مشابهاً لهُ بالوصف اكثر من هذا الحيوان وهكذا وقع الخطأ. والمدققون مثل بركهارت[٨] وشو[٩] لم يقعوا في هذا الخطإ فانهما ذكرا الفهد بلفظهِ العربي اي Fahed ولم يترجما هذه اللفظة وشو رآهُ في الجزائر ووصفهُ وصفاً حسناً ويظهر ان هذا الحيوان كان معروفاً عند قدماء اليونان فكان النمر يسمى عندهم Πάρδος او Πάρδαλις والفهد Λεωπάρδος

---

(١) Supplements aux Dictionaires Arabs, Dozy

(٢) المعجم المدرسي الحديث للاب لويس معلوف

(٣) The Natural History of Aleppo, by Dr. Alex. Russel

(٤) القنب من الاسد ما يدخل فيهِ مخالبهُ من يدهِ وكذلك الكم (المخصص لابن سيده)

(٥) Note sur Rachid El-Din par Quatremère

(٦) و (٧) Cassell's Natural History (٨) انظر الملحق في آخر رحلة بركهارت في النوبة

(٩) Travels in Barbary, by Thos. Shaw

اي اسد نمر كأنهُ متولد بين الاثنين وقد نقل العرب ذلك عنهم فقال الدميري ما نصهُ "وزعم ارسطو انهُ يتولد (اي الفهد) بين نمرٍ واسد". ثم ان الافرنج اهملوا كلمة Pard واستعملوا مكانها كلمة Leopard للنمر فلم يبقَ عندهم لفظة للفهد فاستعملوا بعد ذلك لفظة Once او Ounce وهي لفظة اخذها البرتوغاليون من يوز الفارسية ثم عادوا واستعملوا هذه اللفظة لغير الفهد ايضاً واخيراً ثبت الانكليز على اللفظة الهندية Cheetah والفرنسويون على لفظة Guépard

والمعول عليهِ هو الاسم العلمي فعلينا ان نثبت الآن ان الفهد في كتب العرب والفهد حسب تسمية العرب لهُ في وقتنا الحاضر هو الحيوان الذي يسميهِ العلماء C. jubatus. فالفهد مشهور عند العرب من قديم الزمان وكانوا يصيدون بهِ كما يفعلون الآن وقيل ان اول من صاد بهِ كليب ابن وائل واول من حملهُ على الخيل يزيد بن معاوية. وقد اثبت كاترمير[1] انهُ نفس الحيوان المسمى چيته عند الهنود و يوز وپارس عند الفرس وكانت الفرس تقول پارسچي كما كانت العرب تقول فهّاد وهم يصيدون بهِ في الهند وفارس وبلاد العرب في وقتنا الحاضر. وكان يؤتى بالفهود من بلاد النوبة الى مصر من ايام الفراعنة الى ايام المماليك. وذكر بركهارت ان امراء سنّار ارسلوا هدية من الفهود الى الجنرال كليبر[2]. وكان عندي فهدٌ في كسله سنة ١٩٠٣ وكل العرب هناك سموهُ فهداً واتيت بهِ الى حديقة الجيزة وسماهُ الكابتن فلور C. jubatus والكابتن فلور من الذين يعوَّل عليهم. وقد سماهُ العلماء مثل ترسترام[3] واهرنبرج وهمبرخ[4] فهداً والاخيران ذكرا انهما سمعا هذه اللفظة في النوبة وقالا ان الفهد هو F. jubata وكفى بالاخيرين شاهداً لانهما من العلماء المدققين. وقد وصفت العرب هذا الحيوان وصفاً لا ينطبق الاَّ على ما يسميهِ العلماء C. jubatus كما ترى في هذه الابيات في وصف الفهود نقلاً عن الجاحظ

مرقّعةُ الاذناب نمرٌ ظهورها مخطَّطةُ الآماق غلبُ المَوارِبِ
مولعةٌ قطب الجباهِ عوابسٌ كأنَّ على اشداقها خطُّ كاتبِ

وقال بعضهم في وصف فهدة

ومقلةٍ سالـــ سوادُ المحجرِ منها الى شدقٍ رحيب المفغرِ

(١) Note sur Rachid El-Din par Quatremère
(٢) Note by Burkhardt in his Travels in Nubia
(٣) Fauna and Flora of Palestine, by Canon Tristram
(٤) Symb. Phyic. seu description. Mam., Ehrenberg etHemprich.

في ذنبٍ طالَ وجلدِ انمرِ وأيطلَيْ مستأسدٍ غضنفرِ

فهذا السواد بين المحجر والشدق لا يوجد في النمر Leopard ولا في الوشق F. lynx ولا في عناق الارض F. caracal بل في الحيوان المسمى C. jubatus كما ترى في الرسم

وكنت اود ان لا يقع هذا الخطأ في مؤلفين ظهرا هذه السنة وهما المنجد للاب لويس المعلوف وترجمة حياة الحيوان للكولونل جايكر وقد انتخبت هذين المؤلفين لما لهما من الشهرة ولانهُ سوف يعوَّل عليهما في المستقبل فالصورة التي تمثل الفهد في المنجد هي صورة الوشق كما ان صورة النمر هي صورة الببر والصورة التي تمثّل عناق الارض هي صورة الحيوان المعروف في الشام بالغرير وهو الغرغور او اليغر وسيأتي ذكرهُ . وقد وقع مثل ذلك على ما يظهر للكولونل جايكر فان الجزء الثاني من مؤلفهِ لم يظهر بعد لكن ورد ذكر الفهد في سياق الكلام في الجزء الاول وأرى انهُ ترجمهُ Lynx كما انهُ ترجم عناق الارض او التفه Badger

الدكتور امين المعلوف

تزوير الكتب والمصنوعات

نشرنا في المجلد الثالث والعشرين من المقتطف خلاصة رواية للويس ده رجمون ومهَّدنا لها تمهيداً قلنا فيهِ " لم نرَ في كل ما طالعناهُ من اخبار المتقدّمين والمتأخرين حقيقيةً كانت او موضوعة شيئاً يفوق هذه القصةَ لا في غرابة حوادثها ولا في انطباق وصفها على ما يُعلم من احوال البلاد التي حدث فيها واخلاق اهلها . وقد ادَّعى راويها انها حقيقية وصدَّقهُ كثيرون من نخبة علماء الجغرافيا لما رأوا الانطباق المشار اليهِ آنفاً لكن البعض ارتابوا فيها بعد ذلك وقالوا انها موضوعة او ان جانباً منها حقيقي وجانباً موضوع . ومهما يكن من ذلك فالوصف الذي فيها حقيقي يعوَّل عليهِ كما يعوَّل على اصدق كتب الرحلات . وقد نشرت في جريدة العالم الانكليزية واقبل القراء على مطالعتها اقبالاً لا مزيد عليهِ واستأذنا صاحب الجريدة في نقلها ملخَّصة الى العربية فاذن لنا وسننشرها تباعاً مقتصرين منها على ما كثرت فائدتهُ العلمية ونضيف اليها من الحواشي ما تتم بهِ الفائدة"

ولما شرعت جريدة العالم في نشرها كان محررها واثقاً انها صحيحة فان لويس ده رجمون جاء ادارة تلك الجريدة بكتاب من احد اعضاء البارلمنت وقصَّ قصتهُ على مديرها وكان كلامهُ عن استراليا وسكانها وحيواناتها ونباتاتها واخلاق اهلها منطبقاً تمام الانطباق على ما

يعرف عنهما · وقد عرّفهُ مدير تلك الجريدة بكثيرين من العلماء الباحثين في شؤون استراليا فباحثوهُ طويلاً ولم يجدوا في كلامهِ شيئاً يدلُّ على انهُ مصطنع بل وجدوا في قصتهِ اموراً كثيرة يستفيد العلم من نشرها · ولقيهُ اعضاء مجمع تقدم العلوم البريطاني فاخبرهم كيف وقع بين ايدي الاخطبوط وكيف انكسرت بهِ السفينة وكاد يغرق لولا كلبهُ وكيف اقام في جزيرة ولا طعام لهُ الأ لحم السلاحف وتزوج امرأة من اهالي تلك البلاد الاصليين ورأس قبيلة من قبائلهم وهم من اكلة لحوم الناس

ثم كُشف امرهُ قبل ان تمَّ نشر قصتهِ وعُرف انهُ مزوّر محتال · والتقينا بأناس من سكان استراليا في رحلتنا الاخيرة الى اوربا وسألناهم عنهُ فاخبرونا انهُ زار استراليا بعد نشر قصتهِ وحاول القاء الخطب في مدنها عن سكانها الاصليين فلم يحفل بهِ احد لان المزور مكروه ولو جاء بالنفائس

وتزوير القصص والكتب شائع جدًّا وقد كان في الازمنة الغابرة اشيع منهُ الآن ولا نبالغ اذا قلنا ان نصف الكتب المنسوبة الى سقراط وافلاطون وارسطوطاليس وغيرهم من الفلاسفة ليس لهم بل منسوب اليهم زوراً فيؤلف الواحد كتاباً ويدّعي انهُ لرجل من مشاهير القدماء ليتيسَّر لهُ بيعهُ بثمن كبير · اسلوب من اساليب التعيش ولكنهُ من افسدها واضرّها · وقد لا يكون غرض الواضع مالياً بل يكون ادبياً كما في تأليف كتاب نهج البلاغة ونسبتهِ الى الامام علي على قول من يقول انهُ ليس لهُ · ولعلَّ كثيراً من الكتب التي بين ايدينا موضوع لغاية دينيَّة او سياسيَّة والذين نُسب اليهم لا علم لهم بهِ ومن هذا القبيل العهد القديمة التي يقال انها اعطيت لرهبان دير سينا واهالي ايلة وغيرهم

ومن احدث المزورين الذين خدعوا الناس بتزويرهم زماناً طويلاً رجل فرنسوي اسمهُ جورج شلماناصر نشأ في اواخر القرن الثامن عشر وادعى انهُ ولد في جزيرة فورموسا التابعة الآن لليابان وانهُ من متنصرة اليابانيين وجاء البلاد الانكليزية ونشر فيها كتباً بلغة فورموسا وترجمتها الانكليزية وانتدبهُ مطران مدينة لندن لترجمة كتاب التعليم المسيحي الى تلك اللغة وأُرسل الى اكسفرد لتتميم دروسهِ فيها فألَّف كتاباً عن فورموسا باللاتينية ترجم الى الانكليزية وراج رواجاً كبيراً · وكل ما كتبهُ هذا الرجل مختلق لا حقيقة لهُ وقد كشف تزويرهُ اخيراً فاعترف بما جنت يداهُ وآب بالخزي والعار

ومن هذا القبيل رجل اسمهُ فرين لوكاس زوَّر نحو ٢٧٠٠٠ مستند ومنها مكاتيب نسبها الى كثيرين من المشاهير مثل الاسكندر المكدوني ويوليوس قيصر ولوقا الانجيلي

وكليوباطرة ملكة مصر ودانتي وشكسبير وصافو ونيوتن و بسكال · وقدَّم الى الاكادمية الفرنسوية اربع رسائل ادَّعى ان بسكال كتبها بين سنة ١٦٢٣ و١٦٦٢ وفيها ادلة على انهُ سبق اسحق نيوتن الى اكتشاف قوانين الجاذبيَّة · ودام البحث في هذا الشأن سنتين واخيرًا اقرَّت الاكادمية على صحة هذه المكاتيب وعلى ان شرف السبق لبسكال في اكتشاف قوانين الجاذبيَّة وكان ذلك سنة ١٨٦٩ · وبقي هذا الاعتقاد شائعًا الى ان قام لقريه الفلكي المشهور واثبت تزوير لوكاس وان الرسائل الاربع اختلقها ولا علم لبسكال بها لكن لوكاس كان قد ربح من التزوير ٦٠٠٠ جنيه

ومن المزورين الكبار رجل اسمهُ سيمونيدس كان معاصرًا للوكاس فانهُ زوَّر تاريخًا لمصر الفهُ باليونانية ونسبهُ الى رجل اسمهُ اورانيوس وكتبهُ على رق الغزال بين سطور كتابة قديمة زاعمًا ان كتابتهُ اقدم من الكتابة التي على الرق وذلك انهُ احضر كتابًا قديمًا مكتوبًا على رق الغزال في القرن الثاني عشر وكتب تاريخهُ بين سطوره واعتنى لكي لا يتصل حرف من كتابتهِ بحرف من الكتابة التي كانت على الرق حتى يظهر لمن يراهُ ان الكاتب الذي كتب في القرن الثاني عشر وجد رقًّا عليهِ كتابة قديمة طامسة فكتب كتابة عليهِ · واعتنى سيمونيدس ايضًا بجعل الكتابة اليونانيَّة منطبقة على ما كان شائعًا في العصر الذي نسب التاريخ اليهِ شكلاً وانشاء وتابع بنصن في تاريخ مصر ولبسيوس في عدد السنين وهما من اشهر علماء الآثار المصرية · وارتاب العلماء في صحة هذا التاريخ ففحصوهُ فحصًا كيماويًا وميكروسكوبيًا ولم يجدوا فيهِ شيئًا يدلُّ على انهُ مزوَّر فعزموا على طبعهِ في اكسفرد ونشرهِ ولكن شهرة سيمونيدس بالتزوير اعادت الشك الى نفوس بعض الباحثين فاعادوا البحث والتدقيق فوجدوا ان حرف M اليوناني الكبير يختلف بعض الاختلاف عمَّا كان متَّبعًا في الزمن الذي نسب ذلك التاريخ اليهِ ووجدوا ايضًا حبر كتابتهِ في مكان واحد جاريًا فوق الكتابة التي كانت على الرق فثبت لهم حينئذٍ انهُ مزوَّر

وقصة القس شابيرا وتزويرهُ لنسخة من التوراة كتبها بالحروف الارامية لا تزال ترنُّ في الآذان وقد ادَّعى انهُ وجدها في كهف من كهوف فلسطين ولما كشف تزويرهُ مضى وشنق نفسهُ

وقد جاءنا في الصيف الماضي رجل يحمل تاريخًا عربيًا قديمًا ادَّعى انهُ كُتب منذ الف سنة او اكثر والكتابة قديمة ولو لم ترتقِ الى الزمن الذي ادَّعاهُ ولما رأينا انهُ يصعب اقناعهُ بفساد دعواهُ من شكل الكتابة فحصنا الورق فوجدنا عليهِ علامة معامل الوراقة

الايطالية في القرن السابع عشر فدللناه عليها ولعلها صرفته عن عزمهِ وهو عرض الكتاب على المتحف البريطاني

والتزوير شائع في الصناعة كما هو شائع في الكتابة فان باعة العاديات (الانتيكات) في القطر المصري قلما يعرضون شيئاً منها صحيحاً والغالب انهم يصنعون ما يبيعونهُ او تصنعهُ لهم المعامل في اوربا ويدفنونهُ في الارض مدة ثم يستخرجونهُ ويبيعونهُ كأنهُ من الآثار القديمة ومن هذا القبيل ان رجلاً ايطاليًا اسمهُ باستيانيني ولد سنة ١٨٣٠ وربي في الفاقة الشديدة وكان ماهرًا في الصناعة والتقليد فاستخدمهُ رجل لصنع العاديات وبيعها كأنها صحيحة فصنع مرةً تمثالاً لسافونارولا المصلح الايطالي واعتقد الخبيرون بصناعة النحت انهُ من صنع ميخائيل انجلو النحات الشهير واشتروهُ بعشرة آلاف فرنك . واعدَّت لهُ احدى الاميرات الروسيات هيكلاً لتضعهُ فيهِ ثم اعترف باستيانيني انهُ هو الذي صنعهُ لاجل الكسب

ومنذ عهد قريب اشترى متحف اللوفر تاجاً قيل انهُ تاج الملك سيتافارنس وانهُ احتفر من جنوبي روسيا ودفع ثمنهُ اربعة آلاف جنيه . ثم ثبت ان هذا التاج مزوَّر صاغ اكثرهُ صائغ من صاغة اودسا وكان لهذا الاكتشاف شأن كبير اوقع الريب في كثير من التحف التي في اللوفر وغيرهِ من المتاحف

ومن اغرب ما روي من هذا القبيل ان احد اساتذة مدرسة ورتنبرج الجامعة واسمهُ برنجر كان يعلّم تلامذتهُ ان المتحجرات تكوَّنت من العاب الطبيعة فقال بعض تلامذتهِ اذا كانت الطبيعة تستطيع ان تصنع حجارة مثل هذه فعلى مَ لا نصنع نحن مثلها فاتوا بحجارة يسهل نحتها وصنعوا منها دمًى مختلفة الاشكال والهيئات وطمروها حيث ينقب معلمهم الاحافير فعثر عليها واحلّها محلاً رفيعاً . ولما رأى تلامذتهُ منهُ ذلك اكثروا من عملها فزادوهُ إعجاباً بل ضلالاً على ضلالهِ . ولما صار عندهُ قدر كبير منها صوَّرها وطبعها في كتاب كبير ولم يلبث هذا الكتاب ان انتشر حتى اشتهر ايضاً ما كان من امر التلامذة واصطناعهم لما وُصف في الكتاب فلقي مؤلفهُ من التعيير والازدراء قدر ما كان ينتظر من الفخر والاحتفاء فجعل يشتري النسخ التي باعها ويحرقها الى ان اتى على اكثرها وكان كلما قلَّت النسخ غلا ثمنها فانفق كل ما كان يملكهُ ومات فقيرًا منصدع الفؤَاد . ويقال ان واحدًا من عائلتهِ طبع الكتاب ثانيةً فراجت نسخهُ كثيرًا لما اشتهر عنها فردَّت الى العائلة ثروتها وزادت عليها . ويقال ان هذا الكتاب افاد البلينتولوجيين (علماء الحفريات) فائدة لا تقدَّر حتى لا يخدعوا بمثل هذه الاخاديع

معالجة الكوليرا

كتب الدكتور بركت (R. W. Burkett) في احدى المجلات الطبية ما يأتي :

كانت الوفيات اثناء وباء الكوليرا الذي ظهر في سيلهت من جنوب أسام (Sylhet, Lower Assam) في فبراير ومارس وابريل ومايو من سنة ١٩٠٨ لا تقل عن ٩٥ في المائة وكانت المدة بين ظهور الاعراض الأولية وساعة الوفاة لا تزيد على عشر ساعات وكثيرًا ما رأيت شبانًا يموتون في ٦ ساعات او ٨ ساعات ورأيت اطفالاً تموت بعد ساعتين من الاصابة

وكذلك كان الموت في الذين يصابون اصابات متفرقة بعد زمن الوباء والمعالجة بطريق الفم لا تجدي نفعًا لان القيء يبتدئ حالاً بعد ظهور الاسهال ويكون عادة غزيرًا متواليًا. وكذلك المعالجة من المستقيم لا تفيد

ولقد كانت النتيجة حسنة جدًّا منذ ابتدأت اعالج المصابين بالكوليرا بالحقن تحت الجلد بمقدار ⅓ او ¼ قمحة من المورفين لاني لم افقد مصابًا واحدًا من الذين عالجتهم بهذه الطريقة على شرط الاسراع بالمعالجة قبل ظهور علامات الهبوط

ولقد افادت هذه الطريقة حتى في الاحوال المتقدمة التي ظهرت فيها علامات الهبوط الشديد وفقد المريض كل علامات الحياة

وهذه المعالجة تفيد الاطفال والشبان معًا غير ان الذين اصيبوا بالكوليرا وهم في حالة تيفويدية الشكل مات بعضهم لان تلك الحالة تحتاج الى تمريض وتغذية باعتناء شديد وكان السبب في موتهم عدم الاعتناء بهم في هذا الدور

وحقنة المورفين تحت الجلد هي احد امرين ضروريين جدًّا في المعالجة والامر الثاني هو استيعاب كمية كبيرة من الماء من وقت الى آخر من ابتداء الاصابة الى آخرها واذا كان المصاب في حالة هبوط شديد فيحقن اولاً بالمورفين ثم يحقن في اوردته بمحلول ملح الطعام وفي هذه الحالة يمنع من الشرب لئلا ينبه القيء. ولم ارَ مصابًا واحدًا لم تحسن حالهُ بعد حقنة المورفين لانها تمنع القيء والاسهال والمغص والتشنجات وينام بها المصاب نومًا هادئًا عميقًا من ٥ ساعات الى ٨

وقد يطلب المصاب الماء ويشرب بكثرة بعد الحقنة وقبل ان ينام وهذا الشرب لا يكون مصحوبًا بقيء، وبعد ان يستيقظ من نومهِ يزول الهبوط المستولي عليهِ وتحسن نبضهُ وتتغير حالتهُ وقد يتقيأ بعد مضي ٨ ساعات او ١٢ ساعة من وقت الحقنة وينشأ هذا القيء عن الحقنة

نفسها ويختلف عن قيء المرض

واحياناً تعود الاعراض مرة ثانية بعد انقطاعها في مدة اربع وعشرين ساعة وفي هذه الحالة تكرر حقنة المورفين وهي تكفي لشفاء المريض . وهذه النكسة تحصل من تناول اغذية غير قانونيَّة واما انا فلا اسمح بطعام مدة اربع وعشرين ساعة

ولقد دلتني تجاربي انهُ كلما كثرت كمية الماء سواء كان بالشرب او بالحقن في الوريد او بكليهما زاد الأمل في الشفاء وقرب وقتهِ

واحسن شيء لمقاومة الهبوط هو الماء والشاي السخن . والشاي افضل شيء لادرار البول

واذا كانت حقنة المورفين لم تعمل الاَّ بعد مضي ساعات كثيرة من الاصابة حيث يكون المصاب قد فقد بالقيء والاسهال كمية كبيرة من السوائل فيمنع من التبويل مدة يومين او ثلاثة ولا يكون في ذلك ازعاج لهُ . ولم أجد فائدة في استعمال الاستركنين او الادوية الكحولية وكانت كل معالجتي قاصرة على ما ذكر

واما من جهة الغذاء فقد كنت اطعم المصابين كما يطعم الاطفال

كيف يفيد المورفين ؟ اني اظن ان المورفين يأتي بالفائدة لانهُ يريح الجسم راحة هو في حاجة اليها وفي اثنائها يستعد الجسم للمقاومة بافراز المواد التي تقاوم فعل سم الكوليرا وكل من يرى مصاباً بالكوليرا ويشاهد ما يقاسيهِ من الآلام والتهيج يوافق على اعطائهِ مخدراً ومسكناً لا يزيد في هبوطهِ وكل من يرى السوائل الزلالية التي يفقدها المريض بالقيء والبراز لا بد ان يبحث عن طريقة ليرد بها الى الجسم هذا النقص وكل من يرى مصاباً اصابهُ الهبوط بسرعة قبل ان يفقد شيئاً من السوائل الزلالية يتأكد انهُ لا بد من ادرار بولهِ لاخراج المواد السامَّة من دمهِ

ولقد عالجت مئات من المصابين بالكوليرا بهذه الطريقة في احوال غير مناسبة وكانت النتيجة حسنة فكم يكون النجاح اذا كانت الاحوال مناسبة انتهى

كلمة للمعرب . ان نظرية الكاتب في معالجة الكوليرا بهذه الطريقة مقبولة جداً ولقد اظهر ارتياحهُ من نتيجتها حتى في الاحوال غير المناسبة كأن يكون قد مضى على المصاب مدة طويلة حتى ظهرت علامات الهبوط وكوجود المصابين في محلات غير صحية وكعدم تيسر الممرضين والممرضات للاعتناء بهم فاذا كان قولهُ صحيحاً ولا اخالهُ الاَّ كذلك وعُمل بهِ خفَّت وطأة هذا الوباء وقلَّت الوفيات بهِ حتى لا يعود الناس يجزعون منهُ عند نزولهِ ضيفاً ثقيلاً عليهم

الدكتور محمد عبد الحميد حكيم اسبتالية قليوب

الراديوم في طبقات الارض

من خطبة الاستاذ جون جولي رئيس قسم الجيولوجيا في مجمع تقدم العلوم البريطاني

يمتاز هذا العصر بقرب المدة بين اكتشاف الحقيقة العلمية وبين استعمالها . في سنة ١٩٠٣ ثبت بالدليل ان حرارة الراديوم تكون اعلى من حرارة ما يجاوره وتبقى كذلك . وكان بعض العلماء قد تهيأوا لهذا الاكتشاف بمباحثهم المختلفة فلما ظهر جعلوا يبحثون في علاقته بنظام الكون وفي كيفية الانتفاع به فصنع بعضهم ساعة تتحرك بفعل الراديوم لا غير فان فيها ورقتين من ورق الذهب الرقيق فتتكهربان بفعل الراديوم وتندفعان فتتصلان بشيء موصل يزيل كهربائيتهما فتعودان الى وضعهما الاول ثم تتكهربان وتندفعان وهلم جرًّا ويستمر ذلك ما دام قربهما قليل من الراديوم لان القوة تصدر منهُ من غير انقطاع . وقولنا من غير انقطاع انما هو بالنسبة الى ازمنتنا القصيرة ولكن لا بد من انقطاع القوة على تمادي الزمن لانها تزول كلها في ثلاثة آلاف سنة ولما كانت الازمنة الجيولوجية تقاس بملايين السنين فالزمن الذي تتم فيهِ قوة الراديوم طفيف جدًّا بالنسبة الى الازمنة الجيولوجية وعليهِ يجب ان لا يبقى في الارض شيء من هذا العنصر اذا لم يتولد فيها من عنصر آخر

وقد ثبت الآن ان الراديوم يتولد من الاورانيوم ولكنهُ لا يتولد منهُ توًّا كما يتولد الولد من والديهِ بل يفصل بينهما والد آخر كأن الاورانيوم جد للراديوم لا والد له ولذلك فالاورانيوم هو علة بقاء الراديوم في الارض مع ما ينفد من الراديوم كل عام . اما ما يستحيل من الاورانيوم الى راديوم في السنة فقليل جدًّا لا يزيد علي جزء من عشرة آلاف مليون جزء فينقص الاورانيوم نحو واحد في المئة كل مئة مليون سنة

وقد اتضح الآن ان الراديوم غير محصور في مكان واحد او امكنة قليلة بل هو موجود في كل مكان فهو موجود في الهواء وفي الماء وفي التراب وفي كل انواع الصخور . وقد حسب الاستاذ رذرفرد انهُ اذا كان مقدار الراديوم في الارض جزءًا من خمس مئة الف مليون جزء منها فهو كاف ليرد الى الارض كل الحرارة التي تخسرها بالاشعاع . وقد بيَّن الاستاذ سترت ان مقدار الراديوم في صخور الارض واتربتها اكثر من ذلك كثيرًا فاستنتج انهُ غير موجود في باطن الارض كما هو موجود في قشرتها او انهُ لا يوجد الاَّ في ما سمكهُ ٤٥ ميلاً من قشرة الارض والاَّ لزادت حرارتها عمَّا هي عليهِ الآن

ثم بيَّن الخطيب كيف يكثر الراديوم في قشرة الارض ويقل في باطنها لانهُ لو وُجد

في باطنها اولاً بسبب ثقل عنصره لزم ان يرتفع الى سطحها وينتشر فيهِ بسبب حرارته الذاتية لان الحرارة تمدده فيخف ويصعد. ولعل حرارتهُ وصعوده الى وجه الارض كان لهما يدٌ في ثوران البراكين . واستطرد من ذلك الى وصف اشتغاله في هذا الموضوع وتجاربه التي جرَّبها لمعرفة مقدار الراديوم في المواد الارضيَّة فاثبت انهُ موجود في طبقة الصخور النارية في دكَّان من بلاد الهند ومساحة تلك الطبقة هناك ٢٠٠٠٠٠ ميل مربع وسمكها ٤٠٠٠ الى ٦٠٠٠ قدم ومتوسط مقداره فيها مثل متوسط مقداره في الصخور التي مثلها في شمالي ارلندا او في غرينلندا

وكذلك وجده في صخور الغرانيت على معدَّل واحد مهما اختلفت اماكنها وقارَّاتها

وقد امتحن مياه الاوقيانوس من اماكن مختلفة فوجد الراديوم فيها كلها ومقداره قليل يبلغ ٦ اجزاء من الف الف مليون جزء وعليهِ فمقداره في ماء البحار كلها نحو عشرين الف طن

وكما يوجد الراديوم في الصخور النارية وماء البحر يوجد في الصخور التي تكوَّنت بالرسوب في الماء ولكن مقداره في الرواسب التي في قاع البحر يختلف كثيرًا فهو في بعضها نحو عشرة اضعاف ما هو في البعض الآخر ولا يعلَّل وصول هذا المقدار من الراديوم الى مياه البحر بما يصبُّ فيهِ من الانهر لان الراديوم في ماء النيل ربع ما هو في ماء البحر فلا بدَّ من ان المياه تجلب معها الى البحر شيئًا من الاورانيوم فيتراكم في قاعهِ على طول الزمن وبسبب كثرة الراديوم فيهِ

ويُعلم مقدار الرواسب التي رسبت في البحر من قديم الزمان الى الآن وكونت الصخور الرسوبيَّة من مقدار الملح الذي لا يزال ذائبًا في ماء البحر فان هذا الملح كان اصلاً في الصخور النارية ونسبتهُ اليها معروفة فاذا عرفنا مقداره في ماء البحر الآن عرفنا مقدار الصخور الناريَّة التي انحلت وذاب الملح منها ثم تكونت منها الصخور الرسوبيَّة . وقد حسب الخطيب ان الصخور النارية التي ذاب منها ملح البحر تعدل ٩١٠٠٠٠ مليون مليون طن او نحو ٨٤٠٠٠٠٠٠ ميل مكعب من الصخور النارية

ووجد الخطيب بالامتحان ان مقدار الراديوم في الصخور الرسوبيَّة من كل الانواع اقل قليلاً من مقداره في الصخور الناريَّة فاذا كان في هذه خمسة فهو في الصخور الرسوبيَّة اربعة. وهو في الرواسب التي في قاع البحر اكثر منهُ في الصخور الرسوبيَّة وفي الرمال والاتربة لان هذه كشفت زمانًا طويلاً فزال منها اكثر الراديوم الذي كان فيها فان الخطيب لم يجد في رمال بلاد العرب الاَّ نحو عشر ما وجده في الصخور الرسوبية

ثم التفت الى كرة الارض كلها وقال ان كان الراديوم غير موجود في باطنها فالاورانيوم

الذي يتولَّد الراديوم منهُ موجود فيهِ فهل هو سبب حرارة باطن الارض . وبحث في حرارة الارض فذكر اولاً انهُ لا اتصال بين حرارة باطنها وحرارة ظاهرها بل قد زال هذا الاتصال منذ ملايين كثيرة من السنين قدَّرها لورد كلفن باكثر من الف مليون سنة لان الصخور التي بين باطن الارض وظاهرها غير موصلة للحرارة واذا وجد الراديوم في باطن الارض لحرارتهُ لا تسد مسدًّ ما يشعُّ من حرارتها سنويًّا لان هذه الحرارة لا تصل الى ظاهر الارض . وبعد ان اسهب في هذا الموضوع وذكر تجاربهُ المختلفة استنتج ان للراديوم يدًا في تكوُّن جبال الارض فانهُ يكون موجودًا بكثرة في صخورها الناريَّة ومتى تراكمت عليها المواد التي تجرفها المياه او ترسب منها صارت الحرارة المتولدة منهُ تزيد عامًا بعد عام وقرنًا بعد آخر الى ان تصير كافية لرفع المواد المتراكمة فوق الصخور النارية وبذلك يعلل تكوُّن الجبال او هو مساعد لفعل التقلُّص الذي عوَّل عليهِ الجيولوجيون حتى الآن كعلَّة لتكوُّن الجبال

اديان الامم المنحطة المدارك

اشرنا في الجزء الماضي الى التئام مؤتمر تاريخ الاديان في مدرسة اكسفرد الجامعة في اواسط شهر سبتمبر الماضي . وقد دُعينا الى هذا المؤتمر ولكن تعذَّر علينا تلبية الدعوة فبعث الينا احد الاصدقاء باكثر المقالات التي تليت فيهِ ومنها مقالة في اديان الامم المنحطة المدارك للمستر هرتلند العالم الانثروبولوجي الذي كان رئيسًا لقسم الانثربولوجيا اي علم الانسان في مجمع تقدم العلوم البريطاني سنة ١٩٠٦ تلاها في ١٥ سبتمبر وجاء فيها على ما يقولهُ الباحثون في هذا الموضوع من حيث تولُّد الاعتقاد الديني في الانسان فابتدأ خطبتهُ بالاشارة الى اشغال الاستاذ تيلر استاذ الانثروبولوجيا في اكسفرد وما فعلهُ لتقدُّم هذا العلم ثم قال ان البحث عن اصل الاديان يتناول البحث عن علاقة السحر بالدين وقد ذهب الدكتور فريزر الى ان السحر والدين متناقضان وقال ان السحر هو محاولة التسلُّط على القوى الطبيعيَّة بوسائط عقيمة او غير عمليَّة والدين محاولة استرضاء الكائنات العليا . فالسحر سابق للدين على رأيهِ ولم يلجإ الناس الى الدين الأَحينما رأوا السحر قاصرًا عن انالتهم اغراضهم او حينما ثبت للناظرين المدققين منهم ان الوسائل السحريَّة لا تفعل في الحقيقة ما ينسبهُ البسطاء اليها من الافعال

ولا يمكن اثبات هذا القول تاريخيًّا لان السحر والدين وجدا قبل زمان التاريخ واثباتهُ

الآن من النظر الى اقوام لا دين لهم مقصور في الغالب على قبائل اواسط استراليا لكن الذين شاهدوا اولئك القبائل وكتبوا عنهم لم يبيّنوا باي لغة كلّموهم ولا كيف عرفوا انهم بلا دين فلا يمكن ان يبني حكم مقرر على ما رددوهُ عنهم. الاّ ان مباحث العلماء عموماً تدل على علاقة السحر بالدين من قديم الزمان. ومن رأي الدكتور بروس الذي بحث في اديان اهالي المكسيك القدماء وعاداتهم ان السحر سبق الدين عندهم وان شعائرهم الدينيَّة يقصد بها التأثير في معبوداتهم بقوة سحريَّة فهي التي تحفظ المعبودات وتزيد قوتها. وقد كان الناس يقيمون الشعائر الدينيَّة اولاً لاجل التأثير في الحوادث الطبيعيَّة كانزال المطر وتسكين العواصف ودفع الآلام وما اشبه ثم لما تخيَّلوا وجود الارواح في الموجودات الطبيعيَّة ونشأ من ذلك الاعتقاد بوجود الالهة جعلوا يقيمون تلك الشعائر لاجل تلك الالهة والغرض منها دوام فصول السنة في تعاقبها وزيادة الطعام وسائر الحاجيات. ولم يتغير الاّ شيء واحد وهو ان الانسان كان اولاً يحاول الحصول على ما يريد مباشرة بواسطة الاعمال السحريَّة فصار يحاول الحصول عليهِ بواسطة معبوداتهِ ويقيم لها الرسوم الدينية او الاعمال السحرية ليقدّرها على انالتهِ اياها وصار يعتقد ان الآلهة تفقد قوّتها اذا لم يساعدها عابدوها وتشيخ وتضعف اذا لم يقوّوها بالسحر والضحايا ويخيم الظلام على الدنيا وينقرض منها نوع الانسان

ولا يزال الدكتور بروس يبحث في احوال اهالي المكسيك الحاليين وقد وجد عندهم كثيرًا من شعائر دياناتهم الوثنيَّة القديمة ولو كانوا من المتنصّرة وسيتلو علينا خلاصة ما اكتشفهُ من هذا القبيل

وقد ارتأى جمهور آخر من الباحثين وفي مقدمتهم المستر اندرو لانغ (صاحب كتاب السحر والدين) ان الاعتقاد بوجود كائن فوق الكائنات كلها نسبيًا نشأ منذ عهد قديم في تاريخ الانسان بمجرّد التصور او الاستنتاج العقلي ثم تلاهُ الاعتقاد بوجود الارواح. وهذا رأي آباء الكنيسة من قديم الزمان. والذين خالفوهم في ذلك ابدلوا التصور او الاستنتاج العقلي بالوحي الالهي. والمظنون ان آثار هذا الاعتقاد لا تزال موجودة في كثير من اديان الشعوب المنحطة المدارك. ويقول البعض انهم وجدوها عند كثيرين من اهالي استراليا ويقول غيرهم انهم لم يجدوها الاّ عند قبيلة واحدة من قبائل الاستراليين اما عند القبائل الاخرى فلم يجدوا الاّ الاعتقاد بوجود غول او عفريت يخدع النساء والاولاد واذا بلغ الاولاد اشدهم وصاروا رجالاً لم يعودوا ينخدعون بهِ. ولكن المرسلين الالمانيين الذين تعلّموا لغة الارنتا من لغات استراليا بعد ان اقاموا فيها زمانًا طويلاً يقولون ان الارنتا

يعتقدون بوجود كائن يفوق الكائنات وقد ألّهوا اسلافهم ايضاً · والخلاف كبير بين هؤلاء المرسلين وغيرهم من الباحثين لا يمكن تعليلهُ بان كل فريق منهم عاشر اقواماً غير الاقوام الذين عاشرهم الفريق الآخر· وقد ظن الباحثون الاولون ان اهالي استراليا يعتقدون بوجود كائنات فوق الطبيعة ولكن الباحثين الذين جاؤوا بعدهم ودققوا البحث خالفوهم في ذلك اما المرسلون فيألون الى اثبات الاعتقاد بوجود الله عند كل الامم ويصعب عليهم ان يجردوا انفسهم عن هذا الميل ليبحثوا بحثاً خالياً من الغرض ولو تمكنوا من معرفة لغة المتوحشين معرفة كافية· وغيرهم من الباحثين الخالين من الغرض قلما يتيسَّر لهم مخالطة الاقوام المتوحشين وتعلُّم لغاتهم تعلُّماً كافياً لمعرفة معتقداتهم . ولذلك لا يمكن البت في هذه المسألة حتى الآن من هذا القبيل

والقبائل الاسترالية في الجنوب الشرقي من استراليا تعتقد بوجود كائن يفوق الكائنات يسمونهُ بما ترجمتهُ " اب " وهو الذي يحمي ما عندهم من الحدود والقوانين وهو الذي وضع بعضها ولا يعرفون اصلهُ · وفي تقاليدهم انهُ كان ساكناً على الارض وفعل فيها بعض المعجزات والآن مقرهُ الجو غالباً لا دائماً لانهُ يزور الارض حيناً بعد آخر

ومفاد كلمة اب عندهم اوسع من مفادها عندنا فهي تطلق عندهم على زوج الام واخوتهِ سواء كانوا من والديهِ او اقاربهُ الذين يدعوهم اخوةً وكل الذين بلغوا سن الرشد معهُ وأُدخلوا معهُ في مصاف رجال القبيلة · اي ان الواحد منهم يعني بالاب كل رجل متقدم عليهِ من قبيلتهِ. وعندهم ان الاب الفائق او الكائن الذي يفوق الكائنات هو رئيس من رؤسائهم فاق غيرهُ في استعمال الاسلحة والسحر والكرم ولم يؤذِ احداً ولكنهُ يقاص بصرامة كل من يتعدَّى حدود العادات والآداب المرعية عندهم . وهم لا يصلُّون اليهِ ولكنهم يذكرون اسمهُ احياناً في حفلاتهم و يمثلونهُ بتمثال من الطين ويرقصون حولهُ· ولعلَّ ذلك اول درجة من درجات العبادة الدينيَّة· وعندهم انهُ خالد لا يموت لانهُ ما من احد يموت عندهم الاَّ قتيلاً او مسحوراً. وهو في الجو فلا يصل اليهِ احد ليقتلهُ وسحرهُ يفوق كل سحر فلا يستطيع احد ان يغلبهُ بسحرهِ· شخص مثل هذا لا يستحق ان يسمَّى الهاً الاَّ اذا توسَّعنا في معنى الالوهية واطلقناها على كل كائن فوق البشر سواء عُبد او لم يُعبَد · وهم يعتقدون بوجود الارواح وعندهم ان ارواح الموتى تحفُّ بهِ كما يحفُّون هم بشيوخ قبيلتهم و يخافون هذه الارواح ولكنهم لا يعبدونها

وتعتقد قبيلة الكاتش من قبائل استراليا الوسطى بوجود جبَّار يقيم في الجو لهُ نساء كثيرات وهنَّ النجوم المشرقة واولاد كثيرون ومنهم قبيلة الكاتش نفسها و يقولون انهُ اوجد

نفسهُ في قديم الزمان . واملُ هذا القول " انهُ اوجد نفسهُ " قالهُ واحد منهم وقد سألهُ احد البيض قائلاً من اوجد هذا الجبار فضاقت عليهِ المذاهب وقال انهُ اوجد نفسهُ

ويصعب علينا نحن الاوربيين سواء كنّا مرسلين او باحثين او سائحين ان ندرك ما يتصورهُ الناس المنحطو المدارك لانهم لا يستطيعون ان يعبّروا لنا عن افكارهم ولا تصوُّراتهم جليّة محدودة يسهل التعبير عنها . ويمكننا ان نقول الآن ما قالهُ احد الباحثين المدققين منذ اربعين سنة بعد ان اقام ست سنوات او سبع سنوات بين سكان جزيرة فنكوفر وهو " انهُ يجب ان نرتاب في كل الاخبار التي يقصها السيَّاح عن اديان المتوحشين لان تصوراتهم الدينيَّة لا يمكن فصلها عن الاوهام الغامضة التي تمازجها . والانسان وهو في حال السذاجة ادبًا وعقلاً يحاول الوصول الى معتقد ما محاولة طفيفة ولكنهُ لا يصل الاَّ الى ظل من الظنون والمعتقدات يصعب علينا اكتشافهُ ويصعب عليهِ التعبير عنهُ ولا يستحق ان يسمَّى دينًا . واذا ارتقى الشعب فتحديد التصورات والتصديقات المتعلقة بما يُظن انهُ فوق طور الانسان وتنظيمها بطريقة معقولة مقبولة ليس مما يستطيعهُ المتوحشون بل هو من اعمال العقول المرتقية "

ثم قال انهُ بقي سنتين يبحث عن معتقداتهم الدينيَّة قبلما اكتشف انهم يعتقدون بقوة متسلطة او بحياة اخرى غير الحياة الدنيا لانهم يأنفون ان يتكلموا عمَّا يعتقدونهُ مخافة ان ينالهم مكروه اذا افشوا شيئًا من معتقداتهم للاجانب . واذا اخبروك شيئًا مزجوا اقوالهم بالاكاذيب اما لايهامك وتضليلك او لان صورهم الدينيَّة مشوشة لا يمكنهم التعبير عنها ولذلك لا يمكن التعويل على ما يقولونهُ لك من هذا القبيل . ثم ان ما نسمعهُ من الواحد منهم لا ينطبق على ما نسمعهُ من الآخر حتى يتعذَّر عليك ان تعرف منهم ما يعتقدهُ جمهورهم

فاذا كان ما ذكرهُ هذا الكاتب صحيحًا بنوع عام ويطلق على كل الشعوب المنحطة المدارك كما اعتقد وجب علينا ان نطرح كثيرًا مما يروى عنهم من الامور المحسوبة محققةً وسهل علينا ان نعرف سبب التناقض بين رواة اخبارهم . وظهر منهُ ان عقل هؤلاء الاقوام لا يدلُّ على ان الاعتقاد بوجود الله من جملة المبادىء الاولية فيهِ بل يدلُّ على ان فيهِ تصوُّرات طفيفة تجتمع وتتكون منها صورة كليَّة للاله اذا ارتقت مدارك العقل

وعندي ان هذا يدعو الى قول باصل الدين وعلاقة السحر بهِ يختلف عن القولين المشار اليهما آنفًا . وهذا القول مبنيٌّ على شعورين الواحد شعور الانسان بوجودهِ والثاني شعورهُ بان حولهُ امورًا وحوادث لا يدركها او لا يعلم سببها . فاذا رأى هذه الامور

والحوادث شعر ان وراءها قوة تحدثها وهو يعلم ان القوة تحدث من الاشخاص فيستنتج ان تلك القوة او القوى متصلة بشخص او باشخاص ولكل شخص منها قوى وحاجات مماثلة للقوى التي فيهِ والحاجات التي لهُ. ولا بدَّ من ان يسعى ليترضى اولئك الاشخاص او ليجعل زمامهم في يدهِ . والقوة التي يترضى بها اولئك الاشخاص او تمكنهُ من جعل زمامهم في يدهِ هي السحر او العبادة ولها عند الاقوام المنحطة اسماء مختلفة يمكن تفسيرها بالسحر والسر والتقديس وما اشبه . وهؤلاء الاشخاص على درجات مثل الناس فالذين يحسبهم اقوى منهُ يجب عليهِ ان يترضاهم ويستعين بهم او يصطلح معهم والذين يحسبهم مثلهُ او دونهُ يحاول اخضاعهم لارادتهِ او ملاشاتهم . ويصل الى غرضهِ في الحالين بافعال يفعلها واقوال يقولها . والافعال والاقوال صادرة عن ارادتهِ او قوتهِ المشار اليها آنفاً وهي سحرهُ او سرهُ فاذا وجهها الى الاشخاص الخفية التي يتصوَّر انها حولهُ قصد ترضيها فهي الديانة واقوالهُ وافعالهُ دينية واذا وجهها الى الاشخاص الخفية التي يقصد قمعها فهي السحر والاقوال والافعال سحرية ولكن ما من حدّ فاصل بين الديني والسحري كما لا يوجد حد فاصل بين هؤلاء الاشخاص واولئك ولذلك تمتزج الاعمال السحرية بالشعائر الدينية

وعلى هذا القول يكون اصل الدين والسحر واحداً وما هما الا وجهان لصورة واحدة والظاهر انهما لم ينفصلا قط فلم يقل الانسان بوجود الالهة لانهُ عجز عن تدبير امور الكون ولا تقدم زمنُ السحر زمن الدين في كل مكان . اما استراليا فلا اسلم بنفي الدين من بين اهاليها الاصليين ولكن لا يسعني الا التسليم بان السحر اعم وارقى عندهم من الدين . والقول بثبوت الدين لقوم او نفيهُ عنهم يتوقف على ما نفهمهُ بالدين فان من العلماء من يحسب الشعائر التي يقوم بها بعض الشعوب من قبيل السحر كلها ومنهم من يحسبها دينية وقد وقع هذا الاختلاف بينهم لاختلافهم في مفهوم كلمة دين فاذا اتفقنا على معناها سهل علينا البحث عن اصل الدين وهل هو سابق للسحر او السحر سابق لهُ او نشأ كلاهما من اصل واحد

ثم انهُ مهما كانت معتقدات المتوحشين مبهمة وغير جلية ومهما كانت عقولهم عاجزة عن ادراك الصوَر المجردة فهم في امور معاشهم يسيرون سيراً لا يخامرهُ ريب يسعون في طلب الرزق ويحمون انفسهم ونساءهم واولادهم من اعتداء المعتدين عليهم اناساً كانوا او وحوشاً فهم اهل عمل لا اهل نظر فاذا وجدوا ما يكفيهم من الطعام والمأوى وكانوا في امن من الاعداء والوحوش رأوا فيهم قوة زائدة لا بدَّ من بذلها في عمل ما فيجرون بعض الاعمال المماثلة للرسوم الدينية قبل ان يكون لهم ديانة . والرسوم كثيرة في معاملاتهم بعضهم مع بعض كما هي

كثيرة عندنا فيستعملونها ايضاً لما يحيط بهم ولذلك تجد بعض هنود اميركا يقيمون حفلات الغناء والرقص دعوة للجواميس البرية و يعتقدون انها تجيب دعوتهم حينئذٍ . والذين يستخرجون الخمر من عصير الاشجار في جزائر سلبس من جزائر الهند الشرقية اذا وجد احدهم شجرة تستخرج الخمر من عصيرها اظهر بهجتهُ بها اولاً وكلّمها كلام المحب للمحبوب وعقد معها عقد الزيجة بورقة طويلة يربطها حول جذعها وضمها الى صدرهِ وحسب انهُ اتخذها لهُ زوجة . ولا يفعل ذلك بالمزح والسخرية بل باعتقاد تام ان عملهُ هذا رسم واجب عليهِ لكي تجود لهُ الشجرة بعصارها ومتى حان وقت استخراج العصار منها جاءها باناء من القنا الهندي مدعياً انهُ ابن الشجرة وطلب منها ان ترضعهُ بلبنها ثم يجيبهُ عن لسانها قائلاً ارضع يا ابني حتى تشبع فان ثديي امك مملوءَان . ويوصل بها اولاً اناءً صغيرًا لكي لا تخاف اذا علق اناءً كبيرًا ومتى اطمأَن بالها علَّق اناءً كبيرًا وهو يتوسل اليها ويتودد

والظاهر ان الناس تدرَّجوا من رسوم مثل هذه يقدمونها الى الاشجار الى رسوم يقدمونها الى الالات والادوات ثم الى ارواح الموتى ثم الى الكائنات العليا التي تدبر امور البشر وهنا جراثيم السحر والدين . والانسان ابن العادة والاعمال التي يعتادها يأْلفها ويتوارثها اولادهُ من بعدهِ و يصيرون يفعلونها لانها مأْخوذة عنهُ بالارث من غير ان يعرفوا سببها او يبحثوا عنهُ . وتتكاثر الرسوم التي من هذا القبيل على مرور الازمان وكلما قلَّ تفكير الناس كثرت اوهامهم ورسومهم . والانسان يعمل هذه الاعمال لانهُ مدفوع للعمل وبعض اعمالهِ سحري و بعضها ديني اما هو فلا يميز بينها بل يستعملها كلها على حدٍّ سوى ويستعمل الرسم الواحد في ما نعدهُ سحرًا و يستعملهُ ايضاً في ما نعدهُ ديناً . ولا اعرف قبيلة واحدة من القبائل المتوحشة وشعائرها خالية من كل فكر ديني . وقد ادَّعى بعض السيَّاح انهم التقوا باقوام لا دين لهم على الاطلاق ولكن وُجد لدى البحث والاستقصاء ان اولئك السيَّاح لم يدققوا في البحث او عنوا بالدين معنىً اضيق من معناهُ الحقيقي . وتدلُّ الدلائل على ان الاعمال السحرية ارتقت قبل الاعمال التي ندعوها دينيَّة ولذلك يصح القول ان السحر سبق الدين عند بعض القبائل لا لان مبادئ الدين الاولية لم تكن موجودة عندهم بل لان السحر كان متغلباً عليها فاختنقت معهُ

هذا ولنعد الى قول القائلين ان الاعتقاد بوجود كائن فوق الكائنات نسبيًّا موجود في الفطرة فان هذا الاعتقاد يمكن تعليلهُ بان الناس وهم على الفطرة كانوا يشعرون بوجود القوى حولهم فاستعظموا قوةً منها وزاد شأْنها في عيونهم على توالي الازمان فهابوها ورووا عنها

الروايات الغريبة ونسبوا اليها ما استعظموهُ من الحوادث الطبيعيَّة وما تعذر عليهم تعليلهُ منها وخصوا بها رسومهم وشعائرهم · ولكن المعلومات التي لدينا الآن لا تكفي للحكم بان كل الناس جروا هذا المجرى او جروا عليهِ دائماً

ثم اعتذر الخطيب عن تعرُّضهِ لهذا الموضوع بانهُ رأى قوَّة الادلة التي اقامها بعض العلماء الذين طرقوا هذا الموضوع من جهات مختلفة فخطر لهُ ان يأتي بشيءٍ يحسبهُ مساعداً على تفسير بعض ما فيهِ من المشاكل وذلك بتبيينهِ الى اين تتجه الاقوال التي قيلت فيهِ والنتائج التي وصلت اليها

تجارة مصر منذ مئة عام

تجارة مصر مع تونس والجزائر وطرابلس الغرب ومراكش

الواردات — يستورد القطر المصري بحرًا من هذه البلدان زيت الزيتون والطربوش والشال الصوف الابيض والشبشب والبرنس والعسل والشمع والسمن · فيدخلهُ سنويًا من الزيت خمس مئة الى الف جرَّة تزن الواحدة بين اربع مئة وخمس مئة رطل · وثمن القنطار (١٥٠ رطلاً) بين ٤٥ و ٦٠ فرنكاً

ومن الطربوش ٣٠٠ صندوق في كلٍّ منها ٥٠ الى ١٠٠ دستة · وثمن الدستة بين ٣٠ و ٧٥ فرنكاً تبعاً لنوع الطربوش

ومن الشال الصوف للاعتمام بهِ ٣٠ او ٤٠ بالة في كلٍّ منها من ٢٠٠ الى ٤٠٠ شال · وثمن الواحد منهُ ١٢ فرنكاً

ومن الشبشب نحو ٣٠ الف زوج ترد من مراكش والجزائر وطرابلس الغرب وتونس ·

ومن البرنس ثلاثة آلاف او اربعة آلاف بعضها صوف وثمن الواحد بين ٦ فرنكات و ٢٠ فرنكاً والبعض الاخر حرير محوك في الجزائر وثمن الواحد منهُ بين ٦٠ فرنكاً و ٣٠٠ فرنك

ومن العسل خمسة آلاف او ستة آلاف وطب في كلٍّ منها ٤٠ او ٥٠ اقة · وثمن الاقة نحو فرنك

ومن الشمع اربعة آلاف اقة · وثمن الاقة بين ١٥ و ٣٠ قرشاً

ومن السمن الف جرَّة في كلٍّ منها ٣٠٠ الى ٣٥٠ رطلاً · وثمن القنطار نحو مئة واربعين قرشاً

وتعفي الحكومة المصرية من رسوم الجمرك جميع البضائع الخاصة بالحجاج المتوجهين الى مكة فلا يُكشف عليها مطلقاً

الصادرات — يصدر من القطر المصري الى هذه البلدان اصناف مختلفة اخصها الاقمشة الكتانية والقطنيّة والبن وزهر الورد المجفف وبزر النيل وملح النشادر

فيرسل سنوياً الى تونس بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ بالة من الاقمشة في كلٍّ منها ٣٠٠ الى ٤٠٠ شقة . وثمن الشقة بين ثمانية فروش وثلاثين قرشاً

ومن البن خمسون فرداً ٠ ومن زهر الورد المجفف نحو عشرة قناطير . وثمن القنطار اربعة جنيهات ٠ ومن بزر النيل ٣٠ اردباً ٠ وثمن الاردب في مصر نحو سبعة جنيهات

ومن ملح النشادر نحو اربعة آلاف رطل

ومن البخور الجيد نحو مئة قنطار . وثمن القنطار وهو ١٥٠ رطلاً بين ٥٠ و ٦٠ فرنكاً

ويلي تونس في الاهمية الجزائر فطرابلس الغرب فمراكش فيرسل اليها كميات ليست بقليلة من جميع الاصناف التي ذكرناها وفي زمن الحجّ يمرّ حجاج هذه الاماكن المسافرون بحراً على الاسكندر فيتبادلون البضائع مع تجارها في مجيئهم ورجوعهم ومما يأخذونهُ معهم ٤٠٠ او ٥٠٠ مقطع من المنسوجات الحريريّة المنسوجة في مصر و ٥٠٠ شقة آلاجه من نسج الشام و ٢٠ او ٣٠ بالة من حرير بيروت الابيض والاصفر

(٤) تجارة مصر مع سوريا

الواردات — ترسل بلاد الشام الى مصر فضلاً عن سلعها الخاصة اصنافاً مختلفة مما يرد اليها من الهند بطريق البصرة وبغداد فدمشق او بطريق مكة فتحضره قوافل من الحجاج

فيرسل من يافا وغزة ونابلس وعكا والقدس الصابون وزيت الزيتون والقطن وبزر النيل والسمسم والعفص وقليل من الشمع . وينقل جانب من هذه البضائع بحرًا وجانب برًّا بطريق العريش . فيرد من الصابون نحو ٢٥٠٠٠٠ اقة . وثمن الاقة في الشام نحو ٦ قروش

ومن الزيت نحو ٨٠٠ قنطار . وثمن الرطل منهُ في مصر نحو غرش ونصف

ويرد من دمشق خاصةً قماش الحرير الممزوج قطناً والالاجه وقمر الدّين والنقوع والفوة وشال الكشمير والموصلين والملاة والثلاثة اصناف الاخيرة هنديّة ترد الى الشام بطريق بغداد

ويرسل من بيروت واللاذقية وطرابلس وخلافها كثيرٌ من الحرير الابيض والاصفر شللاً وثمن الرطل من الاول نحو ١٠ فرنكات ومن الثاني ١٨ فرنكاً

والتبغ وهو صنف مهمّ يرد اكثرهُ من اللاذقية بمعدّل ٤ آلاف بالة سنوياً كل بالة

٤٠٠ رطل . وثمن الاقة منهُ في مصر بين ٩ قروش و ٢٦ قرشاً

اما اجرة النقل في المراكب فكانت خمسة قروش عثمانية عن كل قنطارين ونصف بوزن مصر ورسوم الجمرك في مصر على معدل ١٠ الى ٣٠ في المئة . وفي عهد المماليك كان اعظم الرسوم ما يؤخذ على الاقمشة الحريرية

الصادرات — يصدَّر من مصر الى سوريا الارز والحنطة والعدس والحمص والكمون والزعفران والكتان والجلود والبن والنيل والتمر الهندي والشمع وعرق اللؤلوء وخرز نوى الدوم لعمل السبح والفلفل والزنجبيل والرقيق . ويشحن معظم هذه الاصناف من ميناء دمياط فيصدر منهُ نحو ٣٠ الف اردب من الارز سنوياً . وثمن الاردب بين ٦٠ و٦٨ فرنكاً

ويرسل الى الشام نحو الف اردب من الفول وثلاثة آلاف اردب من العدس ومئة اردب من الكمون . وثمن اردب الفول بين ٢٠ و٢٣ غرشاً واردب العدس ٢٦ غرشاً واردب الكمون ٦٥ غرشاً

ومتوسط ما تستورده سوريا من السكر المصري سنوياً الف قنطار . وثمن القنطار من جيده ٧٨ فرنكاً ومن رديئهِ ٣٨ فرنكاً . ويصدر اليها نحو ٥٠٠ قنطار من النيل وزن القنطار ٢٠٠ رطل . وثمنهُ بين ١٣٠ و١٤٥ فرنكاً . ونحو ١٠٠ من الرقيق سنوياً

ورسوم جمرك الصادرات من مصر الى الشام بين ١٠ و٣٠ في المئة . ومتوسط اجرة نقل القنطار بالمراكب الشراعية ٨ قروش

(٥) تجارة مصر مع بلاد العرب والهند

الواردات — يَرِد الى القطر المصري من بلاد العرب بطريق القصير والسويس مقادير كبيرة من البن اليمني . وكان يرد اليها في الخمس عشرة سنة السالفة بطريق السويس نحو ٢٥ الف فرد من البن اما الآن فلا يتجاوز الوارد ١٥ الف فرد يزن الواحد منها ½ ٣ قنطار وثمن القنطار المصري من هذا البن في ينبع بين ١٢ و١٥ ريالاً مصرياً وفي جدة اقل من ذلك بريالين وهما قيمة ما يدفع عليهِ من الرسوم التي يستولي عليها شريف مكة . واجرة نقل القنطار من جدة الى السويس بين ٩ غروش و١١ غرشاً ومن هناك ينقل على الجمال الى القاهرة وسائر الجهات

ومما يجدر ذكرهُ هنا ان وزن القنطار والرطل في موانئ بلاد العرب مثلهُ في مصر والبندقية وذلك مما يعزز رأي الرحالة برُوس وهو ان تجار البندقية هم الذين أدخلوا هذه الاوزان الى الشرق حين كانوا مستأثرين بالتجارة فيهِ

وفضلاً عن البن يرد الى مصر من جدة وينبع اصناف عديدة من بضائع الهند مثل البخور والصمغ والبهارات وغيرها مما تجلبهُ السفن التجارية ويخزن فيها

الصادرات — يصدر من مصر الى بلاد العرب الحنطة والدقيق والفول والعدس والسكّر والسمن وزيت الخس وزهر القرطم والاقمشة الكتانية الخ . واكثر ما يرسل من هذه الاصناف بطريق القصير في شهري ابريل ومايو ويرسل من السويس البضائع الاوربيَّة المصدَّرة الى بلاد العرب او الهند مثل الزجاج البندقي والمرجان والقرمز والعُصفر والحديد والرصاص والنحاس والورق . وقيمة ما يصدَّر من الزجاج والمرجان سنوياً نحو ستة آلاف جنيه ومن الحديد والرصاص والنحاس الف وخمس مئة جنيه

(٦) تجارة مصر مع اوربا

الواردات — يَرِد الى مصر من البندقية المخمل (القطيفة) والاطلس والورق الابيض والاسمر والخرز الملوّن ونوع من الجوخ الاحمر الجيد كان المماليك يتباهون بلبسهِ فيشترون الذراع منهُ بمئة وستين قرشاً صاغاً . ولكن بعد احتلال الجيش الفرنساوي للقطر المصري هبط هذا الثمن الى ٦٠ قرشاً

ومن المانيا النحاس الاحمر والاصفر والصفيح والفولاذ (الصلب) والمرايا والمسامير وسائر " الخردوات " والزئبق والزرنيخ والجوخ الخ

ومن توسكانا البلاط الرخام والقرمز ويباع الرطل منهُ في بلادهِ بين ٣ و ٥ ريالات والتفته والاقمشة الحريريَّة المنقوشة. وثمن الذراع منها بين ١٥ و ٢٠ فرنكاً

ومن فرنسا الجوخ والاقمشة ويبلغ مجموع اثمانها نحو ٥٠٠٠٠٠ فرنك سنوياً والمرايا والمدى " والخردوات " ويقدَّر مجموع اثمانها بخمسين الف فرنك سنوياً . والفولاذ والحديد والرصاص والصفيح بست مئة الف فرنك سنوياً . والاسلحة والاصباغ والمشروبات والروائح العطرية وغير ذلك من الاصناف التي تستوردها فرنسا من الخارج وترسلها الى مصر

الصادرات — ترسل مصر الى فرنسا الارزّ والحنطة والعصفر وملح النشادر والنطرون والصودا وغزل القطن والاقمشة القطنيَّة والكتانية والسنا وجلد الثور والجاموس والجمل والتمرهندي والبن وغير ذلك من الاصناف التي ترد اليها من الخارج . فترسل سنوياً من الارزّ نحو خمسة آلاف اردب ومن القمح مقادير وافرة تختلف باختلاف السنين وحالة الغلة في فرنسا . وتصدَّر الى البندقية والمانيا وتوسكانا من اكثر هذه الاصناف بمقادير تتباين في اهميتها تبعاً للاحوال

التعبير والاداء في الخطابة

من كتاب الغصن الرطيب في فن الخطيب

(في التعبير)

س ما التعبير

ج هو تصوير المعاني بالالفاظ . وهو الاصل الثالث من اصول الخطابة

س متى يكون التعبير جيداً

ج متى كان ممثلاً للمعاني بصور لفظية محكمة الالتحام جميلة الانتظام تلج الآذان بلا استئذان

س لماذا جعلت التعبير الاصل الثالث من اصول الخطابة

ج لان الخطيب يصرف همهُ اول الامر الى اختراع الادلة واعداد الوسائل ثم يرتبها ترتيباً منطقياً . فيكون بالايجاد والترتيب قد كوَّن جسماً فيتعين عليهِ ان يكسوهُ ثوباً من اللفظ لائقاً

فان استطاع ان يأتي بجسم المعنى سليماً جميلاً و بالثوب فاخراً مناسباً كان كمن يعرض على الناس فتى جميل الوجه متناسب الاعضاء لابساً من انفس الثياب واجودها فتنعم العيون برؤيتهِ وتخضع القلوب لسلطان جمالهِ . وان لم يكن المعنى اللابس شائقاً واللفظ الملبوس لائقاً فلا يجد لهُ في القلوب تأثيراً

س بماذا يصل الخطيب الى الاتيان بالمعنى يشبهُ فتى وضيء الطلعة جميل الصورة وباللفظ يحكي الثوب الفاخر الرائع المنظر

ج اما الاتيان بالمعنى بالهيئة المذكورة فلا يُدرَك الاَّ بعد اجالة النظر في الموضوع والاحاطة باطرافهِ وجعل مراعاة الاحوال والغرض المقصود نصب العين ووُجهة القلب

واما البأسهُ من الالفاظ ثوباً قشيباً فاخراً ملائماً فأمرٌ لا يقدر عليهِ الاَّ من كان كالثوَّاب جامعاً في مخزنهِ ما شاء الله من اصناف ثياب الذكور والاناث مما يصلح لكل طبقة من طبقات الناس . بحيث كلما خطر لهُ معنىً وجد لهُ لفظاً يلائمهُ كما ان كل طالب يجد طلبتهُ في مخزن الثوَّاب

س الا تذكر لي قواعد البلاغة في التعبير

ج قد ذكرت لك كل ما لا بدَّ منهُ لتحصيل ملكة البلاغة . واشبعت الكلام في ذلك بعد الفراغ من اصول البيان فعليك بمراجعتهِ وليكن على ذكر منك ان الاساليب

المبتذلة لا تستميل الاسماع ولا تجد مكاناً في القلوب فابذل الجهد ان تسمع الناس جديداً شائقاً

س اهذا الحدُّ يبلغ شأن التعبير

ج اذا اردت ان تعرف منزلة العبارة فانظر الى رجال حسان الالوان طوال القامات لكن بعضهم لابس ثياب حرير نظيفة ذات روعة على الزيّ المألوف وبعضهم عليهِ ثياب حرير رثّة وسخة وبعضهم عليهِ ثياب من الكتان فايّ هؤلاء يكون اجمل في عينك منظراً . فلا شك ان اجملهم في عينك هو الاول . وكذا لو عُرِض عليك ثلاثة اقداح واحد من خزف وواحد من زجاج وآخر من بلور وفي كلها نوع واحد [1] من الشراب لاخترت قدح البلور

س هل للخطيب ان يصرف همتهُ الى تمحيق الالفاظ

ج سبيل الخطيب ان تكون عبارتهُ حرةً مهذّبة لا تدخلها المحسنات اللفظية الاَّ عفواً تفتح للناس ابواب الآمال في مقام الترغيب . وتسدّ في وجوههم ابواب الرجاء في مقام اليأس وتملأ قلوبهم ذعراً في مقام الوعيد ورجاء في مقام الوعد وهلم جرًّا

س ماذا تقول في الخطب المزينة بالاسجاع وانواع الجناس مثل الخطب الحريريَّة وخُطب ابي حليم بطريرك النساطرة

ج اما الخطب الحريرية فما انشئت ليخطب بها على المنابر وانما هي خطب في كتاب جلّ الغرض من انشائهِ اظهار البراعة وغزارة المادة و بعد الشأو في الكتابة

واما خُطب ابي حليم فانما حلاّها بحلى التجنيس متابعةً لعادة العصر فلو ترسَّل بها ما قوبلت بمثل ما قوبلت بهِ من الاستحسان والاستفصاح

على ان مثل ابي حليم غزارة مادة لا يخرج بهِ التزام السجع والجناس الى اضعاف المعاني والتكلف في المباني فهو كأبي القاسم الحريري يتقيد و يسابق المطلق فيأخذ عليهِ السبق

وان كنت في ريب من ذلك فعارض الخطبة المهملة لابي القاسم باي خطبة شئت من الخطب المرسلة لفحول الكتّاب فلا ترى لها مزية عليها في متانة التركيب وحسن التهذيب واليك منها

واكدحوا لمعادكم كدح الاصحاء . واردعوا اهواءكم ردع الاعداء واعدُّوا للرحلة اعداد السعداء . وادَّرعوا حلل الورع . وداووا علل الطمع وسوُّوا أوَد العمل . وعاصوا وساوس الامل (المقامة السمرقندية)

---

(١) ومن هذا القبيل قول يونس بن حبيب ليس لعيّ مروءة ولا لمنقوص البيان بهاء ولو حكّ بيافوخهِ عنان السماء . وقال ابن القوم البيان عناد العلم

س لماذا يختار في الخطب الاعراض عن الاشتغال بالحلى اللفظية

ج انما اختير ذلك ليتفرغ الخطيب الى اقامة المعنى واستنباط الاساليب التي تؤدي الى قلوب السامعين حتى تحصل المصلحة المقصودة بالخطبة وهي صبغ نفس السامع بمثل ما انصبغت بهِ نفس الخاطب واقصاه الخطيب عن الاشتغال بما يدلُّ على سعة علمهِ وطول باعهِ فانما هو خطيب مصلحة عامة لا خطيب التبجح والعُجب . فلا يليق ان يجعل الخطبة اعلاناً لعلمهِ وطول باعهِ

س ايّ الخطيبين يفضل على الآخر المتأنق بزخرفة العبارة ام المكتفي بان تكون مهذبة قريبةً الى الافهام

ج المكتفي بكون العبارة مهذبة قريبة الى الافهام فهذا يكون سديد البرهان لا مطلب لهُ الاَّ فائدة السامعين واما المتأنق فجلُّ غرضهِ ان يقيم من الخطابة شهوداً على بسطة علمهِ ومن اجل هذا فضلَ ديموستانُ شيشرونَ الخطيب الروماني . (راجع محاورات فنلون في علم الخطابة ورسالتهُ الى المجمع العلمي الفرنسوي وقد ترجمتُ المحاورات والرسالة بالعربيَّة اما المحاورات فمطبوعة مع كتاب فصل الخطاب في الوعظ . واما الرسالة فمطبوعة في جريدة الروضة سنة ١٩٠٠)

(في الاداء الخطابي)

س ما الاداء الخطابي

ج هو القاء الخطبة

س هل للاداء شأن كبير في الخطابة حتى عدَّ من اصولها وأُفرد لهُ باب من كتبها

ج لا ريب في ذلك لان الاداء هو ابداء مقاصد الخطيب وشواعرهِ بحركات الجسم واختلاف طبقات الصوت الا وانما ساعةَ الاداء يكون الانسان خطيباً . وساعةَ الاداء نفسها يجاهد الاهواء الزائغة طالباً كبحها وابطالها

فاعظم خطيب ان لم يحسن الاداء تعرض الناس عنهُ وتمجُّ اسماعهم كلامهُ . وأحطُّ الخطباء طبقة ان توفر لهُ حسن الاداء فضل على أعلام طبقتهِ ان لم يحسن الاداء. ولاسيما عند العوام الذين انما ينظرون الى وقفة الخطيب وصوتهِ واشارتهِ وطلاقة لسانهِ وقلما يبالون بما وراء ذلك. فان لم يحسن الاداء فليس بخطيب قال ديموستان وقد سئل اي اصول الخطابة هو الاول. قال الاداء . فقيل لهُ ما الثاني . قال الاداء. فقيل لهُ ما الثالث. قال الاداء

س ماذا ينضمُّ تحت لفظة الاداء الخطابي

ج الذاكرة والصوت والاشارة لان اجادة الاداء تقتضي ان يتذكر الخطيب للحال ما ينوي بيانهُ من الافكار والشواعر وان يوصلها الى السامعين بالصوت ناطقاً بها ولا بدَّ لهُ آخر الامر من اشارات تفيض على كلامهِ روح حياة لتتم النتيجة المقصودة

س ما الذاكرة

ج هي الخزانة المستودَعة معاني الخطبة ومبانيها

س أهي ذات شأن في الخطابة

ج هي كنز الخطابة وليس بعد الحكم المصيب شيءٌ يحتاج اليهِ الخطيب احتياجهُ الى ذاكرةٍ سريعة امينة

فان لم يكن لهُ حافظة اضطرَّ اما الى قراءة الخطبة واما الى ادائها وهو على ريب من الاحاطة بها حفظاً . وكلا الامرين تخلاَّن بحق الخطابة ولكن ان كان قد ضمَّ الى قوة الذاكرة سائر صفات الخطيب كان من الثابت ان يعجب ولوكان موضوعهُ من الموضوعات الممتهنة بكثرة الابتذال. قيل لأحد الخطباء ما احسنَ خطبك . قال هي التي كنت لها أحفظ

س بماذا يستعان على تقوية الذاكرة

ج يستعان بعدة وسائل احدها ترتيب اجزاء الخطبة فان المعاني الجيدة التنسيق يدعو بعضها بعضاً فهي كسلسلة متصلة الحلق

ثم كتابة الخطبة بخطٍ حسن وعبارة منقحة حتى لا يشقَّ عليهِ استظهارها وان يختار للحفظ اما اوَّل النهار او ما قبل النوم

ثم الممارسة والتجربة فلا يكفي ان يحفظها في ذهنهِ او يذكرها بصوت منخفض بل لا بد لهُ ان يخطبها بصوت عالٍ إما وحدهُ وإما في جماعة قادرين ان يقوّموا الأود ويصلحوا الخطأ . ولاسيما في مبدإ امرهِ فمثل الذاكرة مثل الحقل يزيد خصباً كلما زدتهُ حرثاً وغذوتهُ سماداً ويعود جديباً متى تركتهُ بوراً

وليتوسل بكل بما يراهُ من هذه الوسائل اعون على تقوية ذاكرتهِ

س ما هي محاسن ومساوي كتابة الخطبة واستظهارها كلمة فكلمة

ج اما المحاسن فان هذا اسلوب وثيق ومن اللازم استعمالهُ للمبتدي . واما المساوي فقد يعرض انهُ يرتج على الخطيب كما حدث لبعض الناس على المنابر . وانها تقيد الخطيب وتجعل الاداء بارداً وتزيد الخطابة كلفةً وعناء كلما علت السنّ حتى ان بعضهم اضطرَّ ان يهجر المنبر سنين من عمرهِ

اسباب الاحتلال البريطاني

(٨)

اشرنا في الجزء الماضي الى حادثة الضباط الشراكسة الذين اتُّهموا بالمؤامرة على قتل عرابي وقد قال عرابي للمحامي عنهُ ان مملوكاً من مماليك الخديوي اخذ على نفسهِ ان يدس السم لعبد العال باشا في مدرسة القبة ووضع لهُ السم في اللبن الذي كان عازماً على شربهِ ولكن خادم الباشا عرف ذلك قبلما شرب مولاهُ اللبن ثم تواطأ جماعة من الشراكسة على قتل عرابي نفسهِ وكل مصري مترتّع في منصب عالٍ . هذا ما ادعاهُ عرابي ولكن لم يقم دليل على صحة هذه الدعوى ولقد كان حكم المجلس العسكري حكماً سياسيًّا بعيدًا عن الانصاف . والظاهر ان عرابي كان كثير الظنون ولم تكن الدسيسة لقتلهِ الأ وهماً في مخيلتهِ

ولما صدر حكم المجلس العسكري وقع الخديوي في مشكل يصعب الخلاص منهُ لاسيما وان نظّارهُ كانوا مؤيدين للمجلس لكن الباب العالي اعترض على الحكم لان عثمان باشا حائز على رتبة فريق وقد نال هذه الرتبة من جلالة السلطان فلا يستطيع الخديوي ان ينزعها منهُ . وطلب السلطان ان يحال الامر اليهِ فاجاب الخديوي بالامتثال فاغتاظ نظّارهُ من ذلك اما هو فقال للسر ادورد ملت انهُ يفضل ان تخسر مصر بعض امتيازاتها ويردّ اليها النظام الذي فارقها . واصرَّ النظار على رأيهم وقال رئيسهم للسر ادورد ملت انهُ اذا اصدر السلطان ارادة سنيَّة بالغاء حكم المجلس العسكري فالحكومة المصريَّة لا تطيع ارادتهُ واذا ارسل مأمورين من الاستانة منعوهم من دخول القطر المصري ولو اضطروا الى استعمال القوَّة

ولا شبهة ان نظار الحكومة المصريَّة وقفوا هذا الموقف في وجه الحكومة العثمانية لانهم كانوا معتمدين على مساعدة فرنسا . وارادت فرنسا حلَّ المشكل من غير توسط الباب العالي فاشار المسيو ده فرسينه ان يعفو الخديوي نفسهُ عن عثمان باشا ووافقهُ لورد غرانفل على ذلك ففعل الخديوي حسب مشورتهما . وفي ٩ مايو اصدر امرًا عاليًا بتخفيف العقاب الذي حكم بهِ على الضباط الاربعين وجعلهُ النفي من القطر المصري بدل النفي الى السودان فزاد الخلف بينهُ وبين نظّارهِ . واستدعى مجلس الاعيان للاجتماع من غير امر الخديوي ولم تبقَ شبهة في ان الحزب العسكري كان ينوي خلع الخديوي وتنصيب محمود باشا سامي بدلاً منهُ

لكن مجلس النواب لم يكن موافقاً للحزب العسكري على تطرُّفهِ وطيشهِ وقال رئيسهُ سلطان باشا للسر ادورد ملت ان اعضاء المجلس عملوا باشارة عرابي في اسقاط وزارة شريف

باشا رغماً عنهم اما الآن فعلموا ان الحزب العسكري خدعهم وهم عازمون ان يسقطوا الوزارة ٠ وكتب السر ادورد ملت في ١٣ مايو يقول ان مجلس النواب ورئيسهُ مؤيدون للخديوي على ما يظهر ولكنهم طلبوا من سموهِ ان يعفو عن نظارهِ ويصطلح معهم فأبى ولذلك صار النظار يقاومونهُ جهاراً ويتهددونهُ ويتهددون العائلة الخديويَّة كلها وقد اعتدوا على القانون باستدعائهم مجلس النواب للاجتماع من غير امر الخديوي ٠ والافكار قلقة في القاهرة وقد اخذ كثيرون يرحلون عنها

وقدَّم رئيس مجلس النظار استعفاءهُ للخديوي واشار قنصل فرنسا وانكلترا بتعيين مصطفى باشا فهمي بدلاً منهُ وقال السر ادورد ملت ليعينوا ايًّا كان ما عدا عرابي ٠ وقال زعماء الحزب الوطني انهُ اذا استعفت الوزارة فهم غير مسؤولين عن حفظ الامن اما انكلترا وفرنسا فلم تقبلا ان تعفياهم من المسؤولية وطلبتا من وكيليهما في القاهرة ان يرسلا الى عرابي ويخبراهُ انهُ اذا اختلَّ الامن يجد انكلترا وفرنسا ضدهُ ومعهما اوربا كلها وتركيا وتعدانهِ مسؤولاً عن كل ما يحدث

وعُرضت رئاسة مجلس النظار على مصطفى باشا فهمي فأبى قبولها ٠ وقال سائر النظار انهم يستعفون اذا كان مجلس الاعيان يطلب منهم ذلك وقال رئيس مجلس الاعيان انهُ يستحيل تغيير الوزارة ما دامت القوة العسكريَّة في يد عرابي ٠ فقال المعتمدان الانكليزي والفرنسوي للخديوي انهُ اذا استحال عليهِ تغيير الوزارة فليس لهُ الاَّ ان يتفق معها

وثبت حينئذٍ ان لا بدَّ من الاعتماد على الباب العالي في حل المسألة المصرية او على انكلترا وفرنسا ولكن يجب ان يكون ذلك حالاً قبلما يتَّسع الخرق ويتعذَّر رتقهُ ومال المسيو ده فرسينه الى الاستعانة بالجنود العثمانية واقترح الامور الآتية

(١) ان ترسل عمارة انكليزية وفرنسوية الى الاسكندرية

(٢) ان تطلب انكلترا وفرنسا من الباب العالي ان يمتنع عن المداخلة في امور مصر في ذلك الوقت

(٣) ان تخبرالمانيا والنمسا وروسيا وايطاليا بارسال العمارة الانكليزيَّة الفرنسوية الى الاسكندرية ويطلب منهنَّ ان توصين سفراءهنَّ في الاستانة بما اوصت بهِ انكلترا وفرنسا سفيريهما

(٤) ان الحكومة الفرنسوية عدلت عن خلع الخديوي (وكانت قد جاهرت قبلاً بوجوب خلعهِ وتنصيب حليم باشا وقاومتها انكلترا في ذلك قائلة اننا وعدنا الخديوي بحفظ

منصبهِ لهُ فلا يجوز لنا ان نخلف وعدنا) وقالت فرنسا حينئذٍ انهُ لم تبقَ فائدة من ابدالهِ بآخر من بيت محمد علي

(٥) اما من جهة مداخلة الباب العالي فقال المسيو فرسينه انهُ اذا استدعت انكلترا وفرنسا جنوداً عثمانية الى القطر المصري وتولتا قيادتها فلا يكون ذلك من قبيل مداخلة الباب العالي واذا وصل الاسطولان الانكليزي والفرنسوي الى مينا الاسكندرية ورأت انكلترا وفرنسا انهُ لا بدمن انزال الجنود الى البر فلا تكون هذه الجنود انكليزيَّة ولا فرنسويَّة بل تركية على الشرط المتقدم

(٦) ان يؤمر قنصلا انكلترا وفرنسا ان لا يعترفا بسلطة شرعيَّة الاَّ للخديوي وان لا يعاملا الحكومة المصرية الحاضرة الاَّ في ما يدعو اليهِ تأمين رعايا دولتيهما

فوافق لورد غرانفل على هذه الامور كلها ولكنهُ قال ان طلبنا امتناع الباب العالي عن المداخلة الآن يجب ان يكون على اسلوب لا يغضبهُ لاننا قد نضطر ان نطلب منهُ مطالب اخرى وان القوة التي تقتضي الحال ان ترسل الى مصر يجب ان تكون كبيرة واستحسن ان يدعى غيرها من الدول الاوربيَّة لترسل بوارجها الى الاسكندرية اذا ارادت . اي ان انكلترا كانت تريد ان تبقى القوة الاجرائية في مصر بيد الباب العالي وتكون اوربا كلها مراقبة على ذلك. فوافق المسيو ده فرسينه على الامر الاول الى الاشارة الى الباب العالي من طرف خفي بانهُ قد تُطلَب منهُ المداخلة الفعلية ولكنهُ لم يوافق على الامر الثاني اي طلب السفن الحربيَّة من بقيَّة الدول لان ذلك ينزع من انكلترا وفرنسا مالها من الحقوق الممتازة في مصر بعد ان اعترفت الدول لها بهِ. فاجاب لورد غرانفل سفير فرنسا قائلاً ان المستر غلادستون يشاركني في الاسف لاننا لم ندعُ سائر الدول الى الاشتراك معنا والحكومة الانكليزيَّة تعدُّ ذلك خطأً ولكن الحكومة الفرنسوية قد وافقت الحكومة الانكليزيَّة على امور كثيرة فالحكومة الانكليزيَّة توافقها على هذا الامر ولو على غير رضاها

ولما بلغ السر ادورد ملت ما عزمت عليهِ الحكومة الانكليزية والحكومة الفرنسوية ارسل تلغرافاً الى لورد غرانفل في ١٤ مايو يقول فيهِ انهُ اذا لم يُعلَم ان السلطان موافق على عمل انكلترا وفرنسا خيف ان يتفق النواب مع الحزب العسكري فيستحيل مقاومتهما بعد ذلك

وكان الخديوي يحسب ان لا بدَّ لهُ من مساعدة الباب العالي ولو ادبياً وطلب من السر ادورد ملت ان يتوسل الى الحكومة الانكليزية لتسعى لدى الباب العالي حتى يرسل اليهِ تلغرافاً يخولهُ فيهِ مخابرة انكلترا لتساعدهُ في رد سلطتهِ حاسباً ان ذلك يقويهِ على اكتساب

النواب ونزع ما خامر الافكار حينئذٍ من ان الباب العالي غير راضٍ عن فعل الدول الاوربيَّة

ومن المحتمل انهُ لو اعربت انكلترا وفرنسا عن قصدهما صريحاً لوافقهما الباب العالي قلباً وقالباً وانتهت المسألة على ما يرام ولكنهُ اغتاظ من فعل انكلترا وفرنسا ولا سيما من عزمهما على ارسال اسطوليهما الى الاسكندرية وطلب من سفيريهِ في باريس ولندن ان يحتجا على ذلك. واغتاظت الدول الاوربيَّة من ارسال الاسطولين حاسبة انهُ كان يجب على انكلترا وفرنسا ان تستشيراهنَّ بذلك قبلاً فرفضنَ ان يكلمنَ السلطان لكي يمتنع عن كل مداخلة الآن

وكانت الحكومة الفرنسوية شديدة الكراهة الاستعانة بتركيا مخافة ان يقوم الشعب الفرنسوي عليها اذا علم بانها عازمة على ذلك فرأت الحكومة الانكليزية ان تجاريها على كتمان ما جرى بينهما وبين الباب العالي . وقال لورد غرانفل انهُ لم يكن في النية انزال الجنود الى القطر المصري ولا احتلالهُ احتلالاً عسكريًّا وانهُ حالما يستتب الامن في البلاد ويؤمن الرجوع الى الفوضى فالحكومة الانكليزية تترك مصر لنفسها وتسترجع اسطولها ولكن اذا جاء الامر على غير رغبتها وظهر انهُ لا يمكن الوصول الى الغرض المطلوب بالوسائل السلمية اتفقت انكلترا مع الدول الاوربيَّة وتركيا على الوسائل التي تراها هي والحكومة الفرنسوية انها خير الوسائل . وقال لورد دفرن لوزير الخارجية في الاستانة " انهُ اذا كان الباب العالي لا يساعد على قمع الثورة وارجاع السكينة الى القطر المصري على ما يرام بل زاد المسألة تعقيدًا باظهار الامور على غير حقيقتها وجرى على ضد مشورتنا نضطر ان نضاعف اسطولنا في الاسكندرية ونبقى هناك الى ما شاء الله "

وكان قد اخبر سعيد باشا قبل ذلك انهُ اذا اخلص الباب العالي في عملهِ واعتدل فتكون اول ثمرة يجتنيها ان الحكومة الانكليزية تلغي الامر الذي بعثت بهِ الى بعض بوارجها لتنضم الى الاسطول

وطُلب من المعتمدين الانكليزي والفرنسوي ان ينصحا الخديوي ليغتنم فرصة وصول الاسطولين الى الاسكندرية ويسقط الوزارة الحاضرة ويكلف شريف باشا او شخصاً آخر يثق بهِ بتأليف وزارة جديدة

فاجاب السر ادورد ملت ان الخديوي لا يستطيع ان ينصب وزارة جديدة ما لم تكسر اولاً شوكة الحزب العسكري لانهُ لا احد يقبل هذا المنصب في الاحوال الحاضرة ولذلك اشار ان يكلم عرابي ورفاقهُ الثلاثة حتى يقنعهم بمغادرة القطر المصري وجعل الواسطة بينهُ وبينهم سلطان باشا رئيس مجلس النواب فسألهُ سلطان باشا هل عمل انكلترا وفرنسا مجحف

بحقوق الدولة العلية فاجابهُ السر ادورد ملت ان انكلترا وفرنسا تقصدان الاحتفاظ بحقوق الدولة العلية . لكن عرابي رفض الخروج من القطر المصري رفضاً باتاً وقال احد الضباط على مسمع من قنصل فرنسا انهُ اذا رضي عرابي ان يترك بلادهُ فنحن نقطعهُ ارباً . واجتمع مجلس النظار حينئذٍ وقرر انهُ لا يعترف لانكلترا وفرنسا باقل حق في المداخلة ولا يعترف بالسلطة لدولة الاَّ للدولة العلية . وقال رئيس المجلس لقنصل فرنسا الجنرال انهُ ما عاد في الامكان الاعتماد على مساعدة النواب لانهم كلهم مستاؤُون من مداخلة فرنسا وانكلترا . فتحققت مخاوف السر ادورد ملت وتمكنت الروابط بين النواب والحزب العسكري وبين عرابي والباب العالي وجاء اسعد افندي موفداً من الاستانة ومعهُ رسائل زادت النظار مقاومة لمطالب انكلترا وفرنسا

ولما رأى معتمدا انكلترا وفرنسا ان السعي في اقناع عرابي ورفاقهِ ليغادروا القطر المصري لم يأتِ بفائدة طلب السر ادورد ملت من حكومتهِ ان تخبرهُ بما يجب فعلهُ وقال لها انهُ اذا عُلِم في مصر ان السلطان وافق على عمل انكلترا وفرنسا وعزم على ارسال جنودهِ اليها فمن المحتمل ان تنال المراد من غير ان تنزل جندياً الى البر . فبعث لورد غرنفل الى لورد ليونس سفير انكلترا في باريس يقول لهُ اخبر المسيو ده فرسينه ان الاخبار من مصر لا ترضي واعرض عليهِ ان ترسل حكومتنا والحكومة الفرنسوية منشوراً الى الدول تطلبان فيهِ منها ان تساعدنا لنطلب من السلطان اعداد الجنود لارسالها الى مصر

فلم تجب الحكومة الفرنسوية على هذا الطلب حينئذٍ واتفقت الحكومتان اخيراً على تفويض معتمديهما في مصر بعمل ما يريانهِ مناسباً لاخراج عرابي من القطر المصري

ولما بلغ هذا الخبر مصر اذيع منشور بين الضباط والجنود يقال فيهِ ان الحكومة الانكليزية والحكومة الفرنسوية مصرَّتان على نفي النظار كلهم ونفي كل ضباط الجيش وحل الجيش المصري والغاء مجلس النواب واحتلال البلاد . ولما رأى معتمدا انكلترا وفرنسا ان هذا المنشور قد ذاع خافا ان يتفاقم الخطب بسببهِ وتتعرَّض حياة الاجانب الذين في مصر للخطر فعزما ان يلتجئا الى الوسائل الرسمية الفعَّالة لاخراج عرابي من البلاد فسلما رئيس مجلس النظار مذكرة فيها المطالب التالية

الاول خروج عرابي باشا من القطر المصري وقتياً مع حفظ رتبتهِ ورواتبهِ . والثاني ابعاد علي باشا فهمي وعبد العال باشا الى داخلية البلاد مع حفظ رتبتيهما ورواتبهما . والثالث استعفاء الوزارة الحاضرة

وكانت نتيجة هذه المذكرة ان الوزارة استعفت في ٢٦ مايو وكتبت الى الخديوي تقول

له انهُ مالأ الدول الاوربية بقبوله الشروط التي اشترطتها فرنسا وانكلترا تخالف نص الفرمانات . فاجابها انهُ قبل استعفاء الوزارة لان ارادة الامة اقتضت ذلك وفي ما بقي فالامر متعلق بهِ وبالسلطان وهو يحترم الحقوق السلطانية دائماً . فسرّت الحكومة الفرنسوية بما حدث واجابت الحكومة الانكليزية على اقتراحها السابق من جهة مخاطبة الدول لتقنع السلطان بان يهيء الجنود حتى تمضي الى مصر اذا اقتضت الحال انهُ لم يعد محل لهذا الطلب من الدول لان الوزارة استعفت واخذ الاضطراب يسكن رويدًا رويدًا

وعُرضت الوزارة على شريف باشا فرفضها قائلاً انهُ يستحيل عليهِ قبولها ما دام رؤساء الجيش في البلاد وارسل ضباط الجنود التي في الاسكندرية وضباط البوليس تلغرافاً الى الخديوي يقولون فيهِ انهم لا يقبلون باستعفاء عرابي باشا من نظارة الحربيَّة وانهم يمهلون الخديوي اثنتي عشرة ساعة لكي ينظر في الامر وبعد ذلك لا يكونون مسئولين عن الامن العام . وقال سلطان باشا وغيرهُ من النواب للخديوي امام قنصل فرنسا الجنرال انهُ ان لم يردّ عرابي باشا الى نظارة الحربيَّة فلا امان على حياتهِ وكان الصدر الاعظم قد عرض على الخديوي ارسال معتمد من الاستانة اذا كان الخديوي يطلبهُ . وسئل السر ادورد ملت عن رأيهِ في ذلك فقال انهُ اذا كانت حياة الخديوي في خطر فلهُ ان يعمل ما يظنهُ دافعاً لهذا الخطر . اما قنصل فرنسا فقال انهُ ينتظر تعليمات حكومتهِ

وارسل السر ادورد ملت حينئذٍ الى حكومتهِ يقول ان موقف الخديوي حرج جدًّا فالناس هنا يتهددونهُ بالقتل ونحن منعناهُ من النزول الى الاسكندرية لما كانت الفرصة تمكنهُ من ذلك ومنعناهُ ايضاً من الالتجاء الى الدولة العلية التي يمكنها وحدها ان تساعدهُ فلا بدَّ من انهُ قد ندم الآن على اتباعهِ مشورتنا واعتمادهِ على مساعدتنا

فلما رأى لورد غرانفل ذلك وتبيَّن لهُ ان فرنسا مصممة على عدم اشراك تركيا في مسألة مصر مهما كانت العواقب بعث الى سفرائهِ لدى الدول يقول ان الحكومة الانكليزية تود ان لا يتأخر السلطان عن تعضيد الخديوي واستدعاء الرؤساء الثلاثة (عرابي وعلي فهمي وعبد العال) ورئيس مجلس النظار السابق الى الاستانة

وتفاقم الخطب في القطر المصري وبادر العلماء والرؤساء الروحيون والنواب الى الخديوي وطلبوا منهُ ان يرد عرابي الى نظارة الحربية فلم يجبهم الى طلبهم فقالوا لهُ انهُ يجب ان لا يعرّض حياتهم للخطر ولو كان لا يهتم بامر حياتهِ فان عرابي قد تهدَّدهم كلهم بالموت اذا لم يجبهم الخديوي الى طلبهم . وقيل ان حرّاس السراي أُمروا بان يمنعوا الخديوي من

الخروج منها وان حاول الخروج فعليهم ان يطلقوا الرصاص عليهِ فلما رأى ذلك اضطرَّ ان يرد عرابي الى نظارة الحربيَّة وطلب من السلطان ان يرسل مأمورًا الي مصر

ذكر لورد كرومر الحوادث السابقة بالاسهاب وقال ان خلاصتها هي اننا جرَّبنا ان نخلّص الخديوي من سلطة الحزب العسكري فلم نستطع بل بقي الفوز لعرابي ورفاقهِ وبقيت السياسة الانكليزية مقيدة باتفاقها مع فرنسا ولو انها كسرت بعض تلك القيود · ولم نلجأ الى السلطان لاصلاح الحال مع ان لورد غرانفل والسر ادورد ملت كانا يعتقدان ان الالتجاء اليهِ هو السبيل الوحيد لمنع الحرب وكان المسيو ده فرسينه معارضًا لذلك كما كان سلفهُ وكانت نتيجة هذا التردُّد ان السلطان والدول الاوربيَّة والشعب المصري كل هؤلاء اساؤوا الظن بسياسة انكلترا وفرنسا . ورأى الخديوي بالاختبار ان الاعتماد على مساعدة انكلترا وفرنسا كالاعتماد على قصبة مرضوضة

واتضح حينئذٍ انهُ لا يمكن التغلُّب على عرابي الاَّ بالقوة واذا لم يتقدَّم احد لاستعمال تلك القوة وجب على انكلترا استعمالها ولو انفردت في ذلك

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

اللبن النافع والضار

يولد الطفل ولا سبيل لهُ الى الغذاء الاَّ من ثديي امهِ او مرضع أخرى او من لبن المواشي فاذا ارضعتهُ امهُ وكانت على تمام الصحة جسدًا وعقلاً فذلك خير الاساليب لتغذيتهِ وكذا اذا ارضعتهُ مرضع اخرى جيدة الصحة رضيَّة الاخلاق ولكن اذا كانت المرضع مريضة او معرَّضة للانفعالات النفسيَّة او اذا دعت الحال الى تغذيتهِ بلبن المواشي فقلما ينجو من الادواء المختلفة التي تودي بهِ او تغادرهُ عليلاً سقيماً

ومما هو في حد الغرابة ان الامة التي تنفق ملايين الجنيهات كل سنة على حربيتها وبحريتها لتعزيز شأنها بين الممالك لا تهتمُّ اقل اهتمام بصحة اطفالها الذين يتوقف عليهم نموها وارتفاع شأنها

ترى الجنود يخرجون كل يوم للتمرُّن العسكري وترى قوادهم يخرجون بهم قبيل الفجر اياماً كثيرة في السنة للمناورات · واذا نظرت في ميزانية الحربيَّة رأيتها جزءا كبيراً من ميزانية الحكومة العمومية واذا فتَّشت في تلك الميزانية عن باب لحفظ صحة الاطفال او للاعتناء بارضاعهم لم تجد فيها اشارة اليهِ

بلاد كالقطر المصري يولد فيها كل سنة نحو اربع مئة الف طفل ويموت ربعهم في السنة الاولى او يعيش سقيماً معرضاً للادواء والآفات حتى قلما يجتاز السنة الخامسة من العمر. هؤلاء مئة الف نفس لا تجد في ميزانية الحكومة جنيهاً واحداً لحفظ حياتهم ودفع الادواء عنهم

ولو كان هذا الاهمال محصوراً في الديار المصرية لقلنا ان قد حان زمن الانتباه للواجب ولكنهُ عام حتى في البلدان التي سبقتنا بمراحل كفرنسا وانكلترا والغالب انهُ ناتج عن الجهل بقوانين الصحة وضررهُ عندهم اشد من ضررهِ عندنا لان كثيرات من نسائهم صرن يعملن في المعامل فاضطررنَ ان ينقطعنَ عن ارضاع اطفالهنَّ ويغذينهم بلبن المواشي او باللبن المجمد وهو قلما يسلم في الحالين من سموم تضرُّ بالطفل واللواتي يرضعن اطفالهن يتعرضن للانفعالات النفسيَّة بسبب الكدح الشديد في طلب المعيشة فتتولد في ابدانهنَّ مواد تسمُّ لبنهنَّ وتجعلهُ غير صالح لتغذية الطفل · وقد قدَّر احد الاطباء الاميركيين ان خمسة في المئة من اطفالهم يموتون بامراض ناتجة عن شرب اللبن

واللبن افضل غذاء اعدتهُ الطبيعة للطفل وللمريض لانهُ يحتوي كل المواد اللازمة لبناء الجسم ولكنهُ افضل غذاء ايضاً للميكروبات المختلفة فتتكاثر فيهِ اذا وصلت اليهِ بسرعة فائقة فقد بحث بعضهم في اللبن الذي يباع في مدينة نيويورك فوجد في السنتيمتر المكعب منهُ ٣٥ مليوناً من الميكروبات وفي اللبن الذي يباع في مدينة لندن فوجد في السنتيمتر المكعب نحو ٣٢ مليوناً والذي يباع في مدينة وشنطون فوجد في السنتيمتر المكعب منهُ ٢٢ مليوناً · ووجد ان ٧٨ ميكروباً من ميكروبات التفويد تصير في اللبن ٤٤٠ مليون ميكروب في سبعة ايام · والسنتيمتر المكعب نحو ١٦ نقطة ففي كل نقطة من اللبن الذي يباع في اعظم مدن الدنيا نحو مليونين من الميكروبات

واذا حلب اللبن من بقرة سليمة في اناء نظيف معقَّم امكن حفظهُ فيهِ زماناً طويلاً من غير ان تصل اليهِ شائبة ما ولكن اذا كان الاناء غير نظيف او كانت البقرة عليلة وصلت الميكروبات الى اللبن ونمت فيهِ بسرعة فائقة وقد لا تكون كلها ضارة بل يكون الضار منها

قليلاً في جنب غير الضار ولكن هذا الضار يشمل التيفويد والدفتيريا والحمّى القرمزية والسل وما اشبه وقد تكون الميكروبات الاولى التي يتلوَّث بها اللبن في الاناء الذي يحلب فيهِ او يوضع فيهِ وقت نقلهِ من مكان الى آخر وقد تكون لاصقة باصابع الحلاَّبات وقد تكون في جسم البقرة نفسها كما اذا كانت مصابة بالسل او بمرض في ضرعها

وكيفما كانت الحال فالاعتماد على لبن البقر لتغذية الاطفال في بلاد تقلُّ النظافة فيها كالقطر المصري ضرب من الحماقة ولاسيما اذا كان الفصل حارًّا ولا امل ان الحكومة تراقب اللبن الذي يباع حتى يمنع تلوثهُ بالميكروبات • واغلاء اللبن حتى تموت الميكروبات منهُ يجعل هضمهُ عسيرًا على الاطفال لاسيما وان الاغلاء لا يميت جراثيم الميكروبات الاَّ اذا طالت مدتهُ فلا يبقى لارضاع الطفل غير ثدي امهِ او ثدي مرضع اخرى اذا كانتا سليمتين جسدًا وعقلاً

شرب الماء

قال الدكتور دانيال ساجر في كتاب وضعهُ حديثًا موضوعهُ "كيف يعيش الانسان بصحة جيدة" ان الاعتقاد الشائع في اليابان هو ان الاكثار من شرب الماء والاغتسال بهِ افضل الوسائل لاتقاء الامراض واهل الصراع عندهم الذين لا يغلبهم احد يشرب الواحد منهم جالونًا من الماء في يومهِ او نحو اقتين ونصف اقة • ولما كانت السيادة في بلادهم لفريق السموري اهل القوة والنجدة كان سرُّ تفوُّقهم وقوة ابدانهم كثرة شربهم للماء وكانوا يكتمون ذلك عن سائر الناس

ولا شبهة في ان الماء من الضروريات ولا ضرر منهُ الاَّ اذا زاد على الحاجة كثيرًا او اذا شرب في غير الوقت المناسب لشربهِ ولا عبرة بالعطش لان الانسان قد يشعر انهُ عطشان وهو غير محتاج الى شرب الماء • وخير الاوقات لشرب الماء حينما تكون المعدة فارغة او حينما تكون قد اكملت هضم الطعام • والظاهر ان الدواب احكم من الناس في شربها للماء فانها لا تشرب وهي تأكل ولا بعد الاكل مباشرة • ويختلف مقدار الماء اللازم للانسان باختلاف الفصول والاعمال ومتوسطهُ لا يزيد على اقة في اليوم

متى وصل الماء الى المعدة امتصَّت الاوعية الدموية بعضهُ ونزل البعض الآخر الى الامعاء فيمتصهُ هناك الغشاء المخاطي الذي يبطن الامعاء ويصبُّهُ في قناة توصلهُ الى وعاء كبير من الاوعية الدموية فيصل الى القلب ويجري مع دمهِ الى كل اجزاء البدن فالذي

يصل منهُ الى غدد الفم يفرز منها لعابًا والذي يصل الى المعدة يفرز منها عصارةً معدية والذي يصل الى البنكرياس والكبد والامعاء وغيرها من اعضاء الجسم تتكوَّن منهُ مفرزاتها التي تصبُّ في الجسد او الفضول التي تخرج منهُ بولاً وعرقاً وما اشبه. واذا شرب الانسان مئة درهم من الماء خرجت من جسمهِ هكذا ٥٢ درهماً منها بولاً و ٢٨ درهماً عرقاً و ١٨ درهماً بخارًا مع النَفَس ودرهمان مع الغائط وتتغير هذه النسب باختلاف الاوقات والفصول

والماء الطبيعي النقي الخالي من الشوائب خير شراب يشرب ولا تفضل عليهِ المياه المعدنية بوجه من الوجوه. ويسهل جعل كل المياه معدنية باضافة قليل من ملح الطعام وكبريتات الصودا او فصفات الصودا اليهِ

اتقاء الشيخوخة

واذا الشيخ قال أفٍّ فما مل الحياة ولكن الضعف ملَّا

ترى شيخًا جاوز الستين او السبعين وهو كالكهل او كالشاب في انتصاب قامتهِ ونضارة جلدهِ وبشاشة وجههِ وتلألؤ عينيهِ ويطلق ذلك على الرجال وعلى النساء. وترى كهلاً او شابًا قد احدودبت قامتهُ وزالت نضارتهُ وزالت بشاشتهُ وقامت عيناهُ كأنهُ شيخ هم ويطلق ذلك على النساء ايضاً كما يطلق على الرجال فليس العبرة بالسن بل بما يجعل جسم الشيخ وقلبهُ كجسم الشاب وقلبهِ او بما يجعل جسم الشاب وقلبهُ كجسم الشيخ وقلبهِ اي بمراعاة قوانين الصحة جسدًا وعقلاً او الجري على ضدها

فاذا بقي الدم سليماً جاريًا مجراهُ الطبيعي ولم يسرف المرء في قواهُ الطبيعيةُ فكلما شاخت دقيقة من دقائق جسمهِ وانحلت بسبب ما اتى الدم بدقيقة جديدة بدلاً منها فيبقى الجسم على حالهِ واذا كانت الاخلاق رضيَّة والافكار مطمئنة لم تتولَّد في الوجه غضون الشيخوخة او غضون الهموم والغموم والضد بالضد

والهمُّ يخترم الجسم نحافةً ويشيب ناصية الصبي ويهرم

فالعبرة كلها في نقاوة الدم واطمئنان البال. ومتى نال المرء منهما الحظ الوافر حفظت صحتهُ وظهرت عليهِ ملامح الشباب ولو صار شيخًا همًّا وليس المراد ان علامات الشيخوخة لا تبدو على وجه المرء ابدًا اذ لا بدَّ من مجيئها اخيرًا ولكن اذا امكن تأخيرها الى سن الثمانين او التسعين فلماذا ندفع انفسنا اليها في الستين والخمسين

وصحة الدم آتية من جودة الطعام والاعتدال فيهِ وحسن مضغهِ وهضمهِ والاقتصار على

الكافي منهُ والابتعاد عمَّا يسرع فسادهُ من الاطعمة كاللحوم على انواعها . وآتية ايضاً من الرياضة المعتدلة في الهواء النقي والنوم الكافي يومياً والاعتدال في الراحة والتعب والطعام والشراب

وراحة البال خلق يعتادهُ المرء حتى يصير ملكة فيهِ فلا يحزن لفائت ولا يقلق لآتٍ بل يدع التقادير تجري في اعنتها ولا يبيتنَّ الاَّ خالي البال

ولا بد من مساعدة الدم والخُلق ببعض الوسائل الصحيَّة كتنظيف البدن وغسل الوجه وتنشيفهِ بمناشف قديمة ناعمة جدًّا والاقتصار على ما دون الشبع من الطعام ومضغهِ جيدًا والاكثار من اكل الفاكهة الناضجة وانواع اللوز وجعلها اداماً يؤتدم بهِ لا نقلاً يزاد على الطعام



القمح في مصر

لقد ادهشنا تقرير الجمارك المصرية عن التسعة الاشهر التي مرَّت من هذه السنة الى آخر سبتمبر فقد ورد فيها من الحبوب والاثمار ما ثمنهُ مليونان ونحو ٤٧٣ الف جنيه وكان ثمن الدقيق وحدهُ ١١٥٩٢٨٥ جنيهاً وثمن الرز ٣١٢٩٨٤ جنيهاً وثمن الاثمار الطريئة ٢٢٤٢٠٥ جنيهات وثمن الاثمار المقددة ١٧٠٣٥٣ جنيهاً وثمن القمح والذرة ١٩٨٠٠٩ جنيهات فورد الى القطر المصري من القمح والذرة والدقيق والرز في تسعة اشهر ما ثمنهُ اكثر من مليون ونصف من الجنيهات وقد كانت قيمة الوارد منها في العام الماضي كلهِ نحو مليون و ٧٧٧ الف جنيه وفي العام الذي قبلهُ اكثر من مليون وتسعمئة الف جنيه اي ان القطر المصري يستورد كل سنة من القمح والذرة ودقيقهما ما ثمنهُ اكثر من مليون ونصف من الجنيهات . ولم يكن الامر كذلك في السنين الغابرة ولا منذ عشر سنوات او عشرين سنة بل كان القطر المصري في السنين الغابرة يصدر القمح والرز وغيرهما من الحبوب وكانت المملكة الرومانية تعتمد عليهِ في طعامها

ولا دليل على ان زراعة الحبوب قد انحطَّت عمَّا كانت عليهِ في الزمن الغابر اي ان

الفدان الذي كانت غلتهُ تبلغ خمسة ارادب لم تصر الآن ثلاثة او اربعة ولكن السكان زاد عددهم جدًّا حتى فاق ما كان عليهِ في زمن المصريين القدماء وفي زمن الرومان واليونان واول عهد العرب. والاراضي الزراعية لم تزد مساحتها . وزد على ذلك ان جانبًا كبيرًا من الاطيان صار يزرع قطنًا ولم يعد يزرع غلّةً كما كان يزرع قبلاً

وهذان السببان كافيان لما يُرَى الآن من نقص موسم الحبوب عن حاجة السكان

وقد ابنّا في السنين الغابرة انهُ لا بدَّ من غلاء ثمن الحبوب ولا سيما القمح لان الذين يعتمدون عليهِ في طعامهم يزيد عددهم سنويًّا اكثر مما تزيد مساحة الاراضي التي يجود القمح فيها والظاهر ان لذلك يدًا في غلاء ثمن القمح الآن وان هذا الغلاء سيستمرُّ ان لم تجُد المواسم في الدنيا كثيرًا فيهبط ثمن القمح حينئذٍ ثم يعلو ثانية

والعلاج الذي اشار بهِ السروليم كروكس لمَّا استدلَّ على نقص غلة القمح عن حاجة الناس هو العلاج الوحيد الذي يمكن ان يشار بهِ لتكثير غلة القمح في القطر المصري وهو تسميد الارض بسماد نيتروجيني يزيد غلتها ويتلوهُ زرع انواع من القمح اجود من النوع الذي يزرع الآن في مقدار غلتهِ وفي كميَّة المواد المغذية فيهِ

وقد اهتمت الجمعية الزراعية الخديوية بهذين الامرين فهي تجلب السماد الكيماوي وتجربهُ وترشد الى كيفيَّة استعمالهِ واخذت تجرب زرع انواع مختلفة من القمح فوجدت ان محصول القمح الهندي يساوي محصول القطن

فيجب ان يوجَّه الاهتمام الى جودة نوع القمح والى تسميد ارضهِ بسماد يزيد محصولهُ فان متوسط محصول الفدان في القطر المصري الآن من اربعة ارادب الى اربعة ونصف مع ان متوسطهُ في فنلندا اكثر من عشرة ارادب والقمح المصري من اقل انواع القمح جودة من حيث منظرهُ وما فيهِ من المواد المغذية فلا بدَّ من ابدالهِ بنوع اجود منهُ ولا بدَّ ايضًا من ابدال كل الطرق القديمة بطرق حديثة فان من يقرأُ الفصل التالي الذي كتب منذ مئة سنة عن زراعة القمح في القطر المصري في زمن الحملة الفرنسوية يجد ان طرق الزرع والحصاد والدراسة لم تتغير تغيرًا يذكر مع ان ارباب الزراعة استنبطوا آلات مختلفة لزرع القمح وحصدهِ ودرسهِ تعمل الآلة منها في اليوم اكثر مما يعمل خمسون عاملاً ولهذه الآلات كلها مزايا كبيرة في سرعة العمل وانتظامهِ وتقليل النفقات واذا اردنا ان يزيد الربح من الزراعة فلا بدَّ لنا من ان نجري مجرى الاوربيين والاميركيين في استخدامها

الزراعة المصرية منذ مئة عام

من تقرير المسيو جيرار الذي كان رئيساً لهندسة الجسور والطرق في زمن الحملة الفرنسوية

(١) زراعة الحنطة منذ مئة عام

تزرع الحنطة بين ادفو وشمالي الدلتا . ويختلف محصولها باختلاف جودة تربتها ونوع ريها . واجودها تربة لزراعة الحنطة اراضي طيبة وجرجا واسيوط والمنيا والقاهرة والمنوفية والمنصورة . فيبدأ بالزرع في اوائل اكتوبر في الصعيد وبعد ذلك بخمسة عشر يوماً في الوجه البحري فتحرث الارض وتبذر البزور فيها وهي بعدُ في حالتها الطفيلية . ففي الصعيد يبذرون نصف اردب في الفدان باستخدام نفر يقوم بذلك في يوم واحد . اما اذا وجدت الارض قليلة الرطوبة بعد الري فتفلح مرتين واذا كانت كثيرة الرطوبة يمهدونها للفلاحة يمرّون عليها جزعاً من النخل يجرهُ ثوران عرضاً فيعمل عمل المسلفة الاوربية . وجميع اراضي الصعيد التي تروى مباشرة من النيل لا تستلزم بعد زرعها عملاً سوى الحصاد بعد خمسة او ستة اشهر

ويبتدئ الحصاد في الصعيد في اواخر مارس او اوائل ابريل . وعوضاً عن استعمال المنجل يقتلعون سوق الحنطة بايديهم ويساعدهم على ذلك جفاف الارض وتشققها طولاً وعرضاً فيمكن لاربعة انفار ان يقتلعوا زرع فدان ويجمعوهُ حزماً في يوم واحد . وتدفع اجرة الفعلة عيناً فيعطى كلٌّ منهم ربعاً يساوي $\frac{1}{24}$ من الاردب

وتحمل الحزم على الجمال الى جرن (بيدر) مستدير قطرهُ نحو ٢٥ خطوة فيكومونها اكداساً في وسطهِ ويحيطونها بطبقة من الحزم ثم يبسطونها ويدرسونها بالنورج الى ان تتم فيقحفونها بمجحفة كبيرة ويدرسون غيرها وهكذا يغيرون الثيران الدارسة ساعة فساعة

واجرة الثور اليومية كاجرة العامل $\frac{1}{24}$ من الاردب قمحاً . ويقتضي لدرس محصول الفدان استخدام اربعة ثيران وفاعلين يشغلانها يومين او يومين ونصف يوم. ويستخرج من كل ٧٢ حزمة اردب قمحاً يزن ٢٧٥ رطلاً . واصل وزن الحزمة بسوقها وسنابلها نحو ١٠ ارطال

وبعد درس الحنطة يذرّونها بمذراة ذات اصابع طويلة متقاربة فتنتهي بذلك عمليات الزراعة وتدفع الاجرة عن جميعها عيناً اي قمحاً خالصاً

وبعد خصم هذه النفقات تبقى نسبة المحصول اليها كنسبة ١٣ الى ١

وتدفع جميع الضرائب تقريباً قمحاً فيجتمع من ذلك كمية وافرة يصدر معظمها الى الخارج

ويختلف زرع الحنطة في الفيوم والوجه البحري عما ذكرنا . فان بذار (تقاوي) الفدان يتراوح بين ½ و ⅔ الاردب فيزيد قليلاً عن الكمية التي يقتضيها الفدان في الصعيد

وجميع اراضي الدلتا تحرث قبل زرعها وتسقى مرتين احداهما بعد ستين يوماً من زرعها والاخرى بعد تسعين يوماً . فيستخدم لريها سواقٍ تسقي الواحدة منها فداناً في يومين ونصف يوم . وتسقى الارض التي لا يصلها الري اربع دفعات او ست دفعات بالشادوف

والحنطة تنمو كثيراً في الوجه البحري وتثخن سوقها فتحصد بالمناجل فيستخدمون من ٨ الى ١٠ انفار لحصد الفدان في يوم واحد

ويلزم لدرس محصول الفدان ثلاثة ايام وذلك لقلة جفاف القمح والتصاقهِ بالسنابل

وتدفع اجرة الفعلة في الوجه البحري عيناً ايضاً ولكن عوضاً عن القمح الخالص يعطى لكل فاعل ما يستطيع حملهُ من الحزم

ومهما بلغت اراضي الوجه البحري من الجودة لا تأتي بمحصول وافٍ من الحنطة كاراضي الصعيد فنسبة محصولها كنسبة ١٠ الى واحد اي عشرة اضعاف التقاوي (البذار) وفي بعض الاماكن لا يزيد محصولها عن ستة اضعاف التقاوي

ويقدر محصول التبن في الصعيد بحمل جمل لكل اردب حنطة ويزيد عن ذلك قليلاً في الوجه البحري

(٢) زراعة الذرة

الذرة البلدية غذاء الفلاح الاعتيادي . وتزرع في جميع انحاء الوجه القبلي من جزيرة اصوان الى القاهرة . وهي تروى بالآلات فانسب الاراضي لزراعتها ما كانت مجاورة للنيل او للترع التي لا تجفُّ اثناء التحاريق . وتزرع ما بين ادفو وجزيرة اصوان مرتين احداهما في منتصف مايو والأُخرى في اواخر اغسطس . وفي ما سوى ذلك تزرع مرة واحدة في الصيف . فتقلع الارض وتقسم الى مربعات يسوونها بمحفة تسمَّى مسَّوحة يعملون بها عمل المجرفة والمسلفة معاً فيمهدون بها الارض ويقيمون بها حافات المربعات التي يحيطونها بقناة يستطرق منها الماء الى كل مربع

ويعمل في الفدان نحو مئتي مربع يحفرون في كلٍّ منها من ٦٠ الى ٨٠ حفرة بعمق ٤ عقد ويزرعون بضع حبات في كل حفرة منها فيزرع في الفدان من ربع الى ربعين ويقوم بزراعتهِ ٨ الى ١٠ فعلة في يوم

وحالما ينتهي من الزرع تروى الارض مدة عشرة ايام متوالية وبعد ذلك تسقى كل اسبوع . ويلزم من ٤ الى ٦ انفار للفدان فيسقونهُ بالشادوف في يومين

وفي جزيرة اصوان يستخدمون السواقي ذات العجل فتقوم الساقية منها بارواء ٥ الى ٦ افدنة

وفي بعض جهات الفيوم يزرعون الذرة قبل حرث الارض فيحفرون صفوفاً من الحفر الصغيرة يزرعون فيها التقاوي ويغطونها بالتراب ويروونها دفعتين ثم يحرثون بين هذه الصفوف اثلاماً عميقة تمتلئ بالماء عند الري وتعجّل في نمو الزرع فيدرك بعد ثلاثة اشهر واذ ذاك يقيمون ذروتين في كل حقل يقلبهما نفران في النهار يزجران العصافير عن السنابل بصراخهما

ويلزم ١٠ فعلة لحصد فدان الذرة في يوم . فيقطعون السوق بمناجل قليلة الانحناء من عند منبتها ويفصلون السنابل ويعرضونها للشمس مرة ثم يبسطونها على البيدر ويدرسونها تحت اظلاف الثيران . ويمكن ثورين ان يدرسا محصول فدان في ٥ ايام . وبعد ذلك يذرونها ويكومونها كوماً يغطونها بالشبك او يضعونها في قفف من ورق النخل

ومع ما في زراعة الذرة الصيفية في الصعيد من مشقة الري الذي يدوم نحو مائة يوم لا غنى للفلاح عنها لغذائهِ لان الحنطة والشعير انما يزرعان لدفع الضرائب وما يتبقى منهما يباع في اسواق المدن

اما زراعة الذرة النباري في اواخر اغسطس فاسهل مراساً اذ يكون الفيضان على معظمهِ وفي هذا الفصل يغطي النيل بعض مزروعات مديريتي جرجا واسيوط على ارتفاع عدة سنتيمترات فيوقفون سقيها شهراً ثم يعودون الى اروائها مرةً في كل ١٠ ايام الى ان تبلغ

ومحصول فدان الذرة الصعيدي ٦ ارادب اما النباري فيبلغ ١١ اردباً . وفي جميع المديريات من جرجا فما دون لا يزرع الاَّ النباري وكلما اقتربت زراعتهُ من الوجه البحري يتأخر ادراكهُ ونقل مشقة سقيهِ

وفي جهات الفيوم وبني سويف والجيزة يبدأُون في زرعهِ من اول يوليو ويسقونهُ كل ٢٠ يوماً مرةً فيدرك بعد اربعة اشهر ويحصدونهُ في اوائل نوفمبر . ويدفنون السنابل بالنباتيت بعد ان يجففوها في الشمس ويمكن لنفرٍ ان يدق محصول فدان في عشرة ايام

وتؤخذ الضرائب على الذرة نقداً بواقع ٣٨ قرشاً اميرياً على فدان الذرة الصعيدي و ٦٤ قرشاً على النباري . وتدفع نفقات الزرع نقداً ايضاً باعتبار اجرة العامل من غرش الى غرش وربع يومياً . اما نفقات الحصاد فتدفع عيناً . وتبلغ غلة الفدان من سوق الذرة

أحمال جمالٍ بعدد ارادبهِ حبًّا. ويباع الحمل منهُ بغرش الى غرش وربع · واكثر استعمال السوق اليابسة للوقود ويقتصر عليها اهل الوجه القبلي في عمل الاجرّ والفخار والخبز وخلاف ذلك

وفي جهات اصوان واسنا والاقصر يحزمون منها حزمًا يستخدمونها كعوامات يستندون عليها بصدورهم في عبورهم النيل عومًا

ويوجد نوع آخر يدعى الذرة الشامية يزرع منهُ شيءٌ قليل في انحاء قنا ويعتنى بزراعتهِ في الوجه البحري ولاسيما في جهات طنطا وسمنود حيث يخصصون بعض الاراضي لزراعتهِ ويسمدونها بالرماد والسباخ يأتون بهِ من ارباض القرى فيسمدون كل فدانٍ بعشرين الى اربعة وعشرين حمل حمار منهُ ويزرعونها بعد ان يخدّدوها اثلامًا بالمحراث · ويسوّون الارض بان يمروا عليها جذع نخلةٍ يجرهُ ثوران عرضًا ثم يقسمونها الى مربعات على نحو ما ذكرنا آنفًا

وتزرع الذرة الشامية في المدار الصيفي بمعدل ½ اردب لكل فدان · فتنبت بعد ستة ايام من زرعها وتروى مرة كل اسبوعين حتى يحين زمن المحصول في نحو الاعتدال الخريفي · ويستخدمون الانفار لسقيها فيمكن خمسة فعلة ان يسقوا الفدان في يومين ويدفع للفاعل غرش ونصف اجرة يومهِ · ويكفي لحصاد الفدان خمسة او ستة انفار فيحصدونهُ بالمناجل ويتقاضى كل منهم اجرتهُ عينًا فيعطي قدر ما يستطيع حملهُ من حزم الذرة

ومتوسط محصول الفدان المماثل للفدان الصعيدي اربعة الى خمسة ارادب وثمن الاردب نحو ½ ١٢ فرنك فيبلغ متوسط غلة الفدان نحو ١٨ ضعفًا فضلاً عن السوق التي تستعمل وقودًا

وتحمّل السنابل على جمالٍ الى القرى حيث تجفف بالشمس ١٥ يومًا ويستخدم لفرط الحبوب خمس من النساء او الاولاد لكل محصول فدان · وكثيرًا ما يباع من هذه الذرة وهي بعد خضراء فتشوى وتباع حبائك في كل منها ٥ الى ٦ سنابل· ولا يباع النذر القليل الذي يزرع منها في الوجه القبلي الأ بهذه الصفة



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

الاقلاع عن تعاطي الافيون بالتدريج

اطلعت على الرسالة التي أُدرجت في العدد الماضي من المقتطف في باب المراسلة والمناظرة تحت عنوان (عبرة وذكرى) لحضرة كاتبها الفاضل الذي وصف فيها كيف راح المرحوم والدهُ ضحية الإقلاع عن تعاطي الافيون. تخوفاً من ان يطلع عليها او يسمع بها متعاطو الافيون ويكون عزم بعضهم الاقلاع عنهُ فيذعرهم ذلك ويكثرون من تناولهِ ويتمادون في تعاطيهِ لئلا يلحقوا بالمرحوم والد كاتب تلك الاسطر اذكر هنا طريقة ليطلع عليها القراء ويخبروا بها معارفهم من تعاطي الافيون ربما تنفعهم او تنفع الحازمين منهم

وهذه الطريقة ذكرها لي بعض المقلعين عن تعاطي الافيون بعد ان تعاطاهُ ربع قرن وكان كل يوم يتناول منهُ درهماً ونصفاً وكان والدهُ يتعاطاهُ من قبلهِ بنصف قرن ايضاً

وقد شاهدت مخبري في حالتيهِ. حالتهِ الاولى وهي الايام التي كان يتناول فيها الافيون والثانية وهي ايام اقلاعهِ عنهُ

كان لنا مع هذا الرجل معاملة فكان يحضر الينا في كل عام مرة لتصفية حسابهِ وقضاء اشغالهِ فعند قدومهِ اولاً كنت ارى وجههُ عبوساً يكسوهُ الاصفرار مقطباً مكفهراً عليهِ غبرة ترهقها قترة وهو جامد في حركاتهِ ثابت في سكناتهِ كأنهُ صنم لاحراك بهِ. وكنت ايضاً ارى ثيابهُ من الامام محرقة من نار التبغ (السجاير) فقد كنت اراهُ يرى السيجارة مولعة ملصقة بثيابهِ تحرق فيها ولا ينقل يدهُ وذلك من جمودهِ وكسلهِ. ومن كسلهِ ايضاً كان يقضي خمسة عشر يوماً في اشغالهِ وقد كان يكفيهِ يومان او ثلاثة يقضي فيها جميع اشغالهِ

وقد رأيتهُ منذ شهر بعد ان غاب عنا سنة فكدت انكرهُ من تغير احواله جميعها. فقد رأيت وجههُ ممحاً مشرباً بالحمرة قوي البنية نشيطاً في حركاتهِ وسكناتهِ وقيامهِ وقعودهِ. فسألتهُ عن سبب ذلك فاجابني بانهُ اقلع عن تعاطي الافيون . فسألتهُ عن التفصيل فاجاب ابطلتهُ بالتدريج في مدة شهرين حيث كنت اتناول منهُ كل يوم درهماً ونصفاً على ثلاث مرات فصرت اقلل من ذلك كل يوم شيئاً فشيئاً الى ان صار ما اتناولهُ قدر حبة البرسيم بعد ما كان نصف درهم . وداومت على ذلك بضعة ايام كنت في خلالها امتنع مرة ومرتين عن تناولهِ في اليوم ثم كنت اتركهُ يوماً و يومين الى ان تركتهُ مرة واحدة ولم يؤثر فيَّ ولم يلحق بي اقل ضرر بل كنت ارى نفسي في اثناء هذه المدة في تقدم من الصحة ومالت نفسي الى الطعام بعد ما كنت لا اهنأ بهِ ولا اعرف لهُ طعماً ولا مزية لطعام ولا شراب غير القهوة والافيون والدخان فسبحان مغير الاحوال

اسيوط في ١٦ اكتوبر عبد الرحيم اليسري

مدير محل تجارة خلفاء المرحوم الشيخ عبد الله اليسري باسيوط

اصدقهُ اعذبهُ

مقال الحقيقة ما مثلهُ	وحقك فهو هو الطيّبُ
فلا تعجبنّ بشعرٍ اذا	رأيتَ اكاذيبهُ تعجبُ
فكم قائل انا ابكي دماً	وعمري دموعيَ لا تنضبُ
وامهد طوال الليالي لا	يجيئني النوم بل يهربُ
وجسمي اصبح من سقمهِ	اذا رمت تنظرهُ تشعبُ
اذا لم اكلك لم تدرِ بي	نحيلاً وليس لهُ موجبُ
كأني من الجن في خلقتي	او احسبُ اخيَّ كما تحسبُ
اكاذيبُ في عدها ضيعة	لوقتي فاجمالها اقربُ
فان كنت تشعرُ فاصدق ولا	تبالغ فاصدقهُ اعذبُ
فان قلتَ حقّاً فماذا الذي	تخاف ومن ذا لذا يغضبُ
وسيّان في المدح او في الرثا	ء او كنت في غادة تنسبُ
قل الحق يا من اذا شئتهُ	او اسكت فعيبٌ اذا تكذبُ

مراد

ترجمة قديمة من الاناجيل

بعث الينا حضرة المنشيء البليغ امين افندي ظاهر خير الله حينما كان يكاتب المقتطف من بلاد الشام مقدمة نسخة عربيَّة قديمة من الانجيل وجدها في احد اديرة لبنان وطلب منا ان نبدي رأْينا فيها فتغلغلت بين اوراقنا . ثم وقع نظرنا عليها الآن فرأَينا ان ننشرها ونطلب من المشتغلين بجمع الكتب القديمة ان يحولوا نظرهم اليها . قال امين افندي

اعتنيت ان يكون النقل بحسب الاصل تماماً والذي لاحظتهُ ان الناسخ لا يفرق بين الهمزة المتوسطة والياء ويترك الهمزة في آخر الكلمة . والمقدمة تملأُ صفحة وثلثي صفحة من الكتاب وعدد صفحاتهِ ١٤٢ وحرفهُ واضح ولكنهُ ليس بالبديع . اما تاريخ كتابتهِ فليس بمبين في ذيلهِ ولا في صدرهِ وقد ذيلت ما نقلتهُ عنهُ بقليل من الحواشي التفسيريَّة

الصفحة الاولى

الانجيل المقدس المفصل من الاناجيل الاربعة متى ومرقس ولوقا ويوحنا المرتب القراءة في دور السنة آحاداً واعياداً ومواقيت الاصوام والدكادين[1] ترجمة القديس الطاهر النفيس المرحوم مار عبد[2] يشوع خادم كرمي المطرنة بنصيبين[3] ترجمة الى العربيَّة سنة تسع وتسعين وستمائة هجريَّة والف للاسكندر ذي القرنين وترجا[4] من كل من يقرأُ في هذا الكتاب ام ينسخهُ يترحم على كاتبهِ الخاص بالاسم قس عطايه ابن القس فرج المقدمي من الجزيرة والحمد لله على نعمايه[5] ابداً امين

الصفحة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي استغرق الازل قدمهُ وابهرت العقول حكمهُ وفاقت الاحصاء نعمهُ وجاوزت الحدود قسمهُ الذي ارسل مسيحه وظلم الاضاليل على مقل الالباب عاكفه وكلم الاباطيل في آفاق المسكونة هاتفه وعادات الطغيان مشهورة وعبادات الاوثان مأثورة فاشرقت شموس العرفان بنورهِ وبسقت غروس الايمان عند ظهورهِ وانجلت ظلمات الغواية باشعة ضيائهِ ولمحت ابصار البصائر مجد الملكوت الاعلى وسنا بهائهِ ولمعت انوار الهداية في اقطار العالم الكوني وارجائهِ فرسخ في اقعار الضمائر ثبوت نعيمهِ الدائم ورجائهِ وقدس الانام

(١) كذا وردت (٢) يوجد عند كلمة عبد العلامة المسطورة وفي الحاشية كلمة بخت (٣) هذه الكلمة بحبر مختلف وبخط سقيم ليس للكاتب الاول (٤) كذا وردت (٥) كذا وردت

عن الشيم الظلمانية والاخلاق الشيطانية فأضحت نجوم الايقان طالعه واضواء البرهان لامعه ومحجة الصلاح واضحة وحجة الفلاح لائحة فلما كمل ناموس القصاص وقرر سنة التفضل والخلاص واظهر الآيات المعجزات وبث علوم الحقائق باوجز الكلمات ختم تدبيراته بالغرض الاعظم من اسراره والمقصود الاكبر من آثاره فحقق البعث بموته وقيامته وصدق بشرى النعيم الاخروي بمعراجه الى السماء وجلوسه على عرش كرامته ثم ارسل تلاميذه الاطهار الى سائر الامم بالآيات العجيبة مؤيدين بعلم الحقائق والالسن الغريبة فنقلوا جملة الشعوب من الضلالة الى الهدى وجنبوهم طرق الجهالة وعواقب الردى وطبعوا عقولهم بسكة التوحيد والتثليث واودعوهم اسرار الانجيل المجيد والعهد الحديث يتوارثونهُ الخلف عن السلف و يحوزوا [1] بهِ عزيز الفضائل والشرف وهو وديعة الله في ارضه او منار الاهتداء الى حقهِ وفرضهِ نحمدهُ على ما ابدا [2] من جزيل الانعام واهدى من جليل الاكرام حمداً تقوم لهُ السموات والارض على ساق ويفني الاوقات والدهور وهو باقٍ ونشكرهُ على سبوغ الآئه وبلوغ المنى بنيل حبائهِ شكرًا لا غاية لامدهِ ولا نهاية لمددهِ فلما كان النقل من لغةٍ الى لغة اخرى من غير افساد ولا تبديل المعني ولا تخليط لجمع الكلام ومقاطعهِ ولا تحريف القول عن ايراد مبدعهِ مع محاولة الفصاحة في اللغة المنقول اليها ولزوم الشروط المعوَّل في الاحاطة بغريب اللغتين عليها هو القانون المعتمد والاصل الذي اليهِ المستند فسلكت هذا السبيل في ترجمتي الى العربية فصول الانجيل مع الفاظ من التفسير الحقيقي والتأويل وان كان من تقدمني من النقلة اهمل هذه الشرائط وعنى بنقل الالفاظ البسائط مثل الشيخ ابي الفرج ابن الطيب ريس المتأخرين ومارا يشوعيهب ابن ملكون مطران نصيبين قدس الله نفسيهما ونوَّر رمسيهما اذ كان قصدهما التفهيم للجمهور بالالفاظ السواذج فاعتمدا اسهل المخارج واما الشيخ ابن داود يشوع رحمهُ الله فمع كونهِ ادَّعى البلاغة في نقلهِ وابان عن فصاحتهِ وفضلهِ فانهُ خلط جمل الكلمات وقلقل مباني الآيات وغيَّر الاسماء تعريباً وبدل الالقاب تغريباً وذلك من افظع خطإٍ واجتراء واشنع بدعة وافتراء فما اجازتهُ الشريعة ولا قرئ على منابر البيعة وانا فمع اعترافي بقصوري وجلالة الامر وتضاؤلي عن خوض ذا البحر فانني اجتذبت [3] الشرائط المذكورة فيما ترجمتهُ واخرجت الى العربية الفصول المقدسة الانجيلية على ما قدمتهُ وبدأْت بانشاء المقدمات الثمان لكل من الاربعة الرسل اثنتان وانا ضارع الى من حثَّ على السؤال ووعد بالاجابة وبلوغ الآمال ان يسدد

(١) كذا وردت (٢) كذا وردت (٣) كذا وردت

مني غريزة العقل الى حقيقة النقل ويعصم الضهن(١) من الذلل(٢) ويحرس الخاطي عن الخطل فاياه ادعو واليهِ توسلي وبهِ ثقتي وعليهِ توكلي

انتهى ما بعث بهِ الينا حضرة امين افندي ظاهر خير الله · ولا يخفى ان التاريخ المذكور في المقدمة خطأ فان سنة ٦٩٩ للهجرة تعادل سنة ١٦١١ او ١٦١٢ للاسكندر · وسنة ١٠٠٠ للاسكندر تعادل سنة ٩٦ او ٧٠ للهجرة ويعلم التاريخ الحقيقي المقصود من الزمن الذي كان فيهِ مار عبد يشوع مطراناً على نصيبين



جرائم الاحداث واصلاحهم

JUVENILE CRIME AND REFORMATION

هو كتاب نفيس وضعهُ المستر ارثر مكدونلد الذي كان رئيس شرف لمؤتمر البحث عن الجرائم وضمنهُ مباحث كبيرة الفائدة عن ميل الاولاد الى ارتكاب الجرائم وكيفية اصلاح سيرتهم وسريرتهم ومما استنتجهُ ان السجون يجب ان تكون اصلاحيات والاصلاحيات مدارس ويجب ان يكون الغرض منها كلها تهذيب الاخلاق وتثقيف العقول والتعويد على العادات الحسنة . ولا يجوز اطلاق سبيل المسجونين اذا خيف ان يعودوا الى ارتكاب الجرائم لان في ذلك خسارة كبيرة على البلاد مالياً وادبياً لان المسجون لا يكلف البلاد قدر ما يكلفها المجرم بعد ان يُطلق سبيلهُ ولذلك يجب حين الحكم على مجرم بالسجن ان لا تعيَّن مدة سجنهِ بل يقال الى ان يتم اصلاحهُ ولا يعود يخشى ضررهُ فان السبب الجوهري الذي يضطر الحكومة او المحكمة الى الحكم على المجرم بالسجن هو تخليص البلاد من شروره · وجعل مدة السجن متوقفة في طولها وقصرها على اصلاح المجرم هو اكبر دافع له ليصلح سيرتهُ وسريرتهُ على نفقة الحكومة اذا كان ذلك في حيز الامكان فيصطلح ولا يضر احداً مدة اصطلاحهِ . اما القول بان السجن سلب للحرية ولا يجوز الأعلى مقدار الجرم فقول ساقط لاننا اذا لقينا اسداً مطلقاً في الشوارع يفترس من يجدهُ فاول امر نهتم بهِ ليس مقدار ما لهُ

(١) هكذا في الاصل ولكن في الحاشية هكذا الذهن والحبر غير حبر المتن (٢) كذا وردت

من الحرية بل كيفية منع شرور فكل من يخشى ضرره على البلاد يجب منع ضرره سواء كان عاقلاً او مجنوناً وسواء انقضت مدة سجنه او لم تنقض

ولا يحسن ان تنشر تفاصيل الجرائم وصور المجرمين في الجرائد لانها تعلّم المائلين الى ارتكاب الجرائم كيفية ارتكابها وتغريهم بها بالقدوة وقد يغري البعض بارتكاب الجرائم لكي تنشر اخبارهم في الجرائد ويكون لهم من ذلك ما يتباهون به فان من الناس من يحب المباهاة ولو بالشر . وكل مجرم احمق لانهُ يعتدي على جمهور الناس واقل نظر يريه ان اعتداءهُ هذا يضرهُ ولا يجديه نفعاً الا اذا وثق ان الحاكم تجد لهُ عذراً من تحت الارض ولو كلمة يختلف فيها الشهود او اعضاء النيابة

ومما يسوءُ ذكرهُ شهادة الواسعي الخبرة في امر السجون والمسجونين وهو ان الذين يشبون على ارتكاب الجرائم قلما يرجى اصلاحهم

وفي الكتاب اكثر من ٣٠٠ صفحة بقطع كبير وحرف دقيق فنشكر لحضرة المؤلف اهتمامهُ الشديد بما يصلح الامم

كتاب التربية الاستقلالية

او اميل القرن التاسع عشر

ألف هذا الكتاب المسيو الفونس أسكيروس وترجمهُ الى العربيَّة حضرة القاضي الفاضل عبد العزيز افندي محمد ونشر اولاً في جريدة المنار ثم جمع في كتاب واحد كبير فيه ٤٧٠ صفحة وقدم لهُ حضرة صاحب المنار العلاَّمة السيد محمد رشيد رضا مقدمة مسهبة قال فيها ان " اشهر كتب التربية كتاب اميل القرن الثامن عشر للحكيم الفرنسوي الشهير جان جاك روسو ثم ارتقت المعارف وزخرت بحار العلم فصار الآخرون يستدركون على ما مضى عليه الاولون كما فعل الفونس اسكيروس في كتابه الذي سماهُ اميل القرن التاسع عشر اشارة الى ما ينبغي ان يكون عليه في التربية في ذلك القرن وما بعدهُ وهو الكتاب الذي نشرنا ترجمتهُ في بضعة مجلدات من المنار في كل مجلد منها رسائل معدودة نشرت في اجزاء متصلة او متفرقة وقد جمعنا شمل هاتيك الرسائل والشذرات كلها اليوم لتنشرها في هذا السفر على قرَّاء العربية عامَّة وارباب البيوت منهم خاصَّة لما في قراءتها متصلة من تمام الفائدة بما يكون القارئ اوعى للمسائل واضبط وارغب في تتبعها وانشط . ولم ارَ في المصنفات الحديثة ولا

القديمة مصنفاً كهذا الكتاب جمع بين اللذة والفائدة في انفع العلوم التي تتفاضل فيها عقول البشر وهو علم تربية الانسان جسماً وعقلاً ونفساً ليكون سعيداً في نفسهِ نافعاً لابناء جنسهِ"

الى ان قال " ان غرض المؤلف من كتابهِ هذا هو هداية قارئيهِ الى الحياة الزوجية الفضلى ومحبة الزوجين ووفائهما في القرب والبعد والسرَّاء والضرَّاء ومكان الام من قلب الهيئة الاجتماعيَّة وتربية جسم الطفل على سنَّة الفطرة ليكون بدنهُ سليماً قوياً وتربية حواسهِ وخيالهِ وفكرهِ ووجداناتهِ وعواطفهِ كالرحمة والاحسان والعدل والمساواة والايثار وغيرذلك من القوى والصفات الروحيَّة مهتدياً في ذلك كلهِ بالعمل والاحتكاك بالحوادث . والى تعليم الناشيء العلوم الكونية بعرض المعلومات على مشاعرهِ وارشادهِ الى كيفيَّة النظر فيها والحكم الصحيح عليها واعدادهِ للعلوم النظرية في الدين والفلسفة ليحكم فيها بنفسهِ بعد بلوغ رشدهِ وغاية ذلك كلهِ ان يخرج المربى حرًّا مستقلاً خيّرًا فاضلاً لا يحكم ولا يقول الاَّ عن علم وبصيرة ولا يعمل الاَّ ما يرى ان فيهِ الخير والمنفعة . ولما كان قوام التربية العملية القدوة والتأسي اختار المؤلف ان يجعل تربية اميل في بلاد الانكليز لانهم ارقى الشعوب اخلاقاً واعرفهم في الحرية والاستقلال "

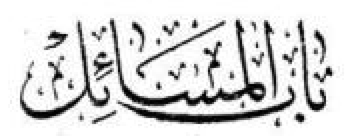
وتلي مقدمة الناشر مقدمة المترجم وهي مسهبة لخص فيها مسائل الكتاب كلهِ . وقد طبع الكتاب على نوعين من الورق جيد واجود وثمن النسخة من الاول ١٦ غرشاً ومن الثاني ٢٠ غرشاً وهو يطلب من مكتبة المنار بشارع درب الجماميز

الغصن الرطيب في فن الخطيب

كتاب نفيس الفهُ حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ سعيد الشرتوني لتعليم فن الخطابة وضعهُ على طريقة السؤَال والجواب وجمع فيهِ ما تلزم معرفتهُ للمتعلم وقد نقلنا عنهُ فصلاً في هذا الجزء موضوعهُ التعبير والاداء في الخطابة ومنهُ يُستدل على نسق الكتاب فنشكر لحضرة مؤَلفهِ الفاضل

الجنس اللطيف

مجلة ادبيَّة لصاحبتها ومحررتها السيدة ملكة سعد تبحث في ما يهمُّ النساء معرفتهُ كتربية الاولاد وتدبير المنزل وصحة الجسم وآداب الزينة وفيها قصص فكاهية وفوائد حسابيَّة فنتمنى لها النجاح التام



باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعيّن حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) دولة آل عثمان

المنيا. اسمعيل افندي فهمي. نرجوان تفيدونا في مقتطفكم القادم عن كيفيَّة نشوء دولة آل عثمان وعن اصل اول ملك من ملوكهم ومن اي بلاد هو

ج ترون ما بغي بمرادكم في المقالة الاولى في هذا الجزء

(٢) تسويس الاسنان

الخرطوم. رزق افندي واصف. كيف يحفظ الانسان اسنانهُ من التسويس والفساد وما هو سبب تسويسها وما هو العلاج النافع لمقاومة التسويس الذي ابتدأ فيها

ج يجب الاهتمام بحفظ الاسنان من قبل الولادة بان تأكل الحامل اطعمة تولّد العظام وتقويها في جنينها واذا كان اكثر طعامها من الخبز والحبوب فهو كافٍ لذلك وقد تأكل حب العزيز (الشيلم) وبعض الاتربة الجيريَّة ومن ذلك نفع لجنينها في تكوين عظامهِ واذا نشأ الطفل واكثر طعامهِ من الخبز والحبوب والبزور والاثمار نمت اسنانهُ قوية ودامت على قوتها كاسنان السودانيين والزنوج والبدو. والظاهر ان الاكثار من الطعام المطبوخ الذي لا يحتاج الى مضغ كثير يضعف الاسنان لانهُ يقلل استعمالها. واللحم يضعف الاسنان اذا تخللها وبقيت فضلاتهُ بينها وفسدت. وقد رأينا بالاختبار ان تنظيف الاسنان جيداً بالماء والصابون بعد الطعام وتخليلها من فضلاتهِ خير الوسائل لحفظها وكذلك الاعتناء بالصحة العامَّة واجتناب ما يضعف الجسم كالسهر الطويل والانهماك في الملاذ. واذا بدأ التسويس في الاسنان فلا بدَّ من تنظيفها منهُ جيداً والاهتمام بحفظ الصحَّة العامَّة ولكن اذا كان ضعفها موروثاً او متمكناً من الصغر فقد لا تجدي هذه الوسائل نفعاً

(٣) فائدة الخفاش

ومنهُ. ما فائدة الخفاش (الوطواط) والضفدع فاننا لا نرى منها غير الضرر مع ان المخلوقات كلها مفيدة للانسان

ج ليس من الضروري ان يكون منها

فائدة للانسان بل قد لا يكون منهما الا الضرر له' ومع ذلك فاننا نرى للخفاش فائدة في اكل بعض الحشرات ولو لم توازِ ضرره' في اكل الاثمار . وللضفادع فائدة في اكل دود البعوض من الماء واذا ثبت انها تاكل بعوض الملاريا فتكون فائدتها كبيرة جدًّا . ولا صحة لما يقال من ان المخلوقات كلها مفيدة للانسان فان بعضها ضارٌ حتمًا ولا نفع منهُ واكثرها يعيش ويموت ولا يراه الانسان ولا ينتفع منهُ

(٤) ابادة الثعابين

ومنهُ . كيف نبيد الثعابين من البيوت

ج ان الثعابين التي تسكن البيوت غير سامة في الغالب ولا ضرر منها. والقط والنمس يا كلانها. واذا كان البيت نظيفًا ولم يكن فيهِ خروق وثقوب لسكن الحشرات فيندر ان يوجد فيهِ ثعبان واذا وجد فلا صعوبة في قتلهِ

(٥) ابادة الفيران

ومنهُ . كيف نبيد الفيران من البيوت

ج تباد بسد كل الخروق والثقوب التي تخرج منها واقتناء القطط التي تا كلها واستعمال المصايد لمسكها

(٦) القطن من الصخر

مصر . محمد افندي صالح غنوم . ذكرتم في الجزء الماضي مسألة استخراج القطن من الصخر فنرجو ان تصفوا لنا كيفيَّة استخراجهِ والعمل بهِ

ج في قول الكاتب استخراج القطن من الصخر تسامح والمراد استخراج مادة دقيقة الشعر كالقطن من مادة صلبة كالصخر بل هي نوع من الحجر البركاني ويسمَّى بالاسبستوس وقد ثبت لنا انهُ هو السمندل الذي ظن العرب انهُ حيوان لا يحترق صوفهُ . هذا الصخر يوجد في بعض الاماكن طبقات غير سميكة فاذا دقت انحلت عرضًا الى خيوط دقيقة جدًّا ادق من خيوط الحرير طول الخيط منها حسب سمك طبقة الصخر اي نحو سنتمترين او ثلاثة فتصير كالقطن المندوف وتغزل وتنسج ولكن نسيجها غير متين واكثر استعمالهِ لتغطية الآلات البخارية والنارية لانهُ لا يحترق

(٧) علم الفلك

ومنهُ . ما هو احسن كتاب في علم الفلك باللغة العربيَّة

ج اننا لم نرَ حتى الآن كتابًا عربيًّا اوسع من كتاب الدكتور فان ديك المطبوع في بيروت لكن فهمهُ صعب على المبتدىء

(٨) مساحة القطر المصري

طنطا . الخواجه عزرا ليڤي . كم مساحة القطر المصري من الاميال المربعة والافدنة

ج ان مساحة القطر المصري ما عدا السودان نحو ٤٠٠٠٠٠ ميل مربع وهذا يشمل وادي النيل والصحاري والجبال التي حوله' والواحات وسينا الى حدود رفح وراء

العريش واما وادي النيل وحده فمساحتهُ ١٣٩٧٦ ميلاً مربعاً وفيهِ نحو ستة ملايين فدان ومساحة النيل وحده والبحيرات المتصلة بهِ نحو ٢٨٥ ميلاً مربعاً

(٩) مساحة السودان

ومنهُ . كم مساحة بلاد السودان

ج نحو ٩٥٠٠٠٠ ميل مربع

(١٠) الافدنة في الميل

ومنهُ . كم هو حساب الميل وكم في الميل المربع من الافدنة المصرية

ج طول الميل ١٣٧٨ متراً وفي الميل المربع ٤٥٢ فداناً مصرياً

(١١) مساحة املاك الدولة

ومنهُ قرأت في المقطم ان مساحة املاك الدولة العثمانية نحو مليون ومئة وسبعين الف ميل مربع فهل هذه المساحة تشمل البلغار والبوسنه والهرسك والقطر المصري

ج كلاَّ ومساحة هذه البلدان وحدها نحو ٤٦٥ الف ميل مربع

(١٣) نقل الكتابة الى الحجر

جديدة مرج عيون . انيس افندي قربان ما هي الطريقة لنقل الكتابة ذات الاحرف الكبيرة المرسومة عن القرطاس الى الحجر الصقيل بدون تغيير في الاحرف

ج اذا دهن الحجر بمادة صمغية والصق القرطاس بهِ وبلَّ بذوب الصودا الكاوي ثم فرك بالاصابع من قفاهُ رويداً رويداً فانهُ يمحات وتبقى الكتابة لاصقة بالحجر ولكنها تلصق بهِ مقلوبة كما لا يخفى

(١٢) العرب وعلم الفلك

زحلة . يوسف افندي ابوسليمان . من اول مَن كتب في علم الفلك من العرب وما اسم الكتاب الذي وضعهُ فيهِ واي الكتب افضل لهذا العلم

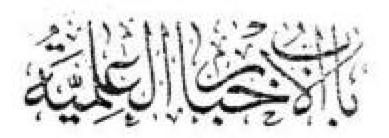
قيل ان احد علماء الهند قدم على الخليفة المنصور سنة ١٥٦ للهجرة ومعهُ كتاب في علم الحساب والنجوم فامر المنصور بترجمتهِ الى العربيَّة فترجمهُ محمد بن ابرهيم الفزاري وقد اختصر هذا الكتاب للمأمون ابو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي . ثم ترجمت كتب حكماء اليونان الى العربيَّة وفي جملتها كتاب بطليموس المجسطي وألَّف احمد بن محمد الفرغاني كتاب الاصول في الهيئة (الفلك) وقد ترجم هذا الكتاب الى اللاتينيَّة في القرن الثاني عشر. واشهر الكتب العربيَّة في علم الفلك الزيج الصابي لابي عبدالله محمد بن سنان بن جابر الحرَّاني المعروف بالبتاني وهو خير كتاب عربي رأيناهُ في علم الفلك القديم . اما الكتب الحديثة فلم نرَ في العربيَّة خيراً من كتاب الدكتور فان ديك

(١٤) الناس في الكواكب

ومنهُ . قرأت في العدد الاخير من مجلتكم مقالة عنوانها هل يوجد الناس في غير

الارض ابنتم فيها ان لا وجود للناس في غير الارض فهل زعم الفلكيين بوجود اناس في المريخ صحيح

ج لم يقل احد من الفلكيين ان في المريخ ناساً وغاية ما قالهُ بعضهم ان المريخ مسكون بمخلوقات عاقلة لكن استدلالهم على ذلك ضعيف يحتمل ان يكون صحيحاً ويحتمل ان يكون غير صحيح



التلغراف الصيني

لم تكد العلوم الطبيعيَّة الحديثة تدخل بلاد الصين حتى اخذت مقدرة الصينيين العقلية في الظهور فقد قرأْنا الآن ان رجلاً منهم اسمهُ هو شون اصلح التلغراف الذي لا سلك لهُ وجعل اجزاءهُ كلها مما يمكن عملهُ في بلاد الصين وقد جُرّب تلغرافهُ هذا في كنتون فجاء وافياً بالمراد

الكهربائية بدل البخار

بيَّن بعضهم امام نادي الكهربائية في شيكاغو انهُ على شركات سكك الحديد الاميركية ان تنفق الف مليون جنيه كل سنة لكي تجاري ازدياد التجارة نمواً ولكنها اذا حوَّلت سككها كلها الى سكك كهربائية اي اذا اجرت قطراتها كلها بالكهربائية لم تنفق على ذلك سوى ثمانمئة مليون جنيه ولا تعود تحتاج الى نفقات لبناء القاطرات

الحديد والقطن

فاقت الولايات المتحدة ممالك الارض في مقدار ما يستخرج منها من الحديد حتى يكاد يساوي ما يستخرج من انكلترا والمانيا وفرنسا وبلجكا معاً ومع ذلك لم تزد قيمتهُ في العام الماضي على مئة مليون من الجنيهات. والقطن وهو من اقل حاصلات اميركا الزراعية تبلغ قيمتهُ السنوية اكثر من مئة وخمسين مليوناً من الجنيهات فالثروة الحقيقية من الزراعة لا من المعادن

موتمر التبريد

شاع تبريد مواد الطعام كاللحوم والاسماك ونقلها من بلاد الى اخرى وهي على درجة من البرد تمنع فسادها. وقد التأم موتمر للتبريد في ٥ اكتوبر الماضي في مدينة باريس وظهر منهُ ان السفن التي تنقل الاطعمة المبرَّدة الآن كثيرة جدًّا وان اكثر من ٣٠٠ سفينة

منها انتقل الطعام المبرَّد الى البلاد الانكليزيَّة وقد نقلت في العام الماضي ما ثمنهُ ٣٦ مليونًا من الجنيهات ونقلت السفن الاميركية من الطعام المبرَّد ما ثمنهُ ٤٨ مليونًا من الجنيهات

قصر الزيت بالنور

في المانيا معمل لعصر الزيوت وتنقيتها وهو يقصر زيت بزر الكتان بالنور البنفسجي فان فيهِ قناديل فيها بخار الزيبق ونورها فوق البنفسجي من الوان الطيف فيوضع طن من زيت بزر الكتان في حوض كبير ويسخن الى الدرجة ١٧٦ بميزان فارنهيت ويوضع فيهِ عشرون قنديلاً من هذه القناديل ويمرُّ فيهِ مجرى من الهواء فيمتص الاكسجين منهُ ويُقصر بهِ ويزول لونهُ تمامًا

عيون النبات

ابان الاستاذ دارون في خطبتهِ التي نشرناها في الجزء الماضي بعنوان حركات النبات ان النبات يشعر ويتأثر بما يشعر بهِ ويتذكرهُ كأنهُ يدركهُ . ثم بيَّن عالم آخر في مجمع تقدم العلوم البريطاني ان النبات يرى او في اوراقهِ بلورات كبلورات عيون الحيوانات تجمع اشعة النور وتلقيها على ما في باطن الورقة والنبات يشعر بذلك ويتأثر بالنور كما لا يخفى وهذه البلورات موجودة في الغشاء الرقيق الشفاف الذي يغطي الورقة وهي صغيرة جدًّا ومحدبة من وجهيها كليهما او من احدهما وتجمع بها اشعة النور كما تجمع بلورة العين. وسواء سميناً تأثر النبات بالنور رؤية او تأثرًا بسيطًا فلا شبهة في ان النبات ينفعل بهِ . وقد استعمل بعضهم هذه البلورات لتصوير الصور الفوتوغرافية ورأينا الصور التي صورت بها فاذا بعضها واضح تمام الوضوح . ولكن تأثر النبات بالنور لا يفيد شيئًا جديدًا ولا يعلي النبات عن طورهِ لان كثيرًا من المواد الكيماوية يتأثر بالنور ويظهر اثرهُ فيهِ واضحًا ولا يخرجهُ ذلك عن طور الجماد

طيارة ريت

اشترطت الحكومة الفرنسوية على المستر ريت شروطًا مختلفة قبلما تشتري طيارتهُ بمئة الف ريال فقام بها كلها وفي جملتها انهُ يركب معهُ رجلاً آخر ويطير بهِ فاركب معهُ مكاتب نيويورك هرلد في ٣ اكتوبر ثم اركب مكاتب الفيغارو وطار ٥٥ دقيقة قطع فيها ٥٨ كيلو مترًا وفي ٥ اكتوبر اركب معهُ رجلاً يزن ٢٣٨ رطلاً وطار بهِ . ثم اركب رجلاً اخف منهُ ثقلهُ ١٩٤ رطلاً وطار بهِ في السادس من اكتوبر ٤٠ ميلاً في ساعة واربع دقائق ثم طار في الايام التالية واركب معهُ كثيرين الواحد بعد الآخر

هبات كارنجي

وهب المستر كارنجي ٢٥٠ الف جنيه

لتخليد ذكر ابطال الانكليز وكان قد وهب ٧٥٠ الف جنيه لتخليد ذكر ابطال الاميركيين وقد عددت مجلة المجلات الانكليزيَّة الهبات التي وهبها حتى الآن وهي كما يأتي

٨٤٠٠٠٠	لانشاء ١٤٠٠ مكتبة عمومية
١٦٠٠٠٠٠	لاحدى وخمسين مدرسة كلية
٢٠٠٠٠٠٠	لدار كارنجي العلمية باميركا
٢٠٠٠٠٠٠	ليعطى ريعها معاشات للاساتذة المستعفين
٠٨٠٠٠٠٠	ليعطى ريعها اسعافاً
١٠٠٠٠٠٠	لتخليد ذكر الابطال
٣٠٠٠٠٠٠	لانشاء مدرسة جامعة في سكتلندا
٢٠٠٠٠٠٠	لمدارس بتسبرج الصناعيَّة
٠٣٠٠٠٠٠	لانشاء هيكل السلام في هولندا
٠٢٠٠٠٠٠	لنادي المهندسين في نيويورك
٤٠٠٠٠٠	لمتحف الفنون في بتسبرج
٣٤٠٠٠٠٠	هبات وعد بها
٠١٠٠٠٠٠	لمستشفى الملك ادورد
٠٠١٠٠٠٠	لمدرسة ابردين الصناعيَّة
٠٠١٥٠٠٠	لمكتبة فلهَم
٠٠١٥٠٠٠	لمكتبة مدلسبرو
٠٠٢٥٠٠٠	لدار كوخ لمقاومة السل
٠٠١٠٠٠٠	لمكتبة لتون
٠٠١٥٠٠٠	لمكتبة غلاسكو
٢٥١٩٥٠٠٠	والجملة

اي اكثر من خمسة وعشرين مليوناً من الجنيهات

منع احتراق الفحم الحجري

كثيرًا ما يحترق الفحم الحجري من نفسهِ ويشتعل كلهُ ويقال انهُ اذا وضع فيهِ اناء مملوء بغاز اكسيد الكربون المنضغط ومسدود بسدادة تذوب على درجة ٢٠٠ فارنهيت فان الحرارة المتولدة من الفحم عند اول اشتعالهِ تذيب السدادة فينطلق الغاز من الاناء ويطفئ النار . واناء طولهُ قدم وقطرهُ ثلاث عقد يكفي لحفظ ثمانية طونولاطات من الفحم

الماسة الكبرى

هي ماسة كلينن التي اهدتها حكومة الترنسفال الى ملك الانكليز في العام الماضي في عيد ميلادهِ وقد قدّر ثمنها حينئذٍ بمئتي الف جنيه دفعت حكومة الترنسفال منها ثمانين الف جنيه لاصحابها اصحاب منجم الماس والباقي وهو مئة وعشرين الف جنيه حقٌّ للحكومة لانها تأخذ ستين في المئة من ثمن كل الماس الذي يوجد هناك . والعمل جارٍ الآن في قطع هذه الماسة وصقلها وقد قطعوا منها قطعتين كبيرتين لان فيها بعض الشوائب ويراد ان يجعل لها ٥٨ سطحاً مثل كل حجارة الماس الكبيرة وهي تصقل الآن على جلخ يدور ٢٤٠٠ دورة في الدقيقة ويقتضي صقلها كلها ان يدور هذا الجلخ

بهذه السرعة احد عشر شهرًا يومًا بعد يوم من غير انقطاع . وقد كان وزن الماسة حينما وجدت ٣٠٢٧ قيراطًا ولا ينتظر ان يبقى منها بعد قطعها وصقلها سوى ٦٠٠ قيراط ويقدر ثمنها حينئذٍ بخمس مئة الف جنيه وقد تفوق كل ثمن لانها وحيدة لا مثيل لها في جرمها

مذنب مورهوس

ظهر نجم مذنب في شهر سبتمبر الماضي ودنا من الارض حتى صار يرى بالعين وقد راقبهُ الرصد بالنظارات فوجدوا رأسهُ سديميًا وكان في ٥ سبتمبر مثل نجم من القدر التاسع وذنبهُ صغيرًا قصيرًا وبلغ طول ذنبهِ درجة ونصف درجة في ٢٠ سبتمبر وصار يرى بالعين وكان ذنبهُ مائلاً على رأسهِ ثم ضعف نورهُ وظهر كأن ذنبهُ انفصل عنهُ وعاد ذنبهُ الى الظهور وكان يرى بالعين في اواخر اكتوبر وظهر من تصويره في مرصد كنسنجون ان ذنبهُ مؤلف من ستة بنود

نقود الورق والميكروبات

ان نقود الورق (بنك نوط) التي يكثر تداولها تتسخ ولا بدَّ من ان تكثر الميكروبات عليها وقد بحث احد علماء البكتيريا في نقود الورق المستعملة في الولايات المتحدة الاميركية فوجد ٣٨٠٠٠ مكروبًا على اوسخها و ٤٠٥٠٠ على انظفها اي ان الميكروبات على الاوراق النظيفة اكثر منها على الاوراق الوسخة . ثم استنبت هذه الميكروبات كلها وحقن بها الجرذ المعروف بخنزير الهند فظهر ان ليس فيها شيءٌ من الميكروبات المرضيَّة . فلا خوف من تداول نقود الورق ولو كانت وسخة

دواء السل

قرَّر الدكتور ايشيغامي الياباني في مؤتمر السل الذي التأم في وشنطون حديثًا انهُ استخرج من ميكروب السل علاجين احدهما يشفي المسلولين الذين ابتدأ الداء فيهم ولم يتقدَّم كثيرًا والثاني يشفي كثيرين من الذين تقدَّم الداء فيهم وقال انهُ عالج في مستشفاهُ ٧٧٢ مسلولاً في السنوات الاخيرة فشفي منهم ٢٧٤ شفاء تامًا وشفي ٢٥٨ شفاء غير تام وترك ١٠٧ العلاج ومات ٢٩ وبقي ١٠٤ تحت المعالجة . ومدة المعالجة طويلة تبلغ ثلاثة اشهر الى ستة

الورق والعمران

تستعمل الولايات المتحدة كل سنة ٢٧٣٠٠٠٠ طنًا من الورق والمانيا ٩٣٧٠٠٠ طنًا وانكلترا ٥٧٣٠٠٠ طنًا وفرنسا ٤١٩٠٠٠ طنًا والنمسا ٣٤٦٠٠٠ طنًا وايطاليا ٢٦٥٠٠٠ ويبلغ ثمن معامل الورق في هذه الممالك كلها

نحو مئتي مليون جنيه وربحها السنوي نحو ثمانية في المئة

السكر المحروق لمنع العدوى

الشائع عند العامة ان السكَّر المحروق يزيل عدوى الامراض ولذلك تراهم يحرقون السكر في غرفة المريض ويقول الاطباء ان ذلك خرافة ولكن لا ضرر منها لكن الاستاذ ترلبر اثبت الآن في مستوصف باستور انهُ اذا حرق السكَّر تولَّد من حرقهِ ابخرة تميت الميكروبات وجرَّب ذلك فوجد ان هذه الابخرة تميت ميكروب التيفوس والسل والكوليرا والجدري واذا حرق السكَّر في اناء فيهِ لحم منتن او بيض فاسد زالت رائحة النتانة والفساد من اللحم والبيض. فقول العامة صحيح

اكرام برتلو

تألفت لجنة في فرنسا لاقامة تذكار لبرتلو الكيماوي الشهير مستنبط الكيمياء التركيبية وقد اجتمعت في اول اكتوبر في مدرسة سربون وحضر الاجتماع المسيو فاليير رئيس الجمهورية الفرنسوية والمسيو كلنصو رئيس الوزارة والمسيو بومرجي وزير المعارف وخطب المسيو ريموند بونكره في تأبين برتلو فقال انهُ وُجد على مكتبهِ عند موتهِ مما يدل على اشتغالهِ مقالة عن المركبات القلوية في النبات وكتاب عربي في الكيمياء اتي بهِ من احد جوامع فاس بالمغرب الاقصى وخطاب للفرنسويين عن جمهورية ارجنتين. فاشتغل بالعلم الى آخر ساعة من حياتهِ. وتكلم المسيو فاليير فقال ان برتلو بقي الى ان ادركتهُ الوفاة من رسل العلم والعدل والحق والاستقلال في الراي

هبة عظيمة

مات غني كبير في برسل اسمهُ سمسون وترك لاكادمية العلوم ببرلين ثلاثين مليون مارك اي مليونًا ونصف مليون من الجنيهات

موتمر الاقليم

يعقد موتمر الاقليم في مدينة الجزائر في الرابع من شهر ابريل المقبل وهو يبحث في الاقاليم ومياهها وجيولوجيتها والوسائل الصحيَّة الطبيعيَّة فيها

قتلى الافاعي في الهند

ظهر بالاحصاء ان الافاعي قتلت ٢١٤١٩ نفسًا في بلاد الهند في العام الماضي وكان الذين تلسعهم الافاعي يعالجون بالتشريط وببرمنغنات البوتاسيوم حسبما اشار السر لودر برنتن ولكن نوع الافعى لم يكن يعيَّن دائمًا فلا يعلم هل الفائدة حاصلة من العلاج او من ان الافعى غير سامة

سخافة الحرير

الحرير امتن الخيوط كلها والمنسوجات الحريرية يجب ان تكون امتن المنسوجات وقد كانت كذلك في عهد اسلافنا اما الآن فترى الثياب الحريرية تتهرأ من نفسها في زمن قصير وما ذلك الا لان الصباغين يثقلونها بملح معدني يسمى كلوريد القصدير فتصير تتهرأ بسرعة ولا سيما اذا عُرضت لنور الشمس فاذا كانت متانة الحرير النقي مئة فمتانة الحرير الفرنسوي المثقل ١٥ لا غير . والاملاح المعدنية التي يثقلون بها الحرير مختلفة والدرهم من الحرير يصير بعضها نحو ٣٠٠ درهم وقد اخذ النساجون الآن يزيلون بعض الاملاح التي يصبغ الحرير بها او يقللون مقدارها ما امكن فصارت المنسوجات الحريرية امتن مما كانت عليه ولو قليلاً . ويحسن بابناء الشرق الذين يوجد الحرير الصرف في بلادهم ان يكتفوا بنسجه ويستغنوا به عن المنسوجات الحريرية الاوربية

الافاعي يأكل بعضها بعضاً

من المعلوم ان الافاعي يأكل بعضها بعضاً وكان المظنون ان الانواع السامة منها تأكل غير السامة فقط او ان النوع الواحد لا يأكل من نوعه بل من نوع آخر ولكن ثبت الآن ان الافعى السامة ذات الوداجين تأكل ما كان من نوعها ايضاً . وهذا من النوادر لان الحيوان قلما يفترس ما كان من نوعه

الافاعي البصاقة

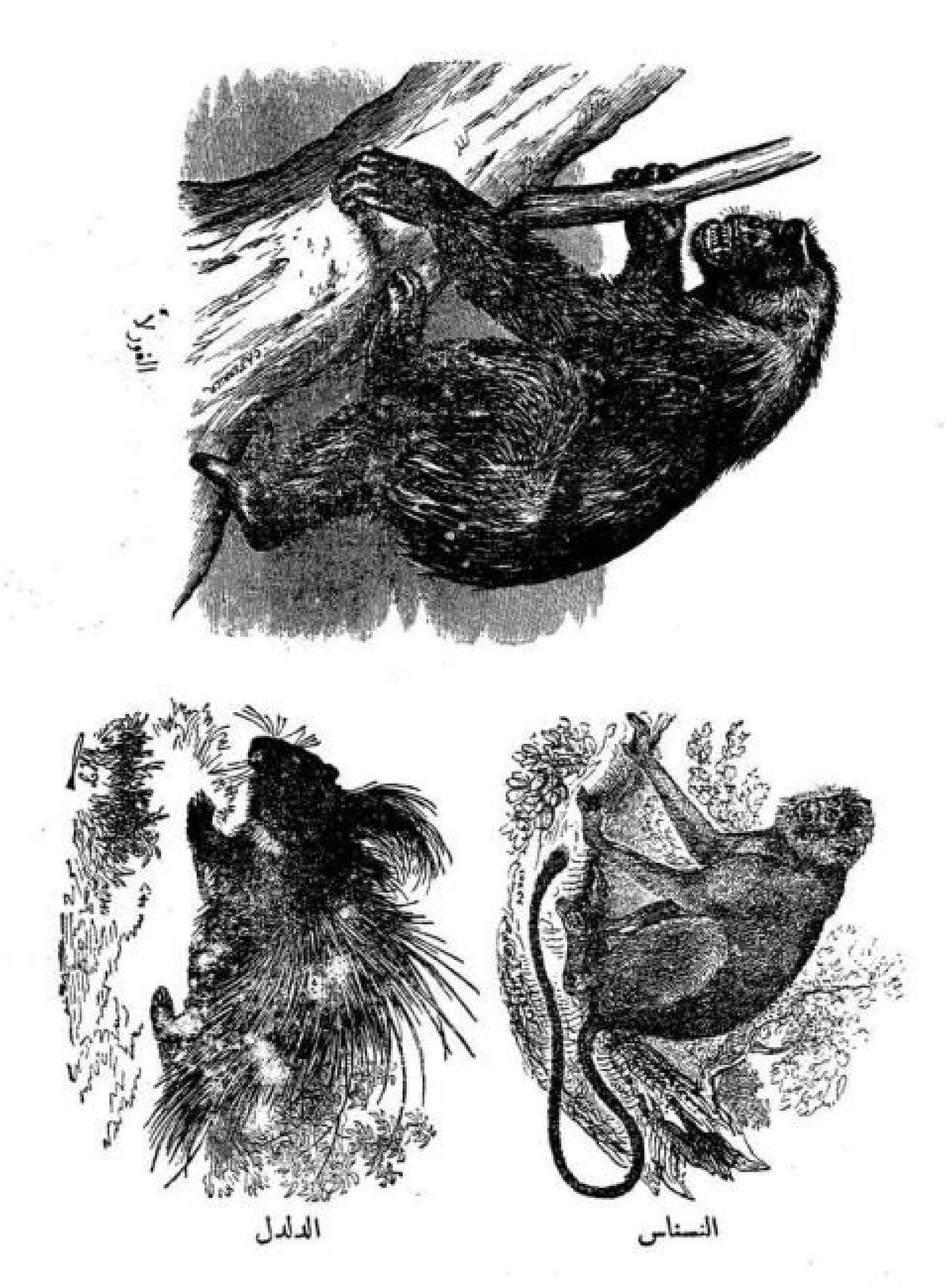
ثبت الآن ان بعض الافاعي الافريقية السامة تتفل سمها من فيها فيصل الى مسافة بعيدة عنها واذا اصابت نقطة صغيرة منه عين كلب أعمتها حالاً واذا اصابت عين انسان التهبت او فقدت بصرها

هبات اميركية

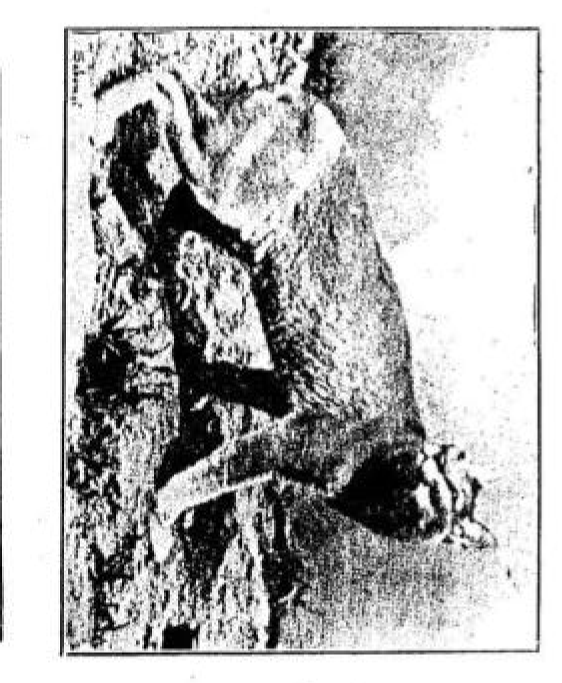
اوصى المستر وليم ڤلاس بتركته لمدرسة وسكونسن الجامعة وتبلغ قيمتها بين مليونين وثلاثة ملايين من الريالات واوصى فردرك كوبرهوت بخمس مئة الف ريال لمدرسة يال الجامعة وبمليوني ريال لمدرسة نيويورك ومستشفاها وبمليون ونصف من الريالات وبقية ما يملكه لمتحف الفنون

النار في اميركا

شبت النار في حراج اميركا منذ اواسط الصيف والتهمت من ولاية نيويورك وحدها حتى آخر سبتمبر اشجار ٤٤٩٣٥ فداناً وتقدَّر الخسارة منها بما يساوي مليون ريال كل يوم



النسناس الدلدل



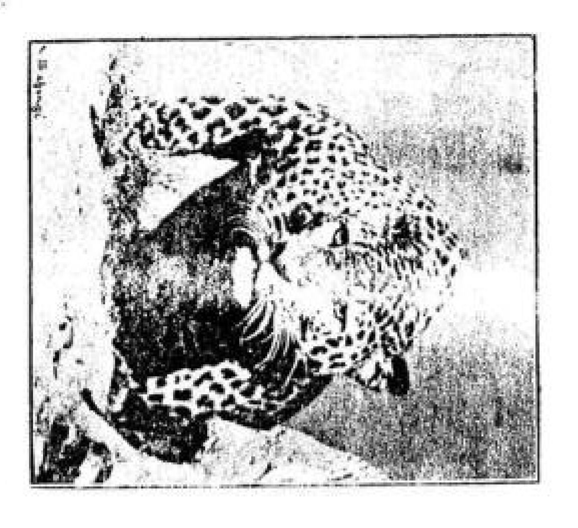
عناق الارض



الثفا



الفهد



النمر



الوشق



البَبْر

فهرس الجزء الحادي عشر من المجلد الثالث والثلاثين

٨٩٧ دولة آل عثمان

٩٠٣ البلغار

٩٠٥ الاحتفال بالدستور

٩١٥ الراهن والواهن في المادية . لانيس افندي الخوري

٩٢٣ معجم الحيوان (مصوَّرة) . للدكتور امين معلوف

٩٣٠ تزوير الكتب والمصنوعات

٩٣٤ معالجة الكوليرا . للدكتور محمد عبد الحميد حكيم اسبتالية قليوب

٩٣٦ الراديوم في طبقات الارض

٩٣٨ اديان الامم المنحطة المدارك

٩٤٤ تجارة مصر منذ مئة عام

٩٤٨ التعبير والاداء في الخطابة

٩٥٢ اسباب الاحتلال البريطاني

---

٩٥٨ باب تدبير المنزل * اللبن النافع والضار . شرب الماء . اتقاء الشيخوخة

٩٦٣ باب الزراعة * القمح في مصر . الزراعة المصرية منذ مئة عام

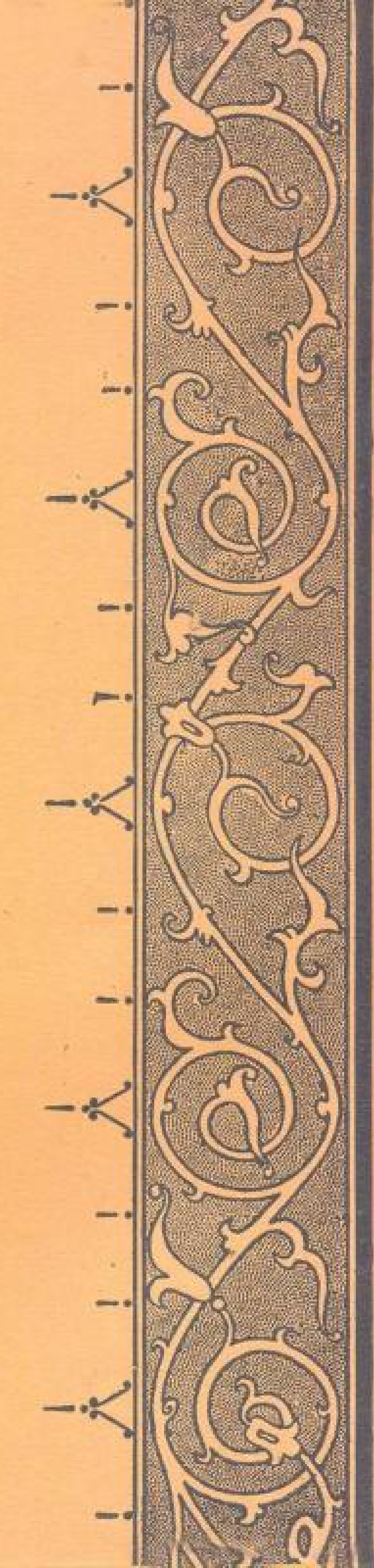
٩٦٨ باب المراسلة والمناظرة * الاقلاع عن تعاطي الافيون . اصدقة اغذية . ترجمة قديمة من الاناجيل

٩٧٢ باب التقريظ والانتقاد * جرائم الاحداث واصلاحهم . كتاب التربية الاستقلالية . الغصن الرطيب في فن الخطيب . الجنس اللطيف

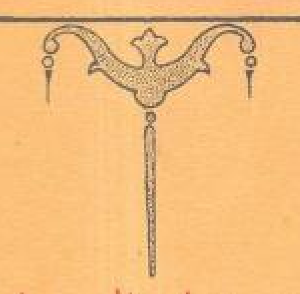
٩٧٥ باب المسائل * دولة آل عثمان . تسويس الاسنان . فائدة الخفاش . ابادة الثعابين . ابادة الفيران . القطن من الحجر . علم الفلك . مساحة القطر المصري . مساحة السودان . الافدنة في الميل . مساحة املاك الدولة . نقل الكتابة الى الحجر . العرب وعلم الفلك . الناس في الكواكب

٩٧٨ باب الاخبار العلمية * وفيه ٢٤ نبذة

رواية فتاة الفيوم ملحقة بالمقتطف







مستقبل العمران

الحب : لادلر

العلم : لهكسلي

التعليم : لولز

الاسرة : لرسل

الاقتصاد : لتشايس

رجال الشهر

غازورذي ، غاندي ، سايس ، صديق بك

الازمة الاقتصادية

واشتباك المصالح الدولية

المقتطف

الجزء الثاني عشر من المجلد الثالث والثلاثين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٧ ذي القعدة سنة ١٣٢٦

الوزارتان المصريتان

استعفت الوزارة الفهمية في ١٠ نوفمبر واسند سمو الخديوي مسند رئاسة النظار الى سعادة بطرس باشا غالي وقد وصفنا الوزارتين في المقطم الصادر في ١١ و١٢ نوفمبر ورأينا ان ننشر هنا خلاصة ما نشرناهُ هناك ونضيف اليهِ ما تتم بهِ الفائدة

١ وزارة مصطفى باشا فهمي

لم تطل مدة وزارة مصرية قدر ما طالت مدة الوزارة الفهمية الاخيرة فقد قامت اثر استعفاء الوزارة النوبارية الاخيرة في ١١ نوفمبر سنة ١٨٩٥ واستعفت في ١١ نوفمبر سنة ١٩٠٨ فدامت ثلاث عشرة سنة تماماً ورأت مصر في ايامها ما رأت من دلائل الاصلاح والتقدم وتمتعت بما تمتعت بهِ من سني الرخاء والرفاء وقاست في اواخرها ما تقاسيهِ الآن من شدائد الازمة المالية وما تشكو منهُ من نتائج الطيش والغرور

وقد امتازت هذه الوزارة عن سواها من الوزارات المصرية بانها كانت وزارة دستورية بحتة فعلاً ولو لم تكن كذلك نظرًا · فاننا لم نرَ في الشرق ولا في غير الشرق ايضاً وزارة لازمت حدود الدستور ملازمة اتم من الوزارة الفهمية لها · ولما كانت الخطة الدستورية غير مألوفة عند اهل الشرق وكان الاكثرون منهم قد ربوا على استعظام الجبروت والبأس والقوة الاستبدادية لم يقدروا هذه المزية في الوزارة الفهمية حق قدرها ولا عدوا احترامها التام للدستور والنظام فضيلة تشكر بل حسبها كثيرون منهم ضعفاً . وتأتى عن ذلك ان قامت عليها قيامة الناقدين والطاعنين واللائمين فلم يلقوا منها الأ حلم الدستور وصبرًا على الجرم من غير تعمد الاذى او الانتقام لنفسها بضرر · فزادهم ذلك تمادياً في التطاول عليها وجرأة على القدح فيها وذمها وتشهيرها في بلاد لا تحسب القوة الأ بالبأس والبطش كما تقدم

ولم تعتد المحافظة على الامن والطاعة الا خوفاً من سطوة الحكومة وخشية من هيبتها ورهبتها فكان ذلك باعثاً على تقليل هيبة الحكومة في نفوس الرعية وبالتالي على اضعاف نفوذها وكسر الشكيمة التي تكبح جماح الاشقياء وتردعهم عن ارتكاب المعاصي والموبقات

ولهذا كانت ايام الوزارة الفهمية ايام تقدم في الاصلاح والنظام بوجه الاجمال الاّ في مسألة الامن العام . فانهُ لما استعفى المرحوم نوبار باشا من وزارتهِ جرى لنا معهُ حديث لخصناهُ في المقطم الذي صدر في ١٢ نوفمبر سنة ١٨٩٥ بقولنا " ويرى دولتلو نوبار باشا ان نظام الداخلية الذي وضعهُ في وزارتهِ ضامن لذاتهِ دوام الاتفاق والسكون بعد وزارتهِ كما كانا في ايام وزارتهِ فقد انتفت بهِ اسباب التنازع والتنافس بين رجال الادارة ورجال الضبط او بينهم وبين رجال النيابة كما انتفت بهِ اسباب الجفاء بين الوطني والاجنبي . . وان هذا النظام الجديد سد ابواب الرشوة وابواب المطاعنة بين الطامعين في المشيخة او العمدية . واصبحت العبرة الآن بالنظام وليس بالذين يرشونهُ " قال " ولو كنت اعلم ان ذلك ليس هو ما يقتضيهِ النظام الجديد لما عجلت في الاستعفاء . ومتى استقامت أمور الداخلية امنت البلاد شرور الفتن والاضطرابات " . الى ان قلنا " غير ان ما يراهُ دولتلو نوبار باشا من هذا القبيل لا يراهُ بعض اقطاب الادارة والسياسة عندنا والحكم في ذلك انما يكون بالاختبار والامتحان على مرور الزمان "

هذا ما ذكرناهُ منذ ثلثة عشر عاماً وقد اثبت الاختبار والامتحان على مرور هذه الاعوام ان القطر تقدم بمساعي حكومتهِ من كل جهة الا من جهة الامن العام . ولولا ذلك لكان غاية ما نطلبهُ لمصر من الآن الى آخر الزمان ان توفق وزاراتهُ في مقاصدها ومساعيها كما وفقت الوزارة الفهمية الاخيرة

ولا يخفى انهُ لولا اضعاف هيبة الحكومة بتطاول المتطاولين عليها في جرائدهم بالشتم والذم والتعيير وهي لا تبدي ولا تعيد لما تقوّضت اركان الامن ولولا ذلك لما ساءت سمعة القطر المصري في اوربا حتى ضنّت الدوائر المالية عليهِ باموالها فاشتدّت الضائقة على اهلهِ

ويقيننا ان الوزارة الفهميَّة لم تصبر على شغب الشاغبين وتطاولهم عليها لانها رأت في ذلك نفعاً للبلاد او لانها لم ترَ منهُ ضرراً كلاَّ بل لان الحكومة المحتلَّة اوجبت عليها ذلك مراعاة لحريَّة الصحافة وجرياً على ما هو جارٍ في بلادها . ومن الغريب ان الوزارة الفهميَّة استطاعت ان تصبر على هذه المضض ثلاثة عشر عاماً وان ينشأ في عهدها كثير من اكبر الاعمال وانفعها للقطر

وغني عن البيان ان اشهر رجال هذه الوزارة بل رجالها الذين كان عليهم المعول اثنان قديمان وواحد جديد فالقديمان عطوفة مصطفى باشا فهمي رئيسها وعطوفة بطرس باشا غالي ناظر خارجيتها والجديد سعادة سعد باشا زغلول ناظر معارفها . فاول الثلاثة خرج باستعفائهِ من خدمة الحكومة المصرية واما الاخران فباقيان اليوم في خدمة وطنهما

اما عطوفة مصطفى باشا فهمي فقد قال المقطم عنهُ يوم قيام وزارتهِ سنة ١٨٩٥ "وحسبنا ان نظهر البهجة والسرور بان الامانة قد لقيت من كرم الامير المعظم جزاءها من الثقة والاكرام وان الصدق في النصيحة والاخلاص في الخدمة قد حلاً عند سموهِ محلهما من الاعتبار واصبح عطوفة مصطفى باشا فهمي اليوم عنوان الامانة ومثال المقيمين على عهود الوفاء والاخلاص واصبحت الامة من سواحل بحر الروم الى اقاصي الصعيد تشهد بلسان واحد انهُ خادم الامير والامة بالصدق والامانة وانهُ الوزير الذي نظر الى بعيد فقصد دفع الغوائل وتدارك الخطوب ينطق بذلك اليوم العدو قبل الصديق و يعلمهُ البعيد كالقريب"

وقد كان قول المقطم هذا بعد انتصار عطوفتهِ بسجاياهُ الفريدة وصفاتهِ السامية على الدسائس والوشايات والمكايد والسعايات

ثم مرت الايام والاعوام ونحن لا نرى في عطوفتهِ الأ كل ما يؤيد اعتقادنا بسمو ادبهِ وكرم اخلاقهِ وشرف صفاتهِ فهو الوزير الدستوري العاقل الحكيم والمشير الصادق الامين والحاكم العادل المستقيم بكل معنى من معاني هذه الكلمات . ونحن نحمد الله أن كان نصيب المقطم من يوم انشائهِ الى اليوم الاعتراف بحسن اوصاف رجل فاضل عاقل ووطني مستقيم صادق مثل عطوفتهِ . ولسنا ندعي لعطوفتهِ الكمال فسبحان من تفرد بالكمال ولا نجهل انهُ يعوز فطرتهُ الشريفة بعض ما زاد في الذين تقدموهُ من الاقدام وقوة الحزم ولكنهُ في ما سوى ذلك الوزير الذي لا بد ان يذكر الوطن عقلهُ وحكمتهُ وفضائلهُ وفواضلهُ وخدمهُ الجليلة كلما ارتقى ابناؤهُ في البحث عن حقيقة اعمال وزرائهم والحاكم الذي نؤمل ان يكثر امثالهُ بين حكام مصر في العدل والاستقامة والصدق والامانة والغيرة الحقيقية على الوطن والامة

---

٢ وزارة بطرس باشا غالي

لما وقع الاختيار على سعادة بطرس باشا غالي لرئاسة النظار صدرت اليهِ الارادة الخديوية السنية بذلك وهذا نصها

سعادة بطرس باشا غالي حضرتلري . بناء على ما هو معلوم فيكم من الكفاءة والدراية ووثوقنا بكم قد وجهنا لعهدتكم مسند رئاسة مجلس نظار حكومتنا وعلى هذا نكلفكم بتشكيل

هيئة نظارة جديدة وكونوا على يقين من تعضيدنا ومساعدتنا اياكم في جلائل الاعمال التي عهدنا بها اليكم ونسأل الحق جلت قدرتهُ ان يوفقنا جميعاً بما فيهِ خير البلاد ورفاهية العباد انهُ نعم المولى ونعم النصير

عباس حلمي

تحريراً في ١٢ شوال سنة ١٣٢٦ و ١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٨

ورفع سعادة بطرس باشا غالي العريضة الآتية الى سموهِ

مولاي

قد تفضلت ذاتكم العلية بتوجيه رئاسة مجلس النظار الى عهدتي وكلفتني بتأليف هيئة نظارة جديدة فاتشرف بان ارفع الى مقام سموكم اسماء من تشكل منهم هذه النظارة وهم اصحاب السعادة سعد زغلول باشا ناظر المعارف وحسين رشدي باشا ناظر الحقانية ومحمد سعيد بك ناظر للداخلية واسماعيل سري باشا ناظر للاشغال العمومية والحربية واحمد حشمت باشا للمالية

فان حازت هذه التعيينات القبول لدى سدتكم العلية التمس صدور الامر الكريم باعتمادها وتقليدي نظارة الخارجية كما تعطف جنابكم الرفيع وعهد اليَّ برئاسة مجلس النظار واني مع غاية الاجلال لمولاي

عبدهُ الخاضع الامين

بطرس غالي

هذا وسعادة بطرس باشا غالي اشهر من نار على علم سياسي محنك واداري مجرب وعاقل من اعظم عقلاء هذا القطر لا يجد الانسان اقدر منهُ على التوفيق بين المختلفين وتسيير سفينة الحكومة التي يضبط دفتها بالسلامة والامن بين الانواء والزوابع والعواصف والزعازع وزد على ذلك انهُ من اقدر الرجال على ادراك اقدار الرجال وابصرهم بمصير الاحوال وابعدهم نظراً في عواقب الامور. وقد قضى عمرهُ في الوظائف والمناصب ومعاشرة الامراء والوزراء ومخالطة خاصة الامة وعامتها وجاب الاقطار في الاسفار وحضر مجالس الملوك الكبار ودرس كل درس في اوسع مدرسة من مدارس الاختبار حتى صار من ادرى اهل وطنهِ بالسياسة التي تنفع اميرهُ ووطنهُ وامتهُ والسياسة التي تضرهم وعلم ان معاملتهُ هي مع دولة كلمتها كلمة واحدة لا ثنتان والظاهر والباطن في معاملتها سيان. فلذلك اصبح احسن خلف لاحسن سلف ونؤمل ان مصر تتمتع في وزارتهِ بكل ما ينفعها من ضروب الاصلاح وتجتنب كل ما يضرها من عوامل الخطاء و بوادر الطيش والغرور

واما سعادة سعد باشا زغلول فالحق يقال ان بقاءهُ في نظارة المعارف سرنا جداً وان الحكومة والامة لم تحرما خدمة شهم مقدام عاقل ووطني غيور صادق ونصير للاصلاح ومحب

للتقدم ووزير من ابناء هذا العصر بكل معاني الكلمة مثل سعادته ولاسيما بعد ما اختبر في نظارة المعارف ما اختبر حتى عرف منها ما ظهر وما استتر واصبح اقدر من سواه على اتمام الاصلاح الذي ادخل الى المعارف قبله واتمام الاصلاح الذي ادخله اليها بنفسه والذي يبذل الآن قوى عقله وجسمه في ادخاله

وقد ازددنا رجاء بعد بقائه في منصبه انه يبلغ يوماً الشأو الذي يستحقه بكفاءته وسعيه ومقدرته ويدرك الغاية التي تليق بنفس كبيرة مثل نفسه ويخدم الامة الخدمة المرجوة من رجل في عقله وعلمه ومقدرته وهمته

واما سعادة رشدي باشا فتعيينه للحقانية يسر كل من يحب وضع الامور في محلها اذ هو قاض في علمه واخلاقه واقواله واعماله ومعاملاته فقد خلق للقضاء واعظم خدمة ترجى منه للحكومة والامة خدمة القضاء حيث قوله القول الفصل وحكمه لا يصدر الا عن خبرة وعلم

واما سعادة محمد باشا سعيد فالحق يقال انه اظهر مقدرة ادارية عظيمة من وجوه عديدة مع وجوده في القضاء . ونحن ندعو له بالتوفيق ونؤمل له النجاح في منصبه الجديد الذي يحمل فيه اعباء مسؤولية ثقيلة

واما سعادة سري باشا فكلامنا عنه بعد الآن تحصيل حاصل او كلاماً على غير طائل بعد المقالات والفصول والرسائل العديدة التي انشأها المقطم والمقتطف في بيان صفات هذا العالم المندسي العظيم والموظف الصادق الامين من عشرين سنة الى اليوم . وانما نقول ان تعيين سري باشا لنظارة الاشغال العمومية كان من قبيل اعطاء القوس باريها فانه لا يختلف اثنان من عارفي فضله وقدر علمه انه من اليق ابناء مصر بهذا المنصب وانه انما تقلده بكده وجده وعلمه وفضله وحسن ادارته وانه لو كان كل من يقلد منصباً يقلده عن حق واستحقاق مثله لكانت مصر قدوة سائر البلدان في تقليدها المناصب للاكفاء دون سواهم

وسعادة حشمت باشا موظف مجرَّب في سلك القضاء وسلك الادارة معاً وهو من ابناء مصر الذين امتازوا على الاقران في كبر الهمة وحدة الذهن وسعة الادراك فعسى ان نرى منه في منصبه الجديد اهتماماً يشعر بوجود القوة الوطنية بجانب القوة الاحتلالية في نظارة المالية

غير ان الامرين اللذين تشكو منهما مصر الآن ولا ترى منجاة لها الا بالنجاة منهما وهما الضائقة المالية واختلال الامن العام لا توفق هذه الوزارة الى ازالتهما الا اذا اعادت هيبة الحكومة الى النفوس وازالت كل اسباب التهييج والاغراء فيخاف الاشقياء سطوتها وتعود اوربا الى ائتمان القطر المصري على اموالها كما كانت تفعل من قبل . ثم ان مجال

الاصلاح لا يزال واسعاً جدًّا ومعايش السكان لا تزال ضيقة وابواب توسيعها ميسورة ففي البلاد اكثر من مليون فدان تحتاج الى الترع والمصارف لزرعها . وسكك الحديد الموجودة لا تفي بعشر الحاجة . والتعليم لا يزال قاصرًا عن الغاية المطلوبة . والصنائع الوطنية لا تزال في مهدها وليس لدى هذه الوزارة شيءٌ من المشاكل الخارجية فالامن في السودان موطَّد الاركان والنيل خاضع لارادة مهندسيهِ وعلاقات مصر مع كل البلدان الخارجية على غاية الصفاء والوئام فلا شيءَ يشغل بال هذه الوزارة عن الاهتمام بالمصالح الداخلية وعسى ان لا نسطّر لها الّا آيات المدح والثناء

عمارة اليابان

انشأت جريدة السينتفك اميركان مقالات ضافية بحثت فيها عن عمارات الدول البحرية الكبرى بحثاً مدققاً وقالت انها الآن على هذا الترتيب اقواها انكلترا وتتلوها الولايات المتحدة الاميركية فالمانيا ففرنسا فاليابان . اي ان اليابان بنت الامس اصبحت الدولة الخامسة بين الدول البحرية الكبرى وفاقت روسيا وايطاليا والنمسا وهولندا واسبانيا وتركيا وكل ما سواهنَّ من الدول . هذا من حيث عدد البوارج والطرادات وكل السفن الحربية واما من حيث تمرُّن رجالها على الحروب البحرية فتكاد تكون الاولى بين دول الارض

ابتدأت هذه الدولة تظهر قوتها منذ عشرين سنة وكان اسطولها حينئذٍ مؤلّفاً من ثلاثة طرادات في كل منها مدفع كبير قطر فوهتهِ ١٢ بوصة ونصف واحد عشر مدفعاً صغيرًا من المدافع السريعة الطلقات وطراد مدرَّع محمولهُ ٢٤٧٠ طناً وبهذه العمارة الصغيرة محقت اسطول الصين واظهرت من المهارة في ادارة سفنها ما ادهش اوربا . ولما قامت عليها فرنسا والمانيا وروسيا وانتزعنَ منها بورت ارثر التي غنمتها من الصين اخذ منها الغيظ كل مأخذ فدفعها الى بذل النفس والنفيس في تقوية بحريتها حتى لا تعود دولة من دول الارض تعتدي عليها وكان من امرها انها استطاعت بعد عشر سنوات ان تتغلب على الاساطيل الروسية وتمحقها محقاً

وكانت تبني بوارجها كلها في اوربا فصارت تبنيها الآن في بلادها واكثر بوارجها القديمة مبني في فرنسا والحديثة في انكلترا ولذلك هي اشبه بالبوارج الانكليزية منها بغيرها . وقد زادت همّةً بعد حربها مع روسيا وبنت بوارج ليس اكبر منها بين بوارج الدول

الاخرى ولا اشد منها سرعة ولا اثقل منها مدافع واعتمدت على آلة التربين الحديثة في تسيير بوارجها

وفي عمارتها الآن خمس عشرة بارجة من الطبقة الاولى محمول كل منها اكثر من عشرة آلاف طن عمر اقدمها ١٤ سنة وعمر اكثرها اقل من عشر سنوات ومحمولها كلها ٢٣٣ الف طن . اربع منها من طراز البارجة الانكليزية الكبرى المسماة دردنوط لم يتم بناؤها حتى الآن

وفي عمارتها ايضاً ١٣ طراداً مدرّعاً محمولها معاً ١٣٦٢١٢ طناً وكلها من الطبقة الاولى

وفيها اربعة طرادات من الطبقة الثانية محمولها ٢٣٣٠٠ طناً وكلها محميَّة وسرعة بعضها ٢٢ ميلاً بحرياً في الساعة و١٥ طراداً من الطبقة الثالثة وسفن أُخرى حربيَّة سرعة واحدة منها ٢٥ ميلاً بحرياً في الساعة وهي الطراد الرومي نوفك ومحمول هذه السفن الاخيرة ٥٢٠٢٥ طناً

وعندها كثير من المدفعيات والبوارج والطرادات القديمة وهي لا تحسب حسابها لبطء سرعتها وضعف دروعها . وعندها ٦٤ سفينة صغيرة من متلفات الطربيد سرعة بعضها ٣٥ ميلاً بحرياً في الساعة ومحمول بعضها ٣٥٠ طناً و٩٥ من قوارب الطربيد

ومن غريب امرها ان البوارج التي غنمتها من روسيا اصلحتها ووضعت فيها مدافع كبيرة فصارت الآن اقوى مما كانت وهي عند الروس بل البوارج التي انتشلتها من عمق البحر اصلحتها وصارت الآن اقوى مما كانت قبلاً

والبوارج الاربع التي من طراز الدردنوط وهي تبنى في بلاد اليابان نفسها اثنتان منها قاربتا التمام ومحمول احداها ١٩٧٥٠ طناً ومحمول الاخرى ١٩٥٠٠ طن وينتظر ان تكون سرعة الاولى ٢٠ ميلاً بحرياً ونصف ميل وسرعة الثانية ٢٠ ميلاً فقط فهي اسرع بوارج الدول ما عدا البوارج الانكليزية التي من نوعها . والبارجتان الاخريان اكبر من هاتين ومحمول احداها ٢٠٠٠٠ طن ومحمول الثانية ٢١٠٠٠ طن وستكون سرعة كل منهما عشرين ميلاً بحرياً ونصف ميل

وبوارجها مدرعة بصفائح من الصلب من اثخن واصلب ما دُرِّعت بهِ البوارج حتى الآن وفيها من المدافع من اكبر واقوى ما في البوارج الانكليزية او غيرها فالمدافع الكبرى قطر فوهة الواحد منها قدم انكليزية وطوله ٤٥ قدماً الى ستين قدماً . وكذلك طراداتها المدرعة من اقوى ما صنعتهُ الدول حتى الآن وعندها طرادان تبنيها الآن محمول كل منهما ١٨٤٥٠ طناً وستكون سرعة كل منهما ٢٥ ميلاً بحرياً في الساعة ويكون فيهِ اربعة مدافع من

المدافع الكبرى وثمانية اصغر منها قليلاً وثمانية اخرى اصغر من هذه . وليس عند اميركا ولا عند انكلترا ما يماثل هذين الطرّادين في قوتهما

قلنا ان اليابان تعدُّ الآن الخامسة بين الدول البحرية من حيث نسبتها اليها من غير قيد ولكن اذا اعتبرنا ان مملكة اليابان واملاكها محصورة في بقعة واحدة في الشرق الاقصى وانها لا تضطر ان ترسل شيئاً من عمارتها الى البحار القاصية وان الدولة التي تقصد محاربتها تضطر ان ترسل بوارجها اليها كما فعلت روسيا ولا تستطيع ان ترسل اليها الاَّ بعض بوارجها فهي اقوى الدول البحرية في الشرق الاقصى اي انها اقوى من فرنسا والمانيا واميركا بل اقوى من انكلترا لان انكلترا لا تستطيع ان ترسل الى الشرق الاقصى الاَّ ربع اساطيلها او ثلثها على الاكثر فتكون اليابان اقوى منها فضلاً عن انها تحارب في عقر دارها ولذلك خطبت انكلترا ودها وعقدت معاهدة معها ولم تعد الدول الاخرى تذكرها الاَّ بالاحترام والاجلال بل صارت تخشى صولتها

ولا بدَّ لكل عثماني يقرأ هذه السطور من ان يخطر على باله امكان صيرورة دولته دولة بحرية كما كانت قبلاً ونرى كثيرين من اهل الغيرة والحميَّة يجاهرون بذلك وقد فاتهم ان البوارج والطرادات الكبيرة تحتاج الى نفقات تنوء تحتها الجبال فلا تبنى البارجة الكبيرة الآن باقل من مليوني جنيه ولا تقل نفقاتها السنوية عن مئة وخمسين الف جنيه . واليابان تنفق الآن على بحريتها ثلاثة ملايين وثلث من الجنيهات في السنة عدا الاعتمادات الخصوصيَّة لبناء البوارج . وعدد نفوسها نحو ٤٨ مليوناً من النفوس فاذا انفقت دولتنا العلية على هذه النسبة وجب ان تبلغ ميزانية البحرية العثمانية اكثر من مليونين من الجنيهات في السنة وهذا لا نستطيعهُ الآن ولا داعي اليهِ لاننا قوة برية لا بحرية وحسبنا ان نسعى اولاً في اصلاح بلادنا واستثمار خيراتها وتوفير موارد رزقها حتى يصير دخل حكومتنا ثلاثين او اربعين مليوناً من الجنيهات وحينئذٍ يسهل علينا ان نزيد قوتنا البحرية رويداً رويداً ولا سيما اذا انشأنا دور الصنعة في بلادنا وبنينا بوارجنا فيها ولا بدَّ لنا قبل ذلك من محالفة دولة بحرية قوية كانكلترا نستعزُّ بها فنستفيد منها ونفيدها

وعمارتنا الآن لا تذكر في جنب عمارات الدول البحرية فالبارجة مسعودية التي جُدّدت حديثاً فيها مدفعان قطر كل منهما ٩ بوصات وعشران وعندنا اربعة طرادات محميَّة محمول كل منها ٣٢٧٠ طناً ومدرعات اخرى قديمة

خليل الخوري اللبناني

وُلد في ٢٨ نوفمبر (ت٢) سنة ١٨٣٦ م وتوفي في ٢٦ اكتوبر (ت١) سنة ١٩٠٧ م

لما انتشر رواق الأمن في لبنان على اثر الفتوح العثماني قدم النصارى الحورانيون اليهِ ومنهم معظم الأسر السورية واللبنانية · وكان بين الراحلين بنو زخريا فنزلوا حصن الاكراد ولما زاحمهم النصيرية بالمناكب جاؤُوا الكورة في لبنان ونزلوا قرية حامات على قمة رأس الشقعة فوق البترون وحكموا ناحية القويطع مدة واتصل بهم مصطفى بربر في اول امرهِ فكان من بطانتهم · ومن هذه الاسرة انتقل الخوري مخائيل زخريا الى الشويفات وخدم الانفس فيها وعرفت سلالتهُ ببني الخوري ومنهم المرحوم خليل هذا وشقيقهُ المرحوم سليم احد صاحبي آثار الأدهار في الجغرافية والتاريخ ونفر آخرون مشهورون بآدابهم

ولد المترجم وهو خليل بن جبرائيل بن حنا بن الخوري مخائيل زخريا في الشويفات من قضاء الشرف واعمال متصرفية لبنان في الثامن والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٣٦ م وانتقلت اسرتهُ الى بيروت على اثر خروج المصريين من سورية وهو ابن خمس سنوات فدرس العلوم العربية في المدارس الارثوذكسية فيها وكثيرًا ما كان يحضر مجالس العلاَّمة الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني الحافلة بادباء ذلك العهد وكانت بينهما مودَّة وثيقة ومن رصفائهِ اذ ذاك المرحومان سليم دي بسترس واسعد طراد وغيرهما فاتقن العربية نثرًا ونظماً ودرس الفرنسية والتركية على استاذ خاص فاتقنهما تكلماً وكتابة وتعاطى نظم الشعر قبل الرابعة عشرة واجاد في غزلياتهِ ولم يطبع من ذلك الاَّ ما نظمهُ منذ الثامنة عشرة فما بعد وهو الدور الاول من حياتهِ الذي كان فيهِ شاعرًا فقط الى حوالي سنة ١٨٦٠ فبدأت حياتهُ الصحافية ورافقتها حياتهُ السياسية فكان شاعرًا وصحافياً وسياسياً وسنبحث في كل نقطة من مثلث حياتهِ على قدر ما يحتملهُ المقام

" الشاعر "

نظم خليل الخوري الشعر في جميع ادوار حياتهِ ولم ينقطع عنهُ حتى مماتهِ تشهد بذلك دواوينهُ المشهورة بين مطبوعة ومخطوطة. وكان غزير المادَّة سيَّال القريحة وكان في اول عهدهِ قليل النظر في منظومهِ ولذلك ترى الركاكة ظاهرة في بعض قصائدهِ مع بلاغة وحسن تصرُّف مما يدل على قوة بادرتهِ وشاعريتهِ ولكن دواوينهُ اصبحت الآن عزيزة المنال لندرتها

فحبذا لو طبعت جميعها في ديوان واحد او انتخب نفيسها ولاسيما ما كان في الاغراض الجديدة فان غزلياته رقيقة المبنى دقيقة المعنى فيها تصرُّف حسن وميل الى الجديد كما سترى في منتخباتها ولكن مديحهُ ورثاءهُ قلما خرج بهما عن الطريقة المألوفة عند من تقدمهُ من شعراء العرب فكثيرًا مما يسترسل الى المبالغة والتشابيه المتداولة الاَّ في بعض المواضع فانهُ احسن فيها التصرُّف وكسر قيود الاحتذاء واختط لهُ طرقًا بديعة الوضع جزيلة النفع مثل قولهِ في رثاء والدهِ جبرائيل ومدح دي لامرتين الشاعر الفرنسي وسليم دي بسترس . وتواريخهُ كثيرة معظمها رشيق لولا التزامهُ في بعضها القيود وادماج الاسم فتجيء احيانًا متكلفة .

ومعظم قصائدهِ في مدح عظمة الدولة والسلاطين العثمانيين والوزراء ولاسيما ولاة سورية حتى سمي بشاعر الدولة واجاد في وصف الليل فسمي شاعر الليل ايضًا وكان رفيع المنزلة لدى شعراء الافرنج مثل دي لامرتين الفرنسي ولهُ فيهِ بعض القصائد وعرفهُ شعراء الترك والفرس والعرب . ولقد اعجب باسلوبهِ المستشرقون وترجموا بعض قصائدهِ الى لغاتهم ولاسيما المسيو رينو رئيس الجمعية الآسيوية في باريس ودي لاندا وغيرهما وذكرتهُ الجرائد الافرنجية وترجمت بعض منظوماتهِ ولاسيما الدبا (الباحث) والمورنن بوسط (البريد الصباحي) وفنيرا باندا بوسط ومجلة الجمعية الاسيوية الفرنسية وغيرها

وعلى الجملة فانهُ يعدُّ من مؤسسي الشعر العصري ان لم نقل انهُ اول من نقلهُ الى الاسلوب المستحدث فوضع لقصائدهِ عناوين يعرف منها مدار الكلام ومال الى الشعر القصصي كما سترى ولم يستجدِ بشعرهِ ولاقبل جائزة على منظومهِ حتى انهُ لما قدم قصيدتهُ (السعادة[1]) الى المغفور لهُ سعيد باشا الذي زار سورية سنة ١٨٥٩ م لم يقبل الجائزة المالية التي اختصهُ بها مثل غيرهِ من الشعراء بل كتب في جريدتهِ (الحديقة) انهُ نظمها ترجمانًا لعواطفهِ لا ترغيبًا لنيل مكافأة مالية فاعجب سعيد باشا بآدابهِ واشترك بخمسين نسخة من جريدتهِ الحديقة . ولقد كانت بعض قصائدهِ في السلاطين العثمانيين مدعاةً لانعامهم عليهِ ببعض الأوسمة العالية كالوسام المجيدي الذي نالهُ سنة ١٨٦٢ م ولإبلاغهِ الرضى السلطاني بارادة سنيَّة مرارًا . ولهُ مراسلات ومساجلات مع شعراء عصرهِ ومدحهُ كثير منهم الشيخ ناصيف اليازجي في قولهِ من قصيدة :

أخذت نحوي سبيلا فسقتني سلسبيلا
بنت فكر من خليلٍ قد شفت مني غليلا

(١) راجعها في ديوانهِ العصر الجديد صفحة ١٠٢

ذقت منها منْ لفظٍ كان بالسلوى كفيلا
ومعانٍ كنسيم الرّ وض اذ هبّت أصيلا

والسيد عمر الانسي بقولهِ من قصيدة :

أمسى يصوغ حلى القريض بفكرةٍ لا تخطىءُ المعنى البديع تدبرا
ونباهة بصفاء ذهنٍ رائق لم يعدُ منهلهُ الشهيُّ مكدّرا

والشيخ ابرهيم الاحدب بقولهِ من قصيدة :

يا من سمت بمعانيهِ قوافينا ونظم الفاظهِ أبدى القوى فينا
ونظم الدرّ في سلك البيان على ضوء من الفضل فيهِ سار هادينا
وأصبحت شامةً بين البلاد بهِ دمشقُ حتى بدت عُجباً تباهينا

الى ان قال :

ولا محاجاة في نظم الخليل وما أبداهُ معناهُ مثل الصبح تبيينا
لا يتعب الفكر في ادراك غايتهِ ويرقص السمع بالانشاد تلحينا

ونقولا النقاش من قصيدة :

ان سكرنا من شعركم ليس بدعاً حيث فيهِ شيءٌ كفعل المدامِ
أنت بحر العلوم والله بل أن ت امام نعمْ وأيُّ إمامِ

وسليم بك العنحوري الدمشقي من قصيدة :

أما أنت من قاد السياسات خبرةً بفكرٍ لهُ في هام كيوان إيوانُ
أما أنت يا سامي التصوُّر واصف الطبيعة وصفاً منهُ جانْ جاكُ حيرانُ
تذكّرنا فولتيرَ جودة نثرهِ ويمتاز عنهُ منهُ دينٌ وإيمانُ
أما أنت من أحيا موات قريضنا بطرز جديدٍ فيهِ للعلم برهانُ
أما أنت من غنّى بأغزال نظمهِ فرَنسٌ واسبانٌ ورومٌ ويونانُ
فهزّت لهُ أعطاف عربٍ وأعجمٍ وترجمهُ للفخر روسٌ والمانُ
وناغت بهِ ورْق الاراك ترنماً بكل أريضٍ فيهِ نخلٌ ورمانُ
قريضٌ لو انّ الله يسمعهُ لمن قضى لتباهى البحتريُّ وحسّانُ
أغاريد شحرور نُسِجن بحرقةٍ قلائد عقيانٍ لآلٍ ومرجانُ
فدع عنك يا فكتور هيكو تفطرساً وانت أبا راسين ربحك خسرانُ
ويا ابن دولامرتين قل لابيك صهٍ في حومة الميدان غيرك فرسانُ

ويا هومروس اندب ونادِ بجهرة شكسبير دعنا كان للفخر أزمانُ

والمرحوم الياس صالح كنعان البيروتي بقصيدة منها :

حتامَ تبغي للفخار سبيلا أفما شفيت من الفخار غليلا

وإلامَ تجنح بالكمال الى العلا أفما بلغت من العلا المأمولا

ومنها

واليك مني ذي العروس فانها جاءتك ترجو المهر منك قبولا

بكرٌ ترى فيك المديح فضيلة ولئن رأيت بها القريض فضولا

ولقد حان لنا الآن ان ننتخب من دواوينهِ المطبوعة ما يدل على شاعريتهِ فاولها (زهر الربى في شعر الصبا) طبع سنة ١٨٥٧ ولهُ فيهِ تفننات بديعة مثل قولهِ من قصيدة (النقد الصحيح)

وكم شاعرٍ في الناس قد سار شعرهُ ولم يدرِ فيهِ ما يرى ويقولُ

خليليَّ ان الشعر من كل قائلٍ كثيرٌ ولكنَّ الصحيح قليلُ

وفي الشعر لفظٌ دون معنىً كأنهُ فعولن مفاعيلن فعولُ فعولُ

رويدك ليس الشعر ارثاً وانما لكلِّ مجدٍّ في الطريق وصولُ

ملكناهُ بالجد العظيم وقد غدت لنا غرر مشهورة وحجولُ

وقولهِ يجيب فضل الله بسترس على رسالة من قصيدة :

هذا صبا بيروت نحوك قد سرى اهلاً بهِ فلقد اتاك مسلّماً

حال اشتعال الافق حيث نجومهُ ظُنت عيون المسكرات توهّما

وغيومهُ مثل الرداء كأنها قد أُرسلت للبدر كي يتلثما

ما ذاك بدراً بل خيال حبيبتي قد لاح مرتسماً بمرآة السما

وقال

كالكهرباء رأيتُ ذكر احبتي تهتز منهُ سلاسلي وعظامي

بتأثرات في الحواس عميقةٍ خفيت عن الابصار والافهامِ

وقال يخاطب الشاعر الفرنسي دي لامرتين الشهير من قصيدة ترجمها بالفرنسية المسيو رينو المستشرق الفرنسي

لك بالحقائق خبرة واصابةٌ وعن المعارف مقلة لم تهجعِ

لو أنزل الله العليُّ بعصرنا وحياً لجئت مخبراً بالمزمعِ

فلقد علوت بروح شعرٍ فائقٍ هبطت عليك من المحل الارفعِ

قد قادني للشعر شعرك اذ حلا ورأيتهُ يدعو فلم أتمنعِ

هذبت افكار العباد ولم تزل تجري العظائم من فؤاد المبدع
وجلوت انوار العلوم لذاك قد كُشفت عن الابصار حجب البرقع
ابديت ميدان البلاغة واسعاً فيه يقصّرُ كل سارٍ مسرع
تتسابق الافكار في ساحاته وبمثله الالباب لم تتمتع
ترد الانام الى فوائده كما ترد العطاش الى زلال الانبع

ومدح المسيو رينو على ترجمته هذه بقصيدة نشرها في (العصر الجديد) منها :

شكرًا لفضلك قد مننتَ بخطبةٍ جاءت تنبهُ في حمانا الأعينا
لم نخترع نحن الجديد وانما من فضل نور الغرب جددنا السنى
اهدى لنا انوارهُ شفافةً فازداد نورُ الشرق اذ سطعت هنا

ومنها

اهديت مرآةً قد ارتسمت بها افكارنا فغدت تزينها لنا
اكسبت شعري رونقاً وطلاوة والراح يشرق كما لطف الانا
قد ردَّ منك الى رُبى الشرق الصدى فجلا مسامعنا واطرب بالغنا

اما النبذة الثانية من شعره فهي (العصر الجديد) طبعهُ سنة ١٨٦٣ وهو اكبر دواوينه وادقها تصرفاً بالمعاني الجديدة ومن محاسنه قولهُ في الفجر من قصيدة :

نبّه لحاظك فالصباح قريبُ وانظر شعاع الشرق فهو عجيبُ
قد أُشعلت ارجاؤهُ وتذهّبت ابوابهُ فانا لذاك طروبُ
فانظر ترَ الامواج تحت ضيائه لعبت والوان المياه ضروبُ
والفجر يخطو اثر اقدام الدجى فانساب منهزماً وراح يذوبُ
والشمس قد نشرت بيارق نورها فوق الشطوط وللنسيم هبوبُ
واصطفت الاطيار جنداً فوقهُ منها لتسبيح الاله خطيب
والنسر سار الى العلاء كأنما في الغيم اصبح وكرهُ المطلوبُ
ما زال يخفق بالشعاع جناحهُ حتى طواهُ في السحاب مغيبُ
هذا الصباح شبيه فرق حبيبتي تمثال رونقها به مكتوبُ

وقال يصف البحر والسفينة من قصيدة اخرى

وحيثما أنة الشاطي الحنون بدت تساعد الصبَّ فيما ليس ينفعهُ
فأصغي به لحنين البحر منتحباً كأنهُ يشتكي بيناً يودّعهُ
والشطُّ مدَّ ذراعيهِ على ظمإٍ يعانق البحر والامواج تصفعهُ

تُلقى على صخرهِ الفضيّ موجتهُ وتنثني بعدما بالقرب تطمعهُ
كغادةٍ صادفت محبوبها فغدت تدنو اليهِ دلالاً ثم تمنعهُ
وللسفينة من تحت الشراع بدا سيرٌ عجيبٌ يظلُّ الطرف يتبعهُ
كذات حسنٍ مرت تحت الازار وقد رامت دلالاً فماست وهي ترفعهُ

ومنها يصف الطبيعة والفلك :

وفي الطبيعة اسرار منوّعةٌ تهدي الى الفكر تنزيها يتبعهُ
كأنما الليل في اثناء سكنتهِ يصغي لشيء اليهِ مال مسمعهُ
كأنما كروات الافق اذ سطعت جزائر من لهيب جلّ مبدعهُ
والنور في قطرها الشفّاف مرتعدٌ يخشى السقوط كأن الافق يدفعهُ
هذي زهور السما في الافق ناضرةٌ تُلقي على البحر انوارًا تلمعهُ
وفي المجرّة جمهورٌ لهُ عددٌ من الكواكب لا يحصى تنوّعهُ
مثل البساط من الديباج قد نظمت فيهِ اللآلي على وشيٍ ترصعهُ
والبدرُ مدّ شراع النور منبسطًا على العلى وهواء الافق يرفعهُ
كأنهُ وجهُ خودٍ لاح ملتفتًا نحو الحمى وغشاء الغيم برقعهُ
امسى يلاحظنا في سيرهِ عجبًا وأخنة جانبي بالسرّ تطلعهُ

ومن اغزالهِ وصفهُ للغرام من قصيدة

خضعتْ لسلطان الغرام شبيبتي فاذا نهضت لخلعهِ لا اسلمُ
في كل جارحةٍ بدا تأثيرهُ مني كأن العشق في جسمي دمُ
حاولتُ تسلية الفؤاد وانما داعي الجمال على المحبة يرغمُ
خلق الجمال مكيدة لبني الورى فمن الذي بالعشق لا يتألمُ

ولهُ اوصاف رائقة منها وصف غاب الصنوبر في بيروت ووصف لبنان ومصر والقطار الحديدي والبدر والليل والبحر وصور واللغة العربيَّة والنيل ولبنان

ومن اوصاف الليل التي اجاد فيها كل الاجادة حتى لقب بشاعر الليل قولهُ من قصيدة :

في ليلة القت عليّ سكوتها فلقيتُ فيها للتوحُّد مغنما
أمري على ولهٍ وحولي في الدجى ما يستحق بأن أطيل توسّما
مُقَلُ السما سهرت تراقب كوننا اذ نام في احشاه ليل أظلما

وقولهُ من أخرى :

فأرَّقني ليلٌ كأنَّ ظلامهُ دُخان فؤادي والنجوم شرارُهُ
قطعتُ دجاهُ شارداً ساهياً بهِ كذا كل محزون يطول افتكارُهُ
الى أن عرت زهر الكواكب نفرةٌ وبدر العلى للافق مال انحدارُهُ
وصبغ الدجى في الغرب حال ظلامهُ وجنح الضيا في الشرق لاح منارهُ

وقال في شعراء العرب من قصيدة :

انَّ اهل الشعر قومٌ ابدلوا لذة الحسّ بكثر المجس
يعشقون الحسن لكن عندهم مقصد العشق لغير الملمس
يعشقون الغاب او وجه السما او رياضاً اخصبت في المغرس
فأحبوا العين لما نظروا اخذها معنىً لزهر النرجس
واذا لاح جمال انشدوا ان هذا الوجه بدر الاطلس
نسبوا الوجه على غير هدًى لجماد عمرهُ لم يحسس
شبهوا القدَّ بغصن في النقا يعتريهِ القطع ان لم ييبس
شبهوا النهد برمان ولو ما اكتفوا قالوا شبيه الجَبَسِ
احسنوا لو صمتوا عن وصفنا معجزات الله ما لم يَقِسِ

وقد عرَّب قصيدة لامرتين الشاعر الفرنسي بقصيدة عنوانها (صباح مبارك) صفحة ٢٣٨ وهي التي عرَّبها نظماً كاتب هذه المقالة ونشرت في الضياء (٣ : ٤٦) بعنوان (الفتاة الحلبية) ومن تفنناتهِ قولهُ

يلوح برق ثناياها فيرقصني اذ قد يرجّف اغصاني تكهربهُ

وقولهُ من موشح رقيق

ليت صدري كان لجات البحار ويدي دولاب ذيَّاك البخار
وفؤادي مركب فيهِ يُسار ولهُ من نَفَسي الريح يُعار
يحمل الحبَّ الى حيث المقرّ

وقولهُ من ابيات

يا ايها الفرق الذي نَفَسي غدا عنهُ يزيل غشاء دجنٍ خيما
صوّر جمالك في عيوني انها لوحٌ أمام شعاع نورك حكما

وعلى الجملة فالعصر الجديد مثل اسمهِ عصر جديد للشعر العربي السوري وهو اول ديوان

نقل فيهِ الشعر من النمط القديم الى الاسلوب الجديد · ومن استقرى قصائدهُ رأى فيها من المعاني الحديثة ما يشهد لهُ بحبهِ للجديد ومحاولتهِ ترك القديم وان كان لم يستطع ان يتخلص من ربقتهِ ويقطعها · ولقد ميز قصائدهُ بعناوين تدل على اغراضها وتابعهُ في ذلك نفر من شعرائنا مثل فرنسيس المراش الحلبي في ديوانهِ (مرآة الحسناء) وسليم بك العنحوري الدمشقي في ديوانهِ (سحر هاروت) وغيرهما

ومما طبع في هذه السنة وانتخبت قصائدهُ من العصر الجديد كتاب (النشائد الفؤادية) وهو المدائح التي قدمها المترجم الى فؤاد باشا المعتمد السلطاني في سورية وكان هو من رجال معيتهِ وصدرها برسمهِ وبلمعة من ترجمتهِ وما جرى بعهدهِ في سورية وتنظيم متصرفية لبنان وبعض الفرمانات الشاهانية وفيهِ قصيدة جارى فيها الاوزان الفارسية مطلعها :

ألا فلتعلم الدنيا بانك انت اوحدها ... بآدابٍ والطافٍ واحكامٍ تشيدها

غمرتَ الناس بالاحسان والانصاف مرحمةً ... لذا كافاك بالحسنى مليك الارض سيدها

أتتكَ اليوم مخنةٌ تنادي وهي باسمةٌ ... هنا للمجد منزلة لمثلي طاب موردها

والنبذة الثالثة هي (السمير الامين) طبع في بيروت سنة ١٨٧٦ م ومن منتخباتها قولهُ في وصف مصر من قصيدة

يا مصر حيَّاك الحيا فلقد زهت ... فيكِ الحياةُ ونلتِ اعظم شانِ

اصبحتِ قاهرة الدهور لانها ... هجمت عليكِ فردَّها الهرمانِ

ومنها في وصف البخار وهو اول من وصفهُ في ما نعلم من شعرائنا

حيث البخار اطار راحلتي التي ... كالبرق قد سارت بغير عنانِ

فهناك من قضبِ الحديد مسالكٌ ... تجري بها العجلات كالغدرانِ

بركانها السيَّارُ غار بركبنا ... فعجبت من ركب على نيرانِ

يا ايها الشرقيُّ هل تلقى اذا ... حملتك غير تعجب الحيرانِ

ام تذكرنَّ على الهجين مراكباً ... نقلتك تحت حماية الهجَّانِ

ومنها

لا بدَّ من خوض البحار مرافقاً ... طير البخار يجدُّ في الطيرانِ

فارى من الاسكندرية طلعةً ... هي في المقام طليعة البنيانِ

وارى المنارة بالبشارة تزدهي ... للقادمين مشيرة بأمانِ

وارى طواحين الهواء كأنها ... تدعو الغريب لمنزل الضيفانِ

وارى على الشاطي مسلةً التي ... وقفت بهِ تمحو الزمان الفاني

وارى لتذكار الفراعن فوقها | رمزاً يبين عناية اليونانِ
نقلت بهمتهم لزينة ربعها | ونظيرها لاعاظم البلدانِ
هي ابرة الذات التي اشتهرت بها | لكنها وضعت لغير بنانِ

وقال متلاعباً من قصيدة في (الشاديات) وهي النبذة الرابعة من شعرهِ المطبوع سنة ١٨٧٥

بكل قوة عيني قمتُ انظرها | كأن روحي اقامت في ضيا نظري
فارسلت دمعها واحمر ناظرها | حتى رأيت امتزاج الماء بالشررِ
وكان في قلبها صوتٌ ترددهُ | وليس يسمعهُ غيري من البشرِ
فقمتُ اظهر من خوفي لها جلداً | كأنما تحت جفني مقلة الحجرِ

ولهُ في هذا الديوان القصيدتان المشهورتان (العناب والرمان) و (جميلة) وهما اللتان ذكرتهما جريدة الدبا الفرنسية وعرّب كلامها فقيد الادب المرحوم اديب بك اسحق في الدرر: نقتطف منهُ ما يعرّف القصيدتين

"ومع ان الشاعر الخليل لم يتجاوز الاربعين من السنين فديوانهُ كبير يشتمل على قصائد لا تحصى منها ما نظم على طريقة القدماء ومنها ما مال بهِ الى الجديد وهو وان كان لا يجرأ على قطع صلات التقليد بجملتها فهو جدير بالثناء على اجتهادهِ فقد رأيناهُ متجافياً عن استعمال المبتذل من التشبيه مائلاً الى استبدال مرئيات الاعصر الخالية بعجائب العصر الجديد"

والنبذة الخامسة من ديوانهِ هي (النفحات) طبعت في بيروت سنة ١٨٨٤ ولهُ فيها قصيدة اجاب بها راشد باشا ناظر الخارجية عن قصيدة تركية رثى بها اخاهُ سليماً ومنها

اشجاك حزني والالم | وجزعت مما بي الم
ايقظتني في وهدة الحزن الشديد ولم انم
فسمعتُ شعرك شادياً | يشجي حمامات العلم
يرثي سليماً نادباً | غصناً بروضتهِ انقصم

ومن قولهِ في حفظ السرّ

لا تخشي انني يوماً ابوح بها | اباحة السرّ عارٌ غير مرتحلِ
حفظ اللسان كحفظ الدين احسبهُ | وخائن القول عندي خائن العملِ
يمازج السرُّ في صدري دمي فهما | مركّبٌ لا تجزيهِ يدُ الحيلِ
يحافظ السرَّ في حال الرضى حذرٌ | عندي فيبقى مصاناً في حمى الأملِ

ومن آخر اشعارهِ التي لا تزال خطاً قصيدة تلاها يوم عيد الجلوس الهايوني وتدشين سكة الحجاز واصفاً الثانية بقولهِ :

فكان الشام مفتخرًا شكورًا لما نال الحجاز من الهباتِ
حباهُ معجزات العصر تسعى على عجلٍ لأرض المعجزاتِ
تضمُّ ربى فلسطين لنجدٍ لتجمع منى بسلسلة الصلاتِ
وتجعل ثغر بحر الروم شوقاً يقبّل جيد ضفّات الفراتِ
مدائن صالح تسري اليها مدائن بالحديد مشيداتِ
واعمدة البخار بها تحاكي منائر للمناسك داعياتِ
يسير بها الحجيج على ازدحامٍ يريك الموج ضمن المركباتِ
قوافل في الفدافد ساريات نواقل للجبال الراسياتِ
عظائم تدمرٍ اضحت لديها اثافيَّ في قفارٍ صاغراتِ

ستأتي البقية

تفوُّق العقول

قرأت الرواية التالية في مجلة العالم الانكليزيَّة وهي حقيقية ولو وضعت لها اسماء مصطنعة فترجمتها فكاهة لقراء المقتطف

سليم الخوري

بقلم سكرتير مالي السودان

لما بلغ اورلوف الثامنة عشرة من عمرهِ توفي والدهُ وكان مستخدماً في احدى شركات التعدين فلم يترك لهُ مالاً يذكر فاضطر ان يعيل والدتهُ وشقيقتهُ اذ لا ركن لهما سواهُ ولم يكن واسع الاختبار في دنياهُ ولكنهُ كان ثاقب الفكر بعيد النظر فرسخ في ذهنهِ انهُ سيقلد وظيفة سامية يستطيع بها القيام بحاجيات عائلتهِ وراحتها وكان يعرف خمس لغات واعلن عن نفسهِ في الصحف فنال وظيفة في معمل كبير الاَّ ان اجرتهُ لم تكن مساوية لمعارفهِ واتعابهِ الشاقة وغير كافية لان تقوم بنفقات عائلتهِ فترك المعمل بعدما استخدم فيهِ يومين فقط

وقرأ ذات يوم اعلاناً في احدى الصحف ان شركة من شركات التعدين في القوقاس تحتاج الى شاب لهُ المام بالكتابة والحساب ويعرف اللغة الروسية جيداً . والطلبات تقدم

الى مدير الشركة في باكو . فقدَّم طلباً فقبل فيها براتب قدره عشرون ريالاً في الشهر والشركة فرنسوية ايطالية

فسافر الى محل عمله وكله آمال وقد قال لوالدته وهي تودعه على المحطة سابذل جهدي يا اماه لادرك النجاح هذه المرة وثقي بانني ساصير موظفاً كبيرًا في هذه الشركة . فقبلته والدموع تذرف من عينيها ولكنها اظهرت الجلد . ولما مشى القطار شيعته بابتسام كانها تشجعهُ وتشدد عزائمهُ . ثم عادت الى بيتها والحزن آخذ منها كل مأخذ لفراق وحيدها لاسيما وان هذا الفراق كان الاول ووصل ابنها الى محطة باكو والشمس آذنة بالمغيب فقصد قهوة المحطة ليتناول قليلاً من الطعام وكانت امارات الكآبة والهموم تعلو محياه لانهُ قضى ساعات سفره مفكرًا في والدته وشقيقته وحالها بعد سفره وشغل بالهُ ايضاً ان راتبهُ الشهري الذي سيتناولهُ لا يكفيه لقوته الضروري . وما زالت هذه الافكار تجول في خاطره الى ان دخل القهوة غريبان وجلسا قبالتهُ من غير ان يلتفتا اليه وجعلا يتكلمان باللغة الايطالية وكان يعرفها جيدًا فتناقشا في امور سياسية وانتقلا الى العمال في روسيا فقالا ان اجرتهم من ابخس اجور العمال في العالم . ولم يدر في خلدهما ان ذلك الغلام البائس يفهم الايطالية لانهُ قوقازي والقوقاز بعيدة عن ايطاليا ولا تزال في طور الخشونة . فقال احدهما ودليلنا على بخس الاجور اننا ننتظر اليوم شاباً روسياً استخدم في شركتنا بعشرين ريالاً في الشهر ولا بد ان يكون كاتباً ماهرًا كما هو المشهور عن شبان الروس وسننتفع بمعارفه كثيرًا . وسنربح من عمله اضعاف راتبه . فلزم اورلوف الصمت مع انهُ ادرك حالاً انهُ هو الشاب المقصود وان مخدميه عازمون على اجهاده وهضم حقوقه . فقال في نفسه سنرى من الذي يفوق الآخر أأنتم ايها الايطاليون الاغبياء ام انا الغلام الروسي . لقد جئتم الى بلادنا لكي ترقوها وتستعمروها ولكن لنفع انفسكم ولا لوم عليكم في ذلك وانما لاحق لكم ان تربحوا من اجهاد عقولنا وتحرمونا ما يقضي به العدل والانصاف . ثم خرج الرجلان وخرج هو في اثرهما وقصد محل الشركة ومثل بين يدي المدير فقال لهُ

— كم تبلغ من العمر يا بني

— تسعة عشر عاماً يا سيدي

— اظنك فهمت ان راتبك عشرون ريالاً في الشهر

— نعم

— اذن تعال غدًا وابدأ بالعمل وساعات العمل عندنا من السابعة ونصف صباحاً الى

السابعة مساء · هل تعرف لغة اجنبية

— لا اعرف غير الروسية والبولونية

— كنت اظن ان جميع شبان الروس يتكلمون الفرنسوية والالمانية وانكليزية

— اود من صميم قلبي ان اعرف هذه اللغات واظن انني لو كنت اعرفها لكنت انال مئة ريال راتباً شهرياً

— طبعاً كنت تنال · فتعال غداً الساعة السابعة ونصفاً صباحاً لاستلام اعمالك

فشكرهُ وخرج · وبينما هو سائر كان يناجي نفسهُ قائلاً لقد صار هذا المدير في قبضة يدي وساذكرهُ بوعدهِ وهو اعطائي مئة ريال في الشهر متى اريتهُ انني اعرف اللغات التي ذكرها اما الآن فساقنع براتبي واتقن عملي

وكان الاجتهاد خلقاً فيهِ فيقضي سحابة يومهِ مجداً مكداً بهمة لا تعرف الملل وكان ينسخ التحارير التي باللغات الاجنبية ويقول انهُ يرسمها رسماً ولا معرفة لهُ بتلك اللغات · ومضى عليهِ نحو عام وهذه حالهُ ولم يخبر المدير انهُ انهُ يعرف تلك اللغات حاسباً ان الوقت لم يحن لذلك

وحدث ذات يوم ان المدير ناولهُ تلغرافين ليبعث باحدهما الى فرنسا والآخر الى ايطاليا يدعو فيهما مديري الشركة وكبار مساهميها الى الاجتماع للمداولة في امر هام يتعلق باعمال الشركة · فارسل التلغرافين وفي صدرهِ نار للوقوف على ذلك الامر . وسمع يوماً رئيس مهندمي الشركة يكلم المدير منفرداً وامامهما خريطة كبيرة وقد عُلّم على بعض المواضع فيها بقلم احمر وكان امامهما حجارة يظهر للناظر ان فيها مقداراً وافراً من الحديد

وكان المدير والمهندس يتكلمان بالايطالية فعرف من حديثهما انهُ اكتشفت ارض تحوي كثيراً من الحديد · فادرك ان التلغرافين اللذين امرهُ بارسالهما متعلقان بهذه الارض فقال في نفسهِ لقد حان الوقت لان اصير غنياً وذلك بابتياع الارض قبلهم من صاحبها ومشاركتهم في استخراج الحديد منها

وخرج عمال الشركة في المساء الاّ اورلوف فانهُ تظاهر ان لديهِ اعمالاً متراكمة وكثيراً ما كان يفعل ذلك قبل الآن لا قصد المظاهرة ليكون المدير راضياً عنهُ وانما كان يعمل حقيقةً ولو لم يكافئهُ المدير على اجتهادهِ · فلبث الآن بضع دقائق مكباً على عملهِ ولما تأكد انهُ لم يبقَ احد غيرهُ في المكتب دخل غرفة المدير وكانت الخريطة لا تزال على

المائدة فجعل يتأملها حتى تمكن من معرفة الجهة المُعلم عليها بالقلم الاحمر ورسم الخريطة رسماً يستطيع بهِ معرفة بقعة الارض المرموز اليها واخذ حجراً من الحجارة وكانت لا تزال على المائدة وانصرف الى منزلهِ . وسهر معظم ليلتهِ وهو يفحص الحجر وينعم فيهِ النظر وما تبلج الفجر حتى كان على محطة السكة الحديد فارسل الى امهِ التلغراف التالي

" ارسلي لي كل ما تستطيعين ارسالهُ من النقود بيعي حلاكِ وحلى شقيقتي اذا دعت الحال وبعد يومين اشرح لكِ فالمشروع عظيم الشأن اسرعي اسرعي "

وكان يعلم حب والدتهِ لهُ وثقتها بهِ وقال في نفسهِ لا بد ان ترسل اليَّ النقود التي طلبتها ولكن ما العمل اذا كان المهندس مخطئاً في بحثهِ . ألا اكون قد خاطرت بمالها وجلبت عليَّ وعليها الشقاء بدلاً من السعادة بذهاب ثمن الارض جزافاً

ولما وصل التلغراف الى امهِ قالت في نفسها ان ابني لا يطلب هذا الطلب الاَّ لمشروع خطير الشأن فالساعة السعيدة التي طالما حدثت نفسهُ بها وهدس قد دنت فطب ياولدي نفساً فسوف احقق املك

وفي اليوم التالي جاءهُ ساعي التلغراف وهو في مكتب عملهِ بثلاثة تلغرافات منها اثنان للمدير وواحد لهُ ففضهُ وقرأهُ مبتسماً وهو " ارسلت لك الفي ريال وادعو لك النجاح " والدتك

ودخل على المدير بعد نصف ساعة واستأذنهُ في الغياب عن العمل بعد الظهر لقضاء اعمال خاصة بهِ ولما كان الشغل في ذلك اليوم قليلاً لانهُ كان على رؤَساء الاقلام ان يتداولوا في المشروع الجديد اذن لهُ في الحال . فالتهم غداءهُ وهو غير مصدق وقصد مكتب البوستة حيث قبض الحوالة واكترى عربة الى الجهة المقصودة فسارت بهِ نحو ساعتين حتى وصلت الى بيت حقير من بيوت الفلاحين فدخل البيت ووجد فيه رجلاً كهلاً جالساً مع زوجتهِ فحياها بلطف فردا التحية باحسن منها وقدما اليهِ كرسياً فجلس عليهِ وقال ان وقتي قصير جداً لانني اروم العودة الى المدينة باسرع ما يمكن وقد اتيتكما لامر لكما منهُ ربح . فابتهج الرجل وقال لهُ اظنك آتٍ لشراء الغنم لانهُ يربي غنماً ويبيعها . فقال لا وانما جئت لاشتري شيئاً آخر وهو ارضك . فانذهل الرجل من ذلك لانهُ لم يكن يخطر على بالهِ ان احداً يفقد رشدهُ ويشتري منهُ ارضاً جرداء لا ينبت فيها شيء ثم قال اورلوف نعم جئت لاشتريها وسانقدك الثمن في الحال . فابرقت اسرة الرجل ورمقهُ بعينين ملئهما السرور واخذ يتفرس فيهِ تارة وينظر الى امرأتهِ اخرى واورلوف يطلب منهُ الجواب ثم قال يا عماهُ أتريد ان

تبيعني الارض ام لا — ان كنت لا تريد فقل ذلك واسرع ليتسنى لي الذهاب الى احد جيرانك واشتري منهُ ارضاً غيرها. فقال الرجل اروم ذلك من صميم فؤادي ولكن استغرب جداً كيف يخطر على بال مخلوق شراء ارض لا فائدة منها قال هذا واشار الى الارض بيدهِ فانتهرتهُ زوجتهُ وقالت لا تصدقهُ فالارض جيدة جداً وهي سهلة الاصلاح وهمست في اذن زوجها قائلة اسكت. اما الشاب فتظاهر بعدم المبالاة وقال كم تطلب ثمنها يا عماه. فقالت زوجتهُ لا تخاطب زوجي فهو لا يعرف الاّ ان يبيع الغنم والبيض فاعطنا الف وخمس مئة ريال وبارك الله لك فيها. فتوقف اورلوف قليلاً كأنهُ يفكر في الامر ثم قال قبلت ان ادفع لكما هذا المبلغ وسأدفعهُ في مكتب مسجل الاراضي ومعي الآن عربة في انتظاري. فلنركبها الى المدينة سويةً. وما كادت المرأة تسمع ذلك حتى ارتدت ثوباً احمر وربطت رأسها بمنديل اصفر وقالت لهُ هلمَّ يا سيدي. اما زوجها فكان واقفاً حائراً لانهُ لم يكن مصدقاً فهمس في اذن امرأتهِ قائلاً اما ان نكون في حلم واما ان يكون هذا الشاب قاصداً الضحك علينا والاستهزاء بنا. فانتهرتهُ وقالت اسكت وتعال معنا فارتدى خير ملابسهِ في الحال وجاء بحجة الارض وركب الثلاثة العربة وبعد ساعتين وصلوا مكتب المسجل حيث عملت الاجراءات الرسميَّة وصارت الارض ملكاً شرعيًّا لاورلوف وحمل الفلاح رزمة من الاوراق المالية بمبلغ الف وخمس مئة ريال وقال لهُ اورلوف لا بأس ان تبقى انت وامرأتك في البيت الذي في الارض الى ان اعلنكما بتركهِ. فقبّلا يدهُ وسارا وسار هو الى منزلهِ

٭٭٭

اما التلغرافان اللذان جاءا مع تلغراف اورلوف من مديري الشركة بانهم قادمون وقد عينوا يوم الاثنين التالي للاجتماع فزاد الشغل في المكتب لكي يروا كل شيء مستكمل النظام واشتغل اورلوف بهمة ونشاط كسابق عادتهِ حتى سرَّ رئيسهُ منهُ سروراً عظيماً فوعدهُ بابلاغ راتبهِ الى ثلاثين ريالاً في اول العام المقبل فشكرهُ على ذلك

وجاء يوم الاجتماع ودخل المديرون وكبار المساهمين والمهندسين الى غرفة متسعة واخذوا يتباحثون ويتذاكرون نحو خمس ساعات فقر رأيهم على شراء تلك الارض وقرروا المال اللازم للمباني والآلات والاماكن التي يضعون فيها الوابورات ويحفرون المناجم الى غير ذلك وان يذهبوا كلهم بعد مناولة الشاي الى الارض ليروها ويشتروها ولم يطل الوقت حتى سارت بهم اربع عربات الى تلك الارض

اما اورلوف فبقي في مكانهِ يشتغل ولما رآهم خارجين منشرحي الخاطر امتلأ صدرهُ املاً وسروراً وهنا ظهرت قوة الفكر ودنت ساعة مباراة العقول وكان اورلوف يعلم علم اليقين انهُ اذا بقي مستخدماً عندهم لم يكن الاَّ آلة تتعب ليكسبوا وتجتهد ليربحوا فرأى ان يعاملهم بالمثل

ولما دنا وقت اقفال المكتب عاد جماعة المديرين والمساهمين والكآبة تعلو وجوههم وامارات السخط بادية على اساريرهم . وارسل المدير اليهِ فدعاهُ الى مكتبهِ حيث كان الجميع في انتظارهِ والقلق سائد عليهم ولما مثل بين ايديهم قال لهُ المدير أتعرف رجلاً اسمهُ مثل اسمك قد اشترى قطعة ارض من الفلاح كاربوف

— نعم اعرفهُ

— هل هو من اقاربك

— لم تحزر تماماً وانما هو انا

— ماذا تقول انت — ولماذا اشتريت هذه الارض

— لانهُ توفر لديَّ مبلغ من النقود فاشتريت بهِ ملكاً وزد على ذلك فاني كنت ابحث في تلك الجهات فتبين لي ان هذه الارض تحوي حديداً فاشتريتها من صاحبها

— فهمت — ولكن هل تبيعها اذا طلبتها منك الشركة التي انت في خدمتها

— طبعاً ابيعها بكل سرور ولكن بربح

فاجابهُ المدير بكل لطف وتودُّدة لا ريب في الربح يا صديقي . ثم نظر الى الحاضرين وترجم لهم ما دار بينهُ وبين اورلوف لانهُ كان يكلمهُ بالروسية ثم التفت الى اورلوف وقال ما هو الثمن الذي تطلبهُ بهذه الارض

— ان ذلك يتوقف على رأس المال الذي ستقررونهُ للتعدين فيها

— لم افهم قصدك تماماً من هذا

— الامر بسيط يا سيدي فاني اعني بان ابيع الارض لكم بنصف رأس مال مشروعكم فما يخصني يدفع لي نصفهُ نقداً والنصف الآخر اسهماً اساسية

— لا ريب انك مجنون

— ربما اكون كذلك يا سيدي ولكني لا اصدق انك تعني ما تقول ومع هذا فانك لم تدعني اكمل شروطي في هذا البيع فزيادة عما طلبتهُ اريد ان أُعيَّن مديراً دائماً للمشروع

— مديرًا

— نعم يا سيدي فهذه هي شروطي ولا ابيع الارض بابخس مما طلبت

فالتفت المدير الى الحضور وترجم لهم ذلك . وليتصوَّر القارىء الدهشة والاضطراب اللذين استوليا عليهم اما اورلوف فكان واقفاً هادئاً ساكناً وعلى وجهه علامات السلطة والاعتماد على النفس ثم التفت اليهم بغتة وخاطبهم باللغة الفرنسوية بلهجة فصيحة وقال

ايها السادة اظن انكم نلتم مزية لم ينلها غيركم وهي اعطائي اياكم مهلة للتروي في طلباتي الى الغد فاذا رفضتم قبولها اضطران اسافر الى لندن لكي اؤلف شركة اخرى للتعدين في هذه الارض وان قبلتموها عقدت الاتفاق معكم غدًا ووقعناهُ في مكتب المسجل وإلا فانا كما سبقت فقلت لكم قاصد لندن سريعاً

ثم حيَّاهم وانصرف فوقعوا في حيرة وارتباك ولا سيما المدير فقد اخذ العجب منهُ كل مأخذ لانهُ سمع كاتباً صغيرًا براتب زهيد يخاطب هؤلاء الرجال العظام باللغة الفرنسوية وقد نطق بها احسن منهُ

وفي الصباح جاء ساعٍ الى اورلوف يحمل اليهِ كتاباً لطيفاً من مديري الشركة يدعونهُ فيهِ الى الحضور في منتصف النهار الى مكتب الشركة . فحضر في الميعاد واخذ المسجل معهُ ليكون ناصحاً لهُ ومساعدًا ودخلا غرفة الاجتماع فأُجلسا في صدرها فقال الرئيس انني بالنيابة عن اعضاء الشركة اقول اننا قبلنا الشروط التي اشترطتها يا مسيو اورلوف لانهُ لا يوافقنا ان تزاحمنا شركة اجنبية في هذه الجهات . وان راس المال الذي تقرر العمل بهِ هو مليونا ريال تدفع الشركة منهُ لك خمس مئة الف ريال نقدًا وتعطيك اسهماً بخمس مئة الف ريال ايضاً وقد عينتك مديرًا لها

∴

قال الراوي والمنجم الذي فتح في تلك الارض لاستخراج الحديد هو الآن من اعظم المناجم الروسية وقد صار اورلوف من ذوي اليسار وهو رئيس هذه الشركة ومديرها الاول . وجميع العمال يحبونهُ حبًّا عظيماً ويجلون مقامهُ كثيرًا ومع ذلك لا يزال يعمل بجد واجتهاد النهار بطولهِ ولا حاجة بنا الى القول ان والدتهُ واختهُ عائشتان الآن اسعد عيشة

[المقتطف] يا حبذا لو لم يلجأ اورلوف الى الخداع بتظاهرهِ انهُ لا يعرف اللغة الفرنسوية وفي اطلاعهِ على اعمال رؤَسائهِ التي كانوا يودون اخفاءها فان الخداع يفسد اشرف المناقب . ونجاح المخادع لا يفرق عن نجاح السارق

التعليم المفيد

من الخطب النفيسة التي تليت في مجمع تقدُّم العلوم البريطاني في اجتماعهِ الاخير خطبة رئيس قسم التعليم الدكتور ميل وهي حرية بان يطالعها كل رؤَساء المدارس واساتذتها لما حوت من الفوائد الجلي المبنيَّة على الاختبار ولذلك رأَينا ان نعرّبها افادة لقراء المقتطف

قال الخطيب بعد الديباجة ان المعرفة الكتابية قد تكون مفيدة جدًّا وقد تكون عقيمة لانفع منها. مثال المعرفة العقيمة معارف بلينيوس العالم الطبيعي الاكبر الذي قُتل في ثوران بركان يزوف في اوائل التاريخ المسيحي فانهُ الَّف كتابًا كبيرًا في التاريخ الطبيعي وترك ١٦٠ مجلدًا مملوءة بالاقتباسات التي لم تستعمل ولم يكن يشبع من مطالعة الكتب فكان يواظب عليها كلما سنحت لهُ الفرصة بل كان يقلل من ساعات النوم لكي يتسع لهُ مجال المطالعة . كان مرةً يقرأُ امام صديق لهُ فاعترضهُ صديقهُ لانهُ غلط في لفظة فقال بلينيوس لقد فهمتَ المراد فلماذا قاطعتني فاضعت عشر دقائق من الوقت على غير جدوى . وكتابهُ في التاريخ الطبيعي مشحون باقوال واقتباسات لم يمحّصها ولم ينسّقها ولا اتبع في سردها اسلوبًا واحدًا فلم يفد هذا الكتاب الاَّ لتأليف كتب أُخرى على شاكلتهِ

وبلينيوس وما كان بهِ من الرغبة الشديدة في اقتباس المعارف والمقدرة القليلة على الاستفادة منها مثال لجمهور كبير من رجال العلم الذين قرأُوا كل ما وصلت اليهِ يدهم من الكتب وازدخروا من المعارف كل غث وسمين وملأُوا بها مجلدات ضخمة من غير تمحيص ولا تنقيح

وكثيرًا ما يقع معلمو المدارس في هذا الخطإِ فيحاولون شحن عقول التلامذة بما لا نفع لهم منهُ ولكن الطبيعة تمنع التلامذة من الامتثال لهم ولولا ذلك لصارت عقولهم مثل بيوت البخلاء الذين يحسبون انهم اذا طرحوا شيئًا من امتعتهم احتاجوا اليهِ في اليوم التالي فتمتلئ بيوتهم من كل عتيق رثيث

لما جاء عصر النهضة في اوربا قام اناس ندَّدوا بالعلوم التي لا فائدة منها فقال رابلاس ان أكبر العلماء قد يكون جاهلاً . وقال مونتانيه ان العلم الاكثر قد لا يكون العلم الافضل وان الطعام الذي لا يهضم لا يغذي وان ليس كل ما تعيهِ الذاكرة علمًا مفيدًا . وعجب اراسموس من جهل علماء عصرهِ . وانكر لوك اسم العلم على المعرفة الكتابيَّة وقال ان المعرفة

الصحيحة صور ذهنية لا كتابية وان العالم من كان فاضلاً حكيماً اديباً عالماً . فوضع الفضيلة والحكمة والادب قبل العلم

ومن حسن البخت ان المعارف التي لا تفيد تزول سريعاً من الذاكرة ولو حاولنا حفظها . ومثلنا في ذلك مثل رجل واقف على ضفة نهر والنهر يجري امامهُ مسرعاً وفيهِ مواد مختلفة لا يخلو بعضها من نفع والرجل يمدّ يدهُ حيناً بعد حين ويلتقط بعض تلك المواد ثم يطرح اكثر ما يلتقطهُ ولا يبقي في يدهِ الاّ عشرهُ ولا يحتفظ بما يبقيهِ اكثر من شهر

والمعارف التي تحفظها ذاكرتنا هي اكثر كثيراً مما نحتاج اليهِ ولذلك يجب ان لا نأسف على ما ننساهُ منها . حينما يبيّن لنا البعض مقدار ما يضيع من الطعام لعدم الاعتناء بانتقائهِ وتدبيرهِ يخطر ببالي ان كلاً منا يأكل مضاعف ما يحتاج اليهِ فاعزي نفسي عمّا يضيع بعدم الاعتناء . وسعة المعارف ليست لازمة لاتقانها وانما الذي يلزم هو ان يعرف الانسان كيف يستعمل معارفهُ

ولا شبهة في اننا نحتاج احياناً ان نتذكر اموراً كثيرة لكي نصل منها الى نتيجة ما او الى دليل مقنع ولكن هل من الحكمة ان يذخر الانسان في ذاكرتهِ كل ما يمكنهُ ذخرهُ من المعارف مدة سنين كثيرة عساهُ يحتاج اليهِ يوماً ما . ليس هذا من رأيي فان من يدرس تركيب جسم الحيوان يجد ان الطبيعة لم تضع العصب والعضل اللذين يتعبان سريعاً ويحتاجان الى الدم الغزير لتغذيتهما في مكان العظم والوتر اللذين يحتملان التعب ولا يحتاجان الى الغذاء الكثير . وتشغيل الذاكرة يقتضي اجهاد الاعصاب اجهاداً شديداً ولا سيما بعد سن الصبوة فالاقتصاد يقضي على الانسان ان يستغني بكتب اللغة ونحوها من الوسائل عن اجهاد قوى عقلهِ . وتاريخ العلوم يحذرنا من ذخر المعارف الكثيرة في الذهن على امل استعمالها في المستقبل البعيد

والعلوم اخص من المعارف لانها لا تطلق الاّ على المعارف المحققة وبها يتصل الانسان من الجزئيات الى الكليات ويجرّد من المعارف المفردة حقائق كلية عمومية وهي التي ندعوها بالقوانين العلمية ونستعملها في تحقيق الحوادث ولذلك فاكثر المعارف العلمية في استعمال دائم وهي تتطرق الى كل شيءٍ فلا يفلت شيءٌ من سلطتها ولذلك تجد العالِم الحقيقي معتاداً على البحث عن علل الحوادث وتعليل ما يقع عليهِ نظرهُ او تسمع بهِ اذنهُ على اسلوب علمي . ومزية العلم التدقيق والاعتدال والانصاف . ويراد بالاعتدال العلمي التسليم بما يقرُّ عليهِ جمهور العلماء الموثوق بهم ويراد بالانصاف العلمي استعداد المرء لاصلاح آرائهِ اذا ظهر خطأٌ فيها

سأل هربرت سبنسر قائلاً اي المعارف انفع من غيرها والتفت الى المعارف من حيث علاقتها بالحياة والصحة والمعيشة والوطن واسباب البهجة والسرور وتهذيب الاخلاق واجاب ان النفع قائم بالعلم (اي العلم الطبيعي) . وقولهُ حجة لاسيا وانهُ اوردهُ على اسلوب مقنع ببلاغتهِ وبيانهِ والمشتغلون بالعلم يؤيدونهُ طبعاً واذا سلَّم الجميع بقولهِ انحلت مشاكل كثيرة فنختار الاساتذة الاكفاء لمدارسنا ونعين الدروس اللازمة لاولادنا ونقرر الاعمال التي يتعاطونها بعد المدرسة

ولكن لننظر في قول سبنسر هذا ونبدأ بالبحث عمَّن يجب ان يعلَّموا العلوم التي هي انفع من غيرها وكيف يتعلمونها . والظاهر ان سبنسر يذهب الى ان العلوم الطبيعيَّة انفع العلوم كلها وان تعلُّمها واجب على كل احد . وهذا مذهب يصعب علينا التسليم بهِ فان من الناس مَن عقولهم غير صالحة لتعلُّم العلوم او اعمالهم لا تقتضي غير بعض المبادىء العملية البسيطة . هب انك رأيت شابًّا لا يلتذ بالعلم او لا طاقة لهُ على فهم العلوم او هو ميَّال بالفطرة لان يكون شاعرًا لا عالمًا او ورث عملاً منهُ ربح مالي وافر ولا دخل للعلوم فيهِ افيبقى اختيار العلم افضل شيء لهذا الشاب . لا اظن ان سبنسر كان يغفل هذه الاحوال او ينكر ما تدعو اليهِ . فهل كان يفكّر في نوع الانسان كلهِ لما قال هذا القول او بالامة الانكليزيَّة وحدها او بفريق خاص من الناس . وكيفما كانت الحال فهو لا يعذر في عدم استثنائهِ هذه الاحوال التي تمنع ان يكون العلم الطبيعي انفع شيء للانسان . والذين يوجبون المعرفة العلميَّة لا يقولون انها فرض على كل احد . ولا بدَّ لنا من انقسام الاعمال كلها عقلية كانت او يدوية . وكل يوم نرى لزم اعتمادنا على علوم غيرنا

ان التضلُّع من مبادىء العلوم الذي اشار اليهِ سبنسر وكان هو ممثلاً لهُ لم يعد في الامكان ولا بقي نفعهُ الآن كما كان قبلاً . قلت ان التضلع من مبادىء العلوم لم يعد في الامكان لان العلوم زادت كثيرًا واتسع نطاقها جدًّا وما كان تضلعاً حينما كان سبنسر يتعلم او يعلّم نفسهُ صار الآن الماماً قليل النفع لان الاعمال صارت تقتضي علم الخبراء الثقات وقلَّ ان ترى الآن عاملاً يحضر الخطب في علم الكيمياء ثم يشير باصلاحات في الاعمال الصناعية كما كان يحدث منذ مئة سنة . وسيزول ذلك تماماً لان الاعمال كلها معتمدة على معارف اكبر العلماء واكثرهم بحثاً وقد صار اصحاب الاعمال قادرين ان ينفقوا على استخدامهم. وبديهي ان التفوُّق في العلوم لا يمكن ان يحصل عليهِ الَّا نفر قليل

ومن رأي سبنسر على ما يظهر ان كل والدة يجب ان تعرف الفسيولوجيا (علم وظائف

اعضاء الجسد) فتستطيع ان تربي اولادها . وهذا ايضاً محل للشك فان علم الفسيولوجيا وما يقتضيهِ من العلوم قد اتسعا جدًّا بعد ما كتب سبنسر كتابهُ في التعليم ولم تعد مطالعة كتاب فسيولوجي ولو كان من افضل الكتب مثل كتاب هكسلي كافية للعمل . والمعرفة القليلة قد تضرُّ ضررًا كبيرًا اذا استخدمها الانسان لتشخيص الامراض او للتدابير الصحية.
وارجو ان الذين يوافقونني على ان العلم اللازم للصناعة والصحة العمومية يزيد نطاقهُ اتساعاً وتحصيلهُ صعوبةً يوماً فيوماً لا يتخذون ذلك حجة على انهُ يجب ان يحصر تدريس العلوم في عدد قليل من الناس فان العلوم الابتدائية التي تعلَّم في المدارس تفيد في تثقيف العقل وتربية الاخلاق وبها يُكتشف الشبان الذين يحسن تخريجهم في العلوم حتى يصيروا من اربابها والمكتشفين فيها وتُولّد الرغبة في العلم وهي هامة جدًّا لكل بلاد . وان لم يفد علم المدارس غير زيادة فهم حوادث الطبيعة وزيادة الاهتمام بالبحث عنها فكفى بهما فائدة

و يقيني ان سبنسر كان يسلّم بان درس العلم الطبيعي يجب ان لا يشغل اكثر من قسم من دروس المدارس ولو جعلهُ الانسان اهم اشغالهِ في حياتهِ . فالكيماوي والفسيولوجي يضطران ان يعبّرا عن معارفهما بالخطابة او بالكتابة فلا تتم الفائدة ما لم يعبّرا عنها بصراحة وحسن بيان ويجب ان يتقنا لغة اجنبيةً على الاقل وان يعرفا ما يكفي من الرياضيات والرسم لاجل حساباتهما ورسومها . ولم يستثنِ سبنسر العلوم الادبيَّة والفنون الجميلة من بيان الدروس الذي ذكرهُ ولكنهُ لم يجعل لها اهمية كبيرة بل قال " انها من الكماليات لا من الحاجيات فيجب ان تعطى فضلة الوقت في التعليم "

ولا اظن ان سبنسر كتب هذه الفقرة للحط من قيمة فنون الادب . نعم ان عبارتهِ تصدق على تآليف الروايات التي تُقرأ اليوم وتطرح غدًا في الموقد ولكنها تدلُّ على انهُ لم يكن يشعر بقيمة ما يفوق ذلك من كتب الادب . ولهذهِ الاسباب لا اسلم بحكمهِ . وليس للنفع مقياس يقاس بهِ وقبل ان نختار العلوم التي نعلّمها للولد يجب ان نبحث عن اميالهِ ووسائطهِ . وتعلم فائدة العلوم الطبيعيَّة التي لم يغالِ سبنسر مهما قال في مدحها حينما تصير الشعوب والمدن وارباب الاعمال والصنائع تُدرَّب بعلوم الثقات واحكامهم لا بعلومها هي واحكامها

لا يخفى ان احراز المعارف العلميَّة امر طفيف في جنب الاسلوب العلمي والروح العلميَّة. وهذا امر نسلم بهِ عموماً ولكننا لا نجري عليهِ فلا يزال معلمو العلوم يوقرون ذاكرة التلاميذ بالمعارف العلميَّة ولا يزال الممتحنون يحكمون بفوز التلميذ او بسقوطهِ بانين حكمهم على مقدار

ما يجدونهُ في ذاكرتهِ من المحفوظات العلميَّة . الاَّ ان الذين يريدون اصلاح اساليب التعليم يهتمون الآن بجعل العلوم التي يتعلها التلميذ من هذا الاستاذ او ذاك مطابقة ومكملة لما يتعلمهُ من استاذ آخر ويودون ان يروا التلامذة يزيدون بحثًا واستقصاء وتحقيقًا للمبادىء العلميَّة الاساسيَّة ومن ثم يصير عالم المستقبل حائزًا على معارف مفيدة يستطيع ان يضم اليها ما يعلمهُ بالاختبار مدى عمرهِ

ثم استطرد الخطيب الى تعليم التلامذة الذين يستعدون لتعلم الطب والذين يستعدون لتعلم الصنائع والى كثرة فروع العلم التي تعلَّم الآن في المدارس وكونها فوق طاقة التلامذة فلا يستطيعون ان يتعلموا ربعها ويخرجون من المدرسة قبلما يجنون شيئًا من فوائدها ويزيد الطين بلَّة بطول الدروس حتى يملها التلامذة ويتعذر عليهم الاستعداد لها كلها . وحثَّ على اتباع الطريقة العملية في التعليم اي تشغيل التلامذة في موضوع العلم الذي يتعلمونهُ فاذا كان استاذهم يعلمهم تاريخ بلدهم اوجب عليهم ان يساعدوهُ في البحث عن مقومات ذلك التاريخ اي ان يقرنوا العلم بالعمل او يبنوا العلم على العمل حتى تتولَّد فيهم الرغبة في تحصيل العلم واستعمالهِ . وعندنا ان هذا هو الفارق الاكبر بين متعلم ومتعلم . زرنا مرَّة مدرسة الصنائع المصرية مع ناظر المعارف حينئذٍ المرحوم علي باشا مبارك ورأينا فرقة تمتحن في العلوم الرياضية فسألنا احد الطلبة عن جرم عصا كانت في يدنا من السنتمترات المكعبة فوقف مدهوشًا لا يحير جوابًا كاننا سألناهُ عن سكان القمر واخذ استاذهُ يقرب اليهِ المراد حتى انتبه الى ان العصا مخروط ناقص فسرد عبارة المخروط الناقص صحيحة ولكنهُ لم يستطع تطبيقها على السؤَال . ولو نمت في ذلك التلميذ الرغبة الحقيقية في احراز العلم واستعمالهِ لوجد حلَّ سؤَالنا من اسهل الامور عليهِ

ومن رأي الخطيب ان الرغبة وحدها لا تكفي ولا بد من ان يقوم معها شعور داخلي بان الامر واجب . واذا اجتمعت الرغبة والشعور بالواجب استطاع التلميذ ان يواظب على العلم ويتضلَّع منهُ ويتقنهُ الاَّ ان هذا الاتقان قلما يحصل في المدرسة لان المدرسة دار الاستعداد لهُ وهي تقضي ما يطلب منها اذا بثت في عقول التلامذة اسلوبًا علميًّا عمليًّا ينمو ويرتقي مع الزمن

اذا تدبر اساتذة مدارسنا الامور المتقدمة رأوا في احوال تلامذتهم ما يؤيدها كلها فان التلميذ الذي يقرن العلم بالعمل عن رغبة شديدة يفلح فيهِ وينال منهُ الحظ الاكبر والاَّ فلا

الانشاء

لكاتب فرنساوي طائر الصيت

صاحب البحث الحاضر هو الكونت دي بوفون واسمهُ جورج لويس لكلير من اكبر ائمة الانشاء وقادة الافكار في القرن الثامن عشر · ولد في مدينة مونتبار من اعمال فرنسا سنة ١٧٠٧ ودخل سنة ١٧٥٣ عضواً في ندوة البيان واللغة بباريس وهي المعروفة باسم الاكاديمية الفرنساوية وتوفي سنة ١٧٨٨ · ولما دخل الندوة القى هذه الخطبة النفيسة في موضوع الانشاء وقد وجدتها متضمنة من الملاحظات الدقيقة وقوانين حسن الانشاء العامة ما يصدق على كل لغة لا اللغة الفرنساوية وحدها فاحببت نقلها الى قراء اللغة العربية بشيء من التصرف والاختصار يوافق قارئ الفرع ولا يجني على اغراض منشيء الاصل

قال الخطيب بعد مقدمة وجيزة اثنى فيها على زملائهِ اعضاء الندوة مجاملةً وتأدباً

لم يخلُ عصر من اناس تمكنوا بقوة الكلام ان يقودوا اناساً آخرين · على ان صناعة الكلام كتابةً وخطابةً لم تتقن وتستوف حقها الاَّ في اعصر التنور والرقي · فان البلاغة الحقيقية تقتضي ترويض القريحة (génie) وتثقيف العقل · فهي تختلف عن ذرابة اللسان التي يحوزها كل من كان شديد الاحساس سريع التصور تسعفهُ اعضاء النطق على حسن الالقاء فمن كان هذا شأنهُ كان انفعالهُ سريعاً حسب سرعة تصورهِ وكان من ثم ابرازهُ صورة هذا الانفعال الى الخارج سريعاً ايضاً فاذا اثر في سامعيهِ لم يكن تأثيرهُ الاَّ من قبيل تأثير الاعضاء على الاعضاء اي تأثير المادة على المادة · واما التأثير على من خرجوا عن سواد العامة واريد بهم الفئة الصغيرة من المستنيرين المتعلمين نظيركم يا سادتي فلا يتأتى من وراء ذرابة اللسان ورشاقة الحركات والاشارات وطنطنة الالفاظ ورخامة الصوت او جهرهِ بل يقتضي من طالبهِ ان يتسرب كلامهُ الى مكامن العقل الخفية فيكون ملء القلب والنفس قبل ان يكون ملء العين والاذن

ليس انشاء المرء سوى كيفية تنسيقهِ لافكارهِ وتحريكهِ اياها فاذا احسن وصلها وجمعها جاء انشاؤهُ متيناً واضحاً خلاباً · واذا اغفل ذلك لكي يوسع مجالاً لتنميق اللفظ جاء انشاؤهُ مضطرباً ركيكاً يبعث على السآمة ولو كان اللفظ غايةً في الرواء والفصاحة

ويجب على الكاتب قبل كل شيء ان ينتبه الى الافكار الاصلية الاساسية التي

تجول في خاطره بشأن الموضوع المتصدي له وان يطيل فيها نظره لكي يتمكن من جعل فاصل بين كل فكرين منها فيكون بمأمن من خلط بعضها ببعض. وان يلتفت بعد ذلك الى الافكار الفرعية التي لا بدَّ من نشوئها عن تلك الافكار الاصلية فيميز بين غثها وسمينها فيثبت هذا وينبذ ذاك . فاذا اوفى حق ذلك كله انفتح امامه كل مغلق وسهل عليه كل وعر والقى اليه حسن التعبير ازمته . وليعلم ان العقل قلما يستطيع تناول الموضوع من اقصاه الى اقصاه دفعة واحدة فلا يقسره على ذلك لئلا يرهق فيكل لا سيما اذا كان الموضوع واسعاً متشعباً بل عليه ان يسير بعقله متئداً مترفقاً . وليعلم ايضاً ان من القليل النادر امكان استيعاب علاقات الموضوع وملابساته بامرها فلا يبالغ في استقصائها حين يرى هذا الاستقصاء شديد التعسر او قليل الجدوى بل يكتفي بالاهم الافضل

على ان كل ما ذكرته ليس هو الانشاء بذاته بل محوره واساسه . فهو يقيم عموده ويمهد سبيله ويسدد سيره ويضبطه في نظام امين . فاذا لم يراعه الكاتب تاه في مهامه مترامية الاطراف مهما بلغ من اقتداره وكان بقلمه كحاطب الليل بمجله وتنافرت اجزاء كلامه ولو جاء بالف حسنة من زخرف الظاهر وروائع الامثال والشواهد والمقارنات . حتى اذا قرأ قارئ خبير ما كتب علم من زخارفه ومحسناته ان قريحته لا تخلو من قوة وفيض . وادرك من اغفاله شروط الاساس انه ليس بالمنشئ الفحل

وبناء على ما ذكر كانت كتابة الذين يكتبون حسبما يتكلمون كتابة رديئة ولو عرفوا بحسن التكلم وكان الذين يغترون بالشرارة الاولى من نار تصورهم فيسيرون على ضوئها في انشائهم غير متمهلين يصابون بالعجز سريعاً عن تتبع الطريق الى آخره . لان تسرُّع هؤلاء واولئك لم يمكنهم من تنسيق ما ينوون فكانوا كالجندي بغير سلاح او المسافر بغير زاد

ثم ان العقل لا يستطيع ابتداع شيء ابتداعاً محضاً . واما ما يبدر منه من المعجبات المطربات ونسميه على سبيل التسامح ابتداعاً وابتكاراً فما هو الا مكتسب في اجزائه من اختبارات صاحبه وتأملاته . فاذا حذا العقل حذو الطبيعة بان يرتقي في التأمل الى اسمى الحقائق فيجمعها ويضبطها ثم يبني عليها ما يريد ابرازه بلسان القلم جاء اساسه مكيناً وبناؤه خالداً

ومما يقع كثيراً ان ينبري المرء وهو ذو علم وذكاء لبحث ما فلا يكاد يلمُّ به حتى تتزاحم عليه الافكار المختلفة والآراء المتباينة فيقف بينها احير من ضب لا يدري من اين يأخذ ولا الى اين ينتهي. وربما مرّت به الساعة اثر الساعة وهو على هذه الحال حتى تزهق روحه

ويهم بهِ اليأس . ذلك لانهُ لم يجمع تلك الافكار في ذهنهِ ويوازن بينها ويرتبها ترتيباً بيناً بل اقتصر على الالتفات اليها لفتة معجب بكثرتها مرتاع لاشتباكها . فلم يتيسر لهُ التمييز بين الفاضل والمفضول منها والراجح والمرجوح بحيث ينفتح لهُ باب يدخل منهُ وطريق يسير فيهِ . واما اذا جمع في ذهنهِ الافكار الرئيسية المطلوبة لبحثهِ واحسن تنسيقها لم يلبث ان يراها اصبحت طوع يديهِ بعد ما كان اسيرها فيقبض على القلم في اوانهِ ويشعر انهُ ساعٍ لاجتناء ثمرٍ ناضج . ومن ثم تظهر لهُ الكتابة وسيلة لذة وارتياح وتنثال عليهِ الافكار سراعاً تباعاً على غير اختلاط ولا اضطراب وتكسبهُ اللذة التي يجدها في سهولة العمل حماسة ونشاطاً فتأتي معانيهِ بفضل هذين كالجمر اضطراماً . وتأتي الفاظهُ بفضل تلك كالماء انسجاماً

ولكن الحذر الحذر من تحميل الكلام ما لا يطيقهُ من ضروب التحذلق كأن يعمد الكاتب الى تزيين كل جملة من جملهِ بحلية بارزة فان ذلك غير متيسر الاَّ عن طريق التكلف الفاضح واقل ما ينشأ عنهُ عيب المماظلة اي تراكب المعاني وتداخلها في اليسير من الالفاظ فيتعب ذهن السامع والقارىء تعباً يشهد على ان الكلام خرج عن حدود البلاغة الى نقيضها . والحذر كل الحذر من شدة التعويل على المحسنات اللفظية وشدة الثقة بنفعها فان جمالها مستعار ليس لهُ قوام بذاتهِ لانهُ حاصل من تجانس تلك الكلمات او تضادها او ما اشبه ذلك فهو الى الوهم اقرب منهُ الى الحقيقة وما مثلهُ في الدهشة القصيرة التي يثيرها عند ظهورهِ الاَّ كمثل الشرر لا يكاد يسطع حتى يتبدد وتخيم مكانهُ وحشة الظلام

ومما ينافي البلاغة الحقيقية ايضاً الالتجاء الى المعاني التافهة التي لا طائل تحتها وقد يغتر البعض بها فيحسبون ضعفها رشاقة وسخفها دقة . وانما هي في خفتها التي يستعذبها هذا البعض مثل رقائق المعدن لم يكسبها الطرق ذلك البريق اليسير الاَّ بعد ما انتزع منها المتانة والشدة . وعلى مقدار ما يدس الكاتب من هذه المعاني تفقد كتابتهُ نصيباً من الفخامة والاشراق والاحتدام . وانما يجوز استخدامها اذا كانت هي موضوع ما يكتب او اذا كان المقام مقام هزل ومداعبة فان التطرف بها حينئذٍ قد يكون ادل على الاقتدار من الالتجاء الى سواها

ومما يجني على الانشاء جناية لا تغتفر التعبير عن الاشياء المعتادة والاشياء العامة باساليب وعرة او فخمة . فالكاتب الذي هذا شأنهُ لا يعجب بهِ الناس كما يتوقع بل يرثون لهُ لانهُ اضاع وقتاً طويلاً وكابد عناء جزيلاً في رص الكلام ولم يأتِ بشيء جديد بل قال ما يقولهُ كل واحد سواهُ . وهذا العيب فاشٍ في اصحاب العقول العقيمة النائلين حظاً من

الدرس والمطالعة · فهم اغنياء الفاظ فقراء معانٍ يدورون حول الكلام ويزوقون جمله حاسبين انهم جاؤوا بالافكار وانهم طهروا اللغة وشرفوها والصحيح انهم افسدوها وانشاؤهم لا يعد انشاء لان الانشاء ينقش على الذهن فكرًا وهم يرسمون على الورق لفظًا

واذا اضاف الكاتب الى مراعاة ما تقدَّم ذكرهُ من القوانين والملاحظات مراعاة حسن الاختيار في المفردات واستعمال المألوف المشهور من التراكيب على شرط ان يكون فصيحًا واجتناب مواضع الالتباس وبوادر المجون حاز في صناعتهِ مقامًا رفيعًا

وجل ما يقال في حسن الانشاء انهُ يدل على صحة الفكر ودقة الشعور وسلامة الذوق معًا وانهُ يثير جميع القوى العقلية ويروضها · والانتصار للحق في الانشاء هواسُ جمالهِ فليس سوى الحق يثبت على محك النقد وليس سوى الحق يخلد ذكرهُ · وكما انسع حظ الكتابة من ذكر حقائق الاشياء انسع حظها من الجمال واما التلفيق والتزويق المحضان اللذان لا يقصد منهما خدمة حقيقة تستشعر من خلالها فرتبتهما في الاقوال ساقطة مثل رتبتهما في الاعمال

ولا يحصل سمو الانشاء الاَّ في المواضيع السامية واكبر ميادينهِ الشعر والفلسفة والتاريخ فالشعر يصف الطبيعة ويزينها ويصف البشر ويجسمهم وينتزع منهما ابطالاً واشباه آلهة . والفلسفة تتناول الطبيعة فترسمها وتستطلع نواميسها وغوامضها · والتاريخ يصف البشر وحدهم وهو لا يحتمل تجسيمًا ولا مبالغة بل يذكر كل شيء كما هو ولذلك لا ينتظر من المؤرخ ان يبدع في انشائهِ ويوصلهُ الى مرتبة السمو الاَّ عند ذكر افراد العظماء من الناس وحوادث الكون النادرة فاذا خرج عن هذا الشرط كان متكلفًا غير محمود · فشأنهُ في ذلك غير شأن الشاعر والخطيب اللذين يطالبان بافراغ كل ما ينشئان في قالب الرونق والفخامة وتزيينهِ باحسن طرق الترغيب والترهيب او الاستعطاف او التحريض لان مواضيع صناعتهما لا تكاد تخرج عمَّا ذكر فيجب فيها ايجاد نسبة بين المطلوب وصيغة الطلب

ادوار مرقص

معجم الحيوان

(تابع ما قبلهُ)

السباع

﴿ الزَّبَاح . الزَّبَاد (حبشيَّة معرَّبة [1]) . قطُّ الزباد . سنَّور الزباد ﴾

Civetta. E. Civet cat. F. Civette

جنسٌ من السباع اكبر من السنَّور قليلاً وشبيهٌ بهِ وهو قصير القوائم اغبر اللون جلدهُ منقَّط ومخطَّط بلون اسود . وهو الحيوان الذي يستخرج منهُ الطيب المسمَّى بالزباد . منهُ انواعٌ كثيرة في افريقية وجزائر المحيط الهندي وتطلق لفظة الزباد على الحيوان وعلى الطيب الذي يجلب منهُ . قال صاحب القاموس " وغلط الفقهاء واللغويُّون في قولهم الزباد دابة يجلب منها الطيب وانما الدابة السنَّور والزباد الطيب " وقد اخطأ في قوله فلفظة الزباد هذه حبشيَّة الاصل وهي تطلق على الحيوان بعينهِ في الحبشة والسودان وقد وردت كثيرًا بهذا المعنى في كتب اللغة والمؤلفات العربيَّة

﴿ الزُّرَيقاء . الجَرْنَيط (مغربيَّة) ﴾ Genetta. E. Genet. F. Genette

جنسٌ من السباع شبيهٌ بالزَبَاح الاَّ ان قوائمهُ اقصر وجسمهُ اطول وهو اغبر اللون منقَّط بنقط سودٍ ويوجد في اواسط افريقية وشمالها وفي بلاد العرب والشام وجنوب اوربا . ولم اقف على اسم لهُ سوى الجرنيط وهي لفظة مغربية زعم دوزي ان اللفظة الافرنجية مشتقة منها . ولفظة الزريقاء وضعتها من باب التخمين فقد قال صاحب محيط المحيط ان الزريقاء دابَّة كالسنَّور . وليس في بلاد العرب وما يجاورها دابة تشبه السنور اكثر من هذه ومن المحتمل ان هذا الحيوان هو الزِبْزِب الذي ذكرهُ الدميري وقد وصفهُ وصفاً يشابه وصف الجرنيط وقال عنهُ انهُ قصير اليدين والرجلين ومبقَّع بسواد الاَّ انهُ نقل عن ابن الاثير ان الزبزب كان يأ كل الاطفال في بغداد والجرنيط لا يقوى على ذلك . وقال الشيخ داود

---

(1) Voyage en Abyssinie, par Lefebvre, Petit, et Quartin-Dillon (1839-1845), tome VI p. 19. Voyage to Æthiopia, by Poncet, English translation (London 1709), p. 82

في تذكرتهِ [1] ان الزبزب هو التفا ولكن وصف الزبزب في الدميري لا يوافق وصف التفا مطلقاً . واهل السودان يسمون هذا الحيوان كديساً فاعتمد الكابتن فلوَر على هذه التسمية في حديقة الجيزة . وقد مرَّ بنا ان اهل السودان يطلقون هذه اللفظة على القط ايضاً . اما القانون ترستِرام فسماهُ النسناس . والنسناس غير ذلك وسماهُ استاذنا الدكتور بوست [2] السمُّور ولا خلاف في ان السمُّور حيوانٌ آخر سيأتي ذكرهُ . ومن المحتمل ان يكون هذا الحيوان هو التميلة وقد قالوا عنها انها دابة في الحجاز على قدر الهرَّة

﴿ النمس (لعلهُ سمّي بذلك لانهُ انمس اي اكدر) ﴾

Herpestes. E. & F. Ichneumon, Mungoose, Mangouste.

جنسٌ من السباع يوجد منهُ انواع كثيرة اشهرها الموجود في مصر والشام وهو في حجم القط الاهلي اكدر اللون احمر العينين قصير القوائم طويل الذنب . يأكل الحيات و بيض التمساح واهل الشام يطلقون هذه اللفظة على الدلق خطأً فوصفهُ في الكتب العربية واضح لا يقبل التأويل وهو يعرف في مصر بهذا الاسم ايضاً وقد ذكرهُ ارسطوطاليس [3] وقال عنهُ كما قالت العرب اي انهُ يتمرَّغ في الطين ويأكل الحيات وذكرهُ بلينيوس [4] وقال عنهُ انهُ يقتل الحيات ويدخل جوف التمساح اي كما قالت العرب وسماهُ كلاهما Ichneumon وقد سماهُ الادريسي كلب الماء والأشك وفي نسخة اخرى الأشط [5] ولم اقف على حقيقة هذين الاسمين

﴿ الضبُع [6] (مؤنثة وتطلق على الذكر والانثى والذكر ضِبعان والانثى ضِبعانة) ﴾

Hyæna. E. Hyæna. F. Hyène.

جنسٌ من السباع اكبر من الكلب واقوى منهُ وهي قوية الفكين جدًّا ولها اربعة مخالب في كلٍّ من قوائمها . والمشهور منها نوعان . الضبع المخطَّطة وهي المعروفة عند العرب وتوجد في آسيا وافريقية . والضبع الرقطاء وتوجد في افريقية فقط وهي اكبر من المخطَّطة واقوى منها وليس لها عرفٌ مثلها . وتعرف الضبع الرقطاء في السودان بالمرفعيب والمرفعين وهي التي سماها بلينيوس Crocuta (٨ : ٤٥) وزعم انها متولدة بين الضبع والاسد

وقد ذكر صديقي نعوم بك شقير في كتابهِ تاريخ سينا (والكتاب تحت الطبع) ان

---

(١) تذكرة داود الانطاكي الجزء الاول فصل الزبزب (٢) كتاب نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات الجزء الاول صفحة ٥٢ (٣) كتاب النعوت لارسطو (٩ : ٧ : ٣) (٤) كتاب التاريخ الطبيعي لبلينيوس الروماني (٨ : ٣٥ و ٣٧) (٥) نزهة المشتاق للادريسي طبع ليدن صفحة ١٨

(٦) للضبع اسماء كثيرة تجدها في الجزء الثامن من المخصص لابن سيده وكذلك الذئب والكلب وابن اوى والثعلب وغيرها فاكتفيت بالاشارة الى ذلك

الضبع الرقطاء موجودة في سينا وهذا الامر ليس بعيداً ولو لم يذكر علماء الحيوان وجودها خارج افريقية لان حيوانات سينا ونباتاتها تشبه حيوانات افريقية ونباتاتها · وقد بحثت كثيراً في اسماء الضبع باللغة العربية ووصف الضبع في كتبهم فلم اقف على شيء يفهم منهُ ان عندهم نوعين من الضباع فلو كان عندهم نوعان منها لما فاتهم ذلك ولا ريب في ان المقصود بلفظة الضبع عند العرب الضبع المخطَّطة لانهم وصفوها بالعرفاء اي الطويلة شعر العنق وهذه الصفة لا تنطبق على الرقطاء لانها لا عرف لها

السِمْع (مِمِّير بالحبشية) Lycaon pictus. E. Cynhyæna or Cape hunting dog. F. Cynhyène ou Loup peint

نوعٌ من السباع بين الذئب والضبع · عدد اسنانهِ كعدد اسنان الذئب واما مخالبهُ فاربعة في كلٍّ من قوائمهِ كالضبع وهو مبقَّع ببقع سود وبيض وصفر ويوجد في اعالي النوبة الى الكاب جنوبًا

العِسبَار Proteles cristatus. Dutch, Aard-wolf. F. Protèle

نوعٌ من السباع الافريقية شبيهٌ بالضبع والذئب وهو قريبٌ من الضبع المخطَّطة في شكلهِ ولونهِ الاَّ انهُ اصغر منها وليس لهُ قوَّة فكيها والبوير يسمونهُ بما تعريبهُ ذئب الارض ويوجد في شرق افريقية وجنوبها

وقد يتوهم القارىء من وصف العرب لهذين الحيوانين انهما من الحيوانات الخرافية والحقيقة ان كل واحدٍ منهما حيوانٌ قائم بنفسهِ فقد كان القدماء يزعمون ان بعض الحيوانات مركب من حيوان واخر ولذلك زعموا ان الزرافة مركبة من الجمل والنمر وسموها Camelopardalis وزاد الفرس عليهما البقرة وسموها اشتركاو پلنك وزعم العرب ان السمع مركبٌ من الذئب والضبع وكذلك العسبار [1] وقد بين الجاحظ فساد هذا الزعم لان الحيوانات المذكورة تلد من جنسها [2] · فالسمع سماهُ بلينيوس Lycaon وهي مشتقة من لفظة يونانية معناها الذئب · ومن اسمائهِ عند الافرنج Cynhyæna ومعناها كلب ضبع · وقد ذكر مؤلفو العرب وجود السمع والعسبار في اواسط افريقية فقد جاء في عجائب المخلوقات للقزويني ما نصهُ " وحكى طيهان الحكيم [3] ان بجانب الجنوب بقرب خط الاستواء يجتمع

(١) انظر فصل الحيوانات المركبة في عجائب المخلوقات للقزويني (٢) لا اظن ان احداً سبق الجاحظ الى قولهِ هذا وهو الصحيح ويظهر ان ارسطو وبلينيوس كانا يعتقدان بتولد الحيوان من جنسين

(٣) لا اعلم من هو طيهان الحكيم هذا وانما الكلام الذي نسبهُ اليهِ القزويني منقولٌ بالحرف الواحد تقريبًا عن ارسطو وبلينيوس (٨ : ٢٧ : ٢) من الاول و (٨ : ١٧) من الثاني

بالصيف حيوانات مختلفة الانواع على مصانع الماء من شدة العطش . . . . فيتولد منها مثل الزرافة والسمع والعسبار " . ولا يوجد في افريقية حيوانات تشبه الذئب والضبع سوي نوعين فقط وهما عند علماء الحيوان Lycaon و Proteles وقد زعمت العرب انهُ اذا كان الذكر ذئباً كان المولود عسباراً واذا كان ضبعاناً كان المولود سمعاً [1] ولا يخفى انهُ في الحيوانات المركبة يكون النتاج اقرب الى الام مما هو الى الاب فالحيوان المسمى Lycaon اقرب الى الذئب او الكلب مما هو الى الضبع وعكسهُ المسمى Proteles فبحسب زعمهم يكون الحيوان المسمى Lycaon ابن الذئبة من الضبعان اي السمع والحيوان المسمى Proteles ابن الضبعانة من الذئب اي العسبار . ثم ان وصفهم للسمع يصدق على الاوّل اكثر مما يصدق على الثاني فقد بالغوا في طول وثبتهِ وشدة سمعهِ وتيقظهِ فان هذا الحيوان مشهور بسرعتهِ ومقدرتهِ على صيد الظباء . وقد كان داجناً عند قدماء المصريين وسماهُ احمد بك كمال كلب السمخ وقال لعلهُ السمع [2] وسماهُ اهرنبرغ وهمبرخ Simoue ولا اعلم هل سمعا هذه اللفظة في السودان

❁ الكلب ❁ Canis. E. Dog. F. Chien الكلب في التعميم جنسٌ من السباع منها الكلب الاهلي والذئب وابن اوى والثعلب الخ . وفي التخصيص هو هذا الحيوان الاهلي المعروف وهو اصنافٌ كثيرة فالذي وقفت عليهِ من الاصناف المعروفة عند العرب ما يأتي

(الدِرْواس والدِرباس) وقالوا انهُ الكبير الرأس ويشبه ما يسميهِ الانكليز بُلدوغ
E. Bull-dog F. Bouledogue.

(الزّغاريّ) E. Mastiff F. Mâtin وهو كبير الجثة وشديد البأس

(القَلَطي [3] والزِينيّ [4]) E. Turnspit. F. Basset هو كلب صغير الجرم قصير القوائم وطويل الجسم وهذا الصنف من الكلاب نادر الوجود الآن

(الضاري والضرو والعُرْبُج والتَّمَثُّم) E. Hound. F. Chien courant اي كلب الصيد واللفظة الاولى مستعملة في بلاد العرب في وقتنا هذا وهم يصيدون بهِ البدن في سينا [5]

(القُطْرُب [6]) E. Pug. F. Carlin وهو الصغير المجتمع من الكلاب

---

(١) عجائب المخلوقات للقزويني (٢) بغية الطالبين لاحمد بك كمال وقد سألت المؤلف عن لفظة السمخ فقال لي انهُ اخذها عن القصيدة التي ذكرها على هامش الكتاب وهذه القصيدة نقلها عن نسخة خطية في الكتبخانة الخديوية (٣) معرب كلته بالفارسية اي القصير (الالفاظ الفارسية المعربة) (٤) وفي بعض الكتب يسمى الصيني وابن سيده ينكر ذلك (٥) من كتاب في تاريخ سينا تحت الطبع لنعوم بك شقير (٦) ترد بغير هذا المعنى ايضاً وهي يونانية الاصل (انظر فرائد اللغة للاب لامنس اليسوعي ٢٨٥)

(المِبلَع والمِجرَع والسَلُوقي[1]) E. Greyhound. F. Levrier وهو طويل القوائم ويوصف بسرعته

(كلب الرُعاة) E. Sheep-dog, Collie

(والعَكَل[2]) E. Pariah dog. الكلب الذي لا يتعلم وهو ادنى اصناف الكلاب ويسمى الجعاري في الشام والبلدي في مصر . وهو العكلي في النسخة التي عندي من تذكرة داود الانطاكي . والعُكل في اللغة اللئيم

﴿ الذئب ﴾ Canis lupus. E.Wolf. F. Loup نوعٌ من الكلاب البرية وهو في حجم الكلب الاهلي المعتاد . لونهُ الغالب الغبشة وهو جريء جدًا عند الجوع . والذئاب اصنافٌ كثيرة

﴿ الذئب المصري ﴾ Canis lupaster نوعٌ من الكلاب البرية وهو اصغر من الذئب واكبر من ابن آوى فبعضهم سماهُ ذئبًا والبعض ابن آوى

﴿ الشيب ﴾ ويسمى السِيب في العراق يزعمون انهُ متولدٌ بين الضبع والذئب[3] او بين النمر والذئب[4] وهو معروفٌ في الشام ويحسبونهُ من الحيوانات المفترسة ولهم فيهِ حكايات كثيرة ولم اقف على حقيقة امر هذا الحيوان وقد بحث عن ذلك الدكتور رسل في اواخر القرن الثامن عشر عندما كان مقيمًا في حلب ومن رأيهِ ان اهل الشام يطلقون هذه اللفظة على الذئب الكَلِب وقد رأى صديقهُ الدكتور فرير قطعة من جثة هذا الحيوان وارسل اليهِ وصفها ويظهر من هذا الوصف انهُ نوعٌ من الذئاب . وقد رأيت في صغري ذئبًا كلبًا دخل مدينة زحلة في لبنان فقتلهُ اهاليها ولم يقولوا انهُ الشيب بل سموهُ ذئبًا . وحبذا لو ارسل اليَّ احد قراء المقتطف في العراق او الشام وصفًا مدققًا لهذا الحيوان ان كان موجودًا هناك

﴿ ابن آوى ﴾ C. aureus. E. Jackal. F. Chacal (والجمع بنات آوى) نوعٌ من الكلاب البرية وهو اصغر من الذئب المصري وشبيه بهِ ويسمى في بعض انحاء الشام بالواوي والجقل واللفظة الاخيرة فارسية . اما في مصر فلا يفرقون بينهُ وبين الذئب المعروف عندهم

﴿ الثعلب ﴾ C. Vulpes. E. Fox. F. Renard نوعٌ من الكلاب البرية اصغر من ابن اوى وهو دقيق الخطم وكثيث شعر الذنب

---

(١) نسبة الى سلوق باليمن او سلوقية بالروم او العراق (٢) من كتاب تاريخ سينا المذكور آنفًا (٣) محيط المحيط (٤) رحلة بركهارت في الشام ٥٢٤

﴿ البَعْشُوم ﴾ Canis mesomelas نوعٌ من بنات اوى وهو اصغر من الذئب المصري وشبيه بهِ الّا ان ظهره اسود وهو كثير في السودان وقد حسبهُ بعضهم نوعاً من بنات اوى والبعض الآخر نوعاً من الثعالب وقد كتبت هذه اللفظة كما سمعتها من اهل السودان وتجدها مكتوبة باشون في حديقة الجيزة وبشوم وبعشوم في "دليل الحيران" (١) ويصعب كثيراً معرفة الفرق بين الهمزة والالف والعين من نطق اهل السودان وقد سألت واحداً منهم ان يكتب لي هذه اللفظة فكتبها " بعشوم " بالعين

﴿ الفَنَك . الفَنَج (فارسية معربة(٢)) ﴾ C. Zerda. C. Corsac &c. E. & F. Fennec & Corsac.

جنسٌ من الثعالب وهو اصغر من الثعلب الاعتيادي المعروف كبير الاذنين جداً وفروتهُ من احسن الفراء . وقد اطلق العرب هذه اللفظة على عدة انواع منهُ . احدها يوجد في اواسط آسيا ويعرف بلفظة قورساق بالتركية ويسميهِ علماء الحيوان Canis corsac وهو الذي ذكرهُ ابن البيطار وقال انهُ يوجد في بلاد الصقالبة . والانواع الاخرى توجد في افريقية وتعرف عند الافرنج وعرب افريقية بالفنك . اشهرها نوعٌ يسمى Canis zerda وهو ابيض اللون مصفرهُ لطيف المنظر جداً

ولا سبيل الى معرفة هذا الحيوان من وصفهِ في الكتب العربية فقد ذكرهُ ابن البيطار ولم يصفهُ والدميري نقل عن ابن البيطار . واقرب وصفٍ لهُ وجدتهُ في محيط المحيط حيث قال " الفنك حيوان فروتهُ احسن الفراء واعدلها . قيل هو نوعٌ من جراء الثعلب التركي . وقيل يطلق على جرو ابن اوى في بلاد الترك " . واول من استعمل هذه اللفظة من الافرنج الكابتن بروس في رحلتهِ لاكتشاف منابع النيل فذكر هذا الحيوان بلفظهِ العربي كما سمعهُ في افريقية ثم جيء بحيوانين منهُ الى باريس سنة ١٨٥٦ فلم يبقَ ريب حينئذٍ في صحة تسمية هذا الحيوان

وللمستشرق الفرنسوي كليمان موله (٣) مقالة وافية عن الفنك في مجلة المشرق الفرنسوية اخذت عنها ما ذكرتهُ آنفاً لكنهُ التبس عليهِ التطبيق بين وجود الفنك في افريقية وقول ابن البيطار ان الفنك يؤتى بهِ من بلاد الصقالبة ففسرهُ بقولهِ ان العرب استعملوا هذه اللفظة لهذا الحيوان الافريقي ثم توسعوا فيها واطلقوها على انواع كثيرة من الفراء كالدلق

---

(١) دليل الحيوان الى لغة عرب السودان للبكباشي امري (٢) الالفاظ الفارسية المعربة للسيد ادى شير

(٣) Histoire du Fenek, par J. J. Clément Mullet, Revue de l'Orient 1857

وغيره والحقيقة على ما اظن ان الفنك عند مؤلفي العرب كابن البيطار وغيره هو هذا الحيوان المسمى قورساق بالتركية ويعرف عند الفرس بالفنك ثم استعملها عرب افريقية لهذا الحيوان الافريقي للمشابهة بين الاثنين فانهما نوعان من الثعالب . ولا اظن ان كتاب العرب اطلقوا لفظة الفنك على انواع كثيرة من الفراء بل على نوع خاصٍ منهُ بدليل ذكرهم لهذه الفراء كل نوع منها على حدة فقد جاء في المقدسي (طبع ليدن صفحة ٣٢٥) " ومن خوارزم السمور والسنجاب والقاقوم وفنك ودله والثعالب" . ويفهم هذا المعنى ايضاً من ابن البيطار فانهُ يظهر من كلامهِ ان الفنك حيوانٌ قائم بنفسهِ وذكر معهُ القاقوم والحوصل (انظر لفظة فنك في دوزي)

﴿ الشَرِه [١] ﴾ Gulo E. Glutton. F. Glouton

﴿ الظَرِبان الاميركي ﴾ Mephites. E. Skunk. F. Moufettes

﴿ الراتل [٢] . آكل العسل ﴾ Mellivora E. & F. Ratel

﴿ الراكون [٣] ﴾ Procyon. E. Racoon F. Raton

﴿ القُوطي [٤] ﴾ Nasua. E. & F. Coati.

﴿ الدُبّ ﴾ Ursus. E. Bear. F. Ours

﴿ اليَغر . الغُرغُور . الغُرَيز ﴾ Meles taxus. E. Badger F. Blaireau

نوعٌ من السباع بين الكلب والسنّور في الحجم وهو قصير القوائم اغبر اللون لكنّ قوائمهُ سود ولهُ خطان اسودان على جانبي وجههِ وباقي الوجه ابيض . وقد جاء في الدميري ان " اليغر دابة تكون بخراسان تسمن على الكد وقيل هي بالغين المعجمة . قالوا في امثالهم اسمن من يغر" . وهذا المثل مشهور في الشام لكنهم يقولون " اسمن من غُرَيْز " . ولفظة اليغر هذه فارسية الاصل على ما اظن فان هذا الحيوان يسمى شغر بالفارسية فيحتمل ان تكون لفظة يغر محرفة من شغر بخطإِ النساخ . ولا يوجد اليغر في بلاد العرب فلا ينتظر وجود اسم لهُ في العربيةً . اما لفظة الغرغور فقد جاء عنها في محيط المحيط انها دويبة غاية في السمن وهي تشبه كثيراً لفظة الغرير المستعملة في الشام واهل الشام يصفونهُ بالسمن ايضاً . اما قول بعضهم ان هذا الحيوان يسمى عناق الارض فبعيد عن الصحة (انظر عناق في عدد نوفبر)

ويظهر ان هذا الحيوان المسمى Badger كان سبباً لخلاف كثير فالذين ترجموا

(١) و (٢) و (٣) و (٤) تعريب المرحوم احمد فارس

التوراة الى الانكليزيَّة ترجموا لفظة تحش العبرانية Badger (خروج ٢٥ : ٥) نقلاً عن التوراة الكلدانية ثم عادوا وترجموها Sealskin في الطبعة المنقحة وهي اقرب الى الصواب وبسبب هذا الخطإِ في الترجمة الانكليزيَّة اخطأ الشارحون للتوراة العربية ففسروا لفظة تحش في بعض نسخ التوراة العربية بلفظة عناق الارض ظنّاً منهم ان عناق الارض هو المسمى Badger بالانكليزية . والرأي المعوَّل عليهِ عند علماء التوراة الآن ان لفظة تحش العبرانية هي التخس او الدُخس بالعربيَّة وهو الدلفين . وقد ظن بعضهم ان لفظة التخس العربيَّة تطلق على الدلفين والدوغونج والفقمة والحقيقة ان التخس هو الدلفين لا غير كما سيأتي في بابهِ والدوغونج هو الاطوم والملصة والزالخة . اما الفقمة فلها اسماء اخرى ايضاً . ومن المحتمل ان العبرانيين اطلقوا هذه اللفظة على عدة انواع من الحيوانات البحرية اللبونة وانما العرب استعملوها للدلفين فقط وهم يستعملونها بهذا المعنى في وقتنا الحاضر كما سيجيء . وهناك رأي آخر في لفظة تحش العبرانية وهو انها من تحس بالمصرية القديمة بمعنى الجلود الحمر[١]

✥ كلب الماء . ثعلب الماء ✥ Lutra. E. Otter F. Loutre جنسٌ من السباع المائية وهو طويل الذنب قصير القوائم والاذنين لونهُ احمر قاتم . اما تسميتهُ بكلب الماء فمن القانون ترسترام و يظهر انهُ الاسم الذي يعرف بهِ هذا الحيوان في الشام . وقد سماهُ احمد فارس ثعلب الماء لان كلب الماء في اكثر الكتب العربية يطلق على البيدستر وسيأتي ذكرهُ

✥ الدَلَق (معرَّب دَله بالفارسية) ✥ Mustela foina E. Marten. F. Fouine حيوانٌ شبيهٌ بابن عرس الاَّ انهُ اكبر منهُ و يقرب من السنَّور في الحجم وهو اصفر اللون وبطنهُ وعنقهُ مائلان الى البياض . وطنهُ جنوب اوربا وآسيا من الاناضول والشام غرباً الى جبال حملايا شرقاً

وقد جاء في الالفاظ الفارسية المعربة ان الدلق هو القاقم واما وصفهُ في الكتب العربيَّة فشوشٌ جداً ولم اقدر ان اهتدي منها الى حقيقة امر هذا الحيوان ولذلك اعتمدت على معجم كزيبرسكي ودوزي ومفردات ابن البيطار باللغة الفرنسوية . وقد يكون الدلق هو القاقم كما يقول السيد ادّي شير ولعلهُ اخذ ذلك عن «البرهان القاطع» والاثنان ثقة يعول عليهما وانما ارى ان كتَّاب العرب يذكرون الدلق والقاقم معاً كانهما حيوانان مختلفان فالدميري

(١) Encyclopedia Biblica

ذكر الاثنين ولم يقل ان الدلق هو القاقم وقد جاء في المقدسي (صفحة ٣٢٥ طبع ليدن) "ومن خوارزم السمور والسنجاب والقاقوم وفنك ودلهٔ (اي الدلق) والثعالب"

✤ الظَّرِبان ✤ Putorius. E.Polecat. F. Putois حيوانٌ من عائلة ابن عرس في حجم القط الاهلي اغبر اللون مائلٌ الى السواد حاد البصر جدًّا رائحتهُ كريهة منتنة ويسمى في مصر ابا المنتن

وقد ظن بعضهم ان الظربان هو المسمى Skunk بالانكليزية وهذا الحيوان لا يوجد الا في اميركا والظربان معروف عند العرب قبل اكتشاف اميركا بمئات من السنين وهذه اللفظة مستعملة في بلاد العرب في وقتنا الحاضر وقد ذكرها دوطي[1] وظن انهُ من الحيوانات الخرافية وقد سألت اعرابيًّا من الحجاز عن هذا الحيوان فقال لي انهُ معروف عندهم ويسمونهُ الظُرُمْبان وقد سماهُ المرحوم احمد فارس القرقضون القذر واظن ان بقطر اخذ عنهُ وسماهُ القرقضون القذر ايضًا . وسماهُ استاذنا الدكتور بوست القط القذر . وقد وصفهُ لسان العرب وصفًا حسنًا قال انهُ دويبة شبه الكلب اصلم الاذنين طويل الخرطوم اسود السراة ابيض البطن منتن الرائحة

✤ ابن عِرس ✤ Mustela vulgaris & c. E. Weasel. F. Belette نوعٌ من السباع في حجم الفار وهو اصلم الاذنين مستطيل الجسم ويوجد منهُ انواع كثيرة فالموجود منهُ في مصر والشام يعرف عند عامة المصريين بالعرسة وهو اصفر الظهر ابيض البطن

✤ السَّمُّور (وهي سمور بالتركية والهندستانية[2]) ✤ M.Zibellina. E. Sable. F. Zibelline حيوانٌ فروتهُ من احسن الفراء وهو شبيه بابن عرس واكبر منهُ احمر اللون مائل الى السواد . رأسهُ مخروطيُّ الشكل واذناهُ طويلتان بالنسبة الى افراد هذه العائلة

✤ القاقم . القاقوم (معرَّب قاقم بالتركية) ✤ M. Ermina. E. Stoat or Ermine F. Hermine حيوانٌ توخذ منهُ الفراء وهو شبيه بابن عرس واكبر منهُ . لونهُ احمر قاتم في الصيف وابيض يقق في الشتاء

✤ ابن مِقرَض ✤ M. furo. E. Ferret F. Furet حيوانٌ شبيه بابن عرس

---

(١) Arabia Deserta II, 145

(٢) The Century Dictionary

وآلف منهُ واكبر لونهُ ابيض مائل الى الصفرة ويدجن لصيد الجرذان والارانب · وقد جاء في كتاب الحيوان للجاحظ ان " ابن مقرض دويبة آلف من ابن عرس ويصيد العصافير صيدًا كثيرًا وذلك انهُ يؤْخذ فيربط بخيط شديد الفتل ويقابل بهِ بيت العصفور فيدخل عليهِ فيأخذهُ · · · فلا يزال كذلك ولو طاف على الف جحر فاذا حلَّ خيطهُ ذهب ولم يقم " وهذا يشبه كثيرًا وصف الحيوان الذي يسميهِ الانكليز Ferret فانهم يربطونهُ بخيطٍ ويطلقونهُ على بيوت الارانب ليصيدها فاذا حلَّ خيطهُ بقي داخل البيت ولم يعد · وهو الذي سماهُ المرحوم احمد فارس خطاف الفنك ظنًا منهُ ان الفنك هو الارنب الاهلي وقد تبعهُ في ذلك استاذنا الدكتور بوست في كتابهِ نظام الحلقات

﴿ القَطْ[1] ﴾ Trichecus rosmarus. E. Walrus F. Morse نوعٌ من السباع المائية وهو شبيهٌ بالفقمة الا انهُ اكبر منها حجمًا وهو قبيح المنظر وللذكر منهُ نابان طويلان في فكهِ الاعلى

وقد سماهُ بعضهم فرس البحر واري ان هذه التسمية توقع في الالتباس لان فرس البحر حيوانٌ آخر مشهور بهذا الاسم عند العرب ويوجد غير ذلك حيوانٌ آخر صدفي يعرف عند الانكليز بما ترجمتهُ فرس البحر ولذلك اري ان احسن تسمية هي هذه التي وضعها المرحوم احمد فارس

﴿ الفقمة[2] (واظنها تعريب Phoke. باليونانية) · ابو مزينة[3] · عجل البحر[4] · شيخ البحر[5] · ﴾ Phoca. E. Seal. F. Phoque جنس من السباع المائية وهي شبيهة بالسمك ظاهرًا لكنها من الحيوانات اللبونة ومن ذوات الرئتين · وتعرف في سواحل الشام بالفقمة وفي سواحل المغرب يسمونها بل مرين وهي تعريب بوي مرين بالاسبانيولية اي بقر البحر[6]

(ستأتي البقية)

الدكتور امين المعلوف

(١) وضع المرحوم احمد فارس (٢) محيط المحيط (٣) الدميري والقزويني (٤) احمد فارس (٥) ابن البيطار (٦) ابن البيطار باللغة الفرنسوية

اسباب الاحتلال البريطاني

(٩)

ذكرنا في الفصل السابق ان الخديوي اضطرَّ اضطرارًا ان يردَّ عرابي الى نظارة الحربيَّة خوفًا منهُ وان الحكومة الانكليزيَّة رأَت حينئذٍ انها لا تستطيع التغلُّب على عرابي الاَّ بالقوة

وذكر لورد كرومر نقلاً عن المحررات الرسميَّة ان اهالي القطر عدوا رجوع عرابي الى نظارة الحربيَّة فوزًا لهم ودليلاً على قرب طرد الاجانب كلهم من البلاد واسترجاعهم لاطيانهم التي اشتراها منهم الاوربيون او ارتهنوها والغاء ديون الحكومة. وهاجر كثيرون من المسيحيين وطلب الانكليز نزلاء الاسكندريَّة من حكومتهم ان تبادر الى حمايتهم وارسل السر تشارلس كوكسن يقول ان كل يوم تتأَخر فيهِ انكلترا يزيد عنفوان الجنود وعبثهم بالنظام. وجعل الضباط يكرهون الاهالي على ختم عريضة يطلبون بها خلع الخديوي وطلب رئيس المجلس من النواب ان يعودوا الى بيوتهم لكي لا يجبروا على امضاء تلك العريضة ووقفت اشغال الحكومة كلها الاَّ في نظارة الحربيَّة واستولى الذعر على البلاد كلها. وارسل السر ادورد ملت الى حكومتهِ يقول انهُ يخشى في كل ساعة من حدوث ثورة على المسيحيين. وثبت حينئذٍ ان الحكومة المصرية لم تعد قادرة على حماية المصالح المالية الاوربية وان السلطة صارت في يد الحزب العسكري وانهُ لا بد من المداخلة الاجنبيَّة

وكانت الدولة العلية تتمنَّى منذ عهد طويل ارجاع القطر المصري اليها وقد ملأَت دواوين اوربا بالاحتجاج تلو الاحتجاج على مداخلة الاوربيين في الشؤُون المصرية وعلى اغفالهم سلطة الباب العالي في مصر فخانت الفرصة حينئذٍ لتعيد الدولة سلطتها فان الخديوي وانكلترا وفرنسا حاولوا اصلاح الحال من غير الالتجاء اليها ففشلوا وكانت الدول الاوربيَّة كلها ما خلا فرنسا تودُّ الالتجاء اليها لاخماد الثورة المصرية

ولكن رجال الحكومة العثمانية لا يغتنمون الفرص حالما تسنح لهم بل يضعون العقاب بايديهم في سبيلهم. وكانت فرنسا قد عدلت عن اعتراضها على مداخلة الباب العالي وطلبت ان تحل المسألة المصريَّة بواسطة مؤْتمر دولي والباب العالي يكره الالتجاء الى المؤْتمرات فارسل مأْمورًا ساميًا الى مصر وهو درويش باشا حاسبًا انهُ يسكّن الاضطراب ويرد المياه الى مجاريها فلا يبقى داعٍ للمؤْتمر وارسل مع درويش باشا اسعد افندي. وفُرض على الاول منهما ان يحاسن الخديوي ويضاد عرابي وعلى الثاني ان يفعل على الضد من ذلك فيحاسن

عرابي ويضاد الخديوي وأمر كلٌ منهما ان يخاطب الاستانة رأساً لكي لا يتفقا على شيء . وأمر درويش باشا ان يستشير قناصل المانيا والنمسا وايطاليا ويستعين بهم وأمر اسعد افندي ان يبذل جهده في احباط دسائس الاوربيين . وأمر درويش باشا ايضاً ان يقبض على عرابي ورؤساء حزبهِ ويرسلهم الى الاستانة ويبطل مجلس النوّاب ويقلل نفوذ الخديوي ويزيد نفوذ السلطان ويطلب الجنود من الاستانة اذا رأى موجباً لذلك . وأمر اسعد افندي ان يشكر وجوه القطر واعيانهُ على اخلاصهم للسدَّة السلطانية وان يؤكد لهم ان السلطان لا ينوي تقليل السلطة المعطاة للخديوي بالفرمانات وان ارسال الجنود الى مصر رأي سيء وخيم

وكان الباب العالي يكره ارسال جنودهِ الى مصر لمحاربة الجنود المصرية ويود ان يقنع المصريين انهُ يحميهم من اعتداء الاوربيين

وجاء وفد من العلماء الى درويش باشا في ١٠ يونيو وقام واحد منهم خطيباً وجعل يمدح الجيش لانهُ حفظ البلاد من طمع الكفار . فنهض درويش باشا وقال للحضور انهُ اتى ليأمر بما يراهُ لازماً لا ليؤمر وامسك رجل من حاشيتهِ بذلك العالم واخرجهُ من مجلسهِ

وظهر حينئذٍ كأن السلطة ستخرج من يد الجيش ولكن حدث حادث ثبت منهُ انهُ لا يمكن حفظ البلاد من غير الالتجاء الى الجيش

كان اهالي الاسكندرية قد اظهروا العداء للاوربيين وجعلوا يهينونهم ويبصقون عليهم في الشوارع . وحذَّر رجل من الاهالي احد اليونانيين في ٩ يونيو قائلاً ان اولاد العرب عازمون على ذبح النصارى . وجال بعض الرعاع في الشوارع في اليوم التالي وهم ينادون " آخرتكم يا نصارى " . وفي الحادي عشر من يونيو حدثت المذابح في ثلاثة اماكن في وقت واحد . وقد اتَّهم البعض عرابي بانهُ امر بهذهِ المذابح واتهم غيرهم الخديوي وفي جملة الذين اتهموهُ بذلك المستر بلنت . وقال لورد كرومر ان الذين بحثوا البحث المدقق في هذه المسألة لم يجدوا اقل دليل على انهُ كان للخديوي يدٌ فيها ومن رأي السر ادورد ملت ان عرابي لم يأمر بها وانها جاءت من نفسها كنتيجة للاضطراب الذي كان مستولياً حينئذٍ وايَّد لورد كرومر رأيهُ ولكنهُ لم يبرئ عرابي وانصارهُ من المسؤولية الادبيَّة لانهم هم الذين اثاروا البغض للاجانب في نفوس رعاع الاهالي

وفي ١٣ يونيو ارسل السر ادورد ملت الى لورد غرانفل ان مساعي درويش باشا اخفقت فاضطر ان يسلّم بقوة عرابي وان يحمل معهُ مسؤولية اجراء اوامر الخديوي . ثم

وزّع النياشين على حزب عرابي وعلى حزب الخديوي على السواء لكن هيبتهُ سقطت ولم يزره احد من ضباط الجيش . وفي ذلك الوقت نفسهِ اخبر المابين لورد دفرن ان عرابي خضع خضوعاً تامًّا وان الامن عاد الى نصابهِ واخبر موزورس باشا لورد غرانفل ان السلطان انعم على عرابي بالنشان المجيدي الاول وان عرابي اعرب عن شكرهِ وولائهِ للسدة السلطانية فلم يبقَ وجه لانشغال البال

ويظهر عدم خضوع عرابي من انهُ اشار على درويش باشا في ٥ يوليو بالخروج من القطر المصري . وقال لهُ اسعد افندي في ٨ يوليو ان السلطان يدعوهُ للذهاب الى الاستانة فابى اجابة الدعوة واخيرًا اعترف وزير الخارجية العثمانية للورد دفرن ان عرابي جاهر بالعصيان

وثبت حينئذٍ ان لابدَّ من عمل يُعمَل والاَّ شملت الثورة البلاد كلها وقد بلغ عدد المهاجرين من القطر المصري في ١٧ يونيو ١٤٠٠٠ وبقي ٦٠٠٠ ينتظرون السفن ليخرجوا بها من القطر . وفي ٢٦ يونيو قتل الرعاع عشرة من اليونان وثلاثة من اليهود في بنها واشار عرابي باستصفاء اموال كل الاوربيين الذين يغادرون القطر المصري . ومرض السر ادورد ملت حينئذٍ واضطر ان يغادر القطر وهو يظن ان السم دُسَّ لهُ قصد قتلهِ

ونتج من مذبحة الاسكندرية ان اسرعت الدول الاوربيَّة الى تلافي الخطب فقال المسيو ده فرسينه ان عقد المؤتمر صار ضربة لازب فلا بدَّ من عقدهِ من غير ابطاء وعرضت فرنسا وانكلترا على الدول ان يساعدنهما في اقناع السلطان بان يرسل جنودًا الى مصر تساعد الخديوي على حفظ سلطتهِ بشرط ان لا يتعرَّض للحقوق الممنوحة للخديوي بالفرمانات السلطانية ولا للمعاهدات الدولية الحاضرة ولا تقيم الجنود العثمانية في القطر المصري اكثر من شهر الاَّ اذا طلب الخديوي ذلك وصادقت الدول الاوربية العظمى على طلبهِ . والحكومة المصرية تتحمل نفقات هؤلاء الجنود . واخيرًا قرَّ القرار على عقد مؤتمر دولي للاتفاق على ما يجب عملهُ فعقد المؤتمر في الاستانة ولم يحضرهُ معتمد من قبل الدولة العلية

وبينما كان المؤتمر يبحث في كيفية ارسال الجنود العثمانية الى القطر المصري كانت احوال القطر صائرة من رديء الى اردأ وثبت للملإ ان الحكومة كلها صارت في يد عرابي حتى قال بسمارك ان عرابي صار قوة يجب ان يحسب حسابها " avec lequel il fallait compter "

وقال المسيو ده فرسينه انهُ يمكن اصلاح الحال بالاتفاق مع عرابي لكن انكلترا اجابتهُ قائلة انهُ لا يمكن اصلاح الحال ما لم يسقط عرابي والحزب العسكري

واسند الخديوي رئاسة النظار الى راغب باشا وجعل عرابي ناظرًا للحربية وكان ذلك

بمشورة قنصلي المانيا والنمسا فلم يفلح راغب باشا في تسكين ثورة الحزب العسكري ورد النظام الى البلاد

وكانت الحكومة الانكليزية والامة الانكليزية قد رأتا ان المساعي السياسية لا تجدي نفعاً وانهُ لا يمكن اخماد الثورة الاَّ بالقوة . وقد بلغ نظارة البحرية من اوائل يونيو ان عرابي آخذ في تحصين طوابي الاسكندرية ووضع المدافع فيها في وجه العمارة الانكليزية وقد امر السلطان بمنع هذا التحصين وعُمل بامرهِ مدة ثم أُعيد التحصين وزيد عدد الحامية . واجتمع مجلس النظار في ٤ يوليو وتكلم فيهِ عرابي وحمل حملة منكرة على السلطان وامر ضباط الجيش ان ينقطعوا عن زيارة درويش باشا وقيل لدرويش باشا ان مهمتهُ قد انقضت

وأُمر لورد السترامير العمارة الانكليزية ان يمنع الاستمرار على تحصين الاسكندرية واذا لم يمتنع فعليهِ ان يخرب الاستحكامات ويسكت المدافع اذا اطلقت عليهِ النار . وأُخبرت الحكومة الفرنسوية بذلك وطُلب منها ان تشارك انكلترا . وأُخبرت سائر الدول ايضاً . فقال المسيو ده فرسينه لسفير انكلترا ان الحكومة الفرنسوية لا يمكنها ان تأمر اسطولها ليشارك الاسطول الانكليزي لان ذلك يعد بمثابة فتح حرب على مصر والحكومة الفرنسوية لا تستطيع ان تفتح حرباً من غير مصادقة مجلس النواب

وفي ٦ يوليو ارسل لورد السترالى قومندان الحامية في الاسكندرية يطلب منهُ ان ينقطع عن انشاء الاستحكامات فاجاب انهُ لم يعمل شيئاً جديداً وصادق درويش باشا على ذلك . وأُعيد تحصين الطوابي في ٩ يوليو فبعث لورد السترالى قناصل الدول الذين في الاسكندرية يعلمهم انهُ عازم على اطلاق المدافع على الحصون ما لم تسلم لهُ الطوابي المشرفة على البوغاز في اربع وعشرين ساعة وأُعلمت دول اوربا بذلك . فاجاب السلطان انهُ يرسل الجواب الى لورد دفرن في ١١ يوليو الساعة الخامسة وعيَّن صدراً جديداً فزار لورد دفرن وقال لهُ انهُ يأتيهِ بالجواب النهائي لحلّ المسألة المصرية في ١٢ يوليو

وغنيٌّ عن البيان ان اصحاب الديون المصرية من الفرنسويين والانكليز كبيت روتشيلد وغيرهِ كان لهم في القطر المصري نحو مئة مليون جنيه ديناً على الحكومة المصرية . وعندهم ان اكبر ضامن لهذا الدين ان تحتل انكلترا القطر المصري وتراقب شؤُونهُ المالية والأَّ فاموالهم كلها في خطر من الضياع فلا يستغرب منهم ان يبذلوا كل الوسائل في اوربا لحمل انكلترا على احتلال القطر المصري وان يبذلوا ايضاً كل الوسائل في الاستانة لجعل رجال الدولة يغضون الطرف ويسوّفون البحث الى ان ينقضي الامر على ما يريد اصحاب الدين . هذا هو

الحل المعقول لكل ما حدث وقد صرّح لورد كرومر ببعضهِ واقام الادلة عليهِ من المحررات الرسمية كما تقدم وكما سيجيءُ

ومن يوم ابتدأ اسمعيل باشا يستدين الاموال الطائلة من اوربا وضع اساس المراقبة الاوربية او الاحتلال الانكليزي نعم ان المراقبة والاحتلال ليسا فرضاً واجباً على كل بلاد تستدين الاموال من غيرها ولكنهما يصيران واجبين اذا ساءت احوال البلاد وخاف الدائنون على اموالهم فلو اكتفت مصر باستدانة الاموال اللازمة لتثمير خيراتها الطبيعية وعرفت كيف تحسن ادارتها حتى توفي تلك الاموال او اقساطها في مواعيدها لما كان ثمت موجب للاحتلال ولا للمراقبة . والآن اذا استمرَّ النظام وحسن الادارة وأُمن الرجوع الى الفوضى الماضية او الى خلل الاحكام لا يبقى داعٍ للاحتلال ولا للمراقبة . ولكن يخشى من ان الغرور والطيش يحملان بعض المتصدين للزعامة حتى يغرّروا بالبلاد فيعيدوا اليها الخلل الذي نجت منهُ وحينئذٍ تتوطَّد اقدام الاحتلال الى ما شاء الله . ويخشى ايضاً من ان بعض الافاقين او المستأجرين بالاموال الاوربية يزيّنون المحال للذين يغترّون باقوالهم فيصخبون ويقلقون راحة السكان ويحملونهم على اعمال تخيف اصحاب الديون او تجعلهم يتذرَّعون بها الى إجبار حكوماتهم على ادامة الاحتلال لانهم لا ينتظرون ضماناً لاموالهم اقوى منهُ . ولقد رأينا من حين نظرنا في المسألة المصرية انها مسألة مالية المال ولَّدها والمال دعا الى تعقيدها وادامتها فجاءت اقوال لورد كرومر مؤيدةً لذلك وقولهُ فصل الخطاب في هذا الباب فعلى الذين يودون ان تجلي انكلترا عن القطر المصري ان يبذلوا جهدهم في توطيد دعائم الامن في البلاد اولاً حتى يأمن اصحاب الديون على ديونهم

هذا وقد ذكر لورد السِتر في تقريرهِ انهُ شرع في ضرب طوابي الاسكندرية في الحادي عشر من شهر يوليو الساعة السابعة صباحاً ولم تأتِ الساعة ٥ ونصف بعد الظهر حتى اسكت البطريات كلها وفي اليوم التالي خرجت الحامية المصرية من الاسكندرية بعد ان احرقتها واقبل الرعاع على نهبها وقُتل جمهور من الاوربيين . ولام لورد كرومر حكومتهُ لانها لم تبادر الى انزال الجنود الى الاسكندرية لمنع امتداد النار فيها ومنع الرعاع من نهبها . ولكنهُ برَّرها في ضربها بدعوى ان قمع الثورة العرابية كان امراً واجباً ولما احجمت عنهُ تركيا وفرنسا صارت انكلترا مطالبة بهِ وحدها

فيكتوريان ساردو

نعت انباء باريس منذ ايام روائياً من اشهر كتابها كان يراعهُ في طروسهِ كحسام نبوليون في حروبهِ . كلاهما ماضٍ فاتك نهض بصاحبهِ من الضعة الى الرفعة . فساردو ضرب بيراعهِ هامة الفقر فاطاحها . ونبوليون طعن بحسامهِ سحابة الشك عن شمس النصر فازاحها . ولو وزع اهل الادب مؤلفات ساردو وكتبهُ على شهور حياتهِ لاصاب كل شهر منها مؤلف جليل النفع جميل الاثر

عمل ساردو على انهاض فن التمثيل في النصف الاخير من القرن الماضي وكانت المراسح فقيرة برواياتها والروايات قليلة الحيل الروائية . حقيرة المواضيع . فانشأ لاهل باريس نيفاً وثمانين رواية طبقت شهرة بعضها الآفاق كفيودورا وتوسكا ومدام سان جين وجسموندا ولاسورسيار تحملتها ساره برنار في صدرها وعلى لسانها الى مدن الغرب والشرق الزاهرة تحدث بفضل هذا الرجل على الادب . وقد شاهد اهل مصر منذ ايام اثراً من آثارهِ اظهرتهُ جوقة سارة برنار على مرسح عباس فكأنها احبت ان تجلب عقول سامعيها بيراعهِ الساحر وتحدثهم بشروق شمسهِ قبل ان ادركها الغروب

كان والد ساردو معلماً ريفياً قدم باريس في طلب القوت فأنشأ في احد احيائها كتاباً للتعليم كان يختلف اليهِ بعض اولاد الفقراء فيكسب منهُ ما يسد بهِ جوع ذويهِ . وبينما هو يعالج داء الفقر عام ١٨٣١ رزقهُ الله ولداً هو صاحب الترجمة فلم يخفف قدومهُ وطأة الاملاق عن ابيهِ . فتقلب في احضان الفقر ثلاثة اعوام اصيب في خلالها بمرض ضاعت حيلة ابيهِ واتعابهُ في معالجتهِ فارسلهُ الى جدهِ وبعد ان اقام في ضيافتهِ اعواماً طويلة عاد الى اهلهِ فوجدهم على مثل ما كانوا فيهِ . فظل يتدرج في مراتب الفقر وينتقل في مدينة باريس من شارع الى شارع الى ان بلغ الخامسة عشرة من سنيهِ فدخل مدرسة هنري الرابع وخرج منها بعد اربعة اعوام المتهُ فيها الانجار عن الاشعار ومقاعد الحدائق عن مقاعد المدرسة . ولما بلغ التاسعة عشرة انصرف الى مكاتب المدينة يطالع كتبها التاريخية بشغف يلتهب كالنار في صدرهِ . فتراوحت آمالهُ بين تعلم الطب والتعليم الذي كان يحضهُ ذووهُ على ولوج بابهِ . الا انهُ رأى من فقر ابيهِ في احترافهِ ما بغضهُ بهِ . فولع بدراسة الطب عاماً ثم تركهُ . وطفق يطوف في شوارع باريس ومجتمعاتها وانديتها حتى اصبح ثقة بما يرويهِ عنها وعن ثورة عام ١٨٤٨ من النوادر والحوادث والاخبار وكان يكسب من الدروس التي يدرسها

والاعمال التي يقوم بها ما ينفقهُ على نفسهِ وحيداً في غرفة ضيقة بعد ان ترك اهلهُ فراراً من التثقيل عليهم بطعامهِ ولباسهِ · ويشتغل بكتابة رواية دعاها (كهف الطلبة) فلما عرضها عام ١٨٥٤ للتمثيل على مرسح الاودبون كان فشلهُ كبيراً · ولولا بقية ابقتها الهمة والثبات في صدرهِ لقضى حبوط روايتهِ على فسحة آمالهِ · فعاود الكرة بعد ستة اعوام على الاشتغال بتأليف الروايات فافلح وكانت رواية (بات ده موش) فاتحة اسعادهِ في سنة الستين بعد ان اشقاهُ القدر ٢٩ عاماً لم تكشف عنهُ فيها غمامة الفقر ولا ابتسم لهُ ثغر الدهر. فواظب منذ ذلك الحين على وضع الروايات التمثيلية والاشتغال بما يعلي شأن الادب المرسحي في وطنهِ الى ان توفاهُ الله · فطرق كل ابواب التأليف وكتب روايات حيلية من نوع الفودفيل كرواية (بات ده موش) وروايات محزنة كرواية (نوزنتيم) و(سيرافين) و (المنزل الجديد) وروايات مضحكة انتقادية كرواية (لافاميل بنواتان) فانها اكسبتهُ ٣٠٠ الف فرنك و (قرويوتا) وروايات تاريخية كرواية (باتري) و (الحقد) و (ترميدور) التي انتقد فيها اعمال الثورة فمنعت الحكومة تمثيلها اثر ما كتبهُ المسيو كلمنسو رئيس الوزارة الحالية منادياً الحكومة فيها باحترام مبادىء الثورة وقال " ان الثوار والاحرار متضامنون" وقد مزج التاريخ بالهزل في رواية (مدام سان جين) التي اكسبتهُ ٢٠٠ الف فرنك والف روايات قضائية كرواية (فيريول) وانشأ لساره برنار عدة روايات اشتهرت بها اهمها (فيدورا) و (تيودورا) و (توسكا) و (كليوباتره) و (جسموندا) و(لاسورسيار) و (حادثة السم) وعلى الجملة فانهُ لم يدع باباً في التأليف المرسحي الأ ولجهُ فشاد بيراعهِ مجداً للمرسح الفرنسوي يدوم على توالي الاعقاب

ولقد ارادت الحكومة الفرنسوية ان تتوّج هذا الرجل الذي عرف الملكية ١٧ عاماً والجمهورية الثانية ثلاثة اعوام والامبراطورية الثانية ١٩ عاماً والجمهورية الثالثة ٣٧ عاماً فعاصر اربع حكومات وشاهد جيلين من الناس وكتب ثمانين رواية فانعمت عليهِ عام ١٩٠٦ بوسام جوقة الشرف من رتبة جران اوفيسيهِ فاسعدهُ الادب على كسب النشب ونيل الرتب

ومما يؤْثر عنهُ حينما امسك الفقر بخناقهِ في صغرهِ انهُ قصد ترك باريس الى العالم الجديد فبرح منزلهُ الى المحطة ماراً بمنزل يهدمهُ البناؤُون فسقط حجر منهُ على عامل كان قربهُ فقتلهُ فنظر اليهِ ساردو وقال

" ان لي في باريس املاً لم يأفل نجمهُ وحياة لم تغب شمسها . فوالله لأُقيمنَّ فيها ولأَبلغنَّ مآربي برأس هذا القلم "

ولقد اقام فيها فالف وكتب ونال ما اراد

وخلّفَ في باريس ذكرًا كأنما تداولـــ سمع المرء انمله العشرُ

فصح فيهِ قول ابن الوردي

لا تقل قد ذهبت اربابهُ كل من سار على الدرب وصل

هذا ما نشرناهُ في المقطم عن هذا النابغة ونزيد عليهِ انهُ احتفل بدفنهِ في ١٢ نوفمبر فابنهُ المسيو جاستون دو مرج وزير المعارف باسم الحكومة الفرنسوية والمسيو بول هرفيو باسم نقابة المؤلفين الروائيين والمسيو البرفاندل باسم المجمع العلمي الفرنسوي

الوراثة

ناموس الردة او الرجوع الى الاصل

يراد بالردة او الرجوع الى الاصل (reversion) ظهور صفة في الحيوان او النبات كانت في اسلافهِ الاقدمين ثم فقدوها . و يذهب بعض العلماء في سببها ان تلك الصفة كمنت في اعقاب الذين كانت تظهر فيهم اولاً الى ان حرَّكها محرّك او قوَّاها مقوٍ فظهرت ثانيةً في نسلهم . ويذهب غيرهم الى ان ظهورها ثانية لا يستلزم انها كانت كامنة بل قد يكون سبب ظهورها ان الدواعي دعت لها من جديد كما دعت لظهورها في السلف

وقد انتبه الناس الى الردة او الرجوع الى الاصل من قديم الزمان ذكر فلوطرخس المؤرخ ان امرأةً يونانية ولدت طفلاً اسود فاتُّهمت بالزنا وأُتي بها الى المحكمة فادَّعت ان احد اسلافها منذ اربعة اعقاب كان حبشياً . ومن رأي الاستاذ طمسن مؤلف كتاب الوراثة الذي اشرنا اليهِ في عدد سابق ان دعوى هذه المرأة غير صحيحة ولكن ذكر فلوطرخس لها يدلُّ على تسليم الناس حينئذٍ بناموس الردَّة او الرجوع الى الاصل

وكثيرًا ما تولد المهار وعلى اكتافها خطوط سود رجوعاً الى الاصل المتولدة منهُ . و يتولد من النباتات البستانية كالخس والكرنب نباتات تشبه البرية منها رجوعاً الى اصلها

وقد علل بعضهم ذلك بقولهِ ان الدقائق الكثيرة الحاملة للصفات الوراثية قد يكون بينها دقائق قديمة انتقلت من شخص الى آخر وهي ساكنة لا تنمو ولا تظهر فعلها لانهُ لم يتفق لها ما يدعو الى ظهور فعلها ونموها ثم يتفق لها ذلك اما بسبب المزاوجة او بسبب الجهاد

المستمر بين الدقائق او بزوال ما كان مانعاً من ظهورها فيظهر فعلها وتنمو · مثال ذلك ان يكون عند انسان حديقة فيها كثير من النباتات البستانية ثم يهملها فتبور وتختلط بغيرها من المروج التي حولها وبعد زمن يبني حولها سياجاً ويسمدها ويعتني بها فتنمو فيها بزور بعض النباتات البستانية التي كمنت فيها كل مدة تبويرها · ويظهر ذلك في نوع الانسان ايضاً فان الاولاد الذين يولدون في زمن القحط يكونون نحافاً صغار القامة لكن ذلك لا يؤثر في الجراثيم التي تولدوا منها والتي يتولد منها نسلهم فاذا شبوا وعاد الخصب الى بلادهم ولد لهم اولاد مثل اسلافهم

ومن رأي الاستاذ طمسن ان توقف النمو بسبب قلة التغذية ثم عودهُ بكثرتها ليس من قبيل الرجوع الى الاصل وكل ما يوقف النمو ليس في رأيهِ داخلاً ضمن الرجوع الى الاصل مثال ذلك ولادة الولد وشفتهُ العليا مشقوقة كشفة الارنب فانها ليس من قبيل الرجوع الى الاصل بل من قبيل توقف النمو لقلة التغذية او لسبب آخر لان الشفة العليا تكون مشقوقة في الجنين حين تكوُّن انفهِ ثم يعلو الانف في نموهِ وتنمو الشفة وتلتحم فاذا حدث ما يعيق نموها بقيت مشقوقة · وقد روى الاستاذ هوتن ان اشبالاً ولدت وشفاهها العليا كشفة الارنب وماتت كلها وظهر لدى البحث ان ذلك ناتج من قلة التغذية لان حفظتها كانوا يطعمون امهاتها لحماً لا عظام فيهِ فلما صاروا يطعمونها لحماً بعظمهِ لم تعد تولد بشفاهٍ مشقوقة وصارت تعيش مثل غيرها

فاذا ولد عجل من بقرٍ جماء (اي لا قرون لها) ونبت لهُ قرنان فهذا من قبيل الرجوع الى الاصل لان البقر القرناء هي الاصل والجماء فرع منها ولكن اذا ولد وفي قلبهِ ثلاثة تجاويف بدلاً من اربعة فهذا ليس رجوعاً الى العظايات التي في قلوبها ثلاثة تجاويف فقط بل هو توقف في النمو

الربيبيَّة

الربيب في اللغة زوج الام وقد وضعنا الربيبيَّة لمعنى لا نظن ان العرب وضعوا لهُ لفظة وهو تشبُّه الولد بزوج امهِ كأن تتزوج بيضاء زنجياً ثم تتزوج رجلاً ابيض فيولَد لها اولاد من زوجها الابيض يشبهون زوجها الزنجي · ويقول مربو الخيل ومربو الكلاب ان امثلة ذلك كثيرة عندهم

ذكر داروين انهُ كان عند لورد مورتن فرس عربية علاها حمار الوحش فولدت منهُ فلوًّا يشبههُ في شكل رأسهِ والخطوط السوداء على قوائمهِ وكتفيهِ ثم علاها حصان عربي ادهم

فولدت مهرين لونهما الغبرة وفيهما خطوط ظاهرة على قوائمهما بل هي فيهما اظهر منها في حمار الوحش وعرفاهما مثل عرف حمار الوحش لا مثل عرف الخيل ثم علاها حصان عربي آخر فولدت منهُ مهرًا ثالثًا فيهِ شيء من صفات حمار الوحش

الَّا ان العالم ستغنست انكر ذلك وقال ان الخطوط التي ظهرت في هذه المهار عادية تظهر في المهار عادة وكذلك شعر العرف يكون احيانًا غليظًا واقفًا كشعر الحمر البرية . وذكر سمسن فرسًا ولدت سبعة مهار من حصانين ثم ولدت مهرًا من حصان ثالث وفيهِ خطوط اوضح من الخطوط التي ظهرت في مهار الفرس المذكورة آنفًا ولونهُ اشبه بلون الحمر البرية منهُ بلون تلك المهار. وقال ستغنست ان اربعة افراس ولدت بغالًا من الحمير ثم ولدت مهارًا من الخيل وليس فيها شيء من صفات البغال ولا من صفات الحمير

ونقل هربرت سبنسر عن فسيولوجيَّة فلنت ان امرأَة بيضاء تزوجت زنجيًّا ثم تزوجت رجلًا ابيض فولد لها منهُ اولاد فيهم شيء من مزايا زوجها الزنجي الاول

وذكر كورنفن ان امرأَة تزوجت رجلًا اصم فولد لها منهُ ولد اصم ثم تزوجت رجلًا غير اصم فولدت منهُ ولدًا اصم ايضًا ثم ولدت منهُ اولادًا سمعهم عادي

وذكر دارون ان كلبة جرداء ولدت من كلب اشعر اجراء بعضها اجرد وبعضها اشعر ثم ولدت من كلب اجرد اجراء بعضها اجرد وبعضها اشعر. وذكر غيرهُ قطة عادية ولدت من قط ابتر (لا ذنب لهُ وكل القطط في جزيرة مان ببلاد الانكليز بتراء أي لا اذناب لها) اجراء بعضها ابتر ثم ولدت من قط عادي اجراء بعضها ابتر. وقد علل بعضهم هذه الحوادث كلها فشك في امانة الزوجة الاولى وقال بوجود الميل الى الصمم في الزوجة الثانية وبأن في دم الكلاب والقطط شيء من اصل الزوج الذي ماثلتهُ اجراؤُها . الَّا ان الحوادث التي من هذا القبيل كثيرة جدًّا ولا نرى سببًا طبيعيًّا يمنع البيوض التي لم تبلغ من ان تتأَثر باللقاح ولو قليلًا حينما تتأَثر البيوض البالغة منهُ . ففي بعض الحشرات يؤَثر اللقاح في جراثيم البيوض التي في البيوض فتولد الانثى ملقحة حتى تستطيع ان تلد من غير مزاوجة مثال ذلك ان الحشرات الصغيرة التي تسمى منَّ الشجر تتزاوج وتلد واولادها يلدن من غير مزاوجة فوجًا بعد فوج لانها تكون كلها اناثًا واخيرًا تلد ذكورًا واناثًا فتتزاوج ثانية . فاذا كان اللقاح يؤَثر في جراثيم البيوض التي في باطن الاجنة والاجنة لا تزال بيوضًا فلا عجب اذا اثَّر في البيوض التي حولها

ثم ان اللقاح يبقى في انثى الخفاش بضعة اشهر قبل ان يتولد فيها البيض فان الخفافيش

تتزاوج في الخريف وتنام في الشتاء وبتولد البيض فيها في الربيع وحينئذٍ يفعل بهِ اللقاح فلا عجب اذا بقي اللقاح في اناث غيرها من الحيوانات مدة قبلما يبطل فعلهُ . وكذلك يبقى اللقاح في انثى النحل ثلاث سنوات . وذكر السرجون لبك (لورد افبري) ان نملة لقحت ثم مرَّ عليها ثلاث عشرة سنة لم ترَ فيها ذكرًا وبقيت كل هذه المدة تبيض بيضاً ملقحاً . وقد سلم الاستاذ وسمن بامكان ذلك في الحيوانات الدنيا ولكنهُ لم يسلم بامكانهِ في الحيوانات العليا قال ولو امكن حدوثهُ في الحيوانات العليا لاستطاعت اناث الحيوانات العليا ان تلد من غير مزاوجة ولا دليل على ان ذلك حدث ولو مرةً في الدهر . ومن رأي كلود برنار الفسيولوجي ان اللقاح الذي يلقح البيضة البالغة يؤثر بعض التأثير في البيوض غير البالغة فيبقى اثرهُ فيها كما قلنا سابقاً وهذا هو رأي رومانس ايضاً

وذهب غيرهما الى ان اللقاح يؤثر في الام نفسها . ورجّح الاستاذ ثمسن مذهب القائلين ان الجنين نفسهُ يؤثر في امهِ فينقل اليها شيئاً مما تولّد فيهِ من ابيهِ وهذا رأي السر وليم ترنر وكثيرين غيرهِ من علماء الفسيولوجيا لكن دارون استبعد هذا الرأي جداً

واعترض الاستاذ كارل بيرصن على تأثير الجنين في الام وتأثير اللقاح في البيوض غير الناضجة بانهُ اذا كان ذلك صحيحاً وجب ان تزيد مشابهة الاولاد للاب كما كثر عددهم اي ان تكون المشابهة بين الولد الخامس مثلاً وابيهِ اكثر من المشابهة بين الولد الاول وابيهِ ولا دليل على وجود ذلك من جهة القامة . وعندنا على ذلك ان ما يأخذهُ الجنين من كل من والديهِ يختلف كثيرًا باختلاف احوال كثيرة من حيث التغذية والنمو فان درجات نمو البيضة مختلفة بحسب عمرها وكذلك قوة اللقاح تختلف بحسب عمرهِ قبل افرازهِ ويظهر لنا ان مشابهة الجنين لابيهِ او لامهِ تزيد او تنقص بحسب نمو اللقاح والبيضة وهذا هو سبب مجيء الجنين ذكرًا او انثى فاذا كانت جرثومة اللقاح بالغة اكثر من البيضة جاء الجنين ذكرًا اي جاءت فيهِ خصائص ابيهِ متغلبة على خصائص امهِ واذا كانت البيضة بالغة اكثر من اللقاح جاء الجنين انثى اي جاءت فيهِ خصائص امهِ متغلبة على خصائص ابيهِ . فاعتراض الاستاذ بيرصن غير وجيه وذلك يبقى تعليل القائلين بتأثير اللقاح في البيوض غير البالغة وجيهاً الى ان ترد ادلة تنقضهُ او تثبت ما يخالفهُ

دولة آل عثمان

٢

ذكرنا في الجزء الماضي طرفاً من وصف بلاد السلطان محمد اوزبك خان ومجالسهِ نقلاً عن رحلة ابن بطوطة وقد رأينا الآن ان نتم الوصف لما فيهِ من الفكاهة والفائدة قبل العود الى الكلام على سلاطين آل عثمان اظهارًا لحال البلاد في ايامهم

قال في وصف ابنة السلطان " توجهنا الى هذه الخاتون بنت الملك وهي في محلة منفردة على نحو ستة اميال من محلة والدها فامرت باحضار الفقهاء والقضاة والسيد الشريف ابن عبد الحميد وجماعة الطلبة والمشايخ والفقراء وحضر زوجها الامير عيسى الذي بنتهُ زوجة السلطان فقعد معها على فراش واحد وهو معتل* بالنقرس وهذه العلة فاشية في هؤلاء الاتراك ورأينا من هذه الخاتون بنت السلطان من المكارم وحسن الاخلاق ما لم نرَهُ من سواها واجزلت الاحسان وافضلت جزاها الله خيرًا "

وزار بلاد البلغار في شهر رمضان لتحقيق مسألة علمية وهي قصر النهار فيها ثم عاد الى محلة السلطان اوزبك وحضر صلاة العيد وصادف يوم العيد يوم الجمعة قال " ولما كان صباح يوم العيد ركب السلطان في عساكرهِ العظيمة وركبت كل خاتون عربتها ومعها عساكرها وركبت بنت السلطان والتاج على رأسها اذ هي الملكة على الحقيقة ورثت الملك من امها وركب اولاد السلطان كل واحد في عسكرهِ وكان قد قدم لحضور العيد قاضي القضاة شهاب الدين السايلي ومعهُ جماعة من الفقهاء والمشايخ فركبوا وركب القاضي حمزة والامام بدر الدين القوامي والشريف ابن عبد الحميد . وكان ركوب هؤلاء الفقهاء مع تين بك ولي عهد السلطان ومعهم الاطبال والاعلام فصلى بهم القاضي شهاب الدين وخطب احسن خطبة وركب السلطان وانتهى الى برج خشب يسمّى عندهم الكشك فجلس فيهِ ومعهُ خواتينهُ ونصب برج ثانٍ دونهُ فجلس فيهِ ولي عهدهِ وابنتهُ صاحبة التاج ونصب برجان دونهما عن يمينهِ وشمالهِ فيهما ابناء السلطان واقاربهُ ونصبت الكراسي للامراء وابناء الملوك "

واسهب في وصف مجالسهم وموائدهم وقال انهم يأكلون لحم الخيل ولحم الغنم ويشربون نبيذ العسل وهم حنفية المذهب يحللون شرب النبيذ . ثم وصف ذهابهُ مع الخاتون ييلون الى ابيها ملك القسطنطينية وسماهُ تكفور وهذا خطاء لان الملك الذي كان مالكاً حينئذٍ هو

اندرونيكس الثالث الذي جلس على سرير الملك من سنة ١٣٢٨ الى سنة ١٣٤١ ومهما يكن من سبب هذا الخطإ فوصفهُ للقسطنطينيَّة واهلها في ذلك العصر لا يخلو من فائدة تاريخيَّة ولذلك اقتطفنا منهُ ما يلي قال

سافرنا في العاشر من شوال (سنة ١٣٣٢ للميلاد او سنة ٧٣٣ للهجرة) في صحبة الخاتون بيلون وتحت حرمتها ورحل السلطان في تشييعها مرحلة ورجع هو والملكة وولي عهدهِ وسافر سائر الخواتين في صحبتها مرحلة ثانية ثم رجعن وسافر صحبتها الامير بيدرة في خمسة آلاف من عسكرهِ . وكان عسكر الخاتون نحو خمسماية فارس منهم خدامها من المماليك والروم نحو مئتين والباقون من الترك وكان معها من الجواري نحو مئتين اكثرهنَّ روميات وكان لها من العربات نحو اربعمائة عربة ونحو الفي فرس لجرها وللركوب ونحو ثلاثمائة من البقر ومئتين من الجمال لجرها . وكان معها من الفتيان الروميين عشرة ومن الهنديين مثلهم وقائدهم الاكبر يسمَّى بسنبل الهندي وقائد الروميين يسمَّى بميخائيل ويقول لهُ الاتراك لؤلؤ وهو من الشجعان الكبار

واسهب في وصف ما لقوا في طريقهم من الحفاوة والاكرام الى ان صاروا على عشرة اميال من القسطنطينيَّة قال فلما كان الغد خرج اهلها من رجال ونساء وصبيان ركباناً ومشاة في احسن زي واجمل لباس وضربت عند الصبح الاطبال والابواق والانفار وركبت العساكر وخرج السلطان وزوجتهُ ام هذه الخاتون وارباب الدولة والخواص وعلى رأس الملك رواق يحملهُ جملة من الفرسان ورجال بايديهم عصي طوال في اعلى كل عصا شبه كرة من جلد يرفعون بها الرواق وفي وسط الرواق مثل القبة يرفعها الفرسان بالعصي ولما اقبل السلطان اختلطت العساكر وكثر العجاج ولم اقدر على الدخول وكان دخولنا عند الزوال او بعدهُ الى القسطنطينية العظمى

ثم وصف مثولهُ بين يدي سلطان القسطنطينية فقال ان اسمهُ تكفور (بفتح التاء المثناة وسكون الكاف وضم الفاء وواو وراء) ابن السلطان جرجيس وابوهُ السلطان جرجيس بقيد الحياة لكنهُ تزهد وترهب وانقطع للعبادة في الكنائس وترك الملك لولدهِ وسنذكرهُ وفي اليوم الرابع من وصولنا الى القسطنطينيَّة بعثت اليَّ الخاتون الفتى سنبل الهندي فاخذ بيدي وادخلني الى القصر فجزنا اربعة ابواب في كل باب سقائف بها رجال واسلحتهم وقائدهم على دكانة مفروشة فلما وصلنا الى الباب الخامس تركني الفتى سنبل ودخل ثم أتى ومعهُ اربعة فتيان من الروميين ففتشوني لئلا يكون معي سكين وقال لي القائد تلك

عادة لهم لا بد من تفتيش كل من يدخل على الملك من خاص او عام غريب او بلدي وكذلك الفعل بارض الهند ثم لما فتشوني قام الموكل بالباب فاخذ بيدي وفتح الباب واحاط بي اربعة من الرجال أمسك اثنان بكمي واثنان من ورائي فدخلوا بي الى مشور كبير حيطانهُ بالفسيفساء قد نقش فيها صور المخلوقات من الحيوانات والجماد وفي وسطهِ ساقية ماء ومن جهتيها الاشجار والناس واقفون يميناً و يساراً سكوتاً لا يتكلم احد منهم وفي وسط المشور ثلاثة رجال وقوف أسلمني اولئك الاربعة اليهم فامسكوا بثيابي كما فعل الآخرون واشار اليهم رجل فتقدموا بي وكان احدهم يهودياً فقال لي بالعربي لا تخف فهكذا عادتهم ان يفعلوا بالوارد وانا الترجمان واصلي من بلاد الشام فسألتهُ كيف اسلم فقال قل السلام عليكم. ثم وصلت الى قبة عظيمة والسلطان على سريرهِ وزوجتهُ ام هذه الخاتون بين يديهِ واسفل السرير الخاتون واخوتها وعن يمينهِ ستة رجال وعن يسارهِ اربعة وكلهم بالسلاح فاشار اليَّ قبل السلام والوصول اليهِ بالجلوس هنيهة ليسكن روعي ففعلت ذلك ثم وصلت اليهِ فسلمت عليهِ واشار اليَّ ان اجلس فلم افعل وسألني عن بيت المقدس وعن الصخرة المقدسة وعن القمامة وعن مهد عيسى وعن بيت لحم وعن مدينة الخليل عليهِ السلام ثم عن دمشق ومصر والعراق وبلاد الروم فاجبتهُ عن ذلك كلهِ واليهودي يترجم بيني وبينهُ فاعجبهُ كلامي وقال لاولادهِ اكرموا هذا الرجل وامنوهُ ثم خلع عليَّ خلعة وامر لي بفرس مسرج ملجم ومظلة مثل التي يجعلها الملك فوق رأسهِ وهي علامة الامان وطلبت منهُ ان يعين من يركب معي بالمدينة في كل يوم حتى اشاهد عجائبها وغرائبها واذكرها في بلادي فعين لي ذلك. ومن العوائد عندهم ان الذي يلبس خلعة الملك ويركب فرسهُ يطاف بهِ في أسواق المدينة بالابواق والانفار والاطبال ليراهُ الناس واكثر ما يفعل ذلك بالاتراك الذين يأتون من بلاد السلطان أوزبك لئلا يؤذون فطافوا بي في الاسواق

و بعد ان وصف القسطنطينية وكنيسة ايا صوفيا ذكر لقاءهُ لابي الملك فقال

وهذا الملك ولَّى الملك لابنهِ وانقطع للعبادة وبنى مانستاراً (ديراً) خارج المدينة على ساحلها وكنت يوماً مع الرومي المعين للركوب معي فاذا بهذا الملك ماشياً على قدميهِ وعليهِ المسوح وعلى رأسهِ قلنسوة لبد ولهُ لحية بيضاء طويلة ووجههُ حسن عليهِ اثر العبادة وخلفهُ وامامهُ جماعة من الرهبان وبيدهِ عكاز وفي عنقهِ سبحة فلما رآهُ الرومي نزل وقال لي انزل فهذا والد الملك فلما سلم عليهِ الرومي سألهُ عني ثم وقف و بعث اليَّ فجئت اليهِ فاخذ بيدي وقال لذلك الرومي وكان يعرف اللسان العربي قل لهذا السراكنو يعني المسلم انا اصافح اليد التي دخلت

بيت المقدس والرجل التي مشت داخل الصخرة والكنيسة العظمى التي تسمى قامة وبيت لحم وجعل يدهُ على قدمي ومسح بها وجههُ فعجبت من اعتقادهم فيمن دخل تلك المواضع من غير ملتهم ثم اخذ بيدي ومشيت معهُ فسألني عن بيت المقدس ومن فيهِ من النصارى واطال السؤَال ودخلت معهُ الى حرم الكنيسة الذي وصفناهُ آنفاً ولما قارب الباب الاعظم خرجت جماعة من القسيسين والرهبان للسلام عليهِ وهو من كبارهم في الرهبانيَّة ولما رآهم ارسل يدي فقلت لهُ اريد الدخول معك الى الكنيسة فقال للترجمان قل لهُ لا بد لداخلها من السجود للصليب الاعظم فان هذا مما سنتهُ الاوائل ولا يمكن خلافهُ فتركتهُ ودخل وحدهُ ولم ارهُ بعدها

فهذه صورة مجملة لحال بلاد الروم لما ابتدأَت دولة آل عثمان ولاختلاط الترك بالروم فيها ولاحترام الجميع من كان يأْتيهم من العرب فيولونهُ الامامة والقضاء ويتبركون بهِ

ولما توفي السلطان أُرخان خلفهُ ابنهُ الصغير السلطان مراد الاول وعبر الدردنيل سنة ١٣٦٠ واستولى على مدينة ادرنه في السنة التالية وكانت الثانية في مملكة الروم ثم نقل اليها سرير الملك بعد ان تغلَّب على السرب والمجر والفلاخ وبقيت عاصمة آل عثمان من سنة ١٣٦٦ الى سنة ١٤٥٣ . ووالى قائدا جنودهِ لالاشاهين واورينوس الزحف في وادي نهر مارتزا فدوَّخا البلاد وفتحا المدن والقلاع وغنما منها غنائم وافرة . واستولى لالاشاهين على مدينة فيلبي سنة ١٣٦٣ وكانت في يد البلغار منذ سنة ١٣٤٤ فحصنها السلطان مراد وجعلها قاعدة غزواتهِ

ولم تستطع تلك الممالك الصغيرة ان تتحد على العثمانيين وتمنع تقدمهم في بلادها ولا كان عندها جيش عامل منظم تعتمد عليهِ وكان الخلاف قد استحكم بين الامبراطور يوحنا السادس امبراطور القسطنطينيَّة وابنهِ اندرونيكس فمضى الى مدينة افنيون بفرنسا (وكانت كرسي البابوات من سنة ١٣٠٩ الى سنة ١٣٧٧) لعلهُ يقنع البابا باثارة الامم النصرانية لمقاومة سيل العثمانيين الجارف وعاد معهُ البابا اربانوس الخامس الى رومية حيث التقيا بالامبراطور كارلس الرابع وملكة نابلي وملك قبرس وبطرس الاول صاحب لوزنيان وكانوا ينتظرون قدوم اسطفانوس ملك البوصنه . ولكن سعي الامبراطور يوحنا لم يجدهِ نفعاً وكان شأْنهُ قد انحط الى درجة ان تجار البندقية الذين قرضوهُ الاموال لنفقة سفرهِ الى افنيون قبضوا عليهِ وهو راجع وحبسوهُ في البندقية الى ان يوفي ما عليهِ ولم يشأ ابنهُ اندرونيكس ان يوفي عنهُ هذا الدين لانهُ لجأ الى البابا وانضم الى الكنيسة الرومانية واخيراً اوفى الدين

عنهُ ابنهُ الثاني مانوئيل . فلما عاد الى القسطنطينيَّة حرم ابنهُ اندرونيكس من الملك بعده فمضى وانضم الى صاووجي بن السلطان مراد وكان هذا ايضاً خارجاً على ابيهِ وقبض السلطان مراد على الاثنين فقتل ابنهُ وسمل عيني اندرونيكس لكن اندرونيكس لم يكفَّ عن مناوأة ابيهِ فلجأ الى اهالي جنوى وبمساعدتهم استولى على القسطنطينيَّة وخلع اباهُ وحبسهُ وجلس مكانهُ باسم اندرونيكس الرابع وذلك سنة ١٣٧٦ . وافلت الامبراطور يوحنا من سجن ابنهِ ولجأ الى السلطان مراد فردَّهُ الى عاصمتهِ ثم تصالح مع ابنهِ بعد سنتين لكنهُ خلعهُ من ولاية العهد واعطاها لابنهِ الثاني منوئيل اي ان مملكة الروم كانت حينئذٍ على حافة الخراب وليس عند امبراطورها مال يفي بنفقات سفرهِ الى فرنسا فيستدين من تجار البندقية ثم يحبس في الدين . واذا هرب من ابنهِ لجأ الى سلطان العثمانيين . وكل ما قالهُ ابن بطوطة عن عظمتهِ مبالَغ فيهِ جدًّا

وتقدم السلطان مراد في غزواتهِ غرباً الى مضائق البلقان ثم دار جنوباً الى تساليا ووصل الى ترموبيلي واستعان بهِ روجر حاكم اتيكا على صاحب اثينا فوجه جنودهُ الى طيبة عاصمة اثينا تخاف منهُ امراء البلاد المجاورة . وامر البابا اربانوس اهالي البندقية وكل الاساقفة والمطارنة ان يستعدوا لطوارق الحدثان وانهض همة ملوك المجر والسرب والبوسنه والفلاخ لمقاومة العثمانيين فجمعوا رجالهم وزحفوا الى ان صاروا على يومين من ادرنه لكن العثمانيين بيتوهم ليلة السادس والعشرين من سبتمبر سنة ١٣٧١ ومزقوا شملهم ولا يزال ذلك المكان مسمًّى بما معناهُ اندحار السرب وهذه اول واقعة حارب فيها المجر العثمانيين

وعقب ذلك سنةٌ خمدت فيها نيران الحرب حتى تمكن السلطان المراد من مواصلة فتوحه في اسيا وزوَّج ابنهُ بيازيد بابنة يعقوب خان صاحب قرمان وكان في صداقها مدينة كوتاهيه وغيرها من بلاد السلاجقة . وبعد ذلك وصلت جنودهُ الى حدود بلاد الارناؤوط واستولت على مونستير واستب ووصلت من جهة اخرى الى صوفية وحاصرتها وفتحتها وذلك سنة ١٣٨٣ وهي مفتاح البلغار ومكدونية وتراقية

واخيرًا اجتمع على السلطان مراد السرب والبوسنه والفلاخ والبلغار الذين نجوا بعد خراب بلادهم وكثيرون من الارناؤوط والتقى بهِ احد جنود السرب وهو في ساحة القتال وطعنهُ بخنجر طعنة كانت القاضية وكان ذلك سنة ١٣٨٩ لكن رجالهُ قبضوا على ملك السرب وكثيرين من فرسانهِ وذبحوهم فوقهُ انتقاماً لهُ منهم وخلفهُ ابنهُ السلطان بيازيد فدفنهُ في جامعهِ الذي بناهُ في برصى وقتل اخاهُ يعقوب لكي لا ينازعهُ في الملك

باب الزراعة

انقلاب عظيم في الزراعة

أطلعنا احد النابغين في هذه العاصمة على اكتشاف يقلب نظام الري في هذا القطر قلباً ويصرف رجال الري عن الاعمال التي ينوون عملها في اعالي السودان ويوفر على القطر المصري ملايين كثيرة من الجنيهات

وهذا الاكتشاف هو ان مياه السواقي (النواعير) التي عمقها من مترين الى عشرة امتار تحتوي من المواد المغذية للنبات اكثر مما تحتويهِ مياه النيل في زمن الفيضان واكثر كثيراً مما تحتويهِ مياه النيل في غير وقت الفيضان ومياه الآبار الارتوازية. بل هذه الاخيرة لا تحتوي شيئاً من المواد المغذية للنبات. ولما حلل علماء الكيمياء في اوربا مياه السواقي المصرية التي بعث بها اليهم عجبوا من مقدار ما فيها من المواد المغذية وقالوا انها اجود مياه رأوها للري وقد ثبت ذلك لدى كبار رجال الري في هذا القطر حتى لم تبقَ شبهة فيهِ

والظاهر ان الفلاحين يعلمون ان مياه السواقي تفيد الزراعة جدًّا حتى لو كانت الارض رملاً قاحلاً فان الماء المستخرج عن عمق بضعة امتار يحييها ويجعل المزروعات تجود فيها. ولكن الساقية الواحدة لا تروي الأ خمسة افدنة الى عشرة فلا يمكن حفر السواقي الكافية لالف فدان الأ بنفقة كبيرة جدًّا ولا يمكن الري منها الأ بنفقة اكبر اما الرجل الذي انتبه لهذا الامر والفت اليهِ انظار مصلحة الري فاستنبط اسلوباً لاستخراج الماء الغزير بنفقة قليلة وهو مهتمٌّ الآن بامتحان هذا الاسلوب

والظاهر ان احد العلماء انتبه لذلك في بلاد الهند فقد رأينا في تقرير رسمي من بلاد الهند صدر في اوائل هذا العام ان مياه الآبار او السواقي كثيرة المواد التي يغتذي بها النبات. وقال غيرهُ ان النبات لا يغتذي من التراب بل من الهواء والمواد الذائبة في الماء وما التراب سوى منزل لهُ ينبت فيهِ لكي يغتذي من الهواء الذي فوقهُ والهواء والماء اللذين يتخللان التراب

فاذا اثبت الامتحان صحة ما انتبه لهُ المكتشف لم تبقَ صعوبة في ري كل الاطيان البور التي في القطر المصري وكل الرمال المنتشرة حولهُ ولو كانت اعلى من ماء النيل فانها

لا تخلو من الماء العذب تحتها واذا وُجد ماءٌ الى عمق عشرة امتار فانهُ يسهل رفعهُ منها وارواؤُها بهِ بنفقة قليلة وقد لا يزيد ري الفدان الواحد على نصف جنيه في السنة

ثم اذا اثبت الامتحان صحة ما اكتشفهُ هذا الرجل وحققهُ بالبحث الكثير فهو يستحق ان تعطيهُ الحكومة المصرية مئة الف جنيه او تهبهُ عشرة آلاف فدان من اطيانها البور لكي يمتحن اسلوبهُ فيها ويمتلكها اذا ثبت لها نجاحهُ

وقد ارانا من الحرارات الرسمية التي معهُ ان بعض رجال الحكومة مهتمٌّ باكتشافهِ هذا فعليهم ان لا يقفوا عند حد الاهتمام والكتابة بل عليهم ان يدخلوا في الموضوع ويساعدوهُ على التجارب الكبيرة لان هذا الاكتشاف هامٌّ جدًّا واذا صحَّ فقيمتهُ للقطر المصري تقدَّر بملايين الجنيهات

خصب بلاد الشام

كنا نعجب بالامس بما بلغهُ محصول بعض الاطيان الخصيبة من الذرة الشامية فان متوسط محصول الفدان منها بلغ نحو ثلاثة عشر اردبًّا او نحو خمسين ضعف التقاوي التي زُرعت فيهِ لانهُ يزرع في الفدان عادة نحو ربع اردب وقد بلغ محصول بعض الافدنة ١٥ اردبًّا اي زاد محصولها على التقاوي ستين ضعفاً . فاخبرنا احد الذين سمعوا ذلك انهُ وجد بالاختبار ان فدان الارض حوالي الحولة في بلاد الشام يغل مئة ضعف فاذا زرعت اردبًّا من التقاوي بلغت غلتهُ مئة اردب عدا ما تأكلهُ منهُ السابلة وما يؤكل اخضر وانهُ يكون في العود الواحد ثلاث سنابل (اكواز) او اربع او اكثر وذلك ليس نادرًا اي ان محصول الفدان المصري يبلغ ٢٥ اردبًّا . والظاهر ان سبب هذا الخصب الكثير ان التراب في بلاد الشام كثير المواد الآلية وكذلك ماء الانهار والسوافي . وليس في الارض املاح تضرُّ النبات على الاطلاق وهي لتحدُّرها تستغني عن المصارف فتبقى جافَّة خالية من العفونة ولا تحتاج لاتساع الزراعة فيها الاَّ تأمين الناس على مزروعاتهم وممتلكاتهم واخذ الاموال الاميريَّة منهم بالعدل والتؤدة وعمل الاعمال اللازمة لاتساع نطاق الري الصيفي

تعاقب المزروعات

مهما اطنبنا في وصف الزراعة والحث على اتقانها لا نوفيها حقها لانها اكبر مورد من موارد الرزق بل هي في هذا القطر المورد الوحيد لهُ . ولها اركان كثيرة كالحرث والري والسماد

ومن اكبر اركانها تعاقب المزروعات لانهُ اذا تكررت الزراعة الواحدة على ارض واحدة سنة بعد سنة ضعفت تلك الارض ولم تعد تلك الزراعة تجود فيها كأنها تفقرها في بعض المواد التي تغتذي منها او تفرز فيها مواد تضرها او يحدث فيها الامران كلاهما فلا تعود تلك الزراعة تجود فيها الاَّ اذا تركت بغير زراعة او زرعت زراعة اخرى مدة سنة او سنتين او سمدت بسماد كثير الغذاء

وقد انتبه الناس الى فائدة تعاقب المزروعات من عهد قديم جدًّا فقد ذكر زنوفون القائد والمؤرخ اليوناني الذي نشأ بين سنة ٤٣٠ و ٣٥٤ قبل المسيح ان الارض كانت تزرع سنة قمحاً وتبور سنة بعدها ثم تزرع قمحاً وهكذا حتى يجود القمح فيها . والظاهر ان الروم كانوا يفعلون مثل ذلك فقد جاء في كتاب الفلاحة الرومية الذي ترجمهُ الى العربية سرجس بن هليا الرومي نقلاً عن ديمقراطس انهُ كان لهُ ثلاث بقع طيبات فكان يزرع كل واحدة منهنَّ عاماً ويتركها عامين . ثم اهتدى الناس الى المعاقبة بين المزروعات فقد ذكر الكتَّاب الرومانيون ان الناس في عهدهم كانوا يعاقبون بين القمح والقطاني فيزرعون الارض سنة قطاني كالفول وسنة قمحاً . ولم يكن يعلم سبب ذلك اما الآن فثبت ان زرع القطاني يفيد الارض لانها تستمد النيتروجين من الهواء وتذخرهُ في جذورها التي تبقى في الارض

ولا يخفى ان انواع المزروعات التي يجب المبادلة بينها تختلف باختلاف البلاد والاقاليم والارض ونفقات الزراعة والمراد منها . فالقاعدة التي توضع لفرنسا لا يصح وضعها للقطر المصري والتي تصح للوجه البحري من هذا القطر لا تصح للوجه القبلي بل التي تصح في المديرية الواحدة قد لا تصح في المديرية الاخرى او التي تصح في هذه الارض قد لا تصح في ارض تجاورها لانهُ ينظر في الزراعة الى امور كثيرة كالاقليم ونوع التربة وسهولة الري ورواج المحصول وكثرة الانفار وما اشبه . وقد وضع بعضهم ترتيباً جرى عليهِ في بعض اطيان الغربيَّة وهو هذا لنفرض ان فلاَّحاً استأجر ثلاثة افدنة واراد ان يزرعها من باب الثلث فتقسم هكذا

	الفدان الاول	الفدان الثاني	الفدان الثالث
السنة الاولى	برسيم وبعدهُ قطن	قمح وبعدهُ برسيم	برسيم وبعدهُ ذرة
السنة الثانية	برسيم وبعدهُ ذرة	برسيم وبعدهُ قطن	قمح وبعدهُ برسيم
السنة الثالثة	قمح وبعدهُ برسيم	برسيم وبعدهُ ذرة	برسيم وبعدهُ قطن

اي ان المزروعات تتعاقب هكذا قطن ذرة قمح قطن ذرة قمح الخ ويفصل البرسيم بينها كلها

ومعلوم ان هذا الترتيب لا يصلح في اراضي الصعيد التي لا تزرع زراعة صيفيَّة ولا في الاراضي المالحة التي يراد زرع الرز فيها مرةً كل سنتين او ثلاث

وقد اهتمَّ علماء الزراعة في اوربا بالبحث عن المزروعات المختلفة وما تستمدُّهُ من الارض وما تبقيهِ فيها ليضعوا لتعاقب المزروعات قاعدة عمليَّة غير قاعدة الاختبار فوجدوا اموراً كثيرة نذكر بعضها في ما يلي

(١) ان البرسيم وما اشبه من المزروعات تزيد المواد المغذية في الارض وجذورها الطويلة واوراقها التي تبلى في الارض اذا قلبت وهي فيها تجعل في الارض مداخل يتخللها الهواء ويساعد على نمو الميكروبات المفيدة للزراعة فيها وعلى حفظ الرطوبة اللازمة حول الجذور

(٢) زرعت ارض قطاني خمسين سنة متوالية ثم زرعت قمحاً خمس سنوات متوالية فكان متوسط محصول الفدان منها ٢٥ بشلاً (نحو خمسة ارادب) اما الارض التي كانت تزرع سنة وتبوَّر سنة مدة خمسين سنة فبلغ محصول الفدان منها بعد خمسين سنة نحو اردب ونصف لا غير والارضان من نوع واحد

(٣) ان بعض المزروعات تساعد على ظهور الحشرات وكثرتها فيجب الانتباه لذلك والعدول عن زرعها استئصالاً للحشرات اما في القطر المصري فالاعتماد في مقاومة الحشرات على الاحداث الجوية . ظهر الدود في البرسيم في شهر اكتوبر الماضي وما توسط نوفمبر حتى كاد يتلفهُ كلهُ واضطرَّ اصحاب المواشي ان يفتشوا عن علف آخر لها والاَّ ماتت جوعاً فبلغ ثمن حمل التبن مئة واربعين غرشاً وهو لا يباع عادة في مثل هذا الوقت باكثر من ستين او سبعين غرشاً . ثم اشتدَّ البرد بغتة في اواسط نوفمبر فامات الدود كلهُ وعاد البرسيم الى النمو . ولو اجتمعت قوات القطر المصري كلها لعجزت على اهلاك الدود فاهلكهُ البرد في يومين او ثلاثة

(٤) ان مقدار الماء اللازم لري المزروعات يختلف باختلافها فيجب ان تتعاقب على صورة يصير بها الماء الذي يمكن الحصول عليهِ كافياً لها

(٥) ظهر من التجارب في رثامستد ببلاد الانكليز ان متوسط محصول الفدان من القمح في ارض زُرع القمح فيها ستين سنة متوالية من غير سماد نحو اردبين ونصف اردب ومتوسطهُ في ارض مثلها مع التعاقب خمسة ارادب . وزرع القمح والشعير والبرسيم والفول والجذور في ارض بالتعاقب من غير سماد مدة ٣٩ سنة اي زرع القمح فيها ١٣ سنة والشعير ١٣ سنة وبقية المزروعات ١٣ سنة بالتعاقب فكان ثمن محصول القمح ٥٠٢٥ غرشاً وثمن محصول الشعير ٣٣٠ غرشاً وثمن محصول البرسيم والفول والجذور ٣٣٤٠ غرشاً والجملة ١١٦٥٥

غرشاً اي كان المتوسط السنوي ٣٠٠ غرش لكل فدان اما الارض التي بقيت تزرع قمحاً فقط ٣٩ سنة متوالية فبلغ ثمن محصولها السنوي ١٩٢ غرشاً عن كل فدان والتي زرعت شعيرًا فقط بلغ ثمن محصولها السنوي ١٦٧ غرشاً عن كل فدان

ويظهر لنا من مراقبة احوال المزروعات في القطر المصري ان اهمية تعاقب المزروعات متوقفة على مياه الري فاذا كانت الاطيان تروى بمياه النيل الصافية او بمياه الآبار الارتوازية فالري الصيفي المتكرر يتعبها لانهُ يبقي فيها املاحاً كثيرة كانت في الماء وهذا سبب تعبها من تكرار زرع القطن فيها ولكن اذا رويت بمياه السواقي او بمياه مجلبة من طبقات الارض العليا فالري الصيفي لا يبقي فيها املاحاً كثيرة فاننا رأينا اطياناً زرعت قطناً سنوات كثيرة متوالية ولا يزال القطن يجود فيها جودة تفوق الحد حتى يقل لوزهُ لكثرة نموهِ وهي تروى من النيل نفسهِ وقت الفيضان ومن مكان عميق فيهِ تحلب اليهِ المياه وقت التحاريق كأنها تروى حينئذٍ من ساقية (ناعورة) فاذا ثبت هذا الامر وثبت ان مياه السواقي لا تتعب الارض ولو زرعت قطناً سنة بعد سنة انحل مشكل من اكبر المشاكل وهو كيف توسع زراعة القطن في هذا القطر ويبقى ماء الري كافياً لهُ وتبقى الاطيان على جودتها

المزروعات والميكروبات

عود الى النيترو بكتيرين

ابنا في عدد سابق ان الدكتور بوتملي اكتشف الميكروب الذي يساعد نباتات الفصيلة القرنية كالفول والحمص والبرسيم على اخذ النيتروجين من الهواء وتغذيتها بهِ وقد اكتشف هذا الاستاذ الآن ميكروبات اخرى تساعد القمح والشعير وغيرهما من المزروعات وتزيد خصبها. وقابلهُ المستر ستد صاحب مجلة المجلات الانكليزية وحادثهُ في هذا الموضوع ونشر خلاصة حديثهِ معهُ في مجلتهِ فرأينا ان نترجم عنها لما فيهِ من الفائدة الكبيرة لكل المشتغلين بالزراعة

المستر ستد — أتستطيع ايها الاستاذ ان تذكر لي في جملة واحدة نتيجة امتحانات هذه السنة

الاستاذ بتملي — كلاَّ لانهُ لم يصل اليَّ حتى الآن عشر نتائج هذه الامتحانات

— ولكن ماذا ثبت لك مما وصل اليك حتى الآن منها

— ثبت لي اولاً انهُ اذا كانت الارض مفتقرة الى المواد المغذية وهي مع ذلك صالحة لنمو المزروعات التي من فصيلة القطاني فالنيترو بكتيرين يفعل فيها العجائب فيزيد محصولها

ويبقى فيها غذاء جديداً للموسم التالي . واذا لم تظهر فائدة من استعمال النيترو بكتيرين فيكون ذلك اما لأن الارض غير محتاجة اليهِ لشدة خصبها او لانهُ لم يستعمل حسب التعليمات المرسلة معهُ ولكن اذا كانت الارض قليلة الخصب واستعمل النيترو بكتيرين حسب التعليمات المعطاة فالفائدة منهُ كبيرة جداً

— ما هي افضل الطرق لاستعمالهِ

— تطعيم البذار بهِ اولاً ثم رشهُ على الزرع حالما ينبت . وقد يكفي تطعيم البذار بهِ من غير رشهِ على الزرع ولكن الرش مع التطعيم يحققان النجاح

— هل اكتشفت شيئاً جديداً بعد ما اكتشفتهُ في العام الماضي

— نعم اكتشفت اكتشافاً اهم من الاكتشاف السابق . فقد تتذكر اني قلت ان الميكروب الذي اكتشفتهُ اولاً لا ينفع كل المزروعات ولكنهُ ينفع القطاني فقط . ثم اكتشفت ميكروبات اخرى ووزعتها للامتحان فاخذ واحد الميكروب الذي يجود بهِ البصل وقسم قطعة من الارض قسمين متساويين وزرعهما بصلاً وعالج بصل القطعة الواحدة بهذا الميكروب ولم يعالج بصل القطعة الثانية فوجد ان محصول القطعة التي عالجها بالميكروب زاد ٣٩ في المئة على محصول القطعة التي لم يعالجها وبصل الاولى اكبر واجود . وعالج آخر الفرولا (الستروبري) بميكروب اكتشفتهُ لهُ فاعطى موسمين والذي لم يعالج اعطى موسماً واحداً وهو مزروع الى جانبهِ . وعالج آخر بعض الازهار بميكروب اكتشفتهُ لها فبكَّر زهرها وطالت مدة ازهارها

— هذا اكتشاف بديع جداً ولكن الم تجد ميكروبات تفيد الحبوب كالقمح والشعير

— ان الذين جربوا الميكروب الاول في زراعة الحبوب يؤكدون انهُ يفيدها اكثر مما يفيد القطاني ولكنَّ فعلهُ بها يختلف عن فعلهِ بالقطاني فانهُ في القطاني يولّد في جذورها الثآليل التي تتجمع فيها المواد النيتروجينيَّة من الهواء اما في القطاني فيولّد مادة غروية حول جذورها اكثرها من الاميد

— ما هو هذا الاميد

— اننا لا نعلم كيف يستحيل النيتروجين الى ازهار واثمار وبزور ولكننا نعلم انهُ لا بدَّ لهذه من النيتروجين وهي لا تستطيع ان تمتصهُ نقياً كما هو في الهواء ولا بدَّ لهُ من ان يستحيل اولاً الى نيترات (اي ملح مركب من النيتروجين والاكسجين ومادة اخرى كالصودا او البوتاسا) والنيترات يستحيل الى اميد والاميد الى بروتيد والبروتيد الى بروتوبلازم .

والفائدة من وضع ميكروباتنا في الارض انها تأخذ النيتروجين من الهواء وتحولهُ الى اميد دفعةً واحدةً من غير حاجة الى استعمال النيترات فهو يغني عن السماد الطبيعي والكيماوي ويحول نيتروجين الهواء الى اميد رأساً فكأنهُ يختصر طريق التغذية

— وهل يفيد الاميد في الحبوب كما تفيد الثآليل في القطاني

— يظهر من التجارب في الشعير انهُ يفيد جدًّا فقد بلغ الشعير باكرًا وجاء كثير الحب والتبن واجود من الشعير الذي لم يستعمل لهُ هذا الميكروب

— هل ميكروب القطاني مثل ميكروب الحبوب

— كلاَّ ولكنهما يستعملان على اسلوب واحد

انتهى حديث المستر ستد . وخلاصتهُ ان الاستاذ بتلي اكتشف ميكروبات كثيرة تغني الاراضي الزراعية عن السماد وتفيد المزروعات فائدة كبيرة وهذه الميكروبات تباع الآن في بلاد الانكليز وترسل معها تعليمات لكيفيَّة استعمالها

الزراعة المصرية منذ مئة عام

(٣) زراعة الارزّ

إنما يزرع الارز في شمالي الوجه البحري بين البحيرات التي في اقصاهُ شمالاً وبين خط يقطع الدلتا من الرحمانيَّة على فرع النيل الغربي الى المنصورة على فرعهِ الشرقي

وتسهل في تلك الجهات زراعة الارز التي تستلزم ماء كثيرًا لعدم انخفاض النيل هناك اكثر من متر او متر ونصف في زمن التحاريق

وتروى الارض بواسطة السواقي فيستخدمون ثلاث سواقٍ لكل عشرة افدنة . اما في رشيد حيث الارض كثيرة الانخفاض فيكفي لري العشرة افدنة ساقية واحدة يديرها ثور او ثوران تبعاً لكبرها وصغرها . ويقتضى لتشغيل الساقية الصغيرة اربعة ثيران ولتشغيل الكبيرة ستة ثيران تتبادل عليها يومياً . ويستخدم لكل ساقية نفران يتعاقبان على ادارتها والاعتناء ببهائمها

يبتدئ زرع الارزّ في اوائل شهر ابريل . وتوطئةً لذلك يملأُون قفقاً من "التقاوي" ينقعونها في الماء خمسة ايام او ستة حتى تتشرَّب الحبوب منهُ جيدًا فيفرشونها على حصر ويكومونها كوماً صغيرةً يغطونها "بالقش" الى ان تحمى فيبذرونها في الارض وهي بعد

في حالة وحلية . ويهيئون الارض للزرع بان يبقوها مغمورة بالماء عدة ايام وبعد ذلك يحرثونها ثلاث دفعات ثم يعيدون ريها ويمهدون سطحها بجذع من النخل يجره ثوران عرضاً . ثم يسوّونها بالمحفة وهي بعد في قوام الوحل ويزرعون اردباً من " التقاوي " في كل فدان مساحتهُ ٤٠٠ قصبة وذلك مضاعف ما يزرع قمحاً

وبعد القاء البذار بثمانٍ واربعين ساعة يروون الارض الى علوّ نحو خمسة سنتيمترات ويتركون الماء عليها يومين او ثلاثة ثم يصرفونهُ ويعيدون سقيها . بنفس هذه الطريقة التي يكررونها حتى وقت الجني

وفي اواخر شهر يوليو يقتلعون نحو نصف هذه المزروعات ويغرسونهُ في اراضٍ سبق زرعها قمحاً في غير ذلك الفصل . ولهذا السبب يزرعون ضعفين من التقاوي كما ذكرنا

وفي غالب الجهات تكون الاراضي التي ينقلون اليها نبات الارز قريبة . غير ان نبات الارز الذي يزرع في المنزلة يؤتى بهِ اعتيادياً من فارسكور بقوارب تسير في البحيرة

واجرة غرس الفدان نحو خمسة فرنكات . واجرة القلع والنقل والغرس جميعاً في نواحي رشيد ١٦ فرنكاً لكل فدان

ويستغلون الارز في اواسط نوفمبر اي بعد زرعهِ بسبعة اشهر . فيُسقى في اثناء الثلاثة اشهر الاولى بالآلات وبعد ذلك يروى بماء الفيضان

وطريقة حصدهِ ودرسهِ وتذريتهِ لا تختلف عما ذكرناهُ في الكلام عن زراعة الحنطة

ويلزم لدرس محصول الفدان بالنورج عمل ثمانية فعلة واربعة ثيران اربعاً وعشرين ساعة واجرة الفاعل $\frac{1}{3}$ من الاردب ارزاً . ويجني بذار الفدان في جهات دمياط والمنصورة والمنزلة نحو ثمانية عشر ضعفاً . وفي رشيد وسائر انحاء الدلتا نحو ستة عشر ضعفاً

ومما يستحق الذكر ان جني الارز قد ينحط الى ستة اضعاف فقط في زمن المحل ويبلغ نحو ٣٢ ضعفاً في سني الإقبال

اما " قش " الارز فيستعمل وقوداً لان شدة صلابتهِ تحول دون درسهِ ناعماً فلا يصلح علفاً

ويشتري تجار دمياط ورشيد محصول الارز من البيادر وهم يقومون بتنظيفهِ وقشرهِ وقصرهِ بآلات معدة لذلك

ومتوسط ثمن اردب الارز سبعون فرنكاً غير انهُ يختلف كثيراً تبعاً للرواج والكساد . ففي مدة احتلال الجيش الفرنساوي للقطر المصري هبط سعر الاردب في رشيد الى ٣٨ فرنكاً

زراعة الفلفل

انشأ المستر برون سكرتير جمعية الزراعة التجارية مقالة في زراعة الفلفل (الفليفلة) قال فيها ان اصل الفلفل من اميركا الجنوبيَّة ولكنهُ يزرع الآن في كل المنطقة الحارَّة . واهالي اوربا يجلبون الفلفل الحار من افريقية والهند واليابان ويضعونهُ مع المخللات وقد تبلغ غلة الفدان في جزائر الهند الغربيَّة ١٩٠٠ اقة من قرون الفلفل اليابس ويبلغ ثمن الاقة غرشين الى ثلاثة غروش ونصف . والذي يزرع منهُ في مصر يسمَّى شطة وهو ثلاثة اشكال شكل اصفر وشكلان احمران وزراعتهُ في القطر المصري قليلة جدًّا ويمكن ان تتسع لانهُ يجود فيهِ كثيرًا ولكن الطلب عليهِ قليل محدود فلا ينتظر ان تتسع زراعتهُ كثيرًا . ويباع مسحوق الفلفل الاحمر ليستعمل في الطعام ولكنهُ قلما يكون نقيًّا فلو جففت الشطة وسحقت واضيف الى كل اربع اواقي منها اوقية من الملح الجاف المسخَّن في الفرن لكان من ذلك مسحوق جيد خالٍ من الغش

والفلفل البلدي الذي تصنع منهُ المخللات يباع القنطار منهُ بخمسة عشرغرشًا الى ثلاثين ويبلغ محصول الفدان منهُ نحو اربعين جنيهًا او اكثر . والفلفل الحلو نوع منهُ يؤكل اخضر في الغالب وتباع المئة منهُ بقرشين ونصف الى اربعة غروش

وزراعة الفلفل سهلة جدًّا يبذر بزرهُ في شهر مارس او قبل ذلك اذا كانت الارض موقية من البرد ولا بدَّ من ان تكون قد حرثت جيدًا ونعم ترابها ثم تنقل النباتات من هذه الترقيدة وتزرع في الارض المعدَّة لها في شهر مايو . واذا كانت الارض خصبة فلا داعي لتسميدها واما اذا كانت ضعيفة فلا بد لها من السماد حين حرثها قبل زرع النبات فيها ويجعل البعد بين كل تلم والذي يليهِ ٩٠ سنتيمترًا اي يجعل في القصبة اربعة خطوط تخطط اولاً بالمحراث ثم تكمل بالفاس وتروى اولاً ثم يزرع النبات فيها باليد اي بالابهام والاصبع التي تليهِ . ويحسن ان تقلع الشجيرات من الترقيدة ومعها شيء من التراب عالق بجذورها وتزرع كذلك ويكون الزرع على جانب واحد من جانبي الخط والبعد بين كل شجيرة والتي تليها نصف متر ثم تروى الخطوط بعد الغرس وتنزع الحشائش منها من وقت الى آخر وتعزق ما دام النبات صغيرًا ومتى كبرت الشجيرات قليلاً تسمَّد بالسباخ البلدي اذا لم تسمد وقت غرسها وتقلب الارض من جانب الخط المقابل حتى تغطي جذورها وبعد نحو ٦٥ يومًا من يوم الغرس يجنى الفلفل ويستمر جناهُ الى آخر نوفمبر وقد يكثر الحمل حتى يكسر

الاغصان فيجب ان تسند بعيدان من الخشب

وقد يترك الفلفل البلدي في الارض ثلاث سنوات او اربع سنوات ولكن زرع الفلفل جديداً كل سنة اربح وكذلك الفلفل الحلو قد يترك سنتين في الارض ويسمّى عقراً ولكن يصغر ثمرهُ في السنة الثانية غير انهُ يثمر قبل العروس (اي الجديد) فيباع حينما يكون الثمن غالياً ولا بدَّ من انتقاء احسن القرون لاجل التقاوي وتترك على الشجرة حتى تنضج جيداً



قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

النساء وتمريض المرضى

فُتح في الشهر الماضي مكانان في هذه العاصمة لتعليم النساء او البنات تمريض المرضى والغاية منهما من افضل الغايات لان التمريض لا يقل فائدة عن التطبيب او هو يفوقهُ من بعض الوجوه

ولتعليم البنات صناعة التمريض شأن كبير في اوربا واميركا من وجه معاشي لان البنات يتعاطين الاعمال لتحصيل معاشهنَّ . وهو في اعتقادنا خطأ جرى عليهِ الاوربيون والاميركيون ولا بدَّ من عدولهم عنهُ وقتاً ما ومع ذلك فتعليم صناعة التمريض للبنات من الامور اللازمة لتدبير المنزل ولو لم يكن لازماً لتحصيل المعيشة . فان المرأة خلقت لتكون زوجةً ووالدة ومربية لاولادها ومدبرة لبيتها وذلك افضل لصحتها وراحتها ورفاهتها من تعاطيها اي عمل آخر غيرهُ . وتربيتها لاولادها وتدبيرها لبيتها يستلزمان ان تعرف كيف تمرّض زوجها واولادها اذا مرضوا وهي اكبر مساعد للطبيب في ذلك فيجب ان تتعلم صناعة التمريض كما تتعلم الطبخ والخياطة بل كما تتعلم القراءة والكتابة وقد كانت النساء ممرّضات وقوابل قبلما شاع تعليمهنَّ القراءة والكتابة . ولا ينتظر ان تبرع كل امرأة في صناعة التمريض كما لا ينتظر

ان يبرع كل رجل في اي عمل كان ولكن النساء المستعدات بالفطرة يبرعن في التمريض ويساعدن جيرانهنَّ

اذا اتضح ذلك فيكون من المفيد لكل بلاد ان يكون فيها مدارس متصلة بالمستشفيات لتعليم فن التمريض يرسل اليها بنات المدارس ليسمعنَ فيها الخطب في فن التمريض ويشاهدن تطبيقهُ على العمل في تمريض المرضى . فالمائلات منهنَّ الى هذا الفن يرغبنَ فيهِ ويتقنهُ وغير المائلات اليهِ يتعلمنَ منهُ ما يفيدهن في بيوتهنَّ . ولا داعي لان ينقطع كثيرات من البنات للتمريض كصناعة لاجل المعيشة سواء ملنَ اليهِ او لم يملنَ ويكفيهنَّ ان يتعلمن مبادئهُ ويتمرنَّ عليهِ كما يتعلمنَ مبادئ العلوم والفنون حتى يستطعنَ ان يمارسنهُ مع اعمالهنَّ المنزلية اذا مست الحاجة الى ذلك

الهواء النقي من غير رطوبة

اذا كنت ساكناً في مكان رطب الهواء واردت ان يدخل غرفتك هواء نقي من غير رطوبة فافتح الشباك وضع فيهِ برواز ًا يملأهُ كلهُ وشدَّ عليهِ قطعةً من الفلانلا فيدخل الهواء من ثقوب الفلانلا وقد تنقَّى من الرطوبة التي فيهِ

تليين الكفوف

اذا رأيت كفوف الجلد جافة صلبة فبلَّ منشفة بقليل من الماء وضع الكفوف بين طيَّاتها واتركها فيها ساعة من الزمان فتترطَّب قليلاً وتلين ويسهل لبسها من غير ان تتمزَّق

دواء بسيط للارق

يقال ان شراب البصل يزيل الارق ويمكن عملهُ في البيت هكذا : — ضع بصلة كبيرة في قدر من الخزف وغطها بالسكر وضعها في فرن اربع ساعات او خمس ساعات واعصرها فيخرج منها شراب اذا شربت منهُ معلقة حينما تقلق ليلاً فالغالب انهُ يزيل قلقك

فوائد منزلية

اغسل وجهك جيداً قبلما تنام ويحسن ان تغسلهُ بماء فاتر أُضيف اليهِ نقط قليلة من صبغة البنزوين

لتكن غرف النوم اوسع غرف البيت واكثرها انطلاقاً للهواء وتعرضاً للنور . ويجب ان يبقى شباك من شبابيك غرفة النوم مفتوحاً قليلاً من اعلاهُ واسفلهِ لتجديد الهواء ولو في اشد ايام البرد

ساعة نوم قبل نصف الليل خير من ثلاث ساعات بعده . وخير الاوقات للنوم من الساعة العاشرة مساء الى السادسة صباحاً . وما من امرأة تستطيع ان تحفظ جمال منظرها من غير ان تنام باكرًا وتنام نوماً كافياً كل ليلة

اذا مالت اليدان للقشب والتشقق فاغسلهما بعصير الليمون الحامض يومياً ونشفهما جيداً

اذا تعبت عيناك فاغسلهما بالماء والملح واذا تعبت رجلاك فاغسلهما بماء فاتر فيهِ كثير من الملح

اذا فركت لثة اسنانك بقطعة من الليمون الحامض امتنع تكون الطرطير على الاسنان وزال ما كان متكوناً منهُ

الرياضة الكثيرة في الهواء النقي وشرب الكثير من الماء النقي يزيدان بشاشة الوجه ويزيلان ما يبدو عليهِ من امارات الكدر

الغذاء في البيض

في البيض كل مواد الغذاء اللازمة للحيوان وليس فيهِ شيء من المواد الضارة اذا كان جديداً ولكن اذا عتق تتولد فيهِ مواد سامة ولذلك لا يجوز اطعام البيض للمرضى والناقهين الاَّ اذا كان جديداً واذا كان وزن البيضة ١٢ درهماً فثمانية دراهم منها بياض واربعة صفار . وستة اسباع البياض ماء والسبع الباقي زلال . ونصف الصفار ماء وثلثهُ دهن وسدسهُ زلال . وفي البيض كبريت وصوديوم وحديد وكلس وفصفور . وبعض الناس لا يستطيعون اكل البيض مطلقاً اما لانهم يكرهون طعمهُ او لانهُ يضرهم ولكن الاكثرين يستطيبونهُ وفي البيضتين من الغذاء ما يكفي لطعام الصباح او الظهر اذا اكلتا مع الخبز وقليل من الملح

اوقات الطعام

لما كان اليونان والرومان في اوج مجدهم كانوا يأكلون مرة واحدة في اليوم اي في العشاء وظل ذلك شأنهم وشأن كل الامم المتمدنة القاطنة على سواحل بحر الروم قروناً كثيرة ولم يكونوا يأكلون شيئاً في وسط النهار واما في الصباح فكان الواحد منهم يأكل تينة او

قليلاً من حبوب العنب او كسرة خبز اما العشاء فكان مثل وليمة لاهل البيت جزاء تعب النهار وكثيرًا ما كان يصحب بالغناء · وبمثل ذلك اشار الحكيم العربي حيث قال

اجعل طعامك كل يوم مرة   واحذر طعاماً قبل هضم طعام

والذين يشتغلون اشغالاً عقلية ولا يعملون اعمالاً تتعب ابدانهم كثيرًا لا يجدون اقل مشقة من الاكتفاء بالاكل مرة واحدة في اليوم ولو اعتادوا الاكل مرتين او ثلاثًا بل قد يجدون اكبر راحة يوم يضطرون الى الانقطاع من الطعام بسبب من الاسباب اما الذين يعملون اعمالاً شاقة فالاكل مرة واحدة لا يكفيهم غالبًا ولا بد لهم من الاكل مرتين او ثلاثًا في اليوم

والعادة التي كانت متبعة عندنا ولا تزال متبعة في اكثر البلدان الاوربية هي جعل الاكل مرتين في النهار الظهر والمساء اما في الصباح فيكتفى بفنجان من القهوة او كسرة من الخبز والجبن · وأكل الظهر خفيف وهو من الخبز وقليل من الادام والاعتماد كلهُ على العشاء بعد الانتهاء من عمل النهار · والذين يجرون هذا المجرى يتطرفون احيانًا في فطور الصباح فيزيدونهُ كمية والوانًا حتى يصير كطعام الظهر او اكثر

ويأتي بعد هؤلاء الانكليز والالمان ومن جرى مجراهم وهم يأكلون اربع مرات في النهار في الصباح والظهر والعصر والمساء . ويظهر بالاستقراء انهُ لا يحسن ادخال طعام على طعام مالم يهضم الطعام الاول جيدًا . والمدة الكافية لهضمهِ تختلف حسب نوعهِ وصحة الآكل وعاداتهِ والغالب ان الطعام السائل يهضم في وقت قصير جدًا والجامد يقتضي خمس ساعات الى سبع فاذا كان عمل الانسان بدنيًا فلا بد لهُ من الطعام الكافي في الصباح وفي الظهر ايضًا عدا العشاء واذا كان شغلهُ عقليًا فيكفي ان يأكل في الصباح طعامًا خفيفًا كاللبن والزبدة مع الخبز وفي الظهر طعامًا أخف منهُ كاللبن والمرق ويبقى الطعام الثقيل الكافي الى العشاء اما أكل الطعام الغليظ الظهر فيلبك المعدة ويمنع الانسان من الاشغال العقلية . ولو اعتاد الذين يشتغلون الاشغال العقلية ان لا يأكلوا الاَّ في المساء لكان ذلك اصلح لهم

والغالب ان المترفهين والاغنياء يأكلون اكثر مما تحتاج اليهِ ابدانهم فينالون جزاء شرههم التخمة وضعف الهضم وما يتبعهما من ضعف الصحة وضيق الخلق والتعرُّض للامراض الكثيرة

باب التقريظ والانتقاد

المباحث

لم يكد القلم ينفك من عقاله في بلاد الشام حتى اعلن صديقانا العالمان العاملان والكاتبان المشهوران جرجي افندي وصموئيل افندي يني عزمهما على انشاء مجلة باسم " المباحث " تكون علمية ادبية سياسية فكاهية تصدر مرتين في الشهر. وقد اصدرا العدد الاول منها في منتصف نوفمبر حافلاً بالمقالات العلمية والادبية ففيه بعد الديباجة مقالة في تاريخ الشورى قالا فيها " ان اليونان في اثينا كانوا يعقدون مجلساً عاماً ينتخبون فيه رجال الندوة العليا ويعينون الحكام وكان هذا المجلس يؤلف من جميع مراتب الاهلين واما في سبارتا فان الندوة العليا كانت تؤلف من ثلاثين رجلاً منهم رجلان يتوليان الملك معاً. على ان انتخاب اعضاء هذه الندوة كان يتم بما يشعر به المنتخبون من ميل الناس لهذا المرشح او ذاك فكان الانتخاب عام بين القوم. الأ ان ثمت مواضع ضعف في هذه السنة القديمة ليس هذا مجال بيانها ولسنا من القائلين بان تلك المجالس كانت في شيء من الشؤون الحقة ولا هي مؤيدة لحقوق اصحابها تأييداً تماثله سنن العصر او تدعو اليه حاجة الحضارة. اما الرومان فان في نظامهم القديم لمحاً الى الحكومة الشوروية فان الامة عند بدء امرها كانت مؤلفة من ثلاثة قبائل هي الرومانية والسابية والالبية وكل واحدة منها تقسم الى عشرة بطون كان يقال لها عندهم Curia ويقسم كل بطن الى عشرة افخاذ فمجموع الاقسام ثلثمئة فكان يجتمع من كل فخذ رئيسه فيتألف من الاجتماع دار الندوة الاعلى (السناتو) على ان هذه الندوة لم يكن في بادئ الامر من خصائصها ان تسن القوانين وانما كان شأنها ان تشور على الملك بما تراه حسناً. وكان الملك زعيم الامة وقائد جيشها واكبر قضاتها وحبرها الاعظم ان شاء ارتضى برأي الندوة وان شاء ضرب به عرض الحائط. اما سن القوانين والنظر في الشؤون العامة فكان من خصائص المجلس العمومي الذي كانوا يسمونه Comitia curiata وهو يؤلف من رؤساء بطون الامة وبرأيه ايضاً يشهر الحرب ويعقد الصلح واليه ترجع سلطة الملك ومتى توفي فيصادق على اختيار الخلف. وهذا النظام كان جارياً منذ تأسيس الدولة

الرومانية حتى مرّت عليها نحو مئتي سنة او تزيد على ان السنن لا تظهر في الامم فجأة وانما تنمو في افكارهم وعوائدهم نموًّا يسهل للمشترعين سبيل اظهارها "

واستطردا البحث عن تاريخ الشورى على هذا النمط عند العرب والدول الاوربيَّة

وموضوع المقالة الثانية الفلسفة العربيَّة · وفيها " ان النساطرة واليعاقبة والسريان هم الذين حفظوا الفلسفة اليونانية من الضياع بعد ان قضت الحوادث عليها بالزوال والامحاء من ارض الميلانيين ومن الاسكندرية وهم ايضًا الذين سلموها للاسلام عقيب تدويخهِ البلاد وافتتاحها واخذهِ باسباب الحضارة والعمران "

ونليهما مقالات مختلفة في السكة الحجازيَّة والاستعداد للحرب وتأثير الحرف في اليد والتجارة السوريَّة في القرون الوسطى وخلاصة سياسيَّة وفصل من رواية اسمها فتاة الجزائر يراد استطرادها في الاعداد التالية · وما اقتبسناهُ من مقالات هذا الجزء وما قرأهُ قرّاء المقتطف من المقالات الكثيرة التي نشرت فيهِ من قلم هذين الكاتبين الفاضلين ممضاة باسميهما او بحروف مقتطفة من اسميهما كل ذلك يحقق لنا ان " المباحث " ستكون في مقدمة المجلات العربيَّة في مواضيعها وطريقة البحث فيها · نفع الله بها الوطن وجزى احرارنا خير الجزاء لانهم اطلقوا حريَّة الاقلام

رأس الحكمة مخافة الله

كتاب ادبي انشأهُ حضرة الفاضل الايغومانس ابرهيم عطا الله رئيس شريعة الاقباط الارثوذكس ببندر بنها بيَّن فيهِ بفصول متوالية ان مخافة الله مصدر النور واس العدالة ومنجم العبادة ورائد الصدق ومنبع العفو ومدعاة الامانة وسياج العفَّة ومبدأ السماحة وعماد التربية ومبعث الشهرة ومهبط محبة القريب ومظهر الذوق السليم وقاعدة التواضع ومدرجة التوبة · ولقد مضت قرون كثيرة وخدمة الدين ولاسيما من ابناء الطائفة الارثوذكسيَّة لا يهتمون باتقان العربيَّة والانشاء البالغ فيها ولذلك زاد اعجابنا بهذا الكتاب لما رأيناهُ فيهِ من بلاغة الانشاء مع حسن الاسلوب في بسط الموضوع واقامة ادلتهِ وترتيب مقدماتهِ ونتائجهِ ولا نتذكر اننا قرأنا لاحد من خدمة الدين المحدثين كتابًا افصح منهُ عبارة او احسن اسلوبًا فنهنئ مؤلفهُ الفاضل ونهنئ بهِ الامَّة القبطيَّة الكريمة ونحث القراء على مطالعة كتابهِ · وحبذا لو نقح الطبعة الثانية منهُ فاصلح اغلاطًا وقعت فيهِ من قبيل السهو كقولهِ في الصفحة ٩٩ " تكريه الامة الى رجال الشر والحيف والغواية حتى تتنكب عنهم " والصواب تكريه

رجال الشر والحيف والغواية الى الامة حتى تتنكب عنهم. وكقوله في الصفحة ٢٣١ " على افتراض المحال والتسليم جدلاً بما يقال (وهو ان الانسان نشأ بالتسلسل عن ادنى منهُ) فهل يقدح ذلك في وجود الخالق حاشا لله ألا تكون نشأة الانسان بالصورة التي سبق التلميح اليها والتي انما تقضي الى وحدة مبدإِ الحياة في الكون دليلاً اعظم على وحدة الخالق وقدرتهِ الفائقة ". فان كان نشوء الانسان بالتسلسل يقضي الى وحدة مبدإِ الحياة في الكون ولا يقدح في وجود الخالق بل هو دليل اعظم على وحدتهِ وقدرتهِ الفائقة كما قال المؤلف فلماذا يكون هذا الفرض محالاً ولماذا لا يكون معقولاً. وما أحسن ما قالهُ احد اساقفة الكنيسة الانجيلية وهو " ان كان الصانع الذي يصنع ساعة عظيماً فالصانع الذي يصنع ساعة تصنع ساعة اعظم منهُ جدًّا ". كلاَّ ان مذهب النشوء لا ينفي وجود الخالق ولا يضعف قدرتهُ بل يؤيد وجودهُ ويعظم قدرتهُ وهو ليس محالاً لذاتهِ بل معقول واقرب الى العقل من اكثر المذاهب العلمية وبهِ تفسر امور كثيرة لا تفسر بغيرهِ ولو لم تقم الادلة القاطعة على صحتهِ كما قامت على صحة غيرهِ من الفروض العملية

امراض النساء

تعريب حضرة الدكتور احمد عيسى

لقد كنا نشكو من الاطباء ان اكثر الذين ترجموا منهم كتب الطب انتحلوها ولم يعترفوا بفضل اصحابها وكنا نشكو ايضاً من سقم الترجمة وركاكتها اما هذا الكتاب فقد ذكر مترجمهُ اسم مؤلفهِ قبل اسمهِ وكتبهُ بالحروف العربيَّة والافرنجية وعرَّفهُ بوظائفهِ والقابهِ وهو الاستاذ پوتسي معلم فن امراض النساء في مدرسة الطب بباريس وذكر ايضاً اسم معاونهِ وقال انهُ ترجمهُ عن الطبعة الرابعة. ويا حبذا لو ذكر تاريخ طبعها ايضاً لان لتاريخ طبع الكتب العلمية شأناً كبيرًا ولاسيما اذا كانت في فنون الطب التي يجدُّ فيها شيء كثير كل عام. ثم ان المترجم توخَّى صحة الترجمة وصحة العبارة العربيَّة وبحث عن المرادفات لكثير من الكلمات والمصطلحات العلمية ونشرها في جدول في اول الكتاب بالفرنسوية والعربية حتى لا يخفى مرادهُ على قرَّاء كتابهِ. واكثر هذه المرادفات صحيح ولكن بعضها غير صحيح كالصناب لمدوف الخردل بالخل فان الصناب في اللغة صبغ اي ادام من الخردل والزبيب لا من الخردل والخل نعم ان العرب كانت تستعملهُ كما نستعمل مدوف الخردل بالخل ولكن ذاك ليس هذا. وبعضها ليس اصلح مما يراد ابدالهُ بهِ كالصنبور للحنفيَّة فان الحنفيَّة شائعة وقد استعملها كبار

الكتاب ولا موجب للعدول عنها ولو كانت مولَّدة · ولغة الكتاب حسنة تدل على المعاني بصراحة وفيهِ رسوم كثيرة وهي غاية في الاتقان · اما الكتاب من حيث هو فلا يحق لنا ان نبدي فيهِ رأياً لان مؤلفهُ من اكبر اساتذة الفن الذي ألَّف فيهِ · وعسى ان يقبل عليهِ الجراحون من ابناء العربية ولاسيما اذا كانوا يجهلون اللغة الفرنسويَّة . ونسدي مترجمهُ الفاضل جزيل الشكر على خدمتهِ الجليلة

عبرة وذكرى

او الدولة العثمانية قبل الدستور وبعدهُ

ثلاثون سنة من سني الاستبداد والتضييق اخمدت انفاس الامَّة العثمانية فصار "اشد ابنائها محبةً لها واخلاصاً في رفع شأن العثمانيَّة يخاف ان تفلت من صدرهِ زفرة او باغتهُ تنهُّد فينقل عنهُ خبر تلك الزفرة او ذلك التنهُّد جاسوس عليهِ من المتظاهرين بصداقتهِ او ممَّن هم في خدمتهِ بل ربما نقل عنهُ الخبر احد بنيهِ او امرأتهُ وهناك الطامة الكبرى والبليَّة العظمى" كما قال الاستاذ جبر ضومط في مقالتهِ التي نشرناها في الجزء الماضي · هكذا كان حال البلاد العثمانية قبل اعلان الدستور · ولما رأينا اننا لا نستطيع ان نقيم على هذا الضيم هاجرنا الى القطر المصري ولجأنا الى مَن حمانا من اعتداء المابين فيهِ وجاهرنا بانتقاد الحكومة العثمانية صراحةً في المقطم وضمناً في المقتطف فمُنعا من دخول الممالك العثمانية وقام معارفنا في هذا القطر يلوموننا على السلوك في خطة يعود ضررها علينا وعلى اصدقائنا وقد لا تجدي الدولة نفعاً حتى ان مختار باشا الغازي قال لنا مرارًا انكم لا تعرفون من مساوىء الحكومة العثمانية عشر ما اعرفهُ ومع ذلك لا اجاهر بذمها لانني لا ارى فائدة من الذم . ونصح لنا مرارًا ان نعدل عن تلك الخطة فابينا ولما مُنع دخول المقتطف الى الممالك العثمانية وعاتبناهُ في ذلك قال لنا ان المقتطف مُنع لانكم تصدرون المقطم فقلنا لهُ هب اننا نصنع الصابون والبارود ومنعتم دخول البارود فهل تمنعون دخول الصابون ايضاً . ففكَّر قليلاً ثم قال اصبتم ساكتب الى الاستانة اطلب السماح بدخول المقتطف فكتب واجيب طلبهُ ولكن بقي المقتطف تحت المراقبة حتى اضطررنا ان نرسلهُ بالبوسطة الفرنسوية

وصديقنا العلامة الفاضل سليمان افندي البستاني مندوب بيروت في مجلس المبعوثان يعلم ما يملأ مجلدات كبيرة من اخبار الاستبداد وكان يمنعهُ من اظهارهِ اضطرارهُ الى زيارة بلاد الشام سنة بعد سنة فلما فك قيد الاقلام باعلان الدستور اتحفنا بكتاب عن

احوال الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده سماه عبرة وذكرى وجعله فصولاً كثيرة مما حواه صدره وعلمه الواسع من تاريخ الدستور القديم وما يتعلق بالحرية الشخصية وحرية الصحافة وحرية التعليم وحرية التأليف والقراءة والمكاتبة والجمعيات ورجال الدولة الخ ولم يكتفِ بالآراء العلمية والفلسفية والاستدلالات العقلية بل بنى اكثر كلامهِ على اختبارهِ اي على ما وقع لهُ وخبرهُ بنفسهِ . ومن امثلة ذلك قولهُ في الصفحة ٢٣

"عرفت شاباً من ابناء التجار قصد الاستانة لعمل مالي وكان كثير التردد عليَّ فما مضت بضعة ايام الا واتاني يوماً ووراءهُ ذنبان . وانني مع كل ما خبرت ووعيت من اخبار الجواسيس عجبت ان يكون صاحبي موضع ريبة فيجر وراءهُ هذين الذيلين . فلما جلس وبقي الرجلان على مقربة من الباب سألتهُ عما بدا منهُ حتى بات موضع التهمة فاقسم انهُ لا يعلم سبباً وانهُ لم يشعر الا وهذان يتعقبانهِ ويرافقانهِ كظلهِ فاذا مشى مشيا واذا دخل بيتاً انتظراه لدى الباب واذا ركب عربة او باخرة من بواخر البوسفور ركبا . فظللنا نسعى اشهراً لنقف على السبب الى ان اخذت الشفقة يوماً ناظر الضابطة فاطلعهُ على ورقة مرفوعة الى المابين من واشٍ يقول فيها ان فلاناً أي صاحبنا أتى الاستانة قصد استطلاع احوالها قبل ان يذهب الى باريس وينشئ جريدة ملؤها الطعن في الدولة وهو ذو عزوة كبيرة ومقام كبير ولهُ شهرة عظيمة بين كتاب العصر . واني لو نفع القسم وتنتفذ لاقسمت ان فلاناً هذا لا يعرف ما الكتابة في الجرائد ولم يخط بحياتهِ فيها حرفاً ولا أثر لتلك العزوة وذلك المقام . ولم تخطر لهُ تلك الفعلة ببال ولو في المنام وانما هي مكيدة نصبها لهُ رجل طمع في مشاركتهِ في تجارتهِ فلما أبى ان يشاركهُ معهُ عمد الى هذا الانتقام الدنيء . وهكذا بقي صاحبنا سنوات يتظلم وما من سميع . فلا يفرج عنهُ فيرجع الى بلدهِ ولا يؤذن لهُ بعمل يرتزق منهُ وأنت تعلم ما تأول اليهِ حالهُ بعد سنوات" . وقولهُ في الصفحة ٤٩

"واننا لا نزال نذكر الصيحة الشديدة التي صاحتها احدى الدول بوجه عمال بريدها سنة ١٨٩٤ ثم طردها اربعة منهم دفعة واحدة ثم إصدار امرها بان لا يستخدم مكانهم احد من العثمانيين وذلك على اثر اكتشافها تواطؤ اولئك العمال مع رجال المابين على دفع رسائل بعض الاحرار اليهم لقاء جعل معلوم عن كل رسالة . وان اردتم مثالاً أجلى فاسألوا ابا الضيا توفيق افندي عما جرى لهُ من مثل ذلك اذ دعي الى المابين في السنة المذكورة وضيق عليهِ واستنطق من أجل مراسلة علمية وادبية محضة جرت بينهُ وبين سيدة فرنسوية من ذوي الاقلام . ولا أزال أذكر عبارة لهُ وقد اشتد بهِ القنوط اذ همس باذني قائلاً : وددت

لو اني مت قبل ان أرى هذا الانحطاط الذي آل اليهِ أمر هذه الدولة فالحرّ مضطر فيها ان يكون قاتلاً او مقتولاً . ولقد اشتدت عليهِ المراقبة من ذلك الحين حتى انتهى امره كفؤاد باشا بالاهانة والنفي ". وقوله في الصفحة ٧٣

" قصدت الاستانة سنة ١٨٨٦ وسعيد باشا اذ ذاك صدر اعظم وكامل باشا الصدر الحالي ناظر الاوقاف وكان لاسرتنا سابق اتصال بهِ منذ كان متصرفاً لبيروت فقصدته ثاني يوم وصولي فرحب بي واشار اليَّ بمواصلة التردد عليهِ مدة اقامتي في الاستانة واستبقاني لتناول الطعام على مائدتهِ حتى اذا جلست للغداء سألني عن سبب قدومي الاستانة وعما اذا كان لي حاجة تستوجب اسعافهُ اياي بقضائها قلت نعم منذ سنتين شرع ابن عمي سليم البستاني في نقل دائرة المعارف الى اللغة التركية وألف لذلك لجنة من خيرة كتَّاب التركية برئاسة خلقي افندي رئيس المكتب السلطاني فانجزت منها نحو مجلدين وتوفاه الله قبل ان يباشر الطبع فرأيت انا واخوتهُ ان نتم العمل ونستأذن نظارة المعارف بالطبع . فقال ارني مثالاً مما كتب فابدي لك رأيي فرجعت في الغد ومعي مثال في زهاء مئة صفحة كنت اعددتهُ لنظارة المعارف فاستبقاهُ عندهُ ريثما تصفحهُ ثم قال لي وهو ملمٌّ بالعربية ليست دائرة المعارف بافصح عبارة واحكم لحمة واجزل فائدة من هذا النقل التركي فلا تتباطأ عن طلب الرخصة ولك مني كل الموازرة . وهذا ابني صبحي بك صديقك من اعضاء مجلس التفتيش والمعاينة يعضدك بكل قواهُ . فقدمت الطلب الى الناظر النسيء أقيم خلفاً لمنيف باشا ايام نكبتهِ سنة ١٨٨٦ وما زلت اتردد ثلاثة اشهر على نظارة المعارف . ولم تغنني معاونة المغفور لهُ صبحي بك بكل قواهُ ولا انضمام بعض رفاقهِ اليهِ كالسلاوي ولا موازرة كبار الكتاب كسعيد بك منفي اليمن وابي الضيا توفيق بك منفي قونيه الحيين خلا من توفي منهم كجودت باشا وصبحي باشا فان الناظر لبث اذناً صماء . ولما نفدت الوسائل قال لي كامل باشا لئن ذهبت الى الصدر الاعظم فانك بلا ريب تظفر باربك . فكتبت عريضة وذهبت اليهِ فما كان اشد عجبي اذ قال لي حالاً قرأت في الجرائد شيئاً وسرني جداً اقدامكم على هذا العمل الخطير ولو خطر لي انك لقيت هذه المماطلة لاغنيتك من تلقاء نفسي عن هذا العناء فكلنا يطلب المفيد وكلنا في خدمة هذه الامة واحد فاذهب الآن مطمئناً وعد اليَّ بعد ثلاثة ايام وفي اليوم التالي كانت الرخصة بيدي فعدت اليهِ في الاجل المضروب الذي ضربهُ لي ولكن للتشكر وليس للتشكي

غير ان المراقبة التي اخذت تشتد من ذلك الحين واسباباً اخرى حالت دون القيام بالعمل

ولا شك ان جهابذة كتاب الترك وقد انطلقت ايديهم الآن سيبرزون امثاله على اتقن منوال

تلك كانت غيرة بعض رجال الدولة على المعارف · ولم يكن دون ذلك تفانيهم في نشر لواء الحرية واصلاح كل مختل في الادارة والقضاء والمالية وكل مواردها

مضت عليَّ ثلاثة اشهر في الاستانة كنت اجتمع اكثر ايامها بسعيد بك منفي اليمن وانا شغف ببلاغة كتابته في اللغة التركية فالتقط من فوائدها ما تسعهُ الذاكرة ومن مزاياه انهُ ضليع بالفرنسية والالمانية وواسع الاطلاع بالتاريخ منقد الذهن ذو تجرد غريب وهو مع تحليهِ بتلك الصفات رئيس دائرة في مجلس شورى الدولة فقلت لهُ يوماً وهو يكثر من الشكوى من اختلال الاحكام . لئن كنت انت وامثالك من ذوي العلم والشهرة والنفوذ تجزعون لهذه الحال فما تقول عامة الناس · قال نحن اولى منهم بالرأفة لاننا نرى ولا جرأة لنا على السعي ومن سعى منا جوزي جزاء الخائنين فالنار تلتهم افئدتنا ولا طاقة لنا على اخمادها · قال ذلك كأنهُ يتنبأ بما سيناله يوماً من البلاء في خدمة الحرية والاصلاح "

ويلي ذلك وصف بديع لانشائهِ جريدة تركية في معرض شيكاغو وايجاس المابين منها شرًّا وخوفهِ من بقاء حروفها التركية في اميركا ومنعهِ اصدار الحروف العربية والتركية من الممالك العثمانية · وهذا الفصل من ادلّ الفصول على سخافة بعض العقول وسمو البعض الآخر

وقال في وصف مذبحة الارمن سنة ١٨٩٦

"شهدتُ تلك الفاجعة الاليمة مشاهدة الرقيب الجازع من اولها الى آخرها ولم اكن هنا لاعيد تلك الذكرى المؤلمة او لاخطئ فيها فريقاً دون فريق فكلاها اعثر وسيق غير مختار باغراء اولئك الفجار · ولكن الباعث على ذكرها رغبة اثبات الالفة التي كانت تهيج صدور الناقمين على هذا التعصب ومثيريهِ ولم يكونوا بالنزر اليسير · ولكن اعلاهم قدحاً واعظمهم جرأةً كان هذا المنفي الذي قضى سبع سنين سجيناً يقاسي عذاب الموت وهو حي (اي فؤاد باشا)

شهدتهُ وكنت جارهُ في فنار باغجه يطوف مدججاً بسلاحهِ ينهى عن سفك الدماء . يحيي الليل بين هاتيك الاحياء واعظاً منذرًا متلطفاً متهددًا على ما تقتضيهِ الحال · يسأل من انس منهُ خوفاً ان يحل ضيفاً كريماً عليهِ · يؤمن الخائف ويرعب الخائن · فحجب الدماء في كل ذلك الجوار فلم تهرق فيهِ نقطة واحدة وهي سائلة انهارًا في ما سواهُ واذا علمت ان ذلك الجوار بما يليهِ من فنار باغجه الى موده وقاضي كوي واطراف اسكودار يحوي مئتي الف ساكن تجلّى لك مبلغ تلك الهمة الشماء

فعل كل ذلك وهو يعلم انهُ يجري على غير خطة المابين فما راعهُ ذلك بل راعهُ صوت وجدانهِ

ولا انبئك هنا بما كان من اجلال الاهالي من وطنيين واجانب لهذا الاقدام الخطير ولا افصل لك ما توالى عليهِ من رسائل الشكر الخاصة عدا عن الرقيم العام الذي امضتهُ النزالة الاوربية برمتها . وما نشر من مقالات الثناء الصافية في صحف الافرنج فتلك امور يستنتجها كل واقف على تلك الحوادث

ولكن السر الغريب الذي لا يعلمهُ الناس ان ذلك كان مبدأ النقمة عليهِ من رجال المابين وانهُ حتى ذلك الحين كان في اعلى مراقي الحظوة وما انحطت منزلتهُ الأ من ذلك اليوم فما وسعهم ان يقولوا لهُ انك اتيت جريمة القتل بحماية الانفس من القتل فما زالوا يحتالون بتوجيه التهم اليهِ حتى القوا بهِ الى تلك التهلكة التي أدت الى نفيهِ وسجنهِ وتجريدهِ من رتبهِ وألقابهِ واوسمتهِ "

والكتاب كلهُ على هذا النسق فهو جدير بان يطالعهُ كل ابناء الدولة العثمانية ويتخذوهُ عبرةً وذكرى

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الصورة في المرآة

طرابلس الشام . هل الخيال المنعكس عن المرآة من نوع الاعراض او هو جوهر . وما علاقة الفوتوغراف في ذلك

ج الصورة المنعكسة عن المرآة حاصلة من اشعة النور المنعكسة اصلاً عن الجسم الذي نرى صورتهُ في المرآة فاننا اذا رأينا شجرة فقد حدثت رؤيتنا لها من ان اشعة الشمس او اشعة القمر او اشعة السراج وقعت على اوراق الشجرة واغصانها وانعكست عنها الى كل الجهات وفي جملة ذلك الجهة التي فيها عين الرائي وهذه الاشعة التي تصل الى عينهِ

تدخلها وتؤثر في اعصابهِ فيشعر بها وبالجهة الواصلة اليهِ منها وان شئت فقل انها ترسم على باطن عينيهِ صورة تلك الشجرة فيشعر بها فاذا كانت الاشعة المنعكسة عن الشجرة قد وقعت على مرآة وانعكست عنها الى عين الرائي شعر كأنها آتية من وراء المرآة حيث تلتقي خطوطها فيرى صورة الشجرة وراء المرآة. فالصورة التي ترى في المرآة ناتجة عن اشعة النور المنعكسة عنها وحاصلة من تصوُّر الرائي انها موجودة حيث تلتقي الاشعة اذا أُخرجت على استقامتها . ولم نفهم ما هو مرادكم من قولكم "ما علاقة الفوتوغراف في ذلك" فان ليس للفوتوغراف علاقة بكون الصورة التي ترى في المرآة عرضاً او جوهراً

(٢) تصبير الطيور

اسيوط . الخواجه وليم مشرقي . كيف تصبَّر العصافير

ج تصبير العصافير يشمل عملين مختلفين الواحد سهل وهو ان يسلخ جلد العصفور بالتاني التام حتى لا يتمزق ولا ينتف ريشهُ ولا يدعك ثم يفرك الجلد من الداخل بمسحوق الزرنيخ حتى لا يقع فيهِ الدود . وهذا العمل سهل يتعلمهُ الانسان بقليلٍ من المزاولة . والثاني ان تعمل حشوة للعصفور من الكتان ونحوهِ وتوضع فيها اسلاك معدنية لتكون بمثابة هيكل لهُ وتوضع الحشوة داخل الجلد وذلك يقتضي مهارة خصوصية كمهارة المصور والنحات حتى يأتي شكل العصفور ووضعهُ مماثلين لحالتهِ الطبيعية

(٣) تعلم فن الانشاء

القدس . ما هي افضل طريقة لتعلم فن الانشاء وما هي افضل الكتب التي يُعتمد عليها في ذلك

ج لا بدَّ من انكم تريدون الانشاء العربي وكيفيَّة حصول ملكتهِ في النفس واذا كان الامر كذلك فملكة الانشاء تحصل من قراءة الكتب البليغة نثرًا ونظماً واستظهار الكثير منها والنسج على منوالها بعد تعلُّم قواعد اللغة . ومن كتب النثر المشهورة كتاب كليلة ودمنة ومقامات الهمذاني والحريري واليازجي ونهج البلاغة ومن كتب الشعر قصائد ابي تمام والمتنبي والشريف الرضي . ولا بدَّ للمتعلم من استاذ ينتقد ما يكتب ويدلهُ على مواقع الخطاء ووجوه الصواب

(٤) محيط المحيط

ومنهُ . هل يحسن اعتبار محيط المحيط مرجعاً صادقاً لمعاني الالفاظ فقد سمعت مرارًا انهُ ناقص وغير صحيح فما رأيكم في ذلك

ج نحن نعتمد عليهِ لسهولة استعمالهِ ولاننا وجدنا بالامتحان انهُ من اوسع كتب اللغة واصحها فاذا لم نجد فيهِ كلمة او اذا ارتبنا في تفسير كلمة رجعنا الى لسان العرب او تاج العروس . ويا حبذا لو اهتم احد من ابناء البستاني او غيرهم بتنقيحهِ وحذف ما يمكن

الاستغناء عنهُ منهُ واعادة طبعهِ على اسلوب يجعلهُ اسهل استعمالاً

(٥) استهواء البنات

بيروت . الامير رائف شديد بللمع . زار قصبة الشويفات في الصيف الماضي مبشر نروجي ولبث فيها ثلاثة اسابيع كان يصلي ويعظ ومن الغريب ان بعض البنات اللواتي آمنَّ بتعاليمهِ ولاسيما الصغيرات منهنَّ كنَّ يقعنَ في غيبوبة عند ما يصلين بحرارة واحياناً يغنين ولو لم يصلين ويتكلمن بألسنة غير مفهومة الاَّ بعض كلمات باللغة الانكليزية وبعض آيات من التوراة باللغة العربية ثم يفقن بعد ساعة من الزمان او اكثر او اقل . وكان ذلك المبشر يدعي ان الروح القدس حلَّ عليهنَّ كما حلَّ على التلاميذ يوم العنصرة واغرب من ذلك ان الروح بقي يحل على اولئك الفتيات بعد ذهاب المبشر فما قولكم في ذلك

ج كنا نود ان تروا البنات وتدققوا في البحث وتكتبوا ما تشاهدونهُ وما تسمعونهُ منهنَّ بالتفصيل والتدقيق. والحادثة اذا صحت نادرة ولكنها ليست منقطعة النظير وهي من قبيل الاستهواء او رقص مار يوحنا اي انها تأثر في الاعصاب ينتشر بالقدوة . واكثر ما يحدث ذلك للبنات وهو يحدث على يد كهنة الوثنيين كما يحدث على يد غيرهم ولا بد من ان يكون سببهُ واحداً وهو ما تقدم . اما اذا كان لهُ سبب غير طبيعي وليس مما يتوصل الى معرفتهِ بالعلم الطبيعي فليس لنا سبيل علمي الى معرفتهِ

(٦) ارخميدس وقولهُ

مصر . محمد افندي عبد الكريم رأيت في رواية فتاة مصر هذه الجملة "وهالها منادانهُ وقولهُ وجدتها كأنهُ ارخميدس حين خرج من الحمام ومشى في الاسواق عارياً" فما سبب خروج ارخميدس عارياً من الحمام ومن هو ارخميدس هذا

ج ارخميدس اشهر علماء الرياضيات ولد في سيراقوسة سنة ٢٨٧ قبل المسيح اي منذ نحو الفين ومئتي سنة . ويقال ان الملك هيرو اعطى صائغاً مقداراً من الذهب ليصوغ لهُ منهُ تاجاً فصاغ التاج ولكن خامر الملك شك في امانة الصائغ حاسباً انهُ مزج الذهب بالفضة فطلب من ارخميدس ان يعرف ذلك من غير ان يحلل التاج فاشكل الامر عليهِ ولبث يفكر فيهِ مدة ثم دخل الحمام ذات يوم وغطس في مغطس فرأى الماء قد خرج من المغطس فارشدهُ ذلك الى حل مسألة التاج فخرج من الحمام عارياً وهو يقول يوريكا يوريكا اي وجدتها وجدتها . وهو مستنبط الطنبور الذي يستعمل في مصر الآن لرفع الماء

(٧) تعلم المنطق

ومنهُ . ما هي اسهل طريقة يتعلم بها

الانسان علم المنطق وما هي اسماء الكتب اللازمة لذلك

ج ان رسالة الشيخ ناصيف اليازجي المعروفة بقطب الصناعة تكفي المبتدئ وكذلك متن الشمسية للتفتزاني وحاشية الباجوري على مختصر السنوسي وحاشية العطار على شرح التهذيب وايضاح المبهم من معاني السلّم للدمنهوري وجزء المنطق من النقش في الحجر ولا بدَّ للمتعلم من استاذ يشرح لهُ ويمرنهُ

(٨) علم العمران

ومنهُ . هل يوجد كتب عربية لعلم العمران والاجتماع وما هي اسماؤُها

ج لم نرَ كتاباً عربياً في هذا الموضوع الأَ كتاب غيزو الذي ترجمهُ المرحوم حنين الخوري

(٩) درس العلوم الطبيعية

هيا . حجازي افندي علي . ما هي اقوم طريق لدرس العلوم الطبيعيَّة وما هي هذه العلوم

ج العلوم الطبيعيَّة هي الفلسفة الطبيعيَّة والكيمياء والجيولوجيا والفسيولوجيا والنبات والحيوان والمتيورولوجيا والفلك . ولا بدَّ من درس كل علم منها على استاذ بارع فيهِ والاشتغال بها عملاً فتعلُّم الفلسفة الطبيعيَّة يقتضي ان يمتحن المتعلم بيدهِ خواص الاجسام الطبيعيَّة ومعرفة مركز الثقل والثقل النوعي وضغط الهواء ومرونة الاجسام وتمددها بالحرارة ونواميس الكهربائية والمغنطيس والنور وما اشبه . وتعلُّم الكيمياء يقتضي ان يمتحن المتعلم بيدهِ خواص العناصر الطبيعيَّة واستحضارها واستحضار مركباتها والكشف عنها . وتعلم الجيولوجيا يقتضي ان يذهب المتعلم مع معلمهِ يفتش عن طبقات الارض وصخورها ومافيها من المتحجرات . وتعلُّم الفسيولوجيا يقتضي ان يعرف المتعلم مبادئ التشريح ويشرّح الحيوانات بيدهِ ويرى احشاءها ويراقب افعالها وينظر بالميكرسكوب الى دمها ولبنها وسوائلها المختلفة ويمتحن فعل اللعاب وعصارة المعدة بالطعام وما اشبه . وتعلُّم علم النبات يقتضي ان يشرّح المتعلم النباتات ليرى اجزاءها المختلفة وان يجمع امثلة من انواعها وفصائلها ويرى مميزاتها وكذلك علم الحيوان يقتضي ان يرى المتعلم انواع الحيوانات من ادناها الى اعلاها ويشاهد مميزاتها . والمتيورولوجيا اي علم الاحداث الجوية يقتضي ان يشتغل متعلمهُ بمراقبة الحرارة والبرودة والرياح والغيوم وسائر الاحداث الجوية . والفلك يقتضي رصد الشمس والقمر والسيارات والثوابت واستعمال الكرة الارضية والفلكية وآلات الرصد المختلفة

(١٠) الافعال ومدلولاتها

المنيا . لبيب افندي برسوم . هل في العربية كتاب يبحث فيهِ عن اختصاص الافعال بمدلولاتها الحقيقية مثلاً اريد ان اعرف متى استعمل فاض وزاد او ناح والتحب واين يباع

ج تجدون ما يفي بالمراد في فقه اللغة

والالفاظ الكتابية وكنز الحفاظ ونجدة اليراع ونجعة الرائد . وهذه الكتب متعارفة وتباع في كل المكاتب الكبيرة

(١١) الكمأة والرعد

مارنيو بالبرازيل . الخواجه ديب الياس لاي سبب تظهر الكمأة بكثرة اذا حدث رعد كثير . ولا تظهر اذا لم يحدث رعد كثير

ج هذا القول شائع ونظن ان سببهُ ظهور الكمأة كل سنة في فصل الشتاء وحدوث الرعد فيهِ فيعلق العامة ظهور الكمأة بحدوث الرعد ولا علاقة بينهما سوى حدوثهما معاً في فصل واحد ولكن اذا اثبت البحث المدقق ان الكمأة تظهر حقيقة في الشهر الذي يكثر فيهِ الرعد سواء غزر مطرهُ او لم يغزر ولا تظهر في ذلك الشهر نفسهِ اذا لم يكثر فيهِ الرعد سواء كثر مطرهُ او قلَّ فيكون السبب ان الرعد يكثر تكوُّن الحامض النيتريك في الهواء من اتحاد نيتروجينهِ باكسجينهِ فيقع مع المطر و يغذي بزور الكمأة فيكثر نموها لان الكمأة كثيرة المواد النيتروجينية



باب الاخبار العلمية

الدكتور ورتبات

نعي الينا من بيروت استاذنا العلامة المفضال الدكتور ورتبات توفاهُ الله عصر يوم السبت في الحادي والعشرين من شهر نوفمبر الماضي ودفن في اليوم التالي في مشهد حافل بفضلاء بيروت من كل الطوائف والملل وسنأتي على ترجمتهِ في الجزء التالي

الاستاذ ايرتن

توفي هذا العالم الكهربائي الكبير في الثامن من نوفمبر وهو في الحادية والستين من عمرهِ وقد وفقت بلاد اليابان ان استخدمتهُ لتعليم الفنون الكهربائية فيها فانشأ هناك داراً علمية للبحث في المواضيع الكهربائية حتى قال مكسول ان مركز الثقل في الكهربائية قد انتقل الى بلاد اليابان . ثم عاد الى بلاد الانكليز وجُعل استاذاً للطبيعيات العملية واقام في هذا المنصب من هذا سنة ١٨٧٩ الى ١٨٨٤ وكان يشرك التلامذة في الامتحانات العلمية حتى يقرنوا العلم بالعمل او حتى يتعلموا العلم من العمل وهو اول من فعل ذلك ثم جُعل استاذاً للهندسة الكهربائية وبقي في هذا المنصب الى ان ادركتهُ الوفاة .

واكثر المهندسين الكهربائيين في بلاد الانكليز من تلامذتهِ

الدكتور اسعد حيقه

نعي الينا من دير القمر بلبنان المأسوف عليهِ الدكتور اسعد حيقه. درس الطب في بيروت واتمَّ درسهُ في فرنسا واتقنهُ علماً وعملاً واقام في الاسكندرية وصار من اطبائها المعدودين على حداثة سنهِ وآخر شيء كتبهُ في ما نعلم رسالة في الشفاء الغريب نشرت في الجزء الثالث من مقتطف هذه السنة تأييداً لما كتبهُ استاذنا الدكتور ورتبات وكلاهما الآن في العالم الباقي. اصيب بداء عياء لم ينفع فيهِ علمهُ ولا علم غيرهِ من الاطباء وقضى نحبهُ في اول نوفمبر قبل ان يتم الخامسة والثلاثين من عمرهِ

مذنب مورهوس

صوِّر هذا المذنب صوراً فوتوغرافية كثيرة وقد بلغ طول ذنبهِ ١٧ درجة اي ٢٧ مليون ميل وقطر نواتهِ عشر دقائق من الدرجة اي ٢٩٠٠٠ ميل

كلف الشمس

عادت كلف الشمس الى الظهور فظهر مجموع كبير منها في ٦ نوفمبر وكان يرى بالعين لكبرهِ. ثم ظهر مجموع آخر كبير في ١٢ نوفمبر ورئي بالعين المجرَّدة في ١٧ نوفمبر

الذهب الشفاف والفضة الشفافة

لا يخفى على دارس الكيمياء ان ورق الذهب غير شفاف ولكن اذا وضعتهُ بين لوحين من الزجاج ونظرت من خلالها رأيت ورق الذهب صار شفافاً وصار لونهُ اخضر كالزجاج الاخضر وقد بيَّن الاستاذ فرداي منذ احدى وخمسين سنة ان ورق الذهب وورق الفضة اذا الصقا بالزجاج واحميا يصيران شفافين. وقد بيَّن الاستاذ توماس ترنر في الجمعية الملكية ببلاد الانكليز انهُ اذا كان سمك ورقة الذهب جزءا من ثلثمئة الف جزء من العقدة تصير شفافة اذا احميت الى درجة ٥٥٠ بميزان سنتغراد كأن دقائق الذهب تترتب حينئذٍ على صورة تجيز لاشعة النور الابيض ان تمر بينها. واذا كان سمك ورقة الفضة جزءا من مئة وعشرين الف جزء من العقدة واحميت الى الدرجة ٣٩٠ صارت شفافة تماماً. ولا يكتسب ورق الفضة الشفافية اذا احمي في الفراغ بل لا بد من وجود الاكسجين حولهُ مع انهُ لا يتحد بالاكسجين او ان الاكسجين يتحد بهِ فيصيرهُ شفافاً ثم يفلت منهُ حالاً ويبقى على شفافيتهِ

واذا كان سمك ورق النحاس جزءا من ٧٥ الف جزء من العقدة واحمي في الهواء او في الاكسجين الى درجة بين ٢٠٠ و ٤٠٠

صار شفافاً ايضاً ولكن يكون لونهُ اخضر زمردياً فاذا زادت الحرارة تغير لونهُ فصار زيتونياً فخمرياً فاسود

اغلاء الماء وترشيحهُ

يظهر ان القول باغلاء ماء الشرب اذا كان آسناً لمنع ضررهِ قديم جدًّا اشار بهِ اليونان قبلما عرفهُ علماء العرب فقد جاء ان روفس الافسسي الذي نشأ في القرن الاول المسيحي قال ان مياه البرك والانهار غير صالحة للشرب ما عدا ماء النيل واذا كان الماء راكداً آسناً او جرى في اراضٍ وبيئة او قرب الحمامات العمومية فهو غير صالح للشرب ويصير صالحاً باغلائهِ في اناء من الخزف وتبريدهِ ثم باغلائهِ ثانية قبل شربهِ ويمكن تنقية الماء للجند بترشيحهِ في حفرٍ تبطن بطين الخزف ويجعل بعضها فوق بعض فالشوائب تبقى في الحفر ويتحلَّب الماء منها نقياً

السكر في الخبز

يهتم الفرنسويون الآن بمزج الدقيق بالسكَّر وعمل الخبز منهُ فقد ثبت لهم ان الدقيق الذي فيهِ خمسة في المئة فقط من السكَّر يصنع منهُ خبز لا يبين طعم السكر فيهِ ويزيد مقدار الغذاء فيهِ وبذلك تكثر مقطوعية السكَّر فيروج ويزول الكساد الذي لحقهُ الآن. وقد وجدوا ان اهالي فرنسا انفقوا من السكَّر في العام الماضي ٥٨١٠٠٠ طن فخص النفس منهم ٣٣ رطلاً فاذا اضيف الى الدقيق خمسة في المئة من السكَّر تضاعفت مقطوعيتهُ

الطعام النباتي والحيواني

لا يخفى ان الدكتور تشتندن الاميركي بيَّن بالتجارب ان جسم الانسان لا يحتاج الى اللحم الكثير الذي يأكلهُ الاوربيون لان الانحلال من عضلاتهِ قليل جدًّا والاطعمة اللحمية او النيتروجينية على اطلاقها تتعب كليتيهِ وتولد فيهِ سموماً تضرهُ. الا ان الاستاذ ماكاي الانكليزي بحث في هذا الموضوع بحثاً مدققاً في بلاد الهند حيث الملايين من السكان يتغذون بالاطعمة النباتية الاصل ولا يأكلون اللحم الا نادراً فوجد ان اقلالهم من اكل اللحم والمواد النيتروجينية عموماً ضارٌّ بهم لانهُ يقلل المواد المغذية في الدم وفي خلايا الجسم عموماً ويضعف الكليتين بنوع خاص وقد نتج عن ذلك ان مقدار العمل الذي يعملهُ الهندي قليل جدًّا بالنسبة الى العمل الذي يعملهُ الاوربي وهو يتعب من العمل قبلما يتعب الاوربي وتفعل بهِ ميكروبات الامراض اكثر مما تفعل بالاوربي لان ليس في جسمهِ ذخرة يعتمد عليها وجسمهُ اصغر من جسم الاوربي وثقلهُ اخف مثل كل الذين غذاؤهم قليل. نعم ان الاطعمة النيتروجينية تولد سموماً

في الجسم ولكن الجسم السليم يتخلص منها بسهولة . ولا دليل على ان انحلال الاطعمة الدهنية والنشوية لا يولد السموم في الجسم فاذا ولدها وكان الجسم ضعيفاً عجز عن التخلص منها لاسيما وان الذين يكتفون بالاطعمة الخالية من المواد النيتروجينية يلتزمون ان يأكلوا مقداراً كبيراً منها ولذلك يكثر مرض البول السكري في بلاد بنغالا بالهند كثرة بالغة جدًّا لاعتياد الناس على الاطعمة النشوية فضررها أكيد لامثل الضرر الذي يظن ظنًّا انهُ ينتج من اكل الاطعمة اللحمية

دود القطن في الهند

اهتمَّ اهالي الهند منذ مدة بزرع القطن المصري والقطن الاميركي في بلادهم لانهما اجود من القطن الهندي واغلى ثمناً لكن ظهرت الدودة فيهما فاتلفتهما وهي لا تضرُّ القطن الهندي فاذا لم يجد اهالي الهند واسطة لوقاية القطن المصري منها زال الخوف من مناظرة الهند لنا في زرع القطن الجيد

هبة هندية

وهب الكريم تشنوبهاي مذولال حكومة الهند ثلثمئة الف روبيَّة او ثلاثين الف جنيه لكي تنفق ريعها في التعليم في احمداباد وقد بلغت هبات الهنود هناك للتعليم مليوناً وثمانمئة الف روبيَّة

سل البقر

يعلم قرَّاء المقتطف ان الدكتور كوخ الالماني قال منذ بضع سنوات انهُ لم يجد ان سل البقر ينتقل الى البشر وخالفهُ الاطباء في ذلك ولا يزال جمهورهم مخالفاً لهُ ولما التأم مؤتمر السل في مدينة وشنطون في اواخر سبتمبر الماضي خطب فيهِ الدكتور سيم هو يتهد وقال ان الاطباء الباحثين في هذا الموضوع يقدرون الدكتور كوخ قدرهُ ويعلمون ما لقولهِ من الشأن العظيم ولكن البحث المدقق اثبت ان سبعة في المئة من الذين يصابون بالسل تكون اصابتهم من القناة الهضمية ويرجح انهم يصابون من لبن البقر المصابة بالسل فلا يجوز منع الوقاية . وقد أُقيمت لجنة لتبحث عن اسباب وصول ميكروب السل الى اللبن

النمل وضيوفهُ

نشر الاب وسمان مقالات ضمنها مباحثهُ الكبيرة في طبائع النمل بيَّن فيها ان بعض انواع النمل تعيش معاً في قرية واحدة على تمام الوئام ولا يعتدي نوع منها على النوع الآخر وبعضها يسمح للخنافس الصغيرة ان تعيش معهُ آمنة وبعضها يسمح لتلك الخنافس ان تعيش معهُ اذا كان عددها قليلاً . فاذا زاد قام عليها وفتك بها . وبعضها يؤمن الخنافس ولو كانت هي غير امينة فتأكل بيضهُ وهو لا يؤذيها

فهرس الجزء الثاني عشر من المجلد الثالث والثلاثين

٠٩٨٥ الوزارتان المصريتان

٠٩٩٠ عمارة اليابان

٠٩٩٣ خليل الخوري اللبناني . للاستاذ عيسى افندي اسكندر معلوف

١٠٠٢ تفوُّق العقول . لسليم افندي الخوري

١٠٠٩ التعليم المفيد

١٠١٤ الانشاء . لأدوار افندي مرقص

١٠١٨ معجم الحيوان (مصوَّرة) . للدكتور امين معلوف

١٠٢٨ اسباب الاحتلال البريطاني

١٠٣٣ فكتوريان ساردو

١٠٣٥ الوراثة

١٠٣٩ دولة آل عثمان

١٠٤٤ باب الزراعة * انقلاب عظيم في الزراعة . خصب بلاد الشام . تعاقب المزروعات . المزروعات والميكروبات . الزراعة المصرية منذ مئة عام . زراعة الفلفل

١٠٥٢ باب تدبير المنزل * النساء وتمريض المرضى . الهواء النقي من غير رطوبة . تليين الكفوف . دواء بسيط للارق . فوائد منزلية . الغذاء في البيض . اوقات الطعام

١٠٥٧ باب التقريظ والانتقاد * المباحث . رأس الحكمة مخافة الله . امراض النساء . عبرة وذكرى .

١٠٦٤ باب المسائل * الصورة في المرآة . تصبير الطيور . تعلم فن الانشاء . محيط المحيط . استهواء البنات . ارخميدس وقوله . تعلم المنطق . علم العمران . درس العلوم الطبيعية . الانفعال ومدلولاتها . الكمأة والرعد

١٠٦٨ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٣ نبذة

رواية فتاة الفيوم ملحقة بالمقتطف

دوريات
PERIODICALS
٣٤

فهرس المجلد الثالث والثلاثين

وجه

(ا)

آداب المائدة ٣٣٦
« المعاشرة ٧٩٤
الآس ٦٩١
ابرهيم اليازجي · الشيخ ٤٨٤
و ٥٥٣ و ٦٣٥
* الابنية الشاهقة ٣٦١
الاثمار · تسكيرها ٧٩٦
« عصيرها ٦٨٣
الاجانب في مصر
والسودان ٤٤٥
اجيا صوفيا ٥٣٧
الاحتلال البريطاني · اسبابه
٢٨٩ و ٣٩٥ و ٥٠٠ و ٥٩٩
و ٦٢٨ و ٧٤٩ و ٨٦٣ و ٩٥٢
و ١٠٣٨
الاحداث · جرائمهم
واصلاحهم ٩٧٢
احراش سورية ٤٤٦
الاحلام · صدقها ٣٥٣
« صدقها وغرائب
الاتفاق ٦٧١
الاخلاق · تغييرها ٣٥٢

وجه

الارادة ١٢٧
الاراضي الزراعية وفقر
القطر المصري ٥٢٤
الارصاد الجوية ٢٦١
الارض · دورانها حول
الشمس ٦١٧
ارخميدس وقوله ١٠٦٦
ارخميدس · كنز من
كنوزه ١٨١
الارق · دواء بسيط له ١٠٥٤
الازياء · ظلم ٥١٨
اسامة بن منقذ وابن
السلار ٧٤٧
الاسبستس ٧٦٨ و ٩٧٦
الاستحمام ٦٨٤
استهواء البنات ١٠٦٦
الاستراليون · اصلهم ٢٦٩
الاسفنج · استخراجه
بالغواصات ٥٤١
* اسكار الثاني ملك اسوج ١
الاسلام روح المدنية ٦٩٨
الاسماء ١١٦
الاسنان · تسويسها ٩٧٥

وجه

اسوج · ملكها وتاريخ
العرب ١٧٢
* الاشباه والنظائر ٤٩٣
الاشربة الروحية ١٧٤
اضدقة اعذبة ٩٦٩
اصوان · شلالها ٨٣
الاطيان والضرائب في مصر
٢٣٢ و ٢٨١ و ٣٦٩
اطيان شركة الغربية ٧٣
الاعضاء الاثرية ٤٦٥
« وظائفها ٧ ٤
الاعمال والمصالح في اصول
الاديان ٥٣٤
الافاعي البصاقة ٩٨٣
« قتلاها في الهند ٩٨٢
« يأكل بعضها بعضاً ٩٨٣
* افانس · السرجون ٥٤٥
افريقية · اختراقها ٨٣٦
« الطواف حولها ٧٠٩
الافعال ومدلولاتها ١٠٦٨
الافيون · الاقلاع عن
تعاطيه ٩٦٨
الافيون · عبرة وذكرى ٨٧٦

وجه

اقتصاد الاولاد ٦٨١
الاقتصاد · تربية الاولاد ٢٥٥
الاكل والشرب ١٨٩ و٣٢٩
الالغام · نسفها عن بعد ٨٩٥
المانيا · مدارسها الجامعة ٩٥
امراض النساء ١٠٥٩
امرؤ القيس · مزكيته ٣٥٤
الامم المنحطة · اديانها ٩٣٨
اميركا · النار فيها ٩٨٣
ابيل القرن التاسع عشر ٩٧٣
الاناجيل · ترجمة قديمة
منها ٩٧٠
انجيل برنابا ٥٣٣
الانثروبولوجيا ١٩٠٧ و ٦١
الانسان واكل اللحم ٢٦٦
الانشاء ١٠١٤
" تعلمه ١٠٦٥
الانسان شف مراصله · ٥٩٠
الانكليس · ابقاؤه في
الانهر ٣٥٩
الاولاد وجنائن الحيوانات ٥١٥
الاولاد · غرورهم ٦٨٢
ايرتن · الاستاذ ١٠٦٨

(ب)

البابية ١٧٥
البارجة ايوامي ٤٥٤

وجه

البتراء · اصل النبط فيها ٤٣
و١٣٢ و١٩٣
البحر الابيض وموسم
القطن ٣٤٠ و ٤٣١
بحر لوط · السمك فيه ٨٠٧
البرتغال وملكها ١٨٥
البرتقال · زراعته وعلاج
حشراته ٦٩١
برتلو · اكرامه ٩٨٢
البرد · منعه ٤٥٥
البردة ٦١٦
بركان سافاي ٦٢١
البروتستنت وعيد الفصح ٧٠٦
بروكنر · لويزا ٦١٤
بطرس باشا غالي · وزارته ٩٨٧
البطنة ٦٨٣
البعثة الدنمركية ٨٠٦
بعثة شاركو ٨٠٦
*بقايا الوحوش المنقرضة ٧١٨
بكاء الطفل ٣٥٣
بكرل · هنري ٨٩٤
البلاد العثمانية ٧١٣
البلغار ٩٠٣
البلون · عدم نجاحه ٩٥
بن هدد ملك ارام ٤٤٩
البنات . تعليمهن ٥١٨

وجه

البنك الزراعي وديون
الفلاح ١٦٧
البهاء زهير والمتنبي ٢٠٧
البومة المنيرة ١٨٣
البيض الجديد والقديم ٧٩٥
" حفظه ١٥٧
" الغذاء فيه ١٠٥٥
بين القاهرة والسويس ٧٩٨
البيولوجيا ١٩٠٧ ٠٦٢
بيير بيشان ٥٤٣

(ت)

التاريخ امس واليوم ٣٦
التجنس في المستعمرات ٤٤٤
" حمايته ٤٤٤
تجنيد المسيحيين ٣٥١
تحفة الظرفاء ٤٧٣ و٥٦٩ و٦٤٧
التربية الاستقلالية ٩٧٣
تربية الاولاد والاقتصاد ٢٥٥
تربية عظماء المشرق ١٦٩
ترعة السويس ٤٤٩
" " امتيازها ٢٦٥
" " دخلها ٢٦٥
تركيا · مساحتها ٩٧٧
ترودس · جبل ٧٦٨
التزلق والصحة ٨٠٣
تزوير الكتب والمصنوعات ٩٣٠

وجه

التسول ٣٥٣
تعاقب المزروعات ١٠٤٥
التعريب ٢٦٧ و٤٠٨ و٥٢٣
" اساليب العرب فيهِ ٥٦٦
" اسلوب المقتطف فيهِ ٥٥٩
تعريب الاسماء الاعجمية ٢١٨
التعليم الثانوي باميركا ٥٤١
التعليم المفيد ١٠٠٩
تفوُّق العقول ١٠٠٢
التقرير السنوي عن
دار العلم السمسثونية ٤٤١
تقرير مصلحة المساحة ٧٩٩
التقليد ٦٤
التلغراف الصيني ٩٧٨
التلغراف وسكك الحديد
المصرية ٥٩٦ و ٨٠٥
التلفون بلا سلك ٨٠٦
التمريض والنساء ١٠٥٣
تولُّد الانواع ٢٦٩

(ث)

الثعابين . ابادتها ٩٧٦
الثورات الثلاث ٢٧٣
ثورة السودان ٢٧٧
ثورة الشام ٢٧٣
الثورة العثمانية ٨١٣
الثورة الفرنسوية ٥٣٩

وجه

ثورة مصر ٢٧٥

(ج)

جامع الحجج الراهنة ٧٠٠
الجامعة المصرية ٥٣٦ و٧٠٧
الجان . استخدامهم ٥٣٩
جانسن . الدكتور ٩١
الجبر . غريبة فيهِ ١٧٨
و ٢٥١ و ٣٤٠
جرائم الاحداث ٩٧٢
الجرح والقلي ٨٠٤
الجغرافيا في ١٩٠٧ ٦٢
جغرافية الشريف
الادريسي ٨٦٧
جمس نولس ٥٣٨
" " تأبينهُ ٥٤٩
الجنس اللطيف . مجلة ٠٧٤
الجنسية الاجنبية ٤٤٤
الجنون والوراثة ٩٣
جنين البيضة ٨٩٣
الجنين . تصويرهُ باشعة
رنتجن ٧٠٤
الجنين كيف يتكون ٧٠٣
الجنيه المصري . ضربهُ ٤٤٦
الجوهر الفرد ٤٥٠
" - مذهب سوري ٢٦٩
الجير في الزراعة ٣٥٨

وجه

الجيش العثماني ٩٧
الجيولوجيا في ١٩٠٧ ٦٣

(ح)

حافظ . الاحتفال بهِ ٤٥١
حبيقه . اسعد ١٠٦٩
الحجاب في الهند ٥١٧
* الحجاز . سكة حديد ٨٠٩
الحديد والقطن ٩٧٨
حذاء لا يتعب الرجل ٤٥٣
الحذق والنجاح ٨٠٢
الحروف . حركاتها ٣٥١
حروف الهجاء . عددها ٣٥٠
الحرير . مخافتهُ ٩٨٣
الحرير الصناعي ٦٣٣
الحساب . غرائب فيهِ ٤٥٣
و ٥٤١ و ٦٠٣
الحسوم ٧٠٣
الحشرات . اكلها ٢٧٠
" فوائدها ٥٣٦ و ٧٠٦
الحصبة والشهقة ٣٣٢
الحك المغنطيسي والعرب ٢٦٨
الحكومة الشورية ٧٧
الحكومة المصرية . ميزانيتها ٢٧
و ٩٤
الحمام القلاَّب ٦٥٣
الحوَل . شفاؤهُ ٨٨

وجه

حواء . خلقها ٣٥٤
حياة الزوجين ٤٤١
حياتنا الادبية ٨٣
الحيوان . علم ١٤٠
الحيوانات . ذبحها ٨٩٥

(خ)

الخبياري الاميركي ٣٥٩
الخرشوف . زراعته ٥٢٧
خزانة الادب ٨٥
الخزانات وموسم القطن ٦٧
و ١٥٩
خصب بلاد الشام ١٠٤٥
الخصر والحذر منها ٥١٦
الخطابة . التعبير والاداء
فيها ٩٤٨
الخفاش . فائدته ٩٧٥
الخلفاء . تواريخهم ٤٧٣
و ٥٦٩ و ٦٤٧
الخلفاء ختومهم ١٧٧
الخلق . وحدته ٣٠١
خليل الخوري اللبناني ٩٩٣
الخنازير . تربيتها ٦١٥
خنومن نخت . جثته ٨٠٧
الخير والشر ١٤٣

(د)

داء النوم . ودواؤه ٨٠٧

وجه

داء النوم . قتلاه ٣٥٨
دارون . عيده ٣٥٨
" ما الذي اتى به ٨٧٨
* " وولس . عيدها ٦٢٥
الدب الرومي والاسد
البريطاني ٧٠٣
دجلة والفرات وما بينهما ٢٥
درنبرج الاستاذ ٤٥٠
دروس القراءة ٥٣٥
الدستور . الاحتفال به ٩٠٥
* الدماغ والعقل ٢٢٦
" مرضه والسكر ١٧٥
الدوطة والبائنة ٣٥٤
الدولة العثمانية ٨٩٧
الدولة العثمانية قبل
الدستور وبعده ١٠٦٠
الديدان . فائدتها ٢٦٨
دير مار مارون ١١٣
دين الامم المخطة ٩٣٨
الدين المصري استهلاكه ٢٦٤
ديون الفلاح المصري ١٦١
ديوان النظرات ٨٠١

(ذ)

الذرة . سمادها ٥٣١
الذهب . اصطناعه ٢٩٩
" الشفاف ١٠٦٩

وجه

الذهب في شرق السودان ٦٢٣
" " العالم ٣٦٥
" " مصر ١٤٩
" " الهند ٤٥٣
" مناجمه ١٧٩
ذوات الاذناب ٤٥٥

(ر)

الراديوم وحرارة الارض ٤٤٩
" في طبقات الارض ٩٣٦
" لشفاء الكلب ٣٥٩
" مقداره ٧١١
الرحلة الحديثة ١٩
رأس الحكمة مخافة الله ١٠٥٨
الربيبية ١٠٣٦
الرمد الحبيبي ٥٧٦
" مستشفياته ٢٦٢
روسيا . سلطتها في الشرق ٨٠٤
الروماتزم ولسع النحل ٥٤٣
الرياضة . انواعها ٢٥٣
" معدات العابها ١٥٦
ريط . طيارته ٨٠٧ و ٨٥٥
و ٨٩٤ و ٩٧٩
* الري في العراق ٨٨٣

(ز)

زبلن . مركبته الهوائية ٧٠٨
و ٨٠٦

	وجه
الزراعة . انقلاب عظيم فيها	١٠٤٤
الزراعة والعثمانيون المهاجرون	٧٩٢
الزراعة في البلاد العثمانية	٧٩١
« المصرية في عهد الاحتلال الفرنسوي	٧٨٤ و ٨٨٠ و ٩٦٤
الزرقاء . نظرها	٣٥٨
الزهرة . يومها	٣٥٨
الزهري وعلاماته	٧٠٥
الزوجان . عمرهما	٦١٥
الزيت . قصره بالنور	٩٧٩
الزيتون . ضربته	٦١١
(س)	
ساردو . فكتوريان	١٠٣٣
الساعات . اكبرها	٥٥٢
سبيرو . جورج	٧٦
السحر	٨٧
السحر . حقيقته	٨٩٠
السعوط . ضرره	١٧٥
السفن . ما بني منها	٧٠٩
سفن هدن . رحلته	٨٩٥
* سكة الحجاز	٨٠٩
* سكة حديد الواحات	٠٩٩
سكك الحديد والتلغرافات	٥٩٦
السكر في الخبز	١٠٧٠
السكر المحروق لمنع العدوى	٩٨٣
سل البقر	١٠٧١
السل . ودواؤه	٩٨١
السلطان ورعاياه . كتاب	٢٦٣
السليت	٨٩٥
السماء . اسماء صورها	١٧٧
* السماء . صورها	٠٥٩
سماد الذرة	٥٣١
السمك في بحر لوط	٨٠٧
السناجب . فائدتها	٢٦٨
السنة . ابتداؤها	٧٠٤
السنة . التحقيق لطولها	٣٠٤
السهر . ضرره	٣٣٧
سوانح و بوارح	١٩٩
السود . تبييضهم	٦١٩
السودان . مساحته	٩٧٧
سورية . احراشها	٤٤٦
سكان مدنها	٢٦٦
السوريون في زمن الفتح	٨٤٨
السوكرتاه . شركات	٨٩٢
* السياحة من لباب الآداب	٣٠٨
سيناء . جغرافيتها وجيولوجيتها	٥٢٣
السيارات . اكبرها	١٧٦
« السبعة	١٧٦
(ش)	
شاركو . بعثته القطبية	٨٠٦
الشام . خصبها	١٠٤٥
الشب الابيض لمنع الغش	١٥٦
شجرة الصابون	٤٤٨
الشر والخير	١٤٣
الشرق الادنى	٥٣٥
« علماؤه	٣٣٩
شركة الغربية . اطيانها	٧٣
الشعر . فائدته	٥٣٧
الشعر . منع سقوطه	٢٦٦
الشعر . ووجه المرأة	٥٣٨
شعراء العرب . نوادرهم	٣٢٤
الشعراء . نفوسهم	٣٨٧
الشعوذة	٨٧
الشفاء بالايمان	٣٢٠ و ٦١٨
الشفاء الغريب	٩ و ٢٤٣
شلال اصوان	٨٢
شمبرلان	٥٤٣
الشمس . كلفها	٨٠٦ و ١٠٦٩
الشهقة والحصبة	٣٣٢
الشوارع . قطرنتها	٦٢٣
الشيب الباكر . صبغه	٢٦٥ و ٦١٥

وجه

الشيخوخة . اتقاؤها ٩٦١

(ص)

الصابون . شجرتهُ ٥٣٦

الصبر . عصارتهُ للبعوض ٤٥٥

الصحافة الهندية ٧٦١

صحة الانسان ٨٤

صدى النفوس ٥٨٦

* الصروح الشاهقة ٣٦١

الصناعة السورية في زمن الحرب الصليبية ٢٠٢

الصور بالتلغراف ١٨١

* صور السماء ٥٩

الصور . نقلها بالفونوغراف ٦٢٢

الصورة في المرآة ١٠٦٤

الصوم . فائدتهُ ٢٥٧

(ض)

الضاد . الناطقون بها ٦٠٦ و ٦٩٧ و ٦٩٨

(ط)

الطبيعيات ١٤١

الطعام . اوقاتهُ ١٠٥٥

* الطعام . تسخينهُ ٥١٤

" والشراب . تأثيرهما في الجسم ٧٩٦

الطعام النباتي والحيواني ١٠٧

الطفل ٧٥٤

وجه

الطيران والمراكب الطيارة ٨٥٠

الطيور . تصبيرها ١٠٦٥

الطيور . كيف تولدت ٢٧٩

(ظ)

الظفر . علامتهُ ١٧٣

(ع)

العادات ٦٠٥

العام الماضي . الحالة المالية فيهِ ١٤٩

العامية والفصيحة ٣١٨

عبرة وذكرى ١٠٦٠

العث . منعهُ بالشب الابيض ١٥٦

عثمان . دولة آل ٨٩٧

العجماوات . شعورها بالطرب ٤٤٥

العدد الذهبي ١٧٥

* العراق . الري فيهِ ٨٨٣

العرب قبل الاسلام ٧٩٧

العزلة ٣٩٩ و ٥٢٢

عفة الاولاد ٨٠١

عقاب يمنع الاستخدام ٨٠٢

العقارب في ام درمان ٤٣٠

* العقل والدماغ ٢٢٦

العقول . تفوقها ١٠٠٢

العلم والدين ١٧٤

وجه

العلم في ١٩٠٧ ٦٤ و ١٤٠

علم العمران ١٠٦٧

علم المستقبل ١٠٥

العلوم الطبيعية . درسها ١٠٦٧

علماء الشرق ٣٣٩

العمر . تحديدهُ ٦١٦

" طولهُ ٦٢٢

" فلسفتهُ ٦١٣

العناصر . تحولها ٢٩٩

العيون والكتب ٥١

(غ)

غرائب الاتفاق وصدق الاحلام ٦٧١

الغرق . مانعهُ ٤٥٤

الغصن الرطيب في فن الخطيب ٩٧٤

(ف)

فارمن . طيارتهُ ١٨٠ و ٧١٠

الفاغوسيت والشيخوخة ٢٦٨

الفاكهة . منع اكلها ٨٠٣

الفحم الحجري . منع احتراقهِ ٩٨٠

الفراخ والبيض ٦٩٠

الفراخ . معاملها ٤٣٤

فرنسا وخدمة الدين ٦١٨

الفضة الشفافة ١٠٦٩

فكرة الخير والشر ١٤٣

	وجه
فلسطين . آثارها	٦٧٨
الفلسفة عند اليهود	١٢٢
الفلسفة اليونانية	٦٥٧
الفلفل . زراعتهُ	١٠٥٢
الفلاّح المصري . ديونهُ	١٦٦
فلورنس نيتنغابل	٣٢٤
الفلك ١٤١ و	٩٧٦
والعرب	٩٧٧
فهرس كتب الكيمياء	٤٤٢
فوائد منزلية	١٠٥٤
الفيران . ابادتها	٩٧٦
فيل البحر	٣٥٩
الفيل . وطنهُ	٤٥٢
(ق)	
قاسم بك امين	٤٤٩
و٤٥٧ و٥٩٢	
القانون الاساسي العثماني	٧٠٨
و٧٢١	
القاهرة والقدس ودمشق	٨٠
" ماؤُها	٩٠
" مصارفها والصحة	٦٢١
القرنفل في التاريخ	٧٧٠
القزحية . انقباضها	٤٤٣
قطران الفحم الحجري	
فوائدهُ	٥٤١
قطرنة الشوارع	٦٢٣
القطن الاميركي	٦٠٦
" دودتهُ	٦٨٨
" دودتهُ في الهند	١٠٧١
" زراعتهُ في مصر	٩٢
" في جزائر الهند	
الغربيَّة	٦٠٨
" مستقبل زراعتهِ	١٦٨
" المصري	٧٩٣
" " تحسينهُ	٥٢٩
" موسمهُ	٠٧٥
" " والبحر الابيض	٣٤٥
و٤٣١	
" " والخزانات	٦٧
و١٥٩	
القمح . غلتهُ	٥٢٧
" في مصر	٩٠٢
القمر . نورهُ	١٨٣
القواميس . احسنها	٥٤٠
القوة . كيفيَّة اكتسابها	٠٣٢
و١٥٣	
قيدار وممالك حاصور	٥٠٧
القيراط المتري	٦٢١
(ك)	
الكاتب . مادتهُ	٣٠٣
كارنجي . حياتهُ	٩٧٩
كتاب البدء والتاريخ	٢٥٨
كتاب جواهر الحكماء	٤٤٢
كتاب المصابيح للبغوي	٤٥٤
و٨٧٧	
الكتابة . نقلها الى الحجر	٩٧٧
الكتب . تزويرها	٩٣٠
" العربيَّة المفيدة	٦١٦
كريما الموز	٣٣٧
الكسوف الكلي	١٧٨
كسوفات ١٩٠٨	٩٥
الكفوف . تليينها	١٠٥٤
* كلفن . لورد	٤
" اعانةُ	١٧٤
" جنازتهُ	٩١
كلية البنات في القاهرة	٢٧٠
الكنغرو	٧٨
الكمأة والرعد	١٠٦٨
الكهربائية بدل البخار	٩٧٨
الكواكب . سكانها	٤٥٥
الكولرا . معالجتها	٩٣٤
" الوقاية منها	٢٥٦
الكويت والمحمرة	٨٠٤
الكيمياء ١٩٠٧	١٤٢
(ل)	
لافونت . الاب	٥٤٢
لباب الآداب	٣٠٨
" نوادر منهُ	٤٧٩

وجه

اللبن النافع والضار ٩٥٨
لبنان . الحنين اليهِ ٢٠١
اللحم . اكلهُ في البلاد
الحارة ٦١٥
اللغة الاكثر انتشاراً ٨٨
لغة العالم الجديد ٢٦٠
اللغة العامية والفصيحة ٣١٨
اللغة ماهيتها ٣١٣
اللوبياء والسوس ١٧٣
اللؤلؤ . تنظيفهُ ٦٨٤
الليمون الحامض ٦٠٦

(م)

الماء . اعلاؤهُ وترشيحهُ ١٠٧٠
الماء . شربهُ ٩٦٠
ماء القاهرة ٠٩٠
المادة . ازليتها ١٧٥
" حقيقتها ووحدة
الخلق ٣٠١
مادة الكاتب ٣٠٣
المادية . الراهن والواهن
فيها ٧٣٤ و٨٢٤ و٩١٥
ماذا تأكل وماذا تشرب
١٨٩ و٣٢٩
مار مارون . دير ١١٣
ماركس ريغيليوس ١٧٣
الماس . عملهُ ١٨٠

وجه

الماسة الكبرى ٩٨٠
المأمون ٣٧٩
المباحث ١٠٥٧
مبادئ الاقتصاد
السيامي ٧٠١
المتنبي والبهاء زهير ٢٠٧
المتوحشون . نساؤهم ٥٤
المجتمع الروماني زمن
القياصرة ٨١٧
مجمع البحث عن السرطان ٦٢٢
مجمع تقدم العلوم
البريطاني ٨٩٣
المجمع الزراعي العام ٦٢٢
محيط المحيط ١٠٦٥
مخدر جديد ٩٥
مدارس المانيا الجامعة ٩٥
المدارس الانكليزية .
متخرجوها ٢٦٣
مدرسة الهند ٥٤٢
مذنب مورهوس ٩٨١ و١٠٦٩
المرأة الايرانية ٦٨٤
" حقوقها ٤٢٤
" مكتبتها ٥١٦
مراصد مصر ٣٥٧
المربعات السحرية ٧١٠
المريخ . الاحياء فيهِ ٧٦٥

وجه

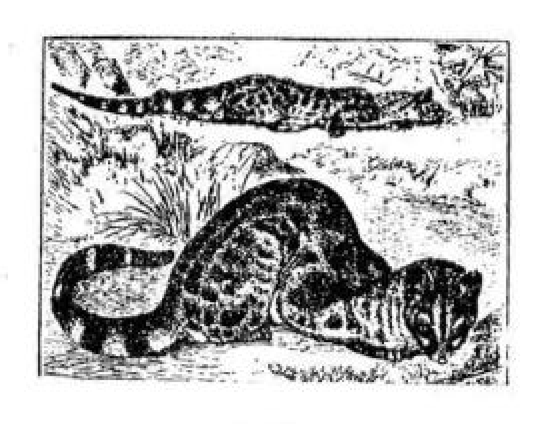
المريخ . ترعهُ والحياة فيهِ
١٢ و١٠٧ و٢٥١
المريخ . سكانهُ ٦٩٣
" الماء فيهِ ٣٥٨
" هل هو مسكون ٤٢١ و٥١٩
المزروعات . تعاقبها ١٠٤٥
" والمكروبات ١٠٤٨
المساكن المسكونة ٤٤٣
مسرات الحياة . كتاب ٢٦٣
المشتري . قمر ثامن لهُ ٣٥٧
و٥٤٢
المصارين فائدتها ٢٦٦
مصر . ارتقاؤها في ١٠
سنوات ٢٩٥
" الاطيان والضرائب
فيها ٢٣٣ و٢٨١ و٣٦٩
" تجارتها منذ مئة عام ٨٣٢
و٩٤٤
" حالتها المالية ١٤٩
مصر حركة النقود فيها ٩٣
" زراعة القطن فيها ٩٢
" فقرها في الاراضي
الزراعية ٥٢٤
" مساحتها ٩٧٦
مصطفى باشا فهمي
وزارتهُ ٩٨٥

	وجه
مصطفى باشا كامل	
ترجمتهُ	٢٥٠
المصنوعات . تزويرها	٩٣٠
المعادن . تحولها	٢٦٥
معجم الادباء	٤٤٠
* معجم الحيوان ٨٤٣ و٩٢٣	
و ١٠١٨	
المعرض الفرنسوي	
الانكليزي	٦١٩
معرض الخرائط المصرية	١٨٣
المغزل . مخترعهُ	١٧٥
المغيط . تجارتهُ	٤٥٣
المقتطف . تنبيه لهُ	٨٨
الملاحة عند القدماء	٢١١
الملاريا والعمران	٣٥٥
ملك الانكليز والعلم	٧١٠
الملل . منعهُ	٨٠٢
الملوك . قتلاهم	٣٥٥
المنار . الاحتفال بهِ	٧٩
المنجد	٦١٢
المنجو	٦٠٩ و ٨٠٥
" سقوط ثمرهِ	٨٩٣
المندل	٣٥١ و ٨٩١
المنطق . تعلمهُ	١٠٦٦
منف . آثارها	٤٦٣
المنهج المسلوك	٧٠١

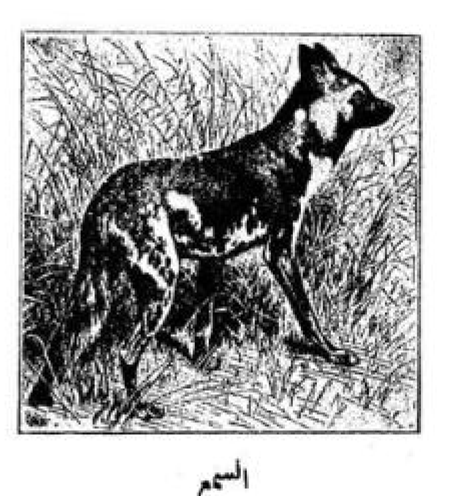
	وجه
الموافي الكبيرة	٤٥٠
مؤتمر الاقليم	٩٨٢
" تاريخ الاديان	٧١١
و٨٩٣	
" التبريد	٩٧٨
" السل	٨٩٤
مؤنس الجلاس	٦١٤
ميزانية الحكومة المصرية	٢٧
و ٩٤	
الميكروبات	١٤٢
الميل . مساحتهُ افدنة	٩٧٧
(ن)	
النار في اميركا	٩٨٣
الناس في الكواكب	٩٧٧
الناس . هل يوجدون	
في غير الارض	٧٤١
النبات . حركاتهُ	٨٥٧
" عيونهُ	٩٧٩
النبط . اصلهم في البتراء	٤٣
و ١٣٢ و ١٩٣	
النجم والهلال	٥٤٠
النجوم . عددها	٦٢٣
النحاس . تحويلهُ	٩٣
النحل . ذكاؤهُ	٣٥٩
النساء وتمريض المرضى	١٠٥٣
نساء المتوحشين	٥٤

	وجه
النساء . مزاياهنَّ العقلية	٦٣٩
النظارة الكبرى ٣٥٨ و ٦٢٣	
النفس بعد الموت	٤٤٥
نفوس الشعراء	٣٨٧
النقود الصادرة والواردة	٩٣
نقود الورق والمكروبات	٩٨١
النمل وضيوفهُ	١٠٧١
نوبل . جوائزهُ	١٨٣
نور كنيسة القيامة	٤٤٧
* النوموجرافيا ١٤٧ و ٢٦٠	
و ٧٧٦	
النيازك	٨٧
النيتروبكتيرين ٣٤٤ و٣٥٢	
" في الزراعة ٧٤ و١٠٤٨	
النيل فيضانهُ	٨٦
(ه)	
الهاليوم	٦٢١
" تجميدهُ	٣٥٨
هبات اميركية	٩٨٣
هبة ركفلر	٢٦٩
هبات كارنجي	٩٧٩
هبات كريمة	٢٦٨
هبة عظيمة	٢٦٩ و ٩٨٢
هبة علمية خيرية	٢٦٩
هبة فوق هبة	٢٦٩
هبة لمقاومة السل	٣٥٨

وجه		وجه		وجه	
١٠٥٤	الهواء النقي من غير رطوبة	٣٣٨	وداع الشتاء واستقبال الربيع	٦٢٥	* واس ودارون عيدها
١٠٧١	هبة هندية	٦٦٦ و ٧٥٦ و ١٠٣٥	الوراثة		(ي)
٩٢	هول · الاستاذ اصاف	١٠٦٨	ورتبات · وفاته	١٧٨	اليابان · تجارتها
	(و)	٩٨٥	الوزارتان المصريتان	٩٩٠	اليابان · عمارتها
٩٩	* الواحات المصرية	٩٨١	الورق والعمران	٤٩٦	" والولايات المتحدة
٤٣٥	الواردات الزراعية	٨٩٢	الوقت · اختلافه	١٧٨	ينغ · الاستاذ
٧١٨	* الوحوش المنقرضة · بقاياها	٦٩٨	الولادة · علم	١٢٢	اليهود . الفلسفة عندهم
		٤٩٦	الولايات المتحدة واليابان	١٧٨	" في مصر



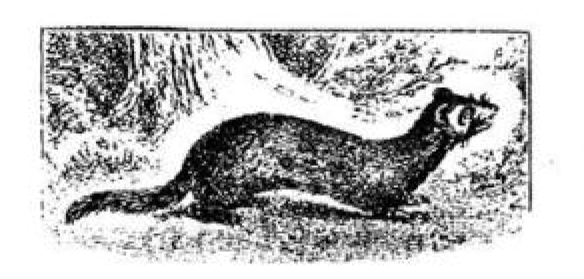
الجرنيط



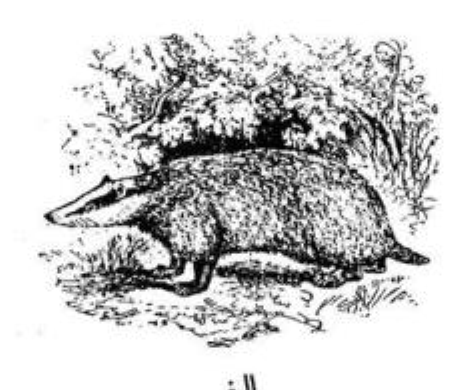
السمع



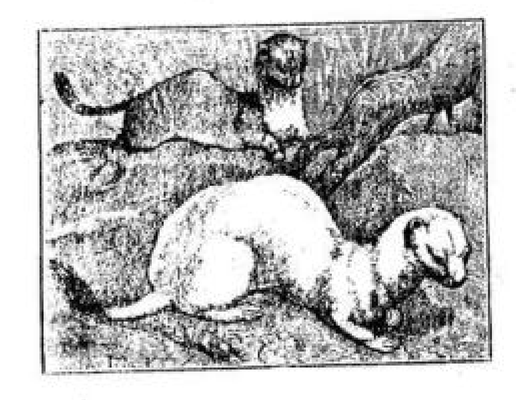
العسبار



الظربان



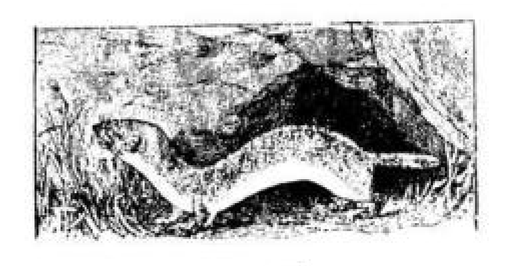
البغر



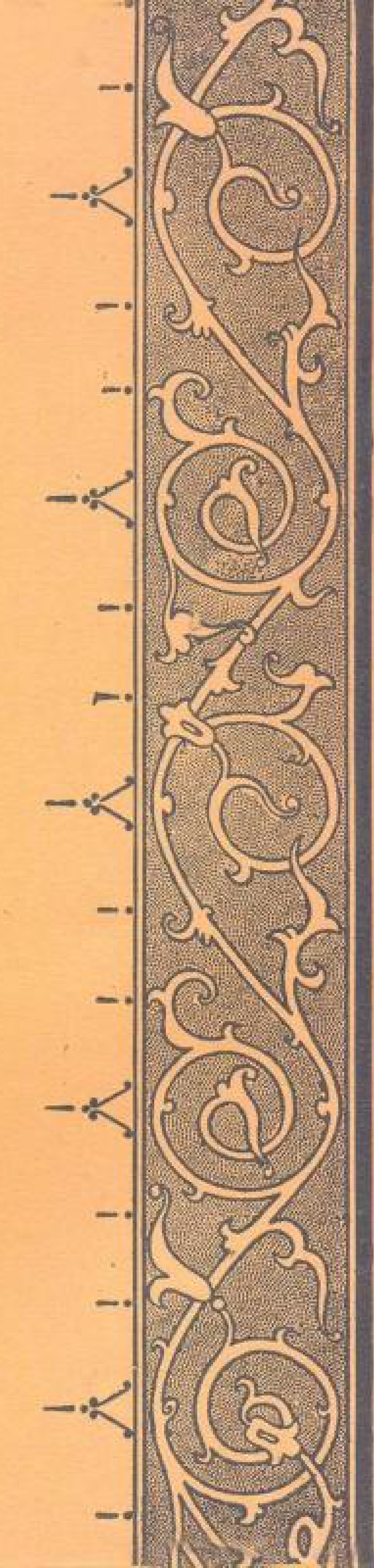
القاقوم



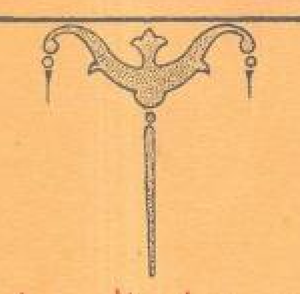
النمس



ابن عرس







مستقبل العمران

الحب : لادلر

العلم : لهكسلي

التعليم : لولز

الاسرة : لرسل

الاقتصاد : لتشايس

رجال الشهر

غازوورذي ، غاندي ، سايس ، صديق بك

الازمة الاقتصادية

واشتباك المصالح الدولية

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الثالث والثلاثين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٢٥

الجيش العثماني

ذكرنا منذ شهرين ما وقفنا عليهِ من تعداد الجيش العثماني اجابة لسائل ثم وقفنا على رسالة بعث بها مكاتب التيمس الحربي الى جريدتهِ فصَّل فيها احوال الجيش العثماني ونظامهُ ومقدرتهُ ومدارسهُ الحربية في الاستانة وسائر ما يتعلق بتاريخهِ منذ اكثر من نصف قرن . فرأينا ان ننقل خلاصتها للقراء قال

"عُرِف الجيش العثماني انهُ جيش عظيم يلقي الرعب والهلع في النفوس وكان فيما مضى ولا يزال الآن ممتازاً بقوتهِ وتدربهِ وطاعتهِ واستعدادهِ الحربي ومقدرتهِ على احتمال الكوارث والرزايا . ولقد جرى الاتراك على النظام الحربي سنة ١٨٤٣ قبلما وضعت المانيا نظامها الحربي الحاضر بزمان طويل فادخلوا قانون القرعة العسكرية والجنود الاحتياطية وجعلوا الجيش مؤلفاً من فيالق وكتائب وفرق وطوابير . ولما انتهت حرب القريم وضعوا لهُ نظاماً جديداً بمعاونة ضباط فرنسويين وفي سنة ١٨٦٩ كان من مقتضى النظام الجديد جعل الخدمة العسكرية ١٨ عاماً منها ستة نظامية وستة للرديف او الخدمة الاحتياطية وستة للمستحفظ . ولما نشبت الحرب بين تركيا وروسيا سنة ١٨٧٧ كان الجيش العثماني ١٤٠ الف جندي في زمان السلم وفي الوسع جعلهُ ٣٢٧ الفاً في زمان الحرب وفقاً للنظام المذكور آنفاً على ان هذا العدد لم يملأ عيون العثمانيين بل وجدوهُ قاصراً عن المطلوب فانصرفوا الى زيادتهِ مراعاة لاحكام الضرورة فاصبح الجيش العثماني لا يقل عددهُ عن ٧٥٠ الفاً

ولقد ترأس دولة مختار باشا الغازي اللجنة التي الفت سنة ١٨٨٠ لوضع نظام جديد للجيش . وبعد ذلك بسنتين وصل الى الاستانة الكولونل كوهلر احد اركان الحرب في الجيش

الالماني الامبراطوري وكان معهُ ثلاثة ضباط فشرعوا في تنظيم الجيش باهتمام عظيم وسنة ١٨٨٣ توفي هذا الكولونل فخلفهُ الجنرال غولتز الالماني وهو من ابرع ضباط الالمان واوسعهم حذقاً في الاصول العسكريَّة وما كاد يتولى شؤُون التنظيم والتدريب في الجيش العثماني حتى ادخل فيهِ اصلاحات خطيرة ووضع لهُ قوانين مضبوطة . ثم عين نائب اركان حرب فتمكن بهذا المنصب مع ما كان منوطاً بهِ من التفتيش العام للتمرين العسكري من تذليل العقبات التي تعترضهُ حيث يجد المصلح من المشاكل ما يكاد يذهب بنشاطهِ وعزمهِ

اما جلالة السلطان فهو رئيس الجيش الاعلى وتقسيم الجيش وسائر ما يتعلق بتدريبهِ وحركاتهِ منوطان بديوانهِ الحربي وتحت رئاستهِ تتأَلف لجنة التفتيش العام من ثلاثين ضابطاً لدرس المشروعات المتعلقة بالنظام العسكري اما نظارة الحربية فتمتاز عن غيرها من النظارات الحربية في العالم بان لها نفوذاً مزدوجاً لانها مقسومة الى ادارتين مستقلتين كل واحدة منهما منفصلة عن الاخرى وهما ادارة ناظر الحربية وادارة السرعسكرية ويناط بها امر الحصون والمواد الحربية وتتولى شؤُون المدفعية والمهندسين واحوال الجيش كلهِ

اما التعليم العسكري في تركيا فتام من جميع وجوههِ لان فيها ٣٢ مدرسة حربيَّة ابتدائيَّة لا يقل طلابها كلها عن ٤٠٠٠ يتلقون الدراسة فيها اربع سنوات . وفيها ايضاً ثماني كليات حربية يتراوح عدد الطلبة في كل منها بين ٨٠ و ٢٥٠ طالباً ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات وفي بنكلدي (احدى ضواحي الاستانة) مدرسة اخرى للمشاة والفرسان لا يقلُّ عدد طلابها عن ٥٠٠ يتعلمون ثلاث سنوات ايضاً وهناك مدرسة اخرى للمدفعية والمهندسين وكلية كبيرة لاركان الحرب تزيد مدة الدراسة فيها سنة عما هي في كلية كمبرلي على ان نفقة التعليم في هذه المدارس لا تراعى فيها شروط الاقتصاد لان في مدرسة بنكلدي وحدها ٩٧ ضابطاً و ٤٤ استاذاً و ٤٥ معاون استاذ لتعليم طلابها وهم ٥٠٠ طالب فقط كما تقدم

وتؤْخذ الجنود من الولايات الشاهانية كلها الا اليمن والحجاز وطرابلس الغرب . اما شروط الخدمة فقد صدرت بها ارادة سنيَّة سنة ١٩٠٣ واصبح اجلها عشرين سنة بدلاً من ١٨ اي تسعاً نظامية وتسعاً رديفاً واثنتين استحفاظاً و يبلغ عدد الجنود التي يستطيع جلالة السلطان ان يحشدها ١٠٤٠٠٠٠ جندي بين رديف ونظامي ومستحفظ وفي الولايات الشاهانية سبع مراكز للفيالق وهي الاستانة وادرنه وسالونيك وارزنجان ودمشق وبغداد وصنعاء وفي كل منها فيلق او عرضي تختلف درجتهُ عن درجة غيرهِ على حسب اختلاف المراكز في الاهمية

الواحات المصرية

الواحات منخفضات في صحراء افريقية فيها اراضٍ زراعية مسكونة. والواحات المصرية سلسلة من هذه المنخفضات ممتدة من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي موازية لوادي النيل ومنها واحة سوى والواحة البحرية والداخلة والخارجة الاولى غربي الفيوم والاخيرتان غربي لقصر

وتاريخ الواحات غامض جداً غير ان ذكرها في الكتابات الهيروغليفية القديمة يدلُّ على ان الناس اكتشفوها وسكنوها منذ زمان طويل فقد قرأ بروكش في كتابة قديمة وجدت في لقصر ينتهي تاريخها الى السنة الخامسة والعشرين من ملك ينتم الاول (سنة ١٠٣٣ قبل المسيح) ان الواحات كانت منفىً للمجرمين فقد جاء في تلك الكتابة ان ينتم سمح لبقية حزب رعمسيس (وكانوا قد نفوا اليها) بالرجوع منها. وسكان الواحات الاصليون كانوا غرباء عن مصر ولكنهم كانوا يؤدون الجزية الى ملوكها منذ ايام تحتمس الثالث (١٦٠٠ قبل المسيح). واشار هيرودوتس الى الواحة الخارجة في كلامهِ على التجريدة التي ارسلها كمبيسس ملك الفرس الى واحة سوى وهلك منها خمسون الفاً فقال "ان عساكر كمبيسس وصلت بعد مسيرة سبعة ايام في الرمال من طيبة الى مدينة الواحة التي يقال لها جزيرة المطوبين"

وفي الواحات آثار كثيرة يونانية ورومانية يستدلُّ منها ان الواحة الخارجة كانت تحت امر حاكم عسكري تابع لولاية طيبة وانها كانت محطة عسكرية على الطريق بين مصر والولايات الرومانية في شمالي افريقية

وورد ذكر الواحات في كتب جغرافيي العرب كابي الفداء والعقوبي والمقريزي ويستدل من كلامهم انها كانت قد فقدت في ايامهم كثيراً من شأنها السالف

وخصب الواحات ناتج عن المياه التي في طبقات ارضها السفلى فحيثما وجدت منفذاً طبيعياً او حيثما حفر الناس آباراً ارتوازية رفعها الضغط المتصل بها الى وجه الارض

وصناعة حفر الآبار في الواحتين الداخلة والخارجة قديمة جداً من ايام الرومانيين ثم فقدت مدة طويلة ولم تعد الاَّ في القرن الماضي والفضل في ذلك لرجل فرنسوي اسمهُ ايمه فانهُ استحضر آلة لحفرها واستأذن محمد علي باشا في نقلها الى الواحات واقام اولاً في الخارجة وانشأ معملاً للنيلة ولاستخراج الشب

وفي الخارجة قرى كثيرة يبلغ عدد سكانها نحو ثمانية آلاف نفس وفيها نحو ستين الف نخلة ومثتا بئر وحيواناتها الاليفة الخيل والبقر والغنم والمعزى وفيها من الطيور الداجنة الحمام

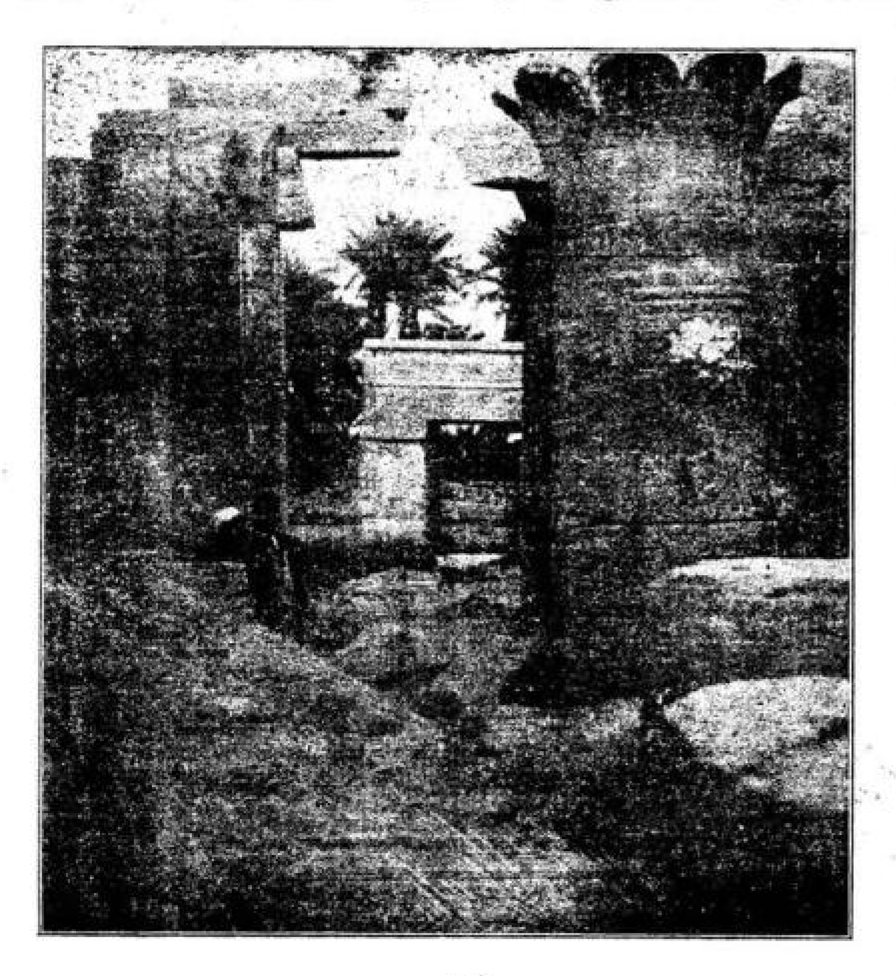
والدجاج والديوك الرومية ومن حيواناتها البرية الضبع والذئب والثعلب · والكرم قليل فيها الآن بعد ان اشتهرت في الزمن القدم بجودة خمرها · وقد اكلت من عنب الكرم الذي زرعتهُ الشركة حديثاً فاذا هو طيب الطعم كاجود انواع العنب · ويكثر فيها السنط والدوم ويصدر من حاصلاتها التمر ويبتدئ موسم التمر عندهم في اغسطس وينتهي في يناير وعليهِ اعتمادهم

وقد رأى بعضهم ان استثمار هذه الواحات يجب ان يكون اسهل على ابناء هذا العصر منهُ على ابناء العصور الغابرة فمسحوها اولاً وطلبوا من الحكومة المصرية ان تجيز لهم انشاء سكة حديدية اليها وان تملكهم ما يحيونهُ من الاطيان فيها فاجابتهم الى طلبهم وأُلفت لذلك شركة مصر الغربية فانشأت سكة الحديد اليها واحتفلت بافتتاحها رسمياً في اواسط الشهر الماضي احتفالاً حضرهُ عطوفتلو نخري باشا ناظر الاشغال العمومية وجمهور غفير من وجهاء النزلاء وارباب الاموال ومكاتبي الجرائد وكنت في جملتهم نائباً عن المقطم فوصلنا في ١٧ يناير الساعة السابعة صباحاً الى مفرق الخارجة حيث يفترق الخط الذي مدتهُ الشركة المذكورة عن سكة حديد الحكومة شمالي فرشوط باربعة كيلومترات فتناولنا الفطور هناك ثم انتقلنا من القطر الذي كنا سائرين فيهِ الى قطر الشركة

ولما وصلنا الى قرة حيث المحطة الاولى لسكة حديد الشركة وجدناها مزدانة بالرايات والاعلام المصرية فنزلنا للاحتفال رسمياً فتناول عطوفة نخري باشا مفتاحاً من الفضة وفتح بهِ باب المركبة المحفوظة لاكابر المدعوين ثم قلدتهُ قرينة سعادة جنسن باشا مدالية ذهبية نقش على وجه منها اسم الشركة وعلى الوجه الآخر قاطرة سائرة في الصحراء واسم سكة الحديد وتاريخ فتحها وفاه المستر مانفيل رئيس الشركة بكلام قليل موافق للمقام ولما وصلنا الى الكيلومتر ١٠٠ تناولنا الغداء في خيمة مضروبة وسط الصحراء وبعد الغداء شاهدنا رقص الراقصات من اهل قنا ثم استأنفنا السير فوصلنا الى الخارجة نحو الساعة الرابعة بعد الظهر وقصد كل منا المحل المعد لهُ ثم تناولنا العشاء فاكلنا اكل من اشتد بهِ الجوع من تأثير الصحراء

وبات بعضنا في محطة المكنات حيث يقيم مستخدمو الشركة والبعض الآخر في خيام قرب الخارجة · واستيقظنا صباحاً نستنشق الهواء المنعش وخرجنا فاذا نحن في منحدر تحيط بهِ غابات النخل من جهة والتلال من جهة اخرى تعلوها الهياكل وآثار المباني القديمة وامامها سهول خضراء فيها الشعير والبرسيم من المزروعات فمشينا نحو ربع ساعة في غابات النخل ورأينا المياه تتدفق من العيون او الآبار الارتوازية ثم وصلنا الى هيكل عظيم على قمة تلة مبني بحجارة رملية ضخمة عليها نقوش وصور كثيرة وكتابات هيروغليفية من الداخل

والخارج · والصور ملونة بالوان بديعة جداً ولم تزل الوانها على بهائها مع ما مرَّ عليها من السنين كأنها صنعت بالامس · وداخل الهيكل اعمدة كبيرة منقوشة نقشاً بديعاً ويقال لهُ



هيكل هيبس

هيكل هيبس نسبة الى مدينة هيبس او هبت وقد بني في زمن داريوس الاول وداريوس الثاني حينما كان الفرس متسلطين على القطر المصري

وشاهدنا على قمة اكمة اخرى بقايا كنيسة قديمة بناها الاسقف نسطوريوس حين نفي الى هناك سنة ٤٣٥ للميلاد وعلى جدرانها كتابات كثيرة عربيَّة نقشها عليها الزوار الذين

زاروها في جهات القطر المصري وبلاد السودان والحبشة منذ مئات من السنين

ورجعنا من هناك الساعة الواحدة بعد الظهر فوجدنا خيمة رحبة مضروبة وفيها مائدة كبيرة حولها مئة وعشرون كرسياً للمدعوين ورجال الشركة وعليها افخر انواع الطعام والمدام فجلس عطوفة فخري باشا في صدر المائدة وجلس المستر ارمستريخ عن يمينهِ والمستر مانفيل رئيس الشركة عن يسارهِ ثم سعادة عبد الخالق باشا ثروت مدير اسيوط ثم سعادة جنصن باشا مدير اشغال الشركة فسائر المدعوين. وبعد الطعام نهض المستر مانفيل وطلب من الحضور ان يشربوا معهُ نخب الجناب العالي فوقف الجميع اكراماً وشربوا نخب سموهِ ثم نهض عطوفتلو فخري باشا وفاه بخطبة فرنسوية قال فيها ان الجناب العالي تنازل وانتدبني لانوب عن سموهِ في حفلة افتتاح سكة حديد الواحات التي تصل هذه الواحات بوادي النيل بعد ان كانت منفصلة عنهُ وعن سككهِ الحديدية الكثيرة وعن جميع الطرق التجارية محاطة بالصحراء الغربية القاحلة واننا لنرجو ان هذا المشروع الذي نحتفل اليوم بافتتاحهِ رسمياً يأول الى نجاح هذه الجهات بجعل طرق النقل منها واليها مثل اسرع واوفر طرق النقل والانتقال الحديثة. ولذلك ارجو لهذه الشركة تمام النجاح في كل اعمالها ومشروعاتها ولا اشك ان الاتصال سيتم قريباً بين القطر المصري وبين سائر الواحات كما تم بينهُ وبين واحة الخارجة لان هذا من جملة الاعمال التي تقصدها هذه الشركة ولذلك أعلن ان سكة حديد الخارجة قد فتحت من الآن للتجارة رسمياً واني بالنيابة عن المدعوين كلهم اقدم لرجال هذه الشركة مزيد الشكر على حسن ضيافتهم لنا وسيبقى لذلك احسن تذكار في نفوسنا

ولما اتم عطوفة فخري باشا كلامهُ نهض المستر ارمستريخ وقال ما ترجمتهُ

لقد تكرَّم الجناب الخديوي وحكومتهُ ومنحوني الامتياز الذي قامت بهِ هذه الشركة ولذلك اقول كلمتين بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن المؤسسين لهذه الشركة اما من جهتي فاني مسرور جدًّا بقيامي هنا الآن حيث نحتفل بعمل مهم جدًّا في تاريخ مصر الحديثة فان القائمين بهذا العمل قد اعدوا الاموال اللازمة لهُ وقاموا بكل ما اشترطتهُ الحكومة عليهم. والوعد الذي وعد بهِ جنصن باشا سكان هذه الواحة منذ بضع سنوات قد تمَّ الآن ورُدَّت الى مصر بلاد من اخصب بلدانها بعد ان انفصلت عنها زمناً طويلاً. ولم يكن عملنا سهلاً فان كثيرين ضحكوا علينا واستهزأوا بنا حينما قلنا اننا عازمون على انشاء سكة حديد الى الواحات لانهم قالوا اننا لا نعلم اين تبتدئ هذه السكة ولا اين تنتهي والآن اقف في وسط ارض لا تقل مساحتها عن الف ميل مربع اكثرها اطيان صالحة للزراعة وافتخر بقولي اننا انشأنا

هذه السكة وقمنا بهذا العمل العمومي العظيم واثبتنا لكم وللعالم اجمع وجود اطيان وسيعة يمكن زرعها ووجود الماء الغزير لريها والعمال الكافين للعمل فيها . ويمكننا الآن أن ننسى ما مضى ونصفح عن الذين اساؤوا الينا . وان ما اظهرتموه عطوفتكم من السرور والرضى يكفيني جزاء حسناً فاشكر عطوفتكم على ذلك واطلب من الله ان يوفق اعمالنا لتأول الى نفع هذه البلاد ولتبقى مثالاً للاعمال العمومية النافعة . هذا ولا اخفي عليكم انني اكبر مساهم في هذه الشركة على ما اظن ولي فيها خمسون الف سهم اكثر مما لاي شخص آخر واسهمي الآن اكثر مما كانت قبلاً وانا عازم ان ابقى متصلاً بها ما دمت في صحتي وما دمت قادراً على خدمتها بجسمي وعقلي

ثم تلاه المستر مانفيل رئيس الشركة وقال ما ترجمته انني بالنيابة عن الشركة ارحب بحضراتكم جميعاً وابث لكم شكري وشكر سائر اعضاء الشركة على ما تجشمتموه من المشاق في مجيئكم الى هذا المكان لمشاهدة الاحتفال باتمام الجزء الاول من مشروعنا الذي يحق لي ان ادعوه عظيماً فعطوفة نخري باشا موفد من قبل الجناب الخديوي لكي يعلن افتتاح القسم الاول من سكتنا الحديدية ونحن شاكرون لسموه مبتهجون لانه رأى لعملنا من الاهمية ما يستحق اعتناءه كما نحن شاكرون لعطوفة نخري باشا على الاقوال التي فاه بها و بيّن فيها انه يقدر عملنا قدره وعندنا ان عمل شركتنا كبير الاهمية للقطر المصري فان اطيان الوجه القبلي والوجه البحري مساحتها محدودة وان كانت اخصب اراضي المسكونة وقد وفقنا نحن الى ان نزيدها ارضاً واسعة جداً صالحة للزراعة . واسم الشركة التي لي الشرف ان ارأسها الآن شركة مصر الغربية ولا اظن انه يمكن ان يوجد لها اسم اصلح من هذا الاسم لان غرضها ان تضيف بلاداً واسعة الى القطر المصري يصح ان يطلق عليها اسم مديرية مصر الغربية . ولقد خصت الطبيعة القطر المصري بفيضان النيل الذي يرويه ويجلب له الخصب ونحن هنا محرومون من ماء النيل ولكن الطبيعة اعطتنا ما يقوم بري ارضنا وخصبها فقد شاهدتم المياه العذبة تتدفق من الآبار الارتوازية وتجري على الارض وترويها من غير آلات رافعة وعندنا ههنا مقادير كبيرة من السماد الطبيعي من الفصفات والنيترات وهي من اصلح الاسمدة للارض والتجارب التي جربناها حتى الآن تدل على نجاح الزراعة التام وعلى ان الذين يبتاعون الاطيان منا ويزرعونها يفلحون في عملهم فالقطن الذي زرعناه وجنيناه يدل على انه ينتج من هنا اجود انواع القطن وان محصول الفدان منه قد لا يقل عن متوسط محصول الفدان في وادي النيل . ويمكننا ان نقول من الآن انه لا تمضي سنون كثيرة حتى نرى اطياناً وسيعة

في هذه الواحة مزروعة احسن زراعة وسيزيد عدد السكان من الآن فصاعداً لان مهاجرتهم ستقل ولا يبعد ان يعود بعض الذين هاجروا قبلاً . وسكة الحديد التي شاهدنا افتتاحها ستنقل حاصلات هذه البلاد الى حيث تباع باغلى الاثمان . والاهمية الكبرى في وادي النيل للحاصلات الزراعية لا لسواها اما هنا فعندنا مواد تصلح للصناعة لعمل اجود انواع السمنت ولعمل الخزف والقرميد . وعندنا ايضاً انواع مختلفة من الحجر الجيد الصالح للبناء وقد اخذنا مقاولة من الحكومة لتوريد الحجارة اللازمة لها في اعمال الري . وعندنا فوق ذلك مواد كثيرة ثمينة من المغرة والشب وسنستخرجها مع الزمن ولا بد من تسهيل الوصول الى الواحة الداخلة باسرع ما يمكن وقد ظهر لنا بالبحث ان هناك من المواد ما هو اثمن مما يوجد هنا فضلاً عن ان السكان هناك اكثر كثيراً والاراضي الزراعية اوسع

وقمنا بعد الغداء وركبنا القطار فسار بنا الى حيث توجد الاطيان التي زرعتها الشركة ومساحتها نحو الفي فدان فرأينا المياه تتدفق من الآبار الارتوازية من نفسها والبئر منها تكفي لزراعة مئتين وخمسين فداناً والزراعة التي رأيناها في الارض هي الشعير والبرسيم و بقايا القطن وكان جانب كبير منها قد زرع فولاً سودانياً وسمسماً ورأينا في المخازن كميات كبيرة من محصولهما . والتربة طين اصفر دسم جداً والارض لا تحتاج الى التقصيب وقد انشأت الشركة فيها بستاناً زرعت فيه البرتقال والعنب والموز وغيرها من الاشجار ورأينا عند عمدة البلد جنينة فيها كثير من اشجار البرتقال وثمره كبير طيب الطعم ولكن قشرته صفراء اللون

وبلد الخارجة فيها نحو ستة آلاف من السكان وبيوتهم اكواخ صغيرة من الطين واسواقها مسقوفة تعلوها البيوت من الجانبين ولها ابواب كانوا يقفلونها خوفاً من غارات الاعداء وهم صغار الاجسام نحاف الابدان صفر الالوان . وقد سمعت من كل الخبيرين بالزراعة من الذين كانوا معنا ان تربة الارض في غاية الجودة وان الماء كاف لريها بسهولة وهي لا تحتاج الى نفقة كبيرة لتمهيدها وزرعها . ومما هو جدير بالذكر ان المقاولين الذين انشأوا سكة الحديد وهم الخواجات اجوسمان وذيتمامارو تغلبوا على اشد المصاعب في انشاء سكة طولها نحو مئتي كيلو متر وفيها انخفاض مقداره نحو ٣٦٠ متراً في ما طوله ٢٩ كيلو متراً فاضطروا ان يردموه كله لا سيما وان ليس في السكة ماء مطلقاً فكانوا يضطرون ان يجلبوا ماءهم من النيل يومياً وكان عندهم من العمال ثلاثة الاف نفس ومع ذلك اتموا العمل كله في سبعة عشر شهراً فنكرر الشكر لهذه الشركة على ما بذلته من العناية لراحة المدعوين وندعو لها بالنجاح التام

نجيب صروف

علم ما في الزمان المستقبل

بسم البديع المنطقِ اللسانِ ... في منهج البيانِ والمعاني
والحمدُ للهادي الى الحقِّ الجلي ... في ما مضى والحال والمستقبلِ
حمدًا عِدادَ الزُّهرِ في الزرقاء ... ما أشرقت والزَّهرِ في الغبراء
وبعد فالمستقبلُ المجهولُ ... موضوع افكاري وما اقولُ
والغاية العظمى اكتشاف ما استتر ... فيهِ لجذب النفع او دفع الضرر
وهو الزمان المقبل الذي اتّصل ... بالحال ممتدًّا الى ما لم ينل
دهرٌ خفيٌّ ما رآهُ من بشر ... وما بدت شمس بهِ ولا قمر
ظرفٌ لهولٍ وامانٍ ورضا ... وغضبٍ احرُّ من نارِ الغضا
يخشاهُ قلبُ الجاهلِ الجبانِ ... والهمُّ منهُ مالئٌ الجنانِ
وكلما اهتمَّ بهِ يزيدُ ... اهوالهُ ولا يعي الرعديدُ
فاشجعْ ولا تهتمَّ جهدًا بالغدِ ... ذاك اهتمامٌ بالذي لم يوجدِ
ولستُ ابغي طرحك العنايه ... بكل آتٍ ذاك غير الغايه
فكلُّ ذي لبٍّ يريدُ العدَّه ... دفعًا لما يأتي زمانَ الشدَّه
لكنهُ يهتمُّ باعتدالِ ... بكلِّ ذي شأن في الاستقبالِ
كم خاف مثرٍ عيشةَ الفقيرِ ... فعاش شرَّ العيش بالتقتيرِ
يا ويلهُ ما فرَّ منهُ قد وقع ... فيهِ وهذا حظُّ ارباب الطمع
كم صابرٍ على بلاءٍ مزهقٍ ... وجازعٍ من نكبةٍ لم تخلقِ
يا ايها المستقبل المحجّبُ ... في كشف ما حجّبتَ كلٌّ يرغبُ
وبعض ما واريتَ بالحجابِ ... صرفُ النهى عنهُ من الصوابِ
لو علم الله بجلى امرهِ ... للناس خيرًا ما قضى بسترهِ
في كشف كل السرّ آفات الوجل ... وخيبة المسعى وإبطال العمل
هذا على ان الذي يعلمُ ما ... في الغيب بالنافع منهُ أعلما
اعلنهُ لحاضرٍ وبادِ ... ببيّناتِ الحيّ والجمادِ
باحت بهِ ألسنة الشريعه ... في صفحات الوحي والطبيعه

سلاسلُ العلة والمعلولِ تبدي لك الاسرارَ بالدليلِ
فمثلُ ما كان الذي يكونُ اما ابانت ذلك القرونُ
تماثلُ الاسباب منهُ يعلمُ تماثلُ المسببات المحكمُ
وكلُّ ما دار من الحوادثِ مفتاح علم الغيب عند الباحثِ
من ذلك الخسوف والكسوفُ كلاهما في وقتهِ معروفُ
والقبةُ الخضراء ذاتُ الحبكِ وكلُّ نجمٍ سابحٍ في فلكِ
والمدُّ ثم الجزرُ والانواء والغيثُ حيثُ اشتدتِ الرمضاء
والكلفُ الشمسيُّ والفصولُ ومثل هذا سردهُ يطولُ
وكلُّ ما في عالم الانظارِ يجري بلا ريبٍ على الادوارِ
والدهرُ دولابٌ عظيمٌ دائره احداثهُ في ضمن تلك الدائره
فان تزد علماً تزد كشفاً لما في غابر الازمانِ عنا كتما
فكلُّ ذي معرفةٍ جزئيه عليهِ اسرارُ القضا خفيه
اما انا فلستُ عنكم اكتمُ اني علمتُ انني لا اعلمُ
وانَّ ما في دفتر المقدَّرِ غير الذي سطَّرتهُ في دفتري
لكنني اسري على نور العلم مصدِّقاً ما خطَّ في اللوح القلم
فكل إثمٍ بعدهُ عقابُ وكل برٍ بعدهُ ثوابُ
وكل ما في عالم الباري نزل جارٍ بلا جورٍ على شرع الازلِ
شرعٌ قديمٌ محكمٌ لا ينسخُ اسبابهُ معقودة لا تفسخُ
من ذاك يدري العالم النحريرُ ما كنَّ في المستقبل الديجورُ
مثال ذا ان الكسالى تفتقرُ بعد الغنى فليعتبر من يذَّكر
وكلُّ سكيرٍ على العيالِ يجني بفقد صحةٍ ومالِ
وربما جنَّ وربما عمي فلم يميز مغنماً من مغرمِ
وربما مال الى سفك الدِّما من غير جرمٍ واستحلَّ الحرما
وكل صعلوك نشيط في نعم يمسي ولو كان اجلَّ من يرعى النعمِ
وربما صار الى اعلى الرُّتب فليس كلُّ المجد عن امٍ وابٍ
وجملة المقصود ان الآتي يدرَى من الاعمال والصفاتِ

ابرهيم الحوراني

ترع المرّيخ والحياة فيهِ

الترع في حال حركاتها

ذكرت سابقاً صفات الخطوط والنقط حسبما تظهر في اي وقت رُصدت والآن اذكر التغيرات التي تطرأُ عليها وتجعل مجال البحث فسيحاً لذيذاً . وهذه التغيرات هي تأثير السيل والفيضان . ففي بادىء الامر تكون الترع غير واضحة لا تكاد ترى ولكن بعد مضي وقت تسهل رؤْيتها لازدياد وضوحها واول ما يتبادر الى الذهن ان ذلك يتوقف على بعد السيار وقربهِ ولكن تأثير المسافة قليل فقد تكون الترع على معظم وضوحها حين يكون السيار في وقت الاقتران وتكاد لا ترى في الاستقبال حين تكون الشروط اللازمة للرصد على اتمها وفي غاية المناسبة والموافقة كأَن يكون الهواء قليل الاضطراب تموجاتهُ خفيفة لا تعيق نقل صور الاشباح الدقيقة . واذ لم يكن شيء يحجبها عن العيان استنتجوا ان التغير جوهري واسبابهُ داخلية فيحدث في اوقات معينة اي لابتدائهِ وقت ولانتهائهِ وقت وفقاً لاختلاف الفصول

وهذه الحقيقة توصل اليها الاستاذ لول بعد ان رصد ارصاداً متتابعة مدة سنين عديدة فيها تمكن من تعيين مقدار درجة الوضوح اثناء تعاقب الفصول ودرس طبائع التغيرات وكيفية اختلافها من وقت الى آخر وتحديد اوقات النمو والتأخر والانحطاط واخيراً ثبت عندهُ ان العامل فيها جميعاً واحد وهو ذوبان الثلج ولكن اوقات الزيادة والنقص لا تكون واحدة ومتساوية بل تختلف بعض الاختلاف فمنها تكون آخذة في الابتداء بين ان بعضها يكون قد بلغ معظم الزيادة . والنمو يبتدئ اولاً قرب القطب ثم يتدرج متجهاً نحو خط الاستواء ويتمداهُ الى حد ٣٥ درجة في الجهة الثانية منهُ وبعد ان تقل الحرارة ويبرد الهواء يبتدئ التقهقر والانحطاط ويوافق ذلك وقت رسوب الثلج طبقاً لما يصيب النبات على ارضنا على اثر هبوط درجة الحرارة في اواخر الخريف فتذبل الاوراق وتصفرُّ وتيبس فتختفي عن النظر . وكما ان النمو يبتدئ قرب القطب ويتدرج الى جهة خط الاستواء هكذا يحدث في حال التأخر والاندثار

وقد وجد ان بعض الترع ينمو بسبب الفيضان الحاصل من القطب الآخر اي ان مياه القطب الشمالي مثلاً تصل الى بعض ترع المنطقة المعتدلة الجنوبية وربما تتخطاها . وما قيل عن القطب الشمالي يصدق على القطب الجنوبي ولكن يبقى امر آخر وهو ان بعض الترع التي تظهر كل سنة في اوقاتها المعينة تختفي عن البصر عدة من السنين دون ان يعرض شيء

يمنع روْيتها . ويظهر من مقابلة ارصاد شيابارلي وارصاد لول ان بعض الترع المجاورة تظهر بالتناوب وذلك يدل على ان السبب ليس تغير الفصول وذوبان الثلج

اما الشقوق التي تظهر في بقع القطبين فليست الاَّ ترعاً تتصل بغيرها فاليابسة هناك تتألف من اقسام قاحلة لانبات عليها كالصحراء ومن اراضٍ مخصبة مملوءة بالنبات ومعلوم ان الثلج الذي يسقط على النبات يذوب قبل غيرهِ لان النبات يتضمن حياةً فيكون اكثر حرارة مما يحيط بهِ من الجماد

والتغيرات التي تطرأ على الترع تطرأ على الواحات وفي ذات الوقت ومع ان العرض وفصول السنة هي التي تحدد اوقات النمو وتعينها لكن وجد ان بعضها لا يتأثر على الاطلاق قبل ان تصل مياه احد القطبين ولو لم يكن ذلك في الفصل المناسب . والنمو في جميعها يبتدئ في الوسط ويمتد الى الخارج ثم يعقبهُ الانحطاط والاندثار

التعليل والايضاح

العلم لايقف عند ذكر الحوادث المجردة بل يبحث عن الاسباب التي تفعل فيها والقوانين والشرائع التي تفصلها عن غيرها وتجعلها نظاماً قائماً بذاتهِ واول الصفات الخاصة التي يتجه اليها الذهن فتهديهِ الى طبيعة الخطوط وماهيتها هي تغير لونها بتغير الوقت وهذا لا يمكن التعليل عنهُ بقرب المسافة وبعدها ولا بشيءٍ آخر يحول دون النظر فهو اذاً ليس بعارضٍ بل جوهري وحقيقي وفي اثناء البحث لا بد من ان يتنبه الذهن الى تغيرات اخرى تحدث كل سنة وتقريباً في ذات الوقت على سطح السيار اعني ذوبان البقع الثلجية المتراكمة قرب القطبين وهذا يدل على وجود علاقة تربط تغير لون الترع بذوبان الثلج لان الاول يعقب الآخر

فحينما يذوب الثلج يسود لون الترع القريبة ثم يعقبها ما هو ابعد منها وهكذا بالتتابع حتى يمتد الاسوداد الى ما وراء خط الاستواء . اما سبب الاسوداد فليس الماء الذي يجري في الترع وذلك لامرين الاول ان الماء لا يسبب لوناً اسود والثاني سير امتداد اللون متأخر كثيراً عن سير الماء الجاري ولكن هذين الامرين يدلان على ان السبب ليس الاَّ النبات الذي ينمو على ضفتي الترعة بوجود الماء

فاذا ذاب ثلج القطب تحول الى ماء يجري في الترع ثم يعقبهُ نمو النبات على ضفافها مبتدئاً من القطب سائراً نحو خط الاستواء وذلك عكس ما يحدث في ارضنا فالنمو هنا يتبع سير الشمس مبتدئاً من خط الاستواء متجهاً نحو القطب الشمالي في الصيف والجنوبي في الشتاء ومعلوم ان نمو النبات يتوقف على امرين هما وجود المواد التي تنمو والعوامل التي تسبب فيها النماء

فالاول يتألف من الاكسجين والنيتروجين والماء وبعض الاملاح والثاني الشمس وحرارتها فاذا فقد احدهما امتنع قيام حياة النبات ولكن اذا اجتمعا معاً تظهر الحياة ويبتدئ النمو. ففي ارضنا كل افراد العامل الاول متوفرة وعليهِ فحياة النبات تتوقف على مركز الشمس ومقدار حرارتها بين ان الحالة في المريخ على عكس ما ذكر فهناك البحار وغيرها من مجتمعات المياه نضبت مياهها او غارت ولم يبقَ منها الأ ما يذوب من ثلوج القطبين فينمو النبات اذاً بعد ان يصلهُ الماء الذائب وهذا النمو يبتدئ بالطبع من القطب ويتدرج نحو خط الاستواء ويتعدَّاهُ الى آخر الترع التي تجري فيها مياه ذلك القطب

الحياة

ومما مرَّ يترجح وجود النبات لانهُ اكمل وانسب شيء يعلل بهِ عن التغيرات التي نراها سنوياً واذا صح هذا الزعم تمكنا من استنتاج وجود حياة اسمى من حياة النبات — حياة الحيوان لان وجود الواحد يتطلب وجود الآخر كما هو معروف عندنا وذلك ظاهر لكل من تفقد هذا الكون الارضي برَّهُ وبحرهُ وارضهُ وهواءهُ فانهُ يجد الحياة عامة منتشرة في كل ناحية من نواحيهِ من خط الاستواء الذي يتقلب السنة كلها تحت اشعة الشمس العمودية الى القطب الذي لا ترتفع الشمس فوق افقهِ زيادة على ٢٣° ويستمر في الظلام والزمهرير مدة ستة اشهر. ومن قمم الجبال الشاهقة التي يبلغ علوها خمسة اميال ونصف ميل الى درك البحار الغائض نحو ستة اميال وتختلف من حجم الفيل والارز الى حجم البعوض والطحلب الى الجسيمات الحية المنتشرة بين دقائق السائلات وذرات الهباء والمتخللة حتى في نسيج العضل وبين كريات الدماء كلها تعيش معاً وفقاً لنواميس الطبيعة. نمو الواحد وتكاثرهُ يتوقف على نمو الآخر وتكاثرهِ فحيثما يوجد النبات يوجد الحيوان الذي يلائمهُ والمحيط الذي يقضي على الواحد يلاشي الآخر

والآن اوجه انظاركم الى العلاقة التي بين حياة الحيوان وحياة النبات. من المقرر ان الحيوان يغتذي على النبات او ما يتولد منهُ وهذا بحكم الاضطرار إذ يستحيل عليهِ ان يغتذي راساً من المواد غير الآلية فلو تلاشى النبات لتلاشى الحيوان لان بلازم (Plasm) جسدهِ محصل من بلازم (Plasm) النبات او غيرهِ من الحيوان الذي يغتذي على النبات وما عدا النبات لا يوجد الأ نوع من الحيوان يدعى (Nitro Bacteria) يغتذي على المواد غير الآلية او الكيماوية ولكن عكس هذه القضية صادق وصحيح اي ان حياة النبات تتوقف على حياة الحيوان فالدود الذي ينخر التربة بعزقهِ لها يجعلها صالحة لنمو النبات ولولاه

لتلبدت وجفّت واصبحت كالصخر لا ينمو فيها شيء. ولولا وجود بعض الحشرات والهوام على اختلاف حجمها وانواعها لانقرض قسم كبير من النبات اذ بواسطتها تنتقل انواعهُ وتنتشر على وجه البسيطة ويتم لقاحها. وكلنا نعلم ان الحيوان يخرج الحامض الكربونيك فيمتصهُ النبات وبعد ان يأخذ الكربون الذي هو قوام حياتهِ يفرز الاكسجين الذي هو عماد حياة الحيوان

وهذا الارتباط الكائن الآن لا بد انهُ وجد قبلاً لانهُ لو تراجعنا من الحاضر الى الماضي او ما يقابلهُ اي لو هبطنا في بحثنا الى اسفل درجات سلَّم الحياة في الحيوان لوجدنا حسب رأي النشوء والارتقاء انهُ حالما تحوَّلت المركبات الغير الآلية الى آلية كانت صفاتها عامة الى درجة حتى ان ما بقي منها الى الوقت الحاضر يتعذر تعيين نوعهِ هل هو مختص بالمملكة النباتية او الحيوانية فان الكروماشيا (Chromacea) تشبه بعض انواع البكتيريا كل الشبه ولا شيء يفرقها عنها سوى نوع غذائها الذي يجعلها نباتاً ويعتقد العالم هيكل (Haeckel) ان ذلك ليس من الفوارق الجوهرية لان النيترو بكتيريا Nitro Bacteria تغتذي من المركبات غير الالية مع انها من المملكة الحيوانية ويظهر ان اصل هذين النوعين واحد اي بعد ان طرأ على المواد غير الآلية فواعل مختلفة تولد فيها احياء اولية بسيطة جداً لا نبات هي ولا حيوان ثم ارتقت هذه الاحياء بفعل العوامل من البسيط الى المركب وما زالت ترتقي حتى تفرع النبات والحيوان في ابسط مظاهرهما وعليهِ اذا صح ان اسلاف اصول المملكتين النباتية والحيوانية نشأوا معاً في ارضنا وجب ان ينشأوا معاً في غير الكرة الارضية حيثما تتوفر الاحوال المناسبة ويكون وجود الواحد دليلاً على وجود الآخر

اما امكانية الحياة فتتوقف على الظروف والمحيط واخصها حجم السيار ومادتهُ فالسيارات الكبيرة تتولد عليها الحياة في ممر الزمان لان فيها تتوفر الشروط التي يتم بها ظهورها بين ان الصغيرة الحجم تبقى عقيمة الى آخر الدهر وسببهُ ان بدء النشوء يتطلب حرارة عظيمة اصلية وداخلية لان حرارة الشمس ليست كافية وكذلك لا بد من جوّ يحيط بالسيار فيحفظ حرارتهُ وحرارة الشمس ويكون وسطاً لطيفاً فيهِ تجري العوامل اللازمة ويتمّ فعلها فاذا كان الحجم كبيراً والجذب عظيماً بقي الجوّ او الهواء والاَّ افلت. وما ذكر عن الجوّ يصدق على الماء الذي هو اهم مجهزات الحياة للاجسام الحية في بادىء امرها وبما ان المادة التي تتألف منها السيارات هي واحدة ومن اصل واحد فبحثنا يكون مقتصراً على ظروفها وحالاتها وليس على طبيعتها فاذا كانت الكتلة التي تتجاذب اجزاؤها لتكوّن السيار كافية لتسبب ظهور شروط الموادّ غير الآلية المناسبة وجب ظهور الموادّ الآلية لان الآلية تتولد من

غير الآلية كما هي الحالة في ارضنا وليس ذلك فقط بل اذا اندثرت تحل الى غير الآلية ويؤيد هذا القول القانون القائل ان كمية المادة والقوة ثابتة لا تتغير فلا تزيد ولا تنقص كذلك اذا قابلنا احط الاجسام الحية "الآلية" مع ارقى الاجسام غير الآلية نجد الفرق زهيداً للغاية ولا يقرب من الفرق الموجود بين اسمي الاجسام الحية واحطها فكأن تحول الغير الآلي الى الآلي او الى جسم حيّ تم "او يتم" اثناء هبوط حرارة السيار

والحياة تظهر بعد ان يتحول البخار المائي الى ماء واول ما يظهر فيهِ الكروماشيا (Chromacea) والكونفرفي (Confervae) واذا هبطت قليلاً ظهرت الاعشاب البحرية Rhizopods ثم النبات البري والحيوانات الفقارية

وخلاصة البحث ان الحياة على سيار ما تتوقف على جرمهِ اما انواعها وصفاتها فتتوقف على عمرهِ ولكن العمر يتوقف على الجرم لانهُ كلما صغر برد بسرعة وتقدم في العمر. والآن ظواهر سطح المريخ تدل على ان الشروط المذكورة قد تمت لحجمهُ يكفي لان يكون قد نبت عليهِ النبات وان يكون قد تقدم وشاخ وكما نعلمهُ عن احوالهِ الطبيعية يشير الى امكانية وجود النبات والحيوان فيهِ في اسمي درجات الارتقاء وليس ثمة ما يعارض هذا الرأي. وكما ان الحياة ابتدأت على ارضنا في البحار حسب اعتقاد الفريق الاكبر من العلماء وبما ان آثار البحار موجودة على سطح المريخ فلا يبعد انها ابتدأت هناك في البحار ايضاً

وبما انهُ يستحيل رؤية الحيوانات على سطح ذلك السيار لبعد المسافة يتجه بحثنا الى جهة أُخرى لاقامة الدليل على وجودها فلو تصورنا بشراً مثلنا يقطنون عالماً بعدهُ عن ارضنا الى حدّ لا يمكنهم من رؤية اكبر الحيوانات لكنهم يستطيعون ان يبصروا الغابات الكثيفة والمروج الفسيحة والصحاري الواسعة والابحر وما شاكلها من مجتمعات المياه فهم والحالة هذه لا يدرون بوجود مخلوقات حية ما لم تكن تلك المخلوقات قد احدثت ما غيَّر طبيعة وجه الارض في بعض اقسامها كبناء المدن الكبيرة وحفر الترع وغيرها من الاعمال التي هي دليل التمدن وعنوان التقدم لانهُ كلما تقدم الانسان في الحضارة زاد تأثيرهُ في ما يحيط بهِ فيغير وجه الارض بانشاء الطرق وسكك الحديد وقطر الكهربائية وإقامة المعامل والمصانع وفقاً لناموس النشوء والارتقاء الذي يتطلب حفظ النوع وتكاثرهُ وانتشارهُ وبقدر ما يغير من وجه البسيطة ويحول من الحالة الطبيعية الى الصناعية . وبسمو الاتقان والدقة ومقدار الفخامة والعظمة التي تتصف بها اعمالهُ يقاس تقدمهُ وارتقاؤهُ . هذه هي حالتنا مع المريخ فالآثار الصناعية التي نرى سطحهُ مرصعاً بها اكبر دليل واقوى برهان على وجود مخلوقات حية

وعقول راقية احكمت تنظيمها بطرق تسمو على ادراكنا

اما كون الترع صناعية لا طبيعية فهي حقيقة تنجلي لكل عاقل منصف وسبب انشائها قلة المياه على سطح السيار وانحصارها في ثلوج القطبين ولذلك اضطر السكان لقيام حياتهم الى جرها والاحتفاظ بها والانتفاع منها اذ بدونها لا يعيش مخلوق وهذه الترع كما ذكرتُ سابقاً اقواس دوائر كبيرة لانها اقصر خط يصل نقطتين على سطح الكرة والنقط او الواحات مستديرة الشكل لان محيط الدائرة اقصر خط يحيط بمساحة معينة وكل مظاهر الترع والواحات تدل على انها وجدت لمقاصد خاصة دعت اليها الحاجة وما تلك الحاجة الأجرّ مياه الثلج الذائب الى البقع المأهولة بالسكان لسقيا مهم وري ارضيهم . ومما يثبت انها صناعيةٌ كون الماء يأتي في جميعها الى خط الاستواء و يتعداهُ الى الجهة الثانية وذلك عكس القوانين الطبيعيةً

الخاتمة

يظهر من جميع ما ذكر ومما يمكن الاستدلال عليهِ بقياس التمثيل ان المريخ مأهول بخلائق حية تنمو فيهِ وتتوالد على حد ما في الارض لان عناصر الحياة ومعداتها متوفرة . واهم اعتراض على هذا الرأي ان ذلك السيار ابرد من الارض وجوهُ خفيف ورقيق وكمية الحرارة الواصلة اليهِ من الشمس قليلة لا تكفي لقيام الحياة ولكن اكثر القواعد التي بنوا احكامهم عليها قد افسدها العلم الصحيح وخلاصة نتيجة الابحاث الطبيعيةً في الوقت الحاضر تشير الى ان حرارتهُ في الغالب اعلى من درجة الصفر قليلاً لكثرة بخار الماء المنتشر في جوّهِ وما فيهِ من القوة على ادخار الحرارة فضلاً عن المبدإ الذي عرف حديثاً وهو ان حياة النبات والحيوان تتوقف على معظم الحرارة وليس على اقلها

واذا صح وثبت ان الترع هي من اعمال الصناعة فلا شك ان هنالك مخلوقات عاقلة ارقى من الانسان عقلاً واكمل ادراكاً لما نعلمهُ عن الدقة والاتقان التي تتصف بها تلك الترع وتنظيم انتشارها بحيث انها تمر في اهم نقط سطح السيار وتتوزع الى كل جهاتهِ على السواء اما القوة التي صرفت لحفرها فما يعجز عنهُ البشر وما هي سوى دليل اتحادهم للنفع والنامر العام وتعاونهم كفرد واحد لدرء المصايب ومقاومة الطبيعة التي كادت تقضي عليهم ولو لا ذلك الاتحاد لبادوا منذ قرون عديدة حين نضبت وغارت مياههم ولكن يظهر انهم استطاعوا ان يكيفوا ذواتهم للظروف والاحوال فسلموا طبقاً لناموس الارتقاء الذي يكون مع تقادم الزمن كما هو معروف عندنا . وبما ان المريخ اقدم من الارض بالوف السنين و باعتبار صغر حجمهِ كان ولا بد اسرع برداً منها فلا غرو ان يكون سكانهُ ارقى من سكان الارض واقرب الى الكمال

هذا ما استطعت ان آتيكم بهِ هذه الليلة مما عرف عن ذلك السيار العجيب الغريب وقد تحريت في جميع ما قلتهُ ذكر آراء الاستاذ لول ومن لفّ لفهُ غير متعرض لآراء الفريق الآخر ولكن ذلك لا يعني اني اعتقد بصدقها بل اقتطفتها وتلوتها على مسامعكم لما فيها من اللذة والتفكهة ولانها خير ما يعلل بهِ عن الرسوم الغريبة الشكل التي يراها الراصدون واقرب مثال تمشى عليهِ ارضنا في المستقبل البعيد

منصور حنا جرداق
نائب استاذ الرياضيات
في المدرسة الكلية ببيروت

دير مار مارون

ذكرت في مقالتي الماضية خلاصة ما يعلم عن مدينة الرستن القديمة وآثارها وقد رأيت الآن ان اذكر ما وقفت عليهِ عن دير مار مارون الذي كان في هذه المدينة او في ما يجاورها خلافاً لما يدَّعيهِ البعض فاقول

يغلب على الظن ان دير مار مارون القديم كان في الرستن · قال السيد بولس مسعد بطريرك الموارنة في كتابهِ الدر المنظوم وجه ١٣١ " فدير القديس مارون الذي كان هؤلاء الرهبان تلامذتهُ منفردين فيهِ هو بين حمص وافاميا (حماه) ... وذلك بموجب اقرار برجر نفسهِ وحذاء نهر العاصي في موقع مدينة الرستان التي هي الآن خراب " . وقال المؤلف المذكور في الكتاب نفسهِ صفحة ١٣١ : " لان هذا الدير الذي كان يحوي ثمانمائة راهب ويسمَّى دير البلور لجمال بنائهِ ودير سورية ايضاً لان لهُ الرئاسة على اديرة بلاد سورية الثانية باسرها · وهو غير الدير الواقع بالقرب من مخرج العاصي الذي يسميهِ ابو الفداء مغارة الراهب "

ويشهد على شهرة هذا الدير كلام المسعودي حيث قال : " ودير مارون بنيان عظيم حولهُ اكثر من ثلاثمائة صومعة فيها رهبان . وكان فيهِ من آلات الذهب والفضة والجوهر شيء عظيم . تخرب هذا الدير وما حولهُ من الصوامع بتواتر الفتن "

وجاء في تاريخ سعيد بن بطريق اي كتابهِ نظم الجوهر (طبعة اكسفرد سنة ١٦٥٨) وجه ٢٣٨ ما يأتي

" وفي تسع سنين من ملك هرقل وهي السنة التاسعة من الهجرة خرج هرقل من

القسطنطينيَّة يريد بيت المقدس لينظر ما اخربت الفرس فيها · فلما وافى حمص لم يقبلهُ اهلها وخرج اليهِ الرهبان الذين في دير مارون فاستقبلوهُ وكان هرقل مارونيًّا فاعطاهم مالاً كثيرًا واعطى للدير ضياعًا وقرى . ثم خرج الى دمشق (١) "

فيستدل من ذلك ان الملك هرقل لم يدخل حمص بل عاد الى الرستن التي هي في جوارها فاستقبلهُ رهبان دير مارون ورحبوا بهِ واكرموهُ · وتزيد على شهادة سعيد بن بطريق ما قرأناهُ في مخطوط قديم وجدناهُ في مكتبة احد الاديرة في جبل لبنان لابن العميد المؤرخ الشهير الذي اعتمد عليهِ كثير من مؤرخي الافرنج المدققين ويعرف عندهم باسم المكين (٢) قال :

" وفي السنة التاسعة من ملك هرقل خرج من القسطنطينيَّة ليجمع الاموال من سائر المملكة ويتفقد احوالها · فلما وصل الى حماه طلع الى دير مارون وصلى فيهِ لانهُ كان مارونيًّا واعطاهم مالاً عظيمًا لاجل عمارة الدير وارتحل · فلما وصل الى دمشق احضر النائب عليها وهو منصور بن سرجون الدمشقي وطالبهُ بالاموال فذكر انهُ كان يحملها الى كسرى فعاقبهُ الى ان استخلص منهُ ثلاثة آلاف دينار واستمر على عملهِ وارتحل الى بيت المقدس "

---

(١) انما اتينا بهذه الشهادة لمطابقتها رأي السيد بولس مسعد في موقع دير القديس مارون الاقدم

(٢) ان هذا الكتاب مخطوط بالكرشوني قطع ربع ٢٥ × ١٨ وبقرأ في المقدمة ما يأتي

(بسم الله الرحمن الرحيم : نبتدئ بعون الله تعالى وحسن توفيقهِ نكتب كتاب مجموع مبارك جمعهُ واختصرهُ الشيخ الفاضل جرجس ابن ابي اليَاسر ابن ابي المكارم ابن ابي الطيب عرف بابن العمرا (والاصح ابن العميد والغلط من الناسخ) نيّح الله تعالى نفسهُ آمين)

ويذكر في مقدمتهِ انهُ يتضمن (من اخبار العالم وتاريخ الدنيا وما بها (هكذا) وانهارها ومدائنها وحال مكان الاقاليم وما كان في كل اقليم من النافع والضار الخ)

وتواريخ هذا الكتاب متصلة الى ملك هرقل – ومعلوم ان الكتاب المطبوع لابن العميد يبتدئ من هرقل فصاعدًا · فيكون هذا الكتاب هو الجزء الاول من تاريخهِ وهو غير معروف الى الآن

ثم قرأنا اسم الناسخ في آخرهِ هكذا : (وكان الفراغ من هذا الكتاب نهار الاربعاء تاسع عشر يوم من شهر آب المبارك سنة ١٩٢٩ يونانية بيد احقر الناس واردعهم (هكذا) نعمه باسم قسيس ابن قس يشوع الماروني)

ثم حاشية ثانية بالكرشوني هكذا : تجدد وتلحد هذا كتاب التواريخ في قرية خراج من يد الحقير قس حنا الكعوني في سنة الفين وستة وسبعين يونانية ··· الخ ثم في آخر الكتاب حاشية كتبت بالحرف العربي

الخط يبقى زمانًا بعد كاتبهِ وكاتب الخط تحت الارض مدفونُ

حرر في ١٩ كانون سنة ١٨١١ واكيم الخازن

وقد ذكر السائح بوكوك الانكليزي في كتابهِ الجزء الثاني وجه ٢٠٨ من النسخة المترجمة الى الالمانية المطبوعة سنة ١٧٥٤ انهُ بمروره في قرية الرستن شرقي العاصي رأى في جوارها اخربة دير عظيم جدًّا وعمدًا وقواعد عمد شتى

فهذه شهادات جلية قاطعة على ان دير مار مارون كان على ضفة العاصي بالقرب من حماة. ويؤيد ذلك ما جاء في كتاب توما الكفرطابي الذي كان عائشًا في القرن الحادي عشر. قال في الصفحة ١٤٦ من كتاب مجادلة الموارنة مع الملكية في المصحف الواتيكاني السرياني عدد ١٤٦ ما نصهُ

"وكان في ذلك العصر ماسك كرسي المملكة مرقيان واخوهُ... ثم امرهم (مكسيماس) ان يكتبوا مناشير الى بلاد الشام كي انهم يعتقدوا مقالة المشيئتين التي قالها مكسيماس. فلما انتهت كتبهم الى سورية والشام وبلد حلب ودمشق وجبل لبنان وحمص وحماه الى جميع السريان... حينئذٍ قال اهل الشام نحن راجعون الى حكم دير ماران دير السريان الذي تأويلهُ دير الرب. لان هذا الدير كان على شط العاصي خارج مدينة حماة وكانت جملة رهبانهِ ثمانمائة راهب قديسين اه"[1]

وبما انهُ لا يوجد دير تكلم عنهُ اهل الجغرافية في جوار حمص وحماة سوى في الرستن فيستنتج من كل ما ذكرناهُ ان موقع هذا الدير الشهير كان في هذه المدينة او في جوارها والله اعلم

يوسف اليان سركيس

[المقتطف] نشرنا هذه المقالة عن دير مار مارون والتي قبلها عن الرستن لان بحثهما جغرافي تاريخي ولا شأن لنا ولا للكاتب في التعرض للمسألة الدينية المذهبية. وعسى ان تهتمَّ الحكومة العثمانية او بعض اهل البحث بنقب هذين الاثرين لاكتشاف ما في انقاضهما من الدلائل التاريخية لان تاريخ مدائن الشام بين زمن الفتح والزمن الحاضر يحتاج الى بحث كثير وتنقيب دقيق

---

(١) من كتاب جامع الحجج الراهنة للمطران يوسف داود في الفصل الثالث من الباب الثاني

الاسماء

اطلقت الاسماء في كل امةٍ بلغتها على الاشياء والاشخاص تعريفاً لاعيانها وتفرقةً بين الشيء الواحد والآخر فتراهم سموا الشجرة باسمها ليميزوها عما سموهُ نهرًا . وعلى هذا المنهاج جعلوا يسمون الاشخاص باسماء ينفرد كل فردٍ منهم باسمهِ فيمتاز بهِ عن سواهُ

وفي المجتمعات الاولى كان عدد الافراد قليلاً فيخال ان الاسماء الموضوعة لافرادها من الذكور والاناث كانت يومئذٍ كافيةً لهم ولكنهم لما تناسلوا فازدادوا عددًا لم يبقَ لكل فردٍ اسم يستقل بهِ فيعرف متى ذكر اسمهُ فاضطروا ان يزيدوا الاشخاص تعريفاً بنسبة الفرد الى اسم ابيهِ . في الحالة الاولى يكتفى لمعرفة زيد بمجرد ذكر اسمهِ لان المجتمع صغير وليس فيهِ زيدٌ آخر بخلاف الحالة الثانية حين قصرت الاسماء عن الاشخاص فنشأ زيدٌ ثانٍ وربما ثالث ورابع فصاروا يعرفون زيدًا بنسبتهِ الى ابيهِ عبيد والآخر الى ابيهِ خالد وهلمَّ جرًّا

لكن المجتمعات متى كثر افرادها واتسعت واضطرت الى استكثار المنافع والمرافق تختار التجزؤ وتنفصل منها عيال وافخاذ وتبتعد عن مواطنها الاولى الى مواطن اخرى . فيبقى منهاج التسمية جاريًا ولكن قد تبقى الصلة بين المنفصلين و يضطر كل فريق الى اتخاذ الاسماء المألوفة فتتعدد ولا يؤمن وقوع اللبس بين الاشخاص المتشابهين اسماً ولو اختلفوا دارًا الاَّ بما يميزهم ولذلك صاروا يزيدونهم تعريفاً بنسبتهم الى مواطنهم

الاَّ ان هذه القواعد التي يخال ان الناس جروا عليها في بدء امرهم لم تكن تخلو من الشواذ كأن يكون الشخص معرَّفاً بصفاتهِ واعمالهِ فاذا ذكر اسمهُ مجرَّدًا عُرِف

كل هذا لم يذكر في نصٍّ تاريخي او كتابةٍ اثرية ولكننا نظنهُ واقعياً بحكم التمثيل . الا ترى ان العائلة الواحدة عند بدء نشأتها وقلة افرادها يمتاز آحادها باسمائهم ولكنها متى كثر عديدها وتشعبت فروعها يضطر الآباء الى تسمية صغارهم بالاسماء المألوفة في اسرتهم ولمزيد التعريف يعرف المسمى باضافتهِ الى اسم ابيهِ . فاذا كان هذا حال ابناء العيال في يومنا هذا ونحن مقتدرون على استعارة اسماء جمة من لغاتٍ شتى فما القول بابناء المجتمعات الاولى المقتصرين على الاسماء التي يعرفونها

واما نسبة الافراد لاوطانهم فلعلها تستنتج ايضاً من التمثيل اذ نرى في بعض القرى والمزارع حتى في المدن الحافلة كثيرين ينسبون الى اوطانهم

ولا نعدم دليلاً تاريخياً على بعض ما ختمنا الاَّ في بدء انتظام المجتمعات لان النصوص

والآثار قاصرة على الكلام في الامم ذات الشأن ولا شأن لغير الراقين. وانَّا لنرى الكتابات الاثرية تروي عن المجتمعات الراقية ما يدل على ان الاسماء كانت تعرَّف اما بالنسبة الى الاب او ببيان آخر. فقد اتصل بنا من آثار الاسرة السادسة المصرية (في القرن الثامن والثلاثين قبل المسيح على رأي مريت) كتابة لرجلٍ من عظماء المصريين اسمهُ اوني لم يذكر فيها اسم ابيهِ ولكن ذكرت وظائفهُ وحظواهُ لدى الملك اوناس. ومثل هذا نرى كتابة سينهويت احد عظماء مصر في زمن الدولة الثانية عشرة (في اواسط القرن التاسع والعشرين ق. م) تذكر اسم صاحبها ووظائفهُ من غير ذكر ابيهِ مع انها نوَّهت بانهُ من انسباء مزبني الملك

فذكر اسمي هذين العظيمين مجردين عن النسبة لا يطعن في ما ضمناهُ من المنهج القديم لانهُ قد يمكن ان يكون اسماها من الشهرة الواسعة بحيث يستغني بذكرهِ عن الانتساب او ان ذكر وظائفهما السامية كفاها في التعريف مؤنة المزيد

ويظهر من الآثار الكتابية التي وجدت في تلوَّح من بين النهرين ويحسب زمانها واقعاً بين عصريَّ الدولتين السادسة والحادية عشرة من الدول المصرية ان الاسماء تذكر فيها تارةً منسوبةً وطوراً مجرَّدة اعتبر ذلك بما ورد في صدر احداها المفتتحة باسم "نيناور ملك شيربورلا ابن نيني غال جبن" وفي صدر الاخرى "اوروكاجينا ملك شيربورلا"

ويغلب في هذه الكتابات المكتشفة في تلوَّح ذكر الملوك والاحبار من غير انتساب بل يكتفى بمناصبهم ومثل ذلك في المراسلات التي دارت بين فراعنة مصر وعمالهم في فلسطين قبل زمن خروج بني اسرائيل مما يعرف بمكتشفات تل العمارنة ان اصحاب تلك الرسائل يذكرون اسماءهم المجرَّدة حتى انهم بمخاطبة الملوك لا يسمونهم وانما تجدهم في بعض رسائلهم يقولون هكذا: الى الملك سيدي آلهتي (بالجمع) الهي الشمس الخ. وفي غيرها الى سيدي الملك. ويكتفون بذلك الآ ان في بعض الرسائل تخصيصاً اذ يقولون الى ملك مصر سيدي

فكأن مقام الملك وشهرتهُ تغنيان مراسليهِ عن الافصاح في تسميتهِ وعلى هذا الطرز يستغنون عن مزيد التعريف في مخاطبة العظماء فترى بين رسائل تل العمارنة رسالة من عزرو الى ابيهِ دودو من كبراء موظفي مصر يقول فيها الى دودو سيدي وابي اتكلم انا عزرو ابنك وعبدك الخ

واذا عرض في تلك الرسائل ذكر ثالث فاما انهُ يذكر اسمهُ مجردًا كعبد طوب وملك عريل وغيرهما واما ينسب الى ابيهِ ككلكي بن مارانيم او يعرف بوظيفتهِ ككلكوني البواب

واما عند العرب فمعلوم ما كانوا عليهِ في الجاهلية من سكنى البادية قبائل واتخاذ ا. وقد

اتصل بنا من اخبار مجتمعاتهم نزر قليل يدل على ان الاسماء التي كان يعرف بها الاشخاص قليلة العدد وانها كانت منتشرة بين كل القبائل يتسم بكل اسمٍ منها جماعة ولكن الميزة بين المعرَّفين بالاسم الواحد لم تكن ميسورة الاَّ بنسبة كل منهم الى ابيهِ وجدهِ بل قد تطول بواحدهم سلسلة الانتساب الى ثلاثة او اربعة من الجدود ثم تنتهي بالانتساب الى القبيلة . ومما ذكر ابو حاتم السجستاني في كتاب المعمرين ان قس بن ساعدة كان اول من كتب الى فلان بن فلان . الاَّ ان هذه الرواية لا تحملنا على الظن بان العرب كانوا يكتفون قبل زمنهِ بالاسم المجرَّد لان زمن قيس بن ساعدة حديث وكانوا ينتسبون قبلهُ

ثم ان العرب في جاهليتهم كانوا يعرفون بالانتساب الى قبائلهم كأَن يُقال قس بن ساعدة الايادي وامية ابن ابي الصلت الثقفي وامثالهما . فلما جاء الاسلام ظلت النسبة للقبيل جاريةً في صدرهِ ثم تقلص ظلها تدريجاً بما طرأَ على الناس من الاستبعاد عن خصائص البداوة وانتهاج مناهج الاعاجم الذين خالطوهم ولم يبقَ محافظاً على النسبة العربية الاَّ بعض الافراد من الاشراف الذين يفتخرون بالانتساب لقريش او لبعض القبائل المشهورة او الاماكن المقدسة . الاَّ ان الاحتفاظ بالانساب على طولها كان تاماً في التدوين والكتابة بخلاف الحال في المعاملات اليوميَّة

ومما يعرف بهِ العرب ورجالهم الكنية وهي ان يقال فلان ابو فلان ومثل ذلك ان يقال ابن فلان وقد امتدَّ بهم زمن هذا الانتساب اجلاً طويلاً من عصر الجاهلية حتى تجزؤ الممالك الاسلامية واختلاط اهاليها بالترك والبربر والافرنج . ومن امثلة الكنية ابو الطيب وابو العتاهية ومن امثلة الانتساب للاباء ابن خلدون وابن زيدون

ولقد بحث بعض كتبة العصر في الاسماء فرأَوا انهُ يغلب فيها ان تكون منذ اصلها قد وضعت للدلالة على معانٍ تؤديها الفاظها . وان الاسماء القديمة التي اتصلت بنا ويظهر انها مرتجلة لا معنى لها ربما كان اكثرها بقية لغات بائدة او هي محرَّفة عن الفاظ اخرى تحريفاً ابعدها عن المفهوم من اصلها . والاسماء المعروفة لهذا العهد من بقايا القدم تجدها عبرانية وتؤدي معاني مخصوصة . والاسفار المقدسة تظهر النسق العبراني في التسمية شبيهاً بنسق معظم القدماء من حيث الانتساب للاباء

وكأَن الناس جروا على ذلك الطرز زمناً طويلاً حتى وقع لبعض الافراد ما ميزهم عن سواهم بما وسموا بهِ من وصفٍ او نعتٍ في معرض مدح او ذم او بيان عمل او غير ذلك مما يعرض للانسان . فلحقهم ذلك الوسم وصار علامة فارقة لصاحبهِ يمتاز بهِ عن اقرانهِ . مثال

ذلك اصحاب الحِرَف والصناعات ورجال الحرب والقلم وخدمة الدين فانهم كلهم يمتازون بوصفهم من بين جمهور الناس ويوصف واحدهم بهذا الوصف ويُعرف باللقب

واللقب على ما حدَّدهُ العرب واحدٌ من ثلاثة تشريف وتعريف وتسخيف فاما التشريف فهو ما يتصف بهِ الانسان مدحاً لشرفهِ او شجاعتهِ او كرمهِ او غير ذلك من الصفات الآيلة لمجدهِ. والتعريف ما يعرف بهِ اصحاب الصناعات كالحداد والنحّاس والسيّاف وغيرهم. والتسخيف كالاعرج والالثغ وامثالها وهذا الثالث منهيٌّ عنهُ في شرع المسلمين الّا اذا ارتضاهُ المتصف بهِ. ويقول النحويون ان الاول يفيد رفعة والاخير ضعة واما عند الافرنج فاللقب يتناول اسم الوطن ايضاً اذا لحق باسم الفرد كأن يقال زيد المصري فكلمة مصري تعتبر لقباً لزيد

وهذه الالقاب نشأت لتعريف بعض الافراد ولكنها في كثيرٍ من الاحوال لحقت باعقابهم من بعدهم لانها بتعريفها الآباء صارت لهم علماً فعرفوا بها هم انفسهم. الّا انها لم تكن في باديء الامر مما جرى عند كثيرٍ من الامم على ما ظهر لنا من تواريخهم وآثارهم. بخلاف العرب فانهم ولئن كانوا على منهاج غيرهم فقد جرى عندهم اللقب شوطاً بعيداً واتسم بهِ كثيرون منهم في جاهليتهم وصدر الاسلام ولكنهُ على الاكثر لم يتعدَّ اصحابهُ ليلحق باعقابهم

اما اليونان فالظاهر من شعر هوميروس انهم كانوا يعرّفون الفرد بنسبتهِ الى ابيهِ وقد ينوهون باسم امهِ اذا كان ذلك من مفاخرهِ. ومنهاجهم هذا جرى معهم في كل مواطنهم حتى في ايطاليا مع ان بعض ارجائها التي لم تخضع لهم بل ظل الامر فيها للاتروسكان كان هؤلاء يعرّفون باسماء عيالهم. وهذه العيال اتسمت من قبل ذكرها في التاريخ باسماء جعلتها اعلاماً وهي في اصلها اما اسماء افرادٍ جعلت بمرور الايام اعلاماً للعيال واما القاب او نعوت صارت كذلك

ولما استفحل امر الرومان تابعوا الاتروسكان في منهاجهم واخذوا عنهم بعض القاب العيال كهومراثيوس وليقيبوس ومرقص وسيفروس وامثالها. ولما انتظمت الشؤون الرومانية اصبحوا يقسمون سكان مدينتهم العاصمة الى افخاذٍ جمة يسمونها بلغتهم gentes وكل فخذٍ منها يقسمونهُ الى عيال فكنت تراهم اذا ارادوا تعريف فردٍ منهم ذكروا لهُ ثلاثة اسماء اسمهُ الشخصي واسم عائلتهِ واسم الفخذ المنسوبة اليهِ. كقولهم بوبليوس كورنيليوس شيبيو فبوبليوس اسم الرجل وكورنيليوس اسم فخذهِ وشيبيو اسم عائلتهِ ومعنى شيبيو العصا وقد

سمي بها جده كناية عن ان اباه كان اعمى وهو يبرُّ به ويقوده وانما جعلوا له هذه التسمية لقب تشريف

والتلقيب كان على انمهِ عند الرومان فان قادة الجيوش الذين يستبسلون في القتال ويبلون في الاعداء بلاء حسناً كانوا ينالون انعاماً من الندوة العليا ان يضيفوا الى اسمهم المثلث لقباً agnomen يكون في الغالب احسن ذكرى لظفرهم كما ترى في القاب كوريليانوس وافريكانوس وجرمانيكوس

الاّ ان سواد الامة الرومانية كان لا يخل على بعض الناس بالقاب مصوغة من العيوب والصفات التي يرونها فيهم فتصبح الالقاب تعريفاً لحامليها يميزون بها كقولهم نيجر ومعناها الاسود وباولوس وتعريبها الصغير وكالڤوس ويراد بها الاصلع الى غير ذلك

اما اوربا فانها لما تنصرت اضطرَّ سكانها ان يغيروا الاسماء القديمة ليخلعوا باطراحها كل اثر وثني وشرعوا ينتحلون الاسماء الواردة في التوراة والانجيل . ولم تكن تلك الاسماء كافية للجماهير المتنصرين وكان القسوس يختصرون حفلات العماد (التنصير) ويعمدون الناس شراذم شراذم وتجنباً لتسمية كل معمَّد باسم مخصوص كانوا يطلقون اسم يوحنا او بطرس او بولس على كل شرذمة عمدوها في وقت واحد فيلحق الاسم الجديد بكل فرد من افرادها . ولكن شيوع الاسم الواحد بين كثيرين يخرجه من بين الاعلام المميزة فاحتاجوا ان يعدلوا في التعريف الى القاب مستحدثة اتخذوها من حرفهم وصناعاتهم واعمالهم وغير ذلك . وقد شاعت عندهم هذه الالقاب والنعوت وقامت مقام الاعلام عصوراً متطاولة حتى امتد المجتمع الاوربي باصوله وفروعه وكثرت افراده فاتخذوا الاسم العائلي فارقاً وصارت الافراد تنسب اليه

واختلف الباحثون في شيوع الالقاب بين الانكليز فذهب فريق الى انها لم تكن معروفة قبل الفتح النورمندي وقال آخرون انها كانت تتخذ على قلة لان النسق السكسوني كان على الاكثر بنسبة الابن الى ابيه بحيث كانوا يقولون مثلاً اكبرت ادكارين فالياء والنون في آخر ادكارين يعبر عنها بالسكسونية بالحروف ing وهي بمعنى ابن وتجدها في بعض الاسماء الحاضرة اثراً لتلك التسمية كما تجد للصفات اثراً في الالقاب بعد استعمالها . وثبوت هذه الالقاب واتصالها بالاعقاب ارثاً لم يجرِ الاَّ منذ القرن الحادي عشر . وكأنهُ امتد سريعاً وتأصل في الطبقات العليا حتى حدث في منتصف القرن الثاني عشر ان الملك هنري الاول اراد ان يزوج ولداً غير شرعيٍّ من بنيه فابت عروسة التزوج به لانهُ لم يكن لهُ لقب

فانعم عليهِ ابوهُ بلقب Fitz-Roy اي ابن الملك وصار هذا اللقب يمنح لابناء الملوك غير الشرعيين

وانما بحثت في اسماء الاوربيين لهذا العهد تجدها تدل على شيء مما قدمنا

ومما يستلفت الانظار عند الاوربيين انهم يسمون الاسم الشخصي باسم العماد او الاسم المسيحي وهذا التخصيص يدل على اصل وضعهِ حينما تنصَّر الاوربيون افواجاً فضلاً عن ان الطفل المسيحي يطلق عليهِ اسمهُ حين عمادهِ ولذلك سموا الاسم كما رأيت

بقي ان نلمح الى ما هو شائع عندهم من التسمية بالاضافة الى اسماء المدن والقرى والمزارع . وعلامة الاضافة عندهم of بالانكليزية و De بالفرنساوية و Von بالالمانية فحسبهم بعض الباحثين من نائلي درجات النبالة وخالفهم غيرهم بان علامة الاضافة لا تدل على النبالة بل على كونهم من اهل المواضع المنسوبين اليها

واما شأن النبلاء فان نسبتهم لبعض المواقع تظهر بعلامة الاضافة وهذه تشير الى ان تلك المواضع خاضعة لسيادة النبيل اسمًا كما كانت من قبل اقطاعة يسودها غيرهُ من النبلاء ومن زمن نظام الاقطاعات جرت عادة انتساب البلدان الى اصحابها او اشتهار النبلاء بسيادتهم فيها

وجرى المسلمون في التسمية على ما اخذوا عن العرب ثم اتصلوا بالاعاجم من فرس و يونان وروماو وقبط وارمن وغيرهم فاخذوا عنهم شيئاً . ولكن ظل المنهاج القديم غالباً فيهم وقتاً طويلاً ثم جاروا غيرهم بالانتساب الى العيال والقبائل والبلاد على غير اطراد

واما الاتراك العثمانيون فان تغلُّب اسماء الافراد مع نسبتهم تارةً لابائهم شاع استعمالهُ فيهم طويلاً ولكنهُ كاد يدرج الآن لان منهاجهم الحديث كاد يطمس على اسماء الآباء فضلاً عن العيال التي لم تبقَ النسبة اليها محفوظة الاَّ في صدور ابنائها . وانما يتخذ الاتراك اسمين اولها من اسماء الانبياء او الصحابة والثاني يسمونهُ مخلصاً يتخذونهُ فارقاً ولكنهُ ليس بفارق واسم العائلة مكتوم فلا يعرف الانسان الاَّ باسم وظيفتهِ ومحل وجودهِ او ان كان ابوهُ من العظماء تميز بالنسبة اليهِ فتقول مثلاً عمر زاده حسن افندي . ومن الغريب ان بعض المصريين والسوريين رغبوا في متابعتهم وساروا على نهجهم حتى انك تجد اربعة اخوة احدهم يسمَّى محمد توفيق والثاني اسمعيل فتحي والثالث ابرهيم قدري والرابع علي فهمي وقد ضاع اسم العائلة الذي يجمعهم . الاَّ انهم قد اخذوا يعدلون عن ذلك الآن و يعودون الى اسماء عائلاتهم

ر . ن

الفلسفة عند اليهود

ان حكماء الامة الاسرائيلية انصرفوا خلال عصورها الاولى الى الانذار والتعليم بمعرفة الله تعالى والقول بوحدانيتهِ وخلقهِ الكائنات كلها ولم يذهبوا الى ما وراء ذلك من البحث في صفات الخالق وحقيقة النفس وما اشبه من النظريات التي ملأت كتب الهند واليونان وكل امة كان لها من الفلسفة نصيب وافر اي انهم وقفوا عند حد الايمان المطلق غير مستند الى الابحاث العلمية ولا متبع طريقة فلسفية

الأ انهم في الاحايين كانوا يحومون حول المباحث النظرية ولكنهم لم يكونوا ليدخلوها من ابوابها سالكين اليها طريق الدليل والبرهان بل كانوا يقولون بالرأي ويدعمونهُ عوض البرهان بالاسناد الى الوحي . مثال ذلك مسألة الخير والشر فانهم قالوا ان الله تعالى خير مطلق ولا يصدر عنهُ الأ الخير واستدلوا على ذلك بما ورد في الكتاب من ان الله كان اذا خلق شيئاً رآهُ حسناً . واذ اشكل عليهم حلّ مسألة الشر وخافوا ان يقودهم الكلام فيهِ الى الوقوع في الخطإ قالوا ان الشر من صنعة البشر يتولد من انتصار المبدإ المادي على المبدإ العقلي ولما كان الانسان حرًّا في اعمالهِ وارادتهِ صار من الواجب عليهِ ان يجعل اعمالهُ منطبقةً على مبدإ الخير السامي لئلاَّ تغلبهُ المادة فيصير عبداً للشر . وهذا القول يرتبط ارتباطاً قويًّا بالمبدإ القائل بحرية الارادة الذي هو من المبادىء الاساسية في العقائد الموسوية على ما يؤْخذ من سفر التثنية حيث قيل انظر قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير والموت والشر

وسار حكماء اليهود على سبل الكثير من حكماء الشرق في تمثيل الحكمة في الشكل الشعري او بما يقرب من نوعهِ من الامثال والاحاجي لاسيما وانهم كانوا اذا اقتربوا من النظريات الفلسفية المحضة ارجعوها الى دائرة الدين وجعلوا الحكم فيها فوق مدارك العقل اعتبر بما ورد في سفر ايوب من اجتماع الحكماء وبحثهم في مسألة العناية الالهية والقدر كيف ظهر الله في عاصفةٍ لايوب واظهر لهُ قصر المدارك البشرية عن اكتناه اسرار الطبيعة ووجوب خضوع الانسان لله والتسليم لارادتهِ الى غير ذلك مما يذهب بالقضايا الفلسفية الى الوجهة الدينية . على ان الجلاء البابلي ادَّى الى اختلاط اليهود بغالبيهم والاطلاع على حكمتهم وحكمة الفرس مجاوريهم ولا بدَّ لهذا الاختلاط من ان ينقل شيئاً من تمدن الكلدان والفرس الى عقائد اليهود وعاداتهم لما يحدث المحيط الكبير عادةً في الفئة الصغرى من التغيير والتكييف في اخلاقها وعاداتها وعقائدها وسائر شؤُونها الاجتماعية لاسيما وان اليهود لم يروا في معتقدات

غالبيهم ما يدعو الى النفرة والاشمئزاز فالفرس على ما علمناه من كتابهم الديني الزندافستا قالوا بالوحدانية وان لم تكن مطلقة وشابهوا اليهود من حيث الكراهة للوثنية فحدت بهم تلك المشابهة الى التقرُّب والامتزاج

الا ان الفرس انفسهم لم يبلغوا الشأوَ العظيم من الفلسفة بحيث يتصل من فيضها باليهود ما يكفي لادخال الابحاث النظرية في كتاباتهم . يؤيد ذلك خلو الاسفار المكتوبة بعد الجلاء من روح الحكمة والكلام فيما وراء الطبيعة ونقاؤها من هذه الوجهة على ما كانت عليهِ قبل الجلاء . ولما تسوّد اليونان سوريا وانتشرت فيها معارفهم وآدابهم الفلسفية ثارت في اليهود الرغبة في طلب العلم وارتياد الفلسفة اعلاء لقدرهم في عيون الفاتحين الذين كانوا يزدرون بعوائدهم ويمتهنون آدابهم لذلك عدل اليهود الى الكتب المقدسة فشرحوها واسهبوا في تفسير غوامضها مدخلين اليها شيئاً من الآراء الفلسفية اليونانية التي كانت لذلك العهد زاهرة في الاسكندرية

وقد ذكر لنا التاريخ اسماء كثيرين من علماء اليهود الذين اشتهروا في الفلسفة وساروا فيها شوطاً بعيداً وفسروا النصوص الكتابية بالاراء الفلسفية اليونانية تفسيراً دلَّ على تضلعهم من آراء افلاطون وفيثاغورس وغيرهما من الحكماء النابغين . ومما يذكر ان الذين تفوقوا في دراسة الفلسفة المنتخبة Eclectique من اليهود غالوا في التفاخر بعقائدهم والقول بانها مصدر الفلسفة في العالم وان فيثاغورس وافلاطون وارسطوطاليس وغيرهم من اقطاب العلم مروا في تطوافهم على بلاد اسرائيل واخذوا عن حكمائها الاقدمين العلم والحكمة

واما يهود فلسطين فظلوا على طاعة البطالسة ملوك مصر حوالي مئة سنة اقتبسوا في خلالها شيئاً كثيراً من الفنون والمعارف اليونانية حتى اذا استحوذ السلوقيون ملوك سوريا على فلسطين كان معظم اليهود قد اخذوا التمدن اليوناني واقتبسوا من ارائهِ ما كاد يضر بالديانة الاسرائيلية لولا النهضة التي حدثت على عهد المكابيين ومع ذلك ظلَّ المنطق اليوناني الغاية التي يرمي اليها عقلاء اليهود والحلبة التي تتجارى في مضمارها سوابق هممهم

يومئذٍ نبغ في فلسطين فرقتان الفريسية والصدوقية فاحداها الفريسية كانت تقبل كل العقائد والمبادىء والطقوس التي كرَّ عليها الدهر وصارت مقدسة بحكم الزمن وشرعت تدعي القدامة والمصدر الالهي وان ما اتصل بها كان تقليداً شفاهياً من الاباء والجدود . ويذهب البعض ان تعاليم هذه الفرقة مأخوذ معظمها عن تعاليم الكلدان والفرس . وكيف كان الامر فان لشرعتها في التفسير يداً في احياء اللغة والاداب العبرانية وفي انهاض العقول النيرة

الى خوض المباحث اللاهوتية والنظريات الفلسفية

اما الفرقة الثانية وهي الصدوقية فلم تقل بالتقليد الشفاهي وبكل مبدإ لم يكن مدوّناً في اسفار موسى فجردوا بذلك العقائد الموسوية عما يمكن ان يضاف اليها من الزوائد وتوسعوا في الاحتفاظ حتى انكروا خلود النفس ومداخلة العناية الالهية في اعمال البشر زاعمين ان هذه المداخلة تنافي القول بان الانسان فاعل مختار

وقد نبغ من الفريسيين قوم يصح تسميتهم بالحكماء العاملين وكان مذهبهم القول بالمبادىء والرسوم والاداب الفريسية ولم يقفوا وقوف الفريسيين عند حد القول وانما قرنوهُ بالعمل بالزهد والعفة والتقشف حتى علق بهم عامة الناس واحلوهم المكان الرفيع من التجلة والاكرام. ولا غروَ فالعامة تأخذهم الظواهر في كل زمان ومكان

وعرف رجال هذه الفئة بالاسينيين تسمية ربما كانت مشتقة من الكلمة السريانية اسايا بمعنى أُساة اي اطباء وقد ذهب البعض ان الاسينيين فرع من الجمعية اليهودية المصرية المسماة بالثرابيون على ان الذين بحثوا في سنن هذه الفرقة لم يروا بينها وبين الاسينية مشابهة كبرى تجعل الصلة قوية وان المصرية كانت تختار العزلة والعفاف والتأملات والاسينية لم ترتضِ الانفراد بل حسبت اتباع الفضيلة والعمل بها بين الناس اجزل فائدة للمجتمع لا سيما وان فيلون هو المرجع فيما يقال عن هاتين الفرقتين وقد كتب عنهما مطولاً ومع ذلك لم يذكر من امر اتصالهما شيئاً

وقد قيل ان الاسينية كانت تمتاز عن سواها من الفرق اليهودية بحب اعضائها بعضهم لبعض حباً شديداً وانها كانت تستنكف الملاذ وتحسب امتلاك هوى النفس وغلبة الشهوات فضيلة كبرى وتأبى الزواج. لكنها تختار النجباء من صغار اولاد الآخرين وتقدم على تربيتهم وانشائهم على منهاجها ومع هذا لا ينكرون على الناس فائدة الزواج بايلاد البنين حفظاً للنسل وانما يحترسون من مسالك النساء لاعتقادهم انهنَّ لا يحفظن الامانة للرجل. وكانوا يحتقرون الغنى ويعيشون بالاشتراك فلا تجد واحداً منهم يملك اكثر مما يملك الآخر واذا اراد واحد من الناس الدخول في مصافهم فكان عليه ان يجعل كل ما ملكت يداهُ مشتركاً بين الجماعة وبهذا لا تجد بينهم ظاهر الفقر المدقع او الغنى الطائل بل كانت قنية كل واحد منهم كأنها قنية الجميع ولهم قيمون على مصالحهم العامة ولا يسوغ لواحد منهم ان ينظر في مصلحتهِ الخاصة وانما ينظر في ما يعود نفعهُ على مصلحة الجمهور الى غير ذلك من ضروب العيشة الاشتراكية التي يضيق بنا المقام عن اشباع الكلام فيها

وغاية ما يقال عن الفلسفة اليهودية انها جمعت بين الافكار الشرقية والغربية وبعبارة اوضح انها كانت الحلقة المتوسطة التي بها اتصلت الابحاث النظرية الشرقية بالفلسفة الغربية . وقد قام اليهود بهذا العمل الاتصالي غير مرة في ازمنة مختلفة من التاريخ

وفي العصور الاولى من الزمن المسيحي اسرف نواب قياصرة الروم في ظلم اليهود واعناتهم حتى لجأوا الى العصيان وكانت الحرب بينهم هائلة دوّخ الرومان في غضونها بلاد فلسطين وحصروا اورشليم سنة ٧٠ م. ثم دخلوها عنوةً ومثّلوا باهلها تمثيلاً شنيعاً ولم يطل الامر حتى خرج اليهود عن طاعة الرومان ثانيةً ايام ادريانوس سنة ١٣٥ م فاعمل بهم السيف وفرّق شملهم فتشتتوا في انحاء الارض . يومئذٍ علم اليهود انهُ يستحيل عليهم اتخاذ اورشليم عاصمة دينية لذلك اتجهت خواطرهم الى جمع كلمتهم تحت لواء الدين وتعزيز الوحدة الدينية باحياء وتدوين التعاليم السماعية ضمن كتاب فوضع البقية الباقية من علماء كهانهم في اورشليم كتاباً سموهُ المشنه وهو متن التلمود فكان ضميمة على اسفارهم القديمة ثم توالى على مدارسهم القرنان الرابع والخامس وفي تضاعيفهما من حملات التعصب الذميم ما اودى باليهودية الى الخراب وادى الى توسيع مجموعة المشنه فوضعوا الجمارة وهي شرح المشنه ثم توسعوا في الجمارة فالفوا التلمود واودعوهُ مجموع تعاليمهم من مفاد منقول المعتقد ومنزل الاسفار فكان خاتمة كتبهم الدينية وخزانة شرائعهم وعلومهم

ولقد مرّت القرون الاولى من التاريخ المسيحي على اليهود وهم بعيدون عن المباحث الفلسفية والاشتغال بالعلم يؤيد هذا القول خلو المشنه والتلمود من الابحاث النظرية والكلام فيما وراء الطبيعة الاّ ان قوماً منهم انفوا البقاء تحت النير الروماني يقاسون جور التعصب واعتساف دعاتهِ فجاءوا بلاد العرب قبل الاسلام واستوطنوها وتوفرت بينهم وبين الاهلين اسباب الائتلاف لما بينهم من التشابه في اللغة والتقارب في الجنس وعدم وجود دولة في العرب جامعة تفرق بين الاصيل والدخيل

ولما جاء الاسلام وامتدت فتوحاتهُ الى شرق الارض وغربها لم تكن وطأتهُ ثقيلة على اليهود الذين كانوا ناقمين من جور الرومان والفرس فرحبوا بالفاتحين وانتعشت ارواحهم وتجددت قواهم وانصرفت جماعة منهم للاشتغال بالعلم والادب. ومما زادهم رغبةً في ذلك اقبال بعض الخلفاء عليهم كما اقبلوا على علماء النصارى فنبغ منهم عدد من العلماء والاطباء وازداد عدد نابغيهم في الدولة العباسية واشتهر منهم كثيرون كسعدية بن يوسف المصري المعروف عند العرب بسعيد بن يعقوب الفيومي وشموئيل بن حفني وغيرهم كثير من رجال العلم والادب

وفي سنة ٧٦٥ م ايام الخليفة العباسي جعفر ابي منصور ظهرت فرقة جديدة في بابل انشأها عانان بن داود وتُعرف بالقرائين كانت غايتها التخلص من تسود الربانة وتحرير اليهود من نير التقليد واتباع احكام العقل والعمل بالامتحان لا بالاسناد الى فلان اوفلان وبما ورد في النصوص المقدسة لا بالسنن الموضوعة في المشنة ومع هذا لم يحذُ زعيم القرائين عانان بن داود حذو الصدوقيين القدماء الذين قالوا بوجوب نبذ كل تفسير وتقليد وانما قال بوجوب تطبيق كل التفاسير والتقاليد على احكام العقل وما كان منها لا ينطبق على احكامهِ انطباقاً تامًّا لا يعمل بهِ ولا يعوَّل عليهِ وكأنهُ اراد بذلك الخروج من دائرة الايمان وهو التسليم المطلق الى دار الفلسفة حيث الدليل والبرهان

على ان الربانة واصحاب التلمود الذين لم يرضوا عن اعمال فرقة القرائين نسجوا على منوالهم واتبعوا سبلهم في ادعام العقائد الدينية بالادلة المستقاة من فلسفة تلك الايام وحسبك ان كبير علمائهم الذائع الصيت سعيد بن يعقوب الفيومي رئيس مدرسة سورا (بلدة قريبة من بغداد) محط رحال الربانة ومصدر قوتهم وضع كتاباً باللغة العربية في العقائد والافكار قال فيهِ بوجوب اتباع احكام العقل في العقائد وانهُ يحق للانسان فحص القضايا الدينية بل ان ذلك مطلوب منهُ وواجب عليهِ وان العقل الصحيح يرشد الانسان الى الحقائق التي يعلّمها الوحي ولكن الوحي وجد وكان وجودهُ ضروريًّا لكي يوصل الانسان بسرعة الى ادراك اعلى الحقائق التي لو تركت للعقل لاقتضى لهُ حتى يصل الى ادراكها عناء عظيم وزمن طويل

وحدث بعد موت سعدية بقليل ان ازدهرت الفلسفة العربية في الاندلس واتصلت شعاتها بيهود تلك البلاد فخرجوا عن السلطة الدينية سلطة مدرسة سورا وارادوا ان يستبدلوها بمدرسة جديدة يشيدونها بمدينة قرطبة ويعهدون بادارتها الى خيرة رجال العلم منهم حيث تلقن فيها انواع العلوم والفلسفة والفنون الادبية التي اهملها يهود المشرق

قامت هذه المدرسة في قرطبة وامَّها طلاب العلم من كل فج سحيق وكان يومئذ من علماء اليهود طبيب بارع مقرب من الخليفة عبد الرحمن الثالث فسعى الى نفع المدرسة وتعظيم شأنها ولم يمضِ عليها الزمن الطويل حتى ذاعت شهرتها وعرف رجالها بالتفوق في العلم والادب ونبغ منها جماعة من اكابر اهل العلم انصرفوا الى درس الفلسفة المشائية ووضعوا فيها الكتب النفيسة التي لم تزل منها بقية في مكاتب اوربا شاهدة بما وصلوا اليهِ من العلم والحكمة

على ان منتهى فلاحهم وازدهائهم كان في ايام الدولة الاموية بالاندلس وفي بعض المحال المجاورة لها في اطراف اسبانيا من الممالك المسيحية واشهر فلاسفتهم فيها موسى بن ميمون

الذي ولد في قرطبة سنة ١١٣٥ م ولما شب اخذ في درس اللاهوت وسائر العلوم المعروفة يومئذ عند اليهود وكان يحضر ايضاً بعد ذلك على اساتذة العرب ويكب على الدرس والتحصيل حتى بلغ من الحكمة شأواً بعيداً وصيتاً ذائعاً فلقبوهُ بموسى الثاني وافلاطون اليهود وكان كل اجتهادهِ ان يوفق بين الفلسفة المشائية والاسفار المقدسة وان يحمل الطلبة على اخضاع ابحاثهم لاحكام العقل. وفي ايامهِ كان انقراض الدولة الاموية بالاندلس وعلى اثر انقراضها اصابت الشدة اليهود ففرَّ الى مصر واتصل بصلاح الدين وصار طبيبهُ

وفي أواخر القرن الخامس عشر سنة ١٤٩٤ م طرد اليهود من بلاد اسبانيا فاضمحلت بطردهم الفلسفة اليهودية على ان اليهود كامة او كجمعية دينية لم تشغل في تاريخ الفلسفة المكان الاول وانما كان لها المحل الثاني ومع ذلك فقد شارك اليهود العرب بالفخر اذ حفظا معاً العلم والفلسفة في عصر كانت اوربا فيهِ تائهة في ظلمات الغباوة م ٠ ن

الارادة

" لو ارتتقت السموات والارض على رجل تحركت ارادتهُ لفتقهما ووجد من بينهما مخرجا "

ما من طائفة اختل امرها وضل سعيها حتى اخذتها الرجفة وركبها الهول واصبحت خاوية كأن لم تغن بالامس الأ وقد خبت من قبل زناد اختيارها وتراخت عزيمتها

وما من امة تقوض مجدها وثل عرشها ومادت سكانها وانتزعت اركانها واصبحت لا ترى الأ مساكنها الأ وقد خمدت همتها وماتت ارادتها فتقاعدت عن المهمات وتربصت الصدفات وقالت انَّا ههنا قاعدون حتى يأتي الله بفتح من عندهِ

تلك حقائق راهنة في المدنية لا تتغير ومبادئ ثابتة في العمران لا تتبدل وسنةٌ من سنن الله ولن تجد لسنة الله تحويلاً

وكأني بالقارئ يُسأل عن ماهية الارادة لا يعرف لها معنىً ولا يدرك لها كنهاً لما رسخ في ذهنهِ وطبع على قلبهِ من ان " الانسان مسيَّر لا اختيار لهُ يمضي على حكم القضا ومجاري القدر " . نعم ان الانسان يجري على احكام القضاء الأ ان الله هداهُ النجدين العقل والهدى واودع فيهِ قوة تشرك العقل في امرها ألا وهي الارادة مجبر الهمة والعزم ومعهد الحرية ومقيل النخوة والمروَّة وموطن الغيرة والحمية ومبيت الانفة والاباء ومقام الاقدام والشهامة

فالارادة ايها القارئ الكريم خلة ثالثة للروح تحدو بالمرء الى مطالب العقل وقد يعرض

لها هوى النفس ان انكسرت شوكتها وضعفت قوتها فيفلتها عما تمليهِ لها الحكمة والواجب . وتمت الطامة الكبرى والبلية العظمى . وهي غريزية في الانسان تبقى خامدة جامدة اذا لم يسعَ وراء تهذيبها واكتسابية تزداد قوةً ورقياً كلما تعاهدها المرءُ بالعمل . فاجهد اذاً ايها الرجل في ترقية الارادة حتى لا تدع عليك للهوى سبيلاً فتكون القابض على زمام امرك ويكون السلطان لك عليك وعلى نفسك وجسمك وعواطفك وافكارك واعمالك وخيالك فتحيا حرًّا سعيدًا تحت زعامة العقل والحكمة والواجب والوجدان. وليس مطلب اعلى كعباً واشرف شأواً من هذا للانسان ألا وان الحياة بالعمل ان خيرًا فخير وان شرًّا فشر وليس للانسان الاّ ما سعى

ورقي الارادة بالمران والمعالجة وهذان مثالان نذكرهما في معرض الحديث : اذا اتيت مائدة الطعام واتيت على ما اتيت من المآكل حتى كفيت وبلغت حد التخمة ثم جيء بالحلواء فدعاك باعث اللذة واشتغل العقل وحكم بضررها فاصرف حينئذٍ عنك النفس ورغبتها واللذة وعواملها . واذا قضيت نهارك في متاعب الاشغال حتى كلّت اعصابك ثم علمت ان ستمثل «دمعة الباكي» مساء فدعاك داعي الشوق اليها فاضرب عنها صفحاً واطوِ كشحاً وخلِّ السبيل لراحة جسمك ولراحة عقلك . هاتان مزاولتان للارادة في صغير الامور تعتاد بهما على عمل الارادة في عظيم المهام وكبير الاعمال كأن يؤتى اليك بالذهب وانت عامل على الحدود لتمكن العدو من الاستيلاء عليها فيجيش فيك عاملان عامل الهوى للذهب وعامل العقل للواجب فان استقرت فيك الارادة تبعت الواجب وعارضت الذهب ونجحت ونجح الوطن. واعلم ان صرف النفس عن اللذات صعب تناولهُ حرج تداركهُ لان مطالبها جاذبة عذبة لطيفة طيبة الاّ على الذين اضاءت عقولهم وكبرت هممهم ونفخت فيهم الأنفة حتى نشطت ارادتهم وتوقدت عزيمتهم فاولئك قوامون على انفسهم واولئك هم المفلحون

واعني بالارادة تلك العزيمة التي ان قرت بعد هدى من الحكمة والعقل لا تزعزعها عواصف الشهوات ولا تزيلها اهواء الملذات. والارادة ان تغلبت النفس على جانب منها استحكم فيها التردد ومن اعتورهُ التردد اظلمت عليهِ حالهُ وساء مآلهُ . وقد قيل "وان فساد الرأي ان تترددا". واعلم ان التردد موقفة في العمل مجبلة للفشل ان ركز عليهِ الفرد بطلت ارادتهُ واضمحلت عزيمتهُ واصبح في معترك الحياة

كريشة في مهب الريح ساقطة لا تستقرُّ على حال من القلقِ

او كسفينة فقدت دفتها في بحر هاجت مياههُ تسير ولا تدري اين يسار بها تسير على حكم

الرياح حتى تأذن الامواج بابتلاعها . والويل كل الويل ان اصاب التردد رجال الادارة فتقلع اوتاد الملك بعد ان يمكّن لها في الارض وتبدل الارض غير الارض لان الارادة والعزيمة صفتان ضروريتان لمن عهد اليهِ قيادة جيش او ادارة ولاية او تسيير امة . وقد قال سنكا الفيلسوف الروماني " لا سيادة ان لم تسد الارادة "

ويظهر لك شأن الارادة ان القيت ببصرك على الرجال العظام كسقراط وزينون وده كارت وكنط وابي حنيفة وابن ادريس وابن تيمية وصلاح الدين ومونتسكيو ونابوليون وسبنسر وروسو وبسمارك ومن شابههم فتعلم انهم لم يكبروا ولم يطاولوا السماء الا بارادتهم

قال دومر رأس مجلس الامة في فرنسا البارحة واحد اعضائهِ اليوم ان كل رجال السيادة والقيادة كانوا من ذوي الارادة . ولقد اصاب في قولهِ فهذا ابو بكر وعمر وخالد بن الوليد ونابوليون وغلادستون وبسمارك وروزفلت تمثال الارادة ورجال العزيمة مع ان نابوليون قد رجع القهقرى حتى غلبت عليهِ ارادة بلوخر وولنكتون . ولو طبعت ارادة هذين الرجلين على اقل وطأة من ارادة نابوليون لكان الغلب لهُ يوم وترلو . وليس هذا بالحدس او الوهم ولكنهُ الحق الصراح فان جنود الانكليز كادت تقع في قبضة الاسر لولم تستفز ولنكتون ارادتهُ فثبت بجيشهِ حتى المساء وكذلك جنود الالمان فانها كادت تنهزم شر هزيمة امام نابوليون

الأ ان بلوخر اراد ان تكون الغلبة لهُ فسعى كما اراد وقصد الى وترلو فاجتمع الجمعان فضعفت ارادة نابوليون امام تينك الارادتين اللتين لا مطمع فيهما . وفي التاريخ دلائل اعظم من هذه برهاناً يرجع اليها من خامرتهُ الريبة في شأن الارادة

واعلم ان الامم التي يهوى عرشها في عهدنا لم تفقد رجال العقل والذكاء بل انما تفقد اولئك الرجال رجال الارادة فان العقل والذكاء يكادان ان يكونا بمثابة واحدة في كل جيل وقبيل بخلاف الارادة فانها تختلف باختلاف الطبائع فيختلف معها النجاح في الحياة الدنيا ان هي سقطت من الامة سقط النجاح وان نهضت فيها نهضت حتى انها تحسن للفرد باكثر مما تحسن لهُ الثروة والغنى . نضرب لك مثلاً رجلين احدهما ذو يسار والآخر ذو ارادة فعمل كلاهما في امر الأ ان الثاني كان رجلاً همًّا يتتبع الوسائط ويريد النجاح والاول يعتمد على وفرة مالهِ ولا يعمل العزيمة فيخسأ الاول لا محالة ويفوز الثاني فوزًا مبينًا فالارادة اذًا اس النجاح قال حكيم عربي "كم من حياة سببها التعرض للموت " فأخذهُ اديب احمق وقال " رب حياة تكون في طلب الموت "

هذا اثر الارادة في المدنية واما اثرها في الاخلاق فهي الامارة بكل طبع حميد والدافعة لكل خلق مجيد حتى اذا رسخت في المرء وكانت لهُ ملكة رسخ فيهِ الثبات والاقدام وحب الواجب وحب الخير وعاطفة الشرف والمروءة والحمية والاباء وكل ما كرم من الاخلاق ونبل. فهي ام الفضائل وينبوع المحامد ومطلع الاسعاد ومشرق الحياة الطيبة تنبذ عن المرء كل خلة ذميمة وان تأصلت وكل سيئة وان تمكنت وكل خبيثة وان تملكت حتى يخلص من النوائب والمعايب فيحيا غيورًا انوفًا شهمًا مقدامًا لا تقيدهُ العواطف ولا تقودهُ الاميال حاكمًا على امرهِ لا تزلق بهِ قدمهُ حيث تدعوهُ نفسهُ وتجاذبهُ قلبهُ كالصخرة لا يزعزعها تيار الهواء ولا تدفعها من مكانها مجاري الماء الا اذا اضطرب امرها ولم تستقر حالها على شيء فتنقلب ظهرًا لبطن وبطنًا لظهر حتى يردى بها

وكيف يحاز الحمد والجسم وادعٌ   وكيف ينال المجد والعزم فاترُ

فلا رقي اذًا للمرء قبل ان ترقى فيهِ الارادة فتصفو حياتهُ وتروق اوقاتهُ. وقد حقق ذلك الفاضل فردريك باسي فقال في بحث لهُ بالمجلة الافرنسية " ان صلحت الارادة ذهب البؤس بأمرهِ " وهذا حق لما تقدمنا من ان الارادة تنفي كل دنيء وسفيه وتبعث الى كل عظيم وكريم. وغير خافٍ ان الدناءة والسفاهة متى تجافت عن المرء وقامت مكانهما النخوة والعفة فقد ذهب عنهُ البؤس ولحقتهُ السعادة

وكما ان للارادة اثرًا في الاخلاق فلها الاثر الذي لا اخفاء معهُ على الامراض لان الارادة كما اشرنا وطن الهمة والهمة شعلة من شعل الحياة تحرق كل جرثومة دأبها الاذى وتميت كل نسمة طبعها البلاء حتى تنقاد صاغرة في دوران الدم والعكس بالعكس ان تراخت شكيمة الارادة فيضعف الثبات والاقدام. ومتى ضعف الاقدام مدت يدها الاوهام ومتى استحكمت هذه تمكنت الامراض من الجسم ونادت عليهِ بالفناء والاضمحلال. الا وان المصيبة لتصيب من خاف منها. وعلى السنة العوام امثلة من ذلك مضحكات لكنها جديرة بالاعتبار منها قولهم " لا تأتي الضربة الا على رأس الاقرع " والذين طبعوا على الارادة في حرز امين وحصن حصين يؤيد ذلك ما روي عن غيتي الشاعر الالماني يوم دهمتهُ الحمى فتغلب عليها بارادتهِ حتى نجا من فعلتها وقد قال " للارادة اثر عظيم على الامراض تنتشر في الجسم وتنفخ فيهِ نشاطًا يصرف عنهُ ضرر العاديات " يحاكي هذا قول بوسويه الذي اشتهرت مراثيهِ ولا شهرة مراثي الخنساء " للارادة سلطان قوي على الجسم ترمي بهِ الى عظيم الصالحات " ويثبت البرهان جليًا مما نشاهدهُ من سلامة الممرضات والاطباء الذين يلازمون

المستشفيات ويكادون يقضون حياتهم بين ظهراني جراثيم الامراض ولا تمسهم ادنى بلية كل ذلك بفعل الارادة التي لولاها لاختطفتهم نسم العلل وكانوا في عداد الاموات

تبين لنا ان الارادة تدرأ الامراض عن الجسم فهل لها اثر في الشفاء ? نعم ذلك لا ريب فيه وقد علمت هذا الاطباء حتى انها لتسرع بمداواة من رسخت ارادته وتوقدت عزيمته كأنها تقول من قصد وجد ومن سعى سعد . وكيف لا تشفي الارادة وهي قوة من قوى الانسان الحاكمة على جسمه فكم من المقعدين غشيهم الخوف في فرشهم فارادوا النجاة وخفوا الى الركض سالمين من القعاد وكم من الكسيحين في بيوت لعبت بها النار فاستحوذ عليهم الرعب من هول الموت فطلبوا السلامة ونهضوا من فرشهم راكضين . وقد قيل ان بعض الزمنى ذهب يوم الاحد الى حيث يقيم صلاته فسمع ضجيج الخوف بين الناس فتساءل القوم فقيل فرّ اسد من مجمع الحيوان واتى الجوار فتسارعوا وازدحموا للهرب وبقي المصاب وحيداً ترجف فرائصه حتى اضطرمت ارادته واحترکت عزيمته فاشتد عصبه وذهب مرضه وطلب النجاة كما طلبوا فلما ذهب الروع واطمأن الناس على انفسهم رجعوا فوجدوا الزمين قد تسلق مكاناً علياً في نافذة من النوافذ لا يدرون كيف بلغه فراموا انزاله فعز عليهم حتى انزلوه بعد جهد جهيد

وقيل ان رجلاً ضعفت اعصاب لسانه حتى تعذر عليه الافصاح فعمد طبيبه الى اختراع آلة تشفيه فاشرأبت نفس المريض اليها وايقن ان بها الدواء حتى لم يكد يستطيع صبراً فلما اعدها الطبيب طار لبه مسرة لرغبته في الشفاء فاخذ الطبيب في العمل ووضع ميزان الحرارة في فم الرجل ليعلم درجة الحرارة فيه فظن المريض ان الميزان هو الآلة المقصودة بالذات فاشتد فرحه واجتمعت قوى ارادته في الشفاء حتى صرخ فصيحاً شفيت فشكراً ايها الطبيب فبهت الذين سمعوه

هذا ولا تكاد تنتهي اعاجيب الارادة بحيث لا نبالغ ان قلنا المستحيل مستحيل ولا نشط في كلمات بدأت بها هذه السطور وهي

" لو ارتتقت السموات والارض على رجل تحركت ارادته لفتقها ووجد من بينهما مخرجاً "

بيروت عبد الغني العريسي

اصل النبط في البتراء

تابع ما قبلهُ

قامت الدولة الاشوريَّة الثانية وغلبت على البلاد البابليَّة كما غلبت عليها الدولة الاولى من قبل فصارت بابل مدينة ولاية لا عاصمة مملكة وحاولت غير مرةٍ ان تسترد استقلالها فلم تفلح . وقسا عليها ملوك اشور سرجون وسنحاريب واشور بانيبال ولا سيما سنحاريب فانهُ دكَّ اسوارها الى اساساتها وهدم قلاعها واحرق المدينة بالنار لم يشفق على شيء ولا رعى حرمة شيء وان كان مقدساً بل حرق وهدم حتى المعابد والهياكل فلم يبقِ ولم يذر . ومع ذلك أُعيد بناؤُها في ايامهِ فعادت الى العظمة التي كانت لها بعد زمنٍ قصير . ثم اخذت الدولة الاشوريَّة تضعف واسباب ضعفها معلومة فانها الظلم والعنف ولهو الامراء والكبراء وانهماكهم في المعاصي والشهوات ودوسهم الشرائع وكل ما هو مقدَّس تحت اقدامهم . فبشر الظالمين العتاة الباغين ان استدراجهم لا يدوم ولا بدَّ ان يبلغ الكتاب اجلهُ

كان نبوبلاسر والياً على بابل من قبل ملوك نينوى ورأى ما صاروا اليهِ من الانهماك في المعاصي والشهوات كما رأى ذلك امراء مادي وفارس فعقد معهم حلفاً على اكتساح الممالك الاشورية فشقوا عصا الطاعة وزحفت جنود البلادين على نينوى وما زالوا على حصارها حتى افتتحوها عنوةً وعادوا عنها وقد فلحوها وزرعوها ملحاً واقتسموا ملحقاتها فوقعت البلاد غربي الفرات للبابليين

الاَّ ان شعوب سوريا وفلسطين كانت تطمع في عود استقلالها اليها او شيء منهُ وكانت مصر ايضاً قد انتبهت من خمولها وقام عليها ملوك فيهم همة ولهم مطامع ومنهم فرعون نخو فطمع هذا في استرداد ما كان للفراعنة من النفوذ في بلاد الشام واقتطاع قسم كركميش على الفرات . والظاهر ان شعوب سوريا وفلسطين من ادوميين وموابيين وعمونيين واراميين انحازوا اليهِ الاَّ يوشيا ملك يهوذا فانهُ بقي على ولائهِ للاشوريين فتصدَّى لمعارضة نخو الاَّ انهُ قتل في مجدو في جهات الجليل . وعاد نخو من ربلة في ارض حماه فمرَّ على اورشليم وعزل يهواحاز الذي كان قد ملك مكان ابيهِ وارسل بهِ اسيراً الى مصر فمات هناك وملَّك اخاهُ يهوياقيم بدلاً منهُ وغرَّم الارض بمئة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب

ولما رأى نبوبلاسّر ما رأى من تحالف ممالك الشام وانحيازهم الى جانب الفراعنة عقد

اللواء لابنهِ نبوخذنصر وجعلهُ قائداً اكبر للجنود البابلية فسار نبوخذنصر حتى جاء الى كركيش حيث كانت جنود المصريين فانتشبت بينهُ وبينهم معركة هائلة فاز فيها نبوخذنصر فوزاً مبيناً وارتدَّ نخو منهزماً لا يلوي على شيء فوضع نبوخذنصر يدهُ على كركيش وجعل فيها حامية من قبله ثم تعقب المنهزمين الى سوريا وفلسطين

والظاهر ان اغلب شعوب هاتين البلادين انخلعت قلوبهم بعد واقعة كركيش فاذعنوا بالطاعة لنبوخذنصر لم يبدوا كبير مقاومة الأصور لشدة ما كان بينها يومئذٍ وبين المصريين من استحكام علائق المودة والمصافاة . فان فرعون نخو هذا على ما يذكرون قرَّب الصوريين اليهِ وجعل منهم رؤساء لمراكب لهُ طافوا فيها حوالي افريقيا فمرُّوا برأس الرجاء الصالح ثم داروا من هناك شمالاً حتى وصلوا بوغاز جبل طارق ومنهُ الى السويس . وفوق ذلك كان هذا الملك وصل بترعةٍ بين السويس والبحر المتوسط وحوَّل الى السويس تجارة الهند واليمن وشواطىء افريقيا على البحر الاحمر وكل شواطي الزنج من باب المندب الى الموزيبق فماتت بهذا التحويل تجارة ايلة وعاش السويس فانحصرت من ثمَّ ارباح هذه التجارة الواسعة بين المصريين والصوريين ولذلك يهمهم ان تكون الغلبة لمصر او اقلهُ يبقون على استقلالهم وتبقى علائقهم مع المصريين على ما كانت عليهِ

وجاءت جنود نبوخذنصر اول مرَّةٍ الى اورشليم فتلقاهم اليهود بالطاعة والاذعان ونبذوا عنهم ولاء المصريين الاَّ انهم بعد ارتداد الجيوش الكلدانية الى بابل واشتغال نبوخذنصر عن الشام باطفاء بعض الثورات الداخلية عادوا الى ولاء مصر وطمعوا بنصرتها فانتقضوا على نبوخذنصر فبعث هذا عليهم غزاةً من الكلدانيين انضاف اليهم غزاة من الموابيين والعمونيين والادوميين والاراميين فضايقوا اليهود . ومات في تلك الاثناء ملكهم يهوياقيم وملك ابنهُ يهوياكين مكانهُ فلم يلبث الاَّ ثلاثة اشهر ثمَّ استسلم هو وامهُ وعبيدهُ ورؤساؤهُ وخصيانهُ لنبوخذنصر . وسبى نبوخذنصر كل اورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس وجميع الصناع والاقيان لم يبقَ الاَّ مساكين شعب الارض وملَّك عليهم صدقيا عم يهوياكين

وعاد نخو في ايام صدقيا الى مراسلة اليهود واغرائهم بالعصيان وان يكونوا يداً واحدةً على ملك بابل ومال الى جانب المصريين اكثر الامم المجاورة اليهود ايضاً . وكان في اليهودية حزبان احدهما لنبوخذنصَّر واشهر رجاله ارميا النبي وحزب آخر للمصريين كان فيهِ اكثر العظماء والرؤساء فغلبوا على الملك صدقيا فلم يقوَ على مخالفتهم فيما لو اراد واشتدَّت الفتنة في السنة التاسعة لملكهِ وجهروا بالعصيان فعاود نبوخذنصَّر الكرة عليهم ونزلت جيوشهُ على اورشليم

وشدّدوا عليها الحصار . وكان الملك وحزبهُ ينتظرون من حينٍ الى آخر قدوم المصريين لمساعدتهم فخابت آمالهم وعضهم ناب الجوع والفشل فلم تبقَ فيهم قوَّة للمدافعة واخذ كثيرون يتسللون الى الكلدانيين

وعلى ما يظهر لي من مراجعة سفر ارميا ص ٣٨ و ٣٩ ومن مراجعة خبر حصار اورشليم وافتتاحها في سفر الملوك الثاني ان حزب ارميا النبي قوي في آخر مدة الحصار حتى ان صدقيا الملك كان يحدّث نفسهُ بالانضمام اليهم ولكنهُ كان ضعيف الهمة متردّداً لا عزيمة لهُ وما زال يسوّف الامر حتى خرج من يدهِ وغلب حزب ارميا وفتحوا المدينة للكلدانيين فلم يشعر صدقيا الاّ ورؤساه ملك بابل في المدينة في الباب الاوسط فلما رآهم صدقيا هو وكل رجال الحرب هربوا وخرجوا ليلاً من المدينة في طريق جنة الملك من الباب بين السورين وخرج هو في طريق العربة ولكنهُ أُدرك في عربات اريحا وأُخذ من هناك الى ربلة في ارض حماة حيث كان نبوخذنصر فحاكموهُ امامهُ وحكموا عليهِ ان يُقتل بنوهُ على مرأى منهُ ثم تفقأ عيناهُ ويُقيَّد بسلسلتين ويُرسل الى بابل

والظاهر ان حزب ارميا كان يطمع بنجاة المدينة اذا هم سلّموها للكلدانيين فتسلم من الحريق والتخريب اقلهُ بيوتهم واموالهم ولكن بدا لنبوخذنصر فامر بدكّ اسوار المدينة وهدم هيكلها وما فيها من القصور والبيوت وتحريقها بالنار وارسل من قبلهِ نبوزرادان رئيس الشرط لينفذ فيها امرهُ فجاء هذا الى اورشليم في الشهر الخامس في سابع الشهر — وكانت المدينة أُخذت في الشهر الرابع في تاسع الشهر — فاحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت اورشليم وكل بيوت العظماء احرقها بالنار وجميع اسوار المدينة مستديراً هدمها كل جيوش الكلدانيين الذين مع رئيس الشرط وبقيَّة الشعب الذين بقوا في المدينة والهاربون الذين هربوا الى ملك بابل وبقيَّة الجمهور سباهم نبوزرادان رئيس الشرط ولكنهُ ابقى من مساكين الارض كرّامين وفلاّحين (انظر الملوك الثاني ص ٢٥)

واوصى نبوخذنصر ملك بابل على ارميا نبوزرادان رئيس الشرط قائلاً خذهُ وضع عينيك عليهِ ولا تفعل بهِ شيئاً رديئاً بل كما يكلمك هكذا افعل معهُ . فارسل نبوزرادان رئيس الشرط ونبوشزبان رئيس الخصيان ونرجل شراصر رئيس المجوس وكل روساء ملك بابل ارسلوا فاخذوا ارميا من دار السجن واسلموهُ لجدليا بن اخيقام بن شافان فسكن بين الشعب (انظر ارميا ص ٣٩)

وعدَّ روساء الجيش الذين كانوا من حزب ارميا ممن سلموا المدينة ان ما فعلهُ نبوخذنصر

من احراق المدينة وبيوتهم في جملتها غدراً واخلافاً فضعفت ثقتهم بارميا وبالكلدانيين ولذلك لما قام بعضهم وهو اسمعيل بن نثنيا من النسل الملكي وقتل جدليا بن اخيقام الذي ولاهُ نبوخذنصر على بقيَّة الشعب لثلاثة اشهر من ولايتهِ تنكَّر الباقون وتخوَّفوا ان يتهموا بمالأة اسمعيل على قتلهِ ويؤخذوا بتبعة فعلتهِ فحوَّلوا وجوههم وجهة مصر ولكنهم ارادوا ظاهراً ان يستشيروا ارميا قبل ان يمضوا لما قصدوا اليهِ واليك ما جاء في سفرهِ في شأن هذه الاستشارة قال :

فتقدم كل رؤساء الجيوش ويوحانان بن قاريح ويزنيا بن هوشعيا وكل الشعب من الصغير الى الكبير وقالوا لارميا ليت تضرُّعنا يقع امامك فتصلّي لاجلنا الى الرب الهك لاجل كل هذه البقيَّة — فيخبرنا الرب الهك عن الطريق الذي نسير فيهِ والامر الذي نفعلهُ — وقالوا لارميا ليكن الرب بيننا شاهداً صادقاً واميناً اننا نفعل حسب كل امرٍ يرسلك بهِ الرب الهك الينا — وكان بعد عشرة ايام ان كلمة الرب صارت الى ارميا فدعا يوحانان بن قاريح وكل رؤساء الجيوش الذين معهُ وكل الشعب من الصغير الى الكبير وقال لهم : — ما خلاصتهُ البقاء في البلاد على ولاء الكلدان

ولما فرغ ارميا من خطابهِ لجميع الشعب — قال عزريا بن هوشعيا ويوحانان بن قاريح وجميع الرجال العتاة لارميا انك متكلم بالكذب والرب الهنا لم يرسلك قائلاً لا تنطلقوا الى مصر لتتغربوا هناك بل باروخ بن نيريا مهيجك علينا لتدفعنا ليد الكلدانيين ليقتلونا وليسبونا الى بابل الخ (انظر ارميا ص ٤٣)

وظاهر من جوابهم هذا حقدهم على الكلدانيين وتخوفهم من غدرهم وظاهر ايضاً ان ثقتهم بارميا وصلت الى منتهى الضعف حتى اتهموهُ بالكذب في وجههِ وانهُ آلة في يد باروخ ابن نيريا . ولعلهم في تلك الاثناء وصلتهم رسائل من مصر او من احلافهم في صور فردَّتهم الى رأيهم القديم من المحازبة والولاء للمصريين ومن ثمَّ قاموا وذهبوا الى مصر واخذوا ارميا معهم بالرغم عنهُ ولم يسمعوا لصوتهِ . وفي التقاليد اليهوديَّة انهم قتلوهُ في مصر . ولعلهم لمَّا اكثر هناك من ملامتهم وقرعهم بمعاصيهم وما كانت تأتيهِ نساؤهم من النذور والتقتير وسكب السكائب لملكة السماء اجترأوا عليهِ فانكروا نبوَّتهُ واستخفوا بكهنوتهِ واتهموهُ كما اتهمهُ شمعيا النحلامي من قبل انهُ مجنون متنبيءٌ وداعي فتنةٍ وحبس نشكوهُ الى فرعون او احد عمالهِ بالخيانة والتحزُّب للبابليين فامرهم بهِ فقتلوهُ

اننا لا نعلم تفاصيل اخبار نبوخذنصر واعظم ما حفظ لنا منها انما هو المذكور في سفر ارميا

وفيهِ يظهر ان الرسل كانت تتردَّد بين صدقيا ملك يهوذا وبين الملوك المجاورين اعني الادوميين والموآبيين والعمونيين وملك صور وملك صيدا وكذلك كانت تتردَّد الرسل والمراسلات بين الذين كانوا سبوا الى بابل مع يهوياكين وبين الذين بقوا في اورشليم وغاية كل هذا التراسل انما هو الفتنة وحمل اليهود على العصيان . والظاهر من رسائل ارميا الى المسبيين أن كان انبياؤُهم يمنونهم بقرب العودة من السبي . واليك صورة رسالةٍ منهُ الى المسبيين ارسلها قال فيها : هكذا قال ربُّ الجنود اله اسرائيل لكل السبي الذي سبيتهُ من اورشليم الى بابل ابنوا بيوتاً واسكنوها واغرسوا جنات وكلوا ثمرها خذوا نساء ولدوا بنين وبنات وخذوا لبنيكم نساء واعطوا بناتكم لرجالٍ فيلدنَ بنين وبنات واكثروا ولا تقلوا واطلبوا سلامة المدينة التي سبيتكم اليها وصلوا لاجلها الى الرب لانهُ بسلامها يكون لكم سلام لانهُ هكذا قال ربُّ الجنود الهُ اسرائيل لا تغشكم انبياؤُكم الذين في وسطكم وعرَّافوكم ولا تسمعوا لاحلامكم التي تتحلمونها لانهم انما يتنبأُون لكم باسمي بالكذب انا لم ارسلهم يقول الرب (ارميا ص ٢٩)

واعجب من ذلك ان حننيا بن عزور النبي (او المتنبي) يكلم ارميا في بيت الرب امام الكهنة وكل الشعب بما يأتي — هكذا تكلم ربّ الجنود الهُ اسرائيل قائلاً قد كسرت نير ملك بابل في سنتين من الزمان اردّ الى هذا الموضع كل انية بيت الرب التي اخذها نبوخذنصر ملك بابل من هذا الموضع وذهب بها الى بابل واردّ الى هذا الموضع يكنيا بن يهوياقيم ملك يهوذا وكل سبي يهوذا الذين ذهبوا الى بابل يقول الرب لاني اكسر نير ملك بابل — وقال ارميا النبي امين هكذا ليصنع الربّ . ارميا ص ٢٨

والذي اراهُ من تكرار عصيان اليهود ان اقوال هؤُلاء الانبياء المشار اليهم والامانيّ التي كانوا يمنون بها الشعب لم تكن عن مجرَّد هوس وتكهنٍ لاسند لهُ بل لا بدَّ لذلك من سبب ولعلَّ السبب كان اشتباك نبوخذنصر بحروب العيلاميين والعرب وتغلغلهِ في صحراء العربية القليلة المياه وجبالها العسرة المسالك فكانوا يظنون ان الدائرة ستدور عليهِ هناك فيتغير الملك وتتغير السياسة بتغيرهِ . وفيما جاء في آخر سفر ارميا وآخر سفر الملوك الثاني ما يستدلُّ بهِ على ان كان موالاة وتحالف بين اويل مرودخ بكر نبوخذنصر وبين يهوياكين ملك يهوذا فان اويل هذا — وكان قد سجن في ايام ابيهِ حيث كان يهوياكين مسجوناً — لمَّا تولى منصَّة الملك بعد ابيهِ رفع راس يهوياكين واخرجهُ من السجن وجعل كرسيَّهُ فوق كراسي الملوك الذين معهُ في بابل وكان دائماً يأكل الخبز امامهُ كل ايام حياتهِ . فلا يبعد

ان تكون هذه الموالاة في الاسر الذي بني عليه حننيا بن عزور نبوته التي نقلناها آنفاً

دعنا نسأل هنا لماذا سجن اويل مرودخ وهو بكر نبوخذنصر. انه لا يعلل عن سبب سجنه تعليلاً اقرب الى القبول وينطبق على ما صنعه ليهوياكين حال تسنمه اريكة الملك وفي الوقت نفسه يوافق ايضاً آمال اليهود المشار اليها في سفر ارميا الا ان اويل مرودخ (وكان سفيهاً غراً على ما نقل من اخباره) أُغري بخلع ابيه والاستيلاء على عرش المملكة دونه اثناء غيابه في غزواته وان يهوياكين وامراء يهوذا المسبيين كانوا ممن دخل معه في هذه المؤامرة ان لم يكونوا هم الذين حملوه عليها وحسنوها له ومنوه بانحياز امتهم واحلافها الى جانبه فوعدهم انه اذا تم له الامر يردهم الى بلادهم ويكونون من جملة اوليائه واعوانه في غربي الفرات. واتصل طنين هذا الوعد بهؤلاء المتنبئين فهتفوا به الى اخوانهم في اليهودية وحركوهم الى الفتنة والعصيان ووافق ذلك غرض المصريين واشياعهم من ملوك صور وصيداء وادوم ومواب وبني عمون فتغلب حزب الفتنة على حزب ارميا حزب السلام والخضوع للبابليين

ولا يبعد ان حزب نبوخذنصر كتبوا اليه بحركة الافكار هذه واطلعوه على ما يدور من التراسل بين المسبيين واخوانهم في اليهودية وبين هؤلاء وبين المصريين واحزابهم ايضاً وان نبوخذنصر بحث فوجد مجالاً للظن في ابنه فسجنه وما زال في السجن الى ان توفي ابوه ثم وجه نبوخذنصر باسه على اليهودية ومدن فينيقية اما اورشليم فاستمرت سنتين تحت الحصار واما صور العظيمة فقالوا انها لم تؤخذ الا بعد حصار ثلاث عشرة سنة وبسقوطها دانت له البلاد غربي الفرات من كركميش الى العريش واصبحت كلها ولايات كلدانية ليس فيها لا لأمة ولا لمدينة استقلال ما اصلاً ولا شبه استقلال

ويهمني في مقالتي هذا ان اسأل لماذا يا ترى تشدد نبوخذنصر كل هذا التشدد على صور حتى بقي على حصارها ثلاث عشرة سنة ألمجرد الطمع بما كان فيها من الغنى والنفائس ما اظن. فان نبوخذنصر كان يعلم ما بين صور وقرطاجنة من اواصر التقرب والعلائق الخاصة وكان يعلم ان الصوريين لا يسلمون اليه مدينتهم قبل ان تنقل مراكبهم كل ما فيها من اموالهم ونفائسهم الى قرطاجنة حيث لا تصل يده الى شيء منها. وكانوا مع ذلك لا يترددون ان يفتدوا منه مدينتهم بالاموال الطائلة فيما لو اراد بشرط ان يتركهم على ما كانوا عليه من استقلالهم في مدينتهم وتجاراتهم فتشدده في الحصار وتشددهم في الدفاع كان اذن لغير مجرد النهب والسلب على ما قد يزعم وان كان يصح ان يكون من جملة الاسباب ايضاً

والسبب الرئيسي على ما ارى هو ان نبوخذنصر كان ملك مدينة تجارية وشعب اشتهروا

بالتجارة من قديم الزمان وزاحموا فيها غيرهم من الامم فلذلك لم يرضَ من الصوريين ان يفتدوا منهُ مدينتهم بالمال والجزية السنوية وتبقى مدينتهم سيدة التجارة تفتح ابوابها لمن تشاء وتغلقها في وجه من تشاء على عادتها بل اراد ان تكون بابل هي سيدة التجارة ومركزها وان تكون صور ميناء لها لا تعارض تجارتها ولا تجارها على ما هي عليهِ كانتون والاسكندرية وغيرهما من مدن التجارة في الشرق بالنظر الى مدن اوربا التجارية في الوقت الحاضر وهذا ما كان يأباهُ الصوريون ويرونهُ موتاً لتجارتهم الواسعة وبالتالي موتاً لعظمتهم وغناهم ولذلك اشتدَّ دفاعهم وطالت مدتهُ كما المعنا واشتدَّ صبر نبوخذنصر وعزيمتهُ حتى كان لهُ الفوز اخيراً. فتمَّ لهُ ما اراد واصبحت صور فرضةً لبابل وتجار بابل يحملون اليها ومنها تجاراتهم غير معارضين

عند متقارب نهري الفرات والدجلة على بضع ساعاتٍ الى الجنوب من مدينة بغداد الحالية على عدوة الفرات كان موقع مدينة بابل عاصمة شنعار او بلاد الكلدان. وهي بلاد جيدة الهواء والماء والتربة وتكاد تكون من اخصب بقاع الدنيا فان غلة المدّ المزروع من الحنطة لا تنقص عن مئة ضعف وقد تبلغ الاربعماية. ومساحتها لا تقل عن اربعين الف ميل مربع كان الفرات والدجلة يسقيان كل شبر من الارض فيها. والى الشمال الغربي من شنعار ارض الجزيرة وهي اكبر منها مساحةً وفيها بقاع لا تقل عنها خصباً والى شرقيها مملكة ايران الحالية والى غربيها صحراء السماوة حتى تبلغ سوريا وشطوط المتوسط

والناظر الى الخارطة يرى الفرات والدجلة اكبر طريقين واسهلهما للتجارة يصلانها اي بابل بالبلدان المجاورة الى مسافة مئات من الاميال شمالاً وشمالاً غربياً واما الى الجنوب فيصلانها بخليج فارس فخليج عمان فبحر الهند والعرب ثم بباب المندب والبحر الاحمر. والمتأمل ايضاً يرى كل طرق البلاد الى الشرق والغرب والشمال والجنوب تنصبُّ اليها او تتفرع منها. وبالاجمال يقال ان موقعها كان في قلب الممالك القديمة ونقطتها من احسن النقط التجارية في ذلك الحين. وقيل ان الذين اسسوها انما اسسوها ابتداء للتجارة فلم تلبث ان صارت اعظم مدن الكلدان ومركزاً للدين والادب ايضاً شأن كل المراكز التجارية المهمة في الاعصر الخالية. ومضى على تأسيسها نحو من ثلاثة آلاف سنة وهي مركز دين وادب وتجارة لا يضاهيها في ذلك مدينة من جميع مدن آسيا من المتوسط الى اطراف خراسان وبلاد السند غرباً وشرقاً ومن البحر الاسود الى سواحل حضرموت شمالاً وجنوباً. وقد اشتهر اهلها بالصناعة والتجارة شهرة لا تقل عن شهرة الصوريين والصيدونيين وغيرهم من الامم الفينيقية المعروفة والمشهورة

لما قام نبوخذنصر الكبير وكان يعلم ما لمدينتهِ من حسن الموقع التجاري ويعلم ايضاً ما للتجارة من الدخل في عظمة الملوك والممالك توجهت خواطره لجعلها مركز تجارة العالم . وكان فرعون نخو معاصره قد حوَّل طريق تجارة الهند والبلاد العربيَّة من ايلة الى السويس فاراد هو ان يصرف هذا الطريق الى بابل . ولما رأى ان ذلك لا يتم لهُ على ما يريد الاَّ باخضاع العربيَّة واقامة المستعمرات التجارية الكلدانية فيها وجه غزواتهِ الى ارض البحرين وعمان فاخضعها لسلطتهِ واقام فيهما المستعمرات التجارية لقومهِ وهم المعروفون بالنبط فغصت البلادان باهل سواد العراق وما زالوا هم الغالبون على ارض البحرين ومعظم اهلهِ منهم الى بدء التاريخ المسيحي

ووجَّه ايضاً غاراتهِ الى نجد والحجاز وممالك حاصور فاخضع جميع البلاد لسطوتهِ من الابلَّة شرقاً الى ايلة غرباً ومن ايلة شمالاً الى المهجم جنوباً والمهجم مدينة على وادي مرْدُد غربي صنعاء عاصمة اليمن واحتلَّ النقط التجارية على البحر الاحمر ما بين هاتين المدينتين اعني ايلة والمهجم فتوارد اليها تجار بلادهِ الانباط وانتشروا في البلاد وسكنوا هناك واختلطوا بتجار العرب وبقي لهم بينهم النفوذ الاول الى ما قبل ايام بمبيوس القائد الروماني الشهير بعقد او بعض عقودٍ من السنين

ولنرجع الآن الى الادوميين فانهم كانوا في اول ما غزا نبوخذنصر اليهوديَّة يملكون طريق التجارة من ايلة الى الخليج الفارسي فلما غزا ابناء عمهم وافتتح عاصمتهم وخرَّب بلادهم وسبي عظماءهم وقتل مقاتلتهم ولم يترك في البلاد الاَّ المستضعفين والمساكين من اهل الفلاحة والزراعة شمتوا بمصيبتهم وحدَّثوا انفسهم بضمّ اليهوديَّة الى املاكهم ولم يعلموا ما كانت الايام وتدابير نبوخذنصر تعدهُ لهم . وفيما هم في شماتتهم واحلامهم بضم بلاد اليهودية الى بلادهم اذا بجنود الكلدان واعلامهم تزحف على العربية جنوباً وغرباً فدوَّخوا نجد والحجاز واستلحموا بني عدنان حتى كادوا يفنونهم فتهاربوا منهم في جميع الجهات الى حضوراء وتهامة وجنوبي اليمن واتبعهم الكلدانيون وغطَّت خيولهم ورجالهم البلاد من الابلة الى ايلة . فاين ذهب الادوميون ؟ لاشك انهم تهاربوا من امام الكلدانيين الى جهات عاصمتهم سالع او البتراء فلما نزلت جنود الكلدان عليها اصابهم ما اصاب اليهود اي هرب اهل القرى والمزارع وكثيرون من اللاجئين من الاطراف الى الامم المجاورة وبقي من بقي في المدينة تحت الحصار وصبروا على شدَّتهِ مدةً ثم لما لم يروا بدّاً من التسليم سلموا للمنتصر فقتل من قتل وسبي من سبي وابقى من ابقى اما المدينة فلم يفعل بها ما فعلهُ باورشليم من الهدم والتحريق بل ابقى عليها

وجعلها محطة لقوافل عاصمتهِ فانتقل اليها كثير من التجار ان لم يكن هو نقلهم وجعل على المدينة والياً من قبلهِ فصارت مدينة بابليَّة اي النفوذ والسيادة فيها للانباط وان كان اهلها خليطاً من الفريقين اعني الادوميين والبابليين وما زالت كذلك كل ايام بنوخذنصر وايام خلفائهِ من ملوك بابل الى ان قامت الدولة الفارسيَّة وورثت ممالك الكلدان ومدن تجارتهم فكان من جملتها مدينة سالع ولم يتعرَّض الفرس لهم بشيء وتركوهم على لغتهم وتجارتهم واكتفوا منهم بالخضوع والجزية · ولضعف المدنانيين وممالك حاصور بما قتل منهم نبوخذنصر اصبحت البلاد المجاورة لسالع تبعاً لها وما زالت تتقوَّى سنة بعد سنة بما لها من المنعة الطبيعيَّة وبما كان يتدفق اليها من غنى التجارة كل ايام دولة الفرس الى ان قامت دولة اليونان فاذا بها مدينة قوية غنيَّة ذات نفوذ في الحجاز ونجد الى خليج فارس ومن ايلة الى جنوبي جدة على ساحل البحر الاحمر وبعبارة آخرى اذا بها مدينة نبطية يلتفُّ حولها كل النقط التجارية في الحجاز وتهامة ونجد البلاد التي كان دوخها نبوخذنصر تأميناً لتجارة بين عاصمتهِ وبين شواطىء البحر المتوسط والبحر الاحمر عن طريق شمالي العربيَّة · فهذا هو اصل النبطيين في البتراء وايلة الذين ذكرهم لنا التاريخ عند اول قيام الدولة اليونانيَّة · وقد اعتمدت على الاختصار والاجمال في حروب نبوخذنصر مع العرب لان الكلام طال عن حروبهِ في اليهوديَّة ولعلي ارجع الى تفصيل ما اجملت في عدد آخر من اعداد المقتطف ان شاء الله

جبر ضومط

العلم في العام الماضي

علم الحيوان

عقد مؤتمر علم الحيوان الدولي في مدينة بوستن باميركا وتليت فيهِ مقالات كبيرة الفائدة وكذلك تليت مقالات مفيدة في قسم علم الحيوان في مجمع تقدُّم العلوم البريطاني ومن المباحث التي دار الكلام عليها الوراثة واصولها الطبيعيَّة اي ردها الى اسباب طبيعيَّة في الحويصلات الاصلية وتأييد ذلك بالامتحان · وبيَّن المستر لدكر ان اذن الفيل الافريقي تميزهُ عن غيرهِ من الافيال والمستر تشلرس متشل ان الفيل الافريقي الصغير الجسم الذي وجد في الكنجو الفرنسوية صنف قائم برأسهِ وهو مثل الافيال التي كانت موجودة في بعض الجزائر في غابر الزمن كما في كريت · وقرأت مس دروثي بايت مقالة عن آثار الفيل في كريت

وجرى البحث في الوراثة والوان العيون وفي كثير من آثار الحيوانات المنقرضة مما نقتصر فائدتهُ على الباحثين في هذا العلم

الطبيعيات

المواضيع الطبيعيَّة لا تحصى وقد خاض العلماء عبابها في كل الاقطار · ومما بحثوا فيهِ بناء الجوهر الفرد فقال الاستاذ سميثلس في مجمع ترقية العلوم البريطاني ان الطبيعيين لم يرضهم قط تعريف الكيماويين للجوهر الفرد بانهُ كرة صغيرة صلبة لا تتجزأ وقد وافقوا على ان العناصر مؤلفة من الجواهر ولكنهم لم يبحثوا عن بناء الجوهر وما يوجد في باطنهِ · وقد طُلب منهم الآن الاعتقاد بان الجوهر الفرد مجموع من الكترونات غير مادية · وكأنهُ غير ميال الى الاعتقاد بذلك لكن النتائج التي وصل اليها السر وليم رمسي في الراديوم تؤيد مذهب الالكترونات · وحسب السر اوليفر لدج كثافة الاثير بناء على مذهب الالكترونات فوجدها تساوي كثافة جسم على كل سنتيمتر مكعب منهُ ما يساوي مليون طن من الضغط ففي كل سنتيمتر مكعب من الاثير قوة تساوي مليون طن وفي كل مليمتر مكعب منهُ قوة تساوي الف طن

وابان الاستاذ لوف ان شكل الارض كمثري ولذلك تجمعت الاوقيانوسات عند وسطها وهي تحاول ان تعدّل نفسها هناك وعندهُ ان هذا سبب ما يحدث فيها من الزلازل وسبب شيوع الزلازل في اماكن مخصوصة

وقد كثرت الزلازل في العام الماضي فحدثت في جاميكا (١٤ يناير) وفي المكسيك (١٥ ابريل) وتركستان (٢١ اكتوبر) وكلبريا (٢٧ اكتوبر)

الفلك

كان المظنون ان دور كلف الشمس بلغ حدهُ سنة ١٩٠٦ ولكن ظهرت كلف كبيرة جدًّا في العام الماضي ومن الغريب انهُ ظهرت كلف كبيرة جدًّا في فبراير سنة ١٠٩٢ وفي فبراير سنة ١٨٩٤ وفي فبراير سنة ١٠٩٥ وفي فبراير سنة ١٩٠٧ · واربع من الكلف التي كانت على وجه الشمس في ١٠ و ١١ فبراير كانت ترى بالعين لكبرها · وقلَّت الكلف في شهر مارس ثم عادت في ١٣ يونيو وظهر منها ثلاث كبيرة جدًّا وكثيرات من الكلف الصغيرة حتى بلغت مساحتها كلها الفي مليون ميل مربع ووصل هذا المجموع من الكلف الى حد قرص الشمس الغربي في ٢٥ يونيو ثم عاد في يوليو ومساحتهُ اضيق مما كانت قبلاً ومع ذلك بلغت ثمانمئة مليون ميل ثم ظهر مجموع آخر من الكلف طولهُ تسعون الف ميل

ومساحتهُ الف مليون ميل مربع · وظهرت مجاميع اخرى كبيرة في اغسطس وسبتمبر · والذي ظهر في اواخر سبتمبر بلغ طولهُ ١٨٥ الف ميل ومساحتهُ ١٨٠٠ مليون ميل مربع وانقضت السنة والكلف كثيرة على وجه الشمس وبعضها يرى بالعين لكبرها ولذلك فالسنة الماضية من اكثر السنين كلفاً

وظهر من صور السيار اروس الفوتوغرافية التي صورت في مرصد غرينتش ان زاوية اختلاف الشمس ٨ ثوانٍ و٨٠٥ من الف من الثانية · وكشف كثير من النجيمات وخمس من المذنبات احدها مذنب ملش نسبة الى مستر ملش التي اكتشفتهُ والمذنب الذي كشف سنة ١٩٠٦ قرب سنة ١٩٠٧ حتى صار يرى في اغسطس مثل نجم من القدر الثاني وبلغ طول ذنبهِ سبع درجات وهو مؤلف من ١٥ الى ٢٠ ريشة وهو المذنب التاسع والخمسون من المذنبات المنظورة بالعين التي ظهرت منذ سنة ١٨٥٠ الى الآن

وعبر عطارد على وجه الشمس في ١٤ نوفمبر · واثبت الاستاذ لول وجود الترع في المريخ بالصور الفوتوغرافية وكسفت الشمس في ١٤ يناير

وظهر من بحث مستر موندر ان للارض تأثيراً في كلف الشمس ومن بحث الاب كورتي ان حرارة الكلف اقل من حرارة فوتوسفير الشمس · ومن عدم وجود اثر لسيَّار داخل منطقة عطارد في الصور الفوتوغرافية التي صورت وقت الكسوف الاخير ان ما يظهر من الاضطراب في السيارات الذي لم يعلل الى الآن يمكن تعليلهُ بوجود الحجارة النيزكية والغبار النيزكي في النظام الشمسي ولا داعي لفرض وجود سيار داخل منطقة عطارد

الكيمياء

استمرَّ البحث في الراديوم وبيَّن السر وليم رمسي انهُ اذا وضعت المواد التي تنبعث من الراديوم في اناء وحدها او مع الهيدروجين تكوَّن منها عنصر الهاليوم واذا وضعت مع الماء تكوَّن منها عنصر النيون بدل الهاليوم مع قليل من الهاليوم · واذا وضعت في مذوب كبريتات النحاس بدل الماء لم يتكوَّن منها هاليوم بل ارغون ويبقى في الاناء بعد نزع النحاس منهُ صوديوم وكلسيوم وقليل من الليثيوم · وقد استنتج من ذلك ان بعض النحاس استحال الى ليثيوم والليثيوم من صف النحاس في ترتيب العناصر ولكنهُ في آخر الصف

علم الميكروبات (البكتيريولوجيا)

ثبت الآن ان براغيث الجرذان (Pulex cheopis) هي التي تحمل ميكروب الطاعون

وجرى البحث عن كيفية ظهور الحمى التيفويدية من غير سبب ظاهر لما ثبت ان بعض الذين يصابون بها و يشفون منها وتمضي عليهم السنون بعد ان يشفوا يبقى ميكروب التيفويد فيهم وينتقل منهم الى الاصحاء فقد ثبت ان ميكروب التيفويد يبقى سليماً في المرارة عشر سنوات بعد ان يشفى المرء منها ولذلك يتعذر عزل الناس الذين يشفون من التيفويد ويبقى ميكروبها في ابدانهم واشار لوفر بطريقة لاستخراج ميكروب التيفويد من المواد المشتبه فيها. وكانت نتيجة بحث موتمر السل مخالفة للنتيجة التي استنتجها كوخ عن عدوى سل البقر

فكرة الخير والشر

قال الشاعر العربي

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

وقال المقتطف: "كنا نراقب في هذه الاثناء ولدين صغيرين صبياً وبنتاً عمر الصبي نحو سنتين وعمر البنت نحو اربع سنوات فرأيناهما يكذبان ويخدعان ويحتالان . ولو رآهما علماء الفلسفة الادبية الذين يقولون أن اصول الآداب مودعة في نفس الانسان ولا تنفك عنها البتة لغيروا اعتقادهم"

وذهب فريق الى ضد ذلك فقالوا ان اصول الآداب مودعة في الانسان فهي في نفسه وعقله وان فكرة الخير عامة مطردة في البشر وهي لازمة ضرورية وغير ممكن ان تنفك عن القوى البتة . ومنهم صاحب حياتنا الادبية

قرأت ذلك في المقتطف وتذكرت المثل: "النفس امارة بالسوء" وقلت في نفسي: لماذا هذا الاختلاف العظيم بين جمهور المفكرين فلا بد ان يكون هناك اسباب جعلت كلاً من الفريقين يرى رأياً مضاداً للآخر . فما هي هذه الاسباب

كل انسان علت مداركه او انحطت تراه اثنين في آن واحد يحدث فيأمر بالمعروف ويعظ ويحث على الفضيلة ويكتب فينهى عن المنكر ثم يفعل فتجد افعاله في الغالب مناقضة لاقواله . ويشتد هذا التناقض اكثر عند النظر الى هذا المعروف الذي يأمر به والمنكر الذي ينهى عنه بحسب الوجهة التي ينظر اليها منها . فلا بد لذلك من سبب جوهري يغفله الباحثون في هذا الموضوع

اكثر الباحثين في افعال البشر ينظرون اليها كأنها افعال مجردة وقلما ينظرون الى

العلاقة التي بينها واذا نظروا اليها في اطرافها البعيدة وهي شديدة الاختلاط كثيرة التضاعيف كالحلقات المتسلسلة يحار العقل فيها ان لم يردها الى بسائطها

افعال الانسان قائمة على مبدإٍ مشترك بين سائر الكائنات فناموس الالفة في الجماد وحب الذات في الانسان من مدار واحد وغايتهما واحدة اي حفظ كيان كل واحد منهما وافعالها البسيطة اي المجرَّدة عن كل روية واحدة ايضاً في دفع الاذى وجلب المنفعة وتسمى طبيعيةً في الجماد وبديهة في الحيوان والانسان وهي كائنة ايضاً في النبات ولا عبرة بالاسم وانما العبرة في ان كلاً من العوالم الثلاثة من جماد ونبات وحيوان خاضع لنفس هذا الناموس في حفظ كيانهِ فاذا نظرنا الى هذه الافعال والغاية المترتبة عليها وهي حفظ الذات لا يسعنا الاَّ ان نقول ان الغاية الاولى منها ليست الشر بل الخير . وخير المحبة ما ابتدأ بالذات كما في المثل المعروف

ولا ينكر ان هذه الافعال يترتب عليها حدوث الشر ايضاً فان الجماد الذي يتلف ائتلاف سواهُ لخيرهِ الذاتي انما يضرُّ بذلك السوى اذا اعتبرنا مثل هذا الحل اضراراً وكذلك النبات الذي تنطبق اوراقهُ على الذباب الواقع عليهِ حتى يموت . والحيوان الذي يفتك بسواهُ لمصلحة نفسهِ . فان مثل هذا الفعل المترتب عليهِ الخير الذاتي لم يقع بدون إضرار . فان كان القصد من البحث في هذا الموضوع معرفة الفكرة الاولى المرتبة عليها هذه الافعال فلا يسعنا الاَّ ان نقول انها الخير لان الشرَّ حدث معها عرضاً ضرورةً لتعذُّر وقوع ذلك الخير بدونهِ . واما اذا كان القصد الخير مجرَّداً والشرَّ مجرَّداً فالبحث حينئذٍ يستنفد قوانا ولا يأتي بطائل لان الخير والشرَّ مجرَّدين ليسا في هذا العالم

وفي افعال الانسان تختلط الامور كثيراً جدًّا لاشتراك الروية فيها وتختلف ايضاً لاختلاف هذه الروية وما استفادتهُ من الاختبار ولكنها لا تختلف في الغاية التي تصبو اليها وهي حفظ الذات حتى ولو انكر الانسان نفسهُ واتى افعالاً تخالف هذا المبدأ في الظاهر فلا ينكرها من جهة الاَّ حبًّا بها من اخرى خوفاً من عقاب او طمعاً بثواب

ومهما اختلفت الروية فمحورها واحد . هنا اثنان كلٌّ منهما ينظر الى مصلحة نفسهِ فهذا تدلُّهُ مداركهُ على ان مصلحتهُ لا تتأتى لهُ مع مصلحة سواهُ فيستأثر بالمنفعة او ما يظنهُ كذلك ويتعمَّد الاضرار بسواهُ ويقدم عليهِ مطمئن الضمير معتقداً انهُ يفعل خيراً كما في منازعات الاديان والاوطان مثلاً . وهذا يرى باختيارهِ ان مصلحتهُ لا تقوم الاَّ بمصلحة سواهُ فلا يخطئها وهو عالم كما في مسائل العمران عموماً

واما الاستشهاد بالطفلين وكذبهما واحتيالها وخداعهما فليس بالدليل القاطع فالكذب ليس من طبيعة الطفل ولا من موجب له لديهِ فالطفل يصدق حتى يعلم ان صدقهُ قد يجني عليهِ فيعمد الى الكذب دفعاً للضرر . فالكذب عارضٌ على الطفل من جنس تربيتنا لهُ . خذ طفلاً ارتكب ما نعدهُ نحن ذنباً ولم يعرض لهُ في نفسهِ ولا شاهد في سواهُ ما يحملهُ على التروّي قبل الاقرار واسألهُ من عمل هذا ? فلا شك انهُ يجيبك على الفور بقولهِ انا فاذا عاقبناهُ عليهِ كما هو الغالب افتستغرب بعد ذلك اذا لم يصدقك اذا اتى امراً غير جائز في عرفنا نحن لا في عرفهِ هو لان الطفل لا يعرف الجائز من غير الجائز في اول الامر ولا يعرفهُ الاَّ منا وكيف يعرفهُ منا الاَّ بالعقاب ولا يرى نجاتهُ حينئذٍ الاَّ بالكذب فيكذب ويكذب حتى في ذنبٍ ارتكبهُ على مرأًى منك وهذا ما حملني على القول في بعض مباحثي "نحن الذين علّمنا الانسان ان يكذب لأنَّا عاقبناهُ على الصدق" وانا لا اظن ان هذه القاعدة تخلّ اذا احسنَّا المراقبة جيداً وعلى فرض انها اخلَّت فلا يكون ذلك حجة على هذا المبدإ بل تأييد لناموس آخر هو ناموس الوراثة اذ لا يخفى ان الصفات الادبية حسنة كانت او رديئة تنتقل بسهولة في النسل . ومن الجاني حينئذٍ على هؤلاء الاطفال الابرياء أَلسنا نحن الذين نعاقبهم على ذنب تطرَّق اليهم منا

ويا ليت الامر اقتصر على ذلك بل نحن في كل اعمالنا امامهم مثال رديء وهم اطوع من ظلنا في تقليدنا واشد طواعية من السمع في انطباع افعالنا فيهم نكذب امامهم ونكذب عليهم ونعلّمهم ان يكذبوا عنا ونروّعهم ونغمهم بكل ما يتبين لهم كذبهُ بعد قليل فماذا تنتظر من طفل ينشأُ في مثل هذا الوسط . على ان الكذب على ما يظهر قد صار شرًّا لازماً في هيئتنا الاجتماعية كما هي فهو عدة التاجر الماهر والسياسي المحنك والامام الهادي والقاضي العادل والمحامي الفاضل والطبيب النطاسي والصحافي الصادق والوطني الغيور وقد حلق الشاعر فوقهم بقولهِ

الصدق ان القاك تحت العطبِ لا خير فيهِ فاعتصم بالكذبِ

الدكتور

شبلي شميل

[المقتطف] لما قرَّظنا كتاب "حياتنا الادبيَّة" في الجزء الماضي من المقتطف اشرنا استطراداً الى الرأيين الشائعين من آراء الفلاسفة الرأي القائل ان الآداب فطرية في نوع الانسان لم تنفك عنهُ من حين وجد على وجه البسيطة والرأي القائل انها مكتسبة

بالارتقاء الطبيعي والطفل يولد الآن وفيهِ جراثيم اميال كثيرة بعضها مما يمدح وبعضها مما يذم كأنها خلاصة تاريخ ما جرى عليهِ نوع الانسان في ارتقائهِ. وقد جاءنا صديقنا الفاضل الدكتور شميل الآن بمسألة فرعية فقال ان الغاية الاولى المترتبة على افعال الانسان والحيوان والنبات هي حفظ الذات فهي ليست الشر بل الخير ولو اعتدى على غيرهِ. وتفصيل الدكتور حسن جدًّا ولكنهُ لا ينفي ما قدمنا كما يظهر مما يلي :— انظر الى ثلاثة من الاخوة معهم ثلاث من اخواتهن كل اخ مع اختهِ واعطِ كلاًّ من الاخوة رغيفاً من الخبز ليأ كل نصفهُ ويعطي النصف الآخر لاختهِ فاذا رأيت الاول اكل الرغيف كلهُ ولم يعطِ اختهُ شيئًا منهُ وهي تبكي جائعة والثاني اكل نصف الرغيف واطعم اختهُ النصف الآخر والثالث حرم نفسهُ من الاكل وصبر على الجوع واعطى الرغيف كلهُ لاختهِ فانك تقول للحال ان الاخ الاول جائر لانهُ فضَّل نفسهُ على اختهِ ولو دعاهُ "حفظ الذات" الى ذلك والاخ الثاني عادل لانهُ لم يفضّل نفسهُ على اختهِ ولا اثرها على نفسهِ والثالث فاضل لانهُ فضل اختهُ على نفسهِ. والظاهر ان خُلق الولد الاول هو الخلق الشائع في النبات والحيوان فالنباتات والحيوانات تعنى بحفظ ذاتها ونسلها ولكنها قلما تهتم بحفظ غيرها ولو من نوعها. انظر حبة الحنطة تزرع في الارض فتمتص كل ما تستطيع امتصاصهُ من الغذاء ولو ماتت كل حبوب الحنطة التي تزرع حولها من قلة الغذاء ولا يخطر لها ان المصلحة مشتركة بينها وبين اخواتها. وانظر الى اشبال الاسود في بستان الحيوانات والحارس يرمي لها اللحم فكلٌّ منها يختطف كل ما يستطيع اختطافهُ وحالما يلتهمهُ يعتدي على اخيهِ ويحاول اختطاف ما معهُ ولا يخطر بالهِ ان حال الاثنين تكون اصلح اذا اكتفى كلٌّ منهما بما قسم لهُ

واذا كانت الموجودات الارضية صاعدة في سلم الارتقاء كما هو مذهب اكثر الحكماء الطبيعيين وكان العدل وتفضيل المصلحة العمومية على المصلحة الخصوصية ارقى من الجور وتفضيل المصلحة الخصوصية على المصلحة العمومية واذا كانت الاخلاق والاميال تنتقل بالوراثة كما هو معلوم وتظهر آثار اقدمها اولاً ثم آثار ما تلاهُ في سلم الارتقاء صح ما قلناهُ عن الطفلين اللذين اشرنا اليهما في تقريظنا لذلك الكتاب وهو ان اخلاقهما تتهذب متى كبرا في السن اي تظهر فيهما الاخلاق الفاضلة التي اكتسبها اسلافهما بالاختبار. وهذا كلهُ لا ينقض شيئًا مما قالهُ الدكتور الفاضل عن مسؤولية الوالدين وشرور الهيئة الاجتماعية الحاضرة ولكننا نرجو ان يبقى الارتقاء مستمرًّا فلا يمكث في الارض الاَّ ما ينفع الناس

النوموجرافيا

وكتاب الاستاذ دوكاني

ظهر في هذه الاثناء كتاب رياضي كبير النفع للاستاذ موريس دوكاني الرياضي الفرنسوي المشهور يشتمل على طرق حديثة يستعين بها ارباب الصنائع والفنون من المهندسين وغيرهم على الاعمال الحسابيَّة من غير عمليات طويلة · وقد كتب العالم الرياضي المصري احمد بك كمال وكيل مدرسة المهندسخانة الخديوية سابقاً مقالة عن هذا الكتاب تليت في جمعية المهندسين المصرية التي عقدت في نادي متخرجي المدارس العليا في ١٦ يناير تلاها المهندس البارع فريد افندي بولاد وقال فيها ما خلاصتهُ

ان المسيو دوكاني هو واضع علم النوموجرافيا اي الحل الرسمي بالنظر وقد ألَّف هذا الكتاب ودرَّسهُ في جامعة السربون باريس في فصل الربيع الماضي وهو جزء من مجموعة الرياضيات التطبيقيَّة من دائرة المعارف الجديدة التي تطبع الآن بادارة العالم الرياضي الشهير الدكتور طولوز · ويشتمل هذا الكتاب على ٣٩٢ صفحة فيها ١٤٦ شكلاً وفيهِ طرق حسابيَّة متنوعة على غاية الدقة والسهولة وهو جزءان الاول يتعلَّق بالحساب بالطرق الرسميَّة وهو عمليات متنوعة تعمل برسوم مكوَّنة من اجزاء هندسيَّة تدل على كميات عددية معلومة ومن هذه الاجزاء يستنتج بالحساب الرسمي مقادير المحاصيل المرتبطة مع هذه الكميات المعلومة بواسطة قوانين او معاملات مخصوصة · ويمكن ان تحل بها المعادلات التي من الدرجة الاولى مهما كان عدد مجاهيلها والمعادلات ذات المجهول الواحد مهما كانت درجتها وعمليات الادخال الرسميَّة (اي تكميل السلسلة) · وتحل بهِ ايضاً عمليات التكامل الرسميَّة بدرجات متتالية لدالة واحدة او جملة دوال (عوامل) و يوجد بهِ تكامل المعادلات التفاضلية بدرجة اولى

والجزء الثاني يتعلق بالنوموجرافيا و يشتغل فيهِ بنظرية اللوح الرسميَّة الرقية · وفي هذا اللوح المعادلات والقوانين التي يُطلب حلها و يستنتج منهُ مقدار المجهول بقراءة بسيطة · وفي هذا الجزء ثلاثة ابواب الاول بيان نوموجرافي بخطوط متلاقية والثاني بيان بنقط على استقامة واحدة والثالث بيان بنقط مجتمعة على صور مختلفة · وينتهي هذا الجزء بنظرية عمومية تمكَّن بها المسيو دوكاني من حصر الانواع المختلفة في البيان النوموجرافي بتحويلها الى

قوانين بسيطة ذات دوال متعددة . وقد شرح المؤلف البيان النوموجرافي بواسطة النقط التي على استقامة واحدة ووضع فيها كثيرًا من المسائل الجديدة

وعلم النوموجرافيا هذا وضعهُ المسيو دوكاني سنة ١٨٩١ وجُعل الآن من دروس كثير من مدارس اوربا والفضل في انتشارهِ لسهولتهِ ولاسيما لسهولة طريقة النقط التي على استقامة واحدة ولما بذلهُ المسيو دوكاني من الهمة في الاستعانة بالرياضيين ليساعدوهُ في نشر طريقتهِ . وقد شاعت هذه الطريقة الآن وكثر العمل بها حيث تدعو الضرورة الى سرعة الاعمال الحسابيَّة كما في تعديل سير السفن وفي تعيين معالم ضرب النار في الفنون الحربيَّة وما اشبه من الاعمال . مثالهُ ان الطريق الكبير الذي يصل بين تاناناريف وموراننجا في جزيرة مدغسكر يحتوي على ٢٧٥ الف متر مكعب من الحفر والردم و ٤٥ الف متر مكعب من المباني فاستطاع اثنان فقط من المهندسين الحربيين ان يعملا التصميم الابتدائي اللازم لهُ في يومين فقط وذلك باستعمال طريقة النوموجرافيا

وسنة ١٨٩٩ الَّف المسيو دوكاني كتابًا مطوَّلاً في علم النوموجرافيا وشرح فيهِ كثيرًا من التطبيقات العمليَّة . ونشر في العام الماضي مقالة في المجلة العلميَّة العمومية عنوانها تقدُّم الطريقة النوموجرافية بالنقط التي على استقامة واحدة وذكر لها تطبيقات كثيرة

ومنذ عهد قريب نشر المسيو موريس ليفي رسالة في المجلة العلميَّة العمومية مدح فيها مؤلف المسيو دوكاني احسن مدح وقال فيها ان المسيو دوكاني اشتغل بهذا العلم منذ نحو عشرين سنة فنجح نجاحًا تامًّا وتمكَّن من وضع علم جديد سماهُ علم النوموجرافيا ولم يكتفِ بوضع النظريات العمومية لهذا العلم بل اشتغل بتطبيقها على الاعمال الحسابيَّة التي يلاقيها المهندس في اعمالهِ الاعتيادية وتوصَّل اخيرًا الى وضع كتابهِ المشهور الذي نشرهُ سنة ١٨٩٩ فمنحتهُ الجمعيَّة العلمية جائزة بونسليه اعترافًا بفضلهِ

والمسيو موريس ليفي هذا هو مفتش عموم القناطر والجسور بباريس واحد اعضاء الاكادمي الفرنسوية واستاذ في كلية فرنسا

والخلاصة انهُ سيكون لهذا الكتاب ولهذا العلم شأن كبير في تسهيل الاعمال الحسابيَّة وختم حضرة احمد بك كمال مقالتهُ ناصحًا المهندسين والمقاولين ولاسيما مَن يشتغل منهم بالاعمال الفنيَّة ليكون عند كلٍّ منهم نسخة من هذا الكتاب ويعمل رسومهُ بنفسهِ اويبتاعها من حيث تباع . وقد بلغنا ان مكتبة ديمر في مصر جلبت نسخًا من هذا الكتاب النفيس فعسى ان ينتفع بهِ المهندسون على اختلاف اعمالهم

العام الماضي

وحالة القطر المالية فيهِ

ابتدأ العام الماضي والاعمال رائجة والاموال كثيرة في القطر وظواهر الامور تدلُّ على ان العام سيكون من اكثر الاعوام يسرًا ولكن الناس توغلوا في المضاربة فحسبوا كل ضواحي العاصمة ارضاً صالحة للبناء فاشتروا الصحاري والاطيان الزراعيَّة وقسموها قطعاً وباعوا المتر منها بجنيه او اكثر وبلغ ثمنهُ في بعضها بضعة جنيهات والذين باعوا والذين اشتروا حسبوا انهم ربحوا ربحاً طائلاً والحقيقة انهُ لم يربح منهم الا الذي باع وقبض ثمن ما باعهُ واما الباقون فربحهم وهمي تحوَّل اخيرًا الى خسارة لانهم زادوا نفقاتهم على حسب ما قدَّروهُ من الربح فخسروا ثم لم يربحوا شيئًا

وما جرى من المضاربة في اراضي البناء جرى ايضاً في اسهم اكثر الشركات فما يساوي منها مئة جنيه وليس لهُ ربح او ريعهُ لا يزيد على ثلاثة او اربعة في المئة رفعوا ثمنهُ الى مئتي جنيه او ثلثمئة جنيه او اكثر فظن اصحاب هذه الاسهم والذين اشتروها بثمن معتدل انهم رُبحوا ربحاً طائلاً وهم لم يربحوا شيئاً

ولا شبهة ان اللوم الاكثر في ذلك كلهِ على السماسرة الذين رغَّبوا الناس في المشترى وزيَّنوا لهم المحال . وعلى الذين كانوا ينادون ان العاصمة ستتسع في القريب العاجل حتى تصل من حلوان جنوبًا الى المرج شمالاً ومن المقطم شرقًا الى الاهرام غربًا وان ما يباع ضمن هذه المنطقة بجنيه يصير ثمنهُ جنيهين او ثلاثة بعد ايام معدودة

لكن الربح والخسارة من هذين العملين اي من المضاربة بالاسهم وباراضي البناء لم يؤثرا في ثروة القطر الحقيقية ولا نظن انهُ خرج بسببهما مال كثير من القطر بل غاية ما نتج عنهما ان النقود خرجت من يد زيد الى يد عمرو من سكان القطر وزاد الاسراف في مشترى بعض الكماليات الواردة من اوربا . واذا استثنينا هذا فثروة القطر زادت في العام الماضي زيادة كبيرة بسبب غلاء القطن واليك ايضاح ذلك

بلغت قيمة الصادرات من القطر المصري في العام الماضي اكثر من ثمانية وعشرين مليونًا من الجنيهات المصرية وعند التدقيق ٢٨ ١٣١٨٥ جنيهاً هذا حسب تقدير الجمارك المصرية وهي تقول انها تقدّر الصادرات اقل من قيمتها الحقيقية بعشرة في المئة ولكن يظهر لدى امعان النظر انها تقدرها اقل من قيمتها بخمسة عشر في المئة او اكثر فقد صدر من القطن

في العام الماضي ٦٨٥٩٢٣٣ قنطاراً فقدّرت متوسط ثمن القنطار منها نحو ٣٤٤ غرشاً مع انهُ لم يبع للخارج باقل من ٣٨٠ غرشاً الى ٤٠٠ غرش ولذلك لا نبالغ اذا قلنا ان تقدير الجمارك ينقص عن الثمن الحقيقي ١٥ في المئة فتكون قيمة الصادرات الحقيقية اكثر من ٣٢ مليوناً من الجنيهات

اما الواردات فبلغ ثمنها ٢٦ مليوناً من الجنيهات وعند التدقيق ٢٦١٤٢٠٧٧٧ جنيهاً وادارة الجمارك تدقق جدًّا في تثمينها وتراجع دفاتر التجار اذا ارتابت في ثمنها ولذلك فقيمة الصادرات زادت على قيمة الواردات ستة ملايين من الجنيهات. وهذه الستة الملايين تكفي لايفاء فائدة ديون الحكومة وديون الاهالي لاوربا فيكون القطر المصري قد خرج من سنة ١٩٠٧ وليس لهُ شيءٌ ولا عليهِ شيءٌ هذا اذا قصرنا نظرنا على قيمة الصادر والوارد وفوائد ديون الحكومة والاهالي المطلوبة منا لاوربا لان ثمن الصادر كفى لايفاء ثمن الوارد وفوائد الديون

بقي امران حريان بالنظر الاول ان عندنا ابواباً اخرى للايراد غير ثمن الصادرات وهو كل ما ينفقهُ السياح في القطر المصري وكل ما تأخذهُ مصلحة المواني والفنارات وفوائد الاوراق المالية التي عند الحكومة وعند الاهالي ويطرح من ذلك ما ينفقهُ اهالي القطر حينما يسافرون الى اوربا او غيرها . ولعل الباقي للقطر المصري من ذلك كلهِ اكثر من مليون جنيه في السنة فهو ربح سافر لهُ

والامر الثاني ان جانباً كبيرًا من الواردات التي وردت في العام الماضي ليس بضاعة مستهلكة بل هو مواد ثابتة او رأس مال ذو ريع . ويدخل في ذلك خشب البناء وثمنهُ نحو مليون وثلث والآلات المعدنية كوابورات الري والحرث ووابورات سكك الحديد ومركباتها وثمن ذلك نحو اربعة ملايين من الجنيهات فهذه خمسة ملايين وثلث من الجنيهات دفعناها في العام الماضي ثمن مواد ثابتة اضيفت الى ثروة القطر وبعضها رأس مال لهُ ريع سنوي كبير

ولذلك يحق لنا ان نقول ان القطر المصري خرج من سنة ١٩٠٧ وايراداتهُ تزيد على مصروفاتهِ ستة ملايين من الجنيهات اضيفت الى ثروتهِ العمومية هذا فضلاً عما زاد في ثمن الاراضي التي اصلحت وثمن الاراضي التي عملت فيها الاعمال المستجدة

وهنا يسأل سائل قائلاً اذا كان الامر كذلك فلماذا هذه الضيقة المالية التي نراها في القطر المصري الآن . والجواب ان الضيقة المالية ليست ناتجة من فقر القطر المصري بل من

قلة النقود فيهِ فان الرجل الذي يملك اطياناً تساوي مئة الف جنيه قد يحتاج الى مئة جنيه ويشعر بضيقة شديدة اذا لم يجدها اما سبب قلة النقود فواضح من تقرير الجمارك الذي صدر في اواخر يناير ففي سنة ١٩٠٦ دخل القطر المصري نحو ٩ ملايين من الجنيهات وخرج منهُ نحو مليونين من الجنيهات فبقي فيهِ سبعة ملايين من الجنيهات . واما في السنة الماضية فدخل القطر المصري ٧ ملايين و٧٦٨ الف جنيه وخرج منهُ ٤ ملايين و٧٣٦ الف جنيه فبقي فيهِ ثلاثة ملايين جنيه فقط اي اقل مما بقي فيهِ سنة ١٩٠٦ باربعة ملايين جنيه . وقد قلَّ ورود الذهب على القطر المصري وزاد خروجهُ منهُ لسبب غلائهِ في اوربا واميركا فان البنوك تتاجر بالذهب كما يتاجر التجار بالقمح والفول وهذا هو السبب في قلة ورود الذهب على القطر المصري وكثرة صدورهِ منهُ في العام الماضي

اما قلة ورودهِ فلا حيلة لنا فيها واما كثرة صدورهِ من القطر فكان الواجب على الحكومة ان تهتم بمنعها كما تمنع خروج القمح من القطر اذا خافت ان يحدث فيهِ مجاعة ولكنها لم تهتم بهذا الامر ولعلها لم تنتبه لهُ ايضاً فقد أُرسل الى الهند في العام الماضي مليون و٧٣٦ الف جنيه ويقال ان البنك الاهلي هو الذي ارسلها فان كان الامر كذلك وكان للحكومة سلطة عليهِ فتكون قد قصَّرت في ما يجب عليها نحو بلادها لانها لم تمنعهُ عن اصدار الذهب الى بلاد الهند . وعسى ان تنتبه لذلك في المستقبل

ورب قائل يقول ان كان الذهب الوارد في العام الماضي قد زاد على الذهب الصادر ثلاثة ملايين من الجنيهات فاين هذه الثلاثة الملايين واين الذهب الذي فضل معنا في العام الذي قبلهُ والذي قبلهُ . والجواب ان بعضهُ لم يزل محفوظاً في البنوك او مذخوراً عند الاغنياء وغيرهم وبعضهُ صنع حلى تحلت بهِ النساء والبنات كما ابنا في الجزء الماضي

والخلاصة ان القطر في يسر وقد زادت ثروتهُ ستة ملايين من الجنيهات في العام الماضي فضلاً عما زاد في ثمن ما أُصلح من اطيانهِ ولو استطاعت الحكومة ان تقلل اصدار الذهب منهُ لما اشتد علينا العسر المالي الذي يشكو الناس منهُ الآن

اما وقد وقع العسر فصار على الحكومة ان تداويهُ بالتي هي احسن وقد فعلت شيئاً من ذلك فجعلت البنك الاهلي يقرض البنك الزراعي مليون جنيه لتديَّن لصغار الفلاحين ولكن الضيقة المالية اصابت البعض من كبار ارباب الاطيان وهؤلاء لا تنفرج كربتهم بالمبالغ التي يدينها البنك الزراعي لانهُ لا يدين الواحد اكثر من الف جنيه . وقد اشار بعض الماليين عليها ان تسلم البنك العقاري بعض الاوراق المالية التي في خزائنها فيستدين عليها

نقوداً من اوربا ويعدَّ بها القطر على جاري عادتهِ ويدفع للحكومة ثمن هذه الاوراق وفوائدها في بضع سنوات · والذين ارتأوا هذا الرأي يخشون من هبوط ثمن الاطيان ان لم تفعل الحكومة ذلك · ولكننا لا نظن ان ثمن الاطيان يهبط لانهُ لم يزد حتى الآن عما يجب ان يكون عليهِ فان الاطيان التي تزرع كلها تباع بالنسبة الى ريعها حتى يكون الربح اربعة او خمسة في المئة من الثمن والاطيان البور او التي لا تزرع كلها تباع بالنسبة الى ما تصير اليهِ بعد اصلاحها فالفدان الذي يصير صافي ايجارهِ خمسة جنيهات في السنة اذا أنفق عليها عشرون جنيهاً لا يكون غالياً اذا بيع بستين او سبعين جنيهاً وهو يباع حتى الآن باقل من ذلك · واذا اضطرَّ افراد قلائل الى بيع اطيانهم بثمن بخس لحاجتهم الى النقود لم يكن ذلك داعياً لرخص سائر الاطيان لان هذا المبدأ لا يصدق الاَّ على البضائع التي تعرَض كلها للبيع واما الممتلكات التي تنتقل بالارث وتتوقف عليها معيشة السكان فقلما تعرض للبيع لاسيما وان الاطيان رأس مال الفلاح والآلة التي يعمل بها ليعيش منها ولذلك تراهُ يشتريها مهما كان ثمنها اذا تيسَّر معهُ هذا الثمن كلهُ او بعضهُ · ولكن الضرر الذي يرجح وقوعهُ هو التوقف في اصلاح الاطيان وبناء الاراضي ومن ذلك ضرر كبير يجب منعهُ فان كثيرين اشتروا اراضي بائرة قصد اصلاحها وكانت العادة ان يستلفوا من البنوك الاموال اللازمة للاصلاح ويقسطوها الى سنين كثيرة ثم يستغلّوا منها ما يوفون بهِ الاقساط فاذا ضنَّت البنوك عليهم بالمال اللازم لذلك ضاع عليهم ريع الثمن الذي دفعوهُ · ولا يخفى ما في ذلك من الخسارة الكبيرة على القطر لا سيما وان نمو سكانهِ يستلزم ان تزيد مساحة اطيانهِ الزراعية مئة الف فدان كل سنة ولا تقلُّ نفقات اصلاح الفدان عن خمسة عشر جنيهاً فالمئة الف الفدان تستلزم مليوناً ونصف مليون من الجنيهات

وما يقال عن الاراضي الزراعية يقال عن اراضي البناء فان اكثر الذين بنوا المباني الكبيرة في التوفيقيَّة والاسمعيليَّة وشارع الظاهر كانوا يبتاعون الارض ويستدينون النقود من البنك الزراعي ويبنونها بها · وقد اشترى كثيرون اراضي من هذا القبيل في العام الماضي حاسبين انهم يستطيعون ان يستدينوا النقود ويبنوها فاذا لم يوفَّقوا الى ذلك فالثمن الذي دفعوهُ يخسرون ريعهُ ويضطرون اخيراً ان يبيعوا الارض بخسارة والضرر من ذلك كبير ولو كان دون الضرر من التوقف عن اصلاح الاراضي الزراعية · اما الذين ضاربوا وخسروا بالمضاربة فلا سبيل لرد خسارتهم وما لومهم الاَّ على انفسهم لانهم طمعوا او صدَّقوا الذين خدعوهم

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

كيف تصير قوياً

٣٠

ادلة محسوسة على منافع الرياضة

يقولون " الصحة تاج على رأس الاصحاء " ولكن الرياضة اليومية القانونية هي التي تعد تلك الصحة وتهيئها فتزيد الاصحاء همة ونشاطاً على مزاولة الاعمال وتقوي مداركهم وتطيل اعمارهم وتشفي امراضاً في السقماء الاعلاء وتشدد عزائمهم وتقوي ابدانهم مهما كانت اعمارهم ولكن الاصغر سناً يستفيد منها اكثر ممن هو اكبر منهُ

فمن منافعها ما عايناهُ وسمعنا بهِ عن مشاهير الرجال الذين طبقت شهرتهم الآفاق لسعة مداركهم وثاقب افكارهم واصالة آرائهم وجودة قرائحهم وقوة ابدانهم واليك امثلة تنطبق هذه الاوصاف عليها ان لم يكن كلها فجلها

فغلادستون عميد السياسة وابن بجدة الخطابة كان مولعاً بتشقيق الحطب وتهذيب الشجر فكانت مهارتهُ فيهما تضارع شهرتهُ في ضروب السياسة ومآخذها . وهذه الرياضة البدنية جعلتهُ يربى على الثمانين وهو كالشبان عافية وهمة وادراكاً وليست خطبهُ الرنانة التي كان يلقيها في مجلس النواب وهو في ذلك السن بعيدة العهد لننساها فلم تكن تبدو عليهِ وهو يلقيها امارات ضعف في وقوفهِ وحركاتهِ او فتور في قواهُ العقلية . قيل انهُ كان اذا سئم الاشتغال بالسياسة او ملّ البقاء في لندن مضى الى قصرهِ في هاردن حيث يقيم بضعة ايام يقلع اشجار السنديان في حراجهِ

ودكنس الروائي الشهير كان شديد الشغف بالمشي فيسير تسعة اميال او عشرة قبلما يتناول طعام الصباح . وكثيرًا ما كان يمشي خمسة وعشرين ميلاً مشياً حثيثاً ولكنهُ كان نهماً في الاكل ولولا شراهتهُ هذه لطال عمرهُ ولم يمت في سن يغلب فيهِ ان يكون ارباب القلم في زهوة اشتغالهم بالعلم والادب

وقال مكنزن الاستاذ المشهور بتعليم الرياضة في كتابهِ عنها انهُ انتدب لتدريب اثني عشر صف ضابط تتفاوت اعمارهم بين التاسعة عشرة والتاسعة والعشرين فقبل شروعهِ قاس عرض صدورهم وسعة اكتافهم ومحيط اذرعهم وغيرها وكان يعيد القياس حيناً بعد حين فوجد من نماء الاذرع وكبر الاكتاف واتساع الصدور ما يقضي بالعجب . فانهُ بعد اربعة اشهر فقط ضاقت ملابس معظمهم وما عاد في استطاعتهم تبكيل ازرارها ولم يمضِ عليهم الشهر الخامس حتى اضطر ان يوصي لهم بصنع ملابس جديدة . وانهُ ليأخذ القارئ العجب متى علم ان صدور بعضهم زاد اتساعها خمس عقد . وان زيادة كهذه عظيمة الفائدة ونفعها للقلب والرئتين لا يثمن . ثم ان سائر اعضاء اجسامهم قويت ونمت نموًّا متناسباً . ولم يقتصر على المقاس في بدء تدريبهم بل صوَّرهم وعاد فصورهم بعد خمسة اشهر فكان الفرق بين الرسمين عظيماً ولا سيما في اصغرهم سنًّا . على ان هذا النمو لا يعد شيئاً مذكوراً في جانب ما دبَّ فيهم من الهمة والذكاء والصبر على احتمال المشاق

وذكر هذا الاستاذ ايضاً انهم جاؤوهُ بشاب وقف نموهُ زمناً لعلة اصابتهُ فكان طولهُ خمس اقدام وعقدتين فجعل يدربهُ على الرياضة فما بلغ الحادية والعشرين حتى صار طولهُ خمس اقدام وست عقد واتوهُ بغلام تأخر نموهُ بسبب سقوطهِ من مكان مرتفع فما راض جسمهُ تسعة اشهر فقط حتى نما تسع عقد

ومن الادلة ايضاً ان الشاعر المشهور وليم كلن بريَنْت مات في الرابعة والثمانين ووعيهُ لم يغب عنهُ وقوتهُ الجسدية لم تفارقهُ لمزاولتهِ الرياضة . واليك ما بعث بهِ الى صديق لهُ قبل موتهِ قال : —

سيدي العزيز

وعدتك ان اذكر لك بعض عاداتي ولا سيما ما يتعلق بالاكل والرياضة والعمل ولكنني غير واثق انها تنفعك كما نفعتني فان ممارستي لها عدة سنين شددت عزائمي وانالتني امنيتي . فقد طعنت في السن وانا لا اشعر بعجز عن العمل ولا ضعف في البدن وكلاهما يستوليان عادة على المعمرين . فقوتي لم يعترها وهن وهمتي لم تخرْ واعضاء جسمي ولا سيما الداخلية منها قائمة بوظائفها كانني لا ازال حدثاً وهاك الخطة التي سرت عليها اعواماً عديدة . انهض من فراشي دفعة واحدة نحو الساعة الخامسة ونصف فابدل ملابسي وارتاض مستعملاً في الغالب ما يوسع الصدر . والادوات التي ارتوض بها كرات حديدية ومخل وعصاً من الحديد مركزة افقياً على ارتفاع من الارض وكرسي خفيف اديرهُ بذراعيَّ حول رأسي فارتاض نحو ساعة

ثم استحم واذا كنت في الريف تروضت نصف ساعة وعملت في الحقل نصف ساعة ثم استحم واتناول طعامي · وكثيرًا ما كنت امشي نحو ثلاثة اميال الى حيث عملي فاشتغل ثلاث ساعات واعود ماشيًا غير مبالٍ بمطر او حرّ واذا سئمت التأليف والتصنيف اندفعت بكليتي الى العراء استنشاقًا لنقي الهواء او قصدت حديقتي حيث اقلم اشجار الفاكهة ثم اعود الى عملي العقلي ولا اركب المركبات الاَّ نادرًا لانني افضل المشي المروض للجسم على ركوبها

وارسل صديق لهذا الشاعر كتابًا عنهُ الى احدى الصحف قال فيهِ : — عرفت المستر برينت منذ اربعين سنة ولا اتذكر ان مرضًا اعتراهُ في اثنائها او انهُ لزم فراشهُ يومًا الاَّ في مرضهِ الاخير الذي قضى فيهِ · ولم يكن يسير الى مكان عملهِ الاَّ ماشيًا حتى في آخر سنة من عمرهِ وكان يتروض يوميًا ولم تكن قريحتهُ تجود نظمًا ونثرًا الاَّ بعد الارتياض

⁂

فاي فتًى او فتاة يطَّلع على هذه الحقائق ولا يودُّ ان يخص ساعة او ساعتين من يومهِ بترويض جسمهِ ترويضًا ينيلهُ صحة وعافية فتصير قدماهُ ثابتتين ورجلاهُ قويتين وعضلاتهُ متماسكة متناسبة ومشيةُ رشيقًا وهضمهُ جيدًا وهمتهُ عالية وعزمهُ شديدًا وخاطرهُ سريعًا · ولرب قائل يقول الا يأتي العمل الجسماني العادي بالمنافع التي تنشأُ عن الرياضة البدنية · والجواب ان ضروبًا كثيرة من الاعمال التي تقضي بتمرين الجسم تزيد الشهية الى الطعام وتقوي الهضم وتحدث منافع اخرى · ولكن الذين يعملون اعمالاً بدنية لا يسلم احدهم من عيب فقد يكون الجسم فاقد الهندام غير متناسب الاعضاء وربما بلغ هذا العيب مبلغًا يقبح القامة فالفلاح او العامل الذي يقضي عليهِ بالانحناء الى الامام لركس الارض او تمهيدها او الحفر فيها وما شاكل ذلك تستدير اكتافهُ وتنمو عضلات ظهرهِ نموًا غريبًا فيتقوس ويحدودب لان عضلات صدرهِ لا تنمو الاَّ نموًا قليلاً ولذلك نرى الذين تجاوزوا منتصف العمر من امثالهِ مستديري الاكتاف منخفضي الصدور محدبين · والحداد تقوى ذراعهُ اليمنى والجانب الايمن من صدرهِ فتفقد قامتهُ رونقها واعتدالها . والنوتية يزاولون التقذيف فتنمو عضلات ظهورهم وسواعدهم وتبقى العضلات العليا من اذرعهم وصدورهم ضعيفة فتنجذب اكتافهم الى الامام وتعوج اصابعهم وتتعقد او تيبس لانها تداوم القبض على المقذاف · ومعظم العمال الذين يعملون اعمالاً بدنية يفقدون الظرف في مشيهم وحركاتهم فيجب عليهم ان يروضوا اجسامهم رياضة قانونية حتى يجيءَ نمو اعضائهم متناسبًا فالرياضة واجبة للعامل وجوبها للعالم والكاتب

معدات العاب الرياضة

يتوهم الاكثرون ان من يروض بدنهُ مضطر الى شراء آلات وادوات غالية الثمن والى تخصيص مكان لها وهذا ما ثبّط عزائمهم واقعدهم عن استعمال الرياضة فنفياً لهذا الوهم نقول ان اعظم ادواتها نفعاً ابخسها ثمناً . فلنذكر بعض تلك الادوات او المعدات ولكن يجب ان تكون الرياضة في حديقة او حجرة صحية طلقة الهواء

علق بكرتين كبيرتين من الحديد او الخشب على ارتفاع مترين او اكثر وامرر على كل منهما حبلاً واربط بالطرف الواحد من كل منهما اثقالاً واربط مقبضين من الخشب بالطرفين الاخرين وامسك المقبضين بكلتا يديك واسحب الحبلين وارخهما كمن يدق جرساً وافعل غير ذلك مما يخطر على بالك وترى فيهِ نفعاً

اشترِ عيارات مختلفة من الحديد تكون زنتها من رطل الى عشرة ارطال وشلها بها بيمناك ثم بيسراك مراراً كثيرة ويمكن الاستعاضة عنها بالحجارة او باكياس من الرمل

الدمبلس كرتان من الحديد بينهما مقبض حديدي ووزن كل منهما يختلف على طول مدة التمرين من خمسة ارطال الى اثني عشر رطلاً تشال باليد مراراً متوالية وذلك من انفع انواع الرياضة لتقوية الذراعين وتوسيع الصدر وسنشرح طرق استعمالها

وهناك ادوات اخرى يستنبطها من يتعود الرياضة من تلقاء نفسهِ سـتأتي البقية

رحمة صروف

الشب الابيض لمنع العث

كتب بعضهم الى السينتفك اميركان يقول : قال هولند في كتابهِ الذي وضعهُ حديثاً عن العث ان ما يتلفهُ العث من الثياب سنوياً في الولايات المتحدة يكفي ثمنهُ لايفاء ديون الحكومة الاميركية

ولا يخفى ان فراش العث يبيض في الفراء والبسط والثياب الصوفية والحريرية وينقف بيضهُ عن دود يلحس البسط والثياب والفراء ويتلفها . ولما كنت ساكناً في بلاد الصين رأيت العث كثيراً في بيتي فجربت مواد كثيرة ظننتها تقي الثياب منهُ فوجدت ان الشب الابيض يفي بالمطلوب فاذبتهُ في الماء وبللت بهِ خيطان الصوف الغليظة وعلقت بها الصور الثقيلة وتركتها ثلاث سنوات فلم يضربها العث . وبللت بهِ خيوطاً صوفية مختلفة الالوان مما كنت استعملهُ لامتحان عيون الصينيين في رؤية الالوان وكنت انقع كل لون منها على

حدة ثم نشفتها وتركتها حيث يكثر العث سنتين فلم يصل اليها. وبللت بهِ منسوجات صوفية مختلفة وتركتها مدة طويلة فوقاها كلها من العث

ومعلوم ان الشب الابيض لا يتبخر فيبقى على المواد الصوفية ولوكان مقداره قليلاً جدًّا. والرطل من الشب يذاب في ثمانية ارطال من الماء. ولو اتفق تاجر المنسوجات الصوفية وصانعو البسط على معالجتها بالشب الابيض لوقايتها من العث لاستطاعوا ان يزيدوا في ثمنها اكثر مما انفقوا على معالجتها ونجا الناس من آفة تتلف ثيابهم وبسطهم وانفس ما يتنافسون بهِ

البيض وحفظهُ

بلغ عدد البيض الصادر من القطر المصري في العام الماضي ٦٦ مليونًا ٣٣٢ الف بيضة وبلغ ثمنها التي ثمنت بهِ في الجمارك المصرية ٩٩٤٩٩ جنيهًا اي كل نحو ست بيضات بقرش. ويباع البيض المصري في بلاد الانكليز المئة وعشرون بيضة باربعة شلينات ونصف الى خمسة شلينات كأن كل خمس بيضات بقرش فهو ليس اغلى هناك مما يباع في القطر المصري بالمفرَّق مع ما يضاف اليهِ من اجرة الشحن وربح التجار والخسارة بما يكسر منهُ ويتلف في الطريق ولو عدل بائعوهُ ومشتروهُ لوجب ان لا يزيد ثمن العشر بيضات منهُ على قرش اصغر المفرط ولكن اسعار المأكولات لا ترتبط بقاعدة غير قاعدة الموجود والمطلوب. فاذا كثر الموجود منها وقلَّ المطلوب رخصت واذا قلَّ الموجود وكثر المطلوب غلت. ولو اهتمَّ الناس بالاكثار من تربية الدجاج واهتمت الحكومة باستئصال شافة الداء الذي فتك بها حديثًا لكثر البيض ورخص وكانت منهُ تجارة رابحة فان الانكليز وحدهم يستوردون في السنة من البيض ما ثمنهُ ستة ملايين ونصف من الجنيهات اكثرها من روسيا فاذا استطعنا ان نرسل اليهم سدس ما يستوردونهُ بلغ ثمنهُ مليون جنيه في السنة. والبيض المصري ليس جيدًا كالبيض الاوربي الكبير الجرم الطيب الطعم ولكن الكثير منهُ يستعمل في الصناعة كما في عمل كفوف الجلد

اذا سلق البيض وجد فيهِ جزء فارغ ويكون هذا الجزء صغيرًا جدًّا في البيض الجديد او لا يكون موجودًا بل تكون البيضة مالئة قشرتها واما في البيض القديم فيكون الجزء الفارغ كبيرًا وكلما زادت البيضة قدمًا زاد هذا الجزء الفارغ كبرًا الَّا اذا دُهنت بمادة تسدُّ مسام قشرتها وهي جديدة حتى لا يعود الهواء يدخل اليها ويحللها ويفسدها ولذلك يعرف هل البيضة جديدة او قديمة من اتساع هذا المكان الفارغ. وقد يعرف ذلك قبل ان تسلق بالقبض عليها في راحة اليد وجعلها امام الشمس او امام قنديل ساطع النور فيرى المكان

الفارغ فيها وهل هو كبير او صغير · واذا كان البيض قد بقي مدة تحت دجاجة فاخذ الفرخ يتكوَّن فيهِ ظهرت في محوِهِ نقطة سوداء

والبيضة الجديدة تكون شفافةً وتبقى كذلك ثلاثة ايام ثم ينحرف محها الى جانب اذا كانت موضوعة على جنبها وتقلُّ شفافيتها رويدًا رويدًا واذا تعذَّر امتحان البيضة امام القنديل او امام الشمس فامتحنها بالهز في يدك فاذا لم تشعر بحركة داخلية فيها فهي جديدة او ليس عمرها اكثر من اسبوع واذا كانت قديمة شعرت بحركة ما فيها ووقوعهِ من جهة الى اخرى كأَن جانبًا منها فارغ وزلالها وصفارها يتحركان بالهز · ويستطيع البعض ان يميزوا بين البيض الجديد والقديم من رؤْيتهِ فان البيضة الجديدة يكون ظاهرها مشرقًا وهذا الاشراق يزول في البيض القديم

ثم ان البيض المحفوظ في الظلام في مكان بارد نقي الهواء يبقى سليمًا ثلاثة اسابيع او اكثر ويكون اسلم من البيض الذي يعرض في الشمس او في النور الساطع ولو بضعة ايام

ويحفظ البيض زمانًا طويلاً اذا دهن بالسائل المعروف بالزجاج المائي فانهُ يبقى كما كان لما وُضع فيهِ تقريبًا فاذا كان جديدًا بقي جديدًا ولم يتغير الاَّ قليلاً جدًّا حتى لو بقي ستة اشهر في الزجاج المائي لم تجد فرقًا بينهُ وبين البيض الجديد

والبيض غير الملقح اسهل حفظًا من البيض الملقح فاذا كان المراد من البيض ان يباع ويؤْكل فلا داعي لوجود الديوك مع الدجاج فانها مكلفة متعبة ومتى كانت موجودة صار البيض اسهل فسادًا

والزجاج المائي سائل شفاف كالشراب يمزج عشرة دراهم منهُ بتسعين درهمًا من الماء وقد يكفي ان يمزج ثلاثة دراهم منهُ بسبعة وتسعين درهمًا من الماء اي ان يكون من ثلاثة الى عشرة في المئة بالنسبة الى الماء · ويكون عند خزنة البيض حياض من السمنت يسع الحوض منها ٤٠٠٠ بيضة · ويمكن ان تقوم البراميل مقامها اذا نظفت جيدًا بنقعها في الملح والصودا ويوضع البرميل على حجرين يرفعانهِ عن الارض حتى يجري الهواء تحتهُ ولا يبلى · وينقع البيض في مذوب الزجاج المائي في الحوض او البرميل والبعض يفضلون ماء الجير (ماء الكلس) على الزجاج المائي لان البيض يبقى فيهِ نظيفًا ويخرج منهُ بشكل كالمصفاة

وقشر البيض الذي حفظ في الزجاج المائي يكون صقيلاً واما الذي حفظ في ماء الجير فيصير رقيقًا خشنًا . ثم اذا سلق البيض المحفوظ في ماء الجير او الزجاج المائي انشقَّ من نفسهِ لان مسامهُ تكون مسدودة ويمنع انشقاقهُ بثقبهِ قبل سلقهِ بابرة او دبوس حتى لا ينشق



الخزانات وموسم القطن

تابع ما قبلهُ

واذا عُلي الخزان على ما تقدَّم (اي ستة امتار فقط) لم تضطر الحكومة الى انفاق ٢٥٠٠٠٠ جنيه على الهويس بل تركتهُ لانهُ عمل لا ربح لهُ. وقد اشرت في تقريري الاول عن الخزان الذي نشرتهُ سنة ١٨٩١ الى ان وجود هذا الهويس يتوقف على انشاء سكة الحديد بين سواكن والخرطوم وقد تمَّت هذه السكة الآن فلم تبقَ فائدة من الهويس فيتوفر من الاقتصار على تعلية الخزان ستة امتار ٦٠٠٠٠٠ جنيه ومن ترك الهويس ٢٥٠٠٠٠ جنيه والجملة ٨٥٠٠٠٠ جنيه تكفي لاكثر من نصف النفقات اللازمة لانشاء خزان على البحر الابيض يخزن فيهِ ثلاثة مليارات من الامتار المكعبة تسد بها حاجة القطر المصري الى المليارين وحاجة القطر السوداني الى نصف المليار من الامتار المكعبة. وها كم تفصيل ذلك

يتألف النيل عند الخرطوم من اقتران البحر الازرق بالابيض اما البحر الازرق فلهُ اسم واحد من مصادرهِ في بحيرة صانا في بلاد الحبشة الى نهايتهِ في الخرطوم اما البحر الابيض فلهُ اسماءٌ كثيرة ومنها اسم بحر الجبل حيث يقطع البطائح التي فيها السد اما انا فقد اطلقتُ عليهِ اسم البحر الابيض فقط في هذه الخطبة من مصدرهِ في بحيرة فكتوريا الى نهايتهِ عند الخرطوم

ومصادر البحر الابيض الحقيقيَّة هي بحيرة فكتوريا وبحيرة شرغا وبحيرة ادورد وبحيرة البرت نينزا وكلها مجموع من الخزانات. وحينما يخرج البحر الابيض من بحيرة البرت يكون غالباً على اوطاءِه في شهر ابريل ثم يزيد رويداً رويداً حتى يبلغ اعلاهُ في نوفمبر والفرق قليل بين اعلاهُ واوطاءِه هناك لان البحيرات الاستوائية تعدّلهُ وقلما يجري فيهِ اقل من ٦٠٠ متر مكعب او اكثر من ١٠٠٠ متر مكعب في الثانية من الزمان

ويجري من بحيرة البرت الى نيمولا مسافة ٢٢٠ كيلومترًا في مسيل واسع جدًّا ويكون

ماؤُهُ صافياً بطيءٌ السير وطريقهُ كثير الجزائر وغابات البردي وحينما يقرب من نيمولا يضيق مسيلهُ وينعطف على زاوية قائمة ويدخل مضيقاً صخريًا طولهُ ١٥٠ كيلومترًا وهذا ما دعا الذين شاهدوهُ اولاً من العرب الى تسميتهِ ببحر الجبل. والصخر هناك من الغرانيت وهو يصلح لان يبنى عليهِ سد والعمل قليل النفقة لانهُ لا يلزم ان ينصبَّ منهُ اكثر من ١٢٠٠ متر مكعب في الثانية وقد وقفت هناك ساعات انظر الى ذلك المشهد وارى بعين الخيال ما سيعمل فيهِ من الاعمال في المستقبل

وبعد خروج البحر الابيض من نيمولا تصبُّ فيهِ غدران كثيرة تزيد ماءهُ كثيرًا في زمن الفيضان ولكنها لا تزيدهُ كثيرًا في غير زمن الفيضان ونصل بعد ذلك الى غندكرو حيث يجري فيهِ ٢٥٠٠ متر مكعب في الثانية زمن الفيضان ولا يجري فيهِ اقل من ٦٠٠ متر مكعب في الثانية زمن التحاريق ولذلك يمكننا ان نعتمد على ٦٠٠ متر مكعب في الثانية عند غندكرو وكأننا لم نخسر شيئًا من المياه التي ترد من البحيرات الاستوائية اما بعد غندكرو فتتغيَّر الحال فان البحر يسرع في جريانهِ من هناك الى بور مسافة مئتي كيلو متر ومجراهُ في وادٍ واسع وقلما يفقد شيئًا في زمن التحاريق ولكن تخرج منهُ مجارٍ جانبيةٌ تصبُّ في البحيرات والمنخفضات التي على جانبيهِ اذا زاد ماؤُهُ ويمكننا ان نقول انهُ يجري فيهِ دائمًا لا اقل من ٥٥٠ مترًا مكعبًا في الثانية اي انهُ يخسر قليلاً من مائهِ وذلك الوادي مملوءٌ بالاعشاب الكبيرة والصغيرة حيث الارض جافَّة او الماء قليل وبالبردي حيث الماء عميق

ومن بور الى قرب غمبا شمبا ٢٠٠ كيلو متر يخرج البحر الابيض من الاراضي العالية ويجري في مجراهُ ضمن ضفتين مكونتين من الرمل المغطى بالاعشاب ولا يتعداهما الا في زمن الفيضان وفيهِ هناك كثير من المجاري الجانبية يجري الماء فيها الى المنخفضات حيث يخزن فلا يضيع كلهُ ولكن جريانهُ في هذه المجاري زمن التحاريق خسارة كبيرة وما دمنا نرى الاعشاب فالماء يجري على ارض ويمكن التحكم في مجراهُ

ومن شبا شمبا الى بحيرة نو مسافة ٤٠٠ كيلو متر البلاد بلاد السد وتجد البردي ناميًا في كل جهة منها وهو ينمو ولو كان عمق الماء خمس اقدام وبعلو خمس اقدام اخرى فوق وجههِ وتراهُ دائمًا قادرًا على سد مجرى الماء فسقيًا للبحيرات الكبيرة التي تستطيع ان تخزن من الماء ما يكفي البحر الابيض زمن التحاريق ويبقى مجراهُ مفتوحًا مع وجود هذا البردي فيهِ. ولا يقيم الانسان في تلك الجهات طويلاً حتى يصير يكره نبات البردي كرهًا شديدًا بعد ان يكون قد سرَّ بمرآهُ حينما وقع نظرهُ عليهِ اولاً . ومن الغرائب التي تشاهد في هذا المكان الغريب

ان النار تضطرم في غابات الاعشاب الخضراء اميالاً بعد اميال كانها القش اليابس. ويغيب عنا هنا منظر الارض ووجهها المكسو بالنبات الاخضر

ولكننا نرى فيها احياناً شجيرات واعشاباً دمية فيبتهج النظر برؤيتها. وتنتشر المياه في تلك البطائح صيفاً وشتاء بين غابات البردي . اما البحر الابيض نفسهُ فيبقى في مجرى سعتهُ من خمسين متراً الى مئة متر وعمقهُ خمسة امتار ويسير شمالاً في طريق متمعج تضيق منهُ النفس حتى يودُّ المرءُ لو وجدت هناك كراكة تقطع تلك المنحنيات وتختط للماء طريقاً مستقيماً فيقيم عليها ولو اكلهُ الناموس. والغالب ان يرى في منعطف كل منحنىً بحيرة ولا يعلم المرءُ هل تضر تلك البحيرات بتعريضها الماء للتبخر او تنفع بخزنها اياهُ الى حين حاجة النيل اليهِ حينما يقلُّ ماؤُهُ . فالماء الذي في هذا المجرى غير قليل ولو كثرت تعاريجهُ ولذلك اوافق السر وليم جارستن في ما كتبهُ اولاً عن البحر الابيض حيث اشار باصلاح مجراهُ والاحتفاظ بهِ لان اهمالهُ وتركهُ قد يفضيان الى مصاعب لا يمكن التخلص منها فقد قيل ان نحساً تعرفهُ خير من جيد تتعرف بهِ

الى هنا كان البحر الابيض يجري من الجنوب الى الشمال . وعند بحيرة نو يلتقي بهِ بحر الغزال فيتجه من هناك شرقاً والماء الذي يجري بحر الغزال الى البحر الابيض قليل ولكن ماءهُ وماء نواصرهِ يملآن المنخفضات والمستنقعات التي هناك ولولا ذلك لجفَّ ماء البحر الابيض احياناً ولم يصل منهُ شيء الى الخرطوم . وما البحر الابيض كلهُ سوى خزان لخزن الماء يخزنهُ في بعض الاماكن ويريقهُ في غيرها

ويجري البحر الابيض شرقاً مسافة ١٣٠ كيلو متراً بعد تركهِ بحيرة نو ويكون عرضهُ اولاً ١٠٠ متر فيتسع رويداً رويداً حتى يصير عرضهُ ٤٠٠ متر ويفارقهُ البردي هنا وضفتاهُ واطئتان ولكنهما تظهران حينما يكون ماؤُهُ قليلاً ويمكن التحكم بهِ وقتما يقل الماء حتى لا يذهب شيء منهُ ضياعاً

والماء الصيفي الذي قلما يقل عند غندكرو عن ٦٠٠ متر مكعب في الثانية ويبلغ احياناً ٩٠٠ متر مكعب في الثانية يقل هنا حتى يبلغ ٣٠٠ متر مكعب في الثانية في سني الشح و٤٥٠ متراً مكعباً في الثانية في سني غزارة الفيضان اي ان نصف الماء الجاري من البحيرات الاستوائية يضيع بين غندكرو ونهر السبت . فيجب ان تفعل الكراكات العجائب في تلك الجهات. والماء الجاري في النهر يصير قادراً على تعميق مجراهُ وتوسيعهِ وقد قال السر وليم جارستن ان الماء نفسهُ يوسع مجراهُ حالما يزول السدُّ من طريقهِ

ويلتقي البحر الابيض بنهر السبت بعد ان يجري في مسيل عرضهُ ٤٠٠ متر وعمقهُ ٣ امتار بانحدار قليل وضفتين واطئتين يسهل على الماء ان يطغى عليهما ثم ينحرف شمالاً . ويكون لون مائهِ ضارباً الى السمرة على مدار السنة قبل التقائهِ بنهر السبت . وماء السبت لا يحمل كثيرًا من المواد في زمن الفيضان لانهُ يترك اكثر المواد التي يحملها في المستنقعات التي يمرُّ فيها ولكنهُ يحمل اكثر مما يحملهُ البحر الابيض . والمستنقعات التي يمر فيها كالخزانات تخزن ماءهُ وتعيق جريانهُ فلا يبلغ ماؤُهُ الغزير الى مصبهِ في البحر الابيض الا في شهر نوفمبر اي بعد ان يفيض باشهر

ويكون ماء البحر الابيض على اقلهِ قبل التقائهِ بنهر السبت في ابريل ومايو وكذلك نهر السبت ويبتدئ الفيضان في النهرين في وقت واحد و يحدث هناك ابدع ما يحدث في وادي النيل اذا استثنينا ما يحدث عند الخرطوم فان مسيل البحر الابيض تحت اتصالهِ بنهر السبت لا يسع فيضان النهرين ولذلك يرتفع ماؤُهُ عند محل الاتصال و يفيض على الاراضي الواطئة واما ماء نهر السبت فيبقى جارياً في مجرى البحر الابيض ويزداد رويدًا رويدًا من مئة متر مكعب في الثانية الى الف متر مكعب في اكتوبر ونوفمبر . واما البحر الابيض فيقل الماء الجاري منهُ شمالاً ويزيد المنصب منهُ في الارض التي حولهُ فتصير بحيرة وقتية يخزن الماء فيها ثم يعود منها الى مجرى النيل في دسمبر و يناير وفبراير حينما يقل الماء الجاري من السبت . فهناك خزان طبيعي آخر لخزن ماء البحر الابيض الى حين الحاجة اليهِ

وطول البحر الابيض من مصب السبت الى الخرطوم ٨٤٠ كيلو مترًا وانحدارهُ قليل في القسم الاعلى منهُ ومتى قرب من الخرطوم يصير سطحهُ مستوياً في زمن الفيضان كأنهُ بحيرة طويلة عرضها نحو كيلو متر ويبلغ عرضهُ كيلومترات كثيرة حيث تكثر فيهِ الجزائر والمستنقعات والماء الذي يفيض على هذه المستنقعات في زمن الفيضان يعود الى البحر الابيض في زمن التحاريق إما سيحاً على وجه الارض او تحلباً فيها . ولهذا التحلب اي وصول المياه الى النيل من الينابيع التي على جانبيهِ من ملتقى نهر السبت بهِ الى ان يصل الى بحر الروم شأن كبير في زمن التحاريق وكلما امعنا نظرنا في هذا الامر زاد احترامنا للبرديني اكبر مهندسي القرن الماضي المائيين الذي انبأ بذلك بدقة فائقة

ويجري ماء البحر الابيض الى الخرطوم جريانًا بطيئًا واقل ما يجري فيهِ هناك نحو ٤٥٠ مترًا مكعباً في الثانية وذلك في شهر مايو و يكون ماؤُهُ خالياً من الرواسب الا حينما يمتزج بهِ ماء البحر الازرق المعكر

ويلتقي البحران عند الخرطوم وهما على تمام الاختلاف . فالبحر الازرق هو بحر الجبل الحقيقي لانهُ يجري من النصف الجنوبي من بلاد الحبشة الذي تقع فيهِ الامطار الغزيرة وعليهِ الاعتماد في فيضان النيل ومجراهُ سريع وماؤهُ عكر ويعلو بسرعة في الخرطوم فيملأ النيل ويمنع ماء البحر الابيض من الجريان فيكوّن منهُ بحيرة طولها ٥٠٠ كيلومتر

ويكون ماء البحر الازرق على اقلهِ في شهر مايو وقد يجف تماماً في بعض السنين صيفاً ويبلغ ماؤهُ في اعلى فيضانهِ في اوائل سبتمبر نحو ١٢٠٠٠ الى ١٤٠٠٠ متر مكعباً في الثانية من الزمان وهذا المقدار من الماء لم نرَ مثلهُ قبلاً واذا قصرنا النظر على ماء الفيضان فاصبح البحر الازرق اغلظ من متن البحر الابيض

واقول هنا استطراداً انهُ اذا علا ماء الفيضان بعد الآن كما علا سنة ١٨٧٤ و ١٨٧٨ وبقيت جسور الخرطوم منخفضة كما رأيتها في شهر يناير الماضي فالمرجح ان البحر الازرق يطغى عليها ويغمرها بمترٍ من الماء

ولا يشرع البحر الازرق في الهبوط السريع المستمر الّا بعد ١٥ سبتمبر ويبتدئ انصباب الماء من البحر الابيض ويبلغ متوسطهُ الاعلى وهو ٢٠٠٠ متر مكعب في الثانية في اكتوبر حين تجري فيهِ المياه التي دفعت الى ما فوق ملتقى البحرين والمياه الآتية من الجنوب . ويكون البحر الابيض فوق الخرطوم بحيرة ثالثة تخزن مياههِ ولذلك يحق لنا ان نقول ان البحر الابيض بخزاناتهِ الطبيعيةِ هو نيل مصر الحديثة التي الاعتماد فيها على الري الصيفي كما ان البحر الازرق هو نيل مصر القديمة التي كان الاعتماد فيها على ري الحياض

ان ما تقدم مأخوذ من كتابي النيل سنة ١٩٠٤ الذي فيهِ خلاصة كتاب السروليم جارستن "حوض النيل الاعلى" فقد مسكت ذلك الكتاب بيدي وطبقتهُ على البلاد التي وصفها ويسرني ان اشهد بصحة ما جاء فيهِ الا في القليل النادر . وقد ارتأيت في كتابي المشار اليهِ انشاء سدين الواحد عند مصب نهر السبت والثاني في الخرطوم بانياً رأيي على كتاب السر وليم جارستن ثم ايدتهُ بما رأيتهُ بنفسي وانا مدبون لمستر دبوي وللدكتور بلفور وللمستر بيم على ما علمتهُ من الاستعلامات الحديثة لان الذين يريدون ان يفهموا المسائل العلمية المتعلقة بحوض النيل كلهِ ارضهِ ومائهِ وحاصلاتهِ يجب عليهم ان يقصدوا حرم العلم في الجناح الشرقي من مدرسة غوردون الذي يرأسهُ الدكتور بلفور فان من هناك تنشر الياذة النيل السنوية اي تقرير معامل ولكوم وخلاصة ابحاث اولئك العلماء الذين يبحثون في العلم لذاتهِ لا لتمجيد انفسم

لقد ابنا ان البحر الابيض سلسلة من الخزانات الطبيعيَّة تخزن المياه فيها من نفسها وان فيهِ ثلاثة اماكن يحسن ان تنشأ السدود فيها لتصير خزانات صناعية الاول في نيمولا قرب بحيرة البرت والثاني عند مصب نهر السبت والثالث في الخرطوم. وكل ما يُحتاج اليهِ انما هو التحكم بهذه الخزانات الطبيعيَّة حتى يجري الماء منها حينما نحتاج اليهِ لا حينما يجري من نفسهِ. والكراكات تبقي المجرى مفتوحاً بين هذه الخزانات فانها توسعهُ وتعمقهُ حيثما يدعو الامر الى ذلك وتزيل الشعاريج وتسد البتابيت. وسيشرع رجال الري في هذا العمل لانهم اوصوا على الكراكات و يبقى الشروع في استخدام خزان او اكثر من هذه الخزانات لكي يصير في السودان ما يكفيهِ من ماء الري من ١٥ مايو الى ١٥ يوليو وفي مصر ما يكفيها من ١٥ ابريل الى ١٥ يوليو

والخزان الذي يحسن الشروع فيهِ اولاً هو خزان الخرطوم فاذا اقيم هناك سدان من التراب مصانان بالحجارة البعد بينهما ٥ كيلومترات[1] يقطعان مجرى النيل ويجعل في كل منهما هويس و٢٠ عيناً وخزن بينهما ما ارتفاعهُ ٨ امتار من الماء فلا تزيد اكلافهما على ١٢٥٠٠٠٠ ويكون من ذلك خزان يسع مليارين ونصف الى ثلاثة مليارات ونصف من الامتار المكعبة. والمزية من انشاء اول خزان عند آخر البحر الابيض هي ان مياههُ تصل حالاً الى النيل وتجري الى القطر المصري. واجراء هذا الماء في اوائل الصيف وابقاء خزان اصوان مملوءا الى اطول ما يمكن يجعل التبخر على اقلهِ ورجوع المياه الى النيل من التحلُّب الارضي عن جانبيهِ على اكثرهِ وهذا الماء يقوم مقام اكثر الماء الذي يصعد بالتبخر. ويحسن ان تقام طلمبات على البحر الازرق على ١٥ كيلومترًا فوق الخرطوم تروى بها الارض في آخر مثلث الجزيرة تعويضاً للناس عما يخسرون من الارض التي ينشأ فيها هذا الخزان فان الريع يقوم باكلاف العمل ونفقاتهِ. وما ينفق على عشرة الاف فدان مع ما يلزم لها من آلات الري والحرث لا يزيد على ٢٥٠٠٠٠ جنيه. واذا اضفنا ٢٥٠٠٠٠ جنيه الى ما قدر لعمل هذا الخزان بلغت النفقات كلها ١٥٠٠٠٠٠ لثلاثة مليارات من الامتار المكعبة مقابل ٦٠٠٠٠٠ جنيه لثلث مليار من الامتار المكعبة تحصل من تعلية خزان اصوان

واذا صار حول الخرطوم عشرة آلاف فدان تزرع زراعة صيفيَّة فذلك من النعم الكبيرة

(١) (المقتطف) هذا على ما في الاصل الانكليزي والفرنسوي الذي عندنا والظاهر ان ذلك خطأ في الطبع والصواب ٥٠٠ كيلو متر. وقد قصدنا السر وليم ولككس حين كتابة هذه السطور لنسأَلهُ في ذلك فوجدنا انهُ سافر الى قبرص

واذا صار الماء ميسوراً على مدار السنة فالشركة المصرية الجديدة تصير قادرة على زرع ٢٠٠٠٠ فدان شمالي الحلفايا والخرطوم وتصير الخرطوم في جنة ارضية ولا يعود اهلها يرون الحبوب الا اذا ابعدوا عنها و يصير السودان معدن ذهب لمصر اذ يعطيها ما يكفيها من الماء للزراعة الصيفية ولا يبقى عالة عليها كما هو الآن

والخزان الذي يقام عند نهر السبت يلزم له اعمال شبيهة بالاعمال اللازمة لخزان الخرطوم وهي اضيق نطاقاً منها ولكن نفقاتها قد لا تقل عن نفقات سد الخرطوم والماء الذي يحجز بسد السبت يضطر ان يجري ٨٤٠ كيلو متراً حتى يصل الى الخرطوم فينقص في سيره كثيراً ولذلك يكون سد الخرطوم انفع منه

وسد نيمولا لا بد من تأخيره الى ان تنشأ سكة حديد تصل ما فوق الممر الصخري بما تحته جنوبي غندكرو والى ان تطهر الكراكات جهات السد حتى يسع مسيل النهر كل الماء الذي يجري فيه . وهذا العمل سهل حتى في البلاد التي حول بحيرة البرت ونفقاته اقل من مليون جنيه وهو مهم الآن من وجهته النظرية فقط

وسد الخرطوم يتم بسهولة في ثلاث سنوات وهو كاف لكل المياه التي يحتاج اليها القطران المصري والسوداني من الآن الى سنين كثيرة . و يسهل وجود الاموال اللازمة له ولوادي الريان (وهذا الاخير اهم من الخزانين الآخرين) وذلك ببيع جانب من المليون فدان البور التي تمتلكها الحكومة في الوجه البحري وليس لهذه الاطيان قيمة تذكر الآن ولكن يصير لها قيمة كبيرة جداً حالما تعطى المياه الكافية للري الصيفي

وقد عرفنا الآن سبب اخضرار ماء النيل والفضل في ذلك للعلماء مثل شوينفورت وكنغمن وعرفنا ايضاً كيف نمنعه فان الماء الاخضر الكريه الطعم والرائحة مسبب اخضراره عن نمو نباتات بزورها موجودة في الماء و يزيد نموها حينما يصير جريان الماء بطيئاً فقد كان المسيو غالوى سلفي في ادارة شركة مياه العاصمة يتشكى من اخضرار المياه حينما يطول خزنها فوق القناطر الخيرية و يصير سيرها بطيئاً وقد قيل له ان اخضرارها آت من جهات السد ولكن ذلك خطأ واخضرارها ناتج عن طول بقائها فوق القناطر الخيرية وقد تزيد المواد الخضراء فيها حتى يتعذر ترشيحها بطبقات الرمل ولو عرفت ذلك حينئذٍ كما اعرفه الآن لرفعت المياه مترين فوق المرشحات وجعلتها تنتصب على شبكة فتعلق بها المواد النباتية وينزل الماء الى مرشحات الرمل نقياً فيغنينا ذلك عن ماء الآبار الارتوازية الذي يكرهه الوطنيون والنزلاء .
و يظن البعض ان هذا الماء المستخرج من طبقات الارض السفلى متصل بالمياه المتحلبة من

أسراب القاهرة التي تغور في الارض وتصل الى المياه في طبقاتها السفلى ولا علاج لذلك الاَّ اذا تزحت اسراب القاهرة على اسلوب المستر كاركيت جمس واهملت آبارها

في شهر يونيو سنة ١٩٠٠ سادت المياه الخضراء جدًّا وقلَّ الاكسجين فيها حتى ان الواقف على كبري قصر النيل كان يرى السمك مغطيًا سطح الماء لانهُ لم يعد يستطيع ان يعيش الاَّ قرب سطحهِ . وماتت الالوف منهُ في جهات كلبشه . وزاد اخضرار النيل فوق خزان اصوان في شهر يونيو سنة ١٩٠٣ ولكنهُ لما انصبَّ من العيون واستحال الى رشاش تطهَّر وتنقى حتى عسر عليَّ ان اصدق ان الماء الذي رأيتهُ عند جزيرة اصوان هو من نفس الماء الذي رأيتهُ فوق الشلال

ولذلك يجب ان الماء المخزون في خزان البحر الابيض عند الخرطوم ينصب على شبكة او مصبغ حتى يتجزأ فيتنقى . والمرجح ان ماء النيل يصير حينئذٍ انقى مما يمكن ان يكون الآن حينما يكون البحر الابيض على اوطاهِ

فها قد بسطت لكم ما استفدتهُ من سياحتي الى منابع النيل ووصفت ما رأيتهُ من الخزانات الطبيعيَّة في مجرى البحر الابيض وكيف يمكن ان تستخدم لنفع مصر والسودان ويزيد نفع هذه الخزانات بكل ما يبنى على النيل من القناطر التي تجعل الترع المتصلة بها بمأمن من قلة الفيضان فالقناطر الخيرية وقناطر اسيوط وقناطر اسنا التي تبنى الآن هذه القناطر كلها تساعد على خزن الماء للري الصيفي وهي حلقات من سلسلة كبيرة وخزن الماء ميسور لمصر ولا يقتضي الاَّ التحكم بماء البحر الابيض كما تحكم القدماء بماء البحر الازرق لكي يعم الري الصيفي تكثيرًا لموسم القطن الذي لا مثيل لهُ وهذا الري خير خلف لري الحياض الذي شهر مصر قديمًا كاعظم بلاد لزرع الحنطة

(انتهت خطبة السر وليم ولككس الاولى وقد ترجمناها بتصرف قليل)

ديون الفلاح المصري

يقدّر المقدرون قيمة اطيان القطر المصري الآن بنحو ٤٠٠ مليون من الجنيهات والديون التي عليها بنحو اربعين مليونًا من الجنيهات فيكون الدين نحو عشرة في المئة فقط من ثمن الاطيان ويقابلون ذلك بما على الاراضي الزراعية من الدين في الممالك الاوربيَّة ويقولون ان الدين لا يزال خفيفًا جدًّا في القطر المصري واطيانهُ تحتمل مضاعف ما عليها . ويقول غيرهم ان دين الحكومة المصرية البالغ مئة مليون من الجنيهات هو على الاطيان والاطيان تدفع فائدتهُ وهي

مرهونة لاصحابهِ وعليهِ فالدين الذي على الاطيان يبلغ مئة واربعين مليونًا من الجنيهات فهو ٣٥ في المئة من ثمن الاطيان وهي لا تحتمل اكثر من ذلك واذا زاد الدين عليها فلا بدَّ من ان تظهر نتيجتهُ عاجلاً او آجلاً بعجز الفلاحين عن ايفاء الاقساط المطلوبة منهم. ويستثنى من ذلك المال الذي يستدان لاصلاح الاراضي البور فان الفدان البور الذي يشترى الآن بثلاثين او اربعين جنيهًا ينفق عليهِ عشرة جنيهات او خمسة عشر جنيهًا فيصير يساوي سبعين او ثمانين جنيهًا

ويمكن التوفيق بين هذين القولين بان جانبًا من دين الحكومة يحسب على الاطيان والجانب الآخر على سكك الحديد ونحوها من المصالح ذات الايراد. وسكك الحديد تساوي نحو اربعين مليونًا من الجنيهات او ان صافي ريعها يساوي فائدة اربعين مليونًا من دين الحكومة فكأن الباقي من دين الحكومة على الاطيان نحو ستين مليونًا من الجنيهات وهي والدين الذي على الاطيان مباشرة ١٠٠ مليون من الجنيهات او نحو ٢٥ في المئة من ثمن الاطيان فان كانت الاطيان تحتمل اكثر من ذلك فما تحتملهُ قليل لا يزيد على خمسة في المئة من ثمنها

و يظهر كون اطيان القطر حاملة دين الحكومة من ارتفاع الضريبة فان متوسط ضريبة الفدان في القطر مئة غرش وهي لا تزيد على غروش قليلة في سائر البلدان فاذا فرضنا ان مئتين مليونًا من دين الحكومة خاصة بالاطيان ففائدتها مليونان من الجنيهات وهي مأخوذة من مال الاطيان فيصيب الفدان منها اربعون غرشًا والباقي وهو ستون غرشًا من المال نصفهُ مقابل نفقات الري والنصف الآخر للحكومة مقابل حفظ الامن والادارة العامة

واذا فرضنا ان اطيان القطر تحتمل ايضًا من الدين ما يساوي خمسة في المئة من ثمنها فذلك يساوي عشرين مليونًا من الجنيهات اي انهُ اذا زادت ديون الاطيان عشرين مليونًا اخرى فلا ضرر منها بشرط ان تنفق بالحكمة لخدمة الاطيان وان لا تكون فائدتها اكثر مما يأخذهُ البنك العقاري المصري عادةً اي نحو ٦ في المئة سنويًا

البنك الزراعي وديون الفلاح

لما اشتدت الضيقة المالية في القطر المصري في الشهر الماضي طلب جماعة من الحكومة ان تقرض البنك العقاري المصري نحو مليوني جنيه من الاوراق المالية التي عندها وهو يرد قيمتها لها في بضع سنوات مع فائدة معتدلة اكثر من الفائدة التي تنالها الحكومة الآن ويجلب

بها نقوداً من فرنسا يدينها للفلاحين على جاري عادتهِ . فلم تجبهُ الحكومة الى طلبهِ ولكنها اوعزت الى البنك الاهلي ليقرض البنك الزراعي نحو مليون جنيه اخرى واجازت للبنك الزراعي ان يزيد اكبر مبلغ يدينهُ لشخص واحد من ٥٠٠ جنيه الى الف جنيه وشاع في اواخر الشهر ان رأس مال البنك الزراعي سيزاد اربعة ملايين من الجنيهات وانهُ يباح لهُ حينئذٍ ان يجعل اكبر مبلغ يدينهُ لشخص واحد خمسة آلاف من الجنيهات

ولكن حب انهُ تمَّ ذلك كلهُ فالفائدة منهُ لا توازي الفائدة من البنك العقاري لاصحاب الاطيان واصحاب اراضي البناء فاولاً ان البنك العقاري يكتفي بفائدة ستة في المئة الى ستة ونصف والبنك الزراعي يأخذ فائدة ثمانية في المئة وهذه الاثنان في المئة تجعل فرقاً يساوي عشرين الف جنيه في كل مليون جنيه يخسرها الفلاح ويكسبها ارباب الاموال

وثانياً ان البنك الزراعي لا يتمهل في استيفاء اقساطهِ ابداً فيضطر الفلاح ان يستدين القسط من تاجر برباً فاحش الى ان يبيع محصولاتهِ والمرجح ان المئة التي يستدينها الفلاح من البنك الزراعي بثمانية في المئة تكلفهُ عشرة او اثني عشر في المئة وهذا غبن فاحش على الفلاح

وثالثاً ان البنك العقاري يسلف اصحاب الاملاك لبناء المنازل فيها ولولاهُ ما عمرت احياء كثيرة في مصر والاسكندرية وكثير من المدن فاذا عجز الآن عن تسليف النقود لاصحاب الاراضي عجزوا هم عن بنائها واستثمار الاموال التي دفعوها ثمنها فتكون الخسارة كبيرة على القطر المصري من جراء ذلك ويبطئ عمرانهُ ولذلك اسف الجمهور لان الحكومة لم تجد لها سبيلاً لمساعدة البنك العقاري ويودون ان تجد سبيلاً آخر بهِ يسهل امداد اصحاب الاطيان واصحاب الاراضي بالاموال التي يحتاجون اليها لاصلاح اطيانهم وبناء اراضيهم بفائدة معتدلة لا تزيد على ستة في المئة

مستقبل زراعة القطن

ان مساحة الاراضي الزراعية في القطر المصري تبلغ ٦٣٨٧١٠٠ فدان منها ٥٥٣٩٦٣٨ تزرع الآن والباقي وهو ١٠٤٧٤٦٢ يقبل الزراعة لو وجدت المياه الكافية لريهِ وهذه الاطيان موزعة في الوجهين البحري والقبلي كما ترى في هذا الجدول

	الوجه البحري	الوجه القبلي	المجموع
الاطيان المزروعة	٣١٣٢٥٣٩	٢٢٠٧٠٩٩	٥٥٣٩٦٣٨
الاطيان القابلة الزراعة	٠٩٣٣٩٨٥	٠١١٥٤٧٧	١٠٤٧٤٦٢
المجموع	٤٠٦٦٥٢٤	٢٣٢٠٥٧٦	٦٣٨٧١٠٠

والاطيان التي زرعت قطناً في العام الماضي نحو ١٦٠٠٠٠٠ فدان وهي نحو ٤٠ في المئة من اطيان الوجه البحري الزراعية ونحو ١٤ في المئة من اطيان الوجه القبلي الزراعية والمجموع نحو ٣٠ في المئة من اطيان القطر. ونقدر مساحة الاطيان التي تزرع الآن قطناً والصالحة لزراعة القطن كلها ٥٦٠٠٠٠٠ فدان فاذا زرع ٤٠ في المئة منها قطناً سنوياً بلغت مساحة زراعة القطن السنوية ٢٢٤٠٠٠٠ فدان واذا بلغ متوسط محصول الفدان اربعة قناطير ونصف قنطار كما في العام الماضي بلغ المحصول كلهُ عشرة ملايين قنطار ولكننا نرجح ان ارباب الزراعة سيجدون انهُ لا يحسن بهم ان يزرعوا القطن في اكثر من ثلث الاطيان الصالحة لزراعتهِ فلا تزيد مساحة زراعة القطن السنوية على مليون ونحو ٩٠٠ الف فدان ويبقى المحصول ثمانية ملايين ونصف الى تسعة ولكن تكون المقطوعية قد زادت كثيراً جداً قبلما يبلغ محصول القطن هذا المبلغ



تراجم عظماء المشرق

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف الاغر

لا اخفي عنكم عجبي من خطتكم في الاغضاء عن نشر تراجم مشاهير ونوابغ الشرق بالاخص الذين ظهروا في مصر وسوريا . مع ان مقتطفكم سيكون كتاريخ يرجع اليهِ في الاجيال المقبلة لمعرفة ما كنا عليهِ من العلم والمعرفة والشهرة

نشرتم في الماضي سير كثيرين من فلاسفة الغرب وعلمائهِ الذين افادوا العالم والانسانية ثم جعلتم تترجمون بعض من اشتهر من رجال اوربا واميركا تحت عنوان (رجال المال والاعمال) وليس في نشر تاريخ هؤلاء (اي رجال المال والاعمال) فائدة للشرق سوى تشبه ابنائهِ بهم ليقتفوا آثارهم في الكد والعمل

ولكن لا يخفى على حضرتكم ان نقل العدوى من القريب اهون بكثير من الاتيان بها من البعيد . ولا شك ان روح الغيرة تدب في قلب الانسان من اخيهِ وجارهِ بهيئة افعل مما لو جاءتهُ من الغريب البعيد

ونحن والحمد لله لم نحرم رجالاً افاضل حازوا شهرة عالية وافادوا بلادنا فائدة لا يمكن انكارها · واليهم كان يشار بالبنان في كل مكان · وهم اعظم مثال للجد والاجتهاد · وعلى ما افتكر ان سيرهم اولى بالتدوين خصوصاً في بطون التاريخ الشرقي الذي يمثلهُ الآن مقتطفكم الاغر متتبعاً الحوادث وجارياً معها جنباً لجنب

بهذا تنصفونهم وتتممون الغاية التي ترمون اليها من بث روح الجد والاجتهاد . فضلاً عن انهُ يحتم علينا درس ومعرفة سير هؤلاء الافاضل الذين لهم الفضل الاكبر علينا والذين بهم نفتخر

كم وكم من الذين لهم اليد الطولى في نهضتنا العلمية والادبية الاخيرة قد ذهبوا الآن لينالوا اكليل المجد جزاء اعمالهم منهم الصحافي والمحامي والمؤرخ والمصنف والمؤلف والمترجم واللغوي والعالم · وآخرون هم مثال الجد والاجتهاد ولدوا وبعضهم لا يملكون سوى الفقر وماتوا وعندهم الالوف ليس من طريق استبداد او احتكار او مضاربة · بل من طريق الاستقامة والجهاد ولم تجعلوا لهم ذكراً في مقتطفكم

فهل من العدل ان تبخسوهم حقهم ولا تدونوا تاريخ حياتهم ليكون مثالاً لنا ولابنائنا من بعدنا. ولكي توفوا التاريخ حقهُ . خصوصاً لانكم انتم اولى بهذا العمل من ابناء الجيل القادم لانهم كانوا معاصريكم ومعاشريكم ومشاركيكم سواء كان في العلم او في السياسة وخدمة البلاد ومؤلفاتهم وتصانيفهم وتعبهم وجميع اعمالهم بين ايديكم. فاذا كتبتم عنهم شيئاً يكون لهُ المقام الاول لانكم انما تكتبون ما رأيتموهُ رأي العين او اخذتم عمن رأى

فنرجو ان نرى في الاعداد القادمة ما يسدّ هذه الثلمة في بناء تاريخ الشرق وبهذا تكون خدمتكم للوطن وبنيهِ اجلّ واهمّ

لم اقصد من هذا سوى الفات نظر حضرتكم الى ما اعتقد ان بهِ فائدة عظيمة لنا · فان اصبت المرمى فهذا مشتهاي والاَّ فاني اكون قد كاشفتكم بما في ضميري وذمتي

ابرهيم نقولا يارد

[المقتطف] ان ما ننشرهُ بقلمنا نكتب فيهِ ما نعرفهُ او ما ننقلهُ عن الذين يعرفونهُ · وما ننشرهُ باقلام غيرنا نتوخى ان يكون مما يعلمونهُ هم او مما ينقلونهُ عن العالمين بهِ. فقد ترجمنا الدكتور فان ديك والدكتور باس والدكتور ورتبات والشيخ محمد عبده لاننا كنا من اعرف الناس بهم وبمؤلفاتهم ونشرنا ترجمة المعلم بطرس البستاني والسيد محمد بيرم لان اعرف الناس بهما كتبهما لنا. والقاعدة التي جرينا عليها حتى الآن هي اننا لا نترجم الأ الاموات او الاحياء الذين شاخوا وثبتت شهرتهم ولا يخشى ان تنتقض . ثم ان الذين توفوا

ولم تذكر ترجماتهم في المقتطف مع انهم يستحقون ان تذكر فيهِ كان السبب الوحيد لعدم ذكرها اننا نحن لا نعرف من امورهم ما يكفي لترجمتهم والذين يعرفون من امورهم ما يكفي يبخلوا علينا بكتابة ترجماتهم وذووهم لم يهتموا بذلك

وكل ما ننشرهُ من ترجمات الاوربيين والاميركيين منقول عن كتب ومجلات موثوق بها بقي الذين لا نعرفهم ولا طالعنا مؤلفاتهم سواء كانوا من ابناء هذا القطر او القطر السوري فهؤلاء لا يجوز لنا ان نترجمهم ونكتب عنهم اموراً قد تكون صحيحة وقد تكون كاذبة لئلا يكون ذلك تضليلاً للافهام. وفوق هذا فان العلم عامٌّ لا شرقي ولا غربي واذا ترجمنا خمسين رجلاً من علماء الغرب قبل ان نترجم رجلاً واحداً من علماء الشرق لا نكون قد بخسنا الشرقيين المعاصرين حقهم لانهُ ليس فينا عالم واحد مقابل خمسين عالماً من علماء الغرب وقس على العلماء رجال السياسة ورجال المال والاعمال. ولا يجوز في شرع العلم ان نستسمن ذا ورم ونغوّهُ على انفسنا وعلى الناس

ثم اننا اذا لم نترجم واحداً من الذين يستحقون ان يترجموا لا نكون قد ظلمناهُ لان ليس بيننا وبينهُ عهد اننا نذكر ترجمتهُ حياً وميتاً ولا تعهدنا لهُ ولا لغيرهِ اننا نترجم كل مَن يستحق ان تذكر ترجمتهُ في المقتطف حتى نكون قد حدنا عن "العدل" في عدم ذكرنا اياها. وكل ما نحن مرتبطون بهِ للجمهور هو ان نملأ المقتطف بما نحسبهُ نحن مفيداً لهم. ويستحيل علينا ان نجمع فيهِ كل ما هو مفيد ولو كان حجمهُ عشرة اضعاف ما هو. ويستحيل علينا ايضاً ان نجري على رأي كل واحد من القراء. وهل تستطيعون ان تذكروا لنا اسم عشرين رجلاً "من الذين لهم اليد الطولى في نهضتنا العلمية والادبية الاخيرة ومنهم الصحافي والمحامي والمؤرخ والمصنف والمؤلف والمترجم واللغوي والعالم ومن الذين ولدوا لا يملكون سوى الفقر وماتوا وعندهم الالوف ليس من طريق استبداد او احتكار او مضاربة بل من طريق الاستقامة والجهاد" ولم نجعل "لهم ذكراً في المقتطف" كما تقولون

ان مَن يقرأ تعدادكم لاوصاف العلماء والفضلاء يحسب اننا فقنا المانيا في عدد علمائنا واميركا في عدد اغنيائنا والظاهر ان مقياس العلم عندكم اوطأ جدًّا مما هو عندنا والاَّ ما كنا نحن وكثيرون غيرنا نشكو دائماً من تأخرنا العلمي ومن انهُ لم يقم منا في العصر الحاضر عالم واحد يقاس بعلماء اوربا واميركا ولا قام منا رجل جمع ثروة بطريق الحلال تقابل بثروة اغنياء اوربا واميركا. اين العالم الطبيعي الذي اكتشف ناموساً من نواميس الطبيعة او حقيقة واحدةً من حقائقها. اين العالم الفلكي الذي اكتشف نجماً واحداً جديداً او علم امراً

واحداً لم يكن معلوماً · اين اللغوي الذي استنبط حقيقة واحدة جديدة في علم اللغات ووافقهُ علماء اللغات عليها

جاءنا جماعة منذ سنوات برجل برَّاد بيدهِ بندقية مثل بنادق رمنتون وقالوا لنا انظروا عدم اعتناء حكومتنا بصنَّاع بلادها فان هذا البرَّاد صنع بندقية مثل بنادق رمنتون تماماً فلو كان في اوربا فماذا كان جزاؤُهُ من حكومتهِ · قلنا السجن او الغرامة · فبهتوا من ذلك فابنّا لهم ان هذا الرجل منتحل او مختلس فلو صنع هذه البندقية قبل ان صنع غيرهُ مثلها لعُدَّ مخترعاً اما وقد قلَّد تقليداً فهو معتدٍ على حقوق المخترع قبل ان تنتهي مدة امتيازهِ · ولعلَّ هذا القول يصدق على كثيرين من الذين تحسبونهم من العلماء المؤلفين

ملك اسوج وتاريخ العرب

حضرة منشئي المقتطف

بعد التحية — قلتم في الجزء الاول من مجلد هذا العام في تأبينكم جلالة ملك اسوج انهُ اهتم بتاريخ العرب قبل الاسلام واقترح على الباحثين تأليف تاريخ لهم وعين جائزة لمن يفي كتابهُ بالمراد فلم ينل الجائزة احد

فاخبر حضرتكم ان من الكتب التي قدمت لهذا الغرض كتاب (بلوغ الأرب في احوال العرب) لمؤلفهِ الفاضل السيد محمود افندي شكري الالوسي البغدادي وقد قال بعضهم ان هذا الكتاب نال الجائزة وذكر هذا ايضاً ملتزم طبعهِ في مقدمتهِ فقال

(ولما عرض مع غيرهِ على انظار الامتحان ظهر رجحانهُ وبان واستحق الجائزة والتقريظ ونال بين أُولي الفضل الجاه العريض. الخ)

فهل هذا الكتاب نال الجائزة والتقريظ كما قيل او انهُ لم ينل غير ما جاء فيهِ من التقاريظ الأمل افادتنا ولجنابكم الفضل

عبد الرحيم
البيسري

اسيوط

[المقتطف] ان الذي ذكرناهُ هو الصحيح فانهُ لم ينل الجائزة احد ولكن الكتاب الذي تشيرون اليهِ وُجد افضل من غيرهِ فاستحق مؤلفهُ الشكر وأمر الكونت لندبرج الذي كان قنصلاً جنرالاً لاسوج في مصر ان يكتب اليهِ كتاب شكر ففعل · ونكرر الآن ما قلناهُ مراراً وهو ان تاريخ العرب قبل الاسلام غامض سقيم جداً ولا نرى سبيلاً لمعرفتهِ الاَّ باستخدام جمهور من علماء العاديَّات ليبحثوا وينقبوا في آثار بلاد العرب لعلهم يكتشفوا ما ينجلي بهِ الغامض كما فعلوا في تاريخ المصريين القدماء وتاريخ الاشوريين والبابليين

باب المسائل

(١) اللوبياء والسوس

كورو بفنزويلا . ضومط اخوان . هل من طريقة سهلة لحفظ اللوبياء من السوس فانها كثيرة في هذه الجهات ولكن ينخرها السوس بعد جمعها بشهر او شهرين

ج ان السوس يكون فراشاً صغيراً يبيض على ظاهر اللوبياء ويتولد السوس من بيضهِ فينخر اللوبياء . فالطريقة لمنع السوس ان توضع اللوبياء في مخازن جافة خالية من فراش السوس ومن الشقوق والثقوب التي يقيم فيها هذا الفراش . ونرجح ان بخار كربتيد الكربون يميت فراش سوس اللوبياء وبيوضهُ كما يميت فراش سوس القمح وبيوضهُ فيحسن ان يجرّب ذلك بارشاد صيدلاني ماهر

(٢) ماركس ريغوليوس

ود مدني . محمد افندي عارف . قرأت في تاريخ رومية لكرينون ان ماركس ريغوليوس Macus Regulus الذي زحف لفتح افريقية وعاد الى قرطاجنة بعد ان انهزمت مراكب القرطاجنيين التي أرسلت لعرقلة مساعيهِ في الفتح أسر عند انهزام جيشهِ في محاولتهِ النزول بقرطاجنة وسجن ثم أرسل الى رومية لمهمة ارسلهُ اليها القرطاجنيون من جهة ابدال الاسرى ولما لم يفلح رجع الى حيث كان ومات في السجن وفي تاريخ مير Mier العمومي رأيت انهُ رجع وعوضاً عن طلبهِ ما أرسل من اجلهِ طلب من قومهِ شن الغارة على قرطاجنة واظهر لهم خللها الداخلي ثم رجع وابيت شر ميتة سنة ٢٥٦ فاي القولين اصح

ج ان الرواية الثانية صحيحة على اختصارها لكنها لا تنقض الرواية الاولى ولو خالفتها فان ماركس ريغوليوس لم يفلح في ما ارسل لاجلهِ وعاد الى قرطاجنة وسجن ومات . اما تعليل عدم فلاحهِ وشرح كيفية موتهِ معذباً على ما ورد في الرواية الثانية فمنقولان عن وصف شعري

(٣) علامة الظفر

ومنهُ . كان الرومان يثبتون مزراقين في الارض ويضعون مزراقاً ثالثاً فوقهما معترضاً ليمر من تحتهُ الجيش المنهزم علامة الانهزام فهل يوجد عند العرب ما يشابه ذلك

ج لا نعلم ان هذه العادة كانت عند العرب ايضاً ولكن يظهر من عادة اللاعبين بالسيف والترس ان الغالب كان يشهر سيفهُ

فير المغلوب من تحتهِ ويدعى عنيق السيف . وكان المغلوب المعفي عنهُ عند العرب يجثو امام الغالب ويمس طرف ثوبهِ ويقول لهُ ملكت فاسجح اي ظفرت فاحسن العفو

(٤) الاشربة الروحية

مصر . احد المشتركين اتخذ المتفرنجون من المصريين الاشربة الروحية في حفلاتهم وافراحهم كأنها من الضروريات فهل هذه العادة ضمن ما حملهُ الينا المصريون من الغرب وهل هي هناك كما هي عندنا

ج الظاهر انكم لم تسمعوا وصف الخمر الذي يصفها بهِ الشعراء وهو "معتقة من عهد نوح" فاهالي مصر واهالي الشام كانوا يعصرون الخمر ويصنعون الاشربة الروحية على انواعها لما كان اهالي اوربا يأوون الكهوف والمراج ويعيشون بالصيد والقنص ولا خمر عندهم ولا شيء من الاشربة الروحية . وترى الصور المصرية القديمة التي نقشت على الحجارة من عهد الفراعنة القدماء منذ اربعة آلاف سنة او خمسة آلاف سنة والناس جلوس فيها حول موائد الطعام رجالاً ونساء والسقاة يديرون عليهم كؤوس الراح فان كانت امة اقتبست من امة شرب المسكرات فاهالي اوربا اقتبسوا ذلك من اهالي اسيا وافريقية وهذا لا ينفي ان تكون عادة صبّ نوعين او ثلاثة من المسكرات في اكواب على المائدة مقتبسة الآن من الاوربيين لانها شائعة في ولائمهم

(٥) ايمان لورد كلفن

حمص . الخواجه حنا خباز . تكرمتم على قرَّاء المقتطف بترجمة لورد كلفن العالم الانكليزي فهل تجودون علينا بشيء مما تعلمونهُ عن مبادئهِ الروحيَّة اي هل كان يؤمن وبماذا

ج لما التأمت جمعيَّة ادنبرج العلميَّة الملكية في ٦ يناير هذا العام قرأ الاستاذ كروم برون تأبينًا للورد كلفن قال فيهِ " انهُ كان شديد الاهتمام بالعلوم المحضة ولكنهُ لم يقصر اهتمامهُ عليها بل اهتمَّ ايضًا بكل المسائل التي تؤثر في احوال الامم كالتعليم والسياسة والديانة وكان لهُ آراء صريحة في كل موضوع من المواضيع التي بحث فيها بحثًا دقيقًا وكان يدافع عما يحسبهُ حقًّا اشد الدفاع ولكنهُ كان يحترم آراء خصومهِ ويجامل جميع الناس"

ومعلوم ان لورد كلفن عاش ومات من اعضاء الكنيسة الانجيلية فلا بدَّ من انهُ كان يعتقد اعتقادها او اعتقاد المتنورين من ابنائها لكننا لم نقف حتى الآن على اقوال صريحة لهُ تظهر منها عقائدهُ الدينيَّة

(٦) العلم والدين

ومنهُ . هل يصحُّ ما يصرّح بهِ البعض من ان التعمُّق في العلوم الطبيعيَّة ينافي الايمان

ج كلاَّ لانهُ مهما اتسع علم العالم يبقى يجهل اموراً كثيرة ويبقى مضطرًّا ان يؤمن بامور يفرضها فرضًا او تدعو الحال الى

وجودها لزوماً ولو كانت غير واقعة تحت الحس

(٧) ازلية المادة

ومنهُ . اي اعقل أنسبة الازلية للمادة ونواميسها ام اسناد وجود المادة الى قوة عاقلة ازلية سنت نواميسها وهي متسلطة عليها

ج اننا لا نستطيع ان نتصوَّر الازلية للمادة ولا لغيرها ولا ندري كيف يستطيع الناس ان يتصوَّروها . ولكن اذا فرض فرضان الاول ان المادة وُجدت منذ الازل هي ونواميسها فليس لها موجد والثاني ان الخالق وُجد منذ الازل وهو الذي اوجد المادة ونواميسها . وطُلب منا تصوُّر هذين الفرضين رأينا ان تصوُّر الجزء الثاني من الفرض الثاني اسهل من تصوُّر الفرض الاول كلهِ والجزء الاول من الفرض الثاني . ولعلَّ غيرنا يستسهل تصوُّر الفرض الاول او تصوُّر الفرضين على حدٍّ سوى . ولا ندري لماذا يبحث الناس في امور يصعب عليهم ادراكها وهم يجهلون اموراً كثيرة يسهل فهمها ويهملون اموراً كثيرة يجب عليهم العمل بها

(٨) البابية

توفو هورزونت باميركا . خليل افندي اسطفان . سمعنا ان بمدينة عكاء فئة دينية تدعى باسم البابيين فهل لكم ان تخبرونا عن تاريخ ظهورها وخلاصة تاريخها

ج قد نشرنا كلاماً وافياً عنها في المجلد العشرين من المقتطف فعليكم بمراجعتهِ

(٩) مخترع المغزل

ومنهُ . من هو مخترع اول مغزل ومن اي عهد

ج ان ذلك مجهول لتوغلهِ في القدم ولا يمكن تحقيق شيءٍ من تواريخ القدماء الاَّ ما كان مكتوباً منها كتابةً فكل ما استنبطوهُ قبلما وضعوا الكتابة لا يعلم تاريخ استنباطهم لهُ والغزل والنسج عرفا قبلما عُرفت الكتابة فلم يحفظ تاريخهما ولا عبرة بما نقلهُ القدماء بالتواتر لانهم مزجوهُ بالخرافات ولأن الانسان ميَّال الى وضع الاقاصيص عمَّا لا يعلمهُ ولو على سبيل التعليل

(١٠) ضرر السعوط

ومنهُ . هل السعوط اخف ضرراً من التبغ

ج نعم

(١١) مرض الدماغ والسكر

طنطا . الخواجا يوسف حديده . انسان اصيب بمرض في دماغهِ بسبب شرب الخمر ثم عالج المرض وشفي تمام الشفاء ولم يشرب الخمر بعد ذلك وهو يستعمل الآن الرياضة البدنية القانونية والغذاء المفيد فهل يبقى معرَّضاً للداء

ج لم تذكروا لنا اسم الداء ولا وصفهُ ولكن ان كان قد شفي منهُ تماماً فهو لم يكن مزمناً بل حادًّا اي انهُ لم يكن مصاباً من جراهُ بعلة في كبدهِ او قلبهِ او اعصابهِ ولذلك لا

خوف من رجوع الداء اليهِ اذا لم يعد الى شرب المسكرات ثم ان الداء الذي يحدث من المسكرات لا يحدث من غيرها

(١٣) العدد الذهبي

مصر. م . افندي فهمي . ما هو العدد الذهبي في حساب التقويم

ج ان بدر عيد الفصح يختلف وقوعهُ من سنة الى اخرى في مدة ١٩ سنة والعدد الذهبي هو العدد الدال على عدد السنين من هذه المدة وذلك لان كل ١٩ سنة من السنين الشمسية تساوي ١٩ سنة من السنين القمرية وسبعة اشهر فوقها فاذا اضيف سبعة اشهر الى سبع سنوات قمرية في مدة ١٩ سنة قمرية عادت السنة الشمسية والقمرية الى الاتفاق . وقد جعل المسيحيون عيد الفصح في اقرب احد من البدر الواقع بعد الاعتدال الربيعي فما يحدث هذه السنة يحدث مثلهُ بعد تسع عشرة سنة فتكون التسع عشرة سنة دوراً كاملاً والعدد الذهبي يدل على السنة من هذا الدور والعدد الذهبي في سنتنا هذه ٩ اي انهُ مضى ٩ سنوات من هذا الدور

(١٢) السيارات السبعة

ومنهُ . قال القدماء ان السيارات سبعة وقد جمعها بعضهم بقولهِ

تلك الدراري زُحل فالمشتري
وبعدها مرّيخها في الاثرِ
شمسٌ فزهرة عطارد قمرْ
وكلها سائرة على اثرْ

فهل يوافق علماء الفلك المتأخرون على ذلك

ج كلاَّ فان القدماء الذين قال الشاعر قولهم حسبوا ان الارض ثابتة والشمس والقمر وعطارد والزهرة والمشتري وزحل نجوم سيَّارة تدور حولها . اما المتأخرون فوجدوا ان الشمس ثابتة بالنسبة الى سياراتها وان الارض من جملة السيارات التي تدور حولها والقمر تابع للارض يدور حولها . واكتشفوا سيارين كبيرين وراء زحل وهما اورانوس ونبتون وسياراً صغيراً بين الارض والمريخ وهو اروس . فصارت هذه السيارات تسعةً وهذا ترتيبها من الاقرب الى الابعد

عطارد فالزهرة فالارض فاروس فالمريخ فالمشتري فزحل فاورانوس فنبتون . واكتشفوا ايضاً عدداً كبيراً من السيارات الصغيرة جدًّا تدور حول الشمس وهم يظنون انها من سيار تكسَّر فبقيت كسرهُ تدور حولها

(١٤) اكبر السيارات

ومنهُ . اي السيارات اكبر من غيرها

ج المشتري اكبر السيارات كلها فان قطرهُ ٨٦٥٠٠ ميل ويتلوهُ زحل فنبتون فاورانوس وهاك جدولاً باسمائها واقطارها

المشتري	قطرهُ	٨٦٥٠٠	ميل
زحل	"	٧٣٠٠٠	"
نبتون	"	٣٤٨٠٠	"
اورانوس	"	٣١٩٠٠	"
الارض	"	٠٧٩٢٨	ميلاً
الزهرة	"	٠٧٧٠٠	ميل
المريخ	"	٠٤٢٣٠	ميلاً
عطارد	"	٠٣٠٣٠	"
اروس	"	٠٠٠٢٠	"

فاربعة من هذه السيارات اكبر من الارض واربعة منها اصغر من الارض ثم ان اثنين منها فقط اقرب الى الشمس من الارض وستة ابعد منها عن الشمس

(١٥) اسماء صور السماء

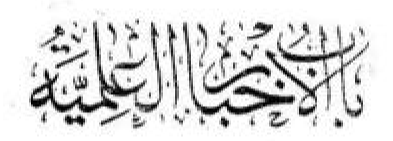
ومنهُ . ذكرتم في الجزء الماضي اسماء بعض صور السماء وبعضها عربي كالدب الاكبر والدب الاصغر وبعضها غير عربي كقيفاوس وبرشاوس وظاهر لفظهِ انهُ يوناني فكيف سمَّى العرب النجوم باسماء يونانية

ج ان العرب لم يسموا النجوم اسماء يونانيَّة ولكن الذين ترجموا كتاب المجسطي من اليونانية الى العربيَّة ترجموا بعض الاسماء وعرَّبوا البعض الآخر فترجموا الدب الاكبر وهو ترجمة حرفية وابقوا على كلمة قيفاوس لانها لا تترجم. والظاهر ان عرب البادية لم يكونوا يقسمون النجوم الى مجاميع كما قسمها المصريون واليونانيون وغيرهم بل كانوا يسمون الكبيرة منها كالسماك الرامح والسماك الاعزل والعيوق والدبران والمجاميع الصغيرة كبنات نعش الكبرى وبنات نعش الصغرى والثريا واولاد الضباع

(١٦) ختوم الخلفاء

مرسين . الخواجا وديع نجار. هل كان الختم مستعملاً في ايام الخلفاء الراشدين وهل كان لابي بكر الصديق ختم وماذا كان مكتوباً عليهِ

ج جاء في مقالة نشرناها في شهر فبراير سنة ١٩٠٣ موضوعها خواتم الخلفاء ان خاتم ابي بكر كان (نعم القادر الله) وخاتم عمر (كفى بالموت واعظاً) وقيل (امنت بالله مخلصاً) وخاتم عثمان (لتصبرنَّ او لتندمنَّ) وقيل (امنت بالذي خلق فسوَّى) وخاتم علي (الملك لله) وقيل (ربي الله مخلصاً) وقيل (نعم القادر الله) وزادها السيوطي (تعالى) . وقد جمع ذلك حضرة الباحث المحقق حكمت افندي شريف . ولا نرى في اختلاف الروايات ما يضعفها لان صناعة نقش الخواتم من اقدم الصناعات وقد وجدت خواتم كثيرة عند المصريين والاشوريين منقوشة قبل الهجرة بالوف من السنين ولانهُ يحتمل ان يستعمل الخليفة الواحد خواتم مختلفة في اوقات مختلفة



اليهود في مصر

ظهر من قراءة دروج البردي التي وجدت في جزيرة اصوان انهُ كان لليهود هناك هيكل كبير من عهد الفراعنة وان كمبيسس ملك الفرس ابقى عليهِ لما دوَّخ القطر المصري ولكن الكهنة المصريين خربوهُ قبل المسيح باربعمائة وعشر سنوات فاستعان يهود مصر بكهنة اورشليم ورفعوا الامر الى بجوهي والي اليهودية من قبَل الفرس ليأذن لهم في بنائهِ ثانية · وقد ثبت من ذلك ان اليهود كانوا يبنون الهياكل ويقدمون الذبائح في غير اورشليم

الكسوف الكلي

رُصد الكسوف الكلي الذي حدث في ٣ يناير الماضي في جزيرة الصوان بالباسيفيكي الجنوبي وكانت السماء تمطر عند اول الكسوف ثم انقطع المطر حينما بلغ الكسوف تمامهُ وصور الاكليل اربع صور والذين رصدوا الكسوف في جزيرة ساموى تمكنوا من قياس الحرارة بالبولمتر مرارًا كثيرة

تجارة اليابان

يظهر النمو العجيب في تجارة اليابان من تقرير مصلحة الاحصاء المصرية عن السفن التي مرت في ترعة السويس في التسعة الاشهر الاولى من العام الماضي فقد كانت السفن اليابانية منها ٤٢ سفينة محمولها ٣٣٤٠١٩ طنًا وهي تضاهي السفن الروسية التجارية لان محمول هذه ٣٣٤٤٣٦ طنًّا وتزيد على محمول السفن الايطالية ولكنها لا تزال دون السفن الالمانية والفرنسوية والهولندية والنمسوية

غريبة جبرية

$$16 - 36 = 25 - 45$$

اضف $\frac{81}{4}$ الى الجانبين فتصير

$$16 - 36 + \frac{81}{4} = 25 - 45 + \frac{81}{4}$$

وكل طرف مربع كمية ثنائية سلبية فاذًا

$$\left(4 - \frac{9}{2}\right)^2 = \left(5 - \frac{9}{2}\right)^2$$

اي ان $4 = 5$

فهل من رياضي لبيب يبين سبب ذلك او يصحح ما في هذه المعادلات من الخطإِ

الاستاذ ينغ

توفي الاستاذ تشارلس ينغ الفلكي الاميركي الذائع الصيت استاذ الفلك في مدرسة برنستن الجامعة في الثالثة والسبعين من عمره وهو ابن الاستاذ ارا ينغ الذي كان استاذ

الفلسفة الطبيعيَّة والفلك في مدرسة دارتموث الكلية · ولد في ١٥ دسمبر سنة ١٨٣٤ واتمَّ دروسهُ وجُعل استاذًا للفلسفة الطبيعيَّة والفلك بدلـ ايبو سنة ١٨٦٦ وانتقل الى مدرسة برنستن الجامعة سنة ١٨٧٧ استاذًا للفلك وبقي في هذا المنصب الى سنة ١٩٠٥ حين استعفى منهُ وقُدّم لهُ حينئذٍ كاس بديعة نقش عليها باليونانيَّة ما ترجمتهُ " اعلم انى مائت وابن يوم ولكنني حينما ابحث في افلاك الكواكب ومداراتها اشعر اني ارتفعت عن الارض وجلست مع زفس نفسهِ واستنشقت نَفَس السماء "

وكان اكثر اشتغالهِ بالمباحث المتعلقة بالشمس فرصد الكسوف الذي حدث في ٧ اغسطس سنة ١٨٦٩ وحقق امورًا مهمة ثم رصد الكسوف الذي حدث في دسمبر سنة ١٨٧٠ في اسبانيا واكتشف فيهِ انقلاب الخطوط المظلمة في طيف الشمس فمنحتهُ الاكادمية الفرنسوية نشان جانسن سنة ١٨٩١ ورصد عبور الزهرة في بلاد الصين سنة ١٨٧٤ وعبورها سنة ١٨٨٢ ولهُ مكتشفات شتى تتعلق بالبحث الطبيعي عن الشمس ومؤلفات كثيرة مشهورة منها كتابهُ عن الشمس وكتابهُ مبادئ علم الفلك ودروس في علم الفلك وعلم الفلك العام ونحو ذلك وقد منح القابًا علمية كثيرة وكان عضوًا في جمعيات علمية عديدة وكانت وفاتهُ في الرابع من يناير

مناجم الذهب

قال المستر ودجنن في مجلة العلم العام ان الذهب الذي استخرج من الارض سنة ١٩٠٦ بلغ ما قيمتهُ ٤٠٧٣٧٩٨٩٣ ريالاً وهي مستخرجة من مناجم الذهب في المسكونة على ما في هذا الجدول

افريقية الجنوبية	١٣٣٦٣٤٥٠٦
الولايات المتحدة والاسكا	٠٩٦١٠١٤٠٠
استراليا وتسمانيا وزيلندا الجديدة	٠٨٢٢٣٧٢٢٨
روسيا وسيبيريا	٠٢٢٤٦٩٤٣٢
المكسيك	٠١٦٦٣٩٣٥٠
كندا ونيوفوندلند	٠١٢١١٦٤٣٢
الهند	٠١١٩٢٥٧١١
اميركا الجنوبيَّة والمتوسطة	٠١٠٩٧٠١٨٧
اليابان وكوريا	٠٠٧٠٠٠٠٠٠
اوربا ما عدا روسيا	٠٠٥٦١٦٠٣٩
الصين	٠٠٤٥٠٠٠٠٠
بقيَّة البلدان	٠٠٤١٦٩٦٠٨
والجملة	٤٠٧٣٧٩٨٩٣

او نحو ٨١ مليونًا ونصف مليون من الجنيهات المصرية او اكثر من ٨٢ مليونًا من الجنيهات الانكليزية · وذكر هزل في كتابهِ السنوي مقدار الذهب الذي استخرج من مناجم الارض منذ عشرين سنة الى الآن فكان اولاً يساوي نحو ٢٧ مليونًا من الجنيهات ثم هبط الى ٢١ مليونًا سنة ١٨٨٥ وزاد بعد ذلك

رويدًا رويدًا فبلغ نحو ٣٠ مليونًا سنة ١٨٩٢ ونحو ٤٢ مليونًا سنة ١٨٩٦ ونحو ٦٠ مليونًا سنة ١٩٠٠ ثم هبط في السنة التالية الى نحو ٥٤ مليونًا وعاد الى الزيادة فبلغ ٦١ مليونًا سنة ١٩٠٢ و ٦٧ مليونًا سنة ١٩٠٣ و ٧١ مليونًا سنة ١٩٠٤ و ٧٧ مليونًا سنة ١٩٠٥

طيارة فارمن

صنع المستر هنري فارمن آلة طار بها في ١٣ يناير طيرانًا وفى بالشروط الموضوعة لمن ينال جائزة دتش ارتشديكن فمرَّ بها بين عمودين منصوبين لهذه الغاية ووصل الى الغرض ودار حولهُ وعاد الى المكان الذي طار منهُ وقطع اكثر من كيلو متر في دقيقة و٢٨ ثانية . والآلة مؤلفة من اربعة سطوح متوازية السطحان المقدمان منها طول كل منهما ١٢ مترًا وعرضهُ متران والبعد بينهما متران والسطحان المؤخران طول كل منهما ستة امتار وبينهما دفَّة عمودية وامام السطحين المتقدمين دفة افقيَّة والمحرك الذي يحرك هذه الآلة واناء البترول في صندوق مغزلي في مقدَّم الآلة وقوة المحرك ٤٠ الى ٥٠ حصانًا متريًّا والآلة قائمة على اربع عجلات وطولها كلها عشرة امتار وثقلها ٥٠٠ كيلو غرام ومساحة سطوحها ٥٢ مترًا مربعًا وهو يركبها ويجري بها اولاً على الارض كما يجري الطائر الكبير قبل ان يطير حتى اذا ضغطت الهواء بسيرها هذا ارتفعت فيهِ والراكب فيها يديرها كما يشاء

عمل الماس

ادَّعى مهندس كهربائي فرنسوي اسمهُ لموان انهُ اكتشف طريقة لعمل الماس واقنع رجلاً انكليزيًّا اسمهُ السر يوليوس ورنهر بصحة دعواهُ واخذ منهُ اكثر من ستين الف جنيه وكتب طريقة عملهِ في ورقة وضعت في بنك من بنوك لندن . ثم حدث خلاف بينهما وقُبض على المسيو لموان بحجة انهُ خدع السر يوليوس ورنهر. والمسيو لموان يدَّعي ان طريقتهُ صحيحة وانهُ صنع بها كثيرًا من الماس ولكنهُ ابى ان يكشف سرَّ عملهِ . وقد شهد كثيرون انهم رأَوا المسيو لموان يصنع الماس وفي جملتهم لورد ارمسترنج فقد قال لمكاتب الديلي كرونكل ان المسيو لموان اعطاني مسحوقًا فركتهُ بانا ملي جيدًا فلم اجد فيهِ شيئًا ووضعتهُ انا بنفسي في بوتقة فارغة وسددتها ووضعتها في الاتون الكهربائي وكان المسيو لموان واقفًا بعيدًا عني ثم اخرجت البوتقة من الاتون حالما اشار اليَّ لاخرجها فوجدت فيها جسمًا صلبًا مجتمعًا تركتهُ حتى برد امام عينيَّ ثم كسرتهُ فوجدت فيهِ حجارة ماس بعضها تام وبعضها غير تام

ويقال ان المسيو لموان يصنع الماس من

نوع من السكر فان الماس كربون صرف متبلور والسكر مركب كيماوياً من الكربون والماء فاذا امكن ان يذاب بالحرارة ويخرج الماء منهُ ويتبلور ثانية فلا يستحيل ان يصير ماساً ومع ذلك يحتمل ان يكون المسيو لاموان خادعاً وان يكون قد صنع بوائق مبطنة بمادة سهلة الصهر ووضع حجارة ماس تحت البطانة فلما اشتدت الحرارة عليها ذابت البطانة وامتزجت بحجارة الماس

كنز من كنوز ارخميدس

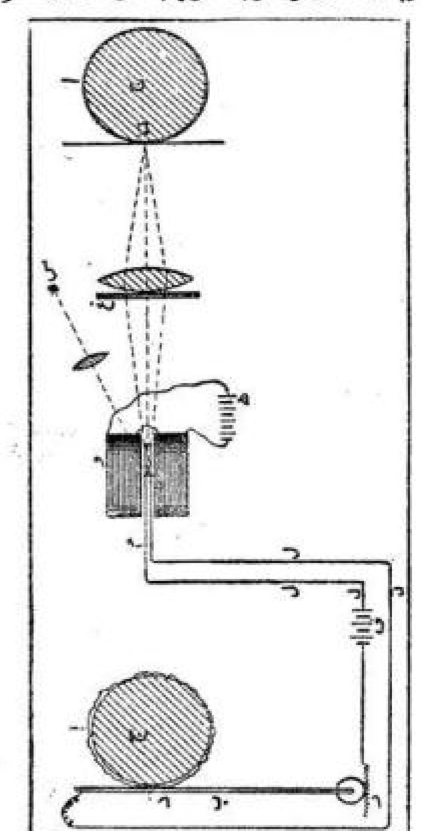
ارخميدس من اشهر علماء الرياضيات عند اليونان وقد كُشف كتاب من كتبهِ في الاستانة سنة ١٨٩٩ على رق عليهِ كتابة اخرى فمضى الاستاذان شوبن وهيبرج الى الاستانة واطلعا عليهِ فوجداهُ اربعة اجزاء بعضها معروف من قبل والجزء الرابع منها في تربيع الشكل الشلجمي وفي معرفة الاجرام ومراكز الثقل للكرات والشبيهات بالاهليلجي والشبيهات بالشلجمي والشبيهات بالهذلولي . والطريقة التي جرى عليها في حل هذه المسائل وهي طريقة التناهي سبق بها المتأخرين . ومما يستحق الذكر ان ذلك الفيلسوف اعتمد على قواعد الحل في موازنة مواد الاجسام المتحركة ولقد رأينا استاذنا المرحوم اسعد الشدودي يجري على قواعد الحل في معرفة موازنة الاجسام المتحركة ولا ندري هل استنبط ذلك استنباطاً او عثر على نسخة من كتاب ارخميدس هذا

الصور بالتلغراف

طريقة بلين

شرحنا في العام الماضي طريقة الاستاذ كورن لنقل الصور الفوتوغرافية بالتلغراف ورسمنا الاجزاء الجوهرية من آلتهِ الاَّ ان طريقتهُ لا ينقل بها غير صور الوجوه الواضحة واما صور الملابس والبلدان والمناظر الطبيعيَّة فلا تظهر بها لقلَّة وضوحها . وقد استنبط رجل فرنسوي اسمهُ ادوار بلين طريقة مثل طريقتهِ ولكنها ادق منها واوفى بنقل الصور المطبوعة وهي مؤلفة من اسطوانة كبيرة تلف عليها الصورة التي يراد نقلها بالتلغراف ويكفي ان تكون مطبوعة على ورقة سميكة والاسطوانة تدور على محورها وتتقدم قليلاً في دورانها كما تتقدم اسطوانة الفونوغراف وامامها قضيب فيهِ قلم لهُ رأس دقيق جدًّا من حجر الصفير فتؤثر دقائق الصورة في القلم وفي العمود المتصل بهِ تأثيرًا يحملهُ المجرى الكهربائي . والتأثير حاصل من ان الاجزاء السوداء في الصورة يكون الحبر سميكاً عليها فتكون اعلى من الاجزاء التي هي اقل منها سوادًا . والمجرى الكهربائي او التأثير الكهربائي يصل الى مرآة صغيرة بين لفتين

كهربائيتين لاظهار الاهتزاز وعلى هذه المرآة يجتمع النور الساطع من عدسية كبيرة كما في آلة الاستاذ كورن ثم ينعكس عنها متأثرًا بالمجرى الكهربائي ويمر في لوح من الزجاج مصبوغ بصباغ يتدرَّج من الاسود الى الرمادي فالابيض ثم يمرُّ في عدسيَّة تجمعهُ في نقطة دقيقة جدًّا ومحل اجتماعهِ ثقب ضيق في لوح تماسهُ اسطوانة عليها ورق حساس موضوعة في غرفة مظلمة فيصل النور الى الورق الحساس متكيفًا بفعل المجرى الكهربائي الذي فعلت بهِ الصورة فيؤثر في الورق الحساس حسب الصورة الملفوفة على الاسطوانة الاولى حتى اذا كانت الاسطوانة الاولى في القاهرة والثانية في الاسكندرية ارتسمت الصورة في الاسكندرية على الورق بكل تفاصيلها · والاسطوانة الثانية تدور كما تدور الاسطوانة الاولى تمامًا ولكن يصلح ان تكون قدر الاسطوانة الاولى او اكبر او اصغر ويمكن جعل الصورة الثانية اوضح من الاولى او مثلها او اقل منها وضوحًا حسب لون الجزء الذي يمرُّ النور فيهِ من اللوح المعترض سيرهُ · وقد امتحنت هذه الآلة في دار الجمعيَّة الفوتوغرافية الفرنسوية وكان بين جزئيها لفات من السلك طولها ٧٥٠ ميلاً فكأن البعد بين الجزئين ٧٥٠ ميلاً · ونشرت السينتفك اميركان صورة المسيو بلين بهذه الالة وهي دقيقة واضحة جدًّا وقد ظهر فيها رأسهُ ولحيتهُ وبدنهُ وثيابهُ الى تحت وسطهِ



ترى في الرسم السابق من الاسفل ج الاسطوانة التي توضع عليها الصورة ا وعند د قلم يمرُّ على الصورة و ب المحل المتصل بالقلم و ف بطرية كهربائية و ل ل سلكان كهربائيان و م مرآة و س المصباح الساطع النور و ع اللوح الملون وبعدهُ العدسيَّة التي تجمع النور على الاسطوانة العليا وعليها اللوح الحساس

معرض الخرائط المصرية

عرضت ادارة المساحة المصرية ما صنعته من الخرائط البسيطة والملونة والآلات التي تستعملها في رسمها وطبعها . وكان في المعرض مئات من الرسوم والخرائط والصور الملونة بعضها كبير جدًّا يقاس طوله وعرضه بالامتار وبعضها صغير دقيق وكلها في منتهى الاتقان ولو قوبلت بالخرائط المصنوعة في اوربا

والخرائط على انواع بعضها لحدود الاراضي لا غير وما فيها من العزب والترع والمصارف وبعضها لشكلها الظاهر فيرى ما فيها من الجبال والآكام والمرتفعات والمنخفضات وبعضها لبنائها الجيولوجي فترى فيه انواع صخورها وبعضها لما هو مزروع فيها من القطن والفول والقمح والشعير والبرسيم وهذه جديدة تجدَّد كل سنة . والصور كثيرة الاشكال واكثرها مختص بالمواضيع العلمية التي يبحث فيها في هذا القطر كانواع الصخور واشكال الحشرات والامراض التي تعتري النبات

وتمتاز هذه الخرائط بان اسماءها مكتوبة بالعربية بخط جميل فهي غاية ما يحتاج اليهِ وقد شرف الجناب الخديوي افتتاح هذا المعرض وتردد عليهِ الزوار كل مدة افتتاحه وسروا بما شاهدوهُ فيهِ وهو يعود بالفخر على جناب الكبتن ليونس والرجال الذين يساعدونهُ في هذا العمل المفيد

نور القمر

قاس العالمان ستبنس وبرون نور القمر ببطريات من معدن السلينيوم فوجدوا ان نور البدر يساوي نحو ٢٣ في المئة من نور الشمعة وهو تسعة اضعاف نور القمر ابن سبعة ايام وان نورهُ يكون بين الربع الاول والبدر اسطع منهُ بين البدر والربع الاخير

البومة المنيرة

ذكرنا في الجزء الماضي ان السر دغبي بغوث رأى طائرًا يرى ليلاً منيرًا كالحباحب وظن انهُ من جنس من البوم . ثم ثبت انهُ من بوم الاهراء وقال كثيرون انهم شاهدوهُ ينير ليلاً وقد علّلت احدى السيدات ذلك بان هذا البوم يجثم على الخشب البالي وفي هذا الخشب مادة فصفورية تنير ليلاً فيتصل بهِ ريش البوم ويتلوث بالمادة الفصفورية فيصير منيرًا

جوائز نوبل

اعطيت جوائز نوبل في الطبيعيات للاستاذ مِتشلصن من اساتذة مدرسة شيكاغو الجامعة وفي الكيمياء للاستاذ ادورد بخنر من اساتذة مدرسة الزراعة ببرلين وفي الطب للمسيو لافران الفرنسوي وفي الانشاء للمستر رديرد كبلنغ الروائي وفي توطيد السلم للمسيو رنول والمسيو مونتا



مناظر من الواحة الخارجة · فالصورة العليا من اليمين صورة ترعة تجري فيها المياه من بئر ارتوازية لري الاطيان · والتي تليها صورة بئر ارتوازية والماء يتدفق من انبوب كبير موضوع فيها · والتي تحتها صورة اناس واقفين في ارض مزروعة قطناً وتليها صورة فلاح يحرث ارضهُ

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثالث والثلاثين

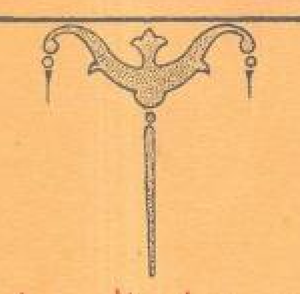
٩٧ الجيش العثماني
٩٩ الواحات المصرية (مصوَّرة)
١٠٥ علم ما في الزمان المستقبل . للاستاذ ابرهيم الحوراني
١٠٧ ترع المريخ والحياة فيهِ . للاستاذ منصور حنا جرداق
١١٣ دير مار مارون . للخواجه يوسف اليان سركيس
١١٦ الاسماء . ر . ن
١٢٢ الفلسفة عند اليهود م . ن
١٢٧ الارادة . لعبد الغني العريسي
١٣٢ اصل النبط في البتراء . للاستاذ جبر ضومط
١٤٠ العلم في العام الماضي
١٤٣ فكرة الخير والشر . للدكتور شبلي شميل
١٤٧ التوموجرافيا
١٤٩ العام الماضي

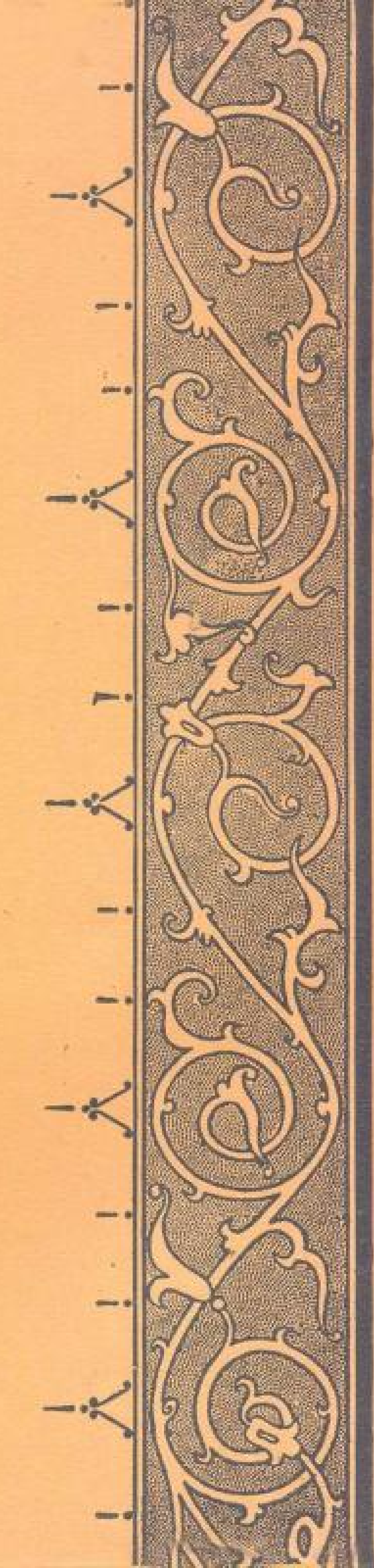
---

١٥٢ باب تدبير المنزل * كيف تصير قوياً . الشب الابيض لمنع العث . البيض وحفظه
١٥٦ باب الزراعة * الخزانات وموسم القطن . ديون الفلاح المصري . البنك الزراعي وديون الفلاح . مستقبل زراعة القطن
١٦٩ باب المراسلة والمناظرة * ترجمات علماء المشرق . ملك اسوج وتاريخ العرب
١٧٢ باب المسائل * اللوبياء والسوس . ماركس ريغوليوش . علامة الظفر . الاشربة الروحية ايمان لورد كلفن . العلم والدين . ازلية المادة . البابية . مخترع المغزل . ضرر السعوط مرض الدماغ والسكر . العدد الذهبي . السيارات السبعة . اكبر السيارات . اسماء صور السماء . ختوم الخلفاء
١٧٨ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ١٤ نبذة

رواية فتاة الفيوم ملحقة بالمقتطف







مستقبل العمران

الحب : لادلر

العلم : لهكسلي

التعليم : لولز

الاسرة : لرسل

الاقتصاد : لتشايس

رجال الشهر

غازوورذي ، غاندي ، سايس ، صديق بك

الازمة الاقتصادية

واشتباك المصالح الدولية

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثالث والثلاثين

١ مارس (اذار) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٢٨ محرم سنة ١٣٢٦

البرتغال وملكها

دعا اغتيال ملك البرتغال وولي عهده الى البحث في بعض المسائل التي تبحث فيها المجلات العلمية عادةً مثل تاريخ بلاد البرتغال وحالها من العمران ومذاهب الاشتراكيين والفوضويين عموماً

وتاريخ البلاد يعنينا بنوع خاص لأن الذين مصَّروها اولاً هم اسلافنا الفينيقيون والذين نشروا لواء الحضارة فيها هم اسلافنا العرب ولذلك رأينا ان نقتطف هذه الخلاصة التاريخيَّة قبل الكلام على حال البلاد الحاضرة

بلاد البرتغال في الطرف الجنوبي الغربي من قارة اوربا ومن بلاد اسبانيا المعروفة بشبه جزيرة ايبريا . نزلها الفينيقيون اولاً وعمروها وتغلب عليها ابناؤهم اهالي قرطاجنة ثم اجتاحها برابرة الشمال المعروفون بالفندال الذين نزلوا على المملكة الرومانية في القرن الخامس وتبعهم القوط الغربيون وتلاهم العرب في القرن الثامن للميلاد وبقيت في حوزتهم قرنين ثم لما ضعف شأن بني امية في اواخر القرن العاشر للميلاد او القرن الثالث للهجرة قوي شأن امراء النصارى من القوط الغربيين وسنة ٩٩٧ مسيحيَّة الموافقة لسنة ٣٨٧ هجريَّة استرد برمودو الثاني ملك غليسيا المعروفة عند العرب باسم غرسية اول قسم من بلاد البرتغال . وانقضى امر بني امية في اوائل القرن الحادي عشر للميلاد وخلفهم ملوك الطوائف فنهض فردينند الكبير ملك كستيل (قشتالة) وغليسيا (غرسية) واجتاح بيرا (بربة) سنة ١٠٥٥ ولميجو وفسيو سنة ١٠٥٧ . ولما آل الملك الى ابنهِ الثاني الفونسو السادس قوي امره اولاً الى ان لقي السلطان يوسف بن تاشفين بالزلاقة فكانت الدائرة عليهِ فاستعان بامراء برغندي فانجده الكونت

ريموند والكونت هنري . وزوّج الكونت هنري بابنتهِ تريزا والكونت ريموند بابنتهِ الثانية وكان الكونت هنري من ابطال العصر تخلف حمية في الاستيلاء على البرتغال ومات سنة ١١١٢ وترك الملك لزوجتهِ ما دام ابنهُ قاصرًا . وشبَّ ابنهُ بطلاً شجاعًا وكانت البرتغال ولاية من غليسيا فجعلها مملكة مستقلة بعد حروب طالت مئتين سنة وهو المسمى افنسو هنريكوس ولقب ملك البرتغال . وبقيت الحرب سجالاً بينهُ وبين المرابطين الى ان انقضى امرهم على يد الموحدين وحاربهُ الخليفة يوسف ابو يعقوب من الموحدين وتغلب عليهِ

ثم ضعف شأن الموحدين بسبب نزاع وقع بينهم فقوي شأن افنسو ثانية واشرك ابنهُ سنكو في الملك وتوفي سنة ١١٨٥ . وصالح سنكو الموحدين واعتنى باصلاح بلادهِ فعمَّر المدن وعزَّز الزراعة وسنَّ القوانين العادلة . وتوالى الملوك من آل برغندي ٤٤٠ سنة وبعضهم من افضل ملوك البرتغال فالفنسو الاول جعلها من الدول البحرية وسنكو بنى مدنها وابنهُ الفنسو الثاني جمع اول مجلس للشورى فيها والفنسو الثالث وسع حدودها الجنوبية واوصلها الى ما هي عليهِ الآن وابنهُ دنس جعلها بلادًا تجارية بحرية وانشأ مدرسة لسبون (لشبونه) الجامعة وخلفهُ ابنهُ الفنسو الرابع الملقب بالشجاع سنة ١٣٢٥ وفي ايامهِ ابتدأت الروابط التجارية بين انكلترا والبرتغال . وانقطعت سلالة آل برغندي الشرعية بحفيدهِ فردينند الاول فخلفهُ اخوهُ يوحنا سنة ١٣٨٥ وهو ابن غير شرعي لابيهِ واشتهر ملكهُ باصلاح بلادهِ وبالمكتشفات الجغرافية والمشروعات التجارية التي جعلت مملكة البرتغال في مقدمة ممالك اوربا البحرية التجارية . وابنهُ هنري الملقب بالبحار الذي توفي سنة ١٤٦٠ بعث البعوث لاكتشاف البلدان القاصية فضم الى بلادهِ جزائر ازور ومداريا والراس الاخضر وغيرها . وفي ايام خلفهِ يوحنا الثاني طاف برثولوميو دياز حول طرف افريقية الجنوبي (رأس الرجاء الصالح) وفي ايام منوئيل خلفهِ وصل فسكو ده غاما الى بلاد الهند بحرًا

ثم زادت ثروة البرتغال باكتشاف البرازيل وباستعمار ساحل الهند الغربي فصارت اقوى ممالك اوربا كلها واضحت مدينة لسبون موكز تجارة الشرق في الغرب لكن لم تطل ايام عزها فانها طردت اليهود من بلادها وكانت الاشغال المالية في يدهم وهاجر منها كثيرون من سكانها الى مستعمراتها ثم دخلها ديوان التفتيش وتوالت عليها البلايا وأسر ملكها سبستيان في افريقية وقتل سنة ١٥٧٨ وخلفهُ عمهُ وبهِ انقرضت سلالة برغندي سنة ١٥٨٠ فتغلب عليها فيليب الثاني ملك اسبانيا وحملت مصائب اسبانيا في حروبها مع انكلترا والمانيا فانتزع الانكليز والهولنديون اكثر املاكها في الهند واميركا الجنوبية .

وبعد ستين سنة تحررت من اسبانيا وملكت عليها دوق برغنزا باسم يوحنا الرابع لكنها كانت قد اضاعت مجدها السالف وخسرت اكثر مستعمراتها ولم يبق لها مستعمرة تستحق الذكر الاّ برازيل وبقي الضعف مستولياً عليها الى ان قوي شان نابوليون بونابرت وعزم على استئصال دولتها فهرب ملكها من وجههِ ونقل كرسيهُ الى عاصمة برازيل فضمها نبوليون الى فرنسا ونشأت عن ذلك الحرب بين انكلترا وبينهُ وانتهت بخروج الجنود الفرنسوية من البرتغال وبقي ملكها في برازيل الى ان نشبت الثورة في البرتغال ونودي فيها بحكومة دستورية تشبه الحكومة الجمهورية فاسرع اليها ووقَّع الدستور واعترف باستقلال برازيل وسمى ابنهُ امبراطوراً عليها . وتوالت الحوادث على البرتغال الى ان جلس كارلس الاول على سرير الملك في ١٩ اكتوبر سنة ١٨٨٩ وهو في السادسة والعشرين من عمرهِ

ومساحة البرتغال ٣٥٤٩٠ ميلاً مربعاً وكان عدد سكانها منذ ثماني سنوات نحو خمسة ملايين ونصف من النفوس اي اقل من نصف سكان القطر المصري الآن واكثرهم اهل زراعة وصناعة ودخل الحكومة السنوي يبلغ نحو ١٥ مليوناً من الجنيهات ونفقاتها كذلك وقيمة صادراتها نحو سبعة ملايين وقيمة وارداتها نحو ١٣ مليوناً وعليها دين يبلغ ١٨٨ مليوناً من الجنيهات فالبلاد افقر من القطر المصري ودينها اكثر من دينهِ لكن لها مستعمرات واسعة جداً فلها بلاد انغولا في الجنوب الغربي من افريقية مساحتها نحو ٥١٧ الف ميل مربع وعدد سكانها نحو خمسة ملايين من النفوس وهي بلاد غنيَّة يصدر منها البن والمستك والسكَّر والزيت والعاج

وجزائر الراس الاخضر ومساحتها ١٤٨٠ ميلاً مربعاً وسكانها ١٤٧٤٢٤ نفساً

وبلاد لورنزو مركيز وموزمبيق في شرقي افريقية ومساحتها كلها نحو ٣٠٠٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها نحو ثلاثة ملايين من النفوس وصادراتها السكَّر والمستك والعاج والشمع والحجارة المعدنية

وبلاد غينيا في غربي افريقيَّة ومساحتها ٤٤٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ٨٢٠٠٠ وصادراتها المستك والشمع والزيت والعاج

والجزائر التي في خليج غينيا ومساحتها ٤٥٤ ميلاً وعدد سكانها ٤٢ الفاً وقد بلغت قيمة صادراتها منذ سنتين نحو مليون ونصف من الجنيهات

وغوى في بلاد الهند بين مدراس وبمباي ودماو وديو . ومساحة كل ما بقي للبرتغال من بلاد الهند ١٦٣٨ ميلاً وعدد سكانهِ ٥٣١٨٠٠ نفساً

وجزيرة مكاو في بلاد الصين وعدد سكانها ٨٠ الفاً وجزيرة تيمور في ملقا وعدد سكانها ٣٠٠٠٠٠

وجملة السكان في املاكها ومستعمراتها خارج اوربا نحو عشرة ملايين من النفوس فعدد سكانها وسكان املاكها ومستعمراتها خمسة عشر مليوناً

والحكومة دستورية وفيها مجلس اعيان ومجلس نواب وعدد الاعضاء في مجلس الاعيان ٩٠ وفي مجلس النواب ١٥٥ ويحق للملك ان ينقض ما يقرُّ عليهِ المجلسان. وعدد جنودها وقت السلم ٦٢٤٣٧ ووقت الحرب مئة الف واذا دعت الضرورة استطاعت ان تجند ٢٦٠ الفاً وعندها طراد مدرَّع محمولهُ ٣٠٣٠ طنًّا وخمس طرادات محمية وعشرون قارباً من قوارب المدافع محمول الواحد منها من ١٠٠ الى ٨٠٠ طن وقوارب أُخرى من قوارب الطربيد وسفن للنقل والتعليم

والتعليم الابتدائي اجباري في بلاد البرتغال ولكن عدد المتعلمين قليل جدًّا فقد كانوا نحو ٢١ في المئة من اهلها سنة ١٩٠٠ وفيها من المدارس الابتدائيَّة ٤٥٠٠ مدرسة للحكومة و ١٠٠٠ مدرسة للاهالي ومن المدارس العالية ٤٨ ومدرسة حربيَّة فيها ٢٤٨ تلميذاً ومدارس كثيرة صناعية وتجارية ومدرستان للطب في لسبون واوبرتو ومدرستان للتصوير فيها ومدرسة للزراعة في لسبون ومدرسة للموسيقى ومدرسة جامعة في كومبرا فيها اكثر من الف تلميذ نصفهم لدرس الحقوق والباقون بعضهم يدرس الطب وبعضهم الفلسفة وبعضهم اللاهوت وبعضهم الرياضيات. وميزانية المعارف نحو ٣٦٠ الف جنيه

اما الملك كارلس الذي قتل غيلة هو ووليُّ عهدهِ في ٢ فبراير فولد في ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٦٣ وخلف اباهُ الملك لويس الاول في اكتوبر سنة ١٨٨٩ وكان مشهوراً بقوتهِ العضلية وحبهِ للفنون ومهارتهِ في التصوير والنحت والموسيقى ومعرفتهِ للغات كثيرة فانهُ كان يتكلم سبع لغات وقد ترجم كثيراً من روايات شكسبير الى اللغة البرتغالية. وزوجتهُ الملكة املي معروفة في هذا القطر ومشهورة بجمالها وحبها للاعمال الخيريَّة ولاسيما المستشفيات وهي تنفق من مالها على مستشفى للاولاد الفقراء وعلى مستوصف عمومي ولا تكتفي بالانفاق من مالها بل تمرّض الاولاد بنفسها. لكن الحركة الفوضوية المنتشرة الآن في اوربا لا تنظر الى الملوك من حيث اشخاصهم بل الى نظام الملكية نفسهِ وغرضها محق هذا النظام ولو باغتيال ملكة وديعة مثل امبراطورة النمسا حتى يكره الملوك سرير الملك ويتجنبوهُ. ومهما كان غرض الفوضويين فانهُ لا يبرر اعمالهم الاثيمة

ماذا تأكل وماذا تشرب

قال المستر ستد في مجلة المجلات الانكليزية ان المسيو فينو صاحب مجلة باريس سأل جماعة من مشاهير الفرنسويين عن رأيهم في شرب الخمر وغيرها من المسكرات او المنبهات ونشر اجوبتهم في مجلته في شهر يناير الماضي . والظاهر انها قديمة لان بعض الرجال المذكورين فيها توفوا منذ مدة وقد لخصها المستر ستد ثم سأل جماعة كبيرة من مشاهير الانكليز من غير رجال السياسة عما يأكلونهُ ويشربونهُ وعما يعدونهُ مقوياً لصحتهم منعشاً لعقولهم ونشر اجوبتهم في الجزء الاخير من مجلته فاقتطفنا منها خلاصة اجوبة اولئك المشاهير من الفرنسويين والانكليز

اجوبة الفرنسويين

﴿ رجال العلم ﴾ كتب الاستاذ برتلو انهُ يشرب قليلاً من الخمر الممزوجة بالماء الربع خمر والثلاثة الارباع ماء . ولا يكثر من شرب الشاي ولا من شرب القهوة ولا من تدخين التبغ لانهُ لا يحتاج الى المنبهات ولا هو واثق انها تنبه . ويظن ان المسكرات تضرُّ كل احد الاَّ في احوال نادرة

وقال فلامريون انهُ لا يشرب الماء ولا يشرب الاَّ خمر برغندي وقد كان جدهُ من صانعي الخمر وعمَّر نحو تسعين سنة . وهو اي المسيو فلامريون يشتغل من الساعة الثامنة صباحاً الى الظهر ويأكل بيضتين في الصباح ولا يشرب شيئاً

﴿ رجال الادب ﴾ كتب جول كلارتي ان احسن شغلهِ وهو صائم وان الالكحول لا يذكي القريحة وان اذكاها فالى مدة وجيزة يعقبها الخمول . وقال زولا انهُ لا يشرب الاَّ الماء وان احسن شغلهِ في الصباح وهو صائم . وقال في مكان آخر انهُ لا يدخن التبغ . وارنست ارين سار في خطة زولا فبلغ التسعين من العمر . وجان رشبن لم يشرب المسكرات مطلقاً ولا يشرب الاَّ الماء ممزوجاً بقليل من عصير الليمون . وهو يظن ان الالكحول سيرد الامم الى التوحش ويحط الانسان عن المقام الذي بلغهُ فوق المخلوقات . وقال هنري لافدان ان الالكحول سم زعاف وخير شراب يشربهُ الانسان لانعاشهِ هو الماء . وقال فكتورين ساردو ان الالكحول سم وهو يشرب بدلاً منهُ فنجاناً من القهوة ثلاثاً في النهار . وقال فردرك مسترال انهُ يشرب قليلاً جداً من الخمر على الطعام وهو الآن في السابعة والسبعين من عمرهِ وعندهُ ان الالكحول يضعف القريحة وقد عاش ابوهُ ثمانين سنة ولم يشرب الاَّ قليلاً من الخمر ممزوجة بكثير من الماء وعاشت امهُ اكثر من ثمانين سنة ولم تشرب الاَّ

الماء . وقال بول بورجه ان الاشربة الروحية تعيق تشغيل العقل مهما كانت كميتها قليلة . وقال جول لمَتْر انهُ لا يرى فرقاً في اشغالهِ العقليَّة التي اشتغلها وهو يشرب قليلاً من الخمر والتي اشتغلها بعد ان ترك الخمر واقتصر على شرب الماء . وقال ملشيور ده فوجه انهُ يشرب الماء والخمر ولكنهُ اشار على الكتَّاب الشبان ان لا يشربوا الاَّ الماء اذا كان بهم ضعف هضم او ضعف عصبي واشار عليهم ايضاً ان ينقطعوا عن الاشغال العقليَّة اذا كانوا كذلك ولكن اذا كان الشاب سليماً من كل آفة معتدل المزاج فليشرب ما شاء

وقال بول مرغريت ان الالكحول لا يزيد المقدرة على الاشغال العقلية . وقال اخوهُ فكتور انهُ لا يشرب الاَّ الماء لانهُ يعتقد ان الالكحول من اشد البلايا على نوع الانسان لكنهُ لا يحرّم شرب القليل من الخمر في بعض الاحيان فان الخمر تنعش ولكن الالكحول يميت . وقال بير لوتي انهُ يكاد يكون مسلماً فانهُ لم يشرب الخمر ولا البيرة ولا شيئاً من الاشربة الروحية . وقال موريس باره انهُ يشرب الخمر ممزوجة بالماء وقلما يشرب البيرة ولكنهُ لم يشرب الالكحول قط . وان المنبهات على انواعها غير لازمة لمن يشتغل اشغالاً عقلية

❖ المصورون والنقاشون ❖ كارولس دوران لايشرب الاَّ الماء . وبوغرو بقي مقتصراً على شرب الماء الى ان صار عمرهُ ٢٥ سنة ثم مضى عليهِ خمسون سنة وهو يشرب قليلاً من الخمر وعاد بعد ذلك الى الاقتصار على الماء . ومدح اوغسط رودين شرب الخمر وقال ان الامتناع عنها ناتج عن انها ليست نقية . وجول برتون يشرب كل يوم كأساً من الخمر ونصف لتر من البيرة . وقال جيروم ان المصورين لا يستطيعون شرب المسكرات لانها تحط قواهم العقلية . وقال بنيامين كونستان انهُ يفضل الشاي كثيره وهو يشربهُ سخناً ولو في فصل الحر . وقال دغنان بوفرانهُ يشرب الماء والخمر والبيرة ولا يعلم هل تنفعهُ او تضرهُ . وقال اوجين كاريير ان الالكحول ضار جداً

❖ الموسيقيون ❖ قال سان صين انهُ يخاف من الالكحول ولكنهُ يشرب القهوة احياناً ويفضل الماء القراح على كل شراب آخر . ومسان لا يشرب الاشربة الروحية . وشارل لكوك يشرب قليلاً من البيرة والخمر ولكنهُ قال ان المنبهات تضر الموسيقيين

هذا من قبيل الفرنسويين اما مشاهير الانكليز الذين سألهم المستر ستد فقد نشر اجوبتهم ووصف كلاً منهم وصفاً موجزاً قبل ان ذكر جوابهُ وهاك خلاصة ما ذكرهُ

السر ثيودر مارتن

ولد سنة ١٨١٦ ولا يزال متمتعاً بالصحة التامة وهو مؤرخ وشاعر وفيلسوف وهو الذي

اختير لكتابة سيرة ابي ملك الانكليز وقد قال في جوابهِ لمستر ستد انهُ يأكل السمك والطير واللحم وطعامهُ قليل وهو حريص على ان يكون مطبوخاً جيدًا ويجتنب التوابل لانهُ يكرهها ولا توافقهُ فيقتصر على الطعام البسيط وعلى الاعتدال فيهِ ويشرب قليلاً من الخمر الممزوجة بالماء وقد قلَّ شربهُ لها رويدًا رويدًا بعد ان اكتهل . ومنذ عشرين سنة الى الآن صار يكتفي بكاس من الخمر (بورت) ممزوجة بكثير من الماء · وقد وجد ان فنجان القهوة احسن منعش يرد القوة بعد الاشتغال العقلي الشاق · وهو يكره التبغ ولا يحتمل رائحتهُ · وقد اشتغل اشغالاً عقلية شاقة ولم يرَ نفسهُ محتاجاً الى شيء من المنبهات · وبقيت قوتهُ العقلية على مضائها لانهُ صحيح البنية محبٌّ للشغل معتدل في المعيشة

الدكتور الفرد رسل ولس

هو اكبر علماء الطبيعة لانهُ الآن في السادسة والثمانين من عمرهِ وهو قسيم دارون في مذهب النشوء ومن الاحرار المتطرفين ويكاد يكون من الاشتراكيين ولا يزال من ابلغ الكتَّاب على ما بلغهُ من الشيخوخة . وقد قال في جوابهِ انهُ كان يأكل من كل طعام يقدم اليهِ في السبعين السنة الاولى من عمرهِ ويحب الفطائر والمعاجين ثم اضطرَّ ان يترك الاطعمة النشوية ويقتصر على وجبة واحدة في النهار من اللحم المطبوخ جيدًا فشفي من الربو المزمن وكان يشرب الخمر والبيرة بالاعتدال الى ان صار عمرهُ ٢٥ سنة فانقطع عنهما تماماً · ولم يدخن التبغ قط ولكنهُ يشرب الشاي والقهوة ويرى انهُ يشتغل احسن في الصباح والمساء بعد فنجان من الشاي

السر وليم هجنس

هو اكبر علماء الفلك فانهُ الآن في الرابعة والثمانين من عمرهِ · قال انهُ يأكل قليلاً من اللحم مرة في النهار وكثيرًا من الخبز الجيد والاطعمة النشوية ويشرب رطلاً من اللبن ويأكل الفواكه في ابانها والخضر الطريئة ويشرب القهوة واللبن في فطورهِ والشاي الصيني بعد الظهر وقلما يشرب غير الماء ولا يدخن التبغ مطلقاً

المستر وليم روستي

هو شاعر ومصور ولد سنة ١٨٢٩ فيكاد يبلغ الثمانين قال انهُ يأكل الى حد الشبع واكلهُ معتدل ولا يعاف شيئاً فيأكل اللحم والسمك والخضر ويحب الكعك والحلوى · وقد اصيب بالنقرس منذ سنة ١٨٧٨ فاضطرَّ ان يحتمي مدة سنتين ثم ترك الحمية لانهُ رأى النقرس قد زال او توقف · وكان يشرب رطلاً من البيرة كل يوم الى سنة ١٨٧٩ فتركها حينئذٍ

بسبب النقرس ولم يعد اليها فلا يشرب الآن الاَّ الماء ويشرب ايضاً الشاي والقهوة واذا دعت الضرورة الى شرب كاس من الخمر شربها . ويكثر من تدخين التبغ من الصباح الى المساء ولا يظن ان التدخين اضرَّ بهِ اقل ضرر الاَّ في عدم انتظام هضمهِ

السر وليم كروكس

هو من اشهر علماء الكيمياء والطبيعة وهو الآن في السادسة والسبعين وقد اجاب انهُ يأكل ما يريد من غير حساب ولكنهُ معتدل في اكلهِ ويشرب الخمر ويدخن التبغ وصحتهُ جيدة دائماً

لورد روبرتس

هو اشهر قواد الانكليز الآن ولد في بلاد الهند منذ ست وسبعين سنة وانتظم في الجنديَّة وعمرهُ ١٩ سنة وامتاز في كل المعارك التي حضرها وهو يرى وجوب الاعتدال في الاكل والشرب والامتناع عن التدخين او الاقلال منهُ

السر هنري رسكو

هو ايضاً من اشهر علماء الكيمياء ولد سنة ١٨٣٣ ويرى وجوب الاعتدال في الاكل وقال انهُ ممنوع عن شرب الخمور لانهُ مصاب بالنقرس وعندهُ ان الاشربة الروحية تضرُّ من يشتغل اشغالاً عقلية وان اليونان اصابوا في قولهم ان الماء افضل كل شراب . وهو يدخن التبغ باعتدال ومن رأيهِ انهُ يجب منع الصغار عن التدخين

لورد افبري

وهو المعروف ايضاً عند قراء المقتطف باسم السر جون لبك العالم الطبيعي صاحب كتاب مسرات الحياة . وقد اجاب انهُ يأكل الطعام البسيط ولا يكثر منهُ ويشرب قليلاً من الخمر او البيرة ولا يدخن

السر جون غورست

هو والد السر الدن غورست ومن رجال السياسة المشهورين ولد سنة ١٨٣٥ . قال انهُ لما بلغ الستين من عمرهِ استشار السر وليم جنر الطبيب المشهور عما يجب ان يفعلهُ لحفظ صحتهِ فقال لهُ نم كل يوم ثماني ساعات كاملة ولا تنهض من فراشك قبل ان تتمها الاَّ اذا احترق بيتك . وليس المراد ان تبقى نائماً كل هذه المدة بل ان تبقى في فراشك ولو كنت مستيقظاً تقرأُ كتبك وجرائدك . فعمل حسب قولهِ وانتفع بهِ جدًّا واشار بالاعتدال في الطعام وتقليل اللحم كلما تقدم الانسان في السن وبالاقتصار على شرب الماء وبالامتناع عن التدخين

اصل النبط في البتراء

تابع ما قبلهُ

كنت أُقدر أني انهي هذه المقالة في العدد الماضي من المقتطف ولكنَّ الكلام تغلغل بي الى اكثر ما قصدت اولاً فاستهوتني حروب نبوخذنصر في اليهوديَّة الى ذكر مسائل كثيرة رأيتها تُستنتج من كتابات ارميا النبي التي راجعتها في اثناء كتابتي القطعة المارة . وقد راجعتها لا لانها كتابات مقدسة فقط بل لانها ايضاً كتابات رجل معاصر فينبغي الاعتماد عليها والوقوف بها كما يعتمد على الآثار المخطوطة في الاجر البابلي بل هي من بعض الوجوه احرى بالوثوق من كتابات الاجر التي سطرها ملك بابل عن نفسهِ او سطرها لهُ قوم من مؤرخيهِ لان هولاء كانوا يتزلفون الى مرضاتهِ باعظام شأنهِ والاطراء لهُ على ما أتى بهِ سواءٌ كان ما اتى بهِ يستحق الاطراء او لا يستحقهُ على حين ان النبي ارميا لم يدفعهُ الى كتابة ما كتبهُ من اخبار الملك شيءٌ من هذا ولذلك هي كما قلنا احرى بالوثوق من كتابات المعاصرين من اهل بابل ايّ كانوا ومهما كانت صفتهم

كانت بابل في ايام عظمتها الاولى متقدمة على نينوى فلما تقدمتها نينوى عظم عليها ذلك وحاول ملوكها او ولاتها او اهلها مراراً ان يرجعوا بها الى سابق عهدها من العظمة والسودد فلم يفلحوا الى ان قام نبو بلاسر فاستغنم فرصة انحطاط الاشوريين وحالف الماديين عليهم على ان يكون هو وارث عن اشور وولاياتها في الجزيرة العراقية وجميع البلاد غربي الفرات بل في مصر وبلاد العرب ايضاً فترجع بذلك بابل الى عزها ومكانتها الاولى قبل ان بلغت نينوى ما بلغتهُ في ايام ملوكها العظام الذين كانوا من كبار قادة العصور الخالية

فلما كانت موقعة كركميش وانتصر نبوخذنصر ذلك الانتصار العظيم على فرعون نخو وجيوشهِ رأى في انتصارهِ ما يحقق لهُ تلك الاماني التي كانت تجول في خاطر ابيهِ فشمَّر لتحقيقها وما زال يحارب حتى رأى عاصمتهُ مدينة العلم والغنى والدين والسلطة وبعبارة اخرى اعظم مدينة في تلك الايام فانهُ اخضع لسطوتها الجزيرة العراقية والديار الشاميَّة من كركميش الى غزة بما فيهِ بادية الشام من الابلة الى ايلة وجعلها كلها ولايات بابليَّة تدين بطاعتهِ وتؤدي اليهِ الجزية

وحارب العرب ايضاً في بلادهم فوطيء نجداً والحجاز واستحم اهلها من العرب العدنانيين ودوَّخ تهامة واليمن وجعلها من ولاياتهِ واسكن قومهُ من تجار البابليين والكلدان في قلب اليمن في مخلاف جهران وحقل قتاب وفي اكثر الفرض البحرية من المحجم الى ايلة فضلاً عن

انهُ اخضع عمان وارض البحرين . وكانت آخر بلاد حاربها مصر فتغلب على اهلها واذلهم لسطوتهِ ورجع من هناك بالاسلاب والغنائم الكثيرة

ومما هو محقق لا يرتاب فيهِ انهُ حارب الادوميين وخرَّب جبلهم سعير . وقد مرَّ بنا اشارة النبيين ارميا وحزقيال الى الادوميين وما توعداهم بهِ من الخراب والدمار عن يد نبوخذنصر . فتم هذا الوعيد وكانت جبال عيسو خراباً وميراثهُ لذئاب البرية في ايام ملاخي (انظر هذا السفر الاصحاح الاول)

لم تطل ايام نبوخذنصر بعد ان دوَّخ مصر حتى مضى في سبيلهِ ولكن لم يقم بعدهُ مثلهُ على بابل وربما لم يقم قبلهُ من هو اعظم منهُ الاَّ ان يكون الملك حمورابي

وكذلك لم تطل مدة الدولة البابليَّة بعد وفاتهِ الاَّ نحوًا من ثلاثين سنة .غزا الفرس بعدها بابل تحت قيادة كورش فافتتحوا المدينة وافتتحوا بافتتاحها كل الولايات البابليَّة التي كانت لنبوخذنصر لان هذه جميعها خضعت للفرس من غير ان يُرمى عليهم سهم واحد في كل عبر النهر حتى الصوريون كانوا يأْتون بخشب الارز من لبنان حسب اذن كورش ملك فارس لهم (انظر سفر عزرا الاصحاح الثالث)

وبقيت لغة الدواوين في الدولة الفارسيَّة على عهدها في ايام نبوخذنصر اي اللغة الارامية فكانت القيود والسجلات والمعاريض تُكتب فيها وتترجم اليها ايضاً. وقد ذكرنا ما ذكرناهُ توطئةً للقول ان هيئة البلاد في فلسطين وشمالي العربيَّة لم تتغير في ايام الدولة الفارسيَّة عما كانت عليهِ في ايام نبوخذنصر بل بقيت على حالها نسخة واحدة الى ان قامت دولة اليونان

ولما قام الاسكندر الكبير وغزا مملكة فارس خضعت لهُ امم سوريا وفلسطين التي كانت خاضعة للفرس لم تقم امةٌ منها في وجههِ الاَّ الصوريون ثم مات الاسكندر واقتسم قوادهُ البلاد . وكان من جملتهم انتيغونوس وابنهُ ديمتريوس وعلى عهد هذين نحو ٣١٦ ق.م ذكرت مدينة البتراء وكانت حينئذٍ مدينة قوية ذات غنى وتجارة تجاسر دون غيرها من المدن على مقاومة ديمتريوس بن انتيغونوس وكان اهلها يعرفون بالنبطيين وكانوا متميزين عمَّن سواهم من بقية الامم اعني الادوميين والموابيين والعمونيين والعرب واليهود . وواضح مما ذكرناهُ سابقاً انهم اي النبطيين لم يكونوا في البلاد ايام الفتح البابلي ولا استجدُّوا فيها على عهد الدولة الفارسيَّة فلم يبقَ لنا الاَّ القول انهم نزلوا البتراء في ايام نبوخذنصر وانهم جاءُوا من بابل وجوارها لان لغتهم كانت اللغة الارامية

وللنظر الآن فيما يؤيد هذا المدَّعى ولا بدَّ في تأْييدهِ من الاستناد على سند تاريخي

وهذا السند لا نعدمهُ في اسفار المكابيين فان السفر الاول من هذه الاسفار يذكر لنا الانباط في ايام يهوذا المكابي واليك ما جاء لصاحب هذا السفر

قال في الاصحاح الخامس والعدد ٢٤ و٢٥ ما نصهُ

واما يهوذا المكابي ويوناتان اخوهُ فعبرا الاردن وسارا مسيرة ثلاثة ايام في البرية فصادفا النبطيين (النباطيين) فتلقوهما بسلام وقصوا عليهما كل ما اصاب اخوتهما في ارض جلعاد وان كثيرين منهم قد حُصروا في بصرة وباصر وعليم وكسفور ومكيد وقرنايم وكلها مدن حصينة عظيمة وانهم ايضاً محصورون في سائر مدن ارض جلعاد والقوم مستعدون لمحاصرتهم غداً في الحصون والقبض عليهم وابادتهم جميعاً في يوم واحد — الى ان يقول فارسل يهوذا رجالاً يكشفون امر الجيش فاخبروهُ قائلين ان جميع الامم التي حولنا قد انضمت اليهم وهم جيش عظيم جدًّا وقد استأجروا العرب يظاهرونهم ونزلوا في عبر الوادي

وجاء ايضاً في الاصحاح ٩ والعدد ٣٣ — ٣٥ وبلغ ذلك يوناتان وسمعان اخاهُ وجميع من معهُ فهربوا الى برية تقوع ونزلوا على ماء جبّ أسفار وارسل يوناتان يوحنا اخاهُ بجماعة تحت قيادته يسأل النبطيين اولياءهُ ان يعيروهم عدتهم الوافرة

والذي يظهر من الاعداد التي ذكرناها . اولاً ان النبطيين كانوا اولياء ليهوذا المكابي واخوته . ثانياً انهم امة غير العرب وغير الموابيين والعمونيين والادوميين . ثالثاً ان مركزهم كان ببعد ثلاثة ايام في البريَّة شرقي الاردن من حيث عبر المكابي بقرب اريحا . رابعاً ان قد كان عندهم عدة وافرة يمكنهم الاستغناء عنها واعارتها . وكل ذلك يشير الى انهم كانوا في البتراء قرب بصرة او باصر لان هذه المسافة اي ثلاثة ايام لا تنطبق على مدينة غير البتراء ويشير ايضاً الى انهم كانوا تجاراً لان عندهم كثيرًا من الاسلحة يستطيعون ان يعيروها

ومن يراجع سفر المكابيين في الاصحاح الخامس يرى ان اول مدينة وصلها يهوذا واخوهُ بعد ان تركها اصحابهم النبطيون كانت مدينة باصر او بصرة ثم انصرفا من هناك الى المصفاة وهذا لا يدع مجالاً للشك ان النبطيين كانوا في البتراء لان باصر او بصرة اقرب مدينة اليها اذا توجه اليها جهة البريَّة

ثم يظهر لنا من مراجعة تاريخ يوسيفوس انهُ كان يعتمد على سفر المكابيين وقد تابعهُ حرفاً بحرف ومآل هذه المتابعة انهُ كان يعرف النبطيين المشار اليهم وانهم قوم متميزون عن الادوميين والعرب والعمونيين وكتاباتهُ صريحة ان البتراء كانت مدينتهم وانهم ما زالوا على استقلالهم عن العرب الى ايام اسكندر جانيوس بن ارستوبولوس بن يوحنا هركانوس ابن

سمعان اخي يوناثان ويهوذا المكابي فانهُ بعد وفاة هذا الملك اليهودي ورد اول ذكرٍ يفهم منهُ ان الانباط او النبطيين في البتراء خضعوا للعرب وكان لارتياس ملكهم قصر فيها اي في البتراء . ومن ذلك الحين فما بعدهُ اخذ ملوك العرب الارتياسيون (اي الذين اسماء ملوكهم اغلبها ارتياس او حارثة) يُلقبون ملوك النبط ويُطلق عليهم تارة لقب ملك العرب واخرى ملك النبط ومع ذلك كان ظاهرًا جليًّا ان الجنسيَّة مختلفة بين العرب والنبط وإن كان الملك واحدًا . وما زال الامر كذلك الى ان انقرض ملك هولاء من البتراء وجُعلت ولاية رومانية سنة ١٠٥ بعد المسيح

ماذا يعرف مؤرخو العرب عن النبط

يعرف العرب ومؤرخو العرب ان النبط غير العرب وانهم كانوا يسكنون ارض البحرين وسواد العراق وأنهُ كان منهم قوم يعرفون بانباط الشام وانهم كانوا في عمان ايضاً وفي قلب البلاد اليمنيَّة في حقل قتاب واعالي جهران اما في عمان فاستعربوا واما في ارض البحرين فمع ان العرب ازالوهم من هناك وسكنوا مكانهم في هجر البحرين وذلك في بدء التاريخ المسيحي او قبلهُ بمدةٍ غير معروفة الاَّ انها ليست طويلة عاد الانباط فكثروا في ارض البحرين حتى غلبت نبطيتهم على عروبية العرب وعليهِ المثل المشهور المتواتر عند العرب اهل عمان نبط استعربوا واهل البحرين عرب استنبطوا . وفي اول الفتوحات الاسلامية كانوا يسمون الموالي ايضاً وكانوا في سواد العراق من البصرة الى الكوفة

وكان اكثر اصحاب الصنائع وارباب التجارة هناك منهم واشتهر بعضهم بالبخل وقرض الاموال بالربا لرؤساء القبائل العربيَّة واشتغل بعضهم بالعلم والفقه وكان منهم كثيرون من علماء النحو واللغة واستقفي منهم جماعة منهم نوح بن درّاج . وكانوا يعيَّرون بجهل انسابهم وعليهِ يروى الحديث عن الامام عمر بن الخطاب لا تكونوا كنبط السواد اذا سئل احدهم عن نسبهِ قال انا من بلد كذا . وبالاجمال نقول ان العرب يعرفون الانباط معرفة تامة لا اشتباه فيها منذ اوائل التاريخ المسيحي الى اليوم وليس منهم من يشتبهُ عليهِ الفرق بينهم وبين العرب . لكن ليس من ينكر ايضاً ان الانباط هم والعرب من الفصيلة الساميَّة فان العرب يرجعون الى سام عن طريق يقطان بن عابر بن شالح بن ارفكشاد والنبط يرجعون اليهِ رأساً فانهم اولاد ارام بن سام وقد اختلط هؤلاء الاراميون من عهد بعيد جدًّا بالعرب وامتزجوا بهم في الديار البابلية فانقلب العرب هناك انباطًا وانقلب النبط في شبه جزيرة العرب عربًا . قيل ويرجح هذا القول ان الكلدان في عهد نبوخذنصر كانوا عربًا سكنوا بلاد

بابل ويظن البعض ان لفظ الكلدان محرَّف عن بني خالد قبيلة لا تزال عرباً الى حد هذه الساعة في تلك الجهات قرب الحفير وما يجاوره

عود على بدء

قام نبوخذنصر على عرش بابل نحو سنة ٦٠٧ قبل المسيح فوجَّه غزواته الى الحجاز ونجد واستلحم العدنانيين هناك حتى كادوا يفنون وضرب الادوميين وخرَّب جبلهم سعير واخذ منهم مراكزهم التجارية التي كانوا اقاموها بين ايلة وخليج فارس وكان قبل ذلك حارب ابناء عمهم في اليهودية واجلا قسماً كبيراً منهم الى بلاد بابل وهرب كثيرون ممن بقي الى ارض مصر فقلَّ الساكن في بلادهم وكانت اخصب بالطبع من اكثر اراضي ادوم فانتقل كثيرون من الادوميين وسكنوا في جنوبي يهوذا الى مدينة حبرون المعروفة اليوم بالخليل ولما اشتدَّ عليهم نبوخذنصر واخذ مدينتهم سالع (البتراء) وما سواها من المراكز التجارية في تيماء والحجر تهارب كثيرون من وجهه وسكنوا في اليهودية ايضاً وخلت بلادهم من كثيرين منهم. وقد المحنا ان نبوخذنصر كان تاجراً وملك قوم تجار وانهُ قصد ان يحوّل وحوّل طريق التجارة عن ايلة والسويس الى عاصمة بلاده. فمن المستحيل اذن ان يخرب المراكز التجارية بين خليج فارس وشواطىء المتوسط فلا بدَّ اذن من ان يكون بعد حروبه في شمالي العربيَّة قد اسكن هذه المراكز اقواماً لا يخاف عاديتهم ومن غير العرب الذين حاربهم ايضاً وكاد يفنيهم وليس من يقوم بهذه المهمة قياماً احسن من قومه التجار من بابل وجوارها فجاءوا واستوطنوا تلك الجهات ومن جملتها الحجر وتيماء والبتراء وغير هذه من المراكز التجارية البرية وعلى سواحل البحر الاحمر وخالطهم في جميع هذه المراكز ضعفاء الادوميين اصحابها الاولين وبعض العرب ولعلَّ الادوميين كانوا اكثر عدداً او يماثلون النبط الاَّ ان العزَّ والصولة كانا للنبط لانَّ الدولة منهم والتجارة في ايديهم. وما زالوا كذلك كل ايام نبوخذنصر وايام خلفائه الى ان قامت الدولة الفارسية فلم تتعرَّض لهم وتركتهم وشأنهم وحكمهم حكم غيرهم من الامم الخاضعة لهم. بل كان الفرس من جهة خيراً لهؤلاء المستعمرة من النبط من نفس دولتهم البابلية لان الفرس لم يكونوا تجاراً فلم يزاحموهم على تجارتهم وضعفت تجارة بابل بما كان من انتقال دار الملك عنها فقلَّت مزاحمة اهلها لهم واصبح قسم عظيم من التجارة ينقل رأساً الى محطاتهم التجارية من غير ان يمرَّ على بابل اي رأساً من خليج فارس فكثر غناهم مع الايام وعلى نسبة ذلك زاد من قوتهم واصبح العرب حملة لتجارتهم ومصرَّفين بامرهم. وانتقل اليهم عزُّ الادوميين وسلطتهم واصبح كثير من

قبائل العرب ينفرون على صراخهم اذا استصرخوهم وبقوا على ذلك نحواً من ٢٠٠ سنة ولما احتك بهم القائد اليوناني انتيغونوس وابنهُ ديمتريوس بعد موت الاسكندر وجدهم على ما وجدهم عليهِ من القوة ووجد الوفا من قبائل العرب حواليهم ينفرون معهم اذا استنفروهم وبقوا على عزمهم هذا حقبةً من الدهر الاَّ انَّ الايام لا تدوم على حالة واحدة فان البطالسة قاموا في مصر واصبحت تراثاً لهم فوجهوا عنايتهم الى البلاد فازدادت ساكناً وازدادت علماً وصناعة وتجارة فاصبح كثير من موانئ البحر الاحمر في ايديهم وغيروا خطة التجارة شيئاً عما كانت عليهِ فتحوَّل قسم كبير من التجارة عن البتراء وكذلك اضطربت الاحوال في بابل والجزيرة وخليج فارس وكثرت الحروب والمخاصمات هناك وقامت سلوقية تزاحم بابل على التجارة فضعف شأنها نوعاً عما كان عليهِ قبلاً . وفوق ذلك انشأ ملوك سوريا في انطاكية خطاً تجارياً من العراق الى مدينتهم فقلَّل هذا شيئاً من اهمية البتراء وقلَّ غناها على نسبة ذلك فقلّت قوتها. وعادت العرب فكثرت في البلاد حولها في بلاد مواب وبني عمون وما بين غزة وجبال الشراة والظاهر ان كثيرين من عرب اليمن وحضرموت من قبائل قضاعة هاجروا في بداية المئة الاخيرة قبل المسيح الى جهات فلسطين وسوريا فاصبح لهم شأن وشوكة واجتمعت حولهم كلمة العرب لما اعتادهُ العدنانيون من الانقياد اليهم فاضعف ذلك من سطوة البتراء ونفوذ تجارها ورؤسائها وخالط رؤساء العرب هؤلاء اهل البتراء لانهم اهل حضارة مثلهم وعمّروا قصورهم في مدينتهم فكانوا يقوون سنة بعد سنة ويكثرون واولئك باقون على ما كانوا عليهِ ان لم نقل انهم كانوا يضعفون وما زالوا كذلك حتى كثر العربُ النبط واصبحوا ذوي السؤدد والرئاسة دونهم وانتقل اليهم الامر فاصبحوا ملوكاً عرفوا بملوك النبطيين في البتراء ولا يبعد انهم كان لهم ملك خاص قبل ان استولوا على البتراء وجعلوها عاصمةً لهم في ايام ارتياس معاصر بمبيوس القائد الروماني المشهور بل لا يبعد انهم استولوا على هذه المدينة قبل زمن بمبيوس فكان لهم رئاسة وسؤدد فيها ولكن لم يكن لهم ملك على شاكلة ما كان لهم في ايام ارتياس هذا ومن جاء بعدهُ الى ان انقرض ملكهم في سنة ١٠٥ قبل المسيح كما مرَّ

وخلاصة ما نختم بهِ بحثنا هذا ان الانباط خليط من الادوميين وتجار من الكلدانيين والبابليين الذين جاءوا الى البتراء في ايام نبوخذنصر وانضم اليهم من حين الى آخر من تحضر حواليهم من العرب العدنانيين اولاد اسماعيل ثم انضاف الى هؤلاء كثيرون من مشايخ ورؤساء القحطانيين من بني قضاعة الذين هاجروا من اليمن وحضرموت في اول المئة الاولى قبل المسيح او ما قبل ذلك بمدة قصيرة . ولا يبعد ان يكون انضم اليهم ايضاً كثيرون من

اليهود كانوا يسقطون اليهم من حين الى آخر للتجارة تارةً وللاحتماء بهم تارةً اخرى فان الذين سكنوا المدينة وجهات خيبر وكثروا هناك لا يستبعد عليهم ان يسكنوا في البتراء ايضاً فامتزجت كل هذه القبائل معاً في مدينة البتراء وعُرفوا بالنبط الاّ اني ارجح مما مرَّ ان الدم الغالب فيهم هو دم العشيرة الارامية عشيرة ابرهيم الخليل • ومن البتراء انتقلوا الى مكة والطائف ومنهم نشأت بيوت من اعظم بيوتات العالم كما سنبين ذلك في المستقبل ان شاء الله

جبر ضومط

سوانح وبوارح

بكيتُ حتى هوى من انملي القلمُ وكدتُ اجري ويجري والدموعُ دمُ
ابكي على الظعن لا رسم ولا طللٌ واندب الركب لا ربعٌ ولا خيمُ
ان الربوع ربوع القوم من مضرٍ تضاءلت بعدها الاطلال والرسمُ
رسم محيلٌ وآثارٌ مصردة اقوى بها الافوبان الدهر والقدمُ
اخنى عليها الذي اخنى على لبَدِ حتى استوت عندها الاجراع والاكمُ
اهبتُ فيها اناغي الشرق مضطرباً والقلب مصطهرٌ والجسم مضطرمُ
استنزف الحمم الدكناء من كبدي فتستحيل دماً في اعيني الحممُ
تغلي مراجل اضلاعي فاقذفها هذا البخار وذاك الباخر الرذمُ

استنشد الكتب لا سفع ولا كثبٌ وانشد العلم لابان ولا علمُ
يا شرق شرق العلى رُحماك هل بليت تلك المدارك او ابلى بها الهرمُ
تلك المدارك كان الدهر دائرةً وهنٌ اطلسها الدوّار لا القممُ
تلك المدارك كان الشرق ضاحيةً وهن ديمتها الوطفاء لا الديمُ
هذي المعاهد فاستنطق هيا كلها تجبك "حالاً" ولكن نطقها بكمُ
لهفي على الشرق او لهفي على امم كانت تدين لها الاجيال والامُ

تقسم الدين فيا بينهم قسماً واي دين به الابناء تنقسمُ
لو كان ما صوّروهُ اليوم دينهمُ لم يتبع الدين فيا قد مضى نسمُ

(اغاية الدين ان) تقلوا مخالفكم (يا امة ضحكت من جهلها الامم)
ام غاية الدين ان يزري بدينكم (من دينهُ الدهر والتعطيل والقدم)
قد كان ذاك ولا عتبى ولا حرج شوهتموهُ فشاهت فيكم النقم
تجردوا الدين عن دنيا يذال بها (كيما تزول شكوك الناس والتهم)

عفواً بناة العلى في عقر داركم عقرتم المجد لا عهد ولا ذمم
اين العقول التي كانت اذا اعتقلت تضوى بها البيض او تجلى بها الظلم
ملكتم المرهفين السيف منصلتاً ما استل الا ومنهُ المجد مستلم
وافتدتم القلم السيال منبرياً ما سال الا وساد القسط والسلم
شجوا على السيف او شجوا على قلم اصبحتم اليوم لا سيف ولا قلم
عداكم الخسف لا عير ولا وتد اين الاباة واين العز والشمم
لم يبق غير رنين الثاكلات لكم فاين قيثارة الالحان والنغم

مهلاً بني الغرب لا خوف ولا جزع لم يبق للشرق الا النوح والألم
فلا ترعكم بهذا الشرق جامعة فالجمع مفترق والحبل منفصم
ولا يهولنكم ما في جرائده فتلك تاجرة والسلعة الكلم
كم مرعد فيهِ بالاقوال مبترم لكنهُ ان دعي الرعديد والبرم
ومرتد بردة الاخلاص مسهمة لكنها السهم فيهِ السم لا الدسم
هل الشجاعة يا شرقي في فقر ام صين للطرس منك البأس والكرم
تجود بالقصف ما يرمي بقاصفة وانت في الجود ذاك الاقصف الجلم
تخرص بنهوض دون عدته خلابة الحلم غرار بها الحلم
ايطمع الشرق ان يرقى وموقفهُ (شهب البزاة سواءٌ فيهِ والرخم)
او يستوي فوق عرش المجد مجتمع (اذا استوت عندهُ الانوار والظلم)
وهل يسود اناس اصبحوا شذراً وجلهم ما لهُ هم ولا سدم
هذي نواميس هذا الكون شاهدة لما الوجود يزكي والنهى حكم

ممعت للشرق في الآراد هينمة يسامر الزهر فيها وهي تضطرم
سيارة الافق ما ذنبي اليك وما جنيت يا فلكاً دارت بهِ الامم

ويا ثوابت ما للزهر مطلعها بالغرب لألأة والغرب يبتسمُ
وانت يا قطب قل لي كيف تتركها فوضى تدور ولا حكم ولا حكمُ

فهيمت من بنات الافق ناصعة ونورها ينضوي طورًا وتبتسمُ
كنتم وكانت ديار الشرق تنشدكم (قف بالديار التي لم يعفها القدمُ)
فاصبحت والبلى عفَّى معالمها (بلى وغيرها الارواح والديمُ)
وصاح منها صدًى يدوي بمشرفكم لكن بنو الشرق في آذانهم صممُ
يقول شرق انشدْ لا تقضِ من جزع الشرق شرق ولكن غيرها الامم

بيروت م — خ

الحنين الى لبنان

هاج اشواقي الى الدمنِ طائر غنى على فننِ
ايهِ يا قمريُّ ان بنا فوق ما يبكيك من شجنِ
ولوَ انَّ الدمع منطلق لهمى كالعارض المتهنِ
انما بالرغم احبسهُ خشية اللوام والالسنِ
حبذا المصطاف في جبلٍ ينطح الجوزاء بالقننِ
موئل الاحرار من قدمٍ وأباة الضيم من زمنِ
ليس لبنان لمكتسح بضعيف العزم ممتهنِ
سل ملوك الروم كيف غدا عرشهم مستوهن الركنِ
علم الاهلون جيشهم فنَّ نظم النحر باللدنِ
فبنو لبنان اسد وغيً أطلقت فيهم يد الفتنِ
واختلاف الدين اورثهم علل الاحقاد والإحنِ
ليت ذا عزم يضمهم ضمة الاعضاء في البدنِ
فيعيدوا الماضيات من المجد والعلياء للوطنِ
يا بني أمي اذا حضرت ساعتي والطبُّ اسلمني
اجعلوا في الارز مقبرتي وخذوا من ثلجهِ كفني

داود عمون

الصناعة السورية زمن الحرب الصليبية

بلغت الصناعة السورية زمن الحرب الصليبية شأواً بعيداً من الاتقان والاحكام بحيث كان يستبضعها تجار الافرنج ويحملونها الى بلادهم فيتهافت الامراء والاغنياء على احرازها وتحسب من اعظم مظاهر الترف واخر ما يتنافس بهِ الكبراء

وتفوّق تلك الصناعة على غيرها كان ولا ريب من العوامل الكبرى على اتساع تجارة البلاد وانماء ثروتها وحسبنا بما دوّنهُ عنها مؤرخو الافرنج والعرب وما تضمُّ عواصم العالم المتمدن من باقيات تلك الصناعات الشاهدة على ما بلغتهُ من التبريز في الظرف والاحكام

ومن المصنوعات السورية الخزف وقد وجد العربُ معاملهُ في وادي الفرات في القرن الثامن فنقلوهُ الى سائر ممالكهم وكانت هذه الصناعة قد اوشكت تزول ويعتورها الانحاط في اخريات ايام الدولة الرومانية فاحياها العرب وعملوا على تحسينها واتقانها حتى تفوقوا بها واصبحت لا تماثل في بهاء الوانها واحكام نقشها

انبأنا الادريسي عن الآنية الخزفية التي كانت تصنع في يافا وبيروت وصور ودمشق وما انتهت اليهِ من جمال الصنعة بما كانوا يحملونها بهِ من المينا ونقل الينا غيرهُ من المؤرخين عما حصلت عليهِ من الشهرة والصيت البعيد بحيث كانت فرنسا تستورد من المجمَّل منها بالميناء اقداراً كبيرة وقد ورد ذكرها في العهدة التي ابرمت سنة ١٢٢٣ بين جان ابلين وجمهورية جنوى

وكانت المدائن السورية ملأى بالمعامل التي تصطنع تلك الآنية الخزفية المجمَّلة بالمينا من مثل السرج والصحاف والقوارير والاباريق والطاسات والطسوت وغير ذلك وقد ذكر المؤرخ راي ان المسيو بيو وجد سنة ١٨٧٢ في دمشق بالقرب من مدفن اللاتين انقاض احد المعامل التي كانت تصنع هذه الآنية فاخذ منها عدداً وافراً يشهد لدمشق بتفوقها القديم في هذه الصناعة

والظاهر ان هذه الصناعة ظلّت مدة دولة المماليك من اخر الصناعات يتبارى الصناع في اتقانها الى ان اكتسح المغول سوريا تحت امرة تيمورلنك واسرفوا في الجور والعسف وصحبوا معهم الى سمرقند ابرع صناعها ليقيموا هنالك فكان ذلك آخر العهد بصناعة الخزف في سورية

وصناعة البناء العربي ليست من اوضاع الامة العربية ولا نشأة رجالها وشأنهم معها شأن الروم في صنائعهم. ولما سكنوا المدائن وتربعوا دست الحضارة والتمدن دعتهم ضرورة العمران الى اشادة القصور واقامة المساجد فشرعوا لاول امرهم ينتهجون في البناء تارةً النهج الفارسي وطوراً النهج البزنطي الاَّ انهُ ما طال الامر بهم حتى مزجوا الاسلوبين معاً فنجم عن

ذلك اسلوب جديد هو البناء العربي

واخر المباني العربية واكثرها جمالاً المساجد والقصور وقد نظروا في تشييد القصور الى حالة البلاد من الحر فجعلوها اماكن نزهة ذات قاعات كبيرة تطل عرصات فسيحة مغروسة بالاشجار ترطب هواءها احواض الماء على انهم لم يتقنوا صناعة عمل الصور والتماثيل لان الاسلام ينهى عن رسم الاشكال البشرية فاستعاضوا عن التماثيل والصور بما كانوا يطلون به الجدران من الالوان الزاهية وبما يخطون عليها من الابيات والآيات

وكانت المدن السورية حافلة بالمعامل التي تحيك الانسجة الحريرية على انواعها وقد اشتهرت دمشق بديباجها المعروف عند الافرنج بدماسكو نسبةً اليها ونقل الينا الادريسي ان هذا المنسوج لجودة حوكه كانت تستبضعهُ البلاد البعيدة وانهُ ليفضل في الظرف على ما ينسج في بلاد الروم ولا يقلُّ جمالاً عما تحوكهُ معامل اصبهان وجنديسابور

ولم تكن المدائن الاخرى من سوريا كصور وطرابلس وانطاكية دون دمشق شهرةً في اصطناع الانسجة وبراعةً في حوكها وقد شهد الادريسي لصور بالنوع المعروف بالسندل وتفوّقها بهِ على كل ما يصنع منهُ في سوريا · وامتازت طرابلس باصطناع الديباج والاطلس واتخذت منهما شمامسة الكنائس حللها · وفي سنة ١٢٨٣ زار هذه المدينة الرحالة بيركارت من مونت سيمون فوجد فيها زهاء اربعة آلاف نولٍ لحوك الحرير والصوف

وظلَّ اهل انطاكية على احتراف الصناعة اليونانية السورية زمناً طويلاً حتى بعد الفتح الاسلامي واشتهروا في اصطناع اليشب والانسجة الحريرية الموشاة بالخيوط الذهبيَّة والفضية وكان الافرنج يستبضعون منها اقداراً كبيرة وتتخذ منها حلل الكنائس يؤيد ذلك انهُ جاء في سجلات كنيسة القديس بولس في لوندرا سنة ١٢٩٥ وصفٌ لغفارة من الديباج الانطاكي الاسود الموشيّ بالخيوط الذهبية وجاءت تلك السجلات ايضاً على وصف ثياب القسوس من ديباج انطاكية وطرسوس

ومن مصنوعات سوريا الشملة وهي ضرب من القطيفة اشتهرت في اصطناعهِ طرابلس وطرطوس وهو على اربعة انواع النوع الاول يحاك من صوف الجمال والثاني من شعر الماعز والثالث من صوف الغنم والرابع من مشاقة الحرير· وقد روى لنا مؤرخو الافرنج عن رغبة الاوربيين الشديدة في هذا المنسوج وتسابق تجارهم لاستبضاعهِ من سوريا يبيعونهُ لاهل بلادهم فيربحون الاموال الطائلة لاقبال الناس على ابتياعهِ وتنافسهم في اقتنائهِ حتى ان ملك فرنسا لويس التاسع طلب الى وزيره جوانفيل يوم اتى لزيارة كنيسة السيدة في طرطوس ان يبتاع

له من شملات تلك المدينة عدداً وافراً ليهديها الى رهبان الاديرة لاسيما رهبان مار فرنسيس

وكان اهل سوريا من الوطنيين والافرنج معاً زمن الحرب الصليبية يتخذون الطنافس في منازلهم ودورهم. ذكر وليم الصوري انهم كانوا يأتون بها من بغداد وبلاد فارس واسيا الوسطى ويؤخذ من هذه الرواية ومما ذهب اليهِ دفرمري Defremery ان اسم الطنافس مأخوذ من اسم القرية التي تصطنعهُ حوالي بغداد وهذه الصناعة ليست من مستحدثات سوريا وانما نقلت الى شماليها فبرع الاهلون فيها وما برحت حتى عهدنا هذا في جهات طرطوس وبلاد الحصن

ولم يكن استخراج السكر معروفاً عند الاوروبيين بدليل ان الصليبيين يوم فتحوا طرابلس ووجدوا فيها قصب السكر استمرأوا طعمهُ واعجبوا بما يستخرجهُ السوريون منهُ ونقلوا فسائلهُ الى صقلية وايطاليا ولقد كان السوريون يجيدون عمل السكر وامتازت صور في اصطناعهِ على سائر المدن السورية

وكان استعمال الصابون شائعاً بين السوريين والافرنج في القرن الثالث عشر ومصانعهُ كثيرة في انطاكية وطرطوس وعكاء ونابلس وطرابلس وللصليبيين اهتمام كبير بهذه الصناعة يضارع اهتمامهم بالمدابغ والمصابغ على ان احتراف الصباغة كان من خصائص اليهود في جميع المدن السورية

وكانت بلاد الجليل تحوك الحصر على ان افضل انواعهِ ما كان يصطنع في طبرية ويحوكونهُ هناك من نبات لهُ سوق طويلة ذات عقد تمتد على وجه الارض وينبت في بلاد ساسان وبالقرب من طبريا

ويؤخذ من روايات المؤرخين ان التعدين في سوريا كان مقتصراً على الحديد وكانت جبال لبنان التي حوالي بيروت غنية بمناجمهِ وكان الاهلون منذ القرن الثاني عشر يعدنونهُ ويصدرون منهُ على رواية ابن بطوطة اقداراً كبيرة من ميناء بيروت. وذكر الادريسي ان حديد لبنان كان في القرن الثاني عشر كثير الاستعمال تستوردهُ مصانع دمشق الشهيرة لاصطناع الاسلحة

واخبر وليم الصوري ان صور وانطاكية وحبرون وطرابلس ودمشق وعكاء هن اشهر مدائن سوريا في اصطناع الزجاج. وبلغت هذه الصناعة في العصور الوسطى شأواً بعيداً في الظرف والاحكام ومن معامل هذه المدن خرجت تلك الكؤوس والصحاف والقوارير والمصابيح المجملة بالميناء والتي تزدان بها متاحف اوربا اليوم وهي تشهد للسوريين بالتبريز في هذه الصناعة. على ان اقدم المصابيح الزجاجية ما صنع في القرن الحادي عشر وكان زخرفها ثميناً وغاية في الظرف وظاهرها مقسماً بخطوط افقية يتخللها حروف مرسومة بالالوان الوردية وموشاة بالميناء ذات الالوان الجميلة

وكانوا احياناً يرسمون الحروف على صحن الميناء الزرقاء ويجعلونها كبيرة بيضاء وكثيراً ما كانوا يزخرفون الآنية الزجاجية برسوم بعض الحيوانات كالنسر والاسد وشعار امراء تلك الايام

ومن اجمل الكؤوس الزجاجية التي وجدت حديثاً كاس للامير بدر الدين الظاهري الذي كان امير الجيوش السورية في النصف الاخير من القرن الثالث عشر ايام سلطنة الملك بيبرس

وكانت اوربا خلال العصور الوسطى تستبضع الآنية الزجاجية من جميع معامل المدن السورية وكانت تعرف عندها باسم الزجاج الدمشقي ويتخذها الاغنياء من مظاهر الابهة . ومما رواهُ ثقات المؤرخين ان عملة الزجاج من اهل البندقية ظلوا امداً طويلاً يستجلبون الزجاج الخام من سوريا ليسبكوا منهُ الآنية في معاملهم وانهم كانوا يأتون بالعملة السوريين بغية ان يأخذ العملة الايطاليون عنهم طرق الاجادة فيحاكوهم في صناعتهم

على ان اشهر المصنوعات السورية وادقها صنعةً وابعدها شهرة ما اصطنع من المعادن كالسيوف الدمشقية التي عرفها الاوربيون في الحرب الصليبية واعجبوا بها جداً وقس عليها سائر الآنية المصنوعة من النحاس والشبهان المنقوش عليها شعار الامراء والمحفورة بكتابة تعلن اسم صانعها والذي صنعت لهُ وهي المعروفة بالصناعة الظاهرية

وكانوا يرصعون المصنوعات المعدنية من مثل الطسوت والاباريق والطاسات والشماعدين والمصابيح والطباق وغيرها من الادوات بالذهب او الفضة او بمعدن آخر ثمين وذلك بان يحفروا في طرف الاناء ثلماً عميقاً يحشونهُ بخيوط من الذهب او الفضة وعندهم ايضاً ضرب آخر من الترصيع عادي وهو ان يحمى المعدن بالنار شديداً ثم يحفر فيهِ بسكين خطوطاً صغيرة ويرسم الشكل بآلة حادة تعرف بقلم الحفر ثم يمدّ خيط ذهبي او فضي وينزل في الثلم باعتناء بآلة نحاسية

وفي متاحف اوربا اليوم عدد وافر من الآنية التي اصطنعت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر وقد حفر عليها اسماء الامراء من العرب والافرنج وانفس تلك الآنية ما اصطنع في القرن الثالث عشر في دولة المماليك زمن الملكين العظيمين نور الدين وصلاح الدين

وقد اشتهرت بلاد الموصل في اصطناعها قبل اشتهار سوريا ثم نزح نفر من اهل هذه الحرفة عن الموصل واقاموا في سوريا ومصر على احترافها بدليل ان عدداً وافراً من الآنية النحاسية الموجودة في المتاحف الاوروبية منقوش عليها اسم صانعها مع ذكر بلدهِ من ذلك طست كبير في متحف باريز منقوش عليهِ ما يأتي : نقش علي بن حسين الموصلي بالقاهرة سنة اربع وثمانين وستمائة : وابريق اخر للملك الناصر نقش عليهِ هكذا : نقش حسن بن محمد الموصلي في دمشق سنة ٦٥٩ هـ

ولا خلاف في ان الموصل بلغت شأواً بعيداً من الشهرة في اصطناع النحاس العربي المرصع وفي حفر الرسوم البشرية او الحيوانية بين ان صناع مصر والشام ظلوا الزمن الطويل لا يتجاوزون حدود الدين ولا يحفرون الرسوم البشرية مقتصرين في تجميل الآنية على النقوش البسيطة وحفر بعض الكلمات. وفي اواسط القرن الثالث عشر طفقوا يحفرون على ظاهر مصنوعاتهم رسوم بعض الحيوانات المتخذة شعاراً من مثل الاسد والنسر الأ ان مصنوعات السوريين للافرنج من الصليبيين حفر عليها الرسوم البشرية وشيء من الرموز المختصة بالدين المسيحي وقد قال المؤرخ راي ان اجمل آناء رآه من هذا النوع شمعدان بديع الصنعة عمل لاحدى الكنائس وقد حفر عند قاعدته رسم عماد السيد المسيح . والمرجح ان الحافرين لمثل هذه الصور والرموز من النصارى السوريين.

اما الصياغة فلم يوفها رجال العلم حقها من البحث ولم يبق لهم الدهر من بقاياها ما يفسح المجال للمتكلمين عنها ولكن لم يعدم العلماء من سجلات كنيسة القديس بطرس في انطاكية ومن الآثار القليلة التي انتهت اليهم ما يصل بهم الى معرفة شيء مما بلغته في سوريا زمن الحرب الصليبية

ولقد كان في القدس شارع خاص للصياغة ولم يحق احتراف هذه المهنة الا لنفر من الناس يتعاطونها باجازة من الملك وقد اشتهر هؤلاء الصاغة بالنقش على الحجر الصلد واستخدموا لذلك الماس على ما روى الادريسي وهذا الضرب من النقش وتزيين فصوص الخواتم برسوم الحيوانات المتخذة شعاراً هو من اوضاع السوريين على ما يذهب اليه بعض مؤرخي الافرنج

وجملة القول ان السوريين برعوا في الصياغة شأنهم في سائر الصنائع حتى كان امراء الافرنج يقصدونهم لصوغ حلاهم. وقد اورد المؤرخ راي عن سجلات ذخائر كنيسة انطاكية جدولاً يحتوي على اسماء ما صاغه لها السوريون من الآنية الفاخرة مما يرجع تاريخه الى سنة ١٢٠٩ ومن تلك المصوغات صليب كبير من الذهب المرصع بالجواهر والحجارة الكريمة والانجيلان مصفحان بالذهب المرصع وكتابا الرسائل مصفحان بالفضة وغير ذلك شيء كثير بالغ منتهى الاحكام في الصنعة

ولا يتيح لنا المقام تعداد كل ما اصطنع السوريون وما وصلت اليه مصنوعاتهم من الظرف والاحكام فنكتفي بالقول ان سوريا كانت استاذة اوروبا في الصناعات كما كانت استاذتها في العلم والزراعة والتجارة ولكن

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبار قبيحُ

ص . ي

المتنبي والبهاء زهير [1]

اديبان مشهوران قد حكمت لهما قصائدهما الغراء ان يكرَّما بشرف الانتساب الى الشعر وخليقان ان يحملا اعلامهُ ويتصدَّرا في مجالسهِ . غير ان الاول وهو من اهل القرن الرابع للهجرة يشبه كريمًا يجود بعقود الجمان وقلائد المرجان ولكن بوجه مقطب عبوس . فكأنما اعتمد ان لا ينعم بجواهر افكارهِ الاَّ على من يحتمل تعبُّس عبارتهِ اي على من يفهم لسانهُ ويزيح سجوف الغموض عن تلك الوجوه الحسان . ولذلك اقبل العلماء على شرحهِ ليكشفوا للناس ما فيهِ من كنوز المعاني وكفى بهِ برهانًا على ان في شعرهِ غموضًا ولا سيما على من هم من اطفال الادب او أحداثهِ . فلا اكتمك اني كنت واياهُ اول ما أخذت اقرأهُ كالمختلفين لغةً على ان كلاًّ منهما تعلم من لغة الآخر فكنت كمن يجالس رجلاً ليستفيد منهُ ولكن الرجل قلَّ ما يقبل عليهِ بوجههِ ولا يكلمهُ غالبًا الاَّ موجزًا فضقت صدرًا حتى اضطررت ان استخدم ترجمانًا بيني وبينهُ لكي افهم المقصود من كثير من ابياتهِ وذلك الترجمان هو شرح الواحدي فصاحب هذا الشرح كان بارعًا في معرفة الغريب وخبيرًا بمذاهب الشعراء . ولعلك تقول ما الذي دعا ابا الطيب الى جعل شعرهِ عاليًا على ضعفاء الادباء والمتأدبين وما الذي حملهُ على الاغراب فاقول ان المتنبي اظن لكثرة ما حفظ من الفاظ اللغة وخزن في ذاكرتهِ من القصائد التي هي منازل لغريب اللغة لم يعد يشعر انها غريبة على الناس او انهُ كان لا يلتفت الى حال من يقرأ ويسمع ولا يراعي اختلاف الطبقات في الفهم . وربما كانت نفسهُ تميل الى استعمال الغريب والعويص وتعدهُ من مفاخر الشعر ولكن رجلاً لهُ مثل هذه المعاني يجل عن الانحطاط الى حالة من كل رأس مالهِ استعمال كلمات ندر دورانها على الالسنة وقلَّ تداولها بين الكتاب ولم يبقَ لعين القارىء ولا لاذن السامع انس بها وهي كما لا يخفى على احد لا تكلف من يستخدمها الاَّ ان يفتح كتابًا من كتب اللغة فيخرجها من سجنها وهو امر سهل على كل من ارادهُ

هذا ولنا ان نعلل ذلك بان كثيرًا مما هو غريب على ضعفاء الادباء من اهل زماننا كان متداولاً بين ادباء زمانهِ . ولا شك ان لاختلاف الزمان تأثيرًا في الكتابة لفظًا ومعنى

(1) للكاتبة الاديبة المرحومة انيسه كريمة الاستاذ الفاضل سعيد الخوري الشرتوني وقرينة الشاب المهذب الخواجه مخائيل الشرتوني المتوفاة في بيروت في ١٨ آب سنة ١٩٠٦ عن ٢٣ عامًا

كما ان لاختلاف الطباع والمقاصد ضرباً من التأثير في الكتابة فكثير ممن تقدموا المتنبي تجد في كلامهم إغراباً اكثر مما تجد في شعر المتنبي ما خلا عنترة ومن نحا نحوهُ

والمتنبي يظهر بهاء شعرهِ لاهل الأدب وارباب القريض فعيونهم هي التي ترى بدائعهُ ولطائفهُ . واما طبقة الضعفاء فانما يرون بمشةٌ بعيون ضعيفة النظر . ولكن بعد ان يفسر الترجمان اي الشارح ما لم يفهم القارئ من الفاظهِ او كناياتهِ يكون (القارئ) مثل صغير وعدهُ ابوهُ شيئاً نفيساً وشرط عليهِ شرطاً فلما قام بالشرط جاءهُ ابوهُ بالموعود فابتهج نفساً. واما انا ففراراً من عناء التأمل والتفتيش وتخلصاً من جميل الترجمان اقتصرت من قصائدهِ على ما هو واضح اللفظ والمعنى من نحو قولهِ

اني لأعلم واللبيب خبيرُ ان الحياة وان حرصت غرورُ

ومن نحو الحزن يقلق والتجمل يردعُ والدمع بينهما عصيٌّ طيعُ

على ان هذا الشاعر العظيم متى اراد ان يكلم الناس بلا ترجمان رأيت في كلامهِ من الحلاوة واللطف ما يستعذب على اطيب شراب وذلك كقولهِ في العتاب

أأنطق فيك هجواً بعد علمي بأنك خير من تحت السماء

واكرهُ من ذباب السيف طعماً وامضى في الامور من القضاء

وما اربت على العشرين سني فكيف مللتُ من طول البقاء

وهبني قلت هذا الصبح ليلٌ أيعمى العالمون عن الضياء

وقد لاحظت انهُ متى همهُ ان يفصح عما في نفسهِ وحرص على ان يفهم معناهُ ويقبل احتجاجهُ ويرسخ برهانهُ عدل عن الاغراب وسلك اقرب طرق الافهام كما رأيت في الابيات المذكورة وكما ترى في قولهِ

كم قد قُتلتُ وكم قد متُّ عندكمُ ثم انتفضت فزال القبرُ والكفنُ

وفي قولهِ ان كان يجمعنا حبٌّ لدولتهِ فليت انَّا بقدر الحبّ نقتسمُ

واما الثاني وهو البهاء زهير الذي وُلد في اواخر القرن السادس للهجرة ومات بعد منتصف القرن السابع بثماني سنين فديوانهُ الروضة الناضرة الزاهرة او الوجوه الجميلة الضاحكة فقصائدهُ كتفاح دمشق او عنب داريا فكأنما يلقاك بثياب فاخرة نظيفة وهيئة مشرقة طريفة فتكاد تأكلهُ بضميرك وتشربهُ

ثم ان شعر المتنبي مثل رجل عميق الغور لا يشرح لك ما في صدرهِ ولا يطالعك بما في طويتهِ الا بعد ان يثق بودّك

واما البهاء زهير فيكشف لك دخيلة امره وسريرة نفسه لا وَّل مقابلة ولا يخشى اعراضاً ولا زهداً ولا يخاف زوال كرامة

وقصارى القول ان الذوق يطلب ان الكلام يصل معناه الى العقول على اثر وصوله الى الآذان وان من يأتي بما لا يدرك مقصده منهُ الأ من باب حلّ اللغز كان كالمزُور الذي يشيح بوجهه عن زائريه فينفرون منهُ ولا يحبون ان يطأوا لهُ عتبةً بعدها

واعلم اني كتبت هذا الفصل بمنزلة عرض حال ارفعهُ الى جماعة المنشئين لابين به حالة من هو مثلي عند قراءة ما فيه تعقيد او اغراب حتى تدركهم الرأفة بضعفة الادباء وجماعة العوام. افلا ترى ان اهل العلم الواسع لا يشعرون بما تشعر به ضعيفة في العلم من نظائري عند مطالعة ما وضع تحت استار من الاستعارات الغريبة والكنايات البعيدة او ما جاء كالمتنكر بزيّ غير مألوف وهو ما وقع اضطراب في تركيب العبارة عنهُ او أُورد بكلم لم يستعملهُ الأ مثل الحريري في مقاماته

واذا اعتبرت ما ذكرتهُ كما املاهُ عليّ شعوري فاحبّ ان اذكر لك من شعر البهاء زهير ما تعلق به الروح ويلتذّ به السمع وكلّهُ من نمط ما يأتي حلاوةً وطلاوةً ووضوحاً قال

من مثل قلبيَ او من مثل ساكنهِ ... الله يحفظ قلبي والذي فيهِ

يا احسنَ الناس يا من لا ابوح بهِ ... يا من تجنَّى وما احلى تجنّيهِ

قد انعس الله عيناً صرتَ توحشها ... واسعد الله قلباً صرتَ تأويهِ

فمن اذاعَ حديثاً كنت اكتمهُ ... حتى وجدتُ نسيم الروض يرويهِ

اذا سألت فسل من فيهِ مكرمة ... لا تطلب الماء الاّ من مجاريهِ

وقال

رقَّ في الجوّ النسيمُ ... فتفضّلْ يا نديمُ

ما ترى كيف انمحت ... من حلة الليل رقومُ

وكأنّ الفجر نهرٌ ... غرقت فيهِ النجومُ

وقال

تقدّم ذكر الجود قبلك في الورى ... واصبح من ذكراك مسكاً ختامهُ

امنتُ بلقياك الزمانَ وصرفهُ ... فغيريَ من يخشى عليهِ اهتضامهُ

وقال في مدح صلاح الدين الايوبي

عرف الحبيبُ مقامهُ فتدلَّلا ... وقنعتُ منهُ بموعدٍ فتعلَّلا

الى ان قال

اهوى التذلل في الغرام وانما ... يأبى صلاح الدين ان اتذلَّلا

مهدت بالغزل الرقيق لمدحهِ وأردت قبل الفرض ان اتنفَّلا
ملك شمخت على الملوك بقربهِ ولبست ثوب العزّ فيهِ مسبلا

الى ان قال

قهر الزمانَ وقد عراني صرفهُ حتى مشى في خدمتي مترجلا
ثم التفتُّ وجدت حولي انعماً ما كان اسرعها اليَّ واعجلا

فيا ليت شعري هل يدخل على قلب القارئ من الانس والابتهاج عند قراءة قول المتنبي

وفاؤكما كالربع اشجاهُ طاسمه بأن تسعدا والدمع اشفاهُ ساجمه

مثل ما يدخل عليهِ منهما عند قراءة ما رويت من شعر البهاء فلا ريب انك تقول كلاَّ فهو كالبواب الذي يتلقاك بوجه عابس وكلام يابس

والخلاصة ان من صرف همتهُ الى استعمال المأنوس وتعمد ان يختار الاساليب المستلطفة كما فعل البهاء زهير كان كالمورد العذب فتقبل على شعرهِ الخاصة والعامة · ومن استطاع ان يجتذب اليهِ الناس تخليق بهِ ان لا يبعدهم عنهُ ومن اراد ان يبث افكارهُ وينشر مقاصدهُ فلا يناسبهُ الاَّ الكلام السهل لانهُ جامع بين الصحة والسهولة فهو مفهوم عند العوام ومقبول عند الخواص وان عدل الى التعقيد صرف الناس عنهُ فأين من قول المتنبي

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

قولهُ هو نفسهُ

أحاد ام سداس في أحاد لويلتنا المنوطة بالتنادي

فالاول واضح كالصبح والثاني مغلق كأنهُ الليل البهيم فقد تكلف الشارح ان يكتب عدة سطور ليرفع الستار عن هذا المعنى ولو كان كلامهُ في لغة اعجميَّة لكانت ترجمتهُ ايسر من شرح كلام وصل من التعقيد الى ان اعتاص ادراك معناهُ على العلماء

واين من قول المتنبي وضوحاً وطلاوة

اذا اعتاد الفتى خوض المنايا فاهون ما يمرُّ بهِ الوحولُ

قولهُ هو نفسهُ

فتىً الفُ جزء رأيهُ في زمانهِ اقلُّ جزيءٍ بعضهُ الرأي اجمعُ

ولكن سبحان من لا يقال في اعمالهِ لو او لولا فان الفرزدق على علو طبقتهِ صار قولهُ

وما مثلهُ في الناس الاَّ مملكاً ابو أمهِ حيٌّ أبوهُ يقاربه

مثلاً في مخالفة الفصاحة بما فيهِ من التعقيد

الملاحة عند القدماء

نحن في زمنٍ امتلأَت فيهِ البحار من السفن تشق العباب لا ترهب الامواج تلطمها ولا تخشى الرياح الهوج تعصف بها · فيقف واحدنا على شاطىء البحر حائرًا مدهوشًا مما يرى · قلاعًا تسير فوق الماء مدججة بالسلاح الضخم اهبة للقتال وارهابًا للعدو · واهراء واسعة الجوف تذدحم فيها ما انتجت الارض او صناعة الانسان تجري بها من سوق الى سوق

نقف ونرى ثم نقول في انفسنا كيف نشأَت هاتيك البوارج الحربية وهذه السفن التجارية بل كيف فتق للانسان عقلهُ تسخير البحر العجاج واتخاذهُ مسرحًا لسفائنهِ وسبيلاً يجري فيهِ الى غرضهِ · تلك مباحث لا يُشفى الغليل منها الاَّ بنبذةٍ نلخصها عن علم الملاحة فنقول

الملاحة في العربيَّة صنعة الملاَّح وهي تؤَدي معنى الكلمة الافرنجية Navigation ويرادفها بالعربية ايضًا كلمة الابحار بمعنى سفر البحر وفي الاصطلاح علم يراد بهِ تسيير السفن في البحار

ولقد نشأَ هذا العلم ضعيفًا وتدرَّج في الارتقاء حتى ادرك لهذا العهد موضعهُ السامي من الاتقان ولم يبنَ على الحدس والتخمين بل على الحقائق التي ادَّى اليها الامتحان والتجارب المتكررة مرة بعد اخرى · ومن غريب امرهِ ان الذين جرَّبوا وحُفظت نتائج اعمالهم المصيبة وصارت قواعد الفن لم يكن معظمهم من الفلاسفة او العلماء ولا من القارئين الكاتبين بل من الاميين الذين لما اهتدوا الى ركوب متن الماء صاروا يعملون بما تفتق لهم عقولهم من الاساليب التي يظنونها تبلغ بهم الغرض فكانوا اذا وجدوا من موضوعاتهم سديدًا عملوا بهِ واتبعوهُ وخلفوهُ لمن يجيء بعدهم من ارباب فنهم وان وجدوا ما استعملوهُ قاصرًا عن غرضهم نبذوهُ واتخذوا عنهُ بديلاً فمجموع هذه التجارب هو اصل علم الملاحة قبل ان اخذتهُ العقول وشحذتهُ العلوم · وبهِ يصح القول ان قواعدهُ بنات الفلسفة والجهل المطبق وهذا من الغرابة بمكان

اما مشاركة الفلاسفة فلم تكن الاَّ لاحكام الفن وجعل قواعدهِ قائمةً على اسس الحقائق العلمية واهم القائمين بهِ شأْنًا اولئك الذين كانوا على علم باحوال البحر ولهم مشاركة في علم الفلك والآلات

ويبتدئ تاريخ الملاحة منذ اقدم العصور واكثرها ايغالاً في عصر الظلمات ايام كان الناس في مجتمعاتهم الاولى وليس لاخبارهم ديوان يرجع اليهِ ولكننا نتابع سائر الباحثين في احوال الفطريين بان نضرب مثلهم في اودية الخيال مستعينين بالتمثيل · فنرى القوم الذين يعترضهم في رحلاتهم او يجاورهم في منازلهم نهر لا يستطيعون اجتيازهُ سباحةً يضطرون الى التحيل في ركوبهِ بوضع اخشاب فيهِ تطفو عليهِ فيركبونها ارماثاً واذا كانت المسافة بين العدوتين طويلة تذرعوا الى نيل غرضهم بقطع الاشجار وحفر سوقها الضخمة بالادوات التي يستعملونها او بالحرق كما يشاهد حتى الآن بين الفطريين في افريقيا · ولعلهم قبل اهتدائهم الى هذا كانوا قد رأوا شجرةً نخرة فاستعملوها ووفت لهم بمطلوبهم · الاَّ ان صناعتهم الفطرية لم تكن لتعدّ لهم من مثل هذا الطرز قوارب تسع اكثر من رجل او رجلين · ثم ان النازلين سواحل البحر يضطرون الى ركوبهِ ومنهم على الاكثر نشأت المعارف الاولى التي اعتمدها الملاَّحون لان البحر على سعتهِ يسهل السبل ومتى اعتادهُ المسافرون يرونهُ مقرّباً للمسافات معيناً على الصلة التجارية · فلا غروَ ان يغري سكان سواحلهِ باقتحامهِ وقد عوَّضهم عما تحملوهُ من المشاق فيهِ كثيراً من الخير بما فتح لهم من ابواب التجارة وما اعان على اتصال الناس وتبادلهم المنافع والفوائد · حتى ان القارئ يستطيع ان يعرف مقام كل عصرٍ من العصور الماضية من النظر في حال ملاحتهِ

وليس في التاريخ نبأ صريح عن الزمن الذي بدأت فيهِ الملاحة ولا عن الامة الاولى التي تسنى لها هذا الفخر غير ان بعض المؤرخين يزعمون ان فينيقيةَ احرزت قصب السبق في هذا المضمار بحيث ان السفينة الاولى التي مخرت العباب كانت منها الاَّ انا نخشى ان تكون هذه الرواية يونانية المصدر وقد اوردها رواتها اثر تأثرهم لعظمة فينيقية في البحر

ولا نعلم كيف بدأ الفينيقيون ببناء سفنهم بمعنى انا لسنا على بينةٍ من حقيقة حالهم ايام عُرفوا باسمهم وبقوتهم البحرية · ولكنهم على رأي جلة الباحثين لم يكونوا قاربين حين نزلوا الثغور الشامية وان صح القول بمجيئهم اليها من سواحل البحر الهندي فالمرجح انهم كانوا على علم ضئيل بالملاحة وكيف كان الحال فان فينيقيةَ كانت مظهراً لبراعتهم في هذا الفن ومضماراً لتسابق هممهم في ترقيتهِ والانتفاع بهِ وللظهور الاول في مشهد العالم المتمدن كقوةٍ بحرية ذات عمل مذكور

وقد اتصل بنا من ابحاث العلماء ان اقتراب الثغور الفينيقيةَّ بعضها من بعض بحراً ووعورة بعض الطرق برّاً اضطرتاهم الى ركوب البحر

على انهم ما عتموا ان اشتد ساعدهم وصاروا يسافرون الى قبرص ومصر وكيليكية ويبادلون اهلها التجارة ولم يمضِ عليهم الزمن الطويل حتى استطرقوا الى كل سواحل البحر المتوسط بل تجاوزوهُ الى البحر الاسود وما وراء اعمدة هرقل وبلغوا على قول الجزر البريطانية وتلك السفن المكشوفة التي قاوت الامواج فغلبتها اتصل بنا رسمها على النقود الفينيقية القديمة وهي في شكلها اشبه شيءٍ بالسمك الكبير

وقد نقل العلامة رولنسون في كتابهِ الحديث عن تاريخ فينيقية ان هذه السفن كانت تبنى من خشب الشربين او الارز فيشدون الواحها الى بعضها شدًّا غير محكم ويطلونها من الداخل بالقار واقدم ما اتصل الينا رسمهُ منها يدل على ان تسييرها كان اما تجذيفاً او بالشراع . ويغلب في عدد الجذفين في السفن القديمة ان يكون عشرة او اثني عشر ولكنهم ازدادوا بكرور الايام وتحسين صناعة السفن حتى صاروا من الثلاثين الى الخمسين رجلاً وكانوا يجلسون في اول امرهم صفين متقابلين كما يجلس بحارة القوارب لهذا العهد ويحركون المجاذيف وهي مشدودة الى جانب السفينة ويجعلون وجوههم ازاء مؤخرها فان هبت ريح موافقة رفعوا شراعاً على سارية مرتفعة من وسط السفينة مشدودة بالحبال وكان الشراع يدار على حسب رغبة الربان

ومما ينسب الى الفينيقيين اختراعهم ضرباً من السفن يكثر فيهِ عدد الجذفين ويقال لهُ بيرام Birames اي مزدوج التجذيف وقد رسم شكل هذه السفن على الآثار الاشورية منذ عصر سنحاريب في اوائل القرن الثامن قبل المسيح والمرجح ان استعمالها كان شائعاً قبل ذلك العهد بازمنة طوال . والظاهر من شكلها المرسوم انها كانت في اول امرها قليلة الارتفاع ثم زيد عليها بناء ظهر لها فاصبحت ذات جوف يجلس فيهِ الجذفون على مرتفعين احدهما اعلى من الآخر ويعملون في التجذيف من ثقوب تبرز المجاذيف منها الى البحر صفًّا فصفًّا

ومن العجيب ان تلك السفن الضعيفة الحول كانت تقاوي الانواء والعواصف وتغالب الامواج وتصل الى ميناء قصدها سالمة لا سيما وان الملاحة يومئذٍ كانت بقية النشأة الاولى ايام كان البحارة لا يبعدون عن البر كثيراً . وهذا النسق يعتبر في الابحار محفوفاً بالاخطار لان البحار البارع لا يخشى من الامواج اذا هي اقبلت كالجبال ولا من الرياح الهوج اذا هي عصفت كهزيم الرعد اذا كان مركبهُ في ظهر البحر الواسع يتصرف بادارتهِ وتحويلهِ من نقطة الى اخرى بملء حريتهِ ولكنهُ يخشى الاقتراب من البر والتضييق على مركبهِ في مجال الحراك خوفاً من نشوبهِ على الصخر او الرمل . ألا ترى سفن الفرس كيف تحطمت منها المئات

عند جبل اثوس ومغنيسيا واوبيا لانها كانت تقترب من البر ومثلها لقيت بوارج فينيقية وهي قد خرجت من مرساها مشحونة بالكماة ومدججة بالسلاح فلم يبقَ منها الا القليل

ولقد مرَّ على الاقلام حين من الدهر كانت فيهِ تسخر لتدوين اساطير الاولين فتحار فيها الباب قرائها اذ يرونها من الترهات التي لا تعار جانب الثقة وهي مع ذلك واردة في معرض الامر الواقعي . من ذلك انهم كانوا يحكون عن غزوة الارغنوط ويبالغ رواتهم في تدوينها وكلها يراها نقدة العصر من الاساطير الموضوعة الاَّ ان من الحكايات ما كان صادراً عن حقيقة موهت عليها الخرافة ونسجتها على منوالها فكادت تذهب الحقيقة الضئيلة ضياعاً بين هاتيك الترهات المحوكة

فالابحاث الحديثة كشفت القناع عن حقيقة غزوة الارغنوط بانها اشارة لما كان يلاقيهِ بحارة اليونان لاول عهدهم من الجهد والعناء في التوصل الى شواطىء البحر الاسود ولكن ما عتم ان انقضى زمن الخرافة عندهم وجاء الدور التاريخي لملاحتهم ثم برزت سفنهم تناظر اساتذتهم الفينيقيين في اعمالهم واسفارهم حتى غلبوهم في ما جاورهم بحيث اضطر الفينيقيون ان يتركوا لهم البحار التي تجاورهم وان يضربوا في عرض البحر توصلاً لمواضع اخرى ثم عزَّت بعد ذلك ملاحة المصريين على قلة ثم ملاحة قرطاجنة والاتروسكان

اما المصريون فان النيل كان احسن مدرسة لتعليمهم فن الملاحة فيهِ ولكنهم لم يقتصروا على تسيير سفنهم في مائهِ بل سيروا بعضها في مياه البحر المتوسط وفي عباب البحر الاحمر حتى خليج العرب

وبلغ من همتهم ان احد فراعنتهم فتح ترعة من النيل الى السويس كانت السفن تسير فيها لاستبضاع النحاس من القطر العربي

ونالت البحارة المصرية مقاماً لكنها لم تدانِ الفينيقية ولا اليونانية على ان الدول المصرية كانت على اتم وفاق مع الفينيقيين تسمح لهم بالقيام في بلادها للتجارة وبالتردد عليها لحمل نتاج ارضها الى البلاد البعيدة التي تنتابها فادى ذلك الاتفاق الى مواثقة اخرى ذهب بها الاسطولان الفينيقي والمصري في اسفار شاسعة اهمها الطواف بحرًا حول افريقيا والفضل في هذا الطواف يعود على الملاحة الفينيقية اكثر منهُ على المصرية لان الفرعون نخو استخدم البحارة من الفينيقيين فسارت السفن من احدى مرافىء البحر الاحمر محاذية للبر عند باب المندب ثم حذاء السواحل الشرقية من افريقيا مخترقة عباب البحر الهندي متجهة جنوبًا حتى اجتازت بلاد الصومال فزنجبار فموزامبيك فبلاد الزولو ومنها طرقت رأس الرجاء واذ بلغت

اقصى الطرف الجنوبي عادت على محاذاة البر الغربي مارة بما هنالك من الاقطار حتى استدارت افريقيا وبلغت بوغاز طارق ومنهُ دخلت البحر المتوسط وجعلت تدنو يوماً فيوماً من المرافيء المصرية فبلغتها بالامن والسلام وكانت مدة غيابها في السفر نحواً من ثلاث سنوات قضاها البحارة راكبين متن البحر وكلما اعوزهم الزاد كانوا ينزلون البر ويعاملون فيهِ قطعة من الارض بالحرث والزرع فيقيمون ثمت حتى ينمو زرعهم وينضج فيحصدونهُ ويجمعونهُ في اهراء سفنهم زاداً لهم

وكأني بهم لم يكونوا يقصدون اتمام طوافهم سراعاً وانما تمهلوا فيهِ ليأتوا على اخرهِ آمنين فكانوا يسيرون حذاء الساحل ما طابت لهم الريح وصفا الجو وسكن البحر فاذا لم يجدوا من الاحداث الجوية عوناً او لقوها واقفةً لهم موقف العدو لجأوا الى البر حتى تكسر حدتها ويؤمن جانبها على انهم لم يكونوا يخشون من الاهلين ضرراً ولو كانوا من اشد البرابرة توحشاً لان مجيئهم الى جوارهم لم يكن الاَّ للاكتشاف ومعهم اشياء من السلع التجارية يقايضون عليها

ولا خفاء ان هذه الرواية نقلها المؤرخ هيرودوتس وقال فيها لكن التجار يقولون انهم بعد سفرهم حول افريقيا بزمنٍ قصير صارت الشمس تطلع عليهم من يسارهم ثم صرّح بانهُ نقل الخبر عن قائليهِ وهو لا يصدّق مياسرة الشمس لهم

ومن العجب ان بعض النقدة حسبوا خبر الطواف مكذوباً ولم ينتبهوا الى ما انتبه اليهِ المؤرخون المدققون وفي صدرهم كروت وورلنسون من ان خبر طلوع الشمس عن يسارهم لهو الدليل الصادع الذي يؤيد خبرهم لان اليونان في عصر نيخو ومثلهم المصريون والفينيقيون لم يكونوا يعرفون عن الشمس حقائق حالها من الشروق والاظلال والغروب واذا كان من نوابغ القوم من يعرف حقيقة من هذه الحقائق فان عامة الناس لم يكونوا يعرفون شيئاً غير ما يشاهدونهُ وهذا يدل على ان البحارة لم يضعوا الخبر من عند انفسهم بل حكوا ما وقع لهم

وكما ان الفينيقيين كانوا في طليعة تجارة العالم ولهم السبق على معاصريهم ومنهم اخذ اليونان فن الملاحة وبهم استعان المصريون في بناء سفنهم وتسييرها وتدبيرها هكذا لما جاء الدور الروماني اخذت تلك الدولة نصيبها من الملاحة عن الاتروسكان بعد اذ اضطرت الى تعزيز تجارتها لمناوأة قرطاجنة بنت فينيقية ذات القوة الضخمة في البر والبحر ولم تكن مناوأة رومية لقرطاجنة الاَّ مغالبةً لها على امتلاك ناصية التجارة البحرية التي ادرّت على نظيرتها اخلاف الثروة كما ادرتها من قبل على امها فينيقية

ولم تكن معدات الملاحة حتى يومئذٍ قد ارتقت عن الحالة الاولى الاَّ قليلاً فصارت السفن

من ذوات الثلاث طبقات واصبحت البوارج المعدة منها للحرب تنقل الجند وسلاحهم واذا وقع التلاحم بقي المجذفون على عملهم واشتغل الكماة بالقتال والربان يدير السفينة بمعرفته

ومن السفن التي كانت تنتاب البحار يومئذٍ سفن القرصان اي لصوص البحر وكانت تجهز بمثل جهاز السفن التجارية حتى لا تفرق عنها وقد يغرُّ بها كثيرون من ربانية السفن الاخرى ولذلك صارت السفن كلما دنت من بعضها تتساءل عن شؤونها فان كانت تجارية سار كل منها في طريقهِ وان كانت قرصانية حمل بعضها على بعض واشتبك القتال والغنيمة للظافر

ومرَّت العصور فكانت اوربا في العصور المسيحيَّة الاولى ممالك صغيرة بعضها في جاهليتها والبعض في زمن الانقلاب فلما وهنت العزة الرومانية لم يكن من ممالك الاسلام الاولى ميل لركوب البحر الاَّ قليلاً في المياه المجاورة لممالكهم واما سكان شمالي اوربا كالنورمان والدنمركيين فكانوا يركبون سفنهم ويشنون بها الغارات على السواحل القريبة فيسلبون وينهبون . ولذلك لم يكن لاختبار اولئك البحَّارة يد في اصلاح فن الملاحة الاَّ ان بعض الايطاليين من اهل جنوى والبندقية كان لهم منذ عهدٍ بعيد قدم راسخة في التجارة البحرية وساعد شديد في الحرب بحيث كانوا لا يفترون عن اتقان بناء سفنهم واعدادها لاتمام مقاصدهم فتسنى لهم بذلك ادخال اصلاحات جمة في تحكيم الشراع وضبطهِ وكأنهم بما توفقوا لايجادهِ من الاصلاح قد مهَّدوا السبيل لنبوغ جماعةٍ منهم يدهشون العالم باعمالهم البحرية وبنتاج ملاحتهم الغريب

ومما يذكر ان البحَّارة الاقدمين واهمهم الفينيقيون لم يكونوا يعرفون من فن الملاحة الاَّ نزرًا قليلاً يتمكنون بهِ من السفر من ثغرٍ الى آخر على محاذاة البر على انهم ما عتموا ان صاروا يبعدون عن البر ويستسلمون لحكم الامواج فيغالبونها في مضمارها ولكن على مسافات غير بعيدة المدى كما هي الحال في بعد جزائر المتوسط عن البر وعن بعضها . فهذا الابتعاد عن البر لا يتم التحكم فيهِ الاَّ بضبط تلك الابعاد ولذلك ظن بعض الباحثين ان الفينيقيين كانوا على علم باصول الحساب وكأنهم اعتمدوا رواية سترابو القائل ان الصيدونيين خصوصًا كانوا يعرفون علمي الفلك وسلك الابحر لانهما ضروريان لمعرفة سير السفن وعلى الخصوص ليلاً ويرى غيرهُ ان البحارة كانوا يومئذٍ يسرون ليلاً مستهدين بنجم القطب وانهم كانوا قد رسموا لانفسهم ضربًا من الخرائط وفيها المواضع وابعادها على معدَّل وضعوهُ لانفسهم والاَّ حفت اسفارهم بالمخاطر

الاَّ ان البحارة الاولين الذين كانوا يقصرون اسفارهم على الثغور القريبة من سواحل

المتوسط ربما كانوا اجهل من ان يراعوا قواعد الفلك والحساب او يستشيروا خريطةً او رسماً ولا غرابة في ذلك ونحن نرى كثيرين من بحارة السوريين يضارعونهم جهلاً واقتداراً على تسيير قواربهم بين الثغور الغربية على قواعد تلقنوها من اسلافهم او تعلموها بالمزاولة

اما الذين تعدَّوا حدود المتوسط فانهم لقوا ما لم يعرفوا في مياههِ اذ تعرفوا بالمدّ والجزر وعلاقتهما بالشمس والقمر ولم يكونوا يخطئون الاَّ في ظنهم ان مدّ الربيع يكون على اشدهِ في الانقلاب الصيفي مع انهُ يكون كذلك في شهر دسمبر حيث تكون الشمس اقرب الى الارض منها في الفصول الاخرى

وكان بحارة العصور القديمة يتوارثون طرائقهم ويأخذون بعضهم عن بعضهم وكلهم حتى العصور الوسطى لم يتفق لهم الخروج بفن الملاحة عن البسيط الساذج . مع انهُ قيل ان الصينيين كانوا منذ اقدم العصور يستخدمون الحك في سفنهم فنقلهُ فلافيو جيوجا النابولي الى بلادهِ سنة ١٣٠٢ وقال الدكتور جلبرت ان الذي نقل الحك من الصين الى اوربا هو الرحالة المشهور ماركو باولو سنة ١٢٦٠ . وآثر بعضهم عن همبولدت قولهُ انهُ ورد في كتاب صيني من مؤلفات النصف الاول من القرن الثاني انهُ قبل ذلك بتسعمئة سنة اتى الصين سفراء من قبل تونكين وكوشين تشين فلما ارادوا الانصراف اركبوهم على عجلات ممغنطة لتسيرهم الى بلادهم من غير ان يضلوا الطريق وان بعد ذلك الوقت بنحو قرن استعمل الصينيون في سفنهم المغنطيس متجهين بهِ نحو الجنوب استهداء بهِ في اسفارهم البحرية

الاَّ ان بعض النقدة لم يجزموا بمعرفة البلاد التي توفقت لايجاد الحك. وآخرون ينسبون اصلهُ للصينيين وانهم كانوا يضعون قطعة من الحديد الممغنط على قطعة من الفلين فكأن فلافيو جيوجا رأى ذلك فاعمل الفكرة واخترع الابرة المغنطيسيَّة ولذلك اثبت لهُ بعض المؤرخين فضل اختراعها لانقلها عن الصينيين . غير ان هذا القول مردود بما آثر الاسقف جاك ده فتري مطران عكاء من وجود الحك في سوريا سنة ١٢٠٤ الى سنة ١٢١٥ وكأن الصليبيين نقلوهُ منها الى فرنسا لانهُ وجد فيها سنة ١٢٥٠ وفي نروج قبل سنة ١٢٦٦

واياً كان مخترع الحك فلهُ الفضل على الملاحة لان باستعمالهِ اتضحت سبل السفن وتساوى في سيرها الليل والنهار قرب البر او ابعد وبهِ استعان كبار الملاحين على ارتياد البحار المجهولة واكتشاف ما وراءها وبهِ بدء زمن الملاحة الحديثة الذي غيَّر اوضاع الفن القديم ونقلهُ من كونهِ فن تجربةٍ وامتحان الى علم باصول وقواعد

واستخدام الحك في السفن الاوربية جاء في زمن كان قريباً من عصر الانقلاب الذي

بهِ تغيرت الشؤُون وانطلقت العقول من عقالها وفتح للاجتهاد باب الكسب . فكان نجاح الملاحة سلسلة اول حلقاتها استعمال الحك فاندفاع التجارة لارتياد البحار المجهولة فاكتشاف البلدان من العالم الجديد فتردد المتجرين والمهاجرين اليهِ فاتساع دائرة الملاحة وانتباه النوابغ الى تحسينها عملاً وعلماً كل هذا رقي بها درجة فدرجة حتى ان تلك القوارب المكشوفة التي يكاد لا يقوى نوتيها على مفارقة البر الاَّ خطوات معدودة صارت امهات هذه البوارج المدرعات والطرادات الهائلات والبواخر على تنوع اشكالها ج . ي

تعريب الاسماء الاعجمية (١)

ايها السادة

ينبئنا التاريخ ان اللغة العربية كانت لآخر القرن الثاني عشر الهجري قد وصلت الى منتهى الضعة وكادت تصبح اثرًا دارساً ولولا رجلان فكرا في احيائها ووجدا من خيرة الاعوان من كان شعارهم الاخلاص والجد لكنا اليوم على ما كان عليهِ سلفنا في اواخر ذلك العهد

اما اولها فمحمد علي باشا مؤسس الاسرة الخديوية زادها الله تشريفاً وتكريماً فانهُ وجد المرحوم رفاعة بك وتلاميذهُ بعد ان زجَّ بهم في مضمار الحياة فساروا شوطاً بعيدًا ووضعوا الحجر الاول في نهضة اللغة. كتبوا وترجموا شيئاً كثيرًا ابقتهُ لنا الايام دليلاً على اخلاصهم ثم على مقدرتهم واستعدادهم لم يتركوا فناً من الفنون التي كنا مستضعفين فيها الاَّ كتبوا فيهِ ترجمةً او من عند انفسهم . واما الثاني فهو صاحب الدولة المخلص في خدمة بلادهِ مصطفى رياض باشا فانهُ وجد الاستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده وتلاميذهُ ورجال العزيمة من نابغي السوريين فقاموا بالنهضة الثانية وعهد الى الاستاذ المرحوم اصلاح الوقائع المصرية والاشراف على ما يكتبهُ ارباب الدواوين في محاوراتهم فكان ذلك منبهاً لهم ان يعتنوا باصلاح ما يكتبون وتعلم ما يجهلون . ومن اكبر مساعد لتلك النهضة الجرائد العربية على اختلاف مذاهبها ومشاربها فهي التي رفعت من قدرها وساعدت على رقيها بما كان يبذلهُ اصحابها من الهمة في اختيار اللفظ والاسلوب سواءٌ في ذلك فاضلهم ومفضولهم

اذا دبت الحياة في جسم فانها لا تقف عند غاية فان صاحبها دائماً يرجو الكمال وهو ابدًا بعيد من الانظار كذلك نحن الآن فانا في بدءِ نهضة ثالثة يأخذ بيدها و يشد ازرها

(١) خطبة تليت في نادي دار العلوم بالقاهرة في ٣٠ يناير

ذو السعادة الوزير المخلص سعد باشا زغلول ناظر المعارف العمومية في عهد مولانا وسيدنا امير مصر عباس باشا حلمي الثاني فهو موءيد النهضة الثالثة كما كان جده موءيداً النهضة الاولى

تلك النهضة ان تكون اللغة العربية لغة تعليم وتعلّم وكتابة وتكلّم ينبت فيها الصغير ولا يخل بوزنها الكبير والاعوان اليوم اكثر منهم بالامس فان البذور التي غرست قد اثرت في كثير من الانفس الطيبة فصارت من انفسها تطلب الغايات وترقب الكمال. والمعونة من مثل هوءلاء اعظم

هذا المطلوب ايها السادة عزيز المنال وعر المسالك فلا بدّ للوصول اليهِ من عزيمة صادقة يقودها العقل الصحيح لتهيئة الطريق حتى لا تلتوي علينا المقاصد فنظن انفسنا سائرين للامام ونحن للخلف راجعون ننظر امامنا فنجد عقبات كثيرة لا بدّ ان نقدرها قدرها حتى يمكننا تذليلها عقبات كثيرة لست في معرض احصائها الآن لاني اقتصر على عقبة واحدة جعلت مجال البحث بين ايديكم

بيننا محدثات كثيرة تصل بلادنا على ايدي المخترعين الذين قدروا بجدهم ان ينتفعوا من كل ما خلقهُ الله سبحانهُ للانسان ولم يكن آباوءنا قد عرفوها حتى يعدوا لها العدة من الاسماء المبينة لمسماها. فنقف امامها مبهوتين لا ندري كيف نعبر عنها فاذا كتبنا وقف بنا القلم عندها حائرًا فمنا من يكتب اللفظ الذي وضعهُ المخترع ويحيطهُ بقوسين علامة على انهُ ليس من لغتنا او بعبارة اوضح علامة على نقص اللغة وقصورها من كل جديد . ومنا من يحتال لذلك فيوءدي المعنى بكلمة وضعها العرب بازاء مسمى آخر . وما يجدهُ الكاتب يجد مثلهُ المتكلم

لا يتفق الناس على شيءٍ يتبعونهُ وهذا نقص عظيم يجب ان نتلافاهُ وان نتفق على ما نستعملهُ لذلك وضعنا موضع البحث هذا السوءال

ما هي الطريقة المثلى للدلالة على المحدثات أتعريب الفاظها التي يضعها لها محدثوها وصقلها حتى تكون موافقة للهجات العرب ام التوسع في بعض الالفاظ العربية ووضعهُ بازائها

وقبل الافصاح برأيي في هذه المسئلة أبين لحضراتكم كيف كان العرب المتقدمون يفعلون اذا عرض عليهم شيءٌ محدث من طريق غيرهم

ولا أريد ان اتوسع في البحث الى ما وراء اسماء الاجناس فان اللغة العربية عندها من الثروة في الاسماء الدالة على المعاني ما لا تحتاج معهُ الى استعارة من غيرها اما اسماء الاجناس فانها بالضرورة تتجدد بحدوث مسمياتها والعرب كما تعلمون كانوا فقراء جدًا في هذه المواد فانهم اهل بادية وحاجات المتبدي قليلة اذ ليس امامهُ الأ سماوءهُ وارضهُ وبهيمةٌ

وسلاحهُ ووجدانهُ فمن المعقول ان يتفنن في وضع ما يدل على اجزاء ذلك من الاسماء اما ادوات الحياة مما تخرجهُ الصنعة وتبدعهُ الفكرة فهو منها بعيد وقلما يتلقى باديهم شيئاً منها عن بلاد أُخرى لانهم انقطعوا عن الامم او كادوا

فاما الحضر منهم وهم سكان ريف العراق ومشارف الشام واليمن فقد كان لهم من جوار الفرس والروم ما جعلهم يتلقون كثيراً من الاداة فتسوقهم حاجات التعبير والابانة عما في النفس الى ان يكون لذلك الشيء الذي استعملوهُ لفظ يعبر عنهُ والمعقول في اختيار اللفظ للمعنى ثلاثة طرق

الاول الوضع الجديد وهذا لا مجال للكلام فيهِ لان الاقدمين ما عولوا عليهِ وليس بيننا من يقول بهِ على ما اظن . وسبب هذا فيما اعلم ان احرف اللغة العربية قد شغلتها الاوضاع فقلما تركب ثلاثة احرف الاَّ وجدنا مجموعها قد وضع واستعمل اللهمَّ الاَّ حروفاً قلائل استثقل العرب جمعها في كلمة واحدة ومثل الثلاثة الاربعة والخمسة والستة

الثاني التوسع في الاستعمال وهو المراد بالتجوُّز بان يكون اللفظ قد وضع بازاء مسمى ولمناسبة بين المسمى القديم والجديد يستعمل ذلك اللفظ في المعنى الجديد ككلمة تامور فانها في اصل اللغة القلب لانهُ وعاء الدم ثم توسعوا فيها فجعلوها لكل وعاء فاذا جاءهم اي وعاء على اي شكل استعملوا فيهِ لفظة تامور ولا يأْخذون عن غيرهم شيئاً حتى يتركوا كلمة ابريق التي وضعها صناعهُ لتدل على شكلهِ الخاص بهِ . ويبحثون في كلماتهم القديمة عن لفظ قديم يدل على ما يشبه الدينار والدرهم فيستعملونهُ فيهما ولا يأْخذونهما

الطريق الثالث التعريب وهو ان يؤْخذ من المخترع للشيء المسمَّى واسمهُ بعد ان يصقلوهُ بالسنتهم حتى يكون خفيفاً عليها مناسباً للهجتها وهذا هو الطريق المعقول الذي اتبعهُ العرب وكل امة من امم العالم

مضى على الامة العربية زمن طويل قبل الاسلام وهي تتناول الالفاظ الدالة على الاجناس من واضعيها وتلحقها بلغتها من غير ان يقف في طريقها معارض

اخذوا الدينار والدرهم والحقوهما بابنيتهم واشتقوا منهما فقالوا فرس مدنر اي فيهِ نقط كالدينار وقالوا دنر وجههُ اي تلألأَ ودينار مدنر اي مضروب ودُنر فلان كثرت دنانيرهُ . وقالوا رجل مدرهم اي كثير الدراهم ودرهمت الخبازى صار ورقها كالدراهم . واخذوا اللجام واشتقوا منهُ فقالوا أَلجم وملجم ولجم وتجوزوا في استعمالهِ فقالوا التقى ملجم لانهُ يقيد اللسان ويكفهُ كما يفعل اللجام بالدابة

اخذوا من المصنوعات الاستبرق والسندس والاساور والابريق والطست والخوان والطبق والخز والديباج والهندسة والمهندس · واخذوا من النباتات النرجس والبنفسج والنسرين والسوسن والياسمين والجلنار والزنجبيل والقرفة والفلفل والكراويا والعنبر والكافور والصندل الى غير ذلك مما احصاهُ نقلة اللغة

وكانت قاعدتهم في التعريب على جهتين (الجهة الاولى) ان يلحقوا الكلمة بابنيتهم ومتى صارت الكلمة كذلك عدت من اللغة وحكم عليها بما حكم على بقية الكلام فيشتقون منها· وكانوا يبدلون حرفاً مكان حرف لتقارب مخرجيهما كما فعلوا في لجام وكان اصلهُ لغام بالغين والجيم والغين متقاربان مع سهولة الجيم واذا كان الحرف بين كاف وجيم جعلوها جيماً لقربها منها ولم يكن بدٌّ من ابدالها لان ذلك الحرف ليس من كلامهم فقالوا جربز وآجر وجورب وربما جعلوها قافاً لانها قريبة ايضاً فقالوا قربز ويبدلون مكان آخر الحرف الذي لا يثبت في كلامهم الجيم فقالوا كوسج وساذج واصل ذلك كوسه وساده كما ننطق بهِ نحن الآن ويبدلون مكان الحرف الذي بين الفاء والباء الفاء فقالوا الفرند والفندق وربما جعلوها باء فقالوا برند فالبدل مطرد في كل حرف ليس من حروفهم يبدل منهُ ما قرب منهُ من الحروف الاعجميَّة · والجهة الثانية ان يبقوا الكلمة على وزنها عند الامة ذات الشأن في وضعها كما فعلوا في الابريسم والاهليلج وكما فعلوا في كثير من الاعلام وقصدهم من ذلك ان لا يبقى هناك كبير فرق في النطق بين اللفظين الاصل الاعجمي وثنيه العربي حتى يكون الفهم والافهام اللهم الاَّ ما دعت اليهِ ضرورة العربي في النطق

جاء القرآن الكريم وهو البالغ من الفصاحة مبلغ الاعجاز ووصفهُ الله سبحانهُ بانهُ لسان عربي مبين فاستعمل كثيراً من الالفاظ التي عربتها العرب وهذا اقرار من الله سبحانهُ على طريقة التعريب

استعمل القسطاس والاستبرق والفردوس والمسك والكافور والزنجبيل والسندس والابريق والمشكاة واليم والطور وما شاكلها· وقد الف فيما عُرب واستعملهُ القرآن من الالفاظ استاذنا الحافظ اللغوي الشيخ حمزه فتح الله كتاباً جمع فيهِ من ذلك كثيراً· وقد نُقل عن ابن عباس ترجمان القرآن وكثير من التابعين واهل العلم والفقهاء ان هذه الالفاظ من لغات العجم سقطت الى العرب فاعربتها بالسنتها وحولتها عن الفاظ العجم الى الفاظها فصارت عربيَّة ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الكلمات بكلمات العرب وهذا الذي جعل لبعض اهل العربيَّة ان يقول ان القرآن خلو من كلام غير العرب لان ما رضيتهُ العرب من

الكلمات بعد تعريبهِ صار عربياً مبنياً وأُلحق باحرف اللغة فلا حرج في استعمالهِ بعد ·

ومما ازيدكم بهِ بياناً ايها السادة ان بعض الالفاظ التي عربها العرب موضوعة لاشياء تشابه ما لهُ اسم عربي ولكنهم اختاروا الاسم الاعجمي لدلالتهِ على شكل خاص للمسمى كما اخذوا كلمة ابريق وعندهم التامور واخذوا كلمة البط وعندهم الاوز للصغار والكبار واخذوا الهاون وعندهم المهراس والمحاز واخذوا الطاجن وعندهم المقلى والميزاب· وعندهم المثعب وهو مسيل الماء في الوادي والسكرّجة· وعندهم الصحفة· والمسك وعندهم المشموم· والجاسوس وعندهم الناطس· والاترج وعندهم المتك وذلك لاسباب قوية منها ان اللفظ الذي عندهم عام واللفظ الجديد خاص فتكون دلالة ما عندهم على المسمى ضعيفة

هذا هديهم قبل الاسلام—اما بعد الاسلام فان العرب حينما جدوا في العلوم وارادوا ان تكون اللغة العربية لغة علم كما هي لغة قوم ولغة دين ترجموا اليها كتب العلم التي وصلت اليهم من امم الروم والفرس واتبعوا تلك الطريقة نفسها فكانوا يأخذون اسماء الاجناس كما هي و يستعملونها في كتبهم و ينطقون بها كانها من لغتهم ووجد من هذا شيء كثير خصوصاً في الطب والحكمة والهندسة ولم يلتفتوا الى الرأي الذي يقول بالرجوع الى الوراء واستعمال الالفاظ التي اماتها الزمن لعدم صلاحيتها للاستعمال او المستعملة في معان اخرى

والفقهاء انفسهم لم يحجموا عن اخذ الالفاظ من غير اللغة العربية وتعريبها

يلزم من اتباع رأي التجوز مضار اهمها ان اللغة وضعت لتدل على ما في النفس حتى يفهم السامع تمام ما تريد واشتراك الالفاظ في المعاني مما يخل باصل المقصود· والتجوز لابد فيهِ من اقامة القرائن على ارادة ما استعمل اللفظ فيهِ وهذا وذاك كثيراً ما اوقفانا حيارى في فهم المراد من بعض الالفاظ فهل تريد بعد ذلك ان نضيف الى آلامنا آلاماً

يقولون ان الحق في التعريب انما كان لامة سلفت وبادت فلم يبقَ لها من اثر وان ما كان يباح للاعراب في بواديهم على قلة حاجهم لا يباح مثلهُ لنا في القرون المتأخرة على كثرة الحاج وهذا كلهُ بنوهُ على قاعدة لا اساس لها وهي تشبيه اللغة بالدين في التمام فكما ان الله سبحانهُ اتم دينهُ الذي انزلهُ على رسولهِ صلى الله عليهِ وسلم فكذلك العرب قد اتمت وضع لغتها ولم يبقَ من بعدهم من يحق لهُ ان يضيف اليها كلمة جديدة كما انهُ ليس لمسلم ان يضيف على دينهِ حكماً جديداً

لكن الفرق بين الامرين ظاهر فان الدين وضع الهي شرعهُ من لهُ حق التشريع والالزام وهو الله سبحانهُ واتم وضعهُ على قواعد راسخة واساس ثابت فلم يبقَ لاحد مجال ان

يزيد على هذه القواعد او ينقص منها اما اللغة فالمقصد منها الابانة والافصاح وهي من وضع الافراد تتجدد بتجدد الحاجات

وليس من قصدي ان ابحث الآن في امر اللغات أهي توقيفية ام وضعية فان ذلك مما فرغ منهُ العلماء وانتهى بهم البحث الى الرأي الثاني حتى ان كثيرًا من اصحاب الرأي الاول قالوا ان المراد بما وضع اولاً هو الكلمات التي تدل على مثل السماء والارض والهواء مما هو موجود منذ وجد الانسان اما ادعاء ان الالفاظ الدالة على المخترعات والمحدثات مما علّمهُ الانسان الاول آدم صلوات الله عليهِ فهو مكابرة للمحسوس

ومتى ثبت انها تتجدد بتجدد الحاجة فالمحتاج من المتمسكين بها متى علم اصولها ولهجتها لهُ حق التعريب بالضرورة كما كان هذا الحق لسلفهِ

ولا ادري ما الفرق بين من عُلّم اللغة تلقيناً من ابيهِ وامهِ وبين من عُلّمها من معلم غيرهما واعتادها بعد ذلك في كلامهِ وكتابتهِ حتى صارت لهُ ملكة يمكنهُ ان يقف ساعة فيخطب بها من غير ان يحيد عن طريقها ويكتب كتاباً صحيحاً يقرأ في ساعات او ايام

ان اخواني الذين يخالفونني في الرأي ويقولون بالتوسع في استعمال المفردات لا يجوّزون من تغيير الاوضاع والدلالات العربية

فهم بلا شك يتفقون معي في ان حق التغيير للحاجة ثابت لنا ومتى اتفقنا على نيل هذا الحق لم يبقَ الاّ التخيير بين سهل واسهل ومفيد وتام الافادة. ولا مراء في ان اللفظ الذي وضعهُ واضعهُ للدلالة على شيء اخترعهُ اسهل في الدلالة واتم في الافادة لانهُ وضع بازائهِ تماماً كما وضع لفظ الابريق بازاء تلك الاداة التي نعرفها بخلاف الكلمة التي نتصيدها من موات اللغة فانها اما ان تكون موضوعة لشيء هو اعم فنخصصها ويلزمنا ايجاد القرينة للدلالة على ما نريد فنحتاج الى لفظ وقرينة واما ان تكون مستعملة في شيء فيهِ مجرد مشابهة كما بين الاوتوموبيل والسيارة فنحتاج لاستعمال لفظ واحد للدلالة على معنيين اومعان كثيرة فالسيارة استعملت للدلالة على معنى هو القافلة او الركب فاذا قلت جاءَت سيارة هل يفهمني المخاطب بمجرد لفظي اظن لا بل لا بد مع ذلك من كلمة اخرى مبينة للمراد

لا ادري ما المانع من ان يدخل في اللغة ترام ويقال اترم ومترم كما قالوا لجام والجم وملجم

ان الكلمة التي نريد اصطيادها قد وضعها واضعها بالضرورة لتدل على معنى خاص فاذا نحن اخذناها واستعملناها في شيء جديد لم نكن قد جرينا على لغة العرب لاننا خالفنا اوضاعهم ومقاصدهم فهم وضعوا بشكى وجمزى مثلاً للناقة السريعة فاذا جعلنا كلمة منهما

بازاء الترام نكون بلا شك وضعنا وضعاً جديداً لم يسبقنا اليهِ سابق . واجتلاب مثل هذه الالفاظ بالنسبة لمحفوظ اللغة كوضع الفاظ جديدة مؤلفة من احرف اللغة فسيان في الاعتراض على رأيهم ان نقول للترام إشكي وان نقول لهُ ترام لانهما كلاهما استبداد بوضع اسم لمسمى لم يكن لهُ وجود قبل الآن الا ان وجه الضرر في الاول ظاهر كما يتضح وجه المنفعة في الثاني فانا في الاول نجري على خطة لا اساس لها مع وصف الخروج عن اوضاع المتقدمين وفي الثاني نجري على خطة اتبعها سلفنا مع الوضاحة التامة في الاسم والمسمى ولا ادري بعد ذلك ما الذي يدعونا الى تعسف الطرق لعلهم يرون في ذلك رأياً فيقولون انا باتباع الطريق الاول حافظنا على ما بين دفتي القواميس فلم نحد عنهُ قيد شبر ولم نخرج عما نطق بهِ العرب في بواديهم وفي ذلك من احترام الآباء واقناع الناس بغنى اللغة العربيَّة وثروتها حتى لا يهزأ بنا هازئ فيقول ان لغة تربو عدة كلماتها على الثمانين الفاً محتاجة الى ما يكملها و يسد ثلمة فيها

اما دعوى ان هذا محافظة على ما هو عندنا فغير صحيحة لانها انما تكون بالمحافظة على الاسم والمسمى الذي وضع اللفظ بازائهِ واذا لم نفعل ذلك كنا قد خيلنا على الناس تخييلاً لا قيمة لهُ وارتكبنا في التغيير من اوضاع القواميس ما لا يخفى لاننا اذا كتبنا لفظاً من هذه الالفاظ التي اخترنا التوسع فيها واستعمالها لشيء جديد أنذكر في قواميسنا معنييها القديم والحديث فنكون ابتدعنا واوقعنا السامع والمتعلم في حيرة ام نترك ذكر المعنى القديم ونقتصر على الحديث . ووصف هذا بالافساد في لغة المتقدمين واضح لا يحتاج الى بيان وخير منهُ ان نذكر لفظ ترام مثلاً بعد الاتفاق على لفظها ونذكر بجانبها معناها وانها مما عرب للدلالة عليهِ ونبين تاريخ تعريبها فيكون ما وضعهُ المتقدمون معروفاً وحدهُ وما الحقهُ باللغة المتأخرون معروفاً وحدهُ وهذه هي المحافظة الحقيقيَّة على ما ورثناهُ من سلفنا

واما ان يغتر مغتر بكثرة الفاظ اللغة حتى لا تحتاج الى مزيد ففيهِ غلطتان كبريان فان الثروة المزعومة لا نقول بها لانا ان طرحنا منها المترادف ما وجد معنا بعد ذلك اكثر من الثلث بهذا العدد فكثيرًا ما نجد المعنى الواحد لهُ اسمان فاكثر الى خمسمائة اسم كما قالوا في السيف والخمر والهر والعسل وما شاكل ذلك وهذه ليست بثروة

والثروة التي اسلّم بها انما هي في اسماء المعاني وليست داخلة في موضوع بحثنا

واما عدم الحاجة الى مزيد فهذا لا تدعيهِ لغة من لغات الامم الحية لان الامم كما كثرت حاجاتها وتجددت اضطرت الى المزيد من الالفاظ في اللغة وهذا هو سر الحركة الدائمة في لغات الافرنج ترون مجامعهم في شغل دائم لا يأنفون ان يجدوا يوماً ما في لغتهم كلمة زائدة

دلت على معنى جديد واكثر احوالهم الاستعارة من غير لغتهم. واذا كنا نرى عقولنا قد وقفت عن الاختراع فانا نرى انفسنا في حاجة الى استعمال مخترعات المخترعين والتعبير عنها

نرى رجال الجرائد وهم الذين يرجع اليهم معظم الامر في الاحياء والاماتة للالفاظ قد عرض عليهم في بعض الاوقات كثير من الالفاظ فهجروهُ واستمروا على استعمال ما وضعهُ الواضعون في جرائدهم فلا يزالون يستعملون تلفون مع انهُ قد ترجم لهم بكلمة مسرة ولم ارها في جريدة من الجرائد يوماً واحداً ويستعملون اوتوموبيل ولا يستعملون سيارة لئلا يختلط عليهم الامر بين السيارات السماوية والسيارات الارضية الى كثير مما يماثل ذلك وهذا اعتراف منهم او على الاقل شعور بان طريقة الترجمة والتوسع ضررها اكثر من نفعها وان طريق التعريب اوضح مسلكاً

النتيجة

بعد ان بينت لحضراتكم ما قام في نفسي على لزوم السير في طريق التعريب اقدم لحضراتكم مقترحي حتى تتناولوهُ بالبحث لتمحص الحق

(١) تكوين مجمع يعهد اليهِ التعريب ينتظم ممن حيث فيهِ ملكة اللغة والعربية ومهر في معرفة مفرداتها ولهجاتها وانما لزم وجود المجمع لانهُ لا ضرر علينا وعلى لغتنا اشد من استبداد الفرد بالوضع او التعريب اذ هو مدعاة للاختلاف وهو اضر شيء

(٢) ان يكون اختصاصهُ محصوراً في دائرة اسماء الاجناس والاعلام فاذا جاءهُ مسمى حديث او رأى شيئاً حديثاً مما هو موجود بيننا ولم يسبق ان وضع لهُ لفظ ورأى ان في اللغة لفظاً دالاً عليهِ بنفسهِ أطلقهُ عليهِ والاَّ عرب الكلمة الاعجمية وصيرها موافقة لاوزان العرب سهلة على السنتهم واتفق على حروفها وشكل كتابتها واخرجها للناس بواسطة الجرائد التي هي الحاكمة حكم رجال عكاظ في العصر الاول وهي الواسطة في التعليم والاظهار

والواسطة الثانية رجال التعليم الذين اليهم ينظر من عندهُ امل في تحسين اللغة واصلاحها وخصوصاً معلمي العربية منهم

(٣) ان يكون للمجمع سجل تقيد فيهِ هذه الكلمات وازاءها مسمياتها موضحة تمام التوضيح واحسن ذلك ما كان بالرسم وتشكيل المسمى ويكتب امامها التاريخ الذي وضعت فيهِ واذا كتب قاموس من القواميس حسب هذه الالفاظ بصفتها ملحقات للكلمات العربية ويكتب معها تاريخ تعريبها لكي يبقى الاصل محفوظاً على حدة والمعرب وحدهُ على حدة

هذا ما امكنني ان اوردهُ لحضراتكم ايها السادة في هذا الامر العظيم راجياً ان تنظروا

اليهِ بعين عنايتكم حتى تخلصونا من شر نحن فيهِ وانا وانتم محسون بهِ ولا تجعلونا في هذا الدور من ادوار الحياة كالغريق يتلمس ما يخلصهُ ولا يجدهُ محمود الحضري

المدرس بمدرسة القضاء الشرعي

العقل والدماغ

الانسان وهو على الفطرة لا يحسب ان لدماغهِ اقل فائدة . رجلهُ يمشي عليها ويدهُ يتناول بها وفمهُ وانفهُ وعيناهُ واذناهُ لكلٍّ منها عمل ظاهر وفائدة لا تخفى . وقد لا يخفى عليهِ ان لكلٍّ من معدتهِ وامعائهِ وقلبهِ ورئتيهِ اعمالاً خاصة بها لانهُ يشعر بحركاتها واما دماغهُ فمحجوب عن نظرهِ فلا يراهُ ولا يشعر بهِ فلا يعلم من امورهِ شيئاً حتى ان الفيلسوف ارسطوطاليس على علو كعبهِ في العلم والفلسفة جهل وظيفة الدماغ مع انهُ عرف وظائف اكثر الاعضاء

وبقيت وظائف الدماغ محجوبة عن ادراك العلماء الى ان قام جالينوس الطبيب في القرن الثاني بعد المسيح وبين ان الدماغ مركز القوى العاقلة . وشاع قولهُ ووافقهُ عليهِ علماء اليونان والرومان وتابعهُ علماء العرب الذين ترجموا كتبهُ فنرى في كتاب عجائب المخلوقات للامام القزويني كلاماً في هذا الموضوع قال فيهِ ان الحس المشترك قوة في مقدَّم الدماغ والوهم قوة في وسط الدماغ والحافظة قوة في مؤخر الدماغ . وقال ابن سينا في القانون ان الحس المشترك والخيال مبدأ فعلهما البطن المقدَّم من الدماغ . والمفكرة او المتخيلة مسكنها البطن الاوسط من الدماغ . والحافظة موضعها البطن المؤخر من بطون الدماغ

ثم غاض معين العلم واكتفى الناس بالنقل والمتابعة في الشرق والغرب الى ان نهضت اوربا نهضتها الاخيرة وفك علماؤُها قيود التقليد وبحثوا عن وظائف اعضاء الجسد بحث المحققين فانجلى لهم كثير من الغوامض ووضعوا علم الفسيولوجيا الحديث اي علم وظائف الاعضاء

الا ان علماء هذا العلم تأخروا في اكتشاف وظائف الدماغ لانهم كانوا يقتصرون على البحث في ادمغة الحيوانات كالكلاب والقرود ولا يبحثون في ادمغة الناس . ثم انتبه الاطباء الى ان آفة تعتري المخ في جهة من جهاتهِ فتتعطَّل بسبب ذلك وظيفة عضو من اعضاء الجسد او قوة من القوى العقلية فاستنتجوا ان مركز تلك الوظيفة او تلك القوة في الجزء الذي تعطَّل من المخ . مثال ذلك قوة النطق الخاصة بالانسان فانها تتعطل اذا ايف الدماغ في

جزء معلوم منهُ . قال الدكتور وليم هنا طمسن أُتيت بانسان فقد النطق تماماً وبقي يسمع ما يقال لهُ ويقرأ ما يقع نظرهُ عليهِ ولو لم يستطع التلفظ بهِ . وقال ذووهُ انهُ اختصم مع انسان آخر فوكزهُ هذا في عينهِ بشمسيَّة كانت في يدهِ فخرس لساعتهِ ولم يعد يستطيع النطق مع ان عينهُ لم تصب بمكروه . كأن الضربة تخطَّت عينهُ من اعلاها وبلغ تأثيرها دماغهُ حيث مركز قوة النطق وهذا المركز ملاصق لكرة العين يفصل بينهما عظم رقيق جدًّا في اعلى وقب العين .
وبينما كنت اشرح قصتهُ لتلامذة الطب رأى احدهم وفي يدهِ شمسية فاشار اليها بيدهِ واخذت الدموع تهطل من عينيهِ . وبقي هذا الرجل اخرس لم تعد اليهِ قوة النطق في ما اعلم

وقد ثبت ان هناك مركز النطق او التكلم لان كل الذين اصيبوا بآفة في ذلك المركز فقدوا النطق وكل الذين اصيبوا بآفات في اماكن اخرى من ادمغتهم لم يفقدوا النطق

وايضاحاً لذلك شبَّه الدكتور طمسن الدماغ بمخزن كبير فيهِ غرف مختلفة مفصول بعضها عن بعض وفي كلٍّ منها نوع خاص من البضاعة وانبوب يجري فيهِ الماءُ فاذا انبثق انبوب في غرفة من هذه الغرف فان الماء ينفجر منهُ ويتلف ما فيها من البضاعة اما باقي الغرف فتبقى بضائعها سليمة لانها مفصولة عن هذه الغرفة ولان انابيب الماء فيها بقيت سليمة . وهكذا الدماغ فانهُ اجزاءٌ مختلفة وفي كل جزء منها شرايين دموية لتغذيتهِ . وتقوم سلامة الدماغ بوصول الغذاء الكافي اليهِ من الدم ويكون الدم في هذه الشرايين مضغوطاً ضغطاً شديداً حتى اذا انبثق شريان منها نشب الدم منهُ الى بعد شاسع . فاذا ضعف جدار شريان من شرايين الدماغ بسبب مرض مزمن في الكليتين فانشق فان الدم ينبثق منهُ بقوة ويشق الغلاف الرقيق الذي يغلف المادة الدماغية المجاورة لهُ فيعطل وظيفتها

وكان اكتشاف مركز النطق في الدماغ فاتحة بحث جديد واكتشافات باهرة ثم اتضح ان للنطق ثلاثة مراكز منفصلة بعضها عن بعض احدها في القسم السمعي من الدماغ حيث تسجل الكلمات التي تدخل الدماغ بالسمع والثاني في القسم البصري حيث تسجل الكلمات التي تدخل الدماغ بالنظر في القراءة والثالث في القسم الحركي وهو المتسلط على تحريك الحلق واللسان والشفتين لاجل النطق وهذا هو المركز الذي ايف في الرجل المشار اليهِ آنفاً

قال الدكتور طمسن دعيت مرَّة لاشاهد امرأة نامت سليمة ونهضت في الصباح وهي لا تستطيع ان تقرأ كلمة وقد ظننت اولاً ان العلة في عينيها ولكنها كانت ترى كل ما في غرفتها جيداً . وامتحنت قوتها في النطق فوجدت انها تسمع جيداً وتتكلم وتفصح على جاري عادتها ولكن مركز القراءة في دماغها ايف وهي نائمة بجلطة دموية في الشريان

الذي يرد بهِ الدم الى ذلك المركز ففقدت قوة القراءة تماماً ولم تسترجعها بعد ذلك ثم اصيبت بالسكتة الدماغية بعد سنتين وماتت بها

قال وقد يصاب مركز او اكثر من مراكز النطق دفعة واحدة فقد شاهدتُ رجلاً استيقظ ذات يوم وهو فاقد قوة النطق وقوة القراءة لكنهُ بقي يسمع ما يقال لهُ ويفهمهُ . واتضح من ذلك ان لحفظ الارقام العددية وكتابتها وقراءتها مراكز اخرى غير المراكز التي تحفظ فيها الكلمات ويتلفظ بها فان هذا الرجل بقي يكتب الارقام الحسابية ويقرأها جيداً ويعمل كل اعمال الحساب كما كان يعملها قبلما فقد النطق . وبقي يدير اعمالهُ التجارية وهو اخرس لا يستطيع ان ينطق بكلمة ولا ان يقرأ حرفاً

وثبت ايضاً ان العلامات الموسيقيَّة تحفظ في اماكن من الدماغ غير الاماكن التي تحفظ فيها الكلمات والارقام لان بعض الموسيقيين الماهرين فقدوا بغتة قوة قراءة العلامات الموسيقيَّة ولم يفقدوا قوة القراءة والكتابة . وغيرهم من الموسيقيين فقدوا قوة القراءة والكتابة ولم يفقدوا قوة قراءة العلامات الموسيقيَّة

واتضح من البحث في احوال الذين اصيبوا بآفات اعدمتهم النطق ان الكلمات تترتب في الدماغ ترتيب الكتب في رفوف المكتبة فاذا تعلَّم الانسان لغةً جديدة اضطرَّ ان يهيّئ لها رفّاً في دماغهِ يرتب كلماتها فيهِ . من ذلك ان رجلاً انكليزيًّا تعلَّم الفرنسوية واللاتينيَّة واليونانية ثم اصابتهُ آفة في دماغهِ افقدتهُ القوة على قراءة لغتهِ الانكليزية لكنهُ بقي يقرأُ الفرنسوية واللاتينية واليونانية . اما قراءتهُ للفرنسوية فصارت كثيرة الخطإِ وصار يخطئُ في قراءتهِ للاتينيَّة ايضاً ولكن خطأَهُ فيها اقل من خطإِهِ في قراءة الفرنسوية وبقي يقرأُ اليونانيَّة من غير خطإٍ كأَن الرف الذي فيهِ الكلمات الانكليزية تلف كلهُ اما الرفوف الثلاثة الباقية فلم تتلف ولكن كان على رف اللغة الانكليزية كثير من الكلمات الفرنسوية وقليل من الكلمات اللاتينيَّة فنسي الكثير من الفرنسوية والقليل من اللاتينيَّة . هذا تعليلنا لهذه الحادثة . اما الاستاذ طمسن فعللها بان رف اللغة الفرنسوية تلف كثيراً ورف اللغة اللاتينية تلف قليلاً ورف اللغة اليونانية لم يتلف منهُ شيءٌ

وظهر من حوادث اخرى ان كلمات اللغة الواحدة تترتب حسب اقسامها اللغويَّة فتكون الافعال في آخر الرف من الداخل وامامها الضمائر ثم حروف الجر ثم الظروف ثم الاسماء . قال الدكتور طمسن اتاني رجل لا يستطيع ان ينطق بكلمة فتراءى لي ان ورماً كالخراج تولد في دماغهِ حيث مراكز النطق وانهُ يمكن امتصاصهُ اذا عولج

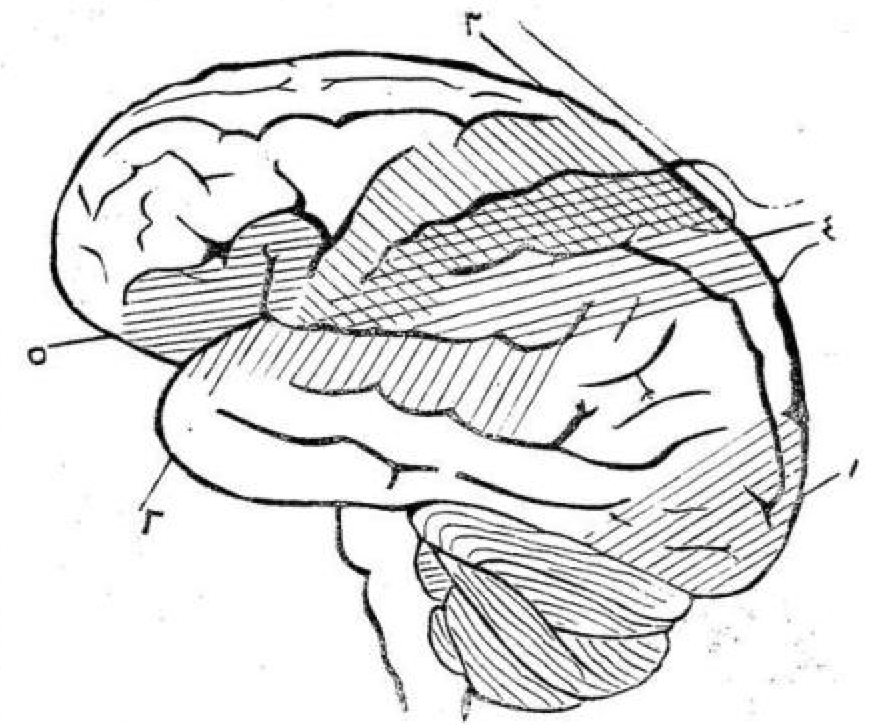
يوديد البوتاسيوم . ثم ابعدتُ عنهُ واخبرتُ الذين حولي على غير مسمع منهُ انهُ اذا شفي من هذا الورم وعادت اليهِ قوة النطق فاول ما ينطق بهِ الافعال وآخر ما ينطق بهِ الاسماء . ثم جاءني بعد اسبوعين وكان قد شرع ينطق فأريتهُ سكيناً فقال "تقطع" وأريتهُ قلماً فقال "تكتب" . ثم جاءني بعد ثلاثة اسابيع فرأيتهُ يتلفظ بالافعال وبحروف الجر . وبقي اسابيع عديدة لا ينطق باسم من الاسماء وسبب ذلك ان الافعال هي اول شيء نتعلمهُ فهي ارسخ في نفوسنا من كل اقسام الكلام

والذين شاهدوا الدماغ ولو دماغ خروف او عجل رأوا ان قسميهِ الايمن والايسر متماثلان تماماً وكذلك دماغ الانسان كأن للحيوان والانسان في جملتهِ دماغين كما ان لهُ يدين ورجلين وعينين واذنين ومنخرين ووجهين . ومما يقضي بالعجب ان مراكز العقل موجودة في نصف واحد فقط من نصفي دماغ الانسان فاذا كان اعسر فمراكز قواه العقلية في النصف الايمن من دماغهِ واذا كان عادياً اي يستعمل يدهُ اليمنى كما هو الغالب فمراكز قواهُ العقلية في النصف الايسر من دماغهِ . واكثر الناس يستعملون يدهم اليمنى فمراكز عقولهم في الجهة اليسرى من ادمغتهم وهي التي تفتكر وتستدل وتستنتج واما الجهات اليمنى من الدماغ فعاطلة من القوى العقلية . وهذا يفسر لنا كيف ينزع جانب كبير من الدماغ في بعض الآفات او العمليات الجراحية ويبقى العقل سليماً لان العقل لا يكون في القسم الذي نزع بل في القسم الآخر . بل ان بعض الناس عاشوا سليمي العقل بعد نزع نصف دماغهم وما ذلك الّا لان العقل كان في النصف الآخر

والظاهر ان سبب ذلك هو ان الطفل يولد ودماغهُ لا يعقل شيئاً اي ليس فيهِ شيء من المعلومات الاكتسابية ثم تأخذ المؤثرات تؤثر فيهِ الواحد بعد الآخر وتنطبع آثارها ولا فرق في اول الامر بين ان تنطبع في الجهة اليمنى او اليسرى من دماغهِ كيفما اتفق . ومن المحتمل انها لا تأخذ جهة واحدة في اول الامر بل تنطبع هنا مرة وهناك مرة كيفما اتفق ثم يأخذ الطفل يستعمل يدهُ اليمنى واعصابها آتية من الجهة اليسرى من الدماغ كما لا يخفى فتصير المدركات باللمس تنتقل الى تلك الجهة وتنطبع فيها ويتبعها غيرها من المؤثرات . ولو استعمل يدهُ اليسرى اولاً لذهبت التأثيرات الى الجانب الايمن من دماغهِ وانطبعت فيهِ . ومعلوم ان الطفل يتكلم اولاً بالاشارات ثم يتبعها النطق بالكلام فيسير تأثير النطق الى حيث سبقهُ تأثير الاشارات لا سيما وان المركز الدماغي الذي يحرك اليد مجاور للمراكز التي تحرك عضلات الوجه واللسان والشفتين . ومتى تكونت المراكز التي تنطبع فيها الكلمات تلتها

المراكز التي تنطبع فيها الافكار لان التفكير متصل بالنطق او ناتج عنهُ

ولنلتفت الآن الى الرجل المشار اليهِ في اول هذه المقالة اي الذي فَقَدَ قوة النطق لان طرف الشمسية وخزهُ في اعلى عينهِ فان الوخزة اثرت في التلفيف المسمَّى تلفيف بروكا من تلافيف دماغهِ . وفي النصف الايمن من دماغ ذلك الرجل تلفيف آخر مثل التلفيف الذي ايف وهذا التلفيف بقي سليماً فلماذا لم يقم مقام التلفيف الذي إيف والجواب ان اجزاء



الدماغ مثل صفائح الفونوغراف فاذا كان عندك صفيحتان ارتسم على احداهما كلام احد الخطباء ولم يرتسم على الاخرى شيءٌ ثم اتلفت الاولى فهل تقوم الثانية مقامها لو وضعت في الفونوغراف وهي خالية من آثار الكلام كلاَّ . وكذا اجزاء الدماغ الخالية من اثر المؤثرات على انواعها فانها لا تقوم مقام الاجزاء التي فيها آثار تلك المؤثرات . وقد يحدث ان يفقد الانسان بصرهُ وعيناهُ سليمتان كما يفقد النطق وفمهُ ولسانهُ وشفتاهُ سليمة كلها او يفقد السمع واذناهُ سليمتان وما ذلك الاَّ لأنَّ آفةً اصابت مركز البصر او النطق او السمع في دماغهِ

ترى في هذا الرسم صورة النصف الايسر من الدماغ فحيث الرقم ١ في مؤخر الدماغ

فوق المخيخ مركز النظر وحيث الرقم ٢ مركز السمع وحيث الرقم ٣ في اعالي الدماغ مركز الحركة وحيث الرقم ٤ مركز اللمس وحيث الرقم ٥ او تحتهُ قليلاً مركزا الشم والذوق

وهذه المراكز موجودة طبيعيةً في نصفي الدماغ الايمن والايسر على حدٍّ سوى وهي تولد مع الطفل او تكون في دماغهِ منذ ولادتهِ فاذا كبر وبلغ اشدَّهُ وزادت معارفهُ تولَّدت في دماغهِ مراكز جديدة فيصير للنظر مراكز مختلفة بعضها لصور الاشباح وبعضها لصور الكلمات وبعضها لصور الارقام وهلمَّ جرًّا . وكذلك يصير للسمع مراكز مختلفة بعضها لاصوات الكلمات وبعضها لاصوات الانغام وبعضها لاصوات المواد وهلمَّ جرًّا . فاذا سمعت رجلاً يتكلم بلغة اجنبيَّة لا تعرفها تسمع اصواتهُ بمركز السمع الطبيعي فتحسبها كلها واحدة او متشابهة وقلما تسمع فرقاً بينها لان ليس لكلماتها مراكز في دماغك ولكنك اذا تعلمت تلك اللغة تصير تميز بين كل صوت وآخر وكل كلمة واخرى كأن مراكز جديدة تولَّدت لها في دماغك فتتأثر من سماع اصواتها وكلماتها . وهذه المراكز الجديدة تتولَّد حول المراكز الطبيعية فمراكز السمع تتولد حول مركز السمع الطبيعي او في جوارهِ ومراكز البصر تتولد حول مركز البصر الطبيعي او في جوارهِ وهلمَّ جرًّا ولكنها لا تتولَّد في نصفي الدماغ معاً بل في نصف واحد فقط وهو النصف الايسر الاَّ اذا كان الانسان اعسر فانها تتولد حينئذٍ في النصف الايمن

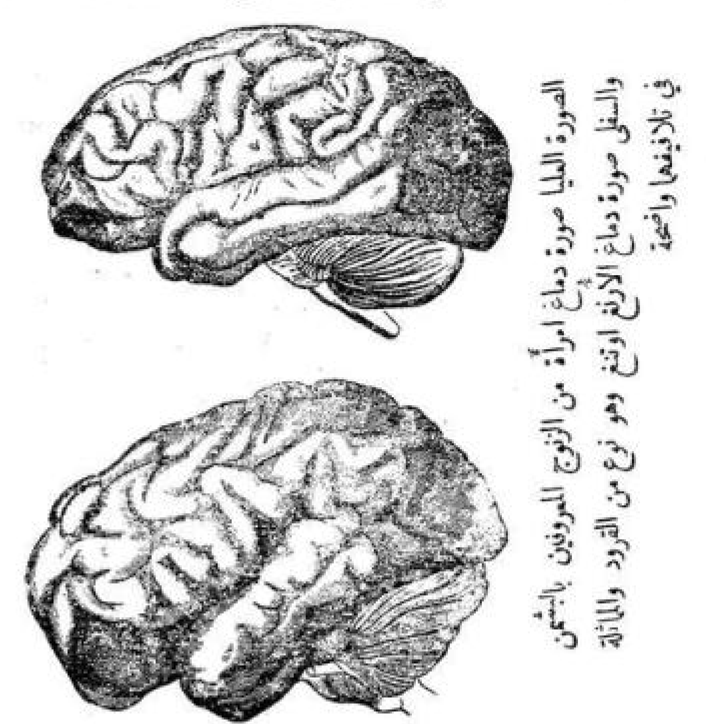
فكل ما نولد بهِ من القوى والمشاعر توجد مراكزهُ في نصفي الدماغ على حدٍّ سوى وهي تتسلط على الحس والحركة واما ما نكتسبهُ اكتساباً فتتولد مراكزهُ في الجانب الايسر او الايمن من ادمغتنا حسب استعمالنا اليد اليمنى او اليسرى

ولكن اذا عرض عارض للجانب الايسر من الدماغ مثلاً فاتلف بهِ مركز النطق وفقد الانسان نطقهُ وكان لا يزال ولداً صغير السن لم يتعذَّر عليهِ تقوية مركز النطق الذي على الجانب الايمن من دماغهِ فيسترد ذلك الولد قوة النطق

واذا اتفق ان ارجي الانسان اعسر فليس من الحكمة منعهُ عن استعمال يدهِ اليسرى وحثهُ على استعمال اليمنى بعد ان يصير قادراً على الكلام لئلاً تتشوش مراكز دماغهِ ولا يعود قادراً على النطق او على الافصاح كالغراب الذي اراد ان يتعلم مشية الحجل فنسي مشيتهُ الاولى ولم يتعلم الثانية

قلنا ان الانسان يولد وفي دماغهِ مراكز طبيعية مختلفة متسلطة على الحس والحركة وهو من هذا القبيل مثل سائر الحيوانات فانها كلها تحس وتتحرك وفي ادمغتها او اعصابها مراكز للحركة ومراكز للحس او الشعور فمراكز الحركة تحرك اعضاءها ومراكز الحس او الشعور تحس

او تشعر بالمؤثرات الخارجية او الداخلية ودماغ الانسان لا يفرق عن ادمغتها من هذا القبيل · فقد اثبت الاستاذ هكسلي ان ليس في دماغ الانسان تلفيف مفقود من دماغ



الصورة العليا صورة دماغ امرأة من الزنوج المعروفين بالبشمن والسفلى صورة دماغ الاورنغ اوتنغ وهو نوع من القرود والتلافيف فيهما واضحة

الشمبنزي من انواع القرود فكيف تتولد المراكز الجديدة المميزة لدماغ الانسان عن ادمغة غيره من انواع الحيوان فيصير ناطقاً حاسباً مفكراً مخترعاً والجواب انها تتولد بالمزاولة كما يحدث في تعلّم لغة جديدة فاذا اردت ان تتعلم الفرنسوية مثلاً فلا تستطيع ان تستأجر احداً ليتعب في تعلمها عنك كما تستأجر رجلاً يبني لك بيتاً فيبنيهِ ولا تستطيع ان تتعلمها بمجرد التفكير فيها كما تحل المسائل الحسابيَّة بالتفكير فيها بل لا بدَّ لك ان تعكف على تعلمها بنفسك كلمة كلمةً وجملة جملةً و يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر حتى تنطبع كل كلمة من كلماتها في دماغك اي حتى يصير لها اثر خاص في الدماغ تشعر بهِ الذاكرة او يشعر بهِ العقل · وهذا العمل شاق جدًّا ولا سيما بعد ان يكبر الانسان ما لم تشغل مراكز دماغهِ بمؤثرات لغوية فانها تستسهل حفظ المؤثرات الجديدة لما بين الاولى والثانية من التشابه · والفاعل الاكبر في ذلك هو ارادة الانسان فهي التي تمكنهُ من التعلم والحفظ وكأنها خارجة عن عقلهِ ومسلطة عليهِ

الاطيان والضرائب بالقطر المصري (١)

قصيدة

وقفتُ وما لي في الخطابة موقفٌ ولا انا ممن تجتبيهِ المنابرُ
ولكن لمثلي اذ اقرّ بعجزهِ امام كرام قد تصحُّ المعاذرُ
وقفتُ وقلبي ملؤهُ الحبّ والوفا لابناء مصر وهو بالودّ عامرُ
وقفتُ لأُبدي في الاراضي مقالةً تشفُّ عن الماضي فيدرك حاضرُ
وليس لقولي في السياسة مغمزٌ ولا انا فيهِ للخرافات ذاكرُ
وقفتُ بحيث الفضل حطّ رحالهُ وحيث محيطاتُ العلوم زواخرُ
وحيث سماءٌ للمعارف اشرقت بها من بني مصر نجومٌ زواهرُ
شبيبتها بل هي دعائمُ مجدها ومن بمزاياهم تشاد المفاخرُ
واني طروب اذ افوه بمدحهم واني ولوع ان تزيدَ البشائرُ
يهنئُ قلبي أمتي بسرورها بمستقبل دلّت عليهِ البوادرُ
وأُهدي لمن قامت بحكم رعيهم ادارة ذا النادي الثنا وهو عاطرُ
فقد صار روضاً للفضائل يانعاً شبيبةُ مصر في فناه ازاهرُ
وفاه لسانُ الحال منهُ وقولهُ زهوتُ فاعضائي — بلطفي — تفاخرُ
فيا ناديًا قد ظلَّ للعلم مجمعاً لقد حار في غاياتِ وصفك زائرُ
وكيف يُداني كُنه وصفك بعد ما اظلتك من عباس حلمي مآثرُ
مليكٌ لهُ فضلٌ على العلم اذ غدت بهِ تضرب الامثال وهي سوائرُ
فلا زالت الافواه تتلو صنيعهُ فتزهو بذكرى ما يتيلُ المنابرُ
ولا برح الاقبال عبد سموّهِ وانجالهُ ما لاح في الافق زاهرُ
واني لراجٍ يا أُولي الفضل عفوكم اذا فرَطَت في القول مني بوادرُ

ينقسم موضوع هذا الخطاب الى ثلاثة اقسام وهي — الاول في الاطيان — والثاني في كيفية تقدير الضرائب وترتيبها على الاطيان والاسباب التي بنى عليها رفعها عنها — والثالث في كيفية جباية الضرائب

(١) انشاها حضرة الباحث المحقق جرجس بك حنين مدير الاموال المقررة في نظارة المالية المصرية ليتلوها في نادي المدارس العليا

القسم الاول

ان علماء الجغرافية يقدرون مساحة اراضي القطر المصري باربعمائة الف ميل مربع . وهذا المقدار يوازي مائتين وسبعة واربعين مليوناً من الفدادين التي عبرة كل منها ٤٢٠٠ متر مربع وكسور وهي جميع الاراضي الكائنة في الحدود التي تؤدي الحكومة المصرية عنها خراجاً للدولة العلية العثمانية بمقدار ٦٥٨١٢٥ جنيهاً مصرياً او ٧٥٠٠٠٠ ليرة عثمانية سنوياً . اما هذه الحدود فهي في الشمال من الشرق العريش ومن الغرب حدود برقة وفي الجنوب من الشرق هيكل ادندان ومن الغرب ناحية فَرَس . وذلك يشمل طبعاً مساحة الصحاري والقفار والبراري والجبال . اما الاراضي العامرة وهي المعروفة بوادي النيل فالمحصور منها الى الآن لم يزد عن ثمانية ملايين فدان موزعة على ثلاثة آلاف وستمائة واثنين وتسعين مدينة وقرية يتبعها ثمانية عشر الف واربعمائة عزبة وكفر . من ذلك مليون ونصف مليون فدان اطيان باقية على ذمة الحكومة . وثلاثمائة الف وعشرة آلاف فدان مستعملة في المنافع العمومية . والباقي الذي تدفع عنهُ الضرائب هو خمسة ملايين وثمانمائة الف فدان . ويبلغ مجموع ما يدفع عنها من الضرائب بحسب تقدير سنة ١٩٠٨ ٥٠٦٣٠٠٠ جنيه مصري على متوسط ثلاثة وتسعين قرشاً عن كل فدان

ولم يكن يبلغ مقدار ما يدفع عنهُ ضرائب في سنة ١٨٠٥ اكثر من مليونين ونصف مليون فدان . ذلك لان انتشار الاوبئة وتوالي الشراقي والانقسامات الداخلية والحروب الخارجية وتغلب الجهل واستبداد الحكام وفساد الاحكام هبطت بالبلاد الى مهاوي الخراب فمن ذلك ما يرويهِ بعض المؤرخين مثلاً عن اقليم الفيوم انهُ كان يحتوي ثلاثمائة وستين قرية على ثلاثة اقسام احدها يسمى الريان والثاني يسمى وردان والثالث الفيوم وقد خرب الاول بانكسار السد المعروف بحائط المنيا واندفاع ما كان وراءهُ من المياه التي اغرقت وادي الريان وخرب الثاني واكثر الثالث حتى لم يبقَ الأ ستة وثمانون بلداً . وهكذا كان الحال في اكثر البلاد الى بداية عصر المرحوم محمد علي باشا فاهتم باحياء الارض الموات وتابعهُ في ذلك خلفاؤهُ حتى بلغ مقدار الارض العامرة في المائة سنة الماضية اكثر من ثلاثة اضعاف ما كان عليهِ مقدارها على ارجلاء الفرنساويين عن مصر. ولتمام الفائدة نأتي في ما يلي على توضيح بعض الوسائط التي استعملت لذلك وهي

اولاً . انعم محمد علي بقسم من الاراضي الموات على ارباب الطبقة العالية من اصحاب

الثروة لكي يستعمروها و يستثمروها ولم يقتصر في ترغيبهم في ذلك على مجرد اعطائهم الارض مجاناً بل اضاف الى ذلك اعفاءها من كل ضريبة وسماها رزقة بلا مال وظلوا متمتعين بها ومتنعمين بايراداتها غنيمة باردة مدة خمس واربعين سنة الى ان تولى الاحكام المغفور له محمد سعيد باشا وحينئذٍ قررت الحكومة تكليف اربابها بان يؤدوا للحكومة عشر غلاتها عيناً ولكنها اي الحكومة لم تنجح في هذه الطريقة لسبب ما اعترضها من المتاعب والمشاكل ولذلك استبدلت قيمة ذلك العشر بضريبة نقدية سنوية فرضتها على كل فدان بدرجات ثلاث متفاوتة وهي الضريبة التي عرفت بالعشورية وسميت الاطيان المقررة عليها عشورية تبعاً لذلك

ثانياً . لما رجع العربان من المهاجرة التي فيها كانوا أُجلوا عن البلاد بخيلهم ورجلهم على اثر البطش والفتك والتمثيل الذي حاق بهم بامر المرحوم سعيد باشا في سنة ١٢٧٢ هجرية ارادت الحكومة تعويدهم على الشغل بالزراعة ليرتزقوا منها بدلاً مما كانوا يألفونهُ من الغزوات والسلب والنهب والعبث بالامن العام فاعطتهم اطياناً واسعة في الشرقية بنوع خاص وفي بعض جهات اخرى من براري الغربية والبحيرة والجيزة والفيوم والمنيا وغيرها

ثالثاً . في سنة ١٢٨٣ هجرية قرّرت الحكومة بناء على طلب مجلس شورى النوّاب اعطاء اراضي البراري مجاناً لمن يرغب في امتلاكها على شرط ان يتعهد باصلاحها واستعمارها وأُعطيت بمقتضى هذا القرار اطيان واسعة في عدة جهات وأُعفيت من الضرائب خمس عشرة سنة

رابعاً . لما انحلّت في سنة ١٢٨٤ اورط الجيش التركي المصري المعروفة باراديّ الباشبوزق وخافت الحكومة من ان يكون وجودهم بلا عمل سبباً للعبث بالأمن اعطتهم اراضي لكي يعمروها و يعيشوا من ايرادها فاعطت عشرة افدنة للعسكري غير المتزوج وعشرين فداناً للمتزوج المجرد من الاولاد وثلاثين فداناً لمن لهُ اولاد و يتبع ذلك ما يلزم للبناء من الطوب والعمارة وما يلزم للارض من البذار

خامساً . جاء الى مصر بعض المهندسين الفرنساويين وطلبوا الى الحكومة اعطاءهم اثنين وعشرين الف فدان من براري بسنتاواي في البحيرة لكي يصلحوها بالوسائط الهندسية العصرية وتصير ملكاً لهم فأُجيب طلبهم الى ذلك في سنة ١٨٧٩ وهي الاراضي التي عرفت باسم شركة الكوم الاخضر

سادساً . في سنة ١٨٨٤ افرنكية قررت الحكومة اعطاء الاراضي غير المحصورة المعروفة

بخارج الزمام مجاناً لمن يرغب في اخذها واصلاحها مع اعفائها من الضرائب مدة عشر سنوات وبناء على ذلك اعطيت اراضي كثيرة جدًّا وفي جملتها المنطقة التي حفرت لريها في سنة ١٨٨٦ الترعة التي سميت النوبارية نسبة الى المرحوم نوبار باشا رئيس النظار يومئذٍ صاحب ذلك المشروع

سابعاً . وفي سنة ١٨٩٤ افرنكية قررت الحكومة اعطاء اراضي البرك والمستنقعات مجاناً لمن يرغب في ردمها وتجفيفها مساعدة لحفظ الصحة العمومية

ثامناً . باعت الحكومة الآلاف المؤلفة من الاطيان البور بمديريتي الشرقية والبحيرة باثمان واطئة جدًّا وبعضها بالتقسيط — فضلاً عما باعتهُ لارباب المعاشات وما ابتاعتهُ من الدومين لارباب المعاشات ايضاً مما كان الكثير منهُ في عداد الارض البور الموات واصبح بفضل الاصلاحات من احسن واجود الاطيان

تاسعاً . عند مساحة فك الزمام العمومي وُجدت زيادات كثيرة في اطيان اكثر الناس فمنحتهم حق امتلاكها مجاناً ما عدا الذي كان ظهورهُ ناشئاً من الجور والتعدي على اطيان الحكومة المجاورة

عاشراً . وعند مساحة فك الزمام العمومي ايضاً وُجدت جملة اجزاء صغيرة من املاك الحكومة متخللة املاك الافراد فمنحتهم حق امتلاكها في مقابل اداء ضرائب ثلاث سنوات عنها — وعدا ذلك اعطت من اطيانها تعويضاً عما ظهر ناقصاً من اطيان الافراد الملاصقة لاطيانها

فكل هذه الوسائط وغيرها مما لم يرد في الذاكرة الآن كانت سبباً في ايجاد نهضة غير اعتيادية عمرانية زراعية مالية زادت في ثروة البلاد وايرادات الحكومة

وقد ينتج من توزيع الثمانية الملايين من الافدنة على مجموع سكان القطر المصري بحسب احصاء سنة ١٨٩٧ ان كل ٢٢٠ نفساً يخصها مائة فدان ويقال ان هذه النسبة لا نظير لها في اي مملكة من ممالك اوربا . وبتوزيع مساحة الارض التي تؤدي ضريبة يخص كل مائة نفس ثمانية وخمسون فداناً على ان حقيقة عدد المالكين للارض هو ١٢٣٠٥٨١ على متوسط خمسة افدنة تقريباً لكل نفس او خمسمائة فدان لكل مائة نفس — وهذا العدد من مالكي الاطيان منهُ ٨٨ في المائة يملك كلٌّ منهم خمسة افدنة فاقل وكمية ما يملكونهُ من الاطيان يوازي ٢٤ في المائة من المجموع العمومي — و٦ في المائة من ذلك العدد يملك كل منهم لغاية عشرة افدنة وكمية ما يملكونهُ ١٠ في المائة من مجموع الاطيان — و٣ في المائة يملكون لغاية

عشرين فداناً وكمية ما يملكونهُ تساوي ٩ في المائة من مجموع الاطيان فهذه الدرجات الثلاث ٩٧ في المائة من عدد ارباب الاطيان وكمية ما يملكونهُ يساوي نصف مجموع الاطيان والنصف الآخر بايدي ثلاثة في المائة من عدد المالكين وفي جملتهم ستة آلاف شخص من الاوربايين والحمايات يملكون ٦٦٥٠٠٠ فدان بنسبة ١٠ في المائة من مجموع الاطيان

ومع ان الاحصاءات المذكورة حديثة العهد من سنة ١٨٩٨ فانها تدل على ان الدرجة الاخيرة اي الذين لا يملكون اكثر من خمسة افدنة لكل منهم كانوا في سنة ١٨٩٨ بنسبة ٨١ في المائة يقابلها بالوقت الحاضر ٨٨ في المائة وكانت كمية اطيانهم بنسبة ٢١ في المائة فاصبحت الآن ٢٤ في المائة وليس بعد ذلك ما يدعو للريب في ان صغار الملاَّك وهم السواد الاعظم تزداد ثروتهم من وقت لآخر

اما المواقع الشهيرة للاطيان فهي في الوجه القبلي — شرق النيل — غرب النيل — غرب البحر اليوسفي — الواحات الداخلة والخارجة التابعة لمديرية اسيوط — الواحات البحرية او الواحات الفرافرة التابعة لمديرية المنيا — وفي مديرية الجيزة بلاد شرق اطفيح — شرق بحر الليبني — غرب بحر الليبني — بلاد القليوبية — بلاد الشرق في الشرقية والدقهلية — وادي الطميلات عند التل الكبير — بلاد البحر الصغير — بحيرة طناح بالدقهلية — براري بلقاس والمندورة — بلاد البرلس — بلاد روضة البحرين بالغربية والمنوفية — بلاد البحيرة — براري مريوط — اراضي ابو قير — اراضي سيوه — مرسى مطروح

وتنقسم الاراضي الى ثلاث مراتب زراعية — الاولى اراضي الحوشات وتعرف بالارض المسقاوي وهي اغلاها قيمة واوفرها غلة وفائدة لانها تزرع كل اصناف الزراعة في المواسم الثلاثة وهي النيلي الذي فيهِ تزرع اصناف الذرة النباري والشامي والرز الذي يعرف بالسبعيني والدنيبه — (٢) الشتوي وهو الذي فيهِ يزرع القمح والفول والعشير والعدس والترمس والحلبة والبرسيم والكتان والقرطم والجلبان والبسلة واللوبيا — (٣) الصيفي وهو الذي فيهِ يزرع القطن والقصب والفول السوداني والرز السلطاني والحناء والذرة القيظي والخضروات. وقد امتازت اراضي الوجه البحري بقابليتها لزراعة اي صنف من كل تلك الاصناف. ويشابهها في الوجه القبلي اراضي الحوشات سواء كانت القديمة او الحديثة العهد. اما المرتبة الثانية فهي اراضي الحيضان العمومية في الصعيد وهذه لا تزرع في السنة الواحدة الاَّ مرة واحدة من اصناف الحبوب الشتوية التي مرَّ ذكرها. ومثلها بلا فارق ارض الجزائر المرتفعة سواء كانت في وسط نهر النيل او على ضفتيهِ وهي الارض التي تنحسر اي تنكشف عنها المياه قبل

او لغاية شهر نوفمبر على الاكثر . اما المرتبة الثالثة فهي ارض الجزر والكثبان المعروفة بطرح البحر . او الجلَه . او المواطي . او الزبلاوي . واكثرها في بلاد الوجه القبلي ولا تزرع شيئاً بالكلية غير اصناف المقاثئ وهي البطيخ والشمام والخيار والقثاء وبعض الخضارات

ولا يجب ان يفهم من هذا القول ان ارض الحيضان او الجزائر او المواطي لا تنبت القطن او القصب او غيرهما من الاصناف الصيفية ان زُرع شيء منها فيها . بل انها قابلة كغيرها من الارض لانماء اي صنف ولكنها لا يأتي اليها الماه الأ مرة واحدة في السنة في وقت فيضان النيل فتغمر المياه ارضها وذلك يكون في الوقت الذي فيهِ تكون تمت زراعة اصناف الصيفي وابتدأت دورها الاول في النمو — وتحويل ارض الحيضان الى مزارع صيفية هو من الامور الممكنة مع وجود المال وضمانة وجود الماء الكافي لزرعها اصنافاً صيفية . اما الجزائر فمن المستحيل تحويلها الى مزارع صيفية الأ ان بني عليها سور بالبناء لحجز ماء الفيضان عنها ذلك لانها كما قلنا واقعة في وسط النهر او على ضفتيهِ وفيضان النيل امر لا بدَّ منهُ وفي ارتفاعهِ لا مفر من غمر ما في وسطهِ وما على جانبيهِ . اما الارض التي لا يصل الفيضان اليها فهي المعروفة بالارض العلو

ولغاية اوائل عصر المغفور لهُ محمد علي باشا كانت اكثر اراضي القطر المصري لا تزرع الأ زراعة شتوية من اصناف الحبوب وبعض زراعة نيلية من صنف الذرة النباري والقليل جدًّا من القصب البلدي الذي كانوا يزرعونهُ ليصنعوا منهُ العسل الاسود والسكر البلدي المعروف بالكسر والخوامي . وكانوا يكثرون من زراعة الرز والنيلة البلدي التي كانت توجد عدة مصانع كبيرة لتسويتها وصناعتها في كثير من البلاد وذلك لكثرة ما كانت البلاد في حاجة اليهِ لان اكثر ملابس الناس على اختلاف طبقاتها لم تكن الأ سوداء سواء كانت للرجال او للنساء

وفي سنة ١٨٣١ بدئ بتجربة زراعة القطن بناء على اشارة من يسمى المسيو جومل احد اصدقاء محمد علي فنجحت نجاحاً تاماً وشعر الناس بفائدتها فاكثروا من زراعة هذا الصنف وتفننوا في اتقان اساليب زراعتهِ ودقة التأمل بالتجربة لما يحسن نموهُ في ارض ولا يحسن نموهُ في غيرها من مختلف البلاد حتى بلغ عدد اجناس ما يزرع من القطن الآن اثني عشر جنساً او اكثر منها ما يسمى بالعباسي — والاشموني — واليانوفتش وغيرهِ — وفي عصر الخديو اسماعيل جيء بالقصب من الجمايكه ونجحت زراعتهُ وكثرت جدًّا في بلاد الصعيد وانشأ الخديو المشار اليهِ عدة فابريقات في املاكهِ الخاصة لعصر القصب واستخراج السكر

المشهور بجودتهِ والعسل والاسبيرتو · وكان هو ذاتهُ قد استدعى من بلاد الهند اثنين من اشهر صانعي النيلة الهندي وزرعها على سبيل التجربة فنجحت نجاحاً تاماً ولكنهُ لم يمكنهُ الزمن من اتمام آمالهِ وصادفهُ على اثر ذلك ما صادفهُ من الاضطرابات المالية التي انتهت بافراغ مسند الخديوية من عهدتهِ ورحيلهِ عن البلاد الى آخر ما هو معلوم من تاريخهِ الاخير· ولم تزل النهضة الزراعية تنمو وثروة البلاد تزداد على نسبة نمو تلك النهضة تدريجاً حتى وصلت الى درجة تغبط نفسها عليها وتغبطها عليها بقية الامم

ابتدأ المرحوم محمد علي بتحسين وسائط الري الذي هو سر نجاح الزراعة وبأمرهِ انشئت في سنة ١٢٢٥ ترعة السماعنة — وفي سنة ١٢٣٠ ترعة المنصورية — وفي سنة ١٢٣٨ ترعة المحمودية الشهيرة — وفي سنة ١٢٤٠ ترعة ام الريش — وفي سنة ١٢٤٢ ترعة البولاقية القبلية — وترعة الباسوسية — وترعة الوادي — وفي سنة ١٢٤٣ ترعة المسلمية — وبحر مشتول — وترعة بردين — وترعة ام سلمى — وفي سنة ١٢٤٤ ترعة الابعادية — وفي سنة ١٢٤٨ ترعة الصادي — وترعة الساحل — وترعة برطباط — وفي سنة ١٢٥١ ترعة فلوصنا — وفي سنة ١٢٥٢ ترعة البولاقية البحرية — وترعة اطسا — وفي سنة ١٢٥٤ ترعة كفور الصدلية — وترعة الجندية — وفي سنة ١٢٥٥ اقيم البناء العظيم في عرض النيل عند المناشي وهو المعروف بالقناطر الخيرية — وترعة القنت — وترعة الهادي — وفي سنة ١٢٥٧ ترعة دماريس — وترعة ابو حسيبه — وترعة سفاي — وفي سنة ١٢٥٩ ترعة نتا — وترعة ام عليلة — وفي سنة ١٢٦٣ ترعة الزاوية· ذلك كلهُ تم في عصر محمد علي فضلاً عن اصلاح جسر الفرعونية — وجسر قشيشه — والترعة السوهاجية — وتعديل جملة ترع من ري شتوي الى ري صيفي مستديم مثل ترعة الباجورية — والسرساوية — وسبطاس — وجناية القرشية — وترعة السعرانه — وترعة الخضيرات

وفي عصر المرحوم سعيد باشا انشئت الترعة السعيدية باقليم الشرقية — وترعة الفلفيلة

وفي عصر اسماعيل باشا انشئت الترعة الاسماعيلية في اثناء حفر برزخ السويس — والترعة الابراهيمية ينبوع سعادة الاقاليم الوسطى — وترعة سواده — والترعة الديروطية

وفي عصر المرحوم توفيق باشا انشئت وابورات الخطاطبة لتوسيع ري البحيرة — والترعة النوبارية

وفي عصر مولانا العباس حفظهُ الله انشئ البناء العظيم جداً في عرض النيل قبالة قصر انس الوجود بالقرب من اصوان — والقناطر التي اقيمت في عرض النيل ايضاً قبالة

اسيوط · وارتفاع خزان اصوان مائة متر وستة امتار عن سطح البحر المتوسط وكان اصل التصميم على بنائهِ ان يكون بارتفاع ١١٤ مترًا عن سطح البحر المتوسط. وبلغت تكاليف الخزان والقناطر اربعة ملايين وثمانمائة الف جنيه مصري تدفع في اثناء ثلاثين سنة اقساطاً نصف سنوية آخرها في اول يناير سنة ١٩٣٣ والغرض من ذلك هو حجز المياه خلف البناء في زمن فيضان النيل للانتفاع بها في زمن الصيف · ويقدرون ما يحجز الآن من المياه هناك بالف وخمسة وستين مليونًا من الامتار المكعبة وبناء على ثبوت الفوائد العميمة من بناء هذا الخزان قررت الحكومة اعلاء بنائهِ وربما بلغ ارتفاعهُ ١١٢ مترًا عن سطح البحر المالح لتبلغ بذلك كمية المياه الممكن حجزها وراءهُ على الاقل الفي مليون من الامتار المربعة وسيبقى هذا البناء اثرًا خالدًا لهذا العصر السعيد ولا بدع اذا عدَّ في جملة عجائب الدنيا لما اشتمل عليهِ من دقة الهندسة وضخامة البناء وجمال المنظر — ويقام الآن بناء ثالث قبالة اسنا وانشئ عدد كبير من الترع والجسور والمصارف والمباني التي انشئت لتحويل ري الحيضان العمومية الى ري صيفي مستديم من بداءة حدود ديروط بمديرية اسيوط لغاية رياح البحيرة آخر حدود مديرية الجيزة · هذا فضلاً عما انشئ لاحياء الكثير من الارض الموات مثل ترعة وهبي — وترعة واصف — بالفيوم — ومصرف خيري في البحيرة — ومصرف الطحاوي — ومصرف صان الحجر في الشرقية — ومصرف صفط القطايع في الدقهلية وغير ذلك من الاعمال الفخيمة النافعة التي كانت سببًا في صلاح الاراضي وعمارتها وثروة البلاد

ويحسن بنا بعد ان ذكرنا مسألة تحويل ارض الكثير من الحيضان من ري شتوي الى ري صيفي مستديم بالاقاليم الوسطى — ان نأتي على توضيح ماهية تلك الحيضان والذي دخل والذي لم يدخل منها في الاصلاحات الحديثة التي ذكرت

الحيضان التي نشير اليها ليست هي التي كانت تعرف في ماضي الزمن باسم قبالات (مفردها قبالة) وهي الاقسام التي تقسم اليها اطيان كل بلد · بل كل حوض من الحيضان المذكورة هو منطقة فسيحة من الارض اقيمت حولها جسور سميكة بحيث صيرتها في شكل حوض او في شكل طاجن فيرسل اليها الماء وقت فيضان النيل من فتحة او عدة فتحات بالبناء في الجهة العليا حتى يمتلئ الحوض وتعلو المياه على ارضهِ كلها وتمكث المياه على الارض نحو شهرين بين اغسطس واكتوبر ثم تنصرف عنها من فتحة او عدة فتحات ايضاً بالجهة السفلى اما الى الحوض الذي دونهُ او الى النيل او الى البحر اليوسفي · وتوجد في دائرة كل حوض عدة بلاد وعزب وكفور بحيث في زمن غمر الارض بالمياه يتعذر الوصول من بلد الى آخر

الأ بالمراكب · وبينما يبتدئ وجه الارض ينكشف من الماء تأخذ الناس في زرع الارض اصناف حبوب شتوية على طريقتين احداهما تسمى لوقاً · والثانية تسمى حراثاً · فاللوق هو ان يبذر الحب في الارض على قدر ما دل الاختبار على كفاءة الارض لاغنائهِ من كل صنف وفي الوقت ذاتهِ تغطى الحبوب بواسطة قلب الطين عليها قبل ان يجف وذلك بواسطة ملوقة هي عبارة عن عود من الخشب متصلة بهِ قطعة من لوح خشب فيمسك بهِ رجل ويدفعهُ الى الامام جاعلاً قطعة اللوح مكينة الى الارض فتأخذ في سيرها طبقة خفيفة من الطين وتطرحها في طريق الرجل الى الامام فيتغطى بها الحب ويصير في جوف الارض فينمو الى ان يستوي ولا يحتاج الى شيء من الماء او الخدمة بالكلية غير الحصاد عند نضج الزرع · اما الحراث فهو ان تترك الارض حتى تجف نوعاً ثم تبذر الحبوب عليها وتحرث وبعد ان ينبت النبات تعزق ثم يترك الزرع الى ان يستوي بلا خدمة ولا سقية · وبناء على ما تقدم بيانهُ فالحيضان لا تأتيها المياه الا مرة واحدة في السنة كما انها لا تزرع الا زرعة واحدة

كان يوجد ببلاد الصعيد والاقاليم الوسطى مائة وثمانية عشر حوضاً من هذه الحيضان تشتمل على مليون ونصف مليون فدان نذكر اسماء اشهرها واكبرها مقداراً وهي . حوض اصفون ووادي الجن عشرة آلاف فدان · وحوض فاو وابو مناع ثلاثة وعشرون الف فدان · وحوض هو تسعة عشر الف فدان · وحوض الشغب · وحوض المعلا · وحوض سمهود وحوض العشي كل منها ثلاثة عشر الف فدان · وحوض القصر والصياد اثنا عشر الف فدان · هذه الحيضان كلها بمديريتي قنا واصوان · وفي مديرية جرجا حوض العرابة والعسيرات ثلاثة وثلاثون الف فدان · وحوض سوهاج ثلاثون الف فدان · وحوض طما ثمانية وعشرون الف فدان · وحوض كوم بدار ٢٧٠٠٠ · وحوض السمارنة ٢٥٠٠٠ · وحوض برديس ٢٤٠٠٠ · وحوض بني عمارة ٢٠٠٠٠ . وفي مديرية اسيوط حوض بني سميع ٤٠٠٠٠ · وحوض الزنار ٤٥٠٠٠ · وحوض بني حسين ٢١٠٠٠ . وحوض بني كلب ٣٥٠٠٠ · وحوض المحرق ٢١٠٠٠ . وحوض بني رافع ١٥٠٠٠ . وحوض الدلجاوي ٢٤٠٠٠ · فهذه الحيضان وغيرها مما لم نذكرهُ كلها باقية على ترتيبها الاصلي لا تزرع الا زرعة واحدة شتوية · اما الحيضان التي كانت موجودة من ابتداء ديروط بمديرية اسيوط لغاية رياح البحيرة ومقدارها ٤٥٦٠٠٠ فكلها تحولت الى ري صيفي ومزارع صيفية حتى لم يبقَ في هذه المنطقة من حيضان الشتوي الا ما هو كائن غرب البحر اليوسفي في امتداد مديريات اسيوط والمنيا وبني سويف وما هو كائن شرق النيل في امتداد

تلك المديريات الثلاثة . وقد بلغت تكاليف تحويل الحياض المذكورة الى ري صيفي مستديم مليونين ومئة الف جنيه مصري نذكر منها حوض الطهنشاوي ٠٠ ٥٤ فدان — والطحاوي ١١٠٠٠ — والمنبالي ١٢٠٠٠ — والسمالوطي والبردنوهي كل منهما ١٠٠٠٠ — والجرنوسي ٦٣٠٠٠ — والسلافومي ٢٥٠٠٠ — رالبرقي و بني صالح و كوم الصعايدة ٢٥٠٠٠ — والسمسطات ٣٦٠٠٠ — وقنا واهناسية ٣٧٠٠٠ — وكل من بهبشين والرقه ٢٦٠٠٠ — وقشيشه ٤٥٠٠٠ — والمعرقب — وطها — ودهشور — وصقارة — وشبرامنت — ومنشاة البكاري ٠ ٧٥٠ — وحوض الجسر الاسود ٥١٠٠٠ — هذه كلها اصبحت مزارع صيفية تدرّ الخير والبركات على البلاد

ومما لا ريب فيهِ انهُ لم يتجشم احد من مصاعب العسر والفقر والشدايد بقدر ما المَّ باهالي بلاد شرق النيل وذلك لعلو منسوب ارض بلادهم عن درجة فيضان النيل المتوسطة او الاعتيادية فيقصر فيضان النيل عن ريها ولا قدرة لهم على ريها بالآلات فيبقى معظمها شراقي ولا ينالهم شيء اكثر من رفع الضريبة ويندر ارتفاع النيل بدرجة كافية لري تلك الاراضي ولذلك فهي في اكثر السنين قفراء جرداء نذكر منها منطقة زرنيخ والكلابات بمديرية قنا والدير والقصير والشيخ عباده بمديرية اسيوط — والشيخ تمى بمديرية المنيا — وبياض بمديرية بني سويف — وبلاد شرق اطفيح في مديرية الجيزة من ابتداء دير الميمون عند اشمنت لغاية اثر النبي عند مصر العتيقة . فالحكومة اذ رأت نفسها قادرة على الاصلاح ابتدأت بهِ في بلاد شرق اطفيح وقررت بناء طلمبات عند ناحية الكريمات لانتشال المياه من النيل واطلاقها في طول هذه البلاد وعرضها لري اراضيها ريًّا صيفيًّا مستديمًا وهي منحة لم يكن يحلم بها اهل تلك الاصقاع التي في القريب العاجل تصبح من اعمر البلاد واغناها لان قربها من عاصمة البلاد وسهولة المواصلات معها مما يساعد على سرعة تحسينها وفعلاً ظهرت تباشير النجاح هناك فالفدان الذي لم يكن يباع باكثر من احاد الجنيهات اصبح يباع بمئة جنيه وبمئة وعشرين . والامل كثير في ان يستمر التفات الحكومة لاصلاح بقية بلاد شرق النيل وزيادة تحسين احوال البلاد الواسعة غرب البحر اليوسفي

ستأتي البقية



الشفاء الغريب

سيدي الفاضلين

" ان في السماء والارض اموراً اكثر مما تحلم بهِ فلسفتنا " . امامي الآن امر من هذه الامور حدث منذ ثمانٍ وعشرين سنة حادث يدخل تحت الشفاء الغريب واذ كنت اظنهُ من الامور التي تساعد على ايضاح هذا الغامض وتوجه الخواطر الى القوة الالهية فيهِ اردت ان ابعث بتفصيلهِ الى مجلتكم الغراء راجياً ان تبدي رأيها فيهِ . وها كم تفصيلهُ كما جاء في علاوة لعدد ١٥٨ من لسان الحال في غرة ايار (مايو) شرقي سنة ١٨٧٩ : — وهو

انهُ في اوائل شهر نيسان شرقي سنة تسع وسبعين وثمانماية والف للميلاد قد كثر الخبر عن شفاء رجل يدعى شاهين بن كنعان البردويل من الشويفات التابعة لقضاء الشوف من متصرفية جبل لبنان بامر الهي معجب بعد ان كان قد أُصيب باسقام وعاهات متنوعة من سنين عديدة

فشاهد هذا الرجل سيادة مطران بيروت ولبنان كيربوس غفربل الجزيل الاحترام وبحث وفحص عنهُ وعما جرى لهُ من الابتداء الى يوم تاريخهِ بكل تدقيق واستقصى منهُ ومن غيرهِ لفظاً وخطاً عن امراضهِ واسبابها وعن شفائهِ الغريب حتى ثبت لهُ بالادلة الواضحة والبينات الصادقة كما سيأتي ما يأتي . وهو ان هذا الرجل وُلد في الشويفات من ابوين ارثوذكسيين كنعان بن شبل البردويل من البلدة المذكورة وهيلانة ابنة الخوري سليمان من مدينة بيروت ليلة الثلثاء الثانية والعشرين من شهر كانون الاول ختام سنة الف وثمانماية واحدى وثلاثين مسيحية الموافقة سنة الف ومايتين وست واربعين هجرية كما هو مسطر بخط المرحوم والدهِ وانهُ قد بلغ سن التمييز صحيح الجسم معافًى لكنهُ ثقيل اللسان في التكلم وقد تعلم القراءة البسيطة على المرحوم والدهِ ثم صار يشتغل تارةً في معصرة دبس واخرى في غيرها . واذ كان عمرهُ بضع عشرة سنة اعترتهُ عبقة صدر وكان اذا اشتدت عليهِ احتاج الى اخراج الدم مرةً او اكثر لكي يرتاح منها . وبعد ان أَلمتهُ العبقة بنحو سنتين تقريباً صودف انهُ نهض من فراشهِ بقصد الخروج من البيت لغرض عرض لهُ

وفي وسط البيت عمود قائم ولا ضوء البتة فلطم رأسهُ بذلك العمود وللحال سقط مغشيًّا عليهِ ومن ذلك الوقت اصيب بداء النقطة فصار يطرحهُ على الفراش حينما يعتريهِ مدة عشرة ايام فكان يحصل لهُ غالبًا في فصل الشتاء واخذ يزداد رويدًا رويدًا حتى صار اخيرًا يحصل لهُ كل يوم تقريبًا وكان قد ارسلهُ والدهُ ليعلمهُ الخياطة وبقي يشتغل بهذه الصنعة مدة ثم تركها واخذ يتعاطى ما يتيسر لهُ من الاشغال حسب طاقتهِ الى نهار الاثنين الواقع ثاني الفصح المجيد قبل هذا التاريخ بنحو خمس سنين وفي ذلك اليوم رجع من الكنيسة الى بيتهِ وبعد ان تناول الغداء فاجأتهُ نوبة قوية جدًّا فصرخ بصوت جهوري وانطرح على فراشهِ وبقي لا يستطيع حراكًا الى يوم الثلثاء حتى كاد الامل في حياتهِ ينقطع ثم قام آخذتهُ رعشة في رأسهِ وكتفهِ اليمنى ثم بعد ذلك جاءتهُ نوبة أُخرى قويَّة فقام اعمى لا ينظر شيئًا وهكذا جاءتهُ أُخرى فقام وجنبهُ الايمن مفلوج يابس ثم أُخرى فقام محدوب الظهر حتى صار رأسهُ لا يعلو عن الارض اكثر من ذراع واحدة واخذ يتوكأُ على عصا طولها عشرون قيراطًا تقريبًا وقد شوهدت من كثيرين ثم بعد تلك النوبات جاءتهُ نوبة أُخرى يبَّست يدهُ اليمنى فانقبضت اصابعها ولم يعد يمكن انبساطها البتة وكانت النوبات تأتيهِ مختلفة فتارةً قوية واقوى وطورًا خفيفة فالقوية كانت تفوتهُ مدة شهر تقريبًا ومتى جاءتهُ تستمر عليهِ نحو عشرين ساعة ويبقى بانزعاج كلي وكان يشعر اولًا بان حبلًا زنَّر وسطهُ واحيانًا يصير كالمجنون يضرب ويزق ثيابًا ويكسر آنية البيت ثم يرتمي على الارض ويدور كالرحى مغشيًّا عليهِ مفتوح العينين مخبط الاعضاء اختباطًا رائعًا فيصير ذا منظر هائل ثم يعقب ذلك تشنج قوي وسكون فيصير كانهُ قطعة خشب متمكنة من طرفيها في الارض ومرتفعة الوسط شبه قوس وبعد انصراف النوبة عنهُ يستفيق اخرس اطرش ويبقى على هذه الحال نحو عشرة ايام ثم بالتدريج ينحل رباط لسانهِ ويرجع يتكلم بصعوبة كالسابق ويسمع واما الخفيفة فكانت تأتيهِ باكثر اتصال وتستمر نحو ربع ساعة صيفًا وشتاء

وكان هذا الرجل يتلقى جميع هذه الاوصاب والآلام بالصبر الجميل والشكر الجزيل . وقد استدعي لهُ في اثناء هذه المدة الطويلة من مشاهير الاطباء جناب الدكتور بركستك الانكليزي وجناب الدكتور بوست الاميركاني وجناب الدكتور سليم افندي عطيه اللبناني وجناب الدكتور الامير رشيد شهاب وجميعهم عالجوهُ ولم يحصل على ادنى افادة البتة . وبقي على حالة يرثى لها الى احدى ليالي السنة الحاضرة (١٨٧٩) حين انزل شاهين المذكور الى قبو اسفل الحارة

وفي ليلة السبت الواقع ثالث شباط من السنة الحاضرة (١٨٧٩) صلّى حسب عادته وغلق الباب ورقد براحة لم يشعر بمثلها من مدة السنين الخمس وبينما هو نائم سمع صوتاً حنوناً جداً يهتف نحوهُ " يا ايها الغافل قم واجلس على فراشك " مكرراً عليهِ القول فرأى انهُ قام من نومهِ مرعوباً ولما تكرر الصوت " قم لا تخف " سألهُ من انت اخي اجابهُ " اخوك قم لا تخف فبما انك صبرت على احكام الرب قد ارسلت لاعلمك بدواء علتك التي لا يعلم جميع البشر الذين تحت السماء دواءها حتى ولا حكمة الحكماء بل انا وحدي فاصغَ لما اقولهُ لك " حينئذٍ رأى انهُ انتبه وصحا عقلهُ واتجه نحو الصوت فقال لهُ " ارسل فاضئ قنديل الكنيسة المقدسة الى الصباح وخذ ما بقي من زيتهِ واستحضر جوزة الهند وفولاً اسود ومرارة خنزير وصمورة البحر واطبخ هذه الاشياء معاً على النار واجعلها مرهماً وادهن بها يدك اليمنى وجنبك وسلسلة ظهرك وجميع مفاصلك ". فرأى ايضاً ان اصبعين من لحم ودم لمستا صدغيهِ وسمع " ادهن ههنا ايضاً وفي مدة سبعة اسابيع تأكل خبزاً فقط وتمامها نهار الخمسين تستحم بماء مغلي مع ورقي الصفصاف والكباد وعشبة الملعى وتكون مداواتك هذه خارج بيتك في محل منفرد حيث تكون بعيداً عن الهم والغم فتشفى من علتك وتبصر ونهار الحادي والخمسين تنزل الى البحر وتغتسل كل يوم مرة لتمام التسعين يوماً " . وكان الهاتف بعد كل عبارة يسألهُ " فهمت " فيجيبهُ نعم وقال لهُ ايضاً " يجب ان تعمل حسبما اوصيتك والاَّ يضرب جنبك الشمال مثل اليمين وتكون ملقى على ظهرك لا تقدر ان تجلس البتة " . فشاهين المذكور اخنشاه من النسيان رأى انهُ مدَّ يدهُ بلهفة ليمسكهُ فلمس جسماً من لحم ودم وطلب اليهِ قائلاً اصبر قليلاً واعطني لاكتب ما قلتهُ لانني لا اقدر ان اتذكر جميع اقوالك اجابهُ " لا تخف فاني معطيك عقلاً وفكراً حتى لا تنسى شيئاً ومتى استعملت هذه تشفى من جميع امراضك وتتعاطى اشغالك وتفي نذورك للرب الملك وتموت بغير علتك هذه " وانصرف عنهُ

فقام شاهين مرتعداً وزحف نحو الباب فوجدهُ مغلقاً والحجر الذي كان وضعهُ وراءهُ لم يزل في مكانهِ فدحرجهُ وفتح الباب وتبع الطريق صاعداً الى حيث كان شقيقهُ وامرأة شقيقهِ مع اولادهما نائمين وقرع الباب عليهم فاستيقظوا وفتحوا فوجدوهُ مطروحاً على الارض مغشياً عليهِ فادخلوهُ واضجعوهُ على فراش واخذا ينبهانهِ ليعلما منهُ ما سبب ذلك وبعد الجهد اشار اليهما بيدهِ اليسرى ليمهلاهُ ولما رجع الى نفسهِ سألهما من نزل منكما اليَّ اجاباهُ لا احد فابتدأ يتكلم بصعوبة ويبكي ويقول سمعت صوتاً حنوناً حنوناً وقصَّ عليهما رؤياهُ وما سمعهُ من الهاتف كما تحرر آنفاً ومن ذلك الوقت ابتدأ يتطلب ان تعدَّ لهُ الاشياء التي ذكرت

واما اهلهُ فكانوا يحاوبونهُ تارةً بقولهم لهُ ايام مرابع وانت تصوم وهو يجيبهم انا مرادي الشفا لا اكل اللحم وخلافهُ وتارة ان هذا منام فربما لا تشفى فيهزأ بنا الناس وهو يقول هذا امر الله لا بد من ان اتممهُ وافعل ما انذرت بهِ ولا ابالي بما يقول الناس وبعد الجهد تمموا لهُ رغبتهُ

ويوم الاثنين ١٢ شباط ابتداء الصوم المبارك اخذ يباشر بالتدقيق عمل ما اوصي بهِ فنقل الى محل منفرد وجعلت عمتهُ تدهنهُ كل يوم مرة ويوم الخميس اذ كان قد تناول بيدهِ اليسرى كأس ماء وهو يشرب امتدت يدهُ اليمنى بغتة وانبسطت كفهُ من دون ان يحس فقال لهُ ابن عمتهِ يا ابن خالي انفتحت يدك فترك الكاس وشبك يد بيد فتحقق وشكر الرب

وفي الاسبوع الثاني ليلة السبت وهو نائم اذ سمع صوتاً يقول لهُ " يا ايها الانسان قم لا تخف قد شفي جنبك " فانتبه حالاً وشعر بان جنبهُ يتمل مخدرًا من القدم الى العنق فبات قلقاً الى الصباح فنهض واذا جنبهُ اليابس من نحو سنة ونصف عاد صحيحاً كأنهُ لم يمرض اصلاً فكرر الشكر للرب

وفي الاسبوع الثالث لم يرَ شيئاً واما التدهين فبقي مستمرًا

وفي الاسبوع الرابع نهار الخميس اعترى ظهرهُ وجع مؤلم جدًا واستمر لليلة السبت وفيما هو غافل تلك الليلة سمع صوتاً يقول لهُ " قم لا تخف قد شفي ظهرك " ورأى ان شخصاً مرَّ من فوقهِ ثلاث مرات وجلس الى جانبهِ فاشتد عليهِ الالم حتى ظن ان فقرات ظهرهِ تفككت فاستفاق للحين ونهض منتصباً معافى فمجد الله

واما الاسبوع الخامس فكان كالثالث

وفي الاسبوع السادس استحوذ على جسمهِ عدا رأسهُ وجع اليم والتهب بالحرارة وتواترت عليهِ النوبات وفي يومي الخميس والجمعة ازدادت بكثرة لا مزيد عليها واستمر على هذا الحال الى انتصاف ليلة السبت ٢٤ آذار شرقي فاتاهُ النوم بغتة ولم يلبث الا قليلاً حتى سمع صوتاً يقول " يا ايها الانسان قم لا تخف فقد دخلتك القوة وردَّت العافية الى بدنك " فناداهُ شاهين متوسلاً اليهِ عيني عيني فقال لهُ " لا تخف فان عينيك تشفيان ليلة الخمسين " وانصرف عنهُ فاستيقظ مرتجفاً ثم احس ببرد فنام ونهض صباحاً بكل راحة كأن لم يعترِ بدنهُ مرض البتة

وفي الاسبوع السابع ابتدأ وجع في رأسهِ والتهاب شديد من يوم الاربعاء ٢٨ اذار واستمر الى ليلة الاثنين ثاني الفصح الواقع ثاني يوم من شهر نيسان شرقي وهو اليوم المتمم الخمسين ففي نصف الليل تقريباً اتاهُ ذلك الصوت كالعادة وقال لهُ " يا ايها الانسان قم

لا تخف انا ميخائيل ارسلت لابشرك بصحتك واعلمك بانهُ من الآن وصاعداً لا تدعى بالاسم الذي انت مسمى بهِ بل فليدعَ اسمك ميخائيل وكل من لا يدعوك ميخائيل يكون ملعوناً ولا تعلُ موسى رأسك ولا تقص شعرك نذراً لله وتبذل جهدك وتبني ديراً على اسم الاله المخلص الذي افتقدك وشفاك وتكون مديراً ومبشراً باسم الرب الملك لا كاهناً ولا راهباً وها النور قد دخل عينيك ابصر وانا استودعك الله العلي العظيم ". فانتبه حالاً وابصر ومجّد الله

ويوم الثلثاء ثالث الفصح نزل الى شاطىء البحر ونزل معهُ جمهور غفير وليلة الاربعاء رابع نيسان اتاه الملاك وقال له " يا ايها الانسان لا تغسل كل جسدك بالماء بل الاعضاء التي كنت تدهنها سابقاً وبما انهُ صار لك ثلاثة ايام وانت صائم يجب ان تأكل وقد سمح لك بالبيض والجبن وسيأتي اليك الناس من كل جهة ويسألونك عن محل الدير الشريف وانت لا تقدر ان تخبرهم فانا اعلمك بذلك ان الدير يكون فوق قريتك على الظهر حيث كان هناك قديماً دير باسم سمعان فهناك يكون واقم هنا علاوة على الاربعين يوماً عشرة ايام اخرى بدون اغتسال ويوم الخمسين (وهو احد العنصرة) اطلع الى الكنيسة المقدسة لابساً ثوباً اسود واسمع القداس الالهي وفيما بعد تتعاطى اشغالك " وانصرف عنهُ الملاك انتهى

وميخائيل هذا فعل كما امرهُ الرب ولم يعاودهُ المرض بل كان يقرأ فروضهُ الدينية بدون عوينات الى آخر سني غربتهِ على هذه الارض التي انتهت في اوائل السنة الماضية

المدرسة الكلية بردويل

[المقتطف] اننا نتذكر حوادث هذه القصّة فانها لما حدثت كنا في مدينة بيروت وكلفنا احد اصدقائنا وكان مدرساً في مدرسة الشويفات فبحث عنها بالتدقيق وكتب لنا تقريراً مسهباً لا يخرج في معناهُ عمّا نشرهُ لسان الحال حينئذٍ ونُقل الينا الآن. فعلمنا ان الحادثة من قبيل الهستيريا وان الشفاء حدث بما يسمَّى بالاستهواء الذاتي لكننا لم نستحسن المجاهرة بذلك لشدة ثورة الافكار حينئذٍ فان المرضى كانوا يقصدون ذلك الرجل من دمشق وحلب للاستشفاء فاكتفينا بالاشارة اليهِ في الصفحة الاخيرة من الجزء الثاني عشر من المجلد الثالث من المقتطف الصادر في شهر ايار (مايو) سنة ١٨٧٩ تحت عنوان الطب الجديد حيث قلنا ما نصهُ "ولولا ضيق المقام وخوفنا ان يحسبنا البعض نتصدى للاعتقادات الدينيَّة التي ليست من بحثنا لكشفنا القناع عما هو جارٍ الآن في نواحينا وخبرهُ يتناظم يوماً فيوماً. فصبراً الآن فسوف يكشفهُ الزمان"

ولو توفي ذلك الرجل بعد شفائهِ وقبل ان يفشل في استنباط الماء للدير الذي اراد بناءهُ لعدَّ الآن من كبار القديسين ولكنت ترى الناس يزورون قبرهُ من كل الاقطار · ولو نجح في استنباط الماء واراد ان ينشئ مذهباً جديداً او ديانة جديدة لسهل عليهِ ذلك لشدة اعتقاد الناس بهِ حينئذٍ حتى انهم كانوا يكذبون ويصدقون كذبهم في سبيلهِ . جاءنا واحد مرة من اكثرهم علماً واوسعهم اطلاعاً وذاكرنا في امر "قديس الشويفات" كما كان يلقب حينئذٍ ولما رأى منا الريب في امرهِ قال لنا ان عندي في المدرسة ولداً افدع القدمين وقد بذل الدكتور بوست جهدهُ ليصلح قدميهِ فلم تصطلحا فذهب ابوهُ بهِ الى قديس الشويفات فمد يدهُ على قدميهِ فشفيتا وها هو الآن يمشي عندي في المدرسة سليماً · فقلنا لهُ نحن نصدقك ان الولد كان افدع فأتنا بهِ لنراهُ بعد ان شفي · فوعدنا باحضارهِ في الاحد التالي وجاءنا يوم الاحد ولم يأتِ بهِ معهُ ثم مضى احدان ولم يأتِ وجاءنا بعد ذلك وحدهُ فقلنا لهُ اين الولد · وكانت الثقة بالقديس قد تزعزعت فاعترف لنا حينئذٍ ان الولد لم يزل افدع كما كان وانهُ هو لم يرَ انهُ شفي ولكن بلغهُ انهُ شفي فصدق الخبر ونقلهُ الينا

وبلغتنا حينئذٍ حوادث كثيرة من هذا القبيل ففسرت لنا كيف نشأت بعض المذاهب والمعتقدات او كيف تولدت حولها الاوهام والخرافات · هذا وقد كنا نعتقد ولا نزال نعتقد ان الرجل مخلص في ما قال معتقد صحتهُ ولو كان برهمياً لاعتقد ان برهما نفسهُ تجلى لهُ وكلمهُ بلغة الهنود لا بالعربيةِ وذكر لهُ عبارات من كتب البراهمة الدينية · ولو كان صينياً بوذياً لاعتقد ان بوذه ظهر لهُ وكلمهُ باللغة الصينيَّة وهلمَّ جرّاً. والكلام كلهُ داخلي لا خارجي منتزع من الصور العقلية المطبوعة في ذهنهِ وقد اثر فيهِ تأثير افعال الاطباء في حوادث الهستيريا المختلفة

الشفاء الغريب

حضرة صاحبي المقتطف الفاضلين

قرأت ما كتبهُ حضرة الاستاذ الفاضل الدكتور ورتبات عن الامرأتين اللتين كانتا مصابتين بمرض هستيري ظهر في احداهما بمظهر الفالج وفي الاخرى بمظهر التيبس وكيف شفاهما بانهُ اقنعهما ان لا مرض فيهما · وقد شاهدت حادثة من هذا القبيل ووقع لي حادثة اخرى مثلها فجئت اشرحها بالايجاز وتأييداً لما قالهُ حضرتهُ

الحادثة الاولى امرأة اصيبت بتيبُّس في يديها كلتيهما فلم تعد تستطيع بسطهما ولا قدر احد على بسطهما لها مهما استعمل من القوة وكنت حينئذٍ ادرس الطب في مدرسة ليون

فاحتال طبيب المستشفى على شفائها بهذه الواسطة وهو انهُ دهن يديها بدهنون فيهِ شيء قليل من العصفور وقال لها ان هذا الدواء مكتشف حديثاً وهو يشفيها من غير شك مدة الليل التالي وعليها ان تنتبه الى يديها حتى تحركهما حالما يفعل الدواء بهما فلما اظلم الليل التفتت الى يديها فوجدتهما تنيران بدهان العصفور فاعتقدت ان ذلك من فعل الدواء وحركتهما فتحركتا وعادتا الى اصلهما وجعلت تلوم الطبيب في الصباح لانهُ لم يستعمل لها هذا الدواء من قبل

والحادثة الثانية ان رجلاً اتاني ذات يوم وطلب مني ان اذهب الى بيتهِ لعيادة امرأتهِ فسألتهُ عما تشكو منهُ ومن اي وقت فقال ان لها ثلاثة ايام طريحة الفراش لا تأكل ولا تشرب ولا تتكلم ولا تبدي حراكاً البتة . فلمتهُ حينئذٍ لعاقتهِ عن استشارة الطبيب ولاهمالهِ بتركها ثلاثة ايام في هذه الحالة فجاوبني انهُ اراد ان يأتيها بطبيب حالاً ولكن النساء من الاهل والاقارب منعنهُ عن ذلك لتأكيدهنَّ ان مرض امرأتهِ من عفريت دخلها وان كل الحكماء لا يعرفون ان يخرجوا العفاريت لان ليس لهم سلطة عليها . فذهبت حينئذٍ معهُ الى بيتهِ وهو في احد مدافن البلد لان الرجل حارس لذلك المدفن . فوجدت امرأة لها من العمر ٢٥ سنة تقريباً نائمة على فراش شاخصة العينين متشنجة الاعضاء لا تبدي ادنى حراك ولا تتكلم ولكن يظهر عليها انها مصغية الى شيء وكان حولها ثماني نساء يتحسرنَ عليها ويندبن حظها ويدعين لها بطلوع العفريت منها فللحال اخرجتهنَّ وفحصت المريضة بتدقيق فلم اقف على علة ما او ادنى خلل لا في دماغها ولا في الحبل الشوكي ولا في جهة عضو من اعضائها . فثبت لي ان كل هذه الاعراض هستيرية فانتهرت المريضة بصوت عالٍ وحاولت ان اقيمها او اغذيها ولكن بدون فائدة وافتكرت ايضاً ان العلاج بالاستهواء لا يجدي نفعاً في الاحوال التي هي فيها وحولها هؤلاء النساء فكلمت زوجها بصوت عالٍ ليأتيني بها الى بيتي حيث اخرج العفريت منها حالاً

فاحضرها محمولة فادخلتها مكتبتي وكنت قد اظلمتها ووضعت آلة كهربائية تحت المقعد الذي اجلستها عليهِ واوصلت سلكيها برجليها وقلت ان العفريت سيطلع منها فيرتجف كل بدنها وبعد دقيقة اوصلت المجرى الكربائي فصرخت طالبة من زوجها ان يعينها وخرجت من الغرفة مذعورة واقفلت الباب ومسكت بزوجها والزمتهُ ان يتركه يبقي حالاً لان العفريت طلع منها وهو الآن في البيت وتخاف ان يدخلها ثانية او يدخل زوجها وعادت الى بيتها ماشية متكلمة واكلت وشربت ونامت على جاري عادتها السابقة والى الآن لم يزرها العفريت ثانية

الدكتور اسعد حبيقه

ترجمة مصطفى باشا كامل

حضرة المحترمين اصحاب المقتطف

نرجو اجابة طلب المقترح بجريدة المؤيد وهو ان تنشروا في المقتطف صورة فقيد الوطن المأسوف عليهِ مصطفى باشا كامل وترجمة حياتهِ ولحضرتكم الشكر

ابو كساه عبد القوي احمد معبد

[المقتطف] لقد اسفنا مع الآسفين على وفاة الفقيد رحمهُ الله لكن يتعذَّر علينا ان نكتب ترجمتهُ لان كاتب هذه السطور لا يعرفهُ ولم يتكلم معهُ الاَّ مرتين فقط وفي كل مرة بضع كلمات ولا يتذكر انهُ قرأ مقالةً كاملة من مقالاتهِ . اما اعمالهُ التي عملها فلا نجهلها كما لا يجهلها احد ولقد قال فيها حضرة صاحب المؤيد ان جوهرها الذي حمل المصريين على اكرامهِ والخروج في جنازتهِ على النحو الذي خرجوا فيهِ انما هو ان الفقيد " كان لا يفتأ يعلن عن بغضهِ للاحتلال الانكليزي وينادي بهِ على رؤوس الاشهاد ويقول ان لسياسة المغاضبة قوَّة لا تقلُّ عن قوة السلاح في مقاتلة الاقوياء "

وصاحب المؤيد من اعرف الناس بالفقيد وبالخطة التي كان جارياً عليها كما انهُ من امدح الناس لهُ الآن وابكاهم عليهِ فان كان ما ذكرهُ هو السبب الصحيح لهذه " المظاهرة العظمى " وقد حملت جثة الفقيد لانها " كانت تضمُّ ذلك القلب الكبير الكاره للاحتلال اعظم كره " كما قال صاحب المؤيد وانتجت سياسة المغاضبة ما لا ينتجهُ السلاح في مقاتلة الاقوياء فافضت الى الجلاء فيكون الفقيد قد اهتدى الى اسهل الوسائل لاخراج المحتلين من هذا القطر ولكنها اذا لم تنتج ذلك بل انتجت ازدياد النفرة وتقوُّض اركان الامن حتى تضطرَّ انكلترا اخيرًا ان تشهر حمايتها على هذا القطر فتكون سياستهُ قد ادَّت الى ضد ما قصد

وفي رأينا اننا نحن الشرقيين عندنا من المغاضبة والبغضاء شيءٌ كثير بل عندنا منهما ما لا حاجة بنا اليهِ ولا فائدة لنا منهُ وانما يعوزنا امر آخر يحرزهُ لنا العلم ولقد كان المرحوم الشيخ محمد عبده يرمي اليهِ في سيرتهِ وتعاليمهِ وهو ان نكرم انفسنا فنسلم من احتقار الغير لنا ومن اعتدائهِ على حقوقنا . و يعوزنا ايضاً ان نتذكر قول شاعرنا الحكيم القائل

ومن يخاصم كل من لا يقوى لحربهِ جرَّ عليهِ البلوى

هذا وان خير تذكار لمرء ما تنال بلادهُ منهُ من النفع فهو الذي يبقى وكل ما سواهُ ظلٌّ زائل وعسى ان تكون نتيجة اعمال الفقيد كلها النفع لبلادهِ عاجلاً او آجلاً

الحياة في المريخ

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

قرأت ما كتبهُ حضرة الاستاذ منصور جرداق عن ان المريخ مأهول بخلائق حية عاقلة ارق من الانسان عقلاً واكمل ادراكاً . وقال ان هذا هو رأي الاستاذ لول ومن لفَّ لفهُ . ويظهر لي ان الاستاذ لول متحمّس جدًّا في اثبات وجود السكان في المريخ وان عالماً آخر يفوقهُ شهرةً كما يفوقهُ سناً وخبرةً وهو الدكتور الفرد رسل ولس اقام الادلة على انهُ لا يوجد جرم مأهول او يمكن ان يكون مأهولاً غير الكرة الارضية من كل السيارات التي تدور حول الشمس كما ذكرتم في المقتطف . ولقد صرحتم برأي مثل هذا في المجلد العاشر من المقتطف ولذلك ولأن الخطوط التي شوهدت على سطح المريخ واستدلَّ منها الاستاذ لول على وجود السكان فيهِ يمكن ان تكون من جملة الحوادث الطبيعيَّة التي لم يبحث احد في تعليها حتى الآن لانها لا تحدث في ارضنا لا ارى موجباً للقول بوجود السكان في المريخ

مصر احد القراء

باب الرياضيات

الغريبة الجبرية

جاءتنا حلول مختلفة للغريبة الجبرية التي نشرناها في الجزء الماضي فنشرنا منها ثلاثة ليرى المشتغلون بالرياضيات كيف يختلف نظرهم في المسألة الواحدة مع انهُ اذا وجد شيء يجب الاتفاق فيهِ فهو القواعد الرياضية

الحل الاول

اولاً : لا يختل التساوي الواقع بين اي كميتين اذا ضربت كل منهما بكمية واحدة او قسمت على كمية واحدة

ثانياً : لا يختل التساوي الواقع بين اي كميتين اذا اضيف الى كل منهما او طرح من كل منهما كمية واحدة

اذا علم ذلك فلا يجوز اخذ جذر الكميتين اللتين كل منهما ذات حدين بدون رفعهما الى درجة التربيع وتحويل كل كمية منهما الى كمية ذات حد واحد لانهُ اذا اخذ الجذران اولاً فتؤُول المسئلة الى قسمة كلٍ من الطرفين على مقدارين مختلفين اي ان

$(٤-\frac{٩}{٢})^٢=(٤-\frac{٩}{٢})(٤-\frac{٩}{٢})$ و $(٥-\frac{٩}{٢})^٢=(٥-\frac{٩}{٢})(٥-\frac{٩}{٢})$

ويكون $\frac{(٤-\frac{٩}{٢})(٤-\frac{٩}{٢})}{٤-\frac{٩}{٢}}=\frac{(٥-\frac{٩}{٢})(٥-\frac{٩}{٢})}{٥-\frac{٩}{٢}}$

او $-\frac{١}{٢}=+\frac{١}{٢}$ وهذا لا يمكن

اما اذا قسم كل من الطرفين على كمية واحدة فلا يتغير التساوي اي ان

$\frac{(٤-\frac{٩}{٢})(٤-\frac{٩}{٢})}{٤-\frac{٩}{٢}}=\frac{(٥-\frac{٩}{٢})(٥-\frac{٩}{٢})}{٤-\frac{٩}{٢}}$ او

$٤-\frac{٩}{٢}=\frac{(٥-\frac{٩}{٢})(٥-\frac{٩}{٢})}{٤-\frac{٩}{٢}}$

او $-\frac{١}{٢}=-\frac{١}{٢}$

او $\frac{١}{٢}=\frac{١}{٢}$ ... اي النصف يساوي النصف

ويمكن تغيير علامة كل من الطرفين بدون ان يختل تساويهما وهذا مستنبط من القاعدة الثانية لان هذه العملية هي عبارة عن تحويل كل من الطرفين محل الآخر

١١ فبراير فواد نسيم

مهندس بالفجالة بمصر

الحل الثاني

اطلعت اليوم على مقتطف شهر فبراير الحالي فوجدت في باب الاخبار العلمية تحت عنوان غريبة جبرية ما ادهشني فان النتيجة بعد اخذ الجذور هي

$(\frac{٩}{٢}-\sqrt[٢]{٢٠})^٢=(\frac{٩}{٢}-\sqrt[٢]{٢٠})^٢$

اي ٤,٥ = ٤,٥ لا ٤ = ٥ كما ذكرتم

١٢ فبراير عبد الفتاح البنا

خادم العلم بدمياط

الحل الثالث

ان هذه الغريبة الجبرية هي بالاحرى مغالطة جبرية . وذلك لان جذر كمية مربعة يجوز ان يكون ايجابياً او سلبياً . وعند عدم التأكيد من احدهما نفرض الوجه الواحد فاذا

قادنا الى نتائج مستحيلة فلا شك ان فرضنا اياهُ غلط وان الوجه الآخر هو الصحيح وعليهِ في المعادلة التي هي موضوعنا : $\left(٤-\frac{٩}{٢}\right)^{٢}=\left(٥-\frac{٩}{٢}\right)^{٢}$

اذا فرضنا جذر الضلع الاول ايجابي اي $+\left(٤-\frac{٩}{٢}\right)$ يكون معنا :

$٤-\frac{٩}{٢}=٥-\frac{٩}{٢}$ اي $٤=٥$ وهذا مستحيل

فيكون فرضنا للوجه الايجابي غلطاً ويجب ان نفرض الوجه السلبي · اي ان جذر الضلع الاول هو الكمية $-\left(٤-\frac{٩}{٢}\right)$ اي $-٤+\frac{٩}{٢}$ فيكون معنا :

$-٤+\frac{٩}{٢}=٥-\frac{٩}{٢}$ اي $-\frac{٨}{٢}+\frac{٩}{٢}=\frac{١٠}{٢}-\frac{٩}{٢}$ اي : $\frac{١}{٢}=\frac{١}{٢}$

وهذا هو الفرض الصحيح — روفائيل خوري فرَّا

مصر ١٦ فبراير — اجزاجي قانوني

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

انواع الرياضة

اقتصرنا على ذكر ابسط طرق الرياضة واكبرها نفعاً

المشي · يحرك عدة عضلات في الجسم حركات خفيفة ويجب على من يروض جسمهُ بهِ ان يمشي منتصب القامة مبرزاً صدرهُ الى الامام ولاسيما على الارض المستوية الممهدة وان يسير ابعاداً شاسعة اي بضعة اميال كل يوم والمشاؤُون الذين يحسنون المشي قليلون لانهُ يندر وجود الذين تكون عضلات اجسامهم متناسبة في نمائها فاذا كانت الساقان ضعيفتين كان المشي متقلقلاً وان كانت الخاصرتان واهنتين تهادى الماشي وتمايل الى جانبيهِ وان كان في الصدر اقل علة او ضعف نكس الماشي رأسهُ وارخى كتفيهِ الى الامام · فالمشي الصحي النافع يتوقف على حفظ الجسم جالساً تماماً وارجاع الكتفين الى الوراء ودفع الصدر الى الامام وجعل الرأس مستقيماً والذقن متجهة الى العنق كانها مشدودة اليهِ فهذا كلهُ يقوي عضلات الظهر ويقوّم اود الجسم ويجب ترك الذراعين تتراوحان بكل سهولة والكتفين

مفتوحتين وان يطأ كعب القدم الارض اولاً ثم سائرها ولتكن القدمان راسختين ثابتتين والركبتان مشدودتين الى الوراء وليكن المشي في بادىء الامر معتدلاً وغير متعب ثم تزاد السرعة والمسافة تدريجاً حتى يصير المرء يقطع من اربعة الى خمسة اميال في الساعة وان شاء احد المزيد من الرياضة بالمشي فليحمل اثقالاً خفيفة على كتفيهِ او بكلتا يديهِ

اما العدو والوثب والقفز فانواع من المشي لكن تعودها يجب ان يكون بطيئاً جداً ليتسنى للقلب والرئتين ان تقوى وتعتادها . والاكثار منها مضر ولا سيما بالذين لم يعتادوا الرياضة اليومية

⁂

الدمبلس . كان لهذا النوع من الرياضة شأن يذكر ومقام رفيع عند قدماء اليونان والرومان والصينيين وغيرهم من الامم التي كانت تعشق القوة البدنية فكانوا يستعملونها على طرائق شتى ويفاخرون باللعب بها . وهي نوعان خشبي وحديدي فالخشبي يستعمل في الترويض السريع الطويل المدة والحديدي يستعمل لانماء العضلات بوجه عام وتقوية الذراعين بوجه خاص ويجب ان لا يزيد ثقل الحديدي منها في بادىء الامر عن جزء من خمسة وعشرين جزءا من زنة الجسم ثم يزاد على الاطراد حتى يبلغ اثني عشر ونصفاً . والمتروض بها يجب ان يقف وقدماهُ ملصوقتان وركبتاهُ مشدودتان الى الوراء وصدرهُ مدفوع الى الامام وكتفاهُ راجعتان الى خلف وعيناهُ شاخصتان الى فوق . اما طرق اللعب بها فعديدة جداً يتفنن فيها اللاعبون على اشكال واطوار

اما الرياضة اليومية الواجب اتباعها للذين لا يعملون اعمالاً جسدية فهي : —

(١) قف جالساً على الجزء الامامي من القدمين وارفع ذراعيك الى فوق رأسك مبسوطتين وفي اثناء ذلك تنفس تنفساً عميقاً كمن يصعد زفرات ووالِ ذلك عشر مرات

(٢) ارفع دمبلس حديدية وزنها جزء من خمسة عشر جزءا من جسمك خمسين مرة من الاسفل الى الاعلى

(٣) اعد طريقة التنفس المشار اليها اولاً

(٤) اركع نصف ركعة وانهض وكرر ذلك خمسين مرة وكلما ركعت ونهضت عشر مرات استرح قليلاً والمقصود هنا من نصف الركعة هو ان تنهض قبلما تمس ركبتاك الارض

(٥) اعد التنفس المشار اليهِ

(٦) ارفع الدمبلس الى جهة الوراء وابقها مرفوعة بضع ثوانٍ ووالِ ذلك خمسين مرة

(٧) اعد التنفس المشار اليهِ

(٨) ارفع الدمبلس من الكتفين الى الاعلى خمسين مرة

(٩) اعد التنفس المشار اليهِ

(١٠) ارفع الدمبلس الى ما فوق رأسك وابسط ذراعيك بهما كمن يرسم نصف دائرة فوق رأسهِ ووالِ ذلك خمسين مرة واسترح بعد كل عشر مرات منها

(١١) اعد التنفس المشار اليهِ . ثم استحم اذا شئت وتناول طعامك

ولا تنسَ انهُ يجب مع ما ذكرنا المشي ميلين او ثلاثة في اليوم رحمه صروف

تربية الاولاد على الاقتصاد

قال الشاعر واجاد

ان الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء اي مفسده

فقد اثبت لاختبار انهُ لا شيء اضرُّ بالمرء من ان يربى في نعمة و يرسخ في ذهنهِ انهُ من اهل اليسار فيستطيع ان ينفق كل ما يريد وقتما يريد . فان الفتى الذي يربى في نعمة وافرة ولا يتعلم الاقتصاد في صغرهِ قلما يفلح في ميدان الحياة . واذا فتشت عن الفارق الاكبر بين الناس من جهة الاجتهاد والاقتصاد رأيت انهُ يقوم بتربيتهم صغارًا على الاقتصاد او على الاسراف فالذي يربى على الاقتصاد ولو كان ابوهُ غنيًّا يشبُّ عارفًا قيمة المال لا ينفقهُ الاَّ في سبيلهِ وعارفًا قيمة الوقت والصحة والعمل فلا يضيع وقتهُ سدًى ولا يتلف صحتهُ في ما لا يجديهِ نفعًا ولا يعمل اعمالاً لا جدوى منها والذي يربى على الاسراف يشب وهو لا يعرف قيمة المال ولو كان ابوهُ فقيرًا ولا يعرف قيمة لوقتهِ ولا لصحة ولا لعمل فيعيش مكسالاً متلافًا ويخرج من الدنيا ولا يترك فيها اثرًا طيبًا بعدهُ

اخبرنا رجل من اهل النشاط والجد ان اباهُ كان على ثروة طائلة لكنهُ لم ينفق على تعليمهِ الاَّ في المدرسة الابتدائية فلما وصل الى المدرسة العالية جعلهُ يشتغل و ينفق على نفسهِ وهذا شأن اكثر الاميركيين المتوسطي الثروة فانهم لا ينفقون على تعليم اولادهم في المدارس العالية بل يكتسب اولادهم في الفسحة المدرسية ما يقوم بنفقاتهم حتى انهم يدخلون الفنادق خدَّامًا مدة اجازة الصيف . والرجل الذي اخبرنا بما تقدَّم ربَّى اولادهُ على هذه الصورة فصاروا رجالاً يفتخر بهم

ولا ينكر ان بعض ذوي الثروة لا يتبعون هذه القاعدة ومع ذلك يشبُّ اولادهم

عارفين قيمة المال والصحة والوقت ولكن الاولاد الذين يشبون كذلك قليل عددهم فلا يبنى عليهم حكم وما تقدَّم هو الغالب

وقد يجري بعض الاوربيين والاميركيين على قاعدة جرَّبوها وثبت لهم نفعها وهي انهم يحثون اولادهم على ان يعملوا عملاً في البيت ويأخذوا اجرتهم فيصير للنقود التي اخذوها قيمة في اعينهم لانها اجرة عمل عملوهُ وتعبوا فيهِ وهي طريقة حسنة

وقال غيرهم ان الوالد الذي يؤْثر اولادهُ على نفسهِ يعلّمهم بالعمل ان يصيروا محبين لانفسهم غير مهتمين براحة والديهم والوالد الذي يؤْثر نفسهُ على اولادهِ يعلّمهم بالعمل ان ينصرفوا عن ملذاتهم ويهتموا براحة والديهم . وهذا يصدق على البنات كما يصدق على البنين فان البنت التي تساعد امها في اعمال البيت وتقاسمها المتاعب كلها تصير زوجة حكيمة مدبرة لامور بيتها

هذا وتربية الاولاد تتناول مئات من المواضيع ولكن غرس مبادىء الاجتهاد والاقتصاد في النفوس من اهمها كلها ولولا اضطرار الفريق الاكبر من الناس للعمل واحتياجهم الى إشراك اولادهم معهم صغاراً في اعمالهم لساءَت احوال نوع الانسان ولذلك تجد ان اهل الثروة الذين لا يربون اولادهم هذه التربية ينقرضون رويداً رويداً ويحل محلهم ابناء الفقراء الذين شبُّوا على الاجتهاد والاقتصاد

الوقاية من الكوليرا

اهمُّ موضوع يشغل الافكار في هذه الايام انتشار الكوليرا في بلاد الحجاز والخوف من وصولها الى القطر المصري . ويرجح كثيرون من العارفين بضعف رجال الحفظ عن منع دخول العدوى ان هذا الوباء لا بد من ان يدخل القطر . فاذا صح ما يقولون ترتب على كل احد ان يبذل جهدهُ ليقي نفسهُ منهُ وقد صار التوقي سهلاً بعد ان عُرفت حقيقة الوباء وكيفية اتصالهِ من المصاب الى السليم فان لهُ جراثيم صغيرة جدًّا لا ترى بالعين لصغرها تكون في مبرزات المصابين بهِ فاذا تلوَّثت بها ثيابهم وغسلت في بركة او ترعة انتشرت الجراثيم في الماء ودخلت معد الذين يشربون منهُ وكذلك اذا تلوثت يدا احد بها او بالماء الذي تغسل بهِ ثم مسك طعامهُ بيديهِ فالمرجح ان تلك الجراثيم تصل الى طعامهِ ومنها الى معدتهِ . وقد يقع الذباب على المبرزات او على الثياب فيحمل جراثيم الكوليرا ويوصلها الى الاطعمة التي يقع عليها

وقد ثبت من التجارب العلمية ان جراثيم الكوليرا اي ميكروبات الكوليرا لا تعيش في المعدة الا اذا كانت قليوية فاذا كانت المعدة حامضة فيكروبات الكوليرا تموت فيها ولا تؤذي

فاذا اتضحت هذه المقدمات كلها عُلم ان الوقاية تقوم بالوسائط التالية

اولاً . بمنع دخول المصابين وامتعتهم الى البلاد مطلقاً

ثانياً . اذا لم يتيسر ذلك فبفرز المصابين وتطهير مبرزاتهم وحرق امتعتهم حتى لا يبقى سبيل لوصول ميكروبات الكوليرا منهم الى غيرهم

ثالثاً . بان يهتم كل انسان بنظافة الماء الذي يشربهُ والطعام الذي يأكلهُ حتى يكون على ثقة تامة ان ميكروب الكوليرا لم يصل اليهما

رابعاً . ان يعتني كل احد بمعدتهِ حتى تكون حامضة دائماً و يساعدها باضافة نقط قليلة من الحامض الهيدروكلوريك الى الماء الذي يشربهُ

فاذا اتُّبعت هذه الوسائط كلها فالمرجح ان الوباء لا يدخل القطر المصري وان دخلهُ لا ينتشر فيهِ . ولا بدَّ من ان تنشر مصلحة الصحة نشرات كثيرة توزعها في البلاد ترشد بها الناس الى كيفيَّة اتقاء الكوليرا فعسى ان توجز المقال فيها وتكتفي بالقواعد الضروريَّة وتطبعها بحروف كبيرة لتعلَّق في اماكن كثيرة في كل بلد حتى يطَّلع الجميع عليها و يقرأها عارفو القراءة للذين لا يعرفونها

وعسى ان تنشر ايضاً ما لا بدَّ من معرفتهِ لتشخيص الداء وكيفيَّة معالجتهِ الى ان يحضر الطبيب

فائدة الصوم

ان افضل دواء للتخمة او لسوء الهضم الصوم وتقليل الطعام قال رجل ثقة كنت اشكو من سوء الهضم فلا اكاد انام في فراشي حتى اشعر بتعب ومغص وحرقة شديدة كأن امعائي تتقطع وتجيش نفسي طلباً للقيء فجعلت اصوم في الصباح او اقتصر على فنجان من اللبن فيهِ قليل من الشاي افت فيهِ كسرة من الخبز واكل اكلاً معتدلاً الظهر واكتفي بصحن من الشوربا وقليل من اللحم او الخضر في المساء فلم يمضِ عليَّ اسبوع حتى اصطلح هضمي وزالت التخمة والحرقة ولا ازال مقتصراً على فنجان اللبن في الصباح ولكنني آكل الظهر والمساء من كل ما يقدَّم لي الى ان اشبع ولا اشعر بتخمة ولا بتعب . ومرادي ان لا احول عن هذا العلاج كما اصابتني التخمة اي ان اصوم في الصباح او اكتفي بفنجان من اللبن واقلل اكلي في الظهر والمساء لاني وجدتهُ خير علاج

باب التقريظ والانتقاد

كتاب البدء والتاريخ

ان كان اهالي اسبانيا قد اساءوا الى العلم والعمران اعظم اساءة بحرقهم كتب العرب يوم اخرجوا بقيتهم من الاندلس فعلماء هذا العصر من الالمان والفرنسويين والايطاليين والانكليز قد محوا ذنوب الاسبانيين بتفتيشهم عن الكتب العربيَّة وطبعها ونشرها بعد مقابلة نسخها وتصحيحها ووضع الفهارس الهجائيَّة لها

ومن الكتب النفيسة التي اعتنوا بطبعها ونشرها حديثاً كتاب البدء والتاريخ المنسوب الى ابي زيد احمد بن سهل البلخي وهو لمطهر بن طاهر المقدسي

جاء في كشف الظنون ان هذا الكتاب "للشيخ الامام ابي زيد بن سهل البلخي المتوفى سنة ٣٤٠ (للهجرة) وهو كتاب مفيد مهذَّب عن خرافات العجائز وتزاوير القصاص لانهُ تتبع فيهِ صحاح الاسانيد في مبدإِ الخلق ومنتهاهُ فابتدأ بذكر حدود النظر والجدل واثبات القديم ثم ذكر ابتداء الخلق وقصص الانبياء عليهم السلام واخبار الامم وتواريخ الملوك والخلفاء في زمانهِ في ثلاثة وعشرين فصلاً في مجلد واحد"

وقد وجدت نسخة منهُ في الاستانة العلية فعني بطبعهِ وترجمتهِ الى الفرنسويَّة حضرة الفاضل المحقق المسيو كلمان هوار قنصل الدولة الفرنسوية وكاتب السر ومترجم اول الحكومة الفرنسوية واحد اساتذة مدرسة الالسنة الشرقية في مدينة باريس

والكتاب كبير وقد صدر منهُ اربعة اجزاء وامامنا الآن الجزء الرابع منها وهو يبتدىء من الفصل الثاني عشر وينتهي في الفصل السادس عشر. ولغتهُ ناصعة البيان تجلى بابهى ديباجة البلاغة . وان كان المؤَلف قد وصف احوال الناس في ايامهِ كما اطلع عليها لا كما تصوَّرها تصوُّرًا فيكون معطلو زمانهِ اقبح الناس سيرةً وسريرة والمشككون او اللادريون من اجهل الناس وهذا لا ينطبق على المعروف في زماننا فان رجلاً مثل الاستاذ هكسلي كان معطلاً او لا ادريًّا ولم يكن بين اكثر الناس تديناً رجل اشد منهُ تمسكاً بالآداب وابعد منهُ عن المعايب حتى يضرب المثل باستقامتهِ ونزاهتهِ وعفتهِ

ويرى اسلوب المؤلف في بحثهِ من المقدمة التي قدمها للفصل الثاني عشر حيث قال "اعلم ان اختلاف الناس في مذاهبهم واعتقاداتهم كفاء اختلافهم في اخلاقهم وهممهم وارادتهم والوانهم والسنتهم فكما لا تجد اثنين على صورة واحدة وصيغة واحدة وهمة واحدة الاَّ في الشاذ النادر فكذلك في وجود اثنين على رأي واحد وخاطر واحد . وان كان الدين الواحد يجمع عالمًا من الخلق فان الآراء تتوزعهم والهمم تتشعب بهم اللهمَّ الاَّ الطوائف المقلدة فان اجماعهم على ما يزعمون دعوى لا حقيقة لها عند التفتيش"

وقال بعد هذا التمهيد ان العاقل لا يخلو من اعتقاد حق او باطل او الوقوف موقف الشك . وابطل الحالة الثالثة وهي الوقوف موقف الشك بقوله ولا يجوز بقاء الشك لان الشك من الجهل بالشيء وتكافوء العلل فيهِ لتحقيق شيء او ابطالهِ كما لا يجوز قيام الادلة على وجود شيء وعدمهِ في حالة واحدة ووقت واحد ... فقد بطلت منزلة الشك والسلام . فالناس اذًا لا يخلون من اعتقاد ديانة ما او تعطيل في الجملة

وقال في وصف المعطلة ان "لهم اسماء اخرى فيقال لهم الملاحدة والدهرية والزنادقة والمهملة وهم اقل الناس عددًا وافيلهم رأيًا واشرهم حالاً واوضعهم منزلةً" ثم قال انهم "يستحلون المحارم كلها الزنا والسرقة والقتل والكذب والغيبة والنميمة والبهتان والوقيعة وشهادة الزور وقول الافك ورمي المحصن والسعاية والغمر والسخرية والطنز والاستهزاء والبطر والكبر والخيلاء والظلم والعقوق والغدر والخلاف ونقض العهد واخلاف الوعد واشباه ذلك من الرذائل المحظورة في العقل والمحارم المزجور عنها في الشرع"

ولم يكتفِ بهذه النعوت بل قال انهم "ما انتشروا في امة من الامم انتشارهم في هذه الامة لاعطائهم الاقرار بالديانة ظاهرًا وحقن الشريعة دم من اجاب اليها وهم هؤلاء الباطنيَّة الباطليَّة" . وواضح من ذلك انهُ قصد شيعة الباطنيَّة الذين ادَّعى عليهم انهم يظهرون الاسلام ويأتون المنكرات فوصفهم وصف حاقد عليهم متربص للانتقام منهم وان كان قد حكم عليهم بالتعطيل وهم يقرُّون بالديانة ظاهرًا فكل اثيم معطل ويصحُّ ان يكون كل غير اثيم غير معطل لان التعطيل ينتج الاثم دائمًا على مذهبهِ

والظاهر من كلامهِ ان فرَق نصارى المشرق كانت في عهدهِ ستًّا وهي الملكانية والنسطورية واليعقوبيَّة والبرذانية والمرقونية والفولية واراد بالفولية النسبة الى بولس الصاموسي

ويظهر من كلامهِ على اقسام الارض واقاليمها انهُ لم يكن يعرف من اواسط اوربا وشماليها الاَّ شيئًا قليلاً جدًّا فاوصل الاقليم السادس الى القسطنطينية وبلاد برجان

(اي البلغار) وبحر المغرب ثم قال " اما ما وراء هذه الاقاليم الى تمام الموضع المسكون الذي عرفناهُ فانهُ يبتدئ من المشرق من بلاد ياجوج وماجوج فيمر على بلاد التغزغز وارض الترك وعلى بلاد الان ثم على بلاد برجان ثم على شمال الصقالبة الى ان ينتهي الى بحر المغرب فهذا موضع عمران الارض والمجور مما يعرف واما ما وراء ذلك فارضون مجهولة لا يعرف ما وراءها احد الا الله عز وجل ". وعليهِ فالفينيقيون الذين كانوا قبلهُ بالفي سنة كانوا يعرفون من اوربا اكثر منهُ

وطبع الكتاب حسن جدًّا ولكن قلما تخلو منهُ صفحة من الخطإ المطبعي ففي السطر الاخير من الصفحة الاولى كلمة لهُ صوابها لها وفي السطر الرابع قبل الاخير من الصفحة الثالثة كلمة والاستحقاق صوابها والاستخفاف وفي السطر الخامس قبل الاخير من الصفحة الرابعة كلمة تملك والصواب تملكهُ وفي السطر الخامس قبل الاخير من الصفحة الخامسة كلمة اختاروا والصواب اختاروهُ. ولكن لا يتعذر اصلاح هذه الاغلاط على القارئ اللبيب فمنا لناشر هذا الكتاب جزيل الشكر

النوموغرافيا

Calcul Graphique et Nomographie par M. d'Ocagne

اشير الى هذا الكتاب النفيس في الجزء الماضي في المقتطف في الخطبة التي انشأها حضرة احمد بك كمال الرياضي. وقد اهديت الينا نسخة منهُ فوجدناهُ مثل سائر كتب التعليم الفرنسوية واضح الدلالة جدًّا موضحًا بالرسوم الكثيرة. ومما سرَّنا فيهِ بنوع خاص كثرة استشهاد المؤلف بالشاب الرياضي الذي اكتشفنا قواهُ الرياضية منذ بضع عشرة سنة وهو فريد افندي بولاد فان المؤلف استشهد سبع مرات بالقضايا التي استنبطها او حققها. وقد وعدنا فريد افندي بولاد بان ينشئ للمقتطف فصولاً قريبة المأخذ في هذا العلم الجديد افادة لقرائهِ المشتغلين بالعلوم الرياضيَّة. وفي الكتاب اربع مئة صفحة موضحة بنحو ١٥٠ شكلاً

لغة العالم الجديدة

رسالة صغيرة في لغة الاسبرانتو ترجمها عن الفرنسوية حضرة مصطفى افندي امام استاذ الفرنسوية في طرابلس الشام. ويعلم قراء المقتطف شيئًا عن هذه اللغة مما نشرناهُ عنها في المجلد الحادي والثلاثين. ويسعى واضع هذه اللغة وانصارهُ ليجعلوها لغة عامة تقوم مقام سائر

اللغات فيزيد عدد اللغات لغةً . وقد فاتهم على ما يظهر انا ان الانسان يتعلم لغة والديهِ واهل بلدهِ بحكم الضرورة ثم اذا تعلَّم لغةً اخرى فلكي ينتفع من تعلمها في الغالب فهو تاجر يبذل المال والوقت والمواظبة والقوة العقلية لكي يستفيد علماً او يكتسب مالاً والذين هم في سعة من الوقت والمال حتى ينفقوا على تعلُّم لغة وهم غير مضطرين الى تعلُّمها قليل عددهم . ولذلك لا نرى كيف يمكن لهذه اللغة ان تشيع "وتصير في وقت قريب لغة العالم بأسرهِ" كما قال مترجم هذه الرسالة . اما شيوعها بين الوف من الاوربيين فلا يؤْخذ دليلاً لانهُ لو قام اليوم رجل في اوربا ونادى بعبادة العجل لوجد لهُ من الاوربيين والاميركيين الوفاً من الاتباع

الارصاد الجوية

Meteorological Report for 1905.

اهدت الينا ادارة مرصد حلوان الجزء الاول والثاني من ارصادها عن سنة ١٩٠٥ والاول منهما عن الارصاد في مرصد حلوان و يظهر منهُ ان متوسط الحرارة كان في يناير ١٠٫٢٣ وفي فبراير ١١٫٢٥ وفي مارس ١٥٫٠٩ وفي ابريل ٢٠٫٦٨ وفي مايو ٢٤٫٧١ وفي يونيو ٢٦٫٣١ وفي يوليو ٢٨٫٠٢ وفي اغسطس ٢٧٫٢٦ وفي سبتمبر ٢٥٫٨٤ وفي اكتوبر ٢٤٫٣٥ وفي نوفمبر ٢٠٫٠٨ وفي دسمبر ١٢٫٥٩ وكان اشد درجات الحرارة في شهر مايو حين بلغت في الثلاثين منهُ ٤٣٫٨ واخفها في ٣٠ دسمبر حين بلغت ١٫٣ لا غير . وكان متوسط ساعات اشراق الشمس كما ترى في هذا الجدول

	ساعة	دقيقة		ساعة	دقيقة
يناير	٦	٤٦	يوليو	١٢	٣٦
فبراير	٦	٣٧	اغسطس	١١	٥٠
مارس	٦	٥٠	سبتمبر	٩	٢٢
ابريل	٨	٥٨	اكتوبر	٨	٢٣
مايو	١٠	٥٢	نوفمبر	٨	١٣
يونيو	١١	٣٨	دسمبر	٦	٤٥

وجملة الساعات التي اشرقت فيها الشمس في السنة كلها ٣٠٠٨ او نحو ٧٣ في المئة من المدة التي كانت فيها الشمس فوق الافق

ووقع فيها من المطر في يناير مليمتر ونصف وفي فبراير مليمتر و ٨ اعشار وفي مارس مليمتر وتسعة اعشار وفي ابريل اربعة اعشار المليمتر وفي اكتوبر عشر وفي نوفمبر ٦ اعشار وفي دسمبر عشران والجملة ثمانية مليمترات وثلاثة اعشار اي نحو ثلث عقدة لا غير

وكان الغيم على اكثره في شهر مارس وعلى اقله في شهر يوليو وقد حجب وجه السماء في الثامن من فبراير والسابع من مارس والرابع والعشرين من ابريل ومرَّت ايام كثيرة من يونيو و يوليو واغسطس وسبتمبر ولا غيمة في السماء

وقيدت آلة رصد الزلازل هزات كثيرة في كل شهور السنة وزلزلة في ٩ يوليو سعتها اكثر من ١٨ وفي ٢٣ منهُ سعتها اكثر من ١٨ ايضاً وفي ٨ سبتمبر سعتها ٩ وهي زلزلة كلبريا وفي ٢٦ سبتمبر سعتها ٩ ايضاً

والجزء الثاني من هذا التقرير عن سائر الاماكن التي ترصد فيها الاحوال الجوية في القطر المصري والقطر السوداني وهي الاسكندرية وبورت سعيد والمحلة الكبرى والسويس والطور والعباسيَّة والجيزة وحلوان واسيوط والواحة الداخلة واصوان ووادي حلفا ومروي وبربر وكسلا والخرطوم وسواكن و بورت سودان والقلابات والرصيرص وود مدني والدويم والابيض وحلة دُلَيب وكدك وواو ومنجلا • وعن الاماكن التي يقاس فيها فيضان النيل وسنبسط الكلام عليهِ في الجزء التالي

مستشفيات الرمد

انشأ الدكتور فرجوسن ما كلن رئيس مفتشي هذه المستشفيات مقالة عن اعمالها مدة الاربع السنوات الماضية تلاها في جمعية الطب البريطانية في اجتماعها السنوي في شهر اغسطس الماضي • وقد ترجمت الى العربيَّة وطبعت وفيها وصف مسهب لاعمال هذه المستشفيات التي يعزى الفضل في انشائها الى السر ارنست كاسل فانهُ وهب الحكومة المصرية اربعين الف جنيه سنة ١٩٠٣ لتخفيف ويلات الرمد ودرء غائلتهِ عن فقراء القطر المصري

واول مستشفى من هذه المستشفيات انشئ في منوف وذلك في اوائل شهر يناير سنة ١٩٠٤ وهو خيام هندية كبيرة

وقد بلغ عدد الذين فحصوا في المستشفيات الرمدية سنة ١٩٠٦ اكثر من اربعين الفاً قبل منهم في العيادة الداخلية والخارجيَّة ٧٣٢٧ وبلغ عدد العمليات الجراحية ٥٨٤٦. و ٢٦١٢ من الذين شوهدوا كانوا مصابين بالشعرة و ٧٠١ كانوا مصابين بالغلوكوما البسيطة

و١٩٦٠ كانوا عورًا او عميًا . و٦٥٧ كانوا مصابين بالكتركتا وجانب كبير من الباقين كانوا مصابين بالرمد الحبيبي وكثير منهم اصابتهم شديدة جدًّا وقد شاهد واحدًا مصابًا بالبرص (البينو)

ومما يدهش كثرة المصابين بالرمد الحبيبي من تلامذة المدارس فقد فحص ١٥٩ تلميذًا في مدرسة دمياط الاميرية فوجد ان تسعين منهم مصابون بهِ واربعين مصابون باصابات قرنية تكفي لاتلاف النظر و١٥ مصابون بانواع اخرى غير الرمد الحبيبي

باب المسائل

(١) كتاب مسرات الحياة

اشمون . محمد افندي زكي صباغ . لقد عرَّب المقتطف مقالات للورد افبري من كتابهِ سعادة الحياة فما اسم ذلك الكتاب ومحل بيعهِ

ج نظن انكم تعنون كتابهُ The pleasures of Life وهو جزءان ولا نظن ان ثمنهُ يزيد على بضعة شلنات وكل بائعي الكتب الانكليزيَّة في مصر يسهل عليهم ان يجلبوهُ لكم من بلاد الانكليز

(٢) خطب مجمع ترقية العلوم

ومنهُ . اين تنشر خطب مجمع ترقية العلوم البريطاني

ج نحن نراها في مجلة ناتشر الانكليزيَّة ونراها ايضًا منشورة كلها او اكثرها في جريدة التيمس

(٣) السلطان ورعاياهُ

ومنهُ . ما اسم الكتاب الذي اهداهُ لورد كرومر الى احدكم وما هو موضوعهُ واسم مؤلفهِ

ج اسمهُ السلطان ورعاياهُ The Sultan and his Subjects; by Richard Davey وهو مجلدان وقد طبع في مدينة لندن سنة ١٨٩٧ وفيهِ وصف مسهب لرعايا الدولة العليَّة ولاسيما الاتراك منهم

(٤) مخرجو المدارس الانكليزية

الزقازيق . ب . سليم . اذا اخذ طالبٌ الشهادة العليا من مدرسة للسياسة في انكلترا فهل يمكن ان يوظَّف في احدى وظائف الحكومة المصرية وما هي الوظيفة التي يوظَّف فيها وهل يترقَّى كما يترقَّى الذين اخذوا الشهادات من مصر

ج ان الذين يتخرَّجون من المدارس

العالية في انكلترا يكونون مؤهلين لخدمة الحكومة المصرية مثل الذين يتخرجون من مدارس مثلها في القطر المصري اذا جازوا الامتحان في اللغة العربيَّة ايضاً • والذين يتعلمون منهم في المدارس التي تعلم علم الادارة يوظفون في نظارة الداخلية ويرقون حسب اهليتهم الشخصيَّة فقد يُعيَّن الواحد منهم مفتشاً ثم يرقى الى وظيفة مدير في سنين قليلة

(٥) استهلاك الدين المصري

مصر • احد المشتركين • ان الدين المصري يبلغ تسعين مليوناً من الجنيهات ولا تستهلك الحكومة منهُ سنويًّا سوى ثلثمائة الف جنيه تقريباً فهل يلزمنا ان ننتظر على هذا الحساب ٢٧٠ سنة حتى توفي هذا الدين وهل كان من شروط الدائنين استهلاكهُ على هذه الكيفيَّة ولو فرضنا ان وجد هذا المبلغ عند المصريين ورغبوا في تقديمهِ الى الحكومة لايفاء هذا الدين وحسبناهُ ديناً اهليًّا فهل يتيسَّر ذلك

ج اولاً ان الفائدة التي تدفعها الحكومة المصريَّة على دينها نحو ٣ ١/٢ في المئة سنويًّا وهي محتاجة الى النقود لاعمال كثيرة عموميَّة نافعة او ذات ايراد مثل الترع والمصارف وسكك الحديد والسكك الزراعيَّة والخزانات وما اشبه فان هذه الاعمال تقتضي نفقات كثيرة ومنها ربح سنوي يزيد على عشرة في المئة فليس من الحكمة ان توفي دينها بما عندها من النقود وهي قادرة ان تستغل منها عشرة في المئة او اكثر والدين لا يكلفها الاَّ ثلاثة ونصف في المئة

وثانياً انهُ لا مانع يمنعها من ان تستهلك من دينها بكل ما يتوفَّر عندها من النقود في اي وقت شاءت وذلك بان تشتري السندات وتحرقها او تحفظها ولا تدفع فائدتها ولكنها اذا طلبت المشترى فالسند الذي ثمنهُ مئة جنيه لا تستطيع ان تشتريهُ بمئة وعشرة جنيهات لان الذين عندهم السندات يصيرون يغالون بها اذا وجدوا لها مشترياً راغباً في مشتراها او مضطرًّا الى مشتراها ولا يستثنى من ذلك الاَّ الدين المضمون فانهُ مقسط الى اقساط سنوية كل قسط منها ٣٠٧٠٠٠ جنيه فيوفى كلهُ سنة ١٩٤٨

وثالثاً انهُ اذا كان عند اهالي القطر اموال فائضة وارادوا ان يشتروا دين الحكومة ويكونوا هم المداينين لها فطريقة ذلك ان يكثروا من مشترى السندات من السوق اي سندات الدين الموحد والدين المضمون والدين الممتاز ودين الدومين فمتى صارت هذه السندات كلها في يدهم صاروا هم اصحاب دين الحكومة . ولكن الناس يستدينون الآن المئة بستة الى تسعة على الاقل فهل يعقل انهم "يوظفون" اموالهم في دين لا يعطيهم الاَّ ثلاثة او ثلاثة ونصفاً في المئة سنويًّا

هذا اذا نظرنا الى المسألة من وجهها المالي فقط اما اذا نظرنا اليها من وجهها السياسي وكان الدَّين يجيز للدول الاوربية السيطرة على القطر المصري فللمسألة شأن آخر

(٦) دخل ترعة السويس

ومنهُ . كم هو دخل ترعة السويس السنوي وكم هو الربح السنوي الذي توزعهُ وهل تعطي الحكومة المصرية شيئاً منهُ

ج يبلغ دخلها السنوي نحو اربعة ملايين من الجنيهات وقد وزعت ربحاً سنوياً في العام الماضي خمسة جنيهات و ١٣ شلناً لكل سهم وكان الربح الذي وزع سنة ١٨٧٦ جنيهاً واحداً وعشر بنسات لكل سهم ولا تأخذ الحكومة المصرية شيئاً من هذا الربح لانها باعت كل اسهمها للحكومة الانكليزية في عهد اسمعيل باشا بنحو اربعة ملايين من الجنيهات وهي ١٧٠١٥٩ سهماً وقد خصَّ الحكومة الانكليزيَّة من ربحها في العام الماضي ١٠٢١٧٢٨ جنيهاً

(٧) امتياز ترعة السويس

ومنهُ . اتذكَّر انهُ منذ سنين قليلة كان انقضى اجل هذا الامتياز فلماذا تجدَّد مع انهُ في وسع الحكومة ادارتهُ مع ابقاء جميع الموظفين في مراكزهم

ج تذكُّركم غلط فان الامتياز لاينتهي الاَّ سنة ١٩٦٨ اي بعد ستين سنة لانهُ لتسع وتسعين سنة ويحق للحكومة المصرية حينئذٍ ان تأخذ الترعة على شرط ان تدفع الى الشركة قيمة المواد المختصة بخدمة الكنال البحرية

(٨) تحوُّل المعادن

ومنهُ . قرأت في مقتطف شهر يناير الماضي ان النحاس امكن تحويلهُ بواسطة اشعة الراديوم الى عنصر آخر وهو الليثيوم فلماذا لا يصدَّق اليوم تحويل القدماء بعض المعادن الى ذهب

ج ان التحويل الذي تمَّ حتى الآن مشكوك فيهِ ولكن اذا فرضنا انهُ ثبت تماماً بما ينفي كل شك فهو من الاعلى الى الادنى ومن الثقيل الى الخفيف . ومبدأ التحول لم يعد منكرًا الآن ولكن يبعد عن الظن ان يكون احد قد اهتدى الى طريقة تحويل النحاس او الفضة الى ذهب ثم ضاعت تلك الطريقة او لم تشع . وقد ادَّعى البعض منذ بضع سنوات انهم اكتشفوا طريقة لعمل الذهب ويقال انهم صنعوا ذهباً او معدناً يماثل الذهب وعرضوهُ على مدير دار ضرب النقود في الولايات المتحدة فلم يفرقهُ عن الذهب واشتراهُ كانهُ ذهب . وسنشرح ذلك في الجزء التالي

(٩) سبب الشيب الباكر

منتريال بكندا . الخواجه جرجس حنا جرجور لماذا يشيب بعض الناس باكرًا ويكتهل البعض قبل ان يظهر الشيب فيهم

ج ان الميل الى الشيب الباكر موروث

فقد يرثهُ الانسان من ابيهِ او من امهِ او منهما كليهما وقد يرث ذلك من اجدادهِ اما كيف وجد الميل الى الشيب اولاً فغير معروف ولكن يحتمل انهُ مرَّ على نوع الانسان عصر كان فيهِ في بلاد حارَّة مثل بلاد الزنوج وكان شعرهُ اسود كشعرهم ثم انتقل الى بلاد باردة او بردت البلاد التي كان فيها في العصر الجليدي فابيض شعرهُ كما يبيض صوف بعض الحيوانات في فصل الشتاء لكي يكون امنع لافلات الحرارة من بدنهِ ثم عاد فانتقل الى الاقاليم المعتدلة او اعتدل الاقليم ثانية فصار اولادهُ يمرون على الطورين اللذين مرَّ عليهما نوع الانسان فيكون شعرهم اسود اولاً ثم يشيب

(١٠) منع سقوط الشعر

ومنهُ . ما احسن دواء لمنع سقوط الشعر

ج الزيوت والادهان فانها تغذي اصول الشعر ويشترط ان يفرك جلد الرأس بها جيداً ويحسن ان يضاف اليها مادة منبهة مثل صبغة الذراح (كنثريدس)

(١١) الانسان واكل اللحم

ومنهُ . قلتم في المجلد الرابع والعشرين من المقتطف ان الانسان من آكلات اللحوم ونرى النباتيين ينفون ذلك فايُّ هو الاصح

ج لا شبهة ان الانسان يأكل اللحوم ويأكل النباتات ايضاً ووجود الانياب في فكيهِ من الادلة على انهُ من جملة آكلات اللحوم . وقد اكل الناس اللحم من اول عهدهم كما يظهر من آثارهم القديمة لكن ذلك لا ينفي انهم يستطيعون ان يقتصروا على اكل المآكل النباتية المغذية كالخبز والفول والعدس فان فيها كلها مادة نيتروجينيَّة مغذية كالمادَّة التي في اللحم

(١٢) فائدة المصارين

ومنهُ . يشتري التجار مصارين الغنم من الممالك العثمانية ويملحونها ويشحنونها الى اوربا فما يعملون بها في اوربا

ج يصنعون منها الاوتار للآلات الموسيقيَّة ونحوها

(١٣) سكان مدن سورية

الشوير بلبنان . جابر افندي شبلي . كم عدد السكان في المدن التالية في الوقت الحاضر وفي سنة ١٨٦٠ وهي دمشق وحلب واورشليم وبيروت وحماة وحمص وانطاكية ويافا وعكا وحيفا وطرابلس واللاذقية وطبرية والناصرة ونابلس وغزة

ج اننا لم نقف على احصاء لها في الوقت الحاضر ولا في سنة ١٨٦٠ ولكننا رأينا عدد سكان بعضها في جغرافية الدكتور فان ديك المطبوعة سنة ١٨٥٢ وعدد سكان المدن الاربع الاولى منها في كتاب السياسة السنوي المطبوع سنة ١٩٠٧ وعدد سكان المدن الباقية في دليل بدكر المطبوع سنة ١٨٩٨ وذلك كما ترى في هذا الجدول

والاحصاء الاول في العمود الاول والاحصاءان التاليان في العمود الثاني

دمشق	١٥٠٠٠٠	٢٣٠٠٠٠
حلب	١١٠٠٠٠	١٢٧١٥٠
اورشليم		٤٢٠٠٠
بيروت	٣٠٠٠٠	١١٨٨٠٠
حماة	٣٠٠٠٠	٥٠٠٠٠
حمص	٢٠٠٠٠	٦٠٠٠٠
انطاكية	٩٠٠٠	٢٨٠٠٠
يافا	٩٠٠٠	٣٥٠٠٠
عكا	٦٠٠٠	١١٠٠٠
حيفا		١٢٠٠٠
طرابلس	١٣٠٠٠	٢٣٠٠٠
اللاذقية	٤٠٠٠	٢٢٠٠٠
طبرية		٤٠٠٠
الناصرة		١٠٠٠٠
نابلس		٢٤٠٠٠
غزة		٣٥٠٠٠

باب الاخبار العلمية

التعريب

بحث نادي دار العلوم في القاهرة برئاسة القاضي الفاضل حفني بك ناصف في مسألة التعريب اي نقل الكلمات الاعجمية كالتلغراف والتلفون الى اللغة العربية وذلك في ثلاث جلسات ففي الجلسة الاولى تلا اثنان من اعضائهِ خطبتين مسهبتين الواحدة تجيز التعريب الآن بل توجبهُ وتبين شرائطهُ وقد نشرناها في هذا الجزء من المقتطف والثانية لا تجيزهُ الآن بل تقيم الادلة على ان زمانهُ قد مضى وما جاز للعرب في زمن تكوُّن اللغة العربية والتوسُّع فيها لا يجوز لنا الآن . وفي الجلسة الثانية تناظر الخطيبان في هذا الموضوع وشاركهم بعض الاعضاء والحضور وفي الجلسة الثالثة تليت خطب نفيسة فيهِ نشرناها في المقطم واكثر الخطباء على وجوب التعريب اذا دعت الحال الى ذلك وبعد بحث طويل دام اربع ساعات وافق الاعضاء على القرار التالي وهو

" بعد سماع ما قالهُ جميع الخطباء في موضوع تسمية المسميات الحديثة قرر نادي دار العلوم ان يكون العمل على النحو الآتي :— يبحث في اللغة العربية عن اسماء للمسميات الحديثة باي طريق من الطرق الجائزة لغةً فاذا لم يتيسَّر ذلك بعد البحث الشديد يستعار اللفظ الاعجمي بعد صقلهِ ووضعهِ على مناهج اللغة العربية ويستعمل في اللغة الفصحى بعد ان يعتمدهُ المجمع اللغوي الذي سيؤلف لهذا الغرض "

فائدة السناجيب والديدان

السنجاب او القرقذون حيوان صغير يكثر في البلدان الباردة حيث تكثر الاشجار ذات الجوز فان طعامهُ من جوزها وكان المظنون ان ليس منهُ غير الضرر ولكن اتضح الآن انهُ يطمر الجوز في الارض ليأْكلهُ وقت الحاجة اليهِ فينبت بعضهُ ولولا ذلك ما كثرت تلك الاشجار في الغابات. وظهر الآن ايضاً ان بعض الديدان التي تنخر الاشجار وجذورها تجمع بزورها في الاسراب التي تحفرها كأَنها تزرعها زرعاً وبذلك تفيد الغابات اكثر مما تضرها

الفاغوسيت والشيخوخة

الفاغوسيت اسم لكريات الدم البيضاء التي تأْكل الميكروبات المرضية وتنقذ الجسم من شرها. وقد قال الاستاذ متشنيكوف في كتاب الفهُ حديثاً موضوعهُ إطالة العمران هذه الكريات تبقى صديقة للانسان الى ان يشيخ فتنقلب صداقتها عداوةً وتصير تأْكل الحويصلات الضرورية من اعضائهِ الرئيسة ولا سيما من اعصابهِ. وتصير هذه الحويصلات عرضة لفتك الفاغوسيت اذا اضعفتها سموم الميكروبات التي تتولَّد في المعي الغليظ. ومن رأْي الاستاذ متشنيكوف انهُ يسهل تلافي ذلك بشرب اللبن الذي نزعت قشدتهُ وروّب بالباشلوس البلغاري اي صار مثل لبننا الرائب فانهُ يكون في اللترمنهُ نحو عشرة جرامات من الحامض اللبنيك فيمنع تولُّد ميكروبات الفساد في الامعاء

هذا ونحن نعرف شيخاً عُمّر مئة سنة او اكثر وهو على تمام الصحة ممتلئ البدن وكان يشرب اللبن الرائب في شيخوختهِ يومياً

العرب والحك المغنطيسي

جاء في جريدة ناتشر ان الاستاذ ويدمن وصف كتابين عربيين من القرن الثالث عشر والرابع عشر ذكرت في الاول منها طريقة مغنطة ابر الفولاذ بدلكها على قطع المغنطيس وفي الثاني طريقة لعمل الحك وذلك بوضع ابرة ممغنطة في جوف سمكة من الخشب فتطفو الخشبة على وجه الماء وتتجه الى الشمال والجنوب دائماً. وقد ذكرت هاتان الطريقتان في الكتابين كأَنهما من الامور المتعارفة حينئذٍ. ولم تذكر جريدة ناتشر اسم الكتابين

هبات كريمة

تركت مسز ريلندس المحسنة الشهيرة من اهالي منشستر ٥٠ الف جنيه لمدرسة فكتوريا الجامعة بمنشستر و ٢٥ الف جنيه لمدرسة اونس الكلية التي هي الآن جزء من مدرسة فكتوريا الجامعة و ١٠ آلاف جنيه لمدرسة منسفيلد في اكسفرد

الجوهر الفرد مذهب سوري

جاء في جغرافية سترابو في كلامهِ على مدينة صيداء ما تعريبهُ

"اذا وثقنا بما قالهُ بوسيدونيوس فاول من قال بالجوهر الفرد رجل من اهل صيداء اسمهُ موخُس نشأ قبل حروب تروادة"

وبوسيدونيوس هذا فيلسوف سوري من الفلاسفة الرواقيين ولد في مدينة حماة سنة ١٣٥ قبل المسيح ودرس في اثينا واقام في رودس وأُرسل منها سفيرًا الى رومية سنة ٨٦ قبل المسيح وألَّف كتبًا في الفلسفة والفلك والتاريخ لم يبقَ منها الَّا اجزاء صغيرة. قال الاستاذ مي في جريدة نانشر "ان ارجاع القول بالجوهر الفرد الى عالم سوري نشأ قبل ديموقريطُس لم يذكر في كتاب من كتب العلوم الطبيعية ولكن سترابو من الكتَّاب المدققين وبوسيدونيوس من اكبر الثقات"

تولد الانواع

يرى الاستاذ دينار انَّ البكتيريا وبعض اشكال الخمير والعفن ليست انواعًا قائمة براسها بل هي تتولد تولدًا من الطحالب الخضراء وقد استنتج هذه النتيجة بعد بحث طويل فانهُ كان يضيف ان مستنبت نوع من الطحلب مواد حامضة او قلوية او قليلاً من املاح النحاس فيتولد منهُ انواع من البكتيريا والعفن والخمير فاذا لم يثبت انهُ اخطأ في امتحاناتهِ او لم ينقها من بزور هذه الانواع فتكون النتائج التي وصل اليها من اغرب ما وصل اليهِ العلماء في هذا العصر

هبة فوق هبة

وهب المستر كارنجي اربعمئة الف جنيه لدارهِ العلمية في وشنطون فوق المليوني جنيه التي وهبها اياها اولاً

هبة علمية هندية

وهب مهرجا دربنهجا سبعة عشر الف جنيه لانشاء بناء فسيح يتصل بمدرسة كلكتا الجامعة ويكون دارًا لكتبها

هبة ركفلر

وهب ركفلر مدرسة شيكاغو ٢١٩١٠٠٠ ريال فصار مجموع هباتهِ لها ٢٤ مليون ريال او اربعة ملايين وثمانمئة الف جنيه مصري

هبة عظيمة

ترك وليم جورج ببرس لمدرسة ترنتي الكلية من جامعة كمبردج نحو اربع مئة الف جنيه وهي اكبر تركة تركت لجامعة انكليزية

اصل الاستراليين

وجدت جماجم قديمة في اوربا يستدل

من شكلها على انها لقوم منحطين جداً حتى يكادوا يكونون نوعاً قائماً برأسهِ . وقد انشأ الاستاذ سولاس رسالة عن هذه الجماجم وقال انها تشبه جماجم اهالي استراليا الاصليين وتدل على ان سكان اوربا القدماء واهالي استراليا الاصليين من شعب واحد

كلية البنات في القاهرة

رأى حضرات المرسلين الاميركيين احتياج السكان في مدينة القاهرة الى مدرسة كلية يتعلَّم فيها بناتهم العلوم العالية فابتاعوا ارضاً فسيحة لذلك امام الشارع العباسي شمالي القاهرة واحتفلوا في الخامس والعشرين من فبراير بوضع حجر الزاوية للبناء الذي عزموا على تشييدهِ وحضر الاحتفال خلق كثير وتليت فيهِ الخطب الحسان بالعربيةِ والانكليزية ذكرت فيها حاجة القطر الشديدة الى مدارس عالية لتعليم البنات وابان احدنا الدكتور فارس نمر في خطبتهِ ان عدد الاناث في هذا القطر يبلغ نحو ستة ملايين ومع ذلك فليس منهنَّ في المدارس كلها مصريةً او اجنبيةً غير عشرين الف بنت ونحو نصفهنَّ من بنات النزلاء في هذا القطر فلا يكاد يكون في مدارس القطر بنتان وطنيتان من كل الف من المصريات الوطنيات ونحو ثلث التلميذات المصريات في مدارس المرسلين الاميركيين

ووصف حضرة المحامي الفاضل اخنوخ افندي فانوس حالة التعليم الابتدائي على ما كان عليهِ قبل عهد المرسلين الاميركيين وما صار اليهِ بسعيهم وهمتهم وذكر فضلهم الاكبر في انشاء مدارس البنات لان المرأة هي القوة المؤثرة في الهيئة العائلية والهيئة الاجتماعية

وتكلم سعادة صدقي باشا محافظ العاصمة في هذا المعنى وذكر شدة احتياج المصريين الى تعليم بناتهم واوضح مقام المرأة المتعلمة في الهيئة الاجتماعية الراقية

وسيكون في هذه المدرسة غرف لمنامة تسع ٢٠٠ تلميذة وقاعات للدرس والتدريس وتقدر نفقات البناء بستة عشر الف جنيه ويعلَّم فيها العربيةُ والفرنسوية والانكليزية والعلوم العالية التي تعلَّم في المدارس التي من نوعها في اوربا واميركا وتضاف اليها ثلاث دوائر دائرة لتعليم المعلمات ودائرة لتعليم الموسيقى ودائرة لتعليم الرسم والتصوير ودائرة لتعليم الخياطة والتفصيل

اكل الحشرات

المظنون ان الناس كلهم يعافون اكل الحشرات على انواعها وقد تقزَّز النفس من مجرَّد القول ان الحشرات تؤكل ولكن الحقيقة التي لا ريب فيها ان كثيراً من الحشرات يؤكل ويعدُّ من افخر انواع الطعام فالجراد يأكلهُ البدو في اماكن كثيرة وتستطيبهُ قبائل

كثيرة في افريقية وبعضهم لا يأكل سواهُ من انواع اللحوم كأنهُ طعامهم الخاص . وكان القدماء يأكلونهُ من قديم الزمان ففي دار التحف البريطانية منقوشات قديمة من آثار نينوى فيها رسوم انواع الاطعمة وفي جملتها الجراد . وكان اهالي اثينا يأكلون الجراد والجنادب ويبيعونهما في اسواقهم كانهما من الاطايب ويفضلونهما على السماني . وقد حللت شريعة موسى اكل الجراد . ولا يزال عرب نجد يجففون الجراد ويسحقونهُ ويمزجون مسحوقهُ بالدقيق وكذا يفعل سكان اواسط افريقية ويطبخون منهُ نوعاً من الحساء . واهالي مدغسكر يحمصونهُ ثم يطبخونهُ مع الرز . واهالي الجزائر يسلقونهُ ويملحونهُ ويأكلونهُ . واهالي جنوبي روسيا يدخنونهُ كما يدخنون السمك ومتى ارادوا اكلهُ سلقوهُ قبل ذلك او شووهُ او قلوهُ

وفي الارض دود ابيض كبير يتولد منهُ نوع من الخنافس ومنذ عشرين سنة أولمت وليمة في قهوة كستوزه بباريس وقدم فيها هذا الدود مقلوًّا بعد مزجهِ بالدقيق واللبن والبيض وكان المدعوون خمسين نفساً فاكلوا منهُ واستطابهُ اكثرهم . ولا يزال البعض يأكلون هذا الدود في فرنسا الى يومنا هذا مشويًّا بعد مزجهِ بالدقيق وفتات الخبز

وكان الرومانيون يأكلون نوعاً من الديدان البيضاء الكبيرة التي تنخر سوق الاشجار

وفي استراليا نوع من الفراش يكثر فيها في بعض فصول السنة ويجتمع على الاشجار كخشارم النحل فيوقد الاستراليون نارًا تحتها حتى يخنقها الدخان ثم يطفئون النار ويجمع الفراش الواقع ويوضع على الرضف حتى يشوى وتحترق ارجلهُ واجنحتهُ فيسحقونهُ ويأكلونهُ

وعند اهالي جاوى نوع من الدود يكون في شجر النخل فيجمعونهُ ويشوونهُ ويمزجونهُ بالافاويه ويقولون انهُ اطيب انواع الاطعمة

وكان اليونانيون يأكلون زيز الحصاد ويستطيبونهُ جدًّا ويأكلون الصراصير ايضاً . وفي افريقية قبائل تأكل الزيز والصرصور

واهالي الصين يأكلون زيزان شرانق الحرير وهي عندهم من الطيبات ويشترون الرطل منها بغرشين ويأكلون ايضاً الديدان البيضاء التي تكون في مثل المش المصري ويأكلها بعض المصريين ايضاً

هذا من حيث الحشرات الكبيرة التي ترى بالعين اما الحشرات الصغيرة التي لا ترى بالعين فكل الناس يأكلونها وهم لا يدرون . انظر الى قطعة من الجبن بمكرسكوب صغير فقلما تراها خالية من حشرات صغيرة تدبُّ عليها والناس كلهم يأكلون الجبن ولا يسألون عما فيهِ من الحشرات

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثالث والثلاثين

١٨٥ البرتغال وملكها

١٨٩ ماذا تأكل وماذا تشرب

١٩٣ اصل النبط في البتراء . للاستاذ جبر ضومط

١٩٩ سوانح وبوارح . م – خ

٢٠١ الحنين الى لبنان . لداود بك عمون

٢٠٢ الصناعة السورية زمن الحروب الصليبية . ص . ي

٢٠٧ المتنبي والبهاء زهير . للمرحومة انيسة الشرتوني

٢١١ الملاحة عند القدماء . ج . ي

٢١٨ تعريب الاسماء الاعجمية . للشيخ محمود الخضري المدرس بمدرسة القضاء الشرعي

٢٢٦ العقل والدماغ (مصوَّرة)

٢٣٣ الاطيان والضرائب بالقطر المصري . لجرجس بك حنين

---

٢٤٢ باب المراسلة والمناظرة * الشفاء الغريب . الشتاء الغريب . ترجمة مصطفى باشا كامل الحياة في المريخ

٢٥١ باب الرياضيات * الغريبة الجبرية

٢٥٢ باب تدبير المنزل * انواع الرياضة . تربية الاولاد على الاقتصاد . الوقاية من الكوليرا فائدة الصوم

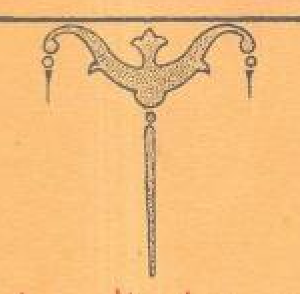
٢٥٨ باب التقريظ والانتقاد * كتاب البدء والتاريخ . التوموغرافيا . لغة العالم الجديدة الارصاد الجوية . مستشفيات الرمد

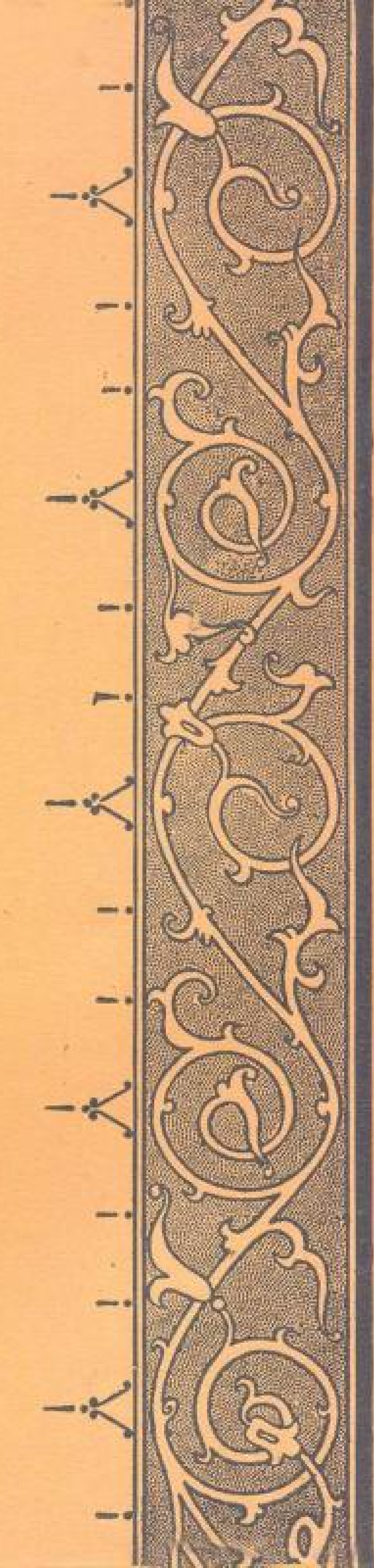
٢٦٣ باب المسائل * كتاب مسرات الحياة . خطب مجمع ترقية العلوم . السلطان ورعاياه . متخرجو المدارس الانكليزية . استهلاك الدين المصري . دخل ترعة السويس . امتياز ترعة السويس . تحوُّل المعادن . سبب الشيب الباكر . منع سقوط الشعر . الانسان واكل اللحم فائدة المصارين . سكان مدن سورية

٢٦٧ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٤ نبذة

رواية فتاة الفيوم ملحقة بالمقتطف







مستقبل العمران

الحب : لادلر

العلم : لهكسلي

التعليم : لولز

الاسرة : لرسل

الاقتصاد : لتشايس

رجال الشهر

غازوورذي ، غاندي ، سايس ، صديق بك

الازمة الاقتصادية

واشتباك المصالح الدولية

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثالث والثلاثين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٢٩ صفر سنة ١٣٢٦

الثورات الثلاث

حدث في هذه البلاد في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ثلاث ثورات كبيرة قام بها ثلاثة من الزعماء الاولى دينيَّة ومقرُّها بلاد الشام في ضواحي مدينة بيروت والثانية سياسية ومقرها القطر المصري والثالثة دينيَّة سياسيَّة ومقرها بلاد السودان · وهاك وصف هذه الثورات الثلاث بالايجاز التام

الاولى ثورة الشام

في اواسط سنة ١٨٧٩ قام رجل ضعيف الحال كثير الادواء في قرية الشويفات احدى قرى جبل لبنان المجاورة لمدينة بيروت وادَّعى ان ملاكاً اوهاتفاً جاءهُ في ظلمة الليل واوحى اليهِ انهُ سيشفى من امراضهِ وادوائهِ الكثيرة اذا فعل ما امرهُ بهِ · وكان اعمى احدب اعسم تأتيهِ نوبات الصرع فتعدمهُ الحركة ففعل كما أُمر فتدرَّج في الشفاء على النحو الذي قال ان الملاك عيَّنهُ لهُ فكان لشفائهِ ثورة عظيمة في النفوس

وسبب تلك الثورة كان افعل جدًّا من سبب الثورتين التاليتين ولكن زعيمها لم يكن واسع الحيلة ولا اتفق ان نصرهُ اناس كبار المطامع عززوا دعوتهُ فلم تلبث ثورتهُ طويلاً حتى نسيت ونسي اسمهُ . وهو الرجل الذي جاءهُ وصفهُ في الجزء الماضي من المقتطف في باب المراسلة وكان يلقب بقديس الشويفات

ولقد يسهل على المرء ان يقف الآن وينظر الى ذلك الحادث بعين الازدراء او قلة الاكتراث اما في تلك السنة سنة ١٨٧٩ فلم يكن احد يجسر ان يقول كلمة تدلُّ على ارتيابهِ في صحَّة دعوى الرجل حتى ان الاطباء اذعنوا لها حينئذٍ ولزموا الصمت لشدَّة التيار الذي كان ثائراً في وجوههم · والرجل من طائفة الروم الارثوذكس وكانت المغايرة والمناظرة بين

الطوائف المسيحيَّة على اشدها ولكن الموارنة والكاثوليك والارمن والبروتستانت بل والمسلمين والدروز والمتاولة — كل الطوائف المسيحيَّة والاسلامية التي في بلاد الشام وما جاورها وقفت وقفة الدهشة وهي تقول بلسان واحد هذه يد الله

واي حادث من حوادث التاريخ واي رجل من ابناء الزمان اصدق من اعمى مفلوج كسيح اعسم يقول لك جاءني ملاك في ظلمة الليل وقال لي افعل كذا وكذا فتشفى من ادوائك كلها شفاء متدرجاً ففعل وشفي وشاهده الاطباء والوف من الناس في غضون هذه المدة وشهدوا كلهم انهُ كان مصاباً بهذه الادواء وانهُ شفي منها رويداً رويداً وتمَّ شفاؤُهُ في اليوم الذي حدَّدهُ لهُ الملاك او الهاتف . وقد نشرت الجرائد حينئذٍ اقوالهُ الاولى التي قالها في حينها ثم جعلت تنشر في طول البلاد وعرضها كيفيَّة تدرُّجه في الشفاء والرجل قائم في سهل فسيح على شاطئ البحر والوف من الناس يزورونهُ كل يوم ويرون تقدُّمهُ في الشفاء والمرضى والزمنى يأتونهُ يوماً بعد يوم من الاقطار القريبة والبعيدة ثم يعودون حاسبين انهُ شفاهم من امراضهم وادوائهم . ولا شبهة في ان بعضهم كانوا يشفون حقيقة ولاسيما المصابون منهم بامراض عصبيَّة او بعلل وهميَّة ثم يعودون الى ذويهم ويخبرون بما شاهدوا او بما رسخ في اذهانهم. ولا يخفى ان الاخبار تتعاظم بالابتعاد عن مصدرها ولاسيما اذا كانت مما يعلق بالوهم في بلاد تسلطت الاوهام عليها منذ قرون عديدة . ولذلك كنا نسمع كل يوم خبراً جديداً مدهشاً حتى صار اشد الناس تدقيقاً يصدق ما يسمع من غير بحث وينقلهُ ويبالغ فيه . وانتبه الناس الى كل حادثة وربطوها بالحادثة الكبرى . كانت فتاة ذاهبة مع الذاهبين لزيارة قديس الشويفات كما لقبوهُ فوقعت عن الدابة التي كانت راكبة عليها وكسرت يدها فذاع وشاع انها كانت غير مؤْمنة وانها كاشفت بذلك جارتها التي كانت سائرة الى جانبها فقالت لها جارتها ان كنت ذاهبة وانت غير مؤْمنة فستقعين وتكسرين يدك ولم تتم الكلام حتى وقعت وكسرت يدها لقلة ايمانها

وكان ذلك الرجل يغتسل في بركة على شاطئ البحر فينزح ماؤُها حالاً ويوضع في قناني ويوزع في البلاد ليتداوى به المرضى من كل الطوائف والامم . والناس صامتون مبهوتون البسطاء منهم مصدقون واهل العلم والركانة لا يجسرون ان ينبسوا ببنت شفة . ولقد جاهرنا في المقتطف بمقاومة الخرافات والاضاليل مهما كان اصحابها مسموعي الكلمة او مؤيدي السلطة اما قديس الشويفات فلم نجسر ان نقاومهُ جهاراً ولا تصريحاً بل اكتفينا بالتلميح وقلنا "ولولا ضيق المقام وخوفنا ان يحسبنا البعض نتصدى للاعتقادات الدينيَّة التي ليست من

بحثنا لكشفنا القناع عما هو جارٍ الآن في نواحينا وخبره يتعاظم يوماً فيوماً · فصبراً الآن فسوف يكشفهُ الزمان " · وهذه العبارة على تحذرنا الشديد فيها اقامت علينا القيامة من الاصدقاء الذين قرأوها وفهموا مغزاها · ولم يكن شفاء الرجل قد تمَّ حينئذٍ فلما تمَّ لزمنا الصمت التام لانهُ لم يكن في الامكان مقاومة تيار الرأي العام

وقد يسهل على المرء ان يقف الآن بعد مضي ثلاثين سنة ويزدري حال الناس حينئذٍ كما قلنا سابقاً ولا يصدّق انهم كانوا على هذا القدر من الاستسلام للاوهام ولكن الذين راقبوا ثورة الافكار حينئذٍ يعلمون خطارتها ويشهدون معنا انهُ لو كان ذلك الرجل واسع الحيلة كبير المطامع او لو وُثق بمرشدين من اهل الرأي والنظر لفعل ما يشاء لان البلاد كلها كانت منقادة لامره · اما وقد كان سليم النية حسن الطوية تخيَّل له انهُ يصيب في كل خاطر يخطر له كما اصاب في امر شفائهِ فاشار الى اهل بلدهِ ان يحفروا على رأس تلّة فيجدوا ماء فحفروا لقلّة فراستهم وشدّة اعتقادهم بهِ فلم يجدوا شيئاً ولم يكونوا واسعي الحيلة حتى يخفوا فشلهم ولا كان لهم مأرب بنجاح دعوتهِ ولو كانت غير صحيحة فضعف شأنهُ رويداً رويداً ولاسيما لانهُ لم يلقَ مقاومة تجمع الناس اليهِ وتعصبهم له ولولا ذلك او لو توفي بعد شفائهِ وقبل ان يفشل في استنباط الماء لكنت ترى الالوف وعشرات الالوف يزورون قبرهُ الآن كأنهُ من كبار الاولياء

هذا وقد بيّنا كيفيَّة شفائهِ في كلامنا على الرسالة المدرجة في الجزء الماضي فلا داعي للاعادة

الثانية ثورة مصر

يُرى في بعض الايام في متنزه الجزيرة مركبة صغيرة يجرها فرس ضئيل فيها رجل طويل القامة ضعيف الجسم شائب اللحية يمرُّ بهِ الناس وقلَّ من يلتفت اليهِ منهم · الشيوخ والكهول لم ينسوهُ وان كانوا قد نسوا ما كان لهُ من الجاه والسطوة اما الشبان شبان هذا العصر فلم يروا ولن يروا رجلاً حاز من الشهرة ورفعة المقام ما حازهُ عرابي باشا في زمانهِ فان ذلك الشيخ الاشيب الذي يخرج منه الناس الآن هو عرابي باشا الذائع الصيت صاحب الثورة العرابية التي اقامت اوربا واقعدتها واخرجت الاسد البريطاني من عرينهِ · عرابي باشا الذي خرج القطر المصري كله وراءهُ وكان جلالة سلطان آل عثمان يرسل اليهِ الوفود بالنياشين ووكلاء الدول الاوربيَّة يطلبون منهُ الأمان على رعاياهم

قال لنا وجيه من وجهاء الاقباط بالامس ان عمي العريض الجاه الواسع الثروة اضطرَّ من باب المجاملة بل من باب المحافظة على دمهِ ومالهِ ان يقدّم الخيل والثياب لعرابي وجنودهِ

وكذا فعل غيره وغيره من وجوه الاقباط وهم كارهون لتلك الثورة خائفون من عواقبها

الانسان سريع النسيان ولكن صحف الاخبار لا تنسى وما ينشر فيها اليوم عما يحدث اليوم يبقى تاريخاً خالداً . وامامنا الآن كتاب كبير كله قطع من الجرائد الاوربية والاميركية التي صدرت في ايام الثورة العرابية وكلها عن عرابي وافعاله فلم يكن اسم الخديوي توفيق باشا يذكر فيها مرة حتى يذكر اسم عرابي مئة مرة

كتب المستر بلنت الى المستر غلادستون رئيس الوزارة الانكليزية حينئذ يصف عرابي بقوله تحدثت ملياً مع عرابي واؤكد لكم انه رجل غير عادي فهو قوي الحجة واسع العلم واسع الاخبار عارف بامور دينه مثل اكبر العلماء . آراؤه ليست مقتبسة من آراء الاوربيين كأنها صدى لها بل هي مبتكرة مبنية على معرفة واسعة بالتاريخ وبتقاليد العرب الموروثة عن السلف حينما كانت حكومة الاسلام شورى . وهو يتنصل من كل غرض شخصي وانا اصدقه وليس عندي اقل شبهة في ان البلاد كلها معه والجند كله طوع امره وفي قبضة يده . يدعي انه شريف من قريش ولهذا الامر شأن كبير في تملق قواد الجند به وطاعتهم له . وهو يتكلم عن نفسه بتمام الدعة فقد قال "اني نائب عن الجيش لان الاحوال جعلتهم يثقون بي والجيش نائب عن الامة وهو حاميها وسيبقى حامياً لها الى ان تستغني عنه . ونحن الآن القوة الوطنية الوحيدة القائمة بين مصر وحكامها الاتراك الذين يسهل عليهم ان يعيدوا في اية لحظة كانت مظالم اسمعيل باشا اما المراقبة الاوربية فلا تكفي وحدها لمنع ذلك كله ولا فيها ما يعد الامة لتتولى شؤونها بنفسها حينما تبطل تلك المراقبة المالية وهذا امر يعنينا نحن واقد الذنا الامة حق التكلم في مجلس يجمع اعيانها وغرضنا ان نمنع كل ما يحرمها ذلك الحق فنحن لا نسعى لانفسنا بل لاولادنا وللذين اعتمدوا علينا" . وقال لي في وقت آخر "اننا نحن الآن في مثل الموقف الذي كان فيه سيدنا عمر لما قال للذين حوله اذا وجدتم فيَّ عوجاً فقوموه فقال له واحد منهم لو وجدنا فيك عوجاً لقومناه بسيوفنا . ونحن ابناء مصر لا نحب سفك الدماء ونرجو ان لا نسفك دم احد وحينما يصير مجلس نوابنا قادراً على الكلام ينتهي عملنا ولكننا لا نغمد سيوفنا قبلما نبلغ تلك الغاية ولا نخشى بعون الله ان نثبت مقدرتنا على حماية حقوقنا"

هذا ما كتب به المستر بلنت الى الوزير غلادستون في وصف عرابي باشا وقد نشر في مجلة القرن التاسع عشر سنة ١٨٨٢

ويظهر من كل ما كتب عن الثورة في ذلك الوقت ان الجنود كلهم كانوا في يد عرابي وهذا كان اعتقاد الخديوي نفسه فقد جاء في جريدة التيمس في رسالة من مصر بتاريخ ١٣ مايو سنة

١٨٨٢ انهُ لما تشرف سلطان باشا والنواب بمقابلة الخديوي قال لهم انكم طلبتم حل الوزارة في شهر فبراير لا لانكم كنتم على خلاف معها بل لان الحربيَّة اضطرتكم وقد انكرتم ذلك حينئذٍ ولكنكم اعترفتم بهِ الآن. ثم قال لهم انهُ لا سبيل الى المصالحة الاَّ اذا استعفى عرابي من منصبهِ

وجاء فيها بتاريخ ١٥ مايو ان قنصل فرنسا حاول اقناع مصطفى باشا فهمي بقبول رئاسة مجلس النظار فقال لهُ مصطفى باشا انهُ ان فعل ذلك فلا امان عليهِ من عرابي باشا

his life would be in danger from Arabi Pasha if he did so

ثم زار القنصلان قنصل فرنسا وقنصل انكلترا عرابي باشا وقالا لهُ انهما يحسبانهِ مسؤُولاً شخصيًّا عن كل اضطراب يقع في القطر المصري فقال لهما انهُ يكفل النظام والامن العام ما دامت السلطة في يدهِ والاَّ فلا يكفل شيئًا. فقالا لهُ اننا اتينا لتحذيرك رسميًّا وليس لنا شيء آخر نقولهُ

هنا دولتان عظيمتان تنوبان عن اوربا كلها تخاطبان عرابي باشا كانهُ الشخص الوحيد الذي في يدهِ كل امر وساطة في القطر المصري

ونشرت التيمس رسالة من مصر تاريخها ١٦ مايو سنة ١٨٨٢ يقال فيها ان الخديوي استدعى سلطان باشا رئيس مجلس النواب وطلب منهُ ان يسمي لهُ اناسًا ليعينهم نظارًا فقال لهُ سلطان باشا انهُ مستعد لخدمتهِ في كل شيء ولكن تعيين النظار ضرب من العبث ما دام عرابي هو حاكم البلاد فعلاً so long as Arabi remaind practically ruler of Egypt

ويزعم البعض ان سلطان باشا كان مقاومًا لعرابي باشا ولكن الذين راقبوا الاحوال حينئذٍ كانوا يقولون غير ذلك فقد كتبت التيمس بتاريخ ١٩ مايو سنة ١٨٨٢ ان سلطان باشا صديق لعرابي وآلة في يدهِ. Sultan is a friend and an instrument of Arabi Pasha.

ولكن لما جاءت البوارج الانكليزية وضربت الاسكندرية استعزَّ سلطان باشا وغيرهُ وصاروا يجسرون على مقاومة عرابي اما قبل ذلك فكانوا كلهم طوع امرهِ

وليس من غرضنا ان نذكر هنا الثورة العرابيَّة بتفاصيلها فقد ابقينا ذلك الى مكان آخر بل ان نبين ان رجلاً فلاحًا من ضباط الجيش المصري نهض فنهضت البلاد معهُ وثارت في وجه خديويها ووجه سلطانها ووجه اوربا كلها فكانت الثورة العرابية المشهورة التي لم ترَ مصر ثورة مثلها منذ ايام الفراعنة

الثالثة ثورة السودان

الثورتان السابقتان الاولى منهما دينيَّة سلمية ذهبت ولم تضرَّ احدًا الاَّ الذين تجشموا

مشقات السفر وتحملوا نفقاته فجاءوا ساحل بيروت من البلدان النائية · والثانية حربية دموية ذهبت فيها مئات والوف من النفوس وخسرت البلاد الملايين من الاموال وافضت الى الثورة الثالثة

والثورة الثالثة دينية وسياسية فاجتمعت فيها شرور الثورتين وزادت عليهما باستمرارها طويلاً ·

قام محمد احمد الملقب بالمهدي وهو عالم ضعيف الحال اغتاظ من شيخهِ لانهُ اهانهُ فخرج عليهِ وجعل ينتقدهُ بجراءة قليلة النظير فذاع صيتهُ حالاً واجتمع الناس عليهِ يتحفونهُ بالهدايا وهو يوزعها على الفقراء ادعاء بالزهد مع انهُ كان يطلب علو الكلمة والتفوق على شيخهِ الذي اهانهُ · ولما رأى انهُ ناوأ شيخهُ ونجح جعل يناوئ رجال الحكومة المصرية المبثوثين في السودان شاكياً من ظلمهم فزاد اشياعهُ لان الناس يميلون الى الشكوى بالطبع ويلتفون حول من يعدهم بتفريج الكرب · ولله در القائل

ان نصف الناس اعداءٌ لمن ولي الاحكام هذا ان عدل

ومن الذين انضموا اليهِ عبد الله التعايشي واخوتهُ وكان عبد الله ناقماً على الحكومة المصرية لان الزبير باشا الوالي من قبلها كان قد قبض عليهِ وامر بقتلهِ ثم اطلقهُ بشفاعة بعض العلماء وكان عبد الله التعايشي داهية واسع الحيلة فقام بدعوة محمد احمد وقال انهُ هو المهدي المنتظر فانتشرت دعوتهُ في السودان انتشار النار في الهشيم لان البلاد كلها كانت ناقمة من جور حكامها · والتفت الالوف حولهُ فحارب بهم رجال الحكومة المصرية وتغلب عليهم وما زال امرهُ يتعاظم وعدد انصاره يتزايد الى ان استولى على بلاد السودان كلها وجعل يتهدد مصر في عقر دارها وصار لهُ مملكة مستقلة مثل اعظم ممالك افريقية

ولم يكتفِ بالانقلاب السياسي الذي احدثهُ في تلك البلاد بل احدث فيها انقلاباً دينياً لا يقل عن الانقلاب السياسي وكأنهُ انشأ فيها ديناً جديداً ورسم فرائضهُ وقواعدهُ وشعائرهُ . ولو أُعطي شيئاً من الحكمة وحسن التدبير وجرى التعايشي في خطتهِ واهتم بترقية الشؤون الزراعية والصناعية والتجارية لكانت بلاد السودان الآن مملكة مستقلة سياسياً ودينياً بل كانت اعظم شأناً من بلاد مراكش ان لم تقل من بلاد ايران

وقد اسهبنا في الكلام على قيام المهدي وخليفتهِ وسقوطهِ في المجلد العشرين من المقتطف فنكتفي الآن بهذه السطور للدلالة على ما نحن بصددهِ

هذه ثورة ثالثة حدثت في الربع الاخير من القرن التاسع عشر قام بها عالم صغير مستضعف وكان في الامكان ان تصير من اعظم حوادث الدهر ولكن ما كان يتيسر في العصور الغابرة لا يتيسر في هذا العصر

كيف تولدت الطيور

لا يخفى ان في تولد انواع الحيوان مذهبين الاول انها خُلقت وكل نوع منها قائم برأسهِ بمميزاتهِ وان ما بينها من التشابه انما كان لان خالقها اراد ان يكون بينها هذا التشابه من بعض الوجوه كما اراد ان يكون بينها اختلاف من وجوه اخرى لاغراض لا نعلمها . والثاني ان انواع الحيوان متولدة كلها من اصل واحد او بضعة اصول وان ما بينها من التشابه دليل على وحدة اصلها وما بينها من الفروق عرض تولد فيها لاختلاف المؤثرات الخارجية كما تتولد المميزات في افراد النوع الواحد باختلاف الامكنة والمؤثرات . وعلى هذا المذهب الثاني اكثر علماء الطبيعة وهم يقولون ان الطيور تولدت من الزحافات المعروفة بالعظايات . وقد وضع بعضهم رواية فكاهية عبَّر بها عن كيفية هذا التولد على اسلوب بديع قال :

حدث منذ عشرين مليوناً من السنين ان ذكرًا وانثى من العظايات الكبيرة تزاوجا واستقرَّا في احد السواحل البحرية في غربي اوربا وكان لكلٍّ منهما رأس كبير طويل مستدقٌّ كمنقار الطائر ويدان طويلتان ورجلان قصيرتان والذكر منهما اكبر من الانثى جسماً واشد عضلاً فعاشا كلاهما بالرفاه والهناء على احسن حال في ذلك العصر وهو العصر الثاني من العصور الجيولوجيَّة . وكان غارهما شديد الرطوبة ولكن رطوبتهُ لم تضرُّهما بل تنعشهما ولا سيما بعد ان علا النبات حولهُ وصار يحجبهما عن الانظار

ولم تمضِ ايام كثيرة حتى ولدت الانثى ولدًا ذكرًا فاحتضنتهُ كالام الرؤوم ورآه ابوهُ فاعجبهُ وجعل يسعى لزوجتهِ وولدهِ ثم انتبه هو وهي ان في ولدهما شيئًا لم يرياهُ في اولاد غيرهما من العظايات وهو غشاءان لحميان صفيقان يمتدان من يديهِ الى حقويهِ . فجعلا يفكّران في امر هذين الغشائين ولا يدركان المراد منهما ولا كيف تولدا الاَّ ان ذلك لم يصرفهما عن حب ولدهما لان الولد فلذة من الكبد . ولما رأيا ان هذين الغشائين كالجناحين سمياهُ ابا جناح ولم يكن في الارض حيوان مجنَّح غير الحشرات

وشبَّ ابو جناح شديد الاعصاب قوي العضل فافتخر والداهُ بهِ وجعلا يسيران في طلب الرزق ويأخذانهِ معهما يعلمانهِ الصيد والقنص . ولم يكن العدوان شديدًا بين الحيوانات في تلك الايام لانها كانت تعلم ان بعضها خُلق لبعض أكلاً فاذا اقتنص الكبير منها الصغير خضع الصغير لحكم القدر . ورأى ابو جناح من والديهِ عضدًا لهُ فاغترَّ بنفسهِ ولم يعد يحسب لغير الايام حسابًا . وظلَّ على هذه الحال والخيلاء ملء دماغهِ الى ان رأى

عظاية من نوعهِ في ريعان صباها فشغفت لبهُ وكاشفها بما في فؤادهِ فنظرت الى جناحيهِ وتبسمت ثم قالت لهُ لا تنتظر مني وصلاً ما لم ارَ منك فعلاً تمتاز بهِ على اقرانك

فقال لها اذا كان الامر كذلك فسترين مني ما تفتخر كل زوجة ان تراهُ في زوجها .

واخذ من ذلك الحين يفكر في طريقة يظهر بها بسالتهُ حتى ترغب حبيبتهُ فيهِ

واتفق ذات يوم انهُ كان واقفاً على قمة اكمة فرأى وحشاً كبيراً يدنو منهُ وهو طويل العنق هائل الجثة جسمهُ مغطًّى بحراشف كبيرة صفيقة كالدروع وذنبهُ طويل غليظ يستدق رويداً رويداً حتى يصير كالقصبة وهذا الوحش من نوع العظايات ولكنهُ من اكبرها جسماً واشدها بطشاً فعلم ابو جناح انهُ اذا قبض ذلك الوحش عليهِ لم يكن الاَّ لقمةً في فيهِ . وكان ابواهُ قد علماهُ ان يهرب من وجههِ حيثما رآهُ والاَّ قضي عليهِ اما الآن فلم يرَ الى الهرب سبيلاً لان الوحش باغتهُ مباغتة فشلت اعصابهُ . ولكن المصائب تنتج الغرايب والحاجة تفتق الحيلة فحدث حينئذٍ ما لم يحدث في عالم الزحافات من قبل فانهُ لم يكد ذلك الوحش يمد عنقهُ ليلتهم ابا جناح حتى بسط ابو جناح ذراعيهِ ووثب طالباً الفرار وجعل يرفرف مسرعاً خوفاً من عدوهِ فحملهُ الهواء كما يحمل الحشرات . فثبت لهُ حينئذٍ ان ذينك الغشائين اللذين لم يعلم لهما نفعاً قد انقذاهُ من الهلكة . ورأت العظايات ابا جناح طائراً في الجو فوقفت مدهوشة لانهُ اول حيوان طار في الهواء . ولم يكد يصل الى الارض حتى علم انهُ اتى من الفعال ما لم يأتهِ غيرهُ من الاقران واجتمعت العظايات حولهُ تسمع قصتهُ مع الوحش وتنظر الى جناحيهِ مدهوشة وطلبت منهُ ان يجرب الطيران امامها ففعل وطار فوق رؤُوسها ثم عاد الى المكان الذي طار منهُ والعيون شاخصة اليهِ . وكانت حبيبتهُ بين الجماعة وقد خفق فؤَادها حباً وسروراً فلم يكن الاَّ ايام حتى اقترنا ثم ولد لهما ثلاثة اولاد ولكل منها المزية التي كانت للوالد اي غشاءان صفيقان من ذراعيهِ الى حقويهِ . وتوالد نسلهما دهوراً طوالاً وهذه الخاصة فيهِ الى ان ولد لهُ اولاد على اجنحتها ريش وهي الطيور المعروفة . وقد حدث هذا كلهُ منذ الوف وملايين من السنين والآثار المتحجرة في الارض تدل على ذلك كما تدل آثار الهياكل المصرية القديمة على السكان الاقدمين وعمرانهم

ويقول علماء الطبيعة ان التغير يحدث في الافراد من وقت الى آخر فاذا نفع لحفظ الفرد وظهر في نسلهِ بالوراثة استمرَّ فيهِ وقوي رويداً رويداً بالاستعمال حتى يصير من المميزات او المقومات للنوع فيصير نسل ذلك الفرد نوعاً قائماً برأسهِ لكن الاختلاف الطبيعي لا يرسخ في النسل ويصير من مقومات النوع الاَّ بعد دهور طوال

الاطيان والضرائب بالقطر المصري

(تابع ما قبله)

لقد انتجت عملية تحويل الحيضان الى مزارع صيفية مستديمة زيادة في ثروة البلاد لا ينقص معدلها السنوي في الوقت الحاضر عن مليونين وستمائة الف جنيه وزادت ايرادات الحكومة ايضاً بمقدار اربعمائة الف جنيه ومن المحتمل ان تزيد الثروة باكثر من ذلك في المستقبل لان قلة الانفار الآن لا تخلو من التأثير على قيمة ايراد الارض الحقيقي ولكن الفوائد تزداد على نسبة ازدياد الانفار بزيادة المواليد وارتقاء معارف الفلاحين في العلم والصناعة وتوسعهم في الخبرة بترتيب الزراعة والري وقابلية كل ارض وما تحتاجه من كماليات الاصلاح

ومن المحقق ان لذة السعادة وتقدم العمران وارتقاء الحضارة بمعانيها الصحيحة ستكون اعظم معزٍ عما قاساهُ المصريون اسلافنا من عذابات السخرة وازهاق الارواح في انشاء ما انشئ من اعمال المنافع العمومية والخصوصية لغاية سنة ١٨٨٥ التي ينتهي فيها تاريخ السخرة في هذه البلاد

ولم يكن حفر الترع والمصارف واقامة الجسور وبناء القناطر كل ما عملته الحكومة من وسائط ترقية البلاد وانماء الثروة بل عملت عدا ذلك من وسائط تقريب المواصلات وتسهيلها ما افاد تمام الفائدة في انتشار العمران واصلاح الاراضي · فمن ذلك ان السكك الحديدية التي بدئ باول عمل منها في شهر اكتوبر سنة ١٨٥١ قد بلغ امتدادها في داخلية البلاد ٢٢٥٥ كيلو مترًا ذلك عدا خطوط الشركات مثل شركة الدلتا وشركة الفيوم وشركة الواحات التي وصلت اليها السكة الحديد في الشهر الماضي · ومنها انشاء السكك الزراعية وبناء الكباري والقناطر بين البلاد وبعضها في كل انحاء القطر · ومنها ان اسلاك التلغراف التي بدئ منها بالاشارات البرية في سنة ١٨٢١ قد بلغ امتدادها في داخلية البلاد ١٥٠٨٠ كيلو مترًا ذلك عدا اسلاك التليفون . ومنها ان خدمة نقل المراسلات والنقود المعروفة بمصلحة البريد قد بلغ من اتساعها في داخلية البلاد ان صار لها ٨٥٠ مكتبًا

ومما زاد في تحسين حالة الاراضي وغلاء قيمتها انتشار الوسائط الاقتصادية في الري

والحرث والحصاد والدراس وصناعة الاسمدة وغير ذلك فالى اوائل السنة الماضية لم يكن يستعمل بمصر غير الساقية والشادوف والنورج اما الآن فقد امتلأت شواطئ النيل وفروعه بالوابورات الثابتة والمتحركة التجارية التي تدار بالفحم وغيره من اصناف الوقود والتي تدار بالغاز والتوربيلات التي تدار بدفع الماء لرفع المياه وحرث الاراضي وحلج القطن وحصد الغلال ودراسها وغربلتها وطحنها ونخلها وجيء من البلاد الاجنبية بالاسمدة الكيماوية فضلاً عما يصنع منها في مصر. ونشأت في البلاد حركة جديدة للاستزادة من كمية المياه للاكثار من زرع القطن او الامن من العطش في فصل الصيف وهذه الحركة هي حفر الآبار الارتوازية الآخذة في التحسين من وقت لآخر. وتنافس المزارعون في انتقاء التقاوي والابزار والاثبات ببراهين التجارب عما يحسن نموهُ ويكثر محصولهُ في ارض ولا يحسن في غيرها. وبالغوا في العناية بتربية الخيول والبغال والابقار والجمال والاغنام وغيرها من مواشي الزراعة والرفق بها وصيانة صحتها ومنع تطرق الاوبئة اليها وتناظروا في صناعة الزبدة والالبان واستفادت الناشئة المصرية بالعلوم الزراعية والتجارب الكيماوية التي يمارسونها في مدرسة الزراعة الحديثة المهد. وتشجع الناس بما يلاقونهُ من مساعدات الجمعية الزراعية وتهافتوا على عرض اجود محاصيلهم ومواشيهم ومصنوعاتهم واختراعاتهم في المعرض العام الذي يزداد اهمية واتساعاً واقبالاً سنة فسنة

والوسايط الهندسية التي عملت لتقليل الشراقي قد افادت تمام الفائدة وقللت كثيرًا من خسائر الناس والحكومة لان الشراقي التي بلغ مقدارها في سنة ١٨٧٧ اي منذ ثلاثين سنة ١٣٠٠٠٠٠ فدان خسرت الحكومة قيمة ضرائبها ١١٢٠٠٠٠ جنيه اصبحت لا يزيد مقدارها مهما بلغ انحطاط النيل على ١٥٠٠٠٠ فدان وذلك بعد انشاء الخزان وستصير اقل من ذلك بكثير بعد انشاء قناطر اسنا

لا غرابة بعد الذي بيناهُ من وسائط انتشار العمران وتعميم الري الصيفي في الاقاليم الوسطى وكل انحاء بلاد الوجه البحري اذا قلنا ان الذي يزرع الآن من صنف القطن وحدهُ يبلغ مليوناً وثلثي مليون فدان او نحو ربع مقدار الارض التي تؤدي الضريبة في الوقت الحاضر. ولاثبات هذه الحقائق قد اتينا في الجدول الآتي على المقارنة بين ما كان يزرع من كل صنف في سنة ١٨٩٤ والذي يزرع في سنة ١٩٠٧ مأخوذاً عن الاحصائيات التي تعمل بمعرفة المالية

فدان سنة ١٨٩٤	فدان سنة ١٩٠٧	
٩٦٥٠٠٠	١٦٠٣٠٠٠	قطن
١٤٠٠٠٠٠	١٧١٣٠٠٠	دره شامي ودره بلدي ورز سبعيني نيلي
١٢٩٦٠٠٠	١٢١٨٠٠٠	قمح
٦٩٠٠٠٠	٥٩٥٠٠	فول
٤٦٠٠٠٠	٤٥٨٠٠٠	شعير
٢٦٧٠٠٠	٢٣١٠٠٠	دره قبطي ورز سلطاني صيفي
١١٩٤٠٠٠	١٦٠٠٠٠٠	ربيع واصناف اخرى
١٣٥٠٠	٢٧٠٠٠	جنائن

وكلها تدل على نجاح عظيم في اصناف القطن وبقية الزراعة الصيفية اما ما يلاحظ من النقص في اصناف القمح والفول والشعير فهنا شيء كان لا بد من حصوله بعد تحويل ارض الحيضان التي تحولت من ري شتوي الى ري صيفي مستديم · ولا يفوتنا استلفات النظر الى انهُ قد جدَّت في بعض انحاء البلاد زراعة بعض اصناف حديثة منها الفول السوداني وزراعة الطماطس وزراعة البطاطة وربما عوَّضت عن زراعة الدخان والتنباك البلدي الذي منعت الحكومة زراعتهما بقانون ٢٥ جونيو سنة ١٨٩٠ تكثيرًا لاموال الخزينة من ايرادات جمارك الادخنة الواردة من الممالك الاجنبية · على ان الاهالي لا يزالون بعد ثماني عشرة سنة يجددون الالتماس بالتصريح لهم في زراعة الدخان البلدي ولا ندري ماذا يكون

وتبعًا لذلك كلهِ قد ارتفعت اسعار الاطيان ارتفاعًا محسوسًا في اثناء المائة سنة الماضية ولاجل تقدير قيمة هذا الارتفاع نقول ان متوسط معدل الفائدة في المعاملات العمومية يوازي خمسة في المائة ومما يقرب للحقيقة ان الفدان الذي يؤجر باربعة جنيهات يؤدي ضريبة للحكومة قيمتها مائة غرش فصافي الايراد اذن يكون ثلاثة جنيهات وهي فائدة رأس المال وعلى معدل خمسة في المائة يكون ثمن الفدان ستين جنيهًا او قيمة الضريبة مضروبة في ٦٠ فان صحت هذه القاعدة وطبقناها على الماضي والحاضر معًا ينتج معنا ان اثمان اراضي القطر المصري بلغت في نهاية المائة سنة الاخيرة ثمانية اضعاف ما كانت تبلغهُ في بدايتها وذلك لان الضرائب التي كانت تجبى في اوائل عصر المرحوم محمد علي باشا لم تكن تزيد وقتئذٍ على ٦٦٠٠٠٠ جنيه مصري وهذه القيمة مضروبة في ٦٠ تساوي نحو اربعين مليونًا من الجنيهات المصرية · اما ما يجبى الآن وهو ٥٠٦٣٠٠٠ مضروبة في ٦٠ فانهُ يساوي

نحو ثلاثمائة مليون واربعة ملايين جنيه وذلك يعد من احسن النتائج المالية في مدة من الزمن كهذه

من المعلوم ان اراضي القطر المصري مقسمة على البلاد ولكن لا يمكن تعيين الاسباب التي ينسب اليها اختصاص اي بلد باكثر او باقل من اطيان بلد غيره ولا كيفية الاصطلاح على تعيين نهاية الحدود بين البلاد المختلفة ولكن ذلك تابع في الغالب لمقدار نفوذ المتسلطين في الازمنة الغابرة . وقد قسمت اطيان كل بلد الى اقسام كانت تسمى قبالات في الوجه القبلي وحيضاناً في الوجه البحري اما الآن فكلها تسمى حيضاناً . ولا يعلم ايضاً على اي قاعدة عملوا ذلك التقسيم او اعطوا تلك الحيضان اسماءها التي تعرف بها الى الآن مثل حوض الروض او حوض الساحل مثلاً . اما التقسيم الآن فانهُ مبني على اعتبار ان تكون ارض البلد الواحد محدودة بقدر الامكان بحدود ثابتة مثل ترعة او جسر او مصرف . وان يكون كل حوض مساحة واحدة شكلها منتظم بقدر الامكان وان تكون ارضها كلها من نوع واحد وان لا تكون اكثر من مائة فدان ولا اقل من خمسين الاَّ في ظروف استثنائية وان تكون طرق ريها وتصفيتها ومواصلاتها وكل اعتباراتها الزراعية غير مختلفة في شيء ما مما يتعلق على وجوده ارتفاع او انخفاض قيمة ايرادها والغرض من ذلك هو ان توضع عليها كلها ضريبة واحدة بالمساواة

اما المعول في تقدير مسطحات الاراضي فهو على المساحة . ووحدة مساحة الاراضي الزراعية في وادي النيل الفدان وآحاده الصغرى القراريط فالاسهم ويتكون كل فدان من ٢٤ قيراطاً والقيراط من ٢٤ سهماً . والمقياس الذي كانت تقاس بهِ الاراضي هو القصبة وطولها ثلاثة امتار وخمسة وخمسون سنتيمترًا والفدان ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون قصبة وثلث قصبة مربعة او هو مساحة مربعة تمتد في كل من جهاتها الاربع ثماني عشرة قصبة وربع قصبة بفرق زهيد وبحساب الامتار بقدر باربعة آلاف ومائتي متر وثلاثة وثمانين سنتيمترًا . اما سبب تقدير الفدان ٣٣٣ ١/٣ قصبة فانهُ نتيجة اعتباره على متوسط المعدلات المختلفة التي كانت قاعدة المعاملات في متفرق البلاد وكذلك كان السبب في تقدير القصبة بثلاثة امتار وخمسة وخمسين سنتيمترًا . على ان القصبة أُبطل استعمالها بالكلية واستبدلت بسلسلة حديديَّة تسمى جنزيرًا طولهُ خمس قصبات وذلك فرارًا من الغبن الذي كان ينتجهُ المقاس بالقصبة

وقد اكتسبت المساحة تحسيناً عصريًا ووضعت قواعد اساسية لاجرائها ولرسم الخرائط التي تمثل اشكال الارض ومواقعها . وعلى هذه المبادىء عملت مساحة فك الزمام في جميع

انحاء القطر واستغرق اجراؤُها خمس عشرة سنة اذ بدئ بها في سنة ١٨٩٣ وتمت في سنة ١٩٠٧ وعملت لكل بلد خارطة مخصوصة مجزأة على لوحات ليسهل البيع منها للعموم كاملة او مجزأة على قدر حاجة الطالب . وهذه الخرائط تبين نمر الحيضان واشكال ونمر القطع المكونة لكل حوض حسب ما دلت عليهِ المشاهدات في الارض ذاتها بوضع ايدي الافراد . اما اسماء الحيضان ومقدار كل قطعة واسماء واضعي اليد فذلك يقيد في دفتر مرفق بالخارطة يسمى دفتر فك الزمام ويرسل مع بعض نسخ من الخارطة الى نظارة المالية وهي ترسلهُ الى المديرية ذات الاختصاص بامر يتضمن اعتمادهُ فتأخذهُ المديرية وتحرر مما فيهِ دفترًا يسمى المكلفة أُعدت بهِ صفحة مخصوصة لكل ممول تشتمل على مجموع ما وجد تحت يدهِ من الاطيان في كل حوض والمربوط منها بالضرائب وقيمة ضريبة الفدان في كل حوض ومجموع الضرائب السنوية . وقد سمي هذا الدفتر بالمكلفة لاشتماله على قيمة الضرائب المكلف باداتها كلٌّ من واضعي اليد . وهو يزيد عن دفتر فك الزمام بيان مفردات الضرائب ومجموعها وينقص عنهُ بيان القطع التي يحتويها كل حوض . على ان دفتر فك الزمام يحفظ مع الخارطة بلا ادنى تغيير . اما دفتر المكلفة فهو الذي فيهِ يقيد كل تغيير يحصل في وضع اليد كالبيع والشراء ورهن المنفعة والميراث والوصية والايهاب والتبادل وغير ذلك من كل انواع التغييرات بمقتضى العقود الشرعية والعقود العرفية المسجلة المفروض على المحاكم ارسال نسخة منها للمديريات . ويتغير هذا الدفتر مرة واحد في كل خمس سنوات ومقرهُ واجراءاتهُ كلها بقلم الايرادات بكل مديرية وهو معدود في عرف العوام من اقوى دعائم اثبات الملكية اما بحسب حقيقة وظيفتهِ فلا يمكن الاعتماد عليهِ في اثبات او نفي شيء من الحقوق الشرعية لانهُ عبارة عن مجموع حسابات الضرائب المتعين دفعها من اصحاب الشأن . وفي اول كل سنة يأتي جباة الضرائب المعروفون باسم صيارف البلاد الى ديوان المديرية ويكتبون مما في دفتر المكلفة دفترًا جديدًا عن الضرائب اللازم تحصيلها في السنة الجديدة ويسمّي ذلك الدفتر باسم الجريدة يخصصون بهِ صفحة مستقلة لحساب كل ممول نصفها العلوي لاصل حساب المال المطلوب تسديدهُ والنصف السفلي لحساب التسديدات التي يدفعها الممول تاريخًا تاريخًا منقولة عن دفتر آخر يسمّى اليومية يقيد فيهِ الصرَّاف كل دفعة وصلت ليدهِ من كل مموَّل وفي نهاية اليوم يقفل حسابهُ ويفتح حسابًا جديدًا لليوم التالي وهكذا . ويحرر الصراف لكل ممول صورة حسابهِ من دفتر الجريدة حرفيًا على ورقة يستخرجها من دفتر قسيمة تسمى في الحكومة باسم الورد وتسمّى في بعض البلاد باسم (الجنزير او الزنجير) وفي بلاد اخرى باسم الغلاق وفي غيرها

باسم الحسبة وهذا الورد هو المستند الوحيد الذي لا تأخذ الحكومة على مسؤوليتها اي شيء من تسديدات الممول غير مقيد فيهِ بخط يد الصراف وامضائهِ. وقد اعدت فيهِ صفحة لحساب اصول الضرائب اللازم تسديدها والصفحة الاخرى لقيد ما يسدد فعلاً

وقد يزيد الورد عما في الجريدة ترتيب الاوقات المقرر تسديد الضرائب فيها بحسب قرارات الحكومة والقيمة اللازم تسديدها في كل وقت . ويسلم الصيارف الاوراد لأربابها بالذات ان امكن او لمن يقوم مقامهم و ياخذون ايصالات منهم بتوقيعاتهم على القسيمة الثابتة في كعب الدفتر ويغتنمون فرصة تسليم الاوراد للحصول من اصحاب الاطيان او وكلائهم او مستأجري اطيانهم على بيان اصناف الزراعة المقرر زرعها في اطيان كل شخص تلك السنة فيقيدون تلك الايضاحات على الصحيفة الثانية من القسيمة الثابتة ويعملون منها مجموعة عن كل بلد يقدمونها الى المركز وفي المركز تعمل مجموعة عن كل بلادهِ وترسل الى المديرية وفي المديريَّة تعمل مجموعة عن كل بلاد المديريَّة وترسل الى المالية وفي المالية تعمل مجموعة عموميَّة وتحفظ لاعطاء ما يطلب منها من الايضاحات لمصالح الري ولغرفة التجارة وغيرها. وكل ذلك يتم في خلال الشهور الثلاثة الاول من كل سنة

وقد يقتصر حساب الجريدة والورد على مجموع المال السنوي ومجموع الاطيان المربوط عليها ضرائب ثم مجموع الاطيان التي لم تربط عليها ضرائب بلا تفصيل عن الحياض التي فيها ولا القطع المكونة لها ولا قيمة الضريبة المقررة على كل فدان . وكل ما يرد على المديرية من العقود تبلغهُ للصيارف لقيد التغييرات التي تحصل بمقتضاها في الجريدة والاوراد وفي نهاية السنة يسلم الصراف لدفترخانة المديرية دفاترهُ القديمة وهناك مراقبة شديدة جدًّا على الصيارف يشترك في ادائها مأمورو المراكز ومفتشو المالية ومفتشو الصيارف وكتبة المراكز وكتبة وموظفو القسم المالي بالمديرية للتحقق (١) ان الصيارف لم يختلسوا شيئًا من المال بطريقة استلامهِ من الممولين وعدم قيدهِ في دفاترهم (٢) وانهم لم يستلموا شيئًا في اول السنة مثلاً وتأخروا في قيدهِ وتسديدهِ للحكومة لآخر السنة لغرض تشغيلهِ واستثمارهِ لفائدتهم الخاصة في اثناء تلك المدة

اما قواعد ملكية الاطيان فلم يوجد شيء من المحفوظات القديمة يدل عليها دلالة يمكن الوثوق بصحتها والراجح ان طريقة الالتزام او التلزيم كان المرجع اليها في كل شأن من شؤون اثبات او نفي وضع اليد وتقدير وتحصيل الضرائب وما يتعلق بها . وطريقة الالتزام هذه كانت متبعة الى اوائل القرن التاسع عشر بكيفية ان تحدد الحكومة قيمة سنوية من المال على

كل بلد وتطرح ذلك في المزاد بين الراغبين من اكابر البلاد الذين كانوا يسمونهم في الغالب باسم الكشاف وتأخذ ممن يرسو عليهِ المزاد قيمة مال سنة مقدماً او كانت تعطي الالتزام بالاتفاق بلا مزاد . وكانت تعطي لكل ملتزم صكاً يسمى تقسيطاً بمقتضاهُ يحل في دائرة التزامهِ محل الحكومة في السيادة والامارة ويتصرف بمطلق التصرفات على ما ينبغي وليس ذلك فقط بل كان الملتزم ينتفع بقسم خاص من ارض البلد بلا ضرائب بالكلية يقوم بخدمتهِ وزراعتهِ اهل البلد ويأتونهُ بغلاتهِ غنيمة باردة وكان يسمى ذلك القسم باسم وسية الملتزم (جمعها اواسي). وكانت الحكومة تمنح كل ملتزم تعويضاً ماليًّا مقابل مسئوليتهِ عن جباية الضرائب

ويؤْخذ من اقوال بعض المؤرخين انهُ بعد اتمام زراعة الاصناف الشتوية كان المساحون ينطلقون و يقيسون زراعة كل شخص و بمقتضى تلك المساحة كان الزارعون يؤَدون الضرائب التي تطلب منهم. وخلاصة القول انهُ لم يكن لاحدٍ من الناس حق القرار على ارض معينة. ودام الحال كذلك الى اوائل حكم محمد علي باشا حيث ابطل الالتزامات واسترد الاطيان كلها للحكومة ورتب للملتزمين الذين اطاعوا اوامرهُ مرتبات نقدية على خزينة الحكومة بدل ما كانوا يكتسبونهُ من الالتزام وقد سميت تلك المرتبات باسم فرائض التزام . وعملت على اثر ذلك مساحة عمومية على اطيان القطر قيدت فيها الاطيان على اسماء واضعي اليد في وقت المساحة

وكان الاوربا ويون والحمايات ممنوعين من امتلاك اطيان في القطر المصري كما كانوا ممنوعين من امتلاكها في بقية بلاد الدولة العلية العثمانية . ودام الحال كذلك الى ان صدر فرمان شاهاني في ٧ صفر سنة ١٢٨٤ بالتصريح لهم بامتلاك الاراضي في بلاد الدولة على شرط ان يكونوا خاضعين في ذلك لقوانين الحكومة المحلية فابتدأوا باقتناء الارض واصبحوا الآن مالكين في هذه البلاد ٦٦٥٠٠٠ فداناً من الارض الزراعية

وكانت الارض كلها خراجية وكانت الحكومة وحدها صاحبة الحق في ملكية الاراضي كافةً . وليس لواضعي اليد عليها الَّا حق الانتفاع منها وكانوا يبيعون بعضهم لبعض هذا الحق بصيغة تنازل ولم يكن يجسر احد ان يكتب في عقدٍ ما انهُ باع او اشترى شيئاً من الاطيان . ولكن محمد علي باشا لمقصد استعمار الاراضي كان قد انعم بكثيرٍ من الاطيان على اصحاب الثروة ومنحهم حقوق الملكية فيها بكامل معانيها . وهذه هي الاطيان العشورية التي تقدم الكلام عليها وكان يجوز لهم فيها وحدها البيع والشراء وغير ذلك من انواع التصرفات وكان محظوراً على النساء امتلاك الارض لاعتبارهنَّ ضعيفات او عاجزات عن القيام بزراعة

الاطيان وادارة شؤونها وتأدية ضرائبها للحكومة ولم يصرح لمن بامتلاك الاراضي الاَّ بمقتضى لائحة الاطيان التي اصدرها المرحوم سعيد باشا في ٢٤ الحجة سنة ١٢٧٤ — سنة ١٨٥٨

ولما صدر قانون المقابلة في اغسطس سنة ١٨٧١ أُجيز بمقتضاهُ اعتبار الاطيان الخراجية التي تدفع عنها المقابلة ملكاً صريحاً لاربابها ولما أُلغيت المقابلة تصرح في الامر الذي صدر بابطالها ان مجرد دفع جزء من المقابلة على شيء من الاطيان الخراجية يكفي لاعتبارها ملكاً صريحاً ودام الحال كذلك الى ان صدر امر عال في ١٥ ابريل سنة ١٨٩١ باعتبار الاطيان الخراجية بوجه عام ملكاً صريحاً للناس سواء كانت او لم تكن دفعت عنها المقابلة كلها او جزء منها والى ذلك التاريخ كانت الاطيان كلها تعدُّ ملكاً لاربابها الاَّ الاطيان التي أُعطيت للعربان ولجماعة العساكر الباشبوزق ليعيشوا من ايراداتها بشرط ان تعود الى الحكومة عند انقراض ذريتهم وبهذه الشروط عينها كانت اراضي اواسي الملتزمين وهذه ايضاً صدرت اوامر خاصة بها باعتبارها ملكاً صريحاً ولم يبقَ للآن شيء من الاراضي مقيداً بقيود الحرمان من الملكية

ذكرنا المقابلة فتعين علينا ان نذكر كلمة عن اصلها وفصلها ليحيط علماً بها من لم يعنهِ من قبل الاطلاع على شيء من امورها. وتفصيل ذلك ان الحكومة على عهد اسماعيل باشا نثقلت جداً بالديون فضلاً عن المطالب الكبيرة التي كانت تستنفد كل ايرادات الخزينة فارتأت ان تطلب اعانة مالية من ارباب الاطيان مقابل امتيازات تمنحهم اياها ولذلك سميت تلك الاعانة باسم مقابلة وقدرت قيمتها بمثل قيمة مجموع ضرائب الاطيان ست سنوات تدفع علاوة على الضرائب السنوية اما مرة واحدة او تدريجاً في مدة من الزمن لا تزيد عن اثنتي عشرة سنة اما الامتيازات التي تقرر منحهم اياها فمنها منح حقوق الملكية التامة في الاطيان الخراجية ان دفعت عنها المقابلة. ومنها تنقيص الضرائب الى قيمة نصفها الاصلي تنقصاً مؤبداً لا يتغير وذلك فقط عن الاطيان التي تدفع عنها المقابلة. فسدد ارباب الاطيان سبعة عشر مليوناً من الجنيهات المصرية في ثمان سنوات من سنة ١٨٧٢ لسنة ١٨٣٩ ومع ذلك لم ينقص مقدار الدين ولا خفَّت المطاليب المالية وكانت مقاليد الحكومة قد تغيرت فنظرت الحكومة وتنشذر الى هول ما يتهددها من الخطر على الخزينة ان تقيدت بوفاء التعهد المتفق عليهِ مع اصحاب المقابلة الذي هو تنقيص الضرائب الى نصف اصلها. فابطلت تحصيل المقابلة وقررت الغاءها مع الغاء الامتيازات المقررة بشأنها ما عدا ملكية الاطيان الخراجية التي دفعت عنها المقابلة كلها او بعضها واعتبرت اموال المقابلة ديناً عليها اخذت منهُ ما كانت تستحقهُ من

الديون على بعض دافعيها والباقي تعهدت بايفائهِ مضافاً اليهِ فائدة بحساب ٤ في المائة في مدة خمسين سنة من اول يوليو سنة ١٨٨٠ لآخر جونيو سنة ١٩٣٠ تؤدّي عنهُ سنويّاً نحو مائة وثلاثة واربعين الف جنيه مصري بطريقة خصمها في اول كل سنة كدفعة نقديّة مسددة في حساب كل ممول . غير ان هذا التعويض أُعتبر حقّاً من حقوق الاطيان لا من حقوق الاشخاص فيتبع الاطيان اينما تكون

وقبل النهاية من موضوع الاطيان يجب التنبيه الى النخل المغروس في الاراضي فانهُ معتبر من قديم الزمن عقاراً قائماً بذاتهِ تدفع عنهُ ضرائب قائمة بذاتها ايضاً قيمتها خمسة عشر ملياً على كل نخلة في بلاد الواحات وقبلي اصوان وخمسة وعشرون ملياً في بقية انحاء القطر المصري ومجموع ما يوجد من النخل احد عشر مليوناً ستة ملايين منها من النخل المثمر الذي تدفع عنهُ ضرائب والخمسة الملايين الاخرى من النخل الصغير غير المثمر المعفى من الضرائب . ويتجدد عدّ النخل مرة كل خمس سنوات وآخر مرة كانت في سنة ١٩٠٧ الماضية

ستأتي البقية

اسباب الاحتلال البريطاني

(١)

حمل الينا البريد الكتاب المنتظر كتاب لورد كرومر وهو في مجلدين كبيرين في كل منهما ستمائة صفحة وقد قدَّم لهُ مقدمة لم نرَ اوجز منها وهي في سطرين فقط قال فيهما

" اني مسؤُول تماماً عما في هذا الكتاب وليس لهُ اقل صفة رسمية "

والكتاب يمتلك قارئهُ حتى يصعب عليهِ ان يتركهُ بعد ان يشرع في مطالعتهِ . وطبعهُ واضح جدّاً فلا يتعب العين وعبارتهُ على غاية السهولة الأ حيث يذكر جناب اللورد رأيهُ السياسي او الفلسفي او الاجتماعي فيعود الى انشائهِ المألوف وعبارتهِ المحكمة المسبوكة سبكاً يتعذر تفكيكهُ او ابدال كلمة منهُ بكلمة اخرى

والفصل الاول من كتاب تمهيدي قال فيهِ

" اني ارمي في تأليف هذا الكتاب الى غرضين الاول تدوين الخبر الصحيح عن بعض الحوادث المهمة التي حدثت في مصر والسودان منذ سنة ١٨٧٦ (وقال في الحاشية انهُ وفّى الكلام على كل الحوادث المهمة التي حدثت في مصر من سنة ١٨٧٦ الى حين وفاة

توفيق باشا في ٧ يناير سنة ١٨٩٢ وعن تاريخ السودان الى آخر سنة ١٩٠٧ اما الكلام على الحوادث المصرية التي حدثت في عهد الجناب الخديوي الحالي فيرى انهُ لم يحن الوقت للكتابة عنها كما كتب عن تلك)

والغرض الثاني ايضاح النتائج التي نجمت للقطر المصري من الاحتلال البريطاني

ثم بين ان اشتغالهُ بالمهام المصرية مهد لهُ السبيل بنوع خاص لتأليف فصول في تاريخ مصر فانهُ وقف على امور القطر المصرى من اوائل سنة ١٨٧٧ الى اواسط سنة ١٨٨٠ ومن اواسط سنة ١٨٨٣ الى الوقت الحاضر ولم يكتفِ بالوقوف على الامور العمومية التي يباح الوقوف عليها لكل احد بل وقف ايضاً على السجلات والاسانيد والاوراق الرسمية في وزارة الخارجية الانكليزيَّة وفي وزارة الخارجية المصرية وكان لهُ اتصال تام بكل الرجال الذين لهم شأن يذكر في الشؤُون المصرية مدة السنين التي كتب عنها ولذلك توفر لهُ من وسائل الوقوف على الحقائق وتقريرها ما لم يتوفر لغيره

وقال ان تقرير الحقائق من اهم الامور واستشهد بالسر ارثر هلبس الذي قال "ان نصف شرور العالم ناتج عن عدم التدقيق في الرواية" . وهو مثل قول العرب وما آفة الاخبار الاَّ رواتها . وافاض في هذا الموضوع وبيَّن ان اختبارهُ لا يحملهُ على الثقة الكبيرة باقوال المؤرخين ولكن الحقائق قلما تخفى والغالب ان الايام تبينها والجمهور يطلع عليها ولو بعد زمان طويل . و يصعب على الانكليز المقيمين في بلادهم ان يعرفوا حقيقة ما يجري في البلدان الشرقية لانهم يقيسون احوالها باحوال بلادهم فيخطئون . والذين يعرفون حقيقة الاحوال قليل عددهم ولبعضهم آراءٌ شخصية يميلون الى تأْييدها او مقاصد خصوصية يرمون اليها والذين يستطيعون ان يقولوا القول الصحيح الخالي من الغرض يشغلون مراكز سياسيَّة تضطرهم الى الصمت ولذلك يتعذر احياناً الوقوف على حقائق الامور . واذا عرف الجمهور حقيقة النتائج بنوع عام فقد لا يعرف حقيقة تفاصيلها لاسيما وانهُ يهتم بما يحرك العواطف فيعلي اقدار الذين يأتونهُ من ابواب يرغب فيها ولو لم يكونوا اهلاً لذلك

وشكا جناب اللورد مما نشكو منهُ دواماً وهو انتصار الباطل على الحق والكذب على الصدق رغماً عن قيام انصار الحقيقة وانتصارهم لها كأَن اوهام العامة واكاذيبهم تنمو حول الحقيقة وتخنقها كما يخنق الشوك الزرع فيأْتي المؤرخ و يدون الامر المشهور المتعارف ولو كان باطلاً

ثم انتقل في تمهيده الى الكلام على الاحتلال البريطاني فاورد كلام المستر كايف الذي اتى مصر في اوائل سنة ١٨٧٦ لتفحص احوالها المالية حيث قال

" ان مصر الآن في دور الانتقال فهي تشكو من عيوب النظام القديم الذي تحاول الخروج منهُ وعيوب النظام الجديد الذي تحاول الدخول فيهِ . تشكو من العيوب الشائعة في الشرق وهي الجهل وخراب الذمة والاسراف والتبذير العيوب التي اوصلت تركيا الى حافة الخراب وتشكو في الوقت نفسهِ من كثرة النفقات التي انفقت من غير تروٍ لاجل اقتباس تمدن الشرق "

ثم قال ان غرضهُ في الفصول التالية الاخبار عن الوسائل التي اتخذت بعد ذلك لمداواة العلة التي اشار اليها المستر كايف . ومصر ليست البلاد الوحيدة التي وصلت الى حافة الخراب باهمال قوانين الاقتصاد وسوء الادارة في اموال حكومتها ولا هي البلاد الوحيدة التي خص اعيانها واصحاب السطوة فيها بامتيازات تضر بمصالح الجمهور من سكانها ولا هي البلاد الوحيدة التي اهملت فيها مبادئ العدل . وقد تختلف احوالها عن احوال غيرها من البلدان الشرقية من بعض الجزئيات ولكن العموميات متشابهة . وأطال في هذا البحث وفي الاسباب التي اضطرت بريطانيا ان تهتم باصلاح مصر من غير ان تتعرض الى تغيير جوهري في شؤون الحكومة المصرية

والفصل الثاني هو الفصل الاول حقيقة من هذا الكتاب وقد افتتحهُ بقولهِ ان اصل المسألة المصرية مالي فلما توفي سعيد باشا سنة ١٨٦٣ كان دين الحكومة المصرية ٣٢٩٣٠٠٠ جنيه وخلفهُ اسمعيل باشا ابن ابرهيم باشا الشهير فوصل الدين سنة ١٨٧٦ الى ٦٨١١٠٠٠٠ جنيه هذا هو الدين الذي كان مضموناً بضمانات ما وفوقهُ دين سائر يبلغ نحو ٢٦٠٠٠٠٠٠ جنيه فكأنهُ زاد الدين المصري سبعة ملايين جنيه سنوياً منذ توليهِ الى تلك السنة . واذا اخرجنا ١٦ مليوناً من هذا الدين أُنفقت على ترعة السويس فالباقي كلهُ بذّر تبذيراً لان اموال الضرائب في هذه المدة كلها بلغت نحو ٩٤ مليوناً من الجنيهات ونفقات الحكومة الحقيقية او التي منها فائدة حقيقية بلغت ٩٧ مليوناً من الجنيهات فلم ينفق من دين اسمعيل باشا كلهِ على مصالح القطر سوى اربعة ملايين من الجنيهات

والذين رأوا التبذير الذي كان ضارباً اطنابهُ حينئذٍ علموا ان لا بد من افلاس الحكومة عاجلاً او آجلاً . وعزّت الاموال في اواخر سنة ١٨٧٥ واوائل سنة ١٨٧٦ حتى صارت تؤخذ بفوائد باهظة جداً

وفي الثامن من ابريل سنة ١٨٧٦ وقع ما لا بدَّ منهُ وتوقفت خزينة الحكومة المصرية عن ايفاء ما يطلب منها

وجرى الكلام قبل ذلك على انشاء بنك مصري وطني تحت مراقبة ثلاثة من الاوربيين فرضيت كل من فرنسا وايطاليا ان تعين رجلاً منها واما انكلترا فلم تشأْ ان تتداخل في شؤُون مصر الداخلية وابت ان تعين رجلاً منها فسقط ذلك المشروع ثم اعيد على وجه آخر وهو ان الخديوي اصدر امرًا عاليًا في ٢ مايو سنة ١٨٧٦ بانشاء قومسيون صندوق الدين وحسب اعضاء هذا القومسيون نوابًا عن اصحاب الدين ثم اصدر امرًا آخر في ٧ مايو لتوحيد الديون المصرية وكانت قد بلغت ٩١ مليونًا من الجنيهات وكان اعضاء ذلك القومسيون المسيو ده بلنيير عن فرنسا وفون كرمر عن النمسا والمسيو بارافلي عن ايطاليا وابت انكلترا ان تعين مندوبًا عنها ولم توضها شروط الامر العالي فبعثت الى مصر بالمستر غوشن (الذي صار لورد غوشن) لكي يسعى في تعدل تلك الشروط تعديلاً يرضاهُ المداينون او الذين بيدهم سندات الدين

فجاء المستر غوشن الى مصر وجاء معهُ المسيو جوبر من قبل فرنسا ودبرا امر الدين مع الحكومة المصرية ولكن المسألة المالية لا تحل بتدابير مثل هذه بل لا بد لحلها من ان تنظم ادارة البلاد المالية حتى يزيد ايراد الحكومة وتبقى نفقاتها ضمن دائرة الاعتدال ولذلك قر القرار على المراقبة الثنائية اي على تعيين مراقبين واحد لمراقبة الايرادات وواحد لمراقبة المصروفات وقر القرار ايضاً على ان سكة الحديد وميناء الاسكندرية يديرهما مجلس مؤلف من اثنين من الانكليز واثنين من المصريين وواحد من الفرنسويين لان ايراداتهما عينت لايفاء فائدة الدين الممتاز

وعين المستر رومابن مراقبًا عامًا للايرادات والبارون ده مالاره مراقبًا عموميًا للمصروفات وعين الجنرال مريوت رئيسًا لمجلس سكة الحديد الا ان لورد دربي وزير الخارجية الانكليزية كتب الى اللورد فيفيان الذي كان حينئذٍ وكيلاً سياسيًا لدولتهِ في مصر يقول لهُ يخبر الخديوي ان الحكومة الانكليزية لا تحسب مسؤولة عن هذه التعيينات ولا تعترض عليها

وفي ذلك الوقت طلب الخديوي من لورد غوشن ان يختار لهُ رجلاً انكليزيًا لقومسيون صندوق الدين المصري فاستشار اللورد غوشن السر لويس ملت فاشار عليهِ باختيار لورد كرومر وكان اسمهُ حينئذٍ بارنج . قال لورد كرومر في كتابهِ " رعرض عليَّ لورد غوشن هذه الوظيفة فقبلتها ودخلت مصر في ٢ مارس سنة ١٨٧٧ " اي منذ ثلاثين سنة وفي مثل اليوم الذي ظهر فيهِ كتابهُ هذا . وكان محمد علي قد استخدم بعض الاوربيين في مصالح الحكومة واكثر من استخدام الفرنسويين لكي يقاوم بهم الانكليز من اجل توازن القوى . وتقاطر

الاوربيون الى مصر في عهد سعيد باشا والتفُّوا حول اسمعيل باشا وكثيرون منهم افاقون جاؤُوا للكسب باية حيلة كانت فساءت بهم سمعة الاوربيين جدًّا واعتقد اسمعيل باشا ان كل الاوربيين جاؤُوا للكسب على حدٍ سوى وانهُ يستطيع ان يصطنعهم كلهم ولا غرابة في ذلك نظرًا الى نوع الناس الذين التفوا حولهُ . لكن الرجال الذين انتظموا في خدمة الحكومة على اثر مجيء لورد غوشن كانوا من طراز آخر غير ما اعتاد اسمعيل باشا ان يرى حولهُ وان كانوا مثل غيرهم من الموظفين في انكلترا وفرنسا . ومن رأي لورد كرومر انهُ لو اعتمد اسمعيل باشا على اولئك الرجال واستعان برائهم في تدبير امور البلاد لبقي على سدة الخديوية الى حين وفاتهِ ولكن يظهر انهُ تعذر عليهِ ذلك فخلع كما سيجيء

لما انشيء صندوق الدين كانت المالية المصرية في حالة الفوضى . قال لورد كرومر ان غوشن اعتمد على الحسابات التي قدمتها لهُ الحكومة حسب دفاترها فوجد فيها ان صافي ايراد سكة الحديد ٩٠٠٠٠٠ جنيه ثم ظهر بعد حين ان صافي الايراد لا يزيد على ٦٠٠٠٠٠ جنيه وذلك لانها كانت تحسب اجرة نقل العساكر من جهة الى اخرى في جملة الايراد وهي لا تقبض منها شيئًا وكان كلما اراد احد من اعضاء العائلة الخديوية ان يسافر من جهة الى اخرى يأمر ان يعد لهُ قطار خاص فيسافر فيهِ ولا يدفع غرشًا من اجرتهِ بل يسلم ناظر المحطة رجعة فتقيد في الدفاتر في جملة الايراد وهلمَّ جرًّا

ووصف حال البلاد في ذلك الحين فقال ان الخديوي اسمعيل باشا كان قد استولى على خمس اطيان القطر المصري وجعل يزرع اكثرها بالسخرة حتى فرغ صبر الفلاحين من شدة ما قاسوا من الضيم كما فرغ صبر المداينين من نضوب موارد الايراد . فاستنبط اسمعيل باشا قانون المقابلة ويراد بهِ ان كل من يدفع عن اطيانهِ اموال ست سنوات مقدمًا دفعةً واحدة او في مدة اثنتي عشرة سنة تجعل الضريبة على اطيانهِ بعد ذلك نصف ما كانت عليهِ — حيلة لابتزاز المال لا غير لانهُ لو دفع الناس كلهم مال المقابلة وتركت الاحكام كما كانت عليهِ لما استطاعت الحكومة ان تخفض غرشًا واحدًا من الضرائب

ثم وصف انواع الضرائب والمغارم التي كانت ملقاة على عاتق الاهلين حينئذٍ وطرق التحيل على ابتزاز الاموال من الناس حتى بعد تعيين قومسيون صندوق الدين ومن امثلة ذلك ان ايرادات الجمارك كانت من جملة ما رهن لصندوق الدين فرأى القومسيون بعد قليل ان ايراد جمرك السويس قد قلَّ كثيرًا عما كان عليهِ قبلاً وبحث عن مأمور الجمرك الذي كان فيهِ اولاً فلم يجدهُ وطالب الحكومة بهِ فتجاهلت امرهُ وبعد اخذ وعطاء مدة طويلة

اصرَّ صندوق الدين على انهُ لا بد من احضار المأمور المذكور حيًّا او ميتًا فاضطرت الحكومة ان تحضرهُ فسألهُ صندوق الدين عن قصتهِ فقال انهُ أُمر ان يورد ايراد الجمرك للخديوي رأسًا ولما تأخر عن ذلك قبض عليهِ وابعد الى اقصى بلاد السودان ولو لم يطلبهُ القومسيون لقضي عليهِ هناك

وكان على الحكومة ان تدفع رواتب مستخدميها وتوفي فوائد ديونها وتدفع للتجار والمقاولين مبالغ طائلة عن بضائع اشترتها منهم او اعمال عملوها لها فتجمع الضرائب والمغارم بالشدة والعنف ولا تستطيع ان تقوم بكل ما يطلب منها لفداحة الفوائد فاخرت دفع رواتب المستخدمين

وجاء فيضان سنة ١٨٧٨ دون المطلوب فظهر تأثيرهُ على اشدهِ سنة ١٨٧٨ وضربت المجاعة اطنابها في الوجه القبلي وبلغ الضيق والعسر اشدهما في صيف تلك السنة وكان القسط المطلوب ايفاؤُهُ في اول مايو من فائدة الدين مليوني جنيه ولم يكن في صندوق الدين من هذا المبلغ في آخر مارس سوى نصف مليون جنيه وارتأى اعضاء صندوق الدين ان يؤخروا دفع ذلك القسط ولكن الناس في فرنسا كانوا يقولون ان عند الخديوي اموالاً طائلة وقد اخفاها ويستطيع ان يوفي منها كل الفوائد اذا اراد

ولهذا القول سبب وهو ان الخديوي كان قد قبض من الحكومة الانكليزية اربعة ملايين من الجنيهات ثمن اسهم ترعة السويس وقبض ايضًا خمسة ملايين جنيه من فرنسا دينًا فاختفت هذه الاموال كلها في سنة واحدة واختفى معها ايراد تلك السنة من غير ان تدفع الحكومة فائدة الدين او تدفع اجور المستخدمين . وكتبت القنصلية الفرنسوية في الاسكندرية الى المسيو ودنجتون الذي كان وزيرًا للخارجية في فرنسا تقول لهُ ان احصاءات الجمارك المصرية تدل على ان جانبًا كبيرًا من النقود لا يزال في القطر المصري . ولذلك ابت فرنسا ان تسلم بتأخير دفع القسط المستحق من فائدة الدين وقال سفيرها في انكلترا للورد دربي وزير الخارجية حينئذٍ ان الخديوي يستطيع ان يدفع الكوبون اذا اراد وطلب المسيو ودنجتون من انكلترا ان تساعدهُ في الاصرار على دفع الكوبون الذي يستحق في اول مايو

وكانت انكلترا قد رفضت من اول الامر ان تتعرض للشؤُون المصرية او تدافع عن حقوق المداينين بل اظهرت من اول الامر انها تنصر الفلاحين على المداينين . والحكومة الانكليزية تخبر رعاياها دائمًا انهم اذا دينوا اموالهم في البلدان الاخرى فهم يفعلون ذلك على مسؤُوليتهم ولا يمكنهم ان يعتمدوا عليها لتحمي مصالحهم بالقوة اما حينئذٍ فاضطرت

ان تجاري فرنسا وتساعدها في حماية مصالح المداينين لكي تساعدها فرنسا في مؤتمر برلين . وشددت الحكومتان في طلب القسط المستحق واستخدمت الحكومة المصرية اقوى رجالها واقلهم شفقة فجمعوا المال بالعنف من الاهالي واضطر الفلاحون ان يبيعوا اردب القمح بخمسين غرشاً اي ان يأخذوا خمسين غرشاً فقط على ثمن الاردب ويسلموه بعد شهر مع ان ثمنهُ كان حينئذٍ ١٢٠ غرشاً واضطرت النساء ان تبيع حلاها لايفاء الاموال المطلوبة. الاّ ان ايفاء ذلك القسط لم يمنع مقدوراً بل اخرهُ شهوراً كما سيجيء

القطر المصري

وارتقاؤهُ في عشر سنوات

ان مَن ينكر ارتقاء القطر المصري مادياً وادبياً وازدياد هذا الارتقاء سنة بعد سنة كمن ينكر نور الشمس في رائعة النهار . ولا يقدم على ذلك الاّ من يتجّر بالانكار ولهُ منهُ مغنم او من يلقي الكلام على عواهنهِ ولا يحسب انهُ يطالَب بالدليل

ويستدلُّ على ارتقاء البلاد بأمور كثيرة اخصها ميزانية الحكومة فانها اذا زاد دخلها من غير ان تضرب على الاهالي ضرائب جديدة دلَّ ذلك على زيادة دخلهم ثم اذا زادت نفقاتها على ما يرقيهم مادياً وادبياً لزمنا ان نستنتج ان ارتقاءهم المادي والادبي زادا ايضاً والاّ فهم ممن تضيع وسائل الرقي فيهم

وقد نشرت الحكومة المصرية الآن خلاصة حسابها عن العام الماضي فقابلناها بخلاصة حسابها عن عام ١٨٩٧ فاذا الزيادة في الدخل والنفقات بالغة مبلغاً عظيماً كما ترى من الجدول التالي

	١٨٩٧	١٩٠٧
الايرادات	١١٠٩٢٠٠٠	١٦٣٦٧٨١٨
المصروفات	١٠٦٥٩٠٠٠	١٤٢٨٠٤١٣
زيادة الايرادات	٠٠٤٣٣٠٠٠	٠٢٠٨٧٤٠٥

فالايرادات زادت في عشر سنوات اكثر من خمسة ملايين من الجنيهات او نحو خمسين في المئة والمصروفات زادت ثلاثة ملايين ونحو ستمائة الف جنيه او نحو ٣٦ في المئة

مع ان السكان لم يزيدوا في هذه المدة سوى عشرين في المئة فالزيادة في الايرادات لم تنتج من زيادة السكان فقط بل نتجت ايضاً من زيادة ثروتهم العمومية وزيادة مقدرتهم على استثمار اموالهم وخيرات ارضهم ومن زيادة النفقات التي انفقتها الحكومة على الاعمال النافعة التي زادت بها ثروة القطر

ولا يخفى ان سنة ١٨٩٧ كانت اوفر دخلاً من كل سنة قبلها ويؤخذ من تقارير لورد كروم انهُ لما احتلَّ الانكليز مصر سنة ١٨٨٣ كانت البلاد على شفا الافلاس وبقيت الحكومة من سنة ١٨٨٣ الى سنة ١٨٨٧ تفرغ جهدها في حفظ التوازن المالي حتى لا يزيد مصروفها على ايرادها فلم يتيسَّر لها حينئذٍ تخفيف الضرائب على الاطلاق مهما مسَّت الحاجة الى تخفيفها ولا زيادة المصروف ولو لغرض من اصلح الاغراض. وفي سنة ١٨٨٧ زال عن مصر الخطر من الافلاس واخذت مساعي المصلحين ولاسيما الموظفين منهم في الري تثمر ثمارها وابتدأ زمن زيادة الايراد على المصروف فقرَّ الرأْي حينئذٍ على ان يقدَّم تخفيف الضرائب على زيادة مصروفات المصالح الاميرية فأُلغيت السخرة وعينت الحكومة ٤٠٠ الف جنيه تستأجر بها العمال للاعمال التي كانت تعمل بالسخر وخفضت ضرائب الاطيان ٤٣٠ الف جنيه في السنة والغت ضريبة الصنائع وكانت تبلغ ١٨٠ الف جنيه في السنة وضرائب الغنم والمعزى وكانت تبلغ ٤٠ الف جنيه في السنة وضريبة القبانة وكانت تبلغ ٢٨ الف جنيه في السنة وضرائب اخرى صغيرة وجملة الضرائب التي خفضت عن عاتق الاهالي تبلغ قيمتها السنوية مليوناً ومئة الف جنيه . وخفضت اجور البوسطة والتلغراف خمسين في المئة

ولما رأَت نفسها في سعة بعد تخفيف هذه الضرائب وامثالها ولاسيما لما ابطلت زرع التبغ في القطر وجعلت تأخذ عشرين غرشاً على كل كيلو يرد منهُ اخذت تهتم بزيادة نفقات المصالح التي تعود اعمالها بالنفع المادي والادبي على البلاد مثل حفر الترع والمصارف ومد سكك الحديد وبناء المدارس والمستشفيات

وكان القطر المصري تحت خطرين كبيرين يتهددانهِ دائماً الخطر الاول هجوم السودانيين على حدودهِ والعيث فيها فانهم كادوا يصلون الى اصوان ولولا بسالة القوَّاد والجنود الذين استردوا السودان لكانت مصر الآن من ملحقاتهِ او من ممتلكات دولة اخرى انقذتها منهُ

ومن الغرائب التي قلما توجد في غير هذا القطر ان بعض سكانهِ يلقون بانفسهم في النار خوفاً من الرمضاء ولذلك كانوا يكاتبون خليفة السودان ويحرضونهُ على مهاجمة مصر ويعدونهُ بالانضمام اليهِ ولو فعل لفعلوا

هذا هو الخطر الاول والخطر الثاني لا يقل عنهُ فداحة وهو انهُ كان يخشى من ان دولة اوربيَّة تمتلك مصادر النيل فتصير حياة مصر في يدها لكنَّ الحكومة الانكليزيَّة والحكومة المصريَّة رأتا سنة ١٨٩٦ انهُ حان الوقت لاسترجاع السودان من حيث الرجال ومن حيث المال فانقذتا مَن بقي من سكانهِ من حكم يضرب بهِ المثل في الفتك والظلم والاستبداد ووقتا مصر من خطرين كانا يتهددانها دائماً وسهلتا السبل لتعمير السودان والتحكم بماء النيل حتى يروي كل ما يمكن ريهُ من اطيان القطر المصري فتزيد ثروتهُ السنويَّة اضعاف اضعاف ما انفق على استرجاع السودان وما ينفق على تعميره الآن

اما الزيادة التي تتجت في الايرادات فاكثرها من الجمارك وسكة الحديد اي من الرسوم التي تأخذها الحكومة على الواردات ومن اجور الركاب والبضائع في سكة الحديد لا لانها زادت معدل هذه الاجور وتلك الرسوم عما كانت بل لان البضائع كثرت والركاب كثروا فزاد الايراد. اما الجمارك فكان دخلها سنة ١٨٩٧ نحو ٩٣٤٠٠٠ جنيه فبلغ في العام الماضي ٢١٤٢٨٤٤ اي انهُ زاد مليوناً ومئتي الف جنيه. ورسم التبغ كان ١٠٤٥٠٠٠ فصار ١٦٤٨٤٥٣ فزاد اكثر من ستمائة الف جنيه ورسوم المواني كانت ١٥٢٠٠٠ فصارت ٢٩٦٦٠٥ فزادت اكثر من ١٤٠ الف جنيه. وايرادات سكة الحديد كانت ١٩٨٣٠٠٠ فصارت ٣٥٦٥٠٤٠ فزادت نحو مليون وستمائة الف جنيه. والتلغراف كانت ٤٦٠٠٠ جنيه فصارت ١١٤٣٤١ جنيهاً اي انها زادت نحو سبعين الف جنيه والبوسطة كانت ١١٩٠٠٠ فصارت ٣٠٥٩٥٦ فزادت مئة وتسعين الف جنيه. وقد وضعنا الايرادات في سنة ١٨٩٧ و ١٩٠٧ في الجدول التالي واقتصرنا على عشرات الالوف فما فوق

	سنة ١٨٩٧	سنة ١٩٠٧	الزيادة
سكك الحديد	١٩٨٠٠٠٠	٣٥٦٠٠٠٠	١٥٨٠٠٠٠
الجمارك	٠٩٣٠٠٠٠	٢١٤٠٠٠٠	١٢١٠٠٠٠
رسوم الدخان	١٠٤٠٠٠٠	١٦٥٠٠٠٠	٠٦١٠٠٠٠
المواني	٠١٥٠٠٠٠	٠٢٩٠٠٠٠	٠١٤٠٠٠٠
البوسطة	٠١٢٠٠٠٠	٠٣٠٠٠٠٠	٠١٨٠٠٠٠
والجملة	٤٢٢٠٠٠٠	٧٩٤٠٠٠٠	٣٧٢٠٠٠٠

فهذه خمسة اقلام فقط بلغت زيادة الايراد فيها ثلاثة ملايين و ٧٢٠ الفاً من الجنيهات فلما ثبت للحكومة ان ايراداتها آخذة في الازدياد عاماً بعد عام اهتمت بالاتفاق مع فرنسا على

طريقة تبيح لها انفاق ما تريد انفاقهُ مما يتوفر لديها في ما يعود على القطر بالنفع لانها كانت ممنوعة من ذلك بحسب اتفاق لندرا . فلما انطلقت يداها زادت رواتب مستخدميها وجعلت تنفق على المصالح والاعمال النافعة باتجاه حاتمي . فقد كانت ميزانية نظارة المعارف في العام الماضي ٣٥١٩٢٤ جنيهاً ولكنها انفقت عليها ٤٦٦٤٣٠ جنيهاً عدا ما انفقتهُ على مدرسة البوليس واصلاحيَّة الاحداث . وكانت نفقات المصالح الصحيَّة حسب الميزانية ٢٦٢١٥٩ فانفقت عليها ٣٧٣٣٤٧ جنيهاً وكانت نفقات نظارة الاشغال العمومية ١٢٦١٨٨٦ جنيهاً فانفقت عليها وعلى اعمالها المختلفة المتعلقة باصلاح الري وتحويل ري الحياض الى ري صيفي وبناء قناطر اسنا مبلغ ٣٢٥١٩٧٨ جنيهاً وكانت نفقات سكك الحديد حسب مربوط الميزانية ١٩٦٤٢١٩ جنيهاً فانفقت ٣١٤٩٣٤٨ جنيهاً والمجموع المربوط لهذه الفروع كلها في الميزانية العمومية ٣٨٤٠١٨٨ جنيهاً فانفقت عليها في العام الماضي ٧٢٤١١٠٣ جنيهات كما ترى في هذا الجدول

	مربوط الميزانية	المصروف
المعارف	٠٣٥١٩٢٤	٠٤٦٦٤٣٠
المصالح الصحيَّة	٠٢٦٢١٥٩	٠٣٧٣٣٤٧
نظارة الاشغال	١٢٦١٨٨٦	٣٢٥١٩٧٨
السكك الحديد	١٩٦٤٢١٩	٣١٤٩٣٤٨
والجملة	٣٨٤٠١٨٨	٧٢٤١١٠٣

والفرق بين المربوط في الميزانية والمصروف على هذه الفروع الاربعة فقط ٣٤٠٠٩١٥ اخذتها من وفر السنين الماضية وهذه النفقات كلها رأس مال تربح البلاد منهُ ادبيًّا وماديًّا ولا يعترض عليهِ الاَّ اذا كانت المراقبة عليهِ غير كافية فينفق بعضهُ من غير ان تنال البلاد منهُ ما يساويهِ نفعاً او اذا أُنفق بعضهُ وكان انفاقهُ في غير محلهِ . فاذا انشأَت مصلحة الري ترعة وكانت هذه الترعة لازمة وانفقت على انشائها خمسين الف جنيه وكان يستحيل عليها ان تنشئها باقل من ذلك فتكون قد فعلت عين الصواب في انشائها ولكن اذا كانت تلك الترعة غير لازمة او كان يمكنها ان تنشئها باربعين الف جنيه وانفقت على انشائها خمسين الف جنيه فتكون قد ارتكبت الخطأَ والخطل في انشائها او في انفاقها عليها خمسين الف جنيه . الاَّ اننا نرجو ان تكون اعمال الحكومة جارية كلها بعد التروي والتبصر فلا تعمل الاَّ ما هو لازم مفيد ولا تنفق الاَّ ما لا بدَّ من انفاقهِ شأن الوصي على اموال الامَّة الموصوف بالحكمة والاستقامة

تحوُّل العناصر واصطناع الذهب

سألنا سائل في الجزء الماضي عن تحوُّل العناصر قائلاً لماذا لا يصدَّق اليوم تحويل القدماء بعض المعادن الى ذهب فاجبناه ان التحويل الذي تمَّ حتى الآن مشكوك فيهِ وانهُ اذا فرضنا انهُ ثبت تماماً بما ينفي كل شك فهو من الاعلى الى الادنى ومن الثقيل الى الخفيف اي كأنهُ حلٌّ لا تركيب. ولكن مبدأ التحول لم يعد منكرًا فان الكيماويين كانوا يقولون ان الظواهر الكيماوية المعروفة تدلُّ على ان العناصر بسيطة كلها لا تتغير ولا تتحوَّل. فالذهب يبقى ذهباً دائماً ولا يصير فضةً ولا حديدًا. والحديد يبقى حديدًا ولا يصير ذهباً ولا نحاساً والنحاس يبقى نحاساً ولا يصير فضةً ولا ذهباً والاكسجين يبقى اكسجيناً ولا يصير هيدروجيناً ولا نيتروجيناً وهلمَّ جرًّا. ولكن المعارف الكيماوية زادت قليلاً باكتشاف الراديوم فظهر منهُ انهُ يتكون منهُ في بعض حالاتهِ عناصر اخرى لها خواص معلومة ثم ظهر انهُ يفعل بالنحاس ويحولهُ الى عنصر آخر. وهذا الامر الثاني لم يثبت حتى الآن ثبوتاً ينفي كل ريب. فعاد كثيرون من الكيماويين يقولون اليوم ان المعارف الكيماوية الحديثة تدلُّ اي ان تحوُّل العناصر بعضها الى بعض امر ممكن وواقعي ايضاً. وغالى بعضهم فقال ان العنصر الاصلي واحد فقط وكل انواع المادة اشكال منهُ او مظاهر من مظاهرهِ

واشرنا في جوابنا المشار اليهِ الى ادعاء بعضهم عمل الذهب ووعدنا باشباع الكلام على هذا الموضوع وانجازًا لذلك نقول

لا يزال جمهور من العلماء في اوربا واميركا يعتقد صدق الكيمياء القديمة اي صدق ما قالهُ الاقدمون عن تحويل بعض المعادن الى ذهب وفي فرنسا جمعيةٌ لهؤلاء العلماء ومن اعضائها المسيو فلامريون العالم الفلكي المشهور

وقد كتب الاستاذ تشارلس بسكرڤل مقالة في هذا الموضوع نشرتها مجلَّة العلم العام الاميركية في شهر يناير الماضي قال فيها انهُ يظهر احياناً في محلول املاح الفضة نقط صفراء ذهبيةٌ لكن ظهورها لا يتبع قاعدة معلومة فقد تظهر وقد لا تظهر. ومن المرجح ان ظهور هذه النقط في محلول الفضة جعل الناس يعتقدون ان الفضة تحول الى ذهب. ثم اذا عولج طرطرات الفضة بطرطرات الحديد استحالت الفضة كلها الى مادة صفراء ولا بد من ان يكون المذوبان اي مذوب طرطرات الفضة ومذوب طرطرات الحديد خفيفين وجديدين فيرسب من المزيج مسحوق احمر يسود ثم يصفرُّ اذا رشح ويصير كمسحوق النحاس الاصفر او البرنز واذا جفف

صار منهُ جسم جامد كالذهب لوناً وشكلاً ويبقى لونهُ فيهِ الى ما شاء الله لكن الحوامض تعيد اليهِ لون الفضة المعروف وكذلك الضغط

وقد توسَّع بعضهم في هذه الطريقة فاضاف اليها البرد الشديد والضغط الشديد وادَّعي الدكتور امنس منذ عشر سنوات[1] انهُ صنع من الفضة معدناً يشبه الذهب تماماً وسمَّاهُ باسمٍ مركبٍ من اسميهما وهو ارجنتورم وادَّعى ان الاوقية من الفضة تكوّن ثلاثة ارباع الاوقية من هذا الذهب · وقال انهُ لا بدَّ من نفقات كثيرة يقتضيها طول المدة اللازمة لاستحالة الدقائق من الفضة الى الذهب لكن مهما كثرت هذه النفقات يبقى ربح من كل اوقية يساوي ثلاثة ريالات · وقال ان الدكتور كابل هو بتهد محلل دار ضرب النقود في وشنطون قبل ست سنوات من هذا المعدن كانها ذهب حقيقي وثمنها نحو الف ريال · الاَّ ان السر وليم كروكس الكيماوي الشهير امتحن ذهب الدكتور امنس فوجد فيهِ ذهباً ومعادن اخرى وكتب الدكتور ودورد حينئذٍ في جريدة العلم (سينس) ينتقد الدكتور امنس وينسب اليهِ الغش والخداع فاقام الدكتور امنس قضية عليهِ وعلى محرر الجريدة المسؤول لم يصدر الحكم فيها حتى الآن

ولديَّ اساليب كثيرة ادَّعى اصحابها انهم صنعوا الذهب بموجبها وقد كتب اليَّ المستر هنتر من فيلادلفيا يقول " اني اتقنت الطريقة المبنية على اختباري الشخصي لعمل الذهب على اسلوب منهُ ربح كبير جدًّا وقد رسمت شكل الآلة اللازمة لذلك لاقيمها في معمل بفيلادلفيا وانا ساعٍ الآن في جمع نصف مليون ريال لتكون رأس مال تصنع بهِ هذه الآلة ويبنى بهِ المعمل اللازم لها · واني عالم ان الناس يهزأُون بي ورجال العلم لا يصدقون اني انجح في عملي ولكنني انا اعرف حقيقة عملي ولا يهمني ما يقول الناس عني "

وقد بعث اليَّ المستر هنتر قطعاً من الفضة فيها قليل من الذهب وقال ان الذهب اخذ يتكوَّن فيها بطريقته السرّية

الاَّ ان تحويل العناصر لا يقتصر على تحويل الفضة الى ذهب بل يتناول غيرها من العناصر فقد ادعى العالم فتكا ان الفصفور يتحوَّل الى زرنيخ بفعل الامونيا بهِ ويتحوَّل ايضاً الى انتيمون لكن جمهوراً كبيراً من الكيماويين (وذكر اسماءهم) بينوا ان دعواهُ غير ثابتة

ثم ذكر الكاتب ما اشرنا اليهِ في صدر هذه المقالة من تحول الراديوم الى الهاليوم وغيره من العناصر والموضوع كبير الاهميَّة والبحث فيهِ مستمرٌّ ولا نتأخر عن ذكر ما يثبتهُ العلماء فيهِ

(١) انظر تفصيل ذلك في المجلد الحادي والعشرين والثاني والعشرين من المقتطف

حقيقة المادة ووحدة الخلق

قال الدكتور بوز احد اساتذة كلكتا ببلاد الهند في كتاب الفهُ حديثاً انهُ اكتشف ان المعادن تتأثر كالاحياء وتتعب مثل الاحياء من استمرار التهيج ثم اذا استراحت زال تعبها واستردَّت قوتها . وتستردُّ قوتها وتنتعش اذا وضعت في حمَّام فاتر كما يستردُّ المتعب قوتهُ اذا استحمَّ . واذا اشتدَّ البرد عليها خمدت خمود من قرَّهُ البرد واذا اشتد الحر عليها اصابها تيبُّس الحر واذا عولجت بالسموم اسرع اليها الموت فان الدكتور بوز سمَّ قطعة من المعدن فلم تعد تتأثر بالكهربائية كما كانت تتأثر قبلاً . ثم عولجت بترياق ذلك السم فانتعشت قواها رويداً رويداً وعادت الى سابق عهدها

فاذا ثبت ذلك لم يبقَ بين الحي والجماد فارق كبير ولكن سواء ثبت او لم يثبت فلا شبهة الآن ان اجسامنا واجسام سائر انواع الحيوان والنبات وكل انواع الجماد مؤلفة من مواد متشابهة وعناصر متماثلة اي ان الماء الذي في جسم الانسان والماء الذي في جسم الفرس والحمار والكلب والافعى والنملة والبرتقال والعنب والخس والفجل والسحاب والتراب هو واحد في كل خواصهِ وصفاتهِ . والعناصر البسيطة كالاكسجين والهيدروجين والكبريت والفصفور التي في جسم الانسان وفي اجسام الحيوانات والنباتات والحجارة والاتربة وكل الموجودات الارضية والسموية هي واحدة في خواصها وصفاتها . فمهما رأينا من الفرق الظاهر بين جسم الانسان وبين التراب الذي تحت قدميهِ لا نشك ان الماء الذي في جسمهِ مثل الماء الذي في التراب تحت قدميهِ والجير (الكلس) الذي في عظامهِ واسنانهِ مثل الجير الذي في التراب تحت قدميهِ . واذا كانت العناصر البسيطة كلها نحو ثمانين عنصراً فكل الناس وكل الحيوانات وكل النباتات وكل الجمادات وكل الاجرام السموية وكل ما يرى في هذا الكون المادي — كل ذلك مؤلف من هذه العناصر لا غير ومهما قال الذين يفرقون الانسان عن غيرهِ من الموجودات لا يستطيعون ان يفرقوا بينهُ وبينها من حيث تماثل العناصر التي يتركب منها جسمهُ وتتركب منها اجسامها

لكن العلوم الطبيعية لم تقف عند هذا الحد بل يرى اربابها الآن ان هذه العناصر البسيطة ليست البسائط الاولى التي تتركب منها المادة بل هي نفسها مركبات من دقائق عنصر واحد وهذه الدقائق صغيرة جدًّا حتى ان كل الف دقيقة منها تساوي في وزنها وزن

جوهر واحد من الهيدروجين الذي هو اخف العناصر كلها فعدد ما يوجد منها في حبة الرمل يفوق عدد نجوم السماء

وهنا اختلف العلماء في حقيقة هذه الدقائق فقال بعضهم انها قوة كهربائية لا غير بانين قولهم هذا على ان كل خواص المادة يمكن تعليلها اذا فرضنا ان الدقائق التي تتألف منها هي قوات كهربائية سلبيَّة وايجابيَّة . وقال البعض الآخر ان في كل دقيقة من هذه الدقائق نواة صغيرة جدًّا وهي المادة الاصلية والحامل للكهربائية ومقدار المادة الاصلية في الدقيقة صغير جدًّا فالمادة الاصلية في المتر المكعَّب من البلاتين لا تزيد على مليمتر مكعب ففي كل الف مليون متر مكعب من البلاتين متر واحد مكعب من المادة . فاذا قابلنا ذلك بهرم الجيزة حكمنا ان المادة الحقيقية في كل خمس مئة هرم مثل هرم الجيزة الاكبر لا تزيد على متر واحد مكعب . الَّا ان الاكثرين على المذهب الاول وهو ان المادة قوة متحركة لا غير لانهُ اذا كانت هذه الحركة سريعة سرعة النور فعلت كل افعال المادة المعروفة . وقد سميت دقائق هذه القوة المتحركة الكترونات ففي الجوهر من الهيدروجين نحو سبع مئة من هذه الالكترونات نصفها سلبي ونصفها ايجابي والجوهر من الصوديوم مؤلف من ١٦٠٠٠ من هذه الالكترونات والجوهر من الباريوم مؤلف من ١٠٠٠٠٠ الكترون والجوهر من الراديوم مؤلف من ١٦٠٠٠٠ الكترون وهلم جرًّا

وهذه الالكترونات تجتمع بعضها مع بعض على صور شتى كما تجتمع الحروف في الكلمات فتتألف منها الاجسام الآلية وغير الآلية من دقائق الدماغ وكريات الدم الى قطرات الماء وحبوب الرمل

وفي هذه الالكترونات من القوة ما يفوق كل تصوُّر حتى لقد حسبوا ان في الاوقية من الراديوم قوة تكفي لرفع ما ثقلهُ عشرة آلاف طن الى ميل وان في الرطل من الفحم قوة تزيد أكثر من مليون ضعف على ما يتولَّد منهُ من الحرارة باشعالهِ

هذه امور يقف عندها العقل مدهوشًا لكنهُ قلما يرى صعوبة في تصديقها . أليس من المؤكد اننا ندفن في التراب فنستحيل ترابًا وانهُ اذا حرقت اجسامنا احترقت ولم يبقَ منها الَّا حفنة من الرماد فما نحن الَّا تراب ورماد عناصر اجتمعت بعضها مع بعض فتألفت منها اجسامنا ولا مانع يمنع ان تكون هذه العناصر كلها اشكالاً من عنصر واحد ولا ما يمنع ان يكون ذلك العنصر قوة متحركة

ولكن هل نرضى ان نقف عند هذا الحد هل نسلم ان اجسامنا تراب ورماد او قوة

متحركة اي جزءًا صغيرًا من القوة العامة الشاملة لهذا الكون حتى اذا انقضى الاجل وعاد هذا التراب الى الارض التي اخذ منها عادت القوة المتحركة الى مصدرها ولم يبقَ منا شيءٌ آخر. ألا يرشدنا استدلال الماديين هذا الى ان فينا قوة خالدة واذا يمنع ان تكون هذه القوة ممتازة عن القوى التي في سائر المخلوقات الارضية وان وجدانها يبقى فيها ولو انحلَّ الجسم الى التراب الذي اخذ منهُ

وفوق ذلك فان احكام العلم ليست نهائية فكما نقضنا اليوم كثيرًا من احكام السابقين لا يبعد ان يأتي بعدنا اناس ينقضون احكامنا

مادة الكاتب

لو استنفد كاتبٌ فرائد اللغة بحثًا وتدقيقًا وجمع من التراكيب الانيقة معجمًا كبيرًا واستظهر الشيءَ الكثير ما استطاع انشاء مقالة اذا لم يعِ صدرهُ المواد التي يبني عليها ويأخذ بها. وكيف يستطيع النجار الماهر صنع صندوق ولا خشب لديهِ. فالكاتب لا يسمى كاتبًا اديبًا او بارعًا او مجيدًا وما شاكل هذه اوصاف التي تدل على مقدرتهِ في الانشاء الَّا اذا حصل على المادة وليس حصولهُ عليها امرًا سهلاً وانما هو ينالها بالدرس وقوة الملاحظة واعمال الروية

الدرس وفيهِ ابواب

باب التاريخ . يُظَنُّ لاول وهلة اننا نريد بالتاريخ حفظ اسماء وتواريخ ازمنة لا تقوى ذاكرة على حفظها فلدفع هذا الوهم نقول اننا نقصد بهِ معرفةً اقرب الى التخصيص منها الى التعميم بل هي تكاد تنحصر في تاريخ البلدان المشهورة والبلاد التي يقطنها الكاتب. وتفصيل هذا الاجمال انهُ يجب على الكاتب ان يكون ملمًّا بتواريخ كثيرين من اعاظم الرجال الذين عمروا البلدان ورفعوا الامم والممالك واشياء مما فعلوهُ وكانت سببًا في شهرتهم. فما يجب الالمام بهِ من تاريخ انكلترا مثلاً هو كيف اسس رجال البحر قوة انكلترا البحرية وحركتها التجارية في عهد الملكة اليصابات ثم اشتدت عرى التكاتف والتضافر منذ ذلك الحين فارتقت من مصاف الطبقة السادسة الى الطبقة الاولى في قوتها البحرية واتساع نطاق متاجرها وصارت اليوم مالكة البحار واول الدول في الاستعمار . فمتى ولد اولئك الرجال ومتى ماتوا وما هي اسماء سفنهم امور لا تهم الكاتب ولكن الذي يهمهُ هو استيعاب ما قاموا بهِ من عظائم الامور والوقوف على نتائج مساعيهم

وتراجم مشاهير الرجال خير ذريعة للوقوف على تواريخهم فطالعها ولا تترك سيرة قائد عظيم او سياسي محنك او نابغة في العلوم والفنون دون ان تتبحر فيها وتستوعبها بحيث اذا انشأت مقالة عن واحد منهم كان لما تقولهُ طلاوة ومعنى يستميل الخواطر اليهما فتذكر الحقائق التي تؤيد موضوعك وتبتعد عن التفاصيل المملة وتواريخ الازمنة فتبين مثلاً ما كان للرجل الذي تكتب عنهُ من التأثير في تاريخ العالم وما اتاهُ من الفعال الغراء ذلك خير من ذكرك تاريخ ولادتهِ وزواجهِ وما رزقهُ من الاولاد (الا اذا كان لاحدهم تاريخ مأثور) ويوم وفاتهِ. فان معرفة ما طرأ على الاحوال الاجتماعيَّة والاقتصادية من اكتشاف كولمبوس للعالم الجديد اهم كثيرًا من معرفة جنسيتهِ انهُ ايطالي

باب العلوم الطبيعيَّة . ومما يساعد الكاتب ايضاً وقوفهُ على بعض القواعد الاصلية في العلوم الطبيعيَّة لتتسنى لهُ المشابهة والمقارنة في وحدة الناموس الطبيعي. فيجب عليهِ ان يتعلم اهم القواعد في الفلسفة الطبيعيَّة والكيمياء والجيولوجيا وعلم طبائع الحيوان وعلم النبات والفلك. ولا حاجة الى التوسُّع في المسائل الصعبة والتفاصيل المملة فيكفي ان يستخلص الكاتب منها ما يجعلهُ قادرًا على ان يدرك حقائق كالحقائق الآتية: —

(١) ان قضبان سكك الحديد لا يوضع بعضها ملاصقاً لبعض بل يترك بين القضيب والقضيب مجال كافٍ للتمدد الذي تحدثهُ الحرارة في فصل الصيف

(٢) ان السبب الاعظم في يبس النبات ابان البرد القارس هو ان الماء الذي يتألف منهُ معظم العصارة النباتية يتمدد فتنفجر جدران الخلايا و يتلف النسيج

(٣) ان يعرف خواص الهواء والماء وغيرهما من العناصر الطبيعية والكيماوية التي لها علاقة بحياتنا اليوميَّة

(٤) ان يعرف القواعد العمومية التي تجري عليها الحوادث الجوية واسباب المطر والرعد والعواصف وما شاكل

باب الجغرافية - يجب ان يعرف من علم الجغرافية الوجوه التجارية والاقتصادية والسياسية فلا يدرس المطولات المملة في ذلك وانما يكفي ان يعرف مثلاً: —

(١) موقع البلاد وهواءها وشكلها وتأثير ذلك في تقدمها وثروتها

(٢) حاصلاتها وارداتها وصادراتها

(٣) مصنوعاتها وما اشتهرت بهِ من هذه المصنوعات واسباب تقدمها وتأخرها

(٤) العوامل التي سببت ارتفاع شأن بعض المدن وانحطاط غيرها

(٥) معرفة مواقع البلدان والمدن التي نألف سماعها من الحوادث القريبة العهد والاحوال الجارية كالترنسفال واليابان ومنشوريا ومكدونيا ومراكش الخ

ويحسن بالكاتب ان يُعلق خريطة الكرة الارضية امامهُ وان يضع مذكرة في جيبهِ يعلق فيها ما يقف عليهِ في الصحف والمجلات من الحوادث عن الاحوال التجارية والسياسية وان تكون لصفحات هذه المذكرة نمر متسلسلة وتؤخذ هذه النمر وتوضع الى جانب المدن والجهات التي وقعت فيها تلك الحوادث وذلك لكي يرجع الكاتب اليها متى مست الحاجة مثال ذلك ان ما كتبهُ في مذكرتهِ عن مدينة بمباي هو على الصفحة الخامسة فيضع بجانب هذه المدينة في الخريطة نمرة ٥

ومما يجب على الكاتب ان لا يهمل درس الجغرافية الطبيعية ولا سيما فيما يتعلق بالبراكين والزلازل وتيارات البحار العظيمة وما شاكل ذلك من المظاهر الطبيعيَّة لان درس عجائب الطبيعة ملذ ومرغوب فيهِ وما خطتهُ يد الطبيعة على سطح الارض اعظم واسمى مما سُطر وكتب

باب الاقتصاد . ان علم الاقتصاد لمن اجل العلوم شأناً والزمها للكاتب يبحث فيهِ عن تثمير الاموال والتصرف بها بالحكمة وبعبارة اخرى عن كل ما يؤول الى ترقية بني البشر مادياً فهو يصف اساليب الصناعة والتجارة في الزمن الغابر والحاضر ويوضح نظام التجارة ومسوانها وكيفيَّة نقل البضائع والمخابرات التجارية فالواجب على الكاتب درسهُ والتبحر فيهِ

باب شؤون مختلفة . ونقصد بها ان يجري الكاتب مع الحوادث فيعرف تقلباتها واحوالها في داخل بلادهِ وفي خارجها و يستوعب المهم منها بمطالعة الصحف كالمقالات السياسية والمالية والادبيَّة والعلمية فيقتطف منها ما يروقهُ من الحقائق والفوائد ويرتبها في دفتر يضع لهُ فهرساً يسهل عليهِ الرجوع اليها وقت الحاجة ثم يراجعها ويحذف منها ما يجدهُ قد صار تافهاً اولا اهمية لهُ فتقوى فيهِ ملكة الانتقاد ويكون لهُ منهُ مختصر عصريٌّ حاوٍ اشياء من الاكتشافات والعلوم الحديثة مثل التلغراف اللاسلكي والطيران والراديوم والاثير والدعوى بصنع الالماس وغيرها من الحجارة الكريمة وكالازمة المالية التي نكب بها كثير من البلدان في هذا العام

وليس التعليم رزماً من الكتب والورق يتأبطها الكاتب او يضعها في خزانتهِ بل هو مخالطة العالم ومعاملة الناس وممارسة الاعمال . قالوا ان الطبيعة خير استاذ ويعنون بذلك ان الارض والسماء والغابات والحقول والبحيرات والانهار والجبال والبحار هي احسن ما يستفيد منهُ الانسان بالسمع والعيان • وقالوا ان المرء يجمع بالمطالعة والتعليم مواد يطرح قسماً كبيراً منها لقلة فائدتهِ وتفاهتهِ وان اعمال الروية في انتقاء الصالح من هذه المواد يشبه

بنّاء ينتقي الحجارة الملائمة ليشيد بها البناء

قوة الملاحظة

تعلم وتمرّن على ملاحظة الحقائق بالدقة والبحث فيها فلا تدع قوة الملاحظة فيك تتعود الكسل والخمول . فبعض الناس يسيرون في هذا العالم مغمضي العيون والبعض يسيرون محملقي البواصر ولكنهم لا يبصرون فان في حركاتنا وسكناتنا وتأملاتنا اشياء ثمينة جدًّا يمكننا اكتسابها . فاذا كنت في الريف او المتنزهات او مسافرًا في سكة الحديد او على باخرة تمخر بك عباب البحر مرّح ناظريك في الطبيعة سهولها وجبالها وانهارها وبحارها وشلالتها وغاباتها ومتى عدت الى منزلك فاكتب خلاصة ما رأيت وما عنَّ لك من الافكار ودعها الى حين الحاجة اليها فاذا كتبت عن المتنزهات او وصف جمال الطبيعة او فصل الربيع وما شاكل ذلك كان عندك ذخر تستند اليهِ وتتوكأ عليهِ

فالوصف من اشد انواع الانشاء صعوبة ولا يبرع فيهِ الا قليلون من الكتّاب على انهُ يخلق بكل عاقل ان يستعمل عينيهِ ويسطر ما يراهُ بلغة صحيحة وعبارة فصيحة . فمن الغربيين الذين اشتهروا باجادة الوصف اسكندر دوماس وسكوت ورسكن وفي لغتنا العربية شعراء كثيرون اجادوا الوصف وفي طليعتهم البحتري ورأيت بعض كتابنا يجيدون الوصف نثرًا ولكني لم اعجب باحد منهم اعجابي بالدكتور يعقوب صروف ولا سيما في رحلتهِ النيلية ورحلتهِ الى اوربا اللتين نشرهما في المقتطف

لا تأنف من حفظ ما يلفت نظرك من عوائد اهل بلادك والبلاد التي تسافر اليها وما يتناقلونهُ عن تاريخها وتقاليدها فاذا كنت تنزه الخاطر ايام العطلة ففتح عينيك وعِ باذنيك لالتقاط مواد تفيدك عندما تكتب في موضوع كالمقارنة بين المدن والارياف في المعيشة او موسم القطن او حالة الفلاح او اميال اهل الريف لان المعرفة الحاصلة من الاختبار تفوق المعرفة المكتسبة من المطالعة والناقد المتبصر يستطيع التمييز بين الامرين عندما يقرأ كتابة بهذا الشأن وزد على ذلك ان ما تذخرهُ من فوائد الاختبار ينير ذهنك في امور الدنيا فتفهم حقيقة الادوار والفصول التي يمثلها الممثلون المختلفون اعني تمثيل رواية الحياة على مرسح الدنيا

التفكير

ان التفكير او اعمال الروية امر من الاهمية بمكان ولكنهُ مهمل في غالب الاحيان مع ان اعمال الروية لازم للكاتب في انشاء المواضيع والا جاءت كتابتهُ فارغة من المعاني التي تجذب القلوب اليها . قال احد علماء الفرنجة ان الكتابة السقيمة تدل على ان كاتبها

قليل التفكير والروية لا يحسن تنسيق المعاني ولا اختيار الالفاظ والتراكيب

التصور والخيال

نعم ان الحقائق لازمة للوصف ولكن هناك امرًا لا غنى عنهُ وهو التعبير عمّا تولده المناظر الطبيعية فينا من التأثير عند ما نشاهدها فان معظم الناس يسرحون النظر في المناظر الطبيعية الجميلة او المباني الفخيمة او الصور البديعة ويشعرون بتأثير عظيم ولكنهم يجدون صعوبة كلية في التعبير عما يشعرون بهِ بالكلام فهم يشعرون بذلك ولا يستطيعون ان يدركوا كيف نشأ فيهم ولماذا هم يشعرون به هل سببهُ الجبال الشاهقة التي رأوها او البحيرات الساكنة الفضية الماء او الاشجار الباسقة على سفوح التلال المجاورة او المروج الخضراء اللابسة حللها السندسية فقد يكون السبب بعض هذه الاشياء او كلها جملة واحدة تمثلت امامهم منظرًا مختلف الالوان والاشكال كأنهُ نقرش كنقوش الفسيفساء اجتمعت كلها فاسترعت نظرهم واثرت فيهم فشعروا بجمال المشهد الطبيعي ولكنهم لم يدركوا مصدر شعورهم لانهم لم يستعملوا موهبة التصور والخيال التي طالما ساعدت الشعراء والكتاب على رسم صورٍ واشكال في اقوالهم ليس لها وجود اصلاً وارشدت الموسيقي الى توقيع الانغام والالحان المطربة وقادت يد النقاش والنحات فحولت قطعة القماش او الرخام الى صور تكاد تتحرك وتنطق. موهبة طالما نجت كثيرين ممن يقضون السنين الطوال في اعماق السجون من ضياع الرشد والاصابة بالجنون. فالواجب ان لا نهمل هذه الموهبة السامية بل نقويها ونشركها مع حاسة النظر فلا يقول من يجوب بلادًا من اقصائها الى اقصائها انني لم ارَ فيها شيئًا استلفت نظري

حدق بعينيك الى كل ما تراهُ وتصوَّر وتروَّ واجعل الخيال مقاربًا للحقائق. اشرف على منظر بديع فيهِ جبال واودية وانهار جارية وبحيرات ساكنة واشجار باسقة وقد فرشت ارضهُ بازهار الربيع وقارن بينهُ وبين منظرٍ قاحلٍ يناقضهُ وتوهم انك تحذف من المنظر الجميل الازهار او الانهار او غيرها وكلما حذفت شيئًا اسأل نفسك كيف يصير هذا المنظر اذا حرم من هذا وذاك فاذا ازلنا منهُ الجبال فقد العظمة والجلال واذا جففنا البحيرات خسر الرقة والنعومة واذا خلعنا حلتهُ الزبرجدية فقد البهجة والرواء واذا نضبت انهارهُ وقلعت اشجارهُ استولت عليهِ الوحشة ولم نعد نسمع خرير الماء وتغريد الطير على الاغصان. بذلك يستطيع كل احد ان يدرك اسباب شعورهِ بتأثير المناظر الطبيعيَّة في النفس وان يربي فيهِ ملكة التصور والخيال فهذه موهبة تعين الكاتب على الوصف وترفع منزلتهُ بين الكتاب

فالذي يمرن هذه الموهبة بالاساليب التي ذكرناها وبغيرها يستطيع وهو مغمض عينيهِ

ان يرى كما رأى ابو العلاء المعري في قصيدتهِ المشهورة التي قالها عن لسان درع يخاطب سيفاً وهو كفيف البصر

سليم خوري
بقلم سكرتير مالي السودان

السياسة من لباب الآداب

ذكرنا في الجزء الاخير من العام الماضي انهُ وقعت لنا النسخة الاصلية من كتاب لباب الآداب الذي الفهُ اسامة ابن منقذ الكناني الملقب بمؤيد الدولة في اواخر القرن السادس للهجرة اي منذ نحو ٧٥٠ سنة ولم يكد المقتطف ينتشر حتى كتب الينا الاستاذ درنبرج المستشرق الشهير من باريس يقول ان الكلمة التي تعذرت علينا قراءتها في اول السطر الثاني من الصفحة الاخيرة هي كلمة " عالية " واسم الناسخ " غنايم " فنرفع الى حضرتهِ واجب الشكر وما هي اول مرة اخذنا لغتنا عن العجمي. هذا وقد رأينا ان نستأنف النقل من باب السياسة الذي نقلنا بعضهُ في ذلك الجزء من المقتطف وجعلنا سطور الصفحتين التاليتين كما هي في الكتاب ورسمنا تينك الصفحتين بالفوتوغراف لكي تظهر اشكال الحروف وطريقة الخط

" قال الحكماء الحازم من لم يشغلهُ البطر بالنعمة عن العمل للعاقبة والهمّ بالحادثة عن الحيلة لدفعها . وقالوا الحزم الحذر عند الامن والعاقل من حذر الليل والنهار فان فيهما مكمن الآفات . وقالوا اياك ان يطمعك الاغترار بالتهاون بالعدو الضعيف فان العدو الضعيف المحترس من العدو احرى بالظفر من العدو القوي المغترّ بالعدو الضعيف . وقالت الحكماء العجز عجزان عجز عن طلب الامر وقد امكن والجد في طلبهِ وقد فات

"وقالت الحكماء من كانت فيهِ ثلاث خلال لم يستقم لهُ امر التواني في العمل والتضييع للفرص والتصديق لكل مخبر. وقد قيل اربعة اشياء لا يُستقلّ قليلها المرض والنار والدَّين والعداوة . وقالوا ان العاقل وان كان واثقاً بقوتهِ وعقلهِ فليس ينبغي ان يحملهُ ذلك على ان يجني على نفسهِ العداوة والبغضاء اتكالاً على ما عندهُ من الرأي والقوة كما ان العاقل اذا كان عندهُ الترياق لا ينبغي لهُ ان يشرب السم اتكالاً على ما عندهُ . وقالوا احذر معاداة الذليل فربما شرق العزيز بالذبابة

"وقالت الحكماء لا تنم عن عدوك فانهُ غير نائم عنك ولا تتغافل عنهُ فانهُ غير متغافل عن عثراتك وكيف لا يكون كذلك

وهو يرى بحياتك يكون موتهُ وبغناك يكون فقرهُ وبقوتك يكون ضعفهُ · وقد قال مؤلف الكتاب

لا تحتقرنَّ من الضعيف عداوةً فالنار تحرق جمرها وشرارُها
واحذر مداجاة العدوّ وكيدهُ ان العداوة ليس تخبو نارُها

وقال العربي

لله درك ما تظن بثائر حرَّان ليس عن التراث براقدِ
ايقظتهُ ورقدت عنهُ ولم ينم حنقاً عليك وكيف نوم الحاقدِ
ان تُمكن الايام فيك وعلَّها يوماً يكل لك بالصواع الزائدِ

وقالت الحكماء اياك والثقة بعدوك اذا صالحك واظهر لك غاية النصيحة فان صلح العدو لا يسكن اليهِ ولا تغتر بهِ فان الماء لو سخن فاطيل اسخانهُ لم يمنعهُ ذلك من اطفاء النار اذا صُبَّ عليها وانما صاحب العدو المصالح كصاحب حية يحملها في كمهِ · وقالوا اذا احدث لك عدوك صداقة لعلَّة الجأتهُ الى ذلك

فبعد زوال تلك العلة ترجع العداوة الى ما كانت عليهِ كالماء الذي يطال اسخانهُ فاذا رُفع عن النار عاد بارداً · وقالوا ان الاحقاد مخوفة حيث كانت واشدها ما كان في انفس الملوك فان الملوك يدينون بالانتقام ويرون الطلب بالوتر مكرمة فلا ينبغي للعاقل ان يغتر بسكون الحقد فانما مثلهُ في القلب ما لم يجد محركاً مثل الجمر المكنون ما لم يجد حطباً · ولا يزال الحقد يتطلع الى العلل كما تبتغي النار الحطب فاذا وجد علة اشتعر اشتعار النار فلا يطفئهُ ماء ولا كلام ولا لين ولا رفق ولا خضوع ولا تضرُّع ولا شيء دون الانفس وقد قيل احزم الملوك من لم يلتمس الامر بالقتال وهو يجد الى غير القتال سبيلاً لان النفقة في القتال من الانفس وسائرُ الاشياء انما النفقة فيها من الاموال والعقول · وقالوا اضعف حيل الحرب اللقاء وصرعة اللين والمكر اشد استئصالاً للعدو من صرعة المكابرة · والحازم اذا نابهُ الامر العظيم المقضع الذي تخاف منهُ الجائحة المخوفة

على نفسهِ وقومهِ لم يجزع من شدة يصبر عليها لما يرجو من حميد عاقبتها ولم يجد لذلك مسًّا ولم يشمخ بنفسهِ عن الخضوع لمن هو دونهُ حتى يبلغ حاجتهُ ومقصودهُ وهو حامد لغب امرهِ لما كان من رأيهِ وحسن اصطبارهِ . وقال الشاعر

اذا المرء والاك الهوان فأولهِ هوانًا وان كانت قريبًا اواصرهُ

فان انت لم تقدر على ان تهينهُ فذرهُ الى اليوم الذي انت قادرهُ

وقارب اذا ما لم يكن لك قدرة وصمم اذا ايقنت انك فاقرهُ

كتب ارسطاطاليس الى الاسكندر انك قد اصبحت ملكاً على ذوي جنسك واوتيت فضيلة الرئاسة عليهم فما تشرف بهِ رئاستك و يزيدها نُبلاً ان تستصلح العامة لتكون رأساً لخيار محمودين لا لشرار مذمومين . ورئاسة الاغتصاب وان كانت تذَم لخصال شتى فان اول ما فيها المذمة انها تحط قدر الرئاسة وذلك ان الناس في سلطان الغاصب كالعبيد لا كالاحرار ورئاسة الاحرار اشرف من رئاسة العبيد ومن تخيَّر رئاسة العبيد على رئاسة الاحرار كمن تخيَّر رعي البهائم على رعي الناس وهو يظن انهُ قد اصاب وغنم . فحال الغاصب في ما يركب من الغصب هذه الحال لانهُ يطلب محل الملك وشرفهُ وليس شيء ابعد من شرف الملك من الاغتصاب لان الغاصب في شكل المولى والملك في شكل الاب اللطيف

"ومما يضع قدر الرئاسة ما كان يصنع ملك فارس فانهُ كان يسمي اباهُ وكل احد من رعيتهِ عبيداً . والرئاسة على الاحرار والافاضل خير من التسلُّط على العبيد وان كثروا وهي عند الناس جميعاً اولى ولا سيما لذوي الفهم والاخطار . وانت حقيق ان تسلَّ سخيمة العامة بما تذيقهم من رفق تدبيرك وتضع عنهم من مكروه العنف والخصاصة فان العبيد اذا عرضوا على المشترين لا يسألون عن يسارهم وجاههم وانما يسألون عن اخلاقهم وهل فيهم فظاظة . فالاحرار اجدر ان يتعرَّفوا ذلك وان يعرُّوا منهُ اذا كان ذلك في السلطان واذلك ما يصيرون الى خلعهِ والوثوب عليهِ . واذا ظهرت على فئة فضع من اوزار الحرب واوزار الغضب لانهم في تلك الحال كانوا عدوًّا وفي هذه الحال صاروا خولاً فقد ينبغي ان يبدَّلم من الغضب رحمة وعطفاً . وقد ينبغي للسلطان ان يعرف مقدار الغضب فلا يكون غضبهُ شديداً طويلاً ولا ضعيفاً قصيراً فان ذلك من اخلاق السباع وهذا من اخلاق الصبيان .
ومن كبر الهمة ان يكون الملك متعطفاً على الناس فانهُ بالعطف والرحمة ينبل ويبعد صيتهُ .
وانا اعرفك على هذا المذهب ولكني لا آمن ان تتوافى فيهِ مما جرى عليك من ناس كثير من سوء المشورة فان كثيراً من الناس يشيرون اذا استشيروا بغير ما يشاكل المشار عليهِ

بل بما يشاكلهم وليس بما ينتفع بهِ في الامر الحادث ولكن بما يخصهم نفعهُ في انفسهم

"وانا احبُّ لك ان تقتدي برأي اسندوس حيث يقول ان فعل الخير في الجملة افضل من فعل الشر ومن يستطيع ان يغلب الشر بالخير دون الشر فهي اشرف الغلبتين لان الغلبة بالشرجلد والغلبة بالخير فضيلة · واعلم انهُ قد امكنك ان تودع الناس من حسن اثرك ما ينشر ذكرهُ في آفاق البلاد ويبقى على وجه الدهر فافترص ذلك في اوانهِ واعلم ان الذي يتعجب منهُ الناس الجزالة وكبر الهمة والذي يحبُّون عليهِ التواضع ولين الجانب فاجمع الامرين تستجمع محبة الناس لك وتعجبهم منك · ولا تمتنع ان تتكلم بما يطيّب قلوب العامّة فان الناس ينقادون للكلام اكثر من انقيادهم بالبطش · ولا تحسب ان ذلك يضع من قدرك بل يزيدهُ نبلاً ان تنطق بالخير اذ انت على الشر قادر · واعلم ان التودُّد من الضعيف يعدُّ ملقاً والتودُّد من القوي يعد تواضعاً وكبر همة فلا يمتنع ان تتودَّد الى العامَّة لتحصل لك محبتهم وتنال الطاعة منهم · واعلم ان الايام تأتي على كل شيءٍ فتخلق الافعال وتمحو الآثار وتميت الذكر الاَّ ما رسخ في قلوب الناس بمحبة تتوارثها الاعقاب · فاجتهد ان تظفر بالذكر الذي لا يموت بان تودع قلوب الناس محبة يبقى بها ذكر مناقبك وشرف مساعيك · ولا ينبغي للمدبر ان يتخذ الرعية مالاً وقنية ولكن يتخذهم اهلاً واخواناً · ولا ترغب في الكرامة التي تنالها من العامة كرهاً ولكن التي تستحقها بحسن الاثر وصواب التدبير"

"قيل بلغ بعض الملوك حسن سياسة ملك آخر فكتب اليهِ قد بلغت من حسن السياسة ما لم يبلغهُ ملك فافدني ما الذي بلغكهُ · فكتب اليهِ لم اهزل في امر ولا نهي ولا وعيد واستكفيت للكفاية واثبت على الغنا لا على الهوى واودعت القلوب هيبة لم يشبها مقت وودًّا لم يشبه كذب وعممت بالقوت ومنعت الفضول

"قيل لما اراد الاسكندر الخروج الى اقاصي الارض قال لارسطاطاليس اخرج معي قال قد نحل بدني وضعفت عن الحركة فلا تزعجني · قال فاوصني في عمَّالي خاصة قال انظر مَن كان منهم لهُ عبيد فاحسن سياستهم فولِّهِ الجند ومن كان لهُ ضيعة فاحسن تدبيرها فولِّهِ الخراج

"عن عوانه قال قال زياد بن ابيهِ ما غلبني معاوية في شيء من امر السياسة الاَّ في شيء واحد وذلك اني استعملت رجلاً على دست ميسان فكسر الخراج ولحق بمعاوية فكتبت اليهِ اسألهُ ان يبعثهُ اليَّ فكتب اليَّ بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعدُ فانهُ ليس ينبغي لمثلي ومثلك ان نسوس الناس جميعاً بسياسة واحدة ان نشتد جميعاً فنخرجهم او نلين جميعاً فنمزجهم ولكن تكون انت تلي الفظاظة والغلظة واكون انا الى

الرأفة والرحمة فاذا هرب هارب من باب وجد باباً فدخل منهُ والسلام

"قال بعض الحكماء منازل الراي اربعة التقدم في الامر قبل حلولهِ فان قصّر فيهِ فالجد عند وقوعهِ فان قصّر عن ذلك فالسعي في التخلص منهُ فان قصّر فيهِ فليس الاَّ بذهاب الزمان الذي يذهب بنفع صواب الراي

"روي ان بعض ملوك الفرس سأل حكيماً من حكمائهم ما شيء يعزّ بهِ السلطان قال الطاعة . قال فما سبب الطاعة قال التودُّد الى الخاصة والعدل على العامَّة . قال فما صلاح الملك قال الرفق بالرعية واخذ الحق منهم في غير مشقة واداؤُهُ اليهم عند اوانهِ وسد الفروج وامن السبل وانصاف المظلوم من الظالم وان لا يفرط القوي على الضعيف . قال فما صلاح الملك قال وزراؤُهُ اصولهُ فان هم فسدوا فسد وان هم صلحوا صلح . قال فاية خصلة تكون في الملك انفع قال صدق النية" انتهى

ويلي ذلك ٢٤ صفحة كلها على هذا النسق من النصائح والحكم عن السنة الملوك والحكماء والفلاسفة . وفي الصفحة السادسة والتسعين من الكتاب كلام للمؤَلف قال فيهِ ما يلي وقد صورنا تلك الصفحة بالفوتوغرافيا ونشرناها هنا ورتبنا السطور والكلمات كما هي في الاصل

قلت اذكرني قول

الحكيم انما سلطان الملك على الاجساد دون القلوب امرًا شهدتهُ بمصر

في سنة سبع واربعين وخمس مايه وهو ان رسول ملك الحبشة وكتابهُ

وصل الى الملك العادل ابي الحسن علي بن السلار رضي الله عنهُ فسألهُ ان

يأمر البطرك بمصر ان يعزل بطرك الحبشة وتلك البلاد كلها مردودة

الى نظر بطرك مصر فامر الملك العادل باحضار البطرك فحضر وانا عندهُ

فرأيت شيخًا نحيفًا مصفرًا فادناهُ حتى وقف عند باب المجلس فسلَّم ثم

انحرف فجلس على دكّة في الدار ونفذ اليهِ يقول لهُ ملك الحبشة قد

شكا من البطرك الذي يتولى بلادهُ وسألني في التقدم اليك بعزلهِ

فقال يا مولاي ما وليتهُ حتى اختبرتهُ ورأيتهُ يصلح للناموس الذي هو فيهِ

وما ظهر لي من امرهِ ما يوجب عزلهُ ولا يسعني في ديني ان اعمل فيهِ بغير

الواجب ولا يجوز لي ان اعزلهُ فاغتاظ الملك العادل رحمهُ الله من قولهِ

وامر باعتقالهِ فاعتقل يومين ثم انفذ اليهِ وانا حاضر يقول لهُ لا بدَّ من

عزل هذا البطرك لاجل سؤال ملك الحبشة في ذلك فقال يا مولاي ما عندي جواب غير

ما قلتهُ لك وحكمك وقدرتك انما هي على الجسم الضعيف الذي بين يديك واما ديني فما لك عليهِ سبيل والله ما اعزلهُ ولو نالني كل مكروه · فامر الملك العادل رحمهُ الله باطلاقهِ واعتذر الى ملك الحبشة . انتهى نص الكتاب

فهذ امرٌ جرى منذ نحو ثمانمئة سنة في هذا القطر وفي هذه العاصمة رآهُ مؤلف هذا الكتاب بعينهِ وسمع ما قيل فيهِ باذنهِ وهو كأنهُ حدث امس وكتب عنهُ كما نكتب عنهُ اليوم · مرَّت ثمانمئة سنة والعادات لم تتغير ولغة الكتَّاب لم تختلف اختلافاً يذكر

ما هي اللغة [1]

الفكر حركة نفسية يحتاج في ظهوره الى معونة الجهاز المخصوص الذي يكون بهِ الكلام وعليهِ فالكلام هو حركة ذلك الجهاز المنبعثة عن مجرد الطبع او المدفوعة بالارادة للتعبير عن حركة من حركات النفس · ينتج من هذا ان الكلام يتنوع باختلاف الشارات التي تدل على الافكار وان تلك الشارات تنقسم الى قسمين طبيعيَّة وصناعيَّة

فالاولى هي التي تصدر عن الذات من حيث هي اي بمقتضى وجودها المادي وكل شارات هذا القسم عرضية مثل شارات اليد والرأس والعين وبقية الاعضاء ومثل الاصوات التي ليست الفاظاً والكلام اي النطق

والثانية خارجة عن الذات وهي تحدث من تأثير الانسان في الماديات الخارجة عنهُ وكل شارات هذا القسم جوهرية بمعنى ان لها دواماً طويلاً كان او قصيراً كالاعلام والنقش او الرسم والحفر والكتابة

ومما تقدم يتبين ان الكلام الطبيعي عام لكونهِ مفهوماً بذاتهِ من جميع الناس ومن الحيوان احياناً كما هو الحال بالنظر لشارات الاعضاء واصوات الغضب او الاستحسان من غير ان يكون هناك اتفاق سابق على مفهوم تلك الشارات

وعلى خلاف ذلك الكلام الصناعي او الاتفاقي لانهُ عبارة عن مجموع الالفاظ المخصوصة الموضوعة للمعاني المخصوصة وعن التراكيب او الصيغ الناتجة من تأليف هذه الالفاظ لتوصل الى الذهن بواسطة الاذن او العين معاني مخصوصة متفق عليها

وقد يتأتى ان يكون الكلام الصناعي عاماً اي ان كل الناس يدركون المراد منهُ

(١) خطبة صاحب السعادة احمد فتحي باشا زغلول في نادي دار العلوم

كالرسم مثلاً وعلى هذا يتضح خطأُ تعريفهم اللغة بانها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم

والصحيح ان اللغة هي مجموع العادات المخصوصة التي تجري عليها كل امة في التعبير عن اغراضها بواسطة الكلام او الكتابة وتقدم بيان معنى الكلام

ولا يصح اطلاق اسم اللغة على ذلك المجموع الاّ اذا كانت النسبة تامة بين اللفظ ومدلوله لان قوة اللغة متوقفة على شدة المطابقة بحيث ان الاذن او العين ترسم في ذهن السامع او القارىء صورة المدلول كما هي ولا يتم ذلك الاّ باجتماع شروط ثلاثة

الشرط الاول · ان يكون لكل مدلول علامة خاصة بهِ تدل عليهِ دائماً ولا تدل على غيره ابداً

الشرط الثاني · ان تكون هذه العلامة قابلة للتغير بتغير المدلول وتبعاً له

الشرط الثالث · انها تكون قابلة للاشتقاق كمدلولها فاذا اشتق منهُ مدلول اشتق منها علامة دالة عليهِ بالشروط عينها

وبناء على ما تقدم تكون شروط اللغة الحقيقية بهذا الاسم ثلاثة ايضاً

الاول · ان يكون تعبيرها محكماً وذلك عبارة عن تمام المطابقة بين الدال والمدلول ولا سبيل الى هذا الاّ اذا سهل استعمال اللفظ قدر المعنى ولم يزد المعنى عن اللفظ المستعمل لاجلهِ وهذا الشرط صعب التوفر فما وفقت لغة حتى الآن لنيل هذه المزيَّة اللهمَّ الاَّ لغة علماء الرياضة بل ان اللغات الاخرى لن تنالها ابداً

الثاني · الملابسة وهي الخاصة الموجودة في الالفاظ او التراكيب اي الصيغ تلك الخاصة التي يدرك بها الفاهم نظائر المدلول ونقائضهُ والملابسة تقتضي تحليل الفكر الانساني وذلك غير ميسور عادة في اللغات الاصلية الاّ نادراً

الثالث · الوضوح التام وهو يرجع للشرطين السابقين ولصناعة ترتيب الالفاظ وتركيب الجمل ترتيباً وتركيباً ينتفي معهما الابهام ويرتفع الشك والالتباس · ومن اللغات ما تميل باهلها الى الاغراب في التعبير وهذا هو السبب في ظلمتها وتعسر فهمها وكلما كان القول طبيعياً اي بسيطاً ازداد وضوحاً فالبساطة هي امثل طرق الكلام على انها طريقة العلم والواقع وهي التي يسهل بها التعبير عن الافكار وحركات النفس كما ينبغي

وكأني بحضراتكم وقد استنتجتم مما ذكرتهُ الى الآن خطر مذهب التجوز او الاشتراك في اللغة وذكرتم انهُ يذهب بجمالها ويخفي من وضوح دلالتها ويجعلها ثقيلة على اهلها بعيدة المنال على طلابها من الامم الاخرى

سمعت في الاجتماعين الماضيين كلاماً كثيراً في اللغات الاجنبية وان لها اصلاً او اصولاً ترجع اليها وتستمد روح التجدد منها فاهلها في حل مما يفعلون واما نحن فلا اصل للغتنا ويبنون على هذه المقدمة نتيجة هي انهُ يجب علينا ان لا نعرّب كلمة اعجمية لنضيفها الى لغتنا العربية

الحق اني ما فهمت النسبة بين تلك المقدمة وهذه النتيجة فاني انظر الى اللغة اللاتينية التي هي اصل لغات ام اوربا المعروفة بهذا الاسم من فرنساوية وتليانية واندلسية وغيرها فاجدها لغات ممتازة تماماً عن ذلك الاصل بل اجد الفرنساوي من حيث هو لا يعرف كلمة واحدة من اصل لغتهِ وكذلك بقية من ذكرنا وأرى ان كل لغة حية هي لغة مستقلة قائمة بنفسها لها قواعد خاصة بها وتراكيب وصيغ تميزها عن اصلها تماماً فاذا استعاروا لمحدث جديد اسماً من ذلك الاصل فانما هم يستعيرونهُ من لغة اعجمية بالنظر الى لغتهم . الا ترون انهم لا يقصرون الاستعارة على اللغة اللاتينية ويتعدونها الى اليونانية القديمة واحياناً يستعيرون كلمتين من كل لغة كلمة ويختونهما ويصقلونهما ويدمجون هذا المزيج في لغتهم فيصير جزءا منها ويفسحون لهُ في كتب اللغة محلاً بين كلمتين اصليتين بحسب ترتيب حروفهِ الابجدية

انهم يعملون اكثر من هذا . ان لكل بلد عادات في اكلها وسكناها ولباسها واطوارها ويتبع ذلك وجود اسماء عند قوم لمسميات لا يعرفها قوم آخرون الا ان التجارة وطرق المواصلات تنقل هذه المسميات او تجعلها تشاهد في اماكنها من النازحين اليها فيرى اهل البلد ما يروق لهم من بعض تلك الخصوصيات لاهل البلد الآخر ولا يجدون من لغتهم نصيراً على التعبير عنهُ تماماً لكنهم لا يحتارون ولا يقصدون الاجتماع تلو الاجتماع ولا يفترقون شيعاً واحزاباً بل يقدمون على تناول المسمى واسمهِ ويدرجون عليهِ من ساعتهم فيمتزج بلغتهم ويعرفهُ الكل ويتحرَّون في حديثهم ان يلفظوهُ كانهم في نطقهم بهِ من اهلهِ . والامثلة على ذلك لا تحصى يعرفها كل من تعلم لغة واحدة اجنبية . هم يعملون ذلك حتى في العلوم فترى الحكيم الفرنساوي وهو يقرر مذهبهُ عندما يأتي على ما يخالفهُ من مذاهب الالمان اذا وصل الى معنى خاص باحدهم لم يفكر ان يعبر عنهُ بغير لفظهِ الالماني وهكذا ثم يذكر بهامش كتابهِ معناهُ

ما كان هذا ليفسد لغة من تلك اللغات ولا يثير عاطفة الحنان والاشفاق عليها بل ما ازدادت لغاتهم بهذا الا طلاوة ويسراً بل تكاد هذه الطريقة تجري عند الامم الغربية عادة لتكون الالفاظ الغريبة عن لغتهم برهاناً على سعة مداركهم ورحب صدورهم لكل نافع وكل مفيد ولتكون دليلاً على مصدر المسمى ومذكرة بجزء من ترجمتهِ

قالوا ان ذلك جائز عندهم لتماثل احرف هجائهم واتحاد صورها واشكالها واما نحن فلا

قبل لنا على عمل ما يعملون لاختلاف احرف هجائنا وصورها واشكالها ولست ارى في هذا الاعتراض الأ انهُ دليل احد امرين فاما شعور بعجزنا عن المجاراة لفتور في همتنا او قصور في معارفنا واما ان احرف هجائنا واشكالها وصورها محتاجة هي ايضاً الى الاصلاح لنتمكن من تناول كلمات الغير باشكال وصور تجعلنا ننطق كلماتهم كما ينطقون وننقل عنهم كما هم عن بعضهم ينقلون

نحن اما عرب او مستعربون واما اجانب عن لغة العرب او مولدون فان كنا الاولين فلنا حقنا في التصرف بلغتنا كما تقتضيهِ مصلحتنا وان كنا مستعربين فبحكم قيامنا مقام اصحاب هذه اللغة وبكوننا ورثناها عنهم بعد ان بادوا فليس من لهُ ان ينازعنا في استعمال ما كان مباحاً لآبائنا من قبلنا وان كنا اجانب او مولدين فمن لهُ ان يسيطر علينا ويحرمنا ثمرة الكد في حفظ هذه اللغة وتفضيلها على غيرها من سائر اللغات فيلزمنا بالبقاء على القديم ويحكم علينا بالجمود واعتقال اللسان

اخذ العرب العلوم عن اهلها ونقلوها الى لغتهم فلما وجدوا منها استعصاء في بعض المواضع ذللوها واخضعوا الغريب عنها لاحكامها فأيسرت ودرجت بعد الجمود فكانت لهم نعم النصير على ادراك ما طلبوا من نور وعرفان

نسينا نحن ان زماننا غير زمانهم فكانوا اصحاب حول وطول وذوي مجد وسلطان ونحن على ما نعلم من الضعف والانزواء على انهم في عزهم وبعد فخارهم وتمكنهم من انفسهم لم يعتزوا بلغتهم فنفروا من العجمة لانها عجمة بل استخدموها حيث وجب الاخذ بها تمكيناً للغتهم وحذراً من ان يصيبها الوهن اذا قعدوا بها عن مجاراة تيار التقدم وهم اولو الراي فيهِ وخوفاً من ان يعيقهم الجمود فيها عن حفظ مركزهم العظيم بين الامم التي كانت تعاصرهم ·

أيجوز لنا ان نتخلف عن السير في طريقهم والاسترشاد بهديهم والعمل بطريقتهم بحجة انهم انقرضوا وبادوا فلا حق لنا في متابعة الرقي ولا يجوز ان نخطو بعدهم خطوة الى الامام لكن من الذي استأجرنا حراساً من الحرس على هذه الوديعة وباي قوة اخضعنا على الوقوف هذا الموقف موقف الاستكانة وقطع الرجاء وفقدان الهمة وانحلال العزائم انقصٌ في الافهام ام قصر في الاجسام ام جهل بأننا من البشر لنا كل حقوق الانسان

ليس لنا ان نتمسك بالقديم لقدمهِ وان اصبح عديم الجدوى والأ فاولى بنا ان نكفّ عن الدرس والمطالعة وان نكتفي من كل شيء بما ورثنا عن الآباء لنعيش كما عاش الاولون.

غير اني ارجوكم ان تتعلموا الصبر فلا تجزعوا اذا اصابتكم مصائب التقدم فتركتكم آخر القوم ولا تحزنوا اذا حصرتكم عوامل الرقي فبيتم بين يقف متفرجاً عليكم وانتم كالصور المتحركة الناطقة

لكنها تتحرك بحركة هي عبارة عن اهتزاز الشيء مكانهُ وتنطق بلغة دائرة قد خلت من العلم الذي اصبح دارجاً على السنة المتفرجين

جزع خصوم مذهبنا على اللغة العربيَّة وحسبوها طعاماً سهل التناول والهضم في معد اللغات الاعجمية فاستجاروا من التعريب وصاحوا اننا لا نطيق اسماً اعجمياً يدخل عليها

اليست هي تلك اللغة الحافلة بالالفاظ والتراكيب العالية والقول الفصيح المصونة بكتاب الله تعالى وسنة رسولهِ صلى الله عليهِ وسلم وهي لم تتأثر ببعض كلمات تدخل عليها في كل عام بل ان هذا العمل مما يؤيدها ويشد ازرها ويرفع مقامها بين اللغات فلا يطمع الاعاجم في اعتبارها من اللغات الميتة

قالوا ذلك يفسد علينا لغة القرآن وما اسدَّ ما اجاب بهِ عن هذا الاعتراض حضرة الفاضل السيد رشيد افندي فلا خوف على القرآن ما دام في الوجود مسلم ألا ترون ان القرآن محفوظ مصون عند من لم يعرف العربيَّة من المسلمين . اليكم الترك والهند والصين والقوقاز والروسيا تلك امم تعد خلقاً كثيراً من المسلمين لا يعرف الواحد منهم غير لغة امتهِ وهو مع ذلك يحرص على القرآن اشد من حرص الجبان على دمهِ

أيعجزكم ان تحافظوا على القرآن بيمينكم وتفسحوا المجال في لغتكم للتقدم باليسار لتنالوا السعادتين وتكونوا من الناجين في الدارين

قالوا العلم نافع قالوا كثير منهُ مخالف للدين قالوا الحضارة تهددنا فلنتقها قالوا هي تخالف الدين قالوا حدثت مستحدثات فسموها قالوا حرام عليكم ان كنتم فاعلين . من جراء هذا قال الفرنج عنا انا قوم جامدون وما جمودنا الا من الدين فصحنا مع هذا وقلنا لهم بل انتم قوم ظالمون . ما لنا وللدين نجرهُ في كل امر ونقيمهُ حاجزاً في وجه كل باحث حتى في الامور التي يأمر هو بتناولها . يأمرنا الدين بتعلم ما خلق الله وان نسير على سنة التقدم التي سنها للبشر ونحن كل يوم في احجام بدعوى يعلم الله مقدار بعدها عن الحق والصواب

عليكم بالتقدم فادخلوا ابوابهُ المفتحة امامكم ولا تتأخروا فلستم وحدكم في هذا الوجود ولا تقدم لكم الا بلغتكم فاعتنوا بها واصلحوها وهيئوها لتكون آلة صالحة فيما تبتغون لكن لا تكثروا من الاشتقاق الخارج عن حد القياس المعقول . ولا تشوهوا صورتها الجميلة بتعدد الاشتراك او التجوز ثم لا تقفوا بها موقف الجمود والعجمة تهددها على السنة العامة وهي لا تلبث ان تدخل على لغة الخاصة . اقيموا في وجه هذا السيل الجارف سداً من الاشتقاق المعقول والترجمة الصحيحة والتعريب عند الضرورة لتكونوا من الناجحين

العامية والفصيحة

بحث نادي دار العلوم في ٢٧ فبراير الماضي في ماهية العربيَّة العاميَّة فالقى حضرة العالم الشيخ طنطاوي جوهري خطبة نفيسة في هذا الموضوع وقال ان كلامهُ مقصور على اللغة المعروفة عند العامَّة المصريين وهي عربية صحيحة والمحرف منها قليل وكذا الدخيل وربما لا يبلغ مقدارهما خمساً في المئة من مجموع الفاظهم · وذكر مئتين من الفاظ العامَّة التي يهملها الكتاب زاعمين انها مبتذلة مع انها عربيَّة فصيحة واستشهد على صحتها بكتب متن اللغة وباستعمالها في القرآن والحديث واشعار العرب الموثوق بعربيتهم ثم قال

" ثبت مما سبق ان الالفاظ التي يستعملها الفلاحون وتلقيناها عن آبائنا عربية فصيحة تصلح للتحرير ولكن التحرز منها وهمٌ قديم تأصل في النفوس لما سمع انها مبتذلة · وقد ذكر رجال العلم ان من شروط الفصاحة والبلاغة عدم الغرابة قال صاحب المثل السائر ان الالفاظ العامة فصيحة وان الابتذال راجع لركاكة التركيب والفصاحة والبلاغة لحسن السبك وهذا هو المعبَّر عنهُ بالسهل الممتنع · فالالتجاء الى الغريب قصور وكان المرء اذا عجز عن ان يسلب الالباب بسحرهِ الحلال اخذ يغرب عليهم بما لا يعلمون وهذا هو السبب القديم في شيوع هذه الفكرة بيننا · وقد نصَّ علماء البلاغة كعبد القاهر الجرجاني والجاحظ وصاحب المثل السائر ان الالفاظ لا تبتذل لاستعمال العامَّة لها وان استعمال الغريب عيب فاحش "

ثم قال "وقد اوغل ابن السبكي في خطبة كتابهِ عروس الافراح فمدح المصريين بانهم اعلم بالبلاغة من علمائها فقال ما نصهُ بالحرف الواحد

" اما اهل بلادنا (يعني المصريين) فهم مستغنون عن ذلك (اي عن فنون البلاغة) بما طبعهم الله عليهِ من الذوق السليم والفهم المستقيم والاذهان التي هي ارق من النسيم والطف من ماء الحياة في المحيا الوسيم . اكسبهم النيل تلك الحلاوة واشار اليهم فظهرت عليهم تلك الطلاوة فهم يدركون بطباعهم ما افنت فيهِ العلماء فضلاً عن الاغمار الاعمار ويرون في مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب من الاسرار خلف الاستار

والسيف ما لم يلفَ فيهِ صيقل   بطباعهِ لم ينتفع بصقالِ "

وبعد ان اسهب الخطيب في هذا الموضوع اشار بجمع قاموس يشمل كل الالفاظ العامية الصحيحة ويدرس في المدارس وقال ان خلاصة هذه المباحث

(١) اللغة العامية فيها الاصول الضرورية لمعاشنا

(٢) الدخيل لا يبلغ ٥ في المائة وكذا المحرف تحريفاً بيناً

(٣) اللغة العامية تبلغ اصولها وما قاربها خمسة آلاف كلمة على اقل تقدير وربما وصلت ثمانية آلاف في الفيروزبادي

(٤) العامة يعدون البليغ ما كان غريباً لانهم يخضعون لما يجهلون والمتوسطون يعشقون سبك النظم وينبذون الغريب والحكماء يرون مع ذلك ما هو ادق في المعنى وانفع للامم

(٥) غلبت الفكرة العامية قديماً فنبذ الناس ما ينطق بهِ العامة

(٦) اللحن والدخيل والتحريف جعلنا نظنها كلها لغة فاسدة ولا يحكم على فساد الكل بالبعض ولا على فساد الجوهر بالعرض

(٧) ردت الفاظ اهل بلادنا في القرآن والحديث وكلام العرب فليست مبتذلة

(٨) الحاجة ماسة اليها والامة تتكلم بها فمن العبث نبذها

(٩) تحقق ان الفصيح والبليغ ما عرفهُ الناس الذين تخاطبهم اذا سبكتهُ بنظم عجيب واسلوب غير غريب

(١٠) من اغرب في الكلمات فلا هو فصيح ولا بليغ انما يحفظ الفاظاً من اللغة وهذا ليس بشيء

(١١) يجب ان تستوعب الفاظ العامة (وتجمع في قاموس) ليستعان بها على امور الحياة وتزيد عليها ما تمس اليهِ الحاجة

(١٢) كلامنا خاص بلغة التخاطب واذ ذاك لا يقال عربية وعامية بل تكون كلها عربية صحيحة مع ادخال الاعراب على سبيل التدريج واصلاح المحرف واستبدال الدخيل بقدر الامكان

(١٣) ينشر هذا القاموس بين الطبقات المتعلمة حتى تدخل ملكة اللغة بالتدريج فيكتفي بهِ الناس في اعمالهم ومن كان مختصاً بفن زاد لاجلهِ من اللغة ما شاء من اصطلاحهِ. وعالم البلاغة واللغة يجب ان يزيدا من اللغة العربية ما شاءا ان يزيدا

(١٤) يراعى في القاموس الذي ينشر الاّ يذر نباتاً في بلادنا المصرية ولا حيواناً ولا غيرهما ولا صفة من صفاتها الاّ وصفهُ ورسمهُ والغفلة عن ذلك عيب فاضح

(١٥) يجب ادخال كلمات ذلك القاموس في محاورات صغيرة لما يحيط بنا من الامور الخارجية حتى يعرف ابناؤنا احوال الحياة والتعبير عنها

(١٦) اذا شرع في هذا العمل اليوم فلا يمضي عشر سنين حتى تصير لغة الكلام لغة التحرير وتزول تلك الوصمة ويخرج جيل عالم باللغة عالمٌ باصول الحياة

الشفاء بالايمان

لما سئلنا في الجزء الماضي عن كيفيَّة شفاء الرجل الملقب بقديس الشويفات اجبنا "انهُ مخلص في ما قال معتقد صحتهُ. ولو كان برهميًّا لاعتقد ان برهما نفسهُ تجلّى لهُ وكلّمهُ بلغة الهنود لا بالعربيَّة وذكر لهُ عبارات من كتب البراهمة الدينيَّة ولو كان صينيًّا بوذيًّا لاعتقد ان بوذه ظهر لهُ وكلّمهُ باللغة الصينية وهلمَّ جرًّا. والكلام كلهُ داخلي منتزع من الصور العقلية المطبوعة في ذهنهِ وقد اثَّر فيهِ تأثير افعال الاطباء في حوادث الهستيريا المختلفة". اي ان شفاءهُ كان بمجرَّد الايمان او الاعتقاد. ثم طُلب منا ان نسهب في هذا الموضوع اي في موضوع الشفاء بالايمان او بالاعتقاد ورأينا مجال القول متسعاً فكتبنا السطور التالية معتمدين فيها على بحث مسهب رأيناهُ في الجزء الاخير من مجلة العلم العام الاميركيَّة

لا شبهة في ان كثيرين من المرضى شفوا بالايمان سواءٌ كانت امراضهم وهميَّة لا حقيقة لها او كانت حقيقية. وهنا يقع الالتباس بين المرض الحقيقي والوهمي فاذا كان الوهمي يجري مجرى الحقيقي في كل اعراضهِ يحجب البصرَ عن العين حتى لا ترى ويمنع الحركة عن اليد حتى لا تمدَّ وينزع القوة من الظهر حتى لا ينتصب و يوقف العصارات عن المعدة حتى لا تهضم ويبطل ورود الدم الى الاعضاء حتى لا تنمو فهو عارض طرأ على الجسم لا يقلُّ فعلهُ عن فعل الميكروبات وسائر الآفات التي تسبب الامراض والادواء. وما يزيلهُ ويشفي الجسم منهُ يصحُّ ان يسمَّى علاجاً ودواءً ولو كان فعلاً عقليًّا ناتجاً عن الاعتقاد او الوهم لاغير

انتبه الاطباء اولاً الى فعل العقل في شفاء الامراض من رؤْيتهم بعض الفتيان يخجلون خجلاً شديداً احيانا يكلمون حتى تمنعهم شدة الخجل عن النطق فارتأى بعضهم ان يعالج الفتى المعرَّض لهذا الخجل بجعلهِ يفتكر في شيءٍ يخيفهُ بناءً على ان حمرة الوجه تنتج من الخجل وصفرتهُ تنتج من الوجل كما هو معلوم والصفرة ناتجة عن انقطاع ورود الدم الى الوجه. فنجح هذا العلاج اي ان الفتى الذي يخجل خجلاً شديداً اذا كلمتهُ في موضوع ما يزول خجلهُ حالاً اذا افتكر حينئذٍ بامر يخيفهُ كأَنَّ الفعلين الخجل والوجل يتضاربان فيفني احدهما الآخر

ههنا فعل عقلي عصبي لهُ تأثير طبيعي ظاهر في الوجه يزول بفعل آخر عقلي عصبي وهذا هو الاساس العلمي لكل انواع الشفاء العقلي او الشفاء بالايمان فان جدران الاوعية الدمويَّة التي في الوجه والعنق مؤَلفة من الياف حلقية خاضعة لفعل الاعصاب المختلفة بها فاذا تهيجت هذه الاعصاب مدَّدت تلك الحلقات فتتسع الاوعية الدمويَّة ويكثر ورود الدم

بها الى الجلد او ضيّقتها فتضيق وبقلّ ورود الدم بها اليهِ · والاعصاب المشار اليها تفعل من نفسها غير خاضعة للارادة ولكن يمكن تسليط الارادة عليها فتصير تضيّق الاوعية الدمويّة او توسّعها كما يمكن تسليطها على العضلات التي تحرك وقت البكاء فيصير الانسان قادراً على البكاء وقتما يريد ولو لم يحدث لهُ شيء يبكيهِ حتى ان الفتى الذي كان كثير الخجل صار يقنع نفسهُ بانهُ لا يوجد ما يوجب خجلهُ فلم يعد يخجل او صار يعقد نيتهُ ويصمم ارادتهُ على ان لا يخجل فلم يعد يخجل

فهذه ثلاثة سبل لمنع الخجل الاول ان يفكر المرء بامر يمنع ورود الدم الى وجههِ حينما يحدث ما يوجب خجلهُ فيتناقض الفعلان ويزيل احدهما الآخر. والثاني ان يقنع نفسهُ بانهُ لا يوجد شيء يوجب خجلهُ · والثالث ان يصمم ارادتهُ على ان لا يخجل ولو حدث ما يوجب خجلهُ

وفي هذه الاحوال الثلاثة تصير الافعال الطبيعيَّة التي هي غير خاضعة للارادة عادةً خاضعةً للارادة جارية على موجبها . وهذا هو السرُّ في كل انواع الشفاء الحادث بمجرَّد الايمان او الاعتقاد من غير دواء · ولعلَّ جانباً كبيراً من فعل الدواء ناتج عن فعل الارادة او الايمان لاسيما وان لحركة الدم اليد الطولى في شفاء الامراض اومنعها لانهُ هو الذي يغذي دقائق الجسم وهو الذي ينزح الفضول والسموم منها فاذا استطاع المرء بمجرد ارادتهِ ان يتحكم في ورود دمهِ الى اعضائهِ المختلفة سهل عليهِ ان ينجي نفسهُ من اسباب المرض والضعف ولكن اكثر الاعصاب المتسلطة على الدورة الدموية غيرخاضع للارادة فلا نستطيع ان نتصرف فيها حسب ارادتنا · اذا امرناها لم تطعنا واذا ردعناها لم ترتدع · الأ ان ما نعجز عن الوصول الى اصولهِ ومصادرهِ لا نعجز عن الوصول الى فروعهِ واطرافهِ · والظاهر ان قدرة الانسان على التحكّم بجريان دمهِ هي اكثر مما يظن ولو لم يشعر بها فقد صنع بعضهم سريراً من قطع منفصلة بعضها عن بعض وكل قطعة متصلة بميزان او دليل كانها اصابع البيانو فاذا استلقى الانسان عليهِ ووجَّه فكرهُ الى رجليهِ وقال في نفسهِ انهُ يريد ان ينتصب ويرقص ثقلت رجلاهُ حالاً من ورود الدم اليهما بمجرَّد الفكر كانهُ انتصب واخذ يرقص

فاذا كان الدم يكثر في العضو الذي يزيد تفكيرك فيهِ فلا يبعد انهُ يلتهب بسبب ذلك واذا اعتقدت انهُ سليم فلم تعد توجه فكرك اليهِ قلَّ ورود الدم وزال التهابهُ

وما يصدق على الاوعية الدموية او اعصابها يصدق على الاعصاب كلها فانها قد تتبع فعلاً مخصوصاً لا تحول عنهُ الأ بتوجيهها الى جهة اخرى كالفرس الحرون فانهُ لا يعدل عن

حرنهِ مهما ضربتهُ ولكزتهُ ولكنك اذا ادنيت منهُ قطعة سكر فقد يتجه انتباههُ اليها فينسى ما كان فيهِ من الحرن . وامثلة ذلك كثيرة في المصابين بالهستيريا فقد اعتاد احد الاطباء ان يطلق الفيران في فراش مَن يعتقد انهُ مريض ولا يستطيع ان ينهض من الفراش وهو غير مريض فينهض من فراشهِ رعباً ويزول مرضهُ الوهمي

حدث منذ مدة ان امرأة مرضت واقامت في فراشها سنة كاملة لم تنهض منهُ وخرج زوجها ذات يوم ليدعو لها الطبيب . وبعد قليل اخذ جرس التليفون يدق دقًّا مستمرًّا ولم يكن في البيت غيرها فقلقت ونهضت اليهِ وجعلت تكلم من كان يتكلم بهِ فنسيت انها مريضة وزال مرضها الوهمي من ذلك الحين

ولما حدثت زلزلة كنستون باميركا كان فيها رجل مصاب بالربو الشديد فشفي منهُ لخوفهِ من الزلزلة . وامثال ذلك كثيرة وكلها مثل منع الحرَن عن الفرس الحرون بتوجيه انتباههِ الى شيء آخر وكالطفل الذي يظهر العناد او الحرن فلا يعود الانفكاك عنهُ في طاقتهِ ولكنهُ اذا حدث حينئذٍ حادث فجائي صرفهُ عما هو فيهِ من العناد

وقد يصاب الانسان بسوء الهضم فتعتريهِ ادواء كثيرة من جراء ذلك كالارق والدوار والصداع ورؤية السمادير وخفقان القلب وبرد اليدين والرجلين والذبول العام والسوداء والصفراء فاذا امكن ان تصطلح معدتهُ بواسطة ادبيَّة عقلية شفي من هذه الادواء او الاعراض كلها

والمعدة من اصبر الاعضاء يسيء الانسان استعمالها يوماً بعد يوم وهي صبور لا تتذمَّر ولكن اذا أُطيل امتهانها فرغ صبرها وحرنت كالدابة الحرون ولم تعد تهضم طعاماً فابتلي صاحبها بسوء الهضم (الدسببسيا) وكل الاعراض والآفات التي تنتج عنها . والسبب المباشر لسوء الهضم قلة العصارة المعدية او قلة حامضها وببسينها او كثرتهما او اختلال حركة المعدة نفسها فتصير تدفع الطعام بسرعة الى الامعاء قبل ان يهضم فيها هضماً كافياً او تصير تبقيهِ فيها مدة طويلة جدًّا حتى يحمض وتتولد فيهِ غازات كثيرة فتسبب التعب والالم

وهذان الخللان اي الخلل في العصارة المعدية والخلل في حركة المعدة سببهما عصبي فان غشاء المعدة يتأثر بالطعام وينتقل التأثير منهُ الى المراكز العصبيَّة كأنهُ يقول لها ان الطعام وصل الى المعدة وهو مستعد لكي يهضم فلم يبقَ الاَّ ان تأمري العصارة المعدية لكي تأتي وتهضمهُ . ففي الاحوال العادية يذهب هذا التأثير الى المراكز العصبيَّة المتسلطة على العصارة المعدية ويجري العمل على تمام الانتظام ولكن اذا اختل فعل المعدة او الجسم لسبب

من الاسباب لم يعد التأثير يصل الى المراكز العصبيَّة في الوقت المناسب او لم يعد يؤثر فيها او لم تعد هي تتأثر كما يجب ان تتأثر او لم تعد تصدر اوامرها على الصورة المطلوبة او لم تعد حويصلات جدران المعدة تطيع الاوامر التي تصدر من المراكز العصبيَّة . وكيفما كانت الحال فالنتيجة واحدة وهي سوء الهضم

والغالب ان الاعصاب تعجز عن تأدية وظيفتها اذا تعبت كثيرًا اما من كثرة الشغل العقلي او من الهم والغم او من كثرة الطعام وكثرة تشغيلها في ارسال اوامرها الى جدران المعدة وحينئذٍ فالراحة وحدها تكفي لاصلاح سوء الهضم اذا كان سببهُ من تعب الاعصاب وكذلك تقليل الطعام اذا كان سببهُ كثرة الطعام . ولا فائدة من الادوية في هذه الاحوال بل قد يكون منها ضرر . والراحة العقلية افعل الوسائل كلها لانها تريح الاعصاب ولكن قد تستريح الاعصاب وتبقى على عنادها كالفرس الحرون وحينئذٍ لا فائدة الاَّ من استعمال حيلة عقلية تصرف الاعصاب عن عنادها كما تصرف قطعة السكر الفرس عن حرنهِ . والحيل العقلية هي التي يلجأُ اليها اصحاب الطب الروحاني او الشفاء بالايمان

وقد اتضح تأثير الطعام في افراز العصارة المعدية على اسلوب بديع في الكلاب فقد وُجد ان العصارة المعدية تنصب في معدة الكلب حالما يدخل اللحم معدتهُ فاذا تُرك حتى يبلع قطعة اللحم ثم نزعت من حلقهِ قبلما تصل الى معدتهِ فالعصارة تنصب فيها ايضًا كأن اعصابها شعرت انهُ بلع قطعة اللحم فصار الواجب عليها ان تفرز العصارة لهضمها فتعمل ما يجب عليها سواءٌ وصل اللحم الى المعدة او لم يصل . واذا أُبيح للكلب ان يرى قطعة اللحم ويشمها قبلما يبتلعها فالعصارة تكون اكثر مما لو ابتلعها من غير ان يراها ويشمها كأن تمتع حاسة البصر وحاسة الشم برؤية اللحم يزيد تأثر الاعصاب المتسلطة على العصارة المعدية وبهذا تفسر بلاغة ابي نواس حيث قال

ألا فاسقني خمرًا وقل لي هي الخمرُ ولا تسقني سرًّا اذا امكن الجهرُ

لكي يمتع سمعهُ باسمها فتزيد لذتهُ بها . وهذا هو السبب في ان الطعام الذي يستطيبهُ الانسان يسهل عليهِ هضمهُ ولو كان من الاطعمة الغليظة العسرة الهضم عادة . والطعام الذي لا يستطيبهُ لا يسهل عليهِ هضمهُ ولو كان سهل الهضم . واذا توقفت العصارة لم تفرزها المعدة لسبب من الاسباب فالافعال العقلية تكفي للتأثير في الاعصاب المتسلطة عليها حتى تجعل جدران المعدة تفرزها

ولا يخفى ان الاسباب العقلية تؤثر في غير المعدة ايضًا من الاعضاء الرئيسة فتؤثر في

القلب والكبد والكليتين . فالفرح والحزن والانبساط والانقباض تؤثر في القلب تأثيرًا شديدًا . والخوف الشديد قد يوقف حركتهُ . والغيظ يؤثر في الكبد حتى لقد يجلب اليرقان . والخوف يؤثر في الكليتين . ويقال بنوع عام ان الافعال العقلية المزعجة كالغضب والهم والغم والخوف والشك تضعف الاعصاب وتضعف فعلها وانهُ لا فائدة من الوسائط الادبية ما لم يثق المريض ثقة تامة بطبيبهِ او بمن يتولى علاجهُ حتى ان ثقة الانسان بفعل العلاج قد تجعلهُ يفعل بهِ على ضد طبيعتهِ فقد ثبت ان اناساً ارادوا ان يتناولوا حبوباً مسهلة فتناولوا خطأً حبوباً قابضة ففعلت بهم فعل المسهل لاعتقادهم انها مسهلة . وذكروا ان مريضاً احمق اكل التذكرة التي كتب الطبيب فيها الدواء حاسباً انها هي الدواء فشفي

نوادر شعراء العرب (1)

(١) مفاتيح الشعر

سئل ذو الرمة كيف تفعل اذا انقفل دونك الشعر . قال كيف ينقفل دوني وعندي مفاتيحهُ . قيل لهُ وعنهُ سألتك ما هو . قال الخلو بذكر الاحباب . وقيل لكثيّر كيف تصنع الشعر اذا عسر عليك . قال اطوف في الرياض المعشبة فيسهل عليَّ صعبهُ ويسرع اليَّ احسنهُ . وروي ان الفرزدق كان اذا عصت عليهِ صنعة الشعر ركب ناقة وطاف وحدهُ منفردًا في شعاب الجبال وبطون الاودية والاماكن الخالية فيعطيهِ الكلام قيادهُ . وقال الاصمعي ما استدعي شارد الشعر بمثل الماء الجاري والشرف العالي والمكان الخالي

(٢) انصاف الخصم

قال في الصبح المنبي : كان لابن جني هوًى في ابي الطيب وكان كثير الاعجاب بشعرهِ وكان يسوءُهُ اطناب ابي علي الفارسي في الطعن عليهِ واتفق ان قال ابو عليّ يوماً اذكروا لنا بيتاً من الشعر نبحث فيهِ فابتدر ابن جني وانشد

حلتِ دون المزار فاليوم لو زر ... تِ لحال النحول دون العناقِ

فاستحسنهُ ابو علي وقال لمن هذا البيت فانهُ غريب المعنى فقال ابن جني هو للذي يقول

ازورهم وسواد الليل يشفع لي ... وانثني وبياض الصبح يغري بي

---

(١) من مجموعة لحضرة الاديب نسيم افندي الحلو

فقال وهذا احسن فلمن هو قال للذي يقول

امضى ارادتهُ فسوف لهُ قدٌ واستقرب الاقصى فثمَّ لهُ هنا

فكثر اعجاب ابي علي واستغرب معناهُ وقال لمن هذا فقال للذي يقول

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى

فقال وهذا والله احسن ولقد اطلت يا ابا الفتح فمن هذا القائل قال هو الذي لا يزال الشيخ يستثقلهُ ويستقبح زيَّهُ وفعلهُ وما علينا من القشور اذا استقام اللباب . قال ابو علي اظنك تعني المتنبي قال نعم . فقال والله لقد حببتهُ اليَّ ونهض ودخل على عضد الدولة فاطال في الثناء على ابي الطيب ولما اجتاز بهِ استنزلهُ اليهِ واستنشدهُ وكتب عنهُ ابياتاً من شعرهِ

(٣) قوة البداهة

مدح ابو تمام احمد بن المعتصم بقصيدة سينيَّة فلما انتهى في انشادها بحضرتهِ الى قولهِ

إقدام عمرو في سماحة حاتمٍ في حلم احنف في ذكاء اياسِ

قال لهُ ابو يوسف يعقوب بن صباح الكندي الفيلسوف وكان حاضرًا : الامير فوق من وصفت ألا ترى الى قول العكوك في ابي دُلف

رجلٌ ابر على شجاعة عامرٍ باساً وغيَّر في محيا حاتمِ

فاطرق ابو تمام قليلاً ثم قال

لا تنكروا ضربي لهُ من دونهِ مثلاً شرودًا في الندى والباسِ

فالله قد ضرب الاقلَّ لنورهِ مثلاً من المشكاة والنبراسِ

ولما أُخذت القصيدة من يدهِ لم يجدوا فيها هذين البيتين فعجبوا من سرعتهِ وفطنتهِ . ثم طلب ان تكون الجائزة ولاية عمل فاستصغر عن ذلك فقال الكندي ولّوهُ لانهُ قصير العمر فان ذهنهُ ينحت من قلبهِ فكان كما قال

وانشد ابن الجوزيّ في بعض مجالس وعظهِ

اصبحت ألطف من مرّ الرياض على زهر الرياض يكاد الوهم يؤلمني

من كل معنىً لطيفٍ اجتلي قدحاً وكل ناطقةٍ في الكون تطربني

فقام اليهِ انسان فقال يا سيدي الشيخ فان كان الناطق حمارًا فقال اقول لهُ يا حمار اسكت

(٤) براعة الطلب

حكى عبد الله افندي ابن قاضي الموصل ان بعض علماء بغداد وفد على دار الخلافة

العلية في ايام السلطان سليم بن السلطان عثمان خان ونزل في دار صاحب المشيخة العظمى اذ ذاك فاتفق لهُ ان رأى السلطان سليماً في القائق بين أسكي دار واسلامبول فمر قائق الشيخ بالقرب من قائق السلطان فلما وقع عليهِ نظر السلطان ورأى عليهِ سيماء اهل العلم احب ان يداعبهُ فقال عندما داناه

فيمَ اقتحامك لجّ البحر تركبهُ ... وانت يكفيك منهُ مصةّ الوشلِ

فاجابهُ على الفور من القصيدة نفسها

أُريد بسطة كفٍّ استعين بها ... على قضاء حقوقٍ للعلا قبلي

فعند ذلك سألهُ عن مكانهِ فاخبراهُ نزيل شيخ الاسلام ثم مرَّ كل منهما بقائقهِ

وبعد ايام اجتمع السلطان سليم بشيخ الاسلام وسألهُ عن الشيخ وذكر لهُ صفتهُ ثم امر ان يسألهُ عن مرادهِ فسألهُ من غير ان يعلمهُ ان ذلك عن امر السلطان فقال بغيتي القرية الفلانية في محل كذا ان اقطعنيها كفتني ولا اريد سواها فاخبر السلطان بذلك فاقطعهُ القرية وعاد وقد ربحت تجارتهُ ببضاعة الادب

(٥) حسن الاشارة

كتب علي بن صلاح الدين يوسف ملك الشام الى الامام الناصر لدين الله يشكو اخويهِ ابا بكر وعثمان وقد خالفا وصية ابيهم

مولايَ انَّ ابا بكرٍ وصاحبهُ ... عثمان قد غصبا بالسيف حق علي
وكان بالامس قد ولاَّهُ والدهُ ... في عهدهِ فأضاعا الامر حين ولي
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقي ... من الاواخر ما لاقى من الأُوَلِ
فخالفاهُ وحلاَّ عقد بيعتهِ ... والامر بينهما والنص فيهِ جلي

فوقّع الخليفة الناصر على ظهر كتابهِ بهذه الابيات

وافى كتابك يا بن يوسف ناطقاً ... بالحق يخبر ان اصلك طاهرُ
منعوا عليًّا ارثهُ اذ لم يكن ... بعد النبي لهُ بيثرب ناصرُ
فاصبر فان غداً عليَّ حسابهم ... وابشر فناصرك الامام الناصرُ

(٦) اخوَّة الادب

قال محمد بن موسى بن حماد سمعت علي بن الجهم ذكر دعبلاً فلعنهُ وكفَّرهُ وقال كان يطعن على ابي تمام وهو خير منهُ ديناً وشعراً . فقال رجل لو كان ابو تمام اخاك ما زدت على

مدحك لهُ فقال ان لا يكن اخًا نسبًا فهو اخو ادبًا اما سمعت ما خاطبني بهِ وانشد

ان يكفِ معرّف الاخاء فاننا   نغدو ونسري في اخاءٍ تالدِ
او يفترق نسبٌ يؤلف بيننا   أدبٌ أقمناهُ مقام الوالدِ

(٧) حفظ السرّ

حكى الماوردي ان عبدالله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسهِ حفظ السرّ فقال

ومستودعي سرًّا تضمنت سترهُ   فاودعتهُ من مستقرّ الحشى قبرا

فقال ابنهُ وهو صبي واحسن ما شاء

وما السرُّ في قلبي كثاوٍ بحفرةٍ   لاني أرى المدفون ينتظر الحشرا
ولكنني اخفيهِ حتى كأنني   من الدهر يومًا ما احطتُ بهِ خبرا

(٨) تغريم الضمين

سأل رجلٌ فخر الملك حاجةً وأملهُ فلم يعطهِ شيئًا. فمضى الرجل الى القاضي واستدعى ابن نباتة الشاعر. فلما جاءهُ رسول القاضي قال لهُ ما لاحدٍ عليَّ شيءٌ ولا عليَّ دينٌ ولا بيني وبين احد خصومة حتى ارضيهُ. فلما حضر عند القاضي قال للرجل ما حقك عليَّ. فقال لهُ انت قلت في شعرك

لكل فتىً قرينٌ حين يسمو   وفخر الملك ليس لهُ قرينُ
أنِخْ بجنابهِ وازل عليهِ   على حكم الرضى وانا الضمينُ

فانت ضمنت لي وانا نزلت عليهِ فلم يعطني شيئًا والضامن غارم. فقال لهُ امهلني حتى اصل اليهِ. فلما دخل عليهِ اخبرهُ بالقصة. فقال للرجل كم أملت. قال مائة دينار. قال ادفعوها لهُ ثم قال لابن نباتة اذا مدحتني بعدها فلا تضمن لاحد في شعرك

(٩) وئيد الرياحين

شرب المأمون ويحيى بن اكثم وعبد الله بن طاهر فتغامز المأمون وعبد الله على سكر يحيى فغمز الساقي فاسكرهُ وكان بين ايديهم رزم من رياحين فامر المأمون فشقّ لهُ لحد في الورد والرياحين وصيروهُ فيهِ وعمل بيتين من شعر ودعا قينة فجلست عند رأسهِ وحركت العود وغنت

ناديتهُ وهو حيٌّ لا حراك بهِ   مكفنٌ في ثيابٍ من رياحينِ
فقلت قم قال رجلي لا تطاوعني   فقلت خذ قال كفي لا تؤاتيني

فانتبه يحيى لرنة العود وقال مجيباً لها

يا سيدي وامير الناس كلهم ... قد جار في حكمهِ من كان يسقيني
اني غفلت عن الساقي فصيرني ... كما تراني سليب العقل والدينِ
لا استطيع نهوضاً قد وهى جسدي ... ولا اجيب المنادي حين يدعوني
فاختر لبغداد غيري انني رجلٌ ... الراح يقتلني والعود يحييني

(١٠) سئل نثراً فاجاب شعراً

أُتي عبد الملك بن مروان بسكران فقال لهُ ماذا شربت فقال

معتقةً كانت قريش تعافها ... فلما استحلّوا قتل عثمان حلّتِ

فقال مع مَن فقال

سقوني مع الشعرى بكاسٍ رويةً ... واخرى مع الجوزاء لما استقلّتِ

قال فما غنيت قال

سقوني وقالوا لا تغنِّ فلو سقوا ... جبال حنين ما سقوني لغنّتِ

فعفى عنهُ واطلق سبيلهُ

(١١) بداهة غريبة

كان لعبدالله بن الزبير اتصال باخي عبد الملك بشر بن مروان فكان بشر ينزلهُ منزلة رفيعة و يقول انهُ اشعر الناس . وكان قد امر لهُ مرة بجائزة وكساهُ وقال اني اريد ان اوفدك على امير المؤمنين فتهيأ لذلك يا ابن الزبير قال انا فاعل ايها الامير قال فماذا تقول اذا وفدت عليهِ والفيتهُ ان شاء الله فارتجل من وقتهِ هذه الابيات

اقول امير المؤمنين عصمتنا ... ببشرٍ من الدهر الكثير الزلازلِ
واطفأت عنا نار كل منافقٍ ... بابيض بهلول طويل الحمائلِ
نمتهُ قروم من امية للعلا ... اذا افتخر الاقوام وسط المحافلِ
هو القائد الميمون والعصمة التي ... اتى حقها فينا على كل باطلِ
اقام لنا الدين القويم بحلمهِ ... ورأي لهُ فضل على كل قائلِ
اخوك امير المؤمنين ومن بهِ ... نجاد ونسقى صوب اسحم هاطلِ
اذا ما سألنا رفدهُ حطت لنا ... سحابة كفيهِ بجود ووابلِ
حليم على الجهال منا ورحمة ... على كل صافٍ من معدٍ وفاعلِ

ماذا تأكل وماذا تشرب

نشرنا في الجزء الماضي خلاصة ما نشرتهُ مجلّة المجلات الانكليزيّة في الجزء الصادر منها في شهر فبراير من اجوبة بعض العلماء والفضلاء عن السوال المصدرة بهِ هذه المقالة . وقد نشرت في جزئها الصادر في شهر مارس اجوبة اخرى فاقتطفنا منها ما يلي

الجنرال وليم بوث

رئيس الحزب الديني الاصلاحي المعروف بجيش الخلاص الذي انتشر في اقطار المسكونة وغرضهُ دعوة الناس الى ما بهِ اصلاح شؤونهم الدينيّة والادبيّة . ولد سنة ١٨٢٩ فصار الآن شيخاً في الثمانين ولكنهُ لا يزال نشيطاً كالشبان كثير الاسفار تراهُ اليوم في اوربا وغداً في اميركا او افريقية كانهُ لا يعرف مشقة السفر . وقد اجاب عن الطعام قائلاً ليس لي قاعدة معلومة اجري عليها او اشير على غيري باتباعها ولكنني اشير على كل احد ان يكتشف الطعام الذي يسهل عليهِ هضمهُ ويجد فيهِ اكبر غذاء وان لا يأكل منهُ ما يزيد عما يكفي لحفظ صحتهِ وقوتهِ . اما انا فلم آكل لحماً ولا سمكاً منذ سنين كثيرة وطعامي خبز وزبدة وحبوب وجبن وخضر وقليل من الاثمار . وشرابي الشاي مع اللبن السخن واذا عطشت فقليل من الماء المهوَّى . ولا اشرب الخمور ولا ادخن التبغ ولا استعمل غيرهُ من المنبهات او المخدرات . واجد لذتي العظمى في عمل ما يرضي الله وعسى ان يقتدي بي كل من يقرأ هذه السطور

لورد ريلي

عالم طبيعي مشهور وهو مكتشف عنصر الارغون ولد سنة ١٨٤٢ وقد كتب يقول انهُ يأكل من الاطعمة اللحميَّة اقل من غيرهِ ويشرب قليلاً جداً من الخمور ولا يدخن التبغ

بنيامين كد

عالم وفيلسوف وهو صاحب كتاب اسس التمدُّن المشهور وقد اسهب في الجواب وقال " ان التعب العقلي الطويل قد يفضي الى جلاء صدإ العقل فيعود الى مضائهِ حالاً ويجود بابلغ ما فيهِ ولعلَّ هذا هو سبب اجادة الكاتب في آخر السهرة " . اما نحن فنرى ان هضم العشاء يتم في آخر السهرة ويعود الدم الى الدماغ لتغذيتهِ فيسهل عليهِ الاشتغال اما اذا كانت المعدة لا تزال متعبة بالهضم فضاء العقل نادر

اما عن الاسئلة فاجاب

الطعام — وجدتُ ان اللحم الهبر المطبوخ جيداً اسهل الاطعمة هضماً وهو الذي سهَّل

عليَّ الاستمرار على اشغالي العقلية واذا اكلت طعاماً نشوياً لم استطع ان اشتغل احسن اشغالي وارى ان الاقلال من الطعام لازم لمن يشتغل شغلاً عقلياً

الشراب — قلما اشرب مشروبات روحية واذا شربتها لم اعد استطيع ان اشتغل ولا اشعر بفعلها حالاً ولكني اشعر بنتائجها بعد حين بما اراهُ من الخمول في دماغي

التدخين — قلما ادخّن

وقد ولد المستر كد سنة ١٨٥٨ فهو في الخمسين من عمرهِ

الاستاذ سايس

ولد سنة ١٨٤٦ وهو استاذ علم الآثار الاشورية في مدرسة اكسفرد الجامعة ومن اشهر علماء الآثار المصرية والكتّاب عنها وعن الآثار الاشورية والحثيَّة . رأيناهُ (في القاهرة) قبيل كتابة هذه السطور فاذا هو ممتلئٌ صحة ونشاطاً وقد اجاب المستر ستد بقولهِ

الطعام — الاقلال من الطعام وترتيب اوقاتهِ وترك الاكلة الكبيرة الى ما بعد الفراغ من الشغل . وانا لا آكل من اللحم الاَّ قليلاً

الشراب — الخمر الفرنسوية او الالمانية الخفيفة والاعتدال التام . وانا افضّل الشاي على القهوة اشربهما وقت الفطور واكره الشاي الثقيل

التدخين — لم ادخّن قط

السر ادون راي لنكستر

عالم من اشهر علماء البيولوجيا ولد سنة ١٨٤٧ . وهو مدير التاريخ الطبيعي في المتحف البريطاني وقد رأس مجمع تقدُّم العلوم البريطاني سنة ١٩٠٦ . اجاب المستر ستد بقولهِ لا ارى انهُ يمكن النظر في هذه المسائل الثلاث من غير نظر في مقدار النوم ومقدار العمل ونوعهِ ومقدار الرياضة ونوعها ومقدار الراحة ونوعها ومقدار الهواء النقي ونور الشمس اما انا وقد بلغت الستين وكنت الى حد عشر سنوات مضت اقضي كل ما بعد الظهر من كل يوم في الخلاء فلا ارى ان القيام في الهواء النقي يزيد عن الحد مهما طال ولكن لا بد من تجنُّب الافراط في كل ما سواهُ . اما الرياضة فحدُّها ما يساوي مشي ثمانية اميال في اليوم . ويجب ان لا تقلَّ عما يساوي مشي ستة اميال في اليوم مدة اربعة ايام من كل اسبوع . والافراط والتفريط مضرّان وقد يبلغ الضرر مبلغ الخطر ولا سيما للقلب . وقس على ذلك الشغل العقلي والراحة والنوم فانهُ يجب الاعتدال فيها واتخاذ الحد الاوسط بين الافراط والتفريط

الطعام — على من بلغ الستين او كان اصغر سنًّا ان يقلل من اكل اللحم (فيأكل منهُ

في اليوم ما يساوي ٢٠ درهماً) وانا اشرب اللبن الرائب مرتين في النهار اي اللبن المروَّب بروبة متشنيكوف

الشراب — اشرب في النهار قدحاً من الخمر الخفيفة ممزوجة بضعفيها من الماء . اما الالكحول فيمنعني عن الاشغال العقلية . والتنبيه القليل الذي ينتج عنهُ يتبعهُ رد فعل يتعب القلب وانحطاط حاد

التدخين — لعلَّ تجنبهُ اصلح اما انا فلا اجد ضرراً من ست سكاير تركية مدة النهار وسيكار بعد العشاء بل اجد فيها لذةً

السر اوليفر لدج

السر اوليفر لدج رئيس مدرسة برمنام الجامعة مشهور لدى قراء المقتطف بمباحثهِ العلمية الفلسفية وقد اجاب

الطعام — لا وقت لي لافتكر بطعامي فآكل كل ما يقدَّم لي . وربما آكل اكثر مما يلزم

الشراب — لا اكاد اشرب شيئاً الآن الاَّ في الاحتفالات وحينئذٍ اشرب من كل ما يقدم لي

التدخين — لم ادخن حتى صار عمري اربعين سنة ومن ثم صرت ادخن ولكن على قلة وعمر السر اوليفر لدج الآن ٥٧ سنة

السر هري جنستن

هو الرحالة الافريقي الشهير ومن علماء البيولوجيا المعدودين اجاب

الطعام — قليل الطعام خير من كثيره بعد العشرين من العمر ويجب ان يجاد طبخهُ ويكون بسيطاً واذا استطعت فتجنب ان تأكل اللحم والسمك مرتين في النهار واذا خُيِّرتُ بين الاكثار من اكل اللحم او الاقتصار على الاطعمة غير اللحمية فضلت الاطعمة غير اللحمية مع اني لا استطيبها

الشراب — احب طعم الخمور الجيدة ولكني لا اشرب منها ولا من الاشربة الروحية . وعندي انها كلها سامَّة ولو على درجات متفاوتة ولو كان في يدي لقضيت على كل صانعي المسكرات وحرَّمت الاعلان عنها في الجرائد . وشرابي الوحيد هو الماء النقي البارد . واشرب ايضاً الشاي والقهوة

التدخين — اني لا ادخن التبغ مطلقاً لا لفضيلة فيَّ بل لاني لا استطيبهُ

وعمر السر هري جنستن الآن خمسون سنة



قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الشهقة[1] والحصبة

في الخمسة الاشهر الاولى من كل عام يتفشى هذان المرضان فيشغلان بال الامهات ويوديان بحياة كثير من اطفالهنَّ ولاسيما في هذا القطر حيث تقلُّ عناية السواد الاعظم بالاطفال وقت الاصابة بهما لاعتقاد العامَّة انهما مرضان بسيطان لا يقاسان بغيرهما من الامراض الشديدة الخطر كالحميات وغيرها ولقد عثرت على مقالة لطبيب انكليزي عن ذينك المرضين فوددت نقلها لانها كثيرة الفوائد قريبة التناول قال

خير ما اوجه الكلام اليهِ تحذير الامهات من اهمال واحد من مرضين هما الشهقة والحصبة لانهُ ثبت بالامتحان ان جراثيمهما تقوى وتشتدُّ عاماً بعد عام وفتكهما يتعاظم بالاطفال كلما سار الزمن بنا وهذا ما اروم الكلام عليهِ . فالواجب ان لا نستخف بمرض منهما بل ان نصرف اليهما كلَّ عناية واهتمام

فالشهقة مرض صببهُ مكروبات كغيرهِ من الامراض ولقد عرفنا ذلك من كونهِ معدياً سريع الانتشار ومن سريانهِ في جسم المصاب بهِ ولكننا لم نكتشف بعدُ الميكروبات نفسها. على ان بعض الباحثين يقول بوجودها في البصاق الذي ينفثهُ المريض من رئتيهِ والامل وثيق ان مزاولة البحث تؤدي الى اكتشاف المكروب الحقيقي كما اظهر البحث مكروبات الدفثيريا والحمى التيفوئيديَّة وغيرها

وللشهقة دور هو دور الحضانة واعني بهِ المدة التي بين بدء المرض وظهورهِ وهي من ثلاثة ايام الى اربعة عشرة يوماً . فيعتري المصاب في اثنائها زكام شديد وانزعاج وتململ وضجر فلا يرضيهِ امر . اما بدء هجوم المرض فيعرف من صوت السعال القوي الذي يميزهُ عن السعال العادي ويحاول الطفل ان يمسك بكلتا يديهِ كل ما تقعان عليهِ ويشتد تنفسهُ

(١) وتسمى بالسعال الديكي

ويتحرك صدرهُ كمن يلهث من تعب مضنٍ ويحاول اخراج كل ما في رئتيهِ من الهواء ثم تظهر عليهِ اعراض الاختناق فيزرق وجههُ حتى يظن ان ساعتهُ اتت و بعقب ذلك فرج بدخول الهواء الى رئتيهِ فيسمع عندئذٍ الصوت القوي و ينتعش كمن تردُّ روحهُ اليهِ . وهذا الصوت يشبه صفارة البخار وسبب حدوثهِ ان الهواء يدخل القصبة الهوائيَّة وهي مقفلة نصف اقفال ولو كانت مفتوحة تماماً كما تكون في حال الصحة لما سمع الصوت

ويشتدُّ المرض ليلاً فيحرم اهل المصاب الراحة ولذة النوم . و ينفث المصاب باديء بدء بلغماً ثخيناً ثم يرقُّ كلما تقدم سير المرض الى ان يسهل نفث البلغم ولا تكون درجة الحمى قويَّة . وكثيرًا ما يظهر من هيئات الاطفال بين نوب السعال انهم مستريحون تماماً فعلى الامهات ان لا يخدعن بالظواهر فيهملن العناية بهم لانهُ ما دام المرض موجوداً فيهم فهم عرضة لخطر شديد ينجم عن اختلاط في الرئتين ولاسيما اذا تعرض الطفل للبرد القارس

هذا ولما كان هذا المرض معدياً وجب على الامهات عزل المرضى عن الاصحاء . اما السبب في انتشارهِ فما ينفثهُ المصاب في اثناء السعال فيجب وضع منديل تجاه فمهِ كلما سعل وغسلهُ فورًا بالماء الغالي او بمحلول مطهر او حرقهُ . ويجب غسل ملاءات السرير بالماء الغالي والصابون او نقعها بمحلول مطهر وغسل " الناموسيات " ايضاً لانها من وسائط نقل العدوى

اما مرض الحصبة فهو في الغالب يعقب مرض الشهقة

اما معالجة الشهقة فلا تخلو من صعوبة لان ما ينجع في حالٍ منهُ لا ينجع في حال آخر وقد جربت فيهِ عدة وصفات نذكر اهمها

(١) الانتبرين فيعطى الطفل قمحة واحدة منهُ عن كل سنة من عمرهِ وتعطى الجرعة كل اربع ساعات او ست او ثمانٍ بحسب اشتداد المرض

(٢) مزيج البروموفورم يعطى حسب اشارة الطبيب وهو يركب من عشر نقط من البروموفورم ودرهمين من الالكحول المصحح و ١٢ درهماً كلسرين ودرهمين من صبغة حب الهال

(٣) ويعطى بروميد البوتاس لتخفيف نوب السعال

(٤) ضع نقطاً قليلة من الحامض الفنيك في صحن يحمى على النار فينبعث منهُ بخار ينشقهُ المريض . اوضعها في عشرين اوقية من الماء الغالي واضف اليهِ اوقية من الحامض الفنيك واوقية من الكسرين

ومن التجارب التي مدحت لتسكين نوبات السعال ان يمسك فك المريض الاسفل في بدء النوبة ويحرك الى الامام والى اسفل . وكذلك استنشاق القطران متى طال المرض

رحمه صروف

فلورنس نيتنغايل

سيدة فاضلة حازت من اكرام الملوك ما لم تحزهُ سيدة قبلها لانها افادت نوع الانسان اكثر مما افادتهُ اية امرأة اخرى غيرها

لا يخفى ان تمريض المرضى والجرحى صناعة خاصةٌ بالنساء لا يستطيعها غيرهنَّ كما يستطعنها . اما تمريض المرضى في البيوت والمستشفيات فتسهل اناطتهُ بالممرضات واما تمريض الجرحى من الجنود في ساحات القتال فكان موكولاً في الغالب الى الرجال او الى ممرضات يستأجرن لهُ وهنَّ غير متدربات في صناعة التمريض ولا متربيات تربية حسنة فيقضين اوقاتهنَّ في السكر والخلاعة . ولم يخطر على البال ان النساء الشريفات الاصل المتربيات افضل تربية ينتدبن الى تمريض الجرحى في ساحة القتال او يتبرعنَ لهُ من انفسهنَّ تبرعاً ولكن الامر الذي لم يخطر على البال ولا حُسب في دائرة الاحتمال فعلتهُ هذه السيدة وهي فتاة في غضاضة الصبا لا قصد التعيش لانها ابنة رجل واسع الثروة ولكن شفقة على جرحى الحروب الذين يموتون بالوجع والالم ولا احد يبرد السنتهم بشربة ماء — على الجرحى الذين يكون كثيرون منهم من نخبة شبان البلاد المعتادين رفاهة العيش ومع ذلك يتركون بعضهم فوق بعض اكداساً حتى ينزف دمهم او تتعفن جراحهم او تأكلهم الضواري والكواسر او يسلمون لعناية جنود جهلاء فظاظ الطباع او نساء لا يعرفن التمريض وحسن التربية

ابتدأت هذه السيدة عملها الشريف قبل حرب القرم فتركت بيت ابيها وما يحيط بها من رفاه العيش ومعاشرة الاصدقاء ودرست علم التمريض في بلاد الانكليز وفي المانيا وقضت في الدرس والممارسة عشر سنوات وكان النساء اللواتي يستخدمن ممرضات يقضين اوقاتهنَّ في السكر فيكنَّ اقل من الجنود شفقة فلما حدثت واقعة الما من وقائع حرب القرم ووصلت اخبار ما اصاب جرحاها الى بلاد الانكليز قامت البلاد وقعدت وتبرع كثيرات من النساء للذهاب الى ساحة القتال وتمريض الجرحى لكنهنَّ لا يعرفن شيئاً من فن التمريض وخاف وزير الحربيَّة ان يسمح لهنَّ بالذهاب فيمرضنَ من مجرد رؤية الجرحى ولكنهُ كان يعرف فلورنس نيتنغايل ويعرف مقدرتها العلمية والادبيَّة فكتب اليها وطلب منها ان تذهب

لتمريض المرضى والجرحى وتختار الممرضات اللواتي تتوسم فيهنَّ الكفاءة وتتولى ادارتهنَّ وقال انها اقدر امرأة في البلاد الانكليزية على ادارة هذا العمل . واتفق انها هي كتبت اليهِ في ذلك الوقت نفسهِ تعرض نفسها لتمريض الجرحى فوصل كتابهُ اليها حينما وصل كتابها اليهِ فتم الاتفاق على ارسالها الى مستشفى اسكودار امام الاستانة وفي اقل من اسبوع اختارت من المستشفيات الانكليزية ٣٨ ممرضة وسافرت بهنَّ في الحادي والعشرين من اكتوبر سنة ١٨٥٤ ومعها المستر برسبردج وزوجتهُ وهو صديق ابيها . وكان لسفر هؤلاء الممرضات شأن كبير في فرنسا فكان الحمالون يحملون امتعتهنَّ ويمتنعون عن اخذ الاجرة وعرض اصحاب الفنادق ان ينزلوهنَّ في فنادقهم مجانًا لان الجميع كانوا يعلمون انهنَّ ذاهبات لتمريض الجرحى من الفرنسويين والانكليز وغيرهم . ووصلنَ اسكودار في الرابع من نوفمبر بعد سفر شاق كادت سفينتهنَّ تغرق فيهِ

والمستشفى العسكري في اسكودار ثكنة عسكرية على مرتفع من الارض في بقعة من اجمل بقاع الدنيا وهو اوسع المستشفيات العسكرية في المسكونة يستطيع اثنا عشر الف عسكري ان يتحركوا في ساحتهِ الداخلية ومع ذلك امتلأت غرفهُ كلها بالجرحى ووضع كثيرون منهم في ساحتهِ لانهُ لم يبقَ لهم مكان في الغرف

وكانت السفن تأتي من بلاد القرم مملوءة بالجرحى بعد ان يكونوا قد تُركوا اياماً في ساحة القتال فيصلون وجراحهم ملتهبة او متعفنة وثيابهم يابسة من الدم الذي جفَّ عليها وحالتهم تفتت الاكباد وفشت فيهم الكوليرا وفشى الطاعون ايضاً فكانا ضغثاً على ابالة

قلنا ان هذا المستشفى كان ثكنة عسكرية تحوَّل حينئذٍ الى مستشفى ولكن لم يكن فيهِ شيءٌ من لوازم المستشفيات لا ملاآت ولا شراشف ولا طسوت ولا اباريق ولا مناشف ولا ثياب ولا صابون ولا اطعمة مناسبة . وكان الجراحون قلال العدد جدًّا وهو في بقعة من اجمل البقاع الطبيعيَّة كما تقدَّم ولكن احاطت بهِ الاقذار من كل ناحية وملأتهُ الجرذان الكبار حتى انها كانت تنهش اعضاء الجرحى وتأكل طعامهم

ومع كل هذه المصاعب والحوائل لم يمضِ عشرة ايام حتى نظفت هذه السيدة اسرَّة ثمانمئة من الجرحى واعدَّت لهم الطعام الكافي الصالح . واستأجرت بيتاً كبيرًا اقامت فيهِ الغسالات لغسل الثياب والامتعة وفي اقل من ثلاثة اشهر اعدت عشرة آلاف قميص للجرحى

وغنيٌّ عن البيان انها كانت تضطر ان تقف على رجليها نهارًا وليلاً لكي تستطيع ادارة هذا العمل الكبير الشاق ولولا ما خُصَّت بهِ من كبر العقل وحسن الادارة والشفقة الشديدة

لما استطاعت ان تعمل ربع العمل الذي عملته . ورأى الجرحى والمرضى منها ذلك فعبدوها عبادةً ولم يعودوا يخالفون لها امرًا . وكانت تعمل بيديها ما لا يعملهُ غيرها من الممرضات فتغسل الجراح وتواسيها وتطعم المرضى والجرحى وتسقيهم الادوية وتطيب قلوبهم ولا تكفّ عن ذلك لا نهارًا ولا ليلاً واذا احتضر احدهم وقطع الرجاء من شفائهِ ناداها اليهِ وطلب منها ان تكتب وصيتهُ وتستلم ما معهُ من ساعة او خاتم او ما اشبهُ لكي تسلمهُ لاهلهِ . ومرض ثمانية من الاطباء الذين معها ومات سبعة منهم واثنتان من الممرضات لكنها صبرت على ذلك وبقيت ادارة المستشفى على حالها كانها اخذت اعمال كل الذين ماتوا

ولما نظّمت امر هذا المستشفى مضت الى القرم الى ساحة القتال فقابلها القائد العام لورد رغلان فالترحاب والاحترام وجالت بين الجنود ورأت المستشفيات التي هناك ونظمتها ولما رآها الجنود الذين كانوا يحاصرون قلعة سباستوبول هتفوا لها هتافًا شديدًا عجب لهُ الروس . واصيبت بالحمى وهي هناك فمرّضتها مسز روبرتس وعادت الى عملها حالما شفيت وبقيت فيهِ الى ان وضعت الحرب اوزارها واقفلت المستشفيات فعادت الى بلادها متنكرة لكي لا يحتفل بها احد ولكن البلاد كلها عرفت قدرها فاحتفلت بها احتفالاً عظيمًا وارادت ان تقدم لها هدية نفيسة فلم تقبل وخصصت المال الذي اريد ان يهدى اليها لانشاء مستشفى فانشيَ وسمي باسمها واستدعتها الملكة فكتوريا اليها وشكرتها اعظم شكر على عملها

وقد حملت الينا الاخبار منذ مدة ان ملك الانكليز اهدى اليها نشان الاستحقاق الذي لم يهدَ الّا الى الاربعة والعشرين الذين هم اعظم عظماء السلطنة الانكليزية كلورد كرومر ولورد روبرتس ولورد كتشنر ولورد كلفن ولورد لستر وهي المرأة الوحيدة التي حازت هذا الشرف . و بعث اليها امبراطور المانيا طاقة من الازهار البديعة وكتب مهنئًا اياها ولقّبها في كتابهِ بملكة الممرضات مفتخرًا بانها درست فن التمريض في المانيا . ثم منحت حرية مدينة لندن وهي الآن في الثامنة والثمانين من عمرها

آداب المائدة وقت العشاء

تكتب الوان الاطعمة في ورقة توضع امام كل صحفة حتى يقرأها كل احد فيعلم ما يختارهُ من الوان الطعام التي تقدم لهُ

يوضع الخبز على اليسار ويكسر باليد لا بالسكين لئلاً يتطاير منهُ فتات الى عيون الجلوس

يوضع ما يختص بالطعام نفسهِ من الملاعق والشوك والسكاكين على جانبي الصحفة واما

ما يختص منها بالحلو فيوضع امام الصحفة وما يختص بالفاكهة فيوضع على صحفة الفاكهة التي يؤتى بها بعد اكل الحلو وتوضع الكاس التي فيها امامها على الملاءة الصغيرة التي تحتها

ويؤكل الحلو الجامد بالشوكة والسائل بالملعقة والسلطة بالسكين والشوكة واذا كانت الخضر مطبوخة وتحتها قطع خبز فلا تؤكل قطع الخبز بل تترك مكانها لانها لامتصاص الماء الذي يتحلب من الخضر . ويؤكل الجبن بقطع قطعة منهُ بالسكين ووضعها على قطعة الخبز وهي ممسوكة باليسرى بين الابهام والسبابة

ويؤكل الجرجير باليد والبعض يأكلون الهليون باليد ايضاً والبعض يأكلونهِ بالشوكة

كريما الموز

خذ اثني عشرة موزة ناضجة جدًّا وقشرها وامرثها حتى تصير كالعصيدة واضف اليها من السكر الناعم ما يكفي لتحليتها واضف اليها ايضاً فنجانًا كبيرًا من القشدة (الكريما) وامزج الموز بالقشدة جيدًا حتى يكون من ذلك مادة كالزبد بعد ان تضيف اليها نقطاً قليلة من عصير الليمون

ضرر السهر

سئل رجل بالامس عن صحة زوجتهِ فقال انها على تمام الصحة هذا العام خلافاً لما كانت عليهِ في الاعوام السالفة مع انها ملازمة بيتها الآن ولم تسهر ليلة واحدة في الاوبرا . وقد ذكر عدم سهرها في الاوبرا كعلة لاستغرابهِ من تحسُّن صحتها ولو امعن نظرهُ لرأى ان عدم سهرها هو الذي اجاد صحتها لانهُ لا شيء يضني الجسم مثل السهر الطويل ولا شيء يريحهُ ويقويهِ مثل النوم الباكر الكافي

وقال آخر لطبيب وقد سألهُ عما فعل حتى بقي في صحتهِ وكاد يبلغ الستين وهو لا يزال كأنهُ ابن اربعين سنة انني انام باكرًا فلا تأتي الساعة العاشرة ليلاً حتى تجدني في فراشي ولم ادخن التبغ في حياتي ولا شربت مسكرًا . فقال لهُ الطبيب فهذا سر تمتعك بالصحة التامة

وقيل لاحد كبار الكتَّاب كيف استطعت ان تؤلف هذه الكتب الكثيرة وكم ساعة تشتغل في النهار . فقال اني لا اشتغل اكثر مما يشتغل غيري ولكنني انام باكرًا وانهض باكرًا واكتب اكثر ما اكتبهُ في الصباح فلا ينتصف النهار حتى اكون قد اتممت شغلي وكل ما اكتبهُ حينئذٍ لا احتاج الى مراجعتهِ وتنقيحهِ لانهُ من احسن ما استطيعهُ ولولا النوم الباكر ما قدرت ان أؤلف نصف ما ألفتهُ واذا اضطررت ان اسهر في بعض الليالي الى نصف الليل اضعت النهار التالي لاني لا استطيع ان اكتب فيهِ شيئاً يرضيني



وداع الشتاء واستقبال الربيع

انقضى في يومنا هذا آخر سوق الرواعد والبوارق . ومضى آخر عهد من عهود الزوابع والسيول الدوافق . وسيرقأ بعد الآن دمع السماء بعد ان طال على ذكاء البكاء . واحتجابها في كبد السماء فانها قد قضت شهوراً مسجونة في حظيرة الجدي الطويلة . وبئر الدلو المستطيلة يضحك عليها الحوت . ويشير للنجوم التي كادت تموت . فخرجت الغزالة من هذه الظلمة الى برج الحمل في الساعة الثانية والدقيقة ٣٦ صباح هذا النهار . وخلعت على الارض من حللها ما يتيه بهِ آذار ونيسان وايار . فابتسم الورد وتمايلت الازهار . لفصل تبهج الارض عن ورودهِ وورودهِ . واذا افتخر الزمان كان انسان مقلتهِ وبيت قصيدهِ . بل هو الفصل الذي تشتاقهُ الارواح . حتى تملأَ من وصالهِ في الغدو والرواح . يا لهُ من فصل يحرك الصبابة في فؤاد السالي . ويرد النعيم والخضرة الى الطلل البالي . ويبعث المسرة الى الطير فينظم في مديحهِ ما يشاء من الالحان ويسمعهُ من شدوهِ انغاماً ما تسمعها من غيرهِ آذان . ويذيب الثلوج من الجبال فاذا هي تارة انهار تتدفق . وتارة انداء تترقرق . وهو الذي يحرك اوتار العود . ويجري الماء في العود . ويسير بالشمس من مكان الى مكان ضاحكة في كبد السماء . فتواجهها الارض بعد عريها ملتحفة بالمطارف الخضراء . ثم تأتي السماء فتنثر عليها ما تشاء من دنانير تفر من البنان . وتساقط عليها من الانداء ما هو على النرجس درٌ وعلى الشقائق مرجان . فاذا شئت ملأْت العين من مروج هي الزبرجد المرصوف . واذا شئت ملأْت الاذن من اغاريد ما اسمعتها اوتار ودفوف . واذا شئت ملأْت النفس من سرور ليس بالموصوف . فرحباً بك ايها الربيع مرحباً بك . واهلاً وسهلاً بعودك بعد غيابك . وسبحان من كونك وكوننا . فانهُ ما زال يشيبنا ويفنينا وما يزال يبقيك ويجدد من شبابك

الاسكندرية ١٧ مارس حسن ابو الوفا

[المقتطف] يصحُّ هذا الوصف للمقيم في جبال لبنان او جبال سويسرا لا للمقيم في هذا القطر وشمس الشتاء لا تحجب فيهِ يوماً حتى تظهر اياماً

علماء الشرق

حضرات الافاضل الدكاترة اصحاب المقتطف الاغر

ورد في مقطم ١٤ مارس سنة ١٩٠٨ العدد ٥٧٦٣ حين كلامكم على الامة الانكليزية وعزمها على اقامة تمثال لشاعرها الشهير شكسبير تعليق تحثون فيهِ الشرقيين على اقامة تماثيل وتذكارات لعلمائهم وشعرائهم الذين نبغوا في القرن الماضي وهاك التعليق بالحرف الواحد

"فليتأمل الشرقيون اهتمام الغربيين بتكريم علمائهم وشعرائهم ونبذهم الخلاف والاغراض والمصالح في سبيل تعظيم العلم والادب. فقد نبغ من الشرقيين نفر من العلماء والشعراء في القرن الماضي فهل خطر لهم ان يتكاتفوا ويجمعوا كلمتهم وينبذوا الخلاف الديني والسياسي ويحيوا آثار اولئك العلماء بتمثال يقيمونهُ او تذكار يشيدونهُ حتى يقتدي الاواخر بالاوائل في استيعاب العلم واقتباس الفضائل"

فالرجا ان تعرفونا من هم هؤلاء العلماء والشعراء وتكتبوا لنا شيئاً عنهم في مقتطفكم الاغر لنعرف تاريخهم وما اشتهروا بهِ ليقف الشرقيون على فضلهم وما امتازوا بهِ مما يدفعهم الى اقامة التماثيل احياء لذكرهم واستنهاضاً للهمم

طنطا ابرهيم نقولا

[المقتطف] سألنا كاتب المقالة ان التي تشيرون اليها مَن يعني بالعلماء والشعراء الذين اشار اليهم فقال انهُ يعني رفاعة بك والشيخ ناصيف اليازجي والمعلم بطرس البستاني. وقد نشرنا ترجمة مسهبة للمعلم بطرس البستاني في المجلد الثامن من المقتطف ونشر الجنان ترجمة مسهبة للشيخ ناصيف اليازجي حين وفاتهِ وذلك قبلما انشأنا المقتطف اما رفاعة بك فلم نرَ لهُ ترجمة مسهبة حتى الآن

وكتابة الترجمات ليست من الهنات الهينات بل لا بدَّ للكاتب من ان يعرف صاحب الترجمة معرفة تامة حتى يستطيع ان يصفهُ وصفاً صحيحاً. وقد كتبنا ترجمة الدكتور فان ديك والدكتور بلس والدكتور ورتبات لاننا عرفناهم معرفة تامة وعاشرناهم نحو خمس عشرة سنة واطَّلعنا على اكثر ما كتبوهُ. وكتبنا ايضاً ترجمة الشيخ محمد عبده لاننا عاشرناهُ مدة طويلة واطلعنا على كثير مما كتبهُ. والذين نشرنا ترجماتهم من الاوربيين والاميركيين ونحن لا نعرفهم ولم نرَهم مثل داروين وبسمارك وغلادستون وسلسبري وسبنسر ولنغلي ترجمنا ما كتبناهُ عنهم عن الذين كتبوا ترجماتهم واضفنا اليهِ بعض ما علمناهُ من قراءة كتبهم وخطبهم

باب الرياضيات

الغريبة الجبرية

كتب الينا حضرة عبد الفتاح افندي البنا يقول انهُ اشتبه عليهِ وجه المغالطة في الغريبة الجبرية المدرجة في عدد شهر فبراير ولذلك جاء جوابهُ خطأً وطلب منا ان نشير الى ذلك • وجاءتنا حلول كثيرة من مشتركي المقتطف المشتغلين بالعلوم الرياضية بعد ان طبعنا باب الرياضيات و يظهر من اكثرها ان تعليم الرياضيات في هذا القطر لم يعد بالغًا من التدقيق والتوسُّع الحد الذي بلغهُ منذ ثلاثين سنة

تحقيق العرب لطول السنة

ان من اشهر كتب الفلك العربيَّة كتاب البتاني(١) المعروف بالزيج الصابي وقد جاء في الفصل السابع والعشرين منهُ كلام وافرعن تحقيقهِ لطول السنة الشمسيَّة فرأينا ان نثبتهُ هنا ليرى ابناء العربيَّة الذين يحسبون انهم تعلَّموا العلم كلهُ اذا درسوا العربيَّة وعلومها كيف كان يبحث اسلافهم منذ نحو الف سنة بحثًا مماثلاً لبحث العلماء الاوربيين في هذا الزمان

قال قد اختلف الاوَّلون في مقدار ازمان السنة فذكر بعضهم من قدماء اهل مصر وبابل انهُ ثلثمائة وخمسة وستون يومًا وربع يوم وجزء من مائة وعشرين من اليوم . وذكر بطليوس انهم عملوا على انَّ ذلك من مفارقة الشمس بعض الكواكب الثابتة الى ان تعود اليهِ فاعاب ذلك عليهم وذكر انهُ في غاية الشناعة لانهُ لوجاز هذا الرأي لم يمتنع قائلاً ايضًا ان يقول انَّ زمان السنة هو من مفارقة الشمس كوكب زُحل او غيره من الكواكب المتحيرة الى ان تعود اليهِ وهذا رأي فاسد ظاهر الفساد جدًّا وان زمان السنة انما هو من مفارقة الشمس نقطة غير متحركة من الفلك الى ان تعود اليها إما من احدى نقطتي الاعتدالين الى مثلها او من احدى نقطتي الانقلابين الى مثلها فانهُ لا مبادئ من فلك البروج اولى من هذه النقط .

(١) هو ابو عبدالله محمد بن سنان بن جابر الحرَّاني المعروف بالبتاني المتوفى سنة ٩٢٩ للميلاد وقد ترجم كتابهُ الى اللاتينية وطبع سنة ١٥٣٧ ثم طبع مع الاصل العربي بين سنة ١٨٩٩ و١٩٠٣

فاما إبرخس (٢) فانهُ عمل على ان طول زمان السنة ثلثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم فقط على انهُ قد تبيَّن لهُ انهُ اقل من ذلك بما حكى بطليوس عنهُ حين جمع آراءهُ فقال ان زمان السنة ثلثمائة يوم وخمسة وستون يوماً واقل من ربع يوم بالحقيقة لانهُ وجد الانقلاب الصيفي قد تقدَّم زمانهُ زمان الربع اليوم التام الزائد على الثلثمائة وخمسة وستين يوماً وفي ذلك ما تداخلهُ الشك في مسير الشمس حتى توهَّم ان لها فلكاً آخر خارج المركز عن مركزي الفلكين . واكثر ما اخذ الاوَّلون ذلك من الارصاد الصيفيَّة التي تؤخذ بمجاز الشمس على نقطة الانقلاب الصيفي وليست ترى في الصحة مثل الارصاد التي تكون بمجاز الشمس على احدى نقطتي الاعتدالين سيما نقطة الاعتدال الخريفي لصفاء الجوّ ونقائهِ في ذلك الزمان اكثر من صفائهِ ونقائهِ في زمان الاعتدال الربيعي . وذلك ان الشمس اذا جازت على نقطة المنقلب كانت بطيئة الحركة في الميل واذا كان مجازها على نقطتي الاعتدالين كانت حركتها في الميل سريعة جدًّا ولذلك ما اعتمد بطليوس الأ على الارصاد الخريفية وجعل قياسهُ اليها . وكان احد ارصاد ابرخس الذي عمل عليهِ ولم يشكّ في حقيقتهِ الرصدَ الذي ذكرهُ فقال انهُ وجد الشمس جازت على نقطة الاعتدال الخريفي في سنة مائة وثمانٍ وسبعين من ممات الاسكندر في اليوم الثالث من الايام الخمسة اللواحق في وقت انتصاف الليل بالاسكندريَّة من الليلة التي صبيحتها اليوم الرابع من اللواحق وصحَّ ذلك عندهُ

ورصد بطليوس من بعد مائتين وخمس وثمانين سنة مصريَّة وهو الرصد الذي ذكر في كتابهِ انهُ حققهُ ودققهُ بغاية التدقيق فوجد الشمس جازت على نقطة الاعتدال الخريفي في السنة الثالثة من ملك انطونينوس وهو سنة اربعمائة وثلث وستين من ممات الاسكندر في اليوم التاسع من اتور من شهور القبط بعد طلوع الشمس بالاسكندرية بساعة واحدة بالتقريب . فلما اخذ الزمان الذي بين الرصدين وجدهُ على الحقيقة مائتين وخمساً وثمانين سنة مصرية وسبعين يوماً وربع يوم وجزءًا من عشرين من يوم مكان الواحد والسبعين والربع يوم التي كانت تجب ان تجتمع من الارباع التامة في هذه المائتين وخمسة وثمانين سنة وتكون نسبة هذا اليوم الواحد الا الجزء من عشرين من يوم الذي تقدَّم بهِ زمانُ الرصد زمانَ الربع اليوم الزائد على ثلثمائة وخمسة وستين يوماً الى مائتين وخمس وثمانين سنة التي بين الرصدين كنسبة اليوم الواحد الى الثلثمائة سنة . فصار زمان السنة المأخوذ بهذين

---

(٢) فلكي يوناني نشأ بين سنة ١٦٠ و ١٣٥ قبل المسيح

الرصدين ثلثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم الاَّ جزءا من ثلثمائة من اليوم وهو جزء وخمس جزء من ثلثمائة وستين جزءا

وذكر ايضاً انهُ اخذ الارصاد الصيفيَّة القديمة التي كانت قبل ابرخس وهو الرصد الذي كان على عهد افسودس ملك اثينس الذي كان مجاز الشمس فيهِ على نقطة المنقلب الصيفي قبل ممات الاسكندر بمائة وثماني سنين مصريَّة صبيحة اليوم الحادي والعشرين من فارموث (برمودا) من شهور القبط من تلك السنة وانهُ رصد الشمس فوجدها جازت على نقطة المنقلب الصيفي في سنة اربعمائة وثلث وستين من ممات الاسكندر في احدى عشر يوماً من مسري من شهور القبط من بعد انتصاف الليل من الليلة التي صبيحتها اليوم الثاني عشر منهُ بقريب من ساعتين

وكان ما بين هذين الرصدين قريباً من خمسمائة واحدى وسبعين سنة مصرية ومائة واربعين يوماً ونصف وثلث يوم مكان مائة واثنين واربعين يوماً ونصف وربع يوم تجتمع من ارباع السنين المذكورة لو كانت الارباع تامة في السنين . فوجد الانقلاب الصيفي قد تقدم زمانهُ زمان الربع التام بيوم واحد وثلثي يوم وربع يوم . ونسبة هذا اليوم والثلثي يوم والربع يوم الى الخمسمائة والاحدى والسبعين سنة المذكورة كنسبة اليومين التامين الى الستمائة سنة . فوافق ذلك ما عمل عليهِ اذا كان الرصد قد تقدم زمان الربع اليوم التام في كل ثلثمائة سنة بيوم واحد وان كانت هذه الارصاد الصيفيَّة ليست في الثقة كالخريفيَّة للعلة التي ذكرنا . وبيَّن ان الرصد الذي كان قبل ابرخس كان قبل رصد ابرخس بقريب من الزمان الذي بين رصد ابرخس ورصد بطليوس وذلك انهُ قبل ابرخس بمائتي سنة وست وثمانين سنة

ثم رصدنا نحن بمدينة الرقة فكان احد ارصادنا الخريفيَّة الذي نعتمد عليهِ ونثق بصحتهِ فيما ظهر لنا بآلة الرصد الذي كان بعد رصد بطليوس الخريفي الذي قد تقدم ذكرهُ بسبعمائة وثلث واربعين سنة وذلك انا قسنا فوجدنا الشمس جازت على نقطة الاعتدال الخريفي في سنة الف ومائة واربع وتسعين من سني ذي القرنين التي هي من بعد ممات الاسكندر سنة الف ومائتين وست من قبل طلوع الشمس من اليوم التاسع عشر من ايلول من شهور الروم وهو اليوم الثامن من باخون (توت) من شهور القبط باربع ساعات ونصف وربع ساعة بالتقريب ولان فلك نصف النهار بالاسكندرية يتقدم فلك نصف النهار بالرَّقة بقريب من ثلثي ساعة معتدلة يكون بين الرصدين اعني رصدنا ورصد بطليوس الخريفي سبعمائة

وثلث واربعون سنة مصرية ومائة وثمانية وسبعون يوماً ونصف وربع غير خمسي ساعة بالتقريب مكان مائة وخمس وثمانين يوماً ونصف وربع يوم كان يجب ان تجتمع من الارباع في هذه السنين لو كانت الارباع تامة فيما بين الرصدين . فاذا قسمنا هذه السبعة الايام والخمسي ساعة التي تقدم بها زمان الرصد زمان الربع اليوم الزائد على الثلثمائة والخمسة والستين على السبعمائة والثلث والاربعين السنة التي بين الرصدين كانت حصة السنة الواحدة من تلك الزيادة ثلاثة اجزاء واربعاً وعشرين دقيقة من الثلثمائة والستين جزءاً التي هي مقدار دور يوم وليله . فاذا انقصنا ذلك من زمان الربع اليوم الذي هو تسعون جزءاً بقي مقدار الزيادة على الثلثمائة والخمسة والستين يوماً التامة ستة وثمانين جزءاً وستاً وثلثين دقيقة فصار زمان السنة الحقيقي ثلثمائة وخمسة وستين يوماً (وخمس ساعات) واربع عشرة دقيقة وستاً وعشرين ثانية بالتقريب فاذا قسمنا اجزاء دائرة الفلك الثلثمائةوالستين على مقدار زمان السنة الموجود صارت حركة الشمس الوسطى في اليوم وليلته ه نط ح ل مو نو يد[1] وفي الثلثين يوماً التي هي مقدار الشهر المصري كط لد ي كج كح و مز[2] وفي الثلثمائة والخمسة والستين يوماً التي هي مقدار السنة المصرية ثلثمائة وتسعة وخمسون درجة وخمس واربعون دقيقة وست واربعون ثانية وخمس وعشرون ثالثة واثنتان وثلثون رابعة وخامستان واحدى وثلثون سادسة بالتقريب وكذلك اضفنا هذه الحركات واثبتناها في الجداول في السنين المجموعة والمبسوطة والشهور والايام والساعات بتأريخ العرب وتاريخ الروم لتسهيل المعرفة باستخراج موضع مسير الشمس بحركتها الوسطى التي تسمي وسط الشمس في كل وقت نريد بأيّ التأريخين شئنا . فبين هو ان زمان السنة الذي حصل لنا بالرصد اقل من الزمان الذي ذكره بطليوس بجزءين وخمس جزء وصارت لذلك حركة الشمس التي وجدنا تزيد على الحركة التي ذكر بطليوس في اليوم ه ه ه ج لج مج مج[3] وفي السنة المصرية ه ه لا م ي ن نو[4] بالتقريب ان شاء الله

---

(١) اي ٥٩ دقيقة من القوس و ٨ ثواني و ٣٠ ثالثة و ٥٦ رابعة و ٥٦ خامسة و ١٤ سادسة

(٢) اي ٢٩ درجة و ٣٤ دقيقة و ١٠ ثواني و ٣٢ ثالثة و ٢٨ رابعة و ٦ خواس و ٤٧ سادسة

(٣) اي ٣ ثوالث و ٣٣ رابعة و ٤٣ خامسة و ٤٣ سادسة

(٤) ٣١ دقيقة و ٤٠ ثانية و ١٠ ثوالث و ٥٠ رابعة و ٥٦ خامسة



النيترو بكتيرين

لا تزال مسائل السائلين ترد الينا عن عنوان المسترستد او العنوان الذي يستحضر منهُ هذا الميكروب لتلقيح المزروعات . وقد اجبنا عن ذلك قبلاً ونجيب الآن ان استحضار الميكروب مختلف باختلاف المزوعات التي يراد تلقيحها بهِ فلا بد من ذكر اسم الزرع الذي يراد جلب الميكروب لهُ كأن يكون فولاً اولوبياء او برسيماً بلديًّا او برسيماً حجازيًّا فان هذا الميكروب لا يفيد الأ المزروعات التي من القطاني كالفول واللوبياء والبرسيم ويفيد ايضاً الطماطم فاذا اريد ان يطلب من البلاد الانكليزية فلتكتب ورقة الطلب هكذا

ORDER FORM. *Date*..........................

Please send me..........................*gallon packets of NITRO-BACTERINE, for crops marked as under, for which I enclose £ : :*

[Fill in amount at rate of 5s. per package.]

Name..........................

Address..........................

ويكتب تحتها اسم نوع النبات الذي يراد استعمال الميكروب لهُ وهذه اسماء المزروعات المصرية التي يمكن ان تلقح بزورها بهِ

Sweet peas	البازلا الحلوة
Beans (field)	الفول
Lubins	الترمس
Clover, white	البرسيم البلدي
Lucerne	البرسيم الحجازي
Tomatoes	طماطم

ويكتب العنوان على الظرف هكذا

To NITRO-BACTERINE,
Mowbray House, Norfolk Street, LONDON, W.C.

والنباتات الانكليزية ليست مثل النباتات المصرية تماماً ولكنها من نوعها وتشابهها مشابهة كثيرة . ويأتي مع الميكروب كراسة فيها شرح كيفية الاستعمال وثمن العلبة الواحدة خمسة شلنات

البحر الابيض وموسم القطن

للسر وليم ولككس

(نشرنا في الجزء الاول والثاني من اجزاء هذه السنة ترجمة خطبة السر وليم ولككس عن النيل والخزانات وقد خطب بعدها خطبة ثانية موضوعها البحر الابيض وموسم القطن . وابتدأ هذه الخطبة بالاشارة الى ما قالهُ لمبرديني سنة ١٨٦٥ وهو انهُ ليس في الدنيا نهر مثل النيل من حيث اتساع موضوعهِ للبحث العلمي . ثم وقال)

ان امر النيل لم يبقَ مجهولاً الآن كما كان قبلاً ولكن زاد ولع الناس بالبحث فيهِ . فقد صرنا نعرف لماذا يزيد ماؤُهُ ويقلُّ سنة بعد سنة بالانتظام التام ولماذا يبقى الماء جارياً فيهِ في فصل الصيف ولو سار ثلاثة آلاف ميل في صحراء قاحلة تكاد تتقد . ولماذا يسهل جعلهُ صالحاً للري الصيفي كما كان صالحاً لري الحياض

وسأبين في هذه الخطبة نصيب كلٍّ من البحر الابيض والبحر الازرق والاتبره مما يجري الى القطر المصري من ماء النيل الى ان يصل الى بحر الروم مسافة ٢٧٠٠ ميل قاطعاً اكبر صحراء من صحاري الكرة الارضية وجالباً الحياة لكل ما يحيا على ضفتيهِ . وساصف النيل الآن كما هو في حالتهِ الحاضرة مستخدماً لري الحياض وابين كيف يمكن ان يتغيَّر ويصير نهراً جديداً صالحاً للري الصيفي

ولقد سمعت كثيرين يقولون ان الفرج من هذا الضيق المالي يجب ان يأتي من مدينة لندن وكنت اجيبهم دائماً ان الفرج الذي يمكن ان يأتي من هناك وقتي واما الفرج الحقيقي الدائم فيأتي من النيل فان النيل لم يخيب مصر قط

وللناس آراء مختلفة في اسباب الضيق المالي الحاضر الذي اصاب هذه البلاد وعندي ان من اكبر هذه الاسباب ان الناس املوا من خزان اصوان اكثر مما يحق لهم ان يؤملوا

فان الخزان يخزن مليارًا (الف مليون) من الامتار المكعبة ولكن الناس يتكلمون عنهُ كأنهُ يخزن عشرة مليارات . وتنجو البلاد من هذا الضيق حالما يزيد ماء النيل صيفًا وتسترد قوتها حينما يصير ماؤُهُ كافيًا لزرع نصف اطيان القطر قطنًا مع ما فيهِ من البراري والاراضي البور وقد قمت الآن لا بين لكم انهُ يمكن اتمام ذلك في سنوات قليلة وبمبلغ معتدل من المال

ان كل الامطار التي تقع على الجزء الشمالي الشرقي من قارَّة افريقية ومساحتهُ ثلاثة ملايين من الكيلومترات المربعة تجري اخيرًا الى النيل وستة اعشار هذه البلاد الواسعة يجري ماؤُها الى البحر الابيض وعشرها يجري ماؤُهُ الى البحر الازرق وعشرها يجري ماؤُهُ الى الاتبرة والعشران الباقيان تجري مياههما الى النيل نفسهِ وذلك من ملتقى البحر الابيض بالازرق الى بحر الروم فالاراضي التي تنصبُّ مياهها في البحر الابيض اوسع جدًّا من الاراضي التي تنصبُّ مياهها في البحر الازرق ولكن الماء الذي ينصبُّ في النيل من البحر الازرق اغزر من الماء الذي ينصبُّ فيهِ من البحر الابيض فاذا حسبنا ان متوسط الماء الذي يجري في النيل عند اصوان ٣٠٠٠ متر مكعب في الثانية من الزمان فعشرا هذا الماء من البحر الابيض وسبعة اعشارهِ من البحر الازرق وعشرهُ من الاتبرة. واكثر ماء الفيضان من البحر الازرق واما في زمن التحاريق فاكثر الماء من البحر الابيض

والبحر الابيض سلسلة من الخزانات تصل بينها شلالات او مجارٍ هادئة الماء اولها البحيرات الاربع الاستوائية ثم مجرًى قصير بطيءٌ كثير البردي ثم شلالات وجنادل حتى تصل الى غندكرو ثم مجرًى بطيءٌ يطغى ماؤُهُ على ضفتيهِ فتتكون منهُ مستنقعات واسعة جدًّا وبعدهُ جهات السد ومستنقعاتهُ مملوءَة بالبردي ثم مستنقع طويل طولهُ الف كيلو متر لا يكاد تحدُّرهُ يُشعَر بهِ

يخرج البحر الابيض من بحيرة فكتوريا وارتفاعهُ هناك فوق سطح بحر الروم ١١٣٠ مترًا فيصل الى بحيرة البرت مسافة ٤٠٠ كيلو متر يهبط فيها ٤٥٠ مترًا ثم يصل الى غندكرو بعد ٤٠٠ كيلو متر يهبط فيها ٢٥٥ مترًا . ويجري بعد ذلك ١٨٠ كيلو مترًا الى بور يهبط فيها ١٤ مترًا ثم ٥٧٥ كيلو مترًا الى بحيرة نو يهبط فيها ٢٩ كيلو مترًا . اما من بحيرة نو الى الخرطوم فالارض سهل منبسط ومجرى النيل فيها لا مثيل لهُ على وجه البسيطة فاذا كان ارتفاع الماء عند بحيرة نو في زمن الفيضان ٣٨٢ مترًا و ٣٠ سنتمترًا فوق سطح بحر الروم فلا يهبط عن ذلك عند الرنك سوى ٤ امتار و ٨٠ سنتمترًا مع ان بعد الرنك عن بحيرة نو ٤٨٠ كيلومترًا ومن الرنك الى الخرطوم مسافة ٤٩٠ كيلو مترًا لا يهبط الماء قط . اي انهُ ينحط ٤ امتار

و ٨٠ سنتمترًا فقط اي مسافة طولها ٩٧٠ كيلو مترًا او مترًا واحدًا كل ٢٠٠ كيلو متر فالخمس مئة كيلو متر الاخيرة فوق الخرطوم ليست نهرًا جاريًا بل بحيرة عرضها من كيلو متر الى خمسة وعمقها من خمسة امتار الى عشرة

وقد استنتج لمبرديني من الامور التي كانت معروفة في زمنهِ عن النيل ان جهات السد كانت في الزمن الغابر بحيرة كبيرة فاجتمع الطمي فيها وامتلأَت بهِ

والماء الذي ينصب الآن من البحر الابيض في نهر النيل صافٍ لا طمي فيهِ ويكون مقدارهُ ١٠٠٠ متر مكعب في الثانية في شهر يناير ثم يقل حتى يصل الى ٤٠٠ متر مكعب في شهر مايو ويزيد الى ٦٠٠ متر مكعب في يونيو . واما في يوليو واغسطس وسبتمبر فلا يجري منهُ شيءٌ يذكر لان فيضان البحر الازرق يردُّ مياه البحر الابيض ويجعلها تتراكم بعضها فوق بعض فوق الخرطوم في مجراهُ الذي قلنا انهُ شبه بحيرة . وفي اكتوبر يقلُّ ماء البحر الازرق فيأخذ ماء هذه البحيرة في الجريان ويكون مقدار الماء الجاري منها في اكتوبر ١٧٠٠ متر مكعب في الثانية ثم يقلُّ رويدًا رويدًا حتى يبلغ ١٤٠٠ متر مكعب في الثانية في شهر دسمبر

ومصدر البحر الازرق في بحيرة صانا ببلاد الحبشة والمنسوب هناك ١٧٦٠ مترًا فوق سطح البحر او ٦٠٠ ٣٦٠ مترًا فوق منسوب بحيرة فكتوريا . ويهبط البحر الازرق ١٣١٠ امتار من بداءة جريانهِ من بحيرة صانا الى الرصيرص مسافة ٩٠٠ كيلو متر ثم يهبط ٧٢ مترًا من الرصيرص الى الخرطوم مسافة ٦٤٣ كيلو مترًا . وعرضهُ نحو ٥٠٠ متر وعمقهُ زمن الفيضان ١٢ مترًا وضفتاهُ عاليتان فلا يطغى ماؤُهُ عليها مهما ارتفع الأ في الخرطوم . وينصبُّ منهُ ٤٠٠ متر مكعب في الثانية في شهر يناير ثم يقلُّ حتى يصير ١٠٠ متر مكعب في ابريل ويزيد بعدها فيصير ٢٠٠ متر في مايو و ١٠٠٠ متر في يونيو و ٢٥٠٠ في يوليو و ٧٠٠٠ في اغسطس و ٨٥٠٠ في سبتمبر و ٤٥٠٠ في اكتوبر و ١٥٠٠ في نوفمبر و ٧٥٠ في دسمبر . ومتى قلَّ ماؤُهُ صار نقيًّا صافيًا . ثم تزيد المواد التي يحملها فتعكرهُ حتى تبلغ ٣٣٠٠ جزء في كل مليون جزء من الماء . وقد يكون الفيضان عاليًا جدًّا فيبلغ الماء الجاري فيهِ ١٢٠٠٠ او ١٣٠٠٠ متر مكعب في الثانية . والعكر الذي فيهِ هو الطمي الذي تكونت منهُ تربة القطر المصري

ويصب الاتبرة في النيل جنوبي بربر وهو غدير يجري من الجهات الجنوبية الشرقيَّة من بلاد الحبشة ويغزر ماؤُهُ من يوليو الى سبتمبر ويكاد يجفُّ في باقي السنة . ومصدرهُ على نحو ١٦ كيلو مترًا من بحيرة صانا حيث الارتفاع ٢٠٠٠ متر عن سطح البحر وينحدر ١٥٠٠ متر في الاربع مئة كيلو متر الاولى ويلتقي حينئذٍ بنهر ستيت وهو اكبر من الاتبرة وابقى .

وقد وصف السر صموئيل باكر نهر الاتبرة في كتابهِ المعنون " بنواصر النيل في الحبشة " وابدع في الوصف وبيَّن كيف يقتلع الصخور ويجرف الاتربة البركانية الاصل ويحملها الى النيل لكي يغني بها ارض مصر . وبعد ان يجري الاربع مئة كيلو متر الاولى ثم ٤٤٠ كيلو مترًا اخرى يصبُّ في النيل وانحدارهُ في الثلثمائة كيلو مترًا الاخيرة ١/١٠٠٠ وعرضهُ ٣٣٠ مترًا وعمقهُ ٦ امتار

ويصبُّ من الاتبرة في النيل كل ثانية نحو ١٠٠ متر مكعب في شهر يونيو و ٦٠٠ متر مكعب في شهر يوليو و ٢٥٠٠ في شهر اغسطس و ١٥٠٠ في سبتمبر ويجف تمامًا او تقريبًا في بقية السنة

وقد كتب كثيرون عن النيل مثل شوينفورث وشلي وباروى وبتي وبرنس والسر همفري برون . ولكن الامور التي عرفت عنهُ في السنوات السبع الاخيرة هي التي كشفت غوامضهُ فقد جمع السر وليم جارستن والمستر ديوي والمستر ننهام والمستر ولس الحقائق المائية والدكتور هيوم والمستر بدنل والدكتور بول الحقائق الجيولوجيَّة والمستر وايد والمستر كيلنج الارصاد الجويَّة والدكتور بيم والمستر لوكاس التحليلات الكيماوية والمستر فودن والمستر هيوز الاختبارات الزراعية . والعلماء الكبار مثل الدكتور شوينفورث والدكتور بلفور ساعدوا على ايضاح المسائل الهامَّة . وقد جمع الكبتن ليونس مدير مصلحة المساحة العام كثيرًا من هذه المعلومات مما كتب قديمًا عن النيل في كتابهِ عن طبيعة النيل وحوضهِ وعندهُ في ديوانهِ جماعة من امهر الجيولوجيين والمتيورولوجيين والرياضيين ولكن ليس عندهُ مهندس مائي بل رجل مبتدئ لهُ اتصل ببعض ارائي ثم طلب مني ان اجاريهُ فيها ولم يكتفِ بذلك بل اتهمني بالخطإ في الامور التي اتفق اني كنت مصيبًا فيها فاذا استثنينا الامور المتعلقة بالهندسة المائية فالكتاب خزانة فوائد يعتمد عليها

نأتي الآن الى النيل نفسهِ وننظر فيهِ شهرًا شهرًا

في مايو يصب فيهِ البحر الابيض عند الخرطوم ٤٠٠ متر مكعب كل ثانية . ويكون الاتبرا جافًا . والمياه التي تصبُّ فيهِ يمضي عليها ثلاثة اسابيع حتى تصل القطر المصري فيقل مقدارها بالتبخر لا سيما وانها تجري في بلاد حارة رياحها لافحة ولكن يضاف اليها كثير من المياه التي تتحلَّب اليها من الارض على طول مجرى النيل كما قال لمبرديني وتدخل القطر المصري ومقدار ما يجري منها في الثانية ٥٥٠ مترًا مكعبًا (كأنها لم تخسر سوى ٥٠ مترًا مكعبًا)

وفي يونيو يصير المنصبُّ في الثانية من البحر الابيض ٦٠٠ متر مكعب ومن البحر الازرق

١٠٠٠ متر مكعب ومن الاتبرة ١٠٠ متر مكعب ولكن اكثر هذه الزيادة في اواخر الشهر فلا تكاد تصل مصر فيهِ ويبلغ المنصبُّ من الماء حينئذٍ عند اصوان نحو ٧٥٠ مترًا مكعبًا

وفي يوليو تكثر المياه الحمراء في البحر الازرق من بلاد الحبشة فيبلغ الجاري فيهِ عادة ٢٥٠٠ متر مكعب في الثانية وحينئذٍ توقف مياههُ مياه البحر الابيض عن الجريان ٠ وينصب في هذا الشهر ٦٠٠ متر مكعب في الثانية من الاتبرة وتكون النتيجة ان الماء الجاري الى القطر المصري حينئذٍ يصير مقدارهُ ٢٢٠٠ متر مكعب في الثانية

وفي اغسطس يكون الفيضان قد بلغ اقصاهُ فيصير البحر الازرق يصبُّ في النيل ٧٠٠٠ متر مكعب في الثانية من الماء العكر والاتبرا يصبُّ فيهِ ٢٥٠٠ متر مكعب من الماء العكر ايضًا واما البحر الابيض فيكون ماؤُهُ لا يزال ممنوعًا من الجري ٠ والنتيجة انهُ يصل الى القطر المصري حينئذٍ ٨٠٠٠ مكعب في الثانية من المياه الحمراء الكثيرة الطمى

وفي سبتمبر يكون ماء البحر الابيض لا يزال ممنوعًا من الجري ويبلغ المنصب من البحر الازرق ٨٥٠٠ متر مكعب في الثانية ومن الاتبرا ١٥٠٠ متر مكعب والواصل الى القطر المصري ٩٢٠٠ متر مكعب في الثانية ٠ وقد يزيد هذا المنصبُّ عن ذلك اذا كان الفيضان وافرًا جدًّا فيبلغ ١٤٠٠٠ متر مكعب وقد يقل كثيرًا فيبلغ ٦٠٠٠ متر مكعب وذلك في السنين التي يكون فيضانها رديئًا ٠ وتصل مياه الفيضان من الخرطوم الى القطر المصري في ١١ يومًا

وفي اكتوبر تتغير الحال يهبط المنصبُّ من البحر الازرق الى ٤٥٠٠ متر مكعب في الثانية وتجري المياه من البحر الابيض فينصب منها ١٧٠٠ متر مكعب في الثانية ويجفُّ الاتبرة والنتيجة انهُ يصل من الماء حينئذٍ الى القطر المصري ٦٠٠٠ متر مكعب في الثانية

وفي نوفمبر يروق ماء البحر الازرق ويحط المنصب منهُ الى ١٥٠٠ في الثانية وينصب من البحر الابيض ١٦٠٠ في الثانية ويصير الماء المتجمع في مجرى النيل ينصب ايضًا فيصل الى القطر المصري ٣٣٠٠ متر مكعب في الثانية

وفي ديسمبر ينصب من البحر الازرق ٧٥٠ مترًا مكعبًا فقط في الثانية ومن البحر الابيض ١٤٠٠ متر مكعب في الثانية

وفي يناير يروق ماء البحر الازرق تمامًا ويصير المنصب منهُ ٤٠٠ متر مكعب في الثانية ومن البحر الابيض ١٠٠٠ متر مكعب ولكن يصل الى القطر المصري ١٦٠٠ متر مكعب في الثانية بما يضاف اليهِ من الماء الذي كان متجمعًا في مجرى النيل نفسهِ

وفي فبراير ينصبُّ من البحر الازرق ٣٠٠ متر مكعب ومن البحر الابيض ٨٥٠ مترًا ويصل الى مصر ١٢٠٠ متر مكعب في الثانية

وفي مارس ينصب من البحر الازرق ٢٠٠ متر مكعب ومن البحر الابيض ٧٠٠ متر مكعب ويصل الى مصر ٨٥٠ مترًا مكعبًا في الثانية

وفي ابريل ينصب من البحر الازرق ١٠٠ متر فقط ومن البحر الابيض ٥٥٠ مترًا ويصل القطر المصري ٧٠٠ متر مكعب . ثم نعود الى شهر مايو كما تقدم   ستأتي البقية

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفًا تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) عدد حروف الهجاء

سان جوان دابوفستا بالبرازيل الخواجه عازار بنضو لماذا عدد الحروف العربية ٢٩ حرفًا وعدد الحروف الافرنجية ٢٦ حرفًا .

ج لان العرب ينطقون باصوات لا ينطق بها اكثر الافرنج كالحاء والخاء والعين ولانهم وضعوا حرفين مختلفين لصوتين متقاربين كالطاء والتاء والدال والضاد فان الافرنج وضعوا للاولين حرفًا واحدًا وكذا للآخرين مع ان لكل حرف منهما صوتين او اكثر في لغاتهم

واذا دققنا البحث وجدنا ان الاصوات التي تنطق بها العرب والافرنج كثيرة جدًا تفوق الاربعين والخمسين اكثرها مشترك بينهم جميعًا كالدال واللام والميم والنون وبعضها خاص بالعرب كالحاء والعين . وبعضها لا وجود لهُ عند العرب كالفاء ٧ . وقد اكتفى العرب بوضع ٢٩ حرفًا او ٢٨ حرفًا والافرنج باربعة وعشرين حرفًا او خمسة وعشرين او ستة وعشرين ولكن يظهر لكم باقل نظر ان لبعض هذه الحروف اكثر من صوت واحد فصوت حرف الراء في كلمة راوي غير صوتهِ في كلمة راكب وصوتهُ في كلمة روض غير صوتهِ في كلمة رَكب . وصوت حرف اللام في كلمة هلال غير صوتهِ في كلمة ضلال . وقس على ذلك الحروف

الافرنجية ولكن الذين وضعوا الحروف اولاً جمعوا صوتين او اكثر من الاصوات المتقاربة تحت حرف واحد للاختصار

(٢) حركات الحروف

ومنهُ . لماذا لا يضع الافرنج حركات على حروفهم كالضمة والفتحة والكسرة .

ج لانهم وضعوا حروفاً لاصوات هذه الحركات فيضعون o مثلاً في المكان الذي نضع فيهِ نحن ضمة و e في المكان الذي نضع فيهِ نحن فتحة

(٣) تجنيد المسيحيين

ومنهُ . لماذا لا تجند الدولة العثمانية من رعاياها المسيحيين كما تجند من المسلمين اسوةً بدولة ايران التي تجند من كل رعاياها على اختلاف اديانهم

ج ان نظام الجندية في الدولة العلية قديم نشأ قبلما قويت الجامعة الوطنية فاوجست الدولة خيفة من تجنيد المسيحيين في جيشها مع انها لم تكن تفعل كذلك قبل ان وضعت نظام الجندية بل كانت تعتمد على الانكشارية واكثرهم من اولاد المسيحيين ومن المحتمل انهُ متى قويت الجامعة الوطنية وتغلبت على الجامعة الدينية في المعاملات العمومية لا تعود الدولة العلية توجس خيفة من تجنيد رعاياها المسيحيين

(٤) المندل

مصر . احد المشتركين . عند المصريين عادة مشهورة وهي انهُ اذا سُرق من احدهم شيء يذهب الى رجل يعمل لهُ ما يسمى بالمندل اي يحضر ولدًا دون سن البلوغ ويجعلهُ ينظر في فنجان وبعد قراءة وتمتمة يخبر الصبي عن السارق . وقد يصيب وقد يخطئ افلا يمكننا ان نعتبر هذه المسألة من من قبيل التنويم المغنطيسي ولو كانت القراءة والتمتمة من قبيل التوهيم . وان القدماء كانوا يعرفونهُ لان هذه العادة مأخوذة عنهم

ج لا شبهة ان القدماء كانوا يعرفون ما يسمَّى الآن بالتنويم المغنطيسي او الاستهواء لانهُ حادثة طبيعيةٌ وقد انتبهوا لهُ كما انتبهوا الى غيرهِ من الحوادث الطبيعيةَّ واستخدمهُ كهانهم في التمويه على البسطاء او حسبوهُ من نوع الانجذاب الروحاني فان الولد الذي يحدق زمانًا طويلاً في فنجان الماء يعتريهِ الذهول او النوم المغنطيسي ويصير يجيب المسائل حسب توجيه السؤال اليهِ او حسبما يصورهُ لهُ الوهم فاذا سألهُ صاحب المندل هل السارق رجل او امرأة اجاب انهُ رجل او انهُ امرأة حسب ما يخطر ببالهِ اولاً ثم يبني بقية اجوبتهِ على الجواب الاول كأنهُ يؤلف قصةً او خبرًا مختلقاً لكنهُ لا يصيب في اجوبتهِ الاَّ اذا كان ضارب المندل عارفاً مَن هو السارق وارشد الولد اليهِ في سؤالهِ لهُ او اذا ارشدهُ اليهِ الذين حولهُ بكلامهم وهم لا يدرون

(٥) تغيير الاخلاق

ومنهُ . يقول كثيرون من الناس ان المدارس لا تفيد سوى التعليم واما الاخلاق فغريزيَّة لا تتحوَّل الَّا نادرًا اي ان الصبي ذكيًّا كان او بليدًا ومتمرّدًا او طائعًا وجبانًا او شجاعًا يشبُّ على الاخلاق المولودة معهُ . ومن الامثلة التي يوردونها لذلك ان نبوليون بونابرت كان يؤلف من التلامذة رفاقهِ فرقة ويقودها للهجوم على فرقة اخرى اي كانت تبدو عليهِ مخايل الشجاعة وقيادة الجيوش وهو صبي في المدرسة فهل ذلك صحيح اي هل الاخلاق خلقية لا مكتسبة

ج نعم هي خلقية ولكن للتربية شأن لا ينكر في تهذيبها وتقويمها وتقوية بعضها واضعاف البعض الآخر . وقد يكون تأثير التربية كبيرًا وقد يكون صغيرًا حسب اختلاف الاخلاق وتمكنها . فاذا اتفق ان رجلاً من طبعهِ الشجاعة تزوَّج امرأة من طبعها الشجاعة ايضًا وولد لهما ولد ورث الشجاعة عنهما فالغالب انها تكون ارسخ فيهِ منها في والديهِ . ثم اذا تزوَّج هذا الولد امرأة من قوم مشهورين بالشجاعة وولد لهُ ولد منها فالغالب انهُ يكون شجاعًا ويكون هذا الخلق ارسخ فيهِ منهُ في والديهِ . فاذا رُبّيَ تربية تدعوهُ الى الجبن لم يجبن بل بقيت شجاعتهُ فيهِ واذا رُبّيَ تربية تدعوهُ الى الشجاعة زادت شجاعتهُ . ولكن اذا تزوَّج الجد الاول امرأة جبانة او من قوم مشهورين بالجبن فالغالب ان خلق الشجاعة في ولدهِ منها يكون ضعيفًا او ممزوجًا من شجاعة الاب وجبانة الام كما يولد الولد اسمر اذا كان ابوهُ ابيض وامهُ سوداء . فاذا رُبّيَ هذا الولد تربية تقوي الشجاعة فيهِ شبَّ شجاعًا واذا رُبّيَ تربية تقوي الجبن فيهِ شبَّ جبانًا . وقيسوا على ذلك سائر الاخلاق اي ان المتمكن منها بالتسلسل الطويل لا تؤَثر فيهِ التربية الَّا قليلاً وغير المتمكن منها تؤَثر فيهِ التربية كثيرًا

(٦) النيتروبكتيرين

شبراخيت . الدكتور محمد عشماوي

قرأنا ما كتبتموهُ عن فعل النيتروبكتيرين في اصلاح الارض الزراعية فنرجوان تخبرونا عن المكان الذي يمكننا ان نستحضر منهُ هذه المادة وعن كيفية استعمالها

ج تجدون في باب الزراعة في هذا الجزء عنوان المحل الذي يجلب منهُ النيتروبكتيرين وثمن كل علبة منهُ وانواع المزروعات التي يستعمل لها وترون هناك ان لكل نوع من المزروعات ميكروبًا او مستحضرًا خاصًا بها . اما طريقة استعمالهِ فمشروحة في لائحة ترسل معهُ . ونكرر هنا ما قلناهُ سابقًا وهو ان هذا الميكروب لا يفيد في الارض الجيدة بل في الارض الضعيفة

(٧) صدق الاحلام

مصر. اديب افندي شاهين . اصادف احياناً اموراً وتحدث لي حوادث اتذكر عند وقوعها انني رأيتها في الحلم قبل حدوثها ببضعة ايام او عدة اشهر وقد حدث لي ذلك مراراً ولم ارَ لهُ حلاً . ومن الغريب انني احلم الاحلام المشار اليها ثم انساها حينما استيقظ ولا اتذكر انني حلمتها الآ حينما ارى الحادث الذي تشير اليهِ فاتذكر حينئذٍ انني حلمت بهِ فهل عندكم تعليل لذلك

ج يظهر لنا ان التعليل المعقول لذلك هو انكم ترون الحادثة فترتسم صورتها حالاً في ذاكرتكم ثم يلتفت العقل الى هذه الصورة فيحسب انها قديمة فيهِ وهو خطأ في حكمهِ . والخطأ في احكام العقل اكثر مما يظن فانتم الآن تقرأون هذه السطور وعقلكم يحكم انهُ يرى السطور التي امامكم . وهذا خطأ في حكمهِ لانهُ لا يرى السطور التي امامكم اي لا يشعر بما هو امامكم بل بالصورة التي رسمها النور على شبكة العين وانتقل تأثيرها في الاعصاب الى الدماغ . وهناك خطأ آخر وهو ان تلك الصورة مقلوبة اعلاها اسفلها واسفلها اعلاها ويمينها يسارها و يسارها يمينها والعقل يشعر بها مقلوبةً كذلك ومع ذلك يحكم انها مستقيمة . واذا كان امامكم مرآة رأيتم فيها ما هو وراءكم واذا كانت المرآة كبيرة جدًّا ولم يظهر لكم بروازها حسبتم ان الاشباح التي ترونها موجودة امامكم حقيقة وما هي الآ صور معكوسة عن المرآة . وقد رأيتموها وراء المرآة بعيدة عنها وهي في الحقيقة اشعة نور معكوسة عن الاشباح التي وراءكم الى سطح المرآة ثم معكوسة عن سطح المرآة الى عينيكم فلا اشباح امامكم وراء المرآة كما ترون والاشباح التي وراءكم لا تؤثر فيكم بنفسها . وكل احكام العقل في الرؤية غير منطبقة على الواقع . وكثيرون من الناس اذا رأوا انساناً او سمعوا صوتهُ اول مرة حسبوا انهم رأوهُ او سمعوهُ من قبل لان اثر الرؤية واثر السمع ينطبعان في ذاكرتهم حالاً فيلتفت العقل اليهما ويحسبهما قديمين فيهِ

(٨) التسوُّل

الاسكندرية . محمود افندي الشاعر . هل التسوُّل عام في الدنيا وهل من طريقة لمنعهِ تماماً

ج كان عامًّا ولكنهُ أُبطل من بعض البلدان الاوربيَّة والاميركية بحسبان المتسول متشرداً وعقابهِ وانشاء ملاجئ للمحتاجين الذين لا يستطيعون العمل

(٩) بكاء الطفل

ومنهُ . رأيت طفلاً في المهد يبكي بكاء شديداً حتى لم يستطع احد ان يسكتهُ . وكانت حال تنفسهِ اذ ذاك في اضطراب شديد وحدث لهُ ذلك عقب تيقظهِ من النوم بلا سبب فما علة ذلك وما دواؤُهُ

ج ترون في ما ذكرناهُ في هذا الجزء

عن الشفاء بالايمان اشارة الى هذه الحادثة وامثالها وهي تحدث من عناد في حركة الاعصاب وعجز الارادة عن منعها ودواؤهُ ان يوجَّه انتباه الطفل بغتةً الى شيءٍ آخر فيبطل البكاء

(١٠) خلق حواء

بغداد . الخواجه يوسف يعقوب مسيّح . من اي ضلع من اضلاع آدم ابي البشر صنعت المرأة الاولى وما الرمز عن موضع ذلك الضلع

ج نظن ان علماء التفسير يقولون الآن ان الكلام مجاز لا حقيقة وهو يدل على ان الرجل والمرأة من اصل واحد . وان كان حقيقة فلا يمكن ان يُعلَم منهُ غير ما هو مذكور فيهِ والنص لم يعين الضلع

(١١) مزدكية امرء القيس

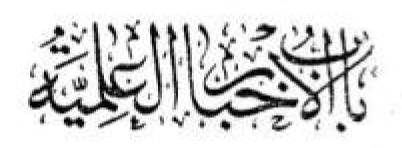
ومنهُ لقد ادَّعى البعض بمزدكيَّة امرىء القيس الشاعر الجاهلي وادَّعى غيرهم بنصرانيتهِ فما رأيكم في دينهِ

ج يظهر ان بني كندة الذين منهم امرؤ القيس اقتبسوا المزدكية لما تغلبوا على العراق اما تزلفاً للفرس او تفضيلاً لها على غيرها من المذاهب واستمروا على ذلك الى عهد انوشروان الذي نكل بالمزادكية نحو سنة ٥٢٨ للميلاد فاستعزَّ بهِ الملك المنذر ونكل ببني كندة ثم غزا الشام ووصل الى انطاكية حتى اضطر الامبراطور يستنيانوس ان يكل حماية الشام الى الحارث ابن جبلة الغساني وهو الحارث الاعرج ونشأ امرؤ القيس مبغضاً للحارث مطالباً بدم ابيهِ منهُ فلا يبعد ان تكون المزدكية مذهبهُ . لكن تحقيق هذه المسألة وامثالها من تاريخ العرب غير ميسور لان تاريخهم لم يُكتَب الاَّ بعد هذه الحوادث بسنين كثيرة ومعلوم ما يعتور الاخبار من التحريف والزيادة والنقصان بتوالي نقلها عن السنة الرواة

(١٢) الدوطة والبائنة

ومنهُ ذهب بعض الكتاب الى ترجمة كلمة الدوطة بالبائنة وبعضهم الى ترجمتها بالمنيني فاي اللفظين اصلح

ج ان العرب لم يكونوا يعطون بناتهم مالاً وقت تزويجهنَّ غير الجهاز لان المال كان يعطى من الزوج للزوجة وهو المهر او الصداق لا من الزوجة للزوج ولكن يؤخذ من لسان العرب ان البائنة تستعمل للمال الذي يعطيهِ الوالدان لكلٍ من اولادهما اي النصيب الذي يعطونهُ اياهُ في حياتهما . والمنيني مصدر منَّ بمعنى اعطى او وهب فالهبة خير منها . فاذا كان لا بدَّ من استعمال كلمة عربية الاصل لهذا المعنى الجديد اي لما تعطيهِ الزوجة لزوجها من المال فلا بأس بكلمة بائنة الاَّ اذا وقع التباس بينها وبين التطليقة البائنة . وقد تأخرنا عن اجابة مسائلكم الى الآن لانها وضعت سهواً في غير المكان الذي نضع فيهِ المسائل



الملاريا والعمران

الف بعضهم كتاباً موضوعهُ الملاريا وانحطاط الامم قدم لهُ الماجور روس مقدمة كبيرة الفائدة · وقد استدلَّ المؤلف من البحث في تاريخ اليونان والرومان انهم اخذوا ينحطون من حين دخلت الحمى الملارية بلادهم فاليونان ابتدأوا ينحطون وتسوء اخلاقهم في القرن الرابع قبل المسيح والرومان اخذوا ينحطون وتسوء اخلاقهم في القرن الثاني قبل المسيح . واستدل ايضاً على ان الحمى الملارية وصلت بلاد اليونان من جزيرة سفا كتريا وهي مباءة للملاريا الآن · ووصلت الى بلاد الرومان مع الجنود المسترزقة التي جاءت مع هنيبال القائد القرطاجني

والظاهر ان بلاد اليابان خالية من الملاريا وبلاد الصين كثيرة الملاريا وهذا سبب نشاط اليابانيين وخمول الصينيين

ومعلوم انهُ لا شيء يضعف العزائم مثل المرض ولا سيما الحمى الدورية والملارية التي تصيب الانسان وتنتابهُ اياماً واشهراً فتضعف بها عزيمتهُ وتسوء اخلاقهُ واذا كثر انتشار هذه الحمى في بلاد وتوالت عليها سنة بعد سنة فلا بدَّ من ان تؤثر في اخلاق اهلها بنوع عام . فالبعوض الذي ينقل ميكروب هذه الحمى من شخص الى آخر وينشرها في البلاد اليد الطولى في انحطاط الامم . فلا مبالغة في قولهم " ان البعوضة تدمي مقلة الاسد " بل البعوضة تدمي مقلة الامم وتحطها من اوج الهمة والنشاط الى حضيض الضعف والخمول

قتلى الملوك

بلغ عدد الذين قتلوا من الملوك والرؤساء في البلدان المتمدنة واحداً وعشرين ملكاً ورئيساً في مدة لا تجاوز قرناً من الزمان · وكانت البرتغال الى العهد الاخير خالية من هذه الفظائع مثل جارتها اسبانيا على ان الفوضويين ابوا إلاَّ ان يدمجوها في عداد الممالك التي نالت قسطها من هذا القبيل فقتلوا ملكها وولي عهدهِ في حين واحد وهي جناية فظيعة لم يسبق لها مثيل في التاريخ الحديث ولكن جرى في السرب ما يقرب منها حينما قتل الملك اسكندر والملكة دراجة في شهر يونيو سنة ١٩٠٣

وقبل حدوث الفاجعة السربية بثلاث

سنوات قتل فوضوي الملك امبرتو ملك ايطاليا . وفي سنة ١٨٩٨ قتلت امبراطورة النمسا وكانت مارة في جنيف عائدة من ويسبادن حيث كانت تستشفي من داء الم بها فطعنتها يد اثيمة بخنجر في قلبها . اما الملك امبرتو فقد قتل وهو يصعد الى مركبتهِ وكان قد نجا من فتك الفوضويين مرتين قبل ذلك . ففي المرة الاولى هجم عليهِ رجل في نابولي سنة ١٨٧٨ وحاول ان يطعنهُ بسكين فلم يفلح . وفي المرة الثانية رماهُ احد العمال الفوضويين بحربة فلم يصبهُ . على ان هؤلاء الفوضويين لم ينفكوا عنهُ حتى قتلوهُ في المرة الثالثة

ثم ان بين الواحد والعشرين ملكاً ورئيساً ثمانية من رؤساء الجمهوريات منهم ثلاثة من رؤساء جمهورية الولايات المتحدة وقد قتلوا كلهم في الخمسة والاربعين عاماً الاخيرة . الاول منهم لنكن وكان مقتلهُ سنة ١٨٦٥ والثاني جارفيلد قتل سنة ١٨٨١ والثالث مكنلي قتل حوالي سنة ١٩٠١

وقد وقع مقتل لنكن وقوع الصاعقة في نفوس الاميركيين لانهُ حدث على اثر انتهاء حرب الحرية فخشوا ان يفضي الى اضطراب جديد . اما تفصيل مقتلهِ فهو انهُ ذهب ذات ليلة مع اسرتهِ الى التياترو في وشنطون وكان احد الممثلين واسمهُ ولكس بوث قد اتفق مع زمرة من الفوضويين على الفتك بعدة من الرؤساء والملوك ولما شاهد الرئيس اغتنم الفرصة فذهب اليهِ بلا وجل ولا احجام وافرغ مسدسهُ في دماغهِ ثم فرَّ الى خارج المرسح حيث ركب جواداً معدًّا لهُ واعمل فيهِ السوط فرق بهِ مروق السهم ولكن نجاتهُ كانت الى حين قصير فان البوليس تعقب آثارهُ وقبض عليهِ بعد الجناية باثني عشر يوماً ثم حكم عليهِ بالاعدام

واما جارفيلد فقد قتلهُ رجل لم يحصل على منصب فقتلهُ انتقاماً واما مكنلي فقتل في معرض بفلو

ثم قتل كارنو رئيس الجمهورية الفرنسوية في ليون سنة ١٨٩٤ وناصر الدين شاه ايران سنة ١٨٩٦ وهو في جامع الشاه عبد العظيم قرب طهران

وقتل من قياصرة روسيا اربعة آخرهم القيصر اسكندر الثاني وكان النهليست قد حاولوا الفتك بهِ ست مرات قبل ذلك فلم يفلحوا ولكنهم ظلوا يترقبون الفرص حتى قتلوهُ سنة ١٨٨١ وتفصيل مقتلهِ انهُ كان عائداً من عرض العساكر الى قصرهِ الشتوي فانفجرت قنبلة في مركبتهِ انفجاراً فجائياً فقتل كثيرون من حرسهِ ولم يمس هو بسوءٍ وبعد فحص اجسام الجرحى مشى على قدميهِ غير مبالٍ بالخطر ولم يسر بضع خطوات حتى انفجرت قنبلة أُخرى بين قدميهِ فهشمت جسدهُ ومات بعد بضع ساعات

وقد قتل اربع ملوك ورؤساء بين سنة ١٨٧٢ و١٨٧٦ فالاول الكولونل باتا رئيس بيرو والثاني موريتو رئيس اكوادور والثالث جيتيارز رئيس بيرو ايضاً والرابع السلطان عبد العزيز قتل او انتحر والله اعلم

وربما كان قتل ملكة كوريا اشد فظاعة من كل ما ذكر فقد ولجت زمرة من اليابانيين المستأجرين لقتلها ابواب قصرها وقطعوها مع سيدتين من وصيفاتها ارباً ارباً ثم احرقوا جثثهن بالقطران

عروض البلاد المصرية وطوالها

تمتد مراصد الاحداث الجوية في البلاد المصرية الآن من الاسكندرية حيث العرض ٣٩ً ١١َ ٣١ْ الى منقلة حيث العرض ١١َ ٥ْ اي مسافة ٢٦ درجة واما اطوالها فمن واو غرباً حيث الطول ٣َ ٢٨ْ الى سواكن شرقاً حيث الطول ٢٠َ ٣٧ْ

ارتفاع هذه المراصد عن سطح البحر

	متر	سنتيمتر
الطور	٠٠١	٧٠
السويس	٠٠٣	٢٠
بورت سعيد	٠٠٣	٥٠
سواكن	٠٠٤	٥٠
بورت سودان	٠٠٥	٩٠
المحلة الكبرى	٠٠٨	٠٠
الجيزة	٠٢٧	٣٠
العباسية	٠٢٩	٩٠
الاسكندرية	٠٣٢	٠٠
اسيوط	٠٥٥	٦٠
اصوان	٠٩٩	٦٠
حلوان	١١٥	٦٠
وادي حلفا	١٢٨	٣٠
الداخلة	١٣٠	٠٠
مروي	٢٥٥	١٠
بربر	٣٥٠	٠٠
الخرطوم	٣٨٢	٩٠
الدويم	٣٨٣	٣٠
كدك	٣٨٩	٠٠
حلة دليب	٣٩١	٠٠
ود مدني	٤٠٧	٦٠
منقلة	٤٤٥	٠٠
الرصيرص	٤٦٦	٩٠
كسلا	٥٠٩	٠٠
الابيض	٥٨٥	٠٠
القلابات	٧١٠	٠٠

قمر ثامن للمشتري

اكتشف الرصد جرماً صغيراً قرب المشتري وهو اما نجيمة من النجيمات الدائرة حول الشمس واما قمر ثامن للمشتري والفرض الاول بعيد لبعد هذا الجرم عن منطقة النجيمات . وهو صغير جداً من القدر السادس عشر

نظر الزرقاء

جاء في جريدة نانشران المسيو فنكار الفلكي يرى بعينهِ ١٣ نجماً في الثريا ويرى القمر الثالث من اقمار المشتري من غير نظارة

يوم الزهرة

جاء في الغازت الفلكية انهُ ظهر للمستر هرج من رصد الزهرة حديثاً ان يومها لا يزيد على ٢٣ ساعة و ٢٨ دقيقة

الماء في المريخ

ثبت من البحث السبكتروسكوبي ان الماء موجود في المريخ وهذا الاكتشاف يؤيد ما ذهب اليهِ الاستاذ لول وهو ان المريخ مأهول او فيهِ موجودات حية

النظارة الكبرى

اعدت داركارنجي العلمية المعدات لعمل نظارة فيها مرآة عاكسة قطرها مئة عقدة اي ٨ اقدام انكليزية ونصف قدم وقد سبكت شركة الزجاج في سان جوبن بفرنسا صفيحة الزجاج التي يراد ان تصنع منها هذه المرآة وثقلها اربعة اطنان ونصف طن اي ٩٩ قنطاراً مصرياً

تجميد الهاليوم

الهاليوم عنصر بسيط غازي وهو آخر غاز تعذَّر على العلماء تسييلهُ وقد نجحوا في ذلك الآن ولكنهُ لم يسل بل استحال من الغازية الى الجمودة دفعةً واحدة كانهُ تخطى درجة السيولة · وكانت درجة البرد حينئذٍ ٤٣٤ تحت الصفر بميزان فارنهيت · وهو قشور بيضاء

هبة لمقاومة السل

وهب المستر كارنجي خمسة وعشرين الف جنيه للقائمين بمقاومة مرض السل باسم الدكتور كوخ فصار المال المجموع لذلك اربعين الف جنيه

عيد دارون

ستحتفل جمعية الطبيعيين الاميركية بعيد مئة سنة مرّت منذ ولادة تشارلس دارون العالم الطبيعي المشهور وذلك حين اجتماع مجمع ترقية العلوم الاميركي هذا العام في مدينة بلتيمور

قتلى داء النوم

قال المستر تشرشل في مجلس النواب الانكليزي انهُ مات بداء النوم في بلاد اوغندا مئتا الف نفس في السبع السنوات الاخيرة

الجير في الزراعة

اذا كان في الارض الزراعية حوامض تميت منها المكروبات التي تجيد الزراعة فلا يجود فيها الفول والبرسيم فالجير احسن علاج لها وهو انفع لها من السماد فانهُ يصلح

حموضتها وحينئذٍ تصير الميكروبات النافعة للزراعة تنوخيها وتغذي نباتها بما تدخره من نيتروجين الهواء

ذكاء النحل

ذكر المستر غاستون بونيه في اكادمية العلوم بباريس انهُ كان يبحث في طبائع النحل فوضع لهُ قطعاً من السكر فوقع عليها ولكنهُ لم يستطع ان يمتص منها شيئاً فطار عنها ثم عاد اليها ولكن ليس من الخلية بل من بركة ماء وقع عليها وامتص من مائها وعاد الى قطع السكر وبف عليها الماء الذي امتصهُ حتى ذابت دقائق السكر وسهل عليهِ امتصاصها وثبت لهُ ان النحل الذي عثر على قطع السكر مضى واخبر غيرهُ من النحل بما عثر عليهِ

فيل البحر

اهدى الشريف ولتر روشيلد الى قسم التاريخ الطبيعي في المتحف البريطاني فيلاً وفيلة من افيال البحر وهي من نوع الفقمة ويقال ان هذه الافيال كادت تنقرض من البحر وقلما توجد في المعارض . وهي كبيرة طول الذكر منها عشرون قدماً واما الانثى فصغيرة طولها عشر اقدام والحيوانان اللذان اهداهما روشيلد الآن طول الذكر منهما نحو ١٦ قدماً وطول الانثى ١١ قدماً

الراديوم لشفاء الكلب

ثبت لاثنين من الاطباء الايطاليين ان اشعة الراديوم تميت مكروب الكلب او تبطل فعلهُ وانهُ يمكن ان يعالج الناس الذين عضتهم الكلاب الكلبي باشعة الراديوم فينالوا الشفاء

الخبياري الاميركي

الخبياري بطرخ سمك يوجد في روسيا وقد كثر الطلب عليهِ فقلَّ هذا السمك حتى كاد ينقرض واخذ اهالي اميركا يستخرجون البطرخ من سمك يعيش في بحيراتهم ويمزجونهُ بالخبياري الروسي ويبيعونهُ مثلهُ . ومن المحتمل انهُ لو عولج البطرخ المصري الذي يستخرج من اشانيم دمياط كما يعالج الخبياري الروسي لكان مثلهُ او اجود منهُ

ابقاء الانكليس في الانهر

الانكليس نوع من السمك الطويل يعيش في الانهر ويهاجر منها الى البحر ولا يعود منهُ الى النهر . وقد رأى اهالي الدنمارك ان مهاجرتهُ من انهارهم الى البحر خسارة كبيرة عليهم فاكتشفوا انهم اذا نصبوا على جانب النهر عموداً فيهِ مصباح ساطع النور من الاسيتيلين حتى ينير ماء النهر ليلاً امتنع الانكليس من النزول الى البحر

وهو يرى ان نجاتك يكون موته وبغناك يكون فقره وبقوتك يكون
ضعفه ۝ وقد قال مؤلف الكتاب ۝

لا تحقرن من الضعيف عداوة فالنار تحرق جمرها وشرارها

واحذر مداجاة العدو وكن ان العداوة ليس تخبو نارها

وقال العربي ۝

لله درك ما نظرت بثاير حران لبس عن التراث برا قلب

ايقظته ورقدت عنه ولم ينم خفا عليك وكيف نوم الحاقد

ان تمكن الايام فيك وعلها يوما يكيل لك بالصواع الزايد

وقالت الحكما اياك والثقة بعدوك اذا صالحك واظهر لك
غاية النصيحة فان صلح العدو لا يسكن اليه ولا تغتر به
فان الما لو اسخن فاطيل اسخانه لم يمنعه ذلك من اطفا النار اذا صب
عليها وانما صاحب العدو المصالح كصاحب حية يحملها في كمه ۝
وقالوا اذا احدث لك عدوك صداقة لعلة الجاته الى ذلك

فمع زوال

فبعد زوال تلك العله ترجع العداوه الى ما كانت عليه كالما الذى تطال اسخانه فاذا رفع عن النار عاد باردا ۞ وقالوا ان الاحقاد مخوفه حيث كانت واشدها ما كان فى انفس الملوك فان الملوك يدينون بالانتقام ويرون الطلب بالوتر مكرمه ولا ينبغى للعاقل ان يغتر بسكون الحقد فانما مثله فى القلب ما لم يجد محركا مثل الجمر المكنون ما لم يجد حطبا ولا يزال الحقد يتطلع الى العلل كما تبتغى النار الحطب فاذا وجد علة استعر استعار النار فلا تطفيه ما ولا كلام ولا لين ولا رفق ولا خضوع ولا تضرع ولا شى دون الانفس وقد قيل احزم الملوك من لم يلتمس الامر بالقتال وهو يجد الى غير القتال سبيلا لان النفقه فى القتال من الانفس وساير الاشياء انما النفقه فيها من الاموال والقول ۞ وقالوا اضعف حيل الحرب اللقا وضرعها اللين والمكر اشد استيصالا للعدو من ضرعها المكابره والحازم اذا نابه الامر العظيم المفضع الذى يخاف منه الجايحه المخوفه

ورع فوي ورعيه طابعه ٥ قلت اذكرني قول

الحكيم انما سلطان الملك علي الاجساد دون القلوب امرا شهدته بمصر

في سنه سبع واربعين وخمس مايه وهو ان رسول ملك الحبشه وصل الى الملك العادل ابي الحسن علي بن السلار رضي الله عنه فساله ان

يامر البطرك بمصر ان يعزل بطرك الحبشه وملك البلاد كلها مردود الى نظر بطرك مصر فامر الملك العادل باحضار البطرك فحضر وانا عنده

فرايت شيخا نحيفا مصفرا فادناه حتي وقف عند باب المجلس فسلم ثم انحرف فجلس علي دكه في الدار وانفذ اليه يقول له ملك الحبشه قد

شكا من البطرك الذي يتولي بلاده وسالني في التقدم اليك بعزله

فقال يا مولاي ما وليته حتي اختبرته ورايته يصلح للناموس الذي هو فيه

وما ظهر لي من امره ما يوجب عزله ولا يسعني في ديني ان اعمل فيه بغير

الواجب ولا يجوز لي ان اعزله فاغتاظ الملك العادل رحمه الله من فوله

وامر باعتقاله فاعتقل يومين ثم انفذ اليه وانا حاضر يقول له لا بد من

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثالث والثلاثين

٢٧٣ الثورات الثلاث

٢٧٩ كيف تولدت الطيور

٢٨١ الاطيان والضرائب بالقطر المصري . لجرجس بك حنين

٢٨٩ اسباب الاحتلال البريطاني

٢٩٥ القطر المصري

٢٩٦ تحول المعدن واصطناع الذهب

٣٠١ حقيقة المادة ووحدة الخلق

٣٠٣ مادة الكاتب . لسليم افندي خوري بقلم سكرتير مالي السودان

٣٠٨ السياسة من لباب الآداب

٣١٣ ما هي اللغة

٣١٨ العامية والفصيحة

٣٢٠ الشفاء بالايمان

٣٢٤ نوادر شعراء العرب

٣٢٩ ماذا نأكل وماذا نشرب

---

٣٣٣ باب تدبير المنزل * الشفقة والحصبة . فلورنس نيتنغايل . آداب المائدة وقت العشاء . كريما الموز . ضرر السهر

٣٣٨ باب المراسلة والمناظرة * وداع الشتاء واستقبال الربيع . علاء الشرق

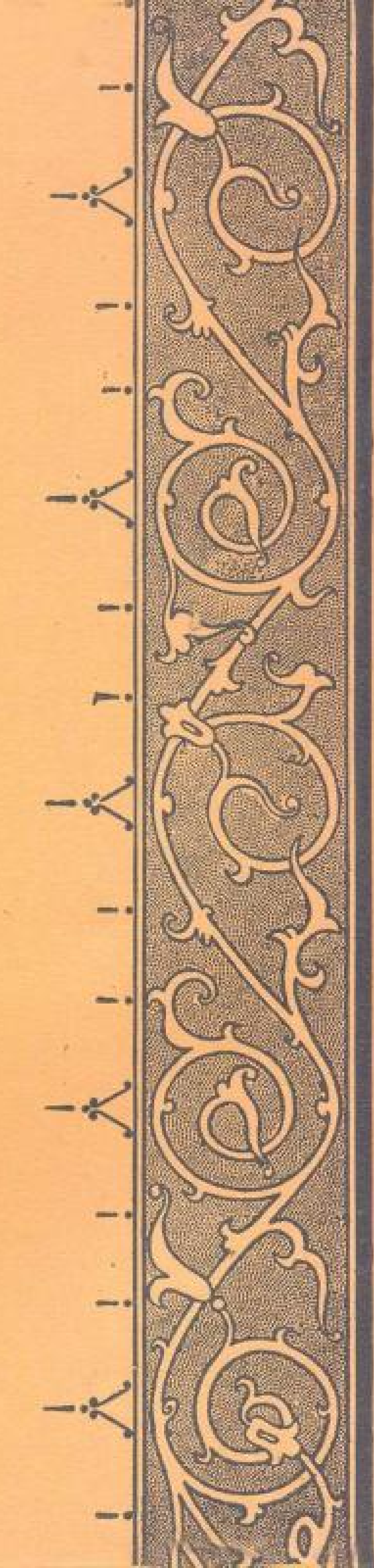
٣٤٠ باب الرياضيات * الغريبة الجبرية . تحقيق العرب لطول السنة

٣٤٤ باب الزراعة * النيتروبكتيرين . الحجر الابيض وموسم القطن

٣٥٠ باب المسائل * عدد حروف الهجاء . حركات الحروف . تجنيد المسيحيين . المندل . تهذيب الاخلاق . النيتروبكتيرين . صدق الاحلام . التسوّل . بكاء الطفل . مذاق حواء . مزدكية امرئ القيس . الدوطة والبائنة

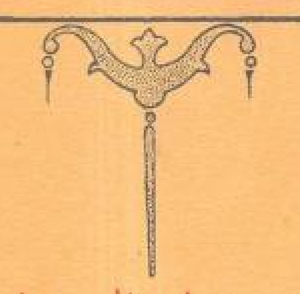
٣٥٥ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٩ نبذة

رواية فتاة الفيوم ملحقة بالمقتطف





المقتطف



مستقبل العمران

الحب : لادلر

العلم : لهكسلي

التعليم : لولز

الاسرة : لرسل

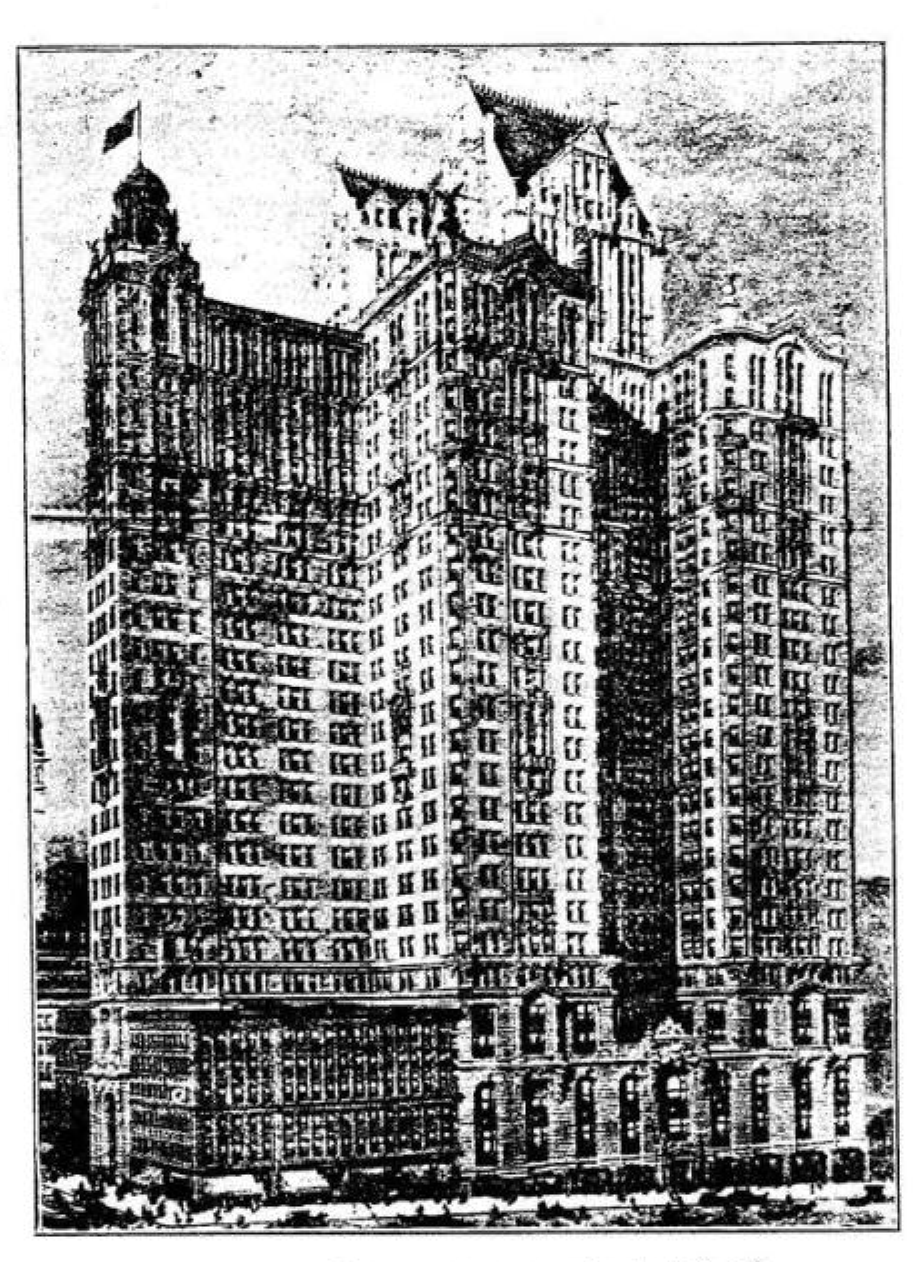
الاقتصاد : لتشايس

رجال الشهر

غازوورذي ، غاندي ، سايس ، صديق بك

الازمة الاقتصادية

واشتباك المصالح الدولية



اكبر وكالة في الدنيا ارتفاعها ٤٨٠ قدماً وفيها ٣٣ طبقة
وهي وكالة شركة تثمير الاموال بمدينة نيويورك

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثالث والثلاثين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٣٠ ربيع اول سنة ١٣٢٦

الصروح الشاهقة

لا سبيل لنا للاستدلال على الزمن الذي ابتدأ الناس يبنون فيهِ بيوتهم · فقد اقاموا اولاً بين اغصان الاشجار هرباً من الوحوش الضواري التي امتلأَت بها الارض في العصور الغابرة كما يستدلُّ من شكل اياديهم ومن بديهياتهم الحسابية حتى اقدامهم مع ما اصابها من التغير بواسطة المشي مدة قرون كثيرة لا تزال تميل الى التمسك بالعيدان كما ترى اذا لمست قدم طفل بعصاً دليلاً على انها كانت تستعمل للاعتراش قبل المشي

ثم سكن الناس الكهوف الطبيعيَّة كما يظهر من آثارهم الباقية فيها · لكن الكهوف لا توجد الا في البلدان الجبليَّة الصخرية فالذين اضطروا الى سكن السهول الواسعة حيث لا اشجار ولا كهوف صنعوا الخيام وسكنوها او حفروا اوجاراً في الارض وشادوا جدرانها بالطين او صنعوا اللبن وبنوا بهِ اكواخاً شبيهة بالكهوف

ولا ندري كم مرَّ من السنين والقرون قبلما اتَّصل الناس الى قطع الحجارة ونحتها وبناء الابنية الكبيرة بها ولكننا نعلم انهم فعلوا ذلك في هذا القطر منذ اكثر من ستة آلاف سنة والاهرام اكبر شاهد عليهِ وهي تدلُّ على انهم لما بنوها كانوا قد بلغوا درجة سامية من اتقان قطع الصخور وجر الاثقال ورفعها والصاق الحجارة بطين مجبول من الجير (الكلس) والرمل يجمد مع الزمن ويصير كالصخر الاصم متانةً · وكانوا قد برعوا في رسم الاشكال الهندسيَّة وتحقيق الجهات وضبط الزوايا ونحت المرمر وصقلهِ ومعرفة سير بعض الكواكب ونحو ذلك مما يعجز عنهُ ابناء هذا القطر الآن . اي ان عمران مصر من حيث المهارة في البناء والهندسة كان منذ ستة آلاف سنة ارقى من عمرانها الحاضر اذا قصرنا النظر على اهلها وعلى كل الشرقيين المقيمين فيها

اما الزمن الذي مرَّ من حين كان الانسان يسكن الاشجار والكهوف الى ان صار يبني الاهرام فلا يعلم مقدارهُ الَّا الله ولا يكفي لتقديرهِ الالوف من السنين لانهُ يقدر بالملايين اذا كانت نواميس الطبيعة قد جرت في الزمن الماضي كما هي جارية الآن

ولم يكتفِ الذين بنوا الاهرام باحكام هندستها وبنائها بل بلغوا في اعلائها حدًّا لم يصل اليهِ ابناء هذا العصر حتى من الاوربيين والاميركيين الَّا في اواخر القرن الماضي ولم يفوقوهُ الَّا في هذا القرن . لكنهم ان كانوا قد قصَّروا عن الاقدمين من حيث ارتفاعُ البناء وضخامتهُ ومتانتهُ فقد فاقوهم جدًّا من حيث استخدام اقل ما يكون من المواد لاكثر ما يكون من الايواء اي من حيث الاقتصاد الفني في علم البناء

اليكَ عن الاهرام والهياكل فقد يقال ان الغرَض منها اظهار العظمة والمهابة لا ايواء الناس ولا جمع التجار فلا عجب اذا كانت سميكة الجدران كالقلاع المشيدة . ولكن ما قولك في بيوت السكن فبيت رعمسيس في مدينة هبو امام الكرنك غرف صغيرة وجدران ضخمة جدًّا كانها مبنية لتشاد عليها قلعة من القلاع . وكل ما بنوهُ من الحجر لم يحفظوا فيهِ النسبة بين السعة وما يلزم لها من المتانة اي لم يكن للاقتصاد شأن كبير عندهم وهذا اكبر فارق بين مبانيهم الشاهقة ومباني هذه الايام

لم نكن نرى في هذه العاصمة منذ عشرين عامًا بناء يزيد على اربع طبقات واكثر الابنية كان من طبقتين او ثلاث . ثم اجترأ البنَّاؤون في العامين الاخيرين على بناء خمس طبقات واوصلوها اخيرًا الى ست طبقات وهي غاية ما وصلوا اليهِ حتى الآن . وقد يظن لاول وهلة ان ارض العاصمة لا تحتمل ارتفاعًا في البناء اكثر من ذلك لان لا صخر فيها وهذا خطأ لأن مآذن الجوامع تبلغ في ارتفاعها اربعين مترًا او خمسين او اكثر فاذا كان ارتفاع الطبقة اربعة امتار كما هو الشائع الآن امكن ان يجعل منها عشر طبقات او اكثر في البناء الواحد ولذلك لا يستبعد ان تبنى في الاسمعيلية مبانٍ فيها عشر طبقات وارتفاعها اكثر من اربعين مترًا

ولم يهتم اهالي اوربا حتى الآن برفع مبانيهم الى اكثر من ست طبقات الَّا في ابراج الكنائس والمباني العمومية . اما اهالي اميركا ففاقوا هذا الحد وبعدوا عنهُ بعدًا شاسعًا فاهالي شيكاغو بنوا "وكالاتٍ" كبيرة في الوكالة منها عشرون طبقة او خمس وعشرون كما ترى في الشكل المقابل وهو صورة بناء من ابنيتهم التي بنيت منذ بضع عشرة سنة . واهالي نيويورك فاقوا هذا الحد حدًّا فمنذ ثلاثين سنة كانت مبانيهم العالية لا تزيد على ست طبقات

الى ثمانٍ وكانت كلها مبنيَّة بالحجر والقرميد (الطوب الاحمر) ثم جعلوا يبنونها بالحديد والسمنت اي يجعلون الزوايا والعضائد من الحديد الصلب (الفولاذ) ويمدون قضبان الحديد بينها و يشيدون الجدران بالسمنت فاستطاعوا بعد عشر سنوات ان يبلغوا في اعلائها ١٦



طبقةً لا رغبة في التباهي باعلاء المباني بل اضطراراً من باب الاقتصاد وطلب الربح وتسهيل الاعمال لاتساع حركة التجارة واضطرار اصحاب المتاجر الواسعة والمعامل الكبيرة الى ان يكونوا في بقعة واحدة قريباً بعضهم من بعض على قدر الامكان

وكان الناس اولاً يفضلون الطبقات السفلى لسهولة الصعود اليها فلما أُتقنت الروافع الكهربائية وجُعل منها العدد الكافي في البناء الواحد حتى يسهل على كل المقيمين فيه ان

يصعدوا اليهِ وينزلوا منهُ في دقائق قليلة وان يصلوا الى اعلى طبقة منهُ في دقيقة او دقيقتين من الزمان صاروا يفضلون الطبقات العليا على السفلى لكثرة نورها وطلاقة هوائها

ثم فاقت المباني الحديثة هذا الحد وخطت فوقهُ خطوة الجبارين فبلغت طبقاتها ثلاثاً وثلاثين طبقة في بناء شركة تثمير الاموال (ستي انفستمنت) الذي رسمناهُ في صدر هذه المقالة فان هذه الوكالة العظيمة مبنيَّة بالحجر الجيري الى آخر الطبقة السادسة والبناء فوقها بالقرميد والخزف المدهون وبراويزهُ من النحاس . والناظر اليها يظنها اكبر من شبرد او الكنتيننتال من فنادق القاهرة ولكنها ليست كذلك من حيث مساحة ارضها لانها لا تزيد على ١٣٠٠ متر مربع ومع ذلك فيها من الغرف ما مساحة ارضهِ نحو اربعين الف متر مربع . وارتفاع اعلى قببها ٤٨٠ قدماً او ١٤٤ متراً وفي اخفض اقسامها ٣٦ طبقة ارتفاعها ٣٧٠ قدماً او ١١١ متراً وترى امامها بناء عادياً فيهِ ست طبقات الدكاكين في الطبقة السفلى منهُ وفوقها خمس طبقات وهو يظهر امام الوكالة العالية كالطفل الصغير امام الجبار الكبير

وقد بني الآن بجانب هذا الجبار برج شاهق لشركة سنجر ارتفاعهُ عن سطح الارض ٦١٢ قدماً او نحو ١٨٦ متراً وهو ٤٧ طبقة مملوءة بالمكاتب اي انهُ ليس برجاً كابراج الكنائس والمباني العمومية بل هو وكالة كبيرة في كل طبقة من طبقاتها غرف كثيرة . واعلى من هذا البرج برج بناء شركة ضمانة الحياة المعروفة بالمتروبوليتان فان ارتفاعهُ ٦٥٨ قدماً او ٢٠٠ متر وهو ايضاً وكالة كبيرة كل طبقة منها دور كثير الغرف فهو يفوق اهرام مصر في ارتفاعهِ وكلَّ بناء بناهُ الناس حتى الآن ما عدا برج ايفل فان ارتفاع الهرم الاكبر من اهرام مصر كان ٤٨١ قدماً قبلما قطع رأسهُ

وقد فعل الاميركيون في مدينة نيويورك ما فعلهُ الناس في القاهرة هدموا المباني القديمة ولو كانت فاخرة وبنوا مكانها هذه المباني العالية اقتصاداً في الارض لغلائها وتقريباً لاصحاب المتاجر والاعمال بعضهم من بعض وساعدهم على اعلاء المباني اعتمادهم على الحديد والسمنت في بنائها واتقانهم للروافع المائية والكهربائية فقد وجدوا انهُ يدخل بعض هذه المباني بين الساعة التاسعة والحادية عشرة صباحاً عشرة آلاف نفس اي يدخلها في الدقيقة من الزمان اكثر من ٨٠ نفساً فلا يتيسر لهم ذلك من غير ازدحام الاَّ اذا كان فيها روافع كثيرة ولا تصلح الرافعة الواحدة لكل الطبقات اذا كان في الوكالة ثلاثون طبقةً او اربعون لانها توجب على سكان الطبقة العليا ان يقفوا ثلاثين مرة او اربعين قبل ان يصلوا الى طبقتهم واذا كان في الوكالة ٣٢ طبقة كما في اكثر الوكالات الكبيرة بنيويورك جُعل فيهما ٢٢ رافعةً

او اكثر حتى يصل كل انسان الى طبقتهِ باسرع ما يمكن · واذا حدث ما يستدعي خروج الناس كلهم من الوكالة فالروافع تخرجهم كلهم باسرع ما يمكن من الوقت على قدر ما تحتمل الشوارع مرورهم فيها

وهذه الوكالات كلها غير قابلة الاحتراق لان ليس في بنائها شيءٌ من الخشب بل كل ما فيها حجر واجر وحديد وسمنت حتى ابوابها وشبابيكها ليست من الخشب بل من الحديد ولو كانت مدهونة بدهان يشبه الخشب فهي مأمونة من النار · ويقال انها مأمونة ايضاً من الزلازل والزوابع ولكنها تحجب نور الشمس عن الشوارع ولعلها بلغت الحد الذي يقف عندهُ الانسان

الذهب في العالم

كثر كلام الناس في هذه الايام على مقدار الذهب المستخرج من مناجم العالم ونسبة ما استخرج منهُ في العام الماضي الى ما استخرج في السنوات السابقة فرأينا ان نورد شيئاً في هذا الموضوع لعلَّ منهُ فائدة للقراء

زاد مجموع ما استخرج من الذهب في السنة الماضية زيادة قليلة عما كان عليهِ في السنة التي قبلها · والسبب في ذلك المناجم الافريقية وخصوصاً مناجم الرند في الترنسفال لان مناجم استراليا والولايات المتحدة وروسيا وكندا وغيرها انتجت اقل مما انتجتهُ سنة ١٩٠٦ فنقص ما استخرج منها ٧٢٠٩٦٥ اوقية عما كان تلك السنة ولكن ما استخرج من مناجم الرند زاد ٩٥٥١٥١ اوقية فزاد بذلك مجموع الذهب المستخرج ٢١٤١٨٦ اوقية عن مثلهِ سنة ١٩٠٦

و يظهر من الجدول الآتي مقدار الذهب الذي استخرج في السنين الاثنتي عشرة الماضية مع بيان قيمتهِ بالجنيهات الانكليزيَّة

سنة	اوقية	جنيهات انكليزية
١٨٩٥	٠٩٦٥٢٠٠٣	٤٠٩٩٩٧٧٨
١٨٩٦	٠٩٨٣٠٠٧٥	٤١٧٠٣٧١٥
١٨٩٧	١١٤٨٣٧١٢	٤٨٧٨ ٥١١
١٨٩١	١٤٠١٦٣٧٤	٥٩٥٣٨٦٥٢
١٨٩٩	١٥٢٢٠٢٦٣	٦٤٦٥٢٦٦٣

١٩٠٠	١٢٦٨٤٩٥٨	٥٣٨٨٣١٦٤
١٩٠١	١٢٨٩٤٨٥٦	٥٤٧٧٤٧٦٩
١٩٠٢	١٤٤٣٧٦٦٩	٦٠٣٢٨٣٣٠
١٩٠٣	١٥٧٧٨٠١٦	٦٧٠٢١٨٥٦
١٩٠٤	١٦٧٣٩٤٤٨	٧١١٠٥٨٢٧
١٩٠٥	١٨٢٩٠٥٦٧	٧٧٦٩٤٦٧٠
١٩٠٦	١٩٣٧٠٦٥٣	٨٢٢٨٢٦٨١
١٩٠٧	١٩٥٨٤٨١٤	٨٣١٩٢٥٠٠

وقد زاد استخراج الذهب زيادة عظيمة منذ سنة ١٨٨٣ واستمرت زيادتهُ نحو ربع قرن ولم تقلَّ الأَّ مدة حرب الانكليز والبوير . وقد بلغ ما استخرج من مناجم الرند في السنة الماضية ٦٢٢٠٢٢٧ اوقية وما استخرج منها ومن باقي مناجم افريقية نحو ٧٥٣٦٨٣٦ اوقية قيمتها ٣٢٠١٤٥٢٨ جنيهاً انكليزياً فيكون ما انتجتهُ القارة الافريقية ٤٠ في المئة من مجموع ما جادت بهِ مناجم العالم كلهِ

ويقدَّر انهُ استخرج ٤٣٣٥١٨٣ اوقية من الذهب من الولايات المتحدة سنة ١٩٠٧ فنقص ٢٣٠١٥٠ اوقية عن السنة السابقة

وكذلك شمل النقص استراليا وكانت كمية ما يخرج من مناجمها قد اخذت في الانحطاط سنة ١٩٠٦ فتوالى هبوطها ايضاً في السنة التالية فكانت ١٧٩٤٥٤٢ اوقية في الاولى فنقصت حتى بلغت ١٦٩٧٥٩ اوقية في الثانية

وما يقال عن الولايات المتحدة واستراليا يقال ايضاً عن كندا فان مناجمها انتجت ٤٠٨٧٢١ اوقية سنة ١٩٠٧ اي ١٧٢٩٣٩ اوقية اقل من السنة التي قبلها . وقد كان اكبر مقدار اخرجتهُ تلك المناجم في سنة ١٩٠٠ فبلغ ما استخرج من مقاطعة يوكون ١٣٥٠٤٧٥ اوقية مقابل ١٣٦٢٧٤ اوقية فقط سنة ١٨٩٦ . ونقص ايضاً مقدار الذهب المستخرج من روسيا والهند نقصاً قليلاً واما المكسيك فتقدمت من هذا القبيل وبلغ ما استخرج منها ٩٢٥٠٠٠ اوقية وكذلك اميركا الجنوبية فان الخارج من مناجمها زاد من ٥٠٠ الف الى ٦٠٠ الف اوقية

والجدول الآتي يتضمن بيان مقدار الذهب الذي استخرج في السنوات الثلاث الاخيرة من اهم البلدان التي توجد مناجمهُ فيها

	١٩٠٥	١٩٠٦	١٩٠٧
افريقيا	٥٤٩٤٤٧٣	٦٦٠١٦٨٥	٧٥٣٦٨٣٦
استراليا	٤٢٣٢٠٩١	٢٩٦٤٦٣٠	٣٦١٩١٠٤
الولايات المتحدة	٤٢٦٥٧٤٢	٤٦٤٨٩١٣	٤٣٣٥١٨٣
روسيا	١٠٧٨٣٥٦	٠٩٤٣٠٥٦	٩٠٠٠٠٠

وقد جاء في احد الاحصاءات الاخيرة انهُ استخرج من الذهب في العالم من سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٩٠٧ ما قيمتهُ ١٠٥٨٩٨١٠٠٠ جنيه انكليزي

وقدرت قيمة ما كان في البنوك الكبيرة من الذهب في بلدان مختلفة في شهر دسمبر من سنتي ١٩٠٦ و ١٩٠٧ فكان كما يأتي وهو بالجنيهات الانكليزية

	دسمبر ١٩٠٧	دسمبر ١٩٠٦
انكلترا	٠٣٢٥٤٤٠٠٠	٠٣٠٢٨٣٠٠٠
فرنسا	١٠٧ ٤٧٠٠٠	١٠٦٥٩٣ ٠٠
المانيا	٠٢٤٨٧٧٠٠٠	٠٢٤٠٦٩٠٠٠
روسيا	١١٨٣١٠٠٠٠	١١٧٥٨٠٠٠٠
النمسا والمجر	٠٤٥٨٣٧٠٠٠	٠٤٦٦٠٩٠٠٠
اسبانيا	٠١٥٦٥٤٠٠٠	٠١٥٤١٤٠٠٠
ايطاليا	٠٣٦٤٥٧٠٠٠	٠٣٢٠٣٣٠٠٠
هولندا	٠٠٧٦٤٩٠٠٠	٠٠٥٥٣٧٠٠٠
البلجيك	٠ ٣٥٣٥٠٠٠	٠٠٣٣٥١٠٠٠
اسوج	٠٠٣٩٠٦٠٠٠	٠٠٣٩٤٧٠٠٠
سويسرا	٠٠٣٠١٩٠٠٠	٠١١٠٠٠٠٠
نروج	٠٠١٧٠٢٠٠٠	٠٠١٦٠٠٠٠٠
نيو يورك	٠٣٨٤٢٤٠٠٠	٠٣٤٥٩ ٠٠٠
	٤٣٨٨٥٨٠٠٠	٤٢٤٧٦٥٠٠٠

فيرى القارئ ان المخزون في هذه البنوك زاد ١٤٠٩٣٠٠٠ جنيه انكليزي في السنة الماضية

وقد بلغت قيمة الذهب المرسل من مناجم جنوبي افريقية الى البلاد الانكليزية من غرة فبراير الى آخر مارس ٥١٦٤٦٩١ جنيهاً كما ترى في هذا الجدول

١	فبراير	٣٩١٧١٧	جنيهاً
٨	"	٥٧٧٣٤١	"
١٥	"	٤٣١٧٥٤	"
٢٢	"	٥٥٣٩٤٩	"
٢٩	"	٨٢١٥٠٨	جنيهات
٧	مارس	٤٣٨٣٠٣	جنيهاً
١٤	"	٥٢١٣٩٣	"
٢١	"	٤٦٠٥٧٠	"
٢٨	"	٩٦٨١٥٦	"
		٥١٦٤٦٩١	

ثم وصل في ٤ ابريل ما قيمتهُ ٣٨٣٥٨٣ جنيهاً وبعد اسبوع ما قيمتهُ ١٠٥٠٠٨٢ جنيهاً والجملة نحو ستة ملايين وستمائة الف جنيه ولا يبعد ان يبلغ كل ما ارسل هذا العام الى آخر ابريل نحو ١٢ مليوناً من الجنيهات وكل ما يرسل في السنة كلها الى آخرها ٣٦ مليوناً من الجنيهات

ويرسل الذهب من مناجم جنوب افريقية الى مدينة الراس سبائك ومنها يشحن الى لندن حيث يستلمهُ وكلاء المناجم و يبيعونهُ لمن يدفع لهم اعلى ثمن فيهِ . ومعظم ما يعرض منهُ للبيع يشتريهِ بنك انكلترا وقوانين ذلك البنك تقضي عليهِ بان يشتري كل ما يُعرض عليهِ من الذهب بسعر معين فاذا عرض عليهِ اصحاب الذهب ما لديهم منهُ اضطر ان يشتريهُ منهم مهما كان المقدار الذي يعرضونهُ عليهِ ويحق لكل واحد ان يأْخذ الذهب الى محل ضرب النقود التابع للحكومة ويطلب ضربهُ جنيهات . غير ان الافراد او الشركات الخصوصية قلما تفعل ذلك لما يعترضها من التأْخير فلا يكاد الذهب يرد على معمل ضرب النقود الاَّ من بنك انكلترا وحدهُ فهو يرسلهُ اليهِ ليصكهُ جنيهات . ويقال بوجه الاجمال انهُ لا يمضي ثلاثة اسابيع او اربعة من وصول الذهب الى انكلترا حتى يصك جنيهات ويتداولهُ الناس

سليم مكاريوس

الاطيان والضرائب بالقطر المصري

(تابع ما قبله)

القسم الثاني — الضرائب

الضرائب نوعان (١) عقارية وهي المقررة على العقارات (٢) غير عقارية وهي المقررة على المصانع والمتاجر وغيرها . وكانت الضرائب الى عهد قريب كثيرة جدًا ولكن الحكومة ابطلت الكثير منها رحمة بالناس فما ابطلتهُ ضريبة كانت تؤخذ سنويًا عن العدد الخاصة بارباب الحرف والصنائع كافة من اقل حرفة وهي باعة الفول النابت لأعظم تاجر يشمل ذلك . البقالين . والزياتين . والحريرية . ودقاقي البن . ومطهري المراحيض المعروفين بالسرباتية . وصانعي الصرم. والقهوجية . والقمصانجية . والحماجية . والصباغين . والخلاقين . والقبانية . والعطارين . والكبابجية . والنقلية . والخضرية . واصحاب مسامط الكوارع . والدخاخنية . وباعة الكنافة والفطير. وغلايي اللبن . والطرشجية . والطباخين . والشماعين . والجزارين . والفكهانية . والخردجية . والصيارف . ودشاشي العدس . والفخرانية . والخبازين . وباعة البوظة . والغندقجية . والخياطين . والبياطرة . والحلوانية . والمقادين . والشبوكجية . والكتبية . والصياغ . وباعة الاسلحة . والعرضحالجية . والسروجية . وبالاجمال كل ذي عدة او حانوت يشتغل للارتزاق منها جالسًا كان او سارحًا متجولاً . وعدا ذلك كانت تؤخذ منهم ضريبة اخرى تعرف بالويركو او الفردة وضريبة معامل الدجاج وضريبة معاصر الزيت . وضريبة السريات . وضريبة دواب الركوب وجر الاثقال . وضريبة الغنم . وضريبة المعيز . وضريبة الاملاك ذات الايراد في جميع القرى . وضريبة شخصية على طبقات مخصوصة من الناس . وضريبة رخص القبانية والصيارف . وضريبة الملح . وضريبة الباطنطة . وضريبة العونة . هذه الضرائب كلها ابطلتها الحكومة فضلاً عن الغاء عوائد الدخولية وعوائد السفن المعروفة بمال الرسالة وغير ذلك مما عاصرنا تحصيلهُ ودفعنا ما يخلص بنا منهُ في اثناء الثلاثين سنة الماضية . ولم يبقَ من الضرائب غير العقارية الاَّ ما لا بد من تحصيله كرسوم الجمارك والتزامات المعادي في بعض الجهات ورسوم قوارب صيد السمك في بركة قارون بالفيوم وفي بحيرة المنزلة . ورسوم دمغة المصوغات والموازين والمكاييل والمقاييس

اما الضرائب العقارية فهي الآن ثلاثة انواع (١) ضرائب الاطيان (٢) ضرائب

النخل (٣) ضريبة المباني بالمدن. ويدخل في النوع الاول ضرائب الواحات وسيوه وبقية من العوائد التي كانت تؤخذ من جميع الارض المنتفعة بالري من الترعة الابراهيمية. ويشابه النوع الثالث ضريبة تؤخذ على طواحين الغلال الدائرة على هدارات الماء باقليم الفيوم فقط.

فضرائب النخل بقيمة قرشين ونصف قرش فيما عدا الواحات وقبلي اصوان فانها هناك ستون فضة على كل نخلة مثمرة او من شأنها الثمر او الطلع ويعفى من ذلك النخل المفروس في حيشان المقابر واماكن العبادة والمغروس في داخل حدود المدن المقرر اخذ عوائد فيها على المباني. وتحصل هذه العوائد في مواسم التمر. وضريبة المباني وهي بقيمة جزء من اثني عشر جزءا من الايجار او ٨½ في المائة وهي تؤخذ في المدن عواصم المديريات والمراكز ومدن اخرى شهيرة غيرها وتؤخذ على المباني الداخلة في نطاق تحدد للمدينة بامر عالٍ ويعفى منها جميع المباني التي اجرتها السنوية لا تزيد عن خمسة جنيهات مصرية ومحلات العبادة ودور القونصلاتات التي تملكها الدول ذاتها والمعاهد الخيرية وتحصل هذه العوائد اربعة اجزاء واحد منها في اول كل ثلاثة اشهر

وقد اعفت الحكومة على وجه الاطلاق اهل العريش والقصير من جميع الضرائب العقارية لكونهم من فقراء عرب البادية ولا يكادون ينالون ما يسدون بهِ رمقهم

اما ضرائب الاطيان فهي قيمة معينة من المال مفروضة سنويًا على مساحة معينة من الارض ويختلف تقدير هذه المساحة باختلاف البلاد وهي في مصر مفروضة على الفدان. وهذه الضريبة واجبة بالذمة حتماً لمجرد الانتفاع بعين العقار لا بالخراج او الناتج منهُ ولا تتكرر في السنة الواحدة ولو تكرر زرع الارض فيها. ومن ابتداء ١١ سبتمبر سنة ١٨٧٥ قررت الحكومة اعتبار الضرائب مستحقة على حساب السنين الميلادية التي اولها يناير وآخرها دسمبر. وتختلف قيمة الضريبة باختلاف وظيفة الارض وفائدتها فالارض التي تزرع قطناً مثلاً تؤدي من الضريبة اكثر من الارض التي لا تزرع الاَّ اصناف حبوب. ولا يوجد دليل ثابت على قاعدة وضع الضرائب في مصر قبل زمن محمد علي غير ما جاء في الرواية التاريخية عن القحط الذي ألمَّ بالبلاد في ايام سيدنا يوسف. ولما تجرد المصريون من جميع اموالهم ولم يبقَ لديهم سوى الاطيان اضطروا ان يقدموها الى يوسف ليعطيهم بدلاً منها ما كانوا في اشد الحاجة اليهِ من القوت فقبلها منهم واعطاهم كل ما كانوا يحتاجونهُ من القوت ومن البذار واجاز لهم استمرار وضع ايديهم على الارض على شرط ان يؤدوا خمس غلاتها الى الحكومة ما عدا اراضي ائمة الدين

ويظهر ان تقدير الضرائب في الازمنة الماضية لم يُبنَ على نظام مالي بل كان معلقاً على مشيئة المتسلطين ففي اول الفتح الاسلامي كانت تؤخذ بصفة جزية بقيمة دينارين على كل ذكر من عمر اثنتي عشرة سنة الى عمر ستين وكانت هذه الجزية توزع على البلاد بقدر ما تقوى على القيام بدفعه على نسبة ما فيها من الارض العامرة وارباب الصنائع والاجراء. وفي ايام الفواطم كانوا يأخذون ثلاثة ارادب خفضت في سنة ١١٧٦ الى اردبين ونصف على كل فدان من القمح الذي ينتج من الغلة عشرة ارادب اي بنسبة الربع او ٢٥ في المائة من اصل المحصول وكانوا يأخذون بين ثلاثة دنانير وخمسة دنانير من الكتان والعنب. وفي ايام السلطان سليم الفاتح لم يزد مجموع الضرائب في مصر عن ستمائة الف قرش. ثم فرضوا على كل فدان ضريبة لا تنقص عن اربعين فضة ولا تزيد عن اربعمائة فضة. وبعد ذلك قدروا الضرائب على الفدان بالمشط وهي قطعة من الفضة كانت ضربت في سنة ١١٤٧ وامرت فاطمة خاتون بنت مصطفى كتخدا بان ينقش عليها رسم مشط وقدرت قيمتها بتسعين فضة ثم سميت ريالاً فكان يدفع على الفدان في كل جهة ما تقرر عليه من الامشاط. ودامت الضرائب غير مستقرة على قرار وبالاخص في زمان الملتزمين وزيد عليها من وقت لآخر كثير من البدع والاضافات حتى كانت تدفع عدة ضرائب مختلفة عن اطيان من نوع واحد في حوض واحد وبالعكس تدفع ضريبة واحدة على اطيان مختلفة في كل اعتباراتها. وفي اوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر جدت الضريبة التي سميت عشورية وكان قد بدئ بها على اصل وضعها الشرعي وهو اداء العشر من كل محصول ينتج من الارض ولو تكررت المحاصيل في سنة واحدة ولكن الحكومة حينئذٍ عجزت عن مقاومة الصعوبات التي كان ارباب الاطيان يقيمونها فبدلت هذه الطريقة بتقدير قيمة معينة من المال على كل فدان باسم ضريبة عشورية وكانت الضريبة العشورية اقل بكثير من قيمة الضريبة الخراجية مع ان الاطيان العشورية كانت احسن بكثير من الاطيان الخراجية لانها كانت بايدي اصحاب الثروة الطائلة والجاه العريض الذين حفروا لها الترع العظيمة وجلبوا لها الماء الكافي وشقوا لها المصارف المفيدة وتابعت الحكومة وضع الضريبة العشورية على كل ارض جديدة اعطيت منها للافراد بالبيع او بغير ذلك فكثرت الاراضي التي تؤدي الضريبة العشورية وتهافت الناس على اقتنائها وتحولت اراضي كثيرة خراجية الى عشورية فزالت المساواة وانعصر الضعيف وانسحق المسكين وترك كثير من الناس اطيانهم الخراجية للحكومة فباعتها بصفة عشورية وعم العسر وهاجر الكثيرون من الفلاحين اوطانهم وهم الذين يعرفون باسم

المستحبين لان القوة والمال حلتا محل العدالة والانصاف وشعرت الحكومة بما يتهدد ميزانية الايرادات من النقص ان دام الحال كذلك فابطلت قطعياً وضع شيء جديد من الضريبة العشورية من ابتداء سنة ١٨٨٠ واخذت في تدبير وسائط المساواة ولكنها كانت غير مدركة بغير عمل مساحة عمومية (فك زمام) تقسم فيه اطيان كل بلد الى اجزاء تكون اطيان كل جزء منها متماثلة متشابهة في المعدن وفي الري والصرف والمواصلات لتوضع عليها ضريبة واحدة بقيمة ما تساويه بحسب حالتها ليتساوى في ادائها القوي مع الضعيف والغني والفقير بلا ادنى فرق . وشرعت فعلاً في عمل المساحة العمومية وشكلت لذلك ديوان التاريع وبعد ان مارس العمل زمناً طويلاً صادفته جملة صعوبات في جملتها الخلط في المبادىء الرئيسية بين الاكتفاء بقيد النتائج الحقيقية بحسب المشاهدات الواقعية في وضع اليد وهو الغرض الاصلي لتكليف كل واضع يد باداء الضرائب عما يوجد تحت يده من الاطيان . وبين التعرض لاثبات او نفي الملكية وهو ما لم يرد التداخل فيه اصليًا . ثم صادف ذلك استعار نيران الثورة العسكرية في سنة ١٨٨٢ فاوقف العمل ثم صرف النظر عنهُ بالكلية . وفي سنة ١٨٩٢ عادت الحكومة لعمل مساحة فك الزمام العمومية على نظام مالي محض تجتنب فيه كل الصعوبات التي دل الاختبار عليها في ما مضى وكانت المشاكل المالية كادت ان تنتهي واصبح تقدير ميزانية ايرادات ومصروفات الحكومة مبنيًا على ارقام صحيحة وحان الوقت لتخفيف ويلات الفلاحين فأخذت بالتدريج في تنقيص ضرائب الاطيان وابتدأت في ذلك بالتجاوز عن جميع متأخرات الضرائب لغاية سنة ١٨٧٩ وكانت نحو العشرين مليونًا من الجنيهات المصرية . ثم انقصت ٢٤٥٠٠٠ جنيه سنويًا من ضرائب اطيان مديريات الجيزة وقنا واصوان وجرجا . وابطلت ضريبة العونة وهي التي كانت فرضت على الاطيان بدل نفقات الاعمال التي كانت تعمل بانفار العونة . وخفضت ضرائب جملة اطيان بقيمة تسعين الف جنيه في مديريات اسيوط والمنيا وبني سويف والفيوم . وابطلت معظم الضريبة التي كانت تحصل باسم مصاريف ابراهيمية على الاطيان المستمدة ريها من الترعة الابراهيمية . وخفضت ضرائب بلاد الواحات وسيوه ورفعت ٢١٦٠٠٠ جنيه سنويًا عن الاطيان التي كانت ضريبتها تزيد عن ثلث قيمة ايجارها

ولما اوشكت اعمال فك الزمام ان تنتهي بمديرية الشرقية والبحيرة بحيث يتيسر لها الشروع في تعديل الضرائب على قاعدة العدالة والمساواة اوفدت المالية تحت رئاسة جناب السير وليم ويلكوكس لجانًا مؤلفة من اشخاص من المتوفرة فيهم شرايط الخبرة والكفاءة

فطافوا بلاد القطر من اقصى اقاصيها لادنى ادانيها في سنة ١٨٩٥ وسنة ١٨٩٦ وبحثوا الاراضي وقدروا ما تساويه من الايجار في كل جزء وفي كل بلد وكانت النتيجة ان مجموع الضرائب وجد بنسبة ٢٨,٦٤ في المائة من مجموع الايجارات التي قدرتها اللجان واتخذت المالية هذه النسبة اساساً لتعديل الضرائب على طريقة توزيع ما قدرته اللجان عن اطيان كل بلد لحدتها على الحيضان الجديدة التي قسمت اطيان البلد اليها في مساحة فك الزمام الجديدة وذلك بان يوضع على كل حوض ضريبة واحدة من بين اثنين وعشرين ضريبة تقررت لاطيان القطر كلها اقل ما فيها ١٤ قرشاً واكثر ما فيها ١٦٤ غرشاً لا تزيد عنها في اي حال من الاحوال والفرق بين كل ضريبة والتي بعدها او قبلها هو سبعة قروش الا في ثلاث ضرائب وهي ١٤ و ٥٧ و ١٠٧ فالفرق بين كل منها والتي بعدها هو ثمانية قروش . وتحددت مواعيد لتعديل الضرائب في كل بلد وحصل النشر عنها رسمياً وعمل التعديل ونشرت نتائجهُ في البلاد ومنح ارباب الشأن حق طلب اعادة النظر في ضرائب الحيضان التي يظن ان التقدير فيها كان غير متناسب مع حالتها وايجارها وقبلت معارضاتهم وعملت التحقيقات اللازمة عنها وحكم فيها ونشرت النتيجة النهائية عن كل حوض بكل بلد في الجريدة الرسمية وفي كل بلد وقد تمت اعمال تعديل الضرائب في جميع بلاد القطر في مدة تسع سنوات من سنة ١٨٩٩ لغاية سنة ١٩٠٧ ولكن لم يبدأ بتنفيذ هذا العمل الا في سنة ١٩٠٥ بمديريتي الشرقية والبحيرة بعد مضي خمس سنين تقرر لزوم انقضائها بين البدء بالعمل وتاريخ التنفيذ بكل مديرية وذلك لكي لا يجيء تأثير التنفيذ فجائياً سواءٌ كان بزيادة او بنقص الضرائب الاصلية . وفي سنة ١٩١٢ يكون تم التنفيذ في انحاء البلاد كافةً وفي حالة التنفيذ بكل مديرية يزول الفرق القديم الذي كان موجوداً من قبل وهو ما كان من تنويع الاطيان والضرائب الى خراجية وعشورية . تلك هي قواعد الضرائب الثابتة الاساسية غير ان الحكومة في سنة ١٩٠٢ قررت علاوة ضريبة اضافية على الاطيان التي تحولت من ري شتوي الى ري صيفي مستديم من نتائج انشاء الخزانات وهذه الضريبة بقيمة خمسين غرشاً على الفدان للاطيان التي استفادت بري الراحة وثلاثين قرشاً للاطيان التي استفادت ولكن بالآلات بشرط ان لا تزيد في اي حال من الاحوال عن ١٦٤ قرشاً المقررة لاقصى ضريبة وفي بعض الاحيان توزع ضرائب اضافية بمقتضى اوامر عالية بناء على قرارات مجالس المديريات لاستعمال ما يجمع منها في انشاء سكك زراعية او كباري لفائدة البلاد

اما الضرائب الموقتة فانها عند ما تبلغ الاطيان المربوطة عليها اقصى درجة التحسين

لتغير الى ضريبة نهائية بمثل ضريبة الحوض . وتفصيل وضع الضريبة الموقتة هو ان الاطيان التي تبيعها الحكومة وتوجد غير قابلة لتحمل ضريبة الحوض النهائية توضع عليها ضريبة موقتة بحسب حالتها إما بقيمة محددة لمدة محددة من الزمن وإما بقيمة لا تزيد عن ٣٠ في المائة مما تساويه من الايجار وهذه القواعد صدر عنها امر عال في ٣ فبراير سنة ١٨٩٢ تضمن درج الاطيان في ثلاث درجات وهي (١) وضع الضريبة النهائية على الاطيان التي تباع وتوجد قابلة لتحمل ضريبة الحوض (٢) اووضع ضريبة موقتة لمدة من الزمن لا تزيد عن ست سنوات وهذا في حالة ما اذا كانت لا تحتاج الا الى تصليحات بسيطة (٣) او وضع ضريبة موقتة لمدة لا تزيد عن خمس سنوات ان كانت الارض في حاجة الى منافع عمومية ويجوز في هذه الحالة فقط تكرار وضع ضريبة موقتة لمدة او مدد اخرى لا تزيد كل منها عن خمس سنوات ان كانت في نهاية الخمس سنوات توجد غير قابلة لتحمل ضريبة حوضها النهائية . اما الاطيان البور فتوضع عليها ضريبة قرشين كل فدان في كل من السنتين الاولين و ٥ قروش في كل من الثلاث السنوات المكملة للخمسة و ١٠ قروش في كل من الخمس السنوات المكملة للعشرة وفي نهاية هذه المدة تعاين وتدخل تحت حكم احدى الدرجات الثلاث التي تقدم توضيحها . ومنحت الحكومة المعافاة من الضرائب بالكلية لمدة عشر سنوات في حالتين اثنتين . الاولى — عند ما يريد احد تخصيص شيء من ارضهِ لغرس الغابات والاحراش بشرط ان تكون الارض في البراري او على حدود البراري . ولم تزرع من قبل غير زراعة شتوية . ولم تزد الضريبة التي تدفع عنها عن خمسة قروش الفدان هذا بعد ان يحصل صاحبها على الرخصة من المالية بغرس الغابات والاحراش . وبعد ان يتم غرس خمسة افدنة على الاقل تعفى الارض من الضرائب مدة عشر سنوات كاملة . وفي مدة عشر سنوات اخرى توضع عليها ضرائب تدريجية على كل فدان قرشين في كل من السنتين الاولين و ٥ قروش في كل من الثلاث السنوات المكملة للخمسة و ١٠ قروش في كل من الخمس السنوات المكملة للعشرة ثم توضع عليها ضريبة حسب ما تستحق بحيث لا تزيد في اي حال من الاحوال عن خمسين قرشاً ويسقط حق صاحب الرخصة في التمتع بها ان ثبت في اي وقت كان استعمالهُ الارض في زراعة اي صنف غير الغابات والاحراش . اما النوع الثاني الذي يعفى عشر سنوات من الضرائب فهو ارض البرك والمستنقعات التي صرحت الحكومة في سنة ١٨٩٤ بقبول اعطائها ملكاً مجاناً لمن يتعهد بردمها وتجفيفها في مدة سنتين وفي نهاية العشر السنوات المحددة للاعفاء من الضريبة توضع عليها ضريبة الحوض النهائية

تلك هي القواعد المقررة لوضع وتقدير وتعديل الضرائب على اختلاف انواعها غير انها لا تسري على بلاد الواحات الداخلة والخارجة التابعة لمديرية اسيوط · وواحة سيوه وام الصغير التابعة لمديرية البحيرة لان طرق وضع الضرائب هناك تختلف بمقتضى عوائد تلك البلاد من قديم الزمان · فالاولى وهي الواحات الداخلة والخارجة لا توضع فيها الضريبة على الفدان بل على مقدار مقاس ارتفاع الماء الثائر من كل من العيون والآبار التي ترتوي منها اراضي الواحات ولهم طريقة مخصوصة في مقاس ارتفاع الماء عن سطح الارض على مسافة متفق عليها من بداية فوهة النبع ولهم وحدة للقياس تعرف باسم قيراط وهي عبارة عن ثمانية سنتيمترات و يدفع عن كل قيراط خمسون قرشاً · اما الثانية وهي سيوه فانها تؤدي للحكومة مقطوعية سنوية قيمتها ١٧٥٠ جنيهاً مصرياً يوزعونها على العائلات و يحصلونها و يسددونها للحكومة بصفة ضرائب عن اطيانهم وتخلهم بلا فرز ولا تحديد

رفع الضرائب

من الضرائب ما يُعد رفعهُ الزامياً وهو ما يكون مربوطاً على ارض تلفت وانقطعت الفائدة منها ويحصر هذا النوع في الاسباب الآتية

(١) استعمال الارض في المنافع العمومية · كالسكك الحديدية · والسكك الزراعية · والترع · والمصارف · والجبانات · وما شابه ذلك مما يدخل في حكم المنافع العمومية · وهذا النوع علاوة على رفع الضرائب عنهُ يتعين التعويض عنهُ لاربابهِ غير ان هذا التعويض لا يكون ارضاً بارض ولكنهُ تعويض نقدي يقدر باتفاق الطرفين او بحكم الحاكم · وفي ما مضى من الزمن كان لا يجوز التعويض عن الارض الخراجية لانها كانت معتبرة ملكاً للحكومة وكان واضعو اليد عليها لا يملكون فيها غير حق الانتفاع · وقد يجوز لصاحب الارض ان لا يأخذ تعويضاً بالكلية ان شاء ذلك · وذلك لكي يجوز لهُ استرداد الارض ذاتها للملكية ان استغنى الحال عنها في يوم ما من لزوم المنفعة العمومية

(٢) فقدان الارض باكل البحر الناشيء عن شدة تدفق تيار النهر واجتزار ما يضعف عن مقاومة الماء من الارض الكائنة في وسط نهر النيل او على شفتيهِ · وهذا النوع ايضاً يعطى تعويض عنهُ علاوة على رفع الضريبة · غير ان التعويض في هذه الحالة هو بعكس التعويض في الحالة الاولى لان التعويض هنا يعطى ارض بارض لا تعويضاً نقدياً وعلى شرط ان تلك الارض يكون قد جددها النيل من طرح البحر بعد تاريخ افقاد المفقود وان يكون بتجديدها جاء ملاصقاً ومتصلاً تمام الاتصال بارض البلد التي اكل البحر منها و يوزع

التعويض بين اصحاب الارض المفقودة توزيعاً نسبياً

(٣) تغلُّب الرمال على الارض وافسادها سواء كان لمجاورتها للجبال ووجودها هدفاً لما تنسفهُ عليها العواصف · او من وجود الارض بالجزائر عرضة لتكوين ما يتكون عليها من طبقات الارض الرمال التي تأتيها ممتزجة بماء الفيضان وترسب عليها وتصيرها غير صالحة للزراعة

(٤) اندفاع المياه من مقطع في احد جسور الحيضان العمومية في مدة امتلائها بالمياه سواء كان لصرف المياه عن الحوض او لضعف بعض اماكن من تراب الجسر عن مقاومة ضغط المياه وبالاخص عند اشتداد العواصف والانواء

(٥) تغلُّب السبخ على الارض · من نشع ما يجاورها من ترع او مصارف عالية عن سطحها · او من عدم وجود مصارف لتجفيفها او عدم وجود ترع لريها واحيائها · او من مجاورتها لبركة قارون بالفيوم

وفي الثلاثة الانواع الاخيرة لا يُعطى تعويض بالكلية · وترفع الضريبة حتماً عما يتلف باي سبب من الاسباب الخمسة التي ذكرت · ويتعين على كل صاحب ارض ان يقدم طلباً عن رفع الضريبة عما يتلف من ارضهِ ما عدا التالف باكل البحر وبرمال الجزائر فهذا لا يلزم تقديم طلبات عنهُ لان الحكومة تعمل التحقيق عنهُ من نفسها · وترفع الضريبة من تاريخ تقديم الطلب الى ان يزول سبب الرفع الذي هو التلف وذلك في ما عدا النوع الخامس وهو السبخ فرفع الضريبة يستمر فقط لنهاية السنة التالية لسنة رفع الضريبة ثم يوضع على الفدان قرشان في السنة التالية لها وخمسة قروش في التي بعدها وعشرة قروش في ما بعدها ونصف الضريبة الاصلية في ما بعدها وبعد ذلك تعاين وتدرج في احدى الثلاث درجات المنصوص عليها بدكريتو ٣ فبراير سنة ١٨٩٢

ما عدا الخمسة الانواع من اسباب اتلاف الاطيان قد يجوز رفع الضريبة ان ثبت باقرار نظارة الاشغال العمومية ان المنافع العمومية اللازمة للارض غير مستكملة وتعود الضريبة بزوال السبب

وترفع الضريبة ايضاً عما يوجد ناقصاً من مقدار الاطيان عند اجراء مساحة فك الزمام العمومية

وترفع الضريبة عن خمسة افدنة في كل سنة مما يملكهُ كلٌّ من عمد البلاد وعمد قبائل العربان من قبيل المكافاة على الخدامات التي يؤدونها للحكومة

وترفع الضرائب عن الارض عند ما تتحوَّل من وظيفة الزراعة لوظيفة البناء ولكن

ذلك فقط بالمدن المقرر فيها عوائد على المباني

وترفع الضرائب عن الارض المعدة للجرون

ومن الضرائب ما يعد رفعهُ منحة اختيارية من قبل الحكومة وذلك عن الاراضي التي في سنوات انحطاط النيل بقصر الفيضان عن ريها فتبقى بلا زراعة بالكلية وتسمى شراقي كامل وترفع عنها ضريبة السنة كاملة وهكذا ترفع الضريبة كاملة عما يكون من هذا النوع قد زرع من مياه الآبار . وترفع نصف الضريبة فقط عما يكون زرع مرة واحدة بدلاً من مرتين . او روي بالآلات بدلاً من اعتياد ريهِ بالراحة ويسمى ذلك نصف شراقي

تحصيل الضرائب

بمقتضى امر عال في ١٠ رجب سنة ١٢٨٩ اي ١٥ سبتمبر سنة ١٨٧٢ للحكومة امتياز خاص في تحصيل الضرائب بنفسها من نفس العين فلا تلتجئ للدوائر القضائية في حالة تأخير بعض المموّلين في تسديد ما على عقاراتهم من الضرائب . وكانت توجد صعوبات كلية في تحصيل الضرائب عن اطيان الاوربا ويين والحمايات وتأخر شيء كثير منها لغاية سنة ١٨٧٩ ولكن باتفاق الحكومة مع الدول اصدرت قانوناً في ٢٥ مارس سنة ١٨٨٠ معمولاً بهِ للآن في تحصيل الضرائب ممن يتأخر من الاوربا ويين والوطنيين على السواء وذلك بالحجز على المحصولات والمنقولات ابتداء وان لم تفِ بالمطلوب فبالحجز على عين العقار وبيعهِ كلهِ او بعضهِ حتى تستوفي الحكومة حقها . وقد أُدخلت على هذا القانون بعض تعديلات دلت عليها التجارب في اثناء الثمان والعشرين سنة الماضية . منها عدم الامهال في الحجز على المحصولات والمنقولات زيادة عن وقت تسليم الانذار لان ذلك الامهال كان سبباً في تمكين بعض المخالفين من تهريب ما لديهم فراراً من الحجز . ومنها جواز الحجز على العقار ولو كان واقعاً تحت حجز قضائي لصالح احد الاجانب ولكن بشرط ارسال نسخة من محضر الحجز الاداري للنيابة المختلطة قبل موعد البيع بمدة من الزمن لا تقل عن سبعين يوماً . ومنها بيع الفواكه وغيرها من الاشياء السريعة التلف بلا انتظار للمدة القانونية المقررة للبيع . هذا واستصدرت الحكومة في سبتمبر سنة ١٨٨٤ قانوناً آخر يجوز بمقتضاهُ الحجز لصالحها ولصالح الافراد من الوطنيين فقط دون الاوربا ويين وهذا الحجز يسمى الحجز الامتيازي ولا يجوز عملهُ على شيء بالكلية غير المحصولات والاثمار والمدير كقاضٍ هو الذي يأمر باجرائهِ لتحصيل ما يتأخر تسديدهُ من ايجارات الاطيان المؤجرة للافراد سواء كانت من املاك الحكومة او من املاك الافراد

واهتمت الحكومة كل الاهتمام في ترتيب اوقات تحصيل الضرائب في نفس اوقات ظهور المحصولات بكل جهة لحدتها وذلك لكي تكفي الفلاح مؤنة المذلة والخسارة في الالتجاء للمرابين واستدانة المال لتسديد الضرائب بالربا

ووضعت القواعد المتينة لكفالة عدم امتداد ايدي الجباة بشيء من الخيانة في الاموال المتحصلة ولا التلاعب فيها

ولغاية سنة ١٨٨٤ كانت للحكومة مخازن كبرى تسمى اشوانًا تقبل فيها ما يقدم من الغلال بالثمن محسوبة من الضرائب ولكن ذلك ابطل قطعيًّا من سنة ١٨٨٥

كانت تحصل الضرائب بالضرب بالكرابيج لا استبدادًا من نفس الحكام كما يظن ولكن قانون الحكومة المطبوع في سنة ١٢٦١ كان يأذن بالضرب ويحدد عدد الكرابيج غير انهم فقط زادوا عليهِ الحبس والاهانة في السجون. ومن يقارن بين ذلك وبين ما يجري الآن من المساواة والعدالة يتبين مقدار الفرق المحسوس في ارتقاء حالة البلاد

ومن ينظر الى الآلاف المؤلفة من الحجوزات التي كانت تعمل على المنقولات والعقارات لتحصيل الضرائب ويدرك بالقياس على ذلك صعوبة الاحوال المالية في ما مضى ثم يقارن بينها وبين السهولة المتناهية في التسديد وندارة ما يعمل من الحجوزات يحكم لاول وهلة على مبلغ النجاح الادبي والمادي الذي نالتهُ البلاد وللدلالة على ذلك نقول ان المالية في سنة ١٨٩٣ وهي من السنين الوسطى بين تاريخ صدور قانون التحصيل في سنة ١٨٨٠ وبين الوقت الحاضر وقعت ٩٥٦٨ حجزًا على محصولات ومنقولات ومواشي و١٨٦٣ حجزًا على عين العقار اما في سنة ١٩٠٦ فلم يقع الا ٢٣٥٤ من النوع الاول و ٤٨١ من النوع الثاني وكلاهما بنسبة ٢٥ في المائة مما كان عمل في سنة ١٨٩٣ وليس بعد زوال ٧٥ في المائة من صعوبات تسديد الضرائب اوضح برهان على التقدم والنجاح

كان الجباة الذين هم صيارف البلاد يشتغلون بالعمولة في تحصيل الضرائب وقلما كانوا يأخذونها. فرتبت الحكومة لهم بدل ذلك رواتب شهرية وزادتها لهم كلما رأت لذلك سبيلاً حتى ابلغتهُ خمسة جنيهات ونصف لصيارف الدرجة الاولى. واربعة ونصف للثانية. وثلاثة ونصف للثالثة. ولم يكن لهم شيء من المعاش او المكافأة فانشأت لهم صندوقًا للتوفير يدفع لهُ كل منهم ٢ في المائة من ماهيتهِ وتدفع الحكومة مثلها وتعطي من ذلك لمن يرفت بغير علة الخيانة مكافأة بقيمة مجموع ماهية ستة شهور لمن لم تبلغ مدة خدمتهِ عشر سنوات وماهية سنة كاملة لمن لم تبلغ خدمتهُ عشرين سنة وماهية سنتين لمن لم تبلغ خدمتهُ ثلاثين

سنة وماهية ثلاث سنين لمن تبلغ خدمته ثلاثين سنة فاكثر . وبمثل هذه المعاملة تعامل المساحين ايضاً . تلك هي قواعد وضع ورفع وتحصيل الضرائب ومن يمعن النظر فيها يتبين له ان بلادنا السعيدة قد توفرت فيها المبادئ الاربعة الاساسية التي يتوقف على وجودها ضمانة العدالة في موضوع الضرائب وهي

اولاً المساواة في وضع الضرائب بين مختلف الطبقات من الناس

ثانياً معرفة كل من ذوي الشان بقيمة الضرائب المتعين عليه دفعها في كل سنة والوقت المعين لتسديد كل جزء منها

ثالثاً ترتيب اوقات تحصيل الضرائب في ذات اوقات ظهور المحاصيل بحيث يسهل لكل ممول ان يدفع ما عليه من ثمن غلات ارضه

رابعاً عدم المحاباة في التحصيل . ذلك بان لا يدفع الضعيف اكثر مما يدفع القوي وبالعكس

جرجس حنين

عبد الله المأمون

كان لدولة بني العباس في بغداد شأو بعيد من البسطة والجاه ومقام عالٍ في الحضارة والعمران فكانت تمتد من الشرق حتى ارض الهند وبعض الصين ومن الغرب الى البحرين الاسود والمتوسط ومن الشمال حتى سبيريا وبحر قزبين ومن الجنوب الى بحر فارس وما يلي مصر من بلاد النوبة . على ان اعظم خلفاء هذه الدولة شأناً واعزهم سلطاناً الخليفة الثاني ابو جعفر المنصور والخليفة السابع عبد الله المأمون صاحب الترجمة

ولد عبد الله المأمون سنة ١٠٧ للهجرة قيل لما مات الخليفة الهادي جاء يحيى بن خالد البرمكي الى ابيه هرون الرشيد فاعلمه بموت الخليفة وانتهاء الملك اليه وبينما هو يكلمه اذ اتاه رسول آخر يبشره بمولود فسر كثيراً وسماه عبد الله

ولما ترعرع عبد الله عهد الرشيد بتهذيبه الى جماعة من العلماء والفقهاء كعباد بن العوّام ويوسف بن عطية وابي معاوية الضرير وغيرهم من خيار اساطين العلم والفقه فبذلوا الوسع في تثقيفه وارشاده حتى برع في اللغة والفقه والتاريخ . قال المسعودي دخل الكسائي يوماً على الرشيد فرأى ولديه محمد الامين عن يمينه وعبد الله المأمون عن يساره وهما كالاقمار الطالعة فسأله الرشيد رأيه فيهما فاجابه ما اقول وقد رأيت فيهما ما حيَّرَ فكري من الفصاحة

والاحتشام على صغر سنها فلم اسائلها عن امر الا وجاوباني جواباً شافياً فضمها الرشيد الى صدره وجالت الدموع في عينيه وقال ولكني ارى في عبد الله المأمون نجابةً وانهُ شديد الهمة وارى في محمد الامين البلادة والبرودة واني اذا وليت العهد بعدي لعبد الله فلا يهون ذلك على بني هاشم اخوال الامين وربما ثارت بينهم الفتن واذا وليت العهد الامين فلا آمن من تدبير المملكة

وفي سنة ١٨٢ تبيّن الرشيد في عبد الله طلائع الذكاء وتوقد الخاطر فبايعهُ ولاية العهد بعد الامين وولاّهُ خراسان وما يتصل بها الى همذان ولقبهُ المأمون فاقام ينظر في شؤونها وحولهُ جماعة من الخبيرين بالسياسة والعارفين بابوابها ينكبون بهِ عن مواضع الزلل ويرشدونهُ الى ما فيهِ خيرهُ وصلاح الرعية كغيلان الشعوبي ومحمد بن موسى الخوارزمي ويحيى بن منصور والفضل بن نوبخت ويشد ازرهُ جند خراسان وهم اخوالهُ لان امهُ فارسية كل ذلك وما ميزهُ الله بهِ من الذكاء وعلو الهمة دفع بنفسهِ الكبيرة ان تسير سيرة العظماء فتتحلى بالعدل والحلم وتتجمل بكثير من الفضائل . رأى الرشيد منهُ ذلك فطابت نفسهُ وارتاح اليهِ حتى اذا حجّ بالناس سنة ١٨٧ كتب كتابين اشهد فيهما الفقهاء والقادة والقضاة على مبايعة العهد للامين ومن ثمّ لاخيهِ المأمون وعلّق الكتابين في الكعبة على ان بضعة من العقلاء تخوّفوا عاقبة هذه المبايعة وحسبوا لما ينجم عنها من العداء بين الاخوين الف حساب

وكان رافع بن الليث قد خرج سنة ١٩٠ عن طاعة الرشيد بسمرقند فيما وراء النهر فزحف الرشيد لاخضاعه سنة ١٩٢ ولما صار على الطريق مرض فدخل مدينة طوس واستحكمت العلة منهُ فمات سنة ١٩٣ وبويع الامين بالخلافة من عسكر ابيهِ وجلة اهل بيتهِ وظلّ المأمون في خراسان يتولّى ما كان بيدهِ الا انهُ اهدى الى اخيهِ وكتب اليهِ وعظّمهُ

عهدت الخلافة للامين ولم يكن كفوءًا لها بل كان على ما نقل رواة اخباره ضعيف الرأي انصرف الى اللهو وادمان الخمر ومغازلة الحسان واجراء الرزق عليهن وقسّم ما في بيوت الاموال من الجواهر والحلي على نسائهِ وخصيانهِ وبالجملة كان على ما قالهُ صاحب مختصر الدول فيهِ "لم يكن في سيرتهِ ما يستحسن ذكرهُ من حكمةٍ او معدلةٍ" . وكان من امره انهُ بعد ان استتبّ لهُ الملك خلع اخاهُ المأمون من ولاية العهد باغراء الفضل بن الربيع وامر بالدعاء على المنابر لابنهِ موسى وسماه الناطق بالحق وكان طفلاً صغيراً وكتب الى العمال في ذلك واسقط ايضاً ما كان قد ضرب لاخيهِ من الدراهم والدنانير لخلوها من اسمهِ وبعث الى الكعبة بمن احضر لهُ الكتابين اللذين وضعهما الرشيد ببيعتهِ مع اخيهِ المأمون ومزقهما

فكبر الامر على المأمون واستاء الناس كثيراً من خرق الامين لوصاية الرشيد ومن ثمَّ تعددت بينهما اسباب النفرة . منها انهُ كان قد اتصل برافع بن الليث حسن سيرة المأمون فطلب منهُ الامان فاجابهُ الى ذلك وحضر اليهِ وقدم هرثمة عليهِ فاكرمهُ وولاَّهُ الحرس فانكر الامين ذلك وكان ايضاً من داود بن عيسى عامل الامين في مكة ان جمع اليهِ وجوه الناس ومن شهد منهم على مبايعة الرشيد للامين والمأمون وحثهم على خلع الامين ومبايعة المأمون فاجابوهُ الى ذلك وكتب الى ابنهِ سليمان عاملهِ في المدينة في مبايعة المأمون ففعل ومن ثمَّ قام الى خراسان ليعرض ولاءهُ على المأمون فاكرم المأمون وفادتهُ وبالغ في اعزازهِ كل ذلك زاد في الطين بلَّةً وادَّى الى انفصام عرى الاخوَّة واحتدام نار البغضاء

وخلاصة القول ان الامين امر علي بن ماهان ان يسير بجيش كثيف لمقاتلة المأمون فجهَّز على رواية ابن الاثير خمسين الف مقاتل ولما عزم على المسير من بغداد ركب الى باب زبيدة ام الامين ليودعها فقالت لهُ يا علي ان امير المؤمنين ان كان ولدي واليهِ انتهت شفقتي فاني على عبد الله (اي المأمون) منعطفة مشفقة لما يحدث عليهِ من مكروهٍ فاعرف لعبد الله حق ولادتهِ واخوتهِ ولا تقتسرهُ اقتسار العبيد اذا ظفرت بهِ ولا تعنف عليهِ في السير ثمَّ دفعت اليهِ قيداً من فضة وقالت ان صار اليك فقيدهُ بهذا القيد

وبلغ الخبر الى عبد الله المأمون فسيَّر هرثمة بن اعين في اقل من اربعة آلاف فارس وعلى مقدمتهم طاهر بن الحسين ولما التقى الجيشان رمى رجل اسمهُ داود بن سياه علياً بسهم فقتلهُ وحمل رأسهُ الى طاهر فانفذهُ الى المأمون الّا ان رواية ابن الاثير عن عدد جيوش الامين غير حريَّةٍ بالوثوق لما يستحيل عادةً من انتصار اربعة آلاف مقاتل على الخمسين الفاً وهم يتساوون في العدة والتدريب الحربي وربما كان الاقرب الى الصواب رواية ابي الفرج عن عددهم حيث قال خرج علي في عشرة آلاف فارس

كان لانتصار طاهر على جيش الامين وقتل علي بن ماهان احسن وقع عند اهل خراسان وطابت لهُ نفس المأمون وتفاءل بالفوز التام لذلك امر ان يخطب لهُ بامير المؤمنين.

اما الامين فشقَّ عليهِ ما لحق بعسكرهِ من الفشل فوجه عبد الرحمن بن جبلة الانباري في عشرين الف رجل وامدَّهُ بالاموال فسار حتى نزل همذان وحصنها ورمَّ سورها فاتاهُ طاهر وخرج اليهِ عبد الرحمان الى ظاهر المدينة واقتتل الجيشان قتالاً شديداً حتى آل الامر الى انهزام عبد الرحمن الى همذان والقيام بها اياماً طوالاً وطاهر على ابوابها يشدد عليها الحصار الى ان سئم اهلها وتخوَّف عبد الرحمن ان يدفع بهم الضجر والتبرم الى الخروج عليهِ

وجيشهُ في حالة من الضنك لا يقوى معها على اخماد ثورتهم فطلب الى طاهر الامان لنفسهِ ولمن معهُ فأمنهُ فخرج عن همذان

الاَّ ان عبد الرحمن بعد خروجهِ بعسكرهِ عن همذان لم يرضَ بالرجوع الى الامين بالخيبة والفشل فانتهز تأمين طاهر لهُ فرصة يغتنمها فيأخذهُ مع قومهِ على غرة ويعمل بهم السيف ويعود الى الامين ظافرًا منصورًا وهكذا كان منهُ ان هجم على طاهر واصحابهِ بغتة فثبت لهُ رجالة طاهر وقاتلوهُ قتالاً احبوا معهُ الموت حتى قتل عبد الرحمن وارتدَّ اصحابهُ منهزمين الى عبد الله واحمد ابني الحرشي وكانا في جيشٍ عظيم قد سيَّرهُ الامين معونةً لعبد الرحمن فلما بلغ المنهزمون اليهما انهزما ايضًا في جندهما من غير قتالٍ حتى دخلوا بغداد وخلت البلاد لطاهر فاقبل يحوزها بلدةً بلدة وكورة كورة حتى قرب من بغداد سنة ١٩٧ فاقام على حصارها مع هرثمة بن اعين وزهير بن المسيب وجعلوا يحفرون من حولها الخنادق وينصبون المجانيق والامين يبيع ما في الخزائن من الامتعة ويضرب انية الفضة والذهب ليفرقها على اصحابهِ ليخلصوا في الدفاع عن بيضة الملك والمحاصرون يضايقون عليها وينضم اليهم في كل اونة جماعة من القادة يبايعون المأمون ويقيمون معهم على قتال الامين حتى ضاق الامر بالاهلين وعمَّ البلاء وكانت هذه الحرب اول النكبات التي اصابت بغداد وقد وصفها الشعراء ومما قالهُ بعضهم عنها

بكيت دمًا على بغداد لما فقدت غضارة العيش الانيقِ
تبدلنا همومًا من سرورٍ ومن سعة تبدلنا بضيقِ
اصابتنا من الحساد عين فافنت اهلها بالمنجنيقِ
وقوم أُحرقوا بالنار قسرًا ونائحة تنوح على غريقِ
وصائحةٍ تنادي واصباحًا وباكية لفقدان الشقيقِ
وحوراء المدامع ذات دلٍّ مضمخة المجاسدِ بالخلوقِ
تفرُّ من الحريق الى انتهابٍ ووالدها يفرُّ الى الحريقِ

كل ذلك يدل على ما صارت اليهِ بغداد من الحالة الشؤمى والضنك الشديد وكان طاهر في تضاعيف ذلك يواصل القتال ويشدد الحصار ويمنع دخول الميرة اليها وقد صرف السفن عنها واحرق منازل الامين في الخيزرانة وكانت نفقتها عشرين الف الف درهم فهرب الامين الى الكرخ فاحطَّ عليها طاهر حتى دخلها بالسيف فلجأ الامين الى مدينة المنصور اي الجانب الغربي من بغداد وقد تفرَّق عنهُ عامة جندهِ وخصيانهِ وجواريهِ وكان ذلك سنة ١٩٨

ولما دخل الامين مدينة المنصور واستولى طاهر على اسواق الكرخ وغيرها علم ان لا حول له على الحصار فيها فخطر له ان يخرج منها ليلاً ويقصد الجزيرة والشام فيلتف حوله اهل تلك البلاد فيكون له مع المأمون شأن يذكر ثم خاف عاقبة الحرب وخشي ان يؤخذ اسيرًا فتكون في ذلك منيتهُ فرجع الى نفسهِ وعوّل على ان يطلب الامان من هرثمة لانهُ اقرب اليهِ من طاهر واشفق عليهِ فارسل اليهِ يطلب الامان فاجابهُ الى ذلك وحلف له انهُ يقاتل دونهُ ان همَّ المأمون بقتلهِ

فاستاء طاهر من طلب الامين وابى عليهِ ذلك وقال هو في جندي والجانب الذي انا فيهِ وانا الذي اخرجتهُ بالحصار حتى طلب الامان فلا ارضى ان يخرج الى هرثمة فيكون له الفتح دوني ولذلك جعل حول قصرهِ قومًا يرقبون حركاتهِ . ولما كان الليل تهيأ الامين للخروج واذا بهرثمة قد بعث اليهِ برسول يقول له ارى ان لا تخرج الليلة فاني رأيت على الشط ما رابني واخاف ان اغلب وتؤخذ من يدي وتذهب نفسك ونفسي فاقم الليلة حتى آتيك الليلة القابلة فان حوربت حاربت دونك فقال الامين للرسول ارجع اليهِ وقل له لا يبرح فاني خارج اليهِ الساعة لا محالة ولست اقيم الى غدٍ ودعا بابنيهِ فضمهما اليهِ وقبلهما وبكى ثم جاء راكبًا الى الشط فوجد حرّاقة هرثمة فصعد اليها فاحتضنهُ هرثمة وضمهُ اليهِ وقبل يديهِ ورجليهِ فاحاط عليها اصحاب طاهر بالزوارق ورموها بالاجرّ والنشاب حتى غرقت فاخرج الملاح هرثمة من الماء واما الامين فلما سقط في الماء شق ثيابهُ فقبض عليهِ اصحاب طاهر وهو عريان وعليهِ سراويل وعمامة وعلى كتفهِ خرقة خلقة وحبسوهُ في بيت ولما انتصف الليل ارسل اليهِ طاهر قومًا من العجم فقتلوهُ واخذوا رأسهُ ومضوا بهِ اليهِ فأمر بدفن الجثة ونصب الرأس على برج من ابراج بغداد ومن ثم دخل طاهر المدينة يوم الجمعة فصلى بالناس وخطب للمأمون

روى ابو الفداء وغيرهُ ان طاهرًا ارسل رأس الامين الى اخيهِ المأمون بخراسان وكتب له بالفتح وارسل البردة والقضيب والخاتم فلما رآهُ بكى واسف عليهِ كثيرًا فقال له الفضل بن سهل اتقِ الله يا امير المؤمنين فانهُ كان يؤثر ان يراك كما رأيتهُ على ان المأمون احتفظ على الرأس واصحبهُ معهُ الى بغداد ودفنهُ حيث كانت الجثة

قيل ان زبيدة زوجة الرشيد ام الامين طلبت الى ابي العتاهية الشاعر المشهور ان يقول عن لسانها ابياتًا يستعطف بها المأمون فارسل اليها هذه الابيات

ألا ان صرف الدهر يدني ويبعدُ ويمتع بالالاف طورًا ويفقدُ
اصابت بريب الدهر مني يدي يدي فسلمت للاقدار والله احمدُ

وقلت لريب الدهر ان هلكت يدٌ فقد بقيت والحمد لله لي يدُ
اذا بقي المأمون لي فالرشيد لي ولي جعفر لم يفتقد ومحمدُ

ولما انتهت ابيات زبيدة الى المأمون بكى وامر على الفور ان يرد لها جميع ما سلب منها وكتب اليها اني اقول كما قال علي بن ابي طالب ما أمرت بقتل عثمان ولا رضيت به

ولما وسد الملك للمأمون ودخل بغداد وضعت الحرب اوزارها واستوثق الناس في كل البلاد به واخلدوا الى الطاعة والسكون · يومئذٍ تجلّت مواهبهُ العظيمة في اكبر مظاهرها فانصرف الى نشر العدل وتوطيد الامن واعلاء منار العلم والعمل على رواج التجارة والصناعة واحياء الزراعة وكل ما من شأنهِ توفير اسباب العمران والعروج في مراقي المدنية والحضارة

الاَّ ان الهمم العالية لا تسالمها الايام طويلاً ولا تسكن لها الحوادث ليتهيأ لها الاتيان على رغائبها الجليلة من العمل لخير الانسان وتحسين حال المجتمع بل تبعث لها بالمشاغل فتثبطها حيناً ريثما تظفر بها فتعود الى شأنها من العمل الطيب من مثل ذلك حدث للمأمون يوم قرَّب الحسن بن سهل منهُ وولاهُ فانكر الناس ذلك عليهِ حسداً منهم واضمروا الشر حتى جعل الخلافة في آل علي ابن ابي طالب وبايع علي بن موسى بالخلافة من بعدهِ وامر جندهُ بطرح السواد شعار بني هاشم واتخاذ الثياب الخضر يومئذٍ ثارت ثائرة بني العباس عليهِ لميلهِ الشديد الى العلويين واحسانهِ اليهم فخلعوهُ عن الخلافة وبايعوا ابرهيم المهدي وسموهُ المبارك

بويع ابرهيم المهدي بالخلافة والمأمون يومئذٍ في خراسان على انهُ لم يتمتع بالملك طويلاً حيث قضى الله على علي بن موسى فمات واتصل خبر موتهِ باهل بغداد فتاقت نفوسهم لرجوع المأمون الى الخلافة لما رأوهُ فيهِ من علو الهمة وحسن السياسة وسعة العلم وكان المأمون يعرف ذلك منهم فلما زالت اسباب النفور بموت علي بن موسى قام الى بغداد فهرب ابرهيم المهدي واستتب للمأمون الملك وانقطعت الفتن وعاد فامر برجوع الجند الى لبس السواد

وكأن الدهر ندم على اساءتهِ الى مصلحٍ عظيم همهُ النهوض بالامة الى ذرى المجد فعاد وكفَّر عن الاساءة بمسالمة المأمون والاستكانة اليهِ فقضى بقية حياتهِ القليلة غير منشغل بغير الاصلاح الا في الاحايين في مناوشات غير هامة بينهُ وبين ملوك الروم

عاش المامون ثمانية واربعين عاماً وتولى منها الملك عشرين عاماً وكان في تضاعيفها مثال الهمة العالية وعنوان العدل والحلم وقدوة رجال الاصلاح

قلنا ان اباهُ هرون الرشيد عهد بتربيتهِ ان نفر من جلة العلماء فتلقن عنهم العلم المعروف يومئذٍ وشب وهو متفنن بارع فيما تلقفهُ من الاداب والمعارف واذ انتهى الملك اليهِ جعل

يقرّب منهُ العلماء والشعراء ويبالغ في اكرامهم ويجري الرزق عليهم ابتغاء نشر العلم والنهوض بالامة الى ذرى الحضارة والعمران

فانشأ مجالس الترجمة وجمع في بيت الحكمة ما استطاع من الكتب الموضوعة في لغات اهل الحضارة في تلك الازمنة كاليونانية والسريانية والفارسية والهندية والقبطية والعربيَّة ووقف الناس على رغبتهِ الشديدة في ذلك فجعلوا يتفانون في جمع الكتب والمؤلفات على اختلاف ابحاثها ويتسابقون في اهدائها الى بيت الحكمة ارضاء لهُ وتزلفاً اليهِ

والّف مجالس الترجمة من حنين بن اسحق العبادي الذي كان نابغة زمانهِ في صناعة الطب وهو عارف باللغة اليونانية فنقل كتاب اقليدس الى اللغة العربية وثابت بن قرة الحراني ويوحنا بن البطريق وسهل بن سابور ويوحنا بن ماكويه وجيورجيس بن بختيشوع فعربوا لهُ كتب فيثاغورس وارسطوطاليس وجالينوس وابقراط وغيرهم في كل فرع من فروع العلم والفلسفة . واشتغل المأمون نفسهُ بالعلم فكان اول من اهتمّ بقياس درجة نصف النهار توصلاً لتقرير مساحة الارض ولما اطلع على كتاب المجسطي ووقف على صور آلات الرصد الموصوفة فيهِ جمع علماء الفلك كيحيى بن ابي منصور وخالد المرزوي وسند بن علي العباسي وامرهم ان يصنعوا آلات طبق ما جاء في كتاب المجسطي ليرصدوا بها الكواكب ففعلوا وتولوا الرصد بالشماسية في بغداد وطفقوا يقيدون ما يتبينونهُ من رصدهم وسموهُ الرصد المأموني

وليس هذا كل ما فعل المأمون بل التفت الى احياء كل دقيقة من دقائق جسم المجتمع ليكون النمو شاملاً لجميع اجزائهِ فكان للغة نصيب من اهتمامهِ حيث حمل اساطينها على ضبط شواردها ووضع قواعدها ومما يحكى عنهُ انهُ جاء بالفراء الكوفي وامر ان تفرد لهُ حجرة من حجر القصر وان يقوم بها على وضع الكتب في اصول النحو واللغة وكان المأمون نفسهُ متأدباً بهذه الفنون عارفاً باصولها قيل انهُ كان ينظم الشعر ويجيدهُ ومما روي لهُ فيهِ قولهُ

بعثتك مرتاداً ففزتَ بنظرةٍ ... واغفلتني حتى اسأتُ بك الظنا
فناجيتَ من اهوى وكنتُ مباعداً ... فيا ليت شعري عن دنوك ما اغنا
ارى اثراً منها بعينيك بيّناً ... لقد اخذت عيناك من عينها حسناً

ولهُ ايضاً

لساني كتوم لاسراركم ... ودمعي نموم لسري يذيعُ
فلولا دموعي كتمت الهوى ... ولولا الهوى لم تكن لي دموعُ

ومما لهُ ايضاً

انا المامون والملك الهمام ولكني بحبك مستهام
اترضى ان اموت عليك وجداً ويبقى الناس ليس لهم امام

وكان على علو شأنهِ وسمو مقامهِ وديعاً برًّا حليماً وقد روى عنهُ صاحب فوات الوفيات انهُ كان يقول لو عرف الناس حبي للعفو لتقربوا اليَّ بالذنوب. ولا شك ان النفس الكبيرة تعلو بصاحبها عن الصغائر فلا تأخذ الضعفاء على عثراتهم ولا تتنازل من مقامها العالي للاقتصاص والتشفي ممن اساء اليها او طعن عليها كما كان شأن المامون مع المسيئين اليهِ والطاعنين عليهِ يدفعهم بالحلم ويصدهم بالعفو فقد روي عنهُ انهُ مرَّ يوماً بملاح فسمعهُ يقول لمن معهُ اتراكم تظنون ان هذا ينبل في عينيَّ وقد قتل اخاهُ الامين فتبسم المامون وقال ما الحيلة حتى انبل في عين هذا السيد الجليل . وذكر ايضاً ان دعبل الشاعر الخزاعي هجا ابراهيم بن المهدي فرفع ابراهيم امرهُ الى المامون فقال لهُ لك اسوة بي فقد هجاني من قبلك وقال فيَّ

ايسومني المأمون خطة جاهلٍ او ما رأى بالامس راس محمدِ

ومع ذلك رضيت بما قال وعفوت عنهُ . وحكى عبد الله بن طاهر قال كنت يوماً عند المامون فنادى بالخادم يا غلام فلم يجبهُ احد ثم نادى ثانياً وصاح يا غلام فدخل غلام تركي وهو يقول : ما ينبغي للغلام ان يأكل ولا يشرب كلما خرجنا من عندك تصيح يا غلام يا غلام الى كم تنادي يا غلام. فنكس المامون رأسهُ فما شككت ان يامرني بضرب عنقهِ ثم نظر اليَّ فقال يا عبدالله ان الرجل اذا حسنت اخلاقهُ ساءت اخلاق خدمهِ واذا ساءت اخلاقهُ حسنت اخلاق خدمهِ وانَّا لا نستطيع ان نسيء اخلاقنا لتحسن اخلاق خدمنا

وترى كتب التاريخ ملأى بنظائر هذه الاخبار عنهُ الدالة على وفور حلمهِ وسمو عواطفهِ وحسبك منها ما لا ريبة في صدقهِ عفوهُ عن عمهِ ابرهيم بن المهدي يوم تنقب وخرج في زي امرأة فاستراب بهِ الحارس واقتفى اثرهُ حتى كشف امرهُ وساقهُ الى المأمون فاطلق سبيلهُ وعفى عنهُ

وجملة القول ان الخليفة المأمون كان شريفاً في عواطفهِ كبيرًا في علمهِ عظيماً في همتهِ واقدامهِ نهض بامتهِ الى مراقي الحضارة وشرفها على سائر الامم وجعلها محط رحال العلم والتجارة والزراعة والصناعة بعد ان دالت دولة الفلسفة من اثينا وخضدت شوكتها من الاسكندرية يوم كانت اوربا ضاربة في بيداء الجهالة تمرح بها القبائل من الجرمان والغالة وغيرهما ورائدهم السلب والنهب وليس فيها الاَّ القرى والدساكر القائمة بالاكواخ والمنازل الحقيرة المنبئة عن فقر أهلها وشظف عيشهم والقسطنطينية يومئذٍ في دور التأخر مشرفة على الاحتضار

نفوس الشعراء[1]

الشعراء وما ادراك ما الشعراء فئة من الناس رُزقوا من بقاء الذكر اوفر نصيب فهذا السموأل قد خلّد ذكرهُ بلاميتهِ الفخرية التي دارت على الالسنة حتى تمثل بابياتها الكتّاب والخطباء والمحدِّثون · وهؤلاء اصحاب المعلقات السبع قد حرص الادباء على نسخ قصائدهم وحفظها وطبعها وعُنوا بشرحها · وهذا الاعشى والحطيئة والنابغة وجرير والاخطل والفرزدق وابو تمّام وابو الطيّب المتنبي وابو عبادة البحتري ومئات بل الوف غيرهم قد بقي ذكرهم بما نظموا من الشعر فكأنهم احياء باقون الى يوم الحشر والنشور · ولقد اشتغل الادباء ببيان طبقاتهم ولم ينظروا في ذلك الاّ الى حسن السبك ولطف الاسلوب ورقّة المعنى وجمال التخيُّل وهو امرٌ لا بدَّ منهُ لمن يهمهُ ان يعرف طبقات الشعراء

لكنَّ احدًا ممن تصدَّى للكلام في اشعارهم لم يلتفت الى الينابيع التي نبعت منها فخطر لي انا المعترفة بقصر اليد ان اوجه النظر الضعيف الى تلك الينابيع لأعرف طبقات نفوسهم التي عنها صدرت اقوالهم ومنها جاءت قصائدهم ومقطوعاتهم فرأيتهُ خاطرًا جميلاً لهُ طلاوة الجديد وحلاوة المبتكر غير اني لم أجد رابيةً ولا قمّة جبل ولا كوّةً فأطلُّ منها على نفوس الشعراء ولا غرض لي اطلبهُ فيها سوى الاشراف على نفوسهم فرأيت اكثر تلك النفوس لاصقة بملاذّ الابدان مؤتمرة اوامر الطمع والاهواء مشغولةً بما يلذّ الحواس راكعةً ساجدةً امام ربّات الحسن والجمال او واقفةً بابواب العظماء والكرماء وقفة السؤال . فثلاثة ارباع الشعر العربيّ في باب الغزل وربعهُ في سائر الابواب وهو تقدير لا احسبهُ قصيًّا عن الصواب ولو سمت هممهم الى الملاذّ المعنوية ما اصقت نفوسهم بالملاذّ الحسية ولا انقادت لاوامر الطمع والهوى فهم اذًا في عبودية الدنيا كما سبق الايماء حاشا ابا العلاء المعرّي ومن حذا حذوهُ قولاً وفعلاً . فلقد رأيت نفسهُ كملك خرّت الدنيا على قدميهِ فأعرض عنها واقبل يتأمل هذا الكون البديع الناطق بانهُ ابن القدرة الفائقة والحكمة العالية فيالها من نفس شريفة ليس لها غير الفضيلة حلة ألا وهي القائلة

ولو اني حبيت الخلد فردًا لما أحببتُ بالخلد انفرادا
فلا هطلت عليَّ ولا بارضي سحائبُ ليس تنتظم البلادا

---

(١) المرحومة عفيفة كريمة الشيخ سعيد الخوري الشرتوني وقرينة الشابّ الاديب الخواجه نصري موسى المتوفاة في ٦ شباط (فبراير) سنة ١٩٠٦ في مدينة بارا من اعمال البرازيل عن عشرين عامًا

فلو صوَّرت نفس هذا الشاعر لتجلَّت لك الفضيلة . ولو صوَّرت نفوس الشعراء المقيَّدة بحبّ الدنيا المستغرقة للشهوات لبدالك منها الطمع كالحوت فاغرًا فاهُ والحسد كالنار تتقد في قلوبهم ولكنت تنشد حينئذٍ مع القائل في ابي العلاء

قدكان صاحبُ هذا القبرِ جوهرةً كريمةً صاغها الرحمان من شرفِ
عزَّت فلم تعرفِ الايام قيمتها فردَّها غيرةً منهُ الى الصدفِ

فكر ابي العلاء

لم يكن ابو العلاء من حيث الفكر سوقةً ولا رعيةً بل كان ملكاً فهو من اعاظم ملوك الافكار ومن اكابر قوَّاد العقول واما غيره ممن اطلعت على شعرهم فمعظمهم رعايا افكار من درجوا واصحاب معانٍ متداولة ولو اتفق لاحدهم اسلوب جديد في معنى مطروق ولم يكن قد عثر عليهِ فيما طالع او سمع بادر الى دعوى الابتكار كأنهُ قد فتح مملكة عظيمة . وربما لو استقري ما تقدمهُ من الاشعار لظهر انهُ مسبوق اليهِ لا حقّ لهُ فيهِ الآن يُعدّ من باب توارد الخواطر

على انك لو اخذت الابواب التي نظم فيها الشعراء قاطبةً ونظرت الى اصول المعاني لاستطعت ان تردّ الدواوين ديوانًا فانهم لا يختلفون الاَّ في صوَر التعابير وابواب الدخول على المعنى فيكون ذلك الديوان عصارة افكارهم وخلاصة ما انبتت قرائحهم . واما ابو العلاء فقد نظم كثيرًا من المعاني المتداولة لكنهُ جاء بمبتكرات متعدّدة فبحقّ القبة بقائد الافكار فلقد نهج سبلاً لم تنهج من قبل. مررت بخمسة وعشرين ديوانًا غير ديوانهِ ولا ضائع لي فيها الاَّ الغرض الذي ذكرت فان كان قد سُبِق الى ذلك فامرهُ لم اطلع عليهِ

منزلة ابي العلاء ومنزلة الشعراء عند القوَّة العاقلة

لو كان لمصوّرٍ ان يصوّر العقل متصدّرًا في مجلسهِ والشعراء يقبلون عليهِ بقصائدهم التي سجّوا بها لربَّات الحسن والجمال او جعلوها حانات لاهل الشراب ومجامع للمغنين لرثى لهم ولبكى لسوء مصيرهم واراهم انهم قد تركوا ملاذَّ النفس الشريفة الدائمة الى ملاذّ الجسد الدنيئة الزائلة ولكان يهنئُ ابا العلاء ويقرّبهُ ويجلُّ قدرهُ ويكرم وفادتهُ . ذلك اولاً انهُ لم يرضَ لنفسهِ ان ينغمس فيما انغمسوا فيهِ كيف لا وهو القاعل بما قال

ومن يطهرّ بخوف الله مهجتهُ فذاك انسانُ قوم يشبهُ الملكا

وثانيًا انهُ استعان ببيانهِ ووقف اشعة ذهنهِ على ارشاد الافكار ودعاء الناس الى الخير فهو المتبع وصيتهُ الصريحة في قولهِ

عليك بفعل الخير لو لم يكن لهُ من الفضل الأحسنةُ في المسامعِ

خلافاً لمن قال فيهم

لقد جاء قومٌ يدَّعون فضيلةً وكلهمُ يبغي لمجنيهِ نفعا

ولعلك تقول لي ان بعض الشعراء قد نظموا في الحِكَم والنصائح والتوبة والزهد كابن الوردي والمتنبي وابي العتاهية والحريري فلِمَ لم تنظمهم في سلك ابي العلاء ولِمَ هذا الكلف بهذا الضرير. فقلت أما كلفي بهذا الضرير البصير الصحيح البصيرة فلا لآصرة قرابةٍ او معرفة او التماس منفعة فبيني وبينهُ ما يزيد على ثمانمائة سنة فانا اعرف اسمهُ واقوالهُ فقط وهو لا يعرف من امري شيئاً ولا سبيل لي فاقول عنهُ كما قال عن نفسهِ في قول المتنبي

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي واسمعت كلماتي من بهِ صممُ

واما اني لم انظمهم وامثالهم في سلكهِ فلأن اولئك من السكارى بخمرة الملاذ الجسديَّة ومن اسارى المطامع البشريَّة لكنها قد عرضت لهم صحوات فأبصروا طريق الهدى غير ان نفوسهم المصابة بهوى هاتيك الملاذ أبت عليهم ان تسلك ذلك الطريق فكان تأثير قصائدهم المنظومة في تلك الصحوات مثل تأثير الاغاني في بوق الفونوغراف فمن كان هذا حالهُ فهل يحق لهُ ان يجلس الى جنب مثل ابي العلاء الذي تكاد نفسهُ تكون سالمةً مما يشين الفضل او يقدح في النزاهة كما تدلُّ على ذلك افعالهُ وكلام الذين كتبوا سيرتهُ وعاشروهُ فكم في هذه الارض من قائل خير وفاعل شرّ ممن هم مصداق قول شاعرنا الصافي النفس

رويدك قد غررت وانت حرٌّ بصاحب حيلةٍ يعظ النساء

يحرّم فيكمُ الصهباء صبحاً ويشربها على عمدٍ مساء

يقول لكم غدوتُ بلا كساءِ وفي لذاتها رهن الكساء

اذا فعل الفتى ما عنهُ ينهى فمن جهتين لا جهةٍ اساء

شواهد من اقوال شعراء الملاذ الجسديَّة ومن قول شاعر التهذيب

لا احداً ممن طالع الاشعار العربيَّة ينكر عليَّ شيئاً مما قلت ومع ذلك فقد حسن في عيني ان اروي لكلا الفريقين ما يمثلها للمطالع لان الشيءَ يظهر اتم الظهور متى قوبل بضدهِ قال متبنيهم متغزلاً

بما بعنيك من سحرٍ صلي دنفاً يهوى الحياة وأما ان صددت فلا

وقلبي على جمرٍ زكيٍّ من الهوى وعيناي في روضٍ من الحسن ترتعُ

ان كنتِ ظاعنةً فان مدامعي تروي مزادكمُ وتروي العيسا (١)
خودٌ جنت بيني وبين عواذلي حرباً وغادرت الفؤاد وطيسا (٢)

وقال مستجدياً

ارجو نداك ولا اخشى المطال بهِ يا من اذا وهب الدنيا فقد بخلا
ياذا الذي يهب الكثير وعندهُ أني عليهِ باخذهِ اتصدقُ
امطر عليَّ سحاب جودك ثرَّةً وانظر اليَّ برحمةٍ لا اغرقُ

وقلَّت قصيدة لابي الطيب خالية من السؤال وما اطول باعهُ في افانين الاستجداء فكأنهُ امام بني ساسان

واما ابو العلاء فكان ارفع من ان يقول الشعر ابتغاء الصلة واعلى من ان يصرف نفسهُ عن جمال الخالق الدائم الى جمال المخلوق الزائل ومثلهُ تكون سطوة الجمال البشريّ على قلبهِ ذاهبةً بهِ الى الغرام بالجمال الالهي

وقال عنترة متغزّلاً

احبكِ يا ظلوم فانت عندي مكان الروح من جسد الجبانِ
ولو اني اقول مكانَ روحي خشيتُ عليكِ بادرةَ الطعانِ

وهو في اكثر قصائدهِ يتغزَّل بعبلة كما يتغزل كثير بعزَّة وغيلان بميّ وقيس بليلى وجميل بثينة وعروة بعفراء فلهم في اولئك النسوة قصائد تصف سكرات الغرام وتصوّر ضعف النفس التي غلب عليها حبّ المحاسن الزائلة فهاك منها ما هو كحبة من كثيبٍ (٣)

اذا رمتُ عنها سلوةً قال شافعٌ من الحسن ميعاد السلو المقابرُ
فيا حبها زدني جوًى كل ليلةٍ ويا سلوة الايام موعدك الحشرُ
فلو انَّ ليلى الاخيليَّة سلَّمت عليَّ ودوني جندلٌ وصفائحُ
لسلَّمت تسليم البشاشة او زقا اليها صدًى من جانب القبر صائحُ
رهبان مدين والذين عهدتهم يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعتُ كلامها خرُّوا لعزَّة رُكَّعاً وسجودا

واليك مما قيل في الشراب وهو قطرة من سحاب

خليليَّ قد طاب الشراب المورَّدُ وقد عدتُ بعد النسك والعود احمدُ

(١) المزاد جمع المزادة وهي قربة الماء والعيس الجمال البيض (٢) الوطيس: التنور (٣) تل رمل

فهاتا عقاراً في قميص زجاجةٍ كياقوتةٍ في دُرَّةٍ تتوقدُ
يصوغ عليها الماء شبَّاك فضةٍ لهُ حلقٌ بيضٌ تحلُّ وتعقدُ

فصبوا عقاراً في اناء كأنها اذا لحظوها جذوةٌ تتأكلُ (١)
تدبُّ دبيباً في العظام كأنهُ دبيبُ نمالٍ في نقاً يتهيلُ (٢)

وقد اوصى بعض عبيد الخمرة قال

اذا متُّ فادفني الى جنب كرمةٍ تروّي عظامي في الممات عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فانني أخاف اذا ما متُّ ان لا اذوقها

وقد اوصى عبد آخر من عبيد الراح ان تصفّ لهُ الاقداح حول المقبرة في ابيات شردت عن حافظتي وضاعت ورقة كنت قد كتبتها عليها

شواهد من قول شاعر التهذيب

اعجل بتسبيح ربٍّ لا كفاء لهُ او رتّلنهُ ولا تجنح الى رتلِ
لا تطيعي هواكِ ايتها النفس فنعمى المليك فينا ربيبه
فالزمي النسك ان عقلتِ وفرّي من ذوي الجهل كي تعدّي لبيبه
ومما أدام الرزء تكذيب صادقٍ على خبرةٍ منا وتصديق كاذبِ
الدين انصافك الاقوام كلهمُ وايُّ دينٍ لآبي الحق ان وجبا
وما الغواني الغوادي في ملاعبها الاّ خيالاتُ وقتٍ أشبهت لعبا
اذا تفكرت فكراً لا يمازجهُ فساد عقل صحيح هان ما صعبا
فاللبُّ ان صحّ اعطى النفس فترتها حتى تموت وسمّى جدّها لعبا
أبينا سوى غشّ الصدور وانما ينال ثواب الله اسلمنا قلبا
ودان اناسٌ بالجزاء وكونهِ وقال رجال انما انتمُ بقلُ
فاوصيكم اما قبيحاً فجانبوا واما جميلاً من فعالٍ فلا تقلوا
فاني وجدت النفس تبدي ندامةً على ما جنتهُ حين يحضرها النقلُ
وان صدئت ارواحنا في جسومنا فيوشك يوماً ان يعاودها الصقلُ
قد صدّق الناس ما الالباب تبطلهُ حتى لظنوا عجوزاً تحلب القمرا

---

(١) الجذوة : الجمرة (٢) النقا : تل الرمل ويتهيل : ينحدر

قد فاضت الدنيا بادناسها ... على براياها واجناسها
والشر في العالم حتى التي ... مكسبها من فضل عرناسها
وكل حيّ فوقها ظالمٌ ... وما بها اظلم من ناسها

والجسم للروح دار طال ما لقيت ... هدماً وحقٌ لرب الدار تحويلُ
اخذتَ ميثاق ايام غررت بها ... وما على ذلك الميثاق تعويلُ
في قبضة الله اعمارٌ مقسمةٌ ... لها اذا شاء تقصير وتطويلُ

وشغلُ فمٍ يستغفر الله ذنبهُ ... احقُّ بهِ من ذكر زينب او جملِ

ولقد حفرتُ على اليقين بخاطري ... ما كاد يبلغ حفرهُ الانباطا

واري ملوكاً لا تحوط رعيةً ... فعلامَ تؤخذ جزيةٌ ومكوسُ

ملّ المقام فكم اعاشر امةً ... امرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعيةَ واستجازوا كيدها ... فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

جهل الديانة من اذا عرضت لهُ ... اطماعهُ لم يُلفَ بالمتماسكِ

وردنا الى الدنيا باذن مليكنا ... انغزى ولسنا عالمين بما غزي
ذوو النسك خير الناس في كل موطنٍ ... وزيهم بين المعاشر خير زي

فلا يغرّنك من قرائنا زمرٌ ... يتلون في الظُلَم الفرقان والزُمَرا
يبدي التدين محتالٌ ضمائرهُ ... غير الجميل اذا ما جسمهُ ضمرا

وعظ الزمان فما فهمت عظاتهِ ... وكأنهُ في صمتهِ يتكلمُ

كم وعظ الواعظون منّا ... وقام في الارض انبياء
فانصرفوا والبلاء باقٍ ... ولم يزل داؤك العياء

وكم فاتك الشيءُ الذي كنت راجياً ... وجاءك بالمقدار ما لم تكن ترجو

اللبُّ قطبٌ والامور لهُ رحى ... فبهِ تدبّرُ كلها وتدارُ

اذا صغّروا منّا حاسدوك فلا تُرع لذلك والدنيا بسعدك تثغرُ
فانّ الثريا والجبين وحسبنا بها ومهيلاً كلهنّ مصغّرُ

والعقلُ يزجرُ والطباعُ مع النهى كالفيل يضرب رأسه بالمعولِ

والحق يثقلُ كل غاوٍ ظالمٍ واخو الديانة مـا يحسُّ بثقلهِ

وكيف لا تخبثُ النفس التي جعلت من جسمها في وعاء كلهُ دنسُ

والجسم كالثوب على روحهِ ينزع ان يخلق او يتسخ

ارواحنا معنا وليس لنا بها علمٌ فكيف اذا حوتها الاقبرُ

النفس عند فراقها جثمانها محزونة لدروس ربعٍ عامرِ
كحمامةٍ صيدت فثنّت جيدها اسفًا لتنظر حال وكرٍ دامرِ

خالقٌ لا يشكّ فيهِ قديم وزمانٌ على الانام تقادم

القلبُ كالماء والاهواء طافية عليهِ مثل حباب الماء في الماء

ولو جزينا على خلائقنـا امسك عنا الحيا فما نزلا

لا ييأسنّ من الثواب مراقبٌ لله في الايراد والاصدارِ
فترى بدائع انبأت متحمسًا ان الجزاء بغير هذي الدارِ

لم يعفُ ربك عن مصرٍّ ماردٍ لكن تجاوز عن مسيءٍ تابا

لن تستقيم امور الناس في عصرٍ ولا استقامت فذا أمنًا وذا رُعبا
ولا يقوم على حقٍّ بنو زمنٍ من عهد آدم كانوا في الهوى شعبا

خضبتَ بياضًا بالضبيب صبابةً ببيضاء عدّتك البنان المخضّبا
وما كان حبل العيش الأ معلّقًا بعروة ايام الصبا فتقضّبا

تحلّ بتقوى او تحلّ بعفةٍ فذلك خيرٌ من سوار وخلخالِ

فقابل ان شئت بين اقوالهِ واقوالهم تجد ان لهُ نفسًا لم تكن مطية للطمع والهوى كما ذكرت لك . ولقد تفنن فيا كرّرهُ من ذمّ مخالطة الناس ومن الانتقاد على القباح السيرة

وشدَّد النكير في ذلك ولا سيما على رجال الدين واذا عارضتَ اقوالهُ في المراثين باقوال السيد المسيح في الكتبة والفريسيين تبيَّنتَ انهُ قد عقد كثيرًا من آيات الانجيل فمن ذلك قولهُ في اخفاء الاحسان

أَسرِر جميلك وافعل ما هممتَ بهِ ان المليك على الاسرار مطَّلعُ

هذا واختم مقالتي اولاً باني لم ارَ ابا العلاء في قبضة الاسف والغمّ تلتهب في قلبهِ جمرة الحزن لخطب نزل الاَّ عند ما قُبِض والدهُ ووالدتهُ فقد استسلم للجزع واستولى الضعف على نفسهِ ونسي كل ما قالهُ في فائدة الموت وعدم مبالاتهِ بالمصائب وليتني كنت من اهل عصرهِ لكي انشدهُ في يوم ابيهِ قولهُ

تعبٌ كلها الحياةُ فما اعجبُ الاَّ من راغبٍ في ازديادِ

واسمعهُ في يوم امهِ قولهُ

لا استقيلُ زماني عثرةً ابدًا ما شاء فليأتِ انَّ الشهدَ كالصابِ

وثانيًا انهُ افرط في ذمّ البشر حتى قال

هل يغسل الناس عن وجه الثرى بشرٌ فما بقوا لم يبارح وجههُ الدنسُ
يبغون منيَ ميناً لستُ احسنهُ فان صدقتُ عرتهم اوجهٌ عُبسُ

وثالثًا اني التمس من فحول شعراء العصر ان يهجروا النظم فيما سئمتهُ النفوس ويستعينوا بما رُزقوهُ من القريحة الشعرية على خوض المواضيع التي تبعث النفوس على الاعمال الشريفة الا وان الشعر الجيد يستميل القلب ويطرب السمع ويرتبط بالذاكرة فهذا ابو العلاء لا شكّ انهُ جاء بما ينبه الافكار وينير الاذهان فشعرهُ روضة ادب وصلاح ومثال لاحوال الدنيا واهلها. فهذه الافكار الصافية من ينبوع نفسهِ الصافية فهو اذا وقع الى ايدي الاعاجم ونقل الى لغاتهم برفعونهُ على سائر الشعراء ذلك انَّ في بعض اشعارهِ من اشعة العقل ما ليس في دواوينهم ولولا خوف الاطالة لكنت اروي لك من بدائع لبدهِ ما يأخذ بمجامع قلبك ويريك بعد المسافة بين نظرتهِ ونظرة غيره ولكن قلبي لا يطاوعني ان القي القلم من يدي قبل ان انسخ لك قول هذا الفاتح الفكري

لعمرك ما غادرتُ مطلع هضبةٍ من الفكر الاَّ وارتقيتُ هضابها

اسباب الاحتلال البريطاني

(٢)

وصلنا في النبذة الاولى التي نشرناها في الجزء الماضي مقتطفة من كتاب لورد كرومر الى ما حلَّ بالقطر المصري من الضيق لما اصرَّت فرنسا وانكلترا على الحكومة المصرية لتدفع كوبون الدين فاضطرَّ الفلاحون ان يبيعوا محصولاتهم سلفاً بارخص الاثمان واضطرَّ النساء ان يبعن حلاهنَّ. وقد قال لورد كرومر بعد ذلك ان قومسيون صندوق الدين كان يرى من الجهة الواحدة انهُ يجب عليهِ ان يراعي مصلحة المداينين و يدافع عنها. ومن الجهة الاخرى ان اهالي القطر مظلومون مغبونون ولا يليق باخي المروءة والشهامة ان يغضي عنهم. وظاهر الامر ان مصلحة المداينين ومصلحة الاهالي متناقضتان والحقيقة انهما متفقتان فان المداينين والاهالي كانوا يشكون شكوى واحدة من فساد الحكومة واسرافها فلو صلحت الحكومة واقتصدت في نفقاتها لصلح حال الاهالي واستطاعت الحكومة ان توفي ما يُطلب منها من فوائد الدين من غير ان ترهق الاهالي. افلا يمكن ان تُستعمل مصلحة المداينين وسيلة لاصلاح الحكومة المصرية فتصلح حال الاهلين وتضمن مصلحة المداينين. هذه كانت المسألة المهمة التي شغلت الافكار حينئذٍ. ومن البيّن ان لفرنسا وانكلترا المصالح الكبرى في القطر المصري سياسياً ومالياً فلنائبيهما وهما لورد كرومر والمسيو ده بلنيير الكلمة العليا في صندوق الدين ولكن المداينين الانكليز كانوا اقرب الى التساهل والانصاف من غيرهم على ما قالهُ لورد كرومر فلم يطلبوا منهُ ان يضحي مصلحة غيرهم لاجل مصلحتهم لاسيما وان في البلاد الانكليزية حزباً قوياً ضدهم يهتم بانصاف المصريين ولو ظلم المداينين. واما المداينون الفرنسويون فكانوا متسلطين على الحكومة الفرنسوية ولم يكونوا يجدون في الرأي العام الفرنسوي مقاوماً لهم كما وجد المداينون الانكليز

ورأى صندوق الدين من ذلك الحين انهُ لا بدَّ من تخفيض معدل الربا ولكنهُ وجد انهُ لا يستطيع ان يحل هذه المسألة حلاً صحيحاً ما لم يقف على حال مالية الحكومة بالتدقيق ويعرف ما لها وما عليها معرفة تامة فطلب ان تؤلف لجنة لتحقيق ذلك فرضي الخديوي اسمعيل ان يعين شخصاً واحداً لتحقيق حال الايرادات لا غير واتفق ان الجنرال غوردون كان راجعاً حينئذٍ من السودان وكان الخديوي يعلم انهُ مشهور في بلاده وان ضلعهُ مع المصريين وهو يجهل الامور المالية فيصدّق كل ما يقال لهُ فاحبَّ ان يعينهُ للتحقيق ولكنهُ لم يفلح في ذلك

لان غوردون نفسهُ رأَى ان هذا التعيين ظاهري فقط يُقصد بهِ التضليل فلم يقبل بهِ بل غادر البلاد حالاً

ولجَّت انكلترا في طلب التحقيق التام وساعدتها المانيا والنمسا وايطاليا ولكن الحكومة الفرنسوية لم تشدد في طلب التحقيق لانها علمت ان نتيجتهُ ستكون تخفيض معدَّل الربا . واقامت انكلترا على لجاجتها خمسة اشهر الى ان صدر امر الخديوي في ٤ ابريل سنة ١٨٧٨ بتعيين لجنة التحقيق برئاسة المسيو ده لسبس وجعل السر رفرس ولسن ورياض باشا نائبين لهُ . وقد اطنب لورد كرومر بمدح رياض باشا على ما ابداهُ من الحرية والاستقلال في الرأي وعدم المصانعة للخديوي اسمعيل

وطلبت لجنة التحقيق من شريف باشا ان يحضر ويجيبها عن بعض المسائل وكان الامر الخديوي يوجب على كل موظف ان يجيبها عما تسأَلهُ اما شريف باشا فابى ان يحضر امامها واستعفى من منصبهِ وكان ناظرًا للحقانية

ولا تسأَل عن المظالم والمغارم التي اكتشفتها لجنة التحقيق في طرق ابتزاز الاموال من الاهالي ولا عن مهاوي الاسراف والتبذير التي كانت تصبُّ فيها الاموال المصرية . من ذلك ان اميرة من العائلة الخديوية اشترت ثيابًا من بيت فرنسوي بمئة وخمسين الف جنيه . ومنها ان الخديوي كان يضارب في البورصة ويخسر مبالغ طائلة . وكان يدفع المبالغ الكبيرة لبعض الجرائد الاوربيَّة حتى تتغنَّى بمدحهِ . ومنها انهُ أُنفق على انشاء مرفإِ الاسكندرية مليونان ونصف من الجنيهات وهو لا يكلف اكثر من مليون واربعمائة الف جنيه الاَّ ان المرفأ كان متقنًا مفيدًا . وفي احوال اخرى كثيرة كانت الحكومة المصريَّة تطالَب باموال طائلة وهي لا تعلم كيف أُنفقت تلك الاموال . هذا ناهيك بالربا الفاحش الذي كان يدفع الى بعض المداينين وببيع النسيئة او المضاربة وهو ان تبيع الحكومة مقدارًا كبيرًا من المحصولات لبعض التجار وتقبض ثمنها نقدًا وهي ليست عندها ولا تنتظر ان تستغلها فاذا جاء وقت التسليم سلمت بعض ما باعتهُ لانها كانت تأْخذ بعض الضرائب عينًا واشترت البقية من المشتري بثمن يزيد على الثمن الذي باعتهُ بهِ ٢٥ في المئة وقد لا تستطيع ان تسلمهُ شيئًا مما باعتهُ اياهُ ولا تستطيع ان تسلمهُ الثمن فتعطيهِ سندات عليها فائدتها ١٨ الى ٢٠ في المئة سنويًا وذلك ليس عن الثمن الرخيص الذي باعتهُ بهِ بل عن الثمن الغالي الذي "غطت" بهِ اخيرًا ما باعتهُ لهُ اولاً . ولذلك فالربا الذي كانت تدفعهُ يفوق كل تقدير والامثلة على هذا كثيرة جدًّا منها ان الحكومة ارادت مرةً ان توفي بنكًا مبلغ ٧٢٠٠٠

جنيه فاعطته سندات قيمتها الاصلية ٢٣٠٠٠٠٠ جنيه وفائدتها ٦ في المئة سنوياً لانها حسبت ان سعر المئة الجنيه من سنداتها حينئذٍ ٣١ ٥/٨ فتحمَّلت البلاد ديناً مقداره ٢٣٠٠٠٠٠ جنيه بفائدة ٦ في المئة لكي توفي ٧٢ الف جنيه لا غير

ومن المغارم التي ذكرها لورد كرومر دين الرزنامة الذي ابتدعته الحكومة الخديوية سنة ١٨٧٤ وهو خمسة ملايين من الجنيهات طلبتها من الاهالي بفائدة ٩ في المئة سنوياً وقبضت الخزينة منها ١٨٠٠٠٠٠ جنيه ولكنها لم تعطِ بها سنداً ولا اعطت الفائدة الاّ مرةً واحدة وذلك لبعض المقرَّبين لا غير. واستدانت الاموال التي كانت في بيت المال واكلت الاصل والفائدة

واسهب لورد كرومر في وصف ادراة الحكومة المصرية حينئذٍ ووصف العلاج الذي اشارت بهِ لجنة التحقيق بعد بحث اربعة اشهر ومداره على امرين الاول تعيين نظارة للمالية تتولى جمع الاموال الاميرية وانفاقها حسب ميزانية تعمل لذلك مستقلةً عن الخديوي . والثاني تعيين راتب محدود للخديوي بدل املاكهِ وتعطي املاكه للحكومة . وارسلت اللجنة تقريرها الى الخديوي في اوائل اغسطس فتردد اولاً عن قبول ما اشارت بهِ ولكن نوبار باشا اشار عليهِ بقبولهِ فقبلهُ وطلب من نوبار باشا ان يؤلف وزارة مسأولة لحكم البلاد معها وبها فالَّف الوزارة واخذ نظارتي الخارجيَّة والحقانية وعيَّن رياض باشا للداخلية والسر رفرس ولسن للمالية والمسيو ده بلنير للاشغال العمومية واصدر الخديوي امرًا في ٢٩ اكتوبر اعطى بهِ املاكهُ للحكومة وخوَّلها ان تقترض ٨٥٠٠٠٠٠ جنيه بضمانة تلك الاملاك وان تدار تلك الاملاك بمجلس مؤلف من مدير مصري ومدير انكليزي ومدير فرنسوي والاخيران تعينهما دولتاهما . واستلم السر رفرس ولسن والمسيو ده بلنير مقاليد منصبيهما في آخر نوفمبر سنة ١٨٧٨

ومدح لورد كرومر تلك الوزارة واثنى على نوبار باشا بما هو اهلهُ وقال انهُ (اي نوبار باشا) كان يرى وجوب استقلال الوزارة عن الخديوي لكي تأخذ حريتها في البحث والعمل وهذا كان رأي رفرس ولسن ايضاً ولكن لورد فقيان معتمد انكلترا في القطر المصري كان يرى انهُ لا يمكن اقصاء الخديوي عن مجلس النظار ولا يمكن العمل بدونهِ لشدة سطوتهِ في البلاد فاذا لم يهتم بمساعدة مجلس النظار اهتم بمقاومتهِ وهذا كان رأي لورد كرومر ايضاً . وكان الخديوي يشكو من ان انكلترا وفرنسا تعدانهِ مسؤولاً عن حكومة البلاد والوزارة تعمل اعمالها بغير مشورتهِ

وكانت الضيقة المالية قد ألجأت الحكومة الى تأخير دفع الرواتب للجنود والى رفت كثيرين من الضباط لكي تتخلص من دفع الرواتب لهم وكان في مصر ٥٠٠ من الضباط واستدعى ناظر الحربيَّة ٢٠٠٠ من الاقاليم لكي يدفع اليهم جانباً من المتأخرات ويأخذ اسلحتهم فتمردوا وترصدوا نوبار باشا والمستر رفرس ولسن وهما ذاهبان الى الديوان صباح ١٨ فبراير فهجموا عليهما واهانوهما وجرُّوهما الى نظارة المالية وحبسوهما فيها وقطعوا اسلاك التلغراف لكنهما وجدا من اوصل خبرهما الى لورد ففيان فقابل الخديوي حالاً وركب الخديوي معهُ الى نظارة المالية فوسَّع الضباط الطريق لمركبته بكل احترام وحيوهُ التحية المعتادة ودخل هو ولورد ففيان نظارة المالية فوجدا نوبار باشا وریاض باشا والمستر رفرس ولسن في غرفة يحيط بها الثائرون فامرهم الخديوي ان يخرجوا من النظارة ووعدهم بان ينظر في شكاويهم فاطاعوهُ كرهاً وهم يطلبون ان يتركهم لكي يأخذوا حقهم بيدهم ولما نزلوا الى الدار انضموا الى سائر الضباط فامرهم الخديوي ان ينصرفوا الى بيوتهم ولما ابوا امر العساكر ان يطلقوا النار عليهم فاطلقوا النار جزافاً في الهواء واطلق بعض الضباط مسدساتهم على العساكر فجرحوا بعضهم وهجم عليهم العساكر بالحراب فجرحوا بعضهم ايضاً وضرب احد الضباط رجلاً من بطانة الخديوي بسيفهِ فجرحهُ وهو واقف الى جانب الخديوي . ودامت الحادثة نصف ساعة

واخبر الخديوي وكلاء الدول يومئذٍ انهُ لا بدَّ من تغيير الحالة الحاضرة ورد السلطة اليهِ والَّا فهو غير مسؤول عما يحدث في البلاد . وذهب وكيل انكلترا ووكيل فرنسا اليهِ وطلبا منهُ ان يخبرهما ما هو التغيير الذي يطلبهُ فقال ان يترأس هو جلسات مجلس النظار او ان يباح لهُ ان يختار رئيساً للنظار يثق بهِ لانهُ لا يثق بنوبار باشا بل يعتقد انهُ عامل على نزع كل سلطة من يدهِ . فسأل الوكيلان نوبار باشا هل يكفل حفظ النظام اذا عضداهُ فاجاب كلَّا لا يمكنني ان افعل ذلك وطلب منهما ان يقدما استعفاءهُ الى الخديوي ففعلا . وكان لهذه الحادثة نتيجتان نتيجة قريبة وهي استعفاء الناظرين الاوربيين وبعيدة وهو تنبُّه الجنود الى المطالبة بحقوقهم المهضومة فقبل ذلك كانوا يشكون ولا احد يسمع فلما سمعت شكواهم في هذه النوبة تجرأوا على المجاهرة بالشكوى وعلموا ان لهم صولاً وحولاً ما دامت اسلحتهم في ايديهم . وذلك التمرُّد الطفيف كان فاتحة الثورة العرابيَّة كما سيجيء

وذكر لورد كرومر ما شاع حينئذٍ وهو ان الخديوي اسمعيل كان المحرّك لذلك التمرُّد لكي يتخلص من وزارة نوبار باشا ومن السيطرة الاجنبيَّة فقد روى بعضهم ان شاهين باشا

اخبر الخديوي قبل ذلك بايام قليلة عن ظلامات الضباط فقال له الخديوي بالفرنسوية Pourquoi les officiers restent-ils tranquilles? اي لماذا يبقى الضباط ملازمين السكينة وكلمة مثل هذه تكفي لاقناع الضباط انهم اذا قاموا فالخديوي معهم

في العزلة[1]

(١)

جاء في الامثال ان في الحركة بركة وليس فيكم على ما اظن من ينكر صحة هذا المثل او من لا يعمل به واما هذا الفقير فانهُ لا يعتقد بصحتهِ ولا يعمل بموجبهِ · وقد خطر لي منذ سنين ان اعكس الآية واجري على ضدها · فقلت ان كان في الحركة بركة ففي الفلوات بركات وفي القعود سعود وفي الهدو نموٌّ وسموٌّ واشياء اخرى من هذا الباب . ولا يخفى عليكم ان في هذه الامثال حكمة تختلف عن حكمة المثل السابق بل تختلف اختلافًا جوهريًّا يحاكي اختلاف النفس عن الجسد · فالحكمة فيها روحانية معنوية وحكمة من يقول ان في الحركة بركة مادية عملية تجارية لذلك آثرت الاولى على الثانية فاوقفت عملي وخرجت من الوسط المضطرب لافكر قليلاً في ما انا فيهِ لارى اين انا من نفسي ومن الله · وحقًّا اني تألمت لما وقفت متأملاً : تألمت لما رأيتني قريبًا من الناس بعيدًا عن نفسي وعن الحي · فتركت الحركة والبركة للعمال ولبني الاشغال وسلكت في نور الحكمة والحقيقة مسلكاً جديدًا . وهذه حالة لا بدَّ منها لكل من تنبهت فيهِ الروح · هي طور من اطوار الفيلسوف الاولى اول ريشة في جناح الشاعر . اول حادثة خطيرة في حياة الاولياء والانبياء . اول عقدة روحية عقلية يعجز عن حلها اكثر المفكرين . وجدت نفسي في هذه الحالة متألمًا متحيرًا مترددًا . تألمت كثيرًا لما رأيتني في الغربة بين شعب لا يعرف معنى السكينة ولا الراحة ولا الجمال · وجدت نفسي في بلاد فيها الحركة دائمة متواصلة واما البركة فيقال فيها ما يقال في بعض الامراض انها حادة متقطعة · وجدت نفسي بين قوم يأكلون ماشين ويقرأون آكلين ويعدون النقود راكضين ويعبدون الاوثان قائمين قاعدين · يقدمون ارواحهم ضحية لآلهة ما سمعت باسمائها العصور الغابرة · عشت زمنًا بين قوم يقال انهم مسيحيون ولكنهم

(١) خطبة تليت في جمعية شمس البر ببيروت

في الحقيقة وثنيون . وثنيون بترفهم وبطرهم . وثنيون باخلاقهم وشعورهم . وثنيون بطامعهم واستئثارهم . وثنيون بتعدد آلهتهم . واما هياكل هذه الآلهة واصنامها فانك لا تشاهدها بباصرتك قائمة في الاسواق بل ينبغي ان تنظر اليها ببصيرتك فتراها في كل حي وجماد يتحرك . تعال معي لاريك آلهة هذا الزمان الجديدة . آلهة هذا التمدن الحديث . تعال معي لاريك من الهياكل والاصنام الواناً واشكالاً فهذا صنم من القطن لاله البورص وذاك صنم من الفحم لاله المعادن . هذا صنم من السكر لاله الحقول وذاك صنم من الخشب لاله الغابات . وههنا هيكل من المرمر والرخام لاله التجارة وهناك الهيكل الاكبر المشيد من حجارة الذهب والفضة لاله الآلهة اله الامة اله المال . والناس هنالك يعبدون اموالهم راكضين من هيكل الى آخر ومن اله الى اخيهِ . يعبدون هذه الآلهة الغريبة قائمين قاعدين . يعبدونها ويخدمونها ويموتون في سبيلها . يعبدونها في كل حالاتهم . يخدمونها في حركاتهم وفي سكناتهم . خرجت من بين هؤلاء المشركين طالباً في البرية ربي مثل ابرهيم . خرجت من بينهم وانا على اعتقاد ان المرء ان قرب من العالم الجديد ابعد عن الطبيعة وعن الشعر وعن الجمال الروحي وعن الله . ولذلك حولت وجهي الى مشرق الشمس وعدت في طريقي الى ارض الانبياء . عدت الى وطني لاقترب من جمال الشرق الشعري وجمالهِ الطبيعي وجمالهِ الروحي بل الالهي اي الجمال الدائم الابدي الذي لا تشينهُ الحالة السياسية المختلة ولا الحالة الاجتماعيَّة المعتلة

عدت الى مسقط رأسي باحثاً عما اضعتهُ هناك ايام الصبا . افلتُّ من اشراك التمدن والحمد لله وفررت هارباً الى الفريكة . على كتف الوادي وبالقرب من كروم اجدادي نصبت خيامي . فوق نهر الكلب وقبالة جبل صنين رفعت رايتي البيضاء عوضاً عن العلم الاحمر الذي وضعتهُ في يدي احدى بنات الحرية في البلاد الاميركية . رفعت علم السلم فوق فلسفتي الاجتماعية بعد ان كان عليَّ علم القتال وكتبت على بابي — في اصلاح الفرد اصلاح الامة وفي تهذيب الشعب اصلاح الرؤساء والحكام . نعم سادتي ان التهذيب خير من التخريب . على ان ذلك ليس من موضوعي هذه الليلة فالمجال ضيق لمثل هذا البحث واضيق منهُ منبر هذه الجمعية

عدت الى وطني طالباً فيهِ راحة العقل وراحة النفس وراحة الجسد . بل طالباً فيهِ شيئاً اشرف من كل ذلك واسمى — طالباً في الطبيعة ومنها ما ينسي المرء عقلهُ ونفسهُ وجسدهُ . عدت يا سادتي لا كما عاد قيصر الى رومية او هوجو الى باريس . عدت قانعاً

شاكراً راضياً وتذكرت السندباد لما عاد من سفراتهِ وابا العلاء لما عاد الى معرتهِ . فشكرت الله كالسندباد على سلامتي في الغربة . ولجئت كابي العلاء الى العزلة في قريتي هرباً من الحضارة ومتاعبها . وشغفاً بالطبيعة وجمالها . وحباً بالتأمل ولذاتهِ . وتقرّباً من الله وبركاتهِ . فدخلت هذه المدينة كما يدخل الكاهن الهيكل او اللص البيت . دخلتها من باب السر فلم يدرِ بي من الاخوان احد . وصعدت الى الجبل ولم يدرِ بي احد . واقمت هناك زمناً في ظلال الصنوبر ولم يدرِ بي احد . فاضطجعت على العشب ورأسي في ظل دزالة زاهرة — انا للطبيعة وانا اليها راجعون — وشكرت الله شكراً جزيلاً ووددت لو كان بيني وبين المدن اضعاف ما بيني وبينها من الوهاد والجبال والبحار

واظنني اخطأت مرة فردّدت بصوتٍ عالٍ صدى صوت نفسي . وما علمت ان للاشجار عيوناً وللصخور آذاناً . بل ما علمت ان النهر يحمل الى المدينة صدى صوت الوادي وصدى ارواح ساكنيهِ . في صباح يوم من فصل الشتاء سمعت حديثاً دار بين شجرة كبيرة من الصنوبر واخرى صغيرة او بين ام الغاب واحدى بناتها . قالت الابنة من هذا الغريب الذي لا يخاف السكنى معنا في هذا الشتاء فاجابت الام . ما هو بغريب يا بنيتي وانما هو من نبات هذه الارض ومن سنديان هذه الجبال . هو من ابنائنا يا بنيَّة . وقد طالما حملتهُ وحملتهُ من ثماري لما كان صغيراً . قد طالما فرشت لهُ من ريشي وظلي ما يزيل تعب الجسد وهم الفؤاد وبعثت اليهِ من ارج نسيمي ما ينعش النفس ويحييها ومع ذلك فقد هجرنا زمناً طويلاً وعاد اليوم ليكفر عن ذنوبهِ امامنا وفي ظلنا . حبيهِ يا ابنتي فانهُ يحبنا

وبمثل هذا كانت الاشجار تفشي اسراري الى النهر والنهر يحملها الى البحر والبحر يلقيها بلا اكتراث على شواطىء هذه المدينة . وقيل ان الصيادين سمعوا ذات يوم في هدير الامواج اصواتاً غريبة مطربة فظنوا ان احداً من الجن يكلمهم بلساننا العربي الشريف . وقيل انهم فهموا من الغاز الامواج شيئاً يسيراً واشاعوا في البلد اشاعات تحوّلت بعد ايام خرافات وخزعبلات تشير كلها الى ان في وادي الفريكة ناسكاً تسجد لهُ الصخور وتخاطبهُ الاشجار وتكلمهُ السواقي وتستشيرهُ الطيور . فاستغربت الخبر كما استغربهُ الناس وبعد ان فتشت في الوادي عن الناسك واعياني التفتيش كتبت الى احد الاصدقاء كتاباً هزأت فيهِ من هذه الخرافات التي قصها البحر على الصيادين واذاعها الصيادون في المدينة فزاد الكتاب الطين بلة لان الادباء الذين سخروا مثلي بهذه الخرافات اعتقدوا بعدئذٍ صحتها وطفقوا ينشرونها في اندية الادب فتجسمت الاشاعة حتى استحالت خرافة واصبحت في اعتقاد الناس حقيقة راهنة . فاهتمَّ

بعض اعضاء هذه الجمعية بالامر وكتب احدهم اليَّ لاصدقه الخبر. ثم جاءني من الجمعية نفسها كتاب تسألني به ان اتحفها بشيء من اخبار الناسك واسفاره . وبعبارة اوضح دعتني الى الخطابة في حفلتها السنوية منذ سنتين فلبَّيت الدعوة وبعثت الى الجمعية بشيء من ثمار نفس الناسك المذكور ولبثت انتظر جوابها وبينما انا اتوقع منها كتاب شكرٍ جاءني الرسول بعد اسبوع ومعهُ الثمار التي بعثتها. ثماري اعيدت اليَّ . ردَّت الجمعية هديتي بلا عذر ولا شبه عذرٍ ارجعت الثمار واغفلت الاعتذار وبعثت مع الرسول تقول قد فحص الطبيب ثمارك فوجدها مضرة بصحة هذه الامة . وجد فيها مكروبات عديدة غريبة خبيثة . فكانت هذا منها اهانة فوق اهانة لكنني قبلتها شاكرًا وحسبتها من جملة ما ينبغي ان يعرض عنهُ المرء في عزلتهِ حسبتها مما ينبغي ان نترك وراءنا اذا حوَّلنا وجهنا نحو شمس النفس الشارقة من وراء جبال الحقيقة المرسلة ما فاض من نورها فوق مروج الشعر وبحيرات الخيال . فظلَّ الناسك والحال هذه هائمًا في واديهِ ولم يدرِ ان الجمعية لم تزل تناديهِ . على انهُ لم يكد يرفع طرفهُ الى سماء الروح ويلمس بيدهِ ما تجسم امامهُ من السعادة الروحية الحقيقيَّة حتى جاء هذا الشتاء وفيهِ ما هو مقضي عليهِ من الشدة والبلاء . فهجر صومعتهُ في الجبل مضطرًا واستعاض من شذا الاودية بروائح الادوية وعن الاولياء بالاطباء . مع ان الفرق بين الاولياء والاطباء قليل لا يستحق الذكر . فكم من طبيبٍ فاضلٍ يستحق ان يطوَّب قديسًا او يدعى وليًّا بعد موتهِ فقد تعرفت بفضل آلامي العصبيَّة بعددٍ وافرٍ من هؤلاء الناس وبان لي بالاختبار ما كنت اجهلهُ . تحققت ان الفرق بين الطبيب والكاهن كالفرق بين الكاهن والمحامي . كلهم نفعنا الله بعلمهم وببرّهم يتعاطون الجربزة . كلهم يتاجرون بشيء من الحقيقة وبكثير من الخزعبلات والاوهام . على ان الطبيب ارفع درجة من الكاهن والكاهن ارفع درجة من المحامي . والثلاثة يا سادتي من سلالةٍ واحدة ومن بطن واحد . ثلاثة عقبان من بيضة واحدة . ومن الشرور ما كان لازمًا للبشر . ومن الشرور ما هو نافع للانسان . وقد كنت اسيرًا لشيء منها في هذه المدينة

لما جاءني رئيس هذه الجمعية أسرني بلطفهِ وجميل ادبهِ وكلمني مرةً اخرى في امر الخطابة . الحَّ عليَّ الرئيس وعدد من الادباء باسلوب جعلني اظن ان الجمعية تنوي ان تحاصرني في الفريكة وتعقد جلستها هناك اذا كنت لا اتكلم في حفلتها هنا . فخفت من المضايقة في عزلتي ونتيجة خوفي ايها الكرام وقوفي امامكم الآن خطيبًا . عفوًا سادتي ماجئتكم خطيبًا هذه الليلة بل محدثًا وسأحدثكم في موضوع العزلة ومنافعها ومضارها

(٣)

العزلة اما داء واما دواء واما غذاء · هي داء لمن لا يجد في نفسهِ ما يغنيهِ عن معاشرة الناس ولو زمناً قصيراً . وهي دواء لمن سئمت نفسهُ من ملاذ هذا المجتمع وموبقاتهِ من سرورهِ وشرورهِ فيعود الى امهِ الطبيعة لتداويهُ بنور شمسها وعليل هوائها وشذا رياحينها · وهي غذاء لمن يخرج من الهيئة الاجتماعية والنفس نافرة من محيط هي غريبة فيهِ · يعتزل الانسان طالباً في الطبيعة الراحة التي لا يعرفها الناس . واللذات التي لا يشعر بها الناس · والتعزية التي قلما تعزي عامة الناس · نفس الاول خامدة جامدة . ونفس الثاني سقيمة عقيمة · ونفس الثالث من الانفس السامية الكبيرة التي قلما تنام · فهي تفيق من هجعتها قبل صياح الديك فتفتح عينيها في ظلمة الليل الحالكة وتقاسي قبل بزوغ الفجر من العذاب والحيرة اشدها · تبتدئ هذه النفس بالمقاومة والتمرد فتقاوم القوات التي تعترضها في طريقها وتتمرد على كل من يحاول ابقاءها في الظلمات الدامسة · تسير بنور مصباحها الداخلي الى ان تخرج من الظلمات بفضل ما فيها من الشجاعة والاقدام والثبات فتتدرج من الظلمة متمردة الى العزلة هادئة وتعاني فيها بادئ بدء نوعاً جديداً من العذاب · تعاني هناك عذاباً هو اساس كل لذاتها الروحيَّة · العذاب الذي يقاسيهِ من تعودت اعصابهُ المخدرات والمسكنات اذ ينقطع عنها تماماً · ومن العزلة تعود هذه النفس المحررة المستنيرة المتمردة الى المجتمع لتتم فيهِ ارادتها لتنير ولو زاوية صغيرة فيهِ بما فاض من نورها

شبهت الانقطاع عن الناس بالانقطاع دفعة واحدة عن المسكّنات التي يعتادها المريض . فهل خطر لاحدٍ منكم ان يستشير ربهُ بواسطة الطبيعة في امر روحهِ المريضة كما يستشير الطبيب في امر جسدهِ . ايدهشكم قولي لكم اننا كلنا مرضى بوجهٍ ما · وفي هذا المجتمع كما هو اليوم بالاخص بما فيهِ من دواعي الامراض والهموم والاحزان تنسينا الحركة الدائمة آلامنا · ولا اذكر الآن اي علماء الالمان قسم الناس ثلاثة اقسام فقال — قسم منهم يولد للمستشفى وقسم للمارستان والقسم الثالث للبادية . اي ان ذلك العالم الالماني يقول ان الناس اما مرضى واما مجانين واما برابرة . ومع ما في هذا القول من الغلو والضلال والكفر — فقد كفر العالم بالنفس واساء فهم نواميس الطبيعة وغالى في تقبيح الانسان — مع ما في قولهِ مما ذكرت فهو لا يخلو من الحقيقة · غير انها حقيقة ناقصة متجزئة . واما الحقيقة كلها الحقيقة الشاملة الابدية هي ان الناس كلهم سواء من وجهة الفيلسوف · ومن هذه الوجهة

ايضاً يمكننا ان نقسم البشر الى قسمين اوليين . قسم الاحياء روحياً وقسم الاموات وهاتان الطبقتان نشاهدهما في كل شعب حضرياً كان او بدوياً . ففي البداوة اناس تتنبه فيهم الروح وتنهض من سباتها كما في الحضارة . بل في البدو تبلغ الروح المتفردة الكبيرة اعلى درجة من السمو والقوة والجمال . فيخرج من البادية رجال كما يظهر في المدن رجال . فان نبغ في نويرك المخترعون وفي لندرا العلماء وفي برلين الفلاسفة وفي باريس الشعراء وفي فلورنسة المصورون والنحاتون ففي البادية ينشأ الانبياء . لكل بلاد مزية طبيعية ثابتة دائمة . وفي كل نفس بشرية شيء من سماء البلاد التي نشأت فيها ومن ارضها . فيها شيء من تبر وطنها ومن ترابه . من خير هوائها ومن شره . من فتوره ومن نشاطه . من هدوه ومن هياجه . فالناس اذاً كلهم سواء من وجهة الفيلسوف . الانسان واحد من بلاد الزولو الى شطوط النروج ومن ثلوج ألسكا الى اطراف اليابان . الناس كلهم سواء من حيث ان الامراض والجنون والتوحش كلها تنتاب كلاً منا في اوقات مختلفة و بدرجات متفاوتة . ولا يفوتنا ان نذكر مع هذه الضربات كلها نعمة واحدة شاملة . فانا ممن لا ييأسون ولا يقطعون الرجاء مهما توغل الانسان في الجهل والجنون والتوحش لانني على يقين ان النفس في كل منا تفيق ولو مرة واحدة من سباتها في سياحتنا هذه العالمية . تنهض النفس من غفلتها فتجيء ولو بعمل واحد شريف خالص لوجه الله . تريئا من الشهامة والمعروف والاحسان ما يزيل عن وجه الحياة شيئاً من نقطبه وعبوسته . تنهض النفس من ظلماتها من تحت اثقالها المادية من بين اغلالها الاجتماعيّة من تحت اهوائها وشهواتها واغراضها الذميمة لتقول للناس : — انني لم ازل حيّة واعرف معنى الحب والتساهل والحنان . انني لم ازل حيّة واعرف معنى الحق والعدل والحرية . فيمكنني ان اتسامى الى ما فوق الشرف المتعارف بين الناس . الى ما فوق الفضيلة المصطلح عليها . الى ما فوق عدل القانون والشريعة . الى ما فوق قداسة الاديان وخزعبلات بدعها . اي لا بدّ لكل امرىء من ساعة ولو في حياته كلها يظهر فيها بمظهر الفضيلة الصادقة الفضيلة المجردة النامية الحقيقية . فيخضع لنفس الأمّارة بالخير لا بالسوء لتظهر فيه محاسنها الجليلة . ولذلك ينبغي ان نقول ان الامراض والجنون والتوحش وحسنات النفس او يقظاتها تنتاب كلاً منا على الاطلاق تنتاب كلاً منا في اوقات مختلفة كما قلت وبدرجات متفاوتة . ومن هذه الوجهة المرتفعة وجهة الفيلسوف العموميّة كلنا لا شك متساوون اي اننا كلنا مرضى بنوع ما وكلنا نتخذ الاشغال نلهو بها . نسكن بها آلامنا . نخدر بها همومنا . نضمد بها جروح صبرنا ورجائنا . ننعش بها آمالنا . وعند ما

يقف الواحد منا ليستنفس قليلاً ليتنشق نسيم السحر او الشفق او بالحري ليدع عمله هنيهة ويستريح تعاوده آلامه مضاعفة كما تعاود الاوجاع المريض عند انتهاء فعل المرفين وما هي هذه الآلام يا سادتي أروحانية هي ام جسمانية . فالطبيب يقول لنا انها جسمانية والكاهن يقول انها روحانية . والحقيقة في هذه المرة اقرب الى جانب الكاهن منها الى جانب الطبيب . آلامنا روحية اكثر منها جسدية . يعود الرجل من اشغاله في المساء او من ملاهيه بعد نصف الليل فيطرح نفسه على السرير متكرهاً متأففاً متذمراً يطرح نفسه على السرير منهوك القوى شاكياً من الم في اعصابه او في معدته او في رأسه . ويظن ان اوجاعه موضعية يظنها جسدية والحقيقة على ما ارى هي خلاف ذلك . فالجسد لا يمرض من العمل واعضاؤه تزداد قوة ومرونة ونشاطاً بالممارسة والتمرين وهذا ناموس طبيعي . من اين اذاً آلامنا واوجاعنا . ما هي اسبابها اين مصدرها . ايمكن ان يكون لها مسبب غير مادي . ايمكن ان تكون آلامنا الجسدية ناتجة عن ألم اصلي اساسي جوهري روحي ? سؤال أجيبكم عنه حالاً بلا تردد وبالايجاب . نعم سادتي وسيداتي ان مصدر هذه الآلام الروح . فالروح منا تئن وتتأوه وصدى انينها يظهر في كل جوارحنا وفي كل حواسنا . الروح تتألم من الضغط عليها . من احتقار الانسان اياها من إهماله شؤونها . من اهتضامه حقوقها . الروح تتأوه من قيود السلطة كما انها تتألم من قيود العبودية . فالرئيس والمرؤوس سواء من هذا القبيل الظالم والمظلوم يشكيان من مرض واحد فالروح في كل منهما تتألم من حيوانية الانسان من اهوائه من استئثاره من بغضه من توحشه من ذله من جهله من جنونه . فاذا كانت الاشغال تسكن آلام النفس فالعزلة تضعف شوكتها ويستأصلها العود الى الطبيعة

ورب قائل يقول أتريد ان يكون الناس كلهم نساكاً وحبساء وكيف يتسنى ذلك . فالجواب ان ذلك غير ممكن وغير مطلوب . فالعزلة انواع . وربما امتهنت حرمة القاموس وتوسعت قليلاً بمعناها المحدود . فقد تكون شوقاً في النفس لسبر غور النفس لادراك كنه قواها لكشف الحجاب عن بعض اسرارها وهذه هي عزلة الفيلسوف . او قد تكون اعتصام النفس بعالمي الخيال والجمال فراراً من مسؤولية الحياة الاجتماعية وواجباتها الصناعية . وهذه هي عزلة الشاعر وهي ممكنة في المدينة وبين الجموع كما في الصحراء او في الجبال لان الشاعر وان خالط الناس وحدثهم فهو دائماً فوقهم وبعيد منهم . ثم قد تكون العزلة طمعاً في النفس لفتح ممالك عالم النفس لرفع اعلام الحقيقة والحب والحق فوق صروحها وهذه عزلة

الانبياء . وهناك انواع اخرى من العزلة لا يهمنا ذكرها لانها تغيرت عما كانت عليهِ حين قال المتنبي بيتهُ المشهور في وصف الاسد

في وحدة الرهبان الاَّ انهُ لا يعرف التحريم والتحليلا

قد اتضح لكم ان الميل الى الوحدة والاعتزال ينشأُ في النفس ومنها . فمثلا النفس تتطلب المعرفة فهي تبتغي شيئاً من العزلة لتتغذى اثناءها من المعرفة . يقول الافرنج في السياحة تكملة التهذيب . اي ان المرء مهما درس وطالع وتعمق في العلوم وتغلغل فيها فتهذيبهُ يظل ناقصاً اذا كان لا يعرف من العالم الاَّ مسقط رأسهِ او عاصمة بلادهِ . فاذا كان في السياحة تتمة التهذيب ففي العزلة تتمة السياحة . لان المرء لا يكون قد ساح قط اذا كان لم يعتزل قليلاً بعد سياحته في العالم ليحاسب نفسهُ ليفحص بتأنٍ وهدوء ما في مخادعها ليغربل ما فيها من الحقائق والخرافات والآراء السديدة المختلطة مع الخزعبلات . وبكلمة ليسقي النفس من ماء الفكرة الذي يتقطر ويتكرر في العزلة . ولا تظنوا ان كل من التجأ من المفكرين الى هذه الطريقة انتفع بها والذي لا ينتفع منها لا يستطيع نفع الناس

لما كنت في نويرك قصدت يوماً مدينة كنكرد بالقرب من بُسطن (وهي المدينة الصغيرة التي اعطت العالم الجديد اكبر شعرائهِ وفلاسفتهِ) لازور فيها بيت الفيلسوف إمرسن والحرج الذي بنى فيهِ الشاعر طورو بيتهُ او بالحري كوخهُ للعزلة فعاش فيهِ متنسكا سنتين وألف هناك كتابهُ النفيس في فلسفة العمران وفلسفة الانفراد . والكاتب الذي كان رفيقي ودليلي في هذه الحجة — وهو شيخ جليل في الصحافة وفي السن — كان رفيقاً وصديقاً ايضاً لاكثر شعراء الكنكورد وفلاسفتها الغابرين فسألتهُ عما اذا كان في المدينة اليوم من يعدُّ من طبقة هؤلاء الرجال العظام فقال ان الطبيعة يا صديقي لا تجود علينا بالنوابغ كل سنة فهي لا تعطي العالم الاَّ افراداً قلائل كل جيلٍ وما كل من اعتصم بالعزلة يصل الى ذروة التفرد والذكاء فمنذ سنين جاء هذه الاصقاع شاب انكليزي واختار بيت طورو هذا مقراً لعزلتهِ وعاش فيهِ كما عاش طورو سنتين ولكنهُ يئس بعد ذلك وهجر كنكرد ومن ذلك الحين لم نسمع عنهُ شيئاً

فعزلة طورو اذاً او عزلة النابغة اثمرت من الادب والشعر والفلسفة ما يعد من طبقة ما كتبهُ اكبر نوابغ العالم وعزلة الثاني العقيمة اضرَّت بصاحبها لانهُ لم يتدارك الخطر قبل حلولهِ فكان يجب ان يعرف في الشهر الثاني من اعتزالهِ ان الوحدة الطويلة الامد ما عُدت لمثلهِ وان نفسهُ لا تتطلب مثل هذا الغذاء . ولذلك لا اعمم في قولي ولا اغالي بمحاسن

العزلة ومنافعها اذ ما كل من اعتزل تفرّد ولا كل من تفرّد افاد الانسانية . على ان العزلة تنفع الكل اذا اخذ كل منها بقدر ما تتطلبهُ نفسهُ او بالحري اذا عرف كل انسان كمية الجرعة التي ينبغي ان يأخذها · فمن نفس متجمدة لا تطيق العزلة اكثر من اسبوع الى نفس متوقدة لا ترضى باقل من سنة او اكثر وبينهما تتفاوت المدد كما تتفاوت العقول · هذه هي القاعدة · فمن جرّب العزلة بحكمة واعتدال انتفع لا شك منها فهو ينتفع عقلياً وجسدياً وروحياً اذا احسن استعمال الدواء

وافضل ما في العزلة للمفكرين انها تقرب الفرد من نفسهِ · فالحياة الاجتماعية كما اتضح لكم مما ذكرتهُ تبعدنا عن انفسنا حتى نجهلها جهلاً فاضحاً · لان معرفة المرء نفسهُ غير ممكنةٍ في اي حال من احوال هذا المجتمع المضطرب · وان جهل المرء نفسهُ بعد عنها بعداً شاسعاً · وان حاول خدمة الانسانية وهو بعيد عن نفسهِ اي جاهلها لا يستطيع الى ذلك سبيلاً قويماً نافعاً مهما اجاد ببيانهِ وفصاحتهِ · مهما بالغ في آرائهِ واكبر الناس دعواهُ · مهما صاح ونادى ودعى القوم وادّعى · وان صياح المصلحين ليذكرني دائماً بهدوء الفلاسفة بل يذكرني بما جاء في التلمود من حديث دار بين اشجار الغاب واشجار البستان · قالت اشجار الغاب لأشجار البستان · لماذا لا نسمع لاغصانك صوتاً ولا صدّى فاجابت اشجار البستان لانني مشتغلة عن الولولة بانماء ثماري · ثم سألت اشجار البستان اشجار الغاب قائلة · ولماذا نسمع لاغصانكِ هذا الدوي وهذه الجلبة فاجابت اشجار الغاب · لكي يشعر الناس بوجودي

لذلك قلت ان كان في الحركة بركة ففي الفلوات بركات وفي الهدو نمو وسمو · فالنور يا سادتي ينبثق على العالم هادئاً ساكناً · وان شمس الحكمة تحتجب غالباً عند هبوب العواصف والزوابع · فمن الانفس السامية المنفردة الهادئة ينبثق نور الحب ونور الحكمة ونور الحقيقة · وفي الانفس السامية المنفردة الهادئة ينابيع الجمال كلها جمال الفنون وجمال الروح وجمال الحياة السعيدة · والى الانفس السامية المنفردة الهادئة تعود بنا حسنات التمدن الحديث لترينا فيها اسبابها · لذلك كتبت فوق بابي

"في اصلاح الفرد إصلاح الامة وفي تهذيب الشعب اصلاح الرؤساء والحكّام"

امين ريحاني

———

التعريب [1]

اكثر القائلون بتطبيق "سياسة الباب المفتوح" على اللغة العربية من ذكر جمود امتنا واشتغالها عن الجواهر بالاعراض ووقوفنا موقف المستضعفين امام الامم الغربية ونعوا علينا تحرُّجنا قبول الدخيل في لغتنا ورمونا "بالرجوع الى الوراء والنفور من كل جديد والوقوف عند حد ما أماتهُ الزمان ومخالفة سنة اللغات الحية صاحبة الحركة الدائمة التي قدر اهلها ان ينتفعوا بكل ما خلقهُ الله" الى آخر ما اتوا بهِ من القضايا الخطابية بقصد التأثير في افكار السامعين حتى تخيلوا ان الكلم الاعجمية واجبة الاستعمال في اللغة العربية حرصاً على الزمن ان يضيع في انتقاء الفاظ عربية تسد مسدها وان قواعد الاقتصاد السياسي تقضي بصرفهِ في اختراع آلة حربية او معمل صناعي او مصرف مالي . ولقد كدت من شدة التأثير امسك عن الكلام خيفة ان اضيع عليكم ساعة يمكنكم فيها اختراع بندقية جديدة او آلة للطيران او علاج للسرطان

مسكينة الامة المستضعفة : لا تدري من اين تؤتى ولا تعرف لتأخرها علة فتذهب مع كل ذاهب وتمشي وراء كل حاطب

ظننا النيل سبب رخاوتنا فعدلنا عنهُ الى الآبار فما نشطنا . وخلنا الازياء الواسعة مانعتنا عن الحركة فاستبدلنا بها ازياء ضيقة فما عدونا . وحسبنا اتعاد السيارات والدراجات يوصلنا الى المدنية فاقتعدنا وما استفدنا . وزعمنا ملاهي التمثيل اقرب سبيل فابعدتنا . وعددنا الفنازج (البالو) معارج فما عرجنا . وغيرنا العمائم بالقلانس والدور بالقصور وظهور الصافنات ببطون العربات فما اخرجنا كل ذلك عما نحن فيهِ من الاستضعاف ولا سما بنا الى مراقي الالمان والانكليز واليابان

ان لارتقاء الامم وانحطاطها اسباباً خاض فيها الحكماء وافاض في بيانها العلماء وليس المقام الآن مقام ذكرها وان المسألة التي نحن بصددها مسألة نقلية يرجع فيها الى كتب اللغة والادب وليس لاحد ان يأخذ فيها بالهوى او يسترسل مع الوجدان او يقتصر فيها على مجرد الاستقباح والاستحسان . فكما لا يجوز في التاريخ ان تنكروا غلبة اليابان للروس محتجين بان الصغير لا يغلب الكبير لا يجوز في العربية ان تنصبوا الفاعل وتقدموا خبر ان على اسمها

(١) خطبة القاضي الفاضل حفني بك ناصف رئيس نادي دار العلوم في مسألة التعريب

احتجاجاً بان المعنى لا يتغير · ولا ان تقولوا ما الفرق بيننا و بين العرب الاولى حتى جاز لهم وضع الفاظ مقتضبة وتعريب كلمات اعجمية والشذوذ عن القياس وامتنع علينا أليسوا رجالاً ونحن رجال

ليس لاحد ان يقول ذلك الاّ اذا خرج من الربقة وخلع العذار ورضي بان يكون طليقاً لا يتقيد بشيء · المسألة منصوصة في الاسفار فمن شاء ان يخرق الاجماع ولا يقصر شيئاً على السماع و يستريح من عناء الدروس فليصنع ما شاء فليس عندنا ما يرغمهُ على اتباع الجماعة ولا فائدة في الجدال معهُ · واذا شاء ان يتبع المنصوص فها هو بيانهُ

اتفق العلماء على ان اللغة العربية كانت لسان عاد وثمود وأُميم وعَبيل وطَسم وجَديس وَعِمليق وجُرهُم ووبار من اولاد إِرَم بن سام

واول تنقيح دخلها كان بعمل يعرب بن قحطان رأس العرب العاربة وجرى اولادهُ على لغتهِ في انحاء اليمن كلها ثم تفرق جماعة منهم في نجد والحجاز وتهامة والشام والحيرة

ولما اصهر اسماعيل بن ابرهيم عليهما السلام الى قبيلة جرهم ادخل تنقيحاً ثانياً في اللغة وجرى على اثرهِ القبائل من اولادهِ كربيعة ومضر وكنانة ونزار وقيس وضبه

والتنقيح الثالث ادخلتهُ قريش بالتدريج انتخاباً من لغات قبائل العرب التي كانت تفد عليهم في كل عام وتمكث بين ظهرانيهم نحو خمسين يوماً منها ثلاثة ايام بسوق ذي المجاز وسبعة بسوق مجنة وثلاثون بسوق عكاظ وعشرة في مناسك الحج

والتنقيح الرابع هو اختيار علماء المصرَين البصرة والكوفة (نقلة اللغة في عصر الامويين والعباسيين) فقد قصروا اختيارهم على ست قبائل من صميم العرب لم تختلط بغيرها وهم قيس عيلان واسد وهذيل و بعض تميم وبعض كنانة وبعض طي ولم يأخذوا عن لخم وجذام لمخالطتهم القبط اهل مصر · ولا عن قضاعة وغسان واياد لمخالطتهم اهل الشام والروم واكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية · ولا عن تغلب لانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان · ولا عن بكر لمجاورتهم النبط والفرس · ولا عن عبد القيس وازدعمان لانهم كانوا بالبحرين مخالطين الهنديين والفرس · ولا عن اهل اليمن (حمير وهمدان وخولان والازد) لمخالطتهم الحبشة والزنج والهنديين · ولا عن بني حنيفة وسكان اليمامة وثقيف والطائف لمخالطتهم تجار اليمن عندهم · ولا عن حاضرة الحجاز وقت نقل اللغة لفساد لغتها بالاختلاط

وعدوا لغة قريش افصح اللغات العربية لانها خالية عن عنعنة تميم وهي ابدال الهمزة عيناً نحو عنتَ وعنِكِ اي انت وانك · وعن تلتلة بهراء وهي كسر اول المضارع نحو تِلعب

وتلهو . وعن كسكسة ربيعة ومضر وهي الحاق سين بعد كاف المخاطب نحو رايتكس . وعن كشكشة هوازن وهي الحاق شين بعد كاف المخاطبة نحو رأيتكش وعن فحفحة هذيل وهي قلب الحاء عينا نحو عتّى اي حتى . وعن وكم ربيعة وهي كسر كاف الخطاب بعد الياء الساكنة او الكسرة نحو عليكِم وبكِم . وعن وهم بني كلب وهي كسر هاء الغيبة اذا لم يكن قبلها ياء ساكنة ولا كسرة نحو عنهِم وبينهِم وعن جعجعة قضاعة وهي قلب الياء الاخيرة جيماً نحو الساعج يدعج اي الساعي يدعي . وعن وَتَم اهل اليمن وهو قلب السين المتطرفة تاء نحو النات اي الناس . وعن الاستنطاء في لغة سعد والازد وقيس وهو قلب العين الساكنة نوناً قبل الطاء نحو انطى اي اعطى . وعن شنشنة اليمن وهي قلب الكاف شيناً نحو لبيش اللهمَّ لبيش . وعن لخلخانية الشحر وعمان وهي حذف الالف في نحو مشاءالله اي ما شاء . وعن طمطمانية حمير وهي جعل أل "ام" نحو طاب امهواء اي الهواء وعن غمغمة قضاعة وهي اخفاء الحروف عند الكلام فلا تكاد تظهر

ولم ينظر نقلة اللغة الى لغة كل قبيلة على حدتها بل جمعوا الالفاظ التي يتكلم بها كل القبائل التي عولوا على الاخذ عنها وجعلوها لغة واحدة مقابل اللغة الاعجمية لا يخطئ المتكلم الَّا اذا خرج عنها كلها فلفظ المدية لغة دوس بطن من الازد ولفظ السكين لغة قريش فنقل الائمة اللفظين واباحوا لكل انسان ان يتكلم بايهما شاء ولو لم يوجد في العرب من تكلم بهما معاً ومن هنا جاء الترادف في اللغة والاشتراك اللفظي ولو جمعوا لغة كل حي من العرب على حدتها لتكرر العمل وطال الزمن

ثم نظروا بعد ذلك الى المفردات فما كان منها كثير الدوران على السنة العرب عدوهُ فصيحاً وما كان قليل الدوران على السنتهم عدوهُ غريباً ووحشياً يعدّ استعمالهُ مخلاً بالفصاحة ولو كان معروفاً عند المخاطبين

واستخرجوا من استعمالات العرب قواعد تتعلق باحوال اواخر الكلم وقواعد تتعلق بباقي احوالها وسموها علم النحو والصرف وجعلوا لبعض تلك القواعد قيوداً واستثناءات حتى يكون الاستعمال الكثير مضبوطاً بقوانين تحتذى عند القياس وما شذ عن ذلك جعلوهُ سماعياً يقبل من العرب ولا يقبل من المولد

وكانوا شديدي الحرص على بيان السماعي والقياسي فاذا لم يكن اللفظ (مادة او هيئة) قد سمع من العرب منعوهُ بتاتاً وشنعوا على مستعمله

ولاجل ان يعرف السامع مقدار عنايتهم بالمسموع من العرب ومقدار الانحطاط الذي

كان يلحق بمن يخطئ منهم اروي لك قصة وفود سيبويه على يحيى بن خالد البرمكي ببغداد فقد عقد يحيى مجلساً جمع فيهِ بين سيبويه رئيس نحاة البصرة وبين علي الكسائي رئيس نحاة الكوفة فقال لهُ الكسائي تسألني او اسألك فقال سيبويه سل انت فسألهُ الكسائي عن قول العرب "قد كنت اظن ان العقرب اشد لسعة من الزنبور فاذا هو هي" ايجوز فاذا هو اياها. فقال سيبويه لا يجوز النصب فقال الكسائي العرب ترفع ذلك وتنصبهُ فقال يحيى لقد اختلفتما وانتما رئيسا بلديكما فمن يحكم بينكما فقال لهُ الكسائي هذه العرب ببابك قد سمع منهم اهل البلدين فيحضرون ويسألون. فقال يحيى وجعفر انصفت وامرا باحضار اعرابي من اهل البادية وسألوهُ فقال "القول قول الكسائي" فقال سيبويه ليحيى مرهُ ان ينطق بذلك فان لسانهُ لا يطاوعهُ فاكتفى المجلس بحكم الاعرابي وخجل سيبويه وسافر بعد ذلك الى فارس فاقام بها حتى مات وكانت هذه المسألة سبب علتهِ وكانت وفاتهُ في سنة ١٨٠ وعمرهُ ٣٢ وهكذا كانت عادة علماء البلدين متى اختلفوا في امرٍ تلمسوهُ عند البدو وتسمعوهُ منهم

وعرّفوا المعرّب بانهُ الاسم الاعجمي الذي فاهت بهِ العرب الموثوق بعربيتهم فاذا فاه بهِ غير العربي سمي مولداً وقد تبعهم في ذلك كل من كتب في اللغة كاصحاب الصحاح والقاموس والمحكم والعباب. واجمع العلماء على ان لا يستشهد في اللغة والصرف والنحو الا بكلام العرب ولا يجوز الاستشهاد بكلام المولدين الا في علوم البلاغة

واجازوا استعمال الكلم في غير ما وضعت لهُ متى وجدت مناسبة بين المعنى الاصلي والمعنى المراد وقامت قرينة تمنع ارادة المعنى الاصلي وحصروا تلك المناسبات بالاستقراء وسموها علاقات وهي

المشابهة — نحو فاه الخطيب بالدرر اي الكلمات الحسان

والسببية — نحو رعينا الغيث اي الكلأ

والمسببية — نحو امطرت السماء نباتاً اي ماء

والكلية — نحو يجعلون اصابعهم في آذانهم

والجزئية — نحو بث الامير العيون اي الجواسيس

والحالية — نحو ففي رحمة الله هم فيها خالدون اي الجنة

والمحلية — نحو سال الوادي وجرى الميزاب اي ماؤهُ

واللازمية — كاطلاق الحرارة على النار

والملزومية — نحو دخلت الشمس من الكوة اي ضوءها

والاطلاق — نحو لا صلاة لجار المسجد الاَّ في المسجد اي لا صلاة كاملة
والتقييد — كاطلاق المشفر على شفة الانسان والمشفر للبعير كالشفة للانسان
والعموم — كاطلاق الابيض والاسمر على السيف والرمح والدابة على ذات الاربع
والخصوص — كاطلاق اسم الشخص على القبيلة نحو تميم وقريش وربيعة
والبدلية — نحو في ملك فلان الف دينار اي متاع يساوي الفاً
والمبدلية — نحو اكلت دماً ان لم ارعك بضرة اي اكلت دية
واعتبار ما كان — نحو وآتوا اليتامى اموالهم اي الذين كانوا يتامى
واعتبار ما يكون — نحو اراني اعصر خمراً اي عنباً
والدالية — نحو فهمت الكتاب اي معناه
والمدلولية — نحو قرأت معناهُ مشفوعاً بتقبيل اي قرأت لفظهُ
والمجاورة — نحو شربت من الراوية اي المزادة المجاورة للجمل وقد تكون المجاورة في الذكر فقط كما في المشاكلة نحو: اطبخوا لي جبةً وقميصاً
والآلية — نحو واجعل لي لسان صدق اي ذكراً حسناً صادقاً
والتعلق — كاطلاق لفظ المصدر على الفاعل او المفعول كشاهد عدل وهذا خلق الله
والشرطية — نحو وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم
والمصدرية — نحو فرجعوا الى انفسهم اي آرائهم
والمظهرية — نحو يد الله فوق ايديهم اي قدرته
والتضاد — كاطلاق البصير على الاعمى
ومتى اشتهر اللفظ في معناهُ المجازي صار حقيقة عرفية لهُ حكم الحقيقة الوضعية
وقد صارت اللغة بهذا التنقيح الاخير لغة العرب عامة لا لغة قبيلة بعينها فأَي لفظ نطقت بهِ فانت مصيب واي استعمال جريت عليهِ فلست بخاطىءٍ ما دمت لم تخرج عن المنقول. واية علاقة صادفتك من العلاقات السالفة الذكر توصلت الى تسمية ما لم تسمه العرب فلست مقيدًا بلفظ اعجمي ولا بلهجة حي معين وصرت بذلك بعيدًا عن الخطاء واسع المجال في النثر والنظم والتقلب في الاساليب الانشائية تصول وتجول وتتهم وتنجد حسبما يسمو اليهِ استعدادك وتصل اليهِ درجتك من الاطلاع وتمكنك منهُ بضاعتك فلك ان تقول المدية كما تقول دوس وان تقول السكين كما تقول قريش وان تنطق كلمة "حيث" بتسع لغات ولفظ "ياربي" بست لغات وتركيب «باديء بدءٍ» بثمانية عشر وجهاً وان ترفع

الخبر وتنصبهُ في نحو ما هذا بشرًا وان تطلق الاسد على السبع والشجاع والعين على الباصرة والذهب والجاسوس وتصرّح وتعمّي حيث تحتاج لذلك وتنقل الى العربية كل ما فهمتهُ من اللغات الاخرى

وقد وقع جاسوس عربي في يد العدوّ فحبسوهُ والزموهُ ان يكتب كتابًا الى ملكهِ يحملهُ فيهِ على مداهمتهم ويوهمهُ بقلة عددهم وعُددهم غشًا وتغريرًا فكتب الى الملك كتابًا قال فيهِ :

اما بعد فقد احطت علمًا بالقوم . واصبحت مستريحًا من السعي في تعرف احوالهم . واني قد استضعفتهم بالنسبة اليكم وقد كنت اعهد في اخلاق الملك المهلة بالامور والنظر في العاقبة فقد تحققت انكم الفئة الغالبة باذن الله . ولقد رأيت من احوال القوم ما يطيب بهِ قلب الملك نصحتُ فدع ريبك ودع مهلك والسلام

وسلم الكتاب الى العدو فارسلوهُ الى الملك بعد ما اطلعوا عليهِ فتفطن الملك لما اراد الكاتب وقال لحاشيتهِ ان الجاسوس وقع في الاسر فاصبح مستريحًا من السعي وانهُ رآهم اضعافنا واننا قليل بالنسبة لهم اذ لمح بآية (كم من فئة قليلة) ولفتني الى الاناة اذ جعلها عادة لي واراد قلب حروف الجملة الاخيرة فتكون (كلهم عدوٌّ كبيرُ عددٍ فتحصن)

على هذا استقرت اللغة العربية وتم احكامها وحصرت مفرداتها الاصلية وقوانينها وابيح استعمال مفرداتها في غير ما وضعت لهُ عند الاحتياج بشرط العلاقة والقرينة وانتهت ادوار التنقيح فيها فلم يبقَ الّا استظهارها والعمل بها . وقد اغتبطت الامة العربية بذلك وعكفت على العمل بهِ قرونًا قضت فيها لبانة العلم والسياسة وتفرغت للفتوح والاستعمار وملأت طباق الارض بالتصانيف في الشرائع والحكمة وكل ما كان على وجه الارض من العلوم فانارت الخافقين ونشرت المدنية في الدنيا . ولما ضعف امرهم ورثهم الغربيون في حكمتهم واخذوها عنهم واضافوا اليها ما تجدد من الصناعات والفنون ولا يزال الافرنج يدأبون في اقتناء الكتب العربية ويستخرجون منها من الفوائد ما لم يكن في حسباننا ولكل مجتهد نصيب

هذا ما حضرني من النصوص المحتوية عليها كتب العرب . المتضافر عليها من أئمة الادب فمن شاء فليؤمن بها ومن شاء فليكفر بها فقد تبين الرشد من الغي

ولما قعدت همم الخالفين وانتشر فساد اللغة مادة وقوانين رأى فريق من الناس ان يكفوا مؤونة التحصيل فهبوا الى فتح ثغور اللغة العربية للدخيل من الالفاظ وطفقوا يحسنون صنيعهم بأقيسة خطابية وجدلية لا تغني من الحق شيئًا

فقالوا اولاً : ان العرب اخذوا الفاظاً من الاعاجم في اطوار تنقيح العربية واستعملها الفصحاء وورد منها كثير في القرآن والاحاديث فما لنا لا ننشىء مذهباً خامساً في التنقيح وفاتهم ان ما اخذهُ العرب قليل جدًّا بالنسبة الى ما نبذوهُ ونادر بالاضافة الى مادة لغتهم الاصلية والقليل النادر لا يقاس عليهِ فاذا فتحنا اليوم باب القياس في مادة اللغة نفتحهُ غداً بالاولى في هيئتها اي في الصرف والنحو فنقيس على ما ورد شذوذاً عن العرب اذ ليست المادة باقل خطورة من الهيئة ولا الجوهر بادنى احتراماً من العرض فننصب خبر المبتدا وخبر انَّ ونشتق من الجوامد كلها ونميل الالف حيثما وجدت ونستخرج من كل فعل ثلاثي مزيدات ونستعمل الزيادة لكل المعاني وبالجملة نجعل عالي اللغة العربية سافلها ونحدث فيها الاحداث الهائلة فتتبلبل فيها الالسنة وتفقد بعد قليل من الزمن مع ان « اصحاب اللغات الحية » الذين يريدون ان يتشبهوا بهم لم يرضوا ان يتركوا عاداتهم من الكلام والكتابة ولو كانت خطأً فلا يزالون يقولون في ٧٥ ستون وخمسة عشر وفي ٩٨ اربع عشرينات وثمانية عشر ولا يزالون يكتبون جملة حروف في الكلمة لا ينطق بشيء منها وينوهون بحروف لا يكتب منها شيء

وقالوا ثانياً : انهُ يجب ان يكون لكل مدلول دالٌ خاص بهِ لا يدل على غيرهِ ابداً وتكون دلالتهُ بنفسهِ لا بعلاقة اخرى وان تسمية المحدثات بلفظ عربي مهما كانت علاقتهُ يوقع في الاشتراك ويزيدنا آلاماً الى آلامنا : وغرضهم بذلك منع الاشتراك اللفظي بالمرة او عدم زيادتهِ وفاتهم ان الاشتراك اللفظي واقع لا محالة في جميع اللغات لان الفاظ كل لغة محصورة والمعاني غير محصورة فلو وزعت الالفاظ على المعاني وجب المصير الى الاشتراك حتماً وانهُ لا ضرر من استعمالهِ مع القرينة . ففي الهندسة مثلاً تستعمل الزاوية والعمود والسطح والهرم والكرة والضلع ولا يخطر في البال شيء من معانيها القديمة . وفي الطبيعة والكيميا تستعمل العدسة والملح والبلورات ولا تحس باصل معناها . وفي القوانين تستعمل وضع اليد وسحب الورقة وحبس العين والقذف والضبط والربط ولا يجيء في الخاطر معناهُ الاصلي والذي يسمع جملة « سيارة الامير سبقت القطار » لا يتوهم القافلة ولا الجمال فاين هي الآلام التي تخشون من زيادتها ؟ ومن منكم يمكنهُ ان يتكلم كلاماً خالياً من المشترك والمجاز ؟ انا اراهنكم على كتابة عشرة اسطر باي لغة شئتم في وصف حادثة من الحوادث ذات البال فمن قدر على اخلائها من المجاز والمشترك فلهُ مني عشرة دنانير وامهلكم شهراً والحقيقة ان هذه الآلام آلام وهمية توجد عند من يريد ان يتألم منها

وقالوا ثالثاً : ان دلالة الكلم الاعجمية اصرح لانها تدل على صنف مخصوص بخلاف

الكلم العربية فانها في الغالب تكون عامة : وفاتهم ان الاصطلاح يجعل العام خاصاً والمطلق مقيداً فالناسفة والبارجة والدارعة والمنطاد لا عموم فيها بعد الاصطلاح عليها وغلبة الاسمية على الوصفية معروفة في اللغات قديماً وحديثاً فيقولون في السيف ابيض ومرهف وهندي ويماني وفي الرمح اسمر ولدن وسمهري ورديني وكلها اوصاف غلبت عليها الاسمية

وقالوا رابعاً : ان التعريب اسهل من انتقاء اللفظ العربي واستعمال الاعجمي اخف على السمع فاذا قلت للبدال « اعطني قدحاً من الجعة » اشمأز منك وسخر السامعون بخلاف « البيرا » : وفاتهم ان هذه الصعوبة تزول بعد الاهتداء الى الكلمة العربية والاصطلاح عليها والالحاح في استعمالها لفظاً وكتابة على ان هذه الصعوبة انما تكون على الاشخاص الكلفين باستخراج الكلم بخلاف الذين يتعلمونها جديداً فانهم يجدونها بدون عناء كالذي يلبس الثوب لا يحس بعناء حائكهِ وخائطهِ وقارىء الصحيفة لا يحس بعناء محررها وجامع حروفها وطابعها · ولا بد من قوم يعانون الاعمال وآخرون ينتفعون بها ونحن لا نكلف افراد الامة بالاشتغال معنا في انتقاء الالفاظ بل يكفي ان يتعب منا فريق في هذا الامر مقابل تعب الآخرين في اعمال اخرى على قاعدة التبادل المدني . اما استهزاء العامة فلا يعوقنا عن العمل لانا لا نعمل لهم بل للخاصة والنشء الجديد الذين يتعلمون في المدارس . وخالي الذهن يحفظ ما يلقى اليهِ سواء كان اللفظ الذي يحفظهُ عربياً او اعجمياً . واني اذكركم اننا كنا نستعمل كلمة قومسيون وقومبنية وجورنال وغازيته وافوكاتو وكوليرا ووابور وقنصل جنرال ولما ابتدأ الصحافيون يغيرونها بلجنة وصحيفة ومحام ووباء وقطار ومعتمد كنا نتقززها فلما الحوا في استعمالها زال التقزز شيئاً فشيئاً حتى عفنا الكلمات الاولى فجازاهم الله عن العربية خيراً . فلمَ لا يعمل المحدثون من الصحافيين مثل ما عمل الاقدمون ؟ ولماذا لا يحذو مترجمو اليوم حذو مترجمي امس ؟ ولمَ لا نساعد هؤلاء وهؤلاء على اداء ذلك الواجب ؟

وقالوا خامساً : ليس لنا ان نتمسك بالقديم لمجرد قدمهِ : فنقول لهم وليس لنا ان ننبذ القديم لمجرد قدمهِ فما كل قديم ينبذ ولا كل جديد يؤخذ والواجب على من رأى المصلحة في القديم ان لا يتركهُ ما لم تقم الادلة على اصلحية الجديد وقد جربنا القديم مئات من السنين فقام بالكفاية ولم نرَ للآن منفعة في الالفاظ الجديدة بل الضرر محقق لانا لو فتحنا الباب لدخول الجديد لاستعجم على الخالفين فهم كل المؤلفات منذ الف سنة الى الآن وانقطع الاتصال بين السابق واللاحق وضاع على المتأخرين تراث اسلافهم المتقدمين

وبعد فاني لم افهم للآن وجهاً للتشبث بحب الاعجمي فاما ان نكون مصابين بمرض الشعوبية وهو تفضيل العجم على العرب واما ان نكون لاستضعافنا مقلدين الغالب كما قال ابن خلدون . واما ان يكون في طباعنا اخلاد الى الراحة والسكون فلا نريد ان نعاني اعمالاً جديدة لم نتعودها فتخدعنا هذه الطباع الى تحسين ما نحن عليهِ ونقول بالتعريب لاننا يمكننا ان نعرب كل يوم الف كلمة ولا نجد في الشهر عشرين كلمة عربية فيقرر كل منا ان ما وصل اليهِ هو منتهى الكمال وان ما يزيد عن ذلك يحسب من التقعر والتفيهق ولا يريد ان يعترف بكمال بعد الحد الذي وقف عندهُ فيسجل على نفسهِ النقص . ان لم يكن هذا ولا ذاك فما سبب هذا التشبث يا ترى ؟ لقد وعيت كل ما سبق من الادلة فلم اجد فيها برهاناً فلعل جمود قريحتي ضرب بيني وبين الحقيقة حجاباً مستوراً

وقد نشأ من التساهل في حياطة اللسان العربي ان تطرق الفساد الى مادتهِ وهيئتهِ وتولد عنهُ لسان آخر لا هو بالعربي ولا هو بالاعجمي وسماهُ الناس باللغة العامية او الدارجة وهو المستعمل لهذا العهد في مصر والشام والعراق وجزيرة العرب والمغرب والسودان لا يتكلمون بغيرهِ وان كانوا لا يزالون يكتبون بالعربية الفصحى او ما يقرب منها

وترى الطفل يتعلم العامية في اقل من خمس سنين ولا يتعلم الفصحى في اقل من عشر والسبب في ذلك ظاهر وهو انهُ في اول امرهِ لا يسمع غير العامية ولا يتكلم بغيرها فهو اينما سار وحيثما ذهب مشتغل بها فترسخ في ذهنهِ رسوخ الفرنسية في اذهان اطفال الفرنسيس والانكليزية في اذهان اطفال الانكليز وليس الحال كذلك في ابان تعلمهِ لغة الكتابة . ولو فرضنا صبياً نشأ في بلد يتكلم اهلهُ بالعربية الفصحى بالسليقة وبعد سن مخصوص يتعلمون العامية ويستعملونها في الكتابة فقط لا نعكس معهُ الحال وتعلم الفصحى في اقل من خمس سنين ولم يتعلم العامية في اقل من عشر . فليس في طبيعة اللسان العربي الصحيح شيء من الصعوبة وانما هي طريقة التلقين وبيئة التعليم

وعلى كل حال فالجمع بين العامية والفصحى يستنفد خمس عشرة سنة كان يغني عنها خمس لو اقتصر المتعلم على احداها ويضيع على كل متعلم عشر سنين من عمرهِ فاذا تحققت الآمال وصار التعليم اجبارياً فكم تخسر الامة كل سنة من اعمار افرادها ؟ . فاذا اخذنا المعدل السنوي للمواليد وهو ٤٧٠٠٠٠ وطرحنا منهُ معدل وفيات الاطفال الى سن العشرة (ونفرض انهُ النصف) ٢٣٥٠٠٠ يكون عدد الباقين ٢٣٥ ٠٠٠ نضربهُ في عشرة اعوام وهي مقدار ما يخسر كل واحد فتكون النتيجة ان الامة تخسر في كل عام

عمل شخص واحد في ٠٠٠ ٣٥٠ ٢ سنة وبعبارة اخرى يفوتها ربح زراعة ٠٠٠ ٢٧٥ ١ فدان على فرض ان الفدان يزرعهُ اثنان وهي خسارة لا يحسن السكوت عليها . فيا ضيعة الاعمار تمشي سبهللا

وقد استنكر الصبر على هذه الخسارة جماعة من الاقتصاديين فاتفقوا على وجوب الاقتصار على تعلم احدى اللغتين واختلفوا في تعينها فقال فريق منهم يقتصر على العامية ومنهم المهندس الشهير ويلكككس والقاضي الكبير ويلمور . وقال الفريق الآخر ومنهم العالم الشهير والمربي الكبير يعقوب ارتين باشا بالاقتصار على الفصحى

واورد على الاول — (١) ان لكل قطر عامية مخصوصة بل لكل مديرية لهجة معينة فاذا رجحنا لغة اقليم تحكماً منا نكون قد الزمنا سكان الاقاليم الاخرى بتعليم لغة ذلك الاقليم وعناؤهم في ذلك لا ينقص عن عناء تعلم العربية الفصحى بل الفصحى اسهل لان كل شيء فيها قد ضبط ونقح ووضعت له كتب متعددة . (٢) وان العامية في البلد الواحد تتبدل بتبدل العصور فلكل زمان الفاظ تدخل مع اصحاب القوة ولذلك نرى في لغة مصر مفردات من الرومية والكردية والتركية والشركسية والفرنسية والانكليزية . (٣) وان التزام العامية يحدث حجاباً كثيفاً دون الاستنباط من القرآن والحديث والمأثور من كلام السلف فتذهب اعمال الاولين هباء وتقع الخسارة على المسلمين وغيرهم ممن يستخرجون كنوز العلم من بطون الكتب العربية القديمة ولولا كتب العرب ما اشرق على اوربا ذلك النور الساطع وبالجملة تنقطع الصلة بين الازمنة والامكنة العربية ويحرم ابن هذا الزمان من ثمار افكار السابقين وقاطن هذا المكان من تبادل آراء المعاصرين من ابناء اللغة الواحدة فلا جرم كان من المتعين نبذ الرأي الويلكككسي والاخذ بالمذهب الارتيني

وخلاصة هذا المذهب ان تترك العامة يتكلمون بما يريدون وتدرب التلاميذ في المدارس على التكلم بالفصحى ويحبب اليهم التحاور بها كلما اجتمع لفيف منهم حتى ترسخ فيهم ملكتها وتملك السنتهم دربتها ويكون اخذهم بالتمرين تدريجياً يطبقون على ما عرفوهُ ويكملون محاورتهم بالعامية في ما لم يعرفوهُ وكلما زادت درجتهم في التعليم زادت قوتهم في التطبيق الى ان تهجر العامية وتحل الفصحى محلها

فاذا ضم الى ذلك مطالعة الصحف والمجلات العربية وسماع الخطب العلمية في الاندية العربية والتردد على معاهد العظات ومشاهد التمثيلات ومواقف المرافعات وتعليم الفتيات واحتذاء اساليب المنشئين وطبع كتب المبرزين فان اللغة العامية تنقرض في اقل من عشرين عاماً

وتخلفها اللغة الصحيحة ويرجع اللسان العربي الى عصر مجدهِ وايام سعدهِ

ولقد هم ذلك المربي الكبير منذ عشرين سنة بالزام تلاميذ المدارس بالتكلم بالعربية الفصحى ما داموا تحت نظر معلميهم واخذ يعد هذا الامر عدتهُ وعتادهُ وسألني رأيي في ذلك وكنت معلماً في مدرسة الحقوق فقلت لهُ ان الامر ميسور والخطب سهل فطلب اليَّ تجربة ذلك قبل ان يصدر الاوامر فقلت نعم وكرامة ولم يمضِ شهر حتى دعوتهُ لشهود التجربة مع من شاء من المفتشين فاسفرت التجربة عن نجاح باهر وارتقاء ظاهر فصمم على امضاء عزيمتهِ لولا احتجاج فريق من المعلمين بل نفر من العاجزين بان التطبيق متعذر قبل حفظ اللغة واتمام القواعد ولولا التوكؤُ على هذه المغالطة لكانت العامية الآن في خبر كاد ان لم تكن في خبر كان

والذي يسمع كلام الباحثين الاصليين والمتمصرين لما يخال ان بين الفريقين حرباً عواناً وخلافاً ما بعدهُ اتفاق . ومنشأُ هذا الافتراق الذي حمي وطيسهُ واحتدم اوارهُ ان ادلة الفريق الاول تنتج اكثر من المدعى ويجر التسليم بها الى اذهاب اللغة العربية والاتيان بخلق جديد ولولا ذلك لكان الخلاف نظرياً لا يترتب عليهِ اثر ويتضح ذلك اذا حدَّدنا موضع النزاع وحصرناهُ في الدائرة التي يجب حصرهُ فيها . واحسن طريق للتحديد سرد مواطن الوفاق حتى نتحاماها اذا التقى الجمعان واليكم البيان

(١) نقسم اولاً اللغة العربيَّة الى لغتين لغة عامية ولغة فصحى فالعامية لا يمكن ان تكون محل نزاع لان الباحث الاول يقول بصقل اللفظ الاعجمي ووضعهِ في القوالب العربية والثاني يقول بعدم الخروج عما ورد فمحل النزاع اذاً اللغة الفصحى

(٢) ثم نقسم اللغة الفصحى الى اجزائها : حرف وفعل واسم . فالحرف لا يمكن ان يكون محل النزاع لان ما وجد منهُ كاف بحاجة اللغة فلا ضرورة لزيادة نحو يس . ونو . واند . لوجود نعم . ولا . وحرف العطف

والفعل كذلك غير محتاج للمزيد فلا باعث لزيادة نحو "جون" و "كم" لوجود ما يماثلها في العربية . وقد وقع في كلام الباحث الاول ما يفهم منهُ رغبتهُ في زيادة افعال تشتق من الاسماء الاعجمية كأترم وتمبل وامبس ولعل ذلك فرط منهُ اثناء احتدام الجدال والاَّ فما وجه تفضيل الاعجمي على العربي ولم يقل احد بجواز ابغل واحمر وافرس والبغل والحمار والفرس اعرق في العربية من الترام اللهمَّ الاَّ ان يكون وجه التفضيل شدة السرعة وعندنا قاعدة مذهبية نبني عليها وهي انهُ لا يصار الى التعريب الاَّ اذا الجأَت الحاجة اليهِ

ولا حاجة الى اترم كما لا حاجة الى ابغل لامكان التعبير بركب الترام لو سلمنا بقبول كلمة ترام فمحل النزاع اذًا الاسم

(٣) ثم نقسم الاسم الى ما ينوب عن الفعل كشتان ووي وصه والى ما لا ينوب عن الفعل · والاول كالفعل لا حاجة الى الزيادة فيهِ · فمحل النزاع اذًا الثاني

(٤) ثم نقسم ما لا ينوب عن الفعل الى مشتق وجامد · فالمشتقات في العربية كافية وهي اصرح من نظائرها في اللغات الاخرى · فالنزاع في الجامد

(٥) ثم نقسم الجامد الى اسم معنى واسم ذات · فاسماء المعاني كثيرة جدًّا في العربية حتى عدها الباحث الاول ثروة واسعة · فالنزاع في اسم الذات

(٦) ثم نقسم اسم الذات الى ما وضع لمعين بلا واسطة وهو العلم · والى ما وضع لمعين بواسطة ملازمة وهو الضمير واسم الاشارة والاسم الموصول · والى ما وضع لغير معين وهو اسم الجنس

فالعلم يشمل اسامي الاناسي والبلاد والجبال والانهار والبحار والامم والاقاليم وما لهُ شأن خاص من غيرها · والاتفاق على انها لا تختص لغة معينة الَّا باعتبار معناها الاصلي قبل العلمية وانها تبقى على ما وضعهُ لها واضعها الَّا لضرورة

والضرورة اما ان تكون بوجود حروف اعجمية لا نظير لها في العربية كالحرف p الذي بين الباء والفاء مثل باريس والحرف v الذي بين الفاء والواو مثل ڤينا والحرف g الذي بين الجيم والقاف والكاف والعين مثل انكلترا وبعبارة اخرى كجيم القاهرة او قاف الصعيد وهي قاف تميم · والحرف j الذي بين الجيم العربية والياء وبعبارة اخرى كجيم المغاربة مثل جابون والحرف الالماني ch الذي بين الخاء والشين مثل منخن او منشن فيبدل الحرف الاعجمي بحرف يقاربهُ

واما ان تكون بوجود حركات اعجميَّة لا نظير لها في العربيَّة كالحركة o التي بين الفتحة والضمة مثل رُوم كما تقول اهل القاهرة خوخ والحركة u التي بين الضمة والكسرة عند الفرنسيس مثل دانُوب فتبدل بحركة عربية تقاربها اما الحركة e التي بين الفتحة والكسرة فلها نظير في العربية في لغة نجد وقيس واسد كما نسمع من القراء فتبقى كما هي او تبدل بفتحة خالصة والمد بعدها بالف خالصة

واما باشتمال العلم على ما لا تجيزهُ اصول العربية كالابتداء بساكن وكالانتهاء بواو ساكنة قبلها ضمة وكالانتهاء بواو او ياء بعد حرف مد فيحرك الساكن او يتوصل اليه بهمزة

وصل ويحرك احد الساكنين وتقلب الواو الساكنة ياء والضمة قبلها كسرة او تحذف وتقلب الواو او الياء المتطرفة بعد مدة همزة. وهذا التغيير هو الذي يسمى صقلاً او وضعاً في القوالب العربية. فالعلَمُ موضع اتفاق بين الباحثين ايضاً

والضمائر واسماء الاشارات والاسماء الموصولة كافية بل فيها زيادة عن نظائرها في اللغات الاخرى فلا حاجة للزيادة فيها وانما النزاع في اسم الجنس كما صرح الباحث الاول مراراً

(٧) ثم نقسم اسم الجنس الى ما استعملت لهُ العرب لفظاً سواء وضعتهُ لهُ من عندها او عربتهُ من لغة غيرها والى ما لم تستعمل لهُ لفظاً والاول يقبل ولا ينظر الى اصل اللفظ قبل التعريب لان التعريب جعلهُ في حكم العربي فليس موضع نزاع كالدرهم والدينار والمشكاة والسفتجة والسردار وانما النزاع فيما لم تستعمل لهُ العرب لفظاً

(٨) ثم نقسم ما لم تستعمل لهُ العرب لفظاً الى ما اصطلح المولدون على اطلاق لفظ عربي عليهِ بأي مناسبة كانت كنسافة وغواصة ودارعة وقطار ولا خلاف بين الباحثين في قبولهِ. والى ما لم يصطلحوا على اطلاق لفظ عليهِ للآن ولا خلاف بين الباحثين في انهُ يجب البحث والتنقيب في كتب اللغة عن لفظ عربي يمكن اطلاقهُ عليهِ بأي مناسبة من المناسبات الجائزة في اللغة العربية ويصطلح على دلالتهِ عليهِ كما اصطلح من قبلنا على لفظ نسافة وغواصة

ولم يقل احد منهما بتعطيل حركات الخطابة والكتابة ودواوين الانشاء وصحف الاخبار في مدة البحث والتنقيب بل لا بد من ملء الفراغ باللفظ العجمي واستعمالهِ موقتاً للضرورة كما يفعل الطالب الذي ينتقل بالتعليم تدريجاً من لغة العامة الى اللغة الفصحى

فاذا انقضى دور البحث ولم يعثر على كلمة عربية يمكن الاصطلاح عليها وهو ما لا يكون الاَّ نادراً تصقل الكلمة وتستعمل وحينئذٍ يراها الباحث الاول بالمنظار الذي يرى بهِ المعربات التي صقلتها العرب ويقول قد احنطت وما فرطت فرحباً بالدخيل العتيد. وبعداً للاصيل الشريد. ومالي اشغل آمالي بنشد ضالة ان جاءت فلا كرامة وان ذهبت فلا شيعتها غمامة. ويراها الباحث الثاني بمنظار آخر غير ما يرى بهِ المعربات فيحسبها كالرقعة في الثوب والحصاة بين الدر ويقول للضرورة احكام. وحبذا لو صحت الاحلام. ووجدت طلبتي في يوم من الايام

هذا هو الخلاف الطويل العريض ضيّق البحث حلقاتهِ رويداً حتى تضاءل وانتهى الى تقدير النظر الى الكلمة المجتلبة واستقبالها اما بالترحيب. واما بالتقطيب. وهو خلاف غريب

حفني ناصف



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستختار على المطوَّلة

هل المريخ مسكون

طالعتُ ما كتبهُ احد القراء وتأسفت لانهُ استنتج ما استنتج دون امعان الروية بالمقدمات التي سبقت ذلك الاستنتاج . ولقد حلَّلتُ ما كتب فوجدتهُ يتضمن ثلاث نقط رئيسية : —

(١) " ان عالماً آخر يفوق لول شهرة كما يفوقهُ سنًّا وخبرة وهو الدكتور الفرد رسل ولس اقام الادلة على انهُ لا يوجد جرم مأهول او يمكن ان يكون مأهولاً غير الكرة الارضية من كل السيارات التي تدور حول الشمس "

(٢) الاستشهاد بكتابات المقتطف

(٣) " ان الخطوط التي شوهدت على سطح المريخ واستدلَّ منها الاستاذ لول على وجود السكان فيهِ يمكن ان تكون من جملة الحوادث الطبيعيَّة التي لم يبحث احد في تعليلها حتى الآن لانها لا تحدث في ارضنا "

وعليَّ الآن ان اجيب على كل منها متحرياً البساطة والاختصار مجتنباً التطويل المملّ مبتعداً عن الجدل العقيم : —

قال حضرتهُ ان ولس يفوق لول شهرةً كما يفوقهُ سنًّا وخبرةً فاذا كان يعني الشهرة على الاطلاق فربما كان مصيباً ولا اجادلهُ في ذلك اذ لا يوجد مقياس ميكانيكي بهِ نقيس شهرة كل منهما ونقابل الارقام التي تدل على ذلك لنحكم ايهما اشهر وهب انني سلمتُ ان ولس اشهر من لول فالحقيقة لا علاقة لها بشهرتهما ولذلك لا تثبت بثبوت الافضلية للواحد على الآخر ولا تنتقض بانتقاضها اما اذا كان يعني ان ولس اشهر اي اعلم من لول

في الفلك والرياضيات والفلسفة الطبيعية والتحليل السبكتروسكبي فهذا غير مسلّم بهِ ولستُ اظنُّ ان احداً في الكون يوافقهُ على ما يدعي ويعذرني اذا قلتُ لهُ اننا لا نعرف ولس غير العالم الطبيعي "Naturalist" قسيم داروين وليس لهُ ادنى اسم او شهرة في العلوم التي ذكرتها سابقاً (وهذا لا يحط من مقامهِ)

ما لنا ولهذا وذاك لنرَ ما كتب ولس ونفند دعواهُ. يقول في كتابهِ "Man's place in the universe," (صفحة ٢٦٧) : —

"الوحدة القياسية على سطح المريخ يصلها نصف مقدار حرارة الشمس التي تصل الوحدة على سطح ارضنا وبما انهُ خالٍ من الماء لان بقعتي الثلج عند القطبين مسببتان عن رسوب الحامض الكربونيك او غيره من الغازات (الثقيلة) فلا يصلح لحياة الحيوان ولربما كان صالحاً للنباتات الاولية البسيطة وصغر حجمهُ وكتلتهُ (كتلتهُ تعدل تسع كتلة الارض) يجعل جوهُ لطيفاً ورقيقاً للغاية فلا يحفظ اثناء الليل ما اختزنهُ من الحرارة مدة النهار بل تفلت سريعاً بالاشعاع ويؤيد هذا الاستنتاج ما نعلمهُ من درجة الانعكاس القليلة التي تدل على انهُ قلما يوجد غيم في جوهِ الرقيق فتكون حرارتهُ في القسم الاكبر من يومهِ تحت درجة الجليد وخلوهِ في ذات الوقت من البخار المائي والماء الذائب يحتم انهُ ليس صالحاً لسكنى الانسان وسعيشة الحيوان. اه"

فما ذكر يظهر ان ولس لا يسلم براي لول لسببين الاول لعدم وجود الماء في المريخ على الاطلاق اذ يعتقد ان ما يحسبونهُ ثلجاً ليس الاَّ غاز الحامض الكربونيك المجلد وهذا مردود لان الادلة على انهُ ثلج اقرب الى العقل وقد اثبت الاستاذ بكرنج انهُ ماءٌ بواسطة الآلة المعروفة بالبولارسكوب (المقتطف سنة ١٩٠٧ وجه ٧٠٧ سطر ٣) وورد ذلك ايضاً في التقارير الفلكية وفي اواسط شباط ارسل الاستاذ لول نبأً برقياً للسر نورمان لوكير يخبره ان المستر سليفر Slipher وفق الى اكتشاف خطوط البخار المائي بواسطة السبكتروسكوب فوتوغرافياً والآن لديهِ صور عديدة منها (رأيت ذلك في التقارير الفلكية وفي مجلة نيتشر الانكليزية في ١٢ آذار ١٩٠٨) ويليهِ ما يأتي : —

كان يظن اولاً ان الثلج الذي يظهر على قطبي المريخ مسبب عن تجلد الماء حتى قال البعض انهُ ناتج عن تجمد غاز الحامض الكربونيك" وللآن لم يكتشف احد خطوط هذا الغاز في السبكتروسكوب " ثم قامت مسألة تغير مظاهر وجه السيار فعللها الدكتور لوكير انها مسببة عن الغيوم والضباب التي تتكون من البخار المائي وذكر ذلك في خطبة قدمها في

احتفال الجمعية الملكية الفلكية سنة ١٨٦٣ وبعد ذلك اعتقد العالمان هجنس وفوكل انهما اهتديا الى وجود خطوط البخار المائي في السبكترسكوب ولكن ابحاث كمل وكيلر لم تثبت ذلك بل نفته اما الآن فيظهر انها اثبتت على ما علمناهُ من ابحاث مرصد لول

وفي كتاب حديث للدكتور ولس عنوانهُ "هل المريخ مأهول" برهان بناه على ما يعترض بهِ بعض الفلكيين ان لا دليل على وجود البخار المائي بل هو مفقود بالكلية لان السبكترسكوب لم يكن قد اظهر ذلك ولكن هذه العقبة قد ازيلت الآن اذا ثبت ما اكتشفهُ المستر سليفر من وجود البخار المائي الذي نحسبهُ نحن بالقياس الى ارضنا لزوميًا للحياة ويكون هذا الاكتشاف من اعظم الدعائم المؤيدة لآراء الاستاذ لول التي هي احسن ما قدّم لتعليل المظاهر الغريبة والاختلافات العجيبة وقد قابلها الفريق الاكبر من العلماء بمزيد الحفاوة والاعجاب

ثانيًا جميع العلماء يعترفون ان المريخ ابرد من ارضنا ولكنهم يختلفون في تعيين مقدار درجة حرارة سطحهِ والفريق الاكبر منهم يعتقدون (ومباحثهم العلمية تؤيد اعتقادهم هذا) انها كافية لقيام الحياة وان الحرارة العالية تضر جدًّا لوجود الحياة لا البرد كما ابان الاستاذ مريَم (Merriam) الاميركي في مقالاتهِ التي نشرتها دار العلم السمثسونية في تقاريرها السنوية

وقد سرني جدًّا استشهاد حضرة مناظري بكتابات المقتطف لاننا جميعًا نقدر المنشئين حق قدرهما ونعلم مقدار ما يعانيانهِ من التعب في جمع المواد التي تدرج والحرص الشديد على انتقاء الحقائق العلمية ونشرها في اللغة العربية فحق لحضرتيهما الثناء من كل اديب وبالاخص لما يبديانهِ من افكارهما الخاصة وملاحظاتهما الشخصية . ولكي يطلع القراء على الفقرة التي اشار اليها مناظري الكريم انقلها بالحرف الواحد واترك لحضراتهم الحكم فيما اذا كان لي ام عليَّ : —

"والخلاصة ان المريخ صار قريبًا من الشيخوخة والهرم فان كانت مخلوقاتهُ الحية لم تبد عن وجههِ بعدُ فقد صار زمن انقراضها قريبًا والله اعلم" "المجلد العاشر وجه ٦٨"

اما النقطة الثالثة فجل ما استطيع ان اقول فيها ان الفريق الاكبر من الفلكيين يعتقدون ان الخطوط ليست طبيعية ومن خالفهم قال انها نتيجة الوهم والخداع ولكن آراءهم هذه قد فندت كلها ولست اذكر ان احدًا قال انهُ من الممكن "ان تكون من جملة الحوادث الطبيعية التي لم يبحث احد في تعليلها حتى الآن لانها لا تحدث في ارضنا" لان ذلك يخالف القضايا العلمية المسلم بها اذ تكون نتيجة سبب طبيعي ومعلوم ان الارض وسائر

السيارات من اصل واحد وكلها تخضع لذات النواميس والشرائع الطبيعية وهذا قانون في الكون مسلَّم بهِ عند العلماء والفلاسفة ولا شيء يخالفهُ ويعبرون عنهُ بلفظة (uniformity of nature) واللاهوتيون يسمونهُ "وحدة المقصد في الكون" فاذا وجدت آثار ذلك السبب الطبيعي في سيارٍ ما لزم ان تظهر في غيرهِ ولكن الارصاد الفلكية على اختلاف انواعها والابحاث العلمية تنقض ذلك وتثبت ان الترع موجودة فقط في المريخ

ولا يعتقد مناظري ان الذين يسلمون بآراء الاستاذ لول يجعلونها بمنزلة الوحي او يعتبرونها قوانين ونواميس راسخة كقوانين الجاذبية بل هم يعترفون انها احسن الآراء التي قدمت حتى الوقت الحاضر لتعليل تلك المظاهر الغريبة واظن ان الاستاذ لول نفسهُ لا يعتقد باكثر من ذلك ولكنهُ يتوسم انهُ سيصل الى حقيقة راسخة ويكتشف السبب الذي سيكون في المستقبل ناموساً عاماً مسلماً بهِ من الجميع وستبقى تعاليلهُ وآراؤهُ هذه نظريات فقط حتى تثبت او تنقض بما هو احسن منها

واما الاعتراضات الرياضية التي يقدمونها ضدهُ فبعيدة عن الصواب واكثرها يؤدي الى نتائج تخالف الحقيقة لان زعماءها يسقطون سهوًا او عمدًا بعض العوامل التي يظن ان لا تأثير لها في العمل ولكن اذا بقيت وجرينا على ذات الطريقة التي يجرون عليها تكون النتيجة اثبات نتائج الارصاد العلمية مع فرق زهيد كما هو الحال دائماً وابدًا بين الامور النظرية والعلمية . ولولا ضيق المقام وملل القراء (لان هذه الابحاث للخاصة) لكنت انطرق اليها واظهر مواقع الخلل فيها

وفي الختام أُعيد ما كتبتهُ سابقاً ان آراء الاستاذ لول ليست الاَّ آراء فقط ولكنها افضل واحسن ما قدم حتى الوقت الحاضر لتعليل المظاهر التي نراها على وجه ذلك السيار

بيروت المدرسة الكليَّة منصور جرداق

حقوق المرأة

سيدي الفاضلين منشيء المقتطف الزاهر

يسركم ولا ريب ان انقل الى مسامعكم الكريمة خبرًا طيباً عن جمعية خيرية انشئت في بيروت منذ سنة ١٨٧٠ وكان لكم يد في ادارتها واعمالها . ترأسها احدكم الدكتور صروف سنة ١٨٨٣ وسنة ١٨٨٥ وترأسها الدكتور نمر سنة ١٨٨٤ — وهي لا تزال حية مع ما تقلب عليها من الادوار تسعى ضمن دائرتها المحدودة لمساعدة الفقراء المرضى وتطبيبهم

ومعالجتهم مجاناً وتساعد جمعية الاعتدال في مشروعها الجليل وهو انشاء غرف القراءة المشهورة في بيروت عدا عما تنشره وتديره من التآليف المفيدة والخطب المصلحة . تلك هي جمعية شمس البر

احتفلت هذه الجمعية احتفالها السنوي بحضور جمهور كبير من اهل الفضل والادب مساء الخميس في ١٩ مارس في دار مدرسة الاحد الاميركانية وخطب فيها لاول مرة الخطيب الشرقي المعروف في العالم الغربي بصاحب رباعيات ابي العلاء المعري الشاعر الناثر امين افندي ريحاني وكان كلامه في العزلة فتفنن فيها ما شاء وشاءته مخيلته الشعرية الفلسفية . ثم تلاه جناب الشاعر الياس افندي حنيكاتي بموشح منسجم موضوعه عاقبة الزواج الاجباري ومن ثم تباحثت الآنسة الكاتبة سلمى نسيم طراد والقانوني البارع عزتلو داود بك نقاش في " هل يحق للمرأة ان تطالب الرجل بالمساواة " وتلا ذلك كلمة في الحكم في المسألة لكاتب هذه السطور ثم ختمت الحفلة بقصيدة عامرة لجناب الشاعر شبلي بك ملاط موضوعها " الوردة الذابلة " وانصرف الحضور مرتاحين الى ما شاهدوه والى ما سمعوه في الحفلة

وقد طلب اليَّ بعض الادباء ان انشر كلمة الحكم على صفحات المقتطف الاغر اثارةً لخواطر بعض كتابنا الادباء في هذا الموضوع فلبيت الطلب — وهذه صورة الحكم

— هل يحق للمرأة ان تطالب الرجل بالمساواة —

مسألة لو أُخذت على ظاهرها لكان البحث فيها عقيماً مضحكاً — المرأة تطالب الرجل بالمساواة وما معنى هذا ? هل تطالب المرأة الرجل بالمساواة في الخلق او في المدارك او في المقام في المجتمع الانساني ? هل يمكن ان تعني ذلك والمساواة اسم بلا مسمى عند التحقيق ? اين المساواة في الوجود ? في الطبيعة حوالينا ? في السماء فوقنا ? في المخلوقات جميعها — في النبات والحيوان وفي الانسان ? اين المساواة في المدارك والمواهب ? كل انسان يختلف عن اخيهِ في الخلق وفي الادراك وفي الاستعداد الفطري والاكتسابي . هل يحق لزيدٍ ان يطالب عمرًا بالمساواة ? هل يحق للتلميذ ان يطالب المعلم بالمساواة ? هل يحق للمرؤوس ان يطالب الرئيس بالمساواة ? " وما الناس الا سيدٌ ومسودُ " هذه هي طبيعة الوجود — وحدة في القوى الخالقة الازلية واختلاف في صور تلك القوى ومجاليها فسبحان المبدع الحكيم

وعليهِ ترون ايها السادة ان المسألة هي غير ما ينطوي عليهِ ظاهرها . ولو وضعت على هذه الصورة " هل يحق للمرأة ان تطالب الرجل بالمساواة في الحقوق " لاستقام وضعها وامكن البحث فيها وهذا ما عناه المتباحثان كما قد رأينا

ظهر ان اهمية البحث تدور على كيفية تفسيرنا معنى الحقوق . فما هي الحقوق ? ما هي

حقوق الرجل وما هي حقوق المرأة ؟ وهل هو واثق ان الرجل قد اهتضم حقوق المرأة حتى قامت قيامتها عليهِ في هذه الازمنة الاخيرة تطالبهُ بتلك الحقوق المهضومة

ما هو الحق ؟ من يجيبنا على هذا السؤال ؟ انقصد القاموس ليقول لنا ان الحق ضد الباطل فلا نستفيد شيئاً من تعريفهِ . أنقصد المتشرعين والمحامين ليقولوا لنا ما هو الحق ونحن نعلم انهم يفسرون الحق بما ينطبق على مقامات المدعين والمدعي عليهم . انقصد الساسة في اوربا واميركا لنفهم منهم ان الحق هو القوة وقيام المصلحة لا غير ؟ أهذا هو الحق الذي نطلبهُ الليلة ؟ الحق المطلق ام الحق المقيد ؟

نترك الحق المطلق وشأنهُ لانهُ لا يعنينا ونأتي الى الحق المقيد لانهُ هو مطلبنا في البحث فما هو حق الانسان المقيَّد ومن قيَّدهُ

حق الانسان ان يحيا ويسعى لما فيهِ ارتقاؤهُ وسعادتهُ . (هذا هو حقهُ اخذهُ بالارثِ وبالهبة وبوضع اليد وبمرور الزمن كما يشاء محامينا البارع)

وكما تقيدت الحياة في الجسم وتقيَّد سعي المرء في المجتمع هكذا تقيَّدت حقوق الانسان بالنسبة الى ما منحهُ اياهُ الخالق من القوى النفسية والجسدية وبالنسبة الى المحيط الذي وُجد فيهِ . والانسان هو الذي قيد حقوقهُ فانشأ النظامات والشرائع وتمسك بالعادات الاجتماعية واحتفظ بالتقاليد القومية حرصاً على مجتمعهِ وقياماً لمصلحتهِ ونهض القويُّ منهُ فتسيطر على الضعيف . سنة الله في خلقهِ ولن تجد لسنة الله تبديلا

ولا مشاحَّة ان الرجل والمرأة متساويان في هذه الحقوق الاصلية بمعنى انهُ كما يحق للرجل هكذا يحق للمرأة ان تسعى وتحيا لما فيهِ ارتقاؤها وسعادتها . والذين يعارضون هذا بقولهم ان حقوق المرأة لا تساوي حقوق الرجل لان قواها العقلية احط من قواهُ فليسمعوا رد شيخ فلاسفة الانكليز الفيلسوف هربرت سبنسر حيث يقول انهُ "لو صح ان الحق يقسم بين الناس بالنسبة الى قواهم العقلية لكان كل رجل يختلف عن غيرهِ بمقدار حقوقهِ اذ لا يوجد مساواة بين الرجال انفسهم ولكان النساء اللواتي ينبغن في العلم احق بكثير من حقوق الرجال الذين لا يعلمون شيئاً يذكر . فضلاً عن ان ذلك يضطرُّنا الى ايجاد مقياس للقوى العقلية وللحقوق وهو من رابع المستحيلات"

ومن المعلوم اليوم ان علماء العقليات والاجتماعيات قد عدلوا عن الرأي القديم القائل ان مدارك المرأة احط من مدارك الرجل — الرأي الذي نشروهُ بناء على ان دماغ المرأة اخفُّ وزناً من دماغ الرجل — فهم يقولون اليوم ان معدَّل القوى العقلية في النساء تساوي معدَّل

القوى العقلية في الرجال وكما ينبغ في الرجال افراد هكذا ينبغ في النساء افراد . وثقل الدماغ لا يحسب بذاته دليلاً على كبر العقل فانهُ قام كثيرون من عظماء الرجال ولم يمتازوا بثقل ادمغتهم فضلاً عن ان النسبة بين ثقل دماغ الرجل وثقل جسمهِ تعادل النسبة بين ثقل دماغ المرأة وثقل جسمها

وآخر ما قيل في هذا الصدد هو هذا : ان الاختلافات في القوى العقلية بين الرجال والنساء انما هي ناتجة عند التحقيق عن الفواعل الخارجية التعليمية والاجتماعية التي تتسلط على الفرد منذ نشوئهِ الى زمن استكمالهِ النموّ الجسدي والعقلي لا عن اختلاف اصلي بين الجنسين او بين الشعوب . بقي انهُ اذا كان الحق الاول للانسان ذكرًا وانثى ان يحيا ليرقي نفسهُ ونسلهُ من بعدهِ ويطلب السعادة في دنياهُ وان الرجل والمرأة متساويان مشتركان في هذا الحق بطبيعة الوجود فكل ما يؤخر المرأة عن التمتع بهذا الحق يؤخر الرجل والعكس بالعكس

واذا كانت حقوق الفرد تكثر او تقل بالنسبة الى تأثيرهِ في ترقية الهيئة البشرية واسعادها فحقوق المرأة اكثر من حقوق الرجل — لا يغضب اخواني الرجال — ذلك لان المرأة هي اسّ العائلة ونقطة دائرتها . هي التي وضعت الحجر الاول في بناية الاجتماع والعمران ولولاها لبقي الرجل وحشًا ضاريًا لا همّ لهُ سوى الصيد والقنص والسلب والنهب

نظرة الى نشوء الاحياء ايها السادة تريتا ان الانثى اهم من الذكر في ابقاء النسل فكان وظيفة الذكر الاولى انما كانت ان يساعد الانثى على ابقاء النسل وترقيتهِ جيلاً بعد آخر . ثم لما نشأت الحيوانات الثديية وصارت صغارها تستلزم وقتًا اطول لتغذيتها وتنشئتها حتى تستقل عن امهاتها تولّد من ذلك مطلب جديد من الذكر وهو مساعدة الانثى على تنشئة الصغار وجمع القوت لها ولهم وهكذا تكونت العائلة البشرية الاولى فكانت المرأة وصغارها اساسًا لها وتفرعت وظيفة الرجل البيولوجية فاصبحت اجتماعية ايضًا . واقامت المرأة وصغارها في البيت وسرح الرجل يطلب الصيد والغنيمة وانضم الى غيرهِ من مقاتلي العشيرة وقلما كان يساكن المرأة واولادها وكثيرًا ما كان يهجرها لسبب او لغير سبب فنشأ عن ذلك نوعان من المجتمع — الرجل باعمالهِ التنازعيَّة التي تستلزم القوة الجسدية والجرأة والدربة في استعمال ادوات الضرب والقتال — والمرأة بمركزها العائلي باعمالها الوالدية التي تستلزم الرقة والحنان والسكينة والصبر . فكانت النتيجة ان الرجل ازدادت مقدرتهُ الجسدية وكبر جسمهُ باعمالهِ وحركاتهِ وتعود المخالطة والاقدام وان المرأة ضعفت قواها الجسدية وصغر جسمها

وتعوّدت الدعة واللطف والاحتيال

ومن المعلوم ان الحق بجانب القوي ولما كان الرجل اقوى من المرأة بجسمهِ كان هو المسيطر عليها منذ نشوء العمران . واحست المرأة بحالتها هذه وادركت ان الرجل قليل الوداد فتولدت فيها عزة النفس واظهرت انها لا تبالي بالرجل ساكنها اوهجرها ولم تكن تشغلها العناية بالصغار طول وقتها فكانت تستعمل اوقات فراغها في تحضير ما تنتفع بهِ في بيتها فاعملت فكرتها وقادها الاختبار الى جدل الخيوط ونسجها فكانت هي الحائكة الاولى ثم تعلمت بالتجربة والملاحظة مرة بعد مرة ان تحتفظ بجلود الحيوانات التي كان يصطادها الرجل فوضعت بذلك صناعة الدباغة الاولى . وكانت تنكث الارض بالعيدان وتزرع البذور النافعة فأنشأت بذلك صناعة الحراثة والزراعة . وقصارى القول ان المرأة اظهرت للرجل بتصرفها واعمالها انها مستقلة عنهُ فأثر ذلك فيهِ وصار يتزلف اليها ويحاول استمالتها بزينتهِ الخارجيَّة فيتشكك بالريش والعقود والحلى وينقش وجههُ وصدرهُ ومعصميهِ ويظهر الجرأة والاقدام — على حد ما نراهُ ليومنا الحاضر جاريًا في القبائل الهمجية في افريقيا وغيرها — ثم تطرَّق الى ان صار يشتري المرأة بمالهِ من اهلها وعشيرتها وينقلها الى اهلهِ وعشيرتهِ حيث يسهل عليهِ اذلالها واخضاعها ولا سيما بعد ان رآها صناع اليدين تخدمهُ بنفسها وتنفعهُ بمصنوعاتها

وتوالت العصور على الانسان وكان ينتقل في حالات العمران جيلاً بعد جيل فرأى ان صناعة القنص لا تدوم وان الصناعات التي تتعاطاها المرأة هي اسهل مراساً واكثر عائدة من صناعتهِ فاخذ يقتبسها وكان مهيأً لها باستمدادهِ الجسدي والعقلي فلم يطل عليهِ الوقت حتى فاز على المرأة بهذه الصناعات واصبح مسيطرًا عليها بها ينتج المال ويتاجر بهِ

ولما اغتنى استغنى عن التزلف للمرأة واستبدَّ بها فاذلها وكان ينظر اليها كبعض مقتنياتهِ فساءت حال المرأة ولم يبقَ في حوزتها ما تستميل بهِ الرجل الاَّ جمالها ومظاهر زينتها واستعمال دهائها واصبحت ولا وظيفة لها حسب الظاهر الاَّ خدمة الرجل وخدمة عيالهِ — ودامت الحال على ذلك ولا تزال في كل بلاد لم تدخلها عوامل التهذيب وانوار المدنية الحديثة حتى قامت المرأة الغربية في هذه الازمنة الاخيرة تطالب بحقوقها المهضومة ورأى الرجل الصواب في طلبها ففسح لها مجالاً للتعلم والاستفادة ورفع مقامها في المجتمع ولم يعد يخاطب جنسها بالجنس الضعيف بل بالجنس اللطيف وسمى المرأة نصفهُ الافضل ولم يتنازل عن كونهِ الرأس ولكنهُ اجلَّ المرأة ورفعها حتى اصبحت عنقاً تدير ذلك الرأس — وهكذا جرت المرأة الغربية شوطاً بعيدًا في العلم والعمل وبارت الرجال في الطب والمحاماة والتعليم

والتأليف والصحافة وفي الاستخدام في المكاتب التجارية على اختلاف انواعها وفي تعاطي الفنون الجميلة . وقد اعطي لها حق التصويت في الانتخابات التعليمية والادارية ولا تزال تنطال الى حق التصويت في الانتخابات السياسية ويقال انها قد نالت ذلك في بعض البلدان

وبعد ان قدمنا هذه اللمحة من تاريخ المرأة ونشوء مقامها في المجتمع نعود الى مسألة البحث ونسأل هل يحق للمرأة ان تطالب الرجل بالمساواة في الحقوق ولا يسعنا الاَّ ان نجيب نعم يحق لها ذلك . ثم بالنظر الى ما قدمناهُ ايضاً نسأل هل تستطيع المرأة اذا مُهدت لها سبل التعلُّم والاكتساب جيلاً بعد آخر ان تباري الرجل في العلم والعمل ونجيب نعم تستطيع ذلك . بقي سؤال ثالث اهم من هذين اسألهُ واجعل الجواب عليهِ خاتمة كلامي وهو هل يحسن بالمرأة ان تزاحم الرجل في اعمالهِ

ايتها المرأة الشرقية — كلمة من رجل يغار على صالحك وينظر اليكِ بعين التجلة والاحترام ويرى ان بكِ صلاح الامة والاجيال المستقبلة . قد رأينا المرأة الغربية المتمتعة بحقوقها الحديثة الطالبة الاشتراك في معامع الحياة وفي اعمال الرجال . رأيناها مستقلة عن الرجل لا تلتمس حماية ولا تخضع لسلطة . رأيناها تعدل عن الذرائع الطبيعيَّة الى الاصطناعيَّة لاستمالة الرجل . رأيناها مندفعة وراء ما يسمونها الحرية وبئس الحرية هي — تعلمت واستنارت بانوار المعرفة ونعمَ ما فعلت ولكنها تمادت في استقلالها فخسرت من تأثيرها الدائم في الوجود واضاعت نفوذها الحقيقي في الهيئة البشرية . فلا تتشبهي بها ايتها المرأة الشرقية وتأخذي بظواهر المدنية الغربية الباطلة . قد عرفتِ بالتعلق الشديد بزوجك وبيتك واولادك فلا تتقمصي من هذه الصفات الشريفة . يكفيكِ ان تكوني اماً — وما اقدس هذا الاسم ! يكفيكِ ان تكوني ربة بيت تسود فيهِ المحبة والطهارة والحنان — يكفيكِ ان تكوني ملاك العائلة مربية اولادك صغار الحاضر وكبار المستقبل — بيديكِ الهيئة البشرية ايتها المرأة تصوغينها جسماً وعقلاً ونفساً اذا كان فيكِ الكفاءة والاستعداد فاحرصي على هذا المقام المقدس — على هذا العمل الالهي — وتعلمي وتهذبي واستنيري بانوار العلوم المفيدة ما شئتِ وبثي من روحك النقية ومبادئكِ القويمة في مَن حولكِ وكوني مثال التقوى والفضيلة والجمال النفسي اذا وقف بين يديكِ الرجل يتهيب من شعاع الطهارة المنبعث من عينيكِ ووجهكِ

نعم لتطالب المرأة الرجل بحقوقها . ليعلم الرجل ان المرأة هي اساس العائلة ومجلى طهارتها ونقطة سعادتها وانهُ ما دامت المرأة منحطة فالامة تظل منحطة . الامة برجالها وبنسائها لا برجالها فقط — النساء اكثر من نصف الهيئة البشرية واي عاقل يؤمل ترقية امة ان لم ترتقِ

نساؤها — هذه هي كلمتي في الحكم والسلام على من رأى الحقيقة فلم يعمهِ غرضهُ عن الانتصار لها

بولس خولي

علاج لسع العقارب بام درمان

حضرة منشئي المقتطف الاغر

ان نتيجة اشغالنا بمعالجة الذين لسعتهم العقارب باسبتالية ام درمان الملكية سنة ١٩٠٧ هي كما يأتي حسب سن الملسوع

	بين يومين الى سنتين	بين سنتين الى خمس	بين خمس الى عشر	بين ١٠ الى ١٥	بين ١٥ فما فوق	المجموع
شفي	٢	١٣	٢٢	٣٣	٨٦	١٥٦
توفي	٢	٤	٣	١	٢	١١
	٤	١٧	٢٤	٣٤	٨٨	١٦٧

ويظهر منها ان طريقة العلاج المتبعة جاءَت وافية بالمرام فقد بلغت الوفيات بين الذين لسعتهم العقارب ٦ ١/٢ في المئة فقط وقد كانت قبل ذلك من ٤٠ الى ٥٠ في المئة

وقد ثبت بالتجارب ان سم العقرب لا يذوب في الكحول وعليهِ بنيت طريقة حقن الكنياك الطبي تحت الجلد ولا سيما في الاطفال في الاليتين بجوار الجزء الذي فيهِ اللسع من الاعلى مع ربط الطرف الذي فيهِ اللسع من فوق اللسعة وفصدهِ في محل اللسعة ان كان معلوماً وكيهِ بسائل النشادر او الحامض الفينيك او الخل او ما يشبه ذلك لكن يخرج جزء من السم مع الدم الخارج بالفصادة ويستحيل الجزء الآخر الى مادة أُخرى وفي الغالب يزول فعلهُ السمي واذا امتص فلا يكون منهُ الاَّ تأثير وقتي يزول بسرعة ويشفى الملسوع . ولا يفك الرباط الاَّ بعد مضي ١٢ ساعة على الاقل ان لم يكن هناك ·وجب لفكهِ كالالم الشديد والورم الشديد من احتباس دورة الدم. وللكنياك الطبي المحقون تحت الجلد فوق اللسع وبعد الربط فعل مفيد وهو اولاً انهُ يمنع ذوبان السم الذي امتصهُ الدم فيبقى معلقاً فيهِ ولولا ذلك

لذاب في الدم لان فيهِ (اي في الدم) ملحاً يسهل ذوبانهُ وامتصاصهُ بسرعة وظهور عوارضهِ القتالة فجأةً . وفوق ذلك فانهُ لا يأذن بظهور عوارض السم الاَّ تدريجاً فيسهل افراز جزءٍ منهُ وينجو الملسوع ولو كان صغير السن ولم يعلم مكان اللسع . ولذلك يستحسن شرب قليل من الكنياك مع الشاي لكي تنتبه الغدد العرقية فتفرز جانباً من السم مع العرق . وللكنياك فعل خاص بالقلب فينشطهُ ويقويهِ ليدافع عن سائر اعضاء الجسم التي تكون قد ضعفت من فعل السم بها

واذا لم يربط العضو الملسوع فيستحسن تشريطهُ وحجمهُ بكاس الحجامة لامتصاص بعض الدم المتسمم منهُ . واني اوصي بالامتناع عن الالبان لانها تجمد في المعدة وعن الامراق الكثيرة الملح . وخير منها المرق الخالي من الملح والشاي والكنياك بعد اللسع باربع وعشرين ساعة ثم يُعاد الى الطعام العادي تدريجاً بعد زوال الاعراض كلها

هذا ما دلت عليهِ تجاربنا في هذا الموضوع مدة سبع سنوات

الدكتور محمد علي النكلاوي



البحر الابيض وموسم القطن

للسر وليم ولككس

(تابع ما قبلهُ)

لننظر الآن ماذا كان المصريون الاقدمون يفعلون . فانهم لم يكونوا يستطيعون ان يسوا البحر الابيض ولا الازرق ولا نهر الاتبرا ولكنهم استعملوا النيل كما يصل اليهم فانهم رأوا ان المياه الحمراء التي تصل بهِ من اواسط اغسطس الى اواسط اكتوبر يمكن اجراؤُها بالترع الى الاطيان وابقاؤُها فيها نحو شهرين من الزمان لكي يرسب منها ما فيها من الطمي الذي تجود بهِ الارض . فجعلوا الارض حياضاً يبقى الماء فيها مدة كافية لتتشرب منهُ وتتغطى بطبقة من طميهِ وحينئذٍ تصرف المياه الصافية الى النيل فيبذر الزارع بذارهُ في الارض فينمو فيها القمح والشعير والكتان والفول والبرسيم والعدس من غير حاجة الى الري لان

الفصل يكون شتاء بارداً · وهذا الاسلوب اي ري الحياض هو افضل اسلوب عرفهُ الناس ودام متبعاً سبعة الآف سنة وبقيت الارض خصيبة في آخرها كما كانت حينما ابتدأ · وقد اخذ الري الصيفي يقوم مقامهُ ولكنهُ لا يزال هو احكم اسلوب استنبطهُ الناس للري

ولذلك رأى المرحوم الكولونل روص الذي كان مفتشاً لعموم الري انهُ ليس في الامكان ابطال ري الحياض وابدالهُ بالري الصيفي ولم يكن موافقاً لي وللسر همبري برون وللمستر فوستر لما اشرنا بالري الصيفي ولا للكولونل وسترن والمستر ريد اللذين بيَّنا مقدار الفائدة المالية التي تنالها البلاد من القناطر التي ترفع الماء للري الصيفي

ان محمد علي جد العائلة الخديوية بدأ حكمهُ في هذه البلاد بادخال الري الصيفي (او الري المستديم) الى الوجه البحري حتى يصير وطناً للقطن كما كان وطناً للحبوب منذ العصور الخالية وكان محمد علي رجل عمل ومن عهده الى الآن ونطاق الري الصيفي يزيد اتساعاً ولا سيما بعد انشاء خزان اصوان · وغرضي ان اريكم الآن كيف يمكن ان يقوم الري الصيفي مقام ري الحياض في القطر المصري كلهِ فتصير بلاد مصر مثل بلاد بابل من هذا القبيل حينما كانت بلاد بابل في اوج مجدها وحينئذٍ يفهم قول الخليفة المأمون الذي قال حينما صعد على جبل المقطم ورأى وادي النيل مبسوطاً امامهُ انهُ لو رأى فرعون وادي الفرات ما افتخر بانهُ ملك مصر

والري الصيفي او المستديم يستدعي ان تبقى مياه الري في الترع على مدار السنة ويجب ان يكون مقدار الماء قليلاً في فصل الشتاء واكثر منهُ في الصيف واكثر كثيراً في زمن الفيضان · اما النيل فيكون ماؤُهُ كافياً في زمن الفيضان وزائداً في الشتاء وقليلاً جداً في الصيف فلا بد من قلب الحالة الحاضرة بين الشتاء والصيف

اما مقدار الماء المطلوب صيفاً فيظهر من النظر الى الاطيان التي تحيا سنويًّا ثم لا يمضي عليها سنون كثيرة حتى تعود الى حالتها السابقة حينما كانت مستملحة فان منظر تلك الاطيان اذكرني كلام الدكتور شوينفرث الذي قال ان الري المصري هو جهاد مستمر في مقاومة الملح وقد ظهرت الآن شدة هذا الجهاد

جاء في تقرير لورد كرومر عن مصر سنة ١٩٠٧ ان الفدان من المليون فداناً من الاراضي المستملحة في الوجه البحري يحتاج الى ٣٦ متراً مكعباً من الماء في اليوم اذا اريد زرع اربعين في المئة من هذه الاطيان زراعة صيفية · اما انا فيظهر لي بالاختبار ان هذا المقدار من الماء يبقي تلك الاطيان في حالة من الملوحة لا خلاص منها · وهذا التدقيق

والتقتير في الماء على الاطيان الضعيفة في الوجه البحري هو الذي ابقى موسم القطن على حالهِ من غير ان يزيد مع ان مساحة الاطيان المزروعة قطناً قد زادت كثيراً لان هذه الاطيان تحتاج ان تغسل مراراً وتجدد قواها بزرع الرز لتتغلب على ما فيها من الملح والرز يحتاج الى ماء كثير

ورغبتي في التدقيق والتقتير جعلتني اقول انهُ اذا زيد ماء النيل اربعة مليارات من الامتار المكعبة صار كافياً للري الصيفي في القطر المصري كلهِ · اما الآن فاقول اننا اذا اردنا احياء الاراضي البور وبقاء الاراضي المستملحة في حالة صالحة للزراعة لزمنا ملياران من الامتار المكعبة للاراضي المستملحة وحدها ولذلك نحتاج الى ستة مليارات من الامتار المكعبة · ولقد تحدثت مرةً في هذا الموضوع مع المرحوم نوبار باشا وذكرت اموراً احسبها اليوم غير صحيحة فاصغى الى كل ما قلتهُ ثم قال انهُ لو تُرِكَ الامر لهُ لوهب كل مفتش من مفتشي الري خمس مئة فدان من الاراضي البور فان معظم ما ينتج عن الضرر من ذلك ان المفتشين يحسنون ري اطيانهم ولو حرموا اطيان جيرانهم من الماء ولكن الفائدة التي تنالها البلاد من توسيع اختبارهم تساوي الملايين · ولقد اصاب في ما قال فاني طفت في بلاد لمبرديا بايطاليا منذ بضع سنوات فرأيت انهُ يعطى للاراضي الخصيبة حول ميلان من الماء ما يساوي ثمانين متراً مكعباً في اليوم للفدان · واني لا استغرب ذلك الآن

والماء وحدهُ لا يحقق نجاح النصف الشمالي من الوجه البحري بل لا بد للحكومة من ان تقتدي بارباب الزراعة في ايطاليا الذين في الاراضي الواطئة فانهم تعلّموا بعد طول الاختبار ان خصب الارض لا يدوم الّا اذا صرفوا منها المياه فالّفوا شركات واقاموا طلمبات تسحب مياه الصرف من اطيانهم الواطئة وتصبها في مصارف الحكومة واقتسموا نفقات الصرف بينهم وقد جاء عملهم هذا بالنجاح · ويحسن بالحكومة المصرية ان تفعل فعلهم لانهُ لا يوثق بغيرها في هذه البلاد ثم تتقاضى نفقات الصرف من اصحاب الاطيان الذين ينتفعون بهِ

ولنعد الآن الى الستة المليارات من الامتار المكعبة اللازمة لتعميم الري الصيفي في القطر كلهِ فنقول

يظهر مما ذكرتهُ سابقاً انهُ يمكن خزن ثمانية مليارات من الامتار المكعبة في السنين المعتدلة الفيضان في البحر الابيض عند الخرطوم بين ١٥ اكتوبر وشهر مارس لتضاف الى النيل بين شهر ابريل ويوليو وذلك فوق المليارين اللذين يخزنان الآن بخزان اصوان واذا كانت السنة واطئة الفيضان جداً فيمكن خزن اربعة مليارات · واذا عملت الجرافات في اعالي البحر الابيض وسدت الفتحات الجانبية التي يسيح بها الماء منهُ وابطلت التعرجات التي لا لزوم

لها وجرى الماء كلهُ فيهِ من غير ان يضيع منهُ شيء سدًى فالماء الذي يمكن ان يخزن فيهِ يزيد على ما تقدَّم زيادة كبيرة .

واستطرد الخطيب الى مسائل اخرى معترضة ثم عاد الى سياق كلامهِ فقال ما مفادهُ انهُ اذا بنيت قناطر عند ملتقى البحرين الابيض والازرق مثل قناطر اسنا فانها تحجز من الماء ما ارتفاعهُ اربعة امتار ونصف متر فقط وقناطر اخرى قرب شجرة غوردون تحجز من الماء ما ارتفاعهُ ثلاثة امتار ونصف متر تكوَّن بينهما خزان يسع ثلاثة مليارات من الامتار المكعبة تكفي مصر والسودان من الآن الى ما بعد سنين كثيرة . او تبنى القناطر الاولى عند مقرن البحرين والقناطر الثانية عند مخاضة ابي زيد . فاذا فعلنا ذلك وتحكمنا بمصب السُبَت خزنَّا كل ما يلزم لمصر والسودان من الماء ومنعنا خطر الغرق بزيادة الفيضان . وثلاث سنوات تكفي لعمل الاعمال اللازمة لخزن ثلاثة مليارات بنفقة اقل من ثلاثة ملايين من الجنيهات . ولكن ذلك الخزان لا يغني عن خزان اصوان بل لا بدَّ من الاثنين معاً لجعل الري الصيفي عامًّا للقطر المصري . ثم التفت الى وادي الريان لجعلهِ مهربًا لمياه الفيضان اذا زادت كثيرًا وخيف من الغرق وعاد الى خزان البحر الابيض فقال ان لا بدَّ منهُ لخزن الماء الكافي لزراعة هذا القطر

معامل الفراخ

لقد يستغرب القراء هذا العنوان ولاسيما اذا كانوا من غير سكان هذا القطر . ولكن ابناء القطر يعلمون ان في كثير من قراهُ معامل لتفريخ البيض تعمل بضعة اشهر من كل سنة والمفرخون في هذه المعامل رجال من اهالي برما قرية قرب طنطا وهم متقنون لهذه الصناعة يتوارثونها ابًا عن جد

والمعمل بناء واطئ لهُ طبقتان يحمى اولاً بحرق التبن فيهِ الى ان تسخن جدرانهُ ثم تنزع النار والرماد منهُ ويوضع البيض في الطبقة السفلى وتوقد النار في الطبقة العليا . ويأتي بائعو الفراخ الى مدير المعمل بالبيض فينتقي منهُ ما يظنهُ صالحًا وذلك باستشفافهِ في الشمس ويشترط على نفسهِ ان يعطي بائع الفراخ ستين فرخًا من كل مئة بيضة وما زاد من الفراخ فلهُ وان نقص منها شيء بقي مديونًا بالنقص . ويرتب البيض في المعمل يومًا بعد يوم حتى اذا مرَّ عليهِ فيهِ ٢١ يومًا جعلت الفراخ تخرج منهُ حسب وضعهِ في المعمل اي ان البيض الذي يوضع في اول مارس يفرخ في ٢١ منهُ والبيض الذي يوضع في ٢ مارس يفرخ في ٢٢ منهُ

والبيض الذي يوضع في ٣ مارس يفرخ في ٢٣ منهُ وهلمَّ جرًّا

وبائعو الفراخ يأخذون فراخهم ويضعونها في اقفاص ويبيعونها للفلاحين من غير ان يهتموا باطعامها وهم يشترون البيض من غير ان ينتقوهُ من الدجاج والديوك الكبيرة لان غرضهم بيع الفراخ حالما تولد ولهذا السبب صارت الفراخ المصرية من اصغر الفراخ و بيضها من اصغر البيض حتى اننا لما اتينا القطر المصري اولاً ورأينا بيض دجاجهِ ظنناهُ بيض حمام لا بيض دجاج

فطريقة التفريخ طريقة عملية حسنة جدًّا ولكن عدم انتقاء البيض من الفراخ الكبيرة والديوك الكبيرة افضى الى ما نراهُ من صغر الفراخ والبيض اذ لم يبقَ سبيل للانتخاب الطبيعي ولا للانتخاب الصناعي وهذا خطأٌ وخسارة كبيرة ولذلك فالمجال واسع لاناس يهتمون بجلب الدجاج الكبيرة الاجسام والبيض وتفريخ بيضها فقط دون سواهُ حتى يكثر هذا النوع الكبير الفراخ والبيض . وقد لا يمكن المتاجرة بالصيصان حينئذٍ حين ظهورها لانها تكون صغيرة مثل غيرها ولكن الذين يفرّخونها قصد تربيتها يعلمون انها من نوع كبير ويهملونها الى ان تكبر فيباع الفرخ منها بمضاعف ما يباع بهِ غيرهُ

الواردات الزراعية

ورد الى القطر المصري في العام الماضي من الحبوب ونحوها ما ثمنهُ نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات كما ترى في هذا الجدول

اسم الصنف		الوزن	الثمن بالجنيه المصري
قمح	بالكيلو غرام	١٥٨١١٨٦٦	١١٢٨٣٨
زرة	«	٤٩٩٢٣٣٥	٢٤٢٣١
حمص	«	٣٥٥٢٢١٣	٢٣٢٢٥
ترمس	«	٣٥٧١٠٨٠	٢١٩١٣
شعير	«	١٧٢٦٢٨٤٣	١٠٠٣٥٤
ملت	«	٩٥٤٥٩٥	١٢٩٥٨
رز	«	٤٣٣٠٠٤٧٣	٣٨٥٠٦٩
عدس	«	٧٢٩٤٠٤	٦٣٠٩
بازلا	«	٢٧٦٦١٩	٣٥٩٠
فول	«	١٢٠٢٦٣٢	٧٩٠١

حشيشة الدينار	بالكيلوغرام	١٠١٢٠	١٨٦١
سمسم	«	٧٢٩٢٨٤٦	١١٠٤٤٢
كستنا	«	٢٢٦٤٢٠٢	١٩٧٨٦
بطاطس	«	١٨٤٠٣٣٥٦	٧٠٧١٩
حبوب وخضر في علب		—	٥٥٣٨٨
دقيق قمح وذرة	«	١٤٠٦٨٠٧٢٠	١٢٢٧٠٨٦
انواع اخرى من الدقيق والرضة	بالكيلوغرام	٦٠٠٧٩٧٤	٣٨٢٨٣
نشا	«	١١٧٢٠٩٩	١٤٧١٢
سميذ	«	٤٦٣٤٣٢٨	٤١٨٩٢
برغل	«	١٥٧٦٤١٣	٢٧٥٧٧
عنب	«	٩١٢٩٨٧٦	٦١٦١١
موز	«	٨٥٨٢٩٨	١٥١١٨
تمر	«	٤٥٣٢٠٥٥	٣٤٩١١
ليمون وبرتقال		—	٣٢٣٩٩
اثمار اخرى خضراء	بالكيلوغرام	١٣٥٩١٤٨٩	٨٢١٦١
بطيخ وشمام	بالآلاف	٧٦٣١	٦٦٠٦٤
اثمار يابسة	بالكيلوغرام	١٦٦٥٨٨٢٨	٢٣٦٩٩٣
مقددات		—	٥٢٩١٠
زيتون	بالكيلوغرام	٣١٣٧٩٤١	٣٢٠٣٠
مواد اخرى نباتية		—	٥٣١٢٥
الجملة		—	٢٩٦٣٩٥٤

ومن البن والسكر والطيوب وما اشبه من حاصلات المستعمرات ما يأتي

اسم الصنف		الوزن	الثمن بالجنيه المصري
سكر مكرر	بالكيلوغرام	٢٤٨٨٩٨٠٩	٢٧٨٣٥٢
بهارات	«	١٧٧٧٣٣	١٢٣٥٩
		—	٣٠٤٥
فلفل	«	١٠٣٤٤٨٩	٣٥٨٦٨

بن	بالكيلوغرام	٦٧٩٣٢٥٨	٢٦١٧٣٩
شاي	"	٣١٥٠٧٣	٢٤٦٧٣
مربيات	"	٢٥٠١٠٢٤	٨٦٠٥٦
بسكوت	"	١٠١٧٢١٥	٣١٨٨٠
بقسماط	"	٤٧٧٧١	٩٨٩
شكولاتا	"	٢٦٠٢٥٦	٢٤٤٦٩
والمجموع			٧٥٩٤٣٠

ومن المياه المعدنية والخمور والزيوت وما اشبه ما يأتي

اسم الصنف		الوزن	الثمن بالجنيه المصري
مياه معدنية	بالدستة	١٨٥٩٥٣	٣٦٢٤٥
خمور	بالكيلوغرام	١٥٦٢٠٥٥١	١٣٤٦٧٠
	بالدستة	٥٠٠٤٧	٦١٣٧٧
خل	بالكيلوغرام	٥٥٣١٠٥	٢٨٨٥
بيرا	بالبراميل	١٤٨٧٥١	٦٨١٧٥
	بالدستة	٢٤٥٠٩٣	٥٧٢٥٧
الكحول نقي	بالكيلوغرام	٩٤٤٥٦٣	١٤٥٦٠
اشربة روحية	"	٥٦٦٥٩٠	٢٣٣٧٠
	بالدستة	١٤١٠٠٧	١٣٣٢٨٦
زيت زيتون	بالكيلوغرام	٢٥٨٥٣٤١	٨٢٣٩٩
زيت قطن	"	١٨٠٤٨١	٤٥١٠
زيوت اخرى	"	٥٣١٩٣٠٧	١٤٤٩٩٤
زيوت طيارة		—	١٠٢٨٣
بترول	بالصندوق	٣٧٢٩٢٠	٤٧٤٠٠
	بالطن	٦٨٦١٦	٢٤٩٦٠٠
مازوت	"	١٤٠٠	١١٩٠
زيوت معدنية اخرى	بالكيلوغرام	٧٥٣١٧٤٧	٧٩٢٢٠
والمجموع			١١٥١٤٢١

ومن الخيل والبقر والغنم والمعزى وسائر الاطعمة الحيوانية ما يأتي

اسم الصنف		الوزن	الثمن بالجنيه المصري
خيل وبغال الخ	بالرأس	٤٩٦٤٢	٢٩٠٨٨١
بقر وعجول	«	٤٢٨٩٧	١٥١٩٦٣
جواميس	«	٢٦٥٠	١٥٤٥٠
غنم ومعزى	«	٣٩٤٦٦٥	٢٤٥٣٩٩
خنازير	«	٢٤٥٤	٥٥٠٧
حيوانات اخرى		—	٩٨٦٣
لحم مقددومدخن	بالكيلوغرام	١٦٢٧٠٠٢	٩٧٣٦٨
سمك مملح ومدخن ومكبوس		١٨١٦٠٧٧	٥٣٦٩٢
	—	—	٥٩٠٠١
زبدة	بالكيلوغرام	١٥٩٧١٣١	١٣٠١٧٥
مرجرين (زبدة صناعية)	«	٣١٧٣٤٩	١٣٧٢٣
جبن	«	٣٩٢٣٩٦٣	١٥٩٥٢٤
عسل	«	٦٠١٣٨	١٧٢٥
لبن مكثف وقشدة		—	١٧٦٠٠
مواد حيوانية اخرى		—	٢٨٩٦٨
والجملة			١٢٨٠٨٣٩

ومن الجلود والمصنوعات الجلدية ما يأتي

اسم الصنف		الوزن	الثمن بالجنيه المصري
جلود بقر مدبوغة	كيلوغرام	٣٧٣٢٢٨	٦١٣٣٢
	بالعدد	١٠٢١٧٧	٥١٧١٢
جلود غنم مدبوغة	كيلوغرام	١٥٥٠٣٤	٣٤٣٠٩
	بالعدد	٨١٥٩٨	١٦٠٠٨
جلود اخرى مدبوغة		—	١١٣٣
سروج		—	٢٧٣٦٦
جزم	بالزوج	١٢٨٢٦٠٩	٢٠٧٦١١

جلود مدبوغة اخرى	—	٢٨٥٢٨
مصنوعات جلدية	—	٣٦٦٢٥
والجملة		٤٦٤٦٢٤

ومن الشمع والدهن ما يأتي

اسم الصنف		الوزن	الثمن بالجنيه المصري
شمع اصفر	كيلوغرام	٣٣٥٩	٣٦٥
ادهان	«	١٤٢٥٩٠٤	٣١٩٨٣
شمع ابيض	»	١٢٥٤٦٠٠	٤١٩٥٧
مواد اخرى حيوانية		—	١٨١٤٧
والمجموع			٩٢٤٥٢

ومجموع ما في هذه الجداول ستة ملايين وسبع مئة الف جنيه والمواد النباتية منها يمكن استغلال اكثرها من هذا القطر والحيوانية يمكن توليدها وانتاجها فيهِ ايضاً ولا نبالغ اذا قلنا انهُ اذا وجهت العناية التامة الى زرع كل ما يمكن زرعهُ من الارض وتربية كل ما يمكن تربيتهُ فيها من المواشي استغنى القطر عن اكثر هذه الواردات

ولكن ليس العبرة بما يمكن ان يزرع في القطر بل بما زراعتهُ اربح لهُ . فالقطر المصري اشترى في العام الماضي من القمح والدقيق ما ثمنهُ نحو مليون ونصف من الجنيهات او نحو مليون اردب من الحنطة وهي محصول نحو مئتي الف فدان وهذه المئتا الف فدان لم تترك بورًا لان الفلاح المصري لا يترك شبرًا من ارضهِ بورًا اذا امكنهُ زرعهُ فاذا زرعها قطناً وبلغ متوسط الفدان منها ٣ قناطير فجملة محصولها ٦٠٠٠٠٠ قنطار وهي تساوي ١٨٠٠٠٠٠ جنيه على الاقل فلا يكون الفلاح قد خسر شيئاً بل استفاد لان بيع القطن اسهل عليهِ من بيع القمح . غير ان الناس وسعوا زراعة القطن وضيقوا زراعة الحبوب حينما كان ثمن قنطار القطن اربعة جنيهات فاكثر وثمن اردب القمح مئة غرش او اقل اما الآن وقد هبط ثمن القطن وارتفع ثمن القمح فلا يبعد ان يضيقوا زراعة القطن ويوسعوا زراعة الحبوب

ومهما يكن من ذلك فالجداول المتقدمة ترشد ارباب الزراعة الى المواد الزراعية التي تستعمل في البلاد ومقدار مقطوعيتها وتدلُّ على ان مجال الزراعة لا يزال واسعاً جدًّا الاَّ ان ذلك لا يغني عن بذل الهمة في توسيع زراعة القطن واجادة نوعهِ وتكثير محصولهِ ومنع

الآفات عنهُ وتدبير طريقة لحفظ اسعاره من الهبوط الفاحش لانهُ لا يمكن ان توجد زراعة اخرى تكسب القطر المصري نحو ثلاثين مليونًا من الجنيهات غير زراعة القطن

باب التقريظ والانتقاد

كتاب معجم الادباء

لياقوت الحموي الرومي

نشأ في البلاد الانكليزية منذ عهد قريب رجل اسمهُ الياس جب أولع بدرس تواريخ الترك والفرس والعرب وعلومهم وآدابهم لكن وافتهُ المنية في اواخر سنة ١٩٠١ وهو كهل في الخامسة والاربعين من عمره فاوقفت امهُ مبلغًا طائلاً من المال ينفق ريعهُ على نشر الكتب المتعلقة بهذه المواضيع تذكارًا لهُ . فاقامت لجنة تتولى هذا العمل وقد عنيت هذه اللجنة الآن بنشر كتاب معجم الادباء او ارشاد الاريب الى معرفة الاديب . وناطت صديقنا الاستاذ مرغوليوث بنسخهِ وتصحيحهِ وطبعهِ وقد طبع منهُ الآن المجلد الاول وفيهِ ٤٣١ صفحة بقطع كبير . وقدَّم لهُ مقدمة انكليزية ذكر فيها ما عاناهُ من المشقة في تصحيح النسخة التي اطلع عليها وهي الوحيدة من المجلد الاول من الكتاب فاضطرَّ ان يراجع الكتب التي نقل ياقوت عنها والكتب التي نقلت عنهُ

والكتاب يبتدئ بمقدمة مسهبة للمؤلف ذكر فيها اسماء الكتَّاب الذين الفوا في هذا الموضوع مثل محمد بن عبد الملك التاريخي وابن درستويهِ والمرزباني والسيرافي ومحمد بن حسن الاشبيلي وابي المحاسن المفضل المغربي وابن الانباري . وقال انهُ جمع فيهِ تراجم البصريين والكوفيين والبغداديين والخراسانيين والحجازيين واليمنيين والمصريين والشاميين والمغربيين وغيرهم على اختلاف البلدان وتفاوت الازمان

اما التراجم التي وردت في هذا الجزء فعددها ١٢٥ تبتدئ بآدم بن احمد المروي وتنتهي باحمد ابن المعمر . ومن المشاهير الذين وردت تراجمهم في هذا الجزء الزجَّاج والضبي والصولي وبديع الزمان الهمذاني وابي العلاء المعري وقد شغلت ترجمة المعري نحو ستين صفحة عدا ما حذفهُ منها الاستاذ مرغوليوث . والخطيب البغدادي ونفطويهِ والصابي

والكتاب مطبوع طبعاً حسناً في مطبعة هندية بمصر ومجلد تجليداً مذهباً وعلى جلده بيت عربي وبيتٌ فارسي وبيتان تركيان والعربي هو البيت المشهور القائل

تلك آثارنا تدلّ علينا فانظروا بعدنا الى الآثارِ

والفارسي لجلال الدين الرومي ومعناهُ

اذا متنا فافئدة الانامِ لنا مثوى وليس صفا الرغامِ

والتركي لكمال باشا زاده ومعناهُ

ان ذكاءهُ شمل العالم ظلهُ وفي وقت قصير عمل اعمالاً كبيرة فهو كشمس المغيب طويلة الظل قصيرة الاجل

التقرير السنوي

لدار العلم السمثسونية عن سنة آخرها ٣٠ يونيو سنة ١٩٠٦

في هذا الكتاب النفيس خلاصة اعمال المجلس الموكول اليهِ ادارة الاموال المخصصة لنشر العلوم والمعارف وهي المعروفة بهبة سمثسن وكانت هذه الاموال اولاً مئة الف جنيه ثم اضيفت اليها هبة من توما هدكنس تبلغ نحو خمسين الف جنيه فبلغت كلها مع الفوائد نحو مئتي الف جنيه ينفق ريعها على المباحث العلمية ونشر المقالات المفيدة وقد نشر في هذا الجزء ٢٨ مقالة لمشاهير العلماء من انكليز وفرنسويين والمانيين وايطاليين وغيرهم

حياة الزوجين

تأليف حضرة مصطفى افندي عبد اللطيف احد موظفي مصلحة البوسطة المصريَّة بالقاهرة

كتاب جامع لكثير من الفوائد التفت مؤلفهُ الى الآيات والاحاديث والسنن واقوال الكتَّاب والمنشئين في كل عصر واختار منها ما يناسب موضوعهُ وهو لزوم الزواج وفوائدهُ والامور التي يعلو بها والامور التي يسفل بها فانتقى كثيرًا من شذور المجلاَّت المصرية سواءٌ كانت من انشاء اصحابها او من مقتطفاتهم ومن بعض الكتب الادبية وعزا اكثر ما انتقاهُ الى مصادرهِ وعقد ذلك في فصول مختلفة مثل الزواج وفوائدهِ وماذا يجب في الخطبة وما يجب على المرأة نحو زوجها وماذا يجب على الرجل نحو زوجتهِ وتأثير المرأة في الهيئة الاجتماعيَّة وتربية البنات . ومما ذكرهُ في باب واجبات الزوج نحو زوجتهِ قولهُ

" انظر الى الاوربيين حتى الدرجة الوسطى والدنيا منهم تُمثل لعينك حالة العيلة الحقيقية اذ ترى هناك ما لا ترى لهُ اثرًا عندنا من الائتلاف بين افراد العيلة من كبيرها

الى صغيرها ترى عندهم المشاركة في الحياة الاجتماعية على اجمل صورها وابهى هيئتها وترى التضامن العيلي على ابدع اشكالهِ واسمى انواعهِ فاذا طرقت باباً لهم في ساعة تناول الطعام مثلاً وجدت العيلة حول المائدة تمثل تلك الهيئة الاجتماعية وقد قام في صدرها الاب (الرئيس) واحاط سائر اعضاء تلك الهيئة بهِ ودار الحديث بين الكبار الذين يعرفون والصغار الذين يجهلون فاولئك يفيدون وهؤلاء يستفيدون والاب الرئيس يدير نظام ذلك الاجتماع. فما ابهى واجمل مثل هذا الالتئام؟ بل ما ابهى وما اجمل — على قول داود النبي والملك — "ان ترى اولادك حول مائدتك كاغراس الزيتون"

وطبع الكتاب غير حسن ولكن تجليدهُ حسن وهو يقع في ٢٥٦ صفحة بقطع معتدل

فهرس كتب الكيمياء

A Select Bibliography of Chemistry 1492—1902.

اهدت الينا السيدة الفاضلة مسز بولتن زوجة المأسوف عليهِ الاستاذ هنري كارنتون بولتن هذا الجزء من الكتب التي الفها المرحوم زوجها جامعاً فيها تاريخ علم الكيمياء واسماء كل الكتب التي وضعت فيهِ من قديم الزمان الى الآن وكان قد طلب منا ان نرسل اليهِ اسماء كتب الكيمياء العربية التي وقفنا عليها. والمطلع على هذا الفهرس يعجب من كثرة الكتب التي أُلفت في هذا الفن ومن اشتغال اهالي اوربا بالكيمياء القديمة ووضعهم الكتب فيها حتى في هذا العصر فان اسماء الكتب التي وضعت في القرن التاسع عشر في الكيمياء القديمة وعنها ملأت ١٩ صفحة

كتاب جواهر الحكماء

اهدت الينا ادارة مجلة المحيط هذا الكتاب وهو يشتمل على كتابين اولهما كتاب الادب الكبير للكاتب البليغ عبد الله بن المقفع مترجم كتاب كليلة ودمنة. وثانيهما كتاب بهجة المجالس للحافظ الاندلسي وقد وجد حضرة صاحب المحيط هذين الكتابين في المكتبة الخديوية وهما لا يزالان خطاً فطبعهما واهداهما الى مشتركي مجلتهِ فوقع الاول منهما في ٢٥ صفحة والثاني في ١٢٠ صفحة. والكتابان حافلان باسمى الفوائد وابلغ الحكم وياحبذا لو ابقاهما على اصلهما فان في نشر الكتب القديمة المحفوظة خطاً كما هي تماماً فائدة علمية كما في ما تتضمنهُ حتى لقد تجد العلماء الآن ينشرون الكتب القديمة مصورةً بالفوتوغرافيا حتى تبقى على اصلها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) انقباض القزحية

خليج العجم بالبحرين. احد المشتركين. عندنا ولد كان يلعب يوماً بمكنسة فاصاب عود دقيق منها مُقلة عينهِ اليمنى في القزحيَّة تحت البؤبؤ فجرحها قليلاً. فعولجت العين بوضع بعض الادوية فيها وكان البؤبؤ يظهر اياماً بعد الحادثة وتحتهُ مادة صفراء كانها مِدَّة ثم زالت المادة تدريجاً وعند تمام زوالها لم يعد البؤبؤ يظهر البتة وصار الولد لا يرى بالعين شيئاً وعندئذٍ أُخذ الى طبيب الماني. فظنَّ الطبيب ان البؤبؤ قد تغطى بطبقة فيدعو الامر الى عملية جراحية لازالة تلك الطبقة. فاجرى الطبيب العملية ولكن ظهر منظر العين بعد العملية مثلهُ قبلها فالبؤبؤ غير ظاهر ولون القزحيَّة مكدر قليلاً والولد لا يرى بعينهِ شيئاً وان ظهر للناظر اليهِ عن بعد كأَن لا ضرر في عينهِ وحكم الطبيب بعد العملية بيبوسة العصب البصريّ فهل من رجاء بعد في شفاء عين الولد وما العلاج اللازم

ج يظهر من كلامكم ان العين اصيبت بالتهاب في القزحية انتهى بانقباضها والتصاقها بالعدسة فلم يعد يظهر البؤبؤ والطبيب الذي اجرى العملية كان قصدهُ عمل حدقة اصطناعية وهو مصيب في ذلك وسبب عدم نجاحهِ على الغالب هو ان الالتهاب كان قد امتدَّ الى المشيمية والشبكية فالعصب البصري ففي هذه الحالة لا رجاء في شفاء العين وعلى كل حال يصعب كثيراً تشخيص الحالة عن بعد

(٢) المساكن المسكونة

الاسكندرية. الخواجه ارنست حسون. أَصحيح ما يزعمهُ الناس وهو ان بعض المساكن يكون مسكوناً اي يوجد فيهِ عفاريت وما اشبه

ج كلاَّ وكل ما يروى من هذا القبيل اوهام وخرافات لا صحَّة لها لانهُ لم يثبت منهُ شيء لدى التحقيق

(٣) علامات الاستفهام والتعجب

ام درمان عبد الله افندي العربي. ارى

الكتّاب في مصر يستعملون هاتين العلامتين الافرنجيتين ? و ! للاستفهام والتعجب فهل استعملها الكتّاب الشرقيون الاقدمون قبلاً وهل عندنا في العربية ما يقوم مقامها

ج لم يستعملها كتّاب العربية الأمنذ عهد قريب حيث يراد تأكيد الاستفهام والتعجب او يخشى اللبس . ومعلوم ان للاستفهام والتعجب في العربية ادوات خاصة ولكن قد لا تظهر او لا يتضح مدلولها كما اذا حذفت همزة الاستفهام قبل اداة التعريف وكما اذا لم يظهر الاعراب بعد ما التعجبية فتلتبس بالاستفهامية او بالنافية . ولا بأس باستعمال كل ما يزيد المعنى وضوحاً لان زيادة الخير خير

(٤) الجنسية الاجنبية

منتريال بكندا . الخواجه جرجس حنا جبور المارديني . هل تعتبر الدولة العثمانية المتجنسين بالجنسية الانكليزية وهم في الممالك العثمانية كاعتبارها للانكليز انفسهم

ج اذا كانوا اصلاً من رعاياها فلا تعتبرهم كالانكليز الّا اذا صادقت على تجنسهم واذا كانوا اصلاً من غير رعاياها كالايرانيين والافغانيين ونحوهم اعتبرتهم كالانكليز تماماً

(٥) التجنس في المستعمرات

ومنهُ . هل مَن يحصل على الجنسية الانكليزية من العثمانيين من احدى مستعمرات انكلترا كالهند وكندا واستراليا تعتبر جنسيتهُ هذه كما لو نالها في البلاد الانكليزية نفسها

ج نعم اي ان الدولة العلية تعتبرهُ متجنساً بالجنسية الانكليزية اذا صادقت على تجنسهِ والّا فلا وهاكم نص القانون العثماني المتعلق بذلك

" ان الاشخاص الذين هم من تبعة السلطنة السنية ويدخلون في التابعية الاجنبية برخصة الحكومة السنية يعتبرون ويعاملون بمنزلة تبعة اجنبية من تاريخ تبديل تابعيتهم ولكن مَن دخل في تابعيةً اجنبيه بدون رخصة من جانب الحكومة السنية تعتبر تابعيتهُ الجديدة هذه كأنها لم تكن . . . وفي الاجمال لا يستطيع احد من التبعة العثمانية في اي حال ان يترك تابعيتهُ الّا بعد ان يستحصل الرخصة بموجب ارادة سنية (قانون التابعية العثمانية المادة الخامسة) وايضاً " ان اولاد الاشخاص الذين خرجوا من تابعية الدولة العلية او حُرِموها ولو كانوا قصَّرًا لا يتبعون صفة تابعية آبائهم ويبقون في تبعية السلطنة السنيَّة " (المادة الثامنة)

(٦) حماية المتجنسين

ومنهُ . هل تحافظ الدولة الانكليزية على المتجنسين بجنسيتها من العثمانيين حيثما كانوا موجودين ولو خارج ممالكها ومستعمراتها وهل يلزمهم ان يأخذوا الباسبورت وقت السفر ويعرضوهُ على قنصل انكلترا

ج تحافظ عليهم وتعاملهم حسب ما بينها وبين الممالك التي هم فيها من المعاهدات

(٧) الاجانب في مصر والسودان

ومنهُ · ما هو مركز العثماني المتجنس بالجنسيَّة الانكليزية في مصر والسودان وهل يعامل مثل الانكليز

ج نعم اي انهُ يتمتع بالامتيازات الاجنبية في مصر فتنظر قضاياهُ المدنية في المحكمة المختلطة والجنائية في القنصلاتو الانكليزية واما في السودان فلا امتيازات للاجانب فيحاكم هو والانكليز في المحاكم السودانية مثل غيرهم من سكان السودان · وكل العثمانيين المتجنسين بجنسيات اجنبيَّة يكون اولادهم عثمانيين وتقسم مواريثهم حسب الشريعة العثمانية

(٨) النفس بعد الموت

ومنهُ · طالما لا وجود للنفس الاَّ باحياء المادة او باتحاد المادة مع الحياة الحيوانية فكيف يمكن ان تكون النفس عديمة الممات بعد انفصال المادة عن الحياة او بعد الموت · وهل تعلم النفس بعد الموت بوجودها الحاضر او الماضي حينما كانت متحدة بالجسد وهل النفس عديمة التالم بعد الموت

ج يظهر لنا انكم تطلبون منا ان نجيبكم عن هذه المسائل من باب علمي طبيعي اي من باب ما عُلم بالاستقراء والامتحان فعلوم الاستقراء والامتحان لا تنفي وجود النفس بل تثبت وجود قوة في الانسان غير جسمهِ المادي · وهي التي يسميها الروحيون نفساً · وتثبت ايضاً ان النفس توجد ولو لم تكن متصلة بالمادة لانها تنفي التلاشي · ولا تنفي علم النفس بحاضرها وماضيها · وان كانت النفس تعلم شيئاً وهي متصلة بالجسد فليس ما يوجب زوال هذا العلم منها اذا فارقت الجسد · واذا كان الشعور من صفات النفس فليس ما يمنع شعورها بالالم الادبي بعد مفارقتها للجسد

(٩) شعور العجماوات بالطرب

مصر · محمد افندي مغازي البرقوي · هل للحيوان الاعجم شعور يدرك بهِ الغناء فيطرب لسماعهِ

ج روى الثقات انهم رأوا بعض الحيوانات تطرب من سماع الغناء اما نحن فلم نرَ حتى الآن حيواناً يطرب حقيقة من سماع الغناء ولكننا نظن ان الجمال تطرب من سماع حداء الحادي والظاهر ان تأثير الغناء في بعض الحيوانات شخصي لا نوعي فقد روي عن فارة انها كانت تطرب من سماع الاصوات الموسيقية فجربنا فعل الاصوات الموسيقية بفيران كثيرة فلم نرَ لها تأثيراً فيها · ورأينا الديوك الروميَّة تتأثر من بعض الاصوات تأثراً شديداً لكن يعسر الحكم في انهُ طرب او اشمئزاز · وترى خيل الجنود تصغي الى نغم الموسيقى وتوقع خطواتها بحسبها ولكن يحتمل ان الفرسان يرشدونها الى ذلك

بحركاتهم ولو على غير انتباه منهم

(١٠) احراش سورية

مدرسة نيويورك الجامعة . متري افندي نجار . هل في سورية احراش وما نوع شجرها وكم اتساعها وهل الحكومة مهتمة بشأنها وبتوسيع نطاقها

ج لم نرَ حتى الآن بحثاً لاحد في هذا الموضوع ولذلك ذكرنا سؤالكم لكي يطلع عليهِ ابناء سورية المقيمون فيها عسى ان يجيب احد منهم الجواب الشافي عنهُ . والذي في بالنا ان في لبنان احراشاً كثيرة اكثرها من الصنوبر كحرش بيروت واحراش المتن والعرقوب وبعضها من السنديان كحرش الشعرة في بلاد بعلبك او من الارز كارز لبنان وارز الباروك . او الشربين والملول وما اشبه . وفي شمال سورية وجنوبها احراش كثيرة من الارز والسنديان وقد جار الناس على الاحراش بالحرق لاستقطار القطران من الارز والاشجار التي من جنسهِ ولعمل الفحم من السنديان ونحوهِ من الاشجار واستمروا على ذلك الى زمن الحرب الاهلية سنة ١٨٦٠ ثم اهتمَّ فرنكو باشا متصرف جبل لبنان بزرع غابات الصنوبر فيهِ فزرعت في اماكن كثيرة واهتمَّ مَن بعدهُ بتصوين ارز لبنان ولولا قطعان المعزى الكثيرة في لبنان لكانت الاحراش فيهِ اكثر واوسع مما هي الآن . ولا يظهر ان الحكومة مهتمة اهتماماً كبيراً بحفظ الاحراش في سورية ولكن الاهالي صاروا يهتمون بحفظها فالمملوك منها يهتم بهِ مالكوهُ والمشاع يهتم بهِ اهل البلد التابع لها ولاسيما بعد ان قسمت الاراضي المشاعة بين البلدان المجاورة حتى الاحراش المتنازع في ملكيتها ولو بالمشاع يهتم المتنازعون بمنع الاعتداء عليها . ولو زيدت العناية بغرس الاحراش وحفظها لكان منها ربح وافر للبلاد

(١١) ضرب الجنيه المصري

مصر . عبد المجيد افندي سليمان . لماذا لا يضرب الجنيه المصري الآن وما هي المصلحة التي روعيت في ابطالهِ أوَ لا ترون ان في وجودهِ اماناً لمصر من الوقوع في ازمة مالية كالتي وقعت فيها في هذه الايام والتي لم نظر فيها رأي المقتطف الذي عودنا الخوض في مثل هذا البحث وهو من الاهمية بمكان

ج لا نرى مانعاً يمنع من ضرب الجنيه المصري الاَّ قلة سبائك الذهب في هذا القطر ولكن اذا شاءت الحكومة ان تعود الى ضربهِ فلا يتعذَّر عليها ان تشتري سبائك الذهب من اوربا او ان تصك الجنيهات فيها واذا كثرت الجنيهات المصرية في هذا القطر فقد تؤثر كثرتها في تقليل الضيقة المالية ولكنها لا تزيلها لان اغنياء القطر لا يهتمون بحركة النقود فتراهم يودعون اموالهم البنوك ولو بقيت فيها اعواماً كثيرة من غير ربح . ويقال ان في بنوك القاهرة الآن ثلاثة

ملايين من الجنيهات لاغنياء مصر مودعة من غير ربح او بربح قليل نحو ٢/١ ٢ في المئة . اما الضيقة الحاضرة فاسبابها كثيرة اهمها (١) خسائر الناس الكبيرة بالمضاربات (٢) خوف البنوك من مد عملائها بالاموال حسب العادة لئلا يضاربوا بها او يوفوا بها ديونًا عليهم (٣) غلاء النقود في اوربا على اثر الازمة المالية التي وقعت في اميركا (٤) كثرة اسراف القطر المترتب على نجاحهِ في السنين الاخيرة فان قيمة الواردات زادت زيادة فاحشة في العام الماضي والذي قبلهُ وقد دفع القطر ثمن الزيادة بخسر اكثر ما دفعهُ ولما رأى بائعو الكماليات والزخارف ان الناس في سعة جعلوا يغالون بثمن السلع فما يدفعون ثمنهُ في فرنسا جنيهين باعوهُ في مصر باربعة جنيهات او خمسة فكل ما ربحوهُ خسرهُ اهالي القطر . وجاء رخص ثمن القطن الآن ثالثة الاثافي . ولا تصلح الحال وتعود المياه الى مجاريها الا بالامتناع عن المضاربة وتقليل النفقات والاهتمام بزيادة المكاسب التي نكسبها من الخارج . وشأن البلاد كلها في ذلك شأن كل بيت على حدتهِ فان رب البيت اذا رأى الخراب يتهددهُ لزمهُ ان يجتهد ليزيد ربحهُ ويقلل نفقتهُ وان يتجنب كل الاعمال التي يدل الاختبار على انها غير مأمونة العاقبة

(١٢) نور كنيسة القيامة

الاسكندرية . احد المشتركين . هل النور الذي يشاهد في كنيسة القيامة بالقدس الشريف صباح يوم عيد الفصح حسب الطقس الشرقي قديم العهد ومتى ظهر اولاً

ج ذكر الدكتور ربنصن في كتابهِ المشهور عن فلسطين ان الراهب برنهارد الحكيم هو اول من ذكر هذا النور وذلك سنة ٨٦٧ للميلاد اي منذ الف واربعين سنة فقد قال انهُ بعد خدمة القداس ينزل ملاك وتنار المصابيح المعلقة فوق القبر فيعطي البطريرك هذه النار (النور) الى المطران والى سائر الشعب لكي ينير كلٌّ منهم بيتهُ

وقال الارشديكن دولنج انهُ توجد اشارة الى هذا النور في تواريخ رودلفس غلابر سنة ١٠٤٨ وفي رحلة الراهب الروسي دانيال سنة ١١٠٦ الى ١١٠٧ حيث قال ان امام القبر قنديلاً مشتعلاً يطفأ من نفسهِ يوم الجمعة الحزينة ثم يضيء من نفسهِ في الساعة التي قام فيها الرب

ويقال الآن ان البطريرك الاورشليمي لا يدَّعي انهُ يصنع اعجوبةً بل يقول ان هذا النور رمز لانتشار التعليم المسيحي في الدنيا وان خدمة الدين الروسيين يودون ابطال ذلك ولا يسلمون ببقائهِ الا ارضاء للزوار الشرقيين



شجرة الصابون

قرأنا في السينتفك اميركان وصفاً مسهباً لشجرة الصابون التي ذكرناها في العام الماضي في الصفحة ٢٦٣ من المقتطف . فقد جاء فيها ان المستر كدنر قنصل اميركا في الجزائر وصف هذه الشجرة في تقريره فقال ان اصلها من بلاد الصين وهي جميلة المنظر ويبلغ ارتفاعها خمسين قدماً وتبتدئ تحمل ثمراً حينما يصير عمرها ست سنوات . وخشبها محشوك الدقائق يصقل جيداً ويصلح لعمل الاثاث . وتبلغ غلّة الشجرة البالغة ٢٠٠ رطل (ليبرة) من الاثمار تباع بجنيهين الى اربعة جنيهات وفي كل ثمرة بزرة حولها قشر والمادة الصابونية في القشر وهي من ٣٠ الى ٤٠ في المئة منهُ . ويقطع القشر ويفرك بالماء فيرغي كالصابون تماماً وينظف مثل الصابون الجيد بل لا يوجد صابون صناعي اجود من هذا الصابون الطبيعي او يقاربهُ في جودتهِ ولا سيما لغسل اليدين والوجه . ويمكن سحق القشور وعمل اقراص من مسحوقها فتستعمل كالواح الصابون تماماً ويمكن نقعها بالماء واستعمال نقاعتها لغسل الشعر . وكيفما استعملت فهي اجود من الصابون وارخص

وفي البزرة نواة فيها زيت اجود من زيت الزيتون من كل وجه سواء استعمل في الطعام او في الصناعة . ومقدار الزيت فيها كثير جداً اكثر ما في حبوب الزيتون . واذا كثر البزر حتى صار يمكن استخدام الآلات لعصر الزيت منهُ صار ثمنهُ رخيصاً ارخص من زيت بزر القطن وطعمهُ نيئاً اطيب من طعم اي زيت آخر . ويبقى من البزر كسب تأكلهُ الفراخ والمواشي وهو علف جيد جداً لها . وورق الشجرة علف للمواشي لا مثيل لهُ

ويمكن استعمال الثمر دواء في منع فيضان اللعاب والصرع . ويستعمل ايضاً منفثاً ويقال ان بزرهُ اذا سحق وجُبل بالماء اوقف نوبات الصرع . ويوصف ربُّ الثمر دواء للمصابين بالمرض الاخضر او فقر الدم . انتهى

هذا ويليق بالجمعيَّة الزراعية الخديوية ان تجلب بزور هذه الشجرة من بلاد الجزائر وتزرعها في القطر المصري لانها اذا كانت لها كل هذه الخواص ووافقها هواء القطر المصري وتربتهُ كانت من اكبر النعم من حيث صابونها وزيتها وخشبها

الراديوم وحرارة الارض

لا يخفى ان حرارة الارض تزيد بالتعمُّق فيها كما ثبت بالامتحان وكان المظنون ان حرارة باطن الارض بقية من الحرارة القديمة التي كانت في الارض حينما كانت سائلة من شدة الحمو بعيد انفصالها عن الشمس او عن السديم الذي تكوَّنت منهُ الشمس وسياراتها ولكن لما كشف الراديوم وثبت ان فيهِ حرارة ذاتية وانهُ موجود في الارض ذهب الاستاذ رذرفرد الى ان حرارة الارض متولدة من الراديوم الذي فيها وحسب ان الراديوم الذي في قشرة الارض يشع كل الحرارة التي فيها . لكن الاستاذ سترت حسب ان حرارة الراديوم تزيد على الحرارة التي في الارض ولذلك فهو غير موجود في باطنها كما هو موجود في قشرتها وسمك قشرتها هذه لا يزيد على ٤٥ ميلاً وتحتها مادة غير جامدة لا تقل حرارتها عن ١٥٠٠ درجة بميزان سنتغراد

بن هدد ملك ارام

قال المسيو بونيون قنصل فرنسا في ما بين النهرين انهُ كشف كتابات ارامية من القرن الثامن قبل المسيح تشير الى بن هدد ابن حزائيل ملك دمشق الذي يشار اليهِ في سفر ارميا وعاموص والملوك الثاني من اسفار التوراة . ويقال في هذه الكتابة ان ملكاً من ملوك سورية اسمهُ زاكر تغلَّب على بن هدد واعوانهِ . وكانت المعركة في مكان اسمهُ هزرك . واسم الاله الذي يقول بن هدد انهُ اعانهُ بعل شميم او اله السماء . واسم بن هدد في الكتابة بار هدد

قاسم بك امين

فجع القضاء والاصلاح بوفاة قاسم بك امين فجأَة في الحادي والعشرين من ابريل مساء وهو صاحب كتاب تحرير المرأة وكتاب المرأة الجديدة . وسنوافي القراء بخلاصة ترجمتهِ في الجزء التالي

ترعة السويس

ترتيب الدول التجارية بحسب محمول سفنها التي مرت في ترعة السويس في العام الماضي

(١)	انكلترا	١٢٩٨٥٢٤٥	طناً
(٢)	المانيا	٠٣١٧٠٤٤٣	"
(٣)	فرنسا	٠١١٩٨٧٣٦	"
(٤)	هولندا	٠٠٨٨٠٨٧٧	"
(٥)	النمسا	٠٠٦٠٦٩٦٩	"
(٦)	اليابان	٠٠٣٣٧٣٠١	"
(٧)	روسيا	٠٠٣٢٣٨٦٣	"
(٨)	ايطاليا	٠٠٢٨٣٧٩٠	"
(٩)	الدنمارك	٠٠١٣٦٣٠١	"

(١٠)	اسبانيا	٠٠١٠٥٧٦٦ طنًّا
(١١)	تركيا	٠٠٠٩٣٣١٩ "
(١٢)	نروج	٠٠٠٧٢٣٨١ "
(١٣)	اليونان	٠٠٠٦٤١١ "

المواني الكبيرة

ذكرنا في الجدولين التاليين المواني التجارية الكبيرة التي اتى من كلٍّ منها في العام الماضي من السفن المارة بترعة السويس ما محمولهُ اكثر من نصف مليون طن وذهب اليها من السفن ما محمولهُ اكثر من نصف مليون طن

اسم المينا	محمول السفن الآتية منها
(١) لفربول بانكلترا	٢١٨٦٩٤٠
(٢) لندن "	١٨٢٦٧٣٤
(٣) كلكتا "	١٧٥١٣٣٢
(٤) بمباي بالهند	١٦٢١٤٠١
(٥) يوكاهاما باليابان	١١٢٣١٦٥
(٦) كراشي بالهند	١٠٠٤٩٥٧
(٧) سدني باستراليا	٠٩٧٣٠٦٨
(٨) رنغون بالهند	٠٦٤٦٦٠٨
(٩) مرسيليا بفرنسا	٠٦١٧٣٢٠
(١٠) بتافيا في جاوى	٠٥٥٤١٩٩

اسم المينا	محمول السفن الذاهبة اليها
(١) لندن بانكلترا	٢٧١٩٧١٦
(٢) كلكتا "	١٤٤٢٤٦٥
(٣) همبرج بالمانيا	١٣٧١٣٦٧
(٤) بمباي بالهند	١٢٩٣٩٦١
(٥) مرسيليا بفرنسا	١١٨٢٤١٢
(٦) يوكاهاما باليابان	٠٨٥١٨٩٦
(٧) بورت سعيد بمصر	٠٥٨٢٧٦١
(٨) لفربول	٠٥٣٧٧٢٢
(٩) قراشي بالهند	٠٥٠٠٩٢١

الاستاذ دَرَنبرج

نعي الينا من باريس الاستاذ درنبرج المستشرق الشهير. توفي فجأة صباح الاحد في الثاني عشر من ابريل. قال مكاتبنا "لقيتهُ يوم السبت وتحدثنا طويلاً فاشار الى ما ذكرتموهُ عنهُ في المقتطف الاخير (صفحة ٣٠٨) شاكرًا فضلكم. ولقد ذهب مأسوفًا عليهِ لانهُ كان من المستشرقين المعدودين في فرنسا واحد اعضاء اكادمية العلوم المشهورين فشيعت جنازتهُ بعد ظهر الثلاثاء باحتفال عظيم

الجوهر الفرد

ذكرنا في مقتطف مارس ان اول مَن قال بالجوهر الفرد رجل من اهالي صيداء اسمهُ موخوس على ما رواهُ بوسيدونيوس الفيلسوف السوري الذي نشأ قبل المسيح باكثر من مئة سنة. وقد كتب بعضهم الآن الى جريدة نانشر يقول ان عالمًا انكليزيًا اسمهُ رلف كدورث الَّف كتابًا في اواسط

القرن السابع عشر اشار فيهِ الى ما ذكرهُ بوسيدونيوس من ان القائل بالجوهر الفرد رجل من اهل صيداء اسمهُ موخوس ورجح ان موخوس هذا هو موسى الكليم نفسهُ فان جمبليكوس قال في سيرة فيثاغورس الفيلسوف انهُ اقام مدةً في مدينة صيداء وتذاكر مع الانبياء خلفاء موخوس الفيلسوف وتعلَّم منهم وهم من كهنة الفينيقيين ولذلك وجب ان ينسب القول بالجوهر الفرد الى موسى لا الى ابيقورس ولا الى ديموقريطس ". وليس العبرة عندنا بمن قال بهذا القول اولاً ولا بكونهِ سوريًّا او يهوديًّا بل العبرة ان سلفاءنا كانوا يبحثون منذ خمسة وعشرين قرنًا في مواضيع لا يفهمها ابناؤهم الآن ولا تخطر على بالهم

الاحتفال بحافظ

حافظ افندي ابرهيم شاعر مشهور دأبهُ التنويه بفضل الفضلاء من السوريين والفضل يعرفهُ ذووهُ فاقام بعض السوريين حفلة لاكرامهِ في فندق شبرد وتلوا الخطب والقصائد في مدحه واهدوا اليهِ دواة من الفضة وقلمًا من الذهب فاجابهم بقصيدة عامرة الابيات قال فيها

لمصر ام لربوع الشام تنتسبُ
هنا العلى وهناك المجد والحسبُ

ركنان للشرق لا زالت ربوعهما
قلبُ الهلال عليها خافقٌ يجبُ

خدران (للضاد) لم تهتك ستورهما
ولا تحوَّل عن مغناهما الأدبُ

أُم اللغات غداة الفخر أُمهما
وان سألت عن الآباء فالعربُ

ايرغبان عن الحسنى وبينهما
في رائعات المعالي ذلك النسبُ

ولا يمتّان بالقربى وبينهما
تلك القرابة لم يقطع لها سببُ

اذا أَلمت بوادي النيل نازلةٌ
باتت لهُ راسيات الشام تضطربُ

وان دعا في ثرى الاهرام ذو أَلمٍ
اجابهُ في ذرى لبنان منتحبُ

لو اخلص النيل والأُردنُّ ودّهما
تصافحت منهما الامواه والعُشبُ

بالواديين تمشى الفخر مشيتهُ
يحفُّ ناحيتيهِ الجود والدأبُ

فسال هذا سخاء دونهُ ديمٌ
وسال ذاك مضاء دونهُ العضبُ

نسيمَ لبنان كم جادتك عاطرة
من الرياض وكم حياك منسكبُ

في الشرق والغرب انفاس مسعَّرةٌ
تهفو اليك واكباد بها لهبُ

لولا طلاب العلا لم يبتغوا بدلاً
من طيب رياك لكنَّ العلا تعبُ

كم غادةٍ بربوع الشام باكيةٍ
على اليفٍ لها يرمي بهِ الطلبُ

يمضي ولا حلية الاّ عزيمتهُ
ويثني وحلاهُ المجد والذهبُ
يكرُّ صرف الليالي عنهُ منقلبا
وعزمهُ ليس يدري كيف ينقلبُ
بارض (كولمبَ) ابطالٌ غطارفة
اسدٌ جياعٌ اذا ما ووثبوا وثبوا
لم يحمهم عَلَمٌ فيها ولا عددٌ
سوى مضاء تحامى وردهُ النوبُ
اسطولهم املٌ في البحر مرتحلٌ
وجيشهم عملٌ في البرّ مغتربُ
لهم بكلّ خضمّ مسربٌ نهجٌ
وفي ذرى كل طودٍ مسلك عجبُ
لم تبدُ بارقةٌ في أُفق منتجعٍ
الاّ وكان لها بالشام مرتقبُ
ما عيبهم انهم في الارض قد نثروا
فالشهب منثورة مذ كانت الشهبُ
ولم يضرهم سراهُ في مناكبها
فكل حيّ لهُ في الكون مضطربُ
رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا
الى المجرة ركباً صاعداً ركبوا
او قيل في الشمس للراجين منتجع
مدّوا لها سبباً في الجو وانتدبوا
سعوا الى الكسب محموداً وما فتئت
امّ اللغات بذاك السعي تكتسبُ
فأين كان الشاميون كان لها
عيشٌ جديدٌ وفضل ليس يحتجبُ
هذي يدي عن بني مصر تصافحكم
فصافحوها تصافح نفسها العربُ
فما الكنانة الاّ الشام عاج على
ربوعها من بنيها سادة نجبُ
لولا رجالٌ تغالوا في سياستهم
منا ومنهم لما لمنا ولا عتبوا
ان يكتبوا لي ذنباً في مودتهم
فانما الفخر في الذنب الذي كتبوا

ومن الخطب التي تليت حينئذٍ خطبة لسليمان افندي البستاني في الشعر والشعراء وخطبة لسليم بك باخس في اكرام الرجال للرجال ومن القصائد قصيدة لنقولا افندي رزق الله وقصيدة للامير شكيب ارسلان وقصيدة للافوكاتو امين افندي البستاني وقصيدة لاسعد افندي رستم وقصيدة للدكتور ابرهيم شدودي . وحبذا لو جمعت القصائد والخطب في مجموعة واحدة حرصاً على فوائدها وتذكاراً للمحتفل بهِ

وطن الفيل

انشأ المستر لَل مقالة في اصل الفيل ونشوئهِ نشرها في مجلة العلم الاميركية بيَّن فيها ان وطن الفيل الاصلي بلاد الفيوم في القطر المصري حيث وجدت آثار اسلافهِ وهي من عصر الايوسين من العصور الجيولوجيَّة ثم انتقلت اسلاف الافيال من افريقية الى اوربا على لسان من البر كان يصل تونس بصقلية وانتشرت في اوربا

وانتقلت منها الى اسيا وتغيرت هناك الى ان صارت افيالاً حقيقية ثم هاجرت من اسيا شرقاً وغرباً فالتي ذهبت شرقاً وصلت الى اميركا بطريق بوغاز بيرنغ والتي ذهبت غرباً وصلت الى افريقية هي والزرافة والأكابي والأيّل فعاد الفيل الى وطنهِ الاصلي في قارة افريقية بعد ان تحوَّل في قارة اسيا . وسنلخص هذه المقالة في بعض الاجزاء التالية

ذهب الهند

بلغ الذهب المستخرج من مناجم ميسور ببلاد الهند ٢٣ مليوناً و ٣٨٤ الف جنيه وذلك من حين فتحت سنة ١٨٧٧ الى سنة ١٩٠٥

تجارة المغيط

المغيط او اللستك او الصمغ الهندي مادة معروفة اضحت كثيرة الاستعمال لأُطُر المركبات على انواعها . وقد بلغ الوارد منهُ الى معامل اوربا واميركا في العام الماضي ٦٩ الف طن وكان الوارد في العام الذي قبلهُ ٦٥ الف طن واكثرهُ من البرازيل فان الوارد منها بلغ ٤١٥٠٠ طن وكان ٣٨٠٠٠ طن سنة ١٩٠٦ . وورد من غربي افريقية ١٧٠٠٠ طن كما ورد منها سنة ١٩٠٦ . والمجال واسع جدًّا لزرع الاشجار والانجم التي يستخرج منها المغيط لان تجارتهُ وصناعتهُ

آخذتان في الاتساع

احذية لا تتعب الرجل

الحذاء الجديد يتعب لابسهُ في الغالب وان لم يتعبهُ جديداً اتسع متى قدم وتغير هندامهُ . وقد استنبط الفرنسويون طريقة لعمل احذية لا تتعب الاقدام وذلك بان يفرغوا الجبس في الحذاء القديم فيخرج الجبس قالبًا مثل قدم الذي كان لابساً ذلك الحذاء ثم يصنعون قالبًا من الخشب مثل قالب الجبس تماماً ويصنعون الحذاء عليهِ فيخرج كالحذاء القديم في شكلهِ الداخلي اي كقدم اللابس

غرائب حسابية

الغريبة الاولى . خذ الاعداد الوترية ١ و ٣ و ٥ و ٧ الخ واجمع اي سلسلة اردت منها مبتدئاً من الواحد وربّع عدد الحلقات فالمربع يعدل مجموع الارقام في السلسلة . مثال ذلك السلسلة ١ و ٣ و ٥ و ٧ و ٩ و ١١ . في هذه السلسلة ٦ حلقات ومربع الستة ٣٦ فمجموع الحلقات ٣٦

الغريبة الثانية . اذا كعّبت الاعداد الطبيعية ١ و ٢ و ٣ و ٤ الخ فمجموع مكعباتها يساوي مربع مجموعها . مثال ذلك ان مكعب ١ و ٢ و ٣ هو ١ و ٨ و ٢٧ = ٣٦ ومجموع ١ و ٢ و ٣ = ٦ مربعها ٣٦

الغريبة الثالثة اذا قسم واحد على سبعة

فالخارج من ذلك كسر عشري غير متناهٍ وهواخ ١٤٢٨٥٧ ١٤٢٨٥٧ ١٤٢٨٥٧ ١٤٢٨٥٧ الخ. بتكرير هذه الارقام كلها وهي ١٤٢٨٥٧

الغريبة الرابعة . اذا ضُربت هذه الارقام وهي ١٤٢٨٥٧ في ١ بقيت على حالها طبعاً واذا ضربت في ٢ حصل ٢٨٥٧١٤ اي الارقام نفسها بعد نقل الرقمين الاخيرين من اليسار الى اليمين . واذا ضُربت في ٣ حصل ٤٢٨٥٧١ باعادة الرقم ٤ الى اليسار . واذا ضربت في ٤ حصل ٥٧١٤٢٨ واذا ضربت في ٥ حصل ٧١٤٢٨٥ واذا ضربت في ٦ حصل ٨٥٧١٤٢ اي تبقى الارقام نفسها ويبقى ترتيبها ايضاً ولكن ينتقل بعضها من اليمين الى اليسار او من اليسار الى اليمين كأنها مكتوبة في دائرة فلا تتغير بل يتغير المكان الذي يحسب منزلة الآحاد

كتاب المصابيح للبغوي

وقعت لنا نسخة قديمة من هذا الكتاب كتبت سنة ٦٩٦ للهجرة اي منذ ٦٣٠ سنة وقد جاء في آخرها ما نصهُ

"وقد وقع الفراغ من كتبتهِ يوم الخميس في اواخر شهر الله الاصم رجب من شهور سنة ست وتسعين وستمائة بحمد الله وحسن توفيقهِ . صاحبهُ وكاتبهُ العبد الضعيف اقل خلق الله واعجز عبادهِ الراجي الى رحمة الله وغفرانهِ علي بن محمد بن لزبك المتوطن بقرية يس اللهمَّ اغفر لكاتبهِ ولقارئهِ ولمن نظر ولمن قال آمين رب العالمين حامداً ومصلياً على محمد وعترتهِ الطاهرين الطيبين"

والكتاب الى هنا في ٢٤٠ ورقة وبعدها ملحق فيهِ سبع ورقات . وخط الكتاب على تمام الوضوح وبعضهُ مضبوط بالشكل وعلى حواشيهِ وبين سطورهِ حواشٍ كثيرة تفسيرية بخطوط مختلفة والمظنون ان نسختنا هذه اقدم نسخة من كتاب المصابيح

مانعة الغرق

ان المنطقة التي تكون في السفن ليلبسها الانسان اذا غرقت السفينة وينجو بها قلما تصلح للنجاة لانها لا تبقي رأسهُ فوق الماء دائماً وقد استنبط بعضهم منطقة جديدة فيها عوامتان وشرائط تشد على الصدر والظهر فتقع العوامتان عند اعلى الصدر وعند اعلى الظهر فيبقى رأس الانسان فوق الماء ولو اراد ان ينزلهُ تحت الماء ما استطاع . واضاف الى هذه المنطقة قبعة يلبسها على رأسهِ لها ذيل يغطي رقبتهُ ليقيها من الشمس

البارجة ايوامي اليابانية

البارجة ايوامي اليابانية هي البارجة اورل الروسية غنمها اليابانيون ولم يتركوها على ما كانت عليهِ مع انها كانت من اقوى البوارج بل اصلحوها حسبما استفادوا من

اختبارهم الحربي فقصروا كل مدخنة من مدخنتيها عشرين قدماً ونزعوا الابراج التي حول صاريتيها وخفضوا سطحها . اي انهم حوَّلوها من الاسلوب الفرنسوي الى الاسلوب الانكليزي فثبت من ذلك ان الاسلوب الانكليزي لبناء البوارج افضل من غيرهِ

ذوات الاذناب

يظهر هذه السنة اربعة من ذوات الاذناب الدورية احدها مذنب انكي الذي كشف اولاً سنة ١٨١٨ ثم ظهر ثانية سنة ١٨٢٢ ومن ثم تكرَّر ظهورهُ كل نحو ثلاث سنوات وثلث سنة ويبطئ سيرهُ نحو ثلثي يوم في كل دورة من مقاومة المواد المنتشرة في الفضاء . وقد ظهر هذا المذنب الآن ولكنهُ لا يرى الا بالتلسكوب والثاني مذنب تمبل الذي روقب اولاً سنة ١٨٦٩ ومدتهُ خمس سنوات ونصف سنة ولذلك ظهر سنة ١٨٨٥ و١٨٩١ و١٨٩٧ و١٩٠٣ والثالث مذنب بننج وقد شوهد اولاً سنة ١٨٨١ ومدتهُ ثمان سنوات

والرابع المذنب الذي اكتشفهُ جيوكوبيني سنة ١٩٠٠

عصارة الصبير للبعوض

ان الطريقة المستعملة الآن لاماتة دود البعوض من المستنقعات هي صب زيت البترول فيها . وقد كتب قنصل الولايات المتحدة في بالرمو بايطاليا يقول انهُ اذا قطعت قروط الصبير ومرثت في الماء حتى خرجت العصارة اللزجة منها وصبت هذه العصارة في المستنقعات التي فيها دود البعوض اماتتهُ حالاً بالاختناق وهي تفضل على زيت البترول في البلاد الحارة لان زيت البترول يتبخر فيها سريعاً اما عصارة الصبير فتبقى اسبوعين على حالها

منع البرَد

يقع البرَد احياناً في بعض البلدان فيتلف زرعها وقد زعم البعض ان اطلاق المدافع في الجو يمنع وقوع البرَد واشار بعضهم الآن بعمل بلونات صغيرة يطلقها في الجو وفي كل منها قليل من الديناميت فيطلق في الجو حينما يصل البلون الى الغيوم التي يتكون فيها البرَد فيبددها ويمنع وقوع البرَد منها

سكان الكواكب

كتب الدكتور لويس روبنصن مقالة مسهبة في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية ابان فيها بادلة بيولوجيةٍ كثيرة انهُ يستحيل ان يكون الانسان موجوداً في غير الارض من الاجرام السموية لان الفواعل الكثيرة التي فعلت في نشوئهِ لم تتوفر في غير الارض

فهرس الجزء الخامس من المجلد الثالث والثلاثين

٣٦١ الصروح الشاهقة (مصوَّرة)

٣٦٥ الذهب في العالم · لسليم بك مكاريوس

٣٦٩ الاطيان والضرائب بالقطر المصري · لجرجس بك حنين

٣٧٩ عبد الله المأمون · ص · ي

٣٨٧ نفوس الشعراء · للمرحومة عفيفة الشرتوني

٣٩٥ اسباب الاحتلال البريطاني

٣٩٩ في العزلة · لأمين افندي ريحاني

٤٠٨ التعريب · لحفني بك ناصف

---

٤٢١ باب المراسلة والمناظرة * هل المريخ مسكون · حقوق المرأة · علاج لسع العقارب بام درمان

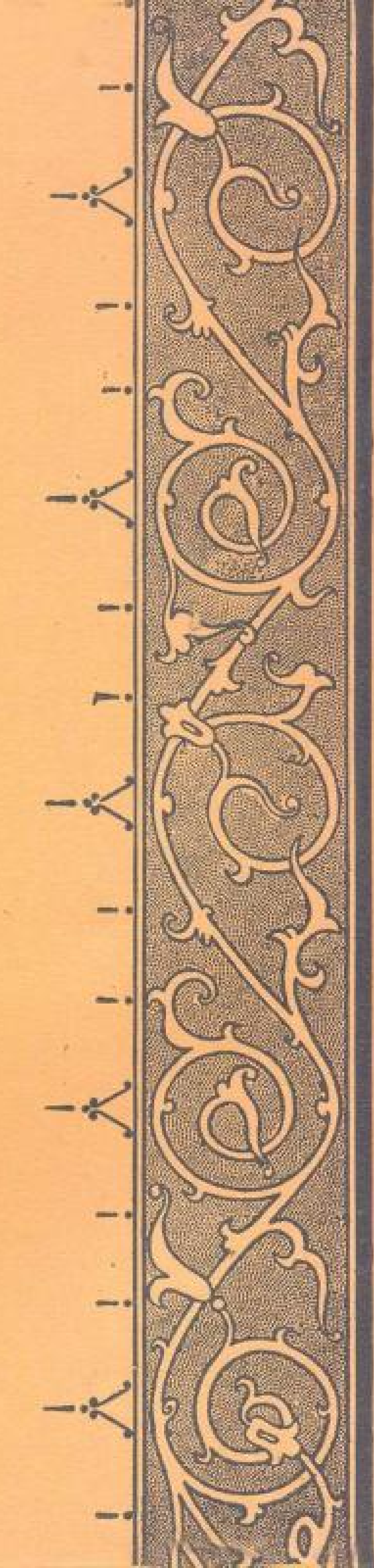
٤٣١ باب الزراعة * البحر الابيض وموسم القطن · معامل الفراخ · الواردات الزراعية

٤٤٠ باب التقريظ والانتقاد * كتاب معجم الادباء · التقرير السنوي · حياة الزوجين · فهرس كتب الكيمياء · كتاب جواهر الحكماء

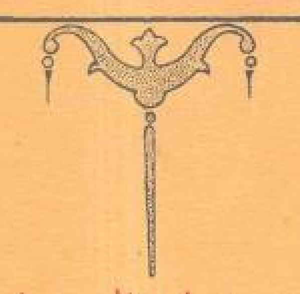
٤٤٣ باب المسائل * انقباض القزحية · المساكن المسكونة · علامات الاستفهام والتعجب · الجنسية الاجنبية · التجنس في المستعمرات · حماية المجنسين · الاجانب في مصر والسودان · النفس بعد الموت · شعور الحيوانات بالطرب · احراش سورية · ضرب الجنيه المصري · نور كنيسة القيامة

٤٤٨ باب الاخبار العلمية * وفيه ٣١ نبذة

رواية فتاة الفيوم ملحقة بالمقتطف







مستقبل العمران

الحب : لادلر

العلم : لهكسلي

التعليم : لولز

الاسرة : لرسل

الاقتصاد : لتشايس

رجال الشهر

غازورذي ، غاندي ، سايس ، صديق بك

الازمة الاقتصادية

واشتباك المصالح الدولية

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الثالث والثلاثين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٢ جماد اول سنة ١٣٢٦

قاسم بك امين

من الرجال مَن لهم قيمة ذاتية تظهر بكتاباتهم وتعاليمهم وقلما تتغيَّر بتغيُّر الازمنة والامكنة سواءٌ عرف معاصروهم قدرهم او جهلوهُ وسواءٌ كانت بلادهم محتاجة اليهم او مستغنية عنهم مثل سقراط وافلاطون وده كارت وباستور وسبنسر · ومنهم مَن قيمتهم قائمة بحاجة بلادهم اليهم او بالنفع الذي ينالها منهم وتظهر بما يأتونهُ من الافعال مثل بونابرت ووشنطون ومحمد علي · ومنهم مَن تكون لهم قيمة ذاتية ولكن لا يمدُّ لهم الاجل حتى تظهر مزاياهم او لا يوفقون الى نشر آرائهم وافكارهم او تكون بلادهم في خمول فلا تعرف قدرهم او لا تستفيد منهم ككثيرين من اذكياء العقول الذين قضوا في سن الشباب او وُجدوا في بلاد اهاليها سكارى بخمرة الجهل او نيام في ظلمات الإهمال · ومنهم مَن قواهم عادية ولهم امتياز قليل على اترابهم ولكنهم يظهرون زمن شدَّة التنبه فيكبر شأنهم وينمو قدرهم كأنهم بزور القيثَ في ارض خصيبة · ومنهم من يُتاجَر باكرامهم ويُبالَغ في اعلاء قدرهم لغرض سياسي او ديني او لمصلحة اخرى فيعطون فوق ما يستحقون

وكيفما كانت الحال فقدر الرجال الحقيقي لا يعلم الَّا بعد مرور الازمان وتمحيص الاقوال والافعال بنار الامتحان· وقد تبقى الحقيقة طامسة طيَّ الخفاء . فكم من عالم حكيم تضمُّ هذه الغبراء وقد نسي اسمهُ ولا يعلم شيءٌ من امره وكم من مزار بني على رفات احمق يتنطع والناس يزورونهُ صباح مساء ويتبرَّكون بهِ · وكم في ميزان هذا الدهر من خفيف مرتفع وثقيل منخفض ولعلَّ الحقائق المجهولة اكثر من المعلومة

هذا ولا شيءَ مثل حرية القلم وحرية اللسان لاظهار اقدار الرجال ولاسيما اذا نشأت الاحزاب واخذ كل حزب يغالي بما عندهُ في هذه الحال قلما يضيع رجل لهُ قدْر ومريدون·

وقد يعطي الرجال حينئذٍ اكثر من حقهم وهو الغالب . ولكن اذا كان للمرء اقوال مكتوبة منشورة فهي ميزان فضلهِ وهي وحدها كفيلة بتخليد ذكرهِ اذا كان مما يستحق الخلود لانها لا بدَّ من ان تذيع عاجلاً او آجلاً فتقدرها العقول قدرها

منذ بضع عشرة سنة اهدى الينا قاسم بك امين نسخة كتابهِ الذي ردَّ بهِ على دوق دركور فرأينا انهُ من كبار الكتاب المتضلعين ولكنهُ جارَ على الدوق في بعض المواضع فانتقدناهُ في المقطم انتقاد عارف بقدرهِ . والظاهر ان انتقادهُ لكتاب دوق دركور اثَّر في نفسهِ تأثيرًا شديدًا على ما اثبتهُ صاحب المنار في تأبينهِ لهُ قال—

"اخبرني قاسم انهُ كان يوم اطَّلع على ما كتبهُ الدوق دركور غافلاً عن حال النساء بمصر فآلمهُ ذلك النقد والتشنيع فاندفع الى الرد بوجدان الغيرة وبعد ان شفى غيظهُ وارضى غيرتهُ بذلك عاد الى نفسهِ وفكَّر في الامر فرأى ان كثيرًا من العيوب التي عاب الدوقُ بها البيوت المصرية صحيح في نفسهِ فبعثهُ ذلك الى ان درس هذه المسألة قائلاً في نفسهِ انهُ لا ينفعنا اذا كان العيب فينا ان نردَّ على من يعيبنا ونبحث عن عيوب قومهِ وانما يجب علينا ان نبحث عن عيبنا فنعرفهُ ونسعى في ازالتهِ . وطفق يبحث ويسأل ويفكّر في حال البيوت بمصر ويقرأ ما كتب الافرنج في شأن النساء وانتهى بهِ البحث والتنقيب الى تصنيف كتاب تحرير المرأة الذي هزَّ مصر هزة شديدة وشغل جرائدها في تقريظهِ ونقدهِ زمنًا طويلاً وبعث همة غير واحد من حملة العمائم والطرابيش جميعًا الى التصنيف في الرد عليهِ وبذلك طار صيت قاسم بك امين في الآفاق وعُرف اسمهُ في الشرق والغرب وعُدَّ من المصلحين الاجتماعيين"

ولما صدر كتاب تحرير المرأة طالعناهُ وقرظناهُ في المقتطف وانتقدناهُ (انظر الصفحة ٥٢٧ وما بعدها من المجلد الثالث والعشرين الصادر سنة ١٨٩٩) . وختمنا التقريظ والانتقاد بقولنا حبذا لو تصفَّح هذا الكتاب النفيس كل من يغار على وطنهِ وامتهِ وساعد مؤلفهُ في بث آرائهِ بين الجمهور" . ونحن نكرر هذا القول الآن ونكررهُ دائمًا لانهُ ان لم تتعلَّم النساء وتتهذَّب استحال على الامَّة ان تجاري الامم الراقية في هذا العصر

ثم زارنا بعد ظهور المقتطف وتذاكرنا في موضوع كتابهِ فاعربنا لهُ عن رأْينا وهو ترك الشواهد الدينيَّة في المباحث العلمية على قدر الامكان لانهُ لا يُطلَب من الباحث اثبات الحقائق العلمية والمذاهب الاجتماعية بالآيات الكتابيَّة والاحاديث النبويَّة كما انهُ لا يُطلَب من المهندس والطبيب والزارع ان يثبتوا قواعد علم الهندسة وعلم الطب وعلم الزراعة بالادلة الدينيَّة . ووجه الضرر من الطريقة التي جرى عليها ان الذين يخالفونهُ رأْيًا لا يتعذَّر عليهم ان

يأتوا بادلَّة دينيَّة تناقض ادلتهُ وتنفي نتائجهُ كما وقع فعلاً . اما هو فكان جسوراً لا يخاف في الحق لومة لائم فلم يرجع عما قال وعزَّز كتابهُ الاول بكتاب ثانٍ موضوعهُ المرأة الجديدة وهو في رأينا كالكتاب الاول او يفوقهُ في قوة الحجة ووضوح الدليل فاستقبلناهُ بالبشر وقرظناهُ ونقلنا منهُ فصلاً مسهباً في الجزء الثاني من المجلد السادس والعشرين موضوعهُ التربية والحجاب . ولو لم يكتب قاسم بك غير هذا الفصل لكفى وحدهُ لشهرتهِ ولقرن اسمهِ باسماء اشهر المصلحين . ولقد كان في كل كتبهِ وخطبهِ واحاديثهِ ينظر الى الزمن السعيد الذي تتعلَّم فيهِ المرأة الشرقية فيصير كل نساء المشرق مثل فضليات نساء المغرب من حيث العلم والتهذيب

الَّا ان اجتماعنا بهِ كان قليلاً جدًّا فحكمنا عليهِ مبنيٌّ على ما قرأناهُ من كتبهِ وخطبهِ وهذا لا يكفي لان كثيرًا مما يُكتَب ويتلى عادةً قد يكون منقولاً كلهُ او بعضهُ عن كتب الافرنج وخطبهم . لكنَّ الذين عاشروهُ طويلاً وعرفوهُ تمام المعرفة يقولون انهُ لم يكن كذلك . قال كاتب في "الجريدة" ولعلَّهُ مديرها نفسهُ "كان قاسم بك اجتماعيًا لا كبقية الاجتماعيين الذين يجعلون ادمغتهم محافظ لآراء الغير فاذا حضرتهم المناقشة او دعتهم الكتابة الى موضوع اجتماعي اخذوا يسردون عليك محفوظاتهم من المؤلفين السابقين من غير ان يكون لعقلهم في الموضوع نصيب من الرأي . لا . لم يكن كذلك ابدًا بل كان مفكرًا بالاصالة نقادًا لا يستغني عن افكار الغير ولكنهُ لا يعتنقها الَّا اذا اعتقدها وصارت لهُ بما قام في نفسهِ عليها من الادلَّة اليقينيَّة "

ثم قال " بحث قاسم بك في المسائل الاجتماعية على العموم فكان رأيهُ فيها انها خاضعة دائمًا للقوانين الطبيعيَّة قوانين التحليل والتركيب والنمو التدريجي والانتقال وبحث في المسألة الاجتماعية لمصر على الخصوص فوجد ان حلها متوقف على نظام العائلة المصرية ووجد ان المرأة هي الاساس الاول لبناء العائلة "

فهذا شاهد صريح بان الفقيد كان من اهل الرأي والنظر وان ما كان يذكرهُ في كتبهِ وخطبهِ واحاديثهِ إما من مبتكراتهِ او من آراء غيرهِ التي اعتنقها بعد ان اعتقدها بما قام في نفسهِ عليها من الادلَّة اليقينيَّة . ومما هو كالديباجة لكل ما رأيناهُ مما كتب وخطب العلمُ الواسع والاخلاص التام والبعد عن الدعوى . ولقد كان من اكبر المهتمين بانشاء الجامعة المصرية ولما اوقف لها حسن باشا زائد اطيانًا كبيرة الريع وذهب مع لجنة لاستلام الوقفية خطب فاثنى على عمد البلاد واعيان الاقاليم لكرمهم وودَّ ان يكون هذا الكرم في محلهِ دائمًا . قال " لو كان المحسنون يوجهون ارادتهم الى احياء امتهم وتعظيم وطنهم اكثر

من اهتمامهم بشراء الزهور وتشييد القبور واضاءة الاضرحة — لو كانوا يجودون للاعمال بنسبة الخير المنتظر منها لكانت الجامعة المصرية اليوم كامثالها في البلاد الاخرى اغنى جمعيةٍ في هذا القطر ولكنها افقرها جميعاً " الى ان قال

" ايها السادة ان الوطنية الصحيحة لا تتكلم كثيراً ولا تعلن عن نفسها . عاش آباؤُنا وعملوا على قدر طاقتهم وخدموا بلادهم وحاربوا الامم وفتحوا البلاد ولم نسمع انهم كانوا يفتخرون بحب وطنهم فيحسن بنا ان نقتدي بهم ونهجر القول ونعتمد على العمل

" يجب علينا ان نفهم ان مسألتنا الاجتماعيةَ ليست شيئاً وجد بالصدفة او يتغير بمعجزة بل انها كسائر القضايا العلميَّة مسألة تحليل وتركيب وان لتكوين ونمو الجمعيات الانسانية اسباباً عديدة ترتبط بالدين والشرائع والاخلاق والاقليم والجنس واللغة وطرق التربية فتغيير الحال الاجتماعيةِ انما يكون بتغيير الاسباب التي اشتركت في تكوينها فكل ما يكتب و يعمل ويقال في هذا الموضوع هو خير مبارك منتج وما عداهُ فهو تعب ضائع

" ايها السادة : ان من اهمّ اسباب انحطاط الامم وارتقائها طرق التعليم والتربية واذا نظرنا الى ما يجري عندنا وجدنا ان التعليم الموجود الآن لا يصلح الاَّ لاعداد موظفين او اصحاب فنّ يحترفون بهِ للقيام بحاجات الحياة التي لا يستغنى عنها كالطب والهندسة والمحاماة وهذا التعليم يوزع في مدارسنا على الطلبة بمقدار معلوم لا يزيد عن الغاية التي وضع لاجلها

" تلك هي خطة الحكومة في التعليم وقد حذا حذوها اصحاب المدارس الخصوصيَّة والحكومة تعترف بان هذا القدر من التعليم غير كافٍ ولكنها اضطرت الى عدم التوسع فيهِ للاسباب التي شرحتها في تقاريرها العديدة واهمها كما تعلمون هي مسألة المال

" وفي الحقيقة انهُ لا توجد حكومة في العالم تستطيع ان تتولى بنفسها امر التعليم العام بفروعهِ ودرجاتهِ واذا نظرنا الى ما يجري في البلاد المتمدنة نجد ان القسم الاعظم من التعليم في يد جمعيات علميَّة هي المؤسسة والمديرة لنظامهِ وان عمل الحكومة فيها محصور في تعضيدها ومساعدتها على قدر الامكان

" هذا هو الذي حمل الحكومة المصرية على استنهاض همة الاهالي لنشر التعليم الابتدائي وهذا ما دعانا ايضاً الى ان نطلب من ابناء وطننا ان يفكروا في نشر التعليم العالي وان يبذلوا ما في وسعهم في سبيلهِ ليكمل نظام التعليم في بلادنا و يصبح وافياً بجميع حاجات الامة

" ايها السادة : نحن لا يمكننا ان نكتفي الآن بان يكون طلب العلم في مصر وسيلة لمزاولة صناعة او لالتحاق بوظيفة بل نطمع ان نرى بين ابناء وطننا طائفة تطلب العلم حباً

للحقيقة وشوقاً الى اكتشاف المجهول · فئة يكون مبدأها التعلم للتعلم· نود ان نرى من ابناء مصر كما نرى في البلاد الاخرى عالماً يحيط بكل العلم الانساني واختصاصياً اتقن فرعاً مخصوصاً من العلم ووقف نفسهُ على الالمام بجميع ما يتعلق بهِ . وفيلسوفاً اكتسب شهرة عامة · وكاتباً ذاع صيتهُ في العالم · وعالماً يرجع اليهِ في حل المشكلات ويحتج برأيهِ · امثال هؤلاء هم قادة الرأي العام عند الامم الاخرى والمرشدون الى طرق نجاحها والمديرون لحركة تقدمها فاذا عدمتهم امة حل محلهم الناصحون الجاهلون والمرشدون الدجالون

" ايها السادة : اذا نظرنا الى طائفة المتعلمين في مصر وهم متخرجو المدارس العالية نجد انهم يعملون على مبدإ «اكسب كثيرًا واتعب قليلاً» ولا نجد فيهم العامل المحب لعلمهِ او فنهِ والعاشق الذي تحتل شهوة العمل في قلبهِ وتتمدد فيهِ وتملأهُ برمتهِ ولا تقبل منافساً او منازعاً او شريكاً او ضيفاً بجانبها . وانما نجد افرادًا قليلين جدًّا يصرفون وقتاً قصيرًا من حين الى حين لتكميل معارفهم ولكنهم مجردون عن تلك الحمية تلك النار التي تشعل القلب والشعور والتي بدونها لا تبحث النفس عن تجديد العمل ولا تطلب الارتقاء الى المراتب السامية

" ألا يظهر لكم مثلي ان الارتقاء في الانسان تابع على الخصوص لاحساسهِ وان اكثر الناس استعدادًا للكمال هم اصحاب الإحساس الذين تهتز اعصابهم المتوترة بملامسة الحوادث وتبلغ منهم الانفعالات النفسية مبلغاً عظيماً فيظهر اثرها فيهم بكثرة وشدة · اولئك هم السعداء الاشقياء الذين يتمتعون ويتألمون · اولئك هم السابقون في ميدان الحياة تراهم في الصف الاول مخاطرين بانفسهم يتنافسون في مصادمة كل صعوبة · من بينهم تنتخب القدرة الحكمية خيرهم وتوحي اليهِ اسرارها فيصير شاعرًا بليغاً او عالماً حكيماً او وليًّا طاهرًا او نبيًّا كريماً

" ايها السادة : ان عدم استعداد طلبة العلم لحب العلم لذاتهِ هو عيب عظيم فينا يجب ان نفكر في ازالتهِ وهو نتيجة من نتائج التربية المنزلية التي غفلت عن تربية احساسنا واهملت تربية قلوبنا وشعورنا فاصبحنا ماديين لا نهتم الاَّ بالنتائج في جميع امورنا حتى في الاشياء التي بطبيعتها يجب ان تكون بعيدة عن الفوائد كعلاقات الاقارب والاصحاب . وليس من المنتظر ان تتغير اخلاقنا من هذه الجهة تغيرًا محسوساً الاَّ اذا تم اصلاح العائلة المصرية

" هل يجوز ان يؤخذ من اعترافنا هذا انَّا نخشى ان الجامعة المصرية اذا فتحت ابوابها لا تجد طلاباً للعلم ؟ سمعت هذا الاعتراض واعتقادي التام انهُ وهم باطل . نحن اذا كنا نأسف لعدم بلوغ حب التعلم الدرجة التي نتمناها لهُ فليس معنى ذلك انهُ مفقود في بلادنا ·

حب التعلم موجود ووجد في بلادنا من قديم الزمان ولا يزول عن ارضنا ابدًا : وتاريخ مصر الحديث يثبت باقوى البراهين ان حب التعلم كان ولا يزال ينمو في نفوس امتنا من عهد المرحوم محمد علي باشا الى الآن

" ولي امل عظيم ان انشاء الجامعة المصرية يكون سبباً في ظهور شبيبة هذا الجيل وما يليهِ على احسن مثال وما حالة القلق والاضطراب التي نلاحظها فيها الآن الاَّ انذار مطمئن يدلنا على انها مملوءة بقوة عظيمة تطلب ميدانًا تتصرف فيهِ لتتمتع بالتوازن الملازم لصحتها

" هذا هو البناء الفخيم الذي نحب ان الامة المصرية تشيدهُ بيدها ليبقى اثرًا خالدًا في هذا القطر وشاهدًا على حسن استعدادها للنمو العقلي والرقي الادبي فكل من وضع حجرًا في هذا البناء يخدم امتهُ اجل خدمة · فشكرًا للسابقين وشكرًا للاحقين في هذا العمل الصالح · واني ارى في الصف الاول من صفوف المحسنين المتبصرين الذين يعرفون كيف يصرفون اموالهم في سبيل الخير رجلين قاما بما يجب عليهما وهما حضرة احمد بك الشريف وصاحب هذه الدار الكريمة " · اه

والفقيد مثل كثيرين من ابناء مصر الذين نبغوا في هذا العصر غرباء اتوها هم او آباؤُهم او اجدادهم فقد نقلت الجريدة ان اباهُ "كردي جيء بهِ مصر في زمن اسمعيل باشا ودخل الجيش المصري ورقي فيهِ الى رتبة اميرالاي وتزوج بكريمة المرحوم احمد بك خطاب اخي ابرهيم باشا خطاب فكان الفقيد اكبر اولادهما " · وقد يستغرب البعض ان كرديًّا يدخل مصر فيحسب نفسهُ من ابنائها ويحسبهُ اهلها منهم وشاميًّا يدخل مصر ويقيم فيها هو واولادهُ واولاد اولادهِ فلا يحسبها وطنًا لهُ وان حسبها هو وطنًا لم يحسبهُ اهلها منهم وقس على ذلك اليوناني والايطالي والفرنسوي ولكن لا وجه للغرابة في ذلك فان كل الذين جاءوا مصر ولا وطن لهم او لا بلادَ لهم يفتخر بها يضطرون بطبيعة الحال ان يتخذوا مصر وطنًا ويُنسبوا اليها واما الذين لهم وطن آخر يفوق مصر او لا يقلُّ عنها كفرنسا وايطاليا وسورية فلا يجدون ضعة بل رفعة في نسبتهم الى وطنهم الاصلي ولاسيما لان الزمن الماضي قبل الاحتلال كان يجعل للاجنبي من هؤُلاء مزية على الوطني . وحبذا الزمن الذي تصير فيهِ كل الامم التي استوطنت القطر المصري مصرية لفظًا ومعنًى ويصير ابناء اعظم الدول الاوربيَّة يفتخرون بنسبتهم الى الديار المصرية اذ تتمتع مصر بكل الحقوق السياسيَّة والاجتماعية التي تتمتع بها ارقى الامم الارض ويُعرَف حينئذٍ قدر قاسم بك امين وكل المصلحين اضعاف ما يُعرف الآن

هذا وقد احتفل بدفن الفقيد احتفالاً يكاد يكون منقطع النظير في مهابتهِ واسف

المشتركين فيهِ فسار في موكب الجنازة نخبة رجال العاصمة من وطنيين واجانب يتقدمهم كبار العلماء ونظار الحكومة المصرية ومستشاروها ووكلاء نظارها ورجال القضاء وغيرهم من كبار الموظفين والاعيان وابّنهُ عند دفنهِ نخبة اصدقائهِ يتقدمهم صاحبا السعادة سعد باشا زغلول ناظر المعارف وفتحي باشا زغلول وكيل الحقانية وأُبّن في اندية كثيرة من اندية القطر واجمعت الجرائد العربية والافرنجية على التنويه بفضلهِ والاسف عليهِ

آثار منف

على مقربة من القاهرة حيث البدرشين وميت رهينة وصقارة كانت مدينة منف عاصمة القطر المصري التي مصَّرها الملك مينا قبل المسيح باربعة آلاف او بخمسة آلاف سنة وبقيت عاصمة لهذا القطر الى زمن الفتح الاسلامي بعد المسيح بستمائة واربعين سنة . وقد نشأت في القطر المصري عواصم اخرى في ازمنة مختلفة ولكن بقيت منف عاصمة العواصم ومركز تجارة البلاد وغناها الى زمن الفتح . وبعد الفتح توالى انحطاط البلاد فقل السكان ونضبت الخيرات فهجرت منف . وكانت مبانيها الفخيمة لا تزال كثيرة في زمن عبد اللطيف البغدادي كما يظهر من وصفهِ لها [1] ولكنها هُدمت بعد ذلك وصار النيل يغمرها و يغطيها بطميهِ حتى لم يبقَ منها اثر ظاهر . ويعلم الذين كانوا يذهبون الى صقارة بطريق البدرشين انهم لا يرون من آثارها الا تمثالين كبيرين من تماثيل رعمسيس الثاني و بعض الحجارة المتفرقة . ولقد احجم الباحثون عن كشف آثارها الى الآن لان اكثرها مغطًى باراضٍ زراعية يصعب ابتياعها من اصحابها . ثم وجهوا همتهم اليها في الشتاء الماضي فبحثوا اولاً عن حرَم هيكل فتاح معبود اهل منف فعرفوا حدودهُ ووجدوا طولهُ ثلث ميل وعرضهُ ربع ميل اي ان سعتهُ كسعة هيكل الكرنك

(١) قال عبد اللطيف في كتابهِ الافادة والاعتبار بعد وصف ما شاهدهُ في منف من آثار المباني "واما الاصنام وكثرة عددها وعظم صورها فامر يفوت الوصف ويتجاوز التقدير . واما اتقان اشكالها واحكام هيئاتها والمحاكاة بها الامور الطبيعية فموضع التعجب بالحقيقة فمن ذلك صنم ذرعناهُ سوى قاعدتهِ فكان نيفاً وثلاثين ذراعاً . . . وهو حجر واحد من الصوان الاحمر . . . . وهذه الاصنام مع كثرتها قد تركتها الايام الّا الاقل منها جذاذاً وغادرتها ارماماً ولقد شاهدت كبيراً منها وقد نحت من ضلعتهِ رحىً قطرها ذراعان ولم يظهر في صورتهِ كبير تشويه) "

وقد قصر الباحثون نقبهم حتى الآن على الاراضي التي تمتلكها الحكومة ولا يعلمون كيف يتفقون مع الاهالي على النقب في اطيانهم ولكن يليق بالحكومة ان تشتريها منهم او تعطيهم اطياناً زراعية بدلاً منها فانها اذا فعلت ذلك تكون قد خدمت التاريخ والعلم وافادت البلاد فائدة مالية تفوق ما تنفقهُ في هذا السبيل اضعافاً مضاعفة لان مدينة منف اشهر العواصم القديمة واهالي اوربا واميركا يتشوقون الى رؤية آثارها وتحقيق ما كتبهُ هيرودوتس ابو التاريخ عنها فلا عجب اذا وفدوا على القطر المصري بالالوف لمشاهدتها وقضوا في القاهرة اياماً كثيرة لهذه الغاية فتكتسب البلاد منهم كل سنة ما يربو على ما تنفقهُ الحكومة في هذا السبيل

اما الآثار التي كشفت في ما نقب حتى الآن فباب كبير من المرمر (الغرانيت) يظهر انهُ نقل الى هناك من هيكل الشمس في ابوصير في عهد الدولة الخامسة من الدول المصرية ومذبح من المرمر من عهد الدولة التاسعة وجزءٌ من امر ملكي من عهد الدولة الثانية عشرة وكثير من الالواح الحجرية المكتوبة في عهد الدولة الثامنة عشرة وفيها ما يدلُّ على اسلوب من اساليب العبادة لم يكن معروفاً حتى الآن فقد رسمت فيها آذان كثيرة وكتب تحتها ما يدلُّ على انها رسمت هناك لتسمع دعاء الداعين وتبلغهُ الى الاله المعبود . ويلزم لكشف آثار هذا الهيكل كلهِ سنون كثيرة لاتساعهِ الهائل

وجرى البحث ايضاً في حي الغرباء نزلاء منف فوجدت آثار هيكل هاثور وهي التي سماها هيرودوتس بالزهرة ولم يكشف الآن الاَّ جانب من الرواق المقدَّم وقد وجد فيهِ ما يدلُّ على انهُ كان مزداناً ابدع زينة كما قيل عنهُ . ووجد في اساسهِ تاج عمود صنع في الزمن الذي بنيت فيهِ الاهرام ووجد في حي الغرباء ايضاً رؤُوس تماثيل صغيرة تمثل اناساً من الفرس والترك واليونان والسوريين والهنود . وسيكون لما يكشف من الآثار في هذا الحي اكبر شأن في علم التاريخ لانهُ كان مباءة للتجار من كل امم الارض

ووجد في بقعة اخرى آثار بناء من عهد الملك مي آمن ولم يوجد شيء قبل الآن من آثار هذا الملك وفي بقعة غيرها عمود كبير طولهُ ثلاث عشرة قدماً ولعلهُ جزءٌ من بناء كبير متصل بهِ . هذا عدا ما وجد من الادوات الصغيرة التي تدل على ان منف كانت داراً للصناعة كما كانت داراً للتجارة

و ياحبذا لو كلفت الحكومة مديري دار التحف بوصف كل ما يوجد من هذه الآثار باللغة العربيَّة حتى يطلع عليها ابناء هذا القطر

الاعضاء الاثرية

والخلل في نظام التركيب الانساني

تتألف الاجسام الحيوانية والنباتية من اجهزة واعضاء لكل منها وظيفة معينة يعمل بها في كل ادوار حياته عملاً خاصاً بهِ ويستمرّ عليهِ من حين يولد الى حين يموت . وتحتوي ايضاً على اجهزة واعضاء متقهقرة او ضامرة لا تعمل عملاً ولا تقضي وظيفة وتعرف بالاعضاء الاثرية وهي من اهم الظواهر البيولوجية التي اشكل فهمها على علماء التاريخ الطبيعي الاقدمين فذهبوا فيها المذاهب المضحكة وبقي سرّها غامضاً حتى شاع مذهب دارون وثبت بهِ ناموس التحوّل والارتقاء فثبت لعلماء هذه الايام انها اعضاء كانت عاملة في الاصل فامتنعت عن عملها بضرورة تطبيق المعيشة على الاحوال الخارجية وبتمادي القرون خسرت وظيفتها وضمرت ولكن وجودها رسخ في النسل بناموس الوراثة · وهي كثيرة في الحيوان والنبات الاَّ اننا نقتصر على بعض الامثلة لبيان اصلها

ففي النبات توجد الاعضاء الاثريَّة غالباً في الزهر فترى اكثر اجزائهِ على درجات متفاوتة من البلوغ والنمو والتلهوج والضمور كما في ازهار الفصيلة الشفوية التي منها النعناع والمردقوش والصعترفان من خصائصها ان يحتوي زهرها الشفوي على سداتين طويلتين واخريين قصيرتين ولكن كثيرًا من تنوعات هذه الفصيلة كالقصعين وحصى اللبنى لاتحتوي الاَّ على زوج واحد تام النمو واما الزوج الثاني فضامر او مفقود وفي بعضها يكون الزوج الثاني موجودًا ولكن الكتلة التي تكون عادةً على رأس السداة تكون خالية من الغبار الذي يغشاها وعليهِ يتوقف التلقيح فتكون من هذا القبيل عديمة الفائدة . وقد توجد سداة خامسة اثرية لا فائدة لها ولا معنى لوجودها سوى الاستدلال على القرابة الطبيعية بين هذا النوع ونوع سابق هي فيهِ ذات فائدة

واما في الحيوان فالاعضاء الاثرية كثيرة جدًّا حتى انهُ لا يخلو حيوان منها ومن امثلتها ان لذوات الفقرات زوجين من الاطراف يتصلان بالجذع احدهما مقدم وهو اليدان والثاني خلفي وهو الرجلان وكثيرًا ما يكون احد الزوجين ضامرًا او يكون الاثنان معاً ضامرين كما في الحيات وبعض الاسماك واذا فحصنا البواء وغيرها من الافاعي الكبيرة وجدنا في القسم الخلفي من جسمها قطعاً عظمية لا فائدة منها ولا معنى لوجودها وانما هي بقايا رجليها

اللثين فقدتهما . ويشبهها الحيتان ذوات الثدي فان لها طرفين مقدمين اي عوامات صدرية وليس لها طرفان خلفيان بل يمثلها زوج من القطع العظمية مستتر تحت اللحم ليس لهُ اقل منفعة

وفي مقدم الفك العلوي عظم صغير يسمى العظم بين الفكين يصل بين الفك الايمن والفك الايسر فيكمل قبوة الحنك فالحيوانات المجترة كالبقر والغنم والمعزى يكون لاجنتها اسنان قواطع في العظم المذكور الاَّ انها لا تبرز منهُ فهي اذًا اثرية وعديمة الفائدة . والحيتان ذوات الثدي يكون لاجنتها اسنان مرصوفة في الفك العلوي ولا فائدة لها حينئذٍ لاستحالة المضغ على الجنين واما بعد الولادة فتتحول الى صفائح غضروفية فلا تفيد قبل الولادة ولا بعدها فوجودها دليل على انها اثرية اي انها اثر لاصل سابق

واغرب ما ترى من الاعضاء الاثرية العيون العمياء في الحيوانات التي تعيش في الاماكن المظلمة كالكهوف والسراديب التي تحت الارض فانها موجودة فيها وقد تكون كاملة النمو والتركيب الاَّ انها لا تبصر لانها مغطاة بغشاء يحول دون اشعة النور ان تخترق الى داخلها كما في الخلد والفار الاعمى وبعض الحيات والحراذين والاسماك والامفيبيا اي الحيوانات المائية الهوائية وفي كثير من عديمات الفقرات كالجعل والحيوانات الحرشفية والديدان الخ

ومن امثلتها في الانسان عضلات اذنهِ فان اذن الانسان لا تتحرك رغماً عن كونها مجهزة بجهاز عضلي يقضي بان تتحرك الى الاعلى والاسفل والامام والخلف الاَّ ان الانسان لما صار يحرك رأسهُ حركة رحوية اضاع حركة اذنيهِ وبقيت عضلاتها ارثاً عن اسلافهِ الذين كان لهم آذان كبيرة طويلة ذات حركات كثيرة وسريعة وهكذا يقال عن بعض طوائف الكلاب الداجنة التي استرخت اذانها بتأثير الدجن فيها

ومن اغرب الاعضاء الاثرية في الانسان البروز اللحمي في موق عينهِ قرب جذر انفهِ وهو ثنية من الجلد هلالي الشكل لا فائدة لهُ ولا معنى لوجودهِ بل كثيرًا ما يكون سبب اضرارٍ للعين فهو اثر لجفن ثالث نامٍ جدًّا في الطيور والحشرات وبعض الاسماك ولا سيما كلب البحر حيث هو كثير النفع ويسمى جفن الغمض

وقد اهتم كثيرون من علماء تشريح المقابلة بهذه المسألة وقابلوا بين اعضاء الانسان وبين ما يقابلها في الحيوان ولا سيما القرود فوجدوا نموًا زائدًا في ١٥ عضوًا من اعضائهِ بالنسبة الى ما يقابلها من القرود كنمو الطرفين السفليين الموافق لوقوفهِ ومشيهِ منتصباً وما

يتبع ذلك من عرض الحوض والعجز في المرأة لحمل الجنين ونمو عضلات الساقين وتنوع بعض عضلات الوجه والانف وبعض عضلات المخ والنخاع الشوكي والفص المؤخري وزيادة انتشار الطبقة القشرية في الدماغ ومرونة عضلات الحنجرة وتكييفها لسهولة التكلم. ووجدوا سبعة عشر عضواً من اعضائهِ في حالة التقهقر الا انها لا تزال قادرة على قضاء وظيفتها الفيسيولوجية ولكن يعض الضعف كعضلات الساق والعضد واصابع الرجلين ونحوها وسبعة اعضاء لا تعمل اقل عمل فيسيولوجي موافق لوجودها كالعصعص وهو بقية الذنب والزوج الثالث عشر من الاضلاع والثديين في الرجل والزائدة الدودية والشعر المنتشر على سطح الجلد الخ

وقد ارتقى الانسان ارتقاء عظيماً بالنسبة الى القرود الشبيهة بهِ بل بالنسبة الى الطوائف الواطئة من نوعهِ كالهوتنتوت واهل استراليا الاصليين . ويخطئ من يقول ان الطبيعة تكون على اتم النظام والكمال حيثما لا يتعرض لها الانسان الذي يشوهها باعمالهِ لان الانسان فاق الطبيعة في احوال كثيرة فان المولعين بتربية الازهار والطيور ولَّدوا من الغرائب ما يدهش العقول حتى لقد يجتمع الفريق منهم و يرسم شكلاً رائقاً للزهر الذي يريد ان يولدهُ فيفعل و ينجح ومثلهُ المولعون بتربية الطيور. ومن يشاهد معرض الازهار في القاهرة لا يسعهُ الا الاعتراف بذلك لما يرى من التفنن البديع في ايجاد تباينات متعددة للزهر الواحد مما يدل على اقتدار الانسان على خلق الاشكال

وقياساً على ذلك زعم قوم انهُ يمكن ايجاد صورة للانسان اتم واكمل من صورتهِ الحاضرة كأن يكون لهُ اجنحة ولكنهُ بلغ على ما يظهر حد الكمال الحيواني بحيث لا يمكن ان يكون لهُ صورة حيوانية اجمل من الصورة التي هو عليها الآن. على ان ذلك لا يطلق على التكوين الانساني عموماً لان الجمال انما يكون في دور الصبا والشباب وبعض الكهولة واما في الشيخوخة فيكون الرجل والمرأة على حال من الشناعة كثرت او قلت . وفي الهرم يزول كل اثر للجمال الرائع . وجمال الانسان انما هو في صورتهِ البشرية وبالخصوص في ملامحهِ واما في الاجهزة والاعضاء فلا جمال ولا كمال بل تشويش في التركيب وخلل في التكوين كما قلنا آنفاً ونريد ان نبسط الكلام فيهِ هنا

فمن الامثلة على ذلك الشعر الذي يتوزع على سطح الجلد فيكون اولاً في الجنين زغباً يغطي الجلد كلهُ ما عدا الانف والراحتين والاخمصين وينزل على الكتفين والظهر على هيئة بنود مستطيلة ومنتظمة وبعد الولادة يقع وينبدل بشعر يدوم مدة الحياة ويمو في البلوغ والشيخوخة ويشبه ان يكون كساء لا شيء فيهِ من الجمال او الفائدة . ومما لا ريب فيهِ ان

هذا الشعر هو من الآثار التي ورثها الانسان عن اسلافهِ وهو ليس في شيءٍ من كمال التكوين او جمالهِ بل هو خلل فيهِ لان الجلد كثير التعرض لملامسة الميكروبات المحمولة بالغبار وبصلات الشعر مستودع مناسب لنموها وبعض الامراض الجلدية كالاكنة والدمامل تحدث من نمو المكروب في بصلات الشعر وقنواتهِ · فالشعر اذاً عيب في تكوين الانسان لانهُ استعاض بعقلهِ عن كثير من الصفات الحيوانية وعرف ان يتقي العوارض الخارجية بما اخترع من انواع الكساء حسب ما تقتضيهِ الحرارة المحيطة بهِ على ان ناموس الوراثة يضطرهُ الى احتمال الشعر الاثري وما يحدث عنهُ من العوارض السيئة

ومن الامثلة على ذلك ايضاً جهاز الاسنان فان فيها من العيوب ما لا يتفق مع حاجات الانسان الاساسية لكنها وان امكن للانسان الاستغناء عنها عند الضرورة لا تعتبر مضرة كالشعر · وعددها في الانسان ٣٢ وهي في كل فك ٤ قواطع ونابان و ٤ اضراس صغيرة و ٦ اضراس كبيرة واما في القرود فهي ٣٦ اي لها زوج رابع من الاضراس في كل فك زيادة عما في الانسان · ومما يستحق النظر هو ان الاسنان في قرود العالم القديم مائلة الى النقص والضعف ويغلب ان يكون عددها ٣٢ وهي في ما يماثلها من قرود العالم الجديد ٣٦ فالزوج الرابع من الاضراس قد فقد من الانسان بسبب سهولة المضغ الحاصلة عن تحضير الاطعمة ومن ثم بسبب قصر الحنك . وقد يوجد الزوج المذكور في الانسان ويبلغ بهِ عدد الاسنان ٣٦ كما في القرود الاَّ ان ذلك يكون خاصة في الشعوب الواطئة كالزنوج واهالي استراليا الاصليين واهالي كاليدونيا الجديدة فالصفة الخاصة بالانسان هي فقد الزوج الرابع من الاضراس . وفقد الزوج الثالث اي اضراس الحكمة او العقل هو الإعراق في الانسانية وهو كثير في النسل الابيض لان ١٠ في المائة من اهالي اوربا لا تظهر فيهم اضراس العقل ولا ينبت لهم سوى ٢٨ سناً فقط ويغلب فيهم نقصان الزوج الثالث من الفك العلوي . ففقد اضراس العقل يجب ان يعتبر صفة خاصة بالانسان لان وظيفتها الفسيولوجية محدودة وفعلها في المضغ ضعيف جدًّا وفقدها لا يؤَثر فيهِ شيئًا واطباء الاسنان يحذفونها من الجهاز الصناعي. وقد علمنا بالاختبار والمشاهدة ما يتأتى عنها من العوارض السيئة والعلل المزعجة بسبب بطوء نموها وصعوبة بروزها من الغشاء المخاطي الذي يغطيها · وهي سريعة النخر والغشاء المخاطي الذي يغطيها معرض لكل نوع من العلل الصغيرة التي تجلب الفساد الى الاجزاء المجاورة فيحصل بسببها احتقانات وخراريج ونخر الفكين وتيبس اربطة الفك وانطباق الفم وامتناع فتحهِ واحياناً خراريج حول الفك يعقبها خراريج دماغية الى غير ذلك من العوارض القتالة

التي لا تقابلها وظيفة مفيدة · فاضراس العقل اذاً اصبحت في الانسان ضعيفة او اثرية ولا يمكن اعتبارها مكملة لنظام تركيبهِ بل مخلة فيهِ ومشوشة لهُ وانما كانت مفيدة لاجدادنا البعيدين للزومها في مضغ اغذيتهم الصلبة

ومن الاعضاء الاثرية التي تستحق الالتفات من وجوه كثيرة الزائدة الدودية وهي قطعة صغيرة من المعى ليس لها اقل فائدة في الانسان لان استئصالها اصبح من العمليات الشائعة كثيراً وقد استؤصلت في احوال مشبوهة اي لم يكن المرض فيها مؤكداً وفي الحالين لم يحصل من استئصالها اقل اذى ولم تتأثر وظيفة الهضم المعوي اقل تأثير · ويغلب ان تنسدَّ بعد سن الخمسين وقد تنسد في الاطفال والشباب ويمتنع استطراقها الى الامعاء واشتراكها معها في الهضم ويبقى الهضم على ما كان عليهِ بحال الاستطراق ولا يشعر باقل ضعف او خلل يطرأ عليهِ بعد السد وعليهِ تكون الزائدة الدودية عديمة الوظيفة وعديمة الفائدة

ووظيفتها في القرود محدودة ايضاً وتقتصر على فعل الغدد اللمفاوية واما في الدرجات الواطئة من سلم الحيوانات ففائدتها كبيرة في بعض الحيوانات التي تغتذي بالنبات كالارنب وبعض ذوات الكيس يكون المعى المعروف بالاعور نامياً جدًّا و ينتهي بقطعة كثيرة الغدد اللمفاوية وشبيهة بالزائدة الدودية يقضي وظيفة مهمة في هضم المواد النباتية فهي في الاصل عضو مفيد ومتأصل في الجسم الحيواني وقد حفظ في الانسان بفعل الوراثة. وبما ان الاعضاء الاثرية تمتاز بضعفها الموروث فتكون كثيرة التعرض للامراض والزائدة الدودية تثبت ذلك لان التهابها كثير الحدوث ويشغل محلاً مهماً في امراض القناة الهضمية ولاثبات ذلك يكفي ان نذكر الحوادث التي عولجت في مستشفى واحد من مستشفيات باريس ففي مدة خمس سنوات اي من ١٨٩٥ الى ١٨٩٩ عالجوا في مستشفى تروسو فقط ٤٣٣ حادثة وبما ان استطراقها يكون تاماً في الاحداث والشبان فيصابون بها اكثر من سواهم ويقال ان ٣٦ في المائة من الاصابات يكون تحت سن العشرين واما الشيوخ فيصابون بها نادراً

وسبب التهابها ضعف حركتها وسهولة انحشار المواد الغريبة فيها فقد وجدوا فيها بعد الاستئصال مواد متنوعة كالمواد البرازية والبزور والشوك والشعر ووجدوا احياناً دبابيس ومسامير وهذه المواد تؤذي جدار الزائدة وتلقحهُ بالمكروبات فيحصل التسمم المكروبي والالتهاب · وقد تدخل ديدان الامعاء الى جوف الزائدة وتلقحها بالجراثيم المرضية وتسبب مرضاً يختلف شدةً ووطأةً باختلاف جرثومتهِ · فالزائدة الدودية اذاً من اوضح الادلة على خلل التركيب الطبيعي والانفع للانسان ان لا توجد في امعائهِ فيسلم من ضرر كثير

والاعور نفسهُ الذي تنتؤُ منهُ الزائدة الدودية متقهقر في الانسان وقليل النفع او عديمهُ وهو كثير النفع في الحيوانات التي تغتذي بالنبات حيث يقضي وظيفة هضم حقيقية

ولا يستغرب القارئ اذا قلنا ان قسماً كبيرًا من القناة الهضمية يمتاز بنموهِ واتساع سطحهِ هو ايضاً اثر موروث عن الاصل الحيواني وغير مفيد للانسان ونعني بذلك الامعاء الغلاظ بكاملها لانها بالحقيقة عضو فضولي في جسم الانسان لا فائدة لها في الهضم ولا قوة فيها على امتصاص الغذاء الأ ما قلَّ وقد استؤصلت كلها او بعضها بدون ضرر ولا تعطيل في الصحة او في البنية . ومن الادلة الواضحة على ذلك ان امرأة اصابها ناسور فصارت تتغوط منهُ وعاشت بهِ ٣٦ سنة وتزوجت وولدت اولادًا وكانت دائماً متمتعة بصحة جيدة وقصد احد الجراحين ان يشفيها من الناسور وبعد مباشرة العمل وجد الامعاء الغلاظ مسدودة على طولها وضامرة فاضطر ان يوقف العملية

والامعاء الغلاظ نامية جدًّا في الحيوانات التي تغتذي بالنبات لانها تفيدها في هضم المواد النباتية اذ لا فائدة لها تذكر في هضم المواد الحيوانية . وهي تتضمن في الحيوانات المذكورة عددًا كبيرًا من المكروبات التي تساعد على هضم الياف النبات التي يصعب هضمها جدًّا لولا وجود المكروبات . فالامعاء الغلاظ ضرورية لحياة الحيوانات التي تغتذي بالنبات كالحصان والارنب والبقر وغيرها من ذوات الثدي

ويظهر لنا من درس التاريخ الطبيعي ان المعى الغليظ لا يبلغ حدهُ من النمو الأ في ذوات الثدي لانها تعيش على الارض وهي سريعة الحركة وتضطر الى السرعة اما للانقضاض على فريستها او للهرب من اعدائها وفي كلا الحالين لا يوافقها ان تقف في سيرها المدة اللازمة لتفريغ امعائها لان ذلك يذهب بالفائدة المطلوبة لحياتها ويكون وقوف المبرزات في حوض كبير كالمعى الغليظ في غاية الموافقة لتنازع البقاء فالمعى الغليظ بمثابة حوض تجتمع فيهِ فواضل الهضم كما يجتمع البول في المثانة

اما الطيور التي تعيش على نوع ما في الهواء فلا تحتاج الى الوقوف لطرد فواضل الهضم ولهذا ليس لها معى غليظ . والحشرات والحيوانات البرية مائية وان كانت تعيش على الارض ليس لها معى غليظ اذ لا حاجة لها بهِ لان دمها بارد واكلها قليل وعيشتها هادئة وحركتها بطيئة وسيرها قليل وغير متواصل

يظهر مما تقدم اننا ورثنا عن الحيوانات اعضاء اثرية غير مفيدة او مضرة واعضاء نامية غير مفيدة ايضاً ومضرة احياناً كثيرة لان المعى الغليظ حوض تجتمع فيهِ فضلات الطعام

وتخزن وتفسد ويحصل من فسادها اضرار جمة لان المواد البرازية اذا طال مكثها في المعي مدة طويلة كما يحصل في القبض امتصت بعض المواد الداخلة في تركيبها وامتزجت بالدم واحدثت تسمماً شديداً وكلٌ يعلم ان القبض يسبب حمى ويحدث بثوراً كبثور الاكنة وغيرها من الامراض الجلدية عدا عن انهُ مركز امراض كثيرة وخطيرة كالدوسنطاريا ولا سيما في البلاد الحارة والاورام الخبيثة ولا سيما السرطان وكثير غيرها مما هو ثابت من تعداد الحوادث ومراقبتها في المستشفيات

لا غرو ان تتعدد في القناة الهضمية الاعضاء او الاجزاء المضرة او اللالزوم لها لان اجداد الانسان كانوا يغتذون بالاغذية الغليظة كالنباتات البرية واللحوم النيئة واما الانسان فقد عرف ان ينتخب من النبات ما كان سهل الهضم وان يحضر من الغذاء ما كان سهل التمثيل فاصبحت الاعضاء التي كانت موافقة لاسلافهِ غير موافقة لهُ . وكل حيوان يتمكن من الحصول على اغذية سهلة التمثيل غير جانباً كبيراً او صغيراً من قناتهِ الهضميَّة كالدودة الوحيدة التي تعيش في معى الانسان فانها تعوم في سائل مهيأٍ لتغذيتها ولا تحتاج الى عمل هضمي ففقدت قناتها الهضمية . اما الانسان فلم يتوفر لهُ ذلك تحفظ من المعي الغليظ ما ليس لهُ فيهِ سوى الضرر وقضى عليهِ قانون صحتهِ ان يدخل دائماً في طعامهِ المواد النباتية مراعاة لتركيب قناتهِ الهضمية

والخلاصة انهُ بعد بيان ما ذكر من سوء نظام الجهاز الهضمي وخلل تركيبهِ لم يبقَ مجال للقول بان الاجهزة العضوية تعمل عملها الفسيولوجي طبقاً لغاية مرسومة لها وانها مخلوقة على نظام بديع وكامل لا يقبل التغيير والتبديل لان ما الفائدة من آلات لا عمل لها ومن اجهزة عضوية وجدت لغاية وهي لا تستطيع ان تصل اليها . فالاعضاء الاثرية قد كانت بالحقيقة اكثر كل الظواهر البيولوجية غموضاً واصعبها تفسيراً وقد حاول علماء الطبيعة المتقدمون حلها وارتأوا فيها الآراء الغريبة والمضحكة كقولهم ان الخالق بعد ما بنى الهيكل الانساني ورتَّب فيهِ الاجهزة والاعضاء على نظام متناسب ومتناسق رأى من الحكمة ان يبقي لهُ تلك الاعضاء ولو كانت عديمة الفائدة ليكمل بها النظام والترتيب على نحو ما يفعل اصحاب الرتب الذين يلبسون البدلة الرسمية ويتقلدون السيف بدون ان يجردوهُ . واما المتأخرون فقد هان عليهم حلها والتعليل عن سبب وجودها بناموس الارتقاء لان ضرورة تطبيق العمل على الاحوال الخارجية يقضي بان الاعضاء التي تزيد عملاً تزيد نمواً ونشاطاً والتي يقل عملها يقل نموها ونشاطها حتى اذا انقطعت عنهُ لاستغنائها عما يلزمها من فائدتهِ

ضمرت وخسرت وظيفتها الاَّ ان الوراثة تسلمها من جيل الى آخر وبتوالي الاجيال تختفي او يبقى لها اثر طفيف

فالعوامل الحقيقية اذًا في عالم الحياة ليست الاَّ عوامل طبيعيَّة وترجع في اسبابها الى الطبيعة كما ان العوامل الحقيقية في عالم الجماد هي عوامل طبيعية وراجعة في اسبابها الى الطبيعة ٠ فاذا عرفنا ذلك انجلى لنا الغامض من الكون وادركنا سرَّ تكوينهِ الميكانيكي وتحققنا ان الطبيعة لا تجري مجراها طبقاً لغاية موضوعة لها لاننا اذا انعمنا النظر في العلاقة المشتركة بين الحيوان والنبات بدون ان نستثني الانسان رأينا ما يفسد هذا الزعم اي اننا لا نجد تلك العاطفة بين الكائنات الحية التي يتغزل بها شعراء المحافظين على الاعتقادات التقليدية بل نجد حرباً دموية تستعر نارها على الدوام من الكل ضد الكل ٠ فمجرى الحياة اذًا هو الهوى وحب الذات سواء كان ذلك عن تعقل او عن غير تعقل ووجود الاعضاء الاثرية قد قضى على تلك الاعتقادات الفارغة لا سيما وانها مع عدم فائدتها قد تكون سبباً لامراض واسقام كثيرة والجسم الانساني لا يحسب كاملاً او مرتقياً تمام الارتقاء الاَّ بزوال الاعضاء المضرة منهُ والمخلة ببنائهِ ونظامهِ ٠ على ان الوهم اذا رسخ عُدَّ حقيقةً والاعتقاد اذا تأصل حُسب كل بحثٍ خارج عن حدودهِ كفرًا ولكن العلم لا يقف عند حد الشك ولا يرضى الاَّ بالحقيقة فيبحث عنها اينما كانت وحيثما وجدت ٠ فالتديُّن من صفات الانسان التي يمتاز بها عن الحيوان اذًا لا يستطيع الاَّ ان يدين بدين ولكنهُ يستطيع ان يتوسع في تأويل الدين بحيث لا ينفصل عن العلم كل الانفصال فاذا اعتقد ان الخالق وضع للكون نظاماً عاماً احد نواميسهِ ناموس الارتقاء كان لهُ متسع للبحث والتأويل ونزَّه معبودهُ من صفات النقص التي ليست في الحقيقة الاَّ في عقلهِ وادراكهِ

وخير للدين وللعلم ان يجري كلٌّ منهما في خطتهِ مستقلاً عن الآخر فكما لا يعارض الدين علم الزراعة ولم يعارض علم الطب ولا هذان العلمان يعارضانهِ كذلك يجب ان لا يتعارض هو وعلم الحياة

وقد اقتصرنا فيما تقدم على البحث في بعض الاعضاء الأثرية وخصوصاً ما كان منها في الجهاز الهضمي وبقيت اعضاء اخرى ما لا تقل عنها اهمية وفائدة ولا سيما ما يختص منها بالغرائز والحس وحفظ النوع وسنأتي على ذلك في فرصة ثانية ان شاء الله

الدكتور امين ابو خاطر

تحفة الظرفاء

في تواريخ الملوك والخلفاء

نظم حماد بن محمد بن احمد الباعوني الشامي الدمشقي الشافعي

هذه الارجوزة من عتائق المخطوطات القديمة ولم يذكر تاريخ نسخها ولكن يظهر من شكل كتابتها وورقها انها قديمة العهد ولم اجد لها نظيرًا في المكتبة الخديوية بل رأيت في مجموعة ٢٠ من المكتبة كراسة فيها قصيدة جلال الدين السيوطي مسماة هناك تحفة الظرفاء باسماء الخلفاء وهي معروفة ومطبوعة في ذيل كتابهِ تاريخ الخلفاء وعنوانها فيهِ قصيدة في اسماء الخلفاء ووفياتهم

اما ارجوزة الباعوني فتختلف عن قصيدة السيوطي اختلافًا كليًّا. وقد وجدت ترجمة الباعوني في كتاب ديوان الاسلام للشيخ الامام شمس الدين ابي المعالي محمد بن عبد الرحمن الشافعي الدمشقي العامري المعروف بابن الغزي (وهو خط في المكتبة الخديوية) . قال في قسم الالقاب: "الباعوني: محمد بن احمد بن ناصر الامام الفاضل الاديب شمس الدين الدمشقي الشافعي لهُ مؤلفات منها نظم سيرة مغلطاي وارجوزة في الخلفاء العباسيين وينابيع الاحزان توفي بدمشق سنة ٨٧١" اما السيوطي فتوفي سنة ٩١١ هـ

ولا اعلم لماذا خص الارجوزة بتاريخ الخلفاء العباسيين مع انها تحوي تواريخ الامويين ايضاً والدولة الفاطمية ودولة بني ايوب

وقد اقتصرت على الابيات المختصة بالتاريخ وعلقت عليها شرحاً وجيزًا في الحاشية اتماماً للفائدة وذكرت اسماء الخلفاء بين الابيات وهي غير موجودة كذلك في الاصل والارجوزة بعد الفاتحة كما ترى

يوسف اليان سركيس

وبعدُ فالتاريخُ علمٌ شرفهْ عاليةٌ بين الانام غرفهْ

وفيهِ ما فيهِ من المنافعِ حتى لقد قال الامامُ الشافعي

في خبرٍ قد صحَّ عنهُ نقلهُ مَنْ حفظ التاريخ زاد عقلهُ

وهو كلام ظاهرٌ لا شكَّ في صحتهِ وسرّهُ غيرُ خفي

وهـذه ارجوزة لطيفهْ الفاظهـا رشيقة ظريفهْ

فيها تواريخ جميع الخلفا من بعد خير العالمين المصطفى
من حين بايعوا الامام البرّا خلّ النبيّ وهلمّ جرّا
الى زمان المستعين باللهْ بلغهُ الله المرادَ كلّهْ
وبعدهُ الى زمان الاشرفِ عاملهُ الله بلطفهِ الخفيّ

(ابو بكر الصديق)

بعد النبيّ بايع الناس ابا بكرٍ امام المسلمين المجتبي
فتم عامين وثلث عام[1] وعمّ بالفضل وبالانعامِ
وقام في قتال اهل الردّهْ مجتهدًا في كشف تلك الشدّهْ
مجرّدًا مرهفهُ اليماني حتى اعادهم الى الايمانِ

(عمر بن الخطاب)

ثم مضى الى سبيلهِ ومرّ فبايع الناس ابا حفصٍ عمرْ
من بعدهِ بعهدهِ فقاما بهِ منارُ العدلِ واستقاما
واحسن السيرة والسلوكا وارهبت هيبتهُ الملوكا
وشاد اركان الهدى والحقّ وقام في قمع شرار الخلقِ
وبعث البعوث والامدادا لغزوهم وجنّد الاجنادا
واخذ البلاد منهم قسرا وهدّ ركنَ قيصر وكسرى[2]
اقام عشر حجج تليها ستة اشهر يسير فيها
سيرة عدلٍ وصلاحٍ وهدى وحاز في الآخر اجر الشهدا

(عثمان بن عفان)

من بعدهِ قد اشرق الزمانُ لما ولي من بعدهِ عثمانُ
اقام عشر حجج تلتها ثنتان للمدّة اكملتها

---

(١) بويع ابو بكر يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة (٦٣٢ م) وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الاخرة سنة ثلاث عشرة (٦٣٤ م) وله ثلاث وستون سنة

(٢) ولي عمر الخلافة بعهد من ابي بكر في جمادى الاخرة سنة ثلاث عشرة (وقال النووي استخلف عمر يوم توفي ابو بكر) ومات يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين (٦٤٤ م) . وكثرت الفتوح في ايامهِ ففتحت الشام كلها وفلسطين ومصر والجزيرة والعراق حتى بلاد خراسان وفارس وطرابلس المغرب

ومات بعد عصرهِ شهيدا   وكان طول عمرهِ سعيدا [(١)]

(عليّ بن ابي طالب)

فبايعوا من بعدهِ عليًّا   فاصبح الحق بهِ جليًّا
وكيف لا وهو ابن عم الهادي   وسيدِ العبادِ والزهّادِ
فسار فيها سيرةً جميلهْ   وتمَّ فيها مدةً قليلهْ
عدَّتها من السنين اربعْ   وتسعة من الشهور تتبعْ [(٢)]
من بعدما ابدى بها اجتهادهْ   وفاز في المحراب بالشهادهْ

(الحسن بن علي)

فبايعوا من بعدهِ ابنهُ الحسنْ   سبط رسول الله ذا الوجهِ الحسنْ
فسار فيها مبدئًا عفافهْ   وكمَّل الله بهِ الخلافهْ
من بعد ما اقام نصف عام [(٣)]   وصحَّ قول سيد الانامِ
تكون من بعدي ثلاثين سنهْ   خلافةً على السداد حسنهْ
وبعدها ملكًا عضوضًا وصدقْ   وكلما قال النبيُّ فهو حقْ

(معاوية بن ابي سفيان)

وسلَّم الامر الى معاويهْ   ولم يكن في شرف مساويهْ
لكنهُ آثر كشفَ الغمهْ   بالصلح صونًا لدماء الامهْ
وقد جرت بذلك الاقدارُ   والله فعَّالٌ لما يختارُ
ثم استمرَّ بعدهُ معاويهْ   يردي بسيف عزمهِ مناويهْ
اقام عشرةً من الاعوام   وتسعةً يحكم في الانامِ
وزال ملكهُ وولَّى وانقضى   وراح عنهُ مثل امسٍ قد مضى [(٤)]

---

(١) بويع عثمان بالخلافة بعد دفن عمر بثلاث ليالٍ وقتل يوم الجمعة لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة ٣٥ هـ (٦٥٦ م) وله من العمر اثنتان وثمانون سنة

(٢) بويع عليّ بالخلافة الغد من قتل عثمان بالمدينة وتوفي سنة ٤٠ (٦٦١ م) وله ثلاث وستون سنة وقيل كان له تسع عشرة سرية

(٣) ولي الحسن الخلافة بعد قتل ابيهِ بمبايعة اهل الكوفة فاقام فيها ستة اشهر واياماً . ثم سار اليهِ معاوية فارسل اليهِ الحسن يبذل له تسليم الامر اليهِ على ان تكون له الخلافة من بعدهِ وعلى ان لا يطالب احدًا من اهل المدينة والحجاز والعراق بشيءٍ مما كان ايام ابيهِ وعلى ان يقضي ديونهُ . فاجابهُ معاوية الى ما طلب فاصطلحا على ذلك ... ونزل له عن الخلافة ... وكان نزولهُ عنها في سنة احدى واربعين (٦٦١ م) (تاريخ الخلفاء للسيوطي)

(٤) مات معاوية في رجب سنة ٦٠ (٦٨٠ م) ودُفن في باب الجابية وباب الصغير (في دمشق) وقيل انهُ عاش سبعًا وسبعين سنة وكان يضرب بحلمهِ المثل

(يزيد بن معاوية)

ثم تولاّها ابنهُ يزيدُ   والله فعالٌ لما يريدُ

اقام فيها نافذ الاحكامِ   اربعةً تعدُّ في الاعوامِ

تزيد اياماً وجاء اجلهُ   فبان مما قد جناهُ خجلهُ

(معاوية بن يزيد)

فبايعوا لنجلهِ معاويه   واصبحت منهُ البيوت خاويه [1]

فتمَّ فيها اربعين يوماً   وعام في بحر المنون عوماً

(عبد الله بن الزبير)

وبالحجاز والعراق بايعوا   لابن الزبير بعدهُ وشايعوا

وكان سيدًا رزين العقلِ   سيرتهُ سيرة اهل العدلِ

عشر سنين ثم جا الحجاج   في عسكرٍ جمٍّ لهُ عجاجُ

حاربهُ بمكةٍ وقتلهْ   ونقض الحبل الذي قد فتلهْ [2]

(مروان بن الحكم)

فبايعوا من بعدهِ مروانا   بالشام اذ اضحوا لهُ اعوانا

فتمَّ فيها تسعةً من الشهورْ   وباد فيمن قد ابادتهُ الدهورْ

(عبد الملك بن مروان)

ثم تولاّها ابنهُ عبد الملك   وسار في طرق الهلاك وسلك [3]

---

(١) استخلف معاوية ابنهُ بعهد من ابيهِ في ربيع الاول سنة اربع وستين (٦٨٤ م) .. ولما استخلف كان مريضاً فاستمر مريضاً الى ان مات ... وكانت مدة خلافتهِ اربعين يوماً وقيل شهرين وقيل ثلاثة اشهر ومات ولهُ احدى وعشرون سنة ولما احتضر قيل لهُ الا تستخلف قال ما اصبتُ من حلاوتها فلمَ احمل مرارتها (تاريخ الخلفاء للسيوطي) (٢) استمر ابن الزبير بمكة خليفة الى ان تغلب عبد الملك فجهز لقتالهِ الحجاج في اربعين الفاً فحاصرهُ بمكة اشهرًا ورمى عليهِ بالمنجنيق وخذل ابن الزبير اصحابهُ وتسللوا الى الحجاج فظفر بهِ وقتلهُ وصلبهُ وذلك يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جمادى الاولى وقيل الاخرة سنة ثلاث وسبعين (٣) لا يعد مروان في امراء المؤمنين لانهُ خرج على ابن الزبير وقد غلب على الشام ثم مصر واستمر الى ان مات سنة ٦٥ (٦٨٤ م)

فتمّ في الملك الذي قد انقضى عشرين عاماً ثم خلّى ومضى (١)

(الوليد بن يزيد بن عبد الملك)

ثم تولاّها ابنهُ الوليدُ وهو مليك بأسهُ شديدُ
اقام تسعةً من الاعوام سحائب العزّ لهُ هوامي
وتسعة من الشهور بعدها وانجزت لهُ المنون عهدها (٢)

(سليمان بن عبد الملك)

فقام بالامر سليمان اخوهْ وتمّ في الملك على ما ورَّخوهْ
عامين كاملين ثم نصف عامْ وبعدها في لجة المنون عامْ

(عمر بن عبد العزيز)

ثم اقام الله منزل الزمر فيها الاشجّ العادل البرّ عمر
ذا الطلعة البهيَّة الوضيَّهْ فسار فيها السيرة المرضيَّهْ
وتمّ عامين بها ونصفا وطاب نعتاً في الورى ووصفا (٣)

(يزيد بن عبد الملك)

ثم مضى وذكرهُ حميدُ فقام فيها بعدهُ يزيدُ
فتمّ عامين وعامين ومرّ وزال عنهُ ملكهُ وما استمرّ

(هشام بن عبد الملك)

ثم تولى بعدهُ هشامُ فابتهجت مصر به والشامُ

(١) اما عبد الملك بن مروان وإن كان بويع بعهد من ابيهِ في خلافة ابن الزبير (سنة ٦٥) فلم تصح خلافته الى ان قتل ابن الزبير سنة ٧٣ ومات سنة ٨٦ (٧٠٥ م) وهو اول من ضرب الدنانير وكتب عليها بالحرف الكوفي : لا اله الاّ الله وحدهُ لا شريك له

بسم الله ضرب هذا الدينار بمدينة كذا وفي سنة كذا

الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد

محمد رسول الله ارسلهُ بالهدى ودين الحق ليظهرهُ على الدين كلهِ ولو كره المشركون

واقدم دينار معروف للامويين ضرب بدمشق سنة ٧٩ هجرية

(٢) ولي الوليد الخلافة بعهد من ابيهِ في شوال سنة ٨٦ (٧٠٥ م) ومات في سنة ٩٦ (٧١٤ م) وهو الذي بنى جامع دمشق الشهير وفي ايامهِ تمت الفتوحات العظيمة كايام عمر بن الخطاب

(٣) ولد عمر بحلوان قرية بمصر وكان بوجهه شجة ضربة دابة في جبهتهِ وهو غلام . بويع بالخلافة بعهد من سليمان في صفر سنة ٩٩ (٧١٧) فمكث فيها سنتين وخمسة اشهر وقد عدل وردّ المظالم وسنّ السنن الحسنة

فتمّ فيها نحو عشرين سنه وذهبتْ كأنها كانت سنه[١]

(الوليد بن يزيد بن عبد الملك)

وقام بعد موته الوليدُ ابن يزيد الظالمُ العنيدُ
فظهرت منهُ امورٌ شاعتْ عنهُ بكل بلدةٍ وذاعت
فنقموا عليهِ قبح فعلهِ وبادروا حينئذٍ بقتلهِ[٢]

(يزيد بن الوليد)

وصرَّحوا قاطبةً بذمهِ ثم تولى بعدهُ ابن عمهِ
وهو يزيد بن الوليد الناقصُ وكان في ارزاقهم يحاصصُ
شحًّا فسموهُ بهذا الاسمِ وصارفي الالقاب مثل الوسمِ
فتمّ فيها آمرًا وناهيا خمسة اشهرٍ وولى فانيا

(ابراهيم بن الوليد)

فقام ابراهيمُ فيما بعدَهُ وهو اخوهُ ثمّ حلّ لحدَهُ
قتلاً بحدِّ الصارم المهنَّد صارم مروان فتى محمَّد
فيا لهُ من ملك سقوهُ كأس الردى ظلمًا وما ابقوهُ

(مروان بن محمد)

وغاب عند ذاك نجم سعدِه وقام مروان بها من بعدهِ
فتمّ خمس حجج وشهرا وثلث شهر ثم ولى قهرا
ومات مقتولاً بسيف السفّاح وشمّ كافور الحمام النفّاح[٣]

وذهبت دولتهم وزالت واي حالٍ في الورى ماحالت
دانت لهم احدي وتسعين سنه ثم انقضت كانها كانت سنه

---

(١) مات هشام في ربيع الاخر سنة ١٢٥ (٧٤٣ م) (٢) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن الحكم ولد سنة ٩٠ فلما احتضر ابوهُ لم يمكنه ان يستخلفه لانه صبي فعقد لاخيه هشام وجعل هذا ولي العهد من بعد هشام . فتسلم الامر عند موت هشام في ربيع الاخر سنة ١٢٥ وقتل في جمادى الاخرة سنة ١٢٦ (٧٤٤ م) (٣) لما خرج على مروان بنو العباس وعليهم عبد الله بن علي عم السفاح سار لحربهم فالتقى الجمعان بقرب الموصل فانكسر مروان فرجع الى الشام فتبعه عبد الله ففر مروان الى مصر فتبعه صالح اخو عبد الله فالتقيا بقرية بوصير فقتل مروان بها في ذي الحجة من سنة ١٢٧ (٧٤٤ م)

نوادر من لباب الآداب

في كتاب لباب الآداب امور كثيرة مذكورة في كتب الادب وفيهِ امور اخرى وقعت للمؤلف او حدثت في زمانهِ والغالب انهُ لم يذكرها احد غيره كقصة بطريرك الاقباط التي نقلناها عنهُ في مقتطف ابريل . وها نحن موردون الآن حوادث اخرى حدثت في زمانهِ لا لقصد الفكاهة بل للاستدلال على شيء من احوال الناس في عصرهِ اي منذ نحو ثمانمئة سنة . وقد ذكر قبل الحادثة الاولى اسطورة مروية عن الاسكندر المقدوني قال

قال القاضي ابو القسم علي بن عبد المحسن بن علي التنوخي رحمهُ الله حدثني ابو الفرج الاصبهاني من حفظهِ قال قرأت في بعض اخبار الاوائل ان الاسكندر لما انتهى الى الصين ونازل ملكها اتاهُ حاجبهُ وقد مضى من الليل شطرهُ فقال لهُ رسول ملك الصين بالباب يستأذن عليك فقال ائذن لهُ . فلما دخل وقف بين يديهِ وسلم وقال ان رأي الملك ان يخليني فليفعل . فامر الاسكندر من بحضرتهِ بالانصراف وبقي حاجبهُ . فقال لهُ الرسول ان الذي جئت لهُ لا يحتمل ان يسمعهُ غيرك . فامر بتفتيشهِ ففتش فلم يوجد معهُ شيء من السلاح فوضع الاسكندر بين يديهِ سيفاً مجرَّدًا وقال لهُ قف مكانك وقل ما شئت ثم اخرج كل من كان عندهُ . فلما خلا المكان قال لهُ الرسول اني انا ملك الصين لا رسولهُ وقد حضرت اسألك عما تريدهُ فان كان مما يمكن الانقياد اليهِ على اصعب الوجوه اجبت اليهِ وغنيتُ انا وانت عن الحرب . فقال لهُ الاسكندر ما امَّنك مني . فقال علمي بانك رجل عاقل وانهُ ليس بيننا عداوة متقدمة ولا مطالبة بدخل وانك تعلم ان اهل الصين متى قتلتني لا يسلمون اليك ملكهم ولم يمنعهم عدمهم اياي ان ينصبوا لانفسهم ملكاً غيري ثم تنسب انت الى غير الجميل وضد الحزم

فاطرق الاسكندر مفكرًا في مقالتهِ وعلم انهُ رجل عاقل ثم قال لهُ الذي اريد منك ارتفاع ملكك ثلاث سنين عاجلاً ونصف ارتفاعهِ في كل سنة . قال هل غير ذلك قال لا . قال اجبتك . قال فكيف يكون حالك حينئذٍ . قال اكون قتيل اول محارب واكلة اول مفترس . قال فان قنعت منك بارتفاع سنتين كيف يكون حالك قال اصلح اذا لزمت مما تقدم ذكرهُ قال فان قنعت منك بارتفاع سنة واحدة . قال يكون ذلك مذهبًا لجميع لذاتي . قال فان اقتصرت منك على السدس . قال يكون السدس موفرًا والباقي لجيشي واسباب الملك . قال قد اقتصرت على هذا . فشكرهُ وانصرف

فلما اصبح وطلعت الشمس اقبل جيش الصين حتى طبَّق الارض واحاط بجيش الاسكندر حتى خافوا الهلكة وتواثب اصحابهُ فركبوا واستعدُّوا للحرب فبينا هم كذلك اذ ظهر ملك الصين وعليهِ التاج فلما رأى الاسكندر ترجَّل فقال لهُ الاسكندر اغدرت قال لا والله قال فما هذا الجيش قال اردت ان اعلمك اني لم اطعك عن قلة ولا من ضعف ولين ترى الجيش وما غاب عنك اكثر ولكني رأيت العالم الاثير مقبلاً عليك ممكناً لك فعلمتُ انهُ من حارب العالم الاثير غُلب فاردت طاعتهُ بطاعتك والذلة لامرهِ بالذلة لك. فقال الاسكندر ليس مثلك من يؤخذ منهُ شيءٌ فما رأيت بيني وبينك احدًا يستحق التفضيل والوصف بالعقل غيرك وقد اعفيتك من جميع ما اردتهُ منك وانا منصرف عنك . فقال ملك الصين اما اذا فعلت ذاك فلست تخسر . فلما انصرف الاسكندر اتبعهُ ملك الصين من الهدايا والالطاف بضعف ما كان قرَّر معهُ

هذه الاسطورة موضوعة كما لا يخفى وهي ليست من التاريخ في شيء وقد ذكرها المؤلف تمهيدًا للقصة التالية . ويظهر لنا ان القصة التالية صحيحة ولو على وجه الاجمال وتستحق ان تحسب حادثة تاريخية الاَّ اذا قامت ادلة تنفيها وهي

جرى في مدتي ما يشاكل حديث الاسكندر وانا موردهُ وذلك ان الافرنج خذلهم الله لما خرجوا في سنة تسعين واربع مائة وفتحوا انطاكية وقهروا اهل الشام تداخلهم الطمع وحدثتهم نفوسهم بملك بغداد وبلاد الشرق فحشدوا وجمعوا وساروا يريدون البلاد وصاحب الموصل في ذلك الوقت جكرمش فجمع امراء التركمان الأُرتقيَّة ومن قدر عليهِ ولقيهم على الخابور فكسرهم واسر من تقدمهم الملك بغدوين الرويس وجوسلين وسيَّرهم الى قلعة جعبر الى عند الامير شهاب الدين مالك بن سالم واودعهم عندهُ وعاد من بقي من الافرنج الى بلادهم ومقدمهم ميمون صاحب انطاكية فركب في البحر وسار الى بلادهِ يستنجد بالافرنج ويحشد ويرجع فمات قبل ذلك ومات جكرمش صاحب الموصل واقطع السلطان الموصل جاولي سقاوي فعزم على الغزاة وتوجَّه الى الشام فوصل قلعة جعبر وطلب اسارى الافرنج الذين عند صاحبها فقال هم بحكمك قال اقطع عليهم مالاً يشترون بهِ انفسهم فتحدث معهم شهاب الدين وقرَّر عليهم مائة الف دينار وعرف جاولي بذلك فقال انفذلي جوسلين فلما حضر عندهُ قال قطعتم على انفسكم مائة الف دينار . قال نعم . قال تشتهي اهب لك عشرة آلاف دينار قال ما ينكر لمثلك ان يهب عشرة آلاف دينار . قال تشتهي ان اهب لك عشرين الف دينار قال ايصلح للملك مثلك ان يتلاهى بمثلي قال والله ما تلاهيت بك ولو اردت ان آخذ منك المال

ما ابصرتك ولا تحدثت معك . وانا اطلقكم واخلي لكم المال كلهُ بل لي حاجة تقضوها لي قال ما هي . قال صاحب انطاكية وصاحب حلب اعداي اريدكم تعينوني على قتالهم . وكان صاحب انطاكية دنكري وصاحب حلب الملك رضوان . فقال جوسلين نمضي ونجمع فارسنا وراجلنا ونصلك نقاتل معك كل من قاتلك

فاطلقهم فمضوا وحشدوا وجمعوا ووصلوا الى خدمتهِ وسار هو وهم الى لقاء عسكر حلب وعسكر انطاكية حتى التقوا . فحدثني من حضر حربهم قال كان وقع السيوف بينهم يعني الافرنج كوقع الفوس في الحطب فكسرهم صاحب انطاكية فاما المسلمون فطار من سلم منهم واما الافرنج فاسر من فرسانهم جماعة كبيرة فجاؤوا الى عند دنكري صاحب انطاكية ثاني يوم اسرهم وقالوا لهُ اي شيء تريد تعمل بنا . قال احملكم الى انطاكية احبسكم . قالوا والله ما فينا من يشبعك ولا يجيء معك نحن عراة ما معنا ثياب ولا نفقة ولا فرش تنام فيها ولا معنا غلمان يخدموننا . قال واي شيء تعملون . قالوا تخلينا نمضي الى بيوتنا نعمل شغلنا ونجيء الى الحبس . قال امضوا فمضوا واحضروا غلمانهم ونفقاتهم وفرشهم ووصلوا الى عندهِ الى انطاكية فحبسهم الى حين تسهَّل خلاصهم

ومن النوادر التي قال اسامة انها حدثت في زمانهِ ما يأتي

كان بيننا وبين الاسمعيلية قتال في قلعة شيزر في سنة سبع وعشرين وخمس مائة لعملة عملوها علينا ملكوا بها حصن شيزر وجماعتنا في ظاهر البلد ركّاب والشيخ العالم ابو عبد الله محمد بن يوسف بن المنيرة رحمهُ الله في دار والدي يعلّم اخوتي رحمهم الله فلما وقع الصياح في الحصن تراكضنا وصعدنا في الجبال والشيخ ابو عبد الله قد مضى الى دارهِ الى الجامع وكانت دارهُ في الجامع فوصل عمي فخر الدين ابو كامل شافع بن علي رحمهُ الله الى تحت الجامع والشيخ ابو عبد الله مشرف عليهِ فقال لهُ صاحب لعمي يا شيخ ابا عبد الله دلّ لنا حبلاً قال ما عندي حبل قال فدلّ عمامتك فابطأ عليهِ فتجاوزهُ وطلع من مكان آخر فقيل للشيخ ابي عبد الله كنت عريان وعلى رأسك عمامة قال لا ما كان عليَّ عمامة ثم افكر فقال بلى والله قد قال لي وهب بن التنوخي وهو مع الامير فخر الدين ابي كامل شافع دلّ لنا حبلاً قلت ما عندي حبل فقال دلّ لنا عمامتك ولو لم يكن قد رأى عليَّ عمامة ما قال ذلك . فكان رحمهُ الله عريان وعليهِ عمامة ولا يدري بالحال التي هو عليها لرعبهِ وضعف قلبهِ

ومنها كان عندنا بشيزر رجل يقال لهُ محمد البشيبش كان يخدم جدي سديد الملك ابا الحسن علي بن نصر بن منقذ الكناني رحمهُ الله وكيلاً على ضيعهِ ببلد كفر طاب يقال لها

ارجه ادركتهُ وهو شيخ كبير وكان ابداً شجاعاً . قال جئت يوماً في الحر الى ركية ارجه لا شرب فرأيت رجلاً عليهِ معرفة امرأة وعلى كتفهِ كارة ثياب فداخلني الطمع فيهِ فقلت حط الكارة فاظهر لي خوفاً وقال ها يا مولاي وحطها عن كتفهِ فتقدمت اليها لاخذها فمد يدهُ فقبض على ركبتي رفعني عن الارض ثم ضرب بي الارض وبرك عليَّ واخرج من وسطهِ سكيناً كشعلة النار ليقتلني فعلت الصنيعة فنهض عني وخلاَّني وقال لا تحتقر الرجال ثم فتح الكارة فاخرج منها قميصاً دفعهُ اليَّ

ومنها وشاهدت رجلاً من اجنادنا الاكراد ينعت بزهر الدولة بختيار القبرصي سمي بذلك لصغر خلقهِ وكان رحمهُ الله من خيار المسلمين في الشجاعة والدين وقد ظهر عندنا اسد فحمل عليهِ فاستقبلهُ الاسد فخاض بهِ الحصان فرماهُ فجاءهُ الاسد فرفع رجلهُ لقمها الاسد وبادرناهُ فقتلنا الاسد فقلنا لهُ يازهر الدولة ما معنى دفع رجلك الى الاسد قال رأيتها اكسى ما فيَّ في الران والساق والخف فقلت ان امسك اضلاعي كسرها وان مسك رأسي نخشهُ ليشتغل برجلي الى ان يفرج الله . فعجبنا من حضور فكرهِ في ذلك الوقت

وختم المؤلف باب الفراسة بقولهِ: قد اوردت في كتابي المترجم بكتاب الاعتبار عجائب ما باشرتهُ وحضرتهُ وشهدتهُ من الحروب والمضاقات والوقائع منذ كنت ابن خمس عشرة سنة الى ان تجاوزت التسعين وما نالني منها من الجراح والمكاره وانا القائل

الوم الردى كم خضتهُ متعرّضاً ... لهُ وَهوَ عني معرضٌ يتجنّبُ
وكم اخذت مني السيوف مآخذ ... الحمام ولكنْ القضاء مغيّبُ
الى ان تجاوزت الثمانين وانقضت ... تلهنية العيش الذي فيهِ نرغبُ
فكروهما تخشى النفوس من الردى ... الذّ واحلى من حياتي واطيبُ

نقف الآن عند هذا الحد وفي النوادر التي نقلناها امور كثيرة حرية بالنظر من ذلك ذكرهُ كلمة الافرنج بهذا اللفظ الشائع الآن في مصر والشام فاستعمالها كذلك قديم ولا داعي للعدول عنهُ الى كلمة فرنج او فرنجة . ولم نرَ في ما لدينا من التواريخ اشارة الى قصة بغدوين ملك القدس وجوسلين صاحب تل باشر لكن ابا الفرج قال في تاريخهِ ان بغدوين مات في القدس ووصى ببلادهِ للقمص صاحب الرها وهو الذي كان امرهُ جكرميش واطلقهُ سقاوو جاولي . وعليهِ فاسم الموصول راجع الى بغدوين لا الى القمص اذا كان مراد ابي الفرج الاشارة الى امر بغدوين مع جوسلين واطلاق جاولي سقاوي لما . وجاء في

تاريخ الصليبيين للسر جورج كوكس ان جوسلين اعان بلدوين البرجي حتى خلف الملك بلدوين الثاني فجعله بلدوين البرجي اميرًا على الرها لكن جوسلين هذا أُسر اخيرًا سنة ٥٤٦ ومات اسيرًا فهل هو جوسلين عينهُ الذي أُسر اولاً سنة ٤٩٠ او ان اسامة لم يكن يدقق في ذكر السنين كما يظهر مما نقلناهُ عنهُ في الجزء الماضي حيث قال انهُ كان في مصر سنة ٥٤٧ في عهد الملك العادل مع ان الملك العادل خلف الملك الصالح سنة ٦٥٥

وكيفما كانت الحال فالقصة محتملة الصدق ولا بدَّ من انها كانت تروى في عهدهِ حتى تمثل بها وهي تماثل ما يرى عن اخلاق فرسان الصليبيين وشهامتهم وحفظهم للذمام وما كان جاريًا في ذلك العهد من استعانة امراء المسلمين بامراء الصليبيين وامراء الصليبيين بامراء المسلمين

ومنها اهتمام امراء المسلمين بتعليم اولادهم فقد كان ابو اسامة مستخدمًا شيخًا من كبار العلماء لتعليم اولادهِ وظهرت نتيجة تعليمهِ في تفوق اسامة في الانشاء نثرًا ونظمًا

ومنها ان ذلك الزمان كان زمان حروب متتابعة ولذلك كانوا يضطرون ان يقيموا في الحصون ويصعدوا اليها بالحبال

ومنها ان الاسود كانت لا تزال كثيرة في بلاد الشام او في اطرافها فذُكر هذا الاسد من غير استغراب وقد انقرضت الاسود منها الآن. وكتاب الاعتبار لاسامة طبع في لندن وباريس. وواضح مما ذكرهُ هنا انهُ الف كتاب لباب الاداب وعمرهُ اكثر من تسعين سنة فهو ثمرة يانعة من ثمار عقلهِ بعد ان حنكتهُ التجارب وراضتهُ الايام. وفي الكتاب ادلة كثيرة على انهُ لم يقرأهُ بنفسهِ بل قُرئ لهُ لانهُ وقعت في كتابتهِ اغلاط صرفية لا تقع في كتابة مَن كان مثلهُ او لا تقع تحت نظرهِ من غير ان يصلحها كبقاء آخر الناقص مجزومًا وذكر همزة التعدية حيث لا داعي لها وعدم ذكرها حيث هي لازمة كأنَّ الكاتب قرأ ما كتبهُ صحيحًا فلم ينتبه اسامة الى ما بهِ من الخطإِ. وفي الكتاب ادلة على ان الكاتب بيَّض مسودات كانت عند اسامة وخطها غير جلي لانهُ ترك بعض الاعلام الاعجمية ثم كتبها بقلم آخر وهو يقرأ الكتاب على المؤلف او اخطأ في كتابتها ثم اصلحها لما قرأ الكتاب. اما دعاء اسامة على الافرنج بقولهِ خذلهم الله فاقل مما كان يستعملهُ غيرهُ من كتاب عصرهِ

الشيخ ابرهيم اليازجي اللبناني

ولم يحمدوا من عالمٍ غير عاملٍ　　خلاقاً ولا من عاملٍ غير عالمِ

ان بني اليازجي من اسرة حمصية الاصل نشأ من قدمائها كثير من الادباء استكتبهم ولاة عهدهم ولقبوهم باليازجي (كلمة تركية بمعنى الكاتب) وقد اظفرني الحظ ببعض مخطوطات ودواوين ورد فيها ذكر بعض متقدميهم مما نشرتهُ ملخصاً في كتابي (دواني القطوف) الذي كاد طبعهُ ينجز وسيقف عليهِ محبو المطالعة وزبدة ما هنالك ان هذه الاسرة عرفت بثلاثة بطون بنو اليازجي في حصن الاكراد ولبنان وبعض الجهات الأُخر وبنو فياض وباز في بيروت ومن اشهرهم في المعارف بيت العلامة الشيخ ناصيف اليازجي الذي نشأ من افرادهِ صاحب هذه الترجمة

هو ابرهيم بن ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط بن سعد اليازجي الحمصي ولد في بيروت في ٢ اذار سنة ١٨٤٧ م في بيت كان عمادهُ اليازجي الاكبر نجعة الطلاب وشرعة الآداب مكبًّا على التأليف والتصنيف ونظم القصائد والتواريخ الشعرية واجابة مراسليهِ من كبار ادباء عصرهِ في الشام والعراق ومصر وبعض مستشرقي الاوربيين وكثيرًا ما كان ذلك البيت مجمعاً لكبار مرسلي الافرنج وادباء بيروت ولبنان يختلفون اليهِ لاقتباس المعارف وتصحيح ما يكتبون من منظوم ومنثور الى غير ذلك مما انشأ في البنين رغبة في العلم والتحصيل فنشأ المترجم على آسال والدهِ وتلقى عليهِ اللغة العربية وعكف على المطالعة فبرع فيها على حد قول ابن شقيقتهِ الشيخ نجيب الحداد

ورث العلوم وزادها من عندهِ　　كالمال زيد عليهِ من أرباحهِ

فنبغ في المنثور والمنظوم والآداب وهو بين الثانية عشرة والثالثة عشرة من سنيهِ ونظم بعض القصائد وكان يختلف الى مطبعة الاميركان في بيروت ايام كان والدهُ يصحح مطبوعاتها فولع بمعرفة تركيب آلاتها والوقوف على حروفها ونقوشها ونحو ذلك فثبتت فيهِ رغبة في الصناعة وكان شقيقهُ المرحوم الشيخ نصار متقناً لصناعة الصياغة وكثيرًا ما يساعدهُ في بعض النقوش فمال الى اتقان الحفر وصنع الحروف وتأنق في اجادة الرسم والخط فاصبحت حياتهُ اشبه بمثلث ملأت اعمالهُ فراغهُ وكادت اضلاعهُ تكون متساوية لحرصهِ على اتقان كل ما يرغب فيهِ ونقطهُ الثلاث هي النظم والنثر والتفنن (معرفة الفنون الجميلة) فمن هذه النقط

الثلاث اشتهر المترجم بانهُ ناظم وناثر ومتفنن (Artiste) وعليها نبني الآن ترجمتهُ المثلثة الدعائم

نشأ المترجم شاعرًا لان والدهُ كان من كبار الشعراء وكثيرًا ما قرأ مدائح شعراء عصره لهُ وشاهد شقيقهُ المرحوم الشيخ حبيب وشقيقتهُ الشاعرة الناثرة السيدة وردة ولوعين بهِ يعرضان قصائدهما على عماد البيت ومجمع اشعتهِ العلمية فنظم في صباهُ منظومات رشيقة اهمها قصيدة بقيت في زوايا الكتمان نظمها على ما نظن في اوائل سنة ١٨٦٩ م وتلاها في احد المنتديات ننشرها برمتها لندرتها

برأيك لذ إذا عزَّ النصيرُ	ولا يبعث بهمتك الفتورُ
وأسهر في ظلام الليل جفناً	لهُ من فكرهِ قمرٌ منيرُ
ولا تكل الامور الى بنانٍ	تكون لغيرها تلك الامورُ
فأصدق من سعى لك انت في ما	تحاولهُ وانت بهِ جديرُ
وقد تُلقى الامورُ الى غيورٍ	ولكن ربما سئم الغيورُ
أتمَّ مناك ما تسعى اليهِ	بنفسك عامدًا لا تستعيرُ
تناولت البدورُ ضياء شمسٍ	فلم تسلم من الظلم البدورُ
ولسنا الجاحدين لفضل قومٍ	لهم ما بيننا فضلٌ شهيرُ
رجالٌ احسنوا صنعاً ولكن	بما في البيت صاحبهُ خبيرُ
اذا مضت الحياة على رقادٍ	تشابهت المضاجع والقبورُ
اذا سهل الطريق امام ماشٍ	فليس يصدهُ الاَّ القصورُ
اذا صدقت بما تبغي النوايا	فليس لاهلها باعٌ قصيرُ
فقم بالامر عن قلبٍ سليمٍ	يعاضد صدقهُ العزمُ الجسورُ
ولا تذهب بك الاهواء يوماً	فراكب سبلها غاوٍ عثورُ
اراها باللسان قد اشتبهنا	وما يجدي اذا اختلف الضميرُ
لكل الطير اجنحة وريشٌ	ولكن بينها ما لا يطيرُ
وان الحق بين الناس شمسٌ	على أُفق العقول لها ظهورُ
فمنهُ لأكبد الجهلاء نارٌ	ومنهُ لاعين العقلاء نورُ
ألسنا في رعاية من تحلت	بذكرهم الصحائف والعصورُ
وابدوا في المعارف كل شمسٍ	يزان بحسن بهجتها الاثيرُ
أينثني من تقدمنا المعالي	فان بلغت ايادينا تبورُ

كأني بالبلاد تنوح حزناً وقد أودى بعظمتها الثبورُ
يحنُّ الارز في لبنان شجواً وتندب بعد ذاك العز صورُ
وتدمرُ في دمارٍ مستمرٍ وما سكانها الاّ النسورُ
واضحت بعلبك وليس فيها سوى خربٍ لعظمتها تشيرُ
فلو درت البلاد بما عراها لكادت من تلهفها تمورُ
بكم وبسعيكم تبنى المعالي وينمو روضها الزاهي النضيرُ
فانكمُ لها اهلٌ وإلاّ فليس لها بغيركمُ أسيرُ
فجدوا واصبروا في كل خطبٍ فليس بفائزٍ الاّ الصبورُ
وظلُّ الدولة العظمى علينا تقارنهُ السعادة والسرورُ
فذلك فوق دوح العدل غيثٌ وذلك حول روض العلم سورُ

ومن قديم منظومهِ مرثية الشيخ عبد الباقي العمري[1] شاعر العراق الشهير التي قال في مطلعها

اری الموت صاح لا يزيغ لهُ فكرُ ونحن نشاوى قد تملكنا السكرُ
سكرنا بدنيانا التي تسكر النهى بكاسٍ لها سكرٌ وليس لها خمرُ

ومنهُ في مدح المغفور لهُ نصري فرنكو باشا لما تقلد منصب المتصرفية اللبنانية سنة ١٨٦٨ م بقصيدة مشهورة مطلعها

نسائم نجد هل تحملتِ من نجدِ اليَّ سوى حرّ الصبابة والوجدِ

ومن رشيق غزلياتهِ قولهُ من قصيدة

ما مرَّ ذكرك خاطراً في خاطري الاّ استباح الشوق هتك سرائري
وتصبَّبت وجداً عليك نواظرٌ باتت بليلٍ من جفائك ساهرِ

ومن بديع ابياتها قولهُ

كن كيف شئت تجد محبك مثلما تهوى على الحالين غير مغايرِ
صبري عليك بما اردت مطاوعٌ أبداً ولكن عنك لست بصابرِ

---

(١) لما انتهت هذه المرثية الى بغداد مع مرثية والد المترجم في الشيخ عبد الباقي التي مطلعها :

اری فتنة الدنيا هي الآية الكبرى يضلُّ بها المادي فيلهو عن الاخرى

كتب اليها ولد المرثي هذين البيتين :

أبيتما لابنتنا سيداً نحن الى تأبينهِ نخشع
لولم تكن قدسية روحهُ لما رثاهُ الآب والابن

ومن قصيدة أخرى في الوداع

وداعٌ وما يغني الوداع من الوجدِ ولكنهُ زادُ المشوق على البعدِ (١)

وما هي الاّ وقفة عند فائتٍ تمازج فيها مظما الصاب والشهدِ

ومن رشيق ابياتها قولهُ

تمتَّع قُبيل الظعن من روضها الندي ومن عرفها الشافي ومن مائها العدِّ

فما قليلٍ انت في متن سابحٍ توقَّل في هضبٍ وتهبط في وهدِ

ورب يسير يحسب الحظ كلهُ اذا لم تجد فيهِ سبيلاً الى الردّ

ومن زهرياتهِ ما انشدهُ في المدرسة البطريركية الكاثوليكية بحفلة سنة ١٨٧٠ م من قصيدة

قام الهزار على الأراكة خاطبا لجنا الزهور مفارقاً ومناكبا

ودعا يسبح باسم خالقنا الذي جعل المياه لهنَّ قوتاً لازبا

وهو الذي بعث المياه مسخَّرًا هوج الرياح لكي تثير سحائبا

فاذا انقضى ماء الغمام بجوّهِ أجرى لهنَّ من الجماد مشاربا

زجر الصخور برعدهِ فتصدّعت رهباً فاخرجت اللجين الذائبا

حتى سقين بهِ فعاد زمرّدًا بجمال نضرتهِ كسينَ جلاببا

سبحان من شمل الجميع بجودهِ كرماً فلم يترك لديهِ خائبا

ومن قصيدة في مدح السلطان عبد العزيز

على مثل هذا المجد ينعقد الفخرُ فما كلُّ بادٍ تحت ذيل الدجى بدرُ

وختمها بقولهِ

يحق على الافلاك جمع نجومها فيكتبُ منها في مدائحهِ سفرُ

وقال يرثي الطبيب يوسف الجلخ سنة ١٨٦٩ من قصيدة وكان صديقاً حميماً لهُ

جهد الحزين اذا صرف القضا نزلا ان يجتزي من حشاهُ بالذي فعلا

ويبتلي مقلتيهِ بالبكا وكفى بمن بكى قبلنا ناهٍ لو امتثلا

سلا المحبون بعد اليأس فاتخذوا تلك الشجون الى سلوانهم سبلا

قد اوجد الفقد حزناً للفتى فبكى واوجب الحزن صبرًا بعدهُ فسلا

استغفر الله ما دمعي بممتسكٍ ولا فؤادي عن الاشجان مشتغلا

---

(١) عارض بهذا البيت قول والدهِ من قصيدة :

سلام وما يغني السلامُ على البعدِ ولكنهُ اولى بتذكرة العهدِ

ولا يطاوعني صبري فآلفهُ على الذي بي ولو طاوعتهُ عدلا

الى ان قال :

في ذمة الله من عندي لهُ ذمم في الحب ليس بفيها مدمع هطلا
لقد ترحّل عن عيني واودعها شخصاً يلوح خيالاً ليس مرتحلا
فظلَّ يوسعها شجواً وتوسعهُ غـلاً يعارض دمع فوقهُ انهملا

ومن قصائدهِ المستطيرة الشهرة وصفهُ للزهرة في معظم تألقها وذلك في اثناء شهر فبراير (شباط) سنة ١٨٨٣ بمنظومة طويلة استرسل فيها الى المقابلة بينها و بين الارض ونشر مقتطفها في الضياء ١ : ٢٣٢ مطلعها

قف بي نحيي رباها ايها الحادي فتلك ابياتها في عدوة الوادي
قد خيمت باللوى الغربي ضاربة عليهِ اطنابها من غير اوتادِ
تمشي الهوينى كما مرَّ النسيم ضحًى في هودج من شعاع النور وقادِ
يحجب البعدُ سياها فان قربت صدَّت دلالاً فزادت غلة الصادي
يسارق الطرف عين الشمس منظرها فالشمس من دونها حلّت بمرصادِ
حتى اذا هجمت في ليلها ظفرت منها العيونُ بلمح الميسم البادي

ومنها : يا ليت شعريَ هل تدرين موضعنا وهل لديكِ رجال اهل ارصادِ
وهل رأوا ركبنا النوريَّ منطلقاً في ليلهم بين تصويبٍ واصعادِ
وهل اقاموا لنا مثل الذي رفعت آباؤُنا للشرِ من تكريم عبادِ
فذي هياكلك الشماء قد شخصت هاماتها في الذرى امثال اطوادِ

ومن ذلك قولهُ يهنئ سعادتلو نسيب بك جنبلاط بالرتبة الاولى سنة ١٨٨٤ م من قصيدة رشيقة قال فيها :

رعى الله مغنًى بالعُذَيب ومعهدا ثمنا بهِ الاوطار مثنًى وموحدا
مراتع آرام وردنا بها المنى على حين لم يطرق لنا الدهر موردا
نغازل من غزلانها كل آنسٍ ونهصر من اغصانها كلَّ أملدا
ونرشف للافواه جاماً ممسكاً ونلثم للجامات ثغراً منضدا
أُويقات أعطاف الشبيبة غضة على نسمات اللهو مالت تأوُّدا
وقد غفلت عنا الخطوب بليلها وقدماً عهدنا حادث الدهر أرودا
أأحبابنا هل اورق الزندُ بعدنا وهل انشتكم روضة البان مقعدا

وهل مرَّ للمشتاق ذكرٌ بحيكم فما زال ذكر الحي عندي مردَّدا
ليهنئكمُ أن طاعكم بعدنا الكرى فمذ بينكم لم نوطىء الجنب مرقدا
ولا زارنا الصبر الجميلُ فليتكم أمام النوى شاطرتمونا التجلُّدا

الى ان قال :

وما يعدم الانسان في الارض صحبة ولكنَّ بعض الصحب ادنى الى العدى
فما اكثر الأُلاَّف في كل بلدةٍ واكثر قول الزور ممن تودَّدا

ومن مديحها قولهُ :

كريم تبدَّى من كرام مناصبٍ لذاك تسمَّى بالسيب فما اعتدى
جميل الثنا يستغرق المدح وصفهُ كما استغرق الالفاظ احرف أبجدا
تناول ارث المجد قبل رضاعهِ وصاحب ترب المجد طفلاً وامردا

ومن اواخرمنظوماتهِ في سورية قصيدة مدح بها صاحب السعادة المركيز موسى افندي فريج بتوجيه الرتبة الاولى السنيَّة اليهِ سنة ١٨٩٣ م قال منها :

أأحبابنا هل لذاك العهد تذكارُ يدني اليكم اذا لم تدننا الدارُ

ومن محاسنها تخلصهُ بقولهِ :

ايام نعشو الى ضوء الشمول وقد بدا لنا تحت جنح الليل اسفارُ
صهباء تكسو الندامى من اشعتها كوجه موسى وقد ضاءت لهُ النارُ
مبارك الوجه صافي السرقد هبطت عليهِ من أُفق الرضوان أنوارُ
في طاعة الله ممساهُ ومصبحهُ ومنهُ للخير اعلان واسرارُ

ومن لطيف حكمها قولهُ

الفقر اجمل ثوب للئيم وان عاب الكريم وبعض الفقر ستارُ
وشرُّ ما امتاز قدر الاغنياء بهِ اذا غلت منهمُ بالفلس اسعارُ

ومن اوائل قصائدهِ بعد انتقالهِ الى القطر المصري قولهُ في مدح سمو الخديوي الحالي عباس باشا من قصيدة :

زمان الحمى هل من معادٍ فنطمعا وغمسك اكبادًا تذوب واضلعا
ويا منزل الاحباب هل فيك وقفة تجدّد تذكاري وان كان موجعا
ويا نسمات المنحنى كيف اهلهُ وهل طاب بعدي ذلك الحيُّ مرتعا

ثم انتقل الى الشكوى من الوطن وانقلاب حالتهِ العلمية وتخلص الى مدح الخديوي بقولهِ

تدرَّعتُ فيك الصبر حتى اذا عفا تخذت حمى العباس حصناً ومفزعا
همام تولى الأمر وهو على شفا فشيَّد من اركانهِ ما تضعضعا
تقلَّد اعباء الرئاسة امرداً وقد عرفتهُ قبل ذلك مرضعا
فكانت لهُ أمًّا وكان لها أبًا غذتهُ وربَّاها وقد نشأا معا

ومن مقاطيعهِ البليغة قولهُ :

تعجب قوم من تأخر حالنا ولا عجبٌ من حالنا ان تأخرا
فمذ اصبحت اذنابنا وهي أرؤُسٌ غدونا بحكم الطبع نمشي الى الورا

وقال في صدر مقالة (البرد) في مجلة الطبيب :

والنجم قد عمَّ المشيب رؤُوسهُ جزعاً وخرَّ على الصعيد طريحا
واقام لا يدري أبات مكفناً فوق الثرى ام كان ذاك ضريحا

وقال في مقالة اخرى يصف الغمام الماطر

تحكي مآزر رطبة نشرت على متن العواصف وهي ترشح بالندى
وكأن ذاك القطر ذوب لآلئ سالت فاضحت في الغصون زمرّدا

وقال في صورة شمسية :

ومصوَّر بالشمس وهو نظيرها اهدتهُ صورتها برسم مثالهِ
ولو ان شمساً صوّرت بضيائها ما صوَّروهُ بغير نور جمالهِ

وقال وقد كتبهما على رسمهِ مضمناً :

هذا مثال من انطوت منهُ على الودّ الضمائر
يبدي لديك ظواهري "والله اعلم بالسرائر"

وقال يصف الحسن :

وقائل صف لنا ما الحسن قلت لهُ هذا الذي ليس للتعريف فيهِ يدُ
لا يجهل الحسن ما بين الورى احدٌ وليس يعلم منهم كنههُ احدُ
سرٌّ يلوح وراء الحسّ مرتسماً في النفس وهو عن الادراك منفردُ
لكن ترى العين منهُ شكل حاملهِ وانما حظها مما ترى الجسدُ

وكتب على احدى حنايا قلعة بعلبك بخطهِ الدقيق لما زارها

يا بعلبكٌ غريبة الازمانِ والعهد والصنَّاع والبنيانِ

لم تبلك الايام في حدثانها ... الاَّ لتظهر قدرة الرحمانِ (١)

وقال في الساعة الدقَّاقة :

لنا ساعة دقَّت لها جرس الحزنِ ... ومحصيةٍ اعمارنا كلما انقضت

فيا بنت هذا الدهر مرت مسيره ... فهل انت دون الناس منهُ على أمنِ

وقال في كريستوف كولمب مكتشف اميركا وقد نقشت بخطهِ الجميل في اول التقاريظ الآسوية وذلك في كتاب جمع التقاريظ بمعظم اللغات المشهورة طبع في ميلانو بايطالية :

ابقى خريستوف الشهير لنفسهِ ... ذكرًا على الايام ليس يبيدُ

رجلٌ لقد فتح البلاد بصبرهِ ... ولهُ من الهمم الجسام جنودُ

قد زادهذي الارض ارضاً مثلها ... ليديهِ ألقي كنزها المرصودُ

برزت اليهِ من الغيوب كأنها ... خلق سوى الخلق القديم جديدُ

فكأَنهُ اذ حلَّ فيها آدمٌ ... وكأَنها فردوسهُ المعهودُ

وذل وقد نقشا على عود طربٍ وفيهما استخدامان بديعيان :

وعود صفا الندمانُ قدماً بظلّهِ ... وما برحت تصفو لديهِ المجالسُ

تعشَّقهُ طيرُ الأراكة أخضرًا ... وحنَّ عليهِ ريشهُ وهو يابسُ (٢)

ولهُ كثيرمن التواريخ الشعرية من اقدمها قولهُ في كتاب مفتاح المصباح للعلاَّمة بطرس البستاني سنة ١٨٦٢

هذا كتاب عظيم النفع قد قضيت ... في الصرف والنحو منهُ حاجة العربِ

---

(١) ومن لطيف المعارضات ما قالهُ الاستاذ ابرهيم افندي الحوراني لما وقف على هذين البيتين :

يا هيكلاً فيهِ العقول تحيرت ... يا معقلاً لمفرّق الاديانِ

لم تبقك الايام في حدثانها ... الاَّ لتظهر قدرة الانسانِ

فوفق بينهما المرحوم سليم بك نقلا بقولهِ :

يا بعلبك فريدة البلدانِ ... بعجائب البنيان والاتقانِ

قد انشأ وك غريبة كي يعربوا ... عن قدرة الرحمان بالانسانِ

(٢) نظم في مثل هذا المعنى ابن سعيد القيرواني هذين البيتين :

سقى الله ارضاً انبتت عودك الذي ... زكت منهُ اغصانٌ وطابت مغارسُ

تغنّى عليها الطير وهي رطيبة ... وغنت عليها الناس والعود يابسُ

وتابعهُ شاعر آخر بقولهِ : وعود لهُ نوعان من لذة الغنا ... فبورك جانٍ يجتنيهِ وغارسُ

تغنت عليهِ وهو رطبٌ حمامةٌ ... وغنت عليهِ قينةٌ وهو يابسُ

ولكن اليازجي زاد عليها معنى الظل والريش والصفاء والحنين وزادهُ حسناً استخدامهُ البديعي في كل منها فضلاً عن رشاقة اللفظ ما يشهد بهِ كل ذي ذوق سليم

جلّت كما قال تاريخي مقاصدهُ فذاك مفتاح كنز العلم والأدبِ

وقوله في اجراء سبيل ماء اوصى بهِ يوحنا الجمال قبل وفاتهِ سنة ١٨٧٦ :

من مال يوحنا بن جمال جرى هذا السبيل فصحَّ فيهِ ثوابهُ
فغدا لأَصداف النواظر بهجةً أَرّخ وللظامين راق شرابهُ

ولهُ قصيدة تاريخية تحدَّى فيها طريقة شاكر الخلاوي وهي في مدح ساكن الجنان السلطان عبد العزيز خان وزع على اوائلها بيتين ضمنهما ثمانية تواريخ لسنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٨م) وضمَّن في كل بيت من القصيدة تاريخين هجريين لهذه السنة ومن اسبقها قولهُ

افدي الدُمى في مصون الحجب قد كسرت الحاظها كلَّ قلبٍ من محبيها
كواعب ظلمت حورًا بجنتها تفدى بنفسي فما ابهى تجليها

وقولهُ مؤرخًا ضريح المرحوم والدهِ المتوفى سنة ١٨٧١ من ابيات

لو انصفتك النائبات لغيَّرت عاداتها ووقتك حادثة الرَّدى
لتنزّلُ الاملاك حولك بالرضى ويجود فوقك باكيًا قطر الندى
وجميل حظك في الاعالي رحمة أَرّخ وذكر في الصحائف خلّدا

وقولهُ يؤرخ ضريح المرحوم مراد مسلّم من زحلة المتوفى سنة ١٨٨١ من ابيات :

وبكى ذوو الحاجات خير ذخيرةٍ دفنت بها الايام اكرم جوهرِ
في تربة كتب المؤرخ فوقها يا رمس قد حزت المراد فأَبشرِ

وقولهُ يؤرخ ضريح الصحفي الشهير سليم بك نقلا اللبناني المتوفى سنة ١٨٩٢ من ابيات

ولقد مضى نحو البقاء فضمّهُ بجوار خالقهِ رضىً ونعيمُ
فاتيت بالتاريخ ألفظ قائلاً قد حلَّ في دار السلام سليمُ

الى غير ذلك مما يدل على انهُ شاعر عصري جمع بين طريقتي المتقدمين والمتأخرين مع مراعاة الشاعرية العربية المحضة وتحدي اساليب البلغاء فعرف شعرهُ " بنباهة اغراضهِ وسمو معانيهِ والاكثار فيهِ من الصور الخيالية والتفنن في اساليب المجاز مع توخي الالفاظ الفصيحة والتراكيب البليغة التي لم تألفها العامة ولم تبتذل في استعمال الخاصة " وكأني بهِ انقطع عنهُ لكساد بضاعتهِ عندنا وتفرغًا الى ما هو اجدى نفعًا عملاً بقول المرحوم والدهِ :

وقد شقَّ نظم الشعر عندي لعلةٍ يشقُّ على قلبي الصبور جحودُها
من الشعر مدحٌ قلَّ من يستحقهُ وصنعة هجوٍ استُ ممن يريدها

(ستأتي البقية) عيسى اسكندر المعلوف

الاشباه والنظائر

الضفدع معروفة لونها الغالب رمادي ضارب الى الخضرة كوحل المستنقعات التي تكون فيها ولكنها قد تكون خضراء زاهية اللون كالحشيش الاخضر الذي تكون بينهُ . ويظهر باول نظر انها تستفيد من اتخاذها اللون المماثل لما حولها حتى لا يهتدي اليها اعداؤها . هذا هو التعليل الذي جرى عليهِ علماء الطبيعة حتى الآن وتراهم يعللون بهِ كل الاشباه والنظائر اي ان اشكال الحيوان تختلف وتتنوع من وقت الى آخر فالشكل الذي تكون منهُ فائدة إما بوقاية الحيوان او بتسهيل الاغتذاء عليهِ يكون ابقى من غيرهِ لان الحيوان المتصف بهِ لا يتعرَّض للهلكة مثل سواهُ فيصير اقوى على البقاء واخلاف النسل الى ان ترسخ تلك الصفة في نسلهِ بالوراثة . وبهذه القاعدة يفسَّر كثير من الظواهر الطبيعيَّة في الحيوان والنبات ولاسيما تمثُّل الحيوان بالنبات وتمثُّل النبات بالحيوان وتمثُّل غير السام من الحيوانات بالسام وتمثُّل السام بغير السام

دخلنا دار التاريخ الطبيعي ذات يوم في مدرسة جنيفا الجامعة فرأينا فيها غصن شجرة كبيرة بفروعهِ الكثيرة فظننا في اول الامر انهُ من الاشجار الغريبة ولذلك وضع في تلك الدار وجعلنا ننظر فيهِ لنرى وجه غرابتهِ فتجلَّى لنا بما يدهش الابصار . فاننا رأيناهُ مملوءا بالفراش والديدان المختلفة في اشكال الاغصان والاوراق والازهار والاثمار ولا تفرقها عنها الَّا بعد تدقيق النظر وكلها ميتة ومصبَّرة

والذين يصطادون الحجل والسماني والقطا الكدري يعلمون انها كلها تختفي عن عين الصياد لمشابهتها ما حولها من الاتربة والحجارة والاعشاب اليابسة . هذا كلهُ مذكور في كتب العلم ومسلم بهِ ولكن يرى الباحث في الطبيعة مشابهات اخرى غريبة في بابها ولا يرى لها تعليلاً ولا تفسيرًا فزيز دود الحرير وزيز كثير من الديدان يشبه الموميا المصرية المقمطة حتى يكاد المرء يظن ان قدماء المصريين لفوا اجسام موتاهم وقمطوها حتى تشبه في شكلها الظاهر زيز الدود تفاؤلاً برجوع الحياة اليها وتقمصها كما يتقمص الزيز فراشةً . فان كانت المشابهة بين الزيز والمومياء حادثة من قبَل الانسان لا من قبَل الديدان فقد ظهر سببها ولكن زيزان الديدان قد تتشكل بشكل رأس الانسان لا بشكل المومياء فيكون لها ما يشبه العينين والحاجبين والانف والفم وقد صوَّر بعضهم زيز دودة وهو مثل رأس القرد المعروف بالشمبانزي تمامًا في شكلهِ وغضون وجههِ كما ترى في الشكل الاول على الصفحة التالية

واغرب من ذلك زيز نوع من الفراش فانهُ يشبه في شكلهِ وجه انسان شيخ اقنى الانف



الشكل الاول

طويل الحاجبين مكحول العينين رقيق الشفتين كما ترى في الشكل الثاني. ومن هذا القبيل



الشكل الثاني

نوع من السرطان يكثر في سواحل بلاد اليابان وعلى ظهرهِ شكل مثل شكل وجه الانسان

ويقول اليابانيون انهُ حدثت حرب بحرية دموية سنة ١١٨٤ للميلاد في المكان الذي يكثر فيهِ هذا السرطان قتل فيها خلق كثير منهم فتقمصت ارواحهم في اجسام السراطين ومن ثم صارت السراطين تولد وعلى ظهر كلٍّ منها وجه انسان ٠ ولا يخفى فساد هذه الخرافة ولكن ظهور صورة الانسان على ظهر السرطان من الغرائب التي لا تعلَّل ٠ وقد قال الاستاذ باشفورد دين من اساتذة مدرسة كولمبيا الجامعة ان شكل هذا الوجه مثل شكل وجوه المشارقة وهو اشبه بوجوه الصينيين والكوريين منهُ بوجوه اليابانيين الحاليين او هو مثل وجه شاب غرق فورم انفهُ وانفتح شدقهُ اما نحن فاننا رأينا صورة هذا الوجه فلم نرَ فيها مشابهة كبيرة لصورة وجه الانسان ولعلها قريبة من صورة الهر

ووجدت في اغرا ببلاد الهند جمجمة معزاة تشبه في شكلها وجه القرد الهندي الذي يكثر في تلك البلاد مع ما حولهُ من الشعر ٠ ولا يخفى انهُ يظهر على بزور البطيخ واللوبياء احياناً كثيرة خطوط سوداء وبيضاء كأنها كتابة عربية او هيروغليفية والمشابهة بينها وبين الكتابة قريبة جدًّا حتى كنا نحاول احياناً قراءتها فما هو سببها وكيف تكوَّنت ولماذا اتخذت هذه الاشكال دون غيرها ٠ هذه المسائل وامثالها من الغوامض التي يتعذَّر حلها بما لدينا من القواعد العلمية

ووجدت عظمة من عظام اذن الحوت ملقاةً على الساحل في بلاد نروج وهي تشبه وجه الانسان اذا نُظر اليهِ عن جانب وانفهُ اخنس وذقنهُ قصيرة مرتدة الى الوراء

وكثيرًا ما ترى سمكاً نهريًّا رأسهُ يشبه رأس الهر او ترى فراشاً على جناحيهِ صور عيون وحواجب كأنها عيون الانسان او غيرهِ من الحيوان ٠ ومشابهة جذر اللفَّاح لساقي الانسان وجذعهِ معروفة ٠ ولا يُنكر ان المحتالين يهذبون هذا الجذر حتى تزيد مشابهتهُ ولكنهُ قد لا يخلو من المشابهة قبل التهذيب ٠ ومشابهة بعض الحيوانات البحرية للنباتات ومشابهة النباتات للحيوانات معروفة مشهورة وامثلتها تفوق الاحصاء

وخلاصة المقال ان تمثُّل الحيوانات بعضها ببعض وبالنباتات وتمثل النباتات بعضها ببعض وبالحيوانات نافع لها وقد رسخ فيها بسبب نفعهِ لها ولكن ما كل تماثل نافع والامثلة التي ذكرناها لا يعرف سببها ولا نفعها

الولايات المتحدة واليابان

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبهِ الدمُ

لما كان رجال الخيال يهتمون بعقد مؤتمر السلم قصد ابطال الحرب كان رجال الحقيقة يبنون البوارج ويسبكون المدافع قصد ابطال الحرب ايضاً

وكلٌّ يدّعي وجداً بليلى وليلى لا تقرُّ لهُ بذاكا

وانفضَّ المؤتمر بعد ان وضع قواعد الحرب لا قواعد السلم وعادت مجالس النواب في انكلترا والمانيا وفرنسا وروسيا واميركا تتبارى في النفقات الحربيَّة ناظرة من طرف خفي الى تلك الدولة الشرقية التي بزغت من الشرق الاقصى كما تبزغ الشمس فبهر نورها عيون الاوربيين والاميركيين

لما قارب العام الماضي الختام كانت الاشاعات قد ملأَت الاقطار عن حرب يهتز لها الثقلان تنشب بين اميركا واليابان . وكُذبت الاشاعات وحُققت مراراً وسار الاسطول الاميركي الى الشرق الاقصى ليراهُ اليابانيون ويعتبروا فلا يغتروا بانفسهم او ليختبر سير البحر فلا يغتر بهِ اصحابهُ قبل ان يجربوهُ . ذهب وعاد ولم تنفَّ المخاوف بل زادت رسوخاً وجاء الآن رجل من رجال البحرية الاميركية بمقالة ضافية في مجلة الكوسموبولتن الاميركية وهو من الثقات الذين يؤخذ بقولهم ويعوَّل على رأْيهم فبيَّن استعداد اليابان لهذه الحرب ورجَّح وقوعها في القريب العاجل وهاك خلاصة ما قالهُ في هذا الصدد

ان ذهاب الاسطول الاميركي من الاوقيانوس الاتلنتيكي الى الاوقيانوس الباسيفيكي اي من شرقي الولايات المتحدة الى غربيها اذهل ممالك العالم لان هذه هي اول مرة وقف فيها الشعب الابيض والشعب الاصفر احدهما حيال الآخر ونظرا الى امر لهُ الشأن الاكبر في مصالح الامم كيف لا وقد اضطرت اميركا ان تترك سواحلها الشرقية عرضة لهجوم الدول الاوربيَّة وتجمع قواها الحربيَّة على سواحلها الغربيَّة خوفاً من تلك الدولة الشرقية المقابلة لها على الجهة الاخرى من الاوقيانوس الباسيفيكي فان علائقنا مع الدول الاوربيَّة لم تتغير قط ولكن علاقتنا مع الدولة الاسيوية اي دولة اليابان ليست على ما يرام . لم تزد مخاطرنا في الاوقيانوس الشرقي عما كانت عليهِ ولكن مخاوفنا في الاوقيانوس الغربي قد زادت كثيراً ولذلك اضطر رئيسنا ورجال حكومتنا ان يراعوا مقتضيات الحال وينقلوا اسطولنا من الشرق الى الغرب

مضى على اليابان عشرون سنة وهي تبذل اقصى جهدها في الانتفاع بكل مكتشفات الامم الغربيَّة ولذلك فهي قابضة الآن على نتائج العلم والعرفان وقد فاقت بذلك كل دولة من دول اوربا واميركا . فان الدولة من هذه الدول بنت اساطيلها وعبأت جنودها على حسب ما دلها علمها واختبارها جامعة بين الغث والسمين والفاضل والمفضول واما اليابان فاختارت الاصلح من كل شيء . خرجت من فيافي الهمجيَّة ودخلت رياض العمران من باب الحرب. خرجت من معامع الحروب الاهلية التي خرجت منها اوربا في القرون الوسطى ولم يدخلها الشعب الاميركي قط فرجالها رجال حرب محنكون لم ينسوا ما شبُّوا عليهِ وشابوا وجاءتهم العلوم الحديثة فزادتهم خبرةً ودربةً ثم نشبت الحرب بينهم وبين الروس فقرنوا العلم بالعمل وزادوا جرأةً وحنكةً واذا لم تقاومهم دولة اقوى منهم تكبح جماحهم وتزيل برقع الخيلاء عن عيونهم فلا يعلم الاَّ الله ما تكون عاقبة امرهم . وهذه الدولة هي الولايات المتحدة فعليها ان تسبر غور اليابان وتعلم مقدار قوتها وتقابلها بقوة اعظم منها والاَّ فلا شيء يضمن حفظ السلم واستتباب الامن والعدل في الدنيا

واليابانيون امة عظيمة كانت تعدُّ من الامم الهمجية فاثبتت قوتها في ساحة القتال وخرجت منها ظافرة باكبر دولة برية من دول اوربا ولم تكد تفتح عينيها وترانا حتى وجدت اننا غير قادرين على حفظ حقوقنا وهي مجاورة لنا وقد تقضي عليها مصالحها ان تكون معنا على صداقة تامَّة او على عداء تام

ان قوة الامة حاصلة من مجموع قوات رجالها القادرين على النزول الى ساحة القتال ومن مقدار ما عندهم من الاهبة لذلك وما لديهم من وسائل الهجوم والدفاع

وسكان اليابان خمسون مليونًا من النفوس فهم اكثر من سكان انكلترا اوفرنسا او النمسا ولا يفوقهم عدًّا الاَّ سكان روسيا وسكان المانيا واميركا . ويستطيع اليابانيون ان يعتمدوا على الصينيين ويستعينوا بهم وهم اربع مئة وخمسون مليونًا من النفوس فهم وسكان الصين اكثر من كل سكان اوربا واميركا معًا وفوق ذلك فاليابانيون اميل الى الحروب من سكان اوربا واميركا لقرب عهدهم بها ولانهم خرجوا منها ظافرين . وهم اقبل من اهالي اوربا لحمل الضرائب الثقيلة من غير تذمر ونساؤهم يعملن كل الاعمال ما دام رجالهم في ساحة القتال. ونفقات جنودهم اقل من نفقات الجنود الاوربية والاميركية

وقد اصطلح الناس على مقياس تقاس بهِ مقدرة الانسان الحربية . وبموجب هذا المقياس يكون الجندي الياباني اقدر على الحرب من الجندي الاوربي والاميركي وهو مثل

أفضل الجنود الاوربية شجاعة ومهارة و يفوقهم في تجشُّم المشاق والخضوع لاوامر القواد

ودرجة الاستعداد للحرب واطئة في اميركا وعالية في الممالك الاوربية الراقية واعلى منها في اليابان فانها تبتدئ هناك في المدارس وتدوم مدى العمر . ولقد اظهر اليابانيون من الاستعداد التام للحرب في معاركهم مع الروس ما ادهش العالم كلهُ فان اخلاق الياباني وصبرهُ وتدقيقهُ وثباتهُ تجعلهُ اتم آلة حيَّة للقتال وقد ثبت الآن ان الرجل الاصفر يفوق الابيض في البر ويعادلهُ في البحر وثبت لي بالاختبار ان الجندي الصيني اصلح من الجندي الياباني فانهُ مثلهُ عقلاً واقوى منهُ جسماً واكثر شجاعةً وصبرًا ولا يخاف الردى . ويجب ان لا نغفل عن ذلك طرفة عين لان اليابانيين قد اخذوا يعلّمون الصينيين فنون القتال واذا نشبت حرب مع اليابان فلا بدَّ من استنجادها بجنود الصين

واليابانيون امهر الناس في تجسُّس الاخبار وعلم ما عند غيرهم من المعدات الحربيَّة كما انهم من امهر الناس في اخفاء مقاصدهم وما عندهم من الاستعداد للحرب . ولقد عرفوا كل ما هو جارٍ في اميركا ولم يسمحوا لاحد ان يعرف شيئاً عمَّا هو جارٍ في بلادهم . فكل ما عرف عن استعدادهم الذي استعدوهُ منذ سنتين ونصف سنة الى الآن ليس نصف استعدادهم الحقيقي وهو مع ذلك كافٍ لان يجعلنا نقف وقفة الخوف والدهشة وننهض نهضة واحدة للقيام بما يجب علينا نحو انفسنا ونحو مبادىء الحرية التي ندافع عنها

لما وضعت الحرب اوزارها وتغلبت اليابان على الاسطول الذي كانت تخشاهُ وضمت جانباً كبيرًا منهُ الى اسطولها ودعت الحال الى الاقتصاد التام بعد ان انفقت نفقات الحرب الباهظة وحُرِمت من الغرامة الحربية كان المنتظر ان تستكن برهةً ريثما تنتعش قواها قبل ان تقدم على نفقات جديدة ولكنها لم تستكن بل امرت بعمل بوارج جديدة لا تقل نفقاتها عن مئة مليون ريال مثل البارجة الانكليزية الكبرى المسماة دردنوت وطرادات مدرعة واخذت تبنيها بسرعة في بلادها وفي البلاد الانكليزيَّة

وبين اليابان وانكلترا معاهدة حربيَّة كما لا يخفى فهي لم تزد عمارتها البحرية خوفاً من المانيا او فرنسا او ايطاليا فلا يفسَّر عملها الَّا بانها تريد التفوُّق على اميركا واميركا مستغرقة في سباتها . فعلت اليابان ذلك دفعةً واحدة ومجلسا النواب في اميركا ظلاَّ سنتين يبحثان و يتناظران ويتشاحنان قبل ان اقرا على بناء بارجة واحدة وزادت جمعيات السلم صياحها وصخبها

هذا وعندنا الآن ثماني عشرة بارجة وثمانية طرادات مدرعة والجملة ٢٦ سفينة حربية مدرعة وعند اليابانيين في الاوقيانوس الباسيفيكي الآن احدى عشرة بارجة واحد عشر

طرادًا مدرعًا والجملة ٢٢ من السفن الحربيَّة المدرعة ولكن في خمسة من الطرادات اليابانية مدافع كبيرة مما عيارهُ ١٢ بوصة فهي اكبر من المدافع التي في طراداتنا . وطراداتهم هذه مثل بوارجنا وزد على ذلك فان اليابانيين يزيدون عمارتهم زيادة كبيرة كل سنة ففي سنة ١٩١٠ لا نكون قد زدنا عمارتنا سوى بارجتين واما اليابانيون فيكونون قد زادوا عمارتهم ثماني بوارج وثلاث طرادات مدرعة والبارجة من بوارجهم بمقام ثلاث بوارج من بوارجنا القديمة فلا تأتي سنة ١٩١٠ الاَّ ونسبة عمارتنا في الباسيفيكي الى عمارة اليابان كنسبة ٣٢ الى ٥٥ ولا نبلغ مبلغ اليابان الاَّ اذا بنينا حالاً ثماني بوارج كبيرة محمول كلٍّ منها عشرون طنًّا . ثم اننا اذا ساوينا اليابان لا نكون قد فعلنا شيئًا يذكر ولا نكون قد ضمنا سلامتنا بل لا بدَّ لنا من ان نفوقها حتى تضمن السلامة لنا واذا اقتصرنا على ذلك نكون قد تركنا سواحلنا الشرقية طعمة لكل طامع بنا

وفوق هذا فان اليابان زادت عدد جنودها وهي قادرة الآن ان ترسل الى ميدان القتال مليونًا ونصف مليون من الجنود المنظمين المدربين وزادت ايضاً معداتها الحربيَّة فمعاملها تشتغل نهارًا وليلاً في صنع البنادق والمدافع وسائر الاسلحة وعمل البارود والطربيد وقد انشأت دورًا جديدة لبناء السفن الحربيَّة ولعمل كل آلاتها وادواتها هذا فضلاً عما اوصت عليهِ في معامل اوربا . اما الولايات المتحدة فليس عندها سوى ٦٩ الفًا من الجيش المنظم المتمرن و ١٤٠ الفًا من الذين يذهبون الى الحرب اذا دعت الضرورة واكثر الجيش المنظم موجود الآن في كوبا وجزائر فيلبين ولا يوجد منهُ داخل الولايات المتحدة سوى تسعة آلاف لا غير

ويظهر لي ان اليابان تستطيع ان تعبئ خمس مئة الف جندي وتوصلهم الى سواحل اميركا الغربيَّة في اربعة اشهر ومليونًا من الجنود في عشرة اشهر ونحن لا نستطيع ان نقاومهم باكثر من مئتي الف رجل من الرجال الذين تعلموا شيئًا من الفنون الحربية فيستحيل علينا والحالة هذه ان نقاوم اليابان برًّا ولا سبيل لنا الاَّ في مقاومتها بحرًا

وعند حكومة اليابان الآن اكثر من ستين مليون جنيه ذهبًا اكثرها مودع في بنوك اوربا تحت امرها وهي تكفي جنودها في ساحة القتال سنة من الزمان ولو بلغ عددهم مليون نفس فهي والحالة هذه مستعدة لطوارق الحدثان ومتحفزة للهجوم قبل الدفاع وقد صار من شعبها في جزائر هواي ثلاثون الفًا وتلك الجزائر في منتصف الطريق بين الولايات المتحدة وبلاد اليابان وبهم يشتد ازر بلادهم اذا الَمَّت الملمات

انتهى ما اردنا اثباتهُ من كلام الكاتب ومنهُ يظهر ان قوة اليابان الحربية لا تقل عن

قوة اعظم دولة من دول اوربا وان الصين سائرة في خطواتها واذا نجت من سموم الثورات الداخليَّة عشرين سنة صار الغرب يخشى سطوة الشرق كما يخشى الشرق الآن سطوة الغرب

اسباب الاحتلال البريطاني

(٣)

ان تمرُّد الجنود الذي مرَّ ذكرهُ في الجزء الماضي كان فاتحة الثورة العرابية. قال لورد كرومر ولو اكتفى اسمعيل باشا بما حازهُ من الفوز على وزارة نوبار باشا وعرف كيف يغتنم الفرص لبقي على سرير الخديويَّة المصريَّة الى حين وفاتهِ ولكنهُ كان يحسن التدبير في الامور الصغيرة ويخطئ في الامور الكبيرة لانهُ لم يكن بعيد النظر في العواقب فكان يصيب في الجزئيات ويخطئ في الكليات ولاسيما ما يتعلق منها بالسياسة الاوربية لانهُ كان يجهل بواطنها ولا يعرف منها غير القشور. فكان يعرف مثلاً ان عند الاوربيين مجالس يجتمع فيها نوَّابهم ويقرروا اموراً يضطر ملوكهم ان يخضعوا لها ويعملوا بها فرأى ان ينشئ مجلس نواب مثلها ليقاوم الافرنج قائلاً ان هذه هي ارادة شعبي. ثم حسب ان الفرنسويين لا يهمهم الاَّ المسألة المالية فاذا ابتزَّ من الفلاحين مقداراً كافياً من المال ارضى الفرنسويين بهِ اما الانكليز فلهم شأن آخر. وهنا وصف لورد كرومر قومهُ وصف المنتقد المجرّح وقال انهم حاربوا نصف اوربا انتصاراً لاقوام حسبوهم مظلومين وهم يعتقدون ان مجالس النواب ومجالس القضاء التي يحكم فيها المحلَّفون وما اشبه هي الدواء الوحيد لكل الادواء التي تشكو منها الممالك في كل انحاء المسكونة وقد صرَّح وزيرهم الاكبر بامرستون لسفير اليونان انهُ يحق لكل امَّة ان تعصي ملكها ان لم يمنحها مجلس نواب. وكانوا ينقادون بسهولة الى مثل هذه الكلمات "ارادة الشعب" "الحكومة الدستورية" وما اشبه ولكنهم غلاظ الرقاب لا ينقادون بسهولة الى رجال حكومتهم ولا يصدقون المقيمين منهم في بلاد اجنبيَّة. والظاهر ان اسمعيل باشا كان يعلم ذلك كلهُ فقال في نفسهِ انهُ يمكن ان يسترضي الشعب الانكليزي بانشاء مجلس نواب في بلادهِ مثل مجلس نوابهم فمتى اجتمع هذا المجلس وجاهر اعضاؤُهُ بولائهم لهُ ورضائهم بحكومتهِ ورفضوا نسبة بلادهم الى الافلاس واستنبطوا طريقة لجمع المال وايفاء ربا الدين اثبتوا استغناءهم عن الوزراء الاوربيين واقنعوا انكلترا وفرنسا بكفاءتهم وبانهُ لا

سبيل لتعرُّض اوربا لامورهم. ومتى اتموا ما يطلبهُ منهم حلَّ المجلس لانهُ يصير في غنى عنهُ فتعود السلطة اليهِ كما كانت قبلاً

ولا شبهة ان الرأي الذي ارتآهُ اسمعيل باشا رأي حكيم ولكن الاوربيين كانوا يعلمون اخلاقهُ ويعلمون ان الحكومة الدستورية على ضد طبعهِ فعلموا ان فعلهُ حيلة لا تجوز عليهم او ارتابوا في اخلاصهِ على الاقل واخبرهُ معتمد انكلترا ومعتمد فرنسا من قبل دولتيهما انهما لا يسمحان لهُ ان يحدث اقل تغيير في اصول الحكومة السياسية والمالية التي قُرّرت اخيراً وصادق هو عليها فاجابهما انهُ مقيم على كل العهود التي تعهَّد بها

وارادت انكلترا وفرنسا ان يعود نوبار باشا الى رئاسة النظار فقال الخديوي انهُ يخضع لارادتهما لانهُ لا يستطيع مقاومتهما ولكنهُ لا يتحمل مسؤولية ما ينتج عن ذلك من الخلل والاضطراب . فاجابتهُ الحكومة الانكليزية انها لا تبرئهُ مما حدث قبلاً وانهُ اذا حدث امر آخر يماثلهُ فالعاقبة وخيمة عليهِ واذ قد تقرَّر ذلك فهو حر يختار للوزارة من يشاء

وحينئذٍ جرى البحث في نسبة الخديوي الى مجلس النظار وبعد اخذ وعطاء بين اسمعيل باشا ومعتمدي انكلترا وفرنسا قرَّ القرار على ما يأتي

(١) ان لا يحضر الخديوي جلسات مجلس النظار (٢) ان يعيَّن البرنس توفيق رئيساً لمجلس النظار وكان وليًّا للعهد (٣) ان يكون للناظر الانكليزي والناظر الفرنسوي الحق ليرفضا اي امر استحسنا رفضهُ

وعرض هذا القرار على الخديوي فوافق عليهِ وشكر معتمدي انكلترا وفرنسا لانهما قبلا طلبهُ وهو عدم اعادة نوبار باشا الى الوزارة . وفي العاشر من شهر مارس سنة ١٨٧٩ عين البرنس توفيق رئيساً للنظار واريد انتخاب بقية النظار نوقع الخلاف فقد كان رياض باشا ناظراً للداخلية في وزارة نوبار باشا فاراد الخديوي ان ينقلهُ حينئذٍ الى نظارة الخارجية والحقانية فلم يوافقهُ الناظران الاوربيان على ذلك لانهما قالا ان غرض الخديوي من ذلك ان يعيد سلطتهُ على البلاد وهو لا يستطيع ان يعيدها ما دام رياض باشا ناظراً للداخلية . ورأى معتمدا انكلترا وفرنسا انهُ ليس من العدل ان يكون الخديوي مسئولاً عما يجري في بلادهِ ولا تطلق يدهُ في اختيار نظارهِ . الا ان الحكومة الانكليزية والحكومة الفرنسوية عضدتا الناظرين الاوربيين وطلبتا من الخديوي ان يبقي رياض باشا ناظراً للداخلية فرفض ذلك في اول الامر واصرَّ على رفضهِ شهراً من الزمان واخيراً رضي بتعيين رياض باشا ناظراً للداخلية والحقانية

ولم تكن انكلترا ترغب في امتلاك مصر ولكنها لم تكن تسلّم بان تمتلكها دولة اخرى من الدول الاوربيَّة . وهذا كان شأنها بالنسبة الى مصر منذ عهد طويل ففي سنة ١٨٥٧ ارتأى الامبراطور نبوليون الثالث ان تأخذ فرنسا مراكش وانكلترا مصر وسردينيا تونس ولما عُرض رأيهُ على لورد بامرستون اجاب عليهِ كتابة بقولهِ "من المرجح ان بلداناً كثيرة يمكن ان تسوسها فرنسا وانكلترا وسردينيا احسن مما هي مسوسة الآن ... اما نحن فلا نريد القطر المصري ولا نريد لهُ الَّا ان يبقى جزءا من السلطنة العثمانية حتى لا يقع في يد دولة اوربيَّة . اننا نريد ان نتاجر مع القطر المصري ونمر فيهِ ولكننا لا نريد ان نتحمل اعباء حكومتهِ" . وبقيت سياسة انكلترا سنة ١٨٧٩ على ما كانت عليهِ حينما كتب لورد بامرستون هذه السطور ولكن تغيُّر الاحوال دعا الى تنويع سياستنا لانهُ لم يعد في الامكان ان نقف بعيداً وننفضي عن امور مصر الداخلية . والدولة الوحيدة التي تطمع في مصر من دول اوربا هي فرنسا وقد حاولت امتلاكها مرةً وكان يحتمل ان يدعوها اختلال الحكومة المصرية الى محاولة ذلك مرةً اخرى ولاسيما بعد ان زادت مصالحها المالية في القطر المصري وظهر منها انها ميَّالة لعضد اصحاب الديون . وهب انها لم تكن تنوي ضم مصر الى املاكها لكن الرأي العام فيها كان قادراً ان يمنعها عن سياسة العزلة فاذا لم ترد الحكومة الانكليزية ان تشارك الحكومة الفرنسوية فالحكومة الفرنسوية تستقلُّ بالعمل وحدها ولكن يستحيل ان يتم لها ما تريد وترضى انكلترا بهِ . وفرنسا ايضاً لم تكن ترضى ان تستقل انكلترا في شؤُون مصر ولا كانت ترضى ان تزيد سلطة تركيا فيها لان ذلك مخالف للسياسة التي جرت عليها من قديم الزمان ولذلك كان من مصلحة الدولتين انكلترا وفرنسا ان لا تتفاقم الخطوب في مصر فتدعو الى تخاصمهما والسبيل الى عدم تفاقم الخطوب اشتراك الدولتين في اصلاح البلاد ولو بما يكفي لمنع ما يكره وقوعهُ بينهما حتى لا تصير المسألة المصرية مسألة اوربيَّة . هذه هي السياسة التي أُريدَ اتباعها ولكن الدولتين لم تكونا على وفاق تام في السبل المؤَدية اليها فان اكثرهم فرنسا كان مصروفاً الى مصلحة المداينين واكثرهم انكلترا كان مصروفاً الى مصلحة الفلاحين غير ان هذا الخلاف لم يمنع الاتفاق على الغرض المقصود

واتفق رأي الجميع حينئذٍ على ان سبب سوء الادارة رجل واحد وهو الخديوي اسمعيل باشا ولكنهم اختلفوا في كيفية اصلاحها فاشار بعضهم بنزع السلطة من يدهِ حتى يصير صفراً وقال البعض انهُ يستحيل ان تصلح ادارة البلاد من غير مساعدتهِ ما دام في كرسي الخديويَّة ولذلك يجب الاستعانة بهِ بعد وضع قيود دستورية لهُ تجعلهُ يجري في الطريق

المطلوب من غير عنف ولا اكراه . وكان كل فريق من هذين الفريقين يظن انهُ على هدى والفريق الآخر على ضلال . وكان الناظر الانكليزي السر رفرس ولسن من الفريق الاول والمعتمد الانكليزي لورد فيفيان من الفريق الثاني

قال لورد كرومر وكنت ارى هذا الاختلاف واسمع حجج الفريقين وانا اعتقد ان الاسلوبين لا يأتيان بالغرض المطلوب لان مواعيد اسمعيل باشا كانت كلاماً في كلام وهو لا يستطيع ان يغير ما طُبع عليهِ ولكن رأي لورد فيفيان اصلح لاسمعيل باشا لان فيهِ متسعاً لهُ للعمل بمواعيده . اما رأي السر رفرس ولسن فكان العمل بهِ ضرباً من المحال في تلك الاحوال

وهذا الاختلاف في الرأي بين لورد فيفيان والسر رفرس ولسن ضلل الحكومة الانكليزية فلم تدرِ ايهما تصوّب والظاهر ان رأي السر رفرس ولسن تغلّب اخيراً فاستدعت لورد فيفيان وارسلت بدلاً منهُ السر فرنك لاسلس وامرتهُ ان يجري بالاتفاق مع السر رفرس ولسن

ولما تولى البرنس توفيق رئاسة مجلس النظار كان عمرهُ ٢٧ سنة وكان شديد الرغبة في اصلاح الاحوال وظهر حينئذٍ كأن الخديوي عزم على مشاركة وزارتهِ في التغلب على المصاعب ولكنهُ لما رأى ان الغرض نزع كل سلطة من يدهِ استصعب ذلك لانهُ كان على ضد طبعهِ وحدث حينئذٍ ما ازاح الستار عن وجه الحقيقة فان قسط الدين المعقود سنة ١٨٦٤ ومبلغهُ ٢٤٠٠٠٠ جنيه كان ميعادهُ في اول ابريل سنة ١٨٧٩ ولم يكن في صندوق الدين في ٢٨ مارس سوى ١٩٦٠٠٠ جنيه . وكانت لجنة التحقيق مهتمة حينئذٍ بوضع نظام لتسوية الحالة المالية من مقتضاهُ الغاء قانون المقابلة والغاء ذلك القانون كان على غير رغبة كبار المولين فرأى النظار واعضاء لجنة التحقيق ان يؤخروا ايفاء القسط المستحق من اول ابريل الى اول مايو وكتبوا صورة امرٍ عالٍ وقدموهُ للخديوي ليوقعهُ فابى توقيعهُ حاسباً انهُ بمثابة اعلان الافلاس فغيروا لهُ بعض الكلمات واقنعوهُ بتوقيعهِ . ووجه الغرابة في ذلك انهُ كان يعلم عدم مقدرة حكومتهِ على ايفاء ما يطلب منها من ربا الديون فكيف يأنف من توقيع امرٍ مقتضاهُ تأخير ايفائها

ويتضح مما اوردهُ لورد كرومر ان اسمعيل باشا اراد ان يتخلص من الناظر الانكليزي والناظر الفرنسوي ومن رياض باشا فاقنع اعيان البلاد ان الوزارة تقصد الغاء قانون المقابلة فيقع الحيف عليهم لانهم يملكون اكثر الاطيان العشورية التي تستفيد من ذلك

القانون . وقيل لرياض باشا ان حياتهُ في خطر حتى يلجأ الى الاستعفاء . واخيرًا جمع الخديوي قناصل الدول الجنرالية واخبرهم ان البلاد في حالة اضطراب شديد وان اعيانها رفعوا اليهِ عريضة موقعة من كل طوائف الناس يعرضون فيها تدبيرًا جديدًا لحل المشاكل المالية ويطلبون ان يكون نظار الحكومة كلهم من الوطنيين المسئولين لمجلس النواب . فاستعفى البرنس توفيق اطاعة لارادة الامة وقال لهم شريف باشا انهُ يستحيل على الخديوي ان يقاوم ارادة الامة

فقال لهُ قنصل النمسا الجنرال هل يرهن هؤلاء الاعيان اطيانهم ضمانًا للتدبير المالي الذي اقترحوهُ . فاجابهُ الخديوي انهُ يستحيل ان توجد ضمانة اقوى من ان البلاد كلها من الخديوي فنازلاً ترضى ان تتحمل اية خسارة كانت ولا تسلّم باهانة الافلاس

وأُعطي القناصل ثلاث لوائح الاولى من مجلس الاعيان فيها اعتراضات على اعمال مجلس النظار والثانية من نواب العلماء وكبار الموظفين للخديوي يعترضون فيها على المشروع الذي وضعهُ السر رفرس ولسن ويقولون ان دخل البلاد كافٍ لايفاء ديونها ويقدمون بدلاً منهُ مشروعًا آخر ويطلبون ان يكون مجلس النظار مستقلاً عن الخديوي ومسؤُولاً لمجلس النواب . والثالثة اسلوب وضعوهُ لتسوية الحالة المالية . فارسل القناصل هذه اللوائح الى دولهم وارسلوا معها نسخًا من تقرير لجنة التحقيق لكن البوسطة اوقفت هذه النسخ حتى لا تصل مع اللوائح . وكتب الخديوي الى السر رفرس ولسن والمسيو ده بلنير انهُ كلّف شريف باشا بتأليف وزارة جديدة جريًا على رغبة الامّة . وصدر الامر الى شريف باشا بتأليف وزارة اعضاؤُها كلهم مصريون حقيقيون (véritablement Egyptiens) فتألفت الوزارة وكان من اعضائها شاهين باشا وعمر باشا لطفي وقاوم اسمعيل دولتين من اعظم دول اوربا وطرد رجالها من حكومتهِ ووقف في وجهها وكأن البلاد كلها معهُ ولو استطاع ان يوفي اقساط الديون في اوقاتها لما بقي لاحد سبيل عليهِ ولكن الاسلوب المالي الذي وضعهُ كان مختلا ولا يمكن ان يفي بالمراد فسقط وسقط هو معهُ . ومن اكبر عيوب ذلك الاسلوب انهُ جعل ايراد الحكومة ٩٨٣٧٠٠٠ جنيه وهذا المبلغ لم يكن في الامكان تحصيلهُ وايضًا لم يفرض راتبًا خاصًا للخديوي وعائلتهِ فيضطر ان يعود الى ابتزاز الاموال باية واسطة كانت

وجعل رجال الحكومة يبتزون الاموال من الفلاحين قوة واقتدارًا فاضطرَّ هؤلاء ان يستدينوا المئة باربعة او بخمسة في الشهر خوفًا من الكرباج وكنتُ قبل ذلك راغبًا في ترك القطر المصري ولكن الرغبة في اصلاح احوالهِ المالية حملتني على البقاء فيهِ فلما يئست من

اصلاحها استعفيت وغادرت البلاد في ٢٤ مايو سنة ١٨٧٩ وعيّن السر اوكلند كلفن في قومسيون الدين بدلاً مني . والحوادث التالية لاستعفائي الى ان رجعت مراقباً عاماً لم اشاهدها بنفسي بل اعتمدت فيها على ما ذكره غيري

لما رأت انكلترا ان اسمعيل باشا عاد الى سابق عهده من ابتزاز الاموال من الفلاحين وهي تعلم ان ذلك يفضي الى خراب البلاد بعث لورد سلسبري الى السر فرنك لاسلس يقول له "ان الخديوي يعلم ان الاسباب التي جعلت الحكومة الانكليزية تهتم بامور القطر المصري قضت عليها بان تهتم بترقيته واصلاح حكومته . ولقد كانت تحسب حتى الآن ان استقلال الخديوي وتأييد العائلة الخديوية ضروريان للوصول الى هذه الغاية وهي تعلم ان هذا هو غرض الحكومة الفرنسوية ايضاً ولذلك تميل الى حسبان ما فعله الخديوي متسرعاً من جهة مستقبل الاصلاح ومن جهة قيامه في وجه الحكومة الانكليزية والحكومة الفرنسوية انه فعله وهو ينوي الرجوع عنه . وتفضل ان ترى في ما سيعمله تفسيراً مرضياً للسياسة التي اتبعها اخيراً ولكنه اذا استمرّ على تجاهله القيود التي ارتبط بها باعماله السابقة وعهوده واصرّ على رفض مساعدة النظّار الاوربيين الذين تقدمهما فرنسا وانكلترا له اضطررنا ان نستنتج من ذلك ان عدم مراعاته لعهوده الذي دلّت عليه اعماله الاخيرة هو نتيجة خطة مقرّرة يريد الجري عليها دائماً وانه يرفض صداقتهما عن قصد وتعمُّد وحينئذٍ فالحكومتان تحفظان لنفسيها الحرية التامة لتقدرا عمله قدره وتحميا مصالحهما في مصر وتدبرا التدابير التي تحسبانها خير ما يمكن تدبيره لنجاح القطر المصري وحسن ادارته"

ولا بد من ان الخديوي كان يعلم خطارة الخطة التي جرى عليها حينما اخرج الناظرين الاوربيين فدعا كبار القواد ليحلفوا له يمين الطاعة ويتعهدوا بالدفاع عن البلاد وعنه وعن عائلته . وزيد عدد الجيش ولكن لم يكن ذلك ليمنع شكوى الجنود من سوء الاحوال فلما اخبره السر فرنك لاسلس برسالة لورد سلسبري انكر انه يقصد ان يقف في وجه انكلترا وفرنسا ولكنه لم يُعد الناظرين الى منصبيهما . واتضح حينئذٍ انه لا يمكن اصلاح الاحوال والخديوي اسمعيل على كرسي الخديوية وكانت المانيا اول دولة ضربته الضربة القاضية فانها امرت قنصلها الجنرال في القاهرة ان يخبره ان الحكومة الامبراطورية (الالمانية) تعدُّ الدكرتو الخديوي الذي صدر في ٢٢ ابريل وخوّل الحكومة المصرية الحق بتدبير امر الدين اعتداء صريحاً على الحقوق الدولية التي ارتبطت بها مصر وقت انشاء المحاكم المختلطة يقصد به ابطال حقوق موجودة ومعترف بها ولذلك فهي تحسب ذلك الدكرتو لاغياً من حيث سلطة المحاكم المختلطة

ومن حيث حقوق رعايا الامبراطورية الالمانية وتعدُّ الخديوي مسؤُولاً عن كل النتائج التي تنتج عن اعمالهِ المخالفة للقانون". واشتركت دول اخرى من الدول الكبرى في هذا الاحتجاج

وفي ١٩ يونيو بلَّغ السر فرنك لاسلس الخديوي ما يأتي متبعاً في ذلك تعليمات لورد سلسبري وهو "ان الحكومة الفرنسوية والحكومة الانكليزية اتفقتا على ان تنصحا سموك رسميًّا لتعتزل وتخرج من القطر المصري فاذا انتصحت بنصحنا فنحن نهتم بان يعيَّن لك راتب مناسب وتبقى الخديوية في بيتك فيخلفك ابنك البرنس توفيق. واذا ابيت ان تعتزل واضطررت الحكومة الانكليزية والحكومة الفرنسوية الى مخاطبة السلطان في ذلك رأساً فلا يمكنك ان تعتمد على مساعدتهما لا في تعيين الراتب لك ولا في اعطاء الخديوية لابنك"

وبعث لورد سلسبري حينئذٍ رسالة مسهبة الى السر فرنك لاسلس بيَّن فيها الاسباب التي دعت الحكومة الانكليزية والحكومة الفرنسوية الى الاهتمام بالمسائل المصرية

ولما بلَّغ معتمدا انكلترا وفرنسا الخديوي قرار دولتيهما طلب ان يمهَل ريثما ينظر في طلبهما ثم اخبرهما في ٢١ يونيو انهُ رفع الامر الى السلطان . وكان قد ارسل رسولاً الى الاستانة ومعهُ الاموال اللازمة . وقيل للسلطان ان غرض انكلترا وفرنسا التطاول على سلطتهِ في مصر. واتفقت المانيا والنمسا وروسيا وايطاليا على نصح الخديوي ليعتزل . وفي ٢٤ يونيو جاء المسيو تريكو قنصل فرنسا الجنرال ان الباب العالي اعتمد على عزل اسمعيل باشا وتنصيب حليم باشا بدلاً منهُ وكان الوقت بعد نصف الليل فقام السر فرنك لاسلس والمسيو تريكو والبارون سورما قنصل المانيا الجنرال واتوا الى سراي الخديوي ومعهم شريف باشا ونقلوا اليهِ الخبر وطلبوا منهُ ان يعتزل فابى

وفي اليوم التالي أُعدَّ امرٌ خديوي من مقتضاهُ جعل الجيش المصري مئة وخمسين الفاً. وجرى البحث في تغريق البلاد كلها حول الاسكندرية ولكن الخديوي نفسهُ كان يعلم ان الحيَل قد فرغت وانهُ لا بدَّ من الرحيل وقد ارسل كثيراً من امتعتهِ الثمينة الى يخته في الاسكندرية . ثم اتفقت دول اوربا على تنصيب البرنس توفيق لا البرنس حليم وفي ٢٦ يونيو جاء تلغراف من الاستانة معنون "الى الخديوي السابق اسمعيل باشا" وفيهِ الفقرة التالية

"لقد ثبت ان بقاءكم في منصب الخديوية لا يمكن ان تكون لهُ نتيجة غير تكثير المشاكل وتعظيمها وعليهِ فجلالة السلطان بعد ان قرَّ قرار مجلس وكلائهِ قد قرر تعيين دولة محمد توفيق باشا في منصب الخديوية وقد صدرت الارادة السلطانية بذلك وهذا القرار السامي قد ابلغ الى دولتهِ برسالة برقية اخرى فاطلب منكم اعتزال اشغال الحكومة طبقاً لامر جلالة السلطان"

وجاء تلغراف الى البرنس توفيق بتعيينهِ خديويًا على مصر

فرأى اسمعيل باشا حينئذٍ ان الامر قد قضي فبعث الى ابنهِ وسلم السلطة اليهِ امام نظار حكومتهِ . وفي الساعة السادسة ونصف من ذلك اليوم عينهِ (قبيل المغرب) أُطلقت المدافع من القلعة اعلامًا بتنصيب البرنس توفيق خديويًا على القطر المصري واستقبل سموهُ فيها استقبالاً رسميًا حضرهُ معتمدو الدول ونظار الحكومة وكبار الموظفين وجمهور كبير من الاهالي

وفي الثلاثين من يونيو قبل الظهر بنصف ساعة خرج اسمعيل باشا من القاهرة قاصدًا الاسكندرية وكان قد اظهر انهُ لا يريد ان يكون وداعهُ رسميًا فلم يحضر احد من وكلاء الدول لوداعهِ ولكن حضر كثيرون من غيرهم . ولما ودَّع الخديوي توفيق اباهُ واخوتهُ لم تبقَ عين لم تدمع . ولما وصل اسمعيل باشا الى الاسكندرية نزل في يختهِ المحروسة ونزل لوداعهِ كثيرون من الموظفين والنزلاء الاوربيين فصافح الجميع وباسطهم في الكلام فابدوا لهُ عواطف الحب والاحترام

قيدار وممالك حاصور

اختلاف نظر اصحاب الانسكلوبيديات ومعاجم الكتاب

في اثناءِ بحثي عن اصل الانباط في البتراء راجعت ما كتب في سفر ارميا النبي عن غزوات نبوخذنصر (او بختنصر) وهي كتابة يعتمد عليها لان النبي كان من معاصري نبوخذنصر ومن ثمَّ فالوارد عنهُ في سفرهِ هو من اصح واثبت ما جاء عن هذا الملك لا يدانيهِ في الصحة شيءٌ الاَّ ما ورد في الآجرّ البابلي مما كتبهُ بختنصر نفسهُ او احد معاصريهِ فوجدت ان من جملة الامم التي حاربها بختنصر القيداريين وممالك حاصور . اما القيداريون فمن وصفهم لا يشك محقق انهُ يعني بهم العرب العدنانيون في الحجاز وشمالي العربية . واما ممالك حاصور فلا يزال فيها رأي لباحث

راجعت الانسكلوبيديا البريطانية فلم ارَ فيها ادنى اشارة الى هذه الممالك ومثلها الانسكلوبيديا الاميركانية فقلت دعني انظر في تفسير الكتاب للعلاَّمة بوتلر وهو من احدث كتب التفاسير ومن اشهرها فنظرت فلم اجد فيه ما يشفي فانقلبت الى معاجم الكتاب فراجعت احدثها عهدًا واشهرها فلم ارَ فيها ما يزيد عما في غيرها مما اطلعت عليهِ . الاَّ ان العلاَّمة

هيستن في معجمهِ الشهير المطبوع سنة ١٨٩٨ — ١٩٠٢ اشار الى رأي العلاَّمة كونور فقال في آخر ما ذكرهُ عن لفظ حاصور نقلاً عن العلاَّمة الموى اليهِ انها مكان غير معروف في بلاد العرب يذكر مع قيدار وان نبوخذنصر حارب اهلهُ . والاشارة في غاية الاختصار لا تزيد عن السطرين وقد ذكرت معناها على ما بقي في ذهني لا ترجمتها الحرفية فمن شاء فليراجع معجم هذا العلامة في باب حاصور

كان في ذهني من قبلُ انَّ بلاد اليمن من جملة البلدان التي حاربها نبوخذنصر فحدست ان ممالك حاصور هذه هي بلاد اليمن او قسم منها لان اشارة ارميا النبي — اهربوا انهزموا جدًّا تعمقوا في السكن يا سكان حاصور الخ — لا تنطبق على حاصور مدينة يابين بقرب بحيرة الحولة فانقلبت الى كتب التاريخ العربيةِ ابحث عما يقوم دليلاً على صحة ما حدستهُ فراجعت العلامة ابن خلدون والمسعودي فرأيتهما في حروب نبوخذنصر في بلاد العرب يقرنان ذكر بني حضورا بالعرب العدنانيين كما يقرن ارميا النبي ممالك حاصور بالقيداريين والمستنتج من ذلك لا يكاد يشك بهِ على ما ارى اي ان بني حضورا وممالك حاصور هما اسمان لمسمًّى واحد كما ان قيدار والعرب العدنانيين اسمان ايضًا والمسمى واحد ولاسيما اذا اعتبرت المشابهة اللفظية الواضحة بين حاصور وحضور. فبقي عليَّ تحقيق موقع حضورا وحضورا في اي نقطة هو من البلاد العربية

فقلت اراجع الهمداني صاحب وصف جزيرة العرب فلعلهُ يذكر شيئًا عن ذلك فراجعتهُ فاذا بهِ يذكر ما أُحبُّ ان يذكرهُ . واليك النقول الآتية عن كلٍّ من هؤلاء الائمة الاعلام

عن العلامة ابن خلدون

قال هذا العلامة في الجزء الثاني من تاريخهِ المشهور طبعة برلاق صفحة ١٦٠ وبختنصر هذا الذي غزا العرب وقاتلهم واستباحهم . قال هشام بن محمد اوحى الله الى ارميا النبي بأمر بختنصر ان يغرّق العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم ويستبيحهم بالقتل . قال فوثب بختنصر على من وجدهُ ببلادهِ من العرب للميرة فحبسهم ونادى بالغزو وجاءت منهم طوائف مستسلمين فقبلهم وانزلهم بالانبار والحيرة . وقال غير هشام ان بختنصر غزا العرب بالجزيرة وما بين ايلة والابلة وملأها عليهم خيلاً ورجالاً ولقيهُ بنو عدنان فهزمهم الى حضورا واستلحمهم اجمعين . وقال وجه ٢٣٧ من الجزء المذكور . يقال في مبداء كونهم هناك ان بختنصر لما سلطهُ الله على العرب — قتل اهل الوبر بناحية عدن اليمن نبيهم شعيب بن ذي مهدم — فاوحى الله الى ارميا بن حزقيا وبرخيا ان يسيرا بختنصر الى العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم وان يقتل

ولا يستحيي ويستلحمهم اجمعين ولا يبقي منهم اثرًا — وسار الى العرب وقد نظم ما بين ايلة والايلة خيلاً ورجلاً وتسامع العرب باقطار جزيرتهم واجتمعوا لقائهِ فهزم عدنان اولاً ثم استلحم الباقين ورجع الى بابل وجمع السبايا فانزلهم بالانبار ثم خالطهم بعد ذلك النبطة

وقال ايضاً وجه ٢٣٩ من الجزء المار ذكرهُ . وغزا بختنصر العرب واستلحمهم وهلك عدنان وبقيت بلاد العرب خرابًا. قال السهيلي وكان رجوع معدّ الى الحجاز بعد ما دفع الله بأسهُ عن العرب ورجعت بقاياهم التي كانت بالشواهق الى محالاتهم بعد ان دوّخ بختنصر بلادهم وخرب معمورهم واستأصل حضورا واهل الرسّ التي كانت سطوة الله بالعرب من اجلهم

وقال وجه ٢٤٣ من الجزء المذكور . ومن كعب بن زيد الجمهور ويلقب كعب الظلم ابناء سبإ الاصغر بن كعب واليهِ ينتهي نسب ملوكهم التبابعة ومن زيد الجمهور بنو حضور بن عدي بن مالك بن زيد وقد مرّ ذكرهم وتقول اليمن ان منهم كان شعيب بن ذي مهدم النبيّ الذي قتلهُ قومهُ فغزاهم بختنصر فقتلهم . وقيل هو حضور بن قحطان الذي اسمهُ في التوراة يقطان ومنهم ايضاً بنو ميتم وبنو احالة ابني سعد بن عوف بن عدي بن مالك اخي ذي رعين رعوف هذا اخو حضور واخوهُ احاظة وميتم بنو حراز بن سعد

عن العلامة المسعودي

وقال العلامة المسعودي في كتابهِ مروج الذهب الجزء الاول وجه ٢٢٦ وكانت (اي بنو حضورا) امةٌ عظيمة ذات بطش وشدّة فغلبت على كثير من الارض والممالك وقد تنازع الناس فيهم فنهم من الحقهم بمن ذكرنا من العرب البائدة ممن سمينا ومنهم من رأى انهم من ولد يافث بن نوح وقيل في انسابهم غير ما ذكر من الوجوه . وقد كان بعث الله عزّ وجل اليهم شعيب بن ذي مهدم بن حضورا نبيًّا ناهيًا عما كانوا عليهِ وهذا غير شعيب بن نوفل ولما بعث الى حضورا واشتدّ كفرهم جدّ نبيهم شعيب بن ذي مهدم في دعائهم وخوّفهم وتوعّدهم فقتلوهُ فاوحى الله الى نبيّ كان في عصرهِ وهو برخيا وكان من سبط يهوذا — ان يأتي بختنصر وكان بالشام — فيأمرهُ ان يغزو العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم فلما اتى برخيا ذلك الملك قال لهُ الملك صدقت لي سبع ليالٍ أومر في نومي بما ذكرت وانادى بمجيئك اليّ وأبشر ويقال لي ما امرتني بهِ وانا انتصر للنبي المقتول المظلوم . فسار اليهم في جنودهِ وغشي ديارهم في عساكرهِ وصاح بهم صائح من السماء وقد استعدوا لحربهِ من حيث عمّ الصوت جميعهم . فلما سمعوا ذلك علموا ان الامر قد نزل بهم فانفضّت جنودهم وتفرّقت جموعهم وولّت كتائبهم واخذهم السيف فحصدوا اجمعين

عن العلامة الهمداني

جاء لهذا العلامة في كتابهِ وصف جزيرة العرب طبع ليدن سنة ١٨٨٤ وجه ١٠٦ ما نصهُ قال—

مخلاف حضور وهو حضور بن عدي بن مالك من ولدهِ شعيب النبي بن مهدم بن ذي مهدم بن المقدَّم بن حضور عليهِ السلام وهو الذي قتلهُ قومهُ ويقال قتلهُ اهل حضوري وعربايا وكان بُعث اليهم · فسافلة حضور بناغ وشمَّ وماضخ وصابح والاغيوم وبرَيش ومنهم يحزا وعلسان فهذه سافلة حضور · وبحضور الصيد وهم يتهمدنون ويقال انهم من حمير وهم غير صيَد همدان · وعالية حضور واضع والمملح وحقل مهمان . انتهى

ترى مما ذكرهُ الهمداني صراحةً ان هذا المخلاف هو في منتصف بلاد اليمن على مقربةٍ من صنعاء وانهُ نُسب الى حضور بن عدي بن مالك وابن خلدون يصرّح ان حضور هو من نسل زيد الجمهور الذي ينتهي اليهِ نسب التبابعة وعليهِ فبنو حضورا كانوا التبابعة في ايام نبوخذنصر وكان لهم ملك اليمن وتهامة معاً · وهذا مما تناسبهُ عبارة المسعودي — اي انهم كانوا امة ذات بطش وشدة وقد غلبت على كثير من الممالك

ثم اذا صدَّقنا قول اهل اليمن عن انفسهم في تواريخهم او تقاليدهم علمنا ان شعيب بن ذي مهدم كان من امراء آل حضور فان هذه الاضافة — اي ذي مهدم — تشعر بذلك ولها نظائر عندهم كذي الكلاع وذي يزن وذي شعراخ فانها كلها اسماء امكنة أُضيف اليها كما صرَّح المسعودي بذلك · وشبيه بها عبارة مؤرخي المولدين في قولهم مثلاً صاحب صور وصاحب طرابلس وصاحب الشوبك وصاحب صيجر وامثال ذلك كثيرة ولعلهم اتبعوا اصطلاح من سبقهم انما ابدلوا ذي بمعناها اعني صاحب · وعليهِ فمهدم اسم البلد التي كان ابوهُ اميرًا عليها · والمهدم ولا شك يراد بها مدينة المهجم الحالية وهي من امهات مدن تهامة اما المشابهة اللفظية فواضحة فان الجيم والدال يقرب لفظ احدهما من الاخر بل كثيرون لا يلفظون الجيم الاَّ دالاً فاذا قلت لهم قولوا مهجم قالوا مهدم . واما المشابهة في الصفة فابن خلدون يقول كما نقلنا عنهُ ان اهل الوبر في ناحية عدن اليمن قتلوا نبيهم شعيب ابن ذي مهدم واهل تهامة كانوا ولا يزالون لحد هذه الساعة اهل وَبر والمهجم من امهات مدنهم وربما كانت ايضاً عاصمتهم في ذلك الحين فالوصف الذي ذكرهُ ابن خلدون منطبق عليها

دعنا الآن نذكر محصل ما جاء عن نبوخذنصر في سفري ارميا وحزقيال وسفر الملوك الثاني اما النبيان فكانا معاصرين لنبوخذنصر واما صاحب سفر الملوك فكان بعدهُ بقليل

وربما عاصره مدة على الراجح · ثم محصّل ما جاء عنهُ في تواريخ العرب وتقاليدهم على ما رأيت في النقول التي نقلنا وبعد ذلك ننظر في مقابلة المحصلين احدهما بصاحبهِ فان في الواحد ما يُفسّر بعض ما في الاخر من الابهام كما سترى :—

في اواخر ملك يوشيا ملك يهوذا صعد فرعون نخو بجيوشهِ يقصد كركميش على الفرات شمالي حلب فاعترضهُ يوشيا ملك يهوذا في بقعة مجدو فاصابهُ الرماة بسهم فجرح جرحاً مميتاً ونقلهُ عبيدهُ من المركبة التي كان يحارب فيها متنكرًا الى مركبتهِ الثانية ورجعوا بهِ الى اورشليم فمات هناك ودفن في قبور آبائهِ وملّك اليهود ابنهُ يهواحاز بدلاً منهُ · الاّ ان فرعون نخو عاد من كركميش بعد ثلاثة اشهر ومرّ باورشليم فعزل يهواحاز واخذهُ اسيرًا الى مصر ونصب مكانهُ اخاهُ الياقيم بعد ان ضمن لهُ ما غرّم بهِ الارض من وزنات الفضة والذهب وسماهُ يهوياقيم

وبعد اربع سنوات من موت يوشيا كانت موقعة كركميش التقت فيها جيوش نبوخذنصر بجيوش المصريين فكانت حرباً هائلة دارت فيها الدائرة على جيوش نخو وفاز البابليون على المصريين فوزًا كبيرًا فارتد هولاء الى بلادهم مهزومين وتعقبهم نبوخذنصر حتى جاء الى اورشليم فلم يكن من يهوياقيم ادنى مقاومة فقيّدهُ نبوخذنصر ليذهب بهِ الى بابل الاّ انهُ عاد فاستبقاهُ عاملاً لهُ وما زال يهوياقيم عبدًا لنبوخذنصر ثلاث سنوات ثم عصى عليهِ وعاد الى موالاة المصريين الى ان مات في السنة الحادية عشرة من ملكهِ وملك ابنهُ يهوياكين بدلاً منهُ

وفي اواخر ملك يهوياقيم جاءت جيوش البابليين الى اليهوديَّة وبعد ثلاثة اشهر من ملك يهوياكين شدد نبوخذنصر الحصار على اورشليم فلم يعد يهوياكين يقوى على المدافعة فاستسلم هو وامهُ وعبيدهُ ورؤساؤهُ وخصيانهُ لنبوخذنصر فاخذهم الى بابل وسبى معهم سبعة الاف من اقوياء الارض واصحاب البأس فيها فضلاً عن الابطال اهل الحرب وفضلاً عن الصناع من النجارين والحدادين

ولم يذكر في سفر ارميا ولا في سفر حزقيال ولا في سفر الملوك ما السبب في عصيان يهوياقيم على ملك بابل بعد ان استعبد لهُ ثلاث سنوات · على ان ارميا النبي يشير الى امم القبائل العربيَّة ددان وتيماء وبوز وكل ملوك العرب وكل ملوك اللفيف الساكنين في البريَّة وكل ملوك زمري وان هذه الامم كلها كانت عند موقعة كركميش او بعدها يقابل حرباً لنبوخذنصر ومن جملتهم قيدار وممالك حاصور وان نبوخذنصر كان يُعد لحرب هولاء عن آخرهم · وهذه عبارتهُ في شأن ممالك حاصور قال " اهربوا انهزموا جدًّا تعمقوا في السكن ياسكان حاصور يقول الرب لان نبوخذنصر ملك بابل قد اشار عليكم مشورةً وفكّر عليكم فكرًا "

وجاء في سفر الملوك انهُ لما عصى يهوياقيم على نبوخذنصر بعد ان استعبد لهُ ثلاث سنين ارسل الرب عليهِ غزاة الكلدانيين وغزاة الاراميين والعمونيين والموابيين لم يذكر نبوخذنصر ولا جيوشهُ حينئذٍ وانما ذكرهُ في ابتداء ملك يهوياكين فلماذا لم يأتِ نبوخذنصر او على الاقل لماذا لم يرسل جيوشهُ لحرب من عصى عليهِ بعد ان واثقهُ على الطاعة ولماذا اخر غزوهُ والاقتصاص منهُ اربع سنوات تقريباً. ثم لما تحرك نبوخذنصر وسار بجيوشهِ على اورشليم يقول صاحب سفر الملوك هذه العبارة يعترض بها اعتراضاً — " ولم يعد ملك مصر يخرج من ارضهِ لان ملك بابل اخذ من نهر مصر الى نهر الفرات كل ما كان لملك مصر" كل هذا مما يحتاج الى تفسير ولا يفسرهُ الا حروب ملك بابل في حاصور على ما ارى فلنتقدم اذن لذكر محصَّل ما فهم من النقول التي نقلناها آنفاً عن ابن خلدون والمسعودي والهمداني

يتحصل منها انَّ بني حضورا وهم ممالك حاصور كانوا ملوك اليمن في ذلك الحين وان عاصمتهم كانت صنعاء او مدينة اخرى بقرب صنعاء ولعلها مدينة حاز في مخلاف حضور فان الهمداني يذكر انها مدينة قديمة وفيها آثار جاهلية وكانت تهامة تابعة لهم. ويتحصل ايضاً ان شعيب نبيّ بني حضورا وابن صاحب المعجم كان من اشياع نبوخذنصر وحكمهُ في قومهِ كحكم ارميا في اليهود فلما قتلهُ قومهُ من اهل الوبر في تهامة استنجد اهلهُ او حزبهُ بختنصر وكان حينئذٍ في اليهوديَّة وجهاتها يفكر في غزو العرب وبلاد اليمن ليلحقها باملاكهِ كما فعل من سبقهُ من ملوك اشور وقوادها العظام فسار اليهم ليثأر منهم بدم النبيّ المقتول. وكان مسيرهُ بعد ان مرَّ باورشليم في الرابعة من ملك يهوياقيم. وهنا نقول انهُ لاقى من الصعوبات في غزو هذه البلاد اشدَّ مما لقيهُ الرومان في اوائل التاريخ المسيحي في ايام اوكتافيوس قيصر ذلك لان هؤلاء لم يحتاجوا الى قطع الصحراء الشمالية لانهم ساروا بالسفن من مصر حتى بلغوا الحوراء فنزلوا عليها ومن هناك دخلوا تهامة واليمن واما هو فاضطرَّ الى قطع الصحراء ومحاربة العدنانيين او قيدار اولاً وبعد ان استلحمهم استمرَّ على غزوتهِ خلفهم الى تهامة وحضورا. وعليهِ فقد لاقى من المشقات اضعاف ما لاقاهُ الرومان ولاسيما ان المصريين كانوا عليهِ لامعهُ ومن اشدّ خصومهِ ايضاً ولا يبعد انهم انجدوا اهل حضورا وامدُّوهم بالمال والرجال. ولا يبعد ايضاً بل هو مما يجوز لنا ترجيحهُ ان قد توجهت عليهِ غلبة او غلبات احياناً فأُشيع خبر انقلابهِ في سوريا وفلسطين اشاع ذلك خصومهُ المصريون فارتد بذلك كثيرون من الشعوب عن طاعتهِ ومن جملتهم اليهود. وهذا مما يفسر لنا سبب عصيان يهوياقيم على بختنصر بعد ان استعبد لهُ ثلاث سنين على ضعف سياستهِ وتفرُّق قلوب اهل

مملكته عنهُ . ويفسر لنا ايضاً ما جاء بهِ صاحب سفر الملوك من انهُ لما عاد يهوياقيم فتمرد على بختنصر ارسل عليهِ الرب غزاة الكلدانيين والاراميين ولم يقل جيش الكلدانيين ولا بختنصر ملكهم لانهُ لم يكن حينئذٍ يستطيع ان يحضر بنفسهِ ولا ان يرسل اليهم جانباً كبيراً من جنودهِ لانهُ كان منهمكاً بحروبهِ في اليمن وتهامة وكانت الحرب شديدة لا تؤْذن لهُ ان يوجه جيشاً كبيراً منظماً ليقتص من اليهود فارسل من ثمَّ شراذم غزاة فالتفَّ عليهم قوم من الاراميين والموابيين والعمونيين اعداء اليهود وكان من همّ هؤُلاء الغزاة مضايقة اليهود واعناتهم بالغزو على اطراف بلادهم وقطع السابلة على تجارهم وقوافلهم الى ان يكون فرغ بختنصر من حرب العرب . ومما يستوجب الفكرة أَن لم يكن بين هؤُلاء الغزاة على يهوياقيم احد من الادوميين ولعلَّ ضلعهم كان مع اليمنيين على بختنصر كما كان ضلع من خلفهم من الانباط مع اهل اليمن على الرومانيين

وقد استمرَّت هذه الحرب على ما يظهر نحواً من ثلاث سنين خرج منها بختنصر مظفَّراً غالباً ودانت لهُ عند نهايتها البلاد كلها من نهر مصر الى نهر الفرات وفرغ حينئذٍ لحرب اليهود فلم يلبث ان استسلم اليهِ يهوياكين ملكهم بعد ثلاثة اشهر من الحصار كما ذكرنا

هذا ما خطر لي في التحقيق عن ممالك حاصور ولا اشكّ ان من يقابل كما قابلت ويراجع ما راجعتهُ يتبين لهُ كما تبين لي وخلاصتهُ ان قيدار هم العرب العدنانيون وان ممالك حاصور هم بنو حضورا تبابعة اليمن في ذلك الحين وان حروب بختنصر معهم استمرَّت نحواً من اربع سنوات من السنة السابعة ليهوياقيم الى السنة الحادية عشرة من ملكهِ وهي السنة التي مات فيها . ويظهر لهُ ايضاً ان التبابعة بني حضورا كانوا منقسمين الى حزبين حزب مع المصريين وآخر وهو حزب شعيب بن ذي مهدم مع البابليين وان هذا الانقسام والتحزُّب لنبوخذنصر هو الذي مكَّن هذا الملك البابلي من اجتياح بلادهم وايقاعهِ بهم حتى كاد يفنيهم مما لم يسبق لملك قبلهُ ولم يتأَتَّ مثلهُ لمن بعدهُ . وقد بقي خبر هذه الغزوة لشدتها محفوظاً في تقاليد اليمن لحد هذه الساعة دون غيرها من غزوات المصريين والاشوريين والرومانيين . ومما يؤيد صحة هذه الغزوة على ما ذكرنا ايضاً وجود الانباط وهم سكان بابل في حقل جهران وحقل قتاب في قلب اليمن قال الشاعر على لسان احد التبابعة

فسكنتُ العراق خيار قومي وسكنت النبيط قرى قتاب

انظر الهمداني وصف جزيرة العرب وجه ١٠٤ . وفوق كل ذي علمٍ عليم

بيروت المدرسة الكلية جبر ضومط

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تسخين الطعام

ترى في الصورتين المقابلتين سيدة باحسن ثيابها وزينتها تطبخ طعامها بيدها ولا يمنعها ذلك من ان تجلس على كرسيها تقرأ جريدة او تخيط ثوباً . وترى امامها قنديلاً من قناديل السبيرتو وهي تملأهُ من ابريق السبيرتو وفوقهُ مقلاة لطبخ الطعام او لتسخينهِ والمقلاة موضوعة على كانون مزخرف من الحديد لهُ ثلاث قوائم وكل ذلك موضوع على مائدة مغطاة بملاءة بيضاء نقية لا تخجل اية سيدة كانت من وضعها في غرفة المائدة او في غرفة الجلوس . وترى هذه السيدة نفسها في الصورة الثانية ترفع الغطاء عن المقلاة وتنظر الى ما فيها من طعام لترى هل سلق او قلي او قلّ ماؤُهُ وهي ممسكة الغطاء بيدها ولا تحترق لان مسكتهُ من الخشب او الابنوس الذي لا تمتد الحرارة فيهِ

ان طبخ الطعام او تسخينهُ على هذه الكيفية صناعة قديمة جداً كان نساء ترواده يستعملنها منذ ثلاثة آلاف سنة كما يستدلُّ من الآنية التي اكتشفها شليمن في خرائب تلك المدينة . وكانت المقالي والقدور تصنع حينئذٍ من الذهب والفضة كما كانت تصنع من الفخار دلالة على ان نساء الاغنياء كن يطبخن بايديهنَّ كما يطبخ اخواتهنَّ الفقيرات . وقد كشفت مقالي وقدور مثل هذه في المدافن المصرية القديمة ومعها كوانين يوضع فيها الجمر لطبخ الطعام او لتسخينهِ . وتغنى احد شعراء اليونان بمدح طبَّاخ قلى السمك بمقلاة على الكانون

وكان الرومانيون يصنعون المقالي من الفضة والنحاس و يصفُّونها حول المائدة على كوانينها حتى يبقى الطعام فيها سخناً لذيذاً على ما قالهُ سنيكا الحكيم . وقال شيشرون الخطيب ان بعض تلك المقالي كان ثميناً جداً حتى ان واحداً سمع مرة صوت الدلال ينادي على مقلاة ويذكر ثمنها فظن انهُ يبيع ابعدية

وكان طبخ الطعام على هذه الصورة شائعاً في فرنسا فقد كان عند الملكة ماري انطوانت مقلاة تسخن الطعام فيها بقنديل السبيرتو في زمن عزها وهي في قصر بتي تريانون . واستعمال

قنديل السبيرتو كان بدعة جديدة بعد ان كان الطعام يطبخ ويسخن على كوانين الجمر

وقد يظن لاول وهلة ان هذا النوع من الطبخ او التسخين لا يستعمل الاَّ في اعداد الفطور صباحاً والطعام الخفيف الذي يؤكل عصر النهار. ولكن النساء الاميركيات يستعملنهُ الآن لاعداد كل انواع الاطعمة لان اجور الخدم كبيرة فاحشة في اميركا فقلما تستطيع المرأة التي حالة زوجها متوسطة ان تستأجر طبَّاخاً فتضطر ان تطبخ طعام بيتها بيدها وتختار لذلك قناديل السبيرتو الكبيرة التي يشتعل القنديل منها ساعةً ولا يحتاج ان يوضع فيهِ سبيرتو جديد ولهُ مفتاح يرفع بهِ ويخفض حتى تزيد حرارتهُ او تقلُّ حسب مقتضى الحال ويكون الكانون حولهُ جميل الشكل تزدان بهِ المائدة التي يوضع عليها ويكون للقالي مسكات طويلة من خشب الابنوس حتى لا تسخن وتحرق اليد. ويكون مع القنديل ابريق للسبيرتو طويل العنق حتى يسهل على المرأة ان تملأ منهُ القنديل ولا تتسخ يدها كما ترى في الصورة الاولى ويكون للقالي اغطية محكمة حتى يبقى البخار مع الطعام فيسهل نضجهُ ولا يجف

والاطعمة التي تطبخ على هذه الكيفية كثيرة ولاسيما بعد ان صارت اطعمة مختلفة تباع في علب من الصفيح ولا تدعو الحال الاَّ الى تسخينها ولكن اذا لم تكن هذه الاطعمة موجودة فلا يتعذَّر على المرأة ان تقلي السمك وتحمّر اللحم وتفلفل الرز وتصنع الشوربا بل قد لا يتعذَّر عليها ان تطبخ اليخاني على انواعها ولاسيما اذا جرت على الاساليب الاوربية

ولهذا النوع من الطبخ مزايا كثيرة فان المرأة التي تطبخ طعام بيتها بيدها على هذه الصورة لا تفرّط في شيءٍ ولا تتلف شيئاً وتوفر اجرة الطباخ وطعامهُ ولا نبالغ اذا قلنا انها توفر نصف مصروف الاكل اذا كانت عائلتها مؤلفة من زوجها وولدين او ثلاثة ثم ان طبخ طعامها على هذه الصورة لا يتعبها لانها تطبخ وهي جالسة على كرسيها وقلما تضطر الى الوقوف ولا يضيع وقتها بل تتسلَّى

واذا كانت المرأة في سعة وعندها الخدم والحشم فتعلُّمها الطبخ على هذه الكيفية لا يضرها بل ينفعها لانها قد تضطر اليهِ اذا كانت في سفر او اذا خرجت مع اصحابها للنزهة

الاولاد وجنائن الحيوانات

لا شيءَ يسلي الاولاد ويعلمهم ويفيدهم مثل مشاهدة المعارض وجنائن الحيوانات اما المعارض فمدن القطر المصري محرومة منها ما عدا دار التحف المصرية في القاهرة ودار التحف اليونانية والرومانية في الاسكندرية والدخول اليهما قلما يكون مباحاً للاولاد واما جنائن

الحيوانات ففي القاهرة اثنتان منها الآن جنائن الحيوانات في حديقة الجيزة واحواض الاسماك في الجزيرة والدخول اليهما مباح باجرة طفيفة وقد صار الوصول الى جنائن الجيزة سهلاً بعد امتداد خط الترامواي على كبري الجيزة فيليق بالوالدين ان لا يدعوا فرصة تضيع من غير ان يأخذوا اولادهم لمشاهدة ما في تلك الجنائن من الحيوانات على انواعها فقد رأينا اطفالاً لا يزيد عمر الطفل منهم على ثلاث سنوات وهم يمشون ساعات في تلك الجنائن يشاهدون ما فيها من الحيوانات المختلفة ولا يشكون تعباً فيستفيدون من رياضة ابدانهم واستنشاق الهواء النقي ويلاحظون اموراً ترسخ في اذهانهم وتوسع معارفهم

وحبذا لو وجد في قلب المدينة معرض طبيعي تعرض فيهِ الحيوانات مصبَّرة على اشكالها وانواعها او لو ابيح لكل احد الدخول الى معرض التاريخ الطبيعي في مدرسة قصر العيني او لو نقل ذلك المعرض الى بناء خاص بهِ وفتحت ابوابهُ في بعض ايام الاسبوع للجمهور فيكون بمثابة مدرسة لهم

مكتبة المرأة

ما اقل كتبنا التي نشير على النساء بمطالعتها وحفظها في بيوتهنَّ للرجوع اليها وقت الحاجة ولكنها على قلتها مفيدة جدًّا ككتاب كفاية العوام للدكتور ورتبات وكتاب تدبير الصحة لهُ ايضاً وكتاب تمريض المرضى لابنتهِ وكتاب سر النجاح ومجلدات المقتطف كلها وكتاب تحرير المرأة وكتاب المرأة الجديدة وهما للمرحوم قاسم بك امين والروايات التي نشرناها في المقتطف ونحو ذلك من الكتب التي لا تخجل الفتاة المتهذبة ان تقرأها على مسمع ابيها وامها واخوتها فان هذه الكتب كلها مفيدة جدًّا ولا يحسن ان تخلو منها مكتبة ربة بيت لانها تكون لها ولاولادها خزانة فوائد ومدرسة تعليم وبستان تسلية

الحذر من الخضر

دخل الصيف ولم ينتشر في القطر وباء بفضل التحوطات الصحيَّة · ولكن كثر انتشار الحمى التيفويدية · وعدوى هذه الحمى الخبيثة تكون في مبرزات المصابين بها فاذا تلوث الماء بمبرزات المصابين وشرب الناس هذا الماء او غسلوا بهِ الآنية التي يوضع فيها اللبن او غسلوا بهِ البقول التي تؤْكل من غير طبخ كالخس والفجل والجرجير فان العدوى تنتقل الى الذين يشربون ذلك اللبن او يأكلون تلك البقول

لما فشت الحمّى التيفويدية في مدينة بيروت منذ سنوات قليلة وجد الباحثون انها فشت فيها على اثر مطر جارف وقع في الجبل · والقناة التي يجري فيها الماء الى بيروت من نهر الكلب مكشوفة في بعض الجهات فلا يندر ان يكون انسان مصابًا بالتيفويد وتلقى مبرزاتهُ حيث تجرفها المياه الى تلك القناة فتنتشر جراثيم التيفويد في الماء وتصل الى الذين يشربونهُ · والظاهر انهُ حدث شيء من ذلك فوصلت المياه الى بيروت ملوثة بجراثيم التيفويد ولكن الجراثيم لا تملأُها ولا هي منتشرة فيها على السواء بل متفرقة فيها جماعات جماعات (كولونيات) كما تكون جراثيم الامراض في السوائل التي تنمو فيها فاذا اتفق ان شرب شخص شربةً فيها جماعة من تلك الجراثيم وكان جسمهُ مستعدًّا للعدوى عدي بها · ويقال انهُ اصيب بالتيفويد حينئذٍ نحو اربعة آلاف نفس

ولا يخفى ان البقول كالفجل والخس والثوم والكراث تزرع في ضواحي المدن المصرية وتروى احيانًا كثيرة باقنية قذرة فاذا اصيب صاحب البستان او احد اولادهِ بالتيفويد فلا يبعد ان تتصل مبرزاتهُ بالمياه التي تروى منها تلك البقول فتتلوث بها · وكثيرًا ما ترى النساء يغسلن الخس والفجل في المياه الراكدة على جوانب الترع · وترى كثيرين يتغوطون على جوانب الترع ايضًا فاذا اتفق ان تلوث الماء بمبرزات مصاب بالتيفويد فكل ما يغسل في ذلك الماء يتلوَّث بها · اذا اتضح ذلك فالسبيل لاتقاء عدوى التيفويد يقوم بالامتناع عن شرب الماء الذي يمكن ان تتصل بهِ جراثيم هذا المرض وعن شرب اللبن الاّ بعد اغلائهِ لكي تموت كل الجراثيم التي يمكن ان يلوَّث بها وعن اكل البقول على انواعها الاّ بعد غسلها جيدًا بماء نقي · وقس على البقول انواع الفاكهة فانها قد تغسل بماء غير نقي قبل بيعها فيجب غسلها بماء نقي قبل اكلها

الحجاب في الهند

كتب احد الهنود في المجلة الهندستانية مدعيًا ان الحجاب لم يدخل بلاد الهند الاّ بعد دخول الاسلام اليها فشاعت عادة تحجب النساء حينئذٍ وبقيت الى هذا الزمن فاضعفت عقولهن وضعفت بضعفها عقول الامم الهندية · ومن رأْي الكاتب ان لا بدَّ من ابطال عادة تزويج البنات قبل ان يبلغن السن المناسب للزواج وللقيام باعبائهِ ولا بدَّ ايضًا من جعل الزواج بالاختيار اي ان يختار الزوج زوجتهُ والزوجة زوجها بارادتهِ وارادتها وابطال العادة المتبعة الآن وهي اختيار الزوج والزوجة بالتنجيم ومعرفة الطالع فاذا جرى الهنود حسب

مشورة هذا الكاتب الهندي سبقونا في مضمار العمران وجاروا اخوانهم اهالي اليابان

تعليم البنات

قلما تقرأ جزءا من المقتطف الاَّ وتجد فيهِ كلاماً عن تعليم البنات . فخذا الآن المجلد الثالث والعشرين فانفتح عند الصفحة ٥٤٠ وهي من جزء شهر يوليو سنة ١٨٩٩ الذي صدر منذ عشر سنوات فرأينا اننا كتبنا فيها كلاماً مسهباً عن تعليم البنات لا نسترجع منهُ الآن حرفاً واحداً بل نؤيد كل كلمة وردت فيهِ . ومما اشرنا بهِ هناك ان تنشأ مدارس كبيرة لتعليم المعلمات وان يرغبن في التعليم بكل واسطة ممكنة ولو جُعلت اجورهن مثل اجور المعلمين ثم ختمنا تلك المقالة بقولنا "ان نشر التعليم الى هذا الحد امر كبير جدًّا ولكن حياة الامة متوقفة عليهِ فاما ان تأخذ فيهِ من الآن او تهمله لما ترى دونهُ من العقبات المالية والاجتماعية وما ترى عليهِ من الاعتراضات المتلبسة بلباس الدين . فان اخذت فيهِ بالجد وذللت الصعاب تم لها الغرض المطلوب بعد سنين قليلة والاَّ فلا مفر لها من توالي الضعف فيستمر الاجنبي عليها ولا يبقى لها سبيل الى مجاراتهِ"

ظلم الازياء

كان الناس يضربون المثل ببساطة الانكليزيات في ملابسهن اما الآن فقد زالت تلك البساطة وتمكن تجار الازياء (الموضة) من حمل النساء الانكليزيات على متابعتها ولو كنَّ من المتعلمات المهذبات اللواتي قلما كنَّ يهتممن بالزينة الخارجية . وقد بلغنا من اللواتي يزرن السيدات المصريات المحجبات انهن يجارين الازياء الحديثة في ملابسهن وعقص شعورهن ويتبعن احدثها ويلبسن اغلى الثياب ولو لم يرهن احد . ولا يخفى ان نفقات ملابس النساء تبلغ مبلغاً طائلاً جدًّا اذا اتبعن الازياء الاخيرة لان ما يساوي جنيهاً اذا كانت موضتهُ قديمة لا يمكنك ان تشتريهُ بجنيهين او ثلاثة اذا كانت موضتهُ جديدة . اما الانكليزيات فلا ضرر من مجاراتهن الازياء لان الانكليز من اغنى امم الارض واما المصريات فلا يمكنهن ان يجارين الازياء لان سكان القطر المصري افقر من افقر سكان اوربا اذا اعتبرت الثروة العمومية . وهنا مجال واسع للحث والانذار فعلى الذين يعلمون بنات الاغنياء والاوساط ان يرسخوا في اذهانهن انهن لا يستطعن ان يجارين الازياء الجديدة الاَّ بخسارة كبيرة على ذويهن وبلادهن



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

لا سكان في المريخ

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

قرأت ما كتبهُ حضرة الفاضل الاستاذ جرداق في الجزء الاخير من المقتطف ردًّا على رأيهِ يتضمن امرين جوهريين الاول انكارهُ عليَّ اعتمادي على رأي الاستاذ ولس واتخاذي قولهُ حجة تفوق حجة من يتخذ قول لول اذا خالفهُ . والثاني انكارهُ عليَّ وعلى المقتطف حسباننا الخطوط التي تظهر على سطح المريخ " من جملة الحوادث الطبيعية التي لم يبحث احد في تعليلها حتى الآن لانها لا تحدث في ارضنا " بناء على ان ذلك يخالف القضايا العلمية المسلَّم بها

فاسمحوا لي ان ابدي لكم ما عندي من الايضاح في هذين الامرين

الاول . نعم ان الدكتور ولس ليس من علماء الفلك مثل الاستاذ لول ولا هو من علماء الرياضيات مثلهُ ولكن مسألة وجود الناس او المخلوقات العاقلة التي تحفر ترع المريخ لا تحل بالرياضيات ولا بالفلك بل ان كان لعلم من علوم البشر سبيل الى حلها فذلك العلم هو علم الحياة الذين برَّز فيهِ ولس على الاقران ولهذا يعتمد رأيهُ ويفضَّل على رأي غيرهِ في هذه المسألة . ولم يخطر ببالي ان هذا الامر يخفى على الاستاذ جرداق او انهُ ينسبني الى الجهل المطبق حتى افضل ولس على لول في علم الرياضات والفلك واحسب ان هذه المسألة تحل بمعرفة الزوايا والجيوب او بالتلسكوب والسبكتروسكوب . نعم ان الاستاذ ولس بنى حكمهُ على ما يعلم من طبائع المريخ وفي جملتهِ عدم وجود الماء فيهِ وقلة الحرارة اللازمة لحياة الحيوان وان شئت فقل لحياة المخلوقات العاقلة التي تحفر ترعاً اطول من النيل واعرض من المسسبي . وقد ثبت الآن وجود البخار المائي ولكن تأخر اكتشافهِ دليل على قلتهِ وهب انهُ ليس قليلاً فوجودهُ

وحدهُ لا يكفي لحياة الحيوان بل لو وجد البخار المائي والمطر ايضاً وكانت الحرارة معتدلة لما كفى ذلك وحدهُ لوجود المخلوقات العاقلة كالانسان لان وجود هذه المخلوقات يقتضي سلاسل من التغيرات البطيئة في نمو الاحياء ونشوئها بعلما ويحكم بها عالم مثل ولس لا عالم مثل لول . فعلماء الفلك وعلماء الطبيعة عموماً يستطيعون ان يعرفوا صفات المريخ الطبيعيَّة من حيث شكلهُ وثقلهُ النوعي وحرارتهُ والعناصر الطبيعيَّة الموجودة فيهِ وقد يعرفون بعض المركبات الكيماوية ايضاً ولكن علماء الجيولوجيا يقابلون ذلك بحالة الارض ويحكمون ان المريخ يشبهها في الدور الفلاني من ادوارها الجيولوجيَّة السالفة او التالية وعلماء الحياة يحكمون حينئذٍ هل هو صالح لوجود الاحياء فيهِ او غير صالح وان كان صالحاً فلاي نوع من الاحياء هو صالح وهذا الحكم الاخير لا شأن لعلماء الفلك فيهِ اي لا يؤْخذ بقولهم فيهِ اكثر مما يؤْخذ بقول غيرهم من جمهور العلماء فان قال عالم مثل ولس ان الشروط اللازمة لحياة الحيوان الارضي غير موجودة كلها في المريخ فلا حيوان فيهِ وخالفهُ لول فالقول ما قال ولس لا ما قال لول

ثم اني ارى في الطبيعة دليلاً آخر على عدم وجود المخلوقات العاقلة في الاجرام السموية وهو من قبيل الدليل الذي يستدلُّ بهِ بعض العلماء على وجود المخلوقات العاقلة فيها فانهم يقولون ان الارض من اصغر اجرام السماء وهي مسكونة بمخلوقات عاقلة فلا يعقل ان خالق هذا الكون يحصر المخلوقات العاقلة في الارض وحدها ويترك سائر اجرام السماء خاوية خالية وبينها ما هو اكبر من الارض جدًّا وما هو اقدم من الارض جدًّا بل الارض ليست شيئاً مذكورًا بالنسبة اليها حتى يضطر علماء الفلك ان يحسبوها نقطة في قياس ابعاد الثوابت واقدارها

لكننا اذا سلمنا بقولهم هذا خلصنا من مشكلة ووقعنا في ما هو اشد اشكالاً منها فاذا كانت الاجرام السموية مسكونة بمخلوقات عاقلة لانها اكبر من الارض واقدم وجب ان تكون مخلوقاتها العاقلة ارقى من مخلوقات الارض بالنسبة الى كبرها وقدمها لان الارتقاء مع الزمن سنة طبيعية وينتظر ان يكون جاريًا في سائر عوالم الله كما هو جارٍ في ارضهِ وعليهِ ينتظر ان يكون في الشعرى مثلاً مخلوقات اقدم من الناس واعقل واقدر بنسبة ما الشعرى اكبر من الارض واقدم وقس على ذلك سائر اجرام السماء . ونحن البشر على صغر ارضنا وحداثتها عرفنا عناصر الكواكب وكدنا نجعلها تشعر بوجودنا فاذا كان سكانها اقدر منا واعقل حسب ناموس الارتقاء على نسبة كبرها وقدمها فمن اغرب الغرائب انهم لم يجعلونا نشعر

بوجودهم حتى الآن بطريقة محسوسة لا ريب فيها . ويظهر لي ان فرض وجود هذه المخلوقات مع عدم تأثيرها فينا كما هو الواقع ابعد عن الاحتمال من فرض خلو الاجرام السموية من المخلوقات العاقلة . لان وجود المخلوقات العاقلة اي ارتقاء الاحياء من ابسط انواعها الى ان تصير اناساً عاقلين يقتضي من الفواعل والمؤثرات ما لا يجتمع كله مرتين في مليون مليون مرة . ولذلك لا يعقل من كل حيوانات الارض ونباتاتها غير الانسان فاذا لم تجتمع هذه الفواعل والمؤثرات الآمرة واحدة من كل ازمنة الدهر وفي جرم واحد من كل اجرام السماء فلا عجب لان عدم اجتماعها كذلك منطبق على قواعد المرجحات (probabilities) وهو معقول اكثر من اجتماعها مرارًا عديدة وفي اجرام كثيرة . فاذا لم نجد فيلاً في الزهرة ولا في عطارد ولا في المريخ ولا في زحل ولا في المشتري ولا في الشعرى ولا في العيوق ولا في الدبران ولا في غيرهن من اجرام السماء فذلك ليس اغرب من وجود الفيل في واحد من هذه الاجرام لان وجوده ونشوءه من حيوان ارضي صغير مثل الوبر اقتضى الف شرط وشرط من الشروط التي احتمال وجودها كلها في عالم آخر لا يبلغ واحدًا في مليون مليون مرة

وما دام البحث قد امتدَّ الى ما هو وراء الطبيعة يسمح لي الاستاذ جرداق ان اذكره بان فرض وجود المخلوقات العاقلة في غير الارض وارتقائها فيها على نسبة اجرامها واعمارها يبطل الاديان كلها ولاسيما الدين المسيحي المبني على نزول ابن الله لافتداء البشر لاننا لا نقدر ان نتصوَّر ان الله يطالبنا بغير ما تدركهُ عقولنا وعقولنا لا تدرك غير ما يقع تحت اختبارها او ما يقاس عليهِ . ولا نستطيع ان نتصوَّر ان لله مخلوقات نسبة الانسان اليها كنسبة حبة الرمل الى الارض كلها او قطرة الماء الى البحر كلهِ وهو مع ذلك يهتم بهِ ويخاطبهُ كانهُ افضل مخلوقاتهِ وغايتها او كأن ليس في ملكوتهِ غيره . وقس على الدين المسيحي سائر الاديان التي تجعل الانسان سيد المخلوقات في نظر الخالق فان فرض وجود المخلوقات العاقلة في الاجرام السموية التزاماً يقضي على الاديان كلها ويخرجنا من مشكل ليوقعنا في ما هو اشد إشكالاً منهُ . نعم ان العلم لا يرحم بل يصل الى نتائجهِ المترتبة على مقدماتهِ اردنا او لم نرد ولكن هذه النتائج ليست من المحتومات بل من المرجحات (probabilities) وعلينا ان نتمسك بالراجح لا بالمرجوح منها

هذا من حيث الامر الاول اما الامر الثاني وهو تفسير الخطوط التي تظهر على سطح المريخ بانها من الحوادث الطبيعيَّة التي لم تفسَّر حتى الآن لانها لا تحدث في ارضنا فقد اتاني فيهِ بالاخبار من لم ازودِ لاني قرأت لبعضهم الآن رسالة نشرتها جريدة نانشر في ٧ مارس

الماضي مفادها انهُ ان وجدت الاحياء في المريخ فلا تكون الاَّ من نوع النبات الكبير الذي تمتد عروقهُ مثل اذرع الاخطبوط وتكتنف ذلك السيار فيمتص بها الماء من ثلج القطبين وتظهر لنا كالاقنية • وهذا الفرض معقول وادلة الكاتب عليهِ قوية فاذا ثبت كان منطبقاً على ما قلتهُ اي ان هذه الخطوط من الحوادث او الظواهر الطبيعية التي لم يبحث احد في تعليلها حتى الآن اي الى وقت كتابتي الماضية • وفرض وجود نبات تمتد عروقهُ الوفاً من الاميال غريب في ذاتهِ ولكنهُ ليس محالاً وغاية ما فيهِ انهُ يجعل نسبة نبات المريخ الى بعض النباتات البحرية كنسبة هذه الى الزوفا او كنسبة ثروة ركفلر الى ثروة كاتب هذه السطور

وخلاصة القول اولاً انهُ ينتظر من علماء الفلك الذين مثل لول ان يكشفوا احوال المريخ الطبيعيَّة ومن علماء البيولوجيا مثل ولس ان يحكموا هل هذه الاحوال صالحة لوجود المخلوقات الحية والاحياء العاقلة فيهِ وهذا ما اردتهُ في استشهادي بولس • وثانياً انهُ اذا رجح علماء البيولوجيا عدم وجود مخلوقات عاقلة في المريخ تستطيع ان تحفر فيهِ ترعاً كبيرة وهي الخطوط التي تشاهد على سطحهِ فلتلك الخطوط سبب طبيعي آخر او تعليل آخر والتعليل الذي نقلتهُ عن جريدة نائشر لا يبعد عن التصور ولا يناقض شيئاً من معلوماتنا ومعتقداتنا

مصر احد القراء

العزلة

طالعت المقالة النثرية الشعرية التي دبجتها براعة الشاعر السوري الاميركي امين افندي ريحاني في العزلة ولم اكد آتي على آخرها حتى تصورت نفسي بين امة كبيرة كالامة الاميركية او الفرنسوية وقد قرأت مقالتهُ وانتصحت بنصحهِ ولجأت الى العزلة فترك المدنيون معاملهم ومجارفهم وقالوا ما لنا ولقلع حجارة الفحم والحديد والفضة والذهب وهرعوا الى وادٍ مثل وادي الفريكة ليسامروا الطبيعة ويناجوا نفوسهم واقتفى خطواتهم ربابين السفن وساقة المركبات وصنَّاع المعامل وحاكة الثياب وتجار الحبوب وكل صاحب صناعة او حرفة كل هؤلاء تركوا مشاغل الحياة وهمومها وخرجوا بنسائهم واولادهم ولجأُوا الى الكهوف والاودية وجلسوا في ظلال الاشجار وسمعوا حديث الصنوبرة مع بنتها والسنديانة مع اختها لانهم "سئموا ملاذ هذا المجتمع وموبقاتهِ وشرورهُ فعادوا الى امهم الطبيعة لتداويهم بنور شمسها وعليل هوائها وشذا رياحينها" • رأيتهم كذلك جلوساً متكئين في افياء الاشجار وظلال الصخور فجلست في

مكان يشرف عليهم وراقبتهم في حركاتهم وسكناتهم رجالاً ونساء ابناء وبنات كباراً وصغاراً حتى اذا تكبدت الشمس السماء وحان وقت الغداء رأيتهم يتحركون ويتململون وجعل الصغار يبكون وينتحبون وامهاتهم يعللنهم بما معهن من فتات الخبز وبما يقتلعنهُ من نبات الارض. ثم آذنت الشمس بالمغيب فكثرت الحركة والضوضاء وعلا صياح الاطفال وانتشر الشبان والعذارى يفتشون عن البقول والجذور ولم تطل مدة الشفق لان الوقت كان صيفاً فاظلم الليل وبرد الهواء وجعل النساء يفتشن عن الكهوف ليلجأن اليها باطفالهن ووقفت الذئاب على رؤوس الشواهق وعيونهن تخترق حجب الليل وآذانهن تلتقط ركز الاقدام وانوفهن تستروح عرق الجباه لعلهن يستفردن واحداً يفترسنهُ

مضى الليل وبزغ الفجر والوجوه كاسفة والهمم فاترة والاقدام لا تحمل الاجسام وتلك الجماهير تهرول راجعة الى معترك الحياة وامامها عصابة من الفتيان تنشد بصوت رخيم قائلة

لا يبطل السعي ذو نفسٍ ولو ملكاً وليس في الارض حيٌّ عادم الحركهْ
ما قال ربك نم في الظل متكلاً بل اعملِ الارض واسعَ تكثرِ البركهْ

كاره الكسل

التعريب

حضرات الفضلاء محرري المقتطف

ضمني مجلس مع جمهور من الادباء الذين قرأوا مقالات التعريب المدرجة في المقتطف فاستغربنا كيف نشرتموها كلها من غير ان تعقبوا عليها او تبدوا رأيكم فيها وانتم اكثر الناس اشتغالاً بهذا الموضوع فقد اشتغلتم بهِ منذ خمس وثلاثين سنة الى الآن شغلاً متصلاً سنة بعد سنة وشهراً بعد شهر ويوماً بعد آخر وفزتم فيهِ اكبر فوز فلماذا لا تذكرون لنا القواعد التي استنبطتموها وجريتم عليها في التعريب فجعلت كتاباتكم المترجمة كأنها مكتوبة بالعربيَّة وليس عليها لمحة من اصلها الافرنجي ولم يتعذر عليكم ترجمة المقالات العلمية والفصول الادبيَّة والخطب السياسيَّة ولا الكتابة في اي موضوع من المواضيع فتكتبون في الحساب والجبر والهندسة والفلك والطبيعة والكيمياء والجيولوجيا والبيولوجيا والفلسفة العقلية وعلم الاجتماع وعلم الاخلاق وحقوق الدول وحفظ الصحة وتمريض المرضى وتربية الاطفال وحرث الارض وغرس الاشجار وصبغ الثياب وسبك المعادن كما تكتبون في الصرف والنحو والبيان ونحو ذلك من العلوم العربيَّة وتجدون في العربيَّة متسعاً للتعبير عن كل العلوم والفنون

والافكار. فانا وغيري من قراء مجلتكم نود ان تكتبوا لنا عن القواعد التي تتبعونها في ترجمة ما تترجمون وفي التعبير عن المعاني الجديدة التي لم تكن معروفة عند العرب لاننا نرى انها هي الاساليب التي يجب العمل بها بعد ان جربت فوفت بالمراد والسلام عليكم ورحمة الله

احمد المغربي

[المقتطف] اننا نشكركم على حسن ظنكم بنا ونؤكد لكم ان اسلوبنا بسيط ونحن لم نتقنهُ حتى الآن فلا يحق لنا ان نجعلهُ قاعدة واجبة الاتباع لاسيما واننا لا نزال آخذين في تهذيبهِ متعلمين من اختبارنا واختبار غيرنا ومع ذلك لا يبعد ان نلبي طلبكم ونكتب عن الطرق التي نجري عليها في التعريب ولو لم تبلغ ما نريدهُ لها من الاتقان



الاراضي الزراعية

وفقر القطر المصري

ابنا في الجزء الثاني من اجزاء هذه السنة ان مساحة الاطيان الزراعية في القطر المصري كلهِ ٥٥٣١٦٣٨ فداناً ومساحة الاطيان القابلة للزراعة وهي لم تزرع حتى الآن لعدم وجود الماء اللازم لريها ١٠٤٧٤٦٢ فداناً والجملة ٦٣٨٧١٠٠ وحيث ان عدد السكان في القطر المصري نحو اثني عشر مليوناً من النفوس فاذا وزعت اطيانهُ على سكانهِ خصَّ النفس الواحد منهم نحو نصف فدان لا غير

فانظر الآن كيف الحال في بعض البلدان من حيث ما فيها من الاطيان الزراعية وعدد سكانها وهي في استراليا وزيلندا الجديدة وتاتال

اسم البلاد	عدد سكانها	الاراضي المباعة لم بيعاً تاماً	الاراضي المباعة لم بيعاً مشروطاً	الاراضي التي لم تبع حتى الآن
نيوسوث ويلس	١٥٣٣٠٠٠	٣٢٤٨٦٠٨٦	١٧٤٨٤٢٤٩	١٤٨٦٦٤٥٤٥
فكتوريا	١٢٣٨٠٠٠	٢٢٩٦٤٩٢٩	٠٣٨٧١١١٤	٠٢٩٤٠٩٧١٧
استراليا الجنوبية	٠٣٨٣٨٣٠	٠٨١٨٧٦٢١	٠٥٤٨٤١٩٠	٢٢٩٥٧٢٩٨٩

استراليا الغربيَّة	٠٢٦١٧٥٠	٠٣٧٨١٦١٣	٠٨٧٩٤٢٨٩	٦١٢٠١٢٨٩٨
كوينسلند	٠٥٣٥١٠٠	١٤٥٨٥٥٦٠	٠٣٧٣٧٠٨٣	٤١٠٧٩٧٣٥٧
زيلندا الجديدة	٠٩٠٠٩٢٠	٢٦٠٥٩٥٣٤	٠٠٠٣٠٩٦٦	٠٤٠٧٧٠٩٤٠
ناتال	١١٥١٩١٠	٠٨٧٣٥٦٦٦	٠١٨٥٥٤٠٨	٠٠٠٩٦٢٥٣٣

ففي هذه البلدان لا يزيد عدد السكان على ستة ملايين من النفوس ولكن الاراضي الزراعية التي يمتلكونها امتلاكاً تاماً تبلغ مساحتها نحو ١١٧ مليوناً من الافدنة فيخص النفس منهم نحو عشرين فداناً هذا عدا الاطيان المباعة لهم على شرط احيائها والاطيان التي لا تزال في حوزة الحكومة ومساحتها نحو ١٥٣٠ مليوناً من الافدنة وهي لو وزعت على السكان الحاليين لخص النفس منهم ٢٥٥ فداناً ولو تركت حتى يكثر السكان ويصير للنفس منهم عشرون فداناً فقط لوجب ان يبلغ عددهم حينئذٍ اكثر من سبعين مليوناً من النفوس واذا اكتفى النفس بفدانين فتلك الاراضي تكفي سبعمائة او ثمانمائة مليون من النفوس

وقد يظن لاول وهلة ان الفدان من اطيان القطر المصري يساوي عشرين فداناً من تلك الاطيان ولكن هذا الظن خطأ. نعم ان محصول الفدان في القطر المصري اوفر من محصول الفدان في تلك البلدان ولكنهُ لا يزيد على محصول ثلاثة افدنة او اربعة فالنفس الذي يمتلك هناك عشرين فداناً كأنهُ يمتلك عندنا خمسة افدنة او اكثر وحيث ان متوسط ما يمتلكهُ النفس عندنا هو نصف فدان فقط فمتوسط كسب النفس من الزراعة هناك اكثر من متوسط كسب النفس عندنا عشرة اضعاف او اكثر. فهذا هو الواقع فان عدد سكان استراليا اربعة ملايين ونحو نصف مليون من النفوس ولكن دخل حكومتهم منهم نحو ٣٦ مليوناً من الجنيهات وتبلغ قيمة صادراتهم سبعين مليوناً من الجنيهات فدخل الحكومة من كل نفس من السكان ثمانية جنيهات وهو نحو جنيه وربع في القطر المصري. وقيمة الصادر لكل نفس من السكان هناك اكثر من ١٥ جنيهاً وهي نحو جنيهين ونصف في القطر المصري

وما قيل عن استراليا يقال عن زيلندا الجديدة فان عدد سكانها نحو تسعمائة الف نفس ودخل الحكومة منهم ثمانية ملايين ونصف مليون من الجنيهات اي نحو عشرة جنيهات من كل نفس وقيمة صادراتهم ١٨ مليوناً من الجنيهات فالنفس الواحد يصدر ما ثمنهُ اكثر من ثمانية عشر جنيهاً من محصوله وهو لا يستطيع ان يصدر من محصوله في القطر المصري اكثر من جنيهين ونصف

وهذه الاحصاءات كلها مأخوذة من الاحصاء الاخير فالذين يبالغون في غنى القطر المصري يموّهون على العقول لان غاية ما يمتاز بهِ القطر المصري على غيرهِ ان محصول الفدان فيهِ يفوق محصول الفدان في غيرهِ ولكن قلة عدد الافدنة بالنسبة الى كثرة عدد السكان تزيل هذه المزية وتجعل القطر من افقر البلدان الزراعية. واذا قابلناهُ بالبلدان القديمة التي جمعت بين الزراعة والصناعة والتجارة كانكلترا وفرنسا والمانيا وجدنا ثروتهُ دون ثروتها كثيرًا فسكان انكلترا ٤٤ مليونًا من النفوس ودخل الحكومة منهم ١٤٥ مليونًا من الجنيهات وقيمة صادراتهم ٥٨٦ مليونًا من الجنيهات فكأن متوسط ما يدفعهُ النفس للحكومة ثلاثة جنيهات وثلث ومتوسط قيمة ما يصدرهُ اكثر من ١٣ جنيهًا

وعدد سكان فرنسا ٣٩ مليونًا ودخل الحكومة منهم ١٤٥ مليونًا من الجنيهات وقيمة صادراتهم نحو ٢٧٠ مليونًا من الجنيهات

وعدد سكان المانيا نحو ٦١ مليونًا من النفوس ودخل حكومتهم منهم نحو ١٠٨ ملايين من الجنيهات وقيمة صادراتهم نحو ٣٣٦ مليونًا من الجنيهات

وعدد سكان الولايات المتحدة الاميركية نحو ٨٥ مليونًا من النفوس ودخل حكومتهم نحو ١٥٢ مليونًا من الجنيهات فقط لقلة النفقات الحربية وقد كانت قيمة صادراتهم في العام الماضي ٣٩٦ مليونًا لان اكثر تجارتهم داخلي اما ثروة السكان فتبلغ ١٣٠٠٠ مليون جنيه فيخص النفس منهم ١٥٣ جنيهًا وثروة القطر المصري تقدر بنحو ٥٠٠ مليون جنيه يخرج منها نحو ١٥٠ مليونًا قيمة الدين الذي لاوربا على الاطيان والاملاك سواء كان من دين الحكومة او دين الاهالي فيبقى من ثروة القطر لابنائهِ ٣٥٠ مليونًا من الجنيهات فيخص النفس منهم نحو ٢٧ جنيهًا اي اقل من سدس ما يخص النفس في الولايات المتحدة من الثروة العمومية

ويجب ان ترسخ هذه الحقائق في اذهان السكان حتى يقلعوا عن الاسراف والافراط في النفقات

شجرة الصابون

كتب المستر رتشرد غنثر قنصل اميركا الجنرال في فرنكفورت بالمانيا ان المستر لانج طاف في بلاد الجزائر بناءً على طلب الحكومة الالمانية ولقي فيها المسيو برتران وهو من اكبر اصحاب الاطيان في بلاد الجزائر ورئيس الجمعية الزراعية في اربا قرب مدينة الجزائر وعندهُ من الاطيان ما تبلغ مساحتهُ الوفًا كثيرة من الافدنة وهي مزروعة كرمًا وبرتقالاً وزيتونًا

وفيها كثير من شجر الصابون · ويستغل كل سنة الوفاً من الاطنان من بزر شجر الصابون هذا . وشجر الصابون مثل شجر التفاح جرماً وثمرهُ اخضر اللون وفي قلبهِ مادة دبقة ضاربة الى الصفرة وهو من اصلح المواد لغسل المنسوجات من كل الانواع سواء كانت بيضاء او مصبوغة

غلة القمح في بعض البلدان

تبلغ مساحة الارض التي تزرع قمحاً في بلاد الهند الانكليزية نحو ٣٠ مليون فدان وغلتها السنوية نحو ٣٢ مليون بشل فمتوسط غلة الفدان منها نحو عشرة ابشال وثلثين اي نحو اردبين · ومساحة الارض التي تزرع قمحاً في استراليا نحو ستة ملايين فدان وغلتها نحو ٦٦ مليون بشل فمتوسط غلة الفدان نحو اردبين ايضاً · ومساحة الارض التي تزرع قمحاً في كندا نحو ستة ملايين فدان وغلتها نحو ١٣٠ مليون بشل فمتوسط غلة الفدان نحو ٢٢ بشلاً او نحو اربعة ارادب

زراعة الخرشوف

تنشر شركة الترانزكشنس المصرية نشرة اسبوعية يكون فيها مقالة زراعية بقلم رجل خبير بالزراعة وقد نشرت في عددها الاخير مقالة وجيزة في زرع الخرشوف (الارضي شوكي) قالت فيها ما خلاصتهُ

(١) يزرع الخرشوف من البراعم او الفسائل الصغيرة التي تنبت حول النبات وهذه الفسائل تباع في القاهرة كل ١٥ فسيلة بغرش وجنسها مثل جنس النبات الذي تنزع منهُ

(٢) احسن الاوقات لزرع الخرشوف من اواخر يوليو الى اوائل اغسطس

(٣) يجب حرث الارض جيدًا مرتين وتسميدها بكثرة بعد الحرثة الاولى ويجب ابعاد الخطوط بعضها عن بعض ٩٠ سنتيمترًا اي يجب ان لا يزيد عدد الخطوط عن اربعة في كل قصبة وتبعد الشجرة عن الاخرى ٧٥ سنتيمترًا الى ٩٠ سنتيمترًا

(٤) يزرع الخرشوف في احد جانبي الخط وتزرع الفاصوليا (اللوبياء) في الجانب الآخر ثم تروى الارض ولا يجوز ريها قبل الزرع

(٥) يبتدئ حمل الخرشوف في شهر نوفمبر و يستمر حتى شهر مايو فيجب المثابرة على ريهِ طول هذه المدة كل عشرة ايام ثم يترك بدون ري في فصل الصيف الى ان يأتي وقت الزرع

فينزع النبات القديم من الارض حينئذٍ وتنزع منهُ الفسائل وتزرع بدلاً منهُ · ويدوم نبات الخرشوف في اوربا سنتين او ثلاث سنوات او أكثر (وكذلك في سورية) ولكن ظهر بالاختبار في القطر المصري ان النبات لا يبقى جيداً فيهِ بعد السنة الاولى فيفضّل قلعهُ وزرع نبات جديد بدلاً منهُ

(٦) لا بدَّ من ان تكون الارض التي يزرع الخرشوف فيها جيدة جداً وغير ثقيلة والخرشوف يفقر الارض لانهُ يأخذ الغذاء منها بكثرة فيجب ان يسمَّد جيداً · ومن الاسمدة المناسبة لهُ السباخ البلدي (الزبل) خمسون متراً مكعباً و ١٠٠ كيلو من اعلى فصفات الصودا لكل فدان ثم تعزق الارض بعد زرع الفسائل بشهر وتسبخ الفاصوليا بالسباخ الكفري وتخنق وتترك الى ان تجفى وتقلع ثم يسبخ الخرشوف بالسباخ الكفري وتعزق الارض ثانية وتمهد الخطوط حتى يصير الخرشوف في وسطها ويمكن ابدال السباخ الكفري بسباخ نترات الصودا ٣٠ كيلوغراماً للفدان · ومما يفيد الخرشوف ايضاً السباخ المصنوع من عزالة المرتفقات

(٧) ان اقل متوسط غلة الفدان المعتنى بزرعهِ ٨٠٠٠٠ خرشوفة ولكن لا بدَّ من ان يكون الزرع متقناً وان ترقَّع الارض في مكان الفسائل التي تيبس

(٨) في القطر المصري صنفان من الخرشوف الصنف العادي وهو اخضر اللون والصنف الخاص وهو قرمزي اللون ولا يوجد الاَّ في بعض الجنائن الخاصة ويجود الخرشوف عموماً ويحسن قطفهُ قبلما تظهر فيهِ علامات تفتحهِ للازهار

(٩) يختلف سعر الخرشوف بالجمل من غرش الخرشوفة الواحدة عند اول ظهورهِ الى ستة غروش المئة في شهر ابريل · والغالب ان غلة الفدان في ارضهِ تباع باربعين جنيهاً يضاف اليها عشرة جنيهات ثمن غلة اللوبياء

(١٠) اذا حسبنا اكلاف ري الفدان ٦ جنيهات فاكلاف الزراعة كلها ما عدا القطف نحو ١٥ جنيهاً

(١١) اذا زرع الخرشوف للتصدير وجب قطفهُ قبيل تصديرهِ ويقسم حينئذٍ الى ثلاثة اقدار الكبير والمتوسط والصغير ولا بدَّ من ان يبقى مع كل خرشوفة عنق طولها عشرة سنتيمترات · ويرصف الخرشوف حينئذٍ في الاقفاص طبقات وتوضع اوراقهُ في اسفل القفص واعلاهُ

تحسين القطن المصري

نشرت الجمعيّة الزراعية الخديوية المذكرة التالية لتحسين نوع القطن المصري واستئصال نوع الهندي منهُ وهي

قد اظهر جميع المزارعين في السنوات الاخيرة اهتماماً عظيماً بزيادة محصول القطن ولكنهم لم يهتموا مطلقاً بامر تحسينهِ اعني انهم يفكرون دواماً في كمية المحصل وليس في جودتهِ

ولا شك انهُ اذا استمر الحال على هذا المنوال تكون العاقبة وخيمة جدًّا وذلك لان جميع البلدان وجهت عنايتها في السنوات الاخيرة الى زراعة القطن وبعضها تبذل قصارى الجهد في انتاج قطن يفوق باوصافهِ وجودة نوعهِ الاجناس الموجودة في الوقت الحاضر

ولما كان القطر المصري زراعياً محضاً ولا يختلف اثنان في ان محصول القطن هو اس الثروة وجب على كل مزارع مصري ان يلاحظ هذه المسابقة ويفيق من رقدتهِ

ومن المعلوم ان كمية القطن المصري قليلة بالنسبة لما تنتجهُ البلاد الاخرى مثل الولايات المتحدة باميركا والهند الخ ولكن الجودة الطبيعية التي تمتاز بها اقطاننا هي سبب اضطرار المعامل الى طلبهِ ولو ضاعت من اقطاننا هذه الصفة الحسنة التي تميزها عن محصول باقي البلاد لقلت اهميتها لدى المعامل وهبطت اسعارها فيخسر بسبب هذا الاهمال مزارعو القطر خسائر جمة لا سبيل لتعويضها من طريق آخر

ومن المعلوم الآن ان رداءة القطن المصري سببها اختلاط انواعهِ المختلفة بالقطن الهندي (الافرنكي) وهذا الاختلاط يزداد سنوياً الى درجة انهُ لا يمكن الآن ايجاد اي عينة قطن عفيفي مثلاً خالية من النوع الهندي وقد اكد اكبر التجار انهُ اذا استمر الحال على هذا المنوال بضع سنوات يتغلب النوع الهندي على العفيفي وربما حل محلهُ رغم ارادتنا في معظم مزارعنا

فيجب علينا ان نسعى في الخلاص من هذا الخطر الذي يتهدد ثروة القطن المصري فنستأصل النوع الهندي ونعدمهُ بالمرة

وتوجد طريقتان لعلاج هذا الداء اولها انتقاء البذور قبل الزرع واستبعاد البذرة الهندية من التقاوي وهو امر تشتغل بهِ الجمعية الزراعية منذ ثلاثة اعوام بمساعدة مصلحة

الاراضي الاميرية ولا شك ان هذه الطريقة ستأتي بفوائد جمة ولكنها لا تكفي وحدها لابادة النوع الهندي . وهناك طريقة اخرى وهي تقليع اشجار الهندي اثناء نمو الزراعة . والعادة المتبعة عند بعض المزارعين المتنورين هي تقليع هذه النباتات بعد ان تكبر وهذا فيهِ جملة مضار منها تقليل محصول الغيط ومنها ان تقليعها بعد التزهير لا فائدة فيهِ لان التلقيح الذي يولّد الاختلاط يحصل بمجرد تكوين الزهرة

اما صغار المزارعين فكانوا يمتنعون بالمرة عن تقليع هذه الاشجار لعدم انقاص كمية المحصول ولكن بعد طول البحث والتنقيب وصلت الجمعية الزراعية الى طريقة تميز بها القطن الهندي من انواع القطن المصري المختلفة عند بدء الزراعة فيجب حينئذٍ على كل مزارع بدون استثناء ان يلاحظ هذه الطريقة عند خل (خف) القطن فيقلع الشجيرات الهندية ويترك الشجيرات المصرية ولا شك ان هذه الطريقة هي احسن ما يمكن عملهُ للوصول للغاية المطلوبة ويمكننا ان نؤكد انهُ متى اهتم بتنفيذ ذلك جميع المزارعين توصلنا بعد مضي سنتين او ثلاث لاستئصال النوع الهندي من مزارعنا كلية بشرط الاستمرار في انتقاء البذور

بقي علينا ان نعرّف المزارع كيف يميز الشجرة الهندية من الشجرة المصرية فنقول انهُ بعد ظهور شجرة القطن على سطح الارض بيومين او ثلاثة تظهر على اوراقها بقعة حمراء وذلك في نقطة اتصال الورقة بالعنق الرفيع المتشعب من الساق ويمتد هذا الاحمرار تدريجيًّا في العنق وفي عروق الورقة وكلما كبرت الشجرة تنحصر هذه البقعة الحمراء في نقطة اتصال الورقة بالعنق وعلى كل حال فانها تكون ظاهرة تمامًا ويسهل جدًّا على الاولاد الصغار ان يروها فيكفي تفهيم الانفار عند استئجارهم لخل القطن ان يقلعوا الشجيرات التي توجد فيها هذه العلامة

ولما كان يصعب علينا ان نعتقد ان جميع مزارعي القطر سيتبعون هذه التعليمات من اول وهلة وجب علينا ان ننصح من سيتبعها ان يلاحظ مسألة الحليج فلا يسمح بحلج قطنهِ الَّا بعد ان يتأكد بنفسهِ انهُ صار تنظيف عدد الحليج والغرابيل من بقايا القطن الذي كان جاريًا حلجهُ من قبل حتى لا تختلط بذرة القطن المعتنى بتنقيتهِ ببذرة أُخرى مخلوطة

سماد الذرة

نشرت الجمعية الزراعية الخديوية النشرة التالية

قد دلت التجارب العديدة التي اجرتها الجمعية الزراعية في السنين الماضية على فائدة سماد الذرة الكيماوي وقد تأكد عموم المزارعين هذه الفائدة في السنة الماضية فانهُ قد أعطى محصولاً جيداً مع زيادة في الكمية توازي اضعاف الثمن حتى ان الطلبات التي وردت في السنة الماضية كانت كثيرة جداً

نوع السماد والمقدار اللازم

هذا السماد يتركب من نوعين يسمى احدهما نيترات الصودا والآخر كبريتات النوشادر وقد دلت التجارب على ان استعمال مخلوط مركب من ١٢٠ الى ١٣٠ كيلو من نيترات الصودا وكبريتات النوشادر يأتي بنتيجة حسنة ولا مانع من ازدياد هذه الكمية اي المخلوط فانهُ كلما ازداد زادت فائدتهُ

كيفية الاستعمال

بسيطة جداً وهي :

(١) يدق نيترات الصودا حتى ينعم تماماً ويضاف اليهِ كبريتات النوشادر ويخلط معهُ خلطاً تاماً

(٢) ويمزج هذا المخلوط مع ثلاثة امثالهِ من التيترات الناعم وطريقة المزج بسيطة وهو ان يؤتى بهذا التراب ويجعل على هيئة كوم ويوضع فوقهُ مخلوط نيترات الصودا وكبريتات النوشادر بطبقة متساوية تعم جميع سطح التراب ويصير تقطعهُ بالفوس الى احدى الجهات ثم يرد بالفوس الى الاتجاه المقابل لهُ ثم الى الاتجاهين الآخرين بمعنى انهُ يلزم خلطهُ جيداً حتى اننا لو اخذنا قبضة من هذا المخلوط لا يمكن تمييز التراب من السماد

وقت الاستعمال

يستعمل على دفعتين فنصف المخلوط ينثر باليد بعد خل الذرة وقبل السقية الاولى والنصف الثاني يوضع بعد خمسة عشر يوماً او عشرين يوماً تقريباً اي قبل السقية الثانية وعملية النثر لا يصح ان تكون في اتجاه واحد في الدفعتين فاذا نثرنا النصف الاول مثلاً في اتجاه من الشرق الى الغرب يجب نثر النصف الآخر من البحري الى القبلي او بالعكس

وقت طلب الاسمدة

نظرًا لما ظهر من فائدتها العظيمة فقد ازدادت الطلبات كثيرًا في السنة الماضية حتى ان الجمعية لم تتمكن من اجابة الطلبات التي وردت بعد الميعاد الذي حددتهُ اذ لا يخفى انها تستحضرها من الخارج و يلزم لها على الاقل شهران لاحضارها ولذا فتعلن الجمعية من الآن انها حددت يوم ٣٠ مايو سنة ١٩٠٨ آخر ميعاد لقبول الطلبات وتنصح عموم المزارعين بانتهاز هذه الفرصة من الآن حتى لا يحصل تشكيات ممن قدموا طلباتهم بعد هذا الميعاد ولم تجب

كيفية تقديم الطلب

تقدم الطلبات لفروع الجمعية الزراعية بمديريات الغربية والبحيرة والدقهلية والمنوفية والشرقية والقليوبية والمنيا والفيوم بعنوان سكرتير الجمعية الزراعية ويبين في هذا الطلب عدد الافدنة اللازم لها السماد

كيفية استلام السماد ودفع الثمن

الطلبات التي عن سبعين فدانًا فاكثر سترسل مباشرة للطالبين من الاسكندرية الى المحطة المطلوب السماد لها ويدفع الطالب الثمن عند تصدير السماد اليهِ . واما الطلبات التي تقل عن ذلك فستسلم للطالبين من مخازن الجمعية بدمنهور واتياي البارود وكوم حماده وطنطا والمحلة الكبرى ودسوق وتلا وشبين الكوم والمنصورة وميت غمر والزقازيق وابو كبير وقليوب وبنها والفيوم والمنيا وفي هذه الحالة يدفع الثمن عند الاستلام من المخزن

ثمن السماد

سماد الفدان يكلف ١٦٥ قرشًا صاغًا لاعضاء الجمعية و ١٧٠ قرشًا صاغًا لغير الاعضاء بشرط ان يكون العضو قد سدد قيمة اشتراكهِ عن السنة الحالية ، يلزم بيان ذلك في الطلب المقدم منهُ ولابد من سداد الثمن مقدمًا سواءٌ كان عند تقديم الطلب او عند شحن السماد لان الجمعية قررت نهائيًا عدم تأخير الثمن

ملحوظات

(١) يجب مراعاة المواعيد وتقديم الطلبات حالاً وكل طلب يرد بعد يوم ٣٠ مايو لا يمكن قبولهُ

(٢) يتوضح في الطلب هل الطالب مشترك في الجمعية وسدد قيمة اشتراكهِ ام لا . ثم من اي مخزن يريد استلام سمادهِ

(٣) يلاحظ عدم مزج نيترات الصودا وكبريتات النوشادر الأ في يوم الاستعمال او قبلهُ بيوم واحد

باب التقريظ والانتقاد

انجيل برنابا

وصفنا هذا الانجيل في السنة الماضية وقد ترجم الآن عن الانكليزية بقلم حضرة الدكتور خليل سعاده وطبع على نفقة مطبعة المنار لصاحبها الفاضل السيد محمد رشيد رضا منشىء المنار

جغرافية شبه جزيرة سينا وجيولوجيتها

الجزء الغربي

The Topography and Geology of the Peninsula of Sinai

اهدت الينا مصلحة المساحة هذا الكتاب النفيس وهو من اوضاع المرحوم المستر بارون جمع فيهِ زبدة بحثهِ في تخطيط تلك البلاد وجيولوجيتها من اكتوبر سنة ١٨٩٨ الى مارس سنة ١٨٩٩ ويظهر من المقدمة ان البلاد كثيرة الامطار شتاء ويقع فيها الثلج ايضاً ولذلك لا يستغرب اهتمام المرحوم عباس باشا بجعلها مصيفاً وبنائهِ قصراً فيها ليقيم فيهِ زمن الصيف فقد جاء في هذا التقرير ان السماء امطرت عشرين يوماً في الخمسة الاشهر المشار اليها آنفاً واثلجت يوماً واحداً وتكوَّن الصقيع في ستة ايام وكثرت الصواعق الكهربائية في اكتوبر ونوفمبر ومارس وغامت السماء غيماً مطبقاً ٣٥ يوماً . والريح الغالبة شمالية او شمالية غربية وتهب في اوائل السنة جنوب شديدة الحر . وقد بلغنا من الذين اقاموا في شبه جزيرة سينا فصل الصيف كلهُ ان الحرَّ معتدل في جبالها جداً وبرد ليلاً فيصير كهواء الجبال في البلدان المعتدلة

وفي تلك الجهات ينابيع حارَّة قد تصلح للتداوي فان حرارتها ٧١ درجة بميزان سنتغراد وفي الجالون منها ١٢١١ قمحة من المواد الجامدة وفي كل مئة من هذه المواد الجامدة نحو ٧٣ من كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) و ٧ من كبريتات الجير و ٢٠ من كبريتات المغنيسيا وتسمى تلك الينابيع حمامات فرعون الملعون

وفي الاودية بين الجبال كثير من الغدران او البرك ولكن الماء ليس عذباً دائماً بل قد يكون ملحاً او اجاجاً خبيث الطعم والرائحة

وفي هذا القسم من الكتاب فرائد كثيرة لكن كأن المقصود بها ان تكون دليلاً لرجال الحربية حتى يعرفوا كيف تسير جيوشهم . وفي القسم الثاني المختص بجيولوجية البلاد كلام مسهب عن صخورها ومعادنها ومكوناتها الجيولوجية ويلحق بالكتاب خرائط في غاية الاتقان صورت بالوان مختلفة يظهر منها نوع كل من الصخور والمكونات الجيولوجية فشمالي الطور صخور من الغرانيت الاحمر ومن حجر النوبة الرملي ثم يكثر الغرانيت الاحمر والمرنبلند الى الشرق الشمالي من الطور وراء سهل القاعة . ويظن البعض ان اعمدة الغرانيت الازرق والاحمر المنتشرة في خرائب سورية وبابل اخذت من سينا . وما كان ميسوراً للمصريين واليونانيين والرومانيين يجب ان يكون ميسوراً للناس في هذا العصر

الاعمال والمصالح

في اصول الاديان وشرائع العمران

وهي مقالات نشرت تباعاً في جريدة طرابلس الشام من تأليف العالم الفاضل عز الدين زاده صاحب الفضيلة محمد امين افندي الطرابلسي

كان كتّاب العرب في الصدر الاول يبحثون ويكتبون كما يبحث ويكتب علماء اوربا الآن ناظرين الى الموضوع نفسهِ من غير علاقتهِ بدين من الاديان حتى اذا قرأ كتبهم مجوسي او يهودي او مسيحي او مسلم لم يرَ فيها دليلاً او كلاماً يخالف معتقدهُ ثم جعلوا يتوكأون على النصوص الدينيَّة ولو كان بحثهم في حفر التّرع وحرث الارض ومعالجة الاسقام وتطرَّف بعضهم حتى صاروا اذا تكلموا عن احد فراعنة مصر الاقدمين حاولوا اثبات اقوالهم بادلة من الكتاب والسنَّة

والمواضيع التي طرقها مؤلف هذا الكتاب يمكن البحث فيها من وجه ديني محض او من وجهٍ علمي محض او من الوجهين معاً وقد اختار الاسلوب الاخير لحرّم الربا لان النبي لعن آكلهُ ومؤكلهُ وشاهدهُ وكاتبهُ ومحللهُ ثم بيَّن سبب لعن الله لهم بقولهِ ان الجزاء انما يكون من جنس العمل في قدر الله تعالى وشرعهِ ولذلك عوقب السارق بقطع اليد والمحارب بقطع اليد والرجل . . . ومسخت بعض امم قردة لما تحيلوا على فعل ما حرمهُ الله عليهم

وقد رأينا جماعة من العلماء يفضلون الاكتفاء بالادلة الدينية لاثبات ما يريدون اثباته من هذه الاوامر والنواهي حاسبين ان تأييد الادلة الدينية بالادلة الاجتماعية او الطبيعية يدل على وجود الريب في نفس من يقيم الادلة الدينية فاذا كنتُ اومن بالله وكتابهِ ونبيهِ ورأيتُ في الآيات الكتابية او الاحاديث النبوية نصاً صريحاً على ان الربا محرَّم او اكل لحم الخنزير محرَّم او شرب الخمر محرَّم فيكون تفتيشي عن الاسباب الطبيعية او الاجتماعية بمثابة الريب في هذا التحريم مثال ذلك اذا سألتَ رجلاً ثقةً عن الطريق القويم من بلد الى آخر فدلك عليهِ ثم اخذت تبحث وتفتش عن اتجاه الطريق لترى هل يصل بين البلدين فاقلُّ ما يدلُّ عليهِ بحثك ان في نفسك ريباً تريد ازالتهُ

لكن الجمهور لا يوافقهم على هذا القول بل ترى علماء الاديان في كل زمان يفتشون عن تأييد الاقوال الكتابية بالادلة الطبيعيَّة او الاجتماعية وقد جرى حضرة مؤلف الكتاب هذا المجرى وجمع فيهِ كثيرًا من الحقائق العمرانية مع الشروح الدينية فلهُ مزيد الشكر

دروس القراءة

اهدى الينا حضرة الفاضل محيي الدين افندي الخياط القسم الاول والثاني من هذا الكتاب وفي كلٍّ منهما دروس في الهجاء والاخلاق والفكاهة والحكم والدين ويراد بها تعليم الاطفال القراءة وغرس مبادىء الدين والفضائل في عقولهم

الشرق الادنى

The Near East.

مجلة سياسية مالية ادبية تصدر باللغة الانكليزيَّة في مدينة لندن الغرض منها الدفاع عن السلطنة العثمانية وتوثيق عرى الصداقة بين الانكليز والعثمانيين. والمجلة مطبوعة طبعاً متقناً على ورق جيد ومزدانة بكثير من الصور ففي العدد الاول منها صورة الاستانة العلية. وصورة الجنود ذاهبة الى يلدز وصورة جامع ايا صوفيا من داخلهِ وغرفة المائدة السلطانية ومدخل قصر طلمة بغشه وصورة جامع السلطان احمد وكأن كتابها من الانكليز انفسهم او من الشرقيين الذين اتقنوا اللغة الانكليزية حتى صاروا يكتبونها مثل ابنائها. وثمن كل جزء نصف شلن



فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) العداوة في الاهل

مصر · جبرائيل افندي ميخائيل · يقال ان العداوة في الاهل والظاهر ان ذلك صحيح فما سببهُ

ج لا نرى ان العداوة في الاهل اشد منها في غير الاهل بل هي اضعف ولكنها تظهر جليًّا لانها تأتي على خلاف المنتظر

(٢) فوائد الحشرات

ومنهُ · يقولون ان كل كائن على الارض لهُ فائدة ما فان كان الامر كذلك فما هي فائدة الذباب والبراغيث والبق والعنكبوت

ج ان القول الاول لا يؤْخذ على اطلاقهِ لا سيما وانهُ يعين الفائدة لمن تكون والظاهر من درس احوال المخلوقات انها مرتبطة بعضها ببعض فتفيد وتستفيد · فالنحل يمتص الاري من الازهار ويغتذي بهِ ويقع عليهِ لقاح الازهار فينقلهُ من زهرة الى اخرى ويلقحها بهِ فيستفيد ويفيد ولكنهُ لا يفعل ذلك عن قصد وروية · والذباب يلتقط فضلات الطعام ويأكلها ويمنع فسادها فيستفيد ويفيد وتأكلهُ العناكب فتستفيد منهُ وتسمن فتلتقطها الزنابير وتجمعها غذاء لصغارها · ولا نعلم ما هي فائدة البراغيث والبق لغيرها من انواع الحيوان وقد لا تكون منهما فائدة لان وجودهما الآن ليس مترتبًا على وجود الفائدة منهما بل يحتمل انهما من بقايا حشرات كان لها فائدة في سالف الزمن كما كان للزائدة الدودية فائدة في الاحشاء وليس منها الآن الّا الضرر · انظروا مقالةً في هذا الموضوع في هذا الجزء

(٣) الجامعة المصرية

ومنهُ · ما قولكم في الجامعة المصرية هل وضعت قواعدها على اساس متين يضمن نجاحها او ما الذي تختارونهُ لنجاح مشروعها

ج جاء نظام الجامعة على غير ما كنا ننتظرهُ ونشير بهِ فقد كنا ننتظر ان تكون مثل جامعة اكسفرد او كمبردج ببلاد الانكليز او جامعة طوكيو او كيوتو ببلاد اليابان او مثل جامعة اثينا ببلاد اليونان اي يكون فيها مدارس كلية للطب والحقوق

والهندسة والزراعة وعلوم الادب ودار جامعة للفلسفة والتفوّق في العلوم ولكن يظهر ان لجنتها رأت ان مدرسة الطب الحالية ومدرسة الحقوق ومدرسة الهندسة ومدرسة الزراعة تكفي البلاد فاقتصرت على دار جامعة للفلسفة . ومن المرجح انهُ يصعب على الحكومة ان تجمع مدارسها الكلية ضمن مدرسة واحدة وتضيف اليها جامعة فلسفية لانهُ يصعب او يستحيل تعليم الفلسفة وما يتعلق بها من غير تعرُّض للمسائل الدينيَّة . وسنرى ما يكون من امر الجامعة المصرية في هذه المشكلة الكثيرة العثرات . والمال الذي جمع للجامعة المصرية والذي ينتظر جمعهُ لها والهبة السنوية من الاوقاف الخيرية كافية لنفقاتها ونجاح مشروعها ولذلك نرى انها وضعت على اساس متين يكفل نجاحها

---

(٤) تسمية كنيسة اجيا صوفيا

مسوري باميركا . الخواجا داود سليمان ابو حيدر . من بنى كنيسة اجيا صوفيا بالاستانة وما سبب تسميتها كذلك ومتى تحولت جامعاً

ج بناها اولاً قسطنطين الكبير ثم اعاد بناءها الامبراطور ثيودوسيوس سنة ٤١٥ للبلاد والامبراطور يوستنيانوس بين سنة ٥٣٨ و ٥٦٨ ولما بناها قسطنطين الكبير سماها اجيا صوفيا اي الحكمة الازلية وجعلت جامعاً بعد فتح محمد الفاتح للقسطنطينيَّة سنة ١٤٥٣

(٥) الامطار والعواصف في اميركا

ومنهُ . لماذا نرى الامطار والعواصف والصواعق في هذه البلاد (اميركا) اكثر منها في بلادنا الشرقية

ج تكثر الامطار والعواصف والصواعق في البلدان الكثيرة الجبال والاودية المجاورة لبحر كبير او التي تأتيها الرياح محملة بخاراً مائيًّا من بحر كبير ولا فرق في ذلك بين البلدان الشرقية والغربية ففي جبال لبنان تكثر العواصف والامطار كما تكثر في جبال اوربا . وتكثر في بعض الجهات الاميركية اكثر مما تكثر في غيرها وتجري في البلاد الواحدة على اسلوب واحد تقريباً عاماً بعد عام حسب شكلها وموقعها

---

(٦) فائدة وجود الشعر

مصر . فهيم افندي عبد الملك . ما فائدة وجود الشعر في لحية الرجل وشاربيهِ

ج يظهر من بعض الادلة الطبيعيَّة ان الشعر كان يغطي جسم الانسان كلهُ ثم زال من اكثرهِ او ضعف لاسباب لا تعلم تماماً حتى الآن فدارون يقول ان اكبرها الزينة والاختيار الجنسي فشرعت فيهِ النساء واتصل الى الرجال بالارث ثم عاد الرجال فاعتنوا بشعر لحاهم وشواربهم لمجرَّد الزينة

فثبت وقوي . ويظهر لدى امعان النظر ان لشعر الشوارب واللحي فائدة كبيرة في منع دقائق الغبار من دخول الانف والفم وفي منع الهواء البارد من تبريد الحلق . روي ان النوتية الذين ذهبوا للتفتيش عن الرحّالة فرنكلين في جهات القطب الشمالي اشتدّ عليهم البرد القارس ولكنهم لم يصابوا بمكروه لان الشعر كان يغطي وجوههم فيدرأُ عنها البرد ثم لما عادوا الى انكلترا حلقوا هذا الشعر فلم يمضِ اسبوع حتى مرضوا كلهم . هذا ما يذكر من الادلة على فائدة الشعر ولكننا نظن ان اولئك النوتية لم يمرضوا لما كانوا في الاصقاع القطبيَّة لنقاوة الهواء هناك ولان طعامهم كان معتدلاً فلما عادوا الى المدن وفي هوائها كثير من جراثيم الامراض افرطوا في الاكل والشرب والتعرُّض لتلك الجراثيم فمرضوا

(٧) الشعر ووجه المرأة

ومنهُ . لماذا ينبت الشعر في وجه الرجل ولا ينبت في وجه المرأة . ولماذا لا ينبت في وجوه الخصيان وما علاقتهُ بسن البلوغ

ج اذا صح رأي دارون وهو ان النساء نتفن الشعر من ابدانهنَّ للزينة اي تحبباً الى الرجال لم يبعد ان تنشأ من ذلك علاقة بين الشعر والبلوغ فتتهيج بصلات الشعر حينئذٍ في الذكور كأنها تذكر التهيج الذي كان يحلُّ بها حينما ينتف شعرها اما تهيجها الآن فيجعل الدم يرد اليها ويغذي الشعر فيزيد نموهُ . ولا تزال المسائل المتعلقة بالشعر غامضة لم تنجلِ حتى الآن

---

(٨) جمس نولس

اشمون . محمد افندي زكي صالح . المطلع على سني المقتطف الماضية يرى انهُ كان معجباً بالسر جمس نولس محرر مجلة القرن التاسع عشر وقد توفي في اوائل فبراير الماضي فلماذا لم تنشر ترجمتهُ

ج كنا نظن ان مجلتهُ نفسها تنشر ترجمة مسهبة لهُ فنترجمها عنها ولكنها لم تنشر شيئاً بل بعث اليها بعض الكتَّاب اصدقائهِ بمقالات وجيزة ذكروا فيها بعض مزاياهُ . وكان نولس من الكتَّاب المبرزين ولكنهُ لم يكن من العلماء الاختصاصيين ولذلك لم تذكر ترجمتهُ في المجلات العلمية . وكان واسع الثروة كريماً يهتمُّ بالمسائل العمومية ويرغب كبار القوم في الكتابة ويدفع اليهم الاجور الكبيرة رغبة في نشر الحقائق علمية كانت او ادبية او اجتماعية وسنلخص في الجزء التالي ما قالهُ عنهُ اصدقاؤُهُ ومريدوهُ

(٩) كتاب الاسلام

ومنهُ . هل اطلعتم على كتاب الاسلام للسيد امير علي احد محامي انكلترا الآن وان كان فما محل بيعهِ وكم ثمنهُ

ج للسيد امير علي كتب كثيرة باللغة

الانكليزية وهي (١) بحث مدقق في سيرة محمد وتعاليمهِ (٢) روح الاسلام (٣) فضائل الاسلام (٤) مختصر تاريخ العرب (٥) الاحوال الشخصية في الشريعة الاسلامية (٦) الشريعة الاسلامية مجلدان (٧) كتاب التعليم في الشريعة الاسلامية . ونظن انكم تريدون منها كتاب روح الاسلام Spirit of Islam فهذا الكتاب لم نطَّلع عليهِ ويمكن الحصول عليهِ من كل باعة الكتب ولا نعلم كم ثمنهُ

(١٠) الثورة الفرنسوية

ومنهُ . ما هو احسن كتاب كتب باللغة الانكليزية في تاريخ الثورة الفرنسوية وان كان لا يمكن المفاضلة فاذكروا لنا بعض هاتيك الكتب

ج (١) ترجمة كتاب تاين Taine Origines de la France Contemporaine (٢) كتاب كارلَيْل Carlyle's French Revolution ونحن وجدنا تفاصيل مفيدة وافية في تاريخ السن وتاريخ اوربا العام وكتاب ملكات الهيئة الاجتماعية Queens of Society وكتاب سير ملوك اوربا وملكاتها الذي نشر حديثاً Private lives of the Kings and Queens of Europe وكل باعة الكتب يقدمون ما يطلب منهم الأ الكتاب الاخير فان عدد النسخ التي طبعت منهُ محدود ونظن انها نفدت كلها

(١١) اشتراك نائشر

ومنهُ . ما قيمة اشتراك مجلة نائشر وما عنوانها

ج اشتراكها في مصر جنيه وعشرة شلنات وست بنسات والعنوان

Macmillan & Co.
St. Martin's St., London, W.C.

---

(١٢) استخدام الجان

بنسلفانيا باميركا . الخواجه حنا يوسف . اخبرني كثيرون انهُ يوجد اشخاص يستخدمون الجان فيقصدهم الناس ويستعلمون منهم عما جرى لهم وعما سيجري فيخبرونهم بذلك ويصدقون في كل ما يقولونهُ لهم لان الجان تكون طوع ارادة من يستخدمها فتعلمهُ بما يفوق ادراك الانسان فهل ذلك صحيح

ج ان كل ما يقال عن استخدام الجن والاخبار عن الغيب بواسطتها ظاهر البطلان ولذلك لا يعتمد عليهِ عاقل الآن حتى السذج صاروا يعلمون انهُ كلهُ من قبيل التخريف والتدجيل . وغاية ما فيهِ مما يفسر علمياً ان المستخبر يقع في شيء من الذهول الذاتي فيسمع ويرى ما هو راسخ في ذهنهِ فاذا قال لهُ المشعوذ ان الذي سرقك رجل لا طويل ولا قصير ولا اسمر ولا ابيض وكان ذهنهُ متوجهاً الى اخيهِ او جارهِ او خادمهِ تصوَّر

صورتهُ ولم يسمع من كلام المشعوذ الاَّ ما ينطبق على الصورة التي في ذهنهِ. وقد يكون حزره مصيباً لانهُ يكون مستنتجاً من معلومات كثيرة فيحسب ان المشعوذ هو الذي ارشدهُ الى السارق

(١٣) اسماء الاشهر

ومنهُ. لماذا تكتبون في المقتطف بعض الاشهر حسب اللفظ الفرنسوي وليس حسب اللفظ الانكليزية والانكليزية اكثر شيوعاً من الفرنسوية

ج اننا لا نكتبها حسب اللفظ الفرنسوي بل حسب اللفظ الذي رأيناهُ شائعاً في هذا القطر لما اتيناهُ وهو رومي قديم فيها وقد كان شائعاً منذ اكثر من الف سنة كما يظهر من التواريخ العربيَّة القديمة

(١٤) احسن القواميس

ومنهُ. اي كتاب من هذه الكتب افيد واسهل استعمالاً وهي القاموس ومحيط المحيط ولسان العرب وتاج العروس

ج ان تاج العروس اكثرها مادةً ومحيط المحيط اسهلها استعمالاً ولو نُقح وطبعت المواد والمشتقات التي فيهِ بحرف غليظ او وضعت بين قوسين غليظين حتى تستدل عليها العين بسهولة لصار افضل كتب اللغة

باب الاخبار العلمية

النجم والهلال

ان النجم والهلال اللذان هما شعار الدولة العثمانية اصلها شعار الدولة البزنطية اي دولة الروم التي عاصمتها القسطنطينية والشائع ان اصل هذا الشعار هو ان فيلبس المكدوني ابا الاسكندر الكبير كان يحصر مدينة بزنطيوم التي دعيت بعدئذٍ باسم القسطنطينية وكان عازماً ان يبيتها فظهر في السماء منظر غريب الزهرة في الهلال فلما رآهُ السكان هبوا الى سلاحهم ورآهُ فيلبس فقال في نفسهِ انهُ لا يقوى على قوم تساعدهم الآلهة بالآيات فرحل عنهم ومن ثم جعل البزنطيون رسم النجم والهلال شعاراً لهم تذكاراً لتلك الحادثة. لكن علماء الآثار رأوا رسم النجم والهلال في آثار الرومانيين واليونانيين والفرس والمكدونيين بل رأوهما في آثار البابليين التي تاريخها قبل الاسكندر بنحو الفي سنة وهو عندهم من نوع الكتابة ومعناهُ التعزيم لطرد الارواح الشريرة فان القمر كان معبود البابليين الاكبر والهلال رمزٌ لهُ فكانوا يتبركون بصورتهِ وصورة

نجم فيه ويستعملونها في التعزيم لطرد الارواح الشريرة ثم لما استولى الفرس على بابل نقشوا رسم الهلال والنجم على نقودهم والظاهر ان الروم اقتبسوا هذا الرمز من الفرس ثم اقتبسهُ منهم الاتراك لما تغلبوا على مملكتهم فهو بابلي الاصل

استخراج الاسفنج بالغواصات

ان طريقة استخراج الاسفنج الشائعة في سواحل سورية ومصر وتونس فيها الخطر على النفوس والتلف للاسفنج . وقد خطر للاب راول من نزلاء قرطاجنة بتونس ان يستعمل الغواصات لاقتلاع الاسفنج من اماكنهِ وتألفت شركة لهذا العمل وبنت غواصة قرب طولون طولها ١٦ قدماً ينزل فيها رجلان الى قاع البحر ويحركان ذراعاً بارزاً من اسفلها فيقلعان الاسفنج ويلقيانهِ في سلة كبيرة من الحديد متصلة بالغواصة وفي الذراع مصباح كهربائي ينير البحر ليرى ما فيهِ من الاسفنج . وفي الغواصة آلات كهربائيَّة مختلفة لتغريقها وتعويمها وتحريكها وانارتها

التعليم الثانوي باميركا

كان عدد التلامذة الذين يتلقون التعليم الثانوي في الولايات المتحدة الاميركية ٣٦٧٠٠٠ سنة ١٨٩٠ اي ٥٩٠٠ من كل مليون من السكان فبلغ عددهم ٩٢٤٤٠٠ سنة ١٩٠٦ اي ١١٠٠٠ من كل مليون من السكان او اكثر من واحد في المئة

غرائب حسابية

(١) اذا جمعت سلسلة من الاعداد الشفعية التي اولها ٢ مثل ٢ و٤ و٦ و٨ و١٠ الخ فمجموعها يعدل مربع عدد الحلقات مع عدد الحلقات . ففي هذا المثال عدد الحلقات ٥ مربعها ٢٥ اضف اليها ٥ فيصير المجموع ٣٠ وهو مجموع الحلقات

(٢) اذا جمعت سلسلة من الاعداد الطبيعية التي اولها واحد وكانت منتهية بعدد وتر مثل ١ و٢ و٣ و٤ و٥ و٦ و٧ فمجموعها يعدل الحلقة الاخيرة مضروبة في عدد الحلقات الوتريَّة . فالحلقة الاخيرة في هذه السلسلة ٧ وعدد الحلقات الوتريَّة ٤ فمجموع السلسلة ٧ × ٤ = ٢٨

٣ اذا جمعت سلسلة من الاعداد الطبيعيَّة التي اولها واحد وكانت منتهية بعدد شفع مثل ١ و٢ و٣ و٤ و٥ و٦ فمجموعها يعدل عدد الحلقات مع واحد مضروباً في نصف الحلقة الاخيرة ففي هذه السلسلة عدد الحلقات ٦ فاضف اليهِ ١ واضربهُ في ٣ يحصل ٢١ وهو المطلوب فما تعليل ذلك كلهِ

فوائد قطران الفحم الحجري

عدَّد بعضهم فوائد قطران الفحم الحجري

في جمعية الصنائع الكيماوية فقال انهُ يستخرج منهُ كل الاصباغ على اختلاف الوانها وبهائها وعدد عديد من الادوية المستعملة الآن في علاج الحمَّى والارق والالم وداء النوم ومن المرجح ان منها دواء يشفي من السرطان. ويستخرج منها السكرين الذي هو احلى من السكر ٥٥٠ ضعفاً وزيت يشبه زيت اللوز المرومادة تشبه المسك وعطور تشبه عطر البنفسج والورد والياسمين. وبهِ تظهر الصور الفوتوغرافية وتصوَّر الصور الملوَّنة ومنهُ يصنع البارود الذي لا دخان لهُ وبهِ توقى الاشجار من الحشرات

قمر المشتري الثامن

ذهب المستر جورج فوربس في جريدة ناتشر الى ان النجم الذي كشف حديثاً وظُن انهُ قمر ثامن من اقمار المشتري انما هو مذنب لكسل الذي شوهد سنة ١٧٧٠ وقد جذبهُ المشتري اليهِ. ولم يثبت ذلك بل ذكرهُ من باب الظن لبعد هذا الجرم عن المشتري

الاب لافونت

جاء في جريدة ناتشر ما خلاصتهُ: — نعت اخبار الهند الاب اوجين لافونت العالم الطبيعي وهو في الحادية والسبعين من عمرهِ كان استاذاً للعلوم الطبيعيَّة في مدرسة سنت زفير الكلية بكلكتا ثم جُعل رئيساً لها وبسعيهِ جمعت تلك المدرسة احسن الآلات التي تُوضَّح بها الحقائق العلمية. ولقد كان من اشهر الاساتذة في التعليم ونشر الحقائق العلميَّة وبقي ثلاثين سنة عضواً في مدرسة كلكتا الجامعة وكان لهُ المقام الارفع في الدوائر العلمية وفي عيون اعيان الهند وبسعيهِ تمكن الدكتور ماهندرا لال سركار من انشاء المجمع الهندي لترقية العلوم. وسيبقى اسمهُ مقروناً بالتعظيم والتبجيل كاول روَّاد التعليم العلمي في بلاد بنغالا وفقدهُ خسارة كبيرة على تلك البلاد ولاسيما في هذا الزمن الذي يراد ان يوضع فيهِ التعليم هناك على اسس علميَّة

الروماتزم ولسع النحل

قال الدكتور نيوتن فرند ان رجلاً اصيب بالروماتزم في ظهرهِ فالمهُ جدًّا فعرَّى ذراعهُ وعرضها للنحل فاجتمع عليها ولسعهُ في اماكن كثيرة ولم تكد ذراعهُ تشفى من لسع النحل حتى شفي ظهرهُ من الروماتزم

مدرسة الهند

بينما القطر المصري يهتم بانشاء مدرسة جامعة ويجد الصعاب في جمع المال الكافي لها توفق الهنود الى انشاء مدرسة عالية او دار علميَّة بكرم اثنين من رجالهم وكرم حكومتهم فان في بلاد الهند خمس جامعات

وهي جامعة كلكتا وجامعة مدراس وجامعة بمباي وجامعة بنجاب وجامعة الله اباد . وهذه الجامعات كلها بمثابة دور لامتحان الطلبة الذين اتموا دروسهم في المدارس الكلية . أما المدرسة المشار اليها آنفاً فمدرسة حقيقية او دار علمية لاجل الدرس والبحث العلمي ونشر الحقائق العلمية مبدأها هبة سنيَّة وهبها المثري الفارسي تاتا المشهور ويبلغ ريعها السنوي ٨٣٣٣ جنيهاً ثم تلاهُ مهرجا ميسور فوهب هذه المدرسة ارضاً مساحتها نحو ٣٣٠ فداناً لكي تبنى فيها ووهبها ايضاً ٥٠٠٠٠ ربية اي ٣٣٣٣ جنيهاً يدفعها اليها سنوياً وتلتهُ الحكومة الهندية فوهبتها مبلغاً سنوياً يعدل ٨٧٥٠٠ ربية او ٥٨٣٣ جنيهاً فصار دخل المدرسة السنوي ١٨٠٠٠ جنيه ثم عاد مهرجا ميسور فوهبها ٥٠٠٠٠٠ ربية ووهبتها الحكومة ٢٥٠٠٠٠ ربية والجملة ٧٥٠٠٠٠ ربية واذا أضيف الى ذلك ربا الاموال الموهوبة قبلاً من حين وهبت الى الآن بلغ المجموع مليون ربية او ٦٦٦٦٦ جنيهاً وقد خصص هذا المال للبناء

أما العلوم التي يشتغل بها التلامذة في هذه المدرسة فهي ما يفيد بلاد الهند في زراعتها وصناعتها ويحصر اشتغالهم الآن في الكيمياء النظرية والعمليَّة . والكيمياء الآلية . وعلم البكتيريا . وعلم الاختمار . وعلم الصنائع الكهربائيَّة . ومن المحتمل ان يضاف اليها علم المعادن او التعدين

والخلاصة ان اثنين فقط من اهالي الهند دفعا بمساعدة الحكومة كل الاموال اللازمة لبناء مدرسة عالية ولنفقاتها السنوية وحصرت علومها في ما يلزم لزيادة ثروة البلاد

بيَر بيشان

فقدت فرنسا اكبر كيماوييها سناً وهو الاستاذ بير جاك بيشان توفي في ١٥ ابريل عن ٩٢ سنة وكان اكثر اشغاله في الكيمياء البيولوجيَّة لكنهُ لم يترك فرعاً من فروع الكيمياء الأ اشتغل بهِ وزادهُ بمباحثهِ وهو الذي استنبط طريقة عمل الانيلين ثم صنع الفخسيين ونحوهُ من المواد الملونة وكان مخالفاً لباستور في الآراء العلميَّة مع انهُ كان يشتغل مثلهُ . ومباحثهُ في الاختمار والدم والفبرين واللبن والبروتيين من اقوى دعائم علم البكتيريا

المسيو شمبرلان

توفي المسيو شمبرلان مدير مستوصف باستور وهو الذي صنع شمعة الخزف التي توضع في آلة الترشيح المنسوبة اليهِ والى استاذهِ باستور ولهُ الفضل في انهُ اثبت ان ميكروبات الهواء لا تضر في الاعمال الجراحية اذا كانت الآلات والاربطة والجلد نظيفة

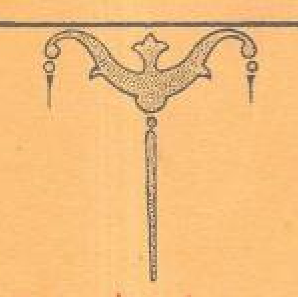
فهرس الجزء السادس من المجلد الثالث والثلاثين

٤٥٧ قاسم بك امين
٤٦٣ آثار منف
٤٦٥ الاعضاء الاثرية . للدكتور امين ابي خاطر
٤٧٣ تحفة الظرفاء
٤٧٩ نوادر من لباب الآداب
٤٨٤ الشيخ ابرهيم اليازجي اللبناني . لعيسى افندي اسكندر المعلوف
٤٩٣ الاشباه والنظائر (مصوَّرة)
٤٩٦ الولايات المتحدة واليابان
٥٠٠ اسباب الاحتلال البريطاني
٥٠٧ قيدار وممالك حاصور . للاستاذ جبر ضومط

٥١٤ باب تدبير المنزل * تسخين الطعام (مصوَّرة) . الاولاد وجنائن الحيوانات . مكنسة المرأة الحذر من الخضر . الحجاب في الهند . تعليم البنات . ظلم الازياء
٥١٩ باب المراسلة والمناظرة * لا سكان في المريخ . العزلة . التعريب
٥٢٤ باب الزراعة * الاراضي الزراعية . شجرة الصابون . غلة القمح في بعض البلدان . زراعة الخرشوف . تحسين القطن المصري . سماد الذرة
٥٢٢ باب التقريظ والانتقاد * انجيل برنابا . جغرافية شبه جزيرة سينا وجيولوجيتها . الاعمال والمصالح . دروس القراءة . الشرق الادنى
٥٢٦ باب المسائل * العداوة في الاهل . فوائد الحشرات . الجامعة المصرية . تسمية كنيسة اجيا صوفيا . الامطار والعواصف في اميركا . فائدة وجود الشعر . الشعر ووجه المرأة . جمس نولس كتاب الاسلام . الثورة الفرنسوية . اشتراك ناشر . استخدام الجان . اسماء الاشهر احسن القواميس
٥٤٠ باب الاخبار العلمية * وفيه ١١ نبذة

رواية فتاة الفيوم ملحقة بالمقتطف





مستقبل العمران

الحب : لادلر

العلم : لهكسلي

التعليم : لولز

الاسرة : لرسل

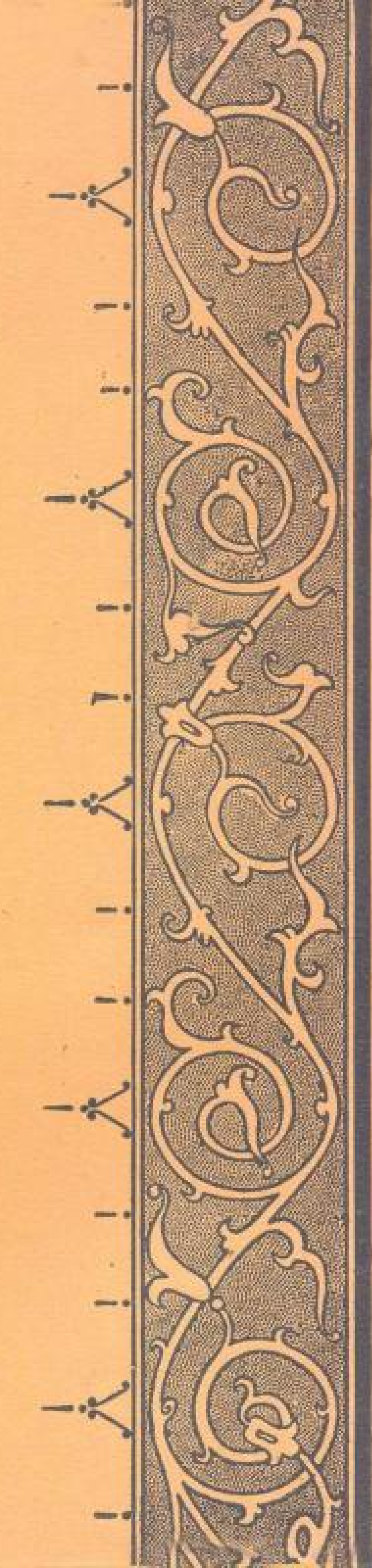
الاقتصاد : لتشايس

رجال الشهر

غازوورذي ، غاندي ، سايس ، صديق بك

الازمة الاقتصادية

واشتباك المصالح الدولية





السر جون اڤانس

المقتطف

الجزء السابع من المجلد الثالث والثلاثين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٢ جماد ثاني سنة ١٣٢٦

السرجون افانس

نعت الجرائد السياسية والمجلات العلمية السرجون افانس شيخ علماء الاركيولوجيا توفاهُ الله في بيتهِ قرب مدينة لندن في الحادي والثلاثين من شهر مايو الماضي وهو في الخامسة والثمانين من عمرهِ وقد اوردنا طرفاً من ترجمتهِ في المجلد السابع والعشرين من المقتطف حيث قلنا

يقول العرب طالب علم وطالب مال لا يجتمعان وقالوا ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا فنفوا المال عن طلبة العلم واستحسنوهُ في رجال الدين . ولكن اذا حقَّ لنا ان نبيح المال لقوم ونحرّمهُ على قوم ابحناهُ لرجال العلم لا لرجال الدين لان هؤلاء احرى من كل احد بالزهد في حطام الدنيا لكي يتسنى لهم حث غيرهم على الزهد فيها فلا ينصرف همُّ الناس كلهُ اليها . اما العلم فانهُ قرين المال وعميدهُ بل كلٌّ منهما عضد الآخر . العلم يزداد نفعهُ بالمال والمال يزداد نفعهُ بالعلم وعليهما كليهما تبنى عزّة الامم وتقام دعائم الممالك ولا ترتقي الشعوب الا حيث يعضد المالُ العلمَ والعلمُ المال

لما زرنا معرض باريس الاخير انسنا بلقاء رجل من شيوخ العلماء وهو السرجون افانس وكنا نسمع عنهُ ونقرأ خطبهُ ونودُّ التعرُّف بهِ وبقينا انهُ منقطع للعلم لا يفعل شيئاً سواهُ . ثم زار القطر المصري في الشتاء الماضي رحالما وقع نظرهُ على بالات الورق في دار المقتطف وقف متهللاً واستوقف زوجتهُ لادي افانس قائلاً لها انظري ورق معملنا . ثم اخبرنا انهُ من اصحاب معمل دكنصن المشهور بعمل ورق الكتابة وورق الطباعة في البلاد الانكليزية وقد تحوَّل هذا المعمل الآن الى شركة مساهمة رأس مالها ٤٥٠ الف جنيه . ولدى البحث والاستقصاء وجدنا انهُ ابن اخت جون دكنصن منشئ هذا المعمل وقد انضمَّ اليهِ سنة ١٨٤٠

وعمرهُ ١٧ سنة وتزوج بابنتهِ واشترك معهُ سنة ١٨٥٠ وعكف على توسيع نطاق المعمل واتقان اعمالهِ وتوفير ارباحهِ ولم يصرفهُ ذلك عن خدمة العلم فقضى حق العلم وحق المال لانهُ كان يقضي ساعات الفراغ من الاعمال في الدرس والبحث وانتظم في سلك كثير من الجمعيات العلمية وصار رئيساً لكثير منها فرأس جمعية علم النقود وجمعية العاديات والجمعية الجغرافية والجمعية الملكية ومجمع ترقية العلوم البريطاني · ولهُ تآليف مختلفة في علم النقود والعاديات وعندهُ مجموع كبير من التحف قلما يوجد مثلهُ وقد ظهر لنا من الحديث معهُ ان عندهُ من نوادر النقود القديمة ما لا مثيل لهُ عند سواهُ

ولو اقتصر هذا الرجل على خدمة العلم ما مات جوعاً ولا عاش فقيراً متربًا كما يعيش كثيرون من خدمة العلم عندنا ولا اضطرَّ ان يهرب بقلمهِ وكتبهِ من بلاد الى أُخرى كما يهرب كثيرون من ابناء المشرق الذين قضى عليهم نكد الطالع ان يكونوا من ارباب الاقلام لان لرجال العلم شأناً كبيراً عند الامة الانكليزية وكل الامم الاوربية · ولكنهُ لو فعل ذلك ما استطاع ان يقتني القصور ويجمع التحف ويضيف العلماء وينفق على المباحث العلمية انفاق المثري الكريم · فقد اخبرنا ابننا انهُ زارهُ في قصر لهُ في مدينة دوڤروكان قد دعا اليهِ كثيرين من اعضاء مجمع ترقية العلوم البريطاني فرأى بسطة جاهٍ وعزًّا لا يظهر فيهِ الاَّ الامراء وكبار الاغنياء · ورأينا في نشرة نشرتها لجنة البحث عن آثار كريت ان اكثر نفقات البحث منهُ والباحث عن تلك الآثار ابنهُ فكأنهُ وقف مالهُ واولادهُ لخدمة العلم . فالمال الذي اكتسبهُ بجدهِ من صناعة الوراقة كان لهُ عوناً كبيراً على توسيع نطاق العلم فوق ما فيهِ من رفعة الجاه عند من يعرف كيف ينفق مالهُ في ما يُكرِم على انفاقهِ فيهِ .ولم يثرِ هذا الرجل مثل كبار الاغنياء لكن مقامهُ بينهم لا يقلُّ عن مقامهم ونفعهُ لوطنهِ يزيد على نفعهم · انتهى ما نشرناهُ عنهُ منذ اكثر من ست سنوت

وقد اطلعنا الآن على ترجمة مسهبة لهُ في جريدة التيمس فنقتطف منها ما يأتي

بقي السرجون الى قبيل وفاتهِ ببضعة اشهر ممتعاً بالصحة كأَن قوتهُ الحيوية لا تتغلب عليها الشيخوخة · انحرفت صحتهُ قليلاً في الصيف الماضي لكنهُ بقي مواظباً على اعمالهِ المختلفة ثم حُمَّ الاجل بغتةً ودعاهُ داعي الردى فانقضت حياة كلها عمل وجهاد

ولد سنة ١٨٢٣ وابوهُ القس ارثرافانس ناظر مدرسة من المدارس العالية وامهُ من بيت دكنصن اصحاب معمل الورق المنسوب اليهم فدرس في المدرسة التي كان ابوهُ ناظراً لها ولم يدرس في مدرسة جامعة ولكن فاق متخرجي المدارس الجامعة في معارفهِ العلمية

والادبية وبقي حتى ادركته الوفاة يذكر الشاهد بعد الشاهد من كتاب اليونان والرومان بالسهولة التامة . وكان قد استعد لاتمام دروسهِ في اكسفرد ولكنهُ دعي لمعاطاة الاعمال فعدل عن الذهاب اليها وذهب الى المانيا لدرس اللغة الالمانية استعدادًا للتجارة· ومنذ عهد غير بعيد حسب من متخرجي تلك المدرسة وهو الشرف الذي توخاهُ قبل ذلك بستين سنة فسرَّ بهِ سرورًا فائقًا

والظاهر ان هذا العالم المدقق والاثري المحقق والسياسي المحنك وُلد ليكون من ارباب الصناعة فانضم وهو شاب الى معمل اخوالهِ الذي يصنع الورق وسكن على مقربة منهُ خمسين سنة وصار بيتهُ هناك مقصدًا للعلماء والفضلاء من كل الاقطار وقلَّ منهم من يعرف انهُ على علمهِ الواسع واشتغالهِ بكثير من العلوم والفنون يشتغل بصناعة الوراقة والتجارة بالورق ولهُ فيهما المقام الارفع · وقد تنحى عن الاشتغال في ذلك المعمل منذ سنوات قليلة بعد ما نجح المعمل بهمتهِ نجاحًا فائقًا ولكنهُ لم ينقطع عن الاهتمام بهِ والاعتناء بادارتهِ· وجعل رئيسًا لجمعية الوراقين وبقي في هذا المنصب سنين كثيرة

ومنذ نحو اربع سنوات ترك بيتهُ بل قصرهُ الذي قرب المعمل لان هواءهُ لم يعد يوافق صحة زوجتهِ وبنى بيتًا بديعًا في ضواحي لندن وسكنهُ منذ سنة ١٩٠٦ ونقل اليهِ كتبهُ ومجموعاتهِ المختلفة

ولقد كان من اشهر علماء العصر في العاديات على اختلاف انواعها واول فرع اتقنهُ من فروعها علم النقود القديمة فانتظم في جمعية النقود (نومسماتك) سنة ١٨٤٩ وانتخب سكرتيرًا لها سنة ١٨٥٤ ورئيسًا لها واقام في هذا المنصب من سنة ١٨٧٤ الى سنة ١٩٠٤ حين احتفل بمضي خمسين سنة منذ انضمامهِ اليها · واول كتاب ألفهُ في النقود موضوعهُ نقود بريطانيا القديمة نشرهُ سنة ١٨٦٤ ثم الحقهُ بملحق سنة ١٨٩٠ · لكنهُ لم يكن مقتصرًا على علم النقود ونحوه من فروع العاديات بل كانت لهُ مشاركة واسعة في علم الجيولوجيا والانثروبولوجيا · وهو اول مَن اهتمَّ بادوات الظرَّان وعرف فائدتها الجيولوجية والتاريخية ولا سيما في ما يتعلق بالانسان قبل عصر التاريخ وانشأ رسالة في هذا الموضوع سنة ١٨٦٠ ثم رسالة اخرى سنة ١٨٦٢ وتوسع في هذا البحث واتقنهُ حتى صار اكبر ثقة فيهِ في المسكونة وعندهُ مجموعة كبيرة من الظرَّان لا مثيل لها في الدنيا على الراجح· وسنة ١٨٧٢ طبع كتابهُ المشهور عن الادوات الحجرية والاسلحة والحلى التي كانت مستعملة في بريطانيا وارلندا في العصور الغابرة

وانتخب رئيساً للجمعية الجيولوجية سنة ١٨٧٤ وكان عضواً في الجمعية الملكية وبقي اميناً لصندوقها عشرين سنة . وانتخب رئيساً لجمعية العاديات واميناً من امناء المتحف البريطاني ورئيساً للجمع الانثروبولوجي ومجمع الكيمياء الصناعية وأعطي لقب سر سنة ١٨٩٢ وكثيراً من الالقاب العلميَّة من كثير من المدارس الجامعة . وانتخب رئيساً لمجمع تقدم العلوم البريطاني سنة ١٨٩٨ ورئيساً لجمعية الفنون ولجمعية النقب في القطر المصري

ولم يقتصر على التفوُّق في العلوم والفنون بل خدم بلادهُ في امورها الداخلية فانهُ كان رئيساً للمجلس البلدي في الناحية التي هو فيها ولمجلس القضاء وقد انتخبهُ اهالي بلادهِ لهذا المنصب لا لعلمهِ وشهرتهِ بل لما رأوهُ منهُ من العدل واصابة الرأي

وكان مغرماً بجمع التحف الثمينة النادرة وعندهُ منها ما لا مثيل لهُ في المتاحف الكبيرة ومجموعة النقود التي عندهُ تحوي نقود كل البلدان والازمنة وهي مشهورة في الدنيا وكذلك مجموعة الحلى الذهبيَّة ومجموعة الظران والادوات التي من قبل عصر التاريخ

وكان عارفاً باللغة العبرانية وهيئتهُ تشبه هيئة الاسرائيليين حتى انهُ اذا زار كنيساً من كنائسهم يحسب من ربانيهم وتدفع اليهِ التوراة ليقرأها لهم . وكان يعرف ايضاً الالمانية والفرنسوية ويحسنهما تكلُّماً وخطابةً (وقد ذكرت التيمس انهُ وقف غير مرة خطيباً بهاتين اللغتين)

وكان مضيافاً انيس المحضر والمحاضرة مغرماً بالصيد محافظاً في السياسة من اشد المحافظين تمسكاً بمبادئ حزبهِ ويميل الى حماية التجارة

هذا ما اقتطفناهُ من مقالة التيمس . وقد زار القطر المصري مراراً مع لادي افانس وكان يتكرَّم بزيارتنا كلما زارهُ فنجد منهُ ما يفوق الوصف من الانس والظرف وحسن المحاضرة . وان من ابهج المناظر التي نتذكرها منظر ذلك الشيخ الجليل وقد ابرقت اسرتهُ وتلألأت عيناهُ حينما يخرج من جيبهِ قطعة من النقود النادرة المثال وجدها مع احد باعة النقود القديمة فاشتراها منهُ وقرأ ما عليها من الكتابة واستدلَّ منها على حقيقة تاريخيَّة مجهولة . اومنظرهُ وقد اخذ يصف لنا ما شاهدهُ في صحاري القطر المصري وبين انقاض مدنهِ القديمة وهوفوق الثمانين . ومن اطرب الاحاديث ما يطرف بهِ مجالسيهِ من الطرف والنكات الادبيَّة ولوكان مريضاً يتوجَّع . وقد زارهُ اولادنا في البلاد الانكليزيَّة فرأوا منهُ ومن لادي افنس جاهاً عريضاً وكرماً حاتمياً

تأبين السر جمس نولس

عوتبنا في الشهر الماضي لاننا لم ننشر ترجمة السر جمس نولس صاحب مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية . فوعدنا ان ننشر في هذا الجزء بعض ما قالهُ فيهِ اصدقاؤهُ ومريدوهُ ونشروهُ في مجلتهِ وانجازاً لذلك نقول :— كتب ستة من هؤلاء الفضلاء مقالات وجيزة كالتأبين وصفوا فيها اخلاق الفقيد وبينوا اموراً لا يعلمها الاَّ اخصاؤهُ الادنون . قال اولهم وهو نيافة المطران ولدن

ان من اصعب الامور على الانسان ان يؤبن صديقاً عزيزاً كريماً فان هذا التأبين لا يرضي المؤبّن ولو ارضى كل احد سواهُ لان الاخلاق التي توجب الصداقة لا يمكن التعبير عنها بالكلام كما لا يمكن التعبير عن طرب الالحان وعرف الازهار

كان المرحوم السر جمس نولس آية في اصطفاء الاصدقاء ولعلهُ لم يكن لاحد من معاصريهِ ما كان لهُ من الاصدقاء لا في عددهم ولا في اختلاف انواعهم حتى لقد يصح ان يقال ان من لم يعرفهُ لم يكن معروفاً ومن عرفهُ حق المعرفة وهو في احسن اوقاتهِ فقد عرف كل الذين يستحقون ان يُعرَفوا في مدينة لندن . وكانت لهُ مشاركة في كل المطالب في الفنون والآداب والعلوم الاجتماعيَّة والسياسيَّة والطبيعيَّة والدينيَّة وقد اشتغل بها كلها . وكان فيهِ شيء يجتذب الناس اليهِ ويجعلهم يثقون بهِ ولم يكن هذا الشيء كتابة كتبها او كلاماً قالهُ بل كان الرجل نفسهُ . ولقد كنت اجلس على مائدتهِ وانا افكر مستغرباً كيف يستطيع هذا الرجل اجتذاب الناس اليهِ على قلة كلامهِ وضعف صوتهِ حتى لا يكاد يسمع . فالذي جذبهم اليهِ انما هو مغنطيس نفسهِ لا سواهُ ولقد اشرق في حلقة اصدقائهِ ومريديهِ لانهُ اراد ان لا يشرق فيها . وكان خير موصل بين قلوب الناس وافضل رابطة بينهم وامهر انسان في استخراج جواهرهم على اختلاف آرائهم ومشاربهم ولم يكن نصيبهُ من احاديثهم الاَّ فك قيود السنتهم واطلاقها في الكلام . وكان شأنهُ في الآداب والمعارف شأنهُ في الحديث فانهُ كان من اقدر الناس على الكتابة ولم يكتب الاَّ نادراً ولكنهُ حرَّض اصدقاءهُ على الكتابة واطلق قيود الاقلام ولم يكتفِ باستكتاب الامراء والعظماء كما قيل عنهُ بل فتَّش ايضاً عن الكتَّاب الخاملين ونشطهم على الكتابة واكتشف القرائح في غير مظانها ووسَّع لها المجال للظهور والتفوُّق ولم يكن يسر بشيء سرورهُ باكتشافهِ كاتباً غير معروف وسواءٌ كان كتَّاب مجلتهِ من المجلّين في ميدان الكتابة او من المبتدئين فيهِ فانهُ كان يستخرج منهم افضل ما يستطيعون انشاءهُ

وكان يهتم بكل المسائل المصرية ولكنهُ لم يكن ينظر فيها نظر المتغرض ولذلك فتح ابواب مجلتهِ لكل الاحزاب والآراء ولم يمل بها الى جهة دون اخرى الاَّ في المسائل التي حسب ان سلامة السلطنة تتوقف عليها كما في مسألة انشاء سكة بين انكلترا وفرنسا تحت بحر المانش. وان كان عندي عليهِ شيءٌ انتقدهُ بهِ فهو انهُ كان يظهر قلَّة التديُّن مثل كثيرين غيرهِ وهو متدين حقيقةً على ما ارى

واخلاقهُ هذه ظهرت في مجلتهِ فكلٌّ احد يعلم ان مجلة القرن التاسع عشر هي مجلة العلوم والآداب والارتقاء الاجتماعي والسياسي والديني. وكان يستحيل عليهِ ان يعمل عملاً من ورائهِ انحطاط الناس او ايهامهم بامور لا صحة لها ولذلك انشأ هذه المجلة واجراها في خطتهِ فاشتهرت بها وصار كبار الكتَّاب يتسابقون الى الكتابة فيها وكل منهم يفتخر بان يحسب في عداد كتَّابها. ولم يشأ ان ينشر مقالة فيها ما لم تكن مذيلة باسم كاتبها لكي يشعر كل كاتب انهُ مسؤول عمَّا كتب كما يشعر صاحب المجلة انهُ مسؤول عن كل ما يُنشر فيها

وكان حاد البصيرة شديد الانتقاد اذا عُرضت عليهِ مقالة عرف حالاً ما فيها من الغث والسمين بالبداهة وكيف يمكن تنقيحها حتى تخلو من العيوب. ولقد كتبتُ لهُ مقالات كثيرة في اوقات مختلفة وكان ينتقد بعضها و يطلب مني تنقيحها او اختصارها فكنت اجد في آخر الامر انهُ مصيب في حكمهِ وان المقالة التي انقحها او اغيرها حسب طلبهِ تصير اصلح مما كانت قبلاً

ويظهر لي اننا اذا تقدمنا في السن ودنونا من القبر صرنا ننظر الى اصدقائنا الذين نفقدهم لا حسب ما حازوهُ من الشهرة في عيون الناس بل حسب ما لهم من المنزلة في قلوبنا. ولا ابالغ اذا قلت ان السر جمس نولس من الرجال الذين موتهم يجرح كثيرين جرحاً لا اعمق منه غوراً ولا اشد منهُ ألماً. ولا اعني بذلك انهُ كان محتلاً ارفع المنازل في نظر اهل العالم بل انهُ كان محتلاً منزلة خاصة بهِ فان البعض من اشهر مشاهير الارض لا يصعب ان يوجد من يقوم مقامهم حالاً وغيرهم وهم دونهم شهرة يتركون وراءهم فراغاً لا يمكن ملاؤهُ. وسيبقى مكان السر جمس نولس فارغاً في الهيئة الاجتماعيَّة الانكليزية. والذين عرفوهُ قديماً وهم ينظرون الآن الى مكانهِ والدموع ملءُ عيونهم تحركهم ذكراهُ للنظر الى كل ما هو جميل فاضل في الحياة والى الايمان الوثيق بان الفوز سيكون اخيراً للحق والمحبة. انتهى باختصار قليل

وجاء في ما كتبهُ غيرهُ ان السر جمس نولس كان يقصد كبار الكتَّاب ويطلب منهم ان يكتبوا لهُ في بعض المواضيع واذا رأى من الكاتب زهداً في الموضوع باحثهُ فيهِ وفصَّلهُ لهُ حتى يجد الكاتب من نفسهِ ارتياحاً الى الكتابة فيهِ. ولقد قال غلادستون ان نولس لم

يذاكرهُ مرةً في موضوع الّا انتهت المذاكرة بجعله يكتب لهُ مقالةً في ذلك الموضوع

وكتب فردرك هريسن في تأبينهِ واصفاً كيفيةَ انشائهِ للجمعية التي تبحث في ما وراء الطبيعة ولمجلة القرن التاسع عشر فقال ان تلك الجمعية كانت تضم ٦٢ رجلاً من نخبة كتّاب العصر وفلاسفتهِ مثل تنسن وغلادستون ودين ستنلي وكردينال متنغ وهكسلي وتندل ورسكن وفرود وموريس ومرتينو وسيلي وباجوت وجون مورلي وكليفورد وفردرك بولك ومارك باتيسن وجون لبوك وبلفور . ومن المواضيع التي بحث فيها اعضاؤُها . النفس . والله . والموت . والخلود . والعجائب . والارادة . والمادة . والقوة . والمطلق . والدليل . والبديهة . اي ان تلك الجمعية كانت تضمُّ كل ارباب الافكار من الكاثوليك المتطرفين في الكثلكة الى الماديين . وكان السر جمس نولس ينشر مقالاتهم ومباحثاتهم في مجلة المعاصر لما كان محررًا لها ثم انشأ مجلة القرن التاسع عشر وصار ينشرها فيها وحلّت تلك الجمعية سنة ١٨٨٠ ولكن بقي اعضاؤُها يكتبون في مجلة القرن التاسع عشر التي مضى عليها الآن ٣١ سنة وهي جارية في خطتها حتى صارت قوة عمليَّة في العالم القديم والجديد واثرت تأثيرًا عظيمًا في انشاء المجلات وفي الافصاح عن الآراء

ويظهر مما قرأناهُ عنهُ في اماكن اخرى انهُ كان من اوجه وجوه الانكليز وان امراء انكلترا كانوا يزورونهُ ويقيمون في بيتهِ وانهُ كان ايضاً من كبار المهندسين وقد هندس كثيرًا من المباني الكبيرة واشرف على بنائها . وكانت ولادتهُ سنة ١٨٣١ وانشأ الجمعية المشار اليها آنفاً سنة ١٨٦٩ وبقي يحرر مجلة المعاصر من سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٨٧٧

وقلما تجد جزءا من اجزاء القرن التاسع عشر الّا وتجد فيهِ مقالات لاشهر امراء الانكليز وعلمائهم ولا تزال هذه المجلة جارية في خطتها فالجزء الذي نقلنا عنهُ هذا التأبين فيهِ ١٢ مقالة لكبار الكتاب عدا مقالات التأبين ومنهم السر وليم هوبت الذي كان مديرًا لبناء المدرعات الانكليزية ولورد ستانلي والقانون هنسلي هنسن . والسيد امير علي الهندي وامثالهم

وقد فتحنا عرضاً مجلدًا من المجلدات السابقة وهو المجلد الثالث عشر الصادر في النصف الاول من سنة ١٨٨٣ فوجدنا بين كتّاب مقالاتهِ ارنولدفوستر والبرنس كرابتكن الروسي وكردينال متنغ ودوق ارجيل والدكتور مرتينو ولورد نورثن والدكتور جسوب وجوزف ريناخ وتنسن (لورد تنسن) وفردرك هريسن ولورد لفرد ولادي باجت ولسلي ستفن ولورد لتن والسر جون لبك ومتيو ارنولد والاستاذ بلاكي وارل كوبر وامثالهم من نوابغ العصر

أكبر الساعات

رأى الاميركيون ان يفوقوا غيرهم في صنع الساعات الكبيرة كما فاقوا امم الارض في امور كثيرة فصنعوا ساعة قطر مينائها اربعون قدماً اي اكثر من اثني عشر متراً ولم يضعوها في برج من ابراج كنائسهم كما هي العادة في اوربا ولا في بناء من مباني الحكومة بل في بناء شركة الصابون والطيوب المعروفة بشركة كولغايت Colgate

قطر ميناء هذه الساعة في النهار ٣٨ قدماً فقط ويزاد قدمين في الليل بالمصابيح الكهربائية التي تنير على دائرهِ لتدل على عدد الساعات فيصير اربعين قدماً. وطول عقرب الساعات ١٥ قدماً وعرضهُ الاوسع نحو اربع اقدام . وطول عقرب الدقائق ٢٠ قدماً وثقلهُ ٦٤٠ رطلاً. ورأسهُ ينتقل نحو قدم كل نصف دقيقة فيسير نصف ميل في اليوم. والعقربان مصنوعان من النحاس ومدهونان بدهان اسود ذُرَّ عليهِ رمل لكي لا يعكسا النور فتتعذر رؤيتهما اذا وقع عليهما نور الشمس . وطول كل علامة من علامات ارقام الساعات خمس اقدام ونصف قدم. وينار وجه الميناء ليلاً وتظهر الساعات والدقائق عليهِ بالمصابيح الكهربائية فعند كل دقيقة مصباح كهربائي صغير نورهُ مثل نور ٤ شمعات وعند كل ساعة مصباح كبير نورهُ مثل نور ٣٦ شمعة ولونهُ احمر وحافات العقربين مرصَّعة بالمصابيح الكربائية فعلى عقرب الدقائق ٤٠ مصباحاً وعلى عقرب الساعات ٣٤ مصباحاً . والمعمل الذي صنع هذه الساعة يكفل انها لا تختل ست ثوانٍ في الاسبوع مع ان ثقل عقربيها اكثر من الف رطل

ورقاص هذه الساعة من النوع المعوَّض الذي يصلح من نفسهِ ما يقع فيهِ من الخلل باختلاف الحر والبرد وطولهُ ثماني اقدام فقط وثقل قرصهِ ٣٣٠ رطلاً

ولا عبرة ببقيَّة التفاصيل اذ ليس الغرض ان يتعلَّم صانعو الساعات كيف يصنعون ساعة مثلها بل اظهار حجمها الذي لم تصل اليهِ ساعة قبلها فبينا ترى صانعي الساعات قد جمعوا ادواتها كلها في حجم لا يزيد على حجم البندقة وصنعوا لها ميناء لا يزيد على فلقة الحمصة اتساعاً ترى صانعي هذه الساعة قد جعلوا قطر مينائها اربعين قدماً وليس القصد منها مجرَّد الشهرة ولا مجرَّد الدلالة على الوقت بل يقصد بها ايضاً اعلان عمل اصحابها والمكان الذي يبيعون فيهِ صابونهم وطيوبهم. فالغاية الاولى الربح ويتبعهُ الشهرة ونفع الغير لان ساعة مثل هذه تُرَى جلياً عن بعد شاسع فيستغني بها الفقراء عن اقتناء الساعات

الشيخ ابرهيم اليازجي اللبناني

(٢) الناثر

تحدّى اليازجي كبار الكتبة ومتقدميهم ولكنهُ تفرَّد باسلوب خاص كان من مبادئهِ إقرار كل كلمة في نصابها مع حسن اختيارها وتلك خطة انتهجها بعض المتقدمين ولاسيما ابا عبادة البحتري الذي سميت اشعارهُ بسلاسل الذهب كيف لا وهو القائل

والَّلفظ حلي المعنى وليس يريك الصفرُ حسناً يريكهُ الذهبُ

ولكنهُ كان ينشد مع الشاعر القائل :

وأُعطيتُ طبع البحتري وشعرهُ فمن لي بمال البحتري وعمرهُ

فكان المترجم اذن في كتابتهِ اشبه بالسَّاك (ضارب النقود) الذي يطرح الزيوف فلا يخرج من مسبكهِ الَّا ما كان ظاهر النقوش واضح الكتابة لا تنفي يد الانتقاد شيئاً منهُ او كالمصوّر الذي يعالج الرسم الى ان يمثل اصلهُ بجميع ملامحهِ وتقاطيعهِ وهيآتهِ فلا يشتبه أمرهُ ولا تلتبس معرفتهُ على رائيهِ وبهذا تجد في كلامهِ شفافة وحسن رصف وعلى الجملة فانهُ كان يؤدّي المعنى البليغ باللفظ الفصيح مع مراعاة العلاقات بينهما فكان كلامهُ من السهل الممتنع لا يقف عندهُ الذهن حائرًا ولا يحوم عليهِ خيال الفهم طائرًا بل يتشرَّبهُ الذهن و ينتقل من طريق البصر او السمع الى القلب فيضرب على اوتارهِ بمضراب الطرب ويحدث في النفس ارتياحاً ولذة ذلك مع صعوبة النسج على منوالهِ وقلَّ من توصَّل الى هذه الطريقة المثلى والخطة الجلَّى غير نفر من جهابذة المنشئين وفرسان الكلام كالأَصبهاني في الاغاني وابن المقفع في كليلة ودمنة والخوارزمي في رسائلهِ والهمذاني في مقاماتهِ وابن خلدون في مقدمتهِ والبحتري في منظومهِ وان شئت فقل والدهُ في اشعارهِ

وكان مع ذلك اشبه بالصاحب ابن عباد الذي كان يكتب كما يريد لا بالصابئ الذي كان يكتب كما يؤمر او كما يراد فارقص نثرهُ الالباب ورنَّح اعطاف قارئيهِ كأنهُ نسمات الاسحار تناجي عذبات الافنان ورقَّ كلامهُ على صفحات القلوب كأنهُ سنة الكرى ترنق في مقلة الوسنان. واحسن ما يوصف بهِ انشاؤهُ انهُ كان " واضح المنهج سهل الاسلوب خالياً من الحشو والتعقيد مع حسن اختيار الالفاظ وتوخي المأنوس عنها في النثر والنظم " وتلك عقبة كؤود في سبيل الكاتب العصري اذ " لا يخفى ان اللغة اليوم قد اصبحت كأنها لغة قوم آخرين لذهابها من الالسنة من عهد عهيد وإبداعها بين الواح من المصاحف لا

تبدئ ولا نعيد فما عسى الدارس ان يحفظ من تلك المفردات المشتتة والمعاني الجزئية التي يعقم بها الذهن و يضيق من دونها الذكر ثم ما عسى ان يثبت في محفوظهِ من تلك الصور المرسومة على الالواح تمرُّ بطرفهِ مرَّ السحاب وهو في كل يوم يقرع سمعهُ ويتكرر عليهِ من اللفظ المحرَّف والكلم الركيك ما يذهب بذلك الاثر المجازي الذي ينطبع في خيالهِ عن طريق الباصرة . ألا وان اللفظ انما وضع ليكون مسموعاً لا منظوراً واشخاصهُ انما هي الاصوات الناطقة لا الرسوم الصامتة فكيف يتأتى لهذه المناجيات السرية ان تغلب على تلك المناغيات الجهورية مع تواترها على حواسهِ في المعاشرات اليومية والمحادثات البيتيَّة لا ينطلق لسانهُ الاَّ بها ولا يجري في خاطرهِ الاَّ صورها ولا يرنُّ في صماخهِ الاَّ صداها ..

وبهذا تتميز كتَّاب الاعاجم على كتَّابنا فان الكاتب منهم لا يتكلف في الالفاظ والتراكيب صوراً غير ما يجري بهِ لسانهُ في المخاطبات المألوفة فالمترسل منهم والخطيب والكاتب والامي والشيخ والغلام لهم لغة واحدة لا تتفاوت الاَّ في المعاني ووجوه الخطاب وسائر القوانين اللفظية واحدة لا تتغير الاَّ على جهة التأنق في المنطق وطلب الايجاز او الاطناب مما هو من صنعة البياني واسلوب الخطيب اهـ"

اما نثرهُ في فواتح كلامهِ فشعريّ الاسلوب وكثيرًا ما يكون مسجعاً رصيناً "اذ السجع نوع من الشعر لا يحسن الاَّ في مقامات التخييل وحيث يتلاعب المنشئ بضروب المعاني فيأتي بالاستعارات والكنايات وغير ذلك من فنون التعبير" فكانت مقالاتهُ "عارية من هذا السجع الثقيل الذي يلتزمهُ اكثر المؤلفين في هذا الفن وغيرهِ لقصورهم عن اجادة الكلام المرسل فيموهون على الاسماع بتلفيق تلك الاسجاع مما يضطرهم احياناً الى اتيان ما لا داعي لهُ من السياق فيخرج بالكلام عن المقصود او يشوّش المعنى على السامع بكثرة ما يرد عليهِ من التخليط" ومن اسجاعهِ المتينة ما صدَّر بهِ مقالاتهِ في القمر والزهرة ومصير الارض والانتحار ووداع القرن والريح والحرب الخ مما كتبهُ في مجلتهِ الضياء فلذلك ترى كثيرًا من المطالعين تناولوا معانيهِ فيها وادخلوها في منظومهم فما عقدهُ مصطفى بك نجيب فقرات من رثاء الفيلسوف جمال الدين الافغاني في مجلة البيان وسبكهُ بابيات رشيقة منها قولهُ :

نعت النعاةُ يتيمة الدهرِ وخلاصة الأحساب والفخرِ
ليت المنية اخطأت رجلاً حملت بهِ نارٌ من الفكر
"دبَّت على مجرى فصاحتهِ وانهُ بين الفلك والنحرِ"
"عجبٌ لما فعلت ولا عجبٌ ان يسكن السرطان في البحرِ"

وألمّ ابن شقيقتهِ الشيخ نجيب الحداد ببعض ما في مقالة (المقات) في مجلة البيان وذلك بقصيدتهِ (القمار) المشهورة ولا سيما قوله‌ُ :

هو الداءُ الذي لا برءَ منهُ وليس لذنب صاحبهِ اغتفارُ
تشاد له‌ُ المنازل شاهقاتٍ وفي تشييد ساحتها الدمارُ

وكذلك الاستاذ احمد افندي سمير بقصيدتهِ (القمار) ايضاً خصوصاً قوله‌ُ :

وغرَّهم قمرٌ لاحت بوارقهُ في ظلمة العيش فاستهوتهمُ غررا
جرُّوا البلاء بايديهم لانفسهم ثم انثنوا يعتبون الحظ والقدرا

وعقد الشيخ نجيب الموما اليهِ في قصيدة القمر بعض ما في وصفهِ للمترجم في مقالة له‌ُ بالبيان اخصها قوله‌ُ :

جنازة ميتٍ لا نعش فيها ولا أيدٍ حملنَ ولا أنينُ

وسبك جرجي افندي شاهين عطيه فقرة مما في مقدمة البيان بقصيدة له‌ُ قال في احد ابياتها

فصادوا الصوت في قفص كطيرٍ ولم اعهد بصوت أن يُصادا

وتناول كاتب هذه المقالة معنىً من تلك المقدمة وادمجهُ في قصيدتهِ (رجل العصر) المنشورة في المجلة نفسها بقولهِ في الشطر الثاني من هذا البيت :

أذلَّ الجاذبية في قيودٍ كما اصطاد الصواعق بالحرابِ

اما نثره‌ُ المرسل فانهُ آية البلاغة ونجعة الرائد وقلما كتب مقالة ولم يتناهبها الكتّاب للنسج على منوالها ولا سيما اوضاعه‌ُ اللغوية. ومعظم المقالات التي تبعث اليهِ لينشرها في مجلتهِ كان يمسها قلمهُ وكثيرًا ما يفرغ بعضها بقالب الفاظهِ حتى تنمَّ عليهِ وهذا الذي حمل بعضهم على القول بان مقالاتهِ كانت متوحدة وآخذه‌ُ على هذا التصرف الذي يخفي شأن الكتبة لان الانشاء هو الانسان كما قال بيفون. ولعلَّ أمثل ما حمله‌ُ على ذلك تحذُّره‌ُ من تناول الاغلاط عن طريق المطالعة لشدة حرصهِ على حفظ اللغة وابعاد الكتبة عن الوقوع في حبائل الخطإِ كيف لا وهو القائل : « فليراقب كتّابنا الله فيما يملون على الامة وليعلموا ان ما يخطّونهُ في خلواتهم انما يجرون بهِ اقلامهم على صفحات قلوب تنطبع فيها كلماتهم بحروف لا تمحى فليكن ما يطلبونهُ فيها للخير وليكونوا من هداة الامة الى الصلاح ليحسن أثرهم فيها ولا تلزمهم تبعتها يوم لا ينفع مال ولا بنون » والصادع في محل آخر بقولهِ « ان المرء في اول قرعهِ لباب الشعر والانشاء وتسلقهِ على محضر الادب قد يدفع نفسهُ الى ما وراء موقفها ويكلّف

صحيحةُ ما ليس في مطبوعها تأنقاً في الخطاب وتوخياً لمواقع الاحسان والاعجاب وربما نزع الى تقليد بعض الكبراء من اهل خطتهِ ومَن وقع في نفسهِ منهم موقعاً جليلاً فيخطو على آثارهِ ويطبع على غرارهِ تدرُّجاً الى مماثلتهِ وتبوُّؤِ مثل مقامهِ في الصدور وهذا انما ينجح حيث يوافق شيئاً من الذوق وميلاً من الطبع فيتلبس بنتحلهِ حتى يصير مع التكرار ملكة راسخة"

ولهُ رسالات بليغة نشر بعضها في دليل الهائم الذي صححهُ كما سترى . واليك الآن مثالين آخرين من رسالتين احداهما جواب كتاب بعث بهِ اليهِ الكنت كرلو لندبرج الوكيل السياسي لدولة اسوج ونروج بالقطر المصري يهنئهُ بنوط (مدالية) العلوم والفنون الذي اهداهُ لهُ الملك اسكار الثاني المتوفى حديثاً وذلك على اثر المؤتمر اللغوي الشرقي الذي عقد في استكهلم سنة ١٨٨٩ م فاجابهُ برسالة طويلة منها " وقد تشرفت ببزوغ اشعة النوط المشار اليهِ شمساً باهرة اللألاء . طالعة من زرقة نياطهِ تحت سماء صافية الارجاء . ممثلاً عليهِ صورة مولانا الملك المعظم ما طأطأت لهُ مهابة وإعظاماً . واكبرتهُ الّا ان امسَّهُ بالشفاه لثماً او بالجبين استلاماً . وغبطت نفسي على ما انفقت من العمر في خدمة ساقت اليَّ مثل هذا الثواب . واسلتني ما انثنيت فيها من شبابي حتى كأنها ردّت عليَّ ايام الشباب . فانا وان قصر لساني عن ايفاء هذه النعمة حقها من الثناء . سنستظهر على وفاء بعضها باقامة فروض الدعاء . على ان ربها غنيٌّ عن ثنائي بحمد الوفد من امم المشرق الذين احيا مجدهم بعد اذ جعلهُ الدهر هباء منثورا . واخص منهم بقية هذه الامة العربية التي جعلها بعد خمولها شيئاً مذكورا . وقسم لها من المباهاة بين سائر الامم سهماً موفورا" . والثانية رسالة بعث بها الى احد كبار المشايخ يعزيهِ بفقد شقيقهِ فمنها : " وانا في موقف يكتنفهُ من جسامة الخطب ما تتقاصر عنهُ كلمات العزاء . ومن مهابة الشيخ ما تصلد عندهُ خواطر البلغاء وتتلجلج السنة الفصحاء . فما عساني ان افيدهُ من الذكرى وقصاراي ان اخاطبهُ بما استفدت من اقوالهِ . او اتلو عليهِ من جوامع الحكمة ولو أُوتيت حكمتهُ وبيانهُ ما زدتهُ علماً بالدهر واحوالهِ . " الى ان قال : " ولقد عهدت الشيخ من ارق الناس فؤاداً . وارعاهم لذي صلة وداداً . ولكني بلوتهُ من ارصنهم حلماً حين تستخف الاحلام . واوقرهم حصاة اذا صمت صمام . فهو بالاولى احرى الناس بان يشاركهم فيما نابهُ . وبالثانية احقهم بان يتقدمهم في الصبر والانابة . وانا أعوذ بعلو رأيهِ وكمال نبلهِ . ان يديل طبعهُ من عقلهِ . وان يجاري الناس في نقصهم وهم لا يجارونهُ في فضلهِ " وهكذا عارض برسالاتهِ جهابذة المترسلين وبلغاء المتقدمين

ومن مزاياهُ انهُ كان يكتب المقالة او القصيدة ثم يتركها اياماً ويعود اليها فيهذبها

ويقدمها الى المطبعة وربما كرَّر النظر فيها مراراً قبل طبعها وهكذا يفعل بالنسخ المطبعية (البروفات) فانهُ كان يصلحها و يضعها تحت المراجعة ولو يوماً واحداً فيعيد النظر فيها وربما كرَّر ذلك مراراً الى ان يأذن بطبعها فتخرج خالية من الاغلاط نقية الديباجة · وقد اخبرني بعض المنضدين انهُ كان يراجعهم بالشيء القليل مراراً حتى كانوا يتبرَّمون منهُ · ولا بأس ان نلم الآن بذكر موءلفاتهِ ومصححاتهِ واوضاعهِ فنقول :

ان من اقدم ما نسج بقلمهِ الطب القديم واللغات السامية وادب الدارس بعد المدارس والاستدراك على العروضيين بمخلَّع البسيط وانهُ يرجع الى المنسرح وكلها خطب القاها في المنتديات المدرسية والجمعيات العلمية · ولهُ (مطالع السعد لمطالع الجوهر الفرد) وغيره · ومن اهم اعمالهِ (العرف الطيب) وهو شرح ديوان المتنبيء باسلوب مفيد بالغ في تهذيبهِ وتقريبهِ ولهُ فيهِ تحقيقات كثيرة · ومنها (نجعة الرائد) وقد طبع منها الجزئين الاولين وطوى الثالث وبشهرتها غنيّ عن اطرائها و (مجلة الطبيب) سنة ١٨٨٤ التي انشأها مع زميليهِ زلزل وسعاده ومجلة (البيان) سنة ١٨٩٧ بشركة احدهما زلزل ولم تلبث كل منهما اكثر من سنة وآخرها (الضياء) من سنة ١٨٩٨ الى ١٩٠٦ م وفي جميعها مقالات شائقة كالامالي اللغوية في الطبيب واللغة والعصر في البيان والمجاز في الضياء وجميعها ترمي الى غرض واحد وقد اورد في تضاعيفها فوائد لغوية كثيرة واوضاعاً مفيدة . وقد بقي منها " الفرائد الحسان من قلائد اللسان " وهو معجم نبذ منهُ الالفاظ الوحشية واللغات المتروكة وزاد عليهِ الالفاظ المأنوسة الموافقة لحاجات العصر استخرجها من نحو عشرين الف صفحة من كتب المؤرخين وعلماء الادب ممن يصح الاقتداء بهم وقد اتم بعض حروفهِ الاولية والباقي من معظمهِ هوامش واوراق منثورة وكان قد عقد النية على التفرغ لهُ واتمامهِ في الايام الاخيرة فاعجلتهُ المنية

ومن مصححاتهِ (الكتاب المقدس) الذي عربهُ الآباء اليسوعيون في بيروت واختصارهُ ارجوزتي والده نار القرى والجمانة وتجديد طبع دواوينهِ ووقوفهُ على ما طبعهُ المرحوم شاكر البتلوني ولاسيما دليل الهائم ونفح الازهار وما ألفهُ المرحوم جميل المدوَّر في تاريخ بابل واشور وما شرحهُ الاستاذ شاهين افندي عطيه من شواهد نار القرى في كتابهِ (عقود الدرر) و (تحفة المورود في المقصور والممدود) من موءلفات ابن مالك و (رسالة الغفران) للمعري · ومما نشرهُ في مجلاتهِ رسالة حي ابن يقظان وتدبير المنزل لبروسوس وعمدة الصفوة في حل القهوة للشيخ عبد القادر الانصاري ونشر الرسالتين السينيَّة والشينيَّة وبعض القصائد النادرة

مما استنسخهُ من مكاتب اوربا وغيرها · وانتقد تكملة المعجمات العربية لدوزي الهولندي والاقراماطيق العربي الانكليزي لبعض علماء الانكليز وتاريخ الاديات العربية لكليمان هوار الفرنسي وانتقد طبع لسان العرب واظهر ما فيهِ من المغالط اللغوية ونظر في مربعة ابن دريد وشرحها وكتب في لغة الجرائد في اوائل اشتغالهِ بالضياء واستأنف ذلك في سنواتها الاخيرة وأظهر في مقالات اخرى اغلاط المولدين واغلاط العرب وكتب في العلوم عند العرب وفي الشعر والنبر العربي واللغة العامية والفصحى وكل ذلك من دقيق مباحثهِ وأنيق انشائهِ

اما اللغة فكان نسيج وحدهِ في الوقوف على اسرارها فكأنها كاشفتهُ بها ولهُ فيها استنباطات دقيقة وضعاً وتعريباً واساليب رشيقة نظماً ونثرًا ومآخذ سديدة في احكامها وكأني بمناقشتهِ للعلامة احمد فارس الشدياق بعهد صباهُ في مجلة الجنان استلفتت اليها ابصارهُ فاعارها جانب اهتمامهِ وامعن بالتدقيق في اصولها وفروعها فأرهف لها قلمهُ وألاق دواتهُ ولما تولى انشاء مجلة الطبيب مع زميلهِ كان قد تمكن منها فزادتهُ المباحث اللغوية تبسطاً فيها ولا سيما عندما تفرغ لتأليف (نجعة الرائد) و (الفرائد الحسان) وما عقب ذلك من المباحث

ولقد انتبه في اثناء وضعهِ لكتاب نجعة الرائد ومعجمهِ الفرائد الحسان وعند تقليبهِ كتب اللغة ومعاجمها الى كثير من الاوضاع التي اغفلتها المعجمات كنقلهِ عن ابن خلدون الهداية بمعنى الحكمة المخلوقة في الحيوان والتأنس في مقابلة التوحش والملكة للهيئة الراسخة في النفس ومثلها المآخذ والمتارك واهل مائدة الرجل والوزائع لنحو الضرائب وانبى في مطاوعة بنى وماء مثلوج قد أذيب فيهِ الثلج والاخباريون لنقلة الاخبار والمخدوم بمعنى السيد الخ — ومن كشف الظنون لحاج خليفة علم الريانة اي اكتشاف الماء وصاحبهُ رياني" أو قنقن جمعه قناقن " وكثيرًا ما يردّ الكلمة الى نصابها العربي مثل تسمية جزيرة سيلان بسرنديب كما اوردها العرب ونترات السوداء بالنطرون كما عربها اطباؤهم واعناق الخيل الشبيهة بنصل السيف بالمسيفة كما اوردها الاصمعي في كتاب الخيل والعربة بمعنى عجلة الركاب عن ابن بطوطة وعلم الحيل (الميكانيك) وعلم المواليد الثلاثة . واسترسل الى تحقيقات كثيرة لغوية قلَّ من انتبه اليها غيرهُ مثل الفاظ الكهرباء والبيض النمرشت في الطبيب والالماس في البيان وحمام الزاجل في الضياء وكثير غيرها · وأقرَّ كثيرًا من الالفاظ التي وضعها غيرهُ مثل المنطاد والمجهر والمرقب

ولقد اشتغل بالوضع ولم يكن ليعتقد بوجوب وضع الفاظ عربيةٍ لكل كلمة اجنبية كما يتوهم بعضهم بدليل قولهِ في الضياء (٨ : ٧٧) : " واما ان ادخال كلمات اعجمية الى لغتنا

يعدُّ دليلاً على ارتقائها ففيهِ نظر لكنهُ مما تلجئ اليهِ الضرورة حيث لا يتيسر وجود لفظ عربي قديم او محدث يقوم مقام الاعجمي والاَّ فان ادخال اللفظ الاعجمي مع وجود لفظ عربي بمعناهُ كاستعمال الاورطي مثلاً في مكان الأبهر والألبومين مكان الآح والجيلاتين مكان الملام والكاوتشوك مكان المطاط والأسيد مكان الحامض ... كل ذلك يعدُّ دليلاً على انحطاط اللغة كما لا يخفى على ذي بصيرة" — وقد انصف اللغة العربيَّة بقوله في تضاعيف مقالة اللغة والعصر (البيان صفحة ٣٢١) : " ولكن حقيقة الكمال في اللغة ان تكون بحيث يمكن ان يستنبط من نفس اوضاعها الفاظ لما يحدث من المعاني لا ان تكون بحيث تستغني عن المزيد اذ المعاني ابدًا تجدَّد وليس من المحتمل ان قوماً يضعون الفاظاً لمعانٍ لا توجد" ومن مقرَّراته " ان القاعدة في اصول علم الوضع ان يستنبط الاسم من طريق المجاز او الاشتقاق " الى غير ذلك

عيسى اسكندر معلوف

اسلوبنا في التعريب

سئلنا عن الاسلوب الذي نجري عليهِ في التعريب اي في ترجمة الكلمات الاعجمية او نقلها الى العربيَّة . وكان يجدر بالسائل ان يتوسع في السؤَال حتى يشمل التعبير عن بعض المعاني التي لم تخطر على بال العرب فان تعريبها او التعبير عنها بالعربيَّة لا يخلو من مشقة قد تزيد على المشقة من نقل الالفاظ او ترجمتها . و يسهل ارجاع الاساليب التي جرينا عليها في الترجمة والتعريب الى القواعد التالية

❖ القاعدة الاولى ❖ الكلمات الاعجمية التي نعرف لها كلمات عربيَّة ترادفها نترجمها بمرادفاتها

ونريد بالكلمات الاعجمية الكلمات التي من اللغات الاوربية وبالكلمات العربيَّة كل ما رأيناهُ في كتب اللغة والادب جاريًا على الاوزان العربيَّة ولو كان اصلهُ يونانيًّا كقلم او فارسيًّا كابريق او سريانيًّا كقسيس او قبطيًّا كسلطان او حبشيًّا كمشكاة . وكل ما كان كذلك ولم يكن جاريًا على الاوزان العربيَّة كسالامندرا وجنديدستر وقنطاريون

ولهذه القاعدة شواذ قليلة فلا شواذ في الافعال اي اننا لا نستعمل فعلاً اعجميًّا اذا وجدنا لهُ فعلاً عربيًّا

ولا شواذ في الحروف الاَّ في ده الفرنسوية واوف الانكليزية وفون الالمانية في مثل

لورنزو ده مديسي و برنس اوف و يلس وفون كريمر فان هذه الثلاثة حروف اضافة او نسبة ويستغني في العربيَّة عنها ولكن شيوعها في ما ترد فيهِ من الاسماء المركبة يجعل الاستغناء عنها عثرة في سبيل ادراك المعنى بسهولة · فالذي يقرأُ كلمة برنس اوف و يلس يدرك حالاً انهُ لقب ولي عهد انكلترا ولكنهُ اذا قرأ برنس و يلس او امير و يلس فقد يظن ان المراد بذلك شخص آخر غير ولي العهد

واما الاسماء ففيها كثير من الشواذ حيث شاعت الكلمة الاعجميَّة وصارت ادل على المراد من الكلمة العربيَّة مثل كلمة برنس المذكورة آنفًا فانهُ يُفضل استعمالها في بعض الاماكن على استعمال كلمة امير فلو قلنا امير اوف و يلس او امير و يلس بدل برنس اوف و يلس لظن القارئ او السامع اننا نريد شخصًا آخر غير ولي عهد انكلترا · وقد تدلُّ القرينة على المراد ولا يكتفى بها لانهُ يشترط في حسن التعبير ان يؤدي المعنى المراد الى ذهن السامع باقل ما يكون من الوقت والكلفة والاسراف في القوة العصبيَّة · وقد كان علماء العرب المبرزون مثل ابن الاثير وابن سينا وابن البيطار يجرون هذا المجرى ايضًا اي يستعملون الكلمة الاعجمية التي الفتها الاسماع وصارت ادل من الكلمة العربيَّة على المعنى المراد · ولكن اذا امن اللبس وامن ايضًا تشويش ذهن القارىء او السامع فضلنا اللفظ العربي على اللفظ الاعجمي فنقول الامراء اعضاء العائلة الخديوية ولا نقول برنسات العائلة الخديوية ونقول امراء اوربا ولا نقول برنسات اوربا

ومن هذا القبيل اي من قبيل الكلمات الاعجميَّة التي نفضل استعمالها احيانًا على استعمال الكلمات العربية او المعرَّبة قديمًا كلمة داء المفاصل فاننا قد نستعمل كلمة روماتزم بدلاً منها · وكلمة توتيا فاننا قد نستعمل كلمة زنك بدلاً منها · وكلمة نشادر فاننا قد نستعمل كلمة امونيا بدلاً منها · مراعين في ذلك كلهِ مقامات الكلام من التخصيص والتعميم وما نتوقعهُ من فهم السامع او القارىء · مثال ذلك انك تجد في الاخبار العلمية في الجزء الماضي كلمة روماتزم بدل داء المفاصل لان المفهوم من داء المفاصل انهُ يقع في مفاصل اليدين او الرجلين وقلما يخطر على بال غير الاطباء انهُ يصيب الظهر فلما رأينا ان الشفاء المشار اليهِ في تلك النبذة كان في الظهر اخترنا كلمة روماتزم وقد صارت مألوفة عند الجمهور وذكرها لا يشوش ذهن القارىء مثل ذكر كلمة داء المفاصل واطلاقها على داء في الظهر اذ المراد تأدية المعنى المطلوب الى ذهن السامع من اقرب الطرق وباقل ما يكون من الكلفة لا اظهار سعة علم الكاتب بالفاظ اللغة

﴿ القاعدة الثانية ﴾ الكلمة التي لا نعرف لها مرادفاً في العربية ولكننا نرجح او نظن ان لها فيها مرادفاً نفتش عن مرادفها في ما عندنا من المظان ونسأل عنهُ ونبحث حتى اذا ظفرنا بهِ ووجدنا انهُ يؤدي المعنى المراد تماماً استعملناهُ دون غيرهِ . من ذلك كلمة mercenaries فان معناها الجنود المستأجرة من بلاد اخرى على ما كانت جارية العادة بهِ في الازمنة القديمة فلما اردنا تعريب هذه الكلمة قلنا لا بدَّ من ان يكون العرب استعملوا كلمة تدلُّ على هذا المعنى فوجدنا في بعض المظان كلمة مسترزقة مستعملة للجنود المستأجرين ومعناها الاشتقاقي يدل على معناها الاستعاري فاعتمدناها . ومنهُ كلمة tributary اي النهر الصغير الذي يصبُّ في النهر الكبير فاننا وجدنا لها في كتب الرحلات القديمة كلمة ناصر والجمع نواصر ورأينا انهُ يسهل ادراك المراد بها من معناها الاشتقاقي فعوَّلنا عليها وهلمَّ جرًّا

واذا وجدنا ان اللفظ الاعجمي او العامي الذي ليس عربيًّا كثير الشيوع واستعمال غيرهِ يضيع الفائدة على القراء اضطررنا ان نعدل عن اللفظ العربي او الفصيح الى اللفظ الاعجمي او العامي مثال ذلك اننا وجدنا كلمة تقاوي مستعملة في هذا القطر بدل كلمة بذار . وكلمة السباخ البلدي مستعملة بدل كلمة زبل . وكلمة كبري مستعملة بدل كلمة جسر . وكلمة طمي بدل كلمة ابليز . وكلمة بوسطة بدل كلمة بريد . فحاولنا في اول الامر التشبث بالكلمات العربية مثل بذار وجسر او المعرَّبة منذ عهد طويل مثل بريد ولكننا رأينا ان تشبثنا هذا يضيع الفائدة على جمهور القراء فان الفلاح المصري لا يستعمل الأ كلمة تقاوي ولا يفهم الأ كلمة تقاوي ولا يستعمل الأ كلمة كبري ولا يفهم من كلمة جسر الأ حافة مجرى الماء واذا اسمعتهُ كلمة بذار مرة في الاسبوع او في الشهر سمع كلمة تقاوي مئة مرة او الف مرة فرأينا ان محاولة تغيير لغة العامة في هذه الكلمات وامثالها ضرب من العبث واضاعة للوقت وتضييع للفائدة فجاريناهم في ما نكتبهُ لهم اما ما نكتبهُ لانفسنا اي اذا خطر لنا خاطر واردنا التعبير عنهُ نظماً او نثرًا فاننا نعود الى بذار وبريد وجسر وابليز . واكثر الذين لا يراعون فهم الجمهور يكتبون لانفسهم لا للجمهور

﴿ القاعدة الثالثة ﴾ الاعلام الاعجمية التي رأيناها شائعة الاستعمال كتبناها حسب استعمالها سواء كان قديمًا مثل ابرهيم ويوسف او حديثًا مثل المانيا واميركا وفرنسوى ووليم وهنري . والاعلام الاعجمية التي لم يكن استعمالها شائعاً كتبناها كما يلفظها اهلها او باقرب ما يكون من لفظها الاصلي مثل بيكنسفيلد وكرومر وهارفي وروزفلت

والاعلام التي عرِّبت منذ زمن قديم بلفظ مخالف لما تلفظ بهِ الآن عند اهلها مثل

البندقية لڤنيسيا وصقلية لسيسيليا فهذه نتابع الاقدمين فيها عند امن اللبس ولاسيما اذا كان الكلام عن حادثة تاريخية قديمة فاذا ذكرنا حروب الاتراك مع اهل ڤينيسيا قلنا مع البنادقة ولكن اذا اردنا ان نشير على زارع او صانع ان يجلب مادة ما لزراعته او صناعته من البندقية لم نذكرها بهذا اللفظ بل عدنا الى لفظ ڤنيس او فينيسيا حتى اذا طلب البضاعة من تاجر او عميل اوربي لم يخطئ هذا مراده

والاعلام التي اخذها الافرنج عن العرب وحرّفوها مثل القاهرة وقرطبة واشبيلية نكتبها حسب اصلها العربي اذا عرفناه وأُمن اللبس

﴿ القاعدة الرابعة ﴾ في تعريب النكرات الجديدة التي لا مرادف لها في العربية اذا رأينا ان الكتّاب عربوها قبلنا وشاعت الالفاظ التي وضعوها لها فالغالب اننا نجاريهم ولا نحاول وضع الفاظ اخرى لها ولذلك تابعنا اساتذة المدرسة الكلية السورية في تعريب الاكسجين والهيدروجين والنيتروجين والفصفور وهلمّ جرًّا وجاريناهم في مثل مغنط فعلاً من المغنطيس وكهرب من الكهرباء وترفن فعلاً يراد بهِ كسر جانب من عظم الجمجمة بعملية جراحية. وجارينا جمهور الناس في استعمال التلغراف والوابور والسيمافور والقرقاطة

واذا لم نرَ ان الكتّاب سبقونا الى تعريبها عنينا باستعمال الكلمة التي نقدّر لها طول البقاء فلما اخترع التلفون وقرأنا عنهُ بعد اختراعه ببضعة عشر يوماً عرفنا مزيتهُ حالاً وثبت لنا انهُ سيشيع شيوع التلغراف في كل الاقطار ويصل الى بلادنا ويصل اسمهُ معهُ ولا يهتم التجار الذين يأتون بهِ بكلمة جديدة نضعها لهُ حتى لو فرضنا اننا وجدنا فعلاً عربياً معناهُ تكلم الانسان مع غيرهِ عن بعد واشتققنا منهُ اسماً لهذه الآلة فان هذا الاسم لا يتغلب على اسم تستعملهُ الامم المتمدنة كلها. ونرى الآن اننا احسنّا لاننا لم نخالف امم العالم في الاغارة على اسم وضعهُ مخترع هذه الآلة لآلتهِ وابدالهِ باسم نضعهُ نحن لها. وقس على ذلك الفونوغراف والمكروفون والاوتوموبيل

ولما جاء بعض الاميركيين الى بيروت بالبيسكل وكان عجلتين واحدة كبيرة جدًّا وواحدة صغيرة جدًّا وفي ركوبهِ مشقة كبيرة ظننا انهُ ليس مما يشيع استعمالهُ وان التريسكل ذا العجلات الثلاث يتغلب عليهِ فلم نستعمل الاسم الافرنجي بيسكل بل كلمة درّاجة واطلقناها على الآلتين والدرّاجة كلمة عربية تؤدي المعنى المراد بسهولة والافرنج انفسهم الذين وضعوا كلمة بيسكل لذات العجلتين والتريسكل لذات العجلات الثلاث يعدلون عن الكلمتين احياناً كثيرة ويبدلونهما بكلمة سيكل اي عجلة ولذلك فالسعاة في مصر الذين

يسمون هذه الآلة "عجلة" احكم منا ومنهم لانهم يكتبون بهذا الاسم

وغنيٌّ عن البيان اننا التزمنا ان نجاري العلماء في المصطلحات العلمية التي تفقد دلالتها بتعريبها كالحامض الكبريتوس والكبريتيك والمتاكبريتيك والهيبوكبريتوس والهيبوكبريتيك لان لكلٍّ من هذه الملحقات والزوائد معنىً خاصاً يدلُّ على تركيب المادة المسماة بهِ كما يعلم دارسو الكيمياء. فمن يسمي الحامض الكبريتيك بالحامض الكبريتي كمن يسمي الفرس حماراً لان لكل منهما رأساً وذنباً. وان نجاريهم ايضاً في الاسماء العلمية كلها سواء كانت حيوانية او نباتية او تشريحية اي سواء كانت اسماء حيوانات او نباتات او اعضاء في جسم الانسان والحيوان والنبات جارين في ذلك كلهِ مجرى المسعودي وابن سينا وابن البيطار ونحوهم من الاعلام الذين كتبوا في العلوم الطبيعية على انواعها. والذين خالفونا في ذلك كان خطأهم اكثر من صوابهم مثال ذلك ان الاطباء كلهم يسمون الشريان الكبير الخارج من القلب باسم الاورطي وقد سماهُ ابن سينا كذلك وقال ان ارسطوطاليس يسميهِ بهذا الاسم الاَّ انك ترى في المقالة السابقة ان المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي لم يعجبهُ هذا الاسم فقال يجب ان يترجم بالابهر ولكن صاحب القاموس يقول ان الابهر هو الظهر وعرق فيهِ ووريد العنق والاكحل. وقال صاحب التاج ان اجمع الاقوال فيهِ قول ابن الاثير انهُ عرق منشؤهُ من الراس ويمتد الى القدم. ويستنتج من كل ما قرأناهُ عن وصف هذا العرق انهُ وريد لا شريان واذا ثبت انهُ الاكحل فالاكحل وريد حتماً كما نص عليهِ ابن سينا واما الاورطي فشريان. ويليق بكل المترجمين ان يطالعوا قانون ابن سينا ليروا كيف كان علماء العرب يترجمون

هذا من حيث الالفاظ الاعجمية اما المعاني فاما ان تكون حقيقة او مجازاً وكلٌّ منهما اما مألوف عند العرب وخلفائهم واما غير مألوف فهذه اربعة انواع من المعاني المختلفة

الاول الحقيقي المألوف مثل ركوب الفرس وشرب الخمر فالمعاني التي من هذا القبيل نترجمها بما يدل على معناها فنقول شرب الشاي وشرب الافسنت وشرب مر الملك او نخبهُ واستخرج الراديوم واستقطر الفنول

والثاني الحقيقي غير المألوف نترجمهُ بلفظهِ او بما يقاربهُ كصوّت لهُ واطلق المدفع فان التصويت في الانتخاب معنًى جديد لم يكن معروفاً على الصورة الحاضرة وكذلك اطلاق المدافع لان المدافع لم تعرف عند العرب الاَّ في اواخر عهدهم في الاندلس بعد وضع اللغة واهالي الشام يقولون قوَّس المدفع والبندقية مستعارة من شدّ قوس الوتر لرمي السهم. وقد نستعمل كلمة رمى من الرماية اي رمي السهام فنقول رماهم بالقنابل او بالطرابيد

والثالث المجازي المألوف مثل ايقظ الفتنة وامات العواطف ومزّق الشمل ووقف منهُ مزجر الكلب فاننا قلما نجد صعوبة في العثور على ما يرادفهُ في العربية

والرابع المجازي غير المألوف مثل لعب دورهُ . وذر الرماد في العيون . وبعدي الطوفان . فالاستعارات التي من هذا القبيل نفتش اولاً عمّا يرادفها او يقاربها من الاستعارات العربيَّة فان لم نجدهُ واستحسنا الاستعارة الافرنجية لخفَّة لفظها وسهولة ادراك معناها ابقيناها على حالها اي ترجمناها ترجمة حرفية بتصرُّف او بغير تصرُّف حاسبين انها ربح تكتسبهُ اللغة . ويظهر لنا ان كل الذين تقدمونا من المترجمين الاولين مثل الطوسي وابن المقفع وابن حنين جروا هذا المجرى حتى في ما وضعوهُ في العربية من الكتب والرسائل ولذلك تجد لكلٍّ منهم تعابير خاصَّة بهِ ليست من مناحي العرب

وخلاصة المقال اننا نبذل جهدنا في اجتناب الكلمات والاساليب التي ليست عربية فنفتش عن مرادفاتها او نترجمها بما يؤدي معناها الاَّ اذا وجدنا انها قد شاعت وصارت مفهومة او انها ستشيع حتمًا وتتغلَّب على غيرها او انها اعلام لا تترجم . ولا نجهل اننا قصَّرنا مرارًا فاستعملنا الفاظًا واستعارات غير عربية ولها الفاظ واستعارات عربية ولكننا لم نفعل ذلك عن قصد الاَّ حيث وجدنا غير العربي اصلح من العربي

بقي ان البعض لامونا لاننا لم نستعمل بعض الاسماء التي وضعها غيرنا لبعض المسميات الجديدة كالمجهر للمكرسكوب والمنطاد للبلون . وكان جوابنا عن ذلك ان لفظة ميكرو اليونانية دخلت في كلمات كثيرة مثل مكروب ومكرو بولوجي ومكرومتر ومكروفون وقد شاعت بعض الكلمات الداخلة في تركيبها في كل اللغات الحية ككلمة مكروسكوب والآلة المسماة بها كثيرة الشيوع ايضًا يستعملها الاطباء وباعة المنسوجات وكل علماء الطبيعة والذين يستعملونها لا يخطر على بالهم الاَّ اسمها العلمي . وقد شاع هذا الاسم عندنا واستعملناهُ مرارًا كثيرة نحن وغيرنا قبلما وضعت كلمة مجهر . ثم لما وضعت كلمة مجهر رأينا انها لا تدل على المعنى المراد بل قد تدل على ضدهِ لان الشائع من مشتقات جهر اجهر صفة مشبهة وجاهر فعلاً وكلمة اجهر اكثر شيوعًا يستعملها الخاصَّة والعامَّة واما كلمة جاهر فقلما يستعملها غير الخاصَّة . ومعنى الاجهر الضعيف البصر الذي لا يرى في الشمس فاذا سمع الجمهور كلمة مجهر فالمرجح انهم يعلقونها بضعف البصر لا بقوتهِ على تكبير المرئيات او على رؤْية الشيء الصغير الذي لا يرى بالعين لصغرهِ ولو عُرِّب المكرسكوب بكلمة مِظهر او مُظهِر او مكبِّر لكانت ادل على معناهُ

وكلمة منطاد وُضعت بعد ان شاعت كلمة بلون ايضًا . والشائع من مادتها انما هو كلمة

طود . واذا ذكرت كلمة طود انصرف الذهن الى ان المراد جبل عظيم راسخ . نعم انك تجد في كتب اللغة ان معنى انطاد ذهب في الهواء صعدًا ولكن هذا الفعل لا يخطر بالبال ولم نرهُ في كتاب غير القواميس. ولما رأينا كلمة منطاد اول مرة ظننا دالها راء ومن المرجح عندنا ان اصل الدال في طود وانطاد راء اخطأ النساخ او القراء في كتابتها او قراءتها فان الطور الجبل في العربيَّة وغيرها ولا يزال علمًا لجبال معروفة مثل طور سينا وطور طابور . ثم ان همَّ صانعي البلون منصرف الآن الى منعهِ عن الصعود في الهواء وجعلهِ يسير قرب سطح الارض فيصير معنى المنطاد مخالفًا للمراد . ومع هذا كلهِ فلو وُضعت هاتان اللفظتان للمكرسكوب والبلون قبل شيوع كلمتي مكرسكوب وبلون عندنا او لو كانت الدلالة من لفظيها على المعنى المراد واضحة تمام الوضوح لما استصعبنا استعمالها الى ان يقضي الناموس الطبيعي ببقاء الاصلح

هذا ومما يحسن ذكرهُ هنا اننا اطلقنا كلمة مكروب على كل الاحياء المكروسكوبيَّة قبل ان اطلقها عليها علماء اوربا واميركا فكنا نعرّب المقالة من مقالاتهم وفيها كلمة باشلس فنضع بدلاً منها كلمة مكروب وفيها كلمة بكتيريا فنترجمها بكلمة مكروب لكي لا نشوش اذهان القراء بذكر الفاظ غريبة انما يراد بها تخصيص هذه الانواع . ثم جعل الكتَّاب الاوربيون يجرون هذا المجرى ايضًا فشاعت كلمة مكروب في كتاباتهم كما شاعت عندنا ولا ندَّعي انهم فعلوا ذلك اقتداء بنا كلاَّ وانما الحاجة الى الاقتصار على كلمة واحدة دعتهم الى ذلك كما دعتنا

واللغة جسم حيٌّ نامٍ وشأن من يحاول منعها من النمو شأن الصينيين الذين يربطون اقدام بناتهم لكي لا تنمو وتبلغ حدها الطبيعي ولكن اذا كان النمو مشوهًا فلا بد من تقييدهِ وتهذيبهِ

ولا يراد باللغة واهلها ان تبقى وتبقى كما كانت وكانوا في عصر البحتري والخوارزمي والاَّ لزمنا ان لا نتخذ غير الجمل مطيَّة وغير السيف سلاحًا . وهذه خطة لم يجرِ عليها العرب بل نرى بين انشاء اهل القرن الاول والثاني وانشاء اهل القرن السادس والسابع نظمًا ونثرًا من الفرق الجلي ما لا تجد اكثر منهُ بين انشاء اهل هذا القرن وتلك القرون كما يتضح للباحث المحقق . ولو استطاع احد ان يحصي كم دخل العربيَّة من العبرانية والسريانية والقبطية والروميَّة من الالفاظ والتراكيب حتى قبل انصرام القرن الثالث لوجد ان العربيَّة كانت حينئذٍ لغة حية نامية كالانكليزية والفرنسوية والالمانية الآن وان الذين يريدون الرجوع بها الى الصدر الاول واقفال ابوابها دون الجديد يعملون على موتها وتضييق سبل المنشئين والمعربين وناشري لواء العلوم والفنون

اساليب العرب في التعريب

رأينا ونحن نكتب المقالة السابقة انهُ يجدر بنا ان نذكر اساليب العرب في التعريب فانهم حقيقون ان يكونوا قدوة لنا فيها. ومهما اشتدَّ حرصنا على العربيَّة وحفظها من تطرُّق العجمة اليها لا يزيد على حرصهم لا سيما وانهم هم الذين اغنوها بالكتب الادبية والعلمية ورفعوا شأن المتكلمين بها

ومن اشهر المبرزين في ترجمة كتب الادب عبدالله ابن المقفع مترجم كتاب كليلة ودمنة الذي يشهد لهُ كل من طالعهُ انهُ افصح الكتب العربية المترجمة حتى لقد جُعل نموذجًا يتحداهُ الكتبة المنشئون · والذين يترجمون كتب الادب لا يتقيدون بالالفاظ كالذين يترجمون كتب العلم ومع ذلك تجد ابن المقفع يستعمل كلمة بازيار وهي تركيب فارسي معناهُ مربي البازي وكلمة سرجين وهي فارسية ايضاً ومعناها الزبل · وكلمة فيج وهي فارسية ومعناها رسول السلطان القادم على رجليهِ · وكلمة اساورة جمع اسوار وهي فارسية لمن يحسن الرمي · وكلمة نيلوفر وهي رومية للزهر المعروف · ونحو ذلك من الالفاظ الاعجمية · واستعمل من التراكيب والاستعارات مثل ذات النفس. وعداوة الجوهر. وجوهرهم كجوهرك (وكلمة جوهر فارسية معرَّبة) ومن ذلك جعل المال زيادة في الرأي والتمكن · ونقص الحال. وطلب الماء انحدارهُ وما اشبه من التعابير التي يظهر انها غريبة عن العربية وان ابن المقفع نقلها عن الفارسيَّة

ومن المبرزين في ترجمة كتب الطب والفلسفة او الاخذ عن المترجمين الشيخ الرئيس ابن سينا صاحب كتاب القانون الذي ترجمهُ الاوربيون الى اللاتينيَّة وجعلوهُ كتاب التدريس في مدارسهم فانهُ كان حريصاً على الكلمات العلميَّة الاعجمية والاحتفاظ باصلها ولو ترجمها الى العربية كقولهِ "فصل في قملة النسر المسماة دذه بالفارسيَّة وصملوكي باليونانية وطفانوس بالهندية وهذه هامَّة كالقملة او كاصغر الديدان قال جالينوس هي صغيرة لا يشوق منها وتكاد لا تبصر لسعتها وهي مما تفجر الدم بولاً ورعافاً ومن المقعدة ومن المعدة بالقيء ومن الصدر والرئة ومن اصول الاسنان وربما عظم الخطب فيها فلم تقبل الدواء". ويشبه ذكر اعراضها ان تكون البلهرسيا الشائعة الآن في وادي النيل · وذكر الحيات على انواعها ولم يذكر اسماً عربياً حتى ذكر عشرة اسماء يونانية وقد عددنا لهُ في صفحة واحدة ١٦ كلمة اعجمية. ولو كان في هذا العصر لما حاول ترجمة الكلمات العلميَّة الجديدة بل نقلها الى العربية كما هي على ما يلفظ. والذي يقرأ وصفهُ التشريحي لاعضاء الجسم المختلفة يظن انهُ يقرأ كتاباً من

كتب التشريح الحديثة مثال ذلك قولهُ في تشريح الحنجرة

" الحنجرة عضو غضروفي مؤلّف من غضاريف ثلثة احدها الغضروف الذي يناله الحس ويسمى الدرقي والترسي اذ كان مقعّر الباطن محدّب الظهر يشبه الدرقة وبعض الترسة. والثاني غضروف موضوع خلفهُ يلي العنق مربوط بهِ يعرف بانهُ الذي لا اسم لهُ. وثالث مكبوب عليهما يتصل بالذي لا اسم لهُ ويلاقي الدرقي من غير اتصال وبينهُ وبين الذي لا اسم لهُ مفصل مضاعف بنقرتين فيهما زائدتان من الذي لا اسم لهُ مربوطتان بهما بروابط ويسمّى المكبي والطرجهاري وبانضمام الدرقي الى الذي لا اسم لهُ وبتباعد احدهما عن الآخر يكون توسّع الحنجرة وضيقها وباكباب الطرجهاري على الدرقي ولزومهِ اياهُ وتجافيهِ عنهُ يكون انفتاح الحنجرة وانغلاقها وعند الحنجرة وقدامها عظم مثلث يسمّى العظم اللامي تشبيهاً بكتابة اللام في حروف اليونانيين اذ شكلهُ هكذا Λ "

وقال الدكتور ورتبات في كتاب التشريح الذي وضعهُ حديثاً على نسق الكتب الاوربيّة الحديثة " الحنجرة عضو الصوت وهي موضوعة في الجزء العلوي من القصبة .... تأليفها من غضاريف لها اربطة تربطها بعضها ببعض وعضلات تحركها وغشاء مخاطي يبطنها واوعية واعصاب. وغضاريفها تسعة ثلاثة مفردة وثلاثة مزدوجة وهي الدرقي والحلقي ولسان المزمار والطرجهاريان والقرينان الجنجريان والاسفينيان ". ثم شرح ذلك شرحاً مسهباً حسب تقدّم علم التشريح. وقال في وصف العظم اللامي " يسمّى هذا العظم باللامي لان فيهِ بعض مشابهة للام اليونانية ويقال لهُ اللساني ايضاً لانهُ حامل اللسان ولان العضلات اللسانية مرتبطة بهِ "

ومن كتب ابن سينا المشهورة كتابهُ في اصول المنطق وهو مبنيٌّ على كتب اليونان وذكر آرائهم قال في الكلام على المطلقات " المطلقة فيها رأيان رأي بافرسطس ثم ثامسطيوس وغيرهِ انها هي التي لم تذكر فيها جهة ضرورة للحكم ...... واما اصحاب الرأي الثاني ومنهم الاسكندر فيرون ان هذا النقل واجب في المطلق ". وكيفما قلبت كتب المنطق رأيت ان علماء العرب تابعوا فلاسفة اليونان في مصطلحاتهم وتعابيرهم

وقد جرى علماء العرب في الرياضيات مجرى علمائهم في الطبيعيات والعقليات اي انهم تابعوا اليونان في كل ما نقلوهُ عنهم وجروا على اساليبهم. قال نصير الدين الطوسي في مقدمة كتابهِ تحرير الاصول لاقليدس " ان العلوم الرياضية التي هي واسطة عقد الحكمة النظرية تنقسم الى اربعة اقسام الهندسة والارثماطيقي والموسيقي والمجسطي وهو غايتها وكان كتاب الاصول الذي يقال لهُ الاستقص (لتحليل سائر العلوم الرياضية اليهِ) في سالف الايام

مرتبًا على خمس عشرة مقالة فمال بعض ملوك اليونان الى حلهِ فاستعصى عليهِ فاخذ يتنسم اخبار الكتاب من كل وارد من اهل العلم فاشار بعضهم الى رجل من بلد صور يقال لهُ اقليدس انهُ مبرز في علمي الهندسة والحساب فطلبهُ الملك وامرهُ بتهذيب الكتاب وترتيبهِ فهذَّبهُ ورتبهُ على ثلث عشرة مقالة واشتهر الكتاب باسمهِ "...

وقال في صدر المقالة الاولى " لكل علم موضوع ومبادئ ومسائل . وموضوع كل علم ما يبحث فيهِ عن اعراضهِ الذاتية وهي المحمولات التي تلحق الشيء لذاتهِ او لجزئهِ او لما يساويهِ من المحمولات الخارجة عنهُ . والمبادئ اما حدود موضوعاتهِ او قضايا هي مقدمات براهين مسائلهِ اما مبينة في ذلك العلم من غيران يستلزم الدور او في علم آخر وتقدَّم في اوائل الكتب مجرَّدة عن البراهين وقد تُقدم معها لا على انها من براهين ذلك العلم وتسمَّى مصادرات واصولاً موضوعة واما مبينة بذواتها وتسمَّى علوماً متعارفة . والمسائل هي قضايا يبرهن فيهِ على اثبات محمولاتها لموضوعاتها اوسلبها عنها "

وواضح لمن يقرأ هذه السطور ان كثيرًا من الفاظها وتعابيرها ليس من مناحي العرب ولكن مترجمي اقليدس والجارين في خطتهم مثل ثابت بن قرَّة الحرَّاني وحجاج بن مطر ونصير الدين الطوسي وسنان بن جابر الحراني لم يتقيدوا بالفاظ الشعراء والادباء واساليبهم بل اخضعوا اللغة لاغراضهم فعرَّبوا واستعاروا وتصرفوا كيف شاؤوا على ما اقتضاهُ نقل المعاني الى العربيَّة . وهذا ينبغي ان يكون شأننا نحن اذا اردنا ان نجاري العصر ونسير في طريق العلم . وقد قيل

لا يعرف الشوق الاَّ من يكابدهُ ولا الصبابة الاَّ من يعانيها

فالحاجة الى التعريب واساليب التعريب لا يعرفها ولا يقوم بها الاَّ اصحاب كل فن في فنهم . فالجرَّاح الذي قرن العلم بالعمل والتعلُّم بالتعليم يعلم ما تحتاج اليهِ صناعتهُ من التعريب . والصيدلاني الذي قرن العلم بالعمل والتعلم بالتعليم يعلم ما تحتاج اليهِ صناعتهُ من التعريب . وقس على ذلك الفلكي والفسيولوجي والبيولوجي والجيولوجي والنباتي والرياضي والنوتي وقائد الجيش وصانع الآلات والادوات . اما أن نقيم نحويًا او منطقيًا او مؤرخًا او منشئًا لوضع كلمات في علم الفلك وعلم الهندسة وعلم النبات وعلم الحيوان والعلوم الطبيَّة والطبيعية والرياضيَّة فمثل تحويلك قاضيًا تطبيب الابدان وطبيبًا تصوير الالوان . نعم انهُ لا بد من الاستعانة بعلماء اللغة الذين يحفظون متونها ويسهل عليهم استحضار الفاظها ولكن يستحيل الاستغناء بهم عن العلماء الاختصاصين او الذين لهم المام واسع بمختلف العلوم والفنون وقد قرنوا العلم بالعمل زمانًا طويلاً

الدولة العباسية

(ابو العباس السفّاح)

واقتعد السفّاحُ تختَ المُلكِ   واوردَ الاعدا بحارَ الهُلكِ
وسرَّ بالملكِ الجليل وابتهجْ   وتمَّ فيهِ اربعاً من الحججْ
وتسعةً من الشهور وانتقلْ[1]   فقام بالامرِ اخوهُ واستقلْ

(المنصور ابو جعفر عبد الله)

وهو ابو جعفر المنصورُ   يرعدُ منهُ الاسدُ المصورُ
ذو هيبةٍ عظيمةٍ وباسِ   ساد بها مُلكُ بني العباسِ
فتمَّ ثنتين وعشرين سنهْ   تنقص شهراً اورثتهُ الالسنهْ[2]

(المهدي ابو عبد الله محمد بن المنصور)

وانتصب المهديُّ لما ان مضى   والدهُ وكان سيفاً منتضى
ابـاد كل كافرٍ زنديقِ   وكان مهديًّا على التحقيقِ
فتمَّ عشر حجج مع شهرِ   ونصف شهر وثوى في القبرِ
فاسبلوا الدمع عليهِ وبكوا   اذ مات مسموماً على ما قد حكوا[3]

(الهادي ابو محمد موسى بن المهدي)

وبايعوا لاكبر الاولاد   موسى ابنهِ ولقبوهُ الهادي
فتمَّ عاماً واحداً وثلث عام   وبعدها بلجة المنونِ عام[4]

---

(١) السفاح اول خلفاء بني العباس بويع بالخلافة بالكوفة في ثالث ربيع الاول سنة ١٣٢ (٧٥٠ م) ومات بالجدري في ذي الحجة سنة ١٣٦ (٧٥٤ م) وكان مقرهُ في الانبار على الفرات (٢) هو من اعظم خلفاء الاسلام هيبةً وشجاعةً وحزماً · بنى مدينةً بقرب الكوفة وسماها الهاشمية وفيها ضربت الدنانير الذهبية وكثيراً ما جمع فيها ديوان وزرائهِ وهو مؤسس مدينة بغداد شرع في بنائها سنة ١٤٠ وفرغ منها سنة ١٤٩ وسماها مدينة السلام وصارت من ثم عاصمة الخلفاء العباسيين وشيد ايضاً الرصافة · مات في سنة ١٥٨ (٧٧٥ م) وهو ابن ثمانٍ وستين سنة (٣) بويع المهدي بالخلافة بعد موت ابيهِ وهو اول من عمل البريد من الحجاز الى العراق وتتبع الزنادقة وافنى منهم خلقاً كثيراً · ومات في سنة ١٦٩ (٧٨٥ م) · قيل انهُ مات مسموماً · قال ابن بطريق : كانت خلافة المهدي عشر سنين وشهراً وسنة عشر يوماً :

(٤) وتوفي الهادي خارج بغداد بموضع يقال لهُ عيسباد ودفن بها

(هارون الرشيد ابو جعفر)

وبايعوا من بعدهِ اخاهُ فنال اذ بويع ما وخّاهُ
وهو الرشيد المرتضى هارونُ امواله لم يحوها قارونُ
بالارث حاز الملك من ابيهِ واخذ السرير عن اخيهِ
وتمّ بعد هذه الوراثه عشرين عاماً بعدها ثلاثه
يتبعها شهران ثم نصف شهر وكان سلطاناً له باسٌ وقهر
فلم يطق ان يدفع الحماما لما سقاهُ كأسهُ الحماما (1)

(الامين محمد بن الرشيد)

وبايعوا من بعدهِ الامينا وقلّدوهُ عقدهُ الثمينا
وهو ابنهُ محمد فدانت له الرعايا كلها وكانت
مدتهُ من السنين اربع وتسعة من الشهور تتبع
وثلث شهرٍ وانقضت وزالت وآلت الحال الى ما آلت
من منعهِ وخلعهِ وحصرهِ وقتلهِ بالسيف وسط قصرهِ (2)

(المأمون عبد الله بن الرشيد)

وبويع المأمون بعد ذلك فاستبشرت بعدلهِ الممالك
وكان عالماً غزير العلمِ والفضلِ موصوفاً بفرط الحلمِ
له تعزت في الانام حسنه ثم ثنتين وعشرين سنه
وهطلت لموتهِ المدامعُ كأنها السحائب الهوامع
واسفوا لما بقبرٍ قد ثوى حزناً على الفضائل التي حوى
فيا لها فضائلاً ما عابها الا اعتزالٌ شانها وشابها

---

(1) استخلف الرشيد بعهد من ابيهِ عند موت اخيهِ الهادي في ربيع الاول سنة ١٧٠ (٧٨٦ م) وكان محباً للعلم واهلهِ وقلد الامور ليحيى بن خالد البرمكي وحج في خلافتهِ تسع حجات وغزا بلاد الروم ثماني غزوات وسخط على البرامكة فاوقع بهم ومات في الغزو بطوس من خراسان سنة ١٩٣ (٨٠٩ م) ولهُ خمس واربعون سنة وقال ابن بطريق بل ست واربعون سنة (2) ولي الخلافة بعد ابيهِ وكان سيء التدبير منهمكاً في اللعب والجهل قام عليهِ اخوهُ المأمون وحاصر بغداد خمسة عشر شهراً وخرج الامين بامهِ واهلهِ من القصر الى مدينة المنصور فدخل عليهِ قوم من العجم ليلاً فضربوهُ بالسيف ثم ذبحوهُ وذلك في سنة ١٩٨ (٨١٣ م) قال ابن بطريق كانت خلافة الامين اربع سنين وثمانية اشهر وستة ايام

زال بها عن وجهِهِ الجمالُ ... ولِلالهِ وحدهُ الكمالُ [١]

(المعتصم بالدين الرشيد)

وبايعوا من بعدهِ للمعتصمْ ... وهو بالاعتزال ايضاً قد وُصِمْ
وامتحنِ الحبر الجليل احمدا ... ولم يكن في رأيهِ على هُدى
اذ جعل القرآن مخلوقاً كما ... قال اخوهُ قبلهُ وأثما [٢]
وبعدت بغزوهِ مسالكهْ ... واتسعت لاجل ذا ممالكهْ
وتمَّ في امرتهِ ثمانيهْ ... مستوفياً اعوامهُ كما هيهْ [٣]

(الواثق بالله هارون بن المعتصم)

وبايعوا الواثق وهو نجلهُ ... ولم تفتهُ خيلهُ ورجْلهُ
هارون كان عالماً بالحسبِ ... وكان عارفاً بعلم الادبِ
وكان في اعتزالهِ شديدا ... ولم يكن مذهبهُ سديدا
أذى الامام احمد بن حنبلِ ... واظهر البدعة لما ان ولي
وقام يرجو نصرها ويبتغي ... وقال في القرآن ما لا ينبغي
لما رواهُ مثلهُ مخلوقاً [٤] ... فمات في تنورهِ محروقاً
ايامهُ خمس سنين عدَّها ... وتسعة من الشهور بعدها
ستة ايامٍ وفاضت نفسهُ ... وأفلتْ بعد الشروق شمسهُ

---

(١) لم يلِ الخلافة من بني العباس اعلم منه وكان افضلهم حزماً وهيبة وسودداً وسماحة يجالس العلماء من كل الملل والاديان وهو اول من دخل مصر من الخلفاء العباسيين وذلك في سنة ٢١٧ وبنى له قبة على جبل المقطم . مات يوم الخميس لاثنتي عشرة بقيت من رجب سنة ٢١٨ (٨٣٣ م) على اثر حمى اصابته وهو على نهر البذندون في سيليسيا قرب طرسوس (٢) اشتغل المامون والمعتصم بامتحان العلماء عما يعتقدون في خلق القرآن واحداثهِ وكانا يقولان انه مخلوق خلافاً لاهل السنة وقاسى الناس منها مشقة عظيمة بسبب هذه المحنة (٣) مات المعتصم يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة من ربيع الاول سنة ٢٢٧ (٨٤٢م) وهو اول من شفع اسمهُ باسم الجلالة وتبعهُ في ذلك سائر الخلفاء بعدهُ (٤) تبع الواثق بالله اباهُ في امتحان الائمة بخلق القرآن واحضر من بغداد الى سامرا احمد بن نصر الخزاعي وكان من اهل الحديث وسأله عن القرآن فقال ليس بمخلوق فامر بقتلهِ . كان الواثق شاعراً وحاذقاً بضرب العود وتوفي بسر من رأى سنة ٢٣٢ (٨٤٧ م)

ولما احتضر جعل يردد هذين البيتين :

الموت فيهِ جميع الخلق مشتركُ ... لا سوقةٌ منهم يبقى ولا ملكُ
ما ضرَّ اهل قليل في تفاقرهم ... وليس يغني عن الاملاك ما ملكوا

(المتوكل على الله جعفر بن المعتصم)

المتوكلُ المسمّى جعفرُ اقام ينهى بعدهُ ويأمرُ
وهو ابو الفضلِ اخوهُ قُتلا في مجلس اللهو الذي فيهِ خلا
مدتهُ عشر سنين قد مضت واربعٌ من بعدها قد انقضت[1]

(المنتصر بالله محمد ابو جعفر بن المتوكل)

وبايعوا المنتصر ابنهُ فتمّ ستة اشهرٍ بها العمر ختمْ
ولم يراعِ واجب الحقوقِ ولا استحى من وصمة العقوقِ
فلم يمتّع بعدهُ بالمُلكِ لكن تردى في مهاوي الهلكِ
ولم يقم من بعدهِ فيهِ سوى ستة اشهرٍ وفي اللحدِ ثوى[2]

(المستعين بالله احمد بن المعتصم)

وذهب الملك العضوض من يدهْ وبايعوا للمستعين ولدهْ
فتمّ فيها مدةً وخُلعا ومات مخلوعاً نهار الاربعا
كانت لهُ إمرتهُ وراثهْ اعوامهُ مدتها ثلاثهْ
تتبعها من الشهور تسعهْ وذاق من وصل المنايا لسعهْ[3]

(المعتز بالله محمد بن المتوكل)

وبعدهُ الخليفة المعتزّ فسلبوهُ ملكهُ وابتزّوا

---

(١) بويع له في ذي الحجة فاظهر الميل الى السنة ونصر اهلها ورفع المحنة · وكان المتوكل جواداً ممدوحاً ما اعطى خليفة شاعراً ما اعطى المتوكل · انما كان منهمكاً في اللذات والشراب وقيل كان له اربعة آلاف سرية وفي ايامهِ حدثت زلازل عظيمة اخربت مدناً كثيرة وكان بايع بولاية العهد لابنهِ المنتصر ثم المعتز ثم المؤيد · ثم انهُ اراد تقدم المعتز لمحبتهِ لامهِ · واتفق ان الترك انحرفوا عن المتوكل لامور فاتفقوا مع المنتصر على قتل ابيه فدخل عليهِ خمسة وهو في جوف الليل في مجلس لهوهِ فقتلوهُ هو ووزيرهُ وذلك في خامس شوال سنة ٢٤٧ (٨٦١ م) (٢) بويع له بعد قتل ابيهِ فخلع اخويهِ المعتز والمؤيد من ولاية العهد واظهر العدل والانصاف في الرعية ولما ولي صار يسب الاتراك ويقول هؤلاء قتلة الخلفاء · فدسوا الى طبيبهِ ابن طيفور ثلاثين الف دينار في مرضهِ فاشار بفصدهِ ثم فصدهُ بريشة مسمومة فمات · ولما احتضر قال يا اماهُ ذهبت مني الدنيا والآخرة عاجلت ابي وعوجلت مات في خامس ربيع الآخر سنة ٢٤٨ (٨٦٢ م) عن ست وعشرين سنة فلم يمتع بالخلافة الا اشهراً معدودة دون السنة

(٣) لما مات المنتصر اجتمع القواد وتشاوروا وقالوا متى وليتم احداً من اولاد المتوكل لا يبقى منا باقية فقالوا ما لها الا احمد بن المعتصم وبايعوهُ وله ثمان وعشرون سنة واستمر الى اول سنة ٢٥١ (٨٦٥ م) ثم تنكر له الاتراك واخرجوا المعتز بالله وبايعوهُ وخلعوا المستعين وجهز المعتز جيشاً لمحاربة المستعين وقتل المستعين في ثالث شوال من سنة ٢٥٢ (٨٦٦ م)

بعد ثلاثةٍ من الاعوامِ ونصف عامٍ مرَّ مع ايام

جملتها في عددٍ احدى عشر وواجهوهُ بمنادٍ وبشرْ

وخلعوهُ ثم عذَّبوهُ ظلماً وفي الحمَّام اكربوهُ

فمات فيهِ عطشاً ووهجا وسلك الموت اليهِ منهجا (١)

(المهتدي بالله بن الواثق)

وبايعوا من بعدهِ للمهتدي خير امام بالاشجِّ يقتدي

في نسكهِ ودينهِ وخيرهِ وعدلهِ وفي جميع سيرهِ

يسدي الى الانام كل حسنه فقتلوهُ ولهُ دون سنه (٢)

(المعتمد على الله بن المتوكل)

وبايعوا من بعدهِ للمعتمد وهو على فعل الجميل مجتهد

فاضطربت ايامهُ واختلَّت لضعفهِ وسقمت واعتلَّت

فانتهكت حرمتهُ الموالي واحجمت عن ظعنها العوالي

واستأسد الاتراك والعلوجُ وهاجمت جيوشهُ الزنوجُ

فانتدب الموفق السعيدُ اخوهُ وهو الفارس الصنديدُ

وقام بالامر قياماً حسنا كسا بهِ المُلْكَ بهاءً وسنا

فانصلحت حينئذٍ احوالهُ جميعها ونفذت اقوالهُ

وصار ملكهُ عظيم الشان مشيد الاركان للسلطان

فضاق ذرعاً باخيهِ لمَّا شاركهُ فيهِ فمات غمَّا

وقيل مسموماً وقيل غير ذا وما صفى موردهُ من القذا

وتمّ ثنتين وعشرين سنه ونصف عام ثم خلَّى وطنه (٣)

---

(١) بويع له بعد خلع اخيهِ وله من العمر تسع عشرة سنة وفي اول سنة تولي خلع اخاهُ المؤيد من العهد وضربهُ وقيدهُ فمات . وبعد ثلث سنوات ونصف اجتمع الاتراك على خلع المعتز وهجم عليهِ جماعة وجروهُ برجلهِ وضربوهُ بالدبابيس وبعد خمس ليال من خلعهِ ادخلوهُ الحمام فلما اغتسل عطش فمنعوهُ الماء ثم سقوهُ ماءً بثلج فشربهُ وسقط ميتاً وذلك في شعبان سنة ٢٥٥ (٨٦٩ م) (٢) كانت خلافة المهتدي سنة الّا خمسة عشر يوماً وقتل في رجب سنة ٢٥٦ (٨٧٠ م) (٣) لما بويع المعتمد استعمل اخاهُ الموفق طلحة على المشرق . وفي ايامهِ دخلت الزنج البصرة واعمالها وبذلوا السيف واحرقوا وضربوا ودامت الحرب بينهم وبين عساكر المعتمد واميرهم في اكثرها الموفق نحو اربع عشرة سنة وقتل رأس الزنج وضج الناس بالدعاء للموفق وكان ماسكاً زمام الاحكام الى ان مات المعتمد في رجب سنة ٢٧٩ (٨٩٢ م)

(المعتضد بالله بن الموفق)

وبويع المعتضد الامامُ ... وهو الشجاع البطل الهمامُ
والدهُ الموفقُ المذكورُ ... وعمهُ المعتمدُ المشكورُ
فانصلحت بهِ الامور الفاسده ... وارغم الله تعالى حاسده
وكان سيدًا كثير الفضلِ ... أحيا البلاد كلها بالعدلِ
ثم على سريرهِ عشر حجج ... وتسعةً من الشهور ودرج (١)

(المكتفي بالله بن المعتضد)

وبايعوا ابنهُ الامام المكتفي ... وفضلهُ بين الورى لا يختفي
فطهّر الدنيا من الزنادقه ... وكفرهم بالعزمات الصادقه
وقهر الخوارج الطغاةَ ... ودمّر العصاةَ والبغاةَ
وفتحت بسيفهِ انطاكيه (٢) ... وانتصفت بهِ وكانت شاكيه
من جور اهل الجور رهزا واستمرّ ... في ملكهِ ست سنين ثم مرّ
من بعد نصف سنة لها تلي ... ونصف شهرٍ راحلاً ثم ولي (٣)

(المقتدر بالله بن المعتضد)

من بعده المقتدر الزاكي كما ... قد قالهُ اهل التواريخ فما
اقام الاّ ثلث عام واعتزل ... وعن سرير ملكهِ قهرًا نزل

وبايعوا من بعدهِ للمنتصف ... وهو الذي بالعلم والفضل وصف
والدهُ الخليفة المعتزّ ... كان الى نيل العلى يهتزّ
وكان شاعرًا رقيق الحاشيه ... اشعارهُ بين الانام فاشيه
يصيب فيها غاية الصوابِ ... فأدركتهُ حرفة الادابِ
فاختلّ امرهُ وما استقاما ... وغدروا بهِ فما أقاما

---

(١) كان المعتضد ملكاً شجاعاً مهيباً وافر العقل نشر العدل ورفع الظلم عن الرعية وفي سنة ٢٨٢ زُفت اليه قطر الندى بنت خمارويه بن احمد بن طولون وكان في جهازها اربعة آلاف تكة مجوهرة وعشرة صناديق جوهر (تاريخ الخلفاء للسيوطي) مات في سنة ٢٨٩ (٩٠٢ م)

(٢) في انطالية (باللام) فتحت عنوةً في سنة ٢١٩ هـ

(٣) مات المكتفي شابًا لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ٢٩٥ (٩٠٨ م)

غير نهار واحد ثم قتل ونصبوا المقتدر الذي عزل [1]
وابرزوه كالهلال الزاهر وخلعوه بعد ذا بالقاهر
ثم اعادوه اليها ثالثا وجرعوا القاهر هذا الكارثا
فتم فيها آمرًا وناهيا وقتلوه بعد هذا لاهيا
وكان مقدار الذي اقاما فيه الى ان لقي الحماما

(القاهر بالله ابو منصور بن المعتضد)

خمسًا وعشرين وقام القاهر وفضله بين الانام باهر
فتم فيها سنة ونصفا ورصفوا له اذاهم رصفا
فقبضوا عليه ثم سملوه وفعلوا به الذي قد فعلوه [2]

(الراضي بالله ابو العباس بن المقتدر)

وبويع الراضي ابو العباس وفضله مشتهر في الناس
فضرب الدراهم المعروفه وبث فيها بينهم معروفه
وعمهم لجوده بالطول وكان شاعرًا بليغ القول
ايامه تقرب من سبع حجج اقام فيها حاكمًا ثم درج [3]

(1) ولي المقتدر الخلافة وله ثلاث عشرة سنة فاستصباه الوزير العباسي ابن الحسن فعمل على خلعه ووافقه جماعة فبايعوا عبد الله بن المعتز ولقبوه الغالب بالله (ولا نعلم لماذا سماه هنا المنتصف) . ثم قبض المقتدر على الفقهاء والامراء الذين خلعوه واستقام الامر له . وقد اختل النظام كثيرًا في ايامه لصغره وطوره . وفي سنة ٣١٧ هـ خلع وبويع لمحمد بن المعتضد ولقب بالقاهر فلم يجلس على سرير الملك الا يومًا واحدًا وعادت الخلافة الى المقتدر الى ان رماه بربري بحربة ثم ذبحه بالسيف وحمل رأسه على رمح وطاف به المدينة وذلك يوم الاربعاء لثلاث من شوال سنة ٣٢٠ (٩٣٢ م) . وفي ايامه قام محمد بن المهدي الفاطمي وملك الاسكندرية ثم مصر واكثر الصعيد وكان بدء الدولة الفاطمية (2) كان القاهر بالله سيء السيرة سفاكًا للدماء . وتحرك عليه الجند فقبضوا عليه وبايعوا ابا العباس بن المقتدر ولقبوه الراضي بالله . ولما امتنع القاهر من الخلع سملوا عينيه حتى سالتا على خديه . وطولب بالمال الذي كان اخذه من مؤنس واصحابه فانكر فعذب بانواع العذاب ولم يقر . وفي اول سنة من خلافة القاهر صير سعيد بن بطريق المتطبب من اهل فسطاط مصر بطريركًا على الاسكندرية وسمي انبا افتيشيوس وذلك يوم الخميس لثلث عشرة ليلة خلت من امشير وهو شباط من سني ديوكليتيانوس سنة ٦٤٩ ولثمان ليال خلون من صفر سنة ٣٢١ قمرية (3) بويع له يوم خلع القاهر وذلك سنة ٣٢٢ (٩٣٤ م) وكان اديبًا شاعرًا لكن امر الخلافة ضعف في زمانه ووهنت اركان الدولة العباسية وتغلبت القرامطة والمبتدعة على الاقاليم واستولى الامير عبد الرحمن بن محمد الاموي على اكثر الاندلس وتسمى بامير المؤمنين ولم يبق بيد الراضي غير بغداد والسواد وفي سنة ٣٢٩ (٩٤٠ م) اعتل الراضي ومات في شهر ربيع الآخر وله احدى وثلاثون سنة ونصف

الرمد الحبيبي[1]

سادتي واخواني الافاضل

اسمحوا لي ان أشكر حضراتكم على تكرمكم بالحضور لسماع ما سأُلقيهِ على مسامعكم الشريفة ولقد حصل لي مزيد الشرف بان افتتح باب المقالات العلمية في هذا النادي . وسأتكلم الآن على موضوع الرمد الحبيبي المعروف عند العامة بالحمية ولكنني اسقط ذكر الاسماء الطبيَّة المحضة وذلك لاختصاصها بالاطباء دون سواهم — وطالما حدثتني نفسي بان اقوم امام جمهور من افاضل المصريين لكي اطرق باب هذا الموضوع المهم الذي شغل كل الامم الراقية ونحن تركناهُ في زوايا النسيان واهملناهُ ايما اهمال مع عظيم اهميتهِ من كل الوجوه . ولكن والحمد لله قد اتاحت لي الفرص الآن ان اقف بينكم هذا الموقف حبًّا بالوطن فعامل الاخلاص الجأني الى الوقوف والنداء لمكافحة مرض عضال لا يزال ينتشر بسرعة عظيمة كلما وجد مجالاً لذلك رغماً عما بذلتهُ وتبذلهُ الامم الراقية في محاربتهِ . مرض اتخذ مصر من قديم الزمان مأوًى لهُ واصبح بمضي المدة صاحب الدار وسيد الامراض المصرية . مرض انتحل اسم البلاد فلقب بالرمد المصري بقدم عهدهِ وانتشارهِ بالدرجة المريعة التي تفوق كل وصف وحصر ولا غرابة اذا قلت لكم ان العمى في مصر ينتج في الغالب من مضاعفات هذا الضيف الثقيل بل هذا الداء الخبيث بل هذا العدو الالد . ولكل هذا الاسباب قامت كل الدول المتمدنة على قدم وساق لإزالة جرثومة هذا المرض بكل همة ونشاط ويكفيكم دليلاً على ذلك ان الولايات المتحدة لا تسمح كلية للمصابين بهذا الداء ان يطأوا ارضها وذلك بناء على قرار صدر سنة ١٨٩٧ لمنع انتشار هذا المرض بين اهلها . وفي سنة ١٨٩٩ صار من المحتم الكشف عن اعين كل مسافر يريد ان يدخل بلادها بواسطة الاطباء الرمديين وذلك لمنع كل مصاب بهذا المرض من الدخول في تلك البلاد وكل من وجد مصاباً يجبر على العودة

وتوجد في معظم عواصم اوربا مدارس مخصوصة للمصابين بهذا المرض ولا تسمح لاي تلميذ مصاب بان يدرج في سلك تلاميذ المدارس الاخرى

وفي مستشفيات الرمد الموجودة بلوندره وفينَّا اقسام مخصوصة لمعالجة المصابين بهذا الرمد

(١) خطبة حضرة الدكتور عبد العزيز افندي العجيزي طبيب اول مستشفيات الرمد القيت في نادي طنطا

ولا يجوز لاي مريض من مرضى هذا القسم مخالطة مرضى الاقسام الاخرى . انظروا وتأملوا لماذا هذه العناية الشديدة بل لماذا هذا الاهتمام . كل ذلك اقوله لحضرتكم لتعلموا حق العلم اننا ازاء عدو الد اهتم العالم اجمع بمقاومته اذاً يجب علينا معشر المصريين ان ننهج هذا المنهج القويم بعلو همة وثبات عزيمة وان نجمع كل قوانا لمكافحته . وقبل ان اقص عليكم تاريخ هذا المرض اذكر نسبة انتشاره في مصر

بلغ عدد من فحصوا في مستشفى الرمد بينها في مدة سبعة اشهر تقريباً عشرين الفاً وفي هذا العدد لم نشاهد الا ثلاثين غير مصابين بهذا الرمد . اي بنسبة واحد ونصف في الالف وفحصنا تلاميذ مدرسة طنطا في هذه السنة المكتبية فوجدنا ستة عشر تلميذاً من ٤٨٥ غير مصابين بهذا الرمد اي بنسبة ٣ ١/٢ في المئة وهؤلاء التلاميذ كما تعلمون هم اولاد الفئة الراقية . وقال الدكتور احمد الرمدي انهُ وجد بقسم الرمد بالعيادة الخارجية بالقصر العيني ١٠٠ مصاب بهذا الرمد في يوم واحد ووجد ايضاً في مدارس الاسكندرية الاهلية من ٨٠ الى ٩٣ في المائة مصابين بهذا الرمد وفي احصائية الدكتور طحاوي ٧٥٠ في الالف مصابون بالرمد وفي احصائية الدكتور فان ملنجن ٨٠٠ في الالف مصابون به . هذه هي نسبة انتشار الرمد في مصر واليكم نسبة انتشاره في الخارج لتعلموا الفرق الهائل بين مصر والبلاد المتمدنة . نسبة انتشار الرمد في الجيش الالماني واحد في الالفين . ونسبة انتشاره في روسيا (المعدودة اول مملكة اوربيَّة انتشر فيها هذا الرمد بكثرة) هي سبعة في الالف

وفي هذا المقام لا يسعني الا ان اخبركم ان ثلاثة ارباع فقد البصر والعمى بمصر هو نتيجة من نتائج هذا الرمد والآن اسرد عليكم نسبة العمى في مصر لتعرفوا الضرر العظيم الناتج من هذا المرض الخبيث . قال الدكتور ماكلن باشمفتش اسبتاليات الرمد في احصائيته عن المستشفيات الرمدية المصرية لسنة ١٩٠٦ ان نسبة فاقدي البصر هي ٥ في المئة تقريباً وقال سعادة الدكتور علوي باشا في كتابه المقدم الى مؤتمر بروكسل " ان نسبة العمى في مصر هي خمسة في المئة " وقال الدكتور اوسبورن في مجموع مشاهداته " ان نسبة العمى في مصر هي ٨ في المئة " والآن اذكر نسبة العمى في البلاد الاخرى لكي يتضح لكم الفرق الهائل بين حالة بلادنا والبلاد المتمدنة

نسبة العمى في النمسا وانجلترا والمانيا وبلجيكا وايطاليا وهولندا هي ٧ في الالف بدل ثمانية في المائة عندنا

ولا اقتصر على ذلك بل هناك مصيبة أخرى ناتجة من هذا المرض اللعين منتشرة بكثرة

هائلة جدًّا الأ وهي الشعرة المسماة عند العامة بالغريبة

الشعرة هي عبارة عن انقلاب الاهداب (الرمش) نحو المقلة فتسبب تهيجاً مستمرًّا ينتج عن احتكاك هذه الاهداب بالمقلة وينشأ من هذا الاحتكاك المستمر كثرة افراز الدموع والتهابات في القرنية وعتامات وقرح . وفي احوال كثيرة تفضي الى فقد الابصار كلية ان اهملت ولذا تواتر على السنة العامة القول الآتي وهو : " ان الشعرة تلحس النظر "

والمشهور عند العامة ان الشعرة هي عبارة عن ريش جديد ينبت في الحافة الجفنية نتيجة عدوى ولكن ذلك غير صحيح والحقيقة ان الشعرة هي من الاهداب الاصلية تغير اتجاهها وانقلبت نحو المقلة بسبب انكماش في المقلة ناشيء من الجرب فالشعرة اذًا ما هي الأ نتيجة الرمد الحبيبي

وقد بلغ عدد المصابين بها ٣٦١٢ في ٤٠٨٠٠ من المرضى اي بنسبة ٨ في المائة وهنا يكل قلمي ويقف لساني عن زيادة الشرح والتنقيب فضرر هذا المرض ظاهر امام الملإ اجمع كالشمس في رائعة النهار

نعم من يقرأ او يسمع كل ذلك لا بد ان يتصوَّر لاول وهلة اننا اول الناس تحفظًا لايقاف تيار هذا المرض وان بمصر من المعاهد الخصوصية للرمد ما لا يحصى . نعم بلادهكذا انتشار الرمد فيها يجب ان تكون اول بقعة درست هذا الداء وعلمت كيف تقاومهُ بل يلزم ان تكون كعبة الاطباء الرمديين للاستفادة من طرق العلاج المختلفة بل يجب ان تحوي المستشفيات العديدة لمعالجة هذا الداء الكمين واغاثة المنكوبين من فقراء المصريين الذين لا يملكون قوت ليلتهم . وقدكان المنتظر ان تهز الشفقة الانسانية عاطفة بعض سراتنا الذين كثيرًا ما يتسابقون فيما لا يفيد الى ايجاد شيء من هذا القبيل ولكن قدر الله ان يكون مخاه السير ارنست كاسل الانكليزي الذي تبرع بمبلغ اربعين الف جنيه سبباً في تأسيس مستشفيات مخصوصة لهذا المرض الوبيل

تاريخ الرمد في القطر المصري

الآن انتقل الى ذكر تاريخ الرمد في القطر المصري فاقول : اعتبرت مصر من سالف الازمان مهدًا لهذا المرض الفتاك . وقال آخرون ان عهد هذا الرمد بمصر عهد وجود النور بها

واستنتج الدكتور هرشبرج انتشار الرمد في مصر في عهد الفراعنة من درج ابرس المكتوب في عهد الاسرة الثامنة عشرة قبل الميلاد الذي وجد في معابد طيبه سنة ١٨٧٢

ميلادية . فقد وجد ذلك الحكيم ان عشر التذاكر الطبية الموجودة في ذلك الدرج مختصة بامراض العين وخصوصاً المصحوبة منها بافراز وهذه الكتابات هي اقدم كتابات طبية وجدت لغاية الآن الاّ ان الطبيب العربي المشهور المدعو عبد اللطيف وصف جميع الامراض المصرية وصفاً وافياً ولكن لم يذكر شيئاً بخصوص الرمد . وكان ذلك في سنة ١٢٠٠ ميلادية اما المثبوت تاريخياً فهو ان الرمد يبتدئ حقيقة في مصر من مدة المماليك (١٢٥٤ – ١٥١٧) ميلادية . ومن ذلك العهد اخذ ينتشر في مصر ولُقب بالرمد المصري بعد دخول نابليون وانتشار العدوى بين جيوشهِ ونقلها منهم الى اوربا . فقد قال الاطباء ان الجيوش الفرنسوية والانكليزية اصيبت بالرمد الحبيبي بشكل مريع . وقال احد الاطباء الانكليز انهُ عاد من مصر الى انكلترا اكثر من الفي عسكري فاقدي البصر

والآن اقتصر على ذكر بعض ما قالهُ المؤرخون والاطباء في القرن الماضي للدلالة على حالة الرمد في القطر المصري فقد قال فولنيه انهُ صادف في احدى شوارع القاهرة عشرين اعمى وعشرة عور وعشرين اخرين محمرة عيونهم كل ذلك بين مئة نفر وقال سافوري ان الازهر في تلك المدة كان يحوي ثمانية الاف اعمى وليس قصدهُ بذلك انهم جميعاً فاقدو البصر كلية بل عد منهم من بهِ ضعف في بصرهِ بسبب هذا الرمد الحبيبي . وان كانت هذه الاقوال مبالغ فيها بدرجة عظيمة الاّ ان من مجموعها يستنتج ان الرمد كان منتشراً بمصر انتشاراً يستوجب الاهتمام الزائد والعناية الكبرى لمقاومتهِ . ولنبدأ الآن بشرح المرض بطريقة بسيطة يسهل فهمها على الجميع

وصف المرض الحبيبي

هو مرض من أمراض غشاء الجفن الباطني المسمى طبياً بالملتحمة ويتميز عن باقي امراض هذا الغشاء بوجود سماكة وضخامة مصحوبة بارتفاعات وبروزات تقارب في الشكل سطح القنبيط في حبيباتهِ ولذا سمي بالمرض الحبيبي ويعرف عند العامة بالحمية لان الملتحمة في بعض ادوار هذا المرض تشابه في لونها وشكلها قطعة اللحم

ولهذا المرض شكلان رئيسان الاول مزمن وهو المصحوب باعراض التهابية قليلة الوضوح وفي معظم الاحوال تكون غير محسوسة كلية ان لم تؤثر فيها العوامل الخارجية كالتراب والدخان والحر وما اشبه وهذا هو النوع المنتشر في بلادنا

والشكل الثاني المعروف عند العامة بالعين المشقوقة وعند بعض الرمديين بالشكل الحاد لاصحابهِ باعراض التهابيّة شديدة ولكن هو في الحقيقة مضاعفة التهابيّة تظهر في عين

مصابة من قبل بحبوب مزمنة او ابتداء عدوى مزدوجة من ميكروب الرمد الحبيبي وبعض ميكروبات الامراض المنزليَّة الحادة

الشكل الاول او المزمن وهو غير مصحوب باعراض التهابيَّة واضحة

يبتدئ هذا الرمد غالبًا بالتدريج بدون حدوث تعب او ضرر محسوس حتى ان المصابين به يبقون مدة طويلة لا يشعرون بهِ وغالبهم يعتقد انهُ سليم حتى يكشف عليهِ طبيبًا عند ما يصاب بمرض التهابي او شيء آخر او من باب الصدفة . وفي احوال أُخرى يبتدئ هذا المرض باعراض بسيطة مثل تساقط الدموع بكثرة والتصاق الاهداب بعضها ببعض اثناء النوم وصغر في فتحة العين وثقل في الجفن ثم تأخذ هذه الاعراض في الازدياد وذلك لازدياد حجم الحبوب التي تكون في ابتداء المرض فتضخم الملتحمة والانسجة التي تحتها ويزداد سمكها فينتفخ الجفن العلوي انتفاخًا واضحًا ويصير دائمًا مرتخيًا ويشعر المريض ان في باطن جفنهِ اجسامًا او انهُ كالمغطى برمل ويجد في نفسهِ عدم القدرة على مقاومة الضوء القوي وعدم امكانهِ الاستمرار على العمل ويحصل لهُ ايضًا اضطرابات في الابصار كالزغللة اثناء القراءة والكتابة وذلك ناشئ من زيادة الافراز وهذه هي الاعراض الكثيرة الحصول في الاحوال البسيطة الغير المصحوبة بمضاعفات أُخرى

الشكل الثاني المصحوب باعراض التهابيَّة واضحة

هذا النوع يظهر بشكل مريع في الاطفال من ابتداء مايو لغاية اكتوبر ويبتدئ بانتفاخ في الاجفان وخصوصًا الجفن العلوي واحتقان في الملتحمة مع ارتشاح وافراز يكتسب بعد قليل الصفة القيحيَّة وذلك يكون مصحوبًا بفزع من الضوء حتى يتعذر على المريض فتح عينيهِ وآلام شديدة في العين والرأس واحساس برمل بين الاجفان وفي الصباح يجد المريض اجفانهُ ملتصقة بالافراز وتستمر هذه الحالة نحو ثمانية ايام او عشرة ثم تنتهي إما بالشفاء بدون ان تترك اثرًا ما وإما ان يصير مزمنًا يزول ويعود مرارًا فيترك اثر التحامات يعقبها جفاف في العين وتلك حالة تهيئ الملتحمة للاصابة المزمنة وتعرضها لان تتأثر بالمؤثرات الجوية هذا اذا لم تحدث المضاعفات القرنية . وهذا المرض غير ذي خطر اذا عولج من مبدإهِ واما اذا ترك لنفسهِ فغالبًا يكون مصحوبًا بمضاعفات قرنية ربما تنتهي بتلف العين كلية . وفي هذا المقام لا يسعني ان اشرح لكم بمزيد الاسف الحالة السيئة التي نرى عليها اغلب الاطفال المصابين بهذا المرض واني في غاية من الدهشة مما يصيب هؤلاء الاطفال وماذا يكون حالهم اذا لم يسعفوا بالعلاج الوقتي الضروري ولكن لا يلزم الانسان

ان يندهش بعد ذلك من كثرة العمي في مصر او من تسمية بلادنا ببلاد العميان ويكفي الشخص ان يذهب الى مستشفيات الرمد في فصل الصيف ليرى الحالة المحزنة التي عليها الاطفال والذي يؤلم ويوجع اكثر من ذلك هو ما اذا فحصت طفلاً صغيراً على ذراعي امهِ وجدتهُ فقد البصر من هذا المرض لتواني اهلهِ في احضارهِ عند اول ظهور المرض فما ذنب هذا المسكين ؟ ذنبهُ الجهل والفاقة قاتلها الله بل ذنبهُ عدم شعور الاغنياء بان عليهم ديناً لمواطنيهم من الفقراء يجب عليهم اداؤُهُ لهم بل ذنبهُ هذا الجمود الذي يتسلط على السراة والاعيان فينزع من قلبهم كل عاطفة وحنان نحو المعوزين والمحتاجين

انتهيت من التكلم على المرض والآن اذكر لكم كيفية انتشارهِ فما سبق تعلمون نسبة انتشار هذا المرض ومن المشاهد ان انتشارهُ نادر في الطبقات الراقية ولكن مجرد قولي ان وجودهُ نادر عند الطبقات الراقية لا يمنع ان هذه الطبقات يمكن كذلك ان تصاب بهِ ولا يخفف ذلك الاَّ ما يتخذونهُ من سبل ايقاف انتشار العدوى لهذه الطبقات فهي ولاشك تصيبهم فالمرض اذاً لا يرحم غنياً ولا فقيراً وهذا هو ما اراهُ ويؤيدهُ ما نشاهدهُ من انتشار المرض بين كافة الطبقات في القطر المصري · ولا يسعني في هذا المقام الاَّ ان اقسم الطبقات بحسب اصابتها بالرمد بنسبة نظافتها واعتنائها في ابعاد العدوى عنها لا بنسبة ثروتها ومركزها · والذي اقولهُ في هذا الموضوع بخصوص انتشار المرض في القطر المصري هو ان العدوى بكل انواعها ترجع اسبابها سواء اصيب بها الفقير او الغني الى شيء واحد وهو ما اسميهِ الاهمال بحذافيرهِ وعدم اخذ الحذر الواجب لايقاف هذا التيار وهذا هو السبب الاساسي لانتشار هذا المرض ويدرك ذلك لاول وهلة مما نراهُ من الانتشار في كل الحالات التي يكثر فيها الزحام والتي يسهل فيها انتقال الافرازات المرضية من عين الى أخرى بواسطة الايدي او الملابس وما شاكلها وتنتشر هذه العدوى بطريقة نقل الافرازات العينية كالعماص مثلاً من شخص الى آخر او من عائلة الى اخرى بأي وسيلة كانت وهذه هي الطريقة الوحيدة في سريان العدوى في بلادنا ولكن قبل الدخول في شرح كيفية انتشار العدوى لهذا المرض استلفت افكار حضراتكم الى ذكر ان كل شيء يسبب النزلات الملتحمة المعروفة عند العامة باحمرار العين يضعف ويقلل من حيوية الملتحمة ويجعلها اكثر استعداداً للاصابة بهذا المرض · وهذه الاسباب اسميها اسباباً مهيئة للمرض والذي يستحق الذكر منها في هذا المقام هو :

اولاً (الاتربة والرياح) عند ما تهب الرياح محملة بالاتربة من الارض او بوصول

الاتربة مباشرة الى العين بأي طريقة فقد جرت العادة ان تحك العين بالاصبع او المنديل او ما شاكل ذلك للتهييج الناتج من وجود ذرات التراب على مقلة العين وهذا الاحتكاك يحدث احتقاناً اي تهييجاً بالملتحمة واذا كان الاصبع او المنديل ملوثاً بجرثومة المرض او جراثيم أخرى سهل جداً وصول العدوى الى الملتحمة

ثانياً الدخان · كلنا يعرف عيشة الفلاحين ومنازلهم فهم يتخذون للخبز افراناً بلا مداخن و يوقدون فيها مواد قذرة كالمسكة والسبلة وغيرهما من الاشياء التي يتصاعد منها دخان كريه الرائحة ينتشر في المسكن لعدم وجود منافذ او مداخن تصرفهُ من طريق مخصوص بعيد عن المشتغلين بالخبز وهذا الدخان وحده كافٍ لان يسبب النزلات البسيطة التي بتكرارها تؤهل الملتحمة للاصابة بكل مرض

ثالثاً الكحل · وهو كما تعلمون مسحوق اسود ناعم تستعملهُ اكثر السيدات المصريات للزينة وهذا الكحل بالنسبة لتركيبهِ نوعان الاول وهو ما يسمى بكحل الزينة ويدخل في تركيبهِ كمية عظيمة من هباب اللبان والثاني المعروف عن العامة بالكحل الازرق او الحامي وهو عبارة عن اوكسيد الانتيمون الخام وهذه الاكحال تحدث نوعاً مخصوصاً من النزلات الملتحمية اصبحنا نسميها في مستشفيات الرمد المصرية المتنقلة بالنزلات الملتحمية الكحلية لكثرتها ولشدتها

رابعاً · عدم الاهتمام بنظافة الوجه والعينين فانهُ ان لم تزل الافرازات العينية بواسطة الغسيل تتراكم وتجف وتؤثر كاجسام غريبة في العين تهيجها وتحدث بها نزلات

خامساً · عدم استحمام الاطفال بعد الولادة وهذا امر معلوم اذ يعتقد معظم العائلات المصرية انهُ لا يجوز استحمام المولود حتى يبلغ الاربعين يوماً من عمره — ولئن كان من والدين اصيب احدهما اوكلاهما بالزهري (التشويش) او كانت الاصابة تصورية وغير حقيقة فعادة يبقى المولود سنتين كاملتين بدون استحمام لاعتقادهم ان الماء يكون سبباً في ظهور الطفح او بعبارة أخرى سبباً في عدوى الطفل وهذا كما تعلمون اعتقاد فاسد لا حقيقة لهُ ونتيجتهُ تراكم الاوساخ على جلد الطفل فتكون سبباً مبيناً لعدة امراض خصوصاً الامراض الجلدية والعينية · ولكن نحمد الله على ان هذه العادة ابتدأت تتلاشى من بين افراد الطبقة الوسطى اذ نرى الآن بعضهم ان لم نقل معظمهم ينظف مولودهُ بعد الولادة باسبوع وهذا يعد تحسيناً عظيماً نحو الاقلاع عن تلك العادات الرديئة

هذه هي الاسباب المهيئة اما المرض نفسهُ فينتشر كما ذكرت سابقاً بطريق نقل الافرازات

العينية من عين الى أخرى و يساعد على هذا الانتشار في بلادنا الاسباب الآتية :

١ غسل اوجه كثيرين في اناء واحد وبماء واحد كما هي العادة المتبعة في كثير من العائلات المصرية وذلك حرصاً على توفير المياه او كسلاً عن تغييرها . غسل وجه شخص مصاب ينقل افراز المرض الى الماء فيصير ملوثاً واستعمال هذا الماء الملوث لغسل وجه شخص آخر سليم من المرض يكون سبباً لنقل العدوى اليه من حيث لا يدري وهكذا تسري العدوى من شخص الى آخر

ولم يقفوا عند هذا الحد بل فوق ذلك يستعملون منشفة واحدة لتجفيف وجوههم جميعاً او يستعملون اسفنجة واحدة لغسل اوجه ثلاثة او اربعة اشخاص وبكل هذه الطرق يسهل جداً نقل المرض من شخص الى آخر ولذلك نرى عائلات عديدة مصابة باكملها بهذا المرض الخبيث. ولا ننسى في هذا المقام ايضاً اهمالنا اذا نزل مسافر منا في فندق فانهُ يستعمل بكل بساطة المناشف الموجودة فيهِ لمسح وجههِ و يغسل ايضاً وجههُ وعينيهِ في اناء استعملهُ المئات من قبلهِ

٢ الكحل نعدهُ الآن من اهم العوامل لنشر العدوى بين السيدات المصريات فعائلات كثيرة تستعمل مروداً واحداً لوضع الكحل في اعينهن وهذا المرود ينقل ميكروب المرض من عين الى أخرى بدون ادنى شك ولا تردد ولا ننسى ايضاً ان الكحل نفسهُ مهيج للعين كما سبق فبينما السيدة تظن انها تزيد نفسها رونقاً وجمالاً في الظاهر اذ هي في الحقيقة تضر وتؤذي عينيها اللتين هما من اهم اعضائها الرئيسية بدون ان تشعر وما ذلك الاَّ نتيجة الجهل قاتلهُ الله

٣ من ضمن عاداتنا ان يمسح الانسان منا الافرازات التي تخرج من عينيهِ باصبعهِ ثم يلمس بهِ الاشياء المنزلية من ملابس وخلافها فيترك جرثومة المرض على هذه الاشياء حتى اذا مسها شخص آخر بيدهِ ومسح عينيهِ بعد ذلك انتقل اليهِ المرض من حيث لا يدري

ولقد شاهدت بنفسي مراراً الفلاحات بعد ان تمسح الواحدة منهن عماص ولدها باصبعها او بطرف ثوبها تدعك عينيها بالاصبع او الثوب ذاتهِ وبالعكس اي انها تنقل المرض من عين الى أخرى مباشرة باصبعها او ثوبها وهذا يعد من الاسباب المهمة في نقل المرض في بلادنا

٤ و٥ الحمامات العمومية والمغطسات

الحمامات العمومية المصرية كما يعلم حضراتكم فيها المغاطس الحارة والباردة وفيها يغطس الناس في المياه الموجودة فيها بدون مراعاة تجديدها فاذا صادف وكان البعض مصاباً بهذا

المرض او بأي مرض آخر فلا شك انهُ ينقل مكروب العدوى الى هذه المياه وبذا يسهل انتشار المرض انتشاراً سريعاً بين الناس لان المغاطس ان لم يتجدد ماؤها تصير مخزناً للجراثيم يتناول منها كل من يغتسل فيها وهذا ليس قاصراً على الرمد الحبيبي فقط بل ينطبق على كل الامراض المعدية

وليت العدوى لا تنتقل الاَّ بطريق المياه في الحمامات بل هناك طريق آخر يساعد على انتشار هذا المرض الا وهو (الفوط والبشاكير) التي يستعملها الواحد بعد الآخر بدون غسلها فيترك المريض في الفوطة التي يستعملها ما يكفي لعدوى مئات او الوف وما يقال عن المغاطس ينطبق تماماً على الميضآت الموجودة في الجوامع اذ فيها يبقى الماء مدة طويلة بغير تجديد ويا ليتها تبقى نظيفة طول هذه المدة . ولا يخفى عليكم العدد الوافر الذي يستعملها في وقت واحد ولكن نحمد الله فالحال الآن تغير واصبح القوم يفقهون معنى الحنفيات والفرق بين النوعين واملنا في القريب العاجل ان تستبدل جميع الميضئات بحنفيات في كل انحاء القطر لكي يزول سبب بعد واسطة عظمى لنقل عدة امراض

٦ الذباب

اختلفت الآراء وكثرت الاقاويل في نقل العدوى بالذباب فبعض الرمديين يقول ان الذباب من اعظم اسباب انتقال العدوى والبعض الآخر ينفي ذلك وانا من المنتصرين للرأي الاول لاني اشاهد في فصل الصيف حين يكثر الذباب في القطر المصري حوادث من المرض الحبيبي مصحوبة باعراض حادة كورم في الاجفان وافراز صديدي كثير وكنا في بادىء الامر نظنهُ رمداً صديدياً محضاً ولكن ببحث الاجفان من الباطن ظهر انهُ رمد حبيبي ذو شكل مخصوص

وحينما يقل الذباب في الفصول الاخرى من السنة وخصوصاً في فصل الشتاء فانهُ يندر وجود مثل هذه الحوادث وهذا ما يؤيد الفكر في ان للذباب يداً قوية في نقل العدوى من شخص لآخر ونرى ايضاً ان هذه الاصابات محصورة في الاطفال الذين لا يتجاوزون السابعة من عمرهم اي الغير القادرين على طرد الذباب المتراكم على وجوههم . والذباب من طبيعتهِ التراكم والازدحام على كل الاجسام القذرة والاشياء الرطبة وبما ان الجهل سائد والاعتناء بالنظافة خصوصاً نظافة الوجه غير ملفت اليهِ فالذباب يتراكم على الاوجه وينقل الافراز بواسطة اطرافهِ من عين الى أخرى وكثيراً ما ألاحظ اوجه اطفال في الطريق مغطاة بطبقة من الذباب وكل من وجَّه نظرهُ لذلك يرى كثيراً مما ذكرت

كل ذلك ايها السادة يحتاج لمقاومة شديدة واعتناء زائد وهمة عالية لايقاف تيار هذا الداء ولذا اوجه انظار حضرات الاطباء الى بث كل ما يمكنهم من النصائح كلما وجدوا لذلك سبيلاً واوجه انظار ارباب العائلات الى الاعتناء بنظافة كل شيء وخصوصاً عيون الاطفال وعدم لمسها بيد او منشفة او منديل ملوث وان يخصص لكل شخص مناشف ومناديل مخصوصة سهلة التمييز عن الباقي وان يعتنى بالتحفظ على وجه الطفل بان يغطى بنقاب خفيف فيكون حاجزاً منيعاً من وصول الذباب اليهِ واكرر لكم القول بوجوب استعمال النقاب فان فيهِ فوائد عظيمة منها انهُ يقي الاولاد شر الذباب ولذا ارى من الصواب بل من الواجب اعتبارهُ كشيء اساسي من ملبوسات اطفالنا في فصل الصيف ويجب ايضاً ان لا يختلط غسيل اوجه عدة اشخاص في اناء واحد وان يمنع كلية استعمال الكحل بكل انواعهِ مهما كانت الاحتياطات فاستعمالهُ يضر ولا ينفع

وقبل ان اختم مقالي اقول : ان الذي ينقصنا هو النظام في العائلات والاعتناء التام بالامور الصحية وهذا مما لا يكلفنا شيئاً سوى حسن الذوق ودقة النظر فان العمل بنصائح بسيطة كهذه فضلاً عن انها تحفظ سلامة اعين الاولاد فانها على الاقل توفر على الآباء مصاريف العلاج فاذا أُصيب احد الاطفال بمرض الرمد الحبيبي يشاركهُ في حياتهِ وينغص عليهِ اوقاتهُ وربما كان سبباً في فقد بصرهِ او احداث عاهة مستديمة كما يحدث عادة من نتيجة هذا الرمد . فيجب علينا ان يكون كل منا امة مستقلة في نفسهِ بكل معاني الكلمة . يجب ان يكون مستقلاً بملابسهِ وفراشهِ وادوات نظافتهِ على العموم وهذا ما عنَّ لي ابداؤهُ في هذا المقام وارجو ان يكون صادف بعض القبول وان اكون اديت بعضاً من الواجب عليَّ نحوكم واني اشكركم ايها السادة من صميم فؤادي على اصغائكم اليَّ وحسن التفاتكم نحوي والسلام

صدى النفوس

ورجع الصدى

هي قصيدة فلسفية للدكتور شميل بعث بها الى الهلال وقد ضمنها رأيهُ في اقتراح الهلال على الشعراء " ان الدين جزء من الوجدان واكبر تعزية لبني الانسان " وصدرها بمقدمة في الشعر والشعراء قال فيها

كلمات املاها عليَّ اقتراح الهلال تكاد تكون غير مقفاة ليس لها من رنة الرويّ ما ألفتهُ الاسماع العادية من تناسب الوقع · والرويُّ للشعر العربي كالموسيقى للغناء · فان لم تبلغ في إجادة المبنى حدَّ الافادة في المعنى فهي لغير شاعر

شعر ليس لهُ من صناعة النظيم غير الوزن · عاطل من كل جمال الأحلى الحقيقة ولكن الحقيقة فيما يقال ليس لها جمال الخيال. فان فعل في البعض فعل الوباء في الجرذ فالاطباء كالانبياء انما ارسلوا رحمة للعالمين

موضوع ينبو الفهم عنهُ وليس يلزم ان يكون سلبياً · ولقد قال احد الحكماء اذا قرأت شيئاً ولم تفهمهُ فافحص فهمك اولاً واحذر ان يخونك العلم اذا صدقك الفهم

صوت من بين ملايين ملايين الاصوات هل يجزع منهُ. وان لم يضرب على وترها فهل يفقدها لذة نغمها وهل تكدر نقطة صفاء البحر العظيم اذا وقعت فيهِ. وان كدرتهُ فما اعظم حماتهُ

ما احلى الاماني لولا انها خيال شاعر وما امرَّ الحقيقة لولا انها السبيل الى الرشاد

خواطر اوحت بها اليَّ تلك النفس الطاهرة صاحبة نفوس الشعراء[1] فقلت اين نفس القائل:

وان مديح الناس حقٌّ وباطلٌ ومدحك حقٌّ ليس فيهِ كذابُ
اذا نلت منك الودَّ فالمال هيِّنٌ وكل الذي فوق التراب ترابُ

من نفس القائل :

اقول للحيان وقد صفرت لهم وطابي ويومي ضيّق الجُحر معورُ
هما خطتا إمَّا اسارٌ ومنةٌ وإمَّا دمٌ والقتل بالحرّ اجدرُ
واخرى اصادي النفس عنها وانها لمورد حزم ان فعلت ومصدرُ

هذا قالهُ شاعر البداوة على قمة جبل يلقي عليك بهِ درساً عالياً في الاخلاق ولم يثنهِ

(١) مقالة بهذا العنوان للمرحومة عفيفة كريمة الشيخ سعيد الخوري الشرتوني نشرت في المقتطف شهر مايو من هذه السنة

الإباء عن مأتى الحصافة والحزم لئلاّ تكون الصلابة القاصمة خرقاً في سياسة المنفعة

وذلك قاله شاعر الحضارة قائماً يسأل على اعتاب المدنية مع انهُ امير شعراء المولدين في صناعة النظم وكبر النفس

انت تستطيع ان تترجم شعر هوجو وموسه وروستان وتستفيد من ذلك غرضاً اجتماعياً وبحثاً ادبياً اخلاقياً وعبرة تاريخية . ولكنك لا تستطيع ان تترجم شعر المتنبي وابي تمام والبحتري ولا ان تستخلص منهُ شيئاً من ذلك غير بعض الحكم والامثال مشتتة في تلك الادغال لا رابط ينسقها . ولماذا ؟ لان هوجو اطلّ في شعرهِ على العالم اجمع فنظر الى الحقائق وبما لهُ من قوّة الخيال وحسن السبك ربطها وكساها من شعرهِ حلة مهيبة رهيبة في النفس كما كساها موسه رقة وجمالاً وروستان نظر الى الوقائع فاكسبها من قوة خيالهِ ومتانة شعرهِ وقعاً في النفوس جعلها ابلغ في العظة

فلو عني المتنبي واقرانهُ بالامور نظيرهم وقصدوا فيها الى مرامي اجتماعية عالية أكان خانهم خيالهم ؟ او ما كانوا فاقوا شعراء الافرنج في دقة الوصف وقوة التصوُّر وسعة الخيال . فعوضاً عن ان يتبسَّطوا في ذلك الاسلوب الجاهليّ ويضعوا لنا ما اذا رُوي روى مطامع النفوس وظمأ العقول — بل عوضاً عن ان ينحوا النحو الذي نحاهُ بعدهم شعراء الافرنج في وصف الطبيعة الصامتة والناطقة وينزعوا الى اغراض اجتماعية استغواهم ذلك البذخ الذي عاشوا في وسطهِ واستهوت الخلاعة نفوسهم فأذلُّوا لها قرائحهم ونهجوا في شعرهم ذلك المنهج الغريب في المدح والغزل والتصابي والاستجداء حتى غلب هذا الاسلوب على صناعة الشعر العربي والفتهُ الطباع واستسهلتهُ السلائق لعدم الارتباط فيهِ بقيد وصار جمالهُ لا يقوم الاَّ بالاغراب في تلك المعاني المبتذلة

وكيف يترجم ردفٌ يقعد صاحبهُ كأنهُ كثبان عالج وقلب يحرق بنارهِ الرجلين ويثب من الصدر الى العين . وقد رأيت قلباً خرج من تحت الابط في صدمة قطار ولكني لم ارَ قلباً تخطي سنن الطبيعة في خروجهِ من الجسم شوقاً

والشاعر العربي الذي يمكن ان يترجم اكثر شعرهِ من غير ان تفقدهُ الترجمة جمالهُ هو شاعر الحقائق القائل

ما الخير صوم يذوب الصائمون لهُ	ولا صلاةٌ ولا صوفٌ على الجسدِ
وانما هو ترك الشرّ مطَّرحاً	ونفضك الصدر من غلٍّ ومن حسدِ
ما دامت الوحش والانعام خائفة	فرساً فما صح امر النسك للاسدِ

والقائل وقد زعموا هذه النفوس بواقياً تشكل في اجسامها وتهذبُ
ولوكان يبقى الحسُّ في شخص ميتٍ لآليت ان الموت في الفم اعذبُ

والذين يقولون هذا القول هم الذين يحبون الحياة اكثر من سواهم . والقائل :

كذب الظن لا امام سوى العقـ ـل مشيراً في صبحهِ والمساء
انما هذهِ المذاهب اسبا بٌ لجذب الدنيا الى الرؤساء

ولا شك ان ابا العلاء المعريّ هو فيلسوف الشعراء قاطبة واكثر شعراء العرب علماً وارجحهم عقلاً وهو الوحيد بينهم الذي ترفعت نفسهُ عن تلك الدنايا وسال عقلهُ عن سفساف القول الى الحقائق ومحاربة الضلال

لا اقول ذلك حطاً من سليقة شعرائنا المولدين من متقدمين ومتأخرين فانهم وايم الحق اعلى الشعراء كعباً في الصناعة واوسعهم خيالاً ولا اقول اسماهم . وانما اقول ذلك طعناً في اسلوبهم العقيم المبتذل فانهم وقفوا تلك القرائح الجيدة على امور لا تفيد القارئ فائدة ادبيَّة او اجتماعية او تاريخية ولو كتبوها نثراً لخجلوا من دنا نفوسهم وسخروا من اغراب عقولهم

ولعلهُ كان للمولدين من شعرائنا يدٌ ليست اقل شؤماً من يد علماء الكلام في تقهقر التمدن العربي كما ان تلك الاشعار الحماسية في عصور الجاهلية واثرها في النفوس كانت مبعثاً لقيام دولة العرب في الاسلام وبزوغ تمدنها و بلوغها فيهِ الشأو الذي بلغتهُ

ولعلنا اليوم على فجر نهضة جديدة فاني أرى من بعض شعرائنا نزوعاً الى وضع الشعر في اسلوب يرمي الى غاية اجتماعية (١) ولا نعدم قرائح متوقدة من شعرائنا المطبوعين فلعهم لا يلبثون طويلاً حتى يرونا منهم امثال هوجو وروستان وسواهم فان النظم طوع بنانهم فما عليهم الاَّ ان يعملوا عقولهم ويجيلوا نظرهم في ما حولهم فلا تضن الطبيعة عليهم بمكنوناتها والاجتماع بأسرارهِ والتاريخ بعبرهِ ولا اقلَّ من ان يدخلوا بنفوسهم الى اعماق نفوسهم

اما القصيدة فهاك بعض ابياتها مع اضافات اضافها اليها

فؤادك ما بين المنيَّة والمنى يسائل ام ما في حجاك من الظما
اذا ما ترامى العقلُ يجلو حقائقاً شكا القلب ان الغبن في ذلك الجلا
وما الغبن الاَّ ان يرى القلب هائماً وتخفى على العقل الحقائق في الدنى

لقد قلت ان الدين ضربة لازبٍ وجزء من الوجدان في اعمق الحشا

---

(١) اشارة الى ديوان خليل افندي مطران الذي صدر حديثاً

وإنا اذا لم نعبد الله ربنا عبدنا ولو إلاَّ اقناهُ من صوى
فلولا من النفس السجينة بارق يمزّق مجف الجسم ما كان ذا الصبا

ولو انت اعملت الروية لا الهوى لادركت ان الدين لا صوت بل صدى
صدى حبنا البقيا لهول حقيقة وزلفى دلجنا للذي يحفظ البقا
وماذا عزاء المرء من بعد موته اذا حبهُ للذات لم يدفع الاذى
وانى لهُ دفع القضاء محتماً فلم يبقَ الاَّ باسم الوهم مرتجي

هو الحبُّ اكسير الوجود بلا مرا ولولاهُ ما كان الوجود كما ترى
فكلٌّ الذي تلقاهُ في الكون سرُّهُ وهاديهِ في افعاله كيفما نحا
هو الحيُّ مولوداً هو الميت فانياً هو النجم قد اسرى هو الصبح والدجى
هو الكلُّ في كلٍّ معيداً ومبدياً وما نحن الاَّ فيهِ من صوَر الفنا
وليس فناءٌ ما نراهُ وانما هو العوْد للاولى هو البعث للأُلى
قضوا نحبهم وانقضينا بعودنا اليهم وغير الكل ليس لهُ البقا

وما الحب من ادنى فاعلى الى الرجا فما فوق الاَّ الشوق في كبد السهى
ترقى بنا حتى النهى وهو دونها كما في نيوب الليث او في حشى الصفا
حبنا الذي فينا حبنا رجاءنا حبنا الذي نرجو نحبّ لمقتنى
وهمنا بهِ في الارض طوراً وتارةً صبوْنا الى ملكٍ وطوراً الى السما

عبدنا بهِ ربًّا مثيبًا معاقبًا ويقضي ولا ردٌّ ويقضي كما يشا
رجوناهُ رحمانًا قصدناهُ عادلاً خشيناهُ جبارًا كملكٍ اذا عتا
دعونا اليهِ الناس بالحلم والتقى دعوناهم بالنار والسيفِ في القلى

فان كان هذا الميل هدي نفوسنا رُوَيدك ان الكائنات بهِ سوا
فاين مكان النفس فيها من القوى واين نبي العالمين الى المدى

وان كان كالوجدان غير مفارق فلمْ لا نراهُ في جميع بني الورى
ووجداننا هل انت ألفيت انهُ يقوم بغير الجسم ان حلَّ ما استوى
ألم ترَ انَّا فيهِ تحت طوارىءٍ تعددُ فيها او نُعدُّ لهُ الرقى

أفي الامكان كشف السر

عن اصل الانسان

نشرت جريدة الماتين الفرنساوية مقالة للاستاذ برتلو موانس استاذ علم الحيوان والنبات سابقاً في نادي التعليم العالي في هولندا يستفاد منها ان الاكتشافات الاثرية أثبتت وجود الحلقة المفقودة او الكائن المتوسط بين الانسان والحيوان الاعجم وان طائفتين من الناس وجدتا قبل الطائفة البشرية الحالية الاولى اقرب الى القرد منها الى الانسان ولكنها ارقى من القرد وهي الانسان القردي والثانية اقرب الى الانسان منها الى القرد ولكنها اوطأ من الانسان وهي الانسان الاول . وقد آثرت تعريب كلام الاستاذ المذكور تأييداً لما كتبتهُ في مقتطف الشهر الماضي عن مذهب النشوء بعنوان الاعضاء الأثرية . ولما نشرهُ المقتطف في اوقات مختلفة بدون ان يبث فيهِ رأيهُ

قال الاستاذ كنا نظن انهُ مضى الوقت الذي فيهِ يُعترض على مذهب النشوء القائل بان الانسان صورة مرتقية عن ادنى منها من ذوات الثدي التي القرد منها وهو اكثرها قرباً لهُ وشبهاً بهِ . ولكن خاب ظننا لان تعاليمي وارائي أثارت عليَّ سخط الجمهور وقد اضطهدت في هولاندا بلادي وضُربت واحتقرت . ولما نشرت رسالتي المعنونة بابحاث وتجارب عن اصل الانسان ثارت عليَّ عواصف السخط وتطاول عليَّ اسقف اوترخت ونكمني على راسي

على ان ذلك لم يضعف اعتقادي بتسلسل الانسان من القرود وقد مضى على هذه المسئلة زمن طويل والعلم لم يبت فيها حكمهُ لان لامارك وداروين لم يقطعا بنشوء الانسان وانما تلاميذ داروين وخلفاؤهُ الذين تبحروا في مؤلفاتهِ اثبتوا ذلك بعد موتهِ

ولقد وجدت آثار تثبت وجود هيئة متوسطة بين الانسان الحالي والقرود الشبيهة بهِ كالجمجمة التي وجدت سنة ١٨٥٦ في نيودرتال والتي وجدت سنة ١٨٨٧ بالقرب من نامور فان البروزات العظمية الواضحة فيهما والعلامات المميزة تحمل على الاعتقاد انهما من بقايا نوع انساني اوطأ جداً من انسان هذا العصر

والاكتشاف الجديد بالاعتبار هو ما وجد سنة ١٨٩١ في ترينيل من جزيرة جاوى وهو جمجمة وعظم فخذ يسرى وضرسان وهي الآن محفوظة في معرض هارلم وتدل على انها بقايا القرد المنتصب اي الانسان القردي لان الجمجمة متوسطة بين جمجمة الجيبون وجمجمة الانسان الاول المحفوظة آثارهُ في نيودرتال وفي نامور . وقد وجدت ايضاً جماجم

خاصة بالانسان الاول سنة ١٩٠٣ في مغارة في احدى القرى من البوسنه

فهذه الطائفة من الناس عاشت في اوربا في العصر الطوفاني ووجوهها تشبه وجوه القرود الشبيهة بالبشر لاننا اذا قابلنا بين تركيب عظام الوجه في الغوريلا البالغ والانسان القردي والانسان الاول رأينا العلامات المميزة لها واحدة وما بينها من الفروق حاصل عن تنويع العمل العضلي الذي قضى بغور الجبهة وبروز الفكين في الغوريلا فشوه وجههُ وبروز الذقن في الانسان الاول أكثر قليلاً عما هو في القرود الشبيهة بهِ واما في الانسان الحالي المرتقي فاستعمال اللغة اوجب العمل على كل عضلات الفك السفلي وقضى باستقامة البروز العظمي وحوّل السحنة البشرية التحويل النهائي الذي هي عليهِ اليوم. فهذه الامثلة كافية للاستدلال على وجود كائنات متوسطة بين الانسان والقرود الشبيهة بهِ

ويوجد ما عداها ادلة اخرى تؤيد ذلك وهي ما كان منها من قبيل الرجوع الى الاصل لان هذه الظاهرة لم يخلُ منها جيل من الاجيال ويوجد منها في عصرنا الحاضر الانسان الكلبي الذي يعرض نفسهُ في مرسح بارنوم وبايلي والبنت المكتسي جلدها بشعر فروي ناعم والرجل المغطى جلدهُ بشعر طويل (شاوموخ) وهو اب عدة اولاد مثلهِ فهذه الشواذ تؤيد المذهب المذكور لانها لا تعلَّل الاَّ بالرجوع الى اصل الجدود

واذا كانت هذه الادلة لا تكفي للاقناع فالتنقيب عن الآثار المتوسطة بين الانسان والقرد متواصل الاَّ انهُ عمل طويل كثير النفقة ولسوء الحظ يتعلق النجاح فيهِ على الصدفة على اني للاسراع بحل قضية من اهم رغائب اهل العلم حلها عزمت على السفر الى بلاد الكونغو حيث اجرب الحصول على نتاج من الانسان والقرود الشبيهة بهِ لانهُ قد يكون شبيهاً بالكائنات المتوسطة المفقودة التي هي اجدادنا الاول الدكتور امين ابو خاطر

[المقتطف] انتهى ما كتبهُ الاستاذ موانس وعرّبهُ الدكتور ابو خاطر بتصرُّف قليل وقد فصلت الجرائد الاسلوب الذي يريد الاستاذ موانس الجري عليهِ لتوليد حيوانات متوسطة بين القرود والناس . وعلماء الطبيعة ينتظرون نتائج تجاربهِ بفروغ صبر ولا ندري لماذا يقصد بلاد الكونغو والقرود الشبيهة بالناس كالشمبانزي والجبون والارانغ اوتانغ غير نادرة في معارض الحيوانات

ولكن هب انهُ نجح في تجاربهِ فنجاحهُ لا ينفي وجود الفرق الكبير بين الانسان والحيوان الاعجم من حيث سمو العقل ولا يزيد المشابهة بينهما من حيث الجسم ولا ينفي وجود القدرة الخالقة التي تكوّن من التراب انساناً كما تولّد من الحيوان حيواناً آخر

تأبين قاسم امين

رأى جماعة من اصدقاء المرحوم قاسم امين ان يجتمعوا لتأبينهِ في اليوم الاربعين من وفاتهِ فاجتمعوا في قبة الغوري حيث تلتئم الجمعية الاسلامية · وكان في كرسي الرئاسة دولة البرنس احمد باشا فؤاد رئيس لجنة الجامعة والى جانبيهِ اصحاب السعادة سعد باشا زغلول ناظر المعارف والدكتور علوي باشا الرمدي المشهور وحسين رشدي باشا مدير الاوقاف وابَّنهُ سبعة من الحضور ثلاثة نظماً واربعة نثراً وقد اخترنا نشر قصيدتين من قصائد التأبين قصيدة حافظ افندي ابرهيم وقصيدة خليل افندي مطران قال الاول

لله دركَ كنتَ من رجلِ ... لو امهلتك غوائل الاجلِ
خلق كانفاس الرياض اذا ... اصحون غبَّ العارض الهطلِ
وشمائل لو انها مزجت ... بطبائع الايام لم تحلِ
جمُّ المحامد غير متَّهم ... جم التواضع غير مبتذلِ
يا دولة الاخلاق رافلة ... من قاسم في ابهج الحللِ
كيف انطويت بهِ على عجل ... اكذا تكون مصارع الدولِ
يا طالعاً للشرق لج بهِ ... نحس النحوس فقرَّ في زحلِ
هلاَّ وصلت سراك منتقلاً ... علَّ السعود تكون في النقلِ
ما لي ارى الاحداث حالية ... وارى ربوع النيل في عطلِ
فاذا الكنانة اطلعت رجلاً ... طاح القضاء بذلك الرجلِ
او كلما ارسلتُ مرثية ... من ادمعي في اثر مرتحلِ
هاجت بي الاخرى دفين امي ... فوصلت بين مدامع المقلِ
ان خانني فيما فجعت بهِ ... شعري فهذا الدمع يشفع لي
ولقد اكون وما يطاولني ... عند البديهة قول مرتجلِ
يا مرسل الامثال يضربها ... قد عز بعدك مرسل المثلِ
يا رائش الآراء صائبة ... يرمي بهنَّ مقاتل الخطلِ
لله آراءٌ شأوت بها ... في الخالدين نوابغ الاولِ
قد كنت اشقانا بنا وكذا ... يشقى الابيُّ بصحبة الوكلِ

لهفي عليك قضيت مرتحلاً لم تشكُ لم تستوص لم تقلِ
غل القضاء يد القضاء فذا يبكي عليك وذاك في جزلِ
شغلتك عن دنياك اربعة والمرء من دنياه في شغلِ
حق تناصره ومفخرة تمشي اليها غير منتحلِ
وحقائق للعلم تنشدها ما للحكيم بهن من قبلِ
وفضيلة اعيت سواك فلم تمدد اليه يدًا ولم تصلِ
ان ريت رأيًا في الحجاب ولم تعصم فتلك مراتب الرسلِ
الحكم للايام مرجعه في ما رأيت فنم ولا تسلِ
وكذا طهاة الرأي تتركه للدهر ينضجه على مهلِ
فاذا أصبت فانت خير فتى وضع الدواء مواضع العللِ
اوْ لا فحسبك ما شرفت به وتركت في دنياك من عملِ

***

واهًا على دار مررت بها قفرًا وكانت ملتقى السبلِ
ارخصت فيها كل غالية وذكرت فيها وقفة الطللِ
سألتها عن قاسم فابت رد الجواب فرحت في خبلِ
متعثرًا يتنابني وهن مترنحًا كالشارب الثملِ
متذكرًا يوم الامام به يوم انتويت بذلك البطلِ
يوم احتسبت وكنت ذا أمل تحت التراب بقية الأملِ
جاورْ احبتك الاولى ذهبوا بالعزم والاقدام والعملِ
واذكر لهم حاج البلاد الى تلك النهى في الحادث الجللِ
قل للامام اذا التقيت به في الجنتين باكرم النزلِ
ان الحنيفة اصبحت هدفًا للراكبين مراكب الزللِ
لله آثار لكم خلدت صاح الزوال بها فلم تزلِ
لله ايام لكم درجت طالت عوارفها ولم تطلِ
نعم الظلال لو انها بقيت أو أن ظلاً غير منتقلِ

وقال الثاني

تجنّى الزمان على قاسمٍ تجنى على العاقل الحازمِ
وما شفع الفضل في فاضل وما شفع العلم في عالمِ
لك الله من شائد للعلى وفي يدهِ معول الهادمِ
يدكُّ القبيح ويبني المليح رجوعاً الى سنة الواسمِ
مضيت فاي فتى باسل فقدناهُ في اسد باسمِ
فقدناهُ في ذي يراع رقيق لرأيٍ مناضلهِ قاصمِ
يشعشع نوراً اذا ما انبرى يسيل بماء الدجى الفاحمِ

***

وُليت القضاء فكنت القضاء بقسط على الجرم والجارمِ
تبيد المريب وتبدي الخفي بامضى والمع من صارمِ
ولست بحانٍ على صاحب ولست بلاوٍ على لائمِ
وكم ليلة بتها ساهداً وذو الشان في غبطة النائمِ
تبالغ في البحث عن حقهِ كبحث الشحيح عن الخاتمِ
وتوقع حكمك عن حكمةٍ فما من هضيم ولا هاضمِ

***

قضيت بعدلك حق البلاد على كل حر لها خادمِ
واعملت فكرك فيما مشى من الداء في جسمها السالمِ
فاعضل داء بها جامع الى ضرهِ وصمة الواصمِ
فطام البنين على الترّهات وناهيك بالجهل من فاطمِ
وما ام جهل على برها سوى آفة الحكم والحاكمِ
تزيغ خلائق اطفالها بما زاغ من فكرها الواهمِ
تهيئ لحاناً ورّادها وهم راضعو ثديها الرائمِ
تدك الحصون وتبني السجون وتفسح للسالب الغانمِ
مهالك تلقي اليها بنيها بغير رضى قلبها الراحمِ
اذا الامُّ لم تستفد حظها من العلم والادب العاصمِ

غدا نسلها موبخاً للعدى وخسراً على الوطن الغارم

* * *

دعاة اثرت عليه الخلا ف بين المماليء والناقم
بريئاً بقصدك عن شبهة حليماً على المنكر الغاشم
ليفصل مشتجر الباحثين ويفضوا الى رشد حاسم
فالقوا بذارك في مخصب وبشر جيلك بالقادم
سوى انهم اجمعوا في الحجاب على حكم مستلزم لازم

* * *

مرام ظفرت به فاستزدت مراماً اعز على الرائم
ترى الشعب ليس مربوه منه بمنزلة النعم السائم
فلا شيء مما صرفت اليه مشيئة مقتدر عازم
لجامعة كنت حتى الممات اساساً لبنيانها القائم
مضيت وفي النعش منك الخطيب ينادي على الملإ الواجم
انيروا انيروا فان الظلام حليف المظالم والظالم
انيروا انيروا فان الضياء سلاح على اللص والآثم
انيروا العقول ولا تتركوا على الفكر من اثر قاتم
ففي كل ظل يرى طائف من الموت في منذر غاشم
وفي كل دهماء كرارة طلائع للعدم القاصم
اذا لم تبث والنهى كالشموس كواشف للغيهب العاتم
فان الحياة لادنى الحياة وما من نعيم ولا ناعم

* * *

سلام عليك نما ما غرست واذكى شذا الامل الناسم
فنم امناً ان في الغرس ما يعيدك في خلف دائم

سكك الحديد والتلغرافات

ليس بين مصالح الحكومة المصرية مصلحة احق من مصلحة سكك الحديد ان تجعل مقياساً لحالة القطر المالية والمعاشية لانها تشمل القطر كلهُ وتدلُّ على حركة التجارة فيهِ وعلى بسطة عيش سكانهِ او انقباضهِ لضيق ذات يدهم

وقد نشرت هذه المصلحة الآن تقريرها السنوي عن العام الماضي وهو مشحون بالحقائق التي يستدل بها الباحث الاجتماعي على حال القطر من حيث ارتقاؤُهُ واتساع معايش سكانهِ

ومن هذه الحقائق اولاً ان صافي ايراد سكك الحديد زاد زيادة مستمرة في السنوات الست الماضية · كان ١٠٥٩٠٠٠ سنة ١٩٠٢ فصار ١٦١١٨٤٣ سنة ١٩٠٧ اي زاد اكثر من نصف مليون جنيه او اكثر من خمسين في المئة · وقد قدّر ثمن سكك الحديد او رأس مالها سنة ١٩٠٢ بنحو عشرين مليوناً وثلث مليون من الجنيهات ثم أُضيف اليهِ ما زيد عليها في السنوات الست الماضية فبلغ ثمنها ٢٤ مليوناً وثلث مليون جنيه سنة ١٩٠٧ وكانت نسبة صافي الايراد الى رأس المال سنة ١٩٠٢ نحو خمسة وخمس في المئة فصارت نسبة صافي الايراد الى رأس المال في العام الماضي اكثر من ستة وستة اعشار في المئة · واذا كان هذا الايراد ثابتاً فسكك الحديد المصرية تساوي نحو ٤٥ مليون جنيه من دين الحكومة او ان صافي ايرادها يوفي نحو نصف فائدة دين الحكومة

ثانياً ان نسبة المصروفات الى الايرادات اقل من ٥٥ في المئة ولذلك فسكك الحديد المصرية من اوفر سكك الحديد ربحاً . وهذا يجيز لها ان تخفض اجور السفر واجور نقل البضائع ولعلها لا تخسر شيئاً اذا فعلت ذلك بل يزيد عدد الركاب ومقدار البضائع زيادة تسدُّ النقص

ثالثاً ان الزيادة مستمرة في عدد الركاب منذ ست سنوات الى الآن . والفرق كبير جدًّا بين ما كان عليهِ عدد الركاب منذ عشرين سنة وما بلغهُ الآن فقد كان نحو ثلاثة ملايين وربع مليون فبلغ في العام الماضي ٢٦ مليوناً اي زاد ثمانية اضعاف في عشرين سنة مع ان عدد السكان لا يتضاعف الاَّ في نحو خمسين سنة وهذه الزيادة مطردة في الدرجات الثلاث ولكنها ظاهرة جليًا في الدرجة الثالثة والاولى . اما في العام الماضي خاصة فكان الركاب في كلٍّ من الدرجات الثلاث هكذا

في الدرجة الاولى	٠٠٥١٨٤٠٦
في الدرجة الثانية	٠٢٠٥٨٦١٣
في الدرجة الثالثة	٢٣٥٠٥٦٠٨
والجملة	٢٦٠٨٢٦٢٧

وبلغ دخل سكك الحديد من ركاب الدرجة الاولى ١٥١٩٤٦ جنيهاً ومن ركاب الدرجة الثانية ٢٦١٦٩٨ جنيهاً ومن ركاب الدرجة الثالثة ١١١٢٩٨٧ جنيهاً والجملة ١٥٢٦٦٣١ اي اكثر من مليون ونصف مليون من الجنيهات ويضاف الى ذلك نحو ٤٤ الف جنيه ثمن تذاكر نزهة واجرة قطرات خصوصية

رابعاً ان الايراد من نقل البضائع في ازدياد مستمر ايضاً فقد كان ١٣١٢١٤٦ جنيهاً سنة ١٩٠٣ فبلغ ١٨٠٨٨٣٤ جنيهاً سنة ١٩٠٧ . وكانت المسافة التي قطعتها القطرات كلها ١١٦٦٦٦١٤ كيلو متراً سنة ١٩٠٣ فبلغت ١٥٦٠٠٧٩٧ كيلو متراً سنة ١٩٠٧ اي زادت اربعة ملايين كيلو متر او نحو اربعين في المئة

خامساً ان اكثر المواد نقلاً بسكك الحديد الفحم الحجري فقد بلغ وزن ما نقل منهُ ٦٩١ الف طن ثم مواد البناء فبزرة القطن فالخشب فالقطن المحلوج فالحبوب فالقطن غير المحلوج فالآلات . واكثر اجور النقل من الفحم الحجري والقطن المحلوج وبزرة القطن والخشب ومواد البناء والحبوب والآلات

سادساً ان طول سكك الحديد المصرية الآن ٢٥٨٣ كيلو متراً ولكن القطرات الثقيلة لا يمكنها ان تسير الأ على ١٢٨١ كيلو متراً منها لضعف بقية الخطوط وذلك عدا الخط بين لقصر واصوان وطولهُ ٢٢٢ كيلو متراً . والمصلحة تنظر الآن في امرهِ لعلها تستطيع ان تبدلهُ بخط واسع مثل سائر الخطوط وحبذا لو فعلت ذلك في القريب العاجل

وفي مصلحة سكك الحديد الآن خمس قاطرات عمر كل واحدة منها ٥٦ سنة وقاطرة عمرها ٥٣ سنة واخرى عمرها ٥٠ سنة واخرى عمرها ٤٩ سنة ولكن اكثر قاطراتها حديث لا يزيد عمرهُ على ١٥ سنة

هذا والآمال معقودة بان جناب المدير الجديد الكولونل ماكولي يزيد اعمال هذه المصلحة اتقاناً ونفعاً بما هو معهود فيهِ من الهمة العالية وحسن التدبير ويسعى في مد خطوطها في كل البلدان الزراعية التي تحاول الشركات الخصوصية مد الخطوط فيها فلا تفلح ولا تسهل على الناس السفر والنقل كما تسهلهُ سكك حديد الحكومة

ويرى من يجول في هذا القطر بقايا ابراج قائمة فيهِ على ابعاد متناسبة ويخبرهُ المتقدمون في السن انها كانت لارسال الاخبار الى العاصمة من الاسكندرية ومن جهات السويس ·

كذا كانت اخبار ابرهيم باشا تصل الى والدهِ من اقاصي البلدان السورية باسرع ما يكون من الوقت بالاشارات نهارًا وبالانوار ليلاً وعلى هذا الاسلوب وبحمام الزاجل كانت الاخبار ترسل من مواقع القتال الى مراكز الحكومة في كل البلدان لكن تلك الاساليب على ما بلغتهُ من الاتقان لا تعدُّ شيئًا مذكورًا في جنب التلغراف الكهربائي ولذلك زالت من امامهِ حالاً لا سيما وانهُ لم يعد استخدامهُ مقصورًا على اخبار الحكومة بل صار الناس كلهم يتخاطبون بهِ في كل اطراف المعمورة· ولا يندر الآن ان ترى رجلاً مقيمًا في عزبتهِ والانباء البرقية ترد اليهِ من مصر والاسكندرية واوربا واميركا في يوم واحد ثم تأتيهِ الجرائد في المساء حاملة الاخبار التلغرافية من اقصاء المعمورة

ومصلحة التلغرافات المصرية فرع من مصلحة سكة الحديد وقد جاء في تقرير سكة الحديد عنها ان عدد الرسائل التلغرافية التي ارسلت في القطر المصري في العام الماضي بلغ ٣٩١٧٤٦٥ اي نحو اربعة ملايين ولكن مليونًا ونصف مليون منها لسكة الحديد نفسها والباقي لسكان القطر ومن هذا الباقي مليون ونصف بالعربية واكثر من ثمانمئة الف باللغات الافرنجية فكأَن الافرنج المقيمين في هذا القطر على قلة عددهم يرسلون من التلغرافات اكثر من نصف ما يرسلهُ سائر السكان

ومما يستحق الذكر ان عدد التلغرافات المستعجلة بلغ في العام الماضي ٦١٨٥٨ وكان في العام الذي قبلهُ ٧١٧٠٨ فنقص ٩٨٥٠ وسبب هذا النقص قلة الاشغال في البورصة ويا حبذا لو قلت الاشغال اكثر من ذلك لانهُ لم ينتج منها غير الخراب والدمار

وقد بلغ دخل مصلحة التلغراف في العام الماضي ١١٢٦٥٦ جنيهًا وكان في العام الذي قبلهُ ١٠٥٦٨١ ولو دفعت مصلحة سكة الحديد اجرة تلغرافاتها كما يدفع الجمهور لبلغت اجرة التلغرافات نحو مئة وخمسين الف جنيه

واذا قابلنا بين عدد التلغرافات التي ترسل في هذا القطر وعدد ما يرسل منها في البلدان الاخرى بالنسبة الى عدد السكان وجدنا ان عدد تلغرافاتنا قليل جدًّا فقد تقدَّم ان عددها اقل من مليونين ونصف ما عدا تلغرافات سكك الحديد وعدد السكان يبلغ نحو ١٢ مليونًا فيصيب كل خمسة انفس منهم تلغراف واحد · وقد بلغ عدد التلغرافات المرسلة في البلاد الانكليزية مثلاً في العام الماضي عن يد مصلحة البوستة اكثر من ٨٩ مليونًا فيخص كل

خمسة اشخاص منهم اكثر من احد عشر تلغرافاً ناهيك عما عندهم من وسائل ارسال الاخبار بسرعة التلغراف وعن انتشار التلفون في كل المدن وبين كل مدينة واخرى

وقد بلغ عدد التلغرافات في بلاد اليابان في العام الماضي ٢٤ مليوناً فيخص كل تفسين من السكان تلغراف واحد . وفي بلاد الدولة العلية نحو ستة ملايين فيصيب كل اربعة انفس منهم تلغراف واحد

اسباب الاحتلال البريطاني

(٤)

وصلنا في الفصل السابق الى خلع اسمعيل باشا واسناد منصب الخديوية المصرية الى بكره توفيق باشا . قال لورد كرومر ان خلع اسمعيل باشا ازال اكبر عقبة من سبيل اصلاح البلاد ولكن بقي اثر اسمعيل فيها زماناً طويلاً فانهُ ترك الخزينة فارغة والجيش مختل النظام وفقراء البلاد في اشد الضيق من الظلم والاستبداد واغنياءها في قلق دائم لئلا يصادروا في اموالهم والاوربيين في خوف شديد لئلا يخسروا الاموال التي استدانها منهم . وبارت التجارة وضاقت المعايش . وكان العرب يكرهون الاتراك ولا يأتمنونهم والاتراك يكرهون الاوربيين ولا يثقون بهم . وكان لابد من الاستعانة بالاوربيين ولكن لم يكن من السهل ان يُعرف كيف يستعان بهم لانهم اذا اشاروا باصلاح فقد يسيء الناس فهم مقاصدهم ويستحيل ان تثمر اعمالهم حالاً واذا تأخرت نتائجها وقع اللوم الشديد عليهم . ولا بد من ان يمضي زمن طويل قبلما يستطيع اهالي البلاد ان يتغلبوا على ما في نفوسهم من الكره للاوربيين ويروا ما يمكن ان ينالهم منهم من النفع

وكان الخديوي توفيق باشا شديد الرغبة في خير بلادهِ ولكن كان ينقصهُ الاختبار . وودَّ ان يحكم بالعدل والانصاف ولكن كيف يتسنى نشر العدل وليس في البلاد محاكم ولا قضاة . وخلق الطاعة والتسليم لولاة الامور الذي ورثهُ الاهلون من آبائهم واجدادهم كان قد ضعف وتهددت البلاد ثورة شعواء قبلما يركد ثائر النفوس . قال لي احد كبار الساسة يوماً ان الشرق خمل هذا الخمول لانهُ لم تحدث فيهِ ثورة . ولقد اصاب في ما قال لان ما حدث في الشرق من تغيير الولاة والمسلطين لم ينتج عن الثورات بل عن الدسائس فاراد المصريون حينئذٍ ان يقتفوا خطوات الامم التي نهضت بالثورات ففعلوا ولكن بعد ان

انتظمت حكومة بلادهم وسارت في سبيل النجاح كما سيجيء

واول شيء فعلهُ الخديوي توفيق باشا انهُ كلَّف شريف باشا تشكيل وزارة فعرض عليهِ شريف باشا صورة قانون اساسي للبلاد اي حكومة دستوريَّة فلم يقبل الخديوي بها فاستعفى شريف باشا من رئاسة النظار . وقد قال الخديوي للسر فرنك لاسلس انهُ رفض الدستور لان البلاد غير مستعدة لهُ ثم قال انهُ هو المسؤُول عن حكومة البلاد ويريد ان يقوم بهذه المسؤُولية فالدستور يكون صورة فقط لاجل الايهام . وقال شريف باشا للسر فرنك لاسلس انهُ آسف على عود السلطة الشخصية وان كثيرين يودون رجوع الحكومة الاستبدادية وارجاع السلطة المطلقة الى الخديوي لاغراضهم الشخصيَّة ولكن ذلك سيكون شرًّا على البلاد

اما الخديوي فاحسن في رفض ما طلبهُ شريف باشا لان الدستور المطلوب كان صورةً فقط ولم يكن يصلح للقطر المصري غير الحكومة المطلقة المقيدة اي التي يكون تقييدها بحسن اختيار الموظفين الاكفاء لا باقتباس الاساليب الاوربية . اما شريف باشا فكان غاية في الاستقامة والاخلاص وكان يعلم مقدار الضرر الذي الم بالبلاد من استبداد اسمعيل باشا ولم يكن يصدق ان تغيير الاشخاص يزيل الاستبداد ولذلك فهو حريٌّ بكل مدح في طلبهِ الحكومة الدستورية وفي استعفائهِ لما لم يُجَب طلبهُ ولو لم تكن الحكومة التي طلبها خير حكومة للبلاد

ولم يرد الخديوي ان يعين رئيساً للنظار بعد استعفاء شريف باشا بل قصد ان يتولَّى رئاسة النظار بنفسهِ ثم رأى ان ذلك ليس مما يمكن العمل بهِ لانهُ قد تحدث امور لا يمكن التخلص منها الا باستعفاء الوزارة فاذا كان هو رئيساً لها اضطرَّ ان يتنازل عن الخديويَّة . فعدل عما قصدهُ وعيَّن رياض باشا رئيساً للنظار وحفظ لنفسهِ الحق ان يرأس مجلس النظار وقتما يريد

وبقي حل المشاكل التي بين تركيا ومصر فان الباب العالي اراد ان يغير في فرمان الخديويَّة المصريَّة بما يزيد سلطتهُ عليها فاعترضت فرنسا وانكلترا على ذلك واثبتتا ان لهما ان تطلعا على الفرمان قبل صدورهِ حتى لا يتغيَّر عمَّا كان عليهِ . فان اسمعيل باشا كان قد نال من الباب العالي اربعة امتيازات وهي اعطاءه ولاية العهد للبكر من اولادهِ وعقد المعاهدات التجارية وعقد القروض وجعل عدد الجيش المصري حسبما يريد . فاراد الباب العالي حينئذٍ ان يلغي هذه الامتيازات الاربعة فعارضتهُ انكلترا وفرنسا في ذلك ولكنهما

لم تكونا على اتفاق تام لان فرنسا كانت تميل الى سلخ القطر المصري عن السلطنة العثمانيَّة وانكلترا كانت تكره ذلك فالاولى كانت تقاوم كل ما من شأنهِ زيادة سلطة الباب العالي واما الثانية فلم تكن من رأيها ولذلك لم تعترض الحكومة الانكليزيَّة الأَّ على تغيير نظام الوراثة فاتفقت هي وفرنسا على ذلك وللحال اجاب الباب العالي طلبهما وشدَّدت فرنسا وحدها في ابقاء الامتياز للخديويَّة المصرية بعقد المعاهدات التجاريَّة فاجابها الباب العالي الى ذلك ايضاً. ونجح الباب العالي في تحديد عدد الجنود المصرية لان انكلترا وافقتهُ على ذلك لجعلهِ ١٨ الفاً. اما الامر الرابع وهو اطلاق يد الخديوي في استقراض الاموال فقال لورد سلسبري عنهُ ان نتيجتهُ كانت وبالاً على مصر فالحكمة تقتضي نزعهُ منها ورأَت فرنسا ان توافقهُ على ذلك مجاملة

قال لورد كرومر ولو خطر على بالنا اننا سنحتلُّ مصر في وقت من الاوقات لما حرمناها من حق عقد القروض لان هذا الحرمان جاء حاجزًا في سبيل الاصلاح الذي تولَّيناهُ بعدئذٍ فالسياسة الفرنسويَّة كانت ابعد من سياستنا نظرًا في العواقب ولقد خدمتنا وهي لا تدري واقمنا نحن العقبات في سبيلنا ونحن لا ندري

نقول وهذا وحدهُ دليل قاطع على ان ساسة الانكليز لم يفكروا في احتلال مصر مطلقاً ولم تكن لهم يد في ذلك وانما جاءت الحوادث على غير ما كانوا يتوقعون واضطروا الى الاحتلال اضطرارًا. ولو كانوا يقصدون احتلال مصر او لو خطر ذلك على بالهم في وقت من الاوقات لاعدُّوا لهُ العدة ووافقوا فرنسا على ابقاء هذا الحق لمصر على الاقل. وفي كتاب لورد كرومر ادلة اخرى من هذا القبيل

ثم اعيدت وظيفة المراقبين وعيّن بلنير من قبل فرنسا وبارنج (لورد كرومر) من قبل انكلترا وحصرت وظيفتاها في البحث والتحقيق وتمَّ الاتفاق على انهُ لا يمكن عزل احد منهما الَّا بعد مصادقة حكومتهِ على ذلك

ودامت وزارة رياض باشا نحو سنتين وسارت سيرًا حسناً وكانت على تمام الوفاق مع المراقبين. وفصَّل لورد كرومر ما جرى من الاصلاح المالي في عهدها وكيف الغي كثير من المغارم. ومما ذكرهُ ان شركة انكليزية تألفت حينئذٍ لتشتري سكك الحديد من الحكومة المصرية ولما عرض الامر على النظار التفتوا اليهِ ليروا ما هو رأيهُ فيهِ فقال لهم انكم اذا كنتم ترفضون البيع فانا اوافقكم على ذلك واذا كنتم تقبلون بهِ فانا ابذل جهدي حتى لا تغبنوا في الثمن. فقر قرارهم حالاً على رفض البيع ومن ثم صاروا يثقون بهِ ويقبلون نصيحتهُ. وبعد ايام

طُلب منهُ ان يفض خلافاً بين الحكومة المصرية والخواجات غرينفيلد الذين انشأوا مرفأ الاسكندرية وكانت تلك المسألة كثيرة العقد لكنهُ استطاع ان يصل الى حلها في يومين وكان لا بدَّ من ان يوقع رياض باشا الشروط التي تمَّ الاتفاق عليها ووكلاء الخواجات غرينفيلد كانوا مضطرين الى السفر في ذلك اليوم فاخذ الشروط ومضى بها الى رياض باشا وهو لا يصدّق انهُ يستطيع ان يوقعها في ذلك اليوم اذ لا بدَّ لهُ من النظر فيها اما رياض باشا فقال لهُ هل موافق انت على هذه الشروط ومقتنع بعدالتها فقال نعم فاخذها منهُ ووقعها من غير ان يقرأها لشدَّة ثقته بهِ

ثم وُضع قانون التصفية ووقَّعهُ الخديوي في ١٧ يوليو سنة ١٨٨٠ وقدرت ايرادات الحكومة المصرية بمبلغ ٨٣٦٢٠٠٠ جنيه لسنة ١٨٨٠ وبمثلهِ لسنة ١٨٨١ و بمبلغ ٨٤١٢٠٠٠ لما بعدهما من السنين وجعلت مصروفات الادارة ٤٥٢٠٠٠٠ جنيه وفائدة الدين الموحد ٤ في المئة وتمَّ الاتفاق مع كثيرين من المداينين على تخفيض قيمة ديونهم او اعطائهم سندات بدلاً منها وتقدمت البلاد من حسن الى احسن لكن جو مصر لم يكن خالياً من الغيوم المنذرة باضطراب عتيد

وعُين لورد كرومر في شهر يونيو تلك السنة عضواً في مجلس حكمدار الهند فترك القطر المصري وخلفهُ السر اكلند كولفن مراقباً عاماً

وزرنا القطر المصري ذلك الصيف وتكرَّم الجناب الخديوي بمقابلتنا وذكر امامنا بعض امانيهِ ورأينا كثيرين من الذين صاروا من زعماء الثورة بعدئذٍ فكاشفونا ببعض ما كانوا يتمنونهُ وقال لنا بعض كبار الموظفين من الانكليز ان في البلاد تياراً جارياً تحت اقدامهم ولابدَّ من انفجارهِ قريباً. والظاهر ان ذلك لم يحدث من نفسهِ بمجرد النشوء الطبيعي بل كان لهُ محركون من الاجانب لاغراض شخصيَّة كما سيجيء

قال لورد كرومر ومررت بمصر في دسمبر سنة ١٨٨٠ وانا ذاهب الى الهند ورأيت الخطر من اختلال نظام الجيش الذي ترتَّب على حوادث سنة ١٨٧٨ وحذَّرت رياض باشا منهُ وحرَّضتهُ على ازالة كل ظلامة يتظلم الجيش منها اذا كان تظلمهم في محلهِ وعلى عقاب كل تمرُّد بشدَّة وصرامة فقال لي ان خوفي في غير محلهِ ولا وجه للشكوى من الجيش . وظهر حينئذٍ كأن القطر المصري قد دخل سبيل الاصلاح الحقيقي وسار فيهِ ولا ينقصهُ الاَّ الزمان لاتمام لما بدأ بهِ



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من أصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

حل الغرائب الحسابية

حضرات الدكاترة اصحاب مجلة المقتطف الغراء

بعد تقديم واجب الاحترام . رأيت في مجلتكم الزاهرة عدد شهر يونيه الجاري في باب الاخبار العلمية ثلاث مسائل حسابية تحت عنوان غرائب حسابية وهي عبارة عن متوالية عددية تصاعدية وبيانها هكذا

(المسئلة الاولى) اي حد من متوالية عددية يساوي الحد الاول مضافاً اليهِ الاساس مضروباً في عدد الحدود التي قبلهُ

فاذا فرضت متوالية عددية تصاعدية حدها الاول ٢ وعدها د واساسها ٢ فيكون الحد الاخير بعد الرمز اليهِ بالحرف ل عبارة عن

$$\text{ل} = ٢ + (\text{د} - ١) \times ٢ \quad \text{اي}$$

$$\text{ل} = ٢ + ٢\,\text{د} - ٢$$

وايضاً مجموع حدود اي متوالية عددية يساوي نصف مجموع حديها المتطرفين مضروباً في عدد الحدود

فاذا رمز الى مجموع الحدود بالرمز ع والى حديها بالرمزين حـ و ل والى عدد الحدود بالرمز د كما تقدم فيحدث ان $\text{ع} = \frac{(\text{حـ} + \text{ل})\,\text{د}}{٢}$

فاذا وضع بدلاً عن ل وحـ مقدارهما يحدث

$$\text{ع} = \frac{\text{د}\,(٢ + ٢\,\text{د} - ٢)}{٢}$$ اي

$$\text{ع} = \text{د} + \text{د}^{٢}$$

اي ان مجموع الحدود الاول الزوجية من المتوالية التصاعدية يساوي عدد الحدود مضافاً اليه مربع عددها

اما اذا كانت فردية فيكون

$$\text{ل} = ١ + (\text{د} - ١) \times ٢$$

$$\text{ل} = ٢\,\text{د} - ١$$

وبوضعه في القانون السابق يحدث ان

$$\text{ع} = \frac{\text{د}\,(١ + ٢\,\text{د} - ١)}{٢}$$ اي

$$\text{ع} = \frac{٢\,\text{د}^{٢}}{٢} = \text{د}^{٢}$$

بمعنى ان مجموع الحدود الاول الفردية من المتوالية التصاعدية التي عددها د يساوي مربع عددها

(المسئلة الثانية) علم من المسئلة الاولى ان مجموع حدود اي متوالية عددية يساوي نصف مجموع حديها المتطرفين مضروباً في عدد الحدود

وهذا القانون ينطبق على جميع مسائل المتوالية العددية سواء كانت زوجية (شفعية) او فردية (وترية) فبتطبيق هذا القانون على المسئلة الثانية يشاهد ان

$$\text{ع} = \frac{٧ \times (٧ + ١)}{٢}$$ اي

$$\text{ع} = ٢٨$$

اعني ان نصف حاصل ضرب الحدين المتطرفين (او الحلقة الاخيرة مضروبة في عدد الحلقات الوترية)

(المسئلة الثالثة) هي عين المسئلة الثانية وينطبق عليها القانون المتقدم اعني ان

$$\text{ع} = \frac{٦ \times (٦ + ١)}{٢} = ٢١$$

ارجو نشر ذلك بمجلتكم الغراء لفائدة العموم واقبلوا احتراماتي

فؤاد نسيم
مهندس بالفجالة بمصر

العادات

ما بالنا اعتدنا ولم نعتدِ ترك الذي اعتدنا سوى الجيّدِ
نعتاد طربوشاً على رأسنا يا ليت ذا الطربوش لم يوجدِ
بالله ما الحكمة من وضعهِ او ايّ نفع فيهِ للمرتدي
احمرُ لا ادري لماذا ولمْ هذا الذي فيهِ من الاسودِ
لا يمنع الشمس واحوج بنا من غيرنا في مصر للافيدِ
يستشرف المسكين منا على عينيهِ تحت الشمس كالارمدِ
ويعرق الحرّان منا فكم بنكش الطربوش كالقنفدِ
وحينما تمطر تلقى بهِ ما يشبهُ الجدريّ يا سيدي
افيونة الكيّ فاشفق بهِ نفسك اذ تمسي واذ تغتدي
وان اردنا نافعاً غيرهُ قالوا كفرتم ثم لا نهتدي
ويلحق الجبن بنا دائماً ونطلق الالسن كالمبردِ
وانظر الى المرأة في وجهها تجدهُ نصفين بلا مرشدِ
نصف هو الاعلى بدا ظاهراً وفقد الثاني ولم يفقدِ
وبين هذا والذي قبلهُ ما يشبهُ النورج في المربدِ
يمحى على الانف ولكنهُ من فضة قد صيغ او عسجدِ
وانظر الى من خرّقت انفها ثم حشتهُ خرز القرمدِ
وكم لنا في الوجه من عادة من اختها اغرب في المقصدِ
وانظر الى عاداتنا كلها في كل شيء بالحجى وانقدِ
وميّز الطيب من غيرهِ واستبق ما يلزم واستبعدِ
ولا يقيدك القديم فما كل قديم طيّب المورد

(مراد)

[المقتطف] يظهر من بعض التجارب والمباحث الحديثة انهُ اذا كان غطاء الرأس والحبل الشوكي احمر اللون وقاهما من فعل الشمس الضار وعليهِ فلون الطربوش الاحمر خير واقٍ من ضربة الشمس

الناطقون بالضاد

حضرة الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

ارى في تسمية العرب او المتكلمين بالعربية "بالناطقين بالضاد" خطأً واضحاً لان من الشعوب الغربية من ينطق بالضاد ايضاً وان كانت غير موجودة في حروف هجائهم فالفرنسيون ينطقون بها صريحة مفخمة في مثل كلمة (dans) و (dentiste) و (donc) وغيرها والانكليز ينطقون الضاد ايضاً في مثل قولهم (dark) و (door) و (dance) وغيرها واذن يجب ان تبطل هذه التسمية لانها غير مطابقة للحقيقة واذا اطلقها العرب لسبب ما او لغير سبب فلا يصح ان نقتدي بهم نحن فيها بعد ان عرفنا خطأها وعدم مطابقتها للصحيح فماذا يرى قراء المقتطف في ذلك (باحثة بالبادية)

باب الزراعة

الليمون الحامض

الليمون الحامض او المالح او الليم اشجار صغيرة الثمر جداً ثمرها كالجوز الكبير لكنها كثيرة الثمر وثمرها كثير العصارة الحامضة. والظاهر من تقرير الجمارك ان القطر المصري لا يصدر شيئاً من هذا الليمون او يصدر منهُ شيئاً قليلاً جداً حتى لا يستحق ان يذكر على حدة فيذكر مع غيره مع ان البلدان الصغيرة مثل جزيرة دومينيكا تصدر في السنة ما ثمنهُ ٥٠ الف جنيه

ومن مزايا الليمون انهُ اذا تعذَّر اصدارهُ في الوقت المناسب او خيف من ان يتلف بطول المسافة امكن عمل شترات الكلس منهُ. وثمن شترات الكلس اغلى من ثمن عصير الليمون كثيرًا ولو كان العصير مكثفًا جداً ولا خوف من هبوط سعره ويطلب منهُ في البلاد الانكليزية كل سنة ستة آلاف طن تساوي خمس مئة الف جنيه فالاهتمام بزراعة الليمون خير من الاهتمام بزراعة البصل لان البصل يتلف اذا لم يرسل في الوقت المناسب

القطن الاميركي

صدر التقرير الاميركي عن حالة زراعة القطن في بداءة شهر يونيو الماضي فقدر فيها

٧و٧٩ في المئة ومساحة الارض المزروعة قطناً ٣٢١٠٠٠٠٠ فدان وقد ادرجنا في الجدول التالي حالة القطن الاميركي منذ سنة ١٨٨٧ الى الآن في كل شهر من الشهور التي يكون القطن فيها في الارض مع مساحة الارض التي زرعت قطناً في كل سنة من تلك السنين

سنة	يونيو	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	المحصول	المساحة
١٩٠٨	٧٩ ٧						٣٢١٠٠٠٠٠
١٩٠٧	٧٠ ٥	٧٢ ٠	٧٥ ٠	٧٢ ٧	٦٧ ٧	١١٢٦١٠٠٠	٣٢٠٦٦٠٠٠
١٩٠٦	٨٤ ٦	٨٣ ٣	٨٢ ٩	٧٧ ٣	٧١ ٦	١٣٢٩١٠٠٠	٢٨٦٨٦٠٠٠
١٩٠٥	٧٧ ٢	٧٧ ٠	٧٤ ٩	٧٢ ١	٧١ ٢	١١٣٤٥٩٨٨	٢٧٠٠٠٠٠٠
١٩٠٤	٨٣ ٠	٨٨ ٠	٩١ ٦	٨٤ ١	٧٥ ٨	١٣٥٦٥٨٨٥	٣٠٠٠٥٣٧٠٠
١٩٠٣	٧٤ ١	٧٧ ١	٧٩ ٧	٨١ ٢	٦٥ ١	١٠٠١١٠٠٠	٢٨٩٠٧٠٠٠
١٩٠٢	٩٥ ١	٨٤ ٧	٨١ ٩	٦٤ ٠	٥٨ ٣	١٠٧٢٨٠٠٠	٢٧٨٧٨٠٠٠
١٩٠١	٨١ ٥	٨١ ١	٧٧ ٢	٧١ ٤	٦١ ٤	١٠٦٨١٠٠٠	٢٧٦٣٤٠٠٠
١٩٠٠	٨٢ ٥	٧٥ ٨	٧٦ ٠	٦٨ ٢	٦٧ ٠	١٠٣٨٣٠٠٠	٢٥٤٢١٠٠٠
١٨٩٩	٨٥ ٧	٨٧ ٨	٨٤ ٠	٦٨ ٥	٦٢ ٤	٩٤٣٦٠٠٠	٢٤٢٧٥٠٠٠
١٨٩٨	٨٩ ٠	٩١ ٢	٩١ ٢	٧٩ ٨	٧٥ ٤	١١٢٧٥٠٠٠	٢٤٩٦٧٠٠٠
١٨٩٧	٨٣ ٥	٨٦ ٠	٨٦ ٩	٧٨ ٣	٧٠ ٠	١١٢٠٠٠٠٠	٢٤٣٢٠٠٠٠
١٨٩٦	٩٧ ٢	٩٢ ٥	٨٠ ١	٦٤ ٢	٦٠ ٧	٨٧٥٨٠٠٠	٢٣٤٤٥٠٠٠
١٨٩٥	٨١ ٠	٨٢ ٣	٧٧ ٩	٧٠ ٨	٦٥ ١	٧١٥٧٠٠٠	٢٠١٩١٠٠٠
١٨٩٤	٨٨ ٣	٨٩ ٦	٩١ ٨	٨٥ ٩	٨٢ ٧	٩٩٠١٠٠٠	٢٣٦٨٨٠٠٠
١٨٩٣	٨٥ ٦	٨٢ ٧	٨٠ ٤	٧٣ ٤	٧٠ ٧	٧٥٥٠٠٠٠	١٦٦٥٦٠٠٠
١٨٩٢	٨٥ ٩	٨٦ ٩	٨٢ ٣	٧٦ ٨	٧٣ ٣	٦٧٠٠٠٠٠	١٦٥٧٢٠٠٠
١٨٩١	٨٥ ٧	٨٨ ٦	٨٨ ٩	٨٢ ٧	٧٤ ٧	٩٠٣٥٠٠٠	١٩٨٥٨٠٠٠
١٨٩٠	٨٨ ٨	٩١ ٤	٨٩ ٥	٨٥ ٥	٨٠ ٠	٨٦٥٣٠٠٠	٢٠٣٨٩٠٠٠
١٨٨٩	٨٦ ٤	٨٧ ٦	٨٩ ٣	٨٦ ٦	٨١ ٤	٧٣١١٠٠٠	٢٠١٧٥٠٠٠
١٨٨٨	٨٨ ٢	٨٦ ٧	٨٧ ٣	٨٣ ٨	٧٨ ٩	٦٩٣٥٠٠٠	١٨٩٣٧٠٠٠
١٨٨٧	٩٦ ٩	٩٧ ٠	٩٣ ٣	٨٢ ٨	٧٦ ٥	٧٠١٨٠٠٠	١٨٥٢٢٠٠٠

ويظهر من هذا الجدول ان حال نمو القطن في الشهرين الاولين اي يونيو ويوليو لا تؤثر في مقدار الموسم ففي سنتي ١٨٩٢ و ١٨٩٣ كانت مساحة الارض واحدة تقريباً وحالة الزراعة واحدة ايضاً او احسن سنة ١٨٩٢ منها سنة ١٨٩٣ ومع ذلك كان الموسم سنة ١٨٩٣ اكبر من موسم سنة ١٨٩٢ · وسنة ١٨٩٩ كانت حالة القطن في هذين الشهرين احسن منها في سنة ١٨٩٧ ومساحة الارض المزروعة تكاد تكون واحدة ومع ذلك كان موسم سنة ١٨٩٧ اكبر كثيراً من موسم سنة ١٨٩٩ . وسنة ١٩٠١ كانت مساحة الارض اكبر من مساحتها سنة ١٩٠٠ وحالة القطن في يوليو سنة ١٩٠١ احسن من حالته سنة ١٩٠٠ ومع ذلك تساوى الموسمان · وتساوت المساحة والموسم سنة ١٩٠٢ و ١٩٠١ ولكن كانت حالة القطن سنة ١٩٠٢ اجود من حالته سنة ١٩٠١ · ويظهر من الجدول ان اكثر الاعتماد على الاشهر الاخيرة لا على الاشهر الاولى او على استمرار الجودة او الرداءة في الاشهر كلها

القطن في جزائر الهند الغربية

لا يخفى ان الانكليز مهتمون اشد الاهتمام بزرع القطن في مستعمراتهم المختلفة حتى اذا امكن يستغنون عن القطن الاميركي كله او بعضه او لا يبقوا تحت رحمة الاميركيين · وقد نجحوا بعض النجاح في جزائر الهند الغربية فبلغت مساحة الارض المزروعة قطناً فيها الآن ٢٤٠٠٠ فدان · وقد كانت مساحتها ٤٠٠٠ فدان سنة ١٩٠٣ و ٧٦٠٠ فدان سنة ١٩٠٥ و ١١٢٣٨ سنة ١٩٠٦ و ١٨١٦٦ سنة ١٩٠٧ . فاذا استمرت الزيادة على هذا المعدَّل اي نحو ستة آلاف فدان كل سنة لا تبلغ مئة الف فدان في اقل من ١٢ سنة وهو شيء طفيف لا يخشى منهُ لان زراعة القطن تزيد وتنقص في اميركا من سنة الى اخرى بالمليون والمليونين من الافدنة وتزيد وتنقص في القطر المصري بالمئة الف الفدان او اكثر

وهناك امر آخر حريٌّ بالذكر وهو ان محصول القطن الصادر من جزائر الهند الغربية بلغ ٣٢٨٥ قنطاراً سنة ١٩٠٢ و ٣٩٧٥ قنطاراً سنة ١٩٠٣ و ٦٩٨٩ قنطاراً سنة ١٩٠٤ و ١١٢٢٨ قنطاراً سنة ١٩٠٥ و ٥٧٧٤ قنطاراً سنة ١٩٠٦ و ٢٠١٣٦ قنطاراً في تسعة اشهر من سنة ١٩٠٧

والثمن الذي بيع بهِ هذا القطن غالٍ جداً لانهُ من النوع المعروف بالسي ايلند فبلغ ثمن العشرين الف قنطار مع بزرتها ١٨٦٥١٠ جنيهاً وبدون البزرة ١٧٢٢٠٠ جنيه اي بلغ

ثمن القنطار مع بزرتهِ اكثر من تسعة جنيهات وبدون بزرتهِ اكثر من سبعة جنيهات وهذا احرى الامور كلها بالنظر لانهُ اذا بيع القنطار من ذلك القطن بتسعة جنيهات وجب ان يخرج من القطر المصري قطن يساوي قنطارهُ عشرة جنيهات او اكثر لان ارض تلك الجزائر ليست اجود من ارض القطر المصري بدليل ان متوسط محصول الفدان الواحد فيها قنطار ونصف قنطار فقط من القطن الشعر الاَّ اذا كان القطن الجيد لا ينتج من الارض الجيدة

شجر المنجو

ترجمناها عن مقالة لمستر برون سكرتير شركة الازهار التجارية ظهرت في مجلة ترانزكشنز المصرية واضفنا اليها اضافات قليلة وضعناها بين قوسين

زُرع المنجو في الهند وطنهِ منذ الوف من السنين فتنوَّعت اشكالهُ مثل كل الاشجار التي زرعت في احوال مختلفة قروناً كثيرة . ويعدُّ منهُ الآن نحو خمس مئة شكل مختلفة في جرم الثمر وشكلهِ ولونهِ وجرم بزرهِ وطعم لبهِ والمواد الداخلة في تركيبهِ . وكثيرون من الذين يذوقون المنجو اول مرة يجهلون ذلك فاذا اتفق انهم ذاقوا ثمرةً من النوع الدون الكبير البزر استنتجوا ان المنجو كلهُ غير طيب الطعم

واجود اشكال المنجو خالٍ تقريباً من الالياف ومن الطعم التربنتيني وهذا امر يجب ان يعرفهُ المعتنون بزراعتهِ حتى يشيع اكلهُ وتروج سوقهُ ولا يتم لهم ذلك الاَّ اذا اقتصروا على زرع الاشكال الطيبة الطعم دون غيرها

والعادة الجارية في مصر الآن ان يزرع النبات من البزر . ولكن كون البزر من ثمر جيد لا يكفل خروج النبات منهُ جيد الثمر . وقد انتبه الهنود لهذا الامر من عهد قديم جدًّا ولذلك يطعّمون اشجارهم دائماً ويستعملون الطريقة التالية في التطعيم . يتركون الشجرة التي يراد تطعيمها في قواريها حتى يصير عمرها ثلاث سنوات ثم يقشرون من ساقها قشرة طولها خمسة سنتمترات الى عشرة ويقشرون من غصن شجرة جيدة الثمر قشرة مثلها ويكون هذا الغصن مثل ساق الشجرة الصغيرة غلظاً ويدنون القوارة من غصن الشجرة ويلصقون الغصن بالساق حيث قشر قشراهما ويربطونهما جيدًّا بسلخ من شجر الموز ويدهنون الرباط بشمع المطعوم لمنع الهواء عنهُ فيلتحم الغصن بالساق ثم ينزع الورق من الساق من فوق محل الالتحام ويقطع الغصن من الشجرة الكبيرة من تحت محل الالتحام فيصير جزءًا من الشجرة الصغيرة اي يبقى ما تحت الالتحام من الشجرة الصغيرة واما ما فوقهُ فيكون من غصن الشجرة الكبيرة واذا

وضعت صقائل تحت شجرة كبيرة لتوضع القواوير عليها امكن تطعيم مئتي شجرة صغيرة بها ويجري هذا التطعيم في زمن الصيف

ويمكن زرع المنجو من الاغصان رأساً من غير زرع البزر وذلك بان يقطع الغصن من وسطهِ (فاذا كان طولهُ متراً يقطع منهُ نصف متر) وتدخل في ما بقي منهُ وهو متصل بامهِ قوّارهُ مثقوبة وتملأ تراباً ويسقى هذا التراب يوماً بعد يوم حتى يبقى رطباً فتنبت فيهِ جذور من الغصن ويقطع الغصن حينئذٍ تحت القوارة ثم ينقل الى الارض. الاَّ ان الاشجار التي تتولد على هذه الكيفية لا تعيش سنين كثيرة ولا تحمل ثمراً كبيراً

ويمكن تطعيم المنجو على الكيفيَّة التالية . يؤْتى الى الشجرة الجيدة الثمر وينزع برعم من غصن منها هو وما حولهُ من القشر ويكون القشر مربَّعاً . وينزع مقدار من القشر مثلهُ من ساق الشجرة الصغيرة التي يراد تطعيمها وتوضع القشرة التي فيها البرعم مكان هذه القشرة وتربط بالساق جيداً . ويكون ذلك وقتما تكون العصارة كثيرة في الاشجار . ومهما كلَّف التطعيم من التعب والنفقة فنتيجتهُ تفي بذلك لان الفرق كبير بين الثمر الجيد وغير الجيد

وتنمو شجرة المنجو في كل تربة تقريباً اذا لم تكن رملية ولا كان حد الماء قريباً من سطح الارض في فصل الشتاء . ويزرع بزرهُ حال اخراجهِ من الثمر لانهُ اذا ترك مدة طويلة قبل زرعهِ فقلما ينبت . ويجب وقاية الاشجار الصغيرة وهي في القواوير وبعد نقلها الى الارض ايضاً وحينما تزرع في الارض يجعل البعد بين الشجرة والاخرى ستة امتار لكي يكون المجال واسعاً لاغصانها حتى تمتد . وتثمر الاشجار بعد تطعيمها بسنتين او ثلاث ولكن يجب ان لا يترك الثمر عليها قبل السنة الخامسة . ويمكن زرع مزروعات اخرى في الارض بين الاشجار في السنوات الاولى واهالي الهند يزرعون الموز بينها الى ان يجيء وقت حملها ولا نرى مانعاً يمنع ذلك في هذا القطر فان الموز يقي شجر المنجو والخدمة التي يقتضيها شجر الموز تفيد شجر المنجو . ولكن ذلك يفيد ما دامت اشجار المنجو صغيرة فاذا كبرت وصار عمرها ست سنوات وجب ان تترك ارضها كلها لها واذا زاد خصب الاشجار ولم تعد تحمل وجب ان يحفر عن جذورها الغائرة ويقطع بعضها ويفعل ذلك من الجانب الواحد هذه السنة ومن الجانب المقابل في السنة التالية ولا يفعل من الجانبين معاً في سنة واحدة . فاذا عولجت كذلك الاشجار التي لا تثمر كثر ثمرها جدًّا ويمكن معالجتها ايضاً بنزع جانب من قشر الساق في متوسط المسافة بين الارض ومتفرَّع الاغصان لكي تقل العصارة الصاعدة الى الاغصان (ويقل الخصب وتحول القوة الى عمل الثمر فان الاشجار تثمر لكي تحفظ نوعها بثمرها كأنها تخاف ان تيبس وينقطع نسلها فاذا زاد

خصبها امنت على نفسها من الموت فلم تعد تهتم بالاثمار وهذا الامر مشاهد في الحيوانات ايضاً وقد انتبه لهُ العلماء من عهد ابقراط وقالوا ان النساء السمان لا يلدن)

وحمل المنجو يختلف باختلاف الاشجار فالشجرة الصغيرة قد لا تحمل اكثر من ٢٠٠ ثمرة واذا كان ثمرها صغيراً غير جيد فلا تساوي الثمرة منهُ اكثر من نصف غرش فاذا كان في الفدان مئة شجرة بلغت غلتهُ مئة جنيه . ولكن في القاهرة اشجاراً من المنجو حملت الشجرة منها في العام الماضي ٢٠٠٠ ثمرة بلغ ثمنها جملةً من ٣٠ الى ٣٥ جنيهاً فاذا اعتني بزرع المنجو فمنهُ ربح كبير جداً ولا خوف من ان يكثر ويرخص ثمنهُ كثيراً بعد سنين قليلة لا سيما وانهُ يمكن تصديرهُ الى البلدان الاوربية وتباع الثمرة الواحدة منهُ في البلاد الانكليزية بشلن الى شلن ونصف . ومن المحتمل انها تباع كذلك في غيرها من البلدان الاوربيَّة وذلك يتوقف على جودة الثمر الذي يرسل الى اوربا

ويمكن عمل المربيات من المنجو واستخراج الالكحول منهُ انتهى

[اخبرنا القادمون من كوبا وجزائر الهند الغربيَّة ان المنجو فيها كثير جداً يشتري الواحد عشر ثمرات منهُ او عشرين ثمرة بما يساوي غرشاً واحداً وفي القاهرة نفسها يكثر المنجو في بعض الايام حتى تباع الثمرة الجيدة منهُ بنصف غرش واذا كثر كثيراً يصير رخيصاً كالبرتقال لاننا لا نرى لهُ مزيَّةً عليهِ ولكن هب انهُ صار ثمن الثمرة الجيدة مليماً واحداً بالجمل وحملت الشجرة الفي ثمرة بلغ ثمن حملها عشرين جنيهاً وثمن حمل شجر الفدان مئتي جنيه وهو دخل وافر جداً لا يستهان بهِ]

ضربة الزيتون

لا يخفى انهُ تعتري الزيتون احياناً ضربة فتجد السوس في كل حبة من حبوبهِ وهذا السوس يفسد طعمهُ وطعم زيتهِ . والظاهر ان اهالي اوربا قد اخذوا يكثرون الآن من اكل زيت الزيتون وادخالهِ في طعامهم ولذلك ينتظر ان تروج سوقهُ كثيراً ويغلو ثمنهُ ولكن الضربة المشار اليها تتلفهُ . وقد استنبط بعضهم علاجاً بقتل فراش هذه الدودة وهو مؤلف من ٦٥ جزءا من الدبس و ٣١ من العسل وجزءين من الغليسرين و ٢ من كربونات الصودا تمزج هذه المواد معاً ويضاف الى كل رطل منها ٩ ارطال من الماء وترش بها الاشجار عند ظهور حب الزيتون فيها فيسلم من الضربة المشار اليها ويقال انهُ اذا جمع الزيتون كلهُ باكراً لم يبقَ سبيل للسوس الذي فيهِ ليتم نموهُ ويظهر الفراش منهُ ويحفظ نوعهُ

باب التقريظ والانتقاد

المنجد

معجم مدرسي للغة العربية تأليف الاب يوسف معلوف اليسوعي

لا شبهة في ان مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت قد خدمت اللسان العربي والمدارس العربية اجل خدمة بما نشرتهُ من الكتب المدرسيَّة وهذا الكتاب من اجلها لان الحاجة اليهِ شديدة وهو قاموس للعربيَّة اختصره ُ جامعهُ واحسن ترتيبهُ واضاف اليهِ كثيرًا من الكلمات التي عربت حديثًا واوضح بعض مسمياتهِ بالصور وطبعهُ طبعًا جليًّا بما يلزم من الشكل بقطع صغير حتى يسهل استعمالهُ . فهو من هذه الوجوه يفضل على كل قاموس عربي وقع نظرنا عليهِ ولكن فيهِ عيبًا نود اصلاحهُ في الطبعة الثانية وذلك ان المؤلف اخطأ في كثير من صور الكتاب مثال ذلك ان البلشون طائر بعرفهُ اهالي مصر ويخصونهُ بمالك الحزين او الطائر المسمى بالانكليزية flammingo وهو اطول من المرسوم في الشكل عنقًا وساقًا ومنقارهُ اعقف . والجُعَل يعرفهُ اهالي مصر ويخصونهُ بالحشرة التي صورها المؤلف عند كلمة خنفسة و يطلقونهُ على القطع القديمة التي عليها كتابات هيروغليفيَّة وهي في شكل الجعل . والحنظل يعرفهُ اهالي ساحل بيروت ويخصونهُ بالنبات المدَّاد الذي ثمرهُ مستدير كثمر البطيخ ولكنهُ اصغر منهُ جرمًا لا بنبات قائم ثمرهُ يقطيني كالمرسوم في الشكل. والخذروف لعبة معروفة في بلاد الشام وهو الصفيحة المستديرة التي تثقب من وسطها ثقبان يدخل فيهما خيط يمسك بالكفين وتدار بهما بدليل قول امرىء القيس

دريرٍ كخذروف الوليد امرَّهُ   تتابع كفيهِ بخيط موصل

والفادن خشبة طولها نحو شبر وعرضها نحو فتر تعلق بها رصاصة بخيط دقيق يمتحن بها استواء الحجارة والسطوح واما المرسوم في الشكل عند كلمة فادن فيسميهِ البناؤُون ميزانًا وهو لامتحان ميل الجدران القائمة . والرسمان الموضوعان للهدهد والقبرة او القنبرة متبادلان فالهدهد هو المرسوم تحت كلمة قبرة والقبرة هي المرسومة تحت كلمة هدهد على ما هو معروف . والحيوان المرسوم في كلمة نمر هو الببر او النمر الهندي المخطط واما النمر فرقط

وعسى ان نرى الطبعة الثانية خالية من مثل هذه الهفوات فيتضاعف شكرنا للمؤلف

فلسفة العمر

هي رسالة حكمية ادبية في اربعة ادوار العمر الطفولية والشبيبة والكهولة والشيخوخة ٠ وضعها الكاتب الفرنسوي الكونت ده سجير المتوفى سنة ١٨٣٠ وترجمها الى العربية حضرة صالح بك حمدي حماد الذي يتحفنا من وقت الى آخر بنفائس الكتب وعلق عليها شروحاً وجيزة ترجم بها الاعلام المذكورة فيها٠ وبعض آراء المؤلف ضعيف كقوله في الصفحة ٢٥ " فالتربية لا الاصل ولا الفصل هي التي تعمل غالباً فينا لان الانسان وان كان اوجده ابوه واكسبهُ بنوع ما بعض صفاته الخلقية لكن الذي كوّنهُ تماماً وهيأه انما هي التربية فالاول اوجدنا والثانية كيفتنا وصاغتنا ". اما علماء هذا العصر فيقولون مع المتنبي « وتأبى الطبائع على الناقل » والمقام الاول في اخلاق الانسان للطباع الموروثة من والديه واسلافهم حسب قوانين الوراثة والمقام الثاني للتربية وتأثيرها ضعيف بالنسبة الى تأثير الوراثة

وذكر في الدور الثاني من ادوار العمر وهو دور الشبيبة ان الشاب الذي يعثر على صديق صادق وخل وفيّ فقد عثر على كنز ثمين القيمة نادر المثال فيصير غنياً بالفضائل وبمعاونة هذا الصديق الكريم تبتدئ تلك التربية الثانية للنفس فتنقش على صفحات نفوسنا نقوشاً عملية ثابتة الوانها مهما كانت الايام قد محت ايام الشبيبة الاولى من آثار التربية الاولى الوالدية والمدرسية النظرية

وختم المؤلف هذا الفصل بقوله :—

فالانسان في دور الطفولية لا يدرك من اسرار الحياة غير خرافاتها ولعبها ٠ وفي دور الشباب قد تريهِ هذه الحياة صفحة موهومة من قصصها وعبرها ٠ وأما في دور الكهولة الذي سندخل فيهِ التفصيل فهو انما يزاول حقائقها و يعاني صحيح اشيائها وجدّ اعمالها وكبير غلطاتها وامالها

والكتاب كلهُ على هذا النسق لكن التجريد فيهِ كثير ولو وضعهُ مؤلفهُ على اسلوب الرواية ككتاب كليلة ودمنة ووقائع تلماك وسياحة المسيحي لكان اقرب الى الفهم واعلق بالذهن فعلى الذين تمكنهم الفرص من ترجمة الكتب الادبية المفيدة ان يختاروا منها ما كان من قبيل الكتب الثلاثة المشار اليها آنفاً اذا ارادوا ان يطالعها القراء بلهفة و بلا ملل و يستفيدوا من عبرها وحكمها

لويزا بروكتر

يحق للسوريين ان يفاخروا ام الارض في اكرامهم لنزلاء بلادهم واعترافهم بفضل الفضلاء منهم فتراهم يقيمون التماثيل لمن كان مثل الدكتور فانديك والدكتور بلس ويجمعون كتب التأبين والمراثي لمن كان مثل الدكتور ادي ومثل السيدة لويزا بروكتر

والسيدة لويزا بروكتر امرأة انكليزية قدمت سوريا سنة ١٨٨٠ وانشأت مدرسة خارجيَّة للبنات في الشويفات من قرى لبنان سنة ١٨٨٥ وجعلتها في السنة التالية داخليَّة ثم اسست مدرسة للصبيان سنة ١٨٩٦ وفي مدرستيها الآن نحو مئة وثمانين صبيًا وبنتًا وقد تخرَّج منهما نحو ١٦٠٠ تلميذ وتلميذة بهمتها وادارة مدير هاتين المدرستين النشيط طانيوس افندي سعد ثم انشأت ثلاث مدارس صغيرة في الشويفات ومدرسة في ديرقوبل. توفيت في ربيع العام الماضي وعمرها ٧٨ سنة واحتفل بتأبينها بعد اربعين يومًا وقد جمع حضرة الاديب جرجي افندي نقولا باز ما قيل فيها من المراثي والتآبين واقوال الجرائد في كتاب واحد وقدَّم لهُ مقدمة في سيرة الفقيدة واعمالها . وبعجبنا اشتراك اهالي سورية في تأبين تلك السيدة على اختلاف مذاهبهم ولاسيما رؤساء الدين منهم

مؤنس الجلاس

بمفاخر العباس

هي مجموعة قصائد مرفوعة الى معالي الحضرة الفخيمة الخديوية من ناظمها حضرة الاب الفاضل الارشمندريتي ايليا ديب رئيس كنيسة السوريين الارثوذكس في الاسكندرية المنتخب لمطرانية صور وصيداء وتوابعهما . اولها قصيدة نظمت سنة ١٣١٩ تهنئة بعيد جلوس الجناب الخديوي على الاريكة الخديوية قال فيها

ايها الراكب اليمم مصرًا ... سوف تلقى للجود فيها معينا
قصَّر النيل في التدفق عنهُ ... بل تراهُ من فيضهِ مستدينا

ومنها

ان مَن اعطاهُ المهين عرشًا ... وحباهُ حلمًا وعلمًا ودينا
وشبابًا مع هيبة وجمالاً ... في كمال بين الملا اجمعينا
حقَّ ان تحشد التهاني اليهِ ... قاطعات اجارعًا وحزونا

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهرٍ آخر نكون قد اهملناهُ لسببٍ كافٍ

(١) أكل اللحم في البلاد الحارَّة

الخرطوم . رزق افندي واصف هل من ضرر على الانسان اذا استمرَّ على اكل اللحم في الاقطار الحارَّة

ج ان الاكثار من اكل اللحم ضارٌّ ولاسيما في البلدان الحارَّة . ولكن قد يعتاد الانسان اكل اللحم او يكون ممَّن يسهل عليهم افراز الفضول النيتروجينيَّة فلا يضر من اكلهِ . وللعادة التأثير الاكبر

(٢) الزوجة أكبر من الزوج

ومنهُ . هل من ضرر صحي على شاب عمرهُ عشرون سنة مثلاً اذا تزوج بفتاة اكبر منهُ سنًّا كأن يكون عمرها خمس وعشرون سنة

ج كلاَّ . ولكن يفضَّل ان يكون الزوج اكبر من زوجتهِ سنًّا ولو ببضع سنوات والمرجح ان ذلك ادعى للوئام وهو القانون المتبع في اكثر البلدان

(٣) الشيب الباكر

ومنهُ . لماذا ينبت الشعر الشائب في رؤوس بعض الشبَّان

ج ان مسألة الشيب من المسائل التي لم تحلَّ حتى الآن حلاًّ مقنعاً ولكن لا شبهة ان الشيب يحدث في الشيخوخة من ضعف الشعر او ضعف الجسم عن تقديم المادة الملونة للشعر فاذا كان الامر كذلك فلا مانع يمنع ظهور شيء من هذا الضعف في الشبان فيشيب بعض شعرهم . واذا اتفق ان ظهر هذا الضعف في الزوجين معاً كان ظهورهُ في اولادهما اقوى من ظهورهِ فيهما فيشيبون باكرًا ثم اذا تزوجوا في اناس من الذين لم يظهر فيهم هذا الضعف فالغالب انهُ يقاوَم فيزول ولهذا السبب لا تجد شيب الشبان كثيرًا بل تجدهُ نادرًا لان اختلاط الناس بالزواج يزيل الميل اليهِ ولا تجدهُ عامًّا لكل شعرهم

(٦) تربية الخنازير

بيروت . و . ب لم اعثر في ما لديَّ من اجزاء المقتطف على مقالة ضافية في تربية الخنازير وكيفية الاعتناء بها مما تهم معرفتهُ وقد آنست من احد معارفي في لبنان رغبة

شديدة في تكثير ما عنده منها فهل تدرجان اجوبة لمسائله اذا بعث بها اليكم

(٥) تربية الخنازير

ج انا لم نرَ فائدة من الكلام على تربية الخنازير لان اكثر الذين يقرأون المقتطف ممنوع من تربيتها واكل لحمها ومع ذلك لا نتأخر عن نشر المسائل التي نُسأَلها والاجابة عنها اذا كان من نشرها فائدة

(٦) الكتب المفيدة في العربية

استراليا . ع . ب . ر اي الكتب اجزل فائدة لمن هو ضعيف في العربية

ج ان لم نكن قد اخطأنا مرادكم فمطالعة الكتب الادبية الصحيحة الانشاء ككتاب كليلة ودمنة وفصول مجاني الادب وكتاب الاغاني وتاريخ ابن الاثير من الكتب التي تساعد مطالعها على اكتساب ملكة اللغة وكذلك استظهار الكثير من اشعار المتنبي وابي العلاء المعري ومقامات الحريري وبديع الزمان الهمذاني

(٧) البردة

ومنهُ . الى من تليت قصيدة الشيخ البوصيري المعروفة بالبردة التي مطلعها

امن تذكُّر جيران بذي سلمِ
مزجت دمعاً جرى من مقلةٍ بدمِ

ج القصيدة للشيخ شرف الدين ابي عبد الله محمد الابوصيري المتوفى سنة ٦٩٤ للهجرة وقد قال ناظمها « كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله صلى الله عليهِ وسلم منها ما كان اقترحهُ عليَّ الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير ثم اتفق بعد ذلك ان اصابني فالج ففكرت في عمل قصيدتي هذه البردة فعملتها واستشفعت بهِ الى الله تعالى في ان يعافيني وكررت انشادها وبكيت ودعوت وتوسلت ونمت فرأيت النبي صلى الله عليهِ وسلم فمسح على وجهي بيدهِ المباركة والقى عليَّ بردة فانتبهت ووجدت فيَّ نهضة فقمت وخرجت من بيتي ولم اكن اعلمت بذلك احداً فلقيني بعض الفقراء فقال اريد ان تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله صلى الله عليهِ وسلم فقلت ايها فقال التي انشأتها في مرضك وذكر اولها الخ . والقصة طويلة تجدونها في فوات الوفيات

(٨) شعبة سكة دمشق

ومنهُ . اصحيح ان في النية انشاء شعبة الى الخط الحديدي الشامي من محطة جمهور وتخرق الجبل في مقاطعة المتن الى حيث تلتقي بالخط في مدينة زحلة

ج هذا مشروع من مشروعين او ثلاثة ولكننا نظن ان نفقاتهِ الكثيرة تحول دون العمل بهِ

(٩) تحديد العمر

زحلة . الخواجه سليم يوسف ابو سليمان هل حدد الله لكل امرء عمره .

ج ان نواميس الكون او النواميس التي سنها الله لهذا الكون تستلزم ان تكون كل الحوادث التي تحدث فيهِ ناتجة اضطراراً عما تقدمها من الحوادث او عما وُضع للكون من النواميس ولذلك يكون العمر محدوداً . ونحن البشر لا نعلم افكار الله لانها ليست كأفكارنا ولا نعلم كل الحدود التي حددها للكون ولكن اختبارنا يدلنا على ان الامم التي تتبع قوانين الصحة يزيد معدل عمر افرادها عما كان عليهِ حين لم تكن تتبع قوانين الصحة والمرضى الذين يعالجون المعالجة القانونية تقل وفياتهم فتطول اعمارهم ولهذا شاعت صناعة الطب والعلاج من قديم الزمان. ومهما كان الانسان متمسكاً بدينهِ ومعتقداً بالقدر لا يرفض استشارة الطبيب واستعمال العلاج اذا مرض راجياً ان يطيل عمره

(١٠) اول بناء

ومنهُ . من هو اول بناء خلق على وجه الارض

ج ان الناس ابتدأوا يبنون قبلما ابتدأوا يكتبون تواريخهم ولذلك لم يكن في الامكان ان يكتب في تاريخ من التواريخ اسم اول بناء

(١١) دوران الارض حول الشمس

القاهرة س . م س ما هي البراهين على دوران الارض حول الشمس

ج اننا لا نشعر بحركة دوران الارض حول الشمس ولكننا نستنتجها استنتاجاً من حركة الشمس السنوية الظاهرة فانكم اذا راقبتم مغيب الشمس يوماً بعد آخر من ايام السنة ترون انها اذا غابت اليوم عند مجموع من النجوم فلا تغيب بعد بضعة ايام عند ذلك المجموع بل عند مجموع وراءهُ شرقاً وهلم جرّا الى ان يحول الحول وتنتهي السنة فيعود الدور ثانية وهو ما يُعبَّر عنهُ بنزول الشمس في البروج. وهذا الامر المحسوس اما ان يكون ناتجاً عن ان الشمس نفسها تنتقل في السماء من نقطة الى اخرى نحو درجة كل يوم حتى تقطع دائرة السماء في السنة كما ظن الاقدمون واما ان الارض تدور بنا حول الشمس فنرى صورة الشمس اليوم في موقع وغداً في موقع آخر كما ان السائر في سفينة والى يمينهِ منارة ووراءها على بعد منها جبل يرى كلما تقدم شمالاً ان المنارة تسير الى ورائهِ جنوباً بالنسبة الى الجبل الذي وراءها . واذا لم نعرف شيئاً عن جرم الارض والشمس والكواكب وبعد الشمس عنا فالفرضان محتملان على حدّ سوى اي يحتمل ان تدور الشمس حول الارض مرة في السنة متنقلة في البروج الاثني عشر كما هو ظاهر للعيان ويحتمل ايضاً ان تكون الارض هي التي تدور حول الشمس في هذه المدة فيظهر كأن الشمس تنتقل في البروج يوماً بعد يوم . ولكن

اذا عرفنا ان مادة الشمس اكثر من مادة الارض ٣١٤٧٦٠ ضعفاً استحال علينا ان نصدق ان جاذبية الارض للشمس تكفي لحفظها في الفضاء وجعلها تدور حولها لان ذلك بمثابة ما لو جذبت حصاة صغيرة ثقلها درهم واحد صخرًا كبيرًا ثقلهُ ٧٨٧ اقة وجعلتهُ يدور حولها · وتبقى امور كثيرة لا تعلل اذا فرضنا ان الشمس تدور حول الارض ولكنها تعلَّل اوضح تعليل اذا فرضنا ان الارض تدور حول الشمس كما تدور حولها سائر السيارات الشمسية واكثرها اكبر من الارض جدًّا

(١٣) الشفاء بالايمان

ومنهُ · يدعي بعض الناس ان المرضى يشفون بالايمان اذا دخلوا معبدًا او مزارًا فكيف يشفى الاطفال وهم لا يدركون شيئًا حتى يؤْمنوا

ج ان الذين يعتقدون ان الشفاء يكون بالايمان يعتقدون ايضاً ان ايمان الانسان يشفي غيرهُ · واذا اردتم البحث في هذه المسألة من باب علمي لا من باب ديني فايمان الانسان يؤَثر فيهِ واذا كانت آفتهُ عصبية فلا يبعد ان تشفى بايمانهِ وتعليل ذلك غير متعذر علمياً اما شفاء الطفل بايمان والديهِ فلا نرى لهُ تعليلاً علمياً الاَّ اذا كان رضيعاً وتأثر لبن امهِ من ايمانها فاثر فيهِ · ولا يبرح من بالكم ان عدم وجود دليل علمي على حدوث شيء لا ينفي حدوث ذلك الشيء ولا ينفي ايضاً ان يوجد لهُ دليل علمي في المستقبل فاذا ثبت حدوث الشفاء من زيارة مزار او استعمال علاج او شرب ماء او نحو ذلك لم تتعذر معرفة السبب ولكن ثبوت الشفاء وكونهُ حاصلاً عن هذا الامر لا عن سواهُ ليس بالامر السهل فاذا غسل ارمد عينيهِ من ماء الينبوع الفلاني فشفي من رمدهِ وكان الشفاء حاصلاً من غسلهِ عينيهِ بذلك الماء وجب ان كل ارمد مثلهُ يغسل عينيهِ بذلك الماء يشفى من رمدهِ اذا تساوت الاحوال كلها والاَّ فلشفائهِ اسباب اخرى غير الغسل بذلك الماء هذا اذا لم نعرف العلاقة السببية بين الماء والرمد

(١٤) خدمة الدين والجمهورية الفرنسوية

ومنهُ · لماذا يفضل خدمة الدين الحزب الملكي الفرنسوي على الحزب الجمهوري

ج السبب واضح وهو ان الحزب الجمهوري صادر خدمة الدين في املاكهم وضيق عليهم الخناق ومنع بعضهم من الاقامة في فرنسا وحظر على البعض الآخر التعليم وكانت الحكومة الفرنسوية تدفع الرواتب لكل خدمة الدين الكاثوليك والبروتستانت واليهود فمنعت ذلك سنة ١٩٠٥ وسلمت الكنايس واملاكها الى المجالس المحلية لتدبير شؤُونها

(١٤) تبييض السود

جمهورية دومنيكو . الخواجه حنا الياس العريان . قرأت في احد الكتب وسمعت من احد الافاضل ان الجنس الاسود يستطيع ان يبيض جسمهُ بالكهربائية فهل ذلك صحيح .

ج يقال ان اشعة اكس تبيض بشرة الزنوج او تقلل سوادها ولكن هذه الاشعة كاوية وقد تسبب آفة كالسرطان فلا نظن ان زنجيًا يختار استعمالها لتبييض بشرتهِ

(١٥) بصر الفيران والارانب

طنطا . محمد افندي كمال . هل تبصر الفيران والارانب بعيونها

ج نعم تبصر ولكن قد لا يكون بصرها حادًّا لان اكثر اعتمادها على سمعها

باب الاخبار العلمية

المعرض الفرنسوي الانكليزي

المعارض محك لارتقاء الامم في العلوم والفنون والصنائع . وقد نشأت في فرنسا اولاً فأنشئت فيها معارض كثيرة بعد سنة ١٧٩٨ آلت الى انهاض همة الانكليز لانشاء معرض عام تشترك فيهِ امم الارض فانشأوهُ سنة ١٨٥١ . ومن ثم كثرت المعارض العامة وتبارت الامم في توسيعها حتى صار العقل يحار فيها ولم يعد يستطيع ان يجني منها الثمرة المطلوبة لاتساع نطاقها

اما المعرض الحالي الذي قُصرت معروضاتهُ على ما عند امتين فقط فليس فيهِ هذا العيب على ما يقال ولعل المعارض العمومية التالية تجري مجراهُ فلا تجمع معروضات كل الامم بل معروضات امة او امتين فقط

وقد خطر لبعضهم انشاء هذا المعرض على اثر التفاهم الحبي بين فرنسا وانكلترا ليكون علامة ظاهرة لهُ . واهتمت غرفة التجارة في لندن بهذا الامر في اواخر سنة ١٩٠٥ وعرض على الحكومة الفرنسوية فاحلتهُ محل القبول ونظر فيهِ جمهور كبير من الانكليز برئاسة دوق ارجيل في يوليو سنة ١٩٠٦ فوافقوا عليهِ وقرروا ان ينفق كل ما يكتسب منهُ على عمل من الاعمال العمومية النافعة

واختير مكان لهُ في ضواحي لندن مساحتهُ ١٤٠ فدانًا يبعد عن محطة تشارنج كروس اربعة اميال فقط . وسكك الحديد والترمواي تصل اليهِ من كل ناحية وتستطيع

ان تنقل اليهِ ثمانين الف نفس في الساعة. وشرع في انشائهِ في ٣ يناير سنة ١٩٠٧ وخصص نصفهُ للمعروضات الفرنسوية والنصف الآخر للمعروضات الانكليزية فبنى الفرنسويون مبانيهم ومباني مستعمراتهم في قسمهم ووضعوا فيها مصنوعاتهم وفعل الانكليز مثلهم في القسم الآخر كأن المعرض للتنظير بين مصنوعات الامتين ونتائج عقولهما وعلومهما وتربة املاكهما. وتجد احياناً معروضات الامتين في بناء واحد وقد وضعت الواحدة تجاه الاخرى تسهيلاً للمقابلة بينهما لا بقصد المباراة بل ليستفيد كل فريق من اعمال الآخر كما في معروضات الصور والتماثيل ومعروضات العلوم المحضة وبعض هذه المباني فسيح جدًّا فان مساحة دار الآلات اكثر من سبعة افدنة

وفي المعرض نحو عشرين قصرًا تحيط بها الحدائق الغناء وسبعة اروقة كبيرة طول كل منها ٤٠٠ قدم وعرضهُ ٧٠ قدماً وفي قصر الفنون كثير من اجمل الصور واثمنها بعضها قديم وبعضها حديث وتعلم قيمتها من انها سوكرت على مليون جنيه

واضيف الى المعرض ميدان للالعاب الاولمبية وسيشترك في هذه الالعاب رجال من اثنتين وعشرين امة من امم الارض وحول الميدان مشهد يجلس فيهِ اربعون الف نفس بسهولة ويسع مئة وخمسين الف نفس وفي الميدان حوض طولهُ ٣٣٠ قدماً وعمقهُ ١٤ قدماً لاجل المباراة في الغوص والسباحة

ومباني المعرض كثيرة العدد مختلفة الاشكال والانواع وللعلم منها حظ وافر ولكن حظهُ لا يزيد عن حظ الفكاهات التافهة ان لم نقل الضارة كالتبغ مثلاً فان ست شركات من شركات السكاير عرضت معروضاتها في اماكن مختلفة منهُ ومنها شركة الرجي السلطانية العثمانية اما الآلات والادوات العلمية فلم تعرض الاَّ في بناء واحد مع ان فرعاً واحداً منها وهو فرع استخراج الاصباغ من الفحم الحجري انشأ صناعة ريعها السنوي اربعة ملايين من الجنيهات لكن المباني المتعلقة بما يبنى على العلم كالتعليم والزراعة والاقتصاد وما اشبه كثيرة. ويمتاز هذا المعرض على ما تقدمهُ من المعارض العامة بالدار التي عرضت فيها الادوات العلمية وعرضت فيها ايضاً الاساليب التي يجري عليها العلماء في بحثهم والفضل في ذلك للسر نورمن لكير والسر وليم ماذر فيرى الذين يدخلون هذه الدار نتائج بحث العلماء في البر والبحر والهواء والسماء فمدرسة منشستر الصناعية عرضت الآلات التي استعملها العالم جول في بحثهِ عن الحرارة وعما يحدث من ضغط الهواء وتلطيفهِ. ومدرسة سوث كنسنجتون العلمية الصناعية عرضت الآلات والادوات التي استعملت حديثاً في البحث عن قياس الحرارة

وضغط الهواء اي عرضت في هذه الدار اساليب البحث والقياس القديمة والحديثة وعرضت آلات التلغراف والدرجات التي رقيتها من اول انشائها الى الآن اي من سنة ١٨٣٧ الى سنة ١٩٠٨ وعرض مركوني ٣٣ اداة من ادواتهِ التي استعملها في تلغرافهِ . وقس على ذلك المصابيح الكهربائية وآلات نقل الصور بالتلغراف وفروع الكيمياء والتعدين والبيولوجيا والانثروبولوجيا والجيولوجيا والجغرافية والمتيورولوجيا والفلك فانها كلها حاوية ما يمثل تاريخ هذه العلوم

فيخلق بكل من يزور هذا المعرض من قراء المقتطف ان يدخل هذه الدار ويمعن نظرهُ في كل ما فيها وهي الى يسار الداخل عند اول المعرض حيث يتسع مجالهُ

بركان سافاي

ثار بركان في جزيرة سافاي من جزائر ساموى في العاشر من شهر مايو الماضي ثوراناً عظيماً جدًّا وجعلت المواد المصهورة تخرج منهُ بمعدَّل ثلاثة آلاف طن في الثانية من الزمان وتجري الى البحر نهرًا يختلف عمقهُ من نصف قدم الى ست اقدام وعرضهُ ثمانية اميال ولما بلغ البحر سخن ماؤُهُ وصعد عنهُ بخارٌ كثيف وقد خرَّبت الحمم كثيرًا من بيوت السكان وتهددت مدينة متاتوى بالدمار

القيراط المتري

تهتم حكومة فرنسا الآن بتغيير عيار الماس من القيراط العادي الى قيراط يساوي عشري الغرام او مئتي مليغرام والظاهر ان المانيا واسبانيا و بلجكا موافقة على ذلك

الهاليوم

الهاليوم عنصر غازي كشف حديثًا وهو قليل جدًّا في المواد التي يوجد فيها وقد بيَّن الاستاذ سترت الآن انهُ يوجد في كل المواد التي في قشرة الارض ففي كل كيلو غرام من الحجر المعروف بالسمركيت نحو ١٢ سنتمترًا مكعباً منهُ واذا زاد عن ذلك فيكون في المادة عنصر الثوريوم الاَّ الزبرجد فان الهاليوم يوجد فيهِ بكثرة وليس فيهِ شيءٌ من الثوريوم

مصارف العاصمة والصحة

اتفقت الآراء الآن على انشاء المصارف للقاهرة بعد ان وافقت الدول الاوربية على زيادة عوائد الاملاك من ثمانية في المئة الى عشرة حتى يسهل الانفاق على انشاء المصارف وحفظها ومتى تم انشاؤُها فالمظنون ان الصحة العمومية تجود في القاهرة وتقل الوفيات فيها ولكن انشاء المصارف وحدهُ لا يكفي لان معدل الوفيات بين الاوربيين سكان العاصمة قليل جدًّا كما هو في المدن الاوربية

الحسنة المصارف فلو كان سائر السكان يجرون مجراهم في معيشتهم والاعتناء بصحة اطفالهم وتنظيف بيوتهم وما حولها لقل معدل وفياتهم وصار مثل معدل وفيات الاور يبين ولو لم تصنع المصارف وذلك لا ينفي فائدة المصارف ولكنهُ يدل على ان الفائدة الكبرى تأتي من التعليم والتهذيب واصلاح احوال المعيشة كلها وتربية الناس على حب النظافة في اجسامهم وبيوتهم وشوارعهم وفي نفوسهم ايضاً

طول العمر

وُجد في درج من دروج البردي المصرية كتابة عن لسان شيخ هرم بلغ مئة وعشر سنوات من العمر وهو يندب نفسهُ لان بصرهُ ضعف ولم يعد جسمهُ يغتذي كما يجب. ومنذ عهد قريب نشر المسيو بونيون قنصل فرنسا في الموصل كتابات نقلها بيدهِ عن الآثار البابلية وبينها كتابة للملكة ميمونا دمكا ام الملك نبونيدوس آخر ملوك بابل وقد قالت فيها ان معبودها سن (القمر) رفع رأسها وجعل لها اسماً عظيماً بين شعبها واطال عمرها سنين كثيرة من عهد اشور بنيبال ملك اشور الى السنة التاسعة من ملك ابنها نبونيدوس ملك بابل مئة سنة واربع سنوات قالت ولا تزال عيناي سليمتين ويداي ورجلاي على تمام الصحة والنشاط وكلامي واضحاً وانا آكل واشرب على جاري عادتي . ويقال في كتابة اخرى انها توفيت في السنة التاسعة من ملك ابنها اي بعيد تلك الكتابة

مجمع البحث عن السرطان

انشأ الالمانيون مجمعاً للبحث عن داء السرطان وعلاج المصابين بهِ وسيكون مقرهُ في مدينة برلين وينشر نشرة عمومية يضمنها كل ما يقف عليهِ بالبحث والاستقصاء وقد اشترك فيهِ العلماء من ثلاث عشرة امة

المجمع الزراعي العام

فتح المجمع الزراعي العام في ايطاليا في ٢٣ مايو بحضور الملك وحضر افتتاحهُ سبعة من وزراء ايطاليا وثلاثون من نواب الدول . والبناء الذي يعقد فيهِ هذا المجمع هبة من ملك ايطاليا وقد وهبهُ ايضاً ريعاً سنوياً يساوي ١٢٠٠٠ جنيه وهذا يجعل دخلهُ السنوي ٤٠٠٠٠ جنيه وستعود مباحثهُ باكبر فائدة على علم الزراعة

نقل الصور بالتلغراف

لم يكد الدكتور كورن يتقن طريقتهُ لنقل الصور بالتلغراف حتى قام كثيرون غيرهُ واستنبطوا طرقاً اخرى لنقل الصور بالتلغراف ومنها ثلاث طرق وصفت في

اجتماع جمعية الطبيعيات الفرنسوية الذي وقع في شهر ابريل الماضي وكلها لا تستعمل السلينيوم بل تكتفي ببعض الحيل الميكانيكية لجعل الاشارات الكهربائية تفعل بالنور ثم باللوح الحساس لتحكيم الضوء عليهِ

الذهب في شرقي السودان

وصف بعضهم مناجم الذهب التي رآها في شرقي السودان على مسيرة ثمانية ايام من سواكن في مكان يسمَّى جبب وهي اسراب طويلة تحت الارض تدل الآثار الباقية فيها على ان الذهب كان يستخرج منها في بداءة التاريخ المسيحي فكانت الحجارة التي فيها الذهب تُسحق في الهواوين ثم يصوَّل الذهب منها بالماءِ

عدد النجوم

يظهر من مقالة لمسيو بول ستروبان ان عدد نجوم السماء التي يمكن تصويرها حتى تقرب من القدر الرابع عشر هو نحو عشرة ملايين نجم ومن المحتمل ان يزيد هذا العدد متى نشرت كل الخرائط الفوتوغرافية التي صورت بها اجزاء السماء

النظارة الكبرى

ان النظارة التي صنعها لورد روص سنة ١٨٤٢ ونصبها في ارلندا هي اعظم النظارات التي صنعت حتى الآن لان قطر مرآتها ست اقدام ولكنها لم تستعمل طويلاً وقد اهملت الآن تماماً لانها غير متقنة. ثم صنعت نظارة يركس باميركا وقطر بلورتها اربعون بوصة ولا تزال اكبر النظارات الكاسرة. وقد نصب الاميركيون الآن نظارة عاكسة قطر مرآتها ست اقدام واتقنوا صنعها غاية الاتقان ومع ان ثقلها عشرون طناً تدار بالسهولة التامة الى اي جهة اردت والنور ينعكس عن مرآتها الى مرآة صغيرة امامها وعن هذه الى مرآة اخرى مائلة على زاوية ٤٥ درجة فتنعكس عنها الى زجاجة العين في غرفة الى جانب النظارة. وقد نصبت هذه النظارة في مرصد مدرسة هارفرد الجامعة لكي تستعمل لتصوير الاجرام السموية وقياس نورها والمظنون انها تكفي لرؤية النجوم التي من القدر السابع عشر او الثامن عشر او ما وراءه

قطرنة الشوارع

تزداد الادلة يوماً فيوماً على ان قطرنة الشوارع من خير الوسائل لحفظها ومنع الغبار منها وتقليل نفقات رشها ويجب ان يصبَّ القطران عليها بعد ان ترصف وتمهد جيداً وتدوسها الاقدام مدة حتى ينعم سطحها وتخشن دقائقهُ بامتلاء مسامهِ. ويقال انهُ يتوفر بقطرنة الشوارع خمسون في المئة من نفقات حفظها ورشها وترميمها

فهرس الجزء السابع من المجلد الثالث والثلاثين

٥٤٥ السرجون افانس

٥٤٩ تأبين السر جمس نولس

٥٥٢ اكبر الساعات

٥٥٣ الشيخ ابرهيم اليازجي اللبناني . للاستاذ عيسى افندي اسكندر المعلوف

٥٥٩ اسلوبنا في التعريب

٥٦٦ اساليب العرب في التعريب

٥٦٩ الدولة العباسيَّة

٥٧٦ الرمد الحبيبي . للدكتور عبد العزيز العجيزي

٥٨٦ صدى النفوس . للدكتور شميل

٥٩٠ أَفي الامكان كشف السر عن اصل الانسان . للدكتور امين بك ابو خاطر

٥٩٢ تأبين قاسم بك امين

٥٩٦ سكك الحديد والتلغرافات

٥٩٩ اسباب الاحتلال البريطاني

---

٦٠٣ باب المراسلة والمناظرة * حل الغرائب الحسابية . العادات . الناطقون بالضاد

٦٠٦ باب الزراعة * الليمون الحامض . القطن الاميركي . القطن في جزائر الهند الغربية . شجر المخو . ضريبة الزيتون

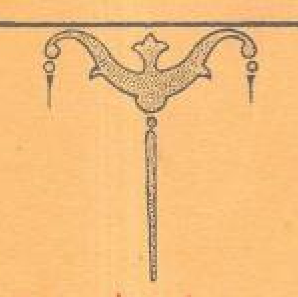
٦١٣ باب التقريظ والانتقاد * المجد . فلسفة العمر . لويزا بروكتر . مؤْنس الجلاس

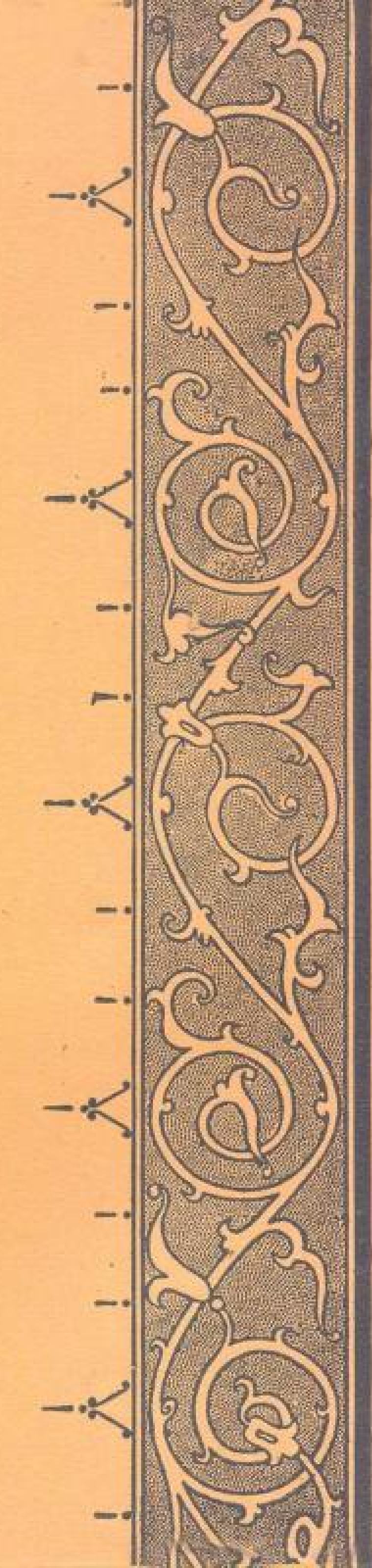
٦١٥ باب المسائل * اكل اللحم في البلدان الحارَّة . الزوجة اكبر من الزوج . الشيب الباكر . تربية الخنازير . الكتب المفيدة في العربية . البردة . شعبة سكة دمشق . تجديد العمر . اول بناءِ . دوران الارض حول الشمس . الشفاء بالايمان . خدمة الدين والجمهورية الفرنسوية . تبييض السود . بصر الفيران والارانب

٦١٩ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ١٣ نبذة

رواية فتاة الفيوم ملحقة بالمقتطف







مستقبل العمران

الحب : لادلر

العلم : لهكسلي

التعليم : لولز

الاسرة : لرسل

الاقتصاد : لتشايس

رجال الشهر

غازوورذي ، غاندي ، سايس ، صديق بك

الازمة الاقتصادية

واشتباك المصالح الدولية

الفرد رسل ولس



نشان داروِن وولس

المقتطف

الجزء الثامن من المجلد الثالث والثلاثين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٤ رجب سنة ١٣٢٦

عيد دارون وولس

مضى خمسون عاماً من حين اشهر دارون وولس مذهبهما المعروف وهو نشوء انواع الاحياء بعضها من بعض بالانتخاب الطبيعي فعيدت الجمعية الينيوسية عيداً حافلاً تذكاراً لذلك في اول يوليو الماضي وقد وصفته جريدة ناتشر قالت ما خلاصته

في اول يوليو سنة ١٨٥٨ قدم المستر تشارلس ليل والدكتور جسن هوكر مقالة الى جمعية لينيوس موضوعها « ميل الانواع الى تكوّن تنوعات وحفظ التنوعات والانواع بواسطة الانتخاب الطبيعي » وهي للمستر تشارلس دارون والمستر الفرد ولس . وتاريخ هذه المقالة معروف لدى كل دارسي علم البيولوجيا فان دارون كان قد اخذ منذ سنوات كثيرة يدرس الانتخاب الطبيعي وتأثيره في اصل الانواع وكان كثيرون من اصدقائهِ يعلمون آراءه وما وصل اليهِ بالبحث ولكنهُ كان يستنكف من اشهارها وكان لا يزال يشتغل بجمع الادلة والشواهد واذا بمقالة بعثها اليهِ ولس موضوعها ميل التنوعات الى الابتعاد عن الاصل الذي اشتقت منهُ وفيها آراؤه ونتائج مثل الآراء والنتائج الذي وصل اليها . فقرأها وارسلها الى المستر تشارلس ليل حسب طلب مؤلفها . وكان ولس قد طلب ايضاً ان تنشر تلك المقالة باسرع ما يمكن . واشار اصدقاء دارون عليهِ حينئذٍ ان يكتب خلاصة مباحثهِ في مقالة اخرى وتنشر المقالتان في وقت واحد فتليت خلاصتهما في جمعية لينيوس وكان ذلك بدء الثورة العلمية التي يعجز القلم عن وصفها

واجتمع المحتفلون في اول يوليو الماضي في قاعة المهندسين الملكيين بوستمنستر وكان عددهم نحو ثلثمئة وخمسين ورحّب الدكتور سكوت رئيس الجمعية بهم بخطبة وجيزة ثم اهدى

نشان دارون وولس الذي رسمناهُ في صدر هذا الجزء الى ممثلي علم البيولوجيا الذين اختيروا لهذا الاكرام وهم الدكتور الفرد رسل ولس نفسهُ والسر جوزف هوكر والاستاذ ارنست هيكل والاستاذ ادورد ستراسبرجر والاستاذ اوغسط ويسمن والدكتور فرنسيس غالتون والسر راي لنكستر. والنشان الذي أعطي الدكتور ولس من الذهب وبقية النياشين من الفضة وكلّم الرئيس كل واحد من الذين منحوا هذه النياشين بما يصلح لهُ وذكر المزايا التي امتاز بها

وتكلم الدكتور ولس في الجواب عن الخطبة التي وُجهت اليهِ فاشار الى العلاقة التي كانت بينهُ وبين دارون وعن نصيب كلٍ منهما من مذهب النشوء او الانتخاب الطبيعي وبيَّن ان هذه الفكرة اي فكرة الانتخاب الطبيعي خطرت على بال دارون قبلما خطرت على بالهِ بعشرين سنة وانها خطرت على بال الاثنين لانهما كانا كلاهما يبحثان على اسلوب واحد. في صباهما كانا يهتمان بجمع الحشرات ولذلك اضطرَّا ان يريا ما بينها من الاختلاف وان يبحثا عن سبب ذلك ثم لما كبرا عكفا كلاهما على السياحة وجمع الامثلة الطبيعيَّة ومراقبة احوالها وذلك في اغنى بلدان الدنيا بالحيوانات والنباتات فلم يكن لهما بدٌّ من مراقبة تأثير الاقليم في تلك الاحياء واختلافها باختلاف اماكنها ونحو ذلك من الامور المتعلقة بها واخيرًا لما كان عقلاهما قد أُفعما بهذه المعلومات وبما فيها من الغرائب التي يصعب حلها اتجه فكراهما الى الاسلوب الذي اوضحهُ ملثوس لمنع زيادة السكان فكان ذلك بمثابة الفرك على عيدان الفصفور فاظهرا منها نورًا هداهما الى الناموس البسيط الشامل لكل ما في الكون ناموس بقاء الاصلح الذي هو السبب الفعَّال لدوام التغيير والتطبيق بين الاحياء كلها

واشار السر جوزف هوكر في خطبتهِ الى ما جعل دارون يوافق على رأي اصدقائهِ وهو نشر آرائهِ وآراء ولس في مقالة واحدة في الجمعيَّة اللينيوسيَّة قال ولما تليت المقالة كان دارون مريضًا بالحمَّى القرمزيَّة وكانت الدفتيريا منتشرة في عائلتهِ وكان الاجتماع الذي تليت فيهِ آخر اجتماعات ذلك الفصل ولو لم تُتلَ فيهِ لأُخرت الى فصل آخر. وقد تلاها سكرتير الجمعيَّة وتكلم السر تشارلس ليل والدكتور هوكر فبينا اهميتها ولكن لم يتباحث الاعضاء فيها لان موضوعها كان جديدًا عليهم وهو عقبة كؤود لا يسهل على المرء التصعيد فيها من غير ان يأخذ اهبتهُ ولاسيما في ذلك العصر

ولم يستطع الاستاذ هيكل ولا الاستاذ ويسمن الحضور لكنهما انابا عنهما من استلم نيشانيهما. وارسل الاستاذ هيكل خطبة وجيزة بيَّن فيها اهمية الانتخاب الآلي ووصف المتحف الذي انشأهُ في مدرسة ينا الجامعة. وتكلم الاستاذ ستراسبرجر عن تأثير المذهب الداروني

في مباحثهِ ومباحث هيكل . واسهب السر راي لنكستر في خطبتهِ واشار الى نصيب هكسلي من المجادلات التي دعا اليها مذهب داروِن وولس وقال ان اصول هذا المذهب لا تزال راسخة تمام الرسوخ وكل ما وُجّه اليها من الانتقاد والتمحيص زادها ثبوتاً ورسوخاً وقيمةً في عيون العلماء

وكان في هذا الاجتماع نواب عن المدارس الجامعة في اكسفرد وكمبردج وسنت اندروز وغلاسكو وابردين وادنبرج ودرهم ولندن ومنشستر وويلس وبرمنام ولفربول وليدس وشفيلد ونتنام وبرستل . وعن كل الجمعيات العلمية والفلسفية اي انهُ كان حاوياً نخبة علماء الانكليز كثيرين من نخبة العلماء الاوربيين . وتكلم الدكتور فرنسيس داروِن والسر شلتون دير ونيابةً عن المدارس الجامعة والاستاذ لنبرج والسر ارتشبلد غيكي نيابةً عن الجمعيات العلمية . وختم لورد افبري الاحتفال بخطبة نفيسة كان لها اعظم وقع في النفوس لانهُ كان صديقاً حميماً لداروِن فوصفهُ كما كان يراهُ في بيتهِ وبين كتبهِ ونباتاتهِ ومما ذكرهُ ان البستاني الذي كان يعتني بحديقة داروِن كان يشفق عليهِ لان ليس لهُ عمل يشغلهُ فيقضي وقتهُ ماشياً في الحديقة مراقباً ازهارها

هذا وقد ولد الدكتور ولس في اوائل سنة ١٨٢٢ فهو الآن في السادسة والثمانين من عمرهِ ولا يزال يبحث ويؤلف ويجادل ويناضل وقد كتب تاريخ حياتهِ ونشرهُ سنة ١٩٠٥ وقال فيهِ انهُ تعلم اولاً ليكون مهندساً مساحاً وبنّاءً واشتغل في ذلك الى ان صار عمرهُ ٢٣ سنة ثم انقطع للبحث في التاريخ الطبيعي فاقام اربع سنوات على ضفاف الامازون في اميركا الجنوبيَّة وثماني سنوات في جزائر ملقا وجمع مجموعات حيوانيَّة كبيرة جدًّا واوصلهُ بحثهُ وهو هناك الى القول بالنشوء بواسطة الانتخاب الطبيعي من غير ان يكون عارفاً ان داروِن يبحث هذا البحث ووصل الى هذه النتيجة . والف مؤلفات كثيرة في المواضيع الطبيعيَّة وهو الواضع لعلم توزع الحيوانات الجغرافي ومن مؤلفاتهِ المشهورة اسفارهُ في الامازون . ونخل الامازون . وارخبيل ملقا . ومذهب الانتخاب الطبيعي . وتوزع الحيوانات الجغرافي . والطبيعة في البلدان الاستوائيَّة . واسفار الازيا . والحياة في الجزائر . والمذهب الداروني . ومقام الانسان في العالم . والقرن الغريب . ولهُ مباحث في السبرتزم تدل على انهُ من المصدقين بوجود الارواح ومن الذين تخدعهم حيل المشعوذين كما ترى في مقالة اخرى في هذا الجزء . وقد الف في العام الماضي كتاباً موضوعهُ هل يمكن السكن في المريخ (Is Mars Habitable) اثبت فيهِ بادلة كثيرة ان المريخ لا يسكن

اسباب الاحتلال البريطاني

(٥)

بدأ لورد كرومر الفصل الحادي عشر من كتابهِ بكلام قالهُ السرجون بوننغ سنة سنة ١٨٤٠ ومفادهُ ان السلطة في القطر المصري بيد الاتراك ولو كان عددهم قليلاً . ثم قال ان الامر بقي كذلك الى سنة ١٨٨١ ولو زاد عدد المصريين في مناصب الحكومة وكانت الزيادة كثيرة في ضباط الجيش حتى ضعف شأن البقية الباقية من الاتراك والشراكسة

ثم ان كثيرين من الضباط الذين احيلوا على الاستيداع سنة ١٨٧٨ كانوا مصريين فعلت الشكوى من هذا القبيل وزادت لان المساعي التي بُذلت لاصلاح شؤُون الادارة لم يبذل شيء منها لاصلاح شأن الجنود وضباطهم فاعربوا عن شكواهم بعريضة رفعها اثنان منهم الى رياض باشا في ١٥ يناير سنة ١٨٨١

وكان بين الضباط الشاكين رجل اسمهُ احمد عرابي كان امير الالاي الرابع من المشاة فتصدَّر في هذه الحركة ولكن المحرك الاول لكتابة العريضة كان الامير الاي علي بك فهمي وكانت اورطتهُ مرموقة بعين الرضا الخاص من الجناب الخديوي وكان لها حراسة سراي عابدين ولكن فترت مودة الخديوي لهُ قبل ذلك . واهالي مصر يحسبون ان مَن تفتر محبة رئيسهِ لهُ فهو في خطر مبين ولذلك اخذ علي بك فهمي يهتم بتعضيد مركزهِ فجاهر انهُ مضى الزمن الذي كان الضباط المصريون يعاملون فيهِ سوء المعاملة ويرفتون او ينفون من غير ان يسأل احد عنهم واستخدم هذه المجاهرة لتعضيد مركزهِ

ومدار العريضة المشار اليها آنفاً على الشكوى من ناظر الحربيَّة عثمان باشا رفقي لانهُ ظلم الضباط المصريين في امر الترقي فعاملهم كأنهم اعداؤُهُ او كأن الله ارسلهُ لينتقم من المصريين . وكان بعض الضباط قد رُفتوا من غير تحقيق قانوني فطلب مقدما العريضة امرين الاول عزل ناظر الحربيَّة لانهُ غير اهل لهذا المنصب والثاني البحث عن استحقاق الذين ترقوا من الضباط لانهُ لا شيء يجب ان يؤَهل الضابط للترقي الاَّ علمهُ واستحقاقهُ . قالوا ونحن من هذا القبيل احق بالترقي من الذين ترقوا . وكان رياض باشا يجهل نظام العسكرية فحاول ان يقنع اللذين قدماها لهُ ليسترجعاها ووعدهما بانهُ يحقق الشكاوي المذكورة فيها وامهلهما اسبوعين في استردادها . وعرف الضباط ان الخديوي والاتراك الذين يحيطون بهِ نظروا الى

العريضة بعين السخط واخبر رياض باشا ان تهاونهُ بهذه المسألة اوقع الشك في نفس الخديوي من قبلهِ ولذلك رأى ان لا بد لهُ من الفصل فيها فعرضها على مجلس النظار الذي التأم برئاسة الخديوي في ٣٠ يناير وقد مُنع السر اكلند كولفن والمسيو ده بلنير من حضور تلك الجلسة وهذا عين الخطإ · فرفض المجلس اجابة طلب الضباط رفضاً باتاً واجمع على محاكمة ثلاثة منهم في مجلس عسكري وهم الاميرالاي محمد بك عرابي والاميرالاي علي بك فهمي والاميرالاي عبد العال بك ثم ينظر في شكاويهم وصدر الامر بذلك وبموجبهِ دعي الضباط الثلاثة الى نظارة الحربيَّة في اول فبراير

ومن مزايا الحكومة المصرية انهُ لا يكتم فيها سرٌّ فبلغ الضباط ما قرَّ عليهِ مجلس النظار فدبروا التدابير اللازمة ومفادها انهُ اذا لم يرجع الضباط من نظارة الحربية بعد ساعتين من ذهابهم اليها فالالايات تتبعهم وتنقذهم بالقوة وأُرسلت الاخبار الى الالاي المقيم في طره ليكون على استعداد

ودعي الضباط الثلاثة الى نظارة الحربيَّة بدعوى النظر في الاحتفال الذي يراد اقامتهُ لزواج احدى الاميرات فحضروا ولما وصلوا اوقفوا وابتدأَت محاكمتهم وبينما كانت المحاكمة جارية هجمت الجنود على نظارة الحربيَّة ودخل ضباطهم الغرفة التي فيها المجلس العسكري واهانوا ناظر الحربيَّة واتلفوا الاثاث وانقذوا ضباطهم وساروا بانتظام الى سراي عابدين وطلبوا من الخديوي ان يعزل ناظر الحربيَّة فاجتمع النظار حالاً حول الخديوي هم وبعض كبار الموظفين واشار بعضهم بمقاومة القوة بالقوة ولكن كانت روح التمرُّد قد انتشرت في الجيش كلهِ الاَّ في الارطة المقيمة في العباسية ولذلك فمقاومة القوة بالقوة ضرب من المحال· فاستدعى الخديوي اولئك الضباط واخبرهم انهُ عزل عثمان باشا رفقي وعيَّن محمود باشا البارودي ناظرًا للحربية بدلاً منهُ · فسرُّوا بهذا التعيين وانصرف الجنود وسادت السكينة وتُرك الضباط في مناصبهم فطلبوا مقابلة الخديوي وطلبوا منهُ العفو عمَّا صدر منهم واكدوا لهُ صدق ولائهم فعفا عنهم

هذا هو التمرُّد الثاني وقد نشأ كما نشأ التمرُّد الاول من شكاوى صحيحة لم يلتفت اليها. والظاهر ان الخديوي نفسهُ مسؤُول عما جرى من سوء التدبير فانهُ كان يجب عليهِ اما ان يضم اليهِ قوة تكفي لسحق المتمردين وإما ان يراضي الضباط قبلما يلجأُون الى التمرد ولكنهُ لم يفعل هذا ولا ذاك · اما الاسلوب الذي جرى عليهِ وهو خدع الضباط وقصاصهم من غير قوة يعتمد عليها في اجراء مقاصدهِ فابعد الاساليب عن الصواب

ورسخ في عقول الضباط والجنود حينئذٍ انهم ينالون كل ما يطلبونهُ اذا طلبوهُ بعزيمة والاَّ تمردوا وثاروا وهذا هيأهم للتمرد الثالث . وظهر حينئذٍ كأن ثورة الافكار خمدت ولكن النار كانت مخبوءة تحت الرماد من الطرفين فالخديوي ونظارهُ كانوا يخافون ان يحلوا الالايات التي اظهرت روح التمرد او ان يبعدوها عن العاصمة والضباط كانوا يخافون سوء العاقبة ولو ظهر ان الفوز كان لهم حينئذٍ فانهم كانوا يعتقدون ان الخديوي يغتنم اول فرصة لمعاقبتهم . وكانت نقمتهم على رياض باشا اشد من نقمتهم على الخديوي واخذوا يسعون في قلب الوزارة بالدسائس وساعدهم البارون ده رنج قنصل فرنسا الجنرال في سعيهم هذا فزاد حرج الموقف وطلب رياض باشا ان يعفى من منصبهِ ولكنهُ أُقنع بالبقاء فيهِ . واخيراً كتب الخديوي الى رئيس الجمهورية الفرنسوية يشكو من تصرف البارون ده رنج فاستدعتهُ حكومتهُ من مصر . واستدعى الخديوي كبار الضباط واعرب لهم عن ثقتهِ برياض باشا واثنى عليهِ ثناء كثيراً . وكانت رواتب الضباط والمستودعين قد زيدت واعلن الخديوي انهُ من ذلك الوقت فصاعداً تكون معاملة الضباط كلهم على طريقة واحدة سواء كانوا من الاتراك او الشراكسة او المصريين

فهذه الوسائل اصلحت مركز الوزارة ولكن الضباط لم يأْمنوا جانبها لانهم لم ينسوا عهد اسمعيل باشا . وزاد الخلل يوماً فيوماً فعُيِّنت لجنة للنظر في شكاوي الجيش وكان عرابي من اعضائها فكلَّم ناظر الحربيَّة كلاماً ثقيلاً

وفي شهر يوليو صدمت مركبة رجلاً من رجال المدفعيَّة في احد شوارع الاسكندرية وقتلتهُ فحملهُ رفاقهُ الى سراي الخديوي ودخلوها عنوة فحوكموا وحكم على زعمائهم . وفي نحو ذلك الوقت اشتكى تسعة عشر ضابطاً من الاميرالاي عبد العال ففحصت الشكوى ووجدت باطلة فرفت الضباط من الخدمة لكن الخديوي ردهم الى مناصبهم فاستاء امراء الالايات من ردهم وقالوا ان الخديوي قصد بذلك ان يضعف سلطتنا على الضباط الذين تحتنا . ثم عزل الخديوي ناظر الحربيَّة محمود باشا البارودي وعين داود باشا بدلاً منهُ فاغتاظ الضباط من ذلك . ولم يكن اعضاء النظارة على اتم الوفاق بعضهم مع بعض ووقع الخلاف بين رياض باشا والمسيو دوبلنير وشاع ان الخديوي عازم على اعفاء رياض باشا وتنصيب شريف باشا بدلاً منهُ الاَّ ان رياض باشا كان واثقاً ان الامور كلها جارية على ما يرام

قال السر ادورد ملت ان الخديوي والنظار كانوا يحسبون ان الامور كلها جارية على ما يرام وشاع حينئذٍ ان الخديوي استفتى شيخ الاسلام في قتل الضباط لانهم خانوهُ وهي اشاعة كاذبة لا اصل لها ولكن الناس صدقوها وجعلت شيخ الاسلام في مركز حرج .

ويقال ان الجواسيس كانوا مبثوثين حول بيوت امراء الالايات وفي ٨ سبتمبر اتى رجل الى بيت عرابي وطلب الدخول اليهِ فلم يأذن لهُ ثم ظهر انهُ ذهب الى المحافظة فرسخ في عقل عرابي ان المراد اغتيالهُ فذهب الى رفيقيهِ فوجد انهما في خوف من الاغتيال مثلهُ

وفي اليوم التالي أُمر الالاي الثالث بمغادرة القاهرة الى الاسكندرية فثار الجنود وجاء عرابي بالفين وخمس مئة من رجالهِ و١٨ مدفعاً الى ساحة عابدين وكان الخديوي في سراي الاسمعيلية فاستدعى السر اكلند كولفن اليهِ واخبرهُ بواقعة الحال واستشارهُ في ما يفعل فقال السر اكلند اني اشرت عليهِ ان يستدعي الالايين اللذين قال رياض باشا انهما باقيان على ولائهِ ويجمع كل قوة البوليس التي يمكن جمعها ويحضر بالجميع الى سراي عابدين ويقبض على عرابي فقال لي ان الطوبجية والفرسان مع عرابي ومن المحتمل انهُ يأمرهم باطلاق النار. فقلت لهُ ان عرابي لا يتجاسر على ذلك وانهُ اذا استطاع ان يفعل كما قلت لهُ فالمرجح انهُ يقمع هذه الثورة حالاً والاَّ قضي الامر . وكان ستون باشا حاضراً فصادق على ما قلتهُ وحضر السر تشارلس كوكسن فوافق على ما قلتهُ ايضاً ثم عاد الى الوكالة البريطانية وارسل تلغرافاً بما حدث الى الحكومة الانكليزية. وتبعت الخديوي انا والنظار وخمسة او ستة من الضباط المصريين وستون باشا فذهبنا اولاً الى قشلاق عابدين لحلف الالاي الذي فيهِ يمين الطاعة ثم سرنا الى القلعة ورأينا الالاي الذي فيها وبلغنا انهُ كان يخابر مع الالاي الذي في العباسية بالاشارات وهو الاي عرابي وقال الخديوي انهُ عازم على الذهاب الى العباسية فحثثتهُ على العودة الى عابدين بالالاي الذي في القلعة لكنهُ فضَّل الذهاب الى العباسية اولاً ففعل ووجدنا ان عرابي كان قد سار بالايهِ فعاد الخديوي الى سراي عابدين ودخلها من باب جانبي. ولما وصلنا نزلتُ من مركبتي وحثثتهُ لكي لا يدخل السراي بل يذهب الى الساحة توًّا ففعل ومشينا الى الساحة ووراءنا اربعة او خمسة من الضباط الوطنيين وستون باشا وضابط او اثنان من الضباط الاوربيين وكانت الجنود قد اصطفت في الساحة كلها فمشى الخديوي بقدم راسخة الى جماعة من الضباط كانوا في وسطها بعضهم مشاة وبعضهم فرسان فقلت لهُ مر عرابي حينما يقف بين يديك ان يعطيك سيفهُ ثم مرّ على الجنود وكلّم كل الاي على حدتهِ ومرهُ بالانصراف. وتقدم عرابي من الخديوي وهو على ظهر جوادهِ فامرهُ الخديوي ان يترجَّل عنهُ فترجَّل ودنا من الخديوي ماشياً ومعهُ غيرهُ من الضباط وحرس حرابهُ في بنادقهِ وسلّم فقلت للخديوي الآن هي الفرصة المناسبة فقال ان النار تحيط بنا من الجهات الاربع فقلت لهُ تشجّع . فكلّم ضابطاً وطنياً واقفاً الى يسارهِ ثم قال لي ماذا افعل فاننا

بين اربع نيران فيقتلوننا · لكنهُ امر عرابي ان يغمد سيفهُ فاطاع امرهُ فسألهُ ما معنى هذا العمل فاجاب ان الجيش جاء الى هنا باسم الشعب المصري طالباً ثلاثة امور ولا ينصرف الا بعد الحصول عليها · فالتفت الخديوي اليَّ وقال اسمع ماذا يقول · فقلت لهُ لا يليق بخديوي مصر ان يبحث مع ضباط جيشهِ في هذه المسائل · واشرت عليهِ ان يرجع الى السراي ويتركني لاكلمهم ففعل وبقيت انا مع الضباط نحو ساعة الى ان وصل السر تشارلس كوكسن وبيَّن لهم خطارة الموقف الذي هم فيهِ وحثهم على الرجوع بجنودهم قبل فوات الفرصة"

اما المطالب الثلاثة التي اشار اليها السر اكلند كولفن فهي اولاً عزل الوزارة الحاضرة وثانياً منح البلاد مجلس نواب وثالثاً زيادة عدد الجيش حتى يبلغ ١٨٠٠٠

وبعد الاخذ والرد وافق الخديوي على عزل الوزارة ومنح الطلبين الآخرين اذا وافق الباب العالي على ذلك · فرضي عرابي ووقع الخلاف على من يعين رئيساً للنظار فان الخديوي ذكر اسماً او اسمين فلم يوافق عرابي ورفاقهُ عليها واخيراً قال الخديوي انهُ يعين شريف باشا فوافق الجميع على ذلك وصرخ الجنود ليعش افندينا وطلب عرابي ان يؤْذن لهُ في مقابلة الخديوي واظهار طاعتهِ لهُ فاذن لهُ ولسائر امراء الالايات في ذلك وعاد الجنود الى قشلاقاتهم على تمام الانتظام

ولم يكن اقناع شريف باشا بقبول الوزارة بالامر السهل لانهُ قال انهُ لا يقبل وزارة دعاهُ اليها جند متمرّد واجتهد السر تشارلس كوكسن والمسيو سينكفنس (قنصل فرنسا الجنرال) والسر اكلند كولفن حتى اقنعوهُ بقبول الوزارة ولكنهُ اشترط اولاً ان تذهب الآلايات الى الاماكن التي أُمرت بالذهاب اليها فرفض الضباط ذلك ورفض شريف باشا تشكيل الوزارة

وكان عرابي قد استدعى اعضاء مجلس الاعيان فلما حضروا الى العاصمة مضوا الى شريف باشا وتوسلوا اليهِ ان يقبل الوزارة وهم يضمنون لهُ ان الجنود تطيع اوامرهُ طاعة تامَّة · فهذا ادهش الضباط واضطرَّ عرابي ورفاقهُ ان يظهروا الخضوع التام لشريف باشا مشترطين شرطين فقط وهما ارجاع محمود باشا سامي الى منصبهِ واجراء القانون العسكري الذي اقرَّت عليهِ اللجنة حديثاً · ولم يقبل شريف باشا بهذين الشرطين الا بعد عناء كثير وحفظ لنفسهِ الحق بان يزيد عدد الجيش الى ١٨ الفاً او لا يزيدهُ

الحرير الصناعي

رأينا منذ مدة نسيجاً يشبه الحرير في شكلهِ وملمسهِ ويفوقهُ في لمعانهِ حتى لقد تظن الاصفر منهُ خيوطاً ذهبية منسوجة معهُ · ولم نكد نمعن نظرنا فيهِ حتى قلنا انهُ ليس حريراً واثبتنا ذلك بحرق بعض خيوطهِ فاحترقت ولم تفح منها رائحة الحرير المحروق وهي كرائحة الصوف المحروق او اللحم المحروق مع ان الذي باعهُ باعهُ حريراً والتي اشترتهُ اشترتهُ حريراً ثم فصلتهُ وخاطتهُ ثوباً لها · ولم تمضِ عليهِ الاَّ اسابيع قليلة حتى بليت خيوطهُ اللامعة وتلاها ما بعدها فضاع فيهِ ثمنهُ واجرة خياطتهِ · ومن المحتمل ان كثيرين من الباعة يبيعون الحرير الصناعي كانهُ حرير طبيعي فيخدعون المشتري ويأخذون امواله غشاً فرأينا ان نثبت هذه المقالة لعلها تنقذ قرَّاءها من مثل هذا الخداع وتوقفهم على حقيقةٍ في الوقوف عليها فائدة وفكاهة

قال المسيو رومير الطبيعي الفرنسوي منذ سنة ١٧٣٤ ان الحرير خيوط من صمغ طبيعي جفَّ وصلُب فيمكن تقليده باخراج مادة صمغيَّة من ثقب دقيق حتى تخرج خيوطاً دقيقة وتجف فتصير خيوطاً متينة كالحرير · ولكن هذا القول طُرح في زوايا النسيان ولم يُلتفت اليهِ الاَّ بعد مرور ١٢٠ عاماً ففي سنة ١٨٥٥ نال بعضهم امتيازاً في البلاد الانكليزية لعمل خيوط دقيقة من السلولوس اي مادة الخشب فانهُ كان يذيب الالياف المستخرجة من قشر قضبان التوت في الالكحول والايثير ويمزج مذوبها بمذوب الصمغ الهندي ويخرج خيطاً دقيقاً من هذا المزيج ويلفهُ على وشيعة فيكون منهُ خيط دقيق كالحرير · ومن ثم تعددت الاساليب لعمل هذه الخيوط واكثر الاختلاف بينها قائم في كيفيَّة استخراجها لا في كيفيَّة عمل المزيج الذي تستخرج منهُ اي ان الاساليب كانت آليَّة لا كيماوية

وكثير من الياف النبات يشبه القطن في تركيبهِ الكيماوي ويفوقهُ في لمعانهِ ولمعانهُ يشبه لمعان الحرير ولكنهُ ليس متيناً كالحرير ولا كالقطن فيقوم مقام الحرير لولا وهنهُ · والياف القطن اذا نقعت في مادة قلويَّة ومطَّت زال ما فيها من التجعُّد وصارت لامعة وهي الطريقة المعروفة بالمرسرة نسبة الى مرسر الذي استنبطها والقطن المعالج بها يصير لامعاً كالحرير تقريباً ولا يخسر شيئاً من متانتهِ وكذلك تصير الياف الجوت لامعة كخيوط الحرير اذا غطست في مذوب الصودا الكاوي برهة وجيزة ثم غسلت بالماء · ولكن الياف القطن والجوت تبقى اغلظ من الياف الحرير واما الياف الحرير الصناعي فيمكن صنعها دقيقة جداً كالياف الحرير الطبيعي ولم يتمكن صناعها من ذلك الاَّ بعد العناء الكثير والتغلب على مشقات جمة

والمواد التي يصنع منها الحرير الصناعي مختلفة وكذلك طرقهُ مختلفة فمنها طريقة شاردون لاستخراج الحرير الصناعي من القطن او رب الخشب بتحويلهِ الى نيتروسلولوس ثم باذابتهِ في الالكحول والايثير تحت ضغط شديد فيكون منهُ سائل لزج يوضع في حياض ويدفع من انابيب زجاجية دقيقة فتحة كلّ منها لا تزيد على واحد من مئة من المليمتر فتخرج منهُ خيوط دقيقة جدًّا كخيوط الحرير وتجفف في طريقها وتلفّ على الوشائع كل اربعة او ستة معاً وتجاز في مذوب كبريتيد الامونيوم لكي يزول النيتروجين منها حتى لا تعود تلتهب كقطن البارود بل تصير اقل التهاباً من القطن الطبيعي ثم تصبغ بما يراد من الاصباغ

وعندهم طرق اخرى لاذابة المواد الخشبيَّة وجعلها خيوطاً دقيقة كالحرير ومبدأها كلها واحد وهو تحويلها الى مذوَّب سلوس لزج ثم نزع المادة التي ذوبتها بعد حلها خيوطاً دقيقة

وسنة ١٨٩٤ نال بعضهم امتيازًا بعمل مادة تشبه الحرير في تركيبها وهي مادة جلاتينية تخرج من ثقوب دقيقة فتخرج منها خيوطاً دقيقة كالحرير ثم تعرَّض لبخار كحولي يمنع ذوبانها في الماء.

ويمكن صبغ هذه الخيوط باي لون اريد لكن الحرير يفضلها كثيرًا بمتانتهِ ولاسيما اذا بلَّت بالماء فان متانتها تقل جدًّا حينئذٍ. ونسبة متانة الحرير الطبيعي الى متانة الحرير المصنوع من سلوس القطن او الخشب كنسبة ٣٨ الى ١٧ اذا كان الثاني جافًّا وكنسبة ٣٨ الى ٢ فقط اذا كان الثاني رطباً. ثم ان الحرير المصنوع من السلولوس يكون امتن من الحرير المصنوع من الجلاتين اذا كان الاثنان رطبين لكن الحريرين الصناعيين السلولوسي والجلاتيني اذا كانا جافين فهما امتن من الحرير الطبيعي المثقَّل بالاصباغ التي تحرقهُ حرقاً كما هو جارٍ الآن فقد رأينا منسوجات حريرية سوداء بليت من نفسها وهي معلقة في الخزائن لان الزاج المصبوغة بهِ حرقها حرقاً

ولبعض انواع الحرير الصناعي لمعان واشراق كعنق الحمام وكلهُ اخشن ملمساً من الحرير الطبيعي

واذا حرق الحرير الصناعي الذي ليس فيهِ جلاتين احترق بسهولة كالقطن ولم تخرج منهُ رائحة تشبه رائحة الحرير الطبيعي وهذا اسهل مميز لهُ واما الحرير الصناعي الجلاتيني فتفوح منهُ اذا حُرق رائحة كرائحة الحرير الطبيعي فيلتبس بهِ من هذا القبيل ولكن عملهُ قليل لقلة متانتهِ ولاسيما اذا بلّ بالماء

ويمكن تمييز الحرير الصناعي من الطبيعي برؤيتهِ بالمكرسكوب وببعض المواد الكيماوية مثال ذلك ان مذوَّب اكسيد النحاس النشادري يذيب الحرير الطبيعي والصناعي ولكن اذا اضيف

مالاً الى المذوب يرسب السلولوس الذي في الحرير الصناعي واما الحرير الطبيعي فلا يرسب منهُ شيء

وحتى الآن لم يكثر استعمال الحرير الصناعي في المنسوجات التي تصنع الثياب منها لقلة متانتهِ ولكن كثر استعمالهُ في المنسوجات التي تُستعمل للفرش والستائر وفي الشرائط المختلفة لرخص ثمنهِ وشدة لمعانهِ

ويظهر لنا ان بعض جالبي المنسوجات من اوربا يجلبون منسوجات كلها او بعضها من الحرير الصناعي و يبيعونها كأنها حرير طبيعي فيخدعون المشترين . ويحق للمشترين ان يطلبوا من الحكومة ان تفتش عن المنسوجات وتجبر باعتها ان يعلنوا حقيقتها

الشيخ ابرهيم اليازجي اللبناني

(٣) المتفنن

لما كانت المطبعة الاميركية في بيروت من اول آثار صنائع الغرب في الشرق وكان والدهُ مصححاً لمطبوعاتها استمالتهُ الى الصناعة وروت مجلة الهلال انهُ حفر معدَّات روزنامة كانت اول ما صدر بالعربية من نوعها وتنبه الى وضع الحروف واتقن الخط والتصوير الشمسي والتصوير بالالوان الزيتية وبلغ من تأنقهِ في ذلك انهُ صوَّر ذاتهُ في المرآة وصوَّر والدهُ وبعض اخوتهِ والطبيب يوسف الجلخ وغيرهم وكان ماهراً بالضرب على الآلات الموسيقيَّة

وكان فوق ذلك شقيقهُ الشيخ نصار حاذقاً بصناعة الصياغة والمترجم يختلف اليهِ و يساعدهُ في الرسم والنقش وما شاكل كما المعنا الى ذلك فبرع في الحفر. ومن مبتكراتهِ بهذه الصناعة وضعهُ حرفاً جديداً للطبع لا يتجاوز عدد صورهِ الاصلية اثنتين وستين صورة وانواعها مائة لا غير مع ان الحروف العادية يتجاوز عدد صورها مائتين وخمسين شكلاً وانواعها نحو الف ومائتين واذا كانت الحروف مشكلة بلغت الفاً وست مائة نوع الى ما فوق وفي ذلك ما فيهِ من الاقتصاد . وقد نشر اعلانات بهذا الحرف في جريدتي لسان الحال والاحوال وطبع بهِ شرح كتابهِ نجعة الرائد الذي نشر معظم الجزء الاول منهُ بالمطبعة الادبية قبل مغادرتهِ لسورية سنة ١٨٩٤ فاحترق بنكبة تلك المطبعة وهو في اوربا ثم اهمل هذا الحرف لعدم اقبالنا على الجديد

وسنة ١٨٨٦ كانت حروف المطابع العربية في سورية محصورة بالجنس الاميركي فقط

فاتفق المترجم مع جناب الصحافي الهمام عزتلو خليل افندي سركيس على ان يصنع لمطبعتهِ الادبيَّة الحرف الاسلامبولي على اختلاف اشكالهِ فصنع اولاً الجنسين الاول والثاني ثم تطرَّق الى سائر الحروف كالحرف الثلث الاكبر والسميك والثاني والفارسي الثالث والثاني والاول فكان مسبك تلك المطبعة اول ما سبك اكبر حرف بالعربية بل اول ما سبك الحرف الفارسي للطباعة بانواعهِ الثلاثة وكلها شائعة الآن في سورية ومصر · ولما حلَّ القاهرة عمل حرفاً متوسط القياس بين الحروف الكبرى والصغرى يعرف بحرف (بنط ٢٠) شاع في مصر وهو الذي طبع بهِ مجلتي البيان والضياء وكثيراً من الكتب

وقد وضع الروم اي الحركات المتداخلة للفظ الحروف الافرنجيَّة واستعملها في الضياء الى غير ذلك مما يشهد بحذقهِ في الصناعة وانهُ لم يكن دون حذقهِ بالمعارف

الخاتمة

هذا هو الشيخ ابرهيم اليازجي المشهور بطيب المخالقة وفكاهة المجالسة كان كاتباً شاعراً مؤلفاً مصوّراً موسيقياً حفَّاراً وفوق ذلك كان واسع الاطلاع في علم الفلك ولهُ مباحثات ومناقشات مع المسيو فلاماريون الفلكي الفرنسي وغيرهِ فانتدبتهُ الجمعيتان الفلكيتان في باريس وأنفرس والجمعية الفلكيَّة الجويَّة في سلفادور عضواً فيها . وكان يعرّب عن الفرنسية ولهُ إلمام بالعبريَّة والسريانية ومشاركات في كثير من العلوم العصريَّة كما يظهر من مطالعة مقالاتهِ في مجلة الضياء التي تفرَّد بانشائها · ودرس العلوم الفقهيَّة واتقن صناعة التدريس واكثر القائهِ كان في المدرسة البطريركية الكاثوليكية في بيروت · وقد افاد اللغة العربيَّة واغناها باوضاعهِ فكان اشبه بوبستر الاميركي وفنيلون وليترِه الفرنسيين حتى عمَّ استعمال اساليبهِ واوضاعهِ فتحداها الكتَّاب ونسجوا على منوالها وهي من السهل الممتنع نثراً ونظماً ·

ولقد اشبه فكتور هيكو بسلاسة يراعهِ ومقدرتهِ التعبيريَّة ولكنهُ خالفهُ بعدم ثقتهِ بنفسهِ وكان يحب الاجتماعات فلذلك لم يتسنَّ لهُ الاعتزال والانفراد بنفسهِ والتفرغ للتأليف حتى انهُ لكثرة زائريهِ طلب مرة من الخواجه فرعون آجرهُ ان يبني لهُ غرفة داخلية فاعتزل فيها مدة ووضع النجعة وبعض فذالك معجمهِ وغير ذلك . وقد اجتمعت بهِ قبل مزايلتهِ سورية بضع سنوات وحضرت مجالسهُ وسمعت احاديثهُ وشهدت اشتغالهُ بالتدريس والتأليف · وجلُّ ما امتاز بهِ الجَلَد على العمل والمراجعة وايراد النكات البديعة والفرائد الرائقة والتواضع والبرّ بوالدهِ · ومما يحضرني من فكاهاتهِ انهُ سمع مرة ان شاعراً عرض على خصمهِ في مجلس حافل لغزاً بالسكين ليحلهُ فينال بحلّهِ من التشفي ما ينال ففطن ذاك الى مرادهِ وحلَّهُ بقولهِ " ان

معناهُ بقلب الشاعر * فقال المترجم اودُّ ان تكون هذه الفقرة شعرًا لا نثرًا فقال لهُ الحاضرون وكيف يتخلَّص الناظم من ذلك فقال ارتجالاً يمكنهُ ان يقول :

خللتُ لغزكمُ ولستُ بشاعرٍ فوجدتُ معناهُ بقلب الشاعرِ

وارتجالاتهُ قليلة يحضرني منها قولهُ في مجلس طرب بظاهر بيروت كان فيهِ في محلة (المخاضة) هو ونفر من اصحابهِ فدخل عليهم بغتة محمد حالت باشا والي سورية سنة ١٨٧٣ فبادرهُ بقولهِ :

شمل الوزيرُ عبيدهُ بوجودهِ شرفًا وخصَّهمُ بنائل جودهِ

في حسن روضٍ قد تسلسل ماؤهُ كنوالهِ واخضرَّ ذابلُ عودهِ

فصفت مسرَّتنا فلولا هيبةٌ منها لقد شملت نفوس عبيدهِ

لترنموا طربًا ولكن شكرهُ سيداومون الدهر في ترديدهِ

وقولهُ في كاهن اسمهُ اكليمندس كان يحب السمك :

ولربَّ مغتبطٍ سألتُ عن اسمهِ فاجابني باللغز وهو قد ابتسم

لو زدتني قلبًا من السمك الذي أهفو اليهِ لصار اكلي من دسم

وعلى الجملة فان ارتجالياتهِ قليلة معدودة لأنَّ من مبادئهِ اتقان كل شيءٍ والتأنق في اخراجهِ مخرج الصحة فلم يقف خاطبًا لهذا السبب ولا ارتجل الّا لضرورة ماسة. وعندي ان ذاكرتهُ لم تكن قوية كذاكرة المرحوم والدهِ فلهذا لم يمل الى هذين النوعين لانهما من بنات الذاكرة ومع ذلك فكان صحيح الرواية ولكنهُ قلما يثق بمحفوظهِ . ومما يستحق الذكر انهُ لم ينتحل كلام غيرهِ ولا ادَّعى شيئًا لنفسهِ ولا غمط فضل فاضل بل كان يسند كل كلام او وضع الى قائلهِ وهو الانصاف. ولما توفي رصيفهُ الدكتور المرحوم بشاره زلزل بعد ان انقلبت مودتهما الوثيقة العرى عداوة شديدة وفاهُ حقهُ في مجلتهِ ٨ : ٨٣ وفوق هذا وقفتُ لهُ على رسالة اظهر فيها كلَّ ما كتبهُ رصيفهُ المذكور من المقالات في مجلتي الطبيب والبيان حتى انهُ يعيّن كلامهُ بالاسطر والكلمات وهي مزيَّة كريمة وخلَّة فاضلة

وكان يحبّ انتقاء الالفاظ الفصيحة وادماجها في المعاني البليغة حتى ان صديقنا الكاتب المتفنن نجيب افندي منصور المشعلاني عرض عليهِ مرةً رواية (شجاع فينيسيا) من معرَّباتهِ فقال لهُ عنها (انها بليغة لا فصيحة) . ومع كثرة تدقيقهِ لم يخلُ كلامهُ ولاسيما في اول مزاولتهِ الصناعتين من تجوُّزات كما رأيت في رائيتهِ من استعمال كلمة (النوايا) . ولهُ استدراك على ما فرط من مثل هذا في تصحيحهِ للتوراة نبَّه عليهِ في الضياء

وكان ولوعاً بالكمال وبلوغ الغاية في العمل كأنهُ عمل بقول فكتور هيكو عن فولتير " لو خصَّص ذكاءهُ بموضوع واحد لكان فيهِ غاية الغايات " وهو القائل في خطابهِ (ادب الدارس) — :
" ولست ازيدكم بياناً ان العالم لا ينفع بعلمهِ الاَّ اذا كان راسخ القدم فيهِ مستبطناً لاسرارهِ ودخائلهِ محيطاً بما تشعَّب من فروعهِ ومسائلهِ وذلك مما لا ينال الاَّ بطول المزاولة وتكرار المراجعة وتفريغ الذهن لما يتوخى حفظهُ واخلاء الذرع لاحصائهِ الخ "

وكان عضواً في لجنة المعارف بولاية بيروت وفي الجمعية العلمية السورية وانتدب اكثر من مرة لقائمية مقام زحلة فأبى خشية انصرافهِ عن العلم وخدمتهِ. واول اعمالهِ الصحافية انشاء جريدة التقدم ليوسف الشلفون في بيروت سنة ١٨٧٢ م وقد نال الوسام العثماني من الدولة العلية ونوط العلوم والفنون من ملك اسوج ونروج . ومن غرر اقوالهِ الحكمية : ان التحدث في الخسارة خسارة اخرى من الوقت — اذا ارتكب الانسان الرذيلة ولم يعلم بهِ احد فاقل ما عليهِ ان يخجل من الانسانية — لا يرتقي المرء في سلَّم الكمال حتى يعرف قدر نفسهِ — من كان عدوُّهُ نفسهُ فلا يتَّهم الحوادث — من شرّ ما قضي بهِ على المرء ان يجتمع فيهِ العجز وحب الانتقام — ومن غرر حكمهِ قولهُ

ليس الوقيعة من شأني فان عرضت أعرضتُ عنها بوجهٍ بالحياء ندي
اني أضنُّ بعرضي ان يلمَّ بهِ غيري فهل اتولَّى خرقهُ بيدي

وعلى الجملة فانهُ كان واسع الرواية قوي الحجة طلق اللسان متواضعاً متأنياً مدققاً صبوراً احتمل فقد والديهِ واخوتهِ الواحد أثر الآخر وابناء شقائقهِ بجلَدٍ. وبقي مسامراً الدواة والقلم والكتاب وولع في آخر ايامهِ بالتدخين في النارجيلة الى ان استأثرت بهِ رحمة بارئهِ في ضواحي القاهرة في ٢٨ ك ١ (دسمبر) سنة ١٩٠٧ فنعتهُ الجرائد ورثاهُ الادباء في كل قطر وارَّخت جريدة الشام وفاتهُ تأريخاً هجرياً بقولها (ما مات الضياء) ١٣٢٤ . وكان ربعة القوام معتدل الجسم ابيض الوجه مشرقهُ جميل الطلعة رحب الجبهة . فحبذا لو اعتني بجمع آثار اقلامهِ وطبع ديوانهِ المخطوط في كتاب يضم ترجمتهُ واقوال الجرائد والادباء فيهِ والله نسأل ان يجزيهُ عن اللغة والناطقين بضادها عداد حسناتهِ في إحياء آثارها والذود عن حياضها ما قال اديب :

اليازجيُّ ابرهيم غاب ضياؤُهُ عن اعين الادباء والآدابِ
فنعدهُ من اشعر الشعراء وهو بلا مراء اكتبُ الكتَّابِ

عيسى اسكندر معلوف

مزايا النساء العقلية[1]

لو كانت عقول الرجال كعقول النساء تماماً في كل شيء لسهل عليَّ الكلام في هذا الموضوع لاني اكون كالمتكلم عمَّا اشعر بهِ في نفسي اما و بين الرجال والنساء اختلاف جسداً وعقلاً فلا يسهل على الرجال ان يشعروا بما يشعر بهِ النساء ولا على النساء ان يشعرن بما يشعر بهِ الرجال . لكن عقل الرجل لا يخالف عقل المرأة في كل شيء بل بين العقلين تماثل من وجوه كثيرة و بعض الرجال يشبهون النساء و بعض النساء يشبهن الرجال . وسنرى ان اكثر ما بين العقلين من الفروق مصدرهُ التربية والوسط واذ استثنينا أمراً واحداً فالفرق بين العقلين قليل جدًّا حتى يمكن ان يقوم الواحد مقام الآخر كما حدث في بلاد البسكو قديماً حيث كان النساء يتولين القضاء و ينتخبن الحكام و يضعن القوانين

وما دام الصبي والبنت صغيرين فلا فرق بين عقليهما او ان الفرق بينهما طفيف جدًّا ولولا اختلاف اللباس لتعذر تمييز احدهما عن الآخر . وتبقى المشابهة بينهما عقلاً الى قرب سن البلوغ . ولا شبهة ان اختلاف اللباس والعشراء يجعل الصبي يشعر انهُ غير البنت والبنت انها غير الصبي ولكن عقليهما يبقيان متماثلين ويستمرُّ ذلك الى وقت البلوغ وحينئذٍ لا تعود البنت تثق بالصبي كما كانت تثق بهِ قبلاً بل يصير شأنها الابتعاد عنهُ والحذر منهُ و يزيد هذا الشعور بعد ذلك . وزمن البلوغ وهو الزمن الذي يشعر فيهِ الصبيان والبنات انهم من جنسين مختلفين

والشائع ان الرجل افضل من المرأة فبماذا يفضلها او ما هو وجه تفضيلهِ عليها . الذين يقولون هذا القول يستدلون على انحطاط المرأة عن الرجل بخضوعها لهُ وضيق دائرة امانيها ونحافة جسمها بالنسبة اليهِ . و بينهما فروق اخرى ولكن هذه أهمها فاتكلم عنها الآن لكي ابين انها كادت تزول بالتربية والوسائل الخارجية . والحقيقة ان المرأة ليست دون الرجل لكنها مختلفة عنهُ ولا تكاد تصح المفاضلة بينهما فهي في بعض قواها ارق منهُ وقولنا ان المرأة احط من الرجل كقولنا ان معدناً احط من معدن آخر لان الاول اصغر من الثاني حجماً

كانت القوة البدنية في الزمن الغابر عنوان السلطة وعليهِ كانت المرأة دون الرجل من هذا القبيل لانها كانت مضطرة ان تقيم في البيت للقيام بما يطلب منها لبيتها ولا سيما في ما

(١) من خطبة للدكتور توماس شو مدرس الامراض العقلية في مستشفى سنت برثلمو بمدينة لندن تلاها في مجمع الطبيين في شهر مارس الماضي

يتعلق بولادة الاولاد وتربيتهم . وهذا صرفها عن الاشتراك في ادارة بلادها ففقدت وسيلة كبيرة من الوسائل التي تقوي العقل واضطرت ان تحمي نفسها بالوسائل العقلية او الادبية فالتفتت الى مواقع الضعف في الرجل وجاءته منها لكي تقوده لحمايتها فاستخدمت الحلى والطيوب والتملق ونحو ذلك من الاساليب التي تفتن الرجل لكي تفثأ غيظهُ وتفوز بحمايتهِ ولذلك صار الناس ينظرون الى المرأة العاقر كانها فضلة زائدة لا فائدة منها لاهلها وقد تضرُّ بهم فلا بدَّ من معاملتها بالصرامة فنشأ عن ذلك تقييد المرأة بالخضوع للرجل . ولم تختر النساء للملك الاَّ حيث انقطع نسل الملك الذكور ونصرها ذووهُ على من يطلب الملك من غير بيتهِ إما حفظاً لولائهِ او طمعاً بمال ترشوهم بهِ . ودام مقام المرأة منحطاً عن مقام الرجل ما دامت مصلحتها ومصلحتهُ غير متضاربتين وكان يمكن ان يبقى كذلك دائماً لو لم يختلف الرجال بعضهم مع بعض وينحاز فريق منهم الى نصرة النساء فانتصرن بهِ وتحصن في تعزيز مقامهنَّ وصار كلما اعطاهنَّ الرجال شبراً يطلبن ذراعاً الى ان فقد الرجال كل المزايا التي كانوا يميزون انفسهم بها اوكادوا يفقدونها . ولا فائدة لنا من البحث في العجماوات عن الفرق بين الذكور والاناث عقلاً ولا سيما اذا كان البحث عن المراكز العليا من العقل ولكن هذا البحث يفيد من وجوه اخرى لان الاختلاف الجنسي في العجماوات جعل ذكورها تحارب لاجل اناثها كما جعل الرجال يحاربون لاجل النساء وانثى الحيوان ترأم صغارها وتدافع عنهم ببسالة كما يفعل النساء . والحيوان لا يلتفت الى ابيهِ وقد لا يراهُ ابداً ولا يلتفت الى امهِ بعد ما تفطمهُ . ولولا نمو المراكز العقلية في الانسان لكان شأنهُ شأن الحيوان من هذا القبيل واذا وقع الحيوان في شدة لم يخطر والداهُ على بالهِ واما الولد فيلجأ الى والديهِ ويحتمي بهما . واذا بذَّر الشاب امواله لجأ الى امهِ لانهُ يعلم انها تقطع عن فمها آخر لقمة وتعطيهِ اياها

والنساء اضعف من الرجال جسماً فيلجأن الى الحيلة لوقاية انفسهنَّ واطفالهنَّ . وتعلم المرأة انها غنيمة يسعى الرجال اليها فتسعى هي ايضاً لتكون للافضل منهم وتجاهد في هذا السبيل ولكن جهادها ليس مثل جهاد الرجل ولذلك تحاول خداعهُ بلبسها وشكلها وتخفي محاسنها تارةً وتظهرها اخرى وتصل شعرها بشعر عارية وتتزين وتلجأ الى الحلى والمحسنات ونحو ذلك من الاساليب التي تفتن بها الرجال . وربما زعمت ان لها فوائد اخرى غير التجمل فالشعر العارية يدفئ رأسها والتطرية تجيد صحتها والحلى تظهر مقامها وثروتها . ويقال ان للنساء غراماً بالالماس ما فوقهُ غرام وهنَّ لا يملن عنهُ وحسناً يفعلن لانهنَّ لو انصرفن عن المغالاة بهِ لامسى من سقط المتاع وخسر ذووهُ بهِ خسائر فاحشة . وكماليات الحياة لازمة

مثل حاجياتها ولولا طلب الناس للكماليات لبارت صنائع كثيرة ومات اربابها جوعاً . وما يقال على الحلى يقال على اللباس ففي قديم الزمان كان الناس عراة كما لا يزالون في بعض الاماكن ولكن الاقليم والعيوب دعتهم الى تغطية ابدانهم اي الى لبس الثياب ثم صاروا يتباهون بها ويجعلونها دليلاً على سعة ثروتهم وعلو مقامهم ثم صارت تجرد الابهة والفخفخة . وسواء كان اللباس لوقاية الجسم من الحر والبرد او لاخفاء معايبهِ او لاظهار محاسنهِ فهو مما تهتم بهِ المرأة اهتماماً شديداً وتستخدمهُ لاظهار محاسنها ولو لم تقصد بهِ التباهي ولا اجتذاب الانظار اليها . وذوقها في اللباس غريب لا يسهل تعليلهُ لا سيما وانها تلبس احياناً ثياباً غريبة الشكل جداً لا تظهر بها محاسنها . ويدلُّ اللباس على مقام صاحبهِ فلهُ دلالة معنوية ولذلك يضطر الجنود وضباط الجيش وخدمة الدين ان يلبسوا ثيابهم الرسمية الخاصة بهم لكي يمتازوا عن غيرهم . وقد تعلق هذا الامر المعنوي باللباس حتى ان بعض النساء المصابات بدخَل في عقولهنَّ يحسبن انفسهنَّ ملكات فيلبسن في الاعياد الرسمية حلىً وزخارف كما يلبس الملوك والملكات في الاحتفالات الرسميَّة ولو كانت تلك الحلى من الزجاج

واحسن سبيل للبحث عن مزايا النساء العقلية هو البحث عن ملابسات العقل وهذه بعضها زائد عما في الرجال وبعضها ناقص . فقد علَّق بعضهم اهمية كبيرة على ان دماغ الرجل اثقل من دماغ المرأة ولكن الدكتور مرشل بيَّن انهُ اذا نظرنا الى ثقل الدماغ وطول القامة معاً فكل عقدة من قامة الرجل يقابلها ٧٠٨ ,٠ من دماغهِ وكل عقدة من قامة المرأة يقابلها ٦٨٨ ,٠ من دماغها . والزيادة العقلية في ثقل دماغ الرجل ناتجة من الزيادة في ثقل مخيخهِ فاذا حذفنا المخيخ وابقينا المخ فنسبة ثقل دماغ الرجل الى طول قامتهِ كنسبة ثقل دماغ المرأة الى طول قامتها . وبيَّن ايضاً ان ادمغة الطوال اخف من ادمغة القصار بالنسبة الى قاماتهم وانهُ اذا قسم طول القامة عقداً على ٦ ,١ فالخارج يعادل ثقل الدماغ اواقي . ثم اننا لا نعلم شيئاً عن الفرق بين دماغ الرجل ودماغ المرأة من حيث الخواص وما من أحد يرى قطعة من الدماغ تحت المكرسكوب ويستطيع ان يقول انها دماغ رجل او دماغ امرأة

وتقسم قوى العقل الى حس وادراك وذكر وشعور وعطف وتصور واختيار واندفاع وارادة . ولا نستطيع ان نثبت تشريحيًّا ولا فسيولوجيًّا ان قوة من هذه القوى اقوى في الرجال منها في النساء ولكننا نعلم من المشاهدة والاختبار ان بعض هذه القوى متساوٍ في الرجال والنساء وبعضها اقوى في الرجال وبعضها اقوى في النساء ولكن حكمنا في ذلك

اختباري محض ويختلف باختلاف الاشخاص الباحثين

فالحس متساوٍ في الرجل والمرأة في الكم والكيف تقريباً الاَّ ان الشم احدُّ في المرأة منهُ في الرجل على الراجح ولعلَّ سبب ذلك ان التبغ والسعوط يسمكان الغشاء الانفي المخاطي في الرجال . والادراك اي ادراك ما نشعر بهِ بالحواس الخمس واحد في الاثنين ايضاً على الراجح . والذاكرة متساوية ايضاً او تفوق المرأة الرجل في تذكر الالفاظ وكذلك التصوُّر تفوق فيهِ المرأة كما يفوق الرجل ولهذا ينبغ منهنَّ الشاعرات والعالمات كما ينبغ الشعراء والعلماء . واما الشعور والعطف والاختيار والاندفاع فتختلف فيها النساء عن الرجال فهنَّ اشدُّ شعوراً وعطفاً من الرجال وكذلك اشدُّ منهم اندفاعاً اي اقل امتلاكاً لانفسهنَّ . ولا يعلم ما هو اصل الشعور والعطف والعلماء مختلفون في ذلك فيقول بعضهم ان الشعور بالحزن هو نتيجة البكاء ويقول غيرهم ان البكاء هو نتيجة الشعور بالحزن والاولون يجعلون الحركات العضلية سبباً والشعور نتيجة والآخرون يجعلون الشعور سبباً والحركات العضلية نتيجة لاظهارهِ . ولا شبهة في ان عواطف النساء اقوى من عواطف الرجال ويظهر ان لذلك سبباً معقولاً فان للعقد التي في قاعدة الدماغ علاقة شديدة بالعواطف وهذه العقد اكبر في النساء منها في الرجال فاذا جعلنا اللذة والالم مقياساً للشعور فالفرح والحزن يقابلانهما في العواطف . واذا اشتدَّت العاطفة سميت هوى . والعواطف اما ان تكون فاعلة او مفعولة اي اما ان يكون سببها داخلياً واما يكون سببها خارجياً . ويظن البعض ان كل ما نشعر بهِ من لذة او الم او فرح اوحزن انما هو نتيجة المؤثرات الخارجية بنا فاذا كانت ضارَّة شعرنا بالالم والحزن واذا كانت نافعة شعرنا باللذة والفرح . والشعور النفسي بالحزن كالشعور الجسدي بالالم ولذلك فالالم والحزن يقيان الجسد والعقل لانهما يدلان على وجود خلل ما تجب ازالتهُ او اصلاحهُ كما ان الارق يدلُّ على وجود علة تمنع عود النعاس في ميعادهِ ويدعو الى ازالة تلك العلة .

فما هي فائدة العواطف وما هو مقامها بين القوى النفسية . من الناس من يفتخر بانهُ خالٍ من العواطف وانهُ لا يتأثر من شيء فلا يفرح لآتٍ ولا يحزن لفائت ولا يستفزُّهُ شيء ويرى ان كل ما يحدث لهُ لحدوثهُ مقدور لا يعبأ بهِ وتراهُ يهزأ باقرانهِ الذين تأخذهم هزة الطرب اذا رأوا ما يطرب ويوجمون خوفاً اذا رأوا ما يخيف . فان كانت حالهُ كذلك فهي ليست مما يحسد عليهِ بل هي حال من اصابهُ خمول عقلي وانحطاط ادبي ولم يعد يعرف ما هو الشعور الاَّ في احط مراتبهِ . واظهار العواطف مفيد من جهتين لانهُ يدفع عن الانسان ما يضرهُ ويقيهِ من الوقوع فيهِ . واول اشارة يبديها الطفل انهُ يتبسم لامهِ اجابةً لتبسمها لهُ واذا كان

التبسم باكورة القوى النفسية فانعم بهِ باكورة[1] . وما يبدو على وجه المرأة من امارات الخوف او الغضب يدعو الرجل الى حمايتها والعطف عليها

واظهر عواطف النساء العناد والحس للغير او السمباثيا (ومعناها الشعور مع الغير او الحس له او الشفقة عليهِ) فتستعين المرأة بالعناد كلما غُلبت لا لانها لا ترى خطأها بل لانها تحسب ان سلامتها تقوم بعدم التسليم لخصمها فتعاندهُ حتى يمل ويضطر الى التسليم لها ولا تكتفي بالعناد بل تلجأ الى شيء آخر وهو ان ترمي خصمها بما رماها بهِ لان الاختبار علمها ان الدفاع وحدهُ لا يكفي للظفر ولا بدَّ من الهجوم ايضاً . والحكيم يعلم ان عناد المرأة نتيجة لازمة عن انهُ هو المحق وهي المحقوقة فالعناد ملجأها الوحيد الذي تلجأ اليهِ وخير للرجل ان يسلم لها ويدعها تخرج فائزة

وهنا انتقل الخطيب الى تحديد معنى الحس للغير واستطرد الى الكلام على القائمات الآن من نساء الانكليز لمطالبة بحقوق الانتخاب لمجلس النواب . والظاهر ان الموضوع اعتاص عليهِ فلم يستطع الافصاح او ذهب مذهباً ضعيفاً فلم يستطع تعزيزهُ الى ان قال ان النساء اشفق من الرجال لانهن اكثر منهم تعرضاً للآلام الجسدية والعقلية ولا تصح الشفقة الا بعد اختبار الالم وما هي الا نوع من التملق لان من يحس لك ويشفق عليك يحاول اقناعك بانهُ شاعر معك بألمك

وتمتاز المرأة ايضاً بالغيرة فانها اغير من الرجل فاذا اختارت لها زوجاً ودَّت ان تنفرد بهِ مهما كانت معاملتهُ لها . مع ان الغيرة تدلُّ على ان صاحبها شاعر بنقص فيهِ عن مباراة غيره . والغيرة تدعو الى الانتقام ولعلَّ قتلاها اكثر من قتلى غيرها بعد السكر ومركزها في اوطإ اقسام الدماغ واقلها ارتقاء حتى كأنها سليقة طبيعية لا قوة عقلية ولذلك يجب معاملة اصحابها بالتؤدة ويمكن التغلب عليها بالتعليم واستعمال قوى العقل . والناس المنحطون مرتبة ينقصهم التعليم والتهذيب فتسود الغيرة بينهم هي ونتائجها الوخيمة

ويقال ان النساء يحببن الملاهي لكنني لم ارَ انهنَّ يطلبنها اذا كانت مشاغلهنَّ كثيرة . واما اذا كنَّ صحيحات الجسم مملوءات قوة ونشاطاً فقوتهنَّ العصبية تطلب لها منفذاً وتنصرف في اقرب طريق تجدهُ وهذا شأن الرجال اذا لم يكن لهم شغل شاغل . ويقال ايضاً

---

(١) (المقتطف) ان الباكورة البكاء لا التبسم ولقد احسن من قال

يا ذا الذي ولدتك امك باكياً والناس حولك يضحكون سرورا
احرص على عمل تكون بهِ اذا يبكون حولك ضاحكاً مسرورا

ان النساء لم يعدن يكثرن من ولادة الاولاد لكي تتيسر لهنَّ فرص اللهو ولكن المرجح ان ذلك نتيجة لا سبب اي انهنَّ يذهبن وراء الملاهي لقلة اولادهنَّ. والغالب ان اللهو عمل شاق تلجأُ اليهِ المرأَة تخلصاً من السآمة. والوالدة التي تلوم بناتها على كراهتهنَّ البقاء في البيت ورغبتهنَّ في الخروج منهُ للزيارات او الى الملاهي لو انعمت نظرها لوجدت انهُ انما يدفعهنَّ الى الخروج من البيت ما يلاقين فيهِ من السآمة والضجر. الَّا ان المرأَة الحسناء الفاخرة الثياب الثمينة الحلى المعطال التي يُطلَب منها ان تزين المجتمعات بوجودها فيها لا تلام على خروجها اليها ولا يعدُّ ذلك غوى منها لانها تفعل ما تستدعيهِ احوال الاجتماع كما تفعل اختها التي تضطرها الفاقة الى العمل بيديها والاولى لا تخلو من العمل والتعب لانها تحرم نفسها الراحة لكي تقوم بما يطلب منها

ومن العواطف عاطفة المحبة والنساء يكتمنها و يتألمن من ذلك فيظهرن الجلد و يكتمن الوجد ولو عاد عليهنَّ بالضرر ولعلَّ سبب ذلك كراهتهنَّ للابتذال واعتقادهنَّ ان احب شيء الى الانسان ما مُنِع او شدَّة اعتدادهنَّ بانفسهنَّ او عدم ثقتهنَّ بمظاهر الاهواء

اما من جهة القوى الاختيارية او قوى الارادة فلاختلاف النساء عن الرجال في الكم والكيف سبب واحد وهو ان مراكز القوى العاقلة العليا قد نمت في الرجال نموًّا عظيماً وهي احدث المراكز نموًّا واشدها ضبطاً للنفس. ويعتقد الرجال ان النساء اكثر منهم تسرُّعاً واقل منهم تأنياً. ولعل ذلك صحيح وسببهُ التربية. والتسرُّع او الاندفاع ابسط انواع الاعمال الارادية وهو من مزايا الاحداث لان قوة ضبط النفس لا تكون قد نمت وتقوَّت فيهم ومن مزايا الذين يتعذر ارتقاؤهم والذين يضطرون الى الدفاع عن انفسهم واولادهم كأنهُ من السلائق الطبيعية لا من الاعمال العقلية. اما افعال الارادة الحقيقية فتستلزم وجود التوازن بين قوى النفس وهي ارقى من افعال الاندفاع واحدث منها نموًّا وارتقاء واسمى غاية ولذلك تزول قبل غيرها عند ضعف القوى العقلية. فان صحَّ ان النساء اكثر اندفاعاً او تسرُّعاً من الرجال فذلك دليل على ان عقول الرجال ارقى من عقول النساء ولكن ضبط النفس موجود بالقوة في النساء كما هو موجود في الرجال وقلة ظهورهِ فيهنَّ بالفعل عرض يمكن ازالتهُ بالتربية وزد على ذلك ان للاندفاع علاقة بالعواطف فاذا اشتدَّت العواطف كما هي في النساء لزم عن ذلك ان يشتدَّ الاندفاع ايضاً

لقد ظهر مما تقدَّم ان المرأَة تمتاز على الرجل من بعض الوجوه والرجل يمتاز عليها من وجوه اخرى فهي سريعة الادراك ولكنها سريعة الانفعال والاندفاع وهذا الاندفاع

يساعدها على حماية نفسها وولدها ولكنهُ يورّطها احياناً في المشاكل

وربّ سائل يسأل ماذا فعل النساء لترقية العلوم . والجواب انهنَّ قد شرعنَ في ذلك حديثاً اما من جهة التصوُّر فقد بارين الرجال في النظم والنثر حتى لقد يتعذَّر احياناً ان نعرف هل هذا الكتاب او ذاك من تأليف رجل او امرأة اذا كان غفلاً من اسم مؤلفهِ . ولما كنت اراجع اوراق الامتحان التحريري في العلوم النفسية لم اكن استطيع ان اعرف من شكل الخط ونوع الانشاء هل الاوراق لفتيان او لفتيات ثم كنت حينما اطّلع على الاسماء واقابلها بالارقام التي على الاوراق اجد ان خطإي في الحزركان اكثر من صوابي

وسبيل المرأة كثير المصاعب لانها مضطرة ان تتغلّب على التقاليد الراسخة وعلى ما هي فيهِ من اهتضام الحقوق واذا استثنينا تقيدها بولادة الاولاد التي تغلُّ يديها فلا ارى ما يمنعها عن مباراة الرجل في اعمالهِ كما يباريها الرجل في اعمالها. ويقال بنوع عامٍ ان ما يستطيعهُ الرجل من الاعمال تستطيعهُ المرأة ايضاً وما تستطيعهُ المرأة يستطيعهُ الرجل

قساوة النساء — لما كان من اخص مزايا المرأة ولادة الاولاد وتربيتهم كان لا بدَّ لها من ان تدفع عنهم كل ما يؤذيهم ولذلك لا تبالي بمصلحة الغير ما دام ذلك الغير واقفاً في سبيل اولادها وهذا يجعلها قاسية صارمة وقد تتناول صرامتها اولادها اذا رأتهم يخالفون ارادتها ولذلك نرى النساء المتزوجات يستبسلنَ في حب الوطن لان ذلك من طرق الدفاع عن اولادهنَّ. ومن يسعى في مصلحة نفسهِ وهو ضعيف يضطرُّ ان يلجأ الى الحيلة والعناد والقساوة والتهوُّر ونحو ذلك من وسائل الدفاع من نفسهِ ونيل مآربهِ وان يلجأ ايضاً الى التجمُّل والتصنُّع والدلال والتسرُّع او التأني ونحو ذلك مما ينال بهِ غرضهُ. واذا جُنَّت المرأة ظهرت فيها المزايا التي تميزها عن الرجل على اشدها فتزيد تهوُّراً حتى لقد تقتل نفسها او تقتل غيرها

ما هو مستقبل النساء عقلياً فانهنَّ اكثر من الرجال عدداً وقد اخذن يتعاطين اعمال الرجال ولا يستطعن كلهنَّ ان يتزوجنَ ولا بدَّ من ان يؤثر ذلك في طباعهنَّ. والضرار محظور في اوربا فاللواتي لا نصيب لهنَّ من الزواج يمسين عقيمات جسداً وعقلاً ولكن تقوى فيهنَّ بعض القوى العقلية التي يضطررن الى تمرينها واذا استطعن ان يدخلن مجلس النواب صار المجلس كلهُ في يدهنَّ حتى يضطر الرجال اخيراً الى مقاومتهنَّ وتمزيقهنَّ . وقد يقع النفور بين المتزوجات وغير المتزوجات بسبب ذلك لان غير المتزوجات يحتقرن المتزوجات ويحسبنهنَّ عثرة في سبيلهنَّ فتضطر المتزوجات ان يقمن عليهنَّ و يقاومنهنَّ

والخلاصة ان بعض قوى العقل انمى في الرجال منها في النساء و بعضها انمى في النساء منها في الرجال ولكن هذه القوى موجودة كلها في الرجال والنساء وليس في الفريق الواحد قوة غير موجودة في الفريق الآخر وما الفرق بين الفريقين الأ في المميزات الجنسية الفارقة بين الرجل والمرأة ولولا هذه المميزات لما كان فرق بين الرجل والمرأة ولزال ما نراهُ الآن من السعي والاقتصاد وطلب المعالي وحب الوطن

لكن الاختلاف الجنسي بين الرجل والمرأة وسَّع الاختلاف بين عقليهما وجسديهما فاتصفت المرأة بالحشمة والجبن من جهة والسلاطة والاغراء من اخرى والآن تريد ان تستخدم مكاثرتها الرجل لمغالبتهِ . اما الرجل فالين منها عريكة واقرب منها الى العفو عند المقدرة . ولقد كان يندر ان تكون المرأة غنية ولذلك صار النساء يعتمدن على الرجال ويطعمنهم اما الآن وقد صرن متمولات فكادت الحال تنقلب وصرت ترى من يتزوج غنية الطوع لما في بنانها وهو تغيُّر ادى اليهِ تغير الاحوال

فعلى المرأة الان ان تختار لنفسها ما يحلو . اما ان تبقى كما كانت اي كما صيَّرتها الاحوال الماضية فتظل غنيمة يسعى الرجل وراءها لتكون قرينة لهُ واما ان تربي نفسها تربية تصيرها مساوية للرجل عقلاً فلا يبقى لها من مميزات النساء الأَّ اخلاف النسل عند الضرورة . اما الرجال فيودون ان تبقى المرأة امرأة بكل معانيها وهذا افضل ما يكون للنساء فيبقين في مقامهنَّ الذي ينلن فيهِ اكرام الرجال لهنَّ وقيامهنَّ على احترامهن عفواً . والرجال يشعرون ان فيهم نقصاً وفراغاً وان النساء يكملن هذا النقص ويملأْن هذا الفراغ ويستاءون اذا رأوهنَّ يحاولن اقناعهم ان ليس فيهم نقص ولا فراغ . ان المرأة اضعف من الرجل ويجب عليهِ ان يرفق بها و يدللها ويحترمها وان في طبيعتها شيئاً لا يستطيع فهمهُ فاذا قامت في وجههِ الآن وحاولت ان تثبت لهُ انها ليست اضعف منهُ وانها مثلهُ في كل شيءٍ أُسقط في يدهِ ووقف وقفة الحيرة . نظر الرجل الى المرأة كأَنها شخص يجل ويعبد ولم يغرَّ منها ولا خاف ان اكرامهُ لها ينقص من كرامتهِ فهل من الحكمة ان يزول هذا البرقع عن عينيهِ وهل من مصلحة المرأة ان يعرف الرجل انهُ مخطىءٌ . لاشبهة انهُ يجدر بالنساء ان يتدبرن قبلما يطرحن سلاحهنَّ القديم سلاح الجمال والدلال الذي سبين بهِ الرجال و يتخذن بدلاً منهُ الاعتماد على نظرية علمية مجرَّدة وهي المساواة والمشابهة بين الجنسين

الدولة العباسية

تابع ما قبلهُ

المتقي بالله	وما تولَّى قطُّ والٍ فبقي	وبايعوا من بعدهِ للمتقي
ابو اسحق	وهو ابو اسحق ابراهيم لَمْ	يزل على نهج صلاحٍ مذ حكم
ابن المقتدر	وكان ذا عبادةٍ مذكوره	وصورةٍ صالحةٍ مشكوره
	متصفاً بين الانام بالتقى	فغدروا بهِ ضلالاً وشقا
	وخلعوهُ بعد ذا وكحلوه	والله يجزيهم بما قد فعلوه
	مدتهُ اربعةٌ اعوامها	تنقص شهرًا وانقضت ايامها
المستكفي بالله	بخلعهِ فالله فيهم يكفي	وبايعوا من بعدهِ المستكفي
ابن المكتفي	فلقي الأَقدار فيها حين قام	وتمَّ عاماً واحدًا وثلث عام
	فقبضوا عليهِ ثمَّ سملوه	ومات في سجنٍ اليهِ حملوه
المطيع لله	وبايعوا المطيع بعد ذلك	وابهجوا بنصبهِ الممالك
ابن المقتدر	فتمَّ في القيام بالاحكامِ	نحو الثلاثين من الاعوامِ
	وطال في امرتهِ مداهُ	وقويت في ضبطها يداهُ
	وظنَّ ان الدهر قد سالمهُ	ثم اعتراهُ فالجٌ آلمهُ
	فترك الخلافة اختيارا	من بعدما استشار واستخارا (٢)
الطائع لله	ونصبَ الطائعَ فيها ولدَهْ	واحكمَ الامر لهُ ووطّدَهْ
ابن المطيع	فتمَّ عشرة من الاعوامِ	وسبعةً منها على التمامِ
	وتسعة من الشهور واعتُقل	من بعد ما قد خلعوهُ ونقل

(١) كان المتقي كثير الصوم والتعبد ولكن لم يكن لهُ من الملك سوى الاسم ووقعت الوحشة بينهُ وبين طوزون من كبار الاتراك في دولتهِ فحملهُ على ترك بغداد والمهاجرة الى الموصل ثم راسلهُ في الصلح ولما عاد المتقي قبض عليهِ طوزون وكحلهُ وادخل بغداد مسمول العينين سنة ٣٣٣ (٩٤٤ م) واحضر طوزون عبدالله ابن المكتفي وبايعهُ بالخلافة ولقب المستكفي بالله ولما قوي امر معز الدولة ابن بويه الديلمي حجر على الخليفة الذي سعى بنصبهِ وفي جمادى الاخرة سنة ٣٤٤ (٩٤٦) هجم الديلم على دار الخلافة وساقوا المستكفي ماشياً الى معز الدولة وخلع وسملت عيناهُ يومئذٍ ثم سجن الى ان مات وكانت خلافتهُ سنة واربعة اشهر ويومين

(٢) في سنة ٣٦٣ (٩٧٤ م) حصل للمطيع فالج فخلع نفسهُ وسلم الامر الى ولدهِ الطائع لله — وكان المطيع وابنهُ مستضعفين مع بني بويه ولم يزل امر الخلفاء في ضعف الى ان استخلف المقتفي لله فانصلح امر الخلافة قليلاً

	من حبسهِ لرمسهِ ذليلا	وكان حقًا ملكًا جليلا (١)
القادر بالله	وبويع القادر وهو احمدُ	وفضلهُ بين الورى لايجحد
ابن المقتدر	بوصفٍ بالزهدِ وبالعباده	وبتحلّى بحلى الزهاده
	مسددٌ بعدل في الاحكامِ	وببذل الاحسان للانامِ
	ذو راحة من الغمام اندى	وهيبة ترهب كل الاعدا
	اقام فيها اربعين عامًا	وسنةً ثم مضى وقاما (٢)
القائم بامر الله	من بعدهِ القائم عبد الله	خير امامٍ آمرٍ وناهي
ابن القادر	يعدلُ في الاحكام والقضايا	ويفعل الخير مع الرعايا
	اربعة واربعين عاما (٣)	كاملةً في ملكهِ اقاما
	ومات مذكورًا بكل خير	وصار للاخرى جميل السيرِ
المقتدي بالله	فبايعوا المقتدي من بعدهِ	ونصبوهُ في مكان جدهِ
بن محمد بن القائم	فلم يكن لهُ سوى الاسم فقط	وبعد ذا في هوّة الموت سقط
	وكانت المدة في ايامهِ	تقارب العشرين من اعوامهِ (٤)
المستظهر	وبايعوا المستظهر ابنهُ فقام	في امرها مجتهدًا حتى استقام
بالله بن	وكان ذا سياسة وعقل	وفطنة كاملة وفضل
المقتدي	سيرتهُ بين الانام حسنه	وملكهُ خمس وعشرون سنه
	دامَ بهِ حتى اتاهُ هلكهُ	فجلّ مولى لا يزول ملكهُ
المسترشد	وبايعوا المسترشد ابنهُ ابا	منصور ذا الفضل الامام المجتبي
بالله بن	كان جوادًا اجودهُ مشهورُ	وبطلًا عدوّهُ مقهورُ
المستظهر	وشاعرًا لسانهُ فصيحُ	وشعرهُ مستظرفٌ مليحُ

(١) خلع الطائع على عضد الدولة خلع السلطنة وتوّجه بتاج مجوهر ولم تضعف الخلافة في زمن احدٍ ما ضعفت في زمن الطائع وفي سنة ٣٨١ (٩٩١ م) قبض عليهِ وسلم الامر الى القادر بالله

(٢) كانت مدة القادر بالله احدى واربعين سنة وثلاثة اشهر وكان من السيادة وكثرة الصدقات وحسن الطريقة على صفةٍ اشتهرت عنهُ . توفي ليلة الاثنين الحادي عشر من ذي الحجة سنة ٤٢٢ (١٠٣١م)

(٣) كانت مدة خلافتهِ خمسًا واربعين سنة فانهُ مات في سنة ٤٦٧ في الثالث عشر من شعبان (١٠٧٥ م)

(٤) مات المقتدي بالله في سنة ٤٨٧ (١٠٩٤ م)

(٥) كان المستظهر جوادًا محبًا للعلماء والصلحاء ولكن لم تصفُ لهُ الخلافة بل كانت ايامهُ مضطربة كثيرة الحروب . مات يوم الاربعاء الثالث والعشرين من ربيع الاول سنة ٥١٢ (١١١٨ م) وفي ايامهِ جاءَت الفرنج واستولت على بيت المقدس

	سنوهُ عدتها منذ ملك	وقلد الامر الى ان قد هلك
	سبعٌ وعشرٌ وشهور خمسه	واصبحت حياتهُ منبسه [1]
الراشد بالله	و بويع ابنهُ الامام الراشدُ	والدهر بالبلوى عليهِ حاشدُ
ابن المسترشد	تقلّبت فيـهِ بهِ الاحوالُ	وشيّبت عارضهُ الاهوالُ
	تخلعوهُ لا لذنب قارفه	واستأصلوا تالدهُ وطارفه
	فلم يتمتع بسرور وهنـا	ولم ينل بسعيهِ غير العنا
	و بعد هذا قتلوهُ فتكا	وبتكوا منهُ الحياةَ بتكا
	ولم يقم في الملك الا عاما	واي ملكٍ ونعيم داما [2]
المقتفي لامر	و بايعوا من بعدهِ للمقتفي	محمد بن احمدٍ فقام يـفي
الله ابو عبدالله	تدبيرها مجتهدًا بنفسهِ	حتى ثوى من بعد ذا في رمسهِ
ابن المستظهر	مدتهُ عشرون عامًا عدّه	وبعدها اربعة ممتدّه
	وثلث عام او قريبًا منهُ	وما بقي سوى الحديث عنهُ
	وحلّ في تربةٍ لهُ معفّرِ	فبايعوا ابنهُ ابا المظفّر [3]
المستنجد بالله	وهو الإمام العادل المستنجدُ	ومن لكلّ مستغيثٍ منجدُ
ابو المظفر	يوسفُ ذو المحاسن المشهوره	والسيرة الجميلة المذكوره
ابن المقتفي	مات قتيلاً بعد ان اقاما	عشرين حجةً تزيد عاما [4]

(١) قتل المسترشد بمراغة يوم الخميس سادس عشر ذي القعدة سنة ٥٢٩ (١١٣٥ م) . وكان مسعود ابن اخي السلطان سنجر قد غدر بهِ وحبسهُ بقلعة قرب همذان

(٢) سعى السلطان مسعود بخلع الراشد و بايعوا عمهُ محمد بن المستظهر ولقب المقتفي لامر الله وذلك في سادس عشر ذي القعدة سنة ٥٣٠ (١١٣٦ م) . و بلغ الراشد الخلع فخرج من الموصل الى اذربيجان ومرض بظاهر اصبهان فدخل عليهِ جماعة من العجم وقتلوهُ بالسكاكين سنة ٥٣٢

(٣) بعد ان بويع المقتفي بعث السلطان مسعود واخذ جميع ما في دار الخلافة من دواب واثاث ولم يترك في اصطبل الخلافة سوى اربعة افراس وثمانية ابغال برسم الماء . ولما تضعضع امر السلطان سنجر تمكن الخليفة المقتفي وزادت حرمتهُ وكان ذلك مبدأ اصلاح الدولة العباسية . وعظم سلطان المقتفي وزادت شوكتهُ ولم يزل امرهُ في تزايد الى ان مات ثاني ربيع الاول سنة ٥٥٥ (١١٦٠ م) . قال ابن الجوزي : من ايام المقتفي عادت بغداد والعراق الى يد الخلفاء ولم يبقَ لها منازع . وقبل ذلك من دولة المقتدر (٩٠٨ - ٩٣٢) الى وقتهِ كان الحكم للمتغلبين من الملوك وليس للخليفة معهم الا اسم الخلافة

(٤) بويع لهُ يوم موت ابيهِ وكان موصوفًا بالعدل والرفق ولهُ نظم بديع ونثر بليغ ومعرفة بعمل آلات الفلك والاسطرلاب . مات في ثامن ربيع الآخر سنة ٥٦٦ (١١٧٠ م)

المستفي بامر الله الحسن بن المستنجد

اضف لها شهراً وقام المستضي — لسيفهِ بعد ابيهِ ينتضي

وهو الامام الكامل الفضل حسنْ — ومن لهُ قولٌ بليغ ولسن

بهِ أضاء إفقُ ذاك العصرِ — وقرنت اعلامهُ بالنصرِ

لهُ السلاطين بمصر خطبوا — وباسمهِ سكتها قد ضربوا

من بعدما كانت بها قد بطلتْ — من مدةٍ طويلةٍ وعُطلتْ

فنالَ لما جدّدت ما املا — ثم توفي بعد ما قد كملا

تسعة اعوامٍ ونصف عامِ — يتبعها نزرٌ من الايام (١)

الناصر لدين الله احمد ابن المستضي

و بويع الناصر لما ان قضى — وهو ابنهُ المولى الإمام المرتضى

فسرَّ كلَّ الناس منهُ اجمعينْ — وتمَّ فيها ستةً واربعينْ

من السنين كملت بعشرهْ — من الشهور عدةً مشتهرهْ

يتبعها بثلثي شهرٍ سوى — بنقص يومٍ واحدٍ ثم ثوى

بقبرهِ سقتهُ سحب هاملهْ — من رحمة الله دواماً شاملهْ (٢)

الظاهر بامر الله محمد بن الناصر

و بايعوا من بعدهِ المستنصر — وهو امام عادل مستبصر

ايام ملكهِ الذي بها ابتهج — عشر سنين بعدها ست حجج

يتبعها من الشهور عشره — وبعض ايام وخلى معشرهْ

لموتهِ يبكون بالدموعِ — والدهر كم فرّق من جموعِ (٣)

المستعصم بالله عبدالله بن المستنصر

و بايعوا المستعصم ابنهُ ابا — احمد عبدالله شهماً ذا ا با

دانت لهُ مع غيرها الاملاكُ — حتى اتى التتارُ مع هولا كو

فاخذوا مدينة السلامِ — منتهكين حرمة الاسلامِ

---

(١) مات المستضيء في سنة ٥٧٥ (١١٨٠ م) في سلخ شوال وعهد الى ابنهِ احمد

(٢) اقام الناصر في الخلافة سبعاً واربعين سنة ولم تزل مدة حياتهِ في عزّ وجلالة وكان يرهبهُ اهل الهند ومصر كما يرهبهُ اهل بغداد فاحيت هيبتهُ الخلافة وكانت قد ماتت بموت المعتصم ثم ماتت بموتهِ · وقد دانت السلاطين للناصر وفتح البلاد العديدة · مات سلخ رمضان سنة ٦٢٢ (١٢٢٥ م)

(٣) لم يذكر الباعوني اسم الظاهر · والظاهر انهُ سها عن بالهِ · كانت خلافتهُ تسعة اشهر واياماً وقد احسن الى الرعية وابطل المكوس وازال المظالم وفرق الاموال وخلفهُ المستنصر وكان راغباً في فعل الخير مجتهداً في تكثير البرولهُ في ذلك آثار جميلة وانشا المدرسة المستنصرية المشهورة وقد نقل اليها الكتب فكانت مائة وستين جملاً من الكتب النفيسة وكان لها مائتان وثمانية واربعون فقيهاً من المذاهب الاربعة · توفي المستنصر يوم الجمعة عاشر جمادى الاخرة سنة ٦٤٠ (١٢٤٢ م)

وبالغوا في الظلم والعنادِ وسفكوا بغياً دمَ العبادِ
من بعدما والاهمُ ابن العلقمي [١] وكان ذا طبع كطبع الارقمِ
من اكبر الطغاة والعتاة واخبث الروافض الغلاةِ
يكرهُ أهل السنة الشريفه وبضمر البغضاءَ للخليفه
فاطمع التتار في بغدادِ [٢] ومكَّن الاعدا من البلادِ
حتى رموها بالامور الفادحه لكفرهم فذهبت كالبارحه
وقتلوا هذا الامام صبرا واخذوا البلاد منهُ قهرا
وكان هذا الرافضيُّ يرجو بعد الذي احدثهُ ان ينجو
فعكس الدهرُ عليهِ قصدهُ وعجَّل الله تعالى حصدهُ
من بعد ما اذاقهُ الهوانا وقد رأى من هونهِ الوانا
ولقي المذلة الكثيره من بعد تلك الحظوة الاثيره
فمات فيها اسفاً وغمَّا ونال لعنات الورى وذمَّا
وبوأ الله العظيم الشانِ هذا الامام غرف الجنانِ
معوَّضاً عن السريرِ الفاني بسررٍ تبقى مدى الازمان
مدتهُ عشر سنين بعدها خمس فحرِّرْ ضبطها وعدَّها
وعشرة من الشهور معها وثالثا شهر اتى فاجمعها [٣]

المستنصر بالله احمد ابن الناصر

وبايع المستنصر العباسي بمصر اذ ذاك وجوهُ الناسِ
ونصبوهُ للورى إماما وكانَ شهماً بطلاً هماما
ففوَّض الامر الى السلطانِ وسار في قوم من الشجعانِ
من مصر قاصداً الى بغدادِ بنية الجهادِ للاعادي
فلقي التتارَ قبل ان يصل الى مدينة السلام فقتل [٤]

---

(١) هو الوزير مؤيد الدين العلقمي الذي كاتب التتار واطمعهم في البلاد وسهل عليهم ذلك

(٢) وصل التتار الى بغداد يقدمهم هلاكو سنة ٦٥٦ (١٢٥٨ م) وهم مائتا الف وقتل الخليفة واقام هلاكو على العراق نوابه

(٣) كان المستعصم بالله آخر الخلفاء العراقيين ثم اقيمت الخلافة بمصر وبويع المستنصر سنة ٦٥٩

(٤) كان المستنصر بالله محبوساً ببغداد فلما اخذت التتار بغداد اطلق فهرب ثم جاء القاهرة وبويع بالخلافة فسار لمحاربة التتار فقتل وكانت خلافته دون ستة اشهر

الحاكم بامر الله ابو العباس

فبايعوا الحاكم بعد ذلك ونوروا بهِ الظلام الحالك
ففوَّض الامرَ الى بيبرسِ الظاهر الجالس فوق الكرسي
فقام بالتدبير للمالك وامن الدروب في المسالك
وصار بالامور مستبدًّا وسلَّ للجهاد سيفًا حدًّا
وجهز البعوث والامدادا وقهر الاعداءَ والاضدادا
وبسط العدل على الرعيَّة ولازم الخليفةُ الجمعيَّة
وآثر الامن على المخافه وما بقي لهُ من الخلافه
شيءٌ يسرُّ قلبهُ سوى اسمها بين الانام لدروس رسمها
وصار كلُّ من يليها بعدهُ لا يتعدَّى رسمهُ وحدهُ
وقامت الملوك والاحكامُ دونهم والنقض والابرامُ
واللهُ جلَّ ملكهُ حكيمُ وهو بتدبير الورى عليمُ

[المقتطف] الى هنا انتهى الكلام على الخلفاء العباسيين في بغداد اما في مصر فاولهم المستنصر بالله ابن الظاهر بامر الله هرب الى مصر من وجه التتار فلقيهُ الملك الظاهر بيبرس وبايعهُ بالخلافة ونقش اسمهُ على السكة وخطب لهُ وخلفهُ الحاكم بامر الله جاء دمشق ثم القاهرة فاكرمهُ الملك الظاهر وبايعهُ وكانت خلافتهُ نيفًا واربعين سنة اي كانت لهُ الامامة الدينيَّة واما السياسة فكانت للملك الظاهر وخلفائهِ وتوفي الحاكم بمصر ودفن فيها وخلفهُ ابنهُ المستكفي بالله وذلك سنة ٧٠١ للهجرة وفي سنة ٧٣٦ وقع امر بينهُ وبين الملك الناصر محمد بن قلاوون فقبض الملك الناصر عليهِ واعتقلهُ ثم نفاهُ الى قوص هو واولادهُ واهلهُ واستمرَّ بقوص الى ان مات بها سنة ٧٤٠ وخلفهُ الواثق بالله ابرهيم قال السيوطي ان جدهُ الحاكم كان قد عهد اليهِ بالخلافة فرآهُ غير صالح لها لما هو فيهِ من الانهماك في اللعب ومعاشرة الارذال فعدل عنهُ وعهد الى المستكفي ابنهِ اي ابن الحاكم

ثم ذكر السيوطي من جاء بعدهُ من الخلفاء الى المستمسك بالله الذي ولي الخلافة سنة ٩٠٣ للهجرة في آخر عهد السيوطي. ولم يطل امر الخلفاء بمصر بعد ذلك لان السلطان سليماً العثماني فتح الديار المصرية بعد نحو عشرين سنة فوجد فيها المتوكل على الله خليفة المستمسك بالله فاخذهُ معهُ الى الاستانة وهو آخر الخلفاء العباسيين في مصر. وقد اخبرنا المرحوم ابرهيم بك المويلحي ان اولاد الخلفاء العباسيين لا يزالون للآن في مصر يحفظون انسابهم وهم في حالة مستضعفة جدًّا واراد مرة ان يجمعنا بهم ثم عرض ما شغلنا عن ذلك

الحمام القلاَّب وتولدهُ

تقلَّبُ بانتظام في الهواء	حمائم هنَّ زينة كل راء
ملوَّنة وليس هناك صبغ	بالوان حوت كل البهاء
حمائم كلما رمنَ اقترابًا	من الارض ارتفعن الى السماء
وعدنَ صواعدًا متقلبات	وليس صعودهنَّ بلا عناء
هجرن وكونهن بها اضطرارًا	فطرن من الصباح الى المساء
اذا رمنَ الوقوع على بيوت	ربينَ بها انقلبن الى الوراء
بتصفيق يلذُّ لسامعيهِ	وتصعيد ورقصٍ في الهواء

الحمام الداجن كثير في البلاد غير ان العراقيات منهُ تمتاز عن غيرها بصفات فاضلة ومن اقسامها ذوات الالوان الجميلة المتموّجة ويسمونها "الخارشت" من ابيض يقق واحمر قانٍ واصفر ناصع واسود غربيب وازرق شذري واكثر هذه بيض الرقاب والرؤوس وكلها مكتسية الارجل بريش من لون جسدها لا توجد في غير بغداد فيحافظ عليها مقتنوها مغالين بها ولا يطيرونها خوفًا عليها من الضياع والتي تطار امرابًا هي دونها حسنًا ولمعانًا

ومنها البَرْص وهي بيض مكتسية الارجل بريش كثيف طويل قد يبلغ ٣٠ سنتيمترًا فاذا طارت ظن الرائي ان لها اربعة اجنحة وهي من نوع القلاَّب وقد اخذت تقلُّ فلا توجد الاَّ نادرًا وهي كذلك خاصة ببغداد. ومنها الزاجل وهذا القسم رجلهُ مجرَّدة من الريش لهُ لحمة حمراء على انفهِ وعينان محاطتان بجفون عريضة حمر ومنقارهُ طويل قد يبلغ عشر سنتيمترات وهو اكبر من سائر اصناف الحمام مرتين او ثلاثة والمرغوب فيهِ منهُ ما كان شقّ منقارهِ الاسفل اطول من الاعلى بكثير فلا يستطيع ان يلتقط الحب الاَّ من كأْس معدَّة لهُ او حفرة. وهو بغدادي قد قلَّ الآن وجودهُ واكثرهُ أُخذ الى الهند واوربا وقد صادف ان بعضهُ قفل طائرًا من بلاد الهند الى برجهِ في بغداد من غير ان يعرف الطريق من قبل ولولا نقل الثقات ما صدَّقت الخبر لانهُ لا يقدر ان يلتقط الحب في الطريق اللهمَّ الاَّ اذا قلنا انهُ قطع المسافة في يومين ولم يأْكل فيهما شيئًا وذلك غير بعيد من سرعة طيرانهِ

ومنها القلاَّب وسأُطيل الكلام عليهِ لانهُ موضوع مقالتي فاقول: — هذا الصنف يغالي بهِ العراقيون منهُ الابيض الفضيُّ والازرق الصابوني والعنبري والبخاري والرمادي والسماوي والدميري والزنجي واقبلها ما يرتجف اذا كان على الارض. وهو قسمان موصلي و بغدادي

يمتاز الموصلي عن البغدادي بتصفيق الجناحين اذا طار في البيت وانهُ اذا تقلب سمع لهُ فرقعة شديدة وقد جاب منهُ كثير الى بغداد وضرّب بالبغدادي حتى صار جل حمام بغداد القلاّب يصفق مثلهُ واما البغداديات فقد قلَّت ويقال ان بعض الموصليات قفل طائرًا الى بلدهِ الموصل من بغداد بعد جلبهِ منها في اقفاص على الكلك

ولا اعرف وطن القلاّب الاصلي والظاهر ان الذي رجلهُ مكتسية بريش كان يعيش في بلاد باردة ثلجية بدليل الريش الذي على اصابعهِ وقد جلبهُ بعض الناس في الزمن القديم للخلفاء العباسيين فحافظ عليهِ الاهلون في بغداد والموصل وما جاورهما والمرغوب فيهِ منهُ ما كان منقارهُ متينًا قصيرًا وعيونهُ وجفونهُ بيضاء اذا كان اسود زنجيًا

وقد يتولد من الحمام الاحمر من الصنف الذي لا يتقلب عادة بعض افراد تتقلب وقد تتعوق في طيرانها الى الظهر في الشتاء ولكن الاهلين يتشاءمون منها فيذبحونها ولو انتخبوا الزوجين منها مما يتقلب لتأصلت في نسلها صفة التقلب وتولد منها صنف يتقلب كالازرق (البغداديون يسمون الطيور القلاّبة بالزرق والتي لا تتقلب بالحمر) والظاهر انها في الاصل كانت تتقلب كالزرق ثم اضعف البشر هذه الخاصة فيها وتقلُّب بعضها رجوعٌ الى الاصل

لا يتقلب الحمام اول ما يطار وهو فرخ او كبير لم يطر قبل بل يطار الفرخ عند تساوي قوادمهِ فيجبل في بعض الآونة وهو طائر الى الوراء كأنهُ يريد ان يتقلب فيقال انهُ "يقمّد" و يبقى كذلك مدة من شهر الى ستة اشهر فاكثر فاذا كان حادًّا اسرع والاَّ ابطأ والمبطيء احمد. ولا يخفى ان الفرخ يرمي كل عشرة ايام او اسبوعين ريشة من قوادمهِ العشر فاذا رمى الريشة الاولى بادئًا من القصار مما يلي الخوافي قيل " ذو ريشة " واذا رمى الثانية قيل ذو ريشتين فثلاث الى العشر. اما الحادّ فيبدأُ بالتقلب وهو ذو ريشة او ريشتين او ثلاث وهذا يفسد في الغالب فيقال " يزبز " (وهو ان لا يقدر الحمام على الطيران لكثرة تقلبهِ) وهو "يزباز " والذي يبدأُ في الرابعة والخامسة او السادسة فما فوق لا يفسد غالبًا. والعادة ان يجمع صاحبهُ سربًا منهُ من عشرة الى مابة حسب استطاعتهِ و يشدّ عليهِ بالطيران كل يوم من خمس عشرة دقيقة الى ساعة فاكثر وذلك بعد ان يتركهُ على السطح حتى يعين مكانهُ ويحافظ عليهِ من الضياع والاختلاط باسراب منعلة لغيرهِ ومن مخالب المررة. ويطعم في اليوم مرة او مرتين واخف طعام لهُ الذرة . فاذا قويت الفراخ وعيَّن السطح وطال فصلهنّ (وهو مدة الطيران) من ساعة الى ساعتين امن عليهنّ الضياع فحينئذٍ يبدأُ الواحد بعد الآخر بالتقلب وذلك فجأة فيشخصهُ صاحبهُ و ينسل ذنبهُ برمتهِ او من وسطهِ وعندئذ يخف

تقلبهُ قليلاً ولا يقع في غير سطحهِ الاَّ نادرًا . والاصيل تشتد عليهِ الحال في اول الامر ويتشوَّش ويمضي على وجههِ تائهًا فيعتزل رفاقهُ ويوالي التقلب بدون فاصل فاذا وقع وقع وهو معيٍ

قلنا انهُ يبدأ بالتقلب بغتةً فيشتدّ امرهُ في اليوم الثاني غالبًا ويحيد عن رفاقهِ مصعدًا في الجوّ ومبعدًا حتى يكاد لا يُرى هكذا الى ثلاثة ايام يطير ويتقلب متماديًا اينما صادف حتى "يصفي" وهو ان يتقلب بانتظام فاذا صفى لم يتقلب الاَّ اذا حاذى سطح بيتهِ وحينئذٍ يتأخر عن رفاقهِ في الوقوع بضعة دقائق ويزيد تأخرهُ كلّ يوم اكثر فاكثر الى بضع ساعات فيلزم قرارهُ ويقال لهُ حينئذٍ " ساروح " وذلك يكون عادة اذا خرج ذنبهُ الى النصف او الثلثين فترتفع منزلتهُ عند صاحبهِ ويفاخر بهِ سائر المطيرين والساروح يكون نحيفًا كأنهُ ريش لا غير

كثير من الحمام القلاّب يطير من الصباح الى الظهر وهو لا يغالى بهِ في هذه الحالة كثيرًا ويطير بعضهُ من بزوغ الشمس الى العصر وهذا مقبول ويطير البعض منهُ طيرانًا متصلاً من الصباح الى المساء وهذا هو الغاية . ومن شرطهِ ان يبعد في طيرانهِ عن سطحهِ بضعة اميال وان لا يرتفع في طيرانهِ كثيرًا ولا يتقلب كثيرًا لان التقلب الكثير يتعبهُ فيسقط اما على نخلة او منارة وان لا يتقلب الاَّ اذا رام الوقوع على بيتهِ ينقضُّ على وكنهِ حتى اذا بقي لهُ مترٌ او متران عن الارض شهق فرجع القهقرى مندفعًا بشدَّة الى السماء كأنهُ نشابة صاعدة في الجوّ ويصحب ذلك فرقعة شديدة فيتقلب اثناء ذلك ثلاثًا او اربعًا الى عشر مرَّات ويكون الصعود من ثلاثة امتار الى عشرين فيقال حينئذٍ " جرّ الحمام " والتصعيد الطويل تتعدَّد فيهِ الشهقات متوالية فاذا صحا توجه الى ناحية في السماء ومضى على وجههِ غير مختلط بسربهِ في الاكثر حتى اذا ابعد عن النظر رجع ثانية

ان الحمام الذي يطير من الصباح الى المساء فاكثر ليس بكثير وانما يصادف في كل سنة وجود ثلاث او اربع منهُ في كل بغداد وهذا في الغالب انما يولد من ابوين مثلهِ معلومي النسب معتقين . وقد جمعتُ مدة عشر سنوات من احسن الحمام واعتقهِ وصارت عندي منهُ كثرة لا توجد عند غيري فطار كل سنة ثلاث او اربع منهُ الى المساء في الشتاء واما في الصيف فلا يطير الحمام اكثر من ست ساعات او سبع . وقال لي بعض المخصصين انهُ كان لاحدهم ذكر من الحمام يطير في حرّ الصيف الى المساء وبقي كل الصيف هكذا الى سنتين وقال انهُ كان اذا اشتدَّ عليهِ الحرّ يعلو في السماء حتى يكاد يختلط بالسحاب طلبًا للبرودة وكلما رام الوقوع على بيتهِ هبط فشهق (اي جرّ) فتقلب وصعد ثانية هكذا الى المساء

اما انا فسقط في حمارَّة الصيف بعض حمامي بعد الظهر في البرّ وضاع وكذلك ضاع مني بعضهُ في صبارَّة الشتاء بعد المساء وقد اختلط الظلام وقبل ان يضيع تردَّد كثيراً كي يقع على بيتي فلم يستطع لشدة شهقاتهِ واخيرًا توجه الى جهة المغرب لان الضياء كان فيهِ اكثر فلم يعد

اما سرُّ التقلاب فلم يكتشفهُ حتى الآن احد ويظن البغداديون ان الحمام يأتي ذلك باختيارهِ بطرًا منهُ وانبساطًا وهو خطأٌ لانهُ يتعذَّب كثيرًا من التقلب والتصعيد الفجائي على الصورة المرئية منهُ حتى ان بعضهُ قد يدمي اصل ريشهِ (القوادم) ويجري الدم منهُ ولا ينزل بل يجوع و يعطش ويمحى عليهِ الوقت فيلهث وهو طائر ولا ينزل بل يقع بعضهُ عند المساء علي نخلة او على محل آخر مرتفع فيبيت ليلتهُ صائمًا و يطير في الصباح و يتقلب على سطح صاحبهِ الى المساء وعندئذ يقع ثانية على النخلة او المحل المرتفع وهو يكاد يموت جوعاً وعطشاً وقد يكون ذلك ثلاثة ايام في الشتاء. ويكتفي بعضهم بقولهِ انهُ يعمل ذلك بغريزتهِ او بقدرةِ الله جلَّ وعلا

وسألت المقتطف الاغر قبل اثنتي عشرة سنة تقريباً عن كيفية تولد الحمام القلاَّب لأعلم آراء الغربيين فيهِ فقال فيما اتذكر ان دارون يرى ان هذا الصنف من الحمام قد ثقل رأسهُ بالنسبة الى جسدهِ فصار ينقلب في طيرانهِ لهذا السبب. وهو بعيد عن الصواب لان الحمام القلاَّب لا يفرق رأسهُ عن رأس غيرهِ من الحمام الذي لا يتقلب ولانهُ يبدأُ بالتقلب فجأة ويبعد ان يثقل رأسهُ اكثر مما كان فجأة ولانهُ اذا ترك فلم يطر مدة ترك التقلب فلماذا لا يثقل رأسهُ في هذه الحالة ولانهُ لو كان ثقل الرأس سبباً لتقلبهِ لوجب ان ينقلب الى الامام لا الى الوراء

واما الذي أراهُ سبباً للتقلب فهو ان هذا القسم من الحمام كان يسكن في سالف الدهر ارضاً كثر فيها وجود حيوان صغير مفترس يثب عليهِ كلما اراد الوقوع على الارض فيأخذهُ طعاماً لهُ ولم ينجُ منهُ الا المتسرع في الرجوع القهقرى الى السماء ولما كان ذلك غير كافٍ لنجاتهِ ما نجا منهُ الاَّ الذي اسرع في الرجوع ونقلب اثناءهُ الى الوراء حفظاً لحياتهِ من مخالب عدوهِ الخفيف وذلك وفقاً لقانون بقاء الاصلح فتأصلت هذه الصفة فيهِ وصارت طبيعة افادتهُ في وقت الحاجة. ولا انكر ما للانتخاب الصناعي من اليد في ذلك فقد حسن في اعين الناس تقلبهُ فصاروا ينتخبون الانثى المتقلبة للذكر المتقلب في سنين وأحوال حتى رسخ التقلب في نسلهِ وظهر فيهِ كما اطير مدة. والدليل عليهِ ان الذي يطول طيرانهُ لا يسبقُ ولا ينقلبُ الاَّ اذا هبط يريد الوقوع على بيتهِ كأنهُ وجل من عدوٍ كامنٍ لهُ في الارض واما الذي يتقلب

عالياً وفي كل مكان فهو انما يأتي ذلك بعد ان صار التقلب صفة راسخة فيهِ يرجع اليها بمجرد ارادة الهبوط الى محلهِ وان كان في كبد السماء . وقد يتقلب احد افراد السرب فيهيج ذلك السرب كلهُ فيتقلب بمجموعهِ دفعة واحدة متراقصاً في السماء وهو منظر بديع

بغداد جميل صدقي الزهاوي

[المقتطف] لقد راقت لنا هذه المقالة من وجهين الاول انها أرتنا انهُ لا يزال في بغداد في هذا العصر اناس يلهون بهذه الملاهي المحللة التي تفكه النفس وتطرب القلب فلم يخيم ليل الظلم على البلاد كما يصورها قوم . والثاني ان حضرة الكاتب ارتأى رأياً وجيهاً في اصل الحمام القلاب لو سمع بهِ داروين او خطر على بالهِ لاحلَّهُ محلهُ من الوجاهة

الفلسفة اليونانية

مرَّ على اليونانيين زمن كانوا فيهِ مشكاة العلم وهداة الحكمة توسدوا سدة التمدن وتربعوا دست الحضارة وبلغوا فيها الشأو البعيد ومنهم نبغ امهر الصناع وابلغ الشعراء وافصح الخطباء واشهر العلماء وهم اهل الفلسفة السابقون في حلباتها والفائزون في قصباتها والرافعون لواء الحكمة في العالمين . ولئن دالت تلك البسطة في العلم وكرَّت العصور على ما وضعهُ اولئك الاساطين من الحكمة فما برح الكلام عنها من مرامي الادباء يتداعون اليهِ تداعي الجياع الى القصاع

ولا يخفى ان الصفة المميزة للفلسفة اليونانية على سواها من الفلسفات القديمة انها مستقلة في ذاتها لا تستند في احكامها على الدين ولا تنسب اقوالها الى مصدرٍ ربَّاني وانما وُجدت بين جماعةٍ لا غاية لهم غير انشاد الحقيقة واعلاء شأن العلم بينما كانت الفلسفات الشرقية في جميع ابحاثها تتبع احكام العقائد ونصوص الكتب الدينيَّة واذا جاءت بشيءٍ آخر اوردتهُ باسم الدين . اعتبر ذلك في انَّ العلم في مصر كان بيد الكهنة وكانوا اذا قالوا برأيٍ عزوهُ الى الوحي ومثلهم كان الكلدان والفرس الذين حصروا العلم في صدور الموابذة الذين لم يكونوا من بعد زوروastr الاَّ مفسرين لما اوقفوا عليهِ من الكتب المقدسة . ومع ازدهاء الفلسفة في الهند وتفوُّقها على سائر الفلسفات الشرقية كانت لا تخرج في ابحاثها عما جاء في كتاب الفيدا وفوق ذلك انها كادت تحسب واضعي الفلسفة من قومها في مرتبةٍ تقرب من الربوبية . وكذلك الصين التي مع انها لم تسند اوضاع حكمتها الى الوحي او الى مصدر فوق

الطبيعة ظلَّت مقيدة بعادات البلاد وتقاليدها اعتبر ذلك بكونفوشيوس اعظم فلاسفتها قدرًا واعلاهم شأنًا فانهُ ابقى على تقاليد قومهِ وزاد عليها الشروح الطويلة العريضة ٠على ان هذه الحالة تباين بالجملة ما كان عليهِ فلاسفة اليونان الذين نبذوا كل تقليدٍ ولم يتخذوا الاسناد الى شيء ممَّا فوق المدارك البشريَّة حجة في تعاليمهم واذا وجد شيء من ذلك في فلسفتهم فيكون قد تطرق اليها عرضًا لانهم لم يكونوا يقصدون من العلم الاَّ الحقيقة ولا صاروا في انشادها الاَّ بفكر مجرد عن كل غاية ابتغاء جلاء ما غمض من مكنونات الطبيعة ناهيك انهم لم يحفلوا بقصائدهم الدينية وكثيرًا ما حملوا عليها حملةً شعواء ذلك لأن الدين اليوناني ليس بدين قانوني قائم بشرائع واصول مدونة في كتب مقدسة مثل سائر الاديان الوثنية ككتابي الدندافستا والفيدا وانما هو اساطير من افانين المخيَّلة حاكتها قرائح رجال هم اولى بان ندعوهم شعراء من ان نسميهم بالكهنة وهذا هو السبب في اعتاق العقول اليونانية من كل قيد يحول دون البحث الحر مجانًا لوجهِ العلم

ولقد اختلف الباحثون في اصل الفلسفة اليونانية فذهب فريق منهم الى انها ليست من بنات قرائح اليونانيين وانما جاءوا بها من الشرق وكيَّفوها فظهرت في شكل جديد لا يستدل منهُ على منبتها وايدوا دعواهم هذه بقولهم ان طاليس فينيقي الاصل وقد اخذ عن قومهِ معظم آرائهِ لا سيما قولهُ ان الماء اصل العالم وان فيثاغورس جاب مصر والهند وبلاد الكلدان وفارس وفلسطين وعنها اخذ القول بالوحدانيَّة وخلود النفس ومبدإِ التقمص وان افلاطون وديمقراط جابا البلاد التي جاءها من قبل فيثاغورس وتخرجا على الموابذة والبراهمة وكهان مصر ٠ وان ارسطوطاليس اخذ منطقهُ عن جوال هنديّ جاء اثينا فلقنهُ المنطق

ويذهب فريق آخر من الباحثين ان الفلسفة اليونانيَّة نشأَت ببلادها وان ادلة الفريق الاول اوهى من بيت العنكبوت لاعتمادهم فيها على اخبار حديثة العهد وجدت يوم كان التمدن اليوناني على جرف الاضمحلال وانهُ ليس في الكتابات القديمة ما يستدل منهُ على شيء مما يزعمون لا سيما وان افلاطون مع اعجابهِ بالامم الشرقية انكر عليها الفلسفة ٠وهب ان جماعة من فلاسفة اليونان جاءوا مصر وفارس وكلديا ابتغاء التقاط العلم فما هي العلوم والآراء التي اقتبسوها عن تلك الامم ولكل فيلسوف منهم مذهب خاص ورأي يناقض رأي الآخر وكيف يتأتى لهم اخذ العلم عن كهان مصر وقد كتموهُ في صدورهم ولم يكاشفوا بهِ مواطنيهم او عن الموابذة وهؤلاء لا يعرفون غير عبادة الشمس والقمر ونذرًا قليلاً من الفلك والهندسة ونتفًا من التاريخ ممزوجة بالاساطير والحكايات الكاذبة

واما قولهم بان منطق ظاليس مأخوذ عن المنطق الهندي فدعوى لا يؤيدها التاريخ وانما يؤخذ منهُ ان اليونان لم يعرفوا الهند قبل حملة الاسكندر ومن ثمَّ ان الشقة بين كتاب ينابا لكوتاما وبين الميزان لارسطوطاليس بعيدة جدًّا اوكما قال واحد من الكتبة انهما يبتعدان عن بعضهما بعد الكنج عن اوروتاس وحملايا عن باند . ومن مثل ذلك قولهم ايضًا ان فلاسفة اليونان استقوا معارفهم من العبرانيين والفرس . واي دليل لهم على ذلك وقد علمنا من التاريخ ان قبل حملة الاسكندر وتسلطن السلوقيين على سورية لم يكن اليونانيون يعرفون شيئًا من شؤُون العبرانيين ولا يعرف العبرانيون شيئًا من احوال اليونانيين بحيث لا يتأتى لافلاطون وفيثاغورس وسقراط الاطلاع على الكتب العبرانية ولم يكن قد نقل منها شيء الى اللغة اليونانيَّة ولا ظهرت حتى يومئذٍ الترجمة السبعينية الشهيرة وكذلك لم نرَ ذكرًا للامة العبرانية ولا لمؤَلفاتها في كل ما كتبهُ اليونانيون عن الامم الاجنبية وزد على ذلك اي شبهٍ وجدوهُ بين مرويات التوراة وعقائدها وبين ما دونهُ الفلاسفة اليونانيون من الابحاث النظرية والقواعد العمليَّة وان كان ثمت شيء من الشبه بين كلام افلاطون في تكوين العالم وفيما ورد في الفصل الاول من سفر التكوين فلا يحسب حجة قاطعة لاثبات دعواهم لا سيما وان مثل هذا الكلام عن تكوين العالم وارد في كتاب الزندافستا ولا يبعد ان يكون قد اتصل باليونان من الفرس الذين تسلطوا على الجزائر الايونيَّة في زمن يقرب من ايام انكساغورس ولربما منهُ اتصل هذا الرأي بافلاطون فاثبتهُ في كتاب التيمه Timeé على انهُ لم يجزم بصحتهِ

وما بال الباحثين يفتشون عن منشإِ الفلسفة اليونانيَّة في غير قرائح رجالها فهل عرفوا اساتذة هوميرس واشيل واريستوفان وديموستان وهيرودوت وغيرهم ممن تفوقوا في الفنون والعلوم وكانوا مثالاً للمبرزين من رجال العلم والصناعة في كل مصر وزمان ولاريب ان الشعر والطب والتاريخ والصناعات من نشأة البلاد ولدتها عقول النوابغ من الاهلين

وسواءٌ كانت الفلسفة اليونانيَّة نشأة تلك الارضين او جيء بها من الشرق فهي ولا غرو اسمى الفلسفات القديمة واعلاها شأنًا ولها القدح المعلى لدى كل امة استنارت بانوار العلم والعرفان وامت منازل الحضارة والعمران وقد نشأت في المستعمرات اليونانية في الجهة الغربيَّة من اسيا الصغرى حوالى ٦٠٠ ق . م ومن ثم انتقلت الى اثينا محط رحال الفلسفة وعاصمة العلم اليوناني

ولقد اجمع المؤَرخون على قسمة الفلسفة اليونانيَّة الى ثلاثة ادوار كبرى ولكل دور

منها شأن خاص بهِ وصفة مميزة لهُ عن الآخر فصفة الدور الاول على تعدد مدارسهِ ما بين الايونيَّة والايطالية والالياتية البحث عن طبيعة الاشياء ومصدرها من غير التفات الى شرائع العقل الانساني وقواهُ على ان الطريقة التي سار بها جهابذة هذا الدور وعرة المسالك ادت الى اللادرية والى ما هو شر منها وهو ظهور السفسطائيين وشأنهم في التاريخ مشهور يومئذٍ دخلت الفلسفة في دورها الثاني واتخذت لها منهاجاً جديداً وهو البحث عن الانسان وقواهُ العاقلة التي يتمكن بها من تمييز الحق عن الباطل ووضع الطرائق المؤدية الى معرفة الحقائق وكشف مكنونات العالم وفي هذا الدور ظهرت جميع المذاهب الفلسفية وابعدها شهرة · ومن ثم جاء الدور الثالث بعيد ما تنوسي من الآراء والمذاهب القديمة في شكل اقوى وقد استمرَّ في الوجود حتى القرن الخامس من العصر المسيحي

سبق فقلنا ان مدارس الدور الاول هي الايونية والايطالية والالياتية وقد دعيت باسماء المواضع التي نشأَت بها وزعيم الايونية طاليس ومذهبها ماديٌّ ووجهتها الطبيعة ولئن اختلف اساتذتها في تعيين جواهر الاشياء ما بين تراب وماء وهواء ونار مع ذلك لم يخرجوا في ابحاثهم عن المادة ولا تعدوها · واشهر فلاسفة هذه المدرسة طاليس وانكسيمندر وانكسيمان وهيراقليط وامبدوكل وغيرهم واما طاليس ففينيقيُّ المحتد وواحد من الحكماء السبعة وهو واضع الفلسفة الطبيعية واذا تابعنا قول ارسطوطاليس عنهُ يكون هو واضع علمي الفلك والهندسة واول من عرف اوقات الكسوف والخسوف وأول من تنبهَ لجذب الكهرباء بالفرك ورتب اوقات الشهور والفصول وغير ذلك من الحوادث الفلكية والميتورلوجية

وقد اشتغلت المدرسة الايونية ايضاً بالابحاث الادبية ورأَينا لها في هذا الباب اراء حرية بالاعتبار نسبت لزعيمها طاليس من مثل القول بخلود النفس ووضع الحد الفاصل بين العقل والمادة وخواطر أُخرى في الخير والجمال نقلت الى سقراط فتناولها عنهُ المعلم افلاطون واظهرها للناس مجلة بابهى حلى الحكمة والبيان

واما المدرسة الايطالية فقد كانت مدرسة رياضية بدليل ما جاءت بهِ من الاكتشافات العظيمة في الهندسة والفلك على انها لم تخلُ عن الطبيعيات ولا غادرت العلوم الادبيَّة وكان صاحبها فيثاغورس يوجب على الطلبة التقشف والصمت خلال سني الطلب وكان تلامذتهُ يغالون كثيراً باعتبارهِ واحترام اقوالهِ وحسبانها من الصدق والحق بما يقرب من منزلة الكلام المنزل حتى اذا تناظروا في امرٍ وحمي وطيس الجدال وجاء أَحد المتناظرين بدليل من اقوال الاستاذ بتَّ الامر وكان ذلك الدليل فصل الخطاب

وكانت تعاليمهُ على نوعين نوع للعامة ونوع للخاصة يراد بهؤلاء تلامذتهُ ومريديهِ الذين تخيرهم فقبلوا في طريقتهِ الَّا ان تعاليمهُ كانت غامضة لاتخاذهِ طريقة العدد رمزًا لما يريد سترهُ عن العامة من الحقائق العلية

اما المدرسة الاليائية فهي ذات فرعين الواحد منهما يبحث في النظريات والاخر في الطبيعيات ومن اساتذة الاولى اكزنيفون وبارامندزوزينون و يذهب هؤلاء ان المعارف على نوعين منهاما يحصل فينا بواسطة الحس وهذ الاوهام الباطلة ومنها ما يحصل بواسطة العقل وهو العلوم الراهنة على انهُ من الواجب ان نترك لسذج الناس الاعتقاد بظواهر المحسوسات ونوجب على ذوي العقول الراجحة سبر غور الاشياء واعتماد العقل في ابحاثهم على ان الفرع الثاني من المدرسة الاليائية يناقض في الرأي الفرع الاول ويعتمد الحس في ابحاثهِ وقدانصرفوا بكليتهم لدرس الجوهر الفرد

وظهر بعد هذهِ المدرسةِ جماعة السفسطائيين وهم فئة من اساتذة البيان اتخذوا الجدل والمناظرة شغلهم الشاغل واشهرهم بروتاكورس و كورجياس

الدور الثاني — سبق فقلنا ان فلاسفة الدور الاول جعلوا معظم بحثهم في الطبيعة واصل العالم وتكوينهِ فاختص جماعة منهم بالطبيعيات وفريق بما وراء الطبيعة وفئة بالرياضيات وقوم بالميكانيكيات على ان خواطر الفلاسفة في الدور الثاني اتجهت للبحث في الانسان وطبيعتهِ فاشتغل قوم منهم بالحس واقتصر في بحثهِ على الشعور وانصرف آخرون الى درس الارادة والبعض الى قوى المدارك وجملة القول انهم اقتسموا في هذا الدور حالة الانسان كما اقتسم اهل الدور الاول الكلام في شؤون العالم

وقد مضى الدور الاول والفلسفة بين ايدي جماعة السفسطائيين الذين حسبوا البلاغة والماحكة في الجدل غاية العلم ومنتهى الحكمة فقيَّض الله للفلسفة رجلاً عظيماً هو سقراط الحكيم الكبير الذي حمل على السفسطائيين فبدد اباطيلهم وشتت تخرصاتهم بما اوتي من العلم الراسخ والحكمة الباهرة والحجة القاطعة فكان على ماقالهُ شيشرون منزل الفلسفة من السماء ولا غرابة في ذلك فهو واضع الفلسفة وبعبارة اخرى المبدإ الفلسفي اي قاعدتي الملاحظة والتحليل اللتين اعتقتا العقل من اسر الحدس والتخمين فانطلق ينشد الحقائق في سبل البحث والتنقيب

ولم يكن لسقراط مدرسة خاصة يجتمع اليها الطلبة فيأخذون عنهُ العلم شأن سائر الفلاسفة بل كان يعلّم في كل موضع وجد فيهِ ولم يدوّن في مؤلفٍ خواطرهُ الفلسفية

والادبية وانما رواها للناس عنهُ تلميذاهُ افلاطون واكزنيفون فنقل الاول عنهُ ابحاثهُ في النظريات والثاني اقوالهُ في الآداب ولما كان ديدنهُ تعليم الناس في الشوارع والمحال العمومية الآداب والدين حاملاً على السفسطائيين يطعن في مذاهبهم و يفند مزاعمهم سعى بهِ عداة الحق عند الحكومة فشكوهُ انهُ لا يعبد الارباب الوطنية ويحاول ادخال عبادة آلهة جديدة الى البلاد و يفسد آداب الناشئة الى غير ذلك من التهم والاكاذيب الملفقة فحكم عليهِ بالقتل ظلماً وبهتاناً فشرب السم الزعاف غير هيَّاب ولا وجل وراح شهيد الفضل والحق

وكان سقراط يقول ان النفس جوهرٌ مجرَّد عن المادَّة شبيهة بالاله الخالد وان قواها الاساسية الحس والعقل ويعتقد بوحدانية الله و بوجود آلهة دونهُ قدراً بعثت منهُ لحفظ العالم وان سعادة الانسان الحقيقية في اتيان الفضائل والفضائل الاصلية اربعة وهي الحكمة والشجاعة والعدل والاعتدال وان الحكمة تارة تكون فضيلة خاصةً واونةً نتيجة الفضائل الاخرى وتقوم فضيلة العدل باتباع الشرائع الموضوعة والشرائع الازلية التي لم تدون الاَّ على صفحات القلوب والاعتدال يكون تارةً فضيلة ادبية وطوراً واسطة لنيل السعادة على ان كل علم لا يعمل على تحسين حالة الانسان فهو باطل وافضل شيء للانسان ان يعرف نفسهُ

وكانت غايتهُ من اسلوب التهكم المعروف باسمهِ " التهكم السقراطي " تمحيص معارف ايامهِ وتبيان مواضع الغلط فيها ودفع ذوي الالباب الى البحث واكتشاف الحقائق وذلك بطريقة الاستقراء وهي الانتقال من المعلوم الى المجهول وقد ذهب الى ان اول درجةٍ يبلغها الانسان في البحث هي العلم بانهُ لا يعرف شيئاً ومتى بلغ هذه الدرجة وظلَّ على البحث يدرك السبيل التي تنتهي بهِ الى المعرفة . وخلاصة القول ان لهذا الفيلسوف اليد البيضاء في ارتقاء الفلسفة وقد رأى الناس ثمار اتعابهِ فيها دانية القطوف بين يدي افلاطون وارسطوطاليس

وهذان الفيلسوفان هما ولا ريب من اعظم فلاسفة هذا الدور واوسعهم علماً واعلاهم شأناً فانهما ولئن تباعدا في خطتهما الفلسفيَّة فقد اتفقا على حسبان شرائع العقل واحكام طبيعتهِ شرطاً لازماً للعلم كما وانهما لم يحصرا العلم ضمن معرفة حالة الانسان بل جعلاهُ يبحث في طبائع جميع الكائنات فوضعا بذلك اساس العلوم

وقد عرف عن افلاطون انهُ عقيب ان اشتغل بالشعر وتعاطى صناعتهُ ردحاً من الزمن عاد فانقطع لدرس الفلسفة على سقراط وبعد موت استاذهِ ترك اثينا وطاف اسيا ومصر وبلاد اليونان ومن ثمَّ عاد الى وطنهِ وانشأ مدرستهُ في حديقة صديقهِ اكاديميس ولذلك سميت بالاكادمية وقيل كان لهُ كفيثاغورس اسلوبان في التعليم واحد للخاصة من تلامذتهِ

والثاني للعامة من الناس وقد لقي العلماء عناء كبيراً في فهم مؤلفاته لاعتماده فيها على الامثلة والرموز

على ان اهم ما في فلسفة افلاطون آراؤهُ عن الله والنفس وقد نسب لهُ البعض القول بتعدد الالهة مستندين في ذلك الى ما ورد في كتابهِ التيمة ويذهب البعض ان القول بتعدد الالهة مناقض لمذهبهِ وان ما جاء في كتابهِ المشار اليهِ من ذكر الالهة لم يكن الاَّ مجاراةً لعقائد العامة من الناس وفي حقيقة الحال ان آلهة افلاطون ما هي الاَّ الوسيطة بين الله والعالم والمطيعة لاوامرهِ والمنفذة لاحكامهِ في اعمال المخلوقات السفلى ولا تأتي عملاً الاَّ طبق ارادتهِ وحسب مشيئتهِ واما النفس فهي ما اوجدهُ الله مباشرة وبعبارة اوضح هي اول مخلوقاتهِ لانها اوفر كمالاً من جميعها وقد ركبها من عنصرين عنصر الهي صادر عنهُ وعنصر مشارك في ماهيتهِ للمحسوسات الجسدانيَّة ومن خصائصها ان تصحب الحياة والحركة وهي خالدة

ولافلاطون كلام طويل في الآداب والسياسة لا يتيح لنا المقام الالماع الى شيء منهُ ولم يكن لهُ طريقة خاصة ولا نظام معين وكلما قالهُ وعلمهِ مأخوذ عما تلقفهُ عن استاذهِ سقراط ومات سنة ٣٤٨ ق . م تاركاً للعلم والحكمة اعظم عالم واكبر فيلسوف وهو ارسطوطاليس المسمى بالمعلم الاول رأس الحكماء المشائين وواضع علم المنطق

الاَّ ان ما نال ارسطوطاليس من الشهرة البعيدة والصيت الذائع لم ينلهُ سواهُ من الفلاسفة وجهابذة العلم ولا تغنى تاريخ من تواريخ الامم الراقية بفضل رجل من رجال الحكمة بمثل ما تغنت بارسطوطاليس تواريخ الغرب والشرق . ولا غرابة في ذلك فهو اول فيلسوف احاط بكل فروع العلم ولم يدع باباً من ابوابهِ الاَّ ولجهُ ووضع فيهِ المؤلفات الجليلة التي كانت هداة طلاب العلم في كل زمان ومكان فهو الواضع لعلم المنطق وقد صنَّف فيهِ كتاباً سماهُ الميزان تكلم فيهِ اولاً عن الكليات الخمس والمقولات العشر ومن ثمَّ بحث عن القضايا واحكامها ومن هناك تطرَّق الى الكلام عن القياس وانواعهِ وبين طرق الاستدلال ومواضع المغالطة والسفسطة وقد كان لهذا العلم في كل اعصر العمران شأناً عظيماً وكان في تضاعيف بعضها الغاية القصوى من الفلسفة بل العلم كل العلم

ولهذا الفيلسوف مؤلفات كثيرة في الطبيعة . ويعني بالطبيعة هنا ما ارادهُ اليونان من معناها وليس ما اصطلح عليهِ علماء عصرنا . منها كتاب عنوانهُ الطبيعة في ثمان مجلدات ورسالة في السماء واخرى في النفس وتاريخ للحيوان في عشر مجلدات ووضع ايضاً كتباً كثيرة فيما وراء الطبيعة والآداب السياسيَّة وكلها تشهد لهُ بغزارة المادة والتبريز بتوقد الذهن

ولقد كرَّ الزمن الطويل على مذهبي افلاطون وارسطوطاليس حتى بلغا البلاد الاسلاميَّة زمن ازدهائها العلمي ووصلا الغرب في العصور الوسطى واوائل النهضة العلميَّة فيهِ وكانا حيثما وصلا التفت حولهما خيرة الاذكياء من الادباء واحلوهما محلاً رفيعاً من التجلة والاحترام على انهُ قام في اليونانيَّة الى جانبيهما مذاهب اخرى كالايبقورية والرواقيَّة ومدرسة بيرهون الاَّ انها جمعاء لم يطل زمن وجودها لانها لم تكن ذات مبادىء منيفة تقوى على كرور الايام

نشأ المذهب الايبقوري في اثينا سنة ٣٤٠ ق . م وزعيمهُ ايبقورس ومذهبهُ حسي ويعتقد انهُ كلما يأتي عن طريق الحس منزهٌ عن الغلط وان ما يبنى على مجرد الفكر لا يسلم من الزلل وتأييداً لمذهبهِ هذا وضع القواعد الاربع الآتية (١) ان الحس لا يخطىء ابداً (٢) لا يقع الخطاء الاَّ من الفكر (٣) يكون الفكر صائباً اذا اثبتهُ الحس ولم ينقضهُ (٤) يكون الفكر مخطئاً اذا ناقضهُ الحس . وذهب الى ان اللذة هي الغاية من الحياة الدنيا وان الانسان لا يكلف باتباع الفضيلة اذا لم تقترن باللذة على انهُ آثر لذة النفس على لذة الجسد

واما الرواقيون فقسموا العلم الى ثلاثة اقسام وهي الطبيعيات والآداب والمنطق فلم يزيدوا عليهِ شيئاً بل علموهُ كما وضعهُ ارسطوطاليس وانما اختصروا المقولات العشر فجعلوها اربعاً وقالوا في الطبيعيات ان العالم مؤلف من مبدأين الاول منها المبدأ الفعال والثاني المنفعل فالفعال هو العقل الازلي والمنفعل هو المادة وان نفس الانسان منبعثة عن النفس الازلية وتعود اليها اخيراً وتمتزج معها . على ان آداب الرواقيين سامية واثارها الحسان ظاهرة فيما سنهُ مشترعو الرومان من الشرائع والقوانين . وفي هذا الدور ظهرت اللاادرية في شكل جديد من القوة والتفت حولها جماعة من العلماء قالوا باراء زعيمها برهون الذي وُجد بعد ارسطوطاليس وعلَّم بوجوب الارتياب بكل شيء وعدم الجزم بحقيقة وادعم قولهُ هذا بالقواعد الآتية (١) ان الناس يختلفون بعضهم عن بعض (٢) ان الشعور في الانسان الواحد يختلف عن شعور الانسان الآخر حتى ان المشاعر في الشخص الواحد تناقض بعضها فالريحان مثلاً تستطيبهُ حاسة الشم وتكرههُ حاسة الذوق (٣) ان الاحوال تغير في الافكار وان العمر والراحة والحركة والبغض والجوع والعطش تؤثر في الافكار (٤) ان الحكم على الاشياء الخارجية يتوقف على حالة اعضائنا (٥) ان الانفعال الذي يحدث فينا اثر مشاهدة شيء يختلف حسب كثرة المشاهدة وقلتها (٦) ان الحكم على الاخلاق يختلف باختلاف شرائع القوم وعاداتهم فان ما تحسبهُ امةٌ فضيلةً ربما عدتهُ اخرى رذيلة

المعنا الى خلاصة المذاهب الفلسفيَّة في الدور الثاني وقد بقي علينا ان نذكر شيئاً من شؤون الدور الثالث وما شأن هذا الدور في الفلسفة الأ الرجوع الى المذاهب القديمة والعمل بها والوقوف عند حد ما وضعت لهُ شأن مدرسة اثينا والفلسفة عند الرومان الذين حالت رغبتهم في السياسة وتكتيب الكتائب لتدويخ البلاد عن الانصراف بكليتهم الى الابحاث النظرية المحنة فلم يقم منهم فيلسوف عظيم ولا نشأ عندهم مذهب فلسفي خاص وانما جاءتهم الفلسفة من اليونان بمذاهبها الكثيرة فابقوها على ما هي واعتنق سوادهم الرواقية وكان لها بينهم المكانة العليا

وكانت غاية مدرسة الاسكندرية ان تجمع ضمن مذهب واحد الفلسفة اليونانية والاديان الشرقية ولم تضع من عندها شيئاً جديداً وعرفت طريقتها هذه بالمذهب الانتخابي على انهُ بعد ان ظهرت النصرانية وتعززت بتنصر الملوك حملت على هذه المدرسة حملة هائلة لم تبقِ عليها فاندثرت وكان باندثارها نهاية الفلسفة اليونانية

ولا ريب ان مَن تتبع سير الفلسفة في العالم بعد موت الفلسفة اليونانية يرى ان مبادئ مذاهبها الكبرى لم يعتورها الفناء ولامسها الموت وانما ظلّت في الحياة تتسرب الى كل رأي عند كل امة راقية فتسود وتتربع المحل الاول فاذا التفتَّ الى كتابات آباء الكنيسة وعلمائها بعين نقادة تجلَّت لك خلالها آراء افلاطون منزّهة عن شوائب الوثنية مجملة بالمبادىء المسيحيَّة

***

وماذا نقول عن فلسفة ارسطوطاليس وقد سادت على الافكار آماداً طوالاً ودخلت مدارس اليهود والنصارى والعرب فكانت ضالتهم المنشودة يترجمون كتبها ويشرحون غوامضها ناهيك ان المنطق ظلَّ نحواً من ستمائة سنة في العصور الوسطى وهو العلم الوحيد الذي كان يستنفد الوسع في دراستهِ ويستفرغ الجهد في تطلبهِ وحتى ان الاجيال الاخيرة مع سيرها شوطاً بعيداً في العلم لم تمرق بعد من طاعتهِ وما برح منطق ارسطوطاليس بين ايدي طلبة المدارس اليوم وهو لم يخطُ خطوة واحدة الى الامام او الى الوراء على ما قالهُ كَنت

والرواقية على ضعف تعاليمها ووهن مبادئها التي لا تقوى على نار التمحيص والتجريح ذات آداب سامية نابت مناب الدين زمن انحطاط الدولة الرومانية ووضعت الشرائع التي اقامت العدل والحق مقام العادات والامتيازات وعملت على تحسين حالة الانسان وعلمتهُ اعتبار الذات والحق

ص . ي

الوراثة

يراد بالوراثة القوَّة الطبيعيَّة التي تورث الولد من والديهِ واسلافهما ما فيهِ من الاوصاف والاخلاق الجسدية والعقلية اي الاصول التي بها قوام جسمهِ وعقلهِ لانها كلها موروثة من والديهِ واسلافهما . وهذه القوة متسلطة على كل انواع الحيوان والنبات . وقد انتبه الناس لها من قديم الزمان وقالوا ان الولد سر ابيهِ وعرفوا انها ناموس عام شامل كل الاحياء وبموجبها اصَّلوا انعامهم وما ربَّوهُ من الطيور والدواب وما زرعوهُ من الحبوب والبقول والاشجار لكن اساليبها التي تجري عليها لم تُعرَف الاَّ منذ عهد قريب ولم تُمحَّص كلها التمحيص الكافي حتى الآن للجري بموجبها كقواعد الحساب والكيمياء

ترى عائلة موَّلفة من اب ابيض الوجه اشقر الشعر طويل القامة وام سمراء الوجه سوداء الشعر قصيرة القامة يولد لها اولاد كثيرون صبيان وبنات فتجد البكر منهم شبيهاً بابيهِ والثاني شبيهاً بامهِ والثالث متوسطاً بينهما والرابع لا يشبه اباهُ ولا امهُ بل جدَّهُ لابيهِ او لامهِ او جدتهُ او احد اعمامهِ او اخوالهِ والخامس يشبه اباهُ او امهُ شكلاً ولكنهُ لا يشبههما لوناً بل هو شديد السمرة او شديد الشقرة وهلمَّ جرًّا . هذا من حيث الاوصاف الجسدية اما العقلية فقد تختلف اكثر من ذلك كثيرًا او يكون التشابه فيها للوالدين على اشدهِ . وكثيرًا ما تسمع واحدًا يتكلم وانت لا تراهُ فتعلم حالاً انهُ ابن فلان لان صوتهُ يشبه صوت ابيهِ ولو لم تكن قد سمعت ذلك المتكلم قبلاً ولا رأيتهُ . وقد يرث الاولاد من والديهم امورًا طفيفة جدًّا مثل كثافة الحاجبين ونمو شعرة طويلة في احدهما وحركات معلومة في العينين او اليدين ونحو ذلك مما سنذكرهُ مفصلاً

ولم يهتدِ الباحثون الى ناموس الوراثة اي الى القانون او القوانين الطبيعيَّة التي تتكيف بموجبها الاحياء وترث صفات اسلافها الاَّ منذ عهد قريب ولا يزال مجال البحث في هذا الموضوع واسعاً جدًّا . وسنلخص في هذه المقالة والمقالات التالية بعض ما وصلوا اليهِ حتى الآن ولا بدَّ لنا قبل ذلك من الكلام على كيفية تولُّد الحي من والديهِ فنقول

اذا ذبحت دجاجة من الدجاج الذي يبيض وجدت فيها كثيرًا من البيوض بعضها صغير جدًّا كحبوب الدخن وبعضها اكبر من ذلك فاكبر الى ان تجد بيضة تكاد تكون في حجم البيضة حين خروجها من الدجاجة . ومعلوم ان الدجاج الذي لا ديك معهُ بيضهُ عقيم اي لا تتولَّد منهُ فراخ واما الدجاج الذي معهُ ديك فتتولد منهُ فراخ اذا وضع تحت دجاجة

رنقاء او في مكان حرارتهُ كافية لنمو الفراخ فيهِ · واذا ذبحت الديك لم تجد فيهِ بيوضاً كثيرة كما تجد في الدجاجة بل وجدت فيهِ بيضتين فقط وهما خصيتاهُ واذا شققت الخصية منهما وفحصتها بالميكرسكوب وجدت فيها جراثيم صغيرة جدًّا كالدبابيس شكلاً تتحرك كأنها حية · فاذا تزاوج الديك والدجاجة خرج منهُ بعض هذه الجراثيم ودخل البيض الذي في الدجاجة فتصير الفراخ تتولد من ذلك البيض وكل فرخ منها يشابه والديهِ وقد يشابه اباهُ اكثر مما يشابه امهُ وقد يشابه امهُ اكثر مما يشابه اباهُ وقد يشابه اباهُ في بعض اوصافهِ وامهُ في البعض الاخر· والجرثومة التي تدخل البيضة صغيرة جدًّا بالنسبة الى البيضة ولكن صفات الفرخ لا تكون اشبه بصفات الام منها بصفات الاب كأن لا شأن لمقدار الجرثومتين اللتين تمتزجان وتكوّنان الفرخ جرثومة الديك الخارجة من خصيتيهِ وجرثومة الام التي في بيضتها· او ان الجرثومة الاصلية التي في البيضة صغيرة جدًّا كالجرثومة الآتية من الديك وما بقي من البيضة فهو غذاء لها

ولا بدَّ من اسماء اصطلاحية تسمى بها الاجزاء المختلفة التي يتولَّد منها الجنين فرأينا ان نترجم الاسماء الافرنجية بما يقاربها لفظاً ومعنىً وهي الجُمَع اي الجراثيم التي تتجامع او تتزاوج من الذكر والانثى اومن الخصية والبيضة ويقال لها باللغات الاوربيَّة gamets من gamos باليونانية اي زاوج او جامع· والازواج وهي الاجسام التي تحصل من هذا التزاوج و يقال لها باللغات الاوربيَّة zygote من zygo باليونانية اي زوَّج او قرن · والجراثيم اي الدقائق التي تكون فيها اصول الوراثة وهي من germen باللاتينية · وقد اخترنا الكلمات العربية التي نظن انها والكلمات الافرنجية من اصول واحدة تسهيلاً للحفظ . وكل جنين مكون اصلاً من جرثومتين مشتقتين من والديهِ ولا شبهة ان كل ما في الانسان من الصفات ناتج عن بناء جسمهِ فاذا كانت الجُمَع اي جراثيم الذكر والانثى التي تتجامع وتتزاوج صحيحة سليمة فالمرجح ان الازواج التي تتكون من مزاوجتها تكون صحيحة سليمة وهذا يشمل الصفات الجسدية والعقلية· واذا كانت الجُمَع مائلة الى الكسل والخمول فالمرجح ان الازواج التي تتكون منها تكون كسلانة خاملة · ومن المحتمل ان التربية والاحوال الخارجية تؤثران في الصفات الموروثة ولكن تأثيرها غير كثير وغير محدود

وقد بحث كثيرون في ما يرى من افعال الوراثة وجمعوها و بوَّبوها لعلهم يجدون لها قانوناً تجري عليهِ فتوصل صديقنا العلاَّمة فرنسيس غالتون الى الناموس المعروف بالقياس الحيوي (بيدمتري) وقد شرحناهُ منذ اربع سنوات ومفادهُ ان نصف ما في الولد من والديهِ والنصف

الاخر من اسلافهما ونصف هذا النصف من جديهِ وجدتيهِ والنصف الآخر من اسلافهم وهلمَّ جرًّا · وسنعود الى هذا الناموس بعد الكلام على ناموس آخر لم يتيسَّر لنا شرحهُ قبلاً وهو ناموس مندل · وقبل الكلام على هذا الناموس نذكر مثالاً يتضح بهِ وهو ان الفار البري اغبر اي رمادي اللون و يوجد نوع من الفيران ابيض بياضاً ناصعاً والفيران الغبراء سوداء العيون واما الفيران البيضاء فعيونها حمراء قرنفلية اللون اي ان الفيران الغبراء ملونة واما الفيران البيضاء فخالية من اللون فاذا ضُرِبت الواحدة بالاخرى اي حصلت المزاوجة بين الفيران الغبراء والفيران البيضاء فنسلها يكون اغبر دائماً وعيونهُ سوداء مثل الاغبر من الوالدين ولذلك يقال ان اللون الاغبر غالب في هذه الفيران واللون الابيض مغلوب لانهُ لا يظهر في النسل ولكن اذا زاوجنا النسل المتولِّد من ذلك بعضهُ ببعض ولد منهُ فيران غبراء عيونها سوداء وفيران بيضاء عيونها حمراء وتكون الفيران البيضاء اقل عدداً من الفيران الغبراء · واذا اكثرنا من مزاوجة الفيران الغبراء بالفيران البيضاء ومزاوجة نسلها بعضهُ ببعض حتى اجتمع لدينا مئات من الفيران المتولدة من ذلك رأينا ان عددها يجري على قياس واحد دائماً اي انهُ يتولد منها ثلاث فيران غبراء لكل فارة بيضاء

وقد فُسّر ذلك هكذا : — ان النسل الاول المتولد بين الفيران الغبر والفيران البيض الذي جاء كلهُ اغبر متولد من امتزاج جُمَعٍ فيها الاصول الغبراء وجُمَعٍ فيها الاصول البيضاء فتنتشر هذه الاصول في جسم الجنين كلهِ وتصل الى اعضاء التناسل التي تتولَّد فيهِ اي الى مبيض الانثى وخصيتي الذكر وتنفصل هذه الاصول بعضها عن بعض لسبب مجهول فتصل الاصول الغبراء الى نصف الجُمَع المتولدة في النسل والاصول البيضاء الى النصف الآخر ولذلك فحينما تتزاوج الفيران المتولدة من ذلك يتولَّد من تزاوجها اربعة اشكال وهي الاغبر مع الاغبر · والاغبر مع الابيض · والابيض مع الاغبر · والابيض مع الابيض كما يحدث من ضرب كمية ثنائية في نفسها · فاذا عبرنا بالحرف غ عن الاغبر وبالحرف ب عن الابيض فالحاصل من تضريب الاغبر والابيض في الاغبر والابيض هو غ غ + ٢ غ ب + ب ب كما لا يخفى · ومعلوم ان غ غ يجب ان يكون اغبر صرفاً وكذلك غ ب و ب غ كلٌّ منهما ممزوج من الاغبر والابيض فهو اغبر واما ب ب فيكون ابيض صرفاً اي يكون في النسل فارة بيضاء لكل ثلاث فيران غبراء ثم اذا اخذنا فارة من الفيران الغبراء المتولدة هذه النوبة من تضريب الغبر بالبيض وزوَّجناها بفارة بيضاء جاء نصف نسلها ابيض والنصف الآخر اغبر فاذا ولدتا اربعاً كان اثنتان منها بيضوين واثنتان غبروين لان الجُمَع في الفارة البيضاء تكون

حاوية الاصول البيضاء فقط والجُمَع في الفارة الغبراء يكون بعضها حاوياً الاصول البيضاء وبعضها حاوياً الاصول الغبراء ويظهر ذلك بهذه العبارة الجبرية فاذا عبّرنا عن جُمَع الفارة الغبراء بالحرفين ب + غ وجب ان نعبر عن جمع الفارة البيضاء بالحرفين ب + ب فاذا ضربنا العبارة الواحدة بالاخرى اي (ب + غ) × (ب + ب) حصل ب ب + ب ب + غ ب + غ ب اي فارتان من الفيران البيض وفارتان من الفيران الغبر

وقد ظهر بالتجارب الكثيرة ان هذه القواعد صحيحة اي ان الجُمَع المؤلفة من نوع واحد تنتقل الى النسل كما هي والجُمَع المؤلفة من نوعين يتغلّب بعضها على بعض فينتقل منها الغالب والمغلوب ويظهر كلٌّ منهما او يختفي حسب ما يتفق لهُ من امتزاجهِ بشيء يظهره او يخفيهِ. واول من اكتشف ذلك واثبتهُ بالامتحان راهب نمسوي اسمهُ مندل ولكن اكتشافهُ هذا بقي ثلاثين سنة طيَّ الخفاء

ولد مندل سنة ١٨٢٢ وكان ابوهُ بستانياً يعنى بغرس الاشجار فربي وهو عارف بكيفية الزرع والغرس والتطعيم ثم تعلَّم وترهب ودخل ديرًا للرهبان الاوغسطينيين في مورافيا تحيط بهِ جنائن كبيرة فاتمَّ دروسهُ الابتدائية وأُرسل على نفقة الدير الى مدرسة فينا الجامعة فدرس فيها الرياضيات والطبيعيات وجعل استاذًا في مدرسة برون واقام فيها اربع عشرة سنة ثم جُعل رئيساً للدير الذي نشأ فيهِ وكان وهو استاذ يمتحن زرع الفول والبازلا ويضرب احدهما بالآخر ونشر نتيجة تجاربهِ سنة ١٨٦٥ في اعمال الجمعية الطبيعية في برون وهي قليلة الانتشار فكأنهُ دفنها فيها وهذه النتيجة هي الناموس المذكور آنفاً المعروف الآن بناموس مندل او قاعدة مندل. ثم شغل بامور اخرى واعتلّت صحتهُ ومات سنة ١٨٨٤

ونحو سنة ١٩٠٠ كان بعض العلماء يبحث عن نواميس الوراثة فاكتشف الناموس الذي اكتشفهُ مندل ثم كشف بعض العلماء ما كتبهُ مندل في اعمال الجمعية الطبيعية وشرحهُ وكان ذلك منذ بضع سنوات وسنعود الى ذكر تجاربهِ في فرصة اخرى

ولا بدَّ لنا قبل التوغل في الكلام على هذا الموضوع من ايضاح امر قد يقف عثرة في سبيل بعض القراء وهو انهُ يصعب عليهم ان يتصوروا كيف ان البيضة الصغيرة التي يتولَّد منها الفيل تحوي من الجراثيم ما يكفي لتوليدهِ وتوليد الافيال التي تتولَّد منهُ ومن نسلهِ مدة قرون كثيرة ولكن العلم الطبيعي قد اثبت ان جرم الدقائق الاصلية التي تتكون منها الجراثيم صغير جدًّا جدًّا حتى ان الجرثومة الواحدة تحوي ملايين كثيرة من هذه الدقائق فاذا توزعت في جسم الجنين الذي يتولد منها ووصل بعضها الى مبيضهِ وتكونت منهُ جراثيم جديدة

كان فيها من الدقائق ما يكفي لتوليد بيوض اخرى واجنة اخرى وهلمَّ جرًّا مدة اعقاب كثيرة الى ان تتلاشى تلك الدقائق فينقرض النسل او تمتزج بها دقائق اخرى فيتحوَّل من صورة الى اخرى او من نوع الى آخر ولذلك فكبر البيضة وصغرها لا يقدّم ولا يؤخر ما دامت الدقائق الاصلية كثيرة جدًّا في الجرثومة حتى انها تعدُّ بالملايين

ثم ان التولُّد على الصورة المتقدمة اي من اجتماع جراثيم الذكور بجراثيم الاناث هو السبيل الوحيد للتولد في الحيوانات العليا وتجري عليهِ النباتات غالبًا ولكن الحيوانات الدنيا والنباتات كلها تجري ايضًا على اساليب اخرى فالزيتون يتولد بزرع بزرهِ وبزرع غصن منهُ وبزرع قطعة من ارومتهِ او جذرهِ وقس على ذلك التين والتوت والليمون واكثر الاشجار التي ليس فيها صمغ راتينجي ولا يندر ان ترى خشبة مقطوعة من توتة ومسمَّرة في آلة لرفع الماء وهي مع ذلك تفرخ كانها مزروعة في الارض . والاسفنج وهو حيوان اذا قطعتَ قطعًا صغيرة منهُ وزرعتها في البحر عاشت ونمت وتكوَّن منها اسفنج كبير . وسواء نبتت الشجرة من بزرة او من غصن او من جذر فان ناموس الوراثة ينقل اليها خواص امها الاصلية من غير اختلاف او باختلاف قليل . وهذا شأن الحيوانات التي تتولد من بيضة او من جزء من اجزاء امها الاصلية فان الوراثة تنقل اليها خواص امها من غير اختلاف او باختلاف قليل . ونقل هذه الخواص جارٍ على ناموسي الوراثة المشار اليهما آنفًا وبهما يعلَّل اختلاف الالوان والاشكال والاخلاق وانتقال الاستعداد للامراض ونحو ذلك مما سنبينهُ مفصَّلًا

وقد اثبت البحث ما رجَّحهُ هكسلي منذ سنة ١٨٧٨ وهو ان كل جزء من الحي البالغ يحوي دقائق مشتقة من ابيهِ وامهِ معًا فهو اشبه بنسيج سداهُ من الام ولحمتهُ من الاب فتمتزج الدقائق المشتقة من جسم الاب بالدقائق المشتقة من جسم الام ثم تنقسم وكل قسم من اقسامها يحتوي من النوعين ثم ينقسم كل قسم من الاقسام الخ حتى ان كل دقيقة من الدقائق التي تتكوَّن اخيرًا يكون نصفها من الاب ونصفها من الام اي ان سدى النسيج ولحمتهُ يكونان من الاب والام على حدٍّ سوى فالوراثة ثنائية بهذا المعنى اي ان الولد مشتق من والديهِ غير ان الدقائق التي تصلهُ من ابيهِ مشتقة اصلاً من ابوَي ابيهِ والدقائق التي تصلهُ من امهِ مشتقة اصلاً من والدي امهِ وهلمَّ جرًّا بالرجوع الى الاسلاف السابقين والصفات التي تحويها هذه الدقائق اما ان يوافق بعضها بعضًا فتقوى في النسل واما ان يخالف بعضها بعضًا فتضعف فيهِ او تتنوَّع على صور شتَّى كما سيجيء

غرائب الاتفاق

وصدق الاحلام

كانت سيدة ذاهبة الى البلاد الانكليزية في اواخر شهر مايو الماضي بطريق جبل طارق ·فارقتنا صباح الرابع والعشرين من الشهر وركبت سفينة قائمة من بورت سعيد وكتبت الينا في الحادي والثلاثين من الشهر وهي في عرض البحر امام بلاد اسبانيا قائلة انها حلمت ان فلانة ولدت صبيًّا في الليل الماضي· وكانت تعلم ان السيدة التي اشارت اليها حامل ويوم ولادتها قريب

وقد ولدت هذه السيدة صبيًّا في الحادي والثلاثين من شهر مايو الساعة السادسة صباحًا وهي تعادل الساعة الرابعة في المكان الذي كانت فيهِ السيدة الحالمة · فالحلم صحيح بكل تفاصيلهِ · ونسبة الاصابة الى الخطإِ في هذه الحالة كنسبة واحد الى ٢٦ او اكثر لان السيدة التي ولدت ذلك اليوم كان يحتمل ان تلد فيهِ او في اي يوم من الخمسة الايام التي قبلهُ او من الاسبوع الذي بعدهُ وان تلد صبيًّا او بنتًا والحاصل من هذين الاحتمالين ٢٦ فنسبة الخطإِ الى الاصابة كنسبة ٢٦ الى ١ ومع ذلك اصابت تلك السيدة في حلمها او حدسها وكتبت بهِ الينا وارسلت الكتاب من اول مرفإٍ وصلت السفينة اليهِ قبلما وصلها خبرنا بايام بل وصل كتابها الينا قبلما وصل خبرنا اليها

والنوادر التي من هذا القبيل كثيرة جدًّا وقد نشرنا بعضها في السنين الماضية ورأينا الآن ان ننشر النوادر التالية وهي من فصل قديم للعلامة الفرد رسل ولس

حلمت سيدة انكليزية مرتين في ليلة واحدة انها رأت اخاها بدنًا بلا رأس واقفًا عند رجلي سريرها ورأسهُ موضوع على تابوت بجانبهِ. وكانت تعلم ان اخاها في جهات الهند ولكنها لم تكن تعلم مقرَّهُ ثم اتضح انهُ كان في بورنيو مع السر جمس بروك وقد قتلهُ فيها الصينيون الذين ثاروا على الحكومة ظانين انهُ ابن حاكم البلاد وقطعوا رأسهُ واخذوهُ غنيمة واما جسمهُ فحرق باحتراق بيت الحاكم. وكتب رئيسهُ السر جمس بروك يقول ان اخذ الصينيين لرأسهِ يدل على انهم قتلوهُ اولاً ثم قطعوا رأسهُ · وفسَّر ولس ذلك بان نفس القتيل اعلمت اختهُ بما اصابهُ او نفسًا اخرى رأت ذلك واعلمت اختهُ بهِ

وحلمت سيدة اخرى انها رأت اخاها (وهي واياهُ توأمان) جالسًا في نور القمر على

جانب الطريق في تسمانيا حيث كان ثم رفع يدهُ وقال القطار القطار واذا بشيءٍ لطمهُ فسقط مغمى عليهِ ومرَّ شيءٌ كبير اسود ورأت بناء مثل مباني سكة الحديد ورجلاً تعرفهُ واخاها ايضاً ويدهُ على وجههِ وهو في حزن شديد وسمعت صوتاً غير صوتهِ يقول لها انهُ ذاهب عنها . ثم اتضح انهُ في تلك الليلة نفسها كان اخوها ماراً على سكة حديدية فجلس على الخط ونام ومرَّ القطار فقتلهُ والرجل الذي رأتهُ في حلمها كان راكباً في ذلك القطار . قال ولس ان النفس التي اعلمت هذه المرأة بموت اخيها لم تكن نفسهُ لانهُ هو لم يكن يعلم ان ذلك الرجل راكب في القطار فهي نفس اخرى رأت كل شيء واخبرت بهِ

وكان رجل من اهالي غلاسكو يسكن في لندن وعندهُ في معملهِ بغلاسكو شاب كان يودُّهُ فحلم ذات ليلة ان ذلك الشاب جاءهُ وطلب منهُ ان لا يصدق ما يسمعهُ عنهُ فسألهُ الرجل عن امرهِ فقال لهُ الشاب ثلاثاً ستعلم قريباً . ورأى الرجل وجه الشاب اصفر مزرقاً وهو يتصبب عرقاً ولما استيقظ استلم البريد فاذا فيهِ كتاب لهُ من وكيلهِ في غلاسكو يقول لهُ فيهِ ان الشاب فلاناً انتحر بشرب ماء الفضة . ومن يشرب ماء الفضة يصفر وجههُ ويزرق كما رأى ذلك الرجل في حلمهِ وكان هذا الشاب قد مات قبل الحلم بيومين . ومن رأي ولس ان نفس الشاب هي التي اخبرت صاحب المعمل لنفي تهمة الانتحار

ودعي رجل الى جنازة فلم يستطع الذهاب اليها وفي ميعاد الجنازة اصابتهُ غيبوبة فحلم انهُ حضر الجنازة وشاهد كيفية سيرها ومَن صلَّى على الميت ولما انتبه كتب ذلك كلهُ ثم وجد ان الجنازة حدثت كما شاهدها في حلمهِ

وغرق شاب اسمهُ فيليب من تلامذة المدرسة الكاثوليكية قرب هرتفرد سنة ١٨٤٦ وفي نحو الساعة التي غرق فيها كان ابوهُ واختهُ مارين في طريق فرأياهُ امامهما جالساً مع شاب آخر وهما بثياب سوداء. فقالت اختهُ لابيها انظر يا ابتِ هوذا فيليب فنظر وقال نعم هذا هو ولكن منظرهُ منظر ملاك. واسرعا اليهِ وفي تلك اللحظة مرَّ رجل امامهما فرأيا كأنهُ اخترق جسم فيليب ورفيقهِ ثم تبسَّم الاثنان واختفيا

وجاء رئيس المدرسة الدكتور كوكس ينعي الولد الى ابيهِ فقال لهُ ابوهُ قبلما كلمهُ اني عرفت لاي غرض انت آتٍ وقصَّ عليهِ ما رأى هو وابنتهُ . وبعد اسابيع قليلة زار هذا الوالد مدرسة الجزويت في ستونيهرست فرأى فيها صورة تشبه صورة الشاب الذي رآهُ مع ابنهِ وقد كُتب تحتها انها صورة القديس ستانسلاوس كوتسكا وهو من طغمة الجزويت وكان ابنهُ قد اختارهُ حارساً لهُ عند تثبيتهِ

وفسَّر ولس ذلك بان الطيفين اللذين رآهما الوالد وابنتهُ إما انهما طيفا ابنهِ والقديس حارسهِ او ان روحاً من ارواح احد اصدقائهِ مثلت لهما ذينك الطيفين لكي يطمئن بالهما ورجح الثاني. قال وهذا اي اظهار الميت في صورة تعزي ذويهِ كثير الوقوع مثال ذلك ان شابًا غرق بغرق السفينة لابلاتا سنة ١٨٧٤ وقبلما وصل نعيهُ الى اخيهِ في لندن حلم اخوهُ انهُ كان في احتفال بهيج في حديقة كبيرة تتدفق مياهُ فساقيها والانوار منبثة بينها وقدامها جمهور غفير من نخبة الرجال والنساء ولقي فيها اخاهُ بثياب المساء والصحة تتدفق من وجههِ فدهش من ذلك وسألهُ قائلاً ما اتى بك الى هنا فصافحهُ اخوهُ وقال لهُ ألا تعلم ان السفينة غرقت بنا وفي اليوم التالي نشرت الجرائد خبر غرق تلك السفينة. قال ولس ان مراد هذا الطيف اقناع الرجل ان اخاهُ في حالة تسرُّ سواء كان طيف اخيهِ نفسهِ او طيف شخص آخر

ومن قبيل ذلك ان رجلاً استيقظ في باريس ذات يوم وهو يسمع صوت ولد من اولادهِ ورأى وجههُ مشرقاً في وسط سحابة بيضاء وعيناهُ تتلألآن وفمهُ يتبسم وعليهِ كل امارات البشر والسرور وكان قد تركهُ في لندن ثم علم ان ذلك الولد مات في الساعة التي رأى طيفهُ فيها. وفسر ولس ذلك بان الروح التي تحرس ذلك الولد صوَّرتهُ لابيهِ بتلك الصورة لكي لا يحزن على موتهِ

ومنهُ ان رجلاً من اهالي بوستن كان في سنت لويس منهمكاً باشغالهِ فرأى طيف اختهِ وكانت قد توفيت منذ تسع سنوات وكان الوقت الظهر ووقف طيفها امامهُ وهي لابسة ثيابها حتى ظن انها قد بُعثت واتت اليهِ ورأى في وجهها خمشاً من الجهة اليمنى. وقد اثرت فيهِ صورتها تأثيرًا شديدًا فركب اول قطار وعاد الى بيت ابيهِ واخبرهُ بما رأى فضحك ابوهُ منهُ لتصديقهِ هذه الخرافات ولكنهُ لما قال انهُ رأى خمشاً في وجه اختهِ صرخت امهُ وكاد يغمى عليها ثم اخبرتهما انها هي نفسها خمشت وجه ابنتها عرَضاً بعد موتها ثم غطت الخمش فلم يرهُ احد غيرها. ثم ماتت هذه المرأة بعد ايام قليلة وهي مطمئنة بان ابنتها في الجنة. قال ولس والغرض من ظهور هذا الطيف اراحة بال هذه الوالدة

ومن قبيل ذلك ان قسًّا اسمهُ ومبري كان يمشي في بعض المروج يوم احد مساء وهو يفكر في كتابة مكتوب تهنئة الى صديق لهُ لكي يرسلهُ اليهِ في عيد ميلادهِ فسمع بغتة صوتاً يقول لهُ اتكتب الى الاموات. ولم يرَ احدًا قريباً منهُ فحاول ان يقنع نفسهُ بانهُ توهم انهُ سمع الصوت توهُّماً واستمرَّ على التفكير في كتابة المكتوب ثم سمع ذلك الصوت ثانية يقول لهُ اتكتب الى الميت اتكتب الى الميت. لكنهُ كتب المكتوب وبعث بهِ الى صديقهِ فاتاهُ

الجواب ان صديقهُ مات قبل وصول الكتاب . قال ولس لا شبهة ان هذا الصوت الذي سمعهُ ذلك القس لم يكن صوت احد من الاحياء وما في عبارتهِ من الاستخفاف يدل على ان المتكلم لم يكن يحسب الموت امرًا يستاء منهُ . ومذهب ولس ان هذه الطيوف كلها والاحلام التي من نوعها ظواهر تظهر لغاية مخصوصة كما تقدَّم اما الاستاذ ميرس وهو من اكثر الناس بحثًا في هذا الموضوع فرأيهُ انها من احلام الغائبين او الموتى يشعر بها الذين يرونها بما يسمَّى بقوة التلبثي اي الشعور عن بعد وانها في الغالب من الاضغاث التي لا معنى لها

واستطرد الدكتور ولس الى ذكر الظواهر التي تحذّر من خطر مقبل مثال ذلك ان امرأة كانت في شبه جزيرة ملقا سنة ١٨٧٨ فسمعت ذات يوم صوتًا يقول لها اذا اظلم النهار عند الساعة الحادية عشرة فلا بد من موت احد . وكانت لا تزال في فراشها ثم سمعت هذا الكلام ثانية ومرَّ اسبوع والجو صافٍ ثم مرضت ابنتها وتغيَّر الهواء واشتدَّ النوء ونحو الساعة الحادية عشرة اظلم الجو من تكاثف الغيوم وماتت ابنتها في ذلك اليوم عينهِ بعد الظهر بساعة

ومثالهُ ايضًا امرأة اخرى حلمت انها رأت سيدة مرَّت بها وهي لابسة ثيابًا سوداء ثم رأتها ملقاة على الطريق وقد اجتمع الناس حولها وبعضهم يقول انها ماتت وبعضهم انها لا تزال حية ولما وصلت اليها سألت عن اسمها فقيل لها انها فلانة وكانت تعرفها ولكنها لم ترها ولا سمعت عنها منذ زمن طويل . وقصَّت حلمها على اختها في اليوم التالي وبلغها بعد اسبوع ان تلك المرأة وقعت عن جدار على جانب الطريق وآذت نفسها كثيرًا

واغرب من ذلك كلهِ ان شابًا انكليزيًا مضى الى زيلندا الجديدة ولقي ذات يوم بحارًا من بحَّارة السفينة التي مضى فيها فاخبرهُ البحار انهُ ذاهب للصيد مع بعض الرفاق في قارب ودعاهُ للذهاب معهم فاجابهُ الى ذلك واتفقا على ان البحَّار ورفاقهُ يوقظون ذلك الشاب في الصباح ليذهب معهم . ومضى الى بيتهِ وهو عاقد نيتهُ على الذهاب لكنهُ سمع صوتًا يخاطبهُ ويقول لهُ لا تذهب معهم والتفت الى ما حولهُ فلم يرَ احدًا لكنهُ قال ولماذا لا اذهب فقال لهُ الصوت قلتُ لك ان لا تذهب فقال لا بدَّ لي من الذهاب لانهم سيأتون ويوقظونني ويأخذونني معهم فقال لهُ الصوت أقفل بابك . ثم التفت الى باب غرفتهِ واذا فيهِ قفل كبير ولم يكن قد انتبه لهُ قبلاً فاقفلهُ بهِ ونام وسمع البحار ورفاقهُ يقرعون الباب الساعة الثالثة صباحًا لكنهُ تناوم ولم يفتحهُ فقرعوا طويلاً ولما يئسوا منهُ ذهبوا وهم يشتمونهُ ويلعنونهُ . وعند الساعة الثامنة بلغهُ ان القارب الذي ذهبوا فيهِ انقلب بهم فغرقوا كلهم ولم ينجُ منهم احد وقذف البحر جثثهم على البر في ذلك اليوم واليوم التالي

ومن رأي ولس ان نفساً من نفوس الاموات انذرت هذا الشاب وحذرتهُ من المهلكة ولكنهُ لم يبين لماذا لم تنذر غيرهُ ولا كيف علمت بما سيحدث في المستقبل

وذكر امثلة اخرى يستدل منها على ان ما يحدث من هذا القبيل لا يكون حدوثهُ بقوة تنتقل من شخص الى آخر خلافاً لما يقولهُ اصحاب مذهب التلبثي من ذلك ان امرأة شعرت قبل ان نهضت من فراشها ان لطمةً اصابتها على فمها فوضعت منديلها على شفتيها لتمسح بهِ الدم حاسبة ان اللطمة ادمتها وفي تلك الساعة عينها كان زوجها في قارب فعبثت بهِ الامواج وضرب عمود الدفة بفمهِ واذى شفتهُ حيث شعرت زوجتهُ ان اللطمة اصابتها . قال ولس ان هذا الرجل لم يكن يريد ان تتأثر امرأتهُ من الضربة التي اصابتهُ ولا كان يريد ان تعلم بما اصابهُ ولذلك فالذي جعلها تشعر بما شعرت بهِ ليس قوةً خارجة منهُ بل قوة اخرى مستقلة عنهُ. والظاهر انهُ يذهب الى ان روحاً من ارواح الموتى رأت اللطمة التي اصابت الرجل فذهبت حالاً ولطمت امرأتهُ ايضاً لكي يصير الاثنان في الهوى سوى

ومنها ان مهندساً كان ماراً وفكرهُ مشغول برسم بعض الاحواض فهجم عليهِ اثنان من الفحامين واوقعا بهِ لكنهُ نهض وحاول ان يعرفهما لكي يخبر رجال الحفظ عنهما وهو واثق انهُ في تلك الساعة والساعة التي قبلها لم يخطر على بالهِ رجل من اصدقائهِ في لندن لكن ذلك الرجل شعر في الوقت نفسهِ ان ذلك المهندس كان ماشياً وراءهُ في شارع من شوارع لندن فالتفت اليهِ ورآهُ ورأى امارات الالم على وجههِ فسألهُ عن سبب ذلك فقال لهُ اذهب يا صاح اما انا فقد اصابني ما اصابني . وكتب المهندس الى صديقهِ يخبرهُ بما جرى لهُ وكتب اليهِ صديقهُ يخبرهُ بما رأى في الطريق وتقاطع الكتابان

ومنها ان شاباً دخل احد الاندية ليسمع خطبة ورأى هناك صديقاً من اصدقائهِ فعزم ان يعود معهُ الى بيتهِ ماشياً بعد انتهاء الخطبة ولكنهُ التفت والخطيب في وسط خطبتهِ فرأى باباً الى جانب دكة الخطابة فنهض ومشى اليهِ مدفوعاً الى ذلك بقوة لم يعلم سببها وفتحهُ وخرج منهُ ورأى المكان مظلماً وفي طرفهِ نور ضئيل فمشى اليهِ فرأى هناك ممشىً مشى فيهِ الى الباب الخارجي وكان الخطيب لا يزال آخذاً في خطبتهِ اما هو فلم ينتبه لهُ ولا عاد انتكر بصديقهِ الذي كان عازماً على الرجوع معهُ بل خرج من باب النادي وسار الى بيتهِ فلما وصل اليهِ وجد النار مضطرمة في البيت المحاذي لهُ وامهُ في اضطراب شديد فنقلها حالاً الى مكان آخر واخذ يبذل جهدهُ في وقاية بيتهِ من النار فنجح بعد عناء شديد اما البيت المحاذي لهُ فاحترق كلهُ . وقد قال هذا الشاب انهُ لو خطر على بالهِ وهو في النادي ان

يتهُ في خطر من النار لاستخف بهذا الخاطر ونفاهُ من ذهنهِ لانهُ من ابعد الناس عن تصديق الاوهام . ومن رأي الدكتور ولس ان نفساً عاقلة رأت الخطر المحدق بيبت هذا الشاب وكانت تعلم انهُ لا يستسلم للاوهام فاثرت في ذهنهِ تأثيرًا جعلهُ يخرج من النادي ويسير الى يتهِ وهو لا يعلم الغرض من ذلك . وقال في خاتمة كلامهِ انهُ ان كان عالم الارواح موجودًا وان كان الموت لا يفني النفس الخالدة فهل يبعد عن التصديق ان نفوس بعض الاموات تستاء من انكارنا الخلود فتبذل جهدها لاقناعنا بخطائنا وهل يبعد عن التصديق انها تبذل جهدها لتريناانها لا تزال حية وان الموت لا يقضي على النفس كما يقضي على الجسد وانها ليست في حالة تسوءنا . ولعل اعتقاد الناس بوجود الارواح الحارسة صحيح مبني على حقائق راهنة وهذا يفسر لنا كيف كان لسقراط روح تحذرهُ من الوقوع في الخطر وكيف كان لغيرهِ ارواح تنذرهم وترشدهم . والشواهد كثيرة على ان الذين يموتون حديثاً تظهر ارواحهم لذويهم وتطلب منهم ان يفعلوا بعض الامور وهو ما يُنتظر منها

هذا والنتائج التي وصل اليها ولس ومَن يذهب مذهبهُ من حيث تأثير نفوس الاموات بالاحياء مبنيةٌ على مثل الحوادث المذكورة آنفاً فان كانت هذه الحوادث قد حدثت حقيقة كما يرويها اصحابها من غير تحريف ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان فالنتائج التي وصل اليها ولس ومن يذهب مذهبهُ من الروحيين صحيحة ولكنها تجعل عقول تلك الارواح اسخف من عقول المجانين في بعض الاحوال واسمى من عقول الملائكة في احوال أُخرى . فتلطم امراة على فمها حتى تكاد تدميها لكي تعلمها ان زوجها لُطم على فمهِ وتعلم في الساعة الثالثة من النهار ما سيصيب بحارًا وجماعتهُ بعد ساعتين او ثلاث . وتثب من اقصى المشرق الى اقصى المغرب لتخبر امرأة ان اخاها قتل وقطع رأسهُ او مرَّ القطار عليهِ وداسهُ ويشق عليها ان تنذر ذلك الاخ ليهرب وينجو او ليفيق ولا يدع القطار يدوسهُ . واذا امعنتَ نظرك في كل ما رووهُ عن الارواح وجدت تسعة اعشارهِ من مثل هذه السخافات وهذا لاينفي وجود الارواح وخلود النفس ولكن لو محصت الاخبار المذكورة آنفاً لوجد اكثرها مبالغاً فيهِ والصحيح منها ليس فيهِ من الغرابة ما يخرجهُ عن حد الحوادث العادية

اما الحلم الذي اشرنا اليهِ في صدر هذه المقالة فلا يتعذَّر تفسيرهُ على مَن يعرف كل القرائن المتعلقة بهِ وهذا نص عبارة الكاتبة

"I dreamed last night (Saturday) E. had her baby (I wonder if I am right after all) on the 30th and a boy."

اي حلمت البارحة السبت في الثلاثين من الشهر ان ا . ولدت ومولودها صبي أفلم أُصب

اما القرائن فهي ان السيدة التي حلمت هذا الحلم كانت تعتقد ان السيدة الحامل ستلد صبيًّا وكانت تعلم ان يوم ولادتها قريب ينتظر يومًا فيومًا وكان معها في السفينة سيدة اخرى معها طفل صغير عمرهُ بضعة اسابيع وقد كتبت في الكتاب نفسهِ انها حملتهُ يوم السبت ونومتهُ فهذه القرائن جعلتها تهدس بولادة الطفل نهارًا وتحلم بهِ ليلاً فرسخ في ذهنها ان المولود سيكون صبيًّا وترجّح احتمال من الاحتمالين ولم يبقَ الاَّ يوم الولادة ولكن حملها للطفل في السفينة يوم السبت اثر في ذهنها فحلمت بهِ ليلاً وهذا يضعف سائر الاحتمالات ويرجح انها تحلم بان ا. ولدت تلك الليلة وولدت صبيًّا حتى لو حلمت ان ا. ولدت في ليلة اخرى وولدت ابنة لكان ذلك اغرب. فصحة هذا الحلم ليست من الخوارق التي نضطر ان نفرض لها ان نفسًا من نفوس الموتى رأت الولادة في القاهرة فطارت الى اقصى بحر الروم امام اسبانيا ودخلت مخدع تلك السيدة واثرت في دماغها تأثيرًا جعلها تعتقد ان صديقتها ولدت صبيًّا. ولو لم يكن كتابها امامنا ونحن نكتب هذه السطور لصدقنا ما قالهُ لنا الذين قرأوهُ اولاً وهو انها عينت اليوم والساعة التي ولد فيها الطفل من غير ان يشيروا الى القرائن. ولو محّص الناس اكثر الروايات الغريبة التي من هذا القبيل لزال منها ما فيها من الغرابة ورأوها مثل سائر الحوادث الطبيعية التي تعلل بالنواميس الطبيعية

بقي امرٌ آخر لا يقلُّ عن هذه الحوادث غرابة وهو كيف ان عالمًا مثل ولس يعتقد صحة هذه الاخبار من غير ان يمحصها التمحيص الكافي ثم يفرض لتعليلها فرضًا اذا ازال مشكلاً اوقع في مشاكل . فان مرور خاطر في ذهن الانسان ان بيت جارهِ احترق وبيته في خطر من الحريق اقرب احتمالاً واسهل ادراكاً من فرض روح من ارواح الاموات رأت البيت يحترق فبادرت واثرت في نفس ذلك الرجل . واذا كانت هذه الارواح حولنا فلماذا يقتصر عملها على انذار واحد من مئة الف مرةً واحدةً في حياتهِ ولماذا لا تكون اشفق من ذلك فتنذرهُ مرارًا كثيرة ولماذا لا تنذر غيرهُ والناس كلهم محتاجون الى انذارها ولماذا تقتصر على السخافات في اكثر الاحوال

اما التعليل الذي نراهُ اقرب الى الصواب لاكثر الحوادث المتقدمة فهو ان الذين رووا اخبارها لم يرووها على حقيقتها ولو فعلوا لزالت غرابتها وما يبقى منها غريبًا بعد تمحيصهِ فحدوثهُ من قبيل الاتفاق . اما حادثة الشاب الغريق فان كانت قد رويت على حقيقتها تمامًا فهي صحيحة وتمتاز عن غيرها من الحوادث المذكورة بنبالة غايتها ولكن لا بد لطالب الحقيقة من ان يقول لماذا لا تكون الحوادث التي مثلها كثيرة ولماذا لا تظهر على اسلوب يقنع الناس كلهم

آثار فلسطين

مُني هذا القطر بسقم تاريخهِ المكتتب لكنهُ منح ما يقوم مقام التاريخ وهو رغبة اناس من علماء اوربا واميركا في النقب عن آثارهِ واستجلاء غوامضها فاستنبطوا لهُ من باطن الارض تاريخاً يفوق كل تاريخ مكتتب دقةً واسهاباً . وهذا شأن فلسطين ايضاً فان تاريخها القديم سقيم لا يعوَّل عليهِ لكن رجال النقب يسعون لدى الدولة العلية لتأذن لهم في النقب عن آثارها القديمة وكلما انقضت مدة "ارادة" سعوا للحصول على ارادة اخرى وواصلوا النقب والبحث. ومما انضوا اليهِ همتهم البحث في خرائب جازر وهي من المدن التي ورد في التوراة ان ملك مصر اعطاها لابنتهِ لما اقترن بها سليمان الحكيم في جملة مهرها . وقد اجتمعت جمعية النقب في فلسطين في السابع عشر من شهر يونيو الماضي في مدينة لندن وخطب فيهم الاستاذ الكسندر مكاستر والدالمستر مكلستر مدير النقب في فلسطين الآن وشرح المكتشفات التي كشفت منذ الاجتماع العمومي السابق وهاك خلاصة ما قالهُ في تلك الخطبة

ان الانقاض التي وجدت قرب سطح الارض وهي احدث ما وجد هناك يدلُّ ما فيها من الآثار على انها من عهد اليونانيين والمكابيين وتحتها انقاض من عهد اليهود الذين دخلت هذه المدينة في حوزتهم لما اعطاها فرعون لابنتهِ زوجة سليمان. وتحت هذه انقاض تدلُّ آثارها على انها من زمن دخول بني اسرائيل الى ارض فلسطين اي من زمن خروجهم من مصر وتحت ذلك انقاض المدينة القديمة التي ارسلت منها الرسائل السبع التي وجدت في تل الامرنة في القطر المصري مكتوبة بالحرف الاشوري وتحت ذلك انقاض مدينة طال عهدها جدًّا و بلغ زمانهُ اكثر من الزمن الذي مرَّ بين ايام تحتمس ملك مصر وزمن المكابيين . وهناك تنتهي انقاض البناء ويوصل الى سطح التل الطبيعي الذي بنيت المدن عليهِ وفيها آثار اقوام من سكان الكهوف وهم الذين سكنوا سورية قبل غيرهم وقبل زمن التاريخ

فالطبقة العليا من عهد المكابيين والظاهر ان هذه المدينة خربت في عهدهم ولم تبنَ بعد ذلك ولكن يظهر من الآثار التي وجدت في الاودية حولها ان تلك الاودية بقيت مسكونة بعد خراب المدينة في زمن الرومانيين واوائل عهد المسيحيين لان فيها كثيرًا من الآثار المسيحيَّة القديمة من ذلك اثار كنيسة وصينيَّة للعشاء الرباني من الخزف وفيها قطعة من الزجاج ملصقة بها يظن انهُ كان تحتها قطعة صغيرة من الخبز وانها مما كان يوضع على قبر

الميت على جاري عادة المسيحيين القدماء التي ابطلت في المجمع القرطاجني الثاني الذي عقد سنة ٣٧٩ . وفيها ايضاً آثار رومانية قديمة من ذلك آثار حمام قديم ارضهُ مرصوفة بالفسيفساء وطولها ٦٨ قدماً وعرضها ٥٨ قدماً

وهناك قبور قديمة يونانية ومكابية وقد وجد في واحد منها يد جرة من الخزف عليها كتابة عبرانية قديمة ومعها ايدي جرار خزفية من عمل رودس وعليها تاريخ من زمن المكابيين وآثار المكابيين في جازر نفسها كثيرة جدًّا وفي جملتها برج وحمامات والسور الذي بناهُ سمعان المكابي وقصرهُ الذين كان يقيم فيهِ وقد نظف المستر مكلستر غرفة من غرفهِ وسكن فيها

وتحت آثار المكابيين وجدت آثار الفلسطينيين و بينها كثير من الخزف والقوالب التي تفرغ فيها الحلى الذهبيَّة وبينها آثار كريتيَّة تدل على ان التجارة كانت متصلة بين جزيرة كريت وبلاد فلسطين · ويظهر من التوراة ان هذه المدينة كانت في يد الفلسطينيين في زمن داود الملك

والآثار التي وجدت تحت ذلك تدلُّ على عادات الكنعانيين القدماء وشعائرهم الدينيَّة فانهم كانوا يدفنون صحفة طعام مع الميت و يضعون يدهُ فيها و يقربون الفتيان والفتيات لمعبوداتهم وينشرون التقدمة بمنشار الى شطرين و يفعلون ذلك حينما يريدون بناء بيت او حصن ويدفنون التقدمة في الاساس وقد وجد هيكل فتًى وفتاة وهما منشوران نشرًا في سلسلتيهما

اما الانقاض التي من زمن تحتمس ملك مصر ورسائل تل الامرنة فوجد فيها صحيفة من الخزف عليها صورة الزهرة والحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والنسر والسنبلة والميزان والجوزاء والعقرب والرامي والجدي والدلو والحوت وهي تشبه صورة البروج التي وجدت في آثار بابل · وقد طبعت هذه الصور فيها بطابع اسطواني · ووجد كثير من الختوم البابليَّة الاسطوانية الشكل وهي تدل على الاتصال القديم بين جازر وبابل ولكن الآثار التي تدلُّ على الاتصال بينها و بين مصر اكثر كثيرًا وفي جملتها ختم رعمسيس الثالث وكثير من الجعلان واكثرها من زمن الدول الوسطى ووجدت قبلها آثار مصرية تمتد في تاريخها من زمن الدولة السادسة الى زمن الملك نيفاروت وهو الاخير من الدولة التاسعة والعشرين من الدول المصرية الذي حكم نحو سنة ٣٧٩ قبل المسيح ولذلك كانت جازر متصلة بمصر سياسياً وتجاريًا اكثر زمن وجودها

ووجد بين الانقاض القديمة امثلة لكل نوع من المباني التي وجدت في بلاد الشام وما حولها ولاسيما المرتفعات اي الاماكن التي يعبد فيها وتقدم الذبائح. ومن احدث ما وجد فيها سرب محفور في الصخر يوصل بهِ الى ينبوع عميق حفرهُ سكان جازر في الزمن القديم حتى يستقوا من ذلك الينبوع اذا حوصرت مدينتهم. والظاهر انهم شرعوا في حفرهِ نحو سنة ٢٠٠٠ قبل المسيح وتركوهُ نحو سنة ١٥٠٠ قبل المسيح وهو يغور في الصخر الى عمق ٩٤ قدماً وقد حفر على اسلوب حتى ان النور الواصل من فيهِ ينير المكان الاسفل الذي فيهِ الماء. وهو اعظم عمل هندسي اكتشف حتى الآن في فلسطين. ويسمَّى الينبوع الذي في اسفلهِ بالتنور واهالي تلك البلاد يعتقدون انهُ من ينابيع الغمر التي فاضت وقت الطوفان وسنعود الى وصفهِ في فرصة اخرى

اما الآثار الباقية من عهد السكان الاقدمين الذين كانوا يقيمون في الكهوف فغير كثيرة ولكنها غاية في الدلالة فقد وُجد هناك كهوف صغيرة فيها غرف مختلفة وفوق افواه هذه الكهوف ثماني طبقات من الانقاض تراكمت فيها الانقاض في عصور مختلفة والطبقة الثالثة منها من عهد الدولة الثانية عشرة من الدول المصرية اي ان السكان الذين بقيت من آثارهم كانوا قبل المسيح بالفي سنة فالذين سكنوا تلك الكهوف تقدموهم كثيراً في الزمن ولا يبعد انهم كانوا قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة. ووجدت على جدران الكهوف صور حيوانات كالصور التي وجدت في كهوف جنوبي فرنسا اكثرها صور بقر على غاية السذاجة وبينها صورة حيوان تحيط بهِ شبكة او شيء من مثل ذلك

وحث الخطيب سامعيهِ على مساعدة جمعية النقب بالمال لكي تتمم اعمالها في الاشهر القليلة الباقية لها للنقب في ذلك المكان

وقام بعدهُ الاستاذ جورج ادم سمث فاثنى الثناء العاطر على همة المستر مكلستر وخص بالثناء رجال الحكومة العثمانية الذين سهلوا عليهِ النقب والبحث وساعدوهُ اتم المساعدة ورجلاً اسمهُ سرابيون مراد وهو ناظر على الاراضي التي فيها جازر وقد عاون المستر مكلستر بكل جهدهِ. واستطرد الى شكر الاستاذ مكلستر والد المستر مكلستر وقال ان من سعد المستر مكلستر ان اباهُ رجل قرن العلم بالعمل وساعدهُ بمعارفهِ الواسعة

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي تدرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

اقتصاد الاولاد

اذا فتشت عن عيوب الناس وجدت جانباً كبيرًا منها إما إفراطهم في الاقتصاد حتى يصير بخلاً وإما افراطهم في النفقة حتى تصير اسرافاً . والبخل رذيلة سلبيَّة في الغالب قلما تعود بالضرر على صاحبها واما الاسراف فرذيلة ايجابيَّة تضر صاحبها . ولا داعي لذكر الشواهد على ذلك لان كل احد يستطيع ان يشير الى اناس ولدوا في نعمة واسعة وكان ينتظر ان يعيشوا في الراحة والرفاهة مكرمين بين اقرانهم ثم اسرفوا وتمادوا في الاسراف حتى افتقروا بعد ان اضنوا اجسامهم وعقولهم . وانما غرضنا ان نشير الى اسلوب يعلّم الاولاد على الاقتصاد فيقوي فيهم خلق الاقتصاد اذا كان موجودًا بالفطرة ويضعف خلق الاسراف اذا كان هو الموجود فيهم لا خلق الاقتصاد . وهذا الاسلوب هو ترغيب الاولاد في ذخر كل غرش يصل الى يدهم في صندوق التوفير. واهتمام والديهم بذلك حتى يرى الاولاد ان ما يفعلونهُ من هذا القبيل منظور اليهِ بعين الاعتبار ولهُ شأن كبير عند والديهم . ومتى اخذ الاولاد يتنافسون في الاقتصاد لم يبقَ خوف من انهم يعدلون عنهُ الى الاسراف ولكن اذا ظهر منهم انهم لا يبالون بالاقتصاد او انهم يقتصدون اليوم ويسرفون فيما يقتصدونهُ غدًا فهناك يجب الاعتناء والحذر . واذا لم يوجه الوالدان كل عنايتهما الى نزع الميل الى الاسراف من نفوس اولادهم فالعاقبة وخيمة عليهم . واذا وجدوا بعد طول الاهتمام والعناء ان الولد مسرف بالطبع ولا يمكن صرفهُ عن طبعهِ هذا وجب تدبير التدابير التي تمنعهُ من التصرف المطلق بمال والديهِ وبمالهِ هو اذا آل اليهِ بالارث وتقييدهُ بالانفاق مما يكتسبهُ هو وقاية لهُ من الاضرار بنفسهِ وبغيرهِ

غير ان اخلاق الانسان لا تظهر كلها دفعة واحدة ولا تجري على نسق واحد دائماً بل تختلف باختلاف السن فقد يكون في صباهُ من المسرفين المبذرين ثم ينقلب ويصير من

المقتصدين المدبرين وامثلة ذلك كثيرة وقد يكون سبب هذا الانقلاب طبيعياً وراثياً وقد يكون عارضاً عن تغير الاحوال. ونحن نكتب هذه الكلمات وفي بالنا شابان الواحد كان غاية في الاسراف والتبذير حتى وصل الى اقصى درجات الفاقة واضطرَّ اخيرًا ان يبيع ثيابهُ ليأكل بثمنها كل ذلك وابوهُ في سعة ولا يمدُّهُ بقرش ثم انقلب دفعة واحدة من هذا الاسراف الى الاقتصاد التام وهو الآن لا يفرط بقرش اذا استطاع اذخاره. والثاني كان ينفق كل دخله وفوق دخله على غير اضطرار ويشكو دائمًا من ذويهِ لانهم لا يمدونهُ بالمال. وبينما هو في هذه الحال خطب وتزوج والدخل الذي لم يكن يكفيهِ عزبًا صار يكفيهِ متزوجًا. والنصائح التي كان الاثنان يسمعانها في صباهما ولا يعيانها ولا يفهمان معناها انتصحا بها اخيرًا وصارا ينصحان بها غيرهما. وهذا يدلُّ على ان اهتمام الوالدين بتدريب اولادهما على الاقتصاد قد لا تضيع فائدتهُ ولو ظهر من الاولاد عدم الاكتراث لهُ في صباهما

وغنيٌّ عن البيان ان كل الاعمال العظيمة كالمعامل والمصانع عملت باموال المقتصدين. اما المسرفون فلا فائدة منهم الاَّ تفريق الاموال حتى ينتفع بها كثيرون ولا فائدة لهم غير لذة وقتية تعقبها حسرات دائمة

غرور الاولاد

يكتب الينا بعض الاباء من وقت الى آخر لننوّه في المقطم بذكر اولادهم الذين فازوا في الامتحان او امتازوا على الاقران وهم لا يعلمون ان ذلك يضرُّ باولادهم لانهُ يحملهم على الغرور والاعتداد بانفسهم ولا نقول انهُ يضرُّ بهم دائمًا لانهُ قد لا يضرُّ بهم بل يزيدهم همةً واجتهادًا ولكن ضررهُ مرجح اكثر من نفعهِ. وقد اتفق اننا ذكرنا بالامس نجاح ولد من اولاد احد اصدقائنا على غير رغبة ابيهِ لاننا رأينا ان نجاحهُ باهر جدًّا فانهُ امتاز على اكثر من الف من شبان الانكليز اقرانهِ وقد عاتبنا ابوهُ على ذكرنا هذا الخبر واخبرنا كيف تلقاهُ هو وكيف منع تأثيرهُ الضار عن ابنهِ قال احضرت ابني وقلت لهُ لقد سررت بفوزك ولكن الم يكن في الدروس التي امتحنت فيها مسائل كثيرة لا تعلمها فقال بلى فيها مسائل كثيرة لا اعلمها. فقلت لهُ هب ان بعض المسائل التي سئلتها او اكثرها كان من تلك المسائل أكنت امتزت على اقرانك كما امتزت الآن فقال كلاَّ. فقلت اذًا ان جانبًا من نجاحك كان بالصدفة والاتفاق فلا يحق الافتخار بهِ. فقال نعم هذا هو الحق. فقلت ولكن نجاح المجتهد اكثر احتمالاً من نجاح غير المجتهد وانا اعلم انك مجتهد فامدحك على اجتهادك

كما امرٌ بفوزك . فاعتبر بقولي ولم تأخذهُ الخيلاء وارجو ان يستمرَّ على ذلك

فكان لكلام هذا الرجل احسن وقع في نفوسنا واردنا نشرهُ ليعتبر بهِ الوالدون الذين يضرون اولادهم بمحاولة شهرتهم سواء كانوا مستحقين ذلك او غير مستحقين . ولا اقبح من الشهرة الكاذبة ولا اضرَّ من الغرور

عصير الاثمار

اذا كثرت عندك الاثمار واردت ان تحفظ عصيرها الى حين الحاجة لتضيفهُ الى الحلويات فامرث الاثمار على منخل من الشعر بملعقة من الخشب وصفِّ عصيرها في زجاجة واسعة الفم وزن الزجاجة قبل ذلك ثم زنها بعد ما تمتلئ من العصارة واضف الى كل اوقية من العصارة ربع اوقية من السكَّر الجيد ثم ضع هذه الزجاجة في حلَّة كبيرة فيها ماء بارد حتى يغمرها الماء الى عنقها وضع الحلَّة على النار حتى تغلي واتركها نصف ساعة وهي تغلي ثم ارفعها عن النار واتركها حتى يبرد ماؤها والزجاجة فيها . ثم اخرج الزجاجة من الماء وسدها سدًّا محكمًا بفلينة واختمها بشمع الختم واحفظها الى حين الاستعمال

البطنة

البطنة او الشره او كثرة الاكل من معايب الرفاهة وقتلاها اكثر من قتلى السيف . قال بعضهم ان ربع ما نأكلهُ يكفي لغذائنا والثلاثة الارباع الباقية لا يستفيد منها الاَّ الطبيب . وقد الَّف الآن احد كبار الاطباء كتابًا في الطعام قال فيهِ ان الطعام البسيط الساذج هو الذي تقوم بهِ الصحة ويدفع عن الجسم المرض وان الناس يطلبون من الله امورًا كثيرة بالصلاة وهي ميسورة لهم اذا اعتدلوا في طعامهم . وثلاثة ارباع الامراض من البطنة . او كما قال العرب ان اكثر الاوصاب من الطعام والشراب . فاذا اردت ان تحفظ صحتك فكل الطعام المناسب فقط وكلْ منهُ بالاعتدال التام ولا تأكل فوق الشبع . والاعتدال قوام الصحة

وفي الاطعمة على اختلافها ما يكفي لغذاء الجسم فليس العبرة بنوع الطعام بل بالكمية التي تؤكل منهُ و بالاسلوب الذي تؤكل بهِ فالاكثار من الطعام خسارة ضارَّة ولوكان الطعام نافعًا لذاتهِ . وما احسن ما قالهُ العرب قليل مما يضرُّ ولا كثير مما ينفع . فالاكثار هو الضار ولوكان من الخبز او اللحم او البيض او الاثمار او الحبوب او البقول او الماء او السكَّر

الاستحمام

من استطاع ان يستحم كل صباح فليفعل . وان استطاع ذلك او لم يستطعهُ وجب عليهِ ان يبقي جسمهُ نظيفاً . ولا يحسن الاستحمام بعد الاكل تماماً ويفضَّل ان لا يستحم الانسان الاَّ بعد الاكل بساعتين او ثلاث . ولا يجوز للانسان ان يطيل الاقامة في ماء البحر لان الماء ابرد من جسمهِ فيسلبهُ حرارتهُ الطبيعيَّة ويضعفهُ . والماء البارد ينبه الجسم اذا كانت مدتهُ قصيرة وكذلك الماء الحار اذا كانت مدتهُ قصيرة ولكن الاقامة مدة طويلة في الماء البارد او الحار تضرُّ في الحالين

تنظيف اللؤلؤ

قد يتغيَّر لون اللؤلؤ اذا طال الزمان عليهِ . ويعاد اليهِ لونهُ الاصلي هكذا :— اغلِ نصف رطل من النخالة (الرضَّة) في رطل من الماء بعد ان تضيف الى الماء درهماً من الشب الابيض وزبدة الطرطير . ثم ارفع ذلك عن النار واتركهُ حتى يبرد قليلاً وتصير يدك تحتمل حرارتهُ فضع اللؤلؤ فيهِ وافركهُ بلطف كل لؤلؤة على حدتها اي افرك اللؤلؤ بالنخالة الى ان تبرد النخالة فاخرج اللؤلؤ منها وافركهُ بخرقة بيضاء نظيفة ناعمة وابسطهُ على ورقة بيضاء من الورق النشاش في مكان مظلم حتى ينشف جيداً

المرأة الايرانية

وتأثيرها في رجال الاصلاح ببلاد ايران

اكثرت صحف الشرق والغرب هذه الايام ذكر اسباب الثورة الايرانية وامعنت في ما اتصل بها من اعمال الذين اضرموا نارها سواء كانوا من رجال الصحافة والخطابة او من غيرهم . ولكنها اغفلت عنصراً كان لهُ اعظم تأثير في اضرام نارها ونريد بهِ النساء فقد كنَّ يحثثن الرجال على الاقدام ويستنهضن الهمم لعمل جلائل الاعمال ويحببن الى الناس القيام بالواجب لتأييد الدستور . واول من وجَّه الانظار لسد هذا الخلل وتدارك هذا القصور كاتبة روسية اسمها ماري ماركوفتش من النساء الروسيات اللواتي اقمن زمناً في بلاد ايران فقد نشرت مقالة في مجلة المجلات الفرنسوية التي صدرت في منتصف هذا الشهر (يوليو) وصفت

فيها معيشة المرأة الايرانية في منزلها وفي الهيئة الاجتماعية الفارسية واظهرت انتصارها للدستور في هذه الآونة الاخيرة فدل كلامها على ان بلاد ايران تغيرت تغيرًا عظيمًا بسرعة عجيبة في هذا الزمان وهاك بعض ما ورد في مقالتها . قالت

كلما اوغل السائح الغربي في بلاد الشرق رأى المرأة المسلمة تزيد تحجبًا وتسترًا فبنات الاستانة التركيات اقل ميلاً الى التحجب من بنات الاناضول اللواتي يسدلنَ عليهنَّ برقعاً كثيفاً فلا يرى الناظر اليهنَّ غير عيونهنَّ . ثم اذا اوغل السائح حتى دخل بلاد ايران شعر كأنهُ دخل بلاد الاسلام في عهدها الاول فمنازل نسائها ذات حجابين اولها منسوج من اغصان الشجر والثاني جدار عالٍ يرد كل طرف عن سكانها . وشتان بين منازلهنَّ هذه ومنازل نساء الاستانة فان منازلهن في الاستانة لطيفة جميلة لها نوافذ ذات شعريات ومشربيات فيتخللها شعاع الشمس و يدخلها النسيم فينعش اللواتي نعدهنَّ اسيرات فيها

يحتوي المنزل في بلاد ايران على دائرتين او ثلاث دوائر واحدة لاستقبال الحريم واخرى لاستقبال الرجال والثالثة لاقامة للعائلة . فتقيم المرأة الايرانية في هذا المنزل مستورة وراء الحجاب من المهد الى اللحد لا تبصرها غير عين زوجها وذويها الاقربين

قال لي موظف اوربي في قصر الشاه انكِ عائدة الى بلاد الغرب فاذا قال لكِ رجل انهُ ابصر امرأة ايرانية فقولي لهُ انك كاذب في ما تقول مهما كان اصلهُ وفصلهُ ومقامهُ ومهما كانت مدة اقامتهِ في ايران قد طالت . وهذا القول الثقيل لا يخلو من الصحة فان ذلك الموظف الاوربي صادق وزيرًا ايرانيًا وعاشرهُ سبعة اعوام وكان هذان الوزيران يتزاوران في اغلب الاحيان ومع ذلك لم يقع نظر الاوربي على زوجة صديقهِ الفارسي مرة ولا كلمها قط كلمة

هذا ويخطئ من يزعم ان منزل التركي ومنزل الايراني متشابهان . فالتركي يسكن زوجاتهِ كلهنَّ في منزلهِ او سرايهِ واما الايراني فملزم بحكم العرف والعادة ان يفرد منزلاً لكل زوجة من زوجاتهِ وهو يكتفي بزوجة واحدة غالبًا ولا يميل الى تكثير الزوجات . و يكفيها ان تكون على شيء قليل من العلم والذكاء حتى تكون كلمتها نافذة عندهُ ويكون لاقوالها سطوة عليهِ . وانا اروي القصة التالية ليرى القارئ منها مقدار تعلق الايراني بعائلتهِ واهل بيتهِ وقد سمعتها في شهر دبسمبر الماضي بينما كان انصار الاصلاح يحرسون مجلس النواب

كان ايراني امي من عامة الشعب متربعاً على الارض وواضعاً بندقيتهُ عند قدميهِ وهو

يحرس المجلس فسمعتهُ يقول لرفيق يحرس معهُ مضت عليَّ خمسة ايام لم ارَ فيها اهلي واولادي ولكن لا بأس فاني اقوم بواجب اقدس من ذلك . فهذا العامي الامي الذي لم يسمع في حياتهِ اسم فولتير وروسو ولم يخطر لهُ نظام الاحكام الغربيَّة على بال كان يعلم ويعتقد مع ذلك انهُ يقوم بواجب مقدس ليس دون الواجب عليهِ لاهلهِ واولادهِ وذلك الواجب هو ان يرى في بلادهِ نظاماً للاحكام يمتد بهِ رواق العدل وتشمل الحرية البلاد واهلها

وكان من نتائج هذه النهضة ان الرجل اجلَّ قدر المرأة في ايران ورفع شأنها فلما رأت نفسها معززة احبت ان ترتفع من المرتبة التي كانت فيها الى مقام الصديقة المعادلة لزوجها وهي تكون على الغالب امينة لهُ . والنساء المتعلمات قليلات فالاغنياء يعلمون بناتهم مع ابنائهم في منازلهم الى ان يبلغن سن الحجاب فيمنعوهنَّ عن العلم . والفقراء يعلمون بناتهم في الكتَّاب الى ان يبلغن سن الحجاب ايضاً . فاذا اراد اب ان يثقف بناتهِ بعد ذلك العمر كلف معلمة تدعى عندهم (ملاجي) فتعلمها الحساب والكتابة والقراءة ومتى فرغت من تعليمها لزمت والدتها في منزلها حتى تتزوج . وهمُّ المرأة الفارسية غالباً زينتها وشراء ملابسها وزيارة صديقاتها وزيارة اضرحة الاولياء والقيام بصلوات شهري محرم وصفر

ولذا يعجب القارئ من نهوض المرأة الفارسية التي وصفناها نهضة واحدة حتى شاركت الرجل في طلب الحرية والدستور ولكن عجبهُ هذا يزول متى علم شدة اختلاط الايرانيين بالغربيين في هذه الايام وتعلم شبانهم في مدارس الغرب وكلياتهِ وانشاءهم المدارس العديدة لتعليم البنات كمدرسة ريشارخان الفرنسوي فانهُ تخرَّج فيها عدد كبير من البنات المتعلمات . وقد قاوم بعض الايرانيين هذه المدرسة بادئ بدء ثم اظهروا رضاهم عنها ولكن بعدما اشترطوا ان تبقى الفتاة الفارسية مبرقعة محجبة . غير ان احدى تلميذات هذه المدرسة كانت يتيمة فابت الاَّ ان تطرح النقاب عنها وان تعيش كالاوربيات من عمل يديها وجعلت تروح وتجيء في الشوارع مكشوفة الوجه وكان النساء يعجبن بشجاعتها ولكن لا يجرأن على التشبه بها ولقبنها " بالآغا الصغير " وبلغ من ادبها وذكائها ان الرجال كانوا يحترمون المجلس الذي تكون فيهِ فيجلسون بغاية الحشمة والوقار ولكن الجد والكد والحاجة وانحطاط المرأة في بلادها كل ذلك اثر في نفسها فماتت في زهرة عمرها وشيعت جنازتها في مشهد عظيم مشى فيهِ الالوف من الايرانيين

لم تكد بلاد ايران تستنشق نسيم الحرية والدستور حتى هبت بعض النساء الايرانيات الى مشاركة رجالهنَّ في تلك الحركة كنساء الغرب كانهنَّ الفن كالغربي الحرية والاخاء منذ

نعومة اظفارهن . فراسلت بعضهن الصحف اليومية ونظم غيرهن القصائد في مدح الدستور وحضّ الرجال على الاستمساك بهِ . وبلغت شجاعة احداهن مبلغاً لم يعهد لهُ نظير في بلاد فارس فكتبت الى زوجها تقول لهُ " وددت لو اني كنت بجانبك للدفاع عن مجلسنا المحبوب فكن شجاعاً قوياً لانك تحرس مستقبل البلاد الايرانية وعلى قدر شجاعة الايرانيين تتوقف سعادة هذه البلاد في المستقبل "

ولما اقترح مجلس النوَّاب انشاء بنك وطني شكا بعضهم حاجة البلاد الى المال فاقترحت النساء بيع حليهن والاشتراك في هذا الواجب الوطني

ولقد امتدت هذه الحركة من طهران الى عواصم الولايات كاصبهان ومشهد وشيراز وتبريز وخصوصاً تبريز حيث بلغت غيرة النساء فيها وحميتهن حدًّا لا يوصف . فكنَّ يستوقفن الرجال في الشوارع ويخطبن عليهم عن الشرفات ويحثثنهم على الاستشهاد في سبيل حرية البلاد . وكانت زوجة مير حسين خان صاحب جريدة عدالت اقدم الصحف الحرة في تبريز واكثرها شهرة تساعدهُ في تحريرها وتؤيدهُ في سياستهِ

اما مطامع المرأة الفارسية فكانت محدودة في هذه الحركة وغايتها انها كانت تود ان ترى بلادها مرتقية في الداخل عزيزة في الخارج بعيدة عن مطامع المستبدين . وقلَّ من فكَّر منهن في السعي في ابطال الحجاب لعلمهنَّ ان السعي في مقاومة هذا الامر الذي مضت عليهِ الاحقاب الطوال لا يتم في شهر او شهرين فتركن امرهُ للزمان وطلبن العلم الذي هو خير لهنَّ منهُ وابقى . فالمرأة الشرقية ترى ما لا يطابق عقيدتها ولا مذهبها في كيفية معيشة المرأة الغربية وتمتعها بمطلق الحرية ولذلك لا تقدم على التشبه بها في ذلك الآن وهي تقدم رجلاً وتؤخر أخرى

ولكنها مع كل ترددها هذا تخطو اليوم الخطى الواسعة الى الامام ومن اراد ان يرى دليلاً قاطعاً على ذلك فلينظر الى المرأة في الاستانة وطهران فيرى ان المرأة الفارسية دخلت رحبة التقدم والارتقاء بعد ان قضت الاعوام الطوال وهي واقفة على بابها خائفة وجلة لا تجترئ على الدخول فيها . انتهى

باب الزراعة

دودة القطن

صدر العدد الثاني من مجلة الجمعية الزراعية الخديوية مصدرًا بمقالة مسهبة عن دودة القطن رأينا ان نقتطف منها الفوائد التالية

(ضرر الدودة) قد تُلحق بالقطن ضررًا يقدَّر في السنة الواحدة بملايين من الجنيهات ففي سنة ١٨٠٥ فقدت بها مديرية البحيرة اكثر من نصف محصولها ولم يقلّ ما خسره المزارعون تلك السنة عن مليونين من الجنيهات

(النباتات التي تغتذي بها) تأكل هذه الدودة القطن والبرسيم وتفضل القطن . ومتى كان الفراش كثيرًا وضع بيضهُ على غير القطن ايضًا من النبات سواء كان صالحًا لغذائهِ او غير صالح . وقد وجدت دود القطن سنة ١٩٠٥ على القطن والبرسيم والبرسيم الحجازي والورق الناعم من الذرة والبطاطا والتبغ والطماطم والداتورة والخروع والبنفسج والورق الصغير من الكافور والتوت . وذكر المستر فودن ان دود القطن قد يغتذي من نبات القمح والشعير . وقال المستر بونابرت انهُ يستطيب ورق السلق

(بيض الدود) بيض دود القطن صغير جدًّا مستدير مسطَّح قطر البيضة منهُ نحو نصف مليمتر ولونهُ يختلف من الاخضر المصفر الى الاصفر البرتقالي . وتوضع البيوض على الاوراق في بقعة واحدة وتكون مغطاة بزغب اصفر قاتم وعدد البيوض التي تبيضها الفراشة في المرة الواحدة لم يعرف تمامًا ولكن ذكرت المجلة جدولاً يظهر منهُ ان عدد البيض يختلف من ٢١٤ وهو الاقل الى ١٢٥٠ وهو الاكثر . والعادة ان تضع الفراشة بيضها على ظهر الورقة وفي قليل من الاحوال على وجهها . والقطن المزروع في ارض ضعيفة او مالحة غير معرَّض للاصابة كالمزروع في ارض جيدة كأن الفراش يفضل ان يضع بيضهُ على القطن القوي

ويختلف الزمن بين وضع البيض وظهور الدود من يومين او ثلاثة في الصيف الى اربعة او خمسة في الخريف والغالب ان البيض يفقس كلهُ دفعةً واحدة

(حياة الدود) حينما تفقس الدودة يكون طولها مليمترًا واحدًا ويكون رأسها كبيرًا اسود

وجسمها مخضرًّا وتلتهم اولاً النسيج الذي يغطيها ثم غشاء الورقة الذي كانت عليهِ البيوض ثم تغتذي بالمادة اللينة في الورقة. وتنسج خيطاً حريريًّا تُعلق بهِ وتنتقل من ورقة الى اخرى وهو الذي يقيها من السقوط على الارض حين هز شجيرات القطن. ولا تكتفي باكل ورق القطن بل تأكل ايضاً زهرهُ ولوزهُ الصغير حينما تكبر وتصير تترك الشجر عند اشتداد الحر وتنزل الى الارض وتغور في التراب. وتختلف مدة بقائها دودة فتكون اسبوعين في فصل الصيف واكثر من ذلك في الخريف ثم تغور في الارض وتصير زيزًا وتبقى كذلك من ٧ ايام الى ١٤ يوماً او اكثر حسب اختلاف الفصول ثم تستحيل فراشة ويكون خروج الفراش ليلاً لانهُ من الفراش الليلي

(الفراش) والفراش ذكور واناث والذكر اصغر من الانثى قليلاً وادق جسماً. والفراش ليلي كما تقدَّم اي انهُ يطير ليلاً ويختفي نهارًا ولا يعلم تماماً في اي يوم يتزاوج ويبيض بيضهُ ولكن الفراش الذي ربي في معمل الجمعية باض في الليلة الثالثة بعد خروجهِ من الشرنقة

(بقاء الدود من سنة الى أُخرى) لا يعلم اين يكون دود القطن او فراشهُ او زيزهُ زمن الشتاء ولكن يقال في هذه المقالة ان دود القطن يوجد في نوفمبر ودسمبر على البرسيم والحشائش ونباتات الجنائن و يوجد في كل شهور السنة ولكنهُ يقلُّ كثيرًا. وتغيراتهُ من طور الى آخر تكون ابطأ مدة الشتاء والمعروف الآن ان الفراش الذي يوجد زمن الربيع يبيض على البرسيم ومن المحتمل انهُ يتناسل مرارًا الى ان ينبت القطن ويكبر وفي مايو ويونيو يطير الفراش الذي تربَّى على البرسيم ويبيض على نبات القطن فيصير القطن اهم غذاء لهُ اثناء فصل الصيف ويتناسل ثلاث مرات على الاقل بين يونيو واغسطس. والفراش الذي يظهر اخيرًا في سبتمبر يكون قليل العدد لسبب غير معلوم وبعض هذا الفراش يبيض على نبات القطن ولكن ضررهُ لا يذكر لقلتهِ والبعض الآخر يبيض على الذرة وفي اكتوبر يصاب بهِ البرسيم البدري اصابة خفيفة

(اعداء الدود الطبيعية) لا بدَّ من انهُ توجد اعداء طبيعيَّة لدودة القطن لان الفراش الناتج في شهر سبتمبر يكون قليلاً جدًّا ولا بدَّ من ان يكون سبب ذلك ان بعض الاعداء الطبيعيَّة التي لا تُعرف الآن تتكاثر في شهر اغسطس فتبيد اكثر الدود. وقد وُجد في السنة الماضية ان نوعاً صغيرًا من الذباب يضع بيضهُ في بيض دود القطن فيأكل ما فيهِ قبلما يفقس

ومن اعداء دود القطن نوع من الزنابير يلسع دود القطن ويبيض فيهِ ليكون جسمهُ غذاء لصغارهِ حينما تفقس. والنمل يميت زيزان الدود ويأكلها ويأكل بيض الدود ايضاً

وقد وجد موبرلي بك ان الذباب الذي اجنحتهُ كالخزج يأكل بيض الدود والدود الفاقس حديثاً . ويحتمل ان الزنابير تأكل دود القطن وآكل المن يأكل بيض الدود او الدود نفسهُ ويمكن ان تكون الضفادع من اعداء دود القطن . وقد شوهد في معمل الجمعية ان بعض الديدان الكبيرة أُصيبت بمرض فامتنعت عن الاكل ثم ماتت

(مقاومة دودة القطن) ذكر في هذه المقالة ان الطريقة الفضلى لمقاومة دودة القطن بعد ظهورها هي تنقية الورق الذي عليهِ بيض الدود واتلافهُ قبل ظهورهِ وقتل الدود الذي يكون في البرسيم في شهر يونيو حينما يقطع البرسيم او يرعى آخر رعية وذلك بان تروى الارض ويحفر حولها خنادق تملأ ماء فاذا اراد الدود المهاجرة من الغيط الذي كان فيهِ البرسيم وقع في هذه الخنادق ومات وحينما تجف الارض تحرث لتعريض ما فيها من زيزان الدود لحرارة الشمس حتى تموت ولا بدَّ من تنظيف جسور الترع والمساقي من الحشائش فان ذلك يفيد في الوقاية من كل الحشرات . والاكتفاء بزرع القطن في ثلث الارض فقط

الفراخ والبيض

للبيض شأن كبير في القطر المصري وفي كل الاقطار الزراعية ولكن البيض المصري صغير جدًّا لقلة العناية بتربية الفراخ الكبيرة البيض ومع ذلك أُرسل منهُ الى اوربا في الستة الاشهر الاولى من هذه السنة نحو ٣٢ مليون بيضة بلغ ثمنها نحو ٤٨ الف جنيه اي بيع كل ست بيضات ونصف بغرش صاغ وهو ثمن جيد جدًّا اذا اعتبرت صغر البيض المصري. وارسل منهُ في هذه الستة الاشهر من العام الماضي ٤٩ مليون بيضة ونصف مليون بيعت باكثر من ٧٤ الف جنيه فنقصت الكمية ١٧ مليون بيضة والثمن اكثر من ٢٦ الف جنيه وزد على ذلك فاننا نرى في السوق بيضاً كبيرًا غير عادي في هذا القطر ويقال انهُ مجلوب من اللاذقية وغيرها من سواحل سورية

ولا بدَّ للفراخ من الماء الكثير البارد في فصل الصيف ويجب ان لا يوضع الوعاء الذي تشرب منهُ في الشمس بل في الفيء وان يوضع على شيء مرتفع عن الارض ولو قليلاً لكي لا يقع فيهِ التراب .واذا قلَّ البيض كما يحدث عادة فاضف الى الماء الذي تشربهُ الفراخ شيئاً قليلاً من الزاج الاخضر (كبريتات الحديد) وغيِّر نوع الطعام ولا بدَّ للفراخ من الحبوب وشيء من الخضر كورق الخس والكرنب والسلق وقشر البطيخ والشمام وما اشبه فانها تأكلهُ كلهُ بشهية وما لا تأكلهُ يجب رفعهُ من امامها في اليوم التالي

نبات الآس

الآس من الانجم الجميلة المنظر الزكية الرائحة وهو يحمل حبًا طيب الطعم جدًا اذا نضج . ينبت بريًا في بلاد الشام ويزرع بستانيًا ولاسيما في حدائق دمشق وقد زرعهُ البعض في هذا القطر فجاد كثيرًا ورأيناهُ مزروعًا في سياجات الحدائق في البلاد الانكليزية ولاسيما في غربي ويلس وهو يزرع هناك لجمال منظرهِ ومنظر زهرهِ وزهرهُ ابيض طيب الرائحة ولكن اوراق النبات هناك قليلة الرائحة العطرية لا تقاس رائحتها برائحة الآس الشامي ولا الذي يزرع منهُ في هذا القطر

وقضبان الآس دقيقة مستقيمة متينة تصلح لعمل السلال ولا نرى لماذا لا يكثر زرعهُ في القطر المصري حول البساتين فانهُ من اجمل الرياحين منظرًا وازكاها رائحة ويفوق سائر الرياحين بطيب ثمرهِ

زراعة البرتقال وعلاج حشراتهِ

جنائن البرتقال وكل انواع الليمون تبلغ غلة الفدان السنوية منها من خمسين جنيهًا الى مئة جنيه . وحتى الآن لا يزال البرتقال وسائر انواع الليمون ترد الى القطر المصري فقد ورد منها في العام الماضي ما ثمنهُ ٣٢٣٩٩ جنيهًا وفي الامكان ان يستغني عن توريد هذه الاثمار وان يصير القطر المصري من الاقطار التي تصدرها ولا بدَّ من ان يلجأ الى زرع الجنائن والاكثار منها عاجلاً او آجلاً ولا سيما زراعة البرتقال والليمون لانهُ يسهل تصديرهما ويسهل عمل المربيات والاشربة منهما فهما صنفان صالحان للتجارة وللصناعة الزراعية ايضًا

ويزرع البرتقال من البزر ومن الاغصان ولكن اجودهُ يطعم تطعيمًا على شجر النارنج (ابي صفير) فان البرتقال المطعم كذلك يحمل باكرًا ويكون حملهُ كثيرًا ولا يشيخ باكرًا

فتزرع بزور النارنج في اواخر فبراير وفي الربيع التالي تنقل التربيدة وتزرع في ارض جيدة جدًا ويجعل البعد بين الشجرة والاخرى نصف متر . وبعد سنة تقطع وتطعَّم من شجرة برتقال كبيرة الثمر جيدة الطعم وبعد سنة تنقل الى البستان الذي يراد زرعها فيهِ فيكون قد صار عمرها ثلاث سنوات وحينما تزرع في البستان يجعل البعد بين الشجرة والاخرى اربعة امتار ونصف ولا يترك حملها عليها الأ في السنة الثالثة بعد زرعها في البستان اي حينما يصير عمرها ست سنوات واذا ازهرت قبل ذلك وعقد زهرها وجب نزع حملها عنها لئلا يضعفها . ولا تضيع غلة الارض في السنتين الاوليين بل يمكن زرعها مزروعات

أُخرى ولا سيما من انواع الخضر والبقول . وكذلك يمكن زرعها في السنة الثالثة وتبلغ النفقات اللازمة لزرع الفدان باشجار البرتقال عشرة جنيهات او اكثر ويخسر من ايراده في سنتين او ثلاث نحو عشرة جنيهات أُخرى ولكن هذه النفقات وهذه الخسارة تضافان الى رأس المال لان الفدان الذي يساوي مئة جنيه يصير يساوي اكثر من مئتي جنيه اذا زرع برتقالاً وشرع برتقالهُ في الحمل واذا كبر شجرهُ وكان نوعهُ جيداً كثير الحمل يصير يساوي خمس مئة جنيه او اكثر لانهُ يؤجر في السنة باكثر من خمسين جنيهاً

وما يقال عن البرتقال يقال عن المندرين (يوسف افندي) والليمون والاضاليا ولكن اشجار الليمون تزرع قريبة حتى يكون البعد بين الشجرة والاخرى اربعة امتار واشجار اليوسف افندي تزرع وبين الشجرة والاخرى ثلاثة امتار او ثلاثة ونصف

ولا تروى اشجار البرتقال ونحوها في شهر نوفمبر ودسمبر ويناير الاَّ اذا كانت الارض رملية وتروى ريّاً خفيفاً جدًّا في فبراير ومارس الى آخر فصل الازهار ومتى ظهر الثمر واخذ يكبر تروى كل عشرة ايام

وقد اصيبت اشجار البرتقال وكل انواع الليمون بالحشرات القشرية منذ عشرين او ثلاثين سنة ووصفناها مرارًا في المقتطف وقرأنا في مجلة شركة الترنزاكشنز منذ مدة وجيزة ان المستر بنجتون نجح في رش الاشجار المصابة بالحشرات القشرية بالمزيج التالي المعروف بمزيج القلفونة وهو مصنوع من المواد التالية

٦ كيلوغرامات من القلفونة

٢ ١/٢ " من الصودا الكاوي

٢ ١/٤ " من الصابون اللين و ٤٥٠ لترًا من الماء

توضع القلفونة في كيس وتسحق سحقاً ناعماً وتغلى في ٥٤ لترًا من الماء حتى تذوب فيهِ ويذاب الصودا الكاوي والصابون في اناء آخر ويضاف مذوبهما الى مذوب القلفونة ويغلى المزيج حتى يصير لونهُ كلون القهوة ويضاف اليهِ ماء حتى يصير الكل ٤٥٠ لترًا وترش الاشجار بهذا المذوب مرةً كل شهرين الاَّ في وقت الازهار

واذا كانت الحشرات القشرية قد عمَّت الشجرة كلها فاحسن طريقة لمعالجتها ان تقطع الاغصان كلها من فوق الساق وينظف الساق بالمحلول المشار اليهِ

هذا وقد جلبت الحكومة الاميركية حشرات من استراليا تأكل الحشرات القشرية وتنجي الاشجار منها فلا يتعذَّر على الحكومة المصرية ان تقتدي بها في ذلك او تتعلَّم منها



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

سكان المريخ

كنت ظننت ان حضرة مناظري يكتفي بما كتبت سابقاً ولكن يظهر لي انهُ متحمس جدًّا كما يستدل من ردهِ ولسوء الحظ عوضاً عن ان يأخذ الثلاث نقط الرئيسية التي اعترض عليَّ بها سابقاً ويدافع عنها او يدافع عن التفنيدات التي قدمتها اراهُ في ردهِ الاخير يضم كل ما كتبتهُ ويقسمهُ الى قسمين جوهريين هما كما يقول " الاول انكارهُ عليَّ اعتمادي على رأي الاستاذ ولس واتخاذي قولهُ حجةً تفوق حجة من يتخذ قول لول اذا خالفهُ والثاني انكارهُ عليَّ وعلى المقتطف حسباننا الخطوط التي تظهر على المريخ من جملة الحوادث الطبيعية التي لم يبحث احد في تعليلها حتى الآن لانها لا تحدث في ارضنا بناء على ان ذلك يخالف القضايا العلمية المسلم بها "

ثم اندفع يورد الادلة ويقيم البراهين على صحة ما يعتقدهُ صواباً . ولكي لا يطول بنا الوقت ارد على ما كتب باوجز ما يمكن مراعياً في كل ما اكتب الحشمة والادب مبتعداً عن كل ما يمس حاسياتهِ واذا صدر مني ما لا اريد (وبدون قصد) فارجوهُ المعذرة

كلانا نتفق على ان ولس ولول من الاعلام في مواضيع اختصاصهما فناظري يقر ويعترف ان لول من كبار الفلكيين والرياضيين وعلماء السبكترسكوب وانا اعترف واقر ان ولس ممن اشتهر وطار صيتهُ في الآفاق ولكن ليس في العلم الذي سماهُ حضرتهُ — علم الحياة (Biology) — بل في العلوم الطبيعية اعني بها علم الحيوان والنبات ولئلاَّ يتصوَّر انني اتحامل عليهِ اطلب منهُ ان يراجع دائرة المعارف الانكليزيَّة مجلد ٣٣ وجه ٧٣١ حيث يرى مكتوباً

Wallace (1823-) British Naturalist ولس ولد سنة ١٨٢٣ وهو عالم انكليزي من

علماء الطبيعيات ثم اذا قرأ تاريخ حياته وتصفح سلسلة الكتب التي ألفها يتضح له جليًّا انهُ ما تعاطى قط البحث في علم الحياة وحينما ينتهي من قراءة تلك القطعة يرى حاشية معناها " اكثر مواد المقالة كتبها لنا صاحب الترجمة بخط يده " وهذا يثبت ان ولس ليس " ممن برّز على الاقران في علم الحياة " لان علماء بلاده لا يعترفون له بذلك اصلاً ولا هو يتشوَّف اليه ولست ادري لماذا تكرم عليه مناظري الكريم بتلك العبارة وهو على ما اعتقد قادر على التمييز بين العلمين الطبيعيات والحياة

واذا سقط اساس دعواهُ (ولا بد منهُ) سقط كل ما بناهُ عليه من التسليم بما يقول ولس في هذا الامر لا بما يقول لول . والخلاصة ان الاثنين ليسا من الاختصاصيين في علم الحياة فلا رأي شخصي لهما بل هما ينقلان الينا خلاصة افكار الغير

وهنا اسأل حضرة مناظري أنعتمد على كتابة ولس وهو لم يصرف في درس هذه المسألة الأ وقتاً قصيرًا لا يتجاوز السنتين ومن باب الفكاهة فقط ام نتخذ قول لول الذي صرف اكثر من ثماني عشرة سنة وقد جعلها شغلهُ الوحيد واختار لنفسه ما يبلغ العشرة من الشبان الذين تخرَّجوا في الكليات العالية واكملوا دروسهم في المانيا ليساعدوهُ في اشغاله وهو يدأب ويجدُّ ويبذل المال بسخاء للبحث والتنقيب ويرسل البعثات الفلكية الى اقاصي المعمور ويعرض كل ما يبدو له للبحث والانتقاد

هل يعتقد مناظري العزيز ان القوى العقلية تبقى آخذة في النمو والارتقاء الى آخر العمر ام يطرأ عليها ادوار كادوار الحياة فتبتدئ وتنمو وتبلغ معظم قوتها ثم تتراجع وتنحط ولست إخالهُ الأ ممن يذعنون وعليه اخبرهُ ان ولس ابتدأ هذا البحث وهو في الثمانين من عمره وحينما ظهر كتابهُ "Man's Place in the Universe." قامت عليه قيامة العلماء واظهروا انهُ يكتب في موضوع غريب عنهُ وبعضهم شدَّد عليهم النكير حتى نسب اليه الخرَف ومهما يكن من امرهم فجلّ ما اقولهُ شخصيًا ان ولس نقل من كتب الفلك إما عمدًا او بطريق الاتفاق ما يوافقهُ فتراهُ ينقل عن مس كلارك (Miss. Clark) او من هو بطبقتها ويترك مثلاً نيوكوم ويونغ ويكرن وفلاماريون واخاف ان يطول بي البحث في تفنيد بعض الاغلاط الفظيعة التي ارتكبها في النقل ولكني اكتفي بالمثال الآتي المنقول عن مس كلارك

" مياه ثلج القطب اذا ذابت وتوزعت على الاراضي الزراعية تكون كثافتها قيراطين فقط لان معظم ما يغطيه القرص ٢,٤٠٠,٠٠٠ ميل مربع ومساحة الاراضي الزراعية ١٧,٠٠٠,٠٠٠ "

والذي نعلمهُ ان القرص يمتد الى عرض ٣٦٫٥° وهذا يدل على انهُ يغطي ١١٫٣٣٠٫٠٠٠ ميلاً مربعاً على الاقل اي اربع مرات ما قدّرتُ والاراضي الزراعية لا تزيد على ٤٫٧٥٠٫٠٠٠ من الاميال المربعة واكثرها تُسقى من مياه القطبين فوالحالة هذه يكون معدل كثافة المياه التي تغطيها قدمين ونصف على الاقل

فيُرى مما مرَّ ان ولس بنى احكامهُ على أُسس ضعيفة ولذلك اتت نتائجهُ مخالفة للحقيقة وعندي انهُ لو اعتمد النقل عمن يشهد لهم بالسبق والافضلية لما كان كتب ما كتب

وهذه ليست اول مرة خالف فيها الرأي العام وكان مخطئاً فقد وضع سابقاً كتاباً فيهِ يطعن بالاطباء ويحمل العامة على ترك التلقيح او التطعيم بالمصل وقاية من الجدري وما شابهها من الامراض الخبيثة بدعوى ان التلقيح لا يفيد شيئاً (دائرة المعارف الانكليزيَّة مجلد ٣٣)

واذا نقبنا عن آراء علماء البيولوجية نرى انها لا تخالف نتائج لول . وقد ذكرت في ردّي السابق رأي احدهم العلاَّمة مريام Meriam وازيد الآن ان فلاماريون العلاَّمة الافرنسي ومدير مرصد باريز حاليًا يعتقد ذات الاعتقاد وهو ذو قدم راسخة في الطبيعيات وعلم الحياة والفلسفة العقلية وقد كتب كتاباً غزير المادة موضوعهُ La Planete Mars بين ان غيرهما من الاقطاب كالاستاذ ماخ Mach في ڤينا وغيره من علماء الالمان قد اتخذوا خطة السكوت فلو كانوا رأوا شيئاً من آراء لول يخالف الحقائق العلمية الثابتة لكانوا ابدوهُ كما فعل ولس

اما الدليل الذي يراهُ مناظري في الطبيعة الى آخر ذلك البحث فجلّ ما اقول فيهِ انهُ مختل وخللهُ يتضح لكل من درس قوانين ارسطوطاليس الستة الموجودة في المنطق القياسي واذا راجع حضرتهُ تلك القوانين و بالاخص ما يتعلق منها بالنفي ظهر لهُ ذلك باجلى بيان

وفي هذا البحث ايضاً ذكر مناظري من باب الاستغراب والانكار انتظارهُ وجود الحياة في بعض السيارات وتطرّق سهوًا الى النجوم الثوابت التي هي شموس

كذلك يقول حضرتهُ " .. عرفنا عناصر الكواكب وكدنا نجعلها تشعر بوجودنا " ولست اعلم ما هي الدرجة التي يقصدها بقولهِ " كدنا " ولكن اطلب منهُ ان يتكرم بايضاحها وايضاح الجملة وتطبيقها على الواقع اي بماذا نجعل رجلاً في القمر مثلاً يشعر بوجودنا وآخر في المريخ وهلمَّ جرًا

اما مسألة الاديان فلا دخل لها في بحثنا لانهُ علمي محض وعندي انهُ لو تأخر نشر

ردَّه وقرأ ما كتب في مقتطف حزيران الاخير من هذا القبيل وان الابحاث الدينيَّة لا يجب ادخالها في الابحاث العلمية لكان حضرتهُ ترك ذكرها على الاطلاق

اما المسألة الثانية فقد تطرف في طريقة وضعها اذ قال " انكارهُ عليَّ وعلى المقتطف حسباننا الخ " نعم انني انكرت عليهِ ولكن لم يدر في خلدي انني انكرت على منشئي المقتطف لانني لا اعلم ان لحضرتهما رأياً خاصاً في هذه المسألة او على الاقل ما رأيت في كتابتهما الخاصة ما يدلُّ على اعتقادهما انها من الحوادث الطبيعية

وهب انهما اعتقدا في الماضي انها من الحوادث الطبيعية فلست اخالهما الآن كذلك بعد ان اطلعا على خلاصة الارصاد التي اجريت في الصيف الماضي. وزد على ذلك انهما لا يشتغلان بالرصد وان مقامهما الادبي السامي يضطرهما لنقل كل ما هو مفيد ولذيذ وتعريب ما يكتب مع عدم التشيع لفريق دون آخر متوخيين ذكر الحقيقة فلا يبديان رأياً الاَّ لتعميم الفائدة او لتقريب فهم المسألة ويذكران اذا كان رأيهما من باب الاعتقاد او الترجيح او الجزم ويقدمان الاسباب التي تحمل على ذلك . وبمراعاتهما هذا الامر مع غيرهِ من الامور الجوهريَّة صار المقتطف اشهر مجلة عربية ونفتخر بالقول انهُ يباري احسن المجلات الاوربيَّة

راجعت اعداد مجلة النيتشر فلم اجد عدداً صادراً بتاريخ ٧ مارس كما اشار حضرتهُ ولذلك لم يتسنَّ لي الوقوف على تفاصيل الرأي الجديد كما هو موجود في الاصل واذا كنت مصيباً اظن احد الجنود قدمهُ ولكنني لا اجزم بذلك وعلى كل الاحوال فالرأي المذكور ضعيف للغاية لان نباتاً كهذا لا وجود لمثلهِ على الارض

وعلى فرض انهُ موجود في المريخ فلا يكون بالحالة التي نراهُ فيها بل تذهب اصولهُ كل مذهب بدون نظام ولا ترتيب . ولا يخفى ان حياة النبات تتوقف بالاكثر على جذورهِ التي تمتص الرطوبة والعصارات من التربة وهذه تمتد وتتشعب في التربة وليس على سطح الارض ولو راجع حضرة المناظر مقالتي السابقة تحت عنوان " الترع في حال حركاتها " ووعى ان النمو يبتدئ من القطبين ويتدرج الى خط الاستواء ويتعداهُ الى الجهة الثانية منهُ وتذكر تعليل ذلك وقرنهُ بالمشاهد المحسوس لما كان ذكر رأي النبات الشبيه بالاخطبوط لانهُ لو كان نباتاً وعروقهُ ممتدة الى القطبين لامتصاص الماء الذائب لكان النمو يبتدئ من خط الاستواء ويتدرج الى القطبين وهذا عكس الحقيقة

" وخلاصة القول اولاً انهُ ينتظر من علماء الفلك الذين مثل لول ان يكشفوا احوال المريخ الطبيعية " وهذا ما قد جرى " ومن علماء البيولوجية مثل ولس (وقد تبين انهُ ليس

منهم كما اعتقد مناظري) هل هذه الاحوال صالحة لوجود المخلوقات الحيَّة والاحياء العاقلة فيهِ وهذا ما اوردتهُ في استشهادي بولس"

اما الامر الثاني فعلماء البيولوجيا ملتزمون الحياد والفريق الاكبر يعتقدون ان شروط الحياة متوفرة في المريخ ولكنهم لا يجزمون بوجود الحياة العالية بل جل ما يقولون انها ممكنة وقبل ان اترك القلم اطلب من حضرة مناظري القبول بما يأتي والاَّ اضطررت لترك المناقشة

(١) ان لا يأتي بالجمل المطلقة بل يقيدها بما ينطبق على موضوع المناظرة

(٢) ان يذكر المواضع التي يستشهد منها وذلك بالاشارة الى اسم الكتاب والصفحة والسطر

(٣) ان لا يكلّف نفسهُ اثبات ما يعتقدهُ ان ولس "ممن برَّز على الاقران في علم الحياة" وذلك بالبرهان على ان لفظي Naturalist and Biologist هما لمعنى واحد لان هذا البحث من قبيل المماحكة

(٤) ان لا يُدخل اصحاب المقتطف في مباحثتنا باقوالهم المطلقة لكن يجوز لهُ الاستشهاد بكتاباتهما مع مراعاة الشرط الثاني

(٥) ان يبقى البحث علميًّا محضاً ولا يدخل الاعتقادات الدينية فيهِ

وفي الختام اقول ان موضوع المباحثة اولاً هل الخطوط طبيعيةٌ ام صناعية وثانياً تعليل ذلك . فاذا رغب حضرتهُ ناقشتهُ على هاتين النقطتين فقط اما اذا تعدَّاهما فاني لا اكتب حرفاً والسلام

منصور حنا جرداق

الناطقون بالضاد

حضرات اصحاب المقتطف الافاضل

قالت كاتبة في العدد الفائت من مجلتكم الغراء ان في اللغات الاجنبيَّة مثل الانكليزيَّة والافرنسية كلمات تنطق (بالضاد) وحكمت بعد ذلك بانهُ لا وجه لتسمية العرب بهذا الاسم وما درت حضرة الكاتبة ان الكلمات التي اوردتها لا يمكن النطق فيها بهذا الحرف الاَّ ومعهُ حروف اخرى فكلمة door مثلاً لا يمكنك ان تنطق بالضاد فيها الاَّ اذا نطقت الحرفين اللاحقين لها اما في اللغة العربيَّة فحرف الضاد ينطق بهِ مفرداً او مع غيرهِ من الحروف وهذا هو الفرق وعليهِ فالناس محقون في هذه التسمية ولاوجه للاعتراض والسلام

محمد عسران عبد الكريم

الضاد بالعربية

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

قرأت ما كتبتهُ حضرة الكاتبة الفاضلة الباحثة بالبادية والظاهر انها لم تأخذ الانكليزية عن اصحابها لان الكلمات التي ذكرتها لا تلفظ دالها ضاداً بل تلفظ دالاً و يغلط من يلفظها ضاداً . وقد سمعت بعض الشرقيين يلفظون الدال ضاداً في مثل dull, draw, drum, ولكن لفظهم غلط ومن المحتمل ان توجد الفاظ اخرى تلفظ دالها ضاداً لكنها لا تخطر على بالي الآن . والظاهر ان الذين حسبوا الضاد خاصة بالعرب كانوا من الفرس والترك و بعض الساميين الذين كان لهم اختلاط بالعرب وهم لا يستطيعون لفظ الضاد ولا مثيل لها في لغاتهم فقالوا انها خاصةٌ بالعرب . وحتى الآن تجد علماء العرب الذين اصلهم من الترك او الفرس يلفظون الضاد العربية ظاء وقد يكتبونها كذلك . هذا هو اصل قولهم ان الضاد خاصةٌ بالعرب والله اعلم

باحثة بالحاضرة

باب التقريظ والانتقاد

فن الولادة

تأليف الدكتور نجيب محفوظ مدرّس فن الولادة بمدرسة الحكيمات في مستشفى القصر العيني

هو كتاب مدرسي لا يستغني عنهُ مولّد ولا مولّدة من الاطباء ولا بدَّ من ان يكون مؤلفهُ قد جارى في تأليفهِ احدث العلماء الاوربيين الذين كتبوا في هذا الفن وجمع فيهِ كل ما تلزم معرفتهُ لدارسيهِ من اهل اللغة العربية اطباء كانوا او قوابل . ومتنهُ موضح بمئة وثلاثة وثلاثين شكلاً . وقد احسن المؤلف بذكرهِ بعض ما يعدُّ اضافيًا في فن التوليد وهو من اهم ما يكون في بلادنا كعمليات التعقيم وتدبير صحة الحامل

الاسلام روح المدنية

او الدين الاسلامي واللورد كرومر تأليف الشيخ مصطفى الغلاييني

يذهب لورد كرومر ان لاديان الامم شأناً كبيرًا في عمرانهم واخلاقهم وهو يعني

باديانهم ما يعتقدونهُ وقت البحث عن عمرانهم ولو كان بعضهُ وضعيًا وضعوهُ هم او اسلافهم ·
واصحاب الاديان المختلفة اما ان يوافقوهُ على هذا المذهب او يخالفوهُ فيهِ فان كان الثاني فقد لا يتعذَّر عليهم ان يثبتوا لهُ ان بين اصحاب الدين الواحد البرّ والفاجر والعالم والجاهل والمرتقي والمنحط وهذا يتمشى على الافراد وعلى الجماعات فلا يكون للدين كبير تأثير فيهم ·
وان كان الاول فلا يتعذَّر عليهم ان يبيّنوا لهُ ان ما يدين بهِ القوم الذين اشار اليهم ليس من دينهم في شيء او ليس من اصول دينهم بل هو اضافات اضيفت اليهِ او بدَع نشأت فيهِ فقد سئل احد علماء المسلمين عن قول لورد كرومر " ان الجامعة الاسلامية تستلزم السعي في القرن العشرين الى اعادة مبادئ وضعت منذ الف سنة " فقال " ان كلام اللورد كرومر غير موجه الى اصل الدين لان اصلهُ القرآن واحد فرعيهِ السنة وقد ابتدأ وجودهما من ١٣٣٧ سنة منذ بعثة النبي وتمَّ وجودهما بوفاتهِ منذ ١٣١٤ سنة واللورد لا يجهل هذا التاريخ " · ثم بيّن ان المبادئ التي اشار اليها لورد كرومر هي المذاهب التي وضعت منذ نحو الف سنة وان قولهُ هذا " هو من جنس القول الوارد في دعوة لجنة المؤتمر الاسلامي المنشورة بامضاء رئيسها الشيخ سليم البشري ان الدين داخلتهُ بدَع اخَّرت الامَّة عن الرقي " (انظر مجلة جمعية التعاون الاسلامي صفحة ٢٨١ و ٢٨٢)

والظاهر ان الناس اخطأوا سهوًا او عمدًا قصد لورد كرومر فقاموا يشنعون عليهِ ويصفونهُ باقبح الاوصاف · وهذا الكتاب الموسوم بالاسلام روح المدنية يخاطب لورد كرومر بقولهِ

كذبتَ علينا ايها اللورد عامدًا كما كذب الاوباش يوم تحزبوا
فزور وبهتان وافك مضلّلٌ واشياء املاها الهوى المتشعبُ

وهو القائل بعد ذلك " ان جناب اللورد لم يعلم الدين الاسلامي على وجههِ بل ظنَّ انهُ هو ما رآهُ من اعمال المسلمين ايام اقام بينهم في مصر " (صفحة ٣١) . والقائل " نعم اني لا انكر ان اعمال اكثر المسلمين اليوم لا تنطبق على ما امر بهِ كتابهم بل اقول ان اكثر افعالهم تناقض مبادئهُ واوامرهُ ونواهيهُ حتى تحجبوا حقيقتهُ وجوهرهُ بتلك الاعمال الشائنة — فالمسلمون والنصارى وخصوصًا اهل اوربا ودولها العظيمة كلهم حاد عن دينهِ واتبع غير سبيلهِ · · · غير ان الفرق بين المسلمين والنصارى من حيث ترك الجميع للدين كبير فالنصارى تركوهُ لما هو ارقى واسمى من حيث الترقي المدني والمعاشي والمسلمون تركوهُ لما هو اذل واحط في الدنيا والآخرة " (صفحة ٧٤ و ٧٥)

والقائل " ان الدين الاسلامي دخلهُ كما دخل سائر الاديان كثير مما ليس منهُ وروَّجهُ اولئك الجهلاء باسم الدين حتى عدَّهُ كثير من عوام المسلمين بل ومن علمائهم من الدين وناضلوا عنهُ كما يناضلون عن قواعدهِ الاصلية فظن مَن لا خبرة لهُ من الاجانب ان الدين الاسلامي هو عبارة عما يرونهُ من اعمال المسلمين ويسمعونهُ من افواههم ويقرأونهُ في بعض مؤلفاتهم " (صفحة ٣٢)

اذا صحَّ ذلك كلهُ اي اذا صحَّ " ان الدين الاسلامي دخلهُ كثير مما ليس منهُ " بشهادة مؤلف هذا الكتاب وشهادة شيخ الاسلام في مصر واذا كان كثيرون من علماء المسلمين يعدون هذا الدخيل من الدين نفسهِ ويناضلون عنهُ واذا كانت اعمال اكثر المسلمين اليوم لا تنطبق على ما امر بهِ كتابهم واكثر افعالهم تناقض مبادئهُ فهل يكون لورد كرومر باغياً كذاباً مزوراً يقصد الانتقام والتشفي اذا بنى حكمهُ على ما رآهُ من سيرة المسلمين وما سمعهُ من علمائهم بعد ان وصف الاسلام اسمى وصف في ما رواهُ عما قيل لنجاشي الحبشة

اللهمَّ اجعلنا من المنصفين في حكمنا على انفسنا وعلى سوانا واجعلنا نرى انفسنا كما يرانا غيرنا

اما لورد كرومر فالذين عاشروهُ زماناً طويلاً يعلمون انهُ من اشد الناس حباً للامم الشرقية واكثرهم سعياً في ترقيتها ويعلمون ايضاً ان القيامة التي قامت عليهِ حركةٌ سياسية تجارية انشأها وروَّجها اصحاب الاغراض لغايات معلومة. والذين يقرأون كتابهُ في لغتهِ يرون انهُ بحث فيهِ بحثاً علمياً عمرانياً قد يكون مصيباً فيهِ وقد يكون مخطئاً ولكنهُ لا يقصد بهِ الانتقام ولا التشفي ولا التضليل وانما قصد الارشاد الى ما يظنهُ سبباً من اسباب ضعف الامم الشرقية

جامع الحجج الراهنة

تأليف المرحوم اقليميس يوسف داود رئيس اساقفة دمشق على السريان . وقد طبع حديثاً عن نسختين كتبتا سنة ١٨٧٣ ولم يذكر فيهِ مكان طبعهِ وهو سفر كبير يقع في ٥٣٠ صفحة

لو ان الهمة التي بذلها رؤساء المذاهب في المجادلات المذهبية بُذلت كلها في تعليم الشعب وتهذيبهِ لرأيت حال الامم غير ما هي عليهِ الآن ولا نقول ذلك حطّاً من قيمة المجادلات المذهبية ولا سيما اذا كانت مبنيَّة على المباحث التاريخية كهذا الكتاب بل لان الاهم يجب ان يقدَّم على المهم. هذا من حيث موضوع الكتاب اما اسلوبهُ فيدلُّ على علم واسع وبحث

كثير واستقصاه ما وراءه استقصاء ويشهد للمؤلف بسعة العلم وعلو الهمة · واذا كان غرضهُ من كتابهِ اظهار فضل الكرسي الروماني الذي اهتمَّ بارجاع الطائفة المارونية الى طاعة الكنيسة الكاثوليكية فيكون قد تجشم اشد المشاق لغرض شريف · وفي الكتاب اقتباسات كثيرة من قدماء المؤرخين واشارات الى ما وقع فيها من التحريف عمدًا مما يدلُّ على ان غرض الناس يحملهم احيانًا كثيرة على تحريف ما بين ايديهم من الكتب ولو كان الغرض دينيًا يحرّم مثل هذا التزوير الفاضح

مبادئ الاقتصاد السياسي

تأليف حسين افندي محمد فهمي المحامي لدى المحاكم الاهلية

قال المؤلف في مقدمتهِ " انهُ لما كانت خدمة هذا البلد الامين اشرف ما توجه نحوهُ المهم واصل ما يكافأ عليهِ اولو العزم رأيت ان اقوم بعمل نادر في بابهِ فوفقني الله الى وضع هذا الكتاب في علم الاقتصاد السياسي ······ فعسى ان اكون قمت بما يجب عليَّ نحو بلادي ولعل هذا المؤلف يكون فاتحة لمؤلفات كثيرة في هذا الموضوع الجليل بلغتنا العربية الشريفة تبتدعها افكار اولي العلم الغزير والاطلاع الواسع "

ومفاد ذلك كلهِ ان الكتاب موضوع وضعًا ابتدعتهُ فكرة المؤلف ولم يلخصهُ من كتب الاوربيين ولا بناهُ عليها ولكن لا تقرأ فصلاً او فصلين حتى ترى المؤلف يعترف باقتباسهِ من الاوربيين· وقد طبع في العربية ثلاث كتب او اربع في علم الاقتصاد واعترف مؤلفوها انهم اغترفوا من موائد الاوربيين الذين وسعوا هذا العلم ووضعوا قواعدهُ واوصلوهُ الى ما وصل اليهِ الآن

والكتاب من احسن الكتب العربيَّة التي رأيناها في موضوعهِ لغةً وايضاحًا فلحضرة مؤلفهِ الشكر الجزيل

المنهج المسلوك في سياسة الملوك

تأليف الشيخ عبد الرحمن بن عبدالله من علماء القرن السادس الفهُ للملك الناصر صلاح الدين يوسف وقد طبع الآن على نفقة احمد افندي زكي ابو شادي ومحمد افندي رشدي

بدأ المؤلف كتابهُ بمقدمة قال فيها ان الملك من الضروريات للرعية كالمطر للزرع والرعية بلا والٍ كالانعام بلا راعٍ · ثم بيَّن الاوصاف التي يجب ان يتصف بها الملك كأن يكون

عادلاً شجاعاً سخياً رفيقاً وفياً صادقاً رؤوفاً صبوراً. والمطالب التي تطلب منهُ وهي ان يسوس الجيش ويدبرهُ ويعدّ لهُ ما يحتاج اليهِ من زاد وعلوفة ويتعرَّف اخبار عدوهِ بالجواسيس ويحرض المؤمنين على القتال ويذكرهم ثواب الله ولا يترك احداً من جيشهِ يشتغل بتجارة او زراعة . وان يصابر المشركين ويقاتل اهل الردة واهل البغي ويقسم اموال الكفار بين الغانمين ويسمع المواعظ من النسَّاك

وغنيٌّ عن البيان انهُ كان يُطلب من الملك ان يدبر كل امور المملكة في العهد الذي أُلّف فيهِ هذا الكتاب فكأَن المؤلف اراد ان تدبير المملكة يقوم بان يكون ملكها متصفاً بالاوصاف التي ذكرها كالعدل والعقل والشجاعة والسخاء والرفق والحلم وان يقاتل الكفار والمشركين والمرتدين ويقسم غنائمهم. اما الزراعة والصناعة والتجارة ومصالح الناس الذين يتعذر عليهم الوصول اليهِ فامرها كلها موكول الى الطبيعة فلا عجب اذا انحطت الممالك التي لا همَّ لملوكها الَّا ان يُذكروا بعدلهم وسخائهم وشجاعتهم وتنكيلهم بالاعداء ويكونوا من ممادح الشعراء ولا تعجب بعد ذلك من ان اولئك الملوك تسلطوا على قطرين فيهما نحو عشرين مليوناً من النفوس ومدائن تباهي اعظم عواصم الدنيا وبعد الف سنة لم يبقَ في ذينك القطرين سبع ما كان فيهما من السكان وامست مدائنهما خراباً يباباً

ولغة الكتاب ناصعة البيان وحكَمهُ في الطبقة الاولى ولا اعتراض على ما فيهِ من حيث ما يجب على الملوك وانما اعتراضنا عليهِ من حيث انهُ غير جامع لاهتمام الرعاة بمعايش الرعية

وقد اتفق اننا حينما كنا نكتب هذه السطور اتجه نظرنا الى سؤال احد اعضاء مجلس النواب الانكليزي عن عدد الساعات التي يعمل فيها الاولاد في معامل حلج القطن في القطر المصري مستكثراً تشغيلهم ١٠٥ ساعة في اليوم ولائماً الحكومة على عدم التفاتها الى ذلك. واتجه ايضاً الى رسائل بعث بها الينا بعض المكاتبين شكوى من اهمال الحكومة المصرية تنقية دود القطن فلم يسعنا الَّا رؤية الفرق الكبير بين اهتمام ابناء هذا الزمان واهتمام اسلافهم فان قوة الامة تتوقف على صحتها وصحتها تتوقف على صحة اولادها . ونجاح الامة يتوقف على ثروتها وثروتها تتوقف على زراعتها وهذه الدودة الحقيرة خسَّرت القطر المصري سنة ١٩٠٥ اكثر من مليونين من الجنيهات وما من حرب اوقدت مصر نارها وربحت بها ما يساوي نصف مليون . والاهتمام بهذه الامور وامثالها هو اساس سياسة الممالك ونجاحها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) الاولاد وايام الحسوم

القاهرة . احد المشتركين : يعتقد العامة انهُ اذا حبلت امرأة في ايام الحسوم تلد مولوداً خارقاً للطبيعة و يثبتون هذا الاعتقاد بحوادث يذكرونها فهل ذلك صحيح

ج كلاً ولا ندري كيف يمكنهم اثباتهُ اما حكمنا بانهُ غير صحيح فمبني على ان في ايام الحسوم ثماني ليالٍ او نحو جزء من ٤٦ جزءا من ليالي السنة فلو كان هذا القول صحيحاً لوجب ان يكون اثنان في المئة من الناس من الخوارق وهذا غير الواقع

(٢) معنى كلمة حسوم

ومنهُ . ما معنى كلمة حسوم وهي من ١٠ مارس الى ١٧ منهُ او من اول امشير الى ٨ منهُ

ج يقال في كتب اللغة ان الليالي الحسوم هي التي تحسم الخير عن اهلها . وليس لدينا نص صريح على اصل هذه الايام ولكننا نظن ان لها علاقة بالاختلاف بين اليهود والنصارى على وقت عيد الفصح فان الفريقين كانا في بلاد العرب وكان قد وقع الخلاف بين طوائف النصارى على وقت هذا العيد منذ القرن الثاني للميلاد . او ان لها علاقة بعيد الفصح نفسهِ فانهُ كان يعيد ثمانية ايام وبقي كذلك الى القرن الحادي عشر

(٣) كيف يتكوَّن الجنين

ومنهُ . كيف يتكوَّن الجنين مدة الحمل

ج تجدون اشارة الى ذلك في مقالة الوراثة في هذا الجزء وتجدون شرحاً مسهباً لكيفية تكوُّن الجنين في كتاب الفسيولوجيا تأليف الدكتور ورتبات وفي كتاب فن الولادة الذي قرظناهُ في هذا الجزء وهو للدكتور نجيب محفوظ

(٤) الدب الرومي والاسد البريطاني

ومنهُ . لماذا يقال الدب الرومي والاسد البريطاني

ج ان الاسد شعار بريطانيا وهو رمز القوة . وشعار روسيا النسر لا الدب ولكن الدب كثير في روسيا ووطنهُ البلاد الباردة وهو رمز للقوة والضخامة فجعل رمزاً لروسيا

(٥) ابتداء السنة

ومنهُ . من المعلوم ان السنة الافرنكية كانت تبتدئ من شهر مارس وتنتهي في شهر فبراير فمن غيَّر هذا الترتيب وجعل شهر يناير مبدأ السنة

ج كانت السنة عند الرومان عشرة اشهر بداءتها في مارس ونهايتها في دسمبر ومعنى دسمبر المدة العاشرة ثم اضافوا اليها يناير وفبراير فصارت اثني عشر شهرًا وبقيت نهايتها في دسمبر وصارت بداءتها في يناير وذلك منذ سنة ٢٥١ قبل المسيح . ثم ان ديونيسيوس الصغير الذي توفي سنة ٥٥٦ للميلاد وهو احد علماء الكنيسة جعل مبدأ السنة المسيحيَّة ٢٥ مارس اي يوم عيد البشارة او قبل ولادة المسيح بتسعة اشهر فجارتهُ اكثر ممالك اوربا في ذلك ولكن بقي بعضها يحسب مبدأ السنة في ٢٥ دسمبر وبعضها في ٢٥ مارس وبعضها في عيد الفصح وبعضها في اول يناير فانكلترا بقيت تستعمل المبدأ الاول والثاني من القرن السادس الى سنة ١٠٦٦ والثالث والرابع الى سنة ١١٥٥ ثم عادت الى الاول وجرت عليهِ الى اليوم التالي للحادي والثلاثين من دسمبر سنة ١٧٥١ فسمتهُ اول يناير سنة ١٧٥٢ . واستعملت اسكتلندا الثاني الى سنة ١٥٩٩ وحينئذٍ دعت اليوم التالي للحادي والثلاثين من دسمبر اول سنة ١٦٠٠ واستعملت فرنسا الاول في عهد شارلمان ثم الثالث والثاني

(٦) الجنين واشعة رنتجن

ومنهُ . هل يمكن ان يعرف جنس الجنين باشعة رنتجن

ج كلاَّ لان صورة الاجزاء اللحميَّة تظهر باشعة رنتجن متماثلة

(٧) وظائف الاعضاء

ومنهُ . كيف عرفت وظائف الاعضاء التي يتركَّب منها جسم الانسان وهل عرف ذلك وهي موضوعة في اماكنها او بعد استخراجها من اماكنها مع انها تكون قد فقدت حياتها

ج انكم تطلبون بهذا السؤال ان نشرح لكم تاريخ علم الفسيولوجيا من ايام اطباء اليونان الى الآن وهذا لا يكفيهِ مجلد ضخم ولكننا نقول بالاختصار ان وظائف اعضاء الجسد عُرفت بالمراقبة مدة الحياة وعرفت والاعضاء في اماكنها او بعد نزعها فمثال ذلك ان الذين شرَّحوا اول انسان او اول حيوان كبير رأوا الطعام في معدتهِ فعرفوا ان المعدة لهضم الطعام ورأوا الطعام ينتقل الى الامعاء وقد هضم كثيرًا او قليلاً فقالوا ان الامعاء تشارك المعدة في الهضم وربطوا اطعمة مختلفة وادخلوها الى المعدة وابقوها فيها مدة ثم اخرجوها منها ورأوا تأثير الهضم المعدي فيها واستخرجوا العصارة المعدية وامتحنوا فعلها بالاطعمة المختلفة وبعد بحث طويل مدة سنين

كثيرة عرفوا نصيب كل من المعدة والامعاء في هضم الطعام اي وظيفة كلٍّ منها· ورأوا البول في المثانة ورأوا قناة تمتد منها الى الكلية ورأوا الاوعية الدموية تمر في الكليتين وتتشعب فيهما ثم تخرج منها فعرفوا انهما لافراز البول من الدم · ورأوا الدم يدخل الرئتين وريديًّا كثير الفضول ويخرج منهما شريانيًّا نقيًّا فعرفوا انهما لتطهير الدم · ورأوا انهُ اذا ايف عصب من الاعصاب او عقدة من عقد الدماغ بطلت حركة اليد او حركة اللسان او فقد النطق او زال البصر فعرفوا ان وظائف تلك الاعصاب والعقد الدماغية تحريك اليد واللسان الخ والآن يشتغل مئات من العلماء بالبحث عن وظائف كل عضو وكل دقيقة من دقائق الجسم لانهُ لا تزال امور كثيرة غامضة مع كثرة ما عرف من وظائف اعضاء الجسم

(٨) الداء الزهري

الاسكندرية · م · ك · ن. في اي البلدان ظهرت الامراض الزهرية اولاً وعن اي شيء تأتت

ج يظهر من النظر في آثار الاقدمين ان داء الزهري قديم جدًّا فقد وجدت آثارهُ في عظام الاقدمين الذين كانوا في العصر الحجري او قبل المسيح باكثر من الفي سنة وورد وصفهُ في كتاب طبي صيني امر بجمعهِ الامبراطور هوانكتي الذي كان قبل المسيح بالفين وستمائة سنة · و يظهر منهُ ان الصينيين اول من وصف الدرجة الاولى والثانية من درجاتهِ واول من عالجهُ بالزيبق وقال بانتقالهِ بالوراثة ووصف انواع قروحهِ المختلفة وتأثيرهُ في اعضاء الجسم · وفي كتب المصريين والهنود والكلدان واليونان والرومان اشارات الى قروح تصيب الجسد حيث يظهر الزهري عادةً واتفقوا كلهم على انها صعبة البرء وتؤثر في الحنجرة والشعر وان العدوى بها تكون غالبًا من الموسسات · وواضح من ذلك انهم ارادوا بها داء الزهري عينهُ · اما سبب الزهري فكروب خاص بهِ وهو سبب العدوى ولا يعلم كيف وجد هذا الميكروب اولاً ولكن الرأي الشائع ان الميكروبات تتحول من نوع الى آخر وينشأ بعضها من بعض حسب نواميس النشوء العامة ولا تعلم الاسباب التي ولَّدت ميكروب الزهري ولا ما كان نوعهُ قبلاً

(٩) علامات الزهري

ومنهُ · كيف تعرف الامراض الزهرية عند الرجال والنساء وهل يوجد فرق بين المرضين

ج · لا فرق في ظواهرها بين الرجال والنساء ولها ثلاث درجات الاولى قرحة منفردة حمراء رمادية في المركز صلبة مقعرة عن مساواة السطح المحيط بها وحافتها منخفضة الى الداخل وقاعدتها صلبة كما يظهر باللمس ومفرزها مصلي ويختلف قطرها من ثمن عقدة

الى نصف عقدة و يرافقها تصلُّب الغدد اللمفاوية المحاذية على الجانبين بلا الم وهي سريعة البرء تشفى في مدة وجيزة على الغالب . و بعد ثلاثة اسابيع الى سبعة تظهر اعراض الدرجة الثانية فتبتدئ بتكسر وضعف عامٍ وهزال وفقد القابلية للطعام والم الرأس والاطراف وتورم غدد الرقبة والابطين وتظهر بقع لطخية وهي اما متفرقة او مجتمعة معاً لونها احمر وتظهر كأنها مرتفعة عن البشرة وهي على مساواة الجلد و يزول لونها تحت الضغط ثم يرجع وهي عديمة الالم و يصير لونها نحاسياً وتربو عليها قشور تسقط عند اواخر مدتها وقد ينتهي بعضها بالتقرح اذا كانت بنية المصاب ضعيفة

وفي الدرجة الثالثة تتكوَّن ناميات ليفيَّة صلبة مؤلمة ثم تتحول الى ورم صمغي قابل للتقرح والتقيح يظهر على سطح الجلد . وقد تظهر في الدماغ والعمود الشوكي ومن اعراضها تقرحات جلدية وتقرحات عميقة في الحلق والحنجرة والتهاب اجزاء العين والطرش وفقد حاسة الشم الخ . واذا شئتم زيادة الايضاح فراجعوا مقالة مسهبة في هذا الموضوع منشورة في المجلد العشرين من المقتطف في جزئي يونيو و يوليو سنة ١٨٩٦

(١٠) البروتستانت وعيد الفصح

نيو اورلينس . الخواجه شديد نعمه عطايا . لماذا لا تحتفل الطوائف البرتستانتية بعيد الفصح كبقية الطوائف المسيحيَّة مع انها تحتفل مثلها بعيد الميلاد

ج لما ارادت الطوائف البروتستانتية الرجوع الى بساطة الديانة المسيحيَّة الاولى اهملت الطقوس كلها واصرَّ بعضها على هذا الاهمال الى الآن وعاد البعض الآخر الى الاحتفال ببعض الاعياد اما عيد الفصح فكان الاحتفال بهِ يشمل اظهار السرور على اساليب بعضها غير حسن وبعضها يقوم بتلاوة قصص خرافية لا حقيقة لها فنادى الاصلاح ضدها منذ القرن السادس عشر ولاسيما في البلاد السكسونية حيث يقال ان بعض تلك الاساليب وثني الاصل ولعل صعوبة تعيين يوم العيد ساعدت على اهمالهِ

(١١) فائدة الحشرات

مصر . جبريل افندي ميخائيل . يقال ان لكل كائن على الارض فائدة فما فائدة الذباب والبراغيث والبق والعنكبوت

ج اذا كان المراد بالفائدة انها حاصلة للانسان فالقول غير صحيح لان كائنات كثيرة وجدت وتلاشت والانسان لم ينل منها فائدة ما ولا علم بوجودها . ففي مجاهل افريقية واسيا كائنات كثيرة لا ينتفع احد بها وحولنا كائنات كثيرة ليس منها للانسان الأ الضرر كمكروب السل والتيفو يد والطاعون والدفثيريا وما اشبه من الامراض القتَّالة واذا كان المراد بالفائدة العمل المنوط بذلك الكائن في سلسلة الكائنات فلكلٍ منها عمل

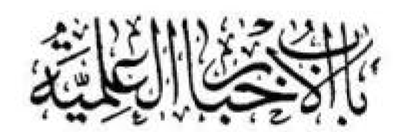
خاص في هذا الكون فالصل الذي يقتل الانسان يفيد الديدان التي تأكل جثتهُ . اما الذباب فيفيد الانسان في انهُ يأكل فضلات الطعام ولولا ذلك لفسدت وافسدت الهواء ولكنهُ يضرُّ بهِ في نقلهِ مكروبات التيفويد مثلاً من مبرزات المصابين الى طعام الاصحاء ومكروبات الكوليرا من قيء المصابين بها الى طعام الاصحاء . والبراغيث لانعلم لها فائدة للانسان وضررها كثير ولا سيما بعد ان علم انها تطعّم الانسان بمكروب الطاعون وكذلك البق لا نعلم له فائدة للانسان وضررهُ كثير ولا سيما اذا ثبت انهُ ينقل مكروب الجذام من المجذومين الى الاصحاء ولا نعلم ضررًا للعنكبوت غير ما يلسع منهُ ولسعهُ سام ومنهُ فائدة باكل الذباب

(١٣) الجامعة المصرية

ومنهُ . ما رأيكم في الجامعة المصرية هل وضعت قواعدها على اساس متين يضمن نجاحها او ما الذي تختارونهُ لنجاح مشروعها

ج ان اكثر الجامعات المشهورة مؤلف من مدارس عالية كمدرسة الطب ومدرسة الحقوق ومدرسة الزراعة ومدرسة الهندسة ومن مدرسة فوقها للفلسفة والعلوم الطبيعيَّة واللغوية والادبيَّة كما ابنا غير مرة . والمدارس الاولى موجودة في القاهرة وينقصها لتكون مدرسة جامعة ان تنضم بعضها الى بعض وتضاف اليها مدرسة فلسفيَّة ومدرسة للعلوم الطبيعية العليا كالجيولوجيا والبيولوجيا والعلوم اللغوية والادبيَّة كالفيلولوجيا والاركيولوجيا وتاريخ الآداب العربيَّة . اما الجامعة التي يراد انشاؤُها فتكملة للمدارس العالية الموجودة في العاصمة . واذا ظهر بعد السير فيها ان البلاد تحتمل مدارس اخرى للطب والحقوق والهندسة والزراعة ففي الامكان اضافتها اليها فتصير جامعة اسمًا وفعلاً . وكثير من المدارس الجامعة نشأ صغيرًا ونما رويدًا رويدًا . وبقي امر جوهري وهو ان المدارس الجامعة تمنح القابًا علميَّة بحق تنيلها اياهُ حكومة البلاد التي هي فيها او حكومة اخرى مرعية كالمدرسة الاميركية في بيروت فانها نالت هذا الحق من حكومة اميركا والمدرسة اليسوعية فانها نالت هذا الحق من حكومة فرنسا على ما نظن اما الجامعة المصرية فلم تنل هذا الحق من الحكومة المصرية حتى الآن . والاسلوب الذي ابتدأت بهِ يدلُّ على ان القائمين بها يلومون الحكومة لانها لم تنشئ مدرسة جامعة حتى الآن ويحسبون انها فعلت ذلك لكي لا يرتقي التعليم في البلاد فارادوا جبر هذا النقص بانشاء مدرسة جامعة للعلوم العالية . ونحن نعلم عن ثقة ان بعض رؤساء مدارس الحكومة المشار اليها آنفًا كانوا يشيرون بضمها بعضها الى بعض لتكوين مدرسة جامعة منها وقد ذاكرنا واحد منهم في هذا الموضوع منذ نحو اربع سنوات .

و يحسن بالحكومة المصرية ان لا تهمل هذا الموضوع وهي اقدر من شعبها الآن على انشاء مدرسة جامعة تجعل فروعها مدارسها الطبيَّة والحقوقية والهندسيَّة والزراعيَّة وتضيف اليها مدرسة لعلم التجارة ومدارس اخرى للعلوم العالية على انواعها وتجلب اليها من مهرة الاساتذة الاوربيين الاخصائيين الى ان يمهر من ابناء البلاد من يقوم مقامهم وتمنح الالقاب العلية لمستحقين وقد لا تزيد نفقات مدرسة كهذه على عشرين الف جنيه في السنة فوق ما تنفقهُ الآن على مدرسة الطب ومدرسة الحقوق ومدرسة الهندسة ومدرسة الزراعة فيصير في القطر المصري مدرسة جامعة مثل اوسع المدارس الجامعة في الدنيا. وهذا لا يمنع ان تكون فيها جامعة اخرى وهي الجامعة التي انشئت الآن لان البلاد تحتمل جامعتين او اكثر اذا عكف اهلوها على العلم كما يُنتظر منهم



القانون الاساسي العثماني

أُعيد القانون الاساسي الى الممالك العثمانية في ٢٤ يوليو الماضي وصدر الامر بانتخاب النواب لمجلس المبعوثان وسيجتمع في نوفمبر المقبل وزالت المراقبة عن الجرائد والمطبوعات عموماً وعفي عن المجرمين السياسيين وشمل السرور جميع العثمانيين على اختلاف اجناسهم ومذاهبهم

مركبة زبلن الهوائية

هي المركبة الرابعة من المركبات او البلونات التي صنعها كونت زبلن الالماني اطيرت الساعة الثامنة والدقيقة ٣٠ صباحاً من خيمتها عند بحيرة كونستانس في اول يوليو فصعدت الى علو الف قدم واتجهت نحو زورك ومرَّت فوق كونستانس وفردنفلد ودنترثور ولما وصلت الى زورك دارت حول كنيستها ثم عادت جنوباً الى لوسرن فوصلتها الساعة ١٢ والدقيقة ٣٠ وطارت فوق البحيرة ثم دارت حولها وعادت شمالاً فوصلت الى كنستانس الساعة ٦ والدقيقة ٣٠ بعد الظهر ثم سارت الى حدود بلاد المجر ونزلت على مئة قدم من البيوت ودام سفرها ١٢ ساعة قطعت فيها ٢٤٨ ميلاً وكانت سرعتها احياناً ٣٤ ميلاً في الساعة واعلى علوٍ بلغتهُ

٢٤٦٠ قدماً ومراد الكونت زبلن ان يطير بها و يسير مدة اربع وعشرين ساعة لكي يقوم بالشرط الذي اشترطتهُ حكومة المانيا عليهِ لكي تشتريها منهُ بمئة الف جنيه

الطواف حول افريقية

وجد بين الآثار المصرية القديمة جُعلان من عهد الملك نكاو الثاني الذي ملك سنة ٦١٠ قبل المسيح وهما كبيران جدًّا من حجر اسود رمادي طول احدهما ٢٠ سنتمترًا وطول الآخر ٢٥ سنتمترًا و يقال في الكتابة التي على وجه احدهما ان خادماً جاء واخبر الملك بان الرسول الذي ارسلهُ ليطوف حول الارض المجهولة قد عاد الى مصر فامر الملك ان يأتي حالاً اليهِ فاتى وسجد للملك واخبرهُ عمَّا شاهدهُ في رحلتهِ العجيبة فامر الملك ان تكتب اخبارهُ لانهُ لم يرَ مثلها قبلاً وقدم كثيرًا من التقادم الى الالهة بنت مما جاء بهِ الرسول من تلك البلدان

ويقال في الكتابة التي على الجُعل الثاني ان الرسول واسمهُ بتنيث امرهُ الملك ان يجد طريقاً الى البلاد الجديدة التي كانت مجهولة لدى القدماء فابتدأ السفر في السنة الثامنة للملك وبعد ان سار اكثر من شهر في البحر الاحمر دخل الاوقيانوس وسار فيهِ مدة سنة وسبعة اشهر فوصل الى امام جبل كبير يسمى قرن الارض ومن ثم ضلَّ ولم يعد يعرف اين هو وبعد سفر طويل وجد نفسهُ في مصر ونزل على ضفة النيل وكان ذلك في السنة الثانية عشرة للملك نكاو الثاني فكانت مدة سفر بتنيث اربع سنوات ويقال هناك ان الملك امر بكتابة خبر هذهِ الرحلة في لوح يحفظ في الهيكل لكي يعلم بها كل سكان الارض . ولكن لم تكتشف هذه الكتابة حتى الآن

ما بني من السفن

بني في العام الماضي ٣٥٢٣ سفينة كبيرة محمولها ٣٢٧٧٨٩٤ طنًّا وقوة آلاتها البخارية ٣١٢٧١٤٩ حصاناً واكثر من نصفها بني في انكلترا فانهُ بني فيها ١٨٢٥ سفينة محمولها ١٨١٤٩٦١ طنًّا وقوة آلاتها البخارية ١٧٧٦٧٦٨ وما بقي في سائر ممالك العالم . وتتلوها الولايات المتحدة الاميركية في كبر السفن وان لم يكن في عددها فان عدد ما بني فيها من السفن ١٧٧ محمولها ٤٥٥٧١٣ طنًّا وقوة آلاتها البخارية ٣٠٤٨٣١ حصاناً ثم المانيا فانهُ بني فيها ٥٠٧ محمولها ٣٢١٣٧٢ طنًّا وقوة آلاتها البخارية ٢٧٩٠٩٧ حصاناً ثم اليابان فانها بنت ١٤٨ سفينة محمولها ١٢٧٧٥٢ طنًّا وقوة آلاتها البخارية ١٨٧٧٢٨ حصاناً . ومعامل بناء السفن في بلاد اليابان جامعة لاحدث الاساليب وصنَّاعها من امهر الصنَّاع وهي

تنوي الآن ان تبني فيها بارجة محمولها عشرون الف طن · واكبر بارجة عند الانكليز الآن محمولها ١٨٦٠٠ طن · واكبر بارجة عند الفرنسويين محمولها ١٨٠٠٠ طن وعند الالمان محمولها ١٧١٠٠ طن وعند الدولة العلية محمولها ٣٢٥٠ طنًا وهي ليست بارجة بل طراد محميّ وعسى ان تتغير الحال قريبًا

المربعات السحرية

اذا اردت ترتيب الاعداد الطبيعية من واحد فما فوق في مربعات عددها وتر فارسم المربعات وضع ١ في المربع الذي تحت المربع الاوسط ثم سر بانحراف الى اليمين والاسفل وضع ٢ في المربع التالي لهُ و٣ في المربع الذي بعدهُ الخ ومتى وصلت الى نهاية عمود من الاسفل فانتقل الى رأس العمود الذي يليهِ يمينًا ثم انتقل الى اليمين منحرفًا كما تقدم ومتى وصلت الى طرف عمود من جهة اليمين فانتقل الى رأس العمود الذي تحتهُ من جهة الشمال وسر بانحراف الى اليمين والاسفل كما تقدم · وفي انتقالك من مربع الى آخر اذا وجدت المربع الآخر مشغولاً فاترك مربعًا تحت المربع الذي انت فيهِ وانتقل الى الذي تحتهُ ومتى وصلت الى المربع الذي فوق الاخير من الزاوية اليسرى فانتقل الى اعلى ذلك العمود ومتى وصلت الى المربع الذي في الزاوية السفلى اليمنى فانتقل الى المربع الثاني في ذلك العمود من الاعلى مثال ذلك ان توضع الارقام ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ الى ٤٩ في سبع مربعات طولاً وسبع مربعات عرضًا اي ٤٩ مربعًا حتى يكون مجموع كل عدد افقي او عمودي ١٧٥ فتوضع هكذا

٤	٣٥	١٠	٤١	١٦	٤٧	٢٢
٢٩	١١	٤٢	١٧	٤٨	٢٣	٥
١٢	٣٦	١٨	٤٩	٢٤	٦	٣٠
٣٧	١٩	٤٣	٢٥	٧	٣١	١٣
٢٠	٤٤	٢٦	١	٣٢	١٤	٣٨
٤٥	٢٧	٢	٣٣	٨	٤٩	٢١
٢٨	٣	٣٤	٩	٤٠	١٥	٤٦

وقس على ذلك سائر المربعات الوترية العدد . انتهى من السينتفك اميركان

طيارة فرمن

نال المستر فرمن جائزة امرنجو وهي عشرة آلاف فرنك لانهُ طار بطيارتهِ في السادس من يونيو عشرين دقيقة وعشرين ثانية وقطع بها نحو احد عشر ميلاً وكان الشرط لنيل الجائزة ان تبقى الطيارة طائرة ربع ساعة

ملك الانكليز والعلم

ذهب ملك الانكليز والملكة الى مدينة ليدس وفتحا المباني الجديدة في مدرستها الجامعة وقدّم خطاب الى الملك فاجاب عنهُ بما ترجمتهُ "لا يخفى ما لي من الاهتمام بامر

التعليم ويسرّني ان ارى مدارسنا العظيمة توسع نطاقهُ وتعلي منارهُ . والدرجة السامية التي بلغتها مدارسنا الكلية والجامعة من حيث تهذيب الاخلاق وتثقيف العقول لم تنحطَّ بادخال العلوم الطبيعية ولاسيما الفروع العملية التي اتسع نطاقها الآن ولا كان ذلك مانعاً من تتبع العلوم الادبية والتاريخية . ويسرّني جدًّا ان ارى وسائل التعليم في المواضيع المفيدة للتجارة قد زادت كثيرًا لشبان مدننا التجارية حيث تعلَّم العلوم الادبية . ويصعب عليَّ ان اعبر عن كل ما يخالج فؤادي من الشكر للذين قاموا بما يطلب منهم من هذا القبيل سواء كانوا من رجال الحل والعقد او من اساتذة المدارس لانهم قاموا بهِ احسن قيام . ويسرني ايضاً انكم اعددتم المعدات اللازمة لتعليم الزراعة نظريًّا وعمليًّا لاني واثق انهُ لا يمكن الحصول على خير النتائج من اجتهاد فلاحينا ومقدرتهم ما لم يتعلموا اصول هذه الصناعة"

موتمر تاريخ الاديان العام

يعقد هذا المؤتمر اجتماعهُ الثالث في اكسفرد بين ١٥ و١٨ من شهر سبتمبر برئاسة الاستاذ تيلر والسر الفرد كومن ليل والاستاذ برسي غاردنر وسيخطب فيهِ الدكتور اڤانس عن اديان الكريتيين والمسيو فوريه عن عبادة الشمس والذبائح البشرية عند اليونان ومس ماري اون عن الاعتقاد بالمسيح عند هنود اميركا والاستاذ سايس عن تأثير الديانة البابلية في اسيا الصغرى وسورية والمستر سكيت عن ديانة الملقيين والدكتور بدج عن وجود بعض العناصر الآتية من قلب افريقية في ديانة المصريين . ويجوز التكلم بالانكليزية والفرنسوية والالمانية والايطالية

مقدار الراديوم

عند العلماء الآن لا اكثر من قمحتين من الراديوم فعند مدام كوري ١٥ مليغراماً وعند الاستاذ بورداس ١٠ مليغرامات وعند المسيو بكرل عشرة ايضاً وعند السر وليم رمسي ٢٠ مليغراماً وعند السر وليم كروكس ٢٠ وعند الاستاذ دارسنڤال ٢٠ وعند اديصن ٢٠ وعند غيرهم من الاساتذة ٢٠ مليغراماً والجملة ١٣٥ مليغراماً واكثرها راديوم صرف او املاح نقية من املاحهِ . وبين ايدي الناس مقادير اخرى من مركَّبات الراديوم غير نقية ولكن المرجح ان ما فيها كلها من عنصر الراديوم لا يساوي ما في المقادير التي عند العلماء . ويجب ان يضاف الى ذلك ٣ غرامات من الراديوم استخرجها الاستاذان اكسنر وفين حديثاً وهي تساوي ١٦٠٠ جنيه وسيستعير السر وليم رمسي غراماً منها لكي يبحث عن المواد التي تشع من الراديوم

فهرس الجزء الثامن من المجلد الثالث والثلاثين

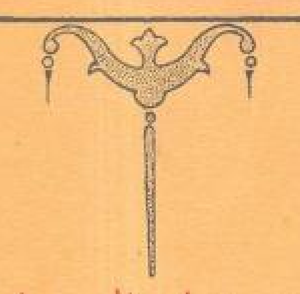
٦٢٥ عيد دارون وولس (مصوَّرة)
٦٢٨ اسباب الاحتلال البريطاني
٦٣٣ الحرير الصناعي
٦٣٥ الشيخ ابرهيم اليازجي اللبناني . للاستاذ عيسى افندي اسكندر المعلوف
٦٣٩ مزايا النساء العقلية
٦٤٧ الدولة العباسية
٦٥٣ الحمام القلاَّب وتولده . لجميل افندي صدقي الزهاوي
٦٥٧ الفلسفة اليونانية . ص . ي
٦٦٦ الوراثة
٦٧١ غرائب الاتفاق
٦٧٨ آثار فلسطين

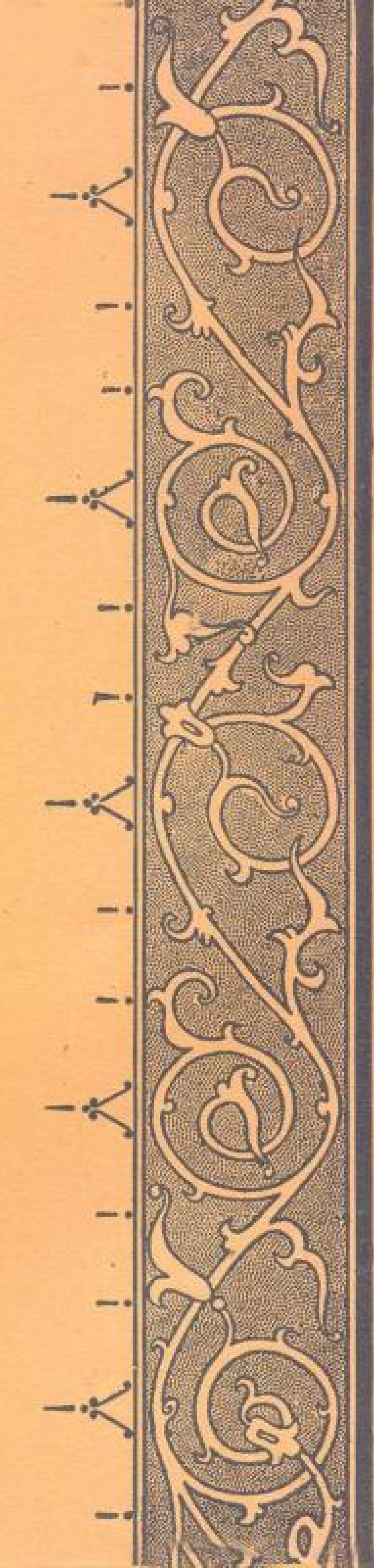
---

٦٨١ باب تدبير المنزل * اقتصاد الاولاد . غرور الاولاد . عصير الاثمار . البطنة . الاستحمام . تنظيف اللؤلؤ . المرأة الايرانية
٦٨٨ باب الزراعة * دودة القطن . الفراخ والبيض . نبات الآس . زراعة البرتقال وعلاج حشراته
٦٩٣ باب المراسلة والمناظرة * سكان المريخ . الناطقون بالضاد . الضاد بالعربية
٦٩٨ باب التقريظ والانتقاد * فن الولادة . الاسلام روح المدنية . جامع الحجج الراهنة . مبادئ الاقتصاد السياسي . المنهج المسلوك في سياسة الملوك
٧٠٢ باب المسائل * الاولاد وايام الحسوم . معنى كلمة حسوم . كيف يتكوَّن الجنين . الدب الروسي والاسد البريطاني . ابتداء السنة . الجنين واشعة رنتجن . وظائف الاعضاء . الداء الزهري . علامات الزهري . البروتستانت . فائدة الحشرات . الجامعة المصرية
٧٠٨ باب الاخبار العلمية * وفيه ٩ نبذ

رواية فتاة الفيوم ملحقة بالمقتطف







مستقبل العمران

الحب : لادلر

العلم : لهكسلي

التعليم : لولز

الاسرة : لرسل

الاقتصاد : لتشايس

رجال الشهر

غازوورذي ، غاندي ، سايس ، صديق بك

الازمة الاقتصادية

واشتباك المصالح الدولية

المقتطف

الجزء التاسع من المجلد الثالث والثلاثين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٥ شعبان سنة ١٣٢٦

البلاد العثمانية

ماضيها ومستقبلها

ماضي البلاد العثمانية ومستقبلها موضوعان جليلان الاول منهما لا يوفيهِ المؤرخ حقهُ ولو اشتغل بهِ العمر كلهُ وألف فيهِ مئات المجلدات . والثاني تدخل فيهِ مئات من العوامل حتى يتعذر على الفيلسوف العمراني ان يحكم فيهِ حكماً باتاً ولو احاط بما لا يحصى من المعلومات ولذلك لا نطمع ان نأتي في هذه العجالة الاَّ على نقطة من بحر مما يمكن ان يكتب في هذين الموضوعين

***

تشمل البلاد العثمانية اعظم الممالك القديمة بابل واشور ومصر وفينيقية وممالك الحثيين واليهود والمكدونيين والعرب والارمن وممالك اليونان القديمة في بر الاناضول ومدنهم المشهورة فريجية وليسية وبثينية وليدية وبمفيلية وغلاطية وترواذة وكبدوكية الخ وقد دخلت هذه الممالك كلها في حوزة الاسكندر المكدوني ولكنها انقسمت بعد موتهِ بين قوَّادهِ وصارت ممالك متباينة متنافسة . ثم دخلت في حوزة الرومان وطال تسلطهم عليها ولكن لا كما طال تسلُّط آل عثمان ولا كان عصرهم عصر علم وعرفان مثل عصرنا الحاضر مع انهُ كان من ارقى عصور التاريخ الغابر . وقبل ان استولى عليها آل عثمان استولى عليها العرب من بني امية و بني العباس وغيرهم من الدول التي نشأت في عهدهم او جاءت بعدهم

وليس في ما لدينا من كتب التاريخ تفصيل محقق يُعرَف منهُ ما كانت عليهِ هذه الممالك لما استولى عليها آل عثمان من حيث عدد سكانها ومعايش اهلها وحالهم من الحضارة ولكن

التواريخ والآثار القديمة تدل دلالة قاطعة على انها كانت قبل عهد العرب اكثر سكاناً واوفر عمراناً مما هي عليهِ الآن حتى لا يكاد يصدَّق ان سكانها الحاليين هم نسل الذين بنوا هيا كل بابل واشور ولقصر وكرنك وبعلبك وجرش وتدمر

فالقطر المصري وهو من اخصبها بقعةً واقلها تعرُّضاً للمجاعات كان عدد سكانهِ نحو عشرة ملايين من النفوس في زمن الفتح فقلوا رويداً رويداً حتى بلغوا في زمن الحملة الفرنسوية نحو مليونين وقدَّرهم فولنه الفيلسوف الرحالة الفرنسوي بنحو مليونين وربع مليون ولولا العناية الخصوصية التي تمتع بها هذا القطر منذ ربع قرن لما زاد عدد سكانهِ الآن على سبعة ملايين او ثمانية

وسورية كانت مملكة عظيمة بل كانت تضمُّ ممالك عظيمة تناظر مصر وتحاربها ونشأ من ابنائها القرطاجنيون الذين نافسوا الرومانيين ودوَّخوا اسبانيا وايطاليا

ومملكتا بابل واشور اعظم ممالك العهد القديم واكثرها سكاناً وارقاها عمراناً اضف الى ذلك ممالك اليمن والحجاز والانباط واليهود والارمن وممالك آسيا الصغرى والروملي

والمتواتر ان سكان الممالك العثمانية كانوا مئة مليون نفس فقلوا رويداً رويداً الى ان بلغوا ثمانية عشر مليوناً فقط في اوائل القرن التاسع عشر ثمانية ملايين منهم في اوربا وعشرة في آسيا اي نحو سدس عدد السكان الاصليين

والظاهر ان هذا النقص الفاحش لم يحلَّ بالبلاد من عهد قديم فقد اقام احد الانكليز سنين كثيرة في البلاد العثمانية في اواسط القرن الثامن عشر وبحث في شؤُونها السياسيَّة والمعاشية بحثاً مدققاً وألف كتاباً في ذلك طبع سنة ١٧٩٨ اي منذ مئة وعشر سنوات وعقد فيهِ فصلاً مسهباً للاسباب التي قلَّلت عدد السكان قال فيهِ ما خلاصتهُ

" ان اول هذه الاسباب الطاعون الجارف الذي لا تخلو البلاد منهُ . وثانيها الامراض التي تنتشر بعدهُ . وثالثها سائر الاوبئة وافدة كانت او غير وافدة . ورابعها المجاعات . وخامسها الامراض التي تعقب المجاعات وتفتك بالسكان

" اما الطاعون فينتاب بلاد الدولة في آسيا مرة كل عشر سنوات ويموت بهِ ثمن السكان الى عشرهم وقد يموت بهِ ربعهم . وآخر طاعون وصل البصرة مات بهِ تسعة اعشار سكانها بعد ان فارقها ٩٦ سنة

" وينتشر الطاعون في آسيا من مصر ثم يعود الى مصر من القسطنطينية وقد مات بهِ في القاهرة في يوم واحد سنة ١٧٣٦ عشرة آلاف نفس

" وقدَّر الدكتور رسل عدد سكان حلب سنة ١٧٧٠ مئتين وثلاثين الفاً فنقص عددهم في عشرين سنة مئة وثمانين الفاً وصاروا خمسين الفاً لا غير . وكان حول حلب منذ خمسين سنة اربعون قرية كبيرة عامرة بالسكان ولم يبقَ فيها الآن ساكن . وينتاب الطاعون حلب مرة كل عشر سنوات او اثنتي عشرة سنة

" وكان عدد سكان ديار بكر ٤٠٠ الف نفس سنة ١٧٥٦ فلم يبقَ منهم الآن سوى ٥٠ الفاً . وكان في بغداد ١٣٠ الفاً فلم يبقَ منهم سوى ٢٠ الفاً فان الطاعون الجارف الذي وقع فيها سنة ١٧٧٣ امات ثلثي سكانها

" وكان في البصرة مئة الف نفس منذ عشرين سنة فلم يبقَ فيها الآن سوى ثمانية آلاف نفس

" وفي القسطنطينية شيوخ يتذكرون انهُ كان في الطريق بينها وبين انقره خمسون قرية عامرة بالسكان وليس فيها الآن ساكن . وكان لاحد اصدقائي الانكليز تجارة واسعة في هذه الجهات وفي دفاتره ودفاتر ابيهِ اسم خمسين بلداً كان يتعامل مع سكانها ولم يبقَ فيها الآن ساكن " . انتهى ملخصاً

هذا قليل مما ذكرهُ هذا الكاتب منذ مئة وعشر سنوات وقد بحث عن مالية الدولة العلية حينئذٍ وجنديتها وبحريتها واساليب الادارة فيها مما لا نتعرَّض لهُ في هذه العجالة

والظاهر ان البلاد العثمانية بلغت اقصى درجات الضعف في اواسط القرن التاسع عشر ثم نهضت وبقيت ناهضة عشرين سنة او ثلاثين حتى بلغت بين سنة ١٨٦٠ و ١٨٨٠ مبلغاً كنا نُحسَد عليهِ ولا يزال قول المرحوم الخديوي السابق يرنُّ في آذاننا لما قابلناهُ اول مرة في سنة ١٨٨٠ فانهُ تمنى ان تصير مصر مثل سورية في مدارسها وجرائدها وحرية القلم واللسان فيها ونهوض اهلها في سبيل الارتقاء . كذا كانت سورية في ذلك العهد وما قبلهُ ففي سنة ١٨٧٠ وقف كاتب هذه السطور خطيباً في المدرسة الكلية الاميركية وموضوع خطبتهِ وسائل الارتقاء فذكر ما يجب على الحكومة وانحى عليها باللائمة وكان والي سورية حاضراً والمرحوم خليل افندي الخوري يترجم لهُ ما يتعذَّر عليهِ فهمهُ فهنأ الخطيب وصوَّب قولهُ وطلب صورة الخطبة منهُ

والثلاثون سنة الاخيرة ارتقت فيها ممالك الارض كلها اكثر مما ارتقت في كل العصور الغابرة الاَّ البلاد العثمانية فانها لم ترتقِ فيها الارتقاء الواجب او انحطت عما كانت عليهِ قبلها. ونحن واثقون الآن ان ذلك عصر مضى وانقضى ولن يعود وان في البلاد وسكانها كلَّ ما

يلزم للرقيّ وقد زال المانع الذي كان يحول دون اتقانها وارتقائهم فلا يعقل انهم يبقون حيث هم ولا يغتنمون هذه الفرصة للتعويض عمَّا فات ومجاراة الامم الراقية

البلاد كلها من ضفاف الدانيوب شمالاً الى حدود السودان جنوباً ومن تخوم بلاد الفرس شرقاً الى الادرياتيك وتونس غرباً اخصب بلدان المعمورة تربة واكثرها استعداداً للزراعة من حيث كثرة امطارها وغزارة مياهها واعتدال حرها وبردها وتجود فيها كل انواع الحبوب والاثمار وكل الحاصلات الزراعية كالحرير والصوف والقطن والكتان والزيوت والعطور وفيها كل انواع الاقاليم سهولها كالاقاليم الحارَّة ونجودها كالاقاليم المعتدلة وجرودها كالاقاليم الباردة وفي كلٍ منها ما في تلك الاقاليم من انواع الحيوان والنبات

وفيها كل لوازم الصناعة معادن الذهب والفضة والنحاس والحديد والزيبق والكروم والزرنيخ والمنغنيس والانتيمون والسنباذج والحمر والفحم الحجري وزيت البترول . وفيها الحراج الواسعة للخشب والوقود والقوة المائية لتوليد الكهربائية وكل ما يلزم للحياكة والدباغة والصياغة والحدادة والوراقة . واهلها مشهورون بحذقهم في الصناعة ولا تزال مصنوعاتهم القديمة المعدنية والزجاجية والخزفية والحجرية مما يباهى بهِ في متاحف الدنيا وهذه المهارة قديمة من عهد الاشوريين والمصريين والفينيقيين واصولها موروثة في دم ابنائهم

وموقع البلاد التجاري من افضل المواقع في المسكونة لانها حلقة الاتصال بين الشرق والغرب والشمال والجنوب وقد تحوَّلت عنها طريق التجارة بعد اختراع السفن البخارية ولكنها ستعود اليها بعد انتشار سكك الحديد فيها

فاذا اعطيت حقها من الحريَّة ووسائل الرقيّ فاقت بزراعتها وصناعتها وتجارتها ولا نرى مانعاً في طبيعة البلاد وطبيعة سكانها يمنعهم من ان يصيروا في مقدمة امم الارض

وسكانها اكثرهم من اقوام قديمة نمت قواهم الجسديَّة والعقلية حسب ناموس الارتقاء العام حتى بلغوا الدرجة العليا بين امم الارض فنشأ منهم العلماء والفلاسفة والمكتشفون والمخترعون واذا لم تمنع عنهم وسائل التعليم والتهذيب لم يقصروا عن غيرهم من ارقى الامم الراقية كما يظهر من مباراة ابنائهم لابناء الامم الاخرى اذا درسوا في مدرسة واحدة . أضف الى ذلك شدَّة صبرهم وقلة اقبالهم على المسكرات وخلو اجسامهم من الادواء التي تنتج عن ادمانها

وعدد هؤلاء السكان الآن نحو ٢٥ مليوناً في الولايات غير الممتازة وستة عشر مليوناً في الولايات الممتازة والمجموع ٤١ مليوناً والولايات غير الممتازة تحتمل اكثر من مئة مليون

من النفوس فان مساحتها مليون و ١٥٦ الف ميل مربع اي خمسة اضعاف مساحة المانيا وفي المانيا الآن اكثر من ستين مليونًا فلا عجب اذا صار سكان البلاد العثمانية خاصةً غير ولاياتها الممتازة مئة مليون نفس

ولا بدَّ لهذا الارتقاء وهذا النمو من اربعة امور جوهرية تطالَب الحكومة بها لانها من عملها الخاص الاول استتباب الامن العام · والثاني تحديد الاموال التي تطلب من الاهلين للحكومة حتى لا تؤخذ منهم بارة واحدة فوق ما يجب عليهم اداؤُهُ · والثالث اهتمام الحكومة بالمنافع العمومية التي يتعذَّر على الفرد القيام بها وحدهُ ولا يحسن ان تسلَّم لشركات اجنبيَّة ولم تستعد البلاد حتى الآن لانشاء شركات لها كتنظيم شوارع المدن وانشاء سكك الحديد والمرافىء البحرية وبناء السدود في الانهر لاصلاح الري · والرابع الاهتمام بالصحة العمومية لتقليل الوفيات ومنع دخول الامراض الوافدة · اي ان تفعل الحكومة العثمانية في بلادها ما فعلهُ لورد كرومر ورجالهُ في القطر المصري وان قيل ان اعمال لورد كرومر رقَّت هذا القطر ماديًّا ولم ترقهِ ادبيًّا كما يزعم البعض قلنا اننا نحن العثمانيين لا نطلب من حكومتنا ان تهتم بترقية عقولنا وآدابنا لاننا اذا كنا عاجزين عن ترقيتها بانفسنا فلا يحق لنا ان نذكر بين امم الارض ولقد انشأنا المدارس تعلمنا وتهذبنا رغمًا عن استبداد الحكومة الماضية وبلغ شباننا اليابان شرقًا وكليفورنيا غربًا وكندا شمالاً والترنسفال جنوبًا في طلب الرزق واحراز المعالي · وكل ما يمكن للفرد او للجماعة القليلة ان تفعلهُ لا نطلب من حكومتنا ان تهتم بهِ بل نطلب منها ان تتركنا وشأننا فيهِ واما ما لا يستطيعهُ الفرد الآن كانشاء السكك الطويلة والسدود الكبيرة والمرافىء البحرية والاحتفاظ بالصحة العمومية فهو الذي نكلفها بهِ لا غير ولا نتركهُ لها لتفعلهُ وحدها بل نساعدها فيهِ جهدنا

والحكم البات في مستقبل البلاد العثمانيَّة والامة العثمانيَّة في علم الغيب ولكن الدلائل الحاضرة حتى كتابة هذه السطور تدلُّ كلها على ان المستقبل بهيج يردُّ اليها مجدها الذي تقلَّص منذ قرون · ولم تزُل عوامل التقهقر كلها من البلاد والمنتفعون من ضعف الامَّة العثمانية لايرمون سلاحهم الاَّ اذا سُدَّت في وجوههم كل السبل التي يتجهون اليها فلا بد لمحبي وطنهم من المثابرة في سبيل هذا الجهاد الى ان تتلاشى كل عوامل التأخُّر ويندحر خصوم الارتقاء · وسنعود الى تفصيل بعض ما اجملنا في هذه العجالة

بقايا الوحوش المنقرضة

الدينوساورا

الذين بحثوا في طبقات الارض وجدوا فيها عظام حيوانات لا تعيش الآن على سطحها و بعضها كبير جدًّا كاكبر حيتان البحار. وقد عني علماء الآثار الارضية بجمع عظامها وسائر آثارها واستدلوا بالموجود على المفقود وركّبوا هياكلها ونصبوها في متاحف الحيوانات عبرةً للناظرين . والذين زاروا معارض اوربا ومتاحف مدارسها رأوا كثيرًا منها

وكان المظنون ان تلك الحيوانات قد انقرضت تمامًا لانهُ لم يُعثَر عليها حيَّةً في كل ما زادهُ الروّاد من معالم الارض ومجاهلها ولكننا قرأنا منذ تسع سنوات رسالة لاحد ضباط الانكليز في مجلة العالم الانكليزية وصف فيها حيوانًا اصطادهُ البارون الفونس باربر النمسوي في جزيرة جاوى يشبه التنانين الباقية آثارها من العصور الغابرة وقد رسمهُ كما ترى في الشكل الاول وهو يشبهها شكلاً ولو قصَّر عنها جرمًا

قال ان اهالي جاوى يعرفون هذا الحيوان واسمهُ عندهم لِنجُون وان البارون باربر كان سائرًا في قارب كبير من قوارب اهالي جاوى سنة ١٨٦٩ ومعهُ المستر متمن وهو مشهور بالصيد وبلغوا مصب نهر بتافيا عند الفجر وكانت الامواج تتعالى ضد المد واذا بالبحّارة في اضطراب شديد وهم يقولون اللنجون اللنجون . قال البارون وامسك واحد منهم بيدي واشار الى الشاطىء الى مكان يبعد عنا نحو مئة وخمسين مترًا فالتفتُّ واذا بحيوان كبير مستلقٍ على الشاطىء فظننتهُ تمساحًا ورفعت بندقيتي لاطلقها عليهِ لكن اهتزاز القارب المستمر منعني من تسديدها. وازداد البحّارة صراخًا قائلين اطلق النار اطلق النار فاطلقت البندقية عليهِ وكان الساحل طينًا مائعًا فجعل ذلك الوحش يرتطم فيهِ و يتقلب رأسًا على عقب والطين ينتثر حولهُ في كل جهة . وهلَّل البحارة وانتضى رئيسهم سيفًا ملقيًا وطرح نفسهُ في الماء وجعل يسبح الى الشاطىء ليقطع رأس الوحش

وجذف البحارة حتى دنونا من الشاطىء فامعنت النظر في الوحش جيدًا واذا هو بين الافعى والتمساح لهُ رأس الافعى وعنقها و بدن التمساح وقوائمهُ . ولما دنا الرئيس منهُ ابطل التمرّغ في الوحل وجعل يحاول القبض عليهِ بفمهِ والرئيس يضربهُ بالسيف على رأسهِ وعنقهِ الى ان تمكن من قتله ثم جرَّهُ بذنبهِ واوصلهُ الى القارب فاصعدناهُ اليهِ فكاد يغرقهُ بثقلهِ

وكان طولهُ نحو عشر اقدام ولحمهُ حيث جرحهُ السيف ابيض كلحم السمك وكانت الجراح فيهِ كثيرة وكاد السيف يقطع احدى قوائمهِ ومع ذلك كنت عازماً على حفظهِ ولكن لم ينتصف النهار حتى انتن وفاحت منهُ رائحة خبيثة لا تطاق فاضطررنا الى رميهِ · وقال لي المستر ميتمن اني سأرى حيوانات كثيرة من نوعهِ ولكنني لم ارَ شيئاً منها بعد ذلك ولا رأيت لها ذكراً في كتب الحيوان · انتهى

وبحثنا نحن في احدث كتب الحيوان فلم نرَ ذكراً لهذا الوحش ولا لما يشبههُ · وفي شهر يوليو الماضي رأينا في مجلة الستراند الانكليزية مقالة لمسيو جورج دبوي الرحالة الفرنسوي وصف فيها حيواناً يشبه هذا الحيوان شكلاً ويكبرهُ جسماً رآهُ في سهول الاسكا في شمالي اميركا الشمالية ورآهُ معهُ اربعة من العدول وبينهم الاب لافنيو من المرسلين هناك وهو من فرنسويي كندا

وكان المسيو دبوي قد لقي رجلاً اسمهُ بطلر من متمولي سان فرنسسكو اتى بلاد الاسكا ليبتاع حصةً في مناجم الذهب فاخبرهُ انهُ شاهد فيها آثار حيوان من الحيوانات المنقرضة وذلك انهُ خرج لصيد الوعل مع بعض الرفاق واختبأُوا على رأس تلة تطل على وادٍ فيهِ ماء يردهُ الوعل ورأوا ثلاثة اوعال تسير الهوينا نحو الماء وهي ترعى العشب في طريقها واذا بها قد وقفت بغتة وصرخت صرخة مزعجة لا تصرخها الاَّ في حالة الخطر الشديد فنزلوا الى البركة ليروا سبب رعبها واذا في الطين الذي حولها آثار وحش كبير كان نائماً عليهِ طولهُ ثلاثون قدماً وعرضهُ اثنا عشر قدماً وآثار اقدامهِ الاربع وهي كبيرة هائلة طول كل اثر منها خمس اقدم وعرضهُ قدمان ولها مخالب حادة طول المخلب منها قدم واثر ذنبهِ وهو طويل غليظ طولهُ عشر اقدام وعرضهُ قدم وثلث · واقتفوا آثارهُ ستة اميال في الوادي حتى وصلوا الى اخدود عميق فاختفت الآثار هناك

فقام المسيو دبوي في اليوم التالي مع الاب لافنيو والمستر بطلر والمستر ليمور وغيرهم وساروا الى المكان الذي شوهدت فيهِ آثار هذا الوحش وفتشوا عنهُ النهار كلهُ فلم يجدوهُ ولما اضناهم التعب ومالت الشمس الى المغيب جلسوا على قمة تلة واوقدوا ناراً وجعلوا يصطلون وغلوا الماء ونقعوا الشاي وقبل ان يشربوهُ سمعوا صوت دحرجة الحجارة وزئيراً يصمُّ الآذان فذعروا كلهم ونهضوا واذا هم بالوحش الذي كانوا يفتشون عنهُ وهو اسود ضخم الجثة وكان يمضغ شيئاً والدم يقطر من شدقيهِ وهو سائر على جانب الوادي والحجارة تتدحرج من طريقهِ وكان معهم خمسة من الهنود فانطرحوا على الارض والصقوا وجوههم بها وهم يرتجفون خوفاً وصرخ الاب

لافنيو الدينوساورس[1] دينوساورس الدائرة القطبية

قال المسيو دبوي ووقف الوحش امامنا وهو ينظر الى الشمس وقد صارت كشعلة من نار قبلما توارت بالحجاب ومرَّت عشر دقائق ونحن وقوف في اماكننا لا نبدي ولا نعيد كأننا أُخذنا بقوة سحرية . ثم ادار الوحش رأسهُ وكأنهُ لم يرنا وانتصب على قدميهِ فعلا كلكلهُ عن الارض نحو ثماني عشرة قدماً وكان طولهُ من فيهِ الى طرف ذنبهِ نحو خمسين قدماً وجلدهُ كجلد الخنزير البري فيهِ هلب غليظ اسود الى الغبرة ثم جعل يمضغ ما في فيهِ وكنا نسمع صوت طحن العظام وزأر زئيرًا مريعاً ووثب كالقنقر الى الوادي واختفى فيهِ

وذهبت انا وبطلر بعد يومين الى مدينة دوصن لكي نطلب من حاكمها خمسين رجلاً مسلحاً ليساعدونا على اصطياد هذا الوحش فضحك علينا الذين سمعوا قصتنا ولم يصدقوا كلمة وبقينا هناك شهرًا هزءًا وسخرية

وفي غرة يناير هذه السنة جاء في كتاب من الاب لافنيو يقول فيهِ انهُ رأى هذا الوحش مرة اخرى هو وعشرة من رجالهِ الهنود وكان يحمل في شدقهِ وعلاً من وعول البلاد الشمالية كما ترى في الشكل الثاني ويسير بسرعة عشرة اميال في الساعة وكانت درجة الحرارة حينئذٍ ٤٥ تحت الصفر قال ولا شك انهُ الوحش الذي رأيناهُ قبلاً سوية وقد اقتفيت آثارهُ مع الرئيس ستنش وولديهِ وهي مثل الآثار التي شاهدناها قبلاً لما كنا سوية وكان معنا ليور وبطلر. وقسناها ست مرات على الثلج فاذا قياسها مثل قياس تلك تماماً وبعد ان سرنا ميلين على هذه الصورة جعل الثلج يقع فعفا الآثار كلها

ويظهر لنا ان هؤلاء الشهود عدول وان الحيوان المشار اليهِ لم ينقرض عن وجه البسيطة بل بقيت منهُ تنوعات في شمالي اميركا وفي بلاد جاوى الى الآن ويحتمل ان يكون هؤلاء الشهود مخطئين في حكمهم كما اخطأ كثيرون من الذين ادعوا انهم رأوا حية البحر الكبيرة ولكن هذا الاحتمال بعيد جدًّا والمرجح انهم مصيبون وقد رأوا الحيوانات التي وصفوها

---

(١) الدينوساورس ومعناها الضب الهائل اسم لحيوانات منقرضة سماها به الاستاذ اون سنة ١٨٤١ يظهر من آثارها ان طول بعضها كان ثمانين قدماً او اكثر

القانون الاساسي

[ذكرنا في الجزء الماضي انهُ صدرت الارادة السلطانية باعادة القانون الاساسي الذي صدر اولاً في ٧ ذي الحجة سنة ١٢٩٣ واعادة مجلس المبعوثان الذي فُتح اولاً سنة ١٢٩٤ وعطل سنة ١٢٩٥ . وقد رأينا ان ننشر هنا الترجمة العربية للقانون الاساسي كما نشرناها في المقطم]

ممالك الدولة العثمانية

(المادة ١) ان الدولة العثمانية تشمل الممالك والخطط الحاضرة والولايات الممتازة وهي كجسم واحد لا يقبل الانقسام ابداً لاية علة كانت

(٢) ان عاصمة الدولة العثمانية هي مدينة الاستانة وهذه المدينة ليس لها ادنى امتياز على غيرها من البلاد العثمانية ولا هي معفاة من شيء

(٣) ان السلطنة السنيَّة هي بمنزلة الخلافة الاسلامية الكبرى وهي عائدة بمقتضى الاصول القديمة الى اكبر الاولاد من سلالة آل عثمان

(٤) ان حضرة السلطان هو حامي الدين الاسلامي بحسب الخلافة وحاكم جميع التبعة العثمانية وسلطانها

(٥) ان ذات حضرة السلطان مقدس وغير مسؤُول

(٦) ان حقوق حرية سلالة بني عثمان واموالهم واملاكهم الذاتية ومخصصاتهم المالية في مدة حياتهم هي تحت الضمانة العامة

(٧) ان عزل الوكلاء ونصبهم وتوجيه المناصب والرتب واعطاء النياشين واجراء التوجيهات في الايالات الممتازة وفقاً لشروطها وضرب النقود وذكر الاسم في الخطب وعقد المعاهدات مع الدول الاجنبية واعلان الحرب والصلح وقيادة القوة البحرية والبرية واجراء الحركات العسكرية والاحكام الشرعية والقانونية وسن النظامات المتعلقة بدوائر الادارة وتخفيف المجازاة القانونية او العفو عنها وعقد المجلس العمومي وفضهُ وفسخ هيئة المبعوثين عند الاقتضاء بشرط انتخاب اعضاء جدد لها جميع ذلك من جملة حقوق السلطان المقدسة

في حقوق تبعة الدولة العثمانية العامة

(٨) يطلق لقب عثماني على كل فرد من افراد التبعة العثمانية بلا استثناء من اي دين

ومذهب كان و يسوغ الحصول على الصفة العثمانية وفقدانها بحسب الاحوال المعينة في القانون

(٩) ان جميع العثمانيين متمتعون بحريتهم الشخصية وكل منهم مكلف بعدم تعديهِ على حقوق غيرهِ

(١٠) ان الحرية الشخصية مصونة من جميع انواع التعدي ولا يجوز مجازاة احد باي وسيلة كانت الاَّ بالاسباب والاوجه التي يعينها القانون

(١١) ان دين الدولة العثمانية هو الدين الاسلامي ومع مراعاة هذا الاساس وعدم الاخلال براحة الخلق والآداب العمومية تجري جميع الاديان المعروفة في الممالك العثمانية بحرية تحت حماية الدولة مع دوام الامتيازات المعطاة للطوائف المختلفة كما كانت عليهِ

(١٢) ان المطبوعات حرة ضمن دائرة القانون

(١٣) ان تبعة الدولة العثمانية مرخص لها بتأليف كل نوع من انواع الشركات المتعلقة بالتجارة والصناعة والفلاحة

(١٤) يسوغ لكل فرد من افراد التبعة العثمانية او لجملة منهم تقديم عرضحال بحق مادة وجدت مخالفة للقوانين والنظامات المتعلقة بالعموم الى مرجع تلك المادة كما انهُ يحق لهم تقديم عرضحالات ممضاة الى المجلس العمومي بصفة مدعين او متشكين من افعال المأمورين

(١٥) ان التعليم حر وكل عثماني مرخص لهُ بالتدريس العمومي والخصوصي بشرط مطابقة القانون

(١٦) جميع المكاتب هي تحت نظارة الدولة وسيصير النظر في الوسائل التي من شأنها جعل تعليم التبعة العثمانية على نسق اتحاد وانتظام واحد لا تمس اصول التعاليم الدينية عند الملل المختلفة

(١٧) ان العثمانيين جميعهم متساوون امام القانون كما انهم متساوون في حقوق وظائف المملكة ما عدا الاحوال الدينيَّة والمذهبيَّة

(١٨) يشترط على التبعة العثمانية معرفة التركية التي هي اللغة الرسمية لتقلد مأموريات (وظائف) الدولة

(١٩) يقبل في مأموريات الدولة التبعة عموماً ويعينون في المأموريات المناسبة بحسب اهليتهم واستحقاقهم

(٢٠) ان تكاليف الدولة (الاموال الاميرية) تضرب وتوزع على جميع التبعة بحسب اقتدار كلٍّ منها وفقاً لنظاماتها المخصوصة

(٢١) كل احد امين على مالهِ وملكهِ الجاري تحت تصرفهِ بحسب الاصول ولا يؤخذ من احد ملكهُ ما لم يثبت لزومهُ للنفع العام ويدفع ثمنهُ الحقيقي سلفاً وفقاً للقانون

(٢٢) ان منزل كل احد في الممالك العثمانية مصون من التعدي ولا تقدر الحكومة ان تدخل جبرًا الى مسكن انسان او منزلهِ الَّا في الاحوال التي يعينها القانون

(٢٣) لا يجوز اجبار احد على الحضور امام محكمة غير المحكمة المنسوب اليها قانونيًا وفقاً لقانون اصول المحاكمة الذي سيصير تقريرهُ

(٢٤) المصادرة (ضبط الحكومة للاملاك) والسخرة والجريمة من الامور الممنوعة وانما يستثنى من ذلك التكاليف والاموال التي تعين في اوقات الحرب بحسب الاحوال

(٢٥) لا يجوز ان يؤخذ من احد بارة واحدة باسم ويركو ورسومات او بصفة اخرى ما لم يكن ذلك موافقاً للقانون

(٢٦) ان التعذيب او كل انواع الاذى (الاهانة) ممنوعة قطعيًا بالكلية

في وكلاء (نظار) الدولة

(٢٧) ان مسند الصدارة والمشيخة الاسلامية يفوضان من قبل السلطان الى الذوات الذين يثق بهم وكذلك مأموريات باقي الوكلاء فانها تجري بموجب ارادة سلطانية

(٢٨) ان مجلس الوكلاء سينعقد تحت رئاسة الصدر الاعظم وهو مرجع جميع الامور المهمة الداخلية والخارجية . اما قراراتهُ المحتاجة الى الاستئذان فانها تجري بموجب ارادة سنيَّة

(٢٩) ان كلاً من الوكلاء يجري من الامور العائدة الى ادارتهِ ما هو مأذون في اجرائهِ وفقاً لقواعدهِ واما ما كان خارجاً عن دائرة مأذونيتهِ فيعرض الى الصدر الاعظم والصدر الاعظم يجري مقتضيات المواد التي لا تحتاج الى المذاكرة ويستأذن عنها من الحضرة السلطانية وما كان محتاجاً منها الى المذاكرة يعرضهُ على مجلس الوكلاء للتذاكر فيهِ ويجري ايجابهُ بمقتضى الارادة السنيَّة التي تصدر بها اما انواع هذه القضايا ودرجاتها فستعين بنظام مخصوص

(٣٠) ان وكلاء الدولة مسأولون عن الاحوال والاجراءات المتعلقة بمأمورياتهم

(٣١) اذا شكا واحد او اكثر من اعضاء مجلس المبعوثين على احد وكلاء الدولة بما يوجب عليهِ المسأولية في المواد التي هي من متعلقات هيئة المبعوثين فعلى رئيس هذه الهيئة الذي يتقدم لهُ تقرير الشكوى ان يرسل ذلك التقرير في خلال ثلاثة ايام الى الشعبة (اللجنة) التي تتعلق بها المذاكرة في انهُ هل يجب احالتهُ الى الهيئة المناط بها رؤية مواد

كهذه او لا وفقاً لنظام هيئة المبعوثين الداخلي وهذا بعد ان تفحص هذه الشعبة ذلك التقرير وتجري التحقيقات اللازمة وتستوفي الايضاحات الكافية من الذي اشتكي عليهِ فان قررت بالاكثرية ان هذا التشكي جرى بالمذاكرة تقدم قرارها الى هيئة المبعوثين للاطلاع عليها واذا مست الحاجة تستدعي المشتكى عليهِ وتسمع الايضاحات التي يقدمها بنفسهِ او بواسطة غيرهِ فان وافقت اكثرية الهيئة المطلقة اي ثلثاها علي لزوم المحاكمة تقدم المضبطة المتضمنة طلب المحاكمة الى مقام الصدارة العظمى . وغب عرضها للاعتاب السلطانية تحال الدعوى الى الديوان العالي بموجب ارادة سنية

(٣٢) ان اصول محاكمة الوكلاء الذين يقعون تحت التهمة ستعين في قانون خصوصي

(٣٣) لا فرق البتة بين الوكلاء وبين باقي افراد العثمانيين في الدعاوي الشخصية الخارجة عن مأمور يتهم فتجري المحاكمة على هذه القضايا في المحاكم العمومية التي يتعلق بها ذلك

(٣٤) اذا حكمت دائرة التهمة في الديوان العالي على احد الوكلاء بكونهِ واقعاً تحت التهمة ينزل عن مأموريتهِ الى ان تظهر براءتهُ

(٣٥) اذا وقع اختلاف على مادة ما بين الوكلاء وبين هيئة المبعوثين واصر الوكلاء على تقرير تلك المادة فرفضتها هيئة المبعوثين ثانية رفضاً قطعياً باكثرية الآراء مبينة تفصيل الاسباب الموجبة لذلك فللحضرة السلطانية حينئذٍ وحدها ان تغير الوكلاء او ان تفض هيئة المبعوثين بشرط انتخاب هيئة جديدة غيرها في المدة القانونية

(٣٦) اذا اقتضت الحال ضرورة في غير وقت انعقاد المجلس العمومي لوضع قانون صيانة الدولة من الخطر او وقاية الامن العام من الخلل ولم يكن الوقت كافياً لجمع المجلس للمذاكرة في هذا القانون تجتمع هيئة الوكلاء وتقرر ما يلزم من الامور بشرط مراعاة احكام القانون الاساسي وبموجب ارادة سنية يكون لقرارها قوة القانون والحكم موقتاً الى ان تجتمع هيئة المبعوثين وتعطي قرارها بهذا المعنى

(٣٧) يحق لكل من الوكلاء في اي وقت شاء ان يحضر اجتماعات كلتا الهيئتين او ان ينيب عنهُ فيها احد رؤساء المأمورين الذين تحت ادارتهِ ولهُ التقدم في الكلام على الاعضاء

(٣٨) اذا استدعي احد الوكلاء الى مجلس المبعوثين بموجب قرار الاكثرية لاعطاء الايضاح عن امر ما يحضر الى المجلس بنفسهِ او يرسل احد رؤساء المأمورين الذين تحت ادارتهِ ويجيب عن المواد التي يسأل عنها ويحق لهُ ان يؤخر جوابهُ اذا رأى لزوماً لذلك آخذاً المسأولية على نفسهِ

في المأمورين

(٣٩) جميع المأمورين ينتخبون من ارباب الاهلية والاستحقاق للمأموريات التي تفرض اليهم بحسب الشروط المعينة في النظام وكل مأمور ينتخب على هذه الصورة لايجوز عزلهُ ما لم يبدُ منهُ حقيقةً ما يوجب العزل او يستعفي من تلقاء نفسهِ او يرى عزلهُ لازمًا لضرورة تقتضيها احوال الدولة ومن كان من اصحاب الاستقامة وحسن السلوك من المأمورين وعزل من ضرورة كما ذكر يكون جديرًا بالترقي ويعين لهُ معاش التقاعد او العزل بحسب نص النظام الخصوصي الذي سيصير ترتيبهُ

(٤٠) سيعين نظام مخصوص لوظائف كل مأمورية وكل مأمور هو مسؤُول في ادارتهِ ووظيفتهِ

(٤١) من الواجب على كل مأمور احترام آمرهِ ورعايتهُ الا ان الطاعة لا تجاوز الدائرة المعينة قانونيًا والطاعة للآمر في الامور المخالفة للقانون لا تقي من المسؤُولية

في مجلس الامة

(٤٢) ان مجلس الامة يركب من هيئتين تسمى احداها هيئة الاعيان والاخرى هيئة المبعوثين (النواب)

(٤٣) ان كلاً من هيئتي مجلس الامة تجتمع في ابتداء شهر تشرين الثاني (نوفبر) من كل سنة وتفتح بموجب ارادة سنية وتقفل كذلك بارادة سنية في اول آذار (مارس) ولا يجوز انعقاد احدي هاتين الهيئتين في غير وقت اجتماع الاخرى

(٤٤) اذا رأَت الحضرة السلطانية وجوبًا تقتضيهِ احوال الدولة فانها تفتح مجلس الامة قبل وقتهِ وتقصر اجتماع المجلس كذلك او تطيلهُ عن المدة المعينة

(٤٥) ان افتتاح مجلس الامة يتم بحضرة الذات السلطانية او بحضور الصدر الاعظم نائبًا عنها او بحضور وكلاء الدولة مع اعضاء الهيئتين ويتلى حينئذٍ نطق سلطاني في ما يلزم اتخاذهُ في المستقبل من الوسائل والتدابير بخصوص احوال الدولة الداخلية وصلاتها الخارجية في السنة الحالية

(٤٦) ان الاعضاء الذين ينتخبون او يعينون لمجلس الامة يحلفون بالامانة للحضرة السلطانية وللوطن وبمراعاة احكام القانون الاساسي والامور المودعة لعهدتهم والابتعاد عن مخالفة ذلك . وهذه اليمين تتم بحضور الصدر الاعظم في يوم افتتاح المجلس ومن لم يكن حاضرًا من الاعضاء في ذلك اليوم يحلف هذه اليمين بعينها بحضور الرئيس والهيئة التي هو منها

(٤٧) ان اعضاء مجلس الامة احرار في ابراز آرائهم وافكارهم ولا يقيد احد منهم بوعد او تهديد ما ٠ ولا يرتبط بتعليمات البتة ولا يجوز اتهام احد منهم بوجه من الوجوه بسبب ابراز آرائهِ او بيان افكارهِ في اثناء مفاوضات المجلس الا اذا بدا منهُ شيء يخالف لنظامات المجلس الداخلية فحينئذ يعامل بموجب النظامات المذكورة

(٤٨) اذا اتهم احد اعضاء مجلس الامة من قبل الهيئة المنسوب اليها بجناية او بمحاولة الغاء القانون الاسامي او بارتكاب الرشوة وتقررت هذه التهمة باكثرية تلك الهيئة المطلقة اي بثلثي الآراء او اذا حكم قانونيًّا على احد الاعضاء بالحبس او النفي تسقط عنهُ صفة العضوية ويحاكم ويحكم بمجازاتهِ على افعالهِ هذه في المحكمة التي يتعلق بها ذلك

(٤٩) يحق لكل عضو من اعضاء مجلس الامة ان يبرز رأيهُ بنفسهِ او يمتنع عن اعطاء رأيهِ في ما يتعلق برفض او قبول مادة مطروحة تحت المذاكرة

(٥٠) لا يجوز ان يكون شخص واحد عضوًا في كلتا الهيئتين المذكورتين في وقت واحد

(٥١) لا يسوغ الشروع في المفاوضات في احدى الهيئتين بغير حضور نصف الاعضاء المعينين وعضو واحد زيادة عن النصف٠ وتقرر كل المواد باكثرية الاعضاء الحاضرين المطلقة خلا الامور المشترط بها اكثرية قدرها ثلثا الاعضاء واذا تساوت الآراء فرأي الرئيس يحسب مضاعفًا

(٥٢) اذا قدم شخص ما عرضحالًا الى احدى هيئتي مجلس الامة بخصوص دعوى متعلقة بشخص ثم ظهر ان ذلك الشخص لم يقدم دعواهُ الى مأموري الدولة الذين يتعلق بهم رؤيتها ولا الى مرجع اولئك المأمورين فان عرضحالهُ يرفض ويرد اليهِ

(٥٣) ان سن قانون جديد او تغيير بعض القوانين الموجودة متعلق بهيئة الوكلاء الا انهُ يحق لكل من هيئتي الاعيان والمبعوثين ان تطلب تجديد قانون او تغيير احد القوانين الموجودة في المواد التي هي ضمن دائرة وظائفهم٠ وحينئذ يستأذن بذلك من الحضرة السلطانية بواسطة الصدر الاعظم فان صدرت الارادة السنية بذلك تحال الكيفية الى مجلس شورى الدولة لاجل ترتيب اللوائح المقتضاة على مقتضى الايضاحات والتفاصيل التي تؤخذ من الدوائر التي يتعلق بها ذلك

(٥٤) ان لائحة (مشروع) القوانين التي يرتبها مجلس شورى الدولة بعد ان يجري البحث والتدقيق فيها وقبولها في هيئة المبعوثين اولًا ثم هيئة الاعيان تصير دستورًا للعمل اذا صدرت الارادة السنية السلطانية باجرائها وكل لائحة قانون ترفضها احدى هاتين

الهيئتين رفضاً قطعياً لا يجوز طرحها ثانية للمذاكرة في تلك السنة

(٥٥) كل لائحة قانون لا تعتبر مقبولة ما لم تقرأ اولاً في هيئة المبعوثين ثم في هيئة الاعيان مادة مادة وتقرر كل مادة منها بأكثرية الآراء ثم تقرر بالاكثرية ايضاً في هيئة مجلس الامة

(٥٦) لا يسوغ لهيئتي المجلس ان تقبلا احداً اتى اليهما للافادة عن مادة ما بطريق الوكالة ولا ان تسمعا تقريره ما لم يكن من هيئة الوكلاء او من حضر بالنيابة عنهم او من نفس اعضاء المجلس اومن المأمورين الذين استدعوا للحضور رسمياً

(٥٧) ان المفاوضات (المناقشات) في الهيئتين تجري باللغة التركية أما لوائح المفاوضات فانها تطبع وتوزع على الاعضاء قبل اليوم المعين للمذاكرة

(٥٨) ان ابراز الآراء في كلتا الهيئتين يتم اما بتصريح الاسماء او بالاشارة المخصوصة او بالطريقة السرية الاّ ان ابراز الآراء بالطريقة السرية يتوقف على قرار اكثرية الاعضاء الحاضرين

(٥٩) ان ضبط الاحوال الداخلية (حفظ النظام) في كل هيئة منوط برئيسها

في هيئة الاعيان

(٦٠) ان رئيس هيئة الاعيان واعضاءها يعينهم السلطان رأساً ولا يتجاوز عددهم ثلث اعضاء هيئة المبعوثين

(٦١) ان من يعين بصفة عضو في هيئة الاعيان يجب ان يكون قد فعل ما يجعله اهلاً للثقة العثمانية وسبقت له خدم حسنة مشهودة في الدولة وان لا يكون سنه دون اربعين سنة

(٦٢) ان مدة العضوية في هيئة الاعيان هي مدة الحياة وتوجه هذه المأمورية الى من هو اهل لها من معزولي الوكلاء والولاة والمشيرين وقضاة العسكر والسفراء والبطاركة ورؤساء الحاخامية والفرقاء البرية والبحرية وغيرهم من الذوات الحاصلين على الصفات المطلوبة اما من يعين من اعضاء هيئة الاعيان لاحدى مأموريات الدولة بطلبه فتسقط عنه صفة العضوية

(٦٣) ان معاش (راتب) العضوية الشهري في هيئة الاعيان عشرة آلاف غرش واذا كان لاحد الاعضاء معاش آخر او مخصصات أخرى من الخزينة دون عشرة آلاف غرش فتزداد الى هذا القدر وان كانت عشرة آلاف او اكثر تبقى على حالها

(٦٤) ان هيئة الاعيان تدقق البحث في القوانين ولوائح (مشروعات) الميزانية الصادرة من هيئة المبعوثين فان وجدت فيها ما يخل اساساً بالامور الدينية او بحقوق حضرة السلطان

السنية او بالحرية او باحكام القانون الاساسي او باستقلال ملك الدولة او بامنية المملكة الداخلية او بوسائل المدافعة والمحافظة على الوطن او بالآداب العمومية فلها ان ترفضها قطعياً مع ايراد ملاحظاتها او ان تردها الى هيئة المبعوثين لاجل اصلاحها وتصحيحها . اما اللوائح التي تقبلها وتصادق عليها فتقدم الى الصدر الاعظم وكذلك المعروضات التي تقدم الى الهيئة تخص بالتدقيق وتقدم الى مقام الصدارة اذا وجد لزوماً لذلك مع اضافة الملاحظات اللازمة عليها

(٦٥) ان عدد اعضاء هيئة المبعوثين يكون باعتبار شخص واحد من كل خمسين الف نفس من ذكور التبعة العثمانية

(٦٦) ان امر الانتخاب مؤسس على الطريقة السرية وستقرر كيفية الانتخاب في قانون مخصوص

(٦٧) لا يمكن الجمع بين عضوية هيئة المبعوثين ومأمورية اخرى في الحكومة خلا من ينتخب من الوكلاء لهذه العضوية فيجوز لهُ ذلك واما من ينتخب لهيئة المبعوثين من باقي مأموري الدولة فهو في خيار من قبول ذلك او رفضهِ الاَّ انهُ اذا قبل العضوية يفصل عن مأموريتهِ الاولى

(٦٨) لا يجوز ان ينتخب لهيئة المبعوثين . اولاً من لم يكن من تبعة الدولة العلية ثانياً من كان حائزاً موقتاً على امتياز خدمة اجنبية بمقتضى النظام المخصوص . ثالثاً من لم يكن عارفاً بالتركية . رابعاً من كان دون الثلاثين . خامساً من كان مستخدماً عند شخص آخر في وقت الانتخاب . سادساً من حكم عليهِ بالافلاس ولم يعد اليهِ اعتبارهُ . سابعاً من كان مشهوراً بالتصرفات السيئة . ثامناً من حكم عليهِ بالحجر حكماً لاحقاً ولم يفك عنهُ الحجر . تاسعاً من كان ساقطاً من الحقوق المدنية . عاشراً من يدعي انهُ من التبعة الاجنبية فجميع هؤلاء لا يجوز انتخابهم بهيئة المبعوثين . اما في الانتخاب الذي يجري بعد اربع سنوات فيشترط على المنتخب ان يكون عارفاً القراءة والكتابة باللغة التركية نوعاً ما

(٦٩) ان انتخاب المبعوثين العمومي يجري مرة واحدة كل اربع سنين ومدة مأمورية كل من المبعوثين اربع سنوات ويجوز تجديد انتخابهِ

(٧٠) ان انتخاب المبعوثين العمومي يبتدأُ بهِ قبل شهر تشرين ثاني (نوفمبر) الذي هو بداية اجتماع الهيئة باربعة اشهر على الاقل

(٧١) ان كلاً من اعضاء هيئة المبعوثين يعتبر نائباً عن عموم العثمانيين وليس عن الدائرة التي انتخبتهُ فقط

(٧٢) من الواجب على المنتخبين ان ينتخبوا المبعوثين من اهالي دائرة الولاية التي هم منها

(٧٣) اذا فضت هيئة المبعوثين بارادة سنية يبتدأ بانتخاب جميع الاعضاء الجدد بحيث تتمكن الهيئة من الاجتماع بعد ستة اشهر في الاكثر

(٧٤) اذا توفي احد اعضاء هيئة المبعوثين او وقع تحت الحجز لاسباب قانونية او انقطع عن الحضور الى المجلس مدة طويلة او استعفى او سقطت عنهُ العضوية بسبب صدور حكم عليهِ او بسبب قبولهِ مأمورية اخرى يتعين عضو غيره بحسب الاصول قبل الاجتماع التالي

(٧٥) ان مأمورية العضو الذي ينتخب عضواً مكان احد المبعوثين تدوم الى وقت الانتخاب العمومي الآتي فقط

(٧٦) يعطى لكل من المبعوثين عشرون الف غرش من خزينة الدولة عن مدة الاجتماع في كل سنة وتعطى لهُ ايضاً مصاريف الطريق ذهاباً واياباً باعتبار كون المعاش الشهري خمسة آلاف غرش وفقاً لنظام المأمورين الملكيين

(٧٧) تنتخب هيئة المبعوثين ثلاثة اشخاص لرئاسة الهيئة وثلاثة اشخاص لكل من الرئاسة الثانية والثالثة ثم تقدم اسماء هؤلاء الاشخاص التسعة الى الحضرة الشاهانية وبموجب ارادة سنية يعين احد الثلاثة الاولين لرئاسة الهيئة واثنان من الستة الباقين نائبين للرئيس وتجري المفاوضة علناً او سرًّا بحسب القرار المذكور

(٧٩) لا يجوز القاء القبض على احد اعضاء هيئة المبعوثين في مدة اجتماع المجلس ولا محاكمتهُ ما لم يثبت بموجب قرار اكثرية الهيئة وجود سبب كافٍ لالقاء التهمة عليهِ من قبل الهيئة او جناية ما ويمسك حين ارتكابهِ ذلك او عقيبهُ

(٨٠) ان هيئة المبعوثين تتذاكر في لوائح القوانين التي تحال اليها فما كان منها متعلقاً بالمالية او بالقانون الاساسي يسوغ لها ان ترفضهُ او تقبلهُ او تصلحهُ . وغب تدقيق البحث في المصاريف العمومية بالتفصيل كما هو مصرح بهِ في قانون الميزانية تقرر مقدارها بالاتفاق مع هيئة الوكلاء . وتعين كذلك مع هيئة الوكلاء الايرادات المقتضاة لمقابلة المصروفات العمومية ومقدارها وكيفية توزيعها وتحصيلها

في المحاكم

(٨١) ان القضاة الذين ينصبون من قبل الدولة بموجب النظام المخصوص وتعطى لايديهم البراءة الشريفة فهؤلاء لا يعزلون وانما يجوز قبول استعفائهم . اما صورة ترقي القضاة ومسالكهم ومبادلة مناصبهم وكيفية اجراء تقاعدهم وعزلهم عند صدور الحكم عليهم

بذنبٍ ما بجميع ذلك مصرح بهِ في النظام المذكور وهذا النظام توضح فيهِ ايضاً الاوصاف المطلوبة من القضاة ومن باقي مأموري المحاكم

(٨٢) ان جميع انواع المحاكمات تجري في المحاكم علناً والاعلامات التي تصدر منها يجوز نشرها غير ان المحاكمة تجري سرّاً في الظروف المعينة في القانون

(٨٣) يحق لكل احد ان يستخدم لدى المحاكمة جميع الوسائل القانونية للدفاع عن حقوقهِ

(٨٤) لا يسوغ لاحدى المحاكم لاية علة كانت ان تمتنع عن النظر في دعوى من اختصاصها ولا يجوز توقيف الحكم بدعوى ما او تأخيرهُ بعد الشروع في نظر تلك الدعوى او بعد اجراء التحقيقات الاولية المقتضية لنظرها ما لم يكف المدعي عن ملاحقة دعواهُ. ولكن حقوق الحكومة في الدعاوي الجنائية تجري مجراها النظامي

(٨٥) كل دعوى يجب ان تنظر في المحكمة التي يختص بها النظر فيها اما الدعاوي التي تقع بين الافراد والحكومة فانها تنظر كذلك في المحاكم العمومية

(٨٦) ان المحكمة بجملتها تكون عارية من كل نوع من المداخلات

(٨٧) ان الدعاوي الشرعية تنظر في المحاكم الشرعية والدعاوي النظامية تنظر في المحاكم النظامية

(٨٨) ان انواع المحاكم ووظائفها ودرجات حقوقها وامر توظيف القضاة كل ذلك يعود الى القوانين

(٨٩) لا يجوز قطعياً لاية علة كانت ترتيب محاكم غير اعتيادية ولا لجنات لنظر بعض دعاوٍ مخصوصة والحكم فيها خلا المحاكم القانونية وانما يجوز التحكيم وتعيين مولين بحسب مفاد القانون

(٩٠) لا يجوز لقاضٍ ان يجمع بين مأموريتهِ القضائية ومأمورية اخرى ذات معاش في الحكومة

(٩١) سيجري تعيين مدعين عموميين للدفاع عن الحقوق العامة في الامور الجنائية اما وظائف هؤلاء المدعين ودرجاتهم فستقرر في القانون

في الديوان العالي

(٩٢) يتألف الديوان العالي من ثلاثين عضواً منهم عشرة ينتخبون بالقرعة من رؤساء واعضاء مجالس التمييز والاستئناف وهذا الديوان ينعقد عند الاقتضاء بموجب ارادة سنية في دائرة هيئة الاعيان. ووظيفتهُ انما هي محاكمة الوكلاء ورؤساء محاكم التمييز واعضائها وكل من اعتدى على ذات الحضرة السلطانية وعلى حقوقها وكل من حاول القاء الدولة في خطر

(٩٣) ينقسم الديوان العالي الى قسمين يسمى احدهما دائرة التهمة والآخر ديوان الحكم . اما دائرة التهمة فاعضاؤها تسعة ينتخبون ثلاثة من هيئة الاعيان وثلاثة من ديوان التمييز والاستئناف وثلاثة من اعضاء شورى الدولة وكلهم ينتخبون بالقرعة من الاعضاء الذين يعينون للديوان العالي

(٩٤) يعطى القرار في هذه الدائرة باكثرية الثلثين على صحة التهمة الملقاة على الذوات المشتكى عليهم او عدمها . اما اعضاء دائرة التهمة فلا يحصرون في ديوان الحكم

(٩٥) ان عدد الاعضاء في ديوان الحكم واحد وعشرون عضواً من اعضاء الديوان العالي منهم سبعة من هيئة الاعيان وسبعة من ديوان التمييز او الاستئناف وسبعة من شورى الدولة . وهذا الديوان يحكم حكماً باتاً وبمقتضى القوانين المؤسسة في الدعاوي التي قررت دائرة التهمة لزوم المحاكمة عليها . ويتم حكمهُ بموجب قرار اكثريتهِ بثلثي اعضائهِ اما احكام هذا الديوان فلا تقبل الاستئناف ولا التمييز

في الامور المالية

(٩٦) ان تكاليف الدولة لا يترتب منها شيء ولا يوزع شيء ولا يجمع شيء ما لم يتعين بقانون

(٩٧) ان لائحة الدخل والخرج في الدولة هي بمنزلة قانون موضح فيهِ مقدار ايراداتها ومصروفاتها تقريباً فكل تكاليف الدولة يعول في امر ترتيبها وتوزيعها وجبايتها على هذا القانون

(٩٨) ان اللائحة المذكورة اي قانون الميزانية العمومية يبحث فيها ويصادق عليها مادةً مادةً في مجلس الامة وكذلك الجداول المرتبطة بها المتضمنة تفاصيل الايرادات والمصروفات تنقسم الى ابواب وفصول ومواد متعددة وفقاً للاصول المتخذة نظاماً وتجري المذاكرة فيها ايضاً فصلاً فصلاً

(٩٩) ان قانون الميزانية العمومية يطرح امام هيئة المبعوثين عقب اجتماع مجلس الامة ليمكن تنفيذهُ عند دخول السنة المتعلق بها

(١٠٠) لا يجوز صرف شيء من اموال الدولة خارجاً عن الميزانية ما لم يعين ذلك بقانون مخصوص

(١٠١) اذا مست الحاجة الى صرف مبلغ ما خارج عن الميزانية في غير وقت اجتماع مجلس الامة وذلك لاسباب اجبارية غير اعتيادية فان هيئة الوكلاء تستأذن من الحضرة السلطانية عن ذلك آخذة المسؤولية عليها وتتدارك المبلغ اللازم لصرفهِ بموجب الارادة

السنية التي تصدر · وعليها ان تقدم لائحة ذلك الى مجلس الامة عند اجتماعه

(١٠٢) ان حكم قانون الميزانية هو لسنة واحدة فقط ولا يجري في غير تلك السنة غير انهُ اذا فض مجلس المبعوثين لاسباب غير اعتيادية قبل تقرير الميزانية فيسوغ للوكلاء بموجب ارادة سنية ان يداوموا اجراء حكم ميزانية السنة الماضية الى ان يلتئم مجلس المبعوثين بشرط ان لا يتجاوز ذلك مدة سنة

(١٠٣) ان لائحة قانون الحساب الختامي تتضمن مقدار المبالغ المحصلة من ايرادات السنة المعينة لها والمصاريف الحقيقية التي صرفت في تلك السنة · وينبغي ان تكون هيئتها وابوابها موافقة بالتمام لقانون الميزانية العمومية

(١٠٤) ان قانون الحساب الختامي يطرح امام مجلس الامة في كل اربع سنوات على الاكثر من ختام السنة المتعلق بها

(١٠٥) يترتب ديوان محاسبات لرؤية حساب المأمورين الموجبين بقبض اموال الدولة وصرفها ولاجل فحص المحاسبات السنوية التي تتقدم من الدوائر المختلفة وهذا الديوان يقدم الى هيئة المبعوثين في كل سنة تقريرًا حاويًا خلاصة فحصهِ وتدقيقهِ ونتيجة افكاره وملاحظاتهِ وفي كل ثلاثة اشهر يعرض ايضاً على الحضرة السلطانية بواسطة رئيس الوكلاء تقريرًا عن احوال المالية

(١٠٦) ان ديوان المحاسبات يؤلف من اثني عشر عضوًا يعينون بموجب ارادة سنية ويستمرون في مأمورياتهم مدة حياتهم ولا يعزل احد منهم ما لم تصادق هيئة المبعوثين بالاكثرية على لزوم عزلهِ

(١٠٧) سيوضع نظام مخصوص لتعيين الصفات المطلوبة من اعضاء ديوان المحاسبات وتفاصيل وظائفهم وصورة استعفائهم وتبديلهم وتقاعدهم وكيفية تشكيل الاقلام المتعلقة بهذا الديوان

في ادارة الولايات

(١٠٨) ان اصول ادارة الولايات ستؤسس على قاعدة توسيع دائرة المأذونية وتفريق الوظائف وستعين درجاتها بنظام مخصوص

(١٠٩) سيوضع قانون مخصوص اوسع من القانون الجاري الان لانتخاب اعضاء مجالس الادارة في الولايات والالوية والاقضية ولانتخاب اعضاء المجالس العمومية التي تلتئم مرة كل سنة في مراكز الولايات

(١١٠) ان وظائف المجالس العمومية كما سيصرح بهِ القانون المذكور في المذاكرة والمفاوضة في الامور النافعة كتنظيم الطرق والمواصلات وانشاء صناديق اموال للزراعة وترقية اسباب الصناعة والتجارة والزراعة ونشر المعارف العمومية · ومن خصائصهِ ايضاً حق التشكي الى محلات الاقتضاء حين وقوع مخالفات للقوانين والنظامات المؤسسة لاصلاح ذلك سواءً كانت تلك المخالفات في توزيع الاموال الاميرية وجبايتها او في المعاملات العمومية

(١١١) ينشأ في كل قضاء مجلس لكل ملة ينتخب اعضاؤهُ من افراد تلك الملة ويكون من خصائصهِ النظر في مداخيل المسقفات والمستغلات والنقود الموقوفة لكي تصرف بحسب شروط واقفيها ومعاملتها القديمة لمن لهُ حق فيها وللخيرات والمبرات والمناظرة ايضاً على صرف الاموال الموصى بها كما هو محرر في وصية الموصي وعلى ادارة اموال الايتام وفقاً لنظامها الخصوصي اما هذه المجالس فانها تعرف الحكومات المحلية ومجالس الولايات العمومية مرجعاً لها

(١١٢) ان الامور البلدية تجري ادارتها في مجالس الدوائر البلدية التي ترتب في دار السعادة وفي الخارج وسيوضع قانون خاص بتنظيم الدوائر البلدية ووظائفها وكيفية انتخاب اعضائها

في مواد شتى

(١١٣) اذا ظهر بعض علامات وامارات تنذر بوقوع اختلال ما في احدى جهات المملكة حق للحكومة السنية ان تعلن الادارة العرفية موقتاً بذلك المحل فقط والادارة العرفية انما هي ابطال القوانين والنظامات الملكية بصورة موقتة وسيوضع نظام خاص لكيفية ادارة المحل الموضوع تحت الادارة العرفية · اما الذين يثبت بواسطة تحقيقات ادارة الضابطة الصحيحة انهم سبب في اختلال امنية الحكومة فللحضرة السلطانية وحدها الحق بان تخرجهم من الممالك المحروسة وتبعدهم عنها

(١١٤) ان التعليم الابتدائي يجعل الزامياً لكل فرد من افراد العثمانيين وتفاصيل ذلك تقرر في نظام مخصوص

(١١٥) لا يجوز توقيف او ابطال مادة من مواد هذا القانون الاساسي لاية علة كانت

(١١٦) اذا اقتضت الظروف والاحوال تغيير بعض المواد المدرجة في هذا القانون الاساسي او اصلاحها ووجد لزوم حقيقي وقطعي لذلك جاز تغييرها على الشروط الآتية : وهي انهُ متى طلبت هيئة الوكلاء او كل من هيئة الاعيان والمبعوثين اصلاح قضية ما فاذا صادقت هيئة المبعوثين على ذلك باكثرية الثلثين وصدرت الارادة السنية بشأنهِ فان هذا الاصلاح

يعتبر دستوراً للعمل . اما المادة التي يطلب اصلاحها فتبقى مرعية الاجراء حائزة قوة الحكم والنفوذ الى ان تجري عليها المذاكرات اللازمة وتصدر بشأنها الارادة السنية كما ذكر

(١١٧) اذا اقتضى الحال تفسير احدى المواد قانونياً فاذا كان ذلك من الامور العدلية يتعلق تفسيره بمحكمة التمييز وان كان من امور الادارة الملكية فذلك من خصائص شورى الدولة وان كان من مواد هذا القانون الاساسي فذلك متعلق بهيئة الاعيان

(١١٨) ان القوانين والنظامات الجاري العمل بها الآن وجميع المعاملات والعوائد تبقى نافذة ومرعية الاجراء ما لم يصر الغاؤها او اصلاحها بالقوانين والنظامات التي تسن في المستقبل في ٧ ذي الحجة سنة ١٢٩٣

الراهن والواهن في المادية [1]

لو تعقَّل الانسان ما اندفع يستجلي اسرار الابدية ويستكشف مكنوناتها طمعاً في التوصل الى ما لا يدركهُ العقل ولا يحدهُ الذهن مما هو محجوب وراء الطبيعة بحجب ابدية من الظلام الدامس . ولكنَّ الانسان نخورٌ بالطبع أنانيٌّ بالفطرة يحسب عقلهُ النقطة الوسطى التي يدور عليها كل ما في العوالم من حيّ وجماد فيقيس ويبني ويستنتج بمقتضى ذلك العقل القاصر ثم يبرز ما ارتأى وقد توهمهُ نواميس لا تتغير ولو تغيرت السماء والارض — من ذلك المبادئ الفلسفية فقد يظن الفيلسوف ان الرأيَ رايهُ فيبني عليهِ احكامهُ ويقضي السنين الطوال يبحث وينقب توصلاً الى ادلة تعززهُ ثم يموت ولم يقضِ لبانتهُ ويقوم بعدهُ تلامذتهُ فيحذون حذوهُ ويسلكون مسلكهُ ثم يقضون ولم يزيدوا على مارأى هو شيئاً يذكر

جرَّب الاقدمون ان يرجعوا بمشاهدة الطبيعة الى علقٍ ماديةٍ ازلية لكنهم اخفقوا سعياً لندرة ما كان لديهم من اصول المعرفة ولكثرة ما كان يعترض سيرهم مما توارثوهُ من المعتقدات وما استحكم في نفوسهم من التقاليد على حين كان العلم في درجة من الضعف لم يستطع بها ان يقف امام الاباطيل المنقولة والاساطير الموروثة . فقد كانت الفلسفة الماديَّة شائعة شيوعاً عظيماً في الصين وذلك حوالي القرن الخامس قبل المسيح [2] وكان زعماؤها

(١) خطاب تلي في (حلقة الادباء) بالمدرسة الكلية السورية الانجيلية

(2) Anti-Theistic theories.

ينادون — " هلمَّ فلنجنِ من الحياة اطيبها ولنسرع الى ارتشاف كاس النعيم واذا داهمتنا المنون واقترب اجل افتراقنا الابدي فلا نبالِ ولنحتمل امر ملاشاتنا بالصبر الجميل "

وعلى هذا الخطاء كانت الفلسفة الهندية فانها تعتبر ان لا علم ولا معرفة وراء المحسوس وان علة العلل تنحصر في الماء والهواء والنار والتراب وما العقل الا نتيجة هذه العناصر المتآلفة فيهِ تآلفاً غيرهُ في سائر الكائنات

على ان بلاد اليونان هي مهد الفلسفة الحقيقية فقد كان قدماء فلاسفتها يقولون بازلية المادة ويعتبرون ان كلَّ ما في الكون حتى الانسان نفسهُ مادَّة تنحل صورها وتتغير ولكنها لا تتلاشى · وفي القرن الرابع قبل المسيح وضع لهم ديمقريطوس مذهبهُ المعروف " بالجوهر الفرد " وعندهُ ان المادة مؤلفة من اجزاء دقيقة جدًّا وان كل ما في الكون حاصل من تفاعل هذه الاجزاء وان النفس ليست الأ جسماً لطيفاً مولفاً كغيرهِ من جواهر فردة فاذا لمست الجسد شعر الانسان بوجودهِ وهو الوجدان · وهو يقول لنخضع باحترام وسرور لناموس الضرورة فهو الناموس العادل الكامل الذي يسير بموجبهِ كل ما في الاكوان وهو الناموس الوحيد الذي تتوقف سعادة الانسان عليهِ[3]

وخالف ديمقريطوس ابيكورس وعلَّم ان المادة ليست كما يزعمون مبدأً وهميًّا لا اساس لهُ بل هي المبدأ الراهن — علة العلل واصل الاصول وما النفس والعقل الا بعض مظاهرها. اما الخلق فامر وهميّ مستحيل وكذلك خلود النفس واستقلالها عن الجسد · وتبع المادّية خلق كثير في تلك الايام حتى لقد اوشكت ان تكون المذهب العام بين مذاهب الفلاسفة الاقدمين ولولا ان قام بعض من كبار العقليين كسقراط وتلامذتهِ لكانت المادّية بلا ريب اقوى حجة في كتب الفلاسفة · وجاءت الديانة المسيحيَّة فعززت امر الفلسفة الالهية واستبدت بالافكار في القرون الوسطى فكلّت الفلسفة المادية عن المناضلة وتقهقرت بعض التقهقر لكن ذلك لم يطل كثيرًا اذ لم يبزغ فجر القرون الاخيرة حتى تجددت قواها بما اخترع المخترعون وما اكتشف المكتشفون فاصلت الالهيين حرباً عواناً

قام " هوبس " وقامت الفلسفة المادية بقيامهِ ثم قضى ولكنها لم تقضِ بقضائهِ بل زادت شوكتها وعظمت سلطتها ونهض دعاتها في الارض ينادون ان المادة ونواميسها هي كل ما نعلم وجودهُ في الكون فانتشر نداؤهم في العالمين واستعذبتهُ الآذان لاسيما وقد رأوا فيهِ من الضرب على التقاليد التي طالما استعبدت الجنس البشري ونغصت حياتهُ ما كانت

(3) Weber's History of Philosophy.

نفوسهم تنوق الى استماعه فتهافت الطلبة على لابلاس ولا كونت وهولباك وستروس ولامتري وسبنسر وهكسلي وتندل ورفعوهم على اكف الشهرة الى حيث النجوم في افلاكها بل والى ما فوق ذلك

قال داروين بنشوء الانواع ولم يزد على ذلك لكن الماديين لم يقفوا عند هذا الحد بل جعلوا النشوء الطبيعي اساس فلسفتهم فهم يبنون كل شيء عليهِ وقالوا ان الدين والعقل والحياة وكل ما يرى وما لا يرى ارتقى تدرّجاً من المادة ارتقاء طبيعياً لادخل لغير الشرائع الميكانيكية فيهِ مستندين في ذلك على العلم الطبيعي وادعوا ان فلسفة النشوء نتيجة التجارب العلمية في مثل هذا . فاخرت المادية اترابها وساورت اعداءها فغلبتهم في القرون الحديثة واستقرّت على عرش السلطة تهابها المذاهب الاخرى وتحاشى منازلتها. ولست الآن في موقف اتناول فيهِ المبادئ المادية الدقيقة وانما انا متناول المادية كما هي وباسطها على موائد النقد العلمي وقبل الشروع في ذلك لا بدّ لي من ان أسأل — أيعذر الماديون اذا تمسكوا بآرائهم وتمادوا في غلوائهم على مناقضتها لمبادئ الدين — سؤَال لا ارى في الاجابة عنهُ افضل من ان آتي ببعض اقوالهم في ذلك . قال سبنسر وهو لا ادريّ " ان تصور الخلق امر يستحيل على اية قوة عاقلة كانت فالذهن يرفض ايجاد الشيء من لاشيء رفضاً باتّاً ثمّ ولو فرضنا امكان استحضار القوة الخالقة في الذهن فلا بدّ لنا ان نسأل انّى اتت تلك القوّة فان قيل من قوّة اخرى اضطررنا الى فرض ما لا نهاية لهُ من القوى وان قيل من نفسها فاي فضل لقولهم هذا على المبدإ المادي القائل بوجود المادة من نفسها على ان استقراء المبادئ المادية يميل بنا الى القول بازليتها وقدمية قواها "

وقال غيرهُ — اذا قلنا بوجود الله فلا يسعنا الآن نبحث عن ماهيتهِ وتلك الماهية اما ان تكون ماديّة تسير بحكم الضرورة او عقليّة ذات وجدان وهذا يقتضي كون الله شخصاً والشخصيّة تناقض مطلقيتهُ اذ يلزم عنها وضع حدود لله وهو ما لا يقبلهُ القائلون بوجودهِ ونتيجة ذلك ان الله اذا كان موجوداً فهو مادة او عقل فعلى كونهِ عقلاً يستحيل وجودهُ كما هو اذ وجودهُ في حالة العقل والوجدان ينفي وجودهُ في حالة غير الحالة المفترضة لوجودهِ الكامل وعلى كونهِ مادياً فهو المادة نفسها كامنة فيها القوى منذ الازل

وورد في كتاب Naturalism and Agnosticism ص ٤٨ " ان المنطق يقودنا بالرغم عنا الى القول اما بالله او بالمادة فاذا جعلنا الله المقدمة الاولى في ابحاثنا رأينا الطبيعة خاضعة لهُ ناشئةً عنهُ ومسيرةً باحكامهِ واذا جعلنا المادة او الطبيعة مقدمتنا الاولى فلا

امل لنا بالتوصل الى الله لان الطبيعة لا ترينا الاَّ المادة ونواميسها العمياء وعلى ذلك قال هكـلي " ان المادة ونواميسها قد نفت الخلق والروح من الوجود "

ولقد ادرك سبنوزا عسر القول بخالق خارج عن الطبيعة فصرَّح بانَّ الله ليس بعلة تعمل من الخارج وتدفع الطبيعة دفعاً الى الامام وانما الله والطبيعة شيءٌ واحد فاذا اعتبرت الوجود باجزائهِ كان لك الطبيعة واذا اعتبرتهُ بكليتهِ كان لك الله . فالعلة الازليَّة لا يمكن ان تكون اله الاديان لان ذلك يناقض المبادئَ الاولى و يذهب بالله الى حيث لايمكننا ان نراهُ

ولقد سأَل بعض المتطرفين ماذا كانت القوة الخالقة تعمل قبل الخلق . فاذا أُجيب انها كانت في حالة السكون فهو ممَّا لا يقبلهُ العقل وممَّا لا يجوز ان نعزوهُ الى الخالق وان قيل في حالة العمل كان ذلك مستحيلاً اذ تقدير كونها في تلك الحالة يقتضي خلقها خلقاً قبل الخلق وهو مناقض للواقع فماذا اذن أيعذر الماديون اذا تمسكوا بمبادئهم وهي على ما بها من النقص والوهن كثيرة الوضوح قريبة التناول ام يدانون لا تباعهم العقل القاصر فقط ولا لوم عليهم في اتباعهِ اذ هو النور الضئيل المستودع فينا سيان كان من حيز عاقلٍ او من تفاعل اجزاء المادة

قدم المادة و بقاؤُها

ولنتقدم الآن الى القسم الاول من موضوعنا فانهُ اذا ثبت انهُ لا علة للطبيعة خارجة عنها فلا بد من القول بقدمية ذلك الشيء المستقرّ وراء قوى العقل البشري اعني بهِ المادة وما بها من القوى الكامنة فيها. قالوا يستحيل على العقل تصوّر زمن ما في الماضي لم توجد فيهِ الهيولي و يستحيل ايضاً تصور زمن ما في الآتي لا توجد فيهِ تلك القوة العجيبة . فالذهن لايقبل الاَّ القول بقدم المادة و بقائها . ومن اقوال تندل — " ان ناموس البقاء لم يبقِ على امر الخلق ولم يذر فالجواهر الفردة هي بدء الوجود وجدت في الزمان والفضاء اللانهاية لهما ثم حدث بتصادمها الكون وقدكان موجوداً بالقوة في الهيولى الاصلية " . وللمادية على خلود المادة دليلان اولهما عدم امكان ملاشاتها والثاني بقاء القوة التي نشعر بها . واليك قول العلم في ذلك نقلاً عن كتب الطبيعيات . اذا احرقت قطعةً من الخشب اتحد قسم منها باكسجين الهواء فحصل من ذلك غاز وتحوَّل قسم منها بالتبخر الى دقائق من الماء هي البخار المائي وحملت الريح قسماً آخر في هيئة الدخان و بقي اقل الاقسام قبولاً للاحتراق في صورة الرماد . فلو تمكنا من جمع كل هذه المواد ووزناها لرأينا انها اثقل من قطعة الخشب الاصلية بمقدار وزن الهواء الذي اتحد بها وقت الاحتراق فلا زيادة ولا نقصان في المادة الاصلية بل كل

ما حدث لها تغير من صورة الى صورة اخرى · وما يصدق على المادة من هذا القبيل يصدق على الحركة والقوة · قال سبنسر في " مبادئهِ الاولى " — ليس بقاء الحركة وازليتها بالامر الذي نستقرئهُ بالاختبار فقط بل هو من طبيعة وجداننا · لانهُ اذا اردنا ان نتصور الحركة او المادة تخلق وتتلاشى اذا اردنا ان نتصور الشيء حادثاً من لا شيء او صائراً الى لا شيء فكأنما نحن نضع نسبةً بين حدين لا وجود لاحدهما في الوجدان وذلك مستحيل كما لا يخفى. وما يقال عن الحركة يقال عن القوة فاننا لا نعني ببقاء الحركة والمادة الأ بقاء القوة التي تظهر بها المادة والتي لولاها لم تشعر بها حواسنا

وقال برنو في سياق الكلام عن ازلية المادة ان ازلية المادة التي لا يسع الوجدان الأ الاقرار بها تنفي وجود خالق لانهُ اذا كان الكون ازليًا ولا نهاية لهُ فليس لنا الأ ان نقول إما ان لا محل لازليّ آخر غير الكون او ان ذلك الازلي او الخالق هو الكون نفسهُ"(٤)

هذا من جهة العلة الاولى اما كيفية وجود الكون على ما بهِ من العجائب وعلى ما نراهُ فيهِ من مظاهر الحكمة والقصد فتلك مسألة شغلت عقول الفلاسفة الماديين زمناً مديداً حتى اهتدوا الى النشوء الطبيعي فقالوا بوجود الجوهر الفرد والسديم ثم انشأوا من ذلك السائل فالجامد فالحياة فالانواع فالعقل

التكوين على مذهبهم

وجدت جواهر المادة منذ الازل بسيطة متماثلة فنشأ عن حركتها الناشئة بمقتضى الجاذبية العامة (وهي من خواص المادة الازلية) مجاميع من الجواهر متباينة العدد والحركة وهي العناصر الاولى · وقال توماس كراهم "لا يبعد ان تكون العناصر كلها من عنصر واحد يظهر فيها بمظاهر مختلفة لداعي اختلاف حالات الحركة" · ولقد زاد هذا الراي ثبوتاً ناموس تحوّل القوى فان النور والحرارة والكهربائية مثلاً يتحول بعضها الى بعض · اعتبر ذلك في الكهربائية والمغنطيسية فان قطعة الحديد قد تتكهرب فتصير مغنطيساً فاذا سألت عن السبب في ذلك لم ترَ الأ تغيراً في وضع دقائق الحديد والمادة هي هي في كلا الحالين وانما الاختلاف في وضع الجواهر وحركاتها · وانك لتستقرى ذلك في كثير من المركبات الكيمية خذ الفحم والماس فترى ان عنصرهما كربون ولكن الاختلاف العظيم بينهما ناشيء عن اختلاف حركة الجواهر فيهما · والطبيعة كلها شواهد على امكان تحوّل القوى ولا يسعني الوقت ان آتي بامثلة على ذلك لاسيما وقد اصبح ناموس التحول حقيقة يعرفها كل من لهُ المام بالطبيعيات

(٤) تاريخ الفلسفة (وبر)

هذا رأيهم في اصل العناصر وهم يرجعون بذلك الى استمرار القوة وبقائها فيبنون على هذا الناموس ناموس عدم ثبات المتماثل على تماثلهِ ثم يستخلصون من ذلك الحركة الاولى الضرورية لبدء نشوءٍ فمن ذلك ان المتماثل لا بد لهُ من الخروج عن طور التماثل الى طور المباينة والاختلاف — ترى ذلك في الطبيعة فانك اينما ذهبت لا يمكنك ان تجد جسماً متماثلة اجزاؤهُ وما ذلك الا لان التماثل يقتضي التغير فلو فرضنا ان السديم الذي ملأ حيز نظامنا الشمسي وُجد بالاصل متماثل الاجزاء فكل جزء من اجزائهِ لا بد لهُ من حركة تختلف عن حركة غيرهِ بالنسبة الى بعدهِ عن مركز الاجزاء العام . فتحركت اجزاؤهُ حركات مختلفة نشأ عنها العناصر الاولية ثم تحرك السديم باجمعهِ نحو الاجزاء الاكثر حركةً اي الاجزاء المركزية فدارت على نفسها وحدث من دورانها على المركز قوة الدفع عن المركز وصارت المادة تتقلص بالاشعاع فزادت حركتها وزادت بذلك قوة الدفع وما زالت على هذا المنوال حتى انفصلت الحلقات الخارجية لتساوي قوتي الجذب والدفع وتكوَّن بذلك السيارات والاقمار وغير ذلك مما سيأتي تفصيلهُ

ولابلاس ليس اول من رأى ذلك ولكنهُ اول من تحرَّاهُ واسندهُ الى مبادئ فلكية رياضية فوزن الاجرام وقاس الابعاد وطبَّق كل شيء على ناموس النشوء العام . ولا ارى من حاجة الى الاسهاب في الراي السديمي وهو معروف لدى الصغير والكبير على انهُ لا بد لي من ذكر بعض الاسباب التي حدت بلابلاس وبامثالهِ الى التمسك بذلك الراي المادي والى تطبيق كل شيء عليهِ . من ذلك ما شاهدوهُ في نظامنا الشمسي واليك البيان

(١) ان افلاك السيارات على شكل حلقات اهليلجية مائلة الى الاستدارة مع انهُ كان الاولى ان تكون كافلاك المذنبات مستطيلة . ولا شك ان انحرافها عن الشكل المستطيل ناجم عن علاقة خصوصية بالشمس

(٢) ان افلاك السيارات موازية تقريباً لفلك الشمس مع انهُ كان يجب حسب ناموس الارجحية ان تكون على زوايا مختلفة

(٣) تسير السيارات في افلاكها في ذات الجهة التي تدور بها الشمس على محورها

(٤) ان دوران السيارات على محورها متشابه في الجهة

(٥) ان مسير الاقمار في افلاكها ودورانها على محورها مشابه لمسير سياراتها ودورانها

فنرى من ذلك انهُ لا بد من علاقة كلية جامعة بين الشمس والسيارات وهذا ما حدا بلابلاس وغيرهِ الى القول بان الشمس والسيارات واقمارها من مادة واحدة تجزأَت ونشأَت

طبقاً لناموس الجاذبية العام · ولكن من اين اتت تلك المادة البسيطة وكيف تمّ لاجزائها ان تتفاعل حسب ناموس الجاذبية ذلك ما اجاب عليهِ الماديون بان المادة ازلية وكذلك قواها وكونها ازلية يقتضي كونها بسيطة وجدت في الفضاء لنفسها ثم تصادمت الجواهر لاندفاعها نحو المركز العام فحدث من ذلك الحرارة ثم تنازلت الحرارة بالاشعاع فظهرت الجواهر المزدوجة كما تظهر الغيوم في الهواء وكانت هذه الجواهر تتحرك نحو مركز الجاذبية العام لكنَّ مسيرها لم يكن في خطوط مستقيمة لان الهيولى لم تكن في شكل كامل التنظيم وهكذا تمَّ لها ان تدور على نفسها

ولزيادة الايضاح نقول · تصوَّر انهُ كان في فضائنا الشمسي جانب عظيم من السديم وُجد بذاتهِ منذ الازل على طريقة لا نعرفها وهب ان ذلك السديم كان مؤلفاً من جواهر فردة وكان لتلك الجواهر قوتا الجذب والدفع فلما تفاعلت الجواهر تحوَّل بعض الجاذبية الى حركة وبهذه الحركة اندفعت الجواهر نحو المركز العام وكان معدل اندفاع الواحد منها يختلف باختلاف قوتي الجذب والدفع الحاصلتين من سائر الجواهر فسار بعضها بسرعة عظيمة وسار البعض الآخر بسرعة اقل من سرعة الاول فلما تكوَّنت السيارات بانفصال الحلقات الخارجية تدريجاً لتساوي قوتي الجذب والدفع لم يكن للحلقات الاولى من السرعة ما كان للحلقات الاخرى وعليهِ نرى ان سرعة نبتون وهو الحلقة التي انفصلت اولاً اقل من سرعة عطارد وهو آخر الحلقات · ذلك لان جواهر نبتون لم تقطع في مسيرها نحو المركز العام ما قطعتهُ جواهر عطارد وهذه الزيادة في السرعة مطردة متى سرت من ابعد السيارات الى اقربها من الشمس · فاذا قيل ان ذلك لقصد الغاية منهُ حفظ التوازن العام فهل يا ترى ثمت من قصد في اختلاف سرعة السيارات في دورانها على محورها فان البون عظيم بين زحل وعطارد في ذلك · على ان مبدأ النشوء الطبيعي يفسر لنا ذلك باجلى بيان طبقاً لناموس تحوُّل القوى فان السيارات التي تدور على محورها بسرعة عظيمة (٥) هي التي اجتازت جواهرها مسافات عظيمة في اقترابها من مراكزها والعكس بالعكس فان السيارات ذوات القدر الصغير والفلك الصغير هي التي لم تجتز جواهرها الاَّ مسافات صغيرة في اندفاعها نحو المركز وهكذا لا نرى لها من السرعة في دورانها ما نراه لسائر السيارات وهذا هو المراد من تحول القوى اي انَّ السيارات ذوات القدر الكبير اكتسبت سرعتها العظيمة من حركات الجواهر في مسافات كبيرة بخلاف السيارات الصغيرة فانهُ لم يتسنَّ لجواهرها ان تجري في مسافات كبيرة كتلك

(٥) وهي غالباً ذوات القدر الكبير والفلك الواسع

هذا هو الفصل الاول من التكوين عند الماديين وخلاصتهُ ازلية المادة والجاذبية العامة وتفاعل الجواهر وتولد الحرارة والنور من ذلك وتكوّن العناصر من اتحاد الجواهر على نُسب وكيفيات مختلفة ثم نشوء الاجرام بالحركة والاشعاع

ثم اذا اعتبرنا ان لا نهاية للمادة في امتدادها فالعوالم لا يمكن ان تكون قد نشأت من تلك المادة نشوءًا ذاتيا ولكن الذهن لا يمكنهُ تصور امتداد المادة الى ما لا نهاية لهُ فلا بد اذن من القول بنهاية للمادة ومتى قلنا ذلك امكننا ان نبني على ناموس تغير المتماثل ناموس التغير من البسيط الى المركب فالاكثر تركيبًا وهذا كلهُ يستخلصونهُ من ناموس استمرار القوة التي لا بد لها من عمل تعملهُ او تغير تحدثهُ لان القوة لا يمكن ان تكون في سكون . ولقد يضيق المقام عن شرح هذا الناموس الاساسي . اما الفصل الثاني من التكوين عندهم فهو ظهور الحياة بعد ما جمدت الارض وصارت صالحة للحياة

البقية تأتي انيس الخوري

هل يوجد الناس في غير الارض

ليس من هذا البحث فائدة عملية على الاطلاق لكن الانسان لا يكتفي بما منهُ فوائد عملية كعلم الحساب وعلم الزراعة وعلم حفظ الصحة بل يتطلب ايضًا ما يغتذي بهِ عقلهُ وتتسع معارفهُ اوما ترتاح اليهِ نفسهُ التي تتوق دائمًا الى اكتشاف المجهولات والوقوف على علل المدركات . وقد قرأنا منذ ثلاثة اشهر مقالة للدكتور لويس روبنصن في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية موضوعها هل يوجد الناس في غير الارض من العوالم فرأينا ان نلخصها هنا لان كاتبها طرق الموضوع من باب بيولوجي اي من حيث الفواعل الطبيعيَّة التي دعت الى تولُّد الانسان

قال الكاتب ان المستر الفرد رسل ولس يقول في كتابهِ المعنون بمكان الانسان في الكون *Man's Place in the Universe.* انهُ لا بشر في غير الارض وقال الاستاذ نيوكم الفلكي انهُ يحتمل ان يوجد بين ملايين الكواكب التي ارانا اياها التلسكوب كواكب تجعل السيارات التي تدور حولها صالحة لمخلوقات مثل الانسان . اما انا فسأبين في ما يلي ان الانسان من الارض ارضيٌّ وان البحث في تاريخهِ يدل على انهُ صار صالحًا للسكن في هذه الارض بعد عناء كثير وان في كل جارحة منهُ وفي كل جزءٍ من اجزائهِ جسدًا وعقلاً ادلة على

انهُ من نتاج الفواعل الطبيعية الكثيرة المختلفة كما ان شكل تمثال النحاس ناتج من شكل القالب الذي افرغ فيهِ . فاذا اعتبر ذلك فوجود سيَّار آخر بين السيارات تجتمع فيهِ كل الاسباب التي اجتمعت في ارضنا لتكوين الانسان بعيد الاحتمال جدًّا ولو كانت تلك السيارات تعدُّ بالملايين كما قال الاستاذ نيوكم بل اذا اعتبرنا كل القوى الطبيعيَّة الفاعلة في هذه الارض كالجاذبيَّة وضغط الهواء واختلاف الحرارة والبرودة والرطوبة والنور والظلمة ونحو ذلك مما يطول شرحهُ وتفاعلها بعضها ببعض واعتبرنا ايضاً افعال الاحياء المختلفة فالمرجح انهُ لا يمكن تولُّد الانسان في غير الارض من السيارات ولوكانت شموسها تعد بالملايين

ولننظر الآن الى بعض هذه الاحوال والفواعل الطبيعيَّة التي فعلت بالكائنات الارضية مدة ملايين كثيرة من السنين

فمنذ القدم انقسمت الكائنات الحيَّة الى ما يتناول الاكسجين من الهواء والى ما يتناول منهُ الحامض الكربونيك بمساعدة نور الشمس . والاحياء التي تتناول الحامض الكربونيك هي النباتات وهذه اكتفت بما تجدهُ حولها من الغذاء فقلَّ سعيها وارتقاؤها ولو صار لها الشأن الاكبر في ارتقاء الانسان لانها جملتهُ بهر في حركات يديهِ واستعمال عقلهِ كما سيجيء

ثم انقسمت الحيوانات من عهد قديم جدًّا الى ما لهُ سلسلة فقارية وما ليس لهُ . والحيوانات التي ليس لها سلسلة فقارية سبقت في الوجود والارتقاء الحيوانات التي لها ولا يزال بعض انواع الاولى ارقى من بعض انواع القسم الآخر كالعنكبوت والنحل والنمل . وقد اثبت الجيولوجيون ان هذه الحيوانات بلغت هذه الدرجة من الارتقاء قبلما ظهر الانسان على وجه البسيطة . ولكن يمكن ان يقال ان استغناءها عن السلسلة الفقارية لم يكن في مصلحتها لانهُ منعها من زيادة الارتقاء فقد اعتمدت على جلودها لحمايتها وقيام اجسامها فضيقت على نفسها مجال الارتقاء ولا يزال بعضها حتى الآن اذا كبر جسمهُ اضطر ان يشق جلدهُ وينسلخ منهُ ويبقى حينئذٍ مدة ساكناً خاملاً الى ان يجف جلدهُ الجديد ويقوى ولكن اكثرها اكتفى بالجسم الصغير والعمر القصير غير انهُ اضطرَّ ان يتقلَّب على اطوار مختلفة كما ترى في صيرورة الدود زيزًا وفراشاً فيفقد في الطور الواحد ما يستفيدهُ من الاختبار في الطور الآخر ويتعذَّر عليهِ ان يوصل الى نسلهِ نتائج اختبارهِ وزد على ذلك ان ادمغتهُ صغيرة جدًّا فلا يحتمل ان تحوي الشيءَ الكثير من العقل والاختبار

والظاهر ان بعض الحيوانات الرخوة كانت تسبح في المياه فاتفق ان تصلَّب شيءٌ في وسط ظهرها فساعدها على توجيه حركاتها في الماء كيف شاءت وقوَّاها على اخواتها اللواتي لم يكن

تصلبهنَّ في وسط ظهورهنَّ وزاد هذا التصلُّب تنوعاً وارتقاء باستعماله على كرور الايام فصارت منهُ السلسلة الفقارية . وحينما نشأت ذوات الفقار افترقت عن اخواتها وسارت في سبيل الارتقاء سيراً سريعاً

نعم ان بعض الحيوانات الرخوة اي الخالية من الفقار ارتقت ايضاً ولكنها لم تستطع ان تسعى على الارض حيث يعيقها ثقلها عن الحركة كما ترى في الحلازين ولاسيما ما كان منها خالياً من الاصداف واما في البحر فنمت وقويت كما ترى في انواع الاخطبوط حتى جارت ذوات الفقار

وهنا محكّ الارتقاء فان الحيوانات انقسمت قسمين قسماً يعيش في البر وقسماً يعيش في البحر فلننظر ايهما اقدر على الارتقاء . ويظهر لاول وهلة ان الحيوانات التي بقيت مائية لم تنمُ ادمغتها فان محيطها الماء وهو دائماً بارد رطب قليل التغير ويتعذر عليها ان تغيره او تنوعه فلم ينفسح لها المجال لاستعمال قواها وترقيتها . وتكثر الحيوانات الآن في المياه الكثيرة الغور وقد كان الامر كذلك في الازمنة الغابرة ومعلوم ان المد والجزر شديدان في بعض الاماكن فيرتفع ماء البحر ويغمر ارضاً واسعة من ساحله ثم ينحسر عنها وذلك مرتين في كل يوم . والمد والجزر ناتجان من جذب القمر وقد كان القمر في العصور الغابرة اقرب الى الارض منهُ الآن وكان فعلهُ اقوى ولذلك كانت مياه البحر تغمر ارضاً فسيحة ثم تنحسر عنها فيبقى فيها كثير من حيواناتها فتضطر ان تعيش مدة في البر وتتنفس من هوائهِ فما استطاع منها تنفس الهواء بقي حياً واخلف نسلاً وما لم يستطع التنفس مات وانقرض نسلهُ وحدث مثل ذلك في الانهار والبرك والبحيرات التي كانت تجف في بعض فصول السنة فتولَّد من الحيوانات المائية حيوانات برية[1] وهي الاصل الذي تولَّد الانسان منهُ

فلا يتولد انسان في سيار آخر كما تولَّد في الارض ما لم يكن في ذلك السيار بحار واسعة قريبة الغور مثل بحار الارض وما لم يكن لهُ قمر مثل قمر الارض يرفع ماءهُ ويخفضهُ حتى تتولد فيهِ حيوانات برية من حيواناتهِ البحرية . ولا تزال في الانسان آثار خياشيم الحيوانات البحرية وآثار فعل القمر الى الآن كما بيَّن دارون

الاَّ ان الحيوانات المائية لم تصر برية دفعةً واحدة بل كانت في اول الامر تعيش في الماء واليابسة معاً ومرَّت ادهار وهي كذلك ونما بعضها نمواً عظيماً تفرعت اشكالها وتعددت انواعها وتولد منها فصيلتان كبيرتان وهما ذوات الثدي والطيور

(1) [المقتطف] وكل الحيوانات في الدور الاول من حياتها الجنينية مائية تعيش سابحة في سائل ثم ترتقي رويداً رويداً الى ان تصير هوائية ولا يستثنى الانسان منها

اما ذوات الثدي ففي قلب كلٍّ منها اربع غرف او بطينات ورئاتها كبيرة تساعدها على تناول مقدار كبير من الهواء ولذلك صار دمها يتطهر بسهولة ويغذي اعضاءها المختلفة ويخفف من شدَّة تأكسدهِ وسرعة حركتهِ وهذه درجة عالية في سبيل ارتقائها ولذلك لم تعد حرارتها متوقفة على حرارة ما حولها كاسلافها فاستفادت اعضاؤها الداخلية وقلوبها وادمغتها من حرارة دمها كما يستفيد النبات من حر الصيف ونتج عن ذلك او ترتب عليهِ انها صارت تلد اولادها ولادة ولكن اولادها كانت عرضة لافتراس الزحافات الكبيرة التي كانت الارض تعج بها في تلك العصور · والغريب انهُ بقي احد منها حيًّا وهي صغيرة مستضعفة واعداؤها كبيرة قوية شرسة ولا سلاح يقيها منها لكن حرارة دمها المملوء بالاكسجين نجَّت بعضها فانها جعلتها سريعة الحركة ثم ان دماغها كان يتغذى بسرعة مما يرد اليهِ من الدم المطهَّر فصارت سريعة الادراك كثيرة الحيلة في الهرب والهجوم والدفاع

قلنا ان صغار الحيوانات البرية صارت تولد ولادة وكانت في صغرها قليلة الحول والحيلة لا تستطيع ان تتناول غذاءها مما حولها · والظاهر ان الطبيعة جرَّبت سبلاً مختلفة لتغذية اولئك الصغار ولا يزال بعضها مستعملاً الى الآن ولكن اكثرها شيوعاً واوفاها بالمراد ارضاع الصغير من ثدي امهِ فلما صارت الام ترضع طفلها صارت تعتني بهِ وتعلمهُ اي توصل اليهِ اختبارها وحينئذٍ صار اختبار الحيوان الواحد الذي يختبرهُ في حياتهِ يعلمهُ لنسلهِ فازداد الحيوان اختبارًا بهذه الواسطة عقباً بعد عقب وهذا يصدق ايضاً على القسم الثاني من ذوات الدم الحار اي الطيور فانها تبيض بيضاً ولكنها تعتني بفراخها وتربيها وتعلمها والمرجح ان الطيور سبقت ذوات الثدي اولاً في سلم الارتقاء ولا تزال ارقى من ذوات الثدي من حيث بناء اجسامها ولكن هذا الارتقاء الجسدي اوقف ارتقاءها العقلي لان طيرانها سهل عليها كسب المعيشة وتجنب المخاطر فلم تعد تجهد ادمغتها فهي اشبه باولاد الاغنياء الذين يجدون حولهم من الراحة وسهولة المعيشة ما يمنعهم عن السعي والجد فيسبقهم اولاد الفقراء الذين تضطرهم الفاقة الى الاجتهاد والكدح · والآن اذا استثنا الانسان فلا حيوان يفوق الطيور ارتقاء ولا ندري ماذا كانت تكون حالة الارض الآن لو توفقت الطيور بدل الانسان الى التفوُّق عقلاً

ويظهر من آثار الحيوانات التي وجدت في طبقات الارض ان اللبونة او ذوات الثدي الاولى كانت مثل الابسم وانها كانت تتسلق الاشجار هرباً من اعدائها ولا غرابة في ذلك لان الارض كانت مملوءة بالتنانين الكبار من انواع الزحافات الشديدة النهم

والحيوانات التي تتسلق الاشجار تفعل ذلك على اسلوبين فان القسم الاكبر منها تنمو مخالبهُ وتطول حتى يتمكن بها من الالتصاق بسوق الاشجار واغصانها والقسم الاصغر تنمو اصابعهُ حتى يقبض بها على الاغصان. ولا ندري الآن ما هو السبب الذي جعل بعض الحيوانات تطول اظافره وبعضها تطول اصابعهُ ولكن كان لطول الاصابع شأن كبير في تولُّد الانسان فاذا كان في ايدي الحيوانات او ارجلها مخالب تتمسك بها لم تفدها المخالب الاَّ في التعرُّش والتمسك واما اذا كان لها اصابع متينة تسهل حركتها فانها لا تكتفي بالتعرُّش والتمسك بل تصير تنتقل من غصن الى آخر بسهولة. والمرجح انهُ لما صار بعض هذه الحيوانات يتعرَّش باصابعهِ ويتنقَّل بها بين اغصان الاشجار لم يعد يهتمُّ بالنزول الى الارض بل صارت اصابع يديهِ ورجليهِ تعيقهُ عن المشي والجري فصارت معيشتهُ في الاشجار يأكل ثمارها ويتفيأ ظلالها ويتقي بها الدبابات المفترسة التي تدبُّ على الارض كما تفعل بعض طوائف القرود الآن فنما وكبر جسمهُ اما ذوات المخالب فلم يسهل عليها البقاء في الاشجار فبقيت اكثر معيشتها على الارض كالدب والنمر ولا يقيم في الاشجار منها الاَّ الصغير الجسم الخفيف الحركة كالسنجاب

قلنا سابقاً ان النبات يأخذ الحامض الكربونيك من الهواء ويغتذي بكربونهِ بواسطة نور الشمس وما الاشجار سوى نباتات جمعت في جسمها مادة خشبية وطالت وتفرَّعت لكي تتناول الحامض الكربونيك من الجو وتتعرَّض لاكثر ما يكون من نور الشمس وجمعت في جسمها مادة خشبيَّة صلبة تمكنها من الانتصاب والارتفاع. والشجرة التي تعلو اكثر من غيرها وتعرض الجانب الاكبر من اوراقها للهواء ونور الشمس تتناول المقدار الاكبر من الحامض الكربونيك وتستخدمهُ في بناء جسمها فاذا تغيَّر الهواء او تغيرت التربة او الرطوبة او غير ذلك من الاحوال التي تنمو فيها الاشجار لم يصر النبات شجرًا بل بقي نجماً او هشيماً ولذلك لا توجد الحراج الطبيعيَّة على كل بقعة من وجه الارض ولو كانت تربتها خصيبة كما ترى في مروج روسيا واميركا فانها كثيرة النبات ولكن لا شجر فيها اي ان نباتها لم يطمع في ان يصير شجرًا كبيرًا ولو كانت ارضنا كلها مثل مروج روسيا واميركا لما امكن نشوء الانسان فيها

واذا اعتبرنا فضل الاشجار علينا لم نستغرب عبادة الناس لها وعندي ان مهارة بعض الناس في الحساب نتجت اصلاً من تقدير اسلافنا المسافات التي كانوا يقطعونها في وثبهم من غصن الى آخر حين كانوا يسكنون الاشجار لان الانتقال بين الاغصان ليس كانتقال الماشين على الارض يخطى متماثلة متساوية بل يلزم لكل نقلة منهُ نظر وتقدير وتدقيق لاختلاف بعد الاغصان وميلها بعضها على بعض فكانت دقائق الدماغ تضطرُّ ان تفعل

فعلاً متواصلاً في تقدير تلك المسافات واعداد القوة العضلية اللازمة لقطعها وذلك التقدير من الاعمال الحسابية الدقيقة ولكن الدماغ يفعلهُ من غير ان يشعر بهِ كما تفعل المعدة افعالاً كيماوية كثيرة لهضم الطعام على غير علم منا. ولعلَّ هذه القوة الحسابية الباقية في ادمغتنا من العصور الاولى هي التي تظهر احياناً في بعض النوابغ فتجعلهم يعملون اعمالاً حسابية عقلية غريبة تظهر كانها من المعجزات. ثم ان الحيوان الذي يقيم في الاشجار لا يضطر ان تقوى فيهِ حاسة الشم ليتقي بها اعداءهُ ولذلك تجد ان هذه الحاسة اقوى في ذوات الاربع منها في الناس وطوائف القرود. ولا تضطر الحيوانات التي تقيم في الاشجار ان تقوى فيها حاستا السمع والنظر ولذلك فالسمع والنظر اقوى في اكثر الحيوانات منها في الانسان. الاَّ ان ضعف هذه الحواس في الانسان افادهُ ولم يضرهُ لانهُ لما نزل الى الارض ولم يستطع ان يقتفي اثر طريدتهِ برائحتها اضطر ان يعتمد على عقلهِ ويديهِ فاستنبط الآلات والادوات لصيد الطرايد واتقاء الاعداء. ومهما كان الانسان منحطاً في حال الهمجية تجد في مصايدهِ واشراكهِ التي يقتنص بها الحيوانات من دلائل التعقل والتخيل والتقدير ما لا تجدهُ في اعمال بعض المتمدنين

ولقد كان الانسان في كل العصر الحجري حين كان يستعمل قطع الصوان سلاحاً معرضاً للموت جوعاً من قلة الطعام ولا سيما اذا قلَّ الصيد فكان امهرهُ في صيد الوحوش اقدرهُ على المعيشة واخلاف النسل والمهارة في الصيد تقتضي استعمال العقل والحيل والذين عجزوا عن ذلك ماتوا جوعاً وانقرض نسلهم

والحاجة هي التي قوَّت مدارك الانسان ووسعت حيلهُ فلو كان مكتسياً من اصلهِ كالطيور لما اهتم بعمل اللباس ولا وصل الى ما وصل اليهِ من الحضارة ولو كان قادراً على الطيران مثلها من اصلهِ لوجد الطعام والامن ميسورين لهُ وبقي مثل الطيور على الاكثر

هذا وفي الامكان ذكر امور اخرى كثيرة لو لم تتوفر للانسان لما صار انساناً فاذا توفرت هذه الفواعل كلها (التي ذكرت منها والتي لم تذكر) في سيَّار آخر من سيارات الكون وكان في ذلك السيار كل ما في الارض من الاحوال الجويَّة وكل ملابساتها التي تعدُّ بالالوف وفعلت هذه الفواعل في احياء وجدت في ذلك السيار كالاحياء الارضيَّة حين وجدت فالمرجح ان تلك الاحياء ترتقي ولكن يبقى احتمال تولد انسان منها بعيداً جداً لان العبرة الكبرى ليست بالفواعل بل بالمادة المنفعلة فالفواعل الطبيعية التي فعلت على الاحياء الارضية فعلت عليها كلها ولكنها لم تكوّن منها الاَّ انساناً واحداً ولم تكوّن نوعين متماثلين تماماً فان كان في الكون خلائق عاقلة فهي مختلفة عن نوع الانسان

اسامة بن منقذ وابن السلار

الفتنا احد الفضلاء الى خطإٍ في الصفحة ٤٨٣ من الجزء السادس حيث خطأنا الامير اسامة بن منقذ الكناني في زمن الملك العادل. والصواب ماذكرهُ اسامة لان الملك العادل الذي دخل اسامة في عهدهِ هو ابن السلار وزير الخليفة الظافر بالله وكان يلقب بالملك العادل وهو غير الملك العادل الذي خلف الملك الصالح. فنشكرهُ على تنبيهنا الى اصلاح هذا الخطإِ

ومن رأى هذا الفاضل ان الامير اسامة كان داهية مكّارًا وهو السبب في قتل الخليفة الظافر واخوتهِ والملك العادل وربيبهِ عباس بن ابي الفتوح وابنهِ نصر مستندًا في ذلك كلهِ الى ما رواهُ ابن الاثير في حوادث سنة ٥٤٨ و٥٤٩ فقد ذكر في تاريخ السنة الاولى ان في المحرم منها قُتل الملك العادل بن السلار باغراء الامير اسامة بن منقذ الكناني وموافقة الخليفة الظافر بالله العلوي فان الامير اسامة اغرى بقتله عباسًا بن ابي الفتوح بن يحيى الصنهاجي وكان الملك العادل قد تزوج بام عباس هذا بعد قدومها الديار المصرية من المهدية ووفاة زوجها فأمر عباس ولدهُ نصرًا فدخل على الملك العادل وهو عند جدتهِ وقتلهُ وولي عباس الوزارة بعدهُ

وذكر في حوادث سنة ٥٤٩ ان اسامة احفظ نصرًا هذا ابن الوزير عباس على الخليفة الظافر بالله بكلام قبيح فاستدعى نصر الخليفة الى دارهِ وقتلهُ هو واتباعهُ ثم مضى ابوهُ الى دار الخليفة وقتل اخويهِ يوسف وجبريل وغنم اموالهُ وجواهرهُ وفرَّ بابنهِ وبالامير اسامة الى بلاد الشام من وجه الملك الصالح الذي جاء من منية ابن خصيب للمطالبة بدم الخليفة فوقعوا في يد الافرنج فقتلوا عباسًا واسروا ابنهُ فافتداهُ منهم الملك الصالح وقتلهُ وصلبهُ على باب زويلة اما اسامة فنجا بنفسهِ ولم ينلهُ الافرنج بسوء. ومن راي الفاضل المشار اليهِ آنفًا ان اسامة هو الذي اغرى الافرنج حتى اوقعوا بعباس وابنهِ ولولا ذلك ما نجا بنفسهِ منهم

ولم يكن ابن الاثير معاصرًا لاسامة فهو ناقل ما رواهُ فاذا لم يكن للمؤرخين الذين نقل عنهم غرض من الوقيعة باسامة فيكون هذا الرجل داهية من الدواهي لا سيما وانهُ لم يذكر الملك العادل في كتابهِ لباب الآداب الا قال رضي الله عنهُ او رحمهُ الله. وكتابهُ خالٍ من كل تحريف وتحشية لانهُ نسختهُ الاصلية وآدابهُ رائعة جدًّا قلما يحتمل صدورها من رجل لئيم يسعى في قتل مَن احسن اليهِ وينمُّ النمائم الفاسدة السمجة. وواضح مما ذكرهُ

ابن خلكان انهُ كان لاسامة اناس يمدحونهُ كالعماد الكاتب الذي لقيهُ وكان يتمنى ابداً لقياهُ ويشيم على البعد محياهُ . واناس يذمونهُ كمن قال ان العادل بن السلار احسن اليهِ فعمل هو على قتلهِ . والظاهر ان ابن الاثير اعتمد على رواية هذا الاخير

وقد ابنَّا في اول مقالة كتبناها عن كتابهِ لباب الآداب في المجلد الثاني والثلاثين من المقتطف انهُ عارض الراغب الاصبهاني صاحب كتاب محاضرات الادباء وخالفهُ فبينا ترى الاصبهاني يذكر آيات الطاعة واحاديث الخضوع ترى اسامة يذكر آيات اللين للرعية ومشاورتها واحاديث العدل فيها والبر بها . اي ان الاصبهاني كان يدعو الى الحكومة المطلقة واسامة الى الحكومة المقيدة فلا يبعد ان يكون مذهبهُ السياسي هذا قد حمل بعض المتزلفين الى الملوك والولاة فانتقصوهُ واغتابوهُ . وليس لدينا الآن ادلَّة قاطعة على صحة هذا الاستنتاج ولكنهُ اولى من اتهام امير اديب مثل اسامة لقيهُ العماد الكاتب وذكرهُ بالتجلَّة والاكرام تهمةً شنعاء يترفَّع عنها غير الاخساء ألا وهي الاساءة الى من احسن اليهِ . اما اذا وجدت ادلَّة صريحة على انهُ كان كذلك واصحابها عدول ومن معاصريهِ لزمنا التسليم بها لان الافعال كثيرًا ما تخالف الاقوال وما هذا خاص بالشعراء والامراء كما قال ابن الرومي

يقولون ما لا يفعلون مسبة … من الله مسبوب بها الشعراء
وما ذاك فيهم وحدهُ بل زيادة … يقولون ما لا تفعل الامراء

بل يشترك فيهِ كثيرون من كل طوائف الناس بطباع مخلوقة فيهم موروثة من اسلافهم

ولن يستطيع الدهر تغييرَ خلقهِ … لئيم ولن يسطيعهُ متكرّمُ
كما ان ماء المزن ما ذيق سائغٌ … زلال وماء البحر يلفظهُ الفمُ

وكم من رجل تراهُ من اعلى الكتَّاب كعباً واقدرهم على النصح والارشاد وهو مع ذلك لا يفتر عن الدسائس والفتن ولو على غير قصد الشر والاضرار بالناس ولله في خلقهِ شؤون

وخلاصة المقال اننا نشكر حضرة الفاضل الذي الفتنا الى الخطإ في تاريخ الملك العادل اما كيفيةُ وقوع هذا الخطإ فمن انواع الذهول التي يحسن ان نفرد لها فصلاً نشرحها فيهِ شرحاً وافياً . ويظهر لنا ان ما نسب الى اسامة من اللؤم غير قرين الصحة لان اقوالهُ واقوال العماد الكاتب الذي لقيهُ تنافيهِ فاذا عثر احد القراء على ادلة قاطعة تؤيد ذلك او تنفيهِ فليتكرَّم علينا بها ولهُ الشكر

اسباب الاحتلال البريطاني

(٦)

تقدم في الجزء الماضي ان شريف باشا رضي بتأليف الوزارة وكان قبلاً يكره الاستعانة بالاوربيين لكنهُ رأى الآن ان لا بدّ للحكومة الخديوية من الابقاء على المراقبين الاوربيين لان المراقبة افادت في توطيد دعائم المالية فاجابهُ الخديوي الى ذلك وظهر كان وزارة شريف باشا قبضت على ازمة الحكومة ولكن عرابي كان قد نشر منشورًا في ٩ سبتمبر اكَّد فيهِ لقناصل الدول انهُ هو ورفاقهُ يحمون مصالح كل رعايا الدول المتحابة ووقَّعهُ هكذا احمد عرابي نائب الجيش المصري كأن كل السلطة في يدهِ ويد الجيش . ومن رأي السر تشارلس كوكسن والسر ادورد ملت ان عرابي ورفاقهُ كانوا يتظاهرون بالقوة خوفاً من بطش الخديوي بهم وان كل كلمة كانوا يقولونها وكل فعل كانوا يفعلونهُ يدل على انهم كانوا خائفين من ان يؤْخذوا على غرة ويُنتقم منهم . وقد صرَّح عرابي بذلك في منشور بعث بهِ الى وكلاء الدول وقال بعد ذلك انهُ سمع ان الحكومة صنعت ثلاثة اقفاص من الحديد لكي تضعهُ فيها هو ورفاقهُ وتغرقهم في النيل . ومن كان هذا اعتقادهُ لا يستغرب منهُ ان يستبسل في الدفاع عن نفسهِ . وكان الواجب ان يعامل هو ورفاقهُ بالصرامة او بالرأفة ولكن على اسلوب يقنعهم ان لا غدر في معاملتهم ولا عداء . وكان الواجب على الخديوي ان يعلم ان اقل اشارة يظهر منها انهُ قد يغدر بهم تحملهم على الاعتقاد انهُ عازم على ذلك فعلاً لان الناس لم يكونوا قد نسوا ما حلَّ باسمعيل باشا المفتش وغيرهِ من الذين أُخذوا غدرًا . وطالما حذَّر رياض باشا الخديوي من ان يقول كلمة او يشير اشارة تثير الظنون في نفوس اولئك الرجال . ولا يحتمل ان الخديوي كان يقصد الغدر بهم ولكن لا يبعد انهُ لو استطاع لجعلهم يرون غيظهُ منهم بطريقة من الطرق ولو كان قد عفا عنهم . وقد اشار عرابي في منشورهِ الى دسائس يوسف باشا كامل وابرهيم اغا توتنجي الخديوي وقال انهما يبذران بذور الشقاق ولذلك فالسبب الاكبر للتمرُّد الذي حدث في ٩ سبتمبر هو الخوف ولو كانت لهُ اسباب أُخرى في الاميال الوطنية والدسائس الخارجية

هذا هو التمرُّد الثالث وقد نال بهِ الجيش اكثر ممَّا نال في الاول فقوي ساعدهُ . فالتمرد الاول انتهى باسقاط نوبار باشا ولم يكن الخديوي يريد بقاءهُ . والثاني انتهى باسقاط عثمان

باشا عزمي ناظر الحربيَّة والثالث باجابة الجيش الى مطالبهِ التي طلبها بحد الحسام ولم يكتفِ باقل من تغيير الوزارة كلها فزالت هيبة الحكومة من صدور الجيش وفقد الخديوي كل سلطة وصار بقاء الوزارة متوقفاً على رغبة المتمردين

ورأى الباب العالي حينئذٍ انهُ قد حانت الفرصة لتعزيز سيادتهِ على القطر المصري وكان عرابي قد بعث اليهِ عريضة يقول فيها ان مصر وقعت في يد الاجانب واذا لم تتداركها الدولة العلية حلَّ بها ما حلَّ بتونس . وشاع حينئذٍ ان المراد اعطاء مصر حكومة نيابيَّة والسلطان يكره ذلك ثم شاع ان في النية انشاء مملكة عربية تضم القطر المصري والقطر الشامي ولذلك خطر للباب العالي ان يرسل جانباً من جيشهِ الى القطر المصري وأُعدت المعدَّات في اوائل سبتمبر سنة ١٨٨١ لارسال هذا الجيش وكانت فرنسا تكره ذلك وانكلترا لم تكن تودُّهُ الاَّ اذا اشتدَّت الحاجة اليهِ ولكنها لم ترَ مانعاً من ارسال قائد عثماني الى مصر ليساعد الخديوي اذا وافقت فرنسا اما فرنسا فلم توافق مخافة ان يأول ذلك الى ارسال جيش عثماني الى القطر المصري فاضطرت انكلترا ان توافقها واوعزت الى سفيرها لورد دفرن ان يقنع السلطان بالعدول عن هذا الرأي . ولكن كان لا بدَّ من وسيلة لتقوية سلطة الخديوي فارتأى جلالة السلطان ان يرسل علي فؤاد بك وعلي نظامي باشا لكي يقدما الى الخديوي سلام جلالتهِ ويساعداهُ في الرأي لكي لا تتعطَّل مصالح الدولة العلية في مصر والحجاز فأرسلا ووصلا الاسكندرية في ٦ اكتوبر . واستاءت الحكومة الفرنسوية من ذلك وأمر السر ادورد ملت والمسيو سينكفتس ان يقابلا المعتمدين العثمانيين بالاكرام ولكن يمنعا كل مداخلة منهما في شؤُون مصر الداخلية ورأَت دولتاهما ان لا بدَّ من ارسال مركبين حربيين الى الاسكندرية تطميناً للافكار فكان لذلك ضجة كبيرة في الاستانة وقيل فيها ان الغرض من ارسالهما اثارة الفتن في كل البلاد العربيَّة . ولم يكن الخديوي يعلم الغرض من ارسال المعتمدين العثمانيين وقال شريف باشا ان خير الامور تقصير مدة اقامتهما في القطر المصري وعرابي نفسهُ لم يكن يودُّ ان تتداخل تركيا في شؤُون مصر الداخلية لاسيما وان الغرض الاول من الثورة العسكرية هو التخلص من الضباط الاتراك ولذلك قال انهُ يرضخ للاوامر ويقوم بالايهِ الى السويس

واستعرض علي نظامي باشا الجيش في العاصمة وخاطب الضباط قائلاً ان الخديوي هو نائب السلطان ولذلك فمن يعصيهِ يعصي السلطان. والحت فرنسا وانكلترا برجوع هذين المعتمدين من القطر المصري وطلب الباب العالي ان يبرح المركبان الحربيان ايضاً ثغر

الاسكندرية ووقع الخلاف هل يبرح المركبان اولاً او المعتمدان اولاً وخاطب موزورس باشا سفير تركيا لورد غرانفل في ذلك فقال لهُ لورد غرانفل ان المركب الانكليزي برح مالطة ولا يصل الى الاسكندرية قبل ١٩ اكتوبر وهو يحسب ان المعتمدين يبرحان الاسكندرية قبل ذلك وأمر لورد دفرن ان يخبر السلطان ان المركبين يبرحان الاسكندرية في اليوم الذي يبرحها فيهِ المعتمدان

قال لورد كرومر انهُ اسهب في ذكر هذه الحادثة لانها تدل على حالة المسألة المصرية من حيث المداخلة الخارجيَّة فان مداخلة تركيا في شؤُون مصر لم تكن تسلم من الاعتراض وكذلك مداخلة انكلترا وفرنسا لم تكن تسلم من الاعتراض وكانت انكلترا ميالة الى التسليم بمداخلة تركيا ولكن اتفاقها مع فرنسا منعها من ذلك وكانت الحكومتان الانكليزية والفرنسوية تودان ان تعملا بالاتفاق التام الاَّ ان فرنسا كانت تكره ان يزيد نفوذ تركيا في مصر وتقاوم ذلك بكل قوتها وتقول انهُ اذا كان لا بد من ارسال جيش الى مصر فليكن انكليزيًّا وفرنسويًّا واما انكلترا فكانت تقول انهُ اذا كان لا بدَّ من ارسال جيش الى مصر فهي تفضل ان يكون عثمانيًا على ان يكون انكليزيًّا وفرنسويًّا ثم اضطرَّت ان تجاري فرنسا على رغبتها • وقد ذكر لورد كرومر ذلك آسفًا ولام حكومتهُ لانها لم تنظر الى ارسال المندوبين العثمانيين بعين الرضى تمهيدًا لتعزيز سلطة الجيش العثماني في حفظ النظام اذا دعت الحاجة اليهِ • وقال ان عمل الحكومة الانكليزية اضعف عزيمة السلطان واقنعهُ انها معادية لكل مداخلة عثمانية ولذلك صارت المداخلة الانكليزية فرضًا لازمًا عليها

هذا ونحن نلخص هذهِ السطور من كتاب لورد كرومر بعد اعادة القانون الاساسي الى البلاد العثمانية ويقيننا انهُ لو كان القانون الاساسي جاريًا حينئذٍ والحكومة العثمانية في يد مجلس نوابها جارية مجرى العدل كما ينتظر منها لطفئت الثورة العرابية في طرفة عين او لما اعترضت فرنسا اقل اعتراض على اخمادها بجيش عثماني او (وهو الارجح) لما حدثت ثورة ولكان العثمانيون والمصريون اخوة في السرَّاء والضراء وهذا الذي نرجوان يتم في القريب العاجل

وشواهد لورد كرومر وادلتهُ مقنعة على ان فرنسا هي التي اوجبت على الانكليز احتلال مصر وان الانكليز كانوا يفضلون ان تحتل البلاد جنود عثمانية ان كان لا بد من احتلالها بقوة عسكرية وهو مع ذلك يلوم الحكومة الانكليزية لانها انقادت لرأي فرنسا

ثم عاد الى سياق الحديث فقال ان السر ادورد ملت قال بُعيد ٩ سبتمبر ان الخديوي لم

يعد يثق بضباط جيشهِ ومن ثم تفهم الخطة التي جرى عليها بعد ذلك لانهُ صار يقول ان البلاد لا تستريح ما لم تكسر شوكة الجيش فزاد النفور بينهُ وبين الجيش والحزب الوطني

اما شريف باشا فرأى مداواة العلة بالسياسة وذلك بفصل الحزب الوطني عن الجيش وقال للسر ادورد ملت ان في عزمهِ جمع مجلس الاعيان وجعلهُ نائبًا حقيقيًا عن الامة فينزع من الجيش السلطة التي حازها اخيرًا ويصير الاعيان قوة نيابية في البلاد يعتمد عليها الخديوي وحكومتهُ في مقاومة مطالب الجيش · وصدر امر خدوي في ٨ اكتوبر بجمع مجلس الاعيان في ٢٣ دسمبر. واختصاصات هذا المجلس معينة في قانون اسمعيل باشا الذي صدر سنة ١٨٦٦ ولج عرابي في ان يوسع اختصاص هذا المجلس لكن شريف باشا لم يجبهُ الى طلبهِ فرضي وترك الامر في يد شريف باشا · الَّا ان الاعيان انفسهم كانوا يريدون ان يوسَّع اختصاصهم · والظاهر مما كتبهُ السر اكلند كولفن في هذا الموضوع انهُ هو لم يكن مخالفًا لذلك بل كان يحسب ان توسيع اختصاص مجلس الاعيان يعود بالفائدة على البلاد وقال انهُ كان عازمًا ان ينصح لشريف باشا ليفعل ذلك

اما عرابي فكان قد صار صاحب الامر والنهي ولما أُمر بالذهاب مع الايهِ خرج من العاصمة كانهُ ملك من الملوك وقوبل باحتفال عظيم في محطة سكة الحديد فخطب في الجيش وقال ما معناهُ — نرى امام مصر الآن عصرًا جديدًا من فضل القائمين بالاعمال الذين يجب ان نثق بهم تمام الثقة وقد جاءت ساعة النجاح والفلاح فلنعترف بالفضل لاعضاء الوزارة الحاضرة ولا سيما محمود باشا سامي ناظر الجهادية وارجو ان تفهموا مقدار الفخر المحفوظ لجيش منظَّم متحد يسعى الى غاية واحدة وهي مصلحة وطنهِ ففي ايديكم قوة واذا كنتم متحدين فلا شيء يقوى عليكم

ولما وصل الى الزقازيق وجد الف نفس في انتظارهِ جُمعوا للاحتفال بهِ فقابلوهُ بالتهليل والابتهاج فخطب فيهم حاثًّا على الاصلاح وناقمًا على الحكومة لاستخدامها الاوربيين في مصالحها وقال ان في العاصمة ثلاثة الايات مستعدة لعمل ما يأمرها بهِ

الَّا ان عرابي لم يكن يبدي هذا العداء للاوربيين في احاديثهِ السرية كما كان يبديهِ في خطبهِ العلنية فقد قابل السر اكلند كولفن في اول نوفمبر هو وعلي بك فهمي وطلبة بك عصمت فوصف عصر المماليك وقال ان العائلة الخديويَّة مثل المماليك في ظلم الوطنيين من اولاد العرب وان المصريين لا يأمنون على ارواحهم واموالهم فيسجنون وينفون ويخنقون ويرمون في النيل وتنهب اموالهم والعبد المعتوق اكثر حرية منهم واجهل رجل من الاتراك يفضَّل

على افضل رجل من المصريين وذكر حادثة اسمعيل باشا المفتش ثم جعل يبيّن كيف ان الناس كلهم من اصل واحد وانهم كلهم متساوون في الحقوق واسهب في الكلام وكان كلامهُ بسيطاً لا كلفة فيهِ ولا تصنُّع دليلاً على انهُ محض اعتقادهِ · ثم قال انهُ في اول فبراير انقضت سلطة الشراكسة في مصر وفي ٩ سبتمبر قام مقامها عصر العدل والقانون وهو والجيش معتمدون على العدل والقانون · ونفى ما يقال من انهُ يودُّ التخلص من الاوربيين سواء كانوا نزلاء او موظفين وقال انهُ لا بدَّ منهم لتعليم الشعب وانهُ هو ورفيقاهُ لم يدخلوا مدرسة ولكنهم تعلموا وتفقهوا من معاشرة الاوربيين وهو والجميع يشعرون بحاجتهم اليهم ولا يعترضون على استخدامهم في وظائف الحكومة بل ان كانت وظائف الحكومة تستدعي ان يزاد عددهم فيها فاهلاً وسهلاً بهم

وقال السر اكلند كولفن انهُ رأى في حديث عرابي هذا انهُ مخلص محب للمسالمة وهو شديد العزيمة ولكن رفيقيهِ اقدر منهُ على العمل ولو كان هو اقدر منهما على القول وهما يسكّنان ثائرهُ اذا بلغت منهُ الحدة مبلغاً يخشى منهُ

وحدث في تلك الاثناء حوادث كثيرة دلَّت على ان الجيش لم يعد يطيع اوامر رؤسائهِ وهاجت الافكار بما كان يكتب في الجرائد المحلية من مقالات التهييج والطعن على الاوربيين وكان لكلامها وقع في النفوس لان بعض ما كانت تقولهُ صحيح لا ريب فيهِ

وختمت سنة ١٨٨١ والخديوي مستاء ممَّا لقيهُ من الاهانة في ساحة عابدين يوم احاط بهِ الجيش بسلاحهِ ومنتظر فرصة لاسترجاع سطوتهِ وشريف باشا يحاول تسكين الخواطر بسياستهِ ولكنهُ عاجز عن كبح عناصر الاضطراب بعد اطلاق عنانها · وعرابي المتسلط الحقيقي في البلاد والجيش يحمي ظهرهُ فجُعل ناظراً للحربية في اوائل سنة ١٨٨٢ لكي يكون مع الحكومة لا عليها · والناس عموماً متذمرون من الحالة الحاضرة ولكن الاتفاق لم يكن تاماً بين الحزب الوطني والجيش · والجرائد المحلية تثير العواطف ضد الاوربيين · وزاد الضباط رفعةً في عيون الشعب حتى حسبوا ان الحول والطول في يدهم واختل نظام الجيش رويداً رويداً · واحدث اثنان من رجالهِ شغباً في اوائل نوفمبر فقبض البوليس عليهما فاتى رفاقهما وانقذوهما من قبضة الحكومة عنوةً · ثم عزمت الحكومة ان تغير امير الاي الطبجيَّة المقيم في القاهرة فلم يقبل رجالهُ بذلك وقالوا انهم لا يطيعون اوامر امير الاي آخر غيرهِ · وقد تغلبت الحكومة عليهم ولكن بعد ان اعطتهم مطالب اخرى · واظهر الجنود الذين في السويس شيئاً من التمرُّد · وهذه الامور وامثالها دلَّت على انهُ لم تبقَ قوة في مصر يمكن الاعتماد عليها (ستأتي البقية)

الطفل

اذا اهدى الالهُ لك البريَّهْ فان الطفل افضلها هديَّهْ
ملاكٌ صالحٌ بالنوم يقضي نهارًا مثلما يقضي العشيه
سمات الطهر قد رسمت سطورًا تترجمها أسرَّتهُ الجليه
اذا كان الخلائق مثل طفلٍ فان حياة دنيانا هنيه
لهُ مهد الدلال قد افترشنا لكي نحظى بطلعتهِ الرضيَّهْ
برأس بالوسادة ظلَّ مغرًى فبينهما دوام الجاذبيـه
تحفُّ بهِ الطهارةُ في سريرٍ تحيّيهِ ولا يدري التحيه
لشدَّ ما قاطهِ قد طاع امرًا وآدم قبلهُ نقض الوصيه
ويرضع ثديـي أمٍ باقتناعٍ وما طمع الفتى الاَّ بليه
يكفُّ لسانهُ عن قول سوءٍ لأنَّ لساننا شَرَكُ المنيه
ويلبس أذنهُ عن كل قولٍ فريٍّ في الشؤون العالميه
فكم من حولهِ تجري قضايا وليس بعالمٍ منها قضيه
فمن حضن الحنون الى سريرٍ تنقَّل جاريًا حسب المشيه
وليس بعارفٍ خيرًا وشرًّا تعرَّى او تردَّى السندسيه
رضاعٌ ثم نومٌ ثم ضحكٌ ترى فيها لبنيتهِ مزيه
نمت عضلاتهُ شيئًا فشيئًا نموَّ العقل في حالٍ خفيه
ومها أتعب الأبوين طفلٌ فذاك ألذُّ ما كسبا عطيه
ففيهِ لذة العيش المعلَّي بدنيا كَرُرت فيها الأذيه
لخدمتهِ الجميع قد استعدُّوا فأشبه حاكمًا وهمُ الرعيه
يحيط بمهدهِ الابوان شوقًا ونار الحبّ في الاحشا صليه
تمرُّ بهِ الحوادث بارداتٍ فتحييهِ حرارتها السنيَّه
ينام بملء عينٍ في أمانٍ وتحرسهُ العيونُ الوالديه
لذلك يطلبان لهُ نماءً وتوفيقًا بافكارٍ نقيه
تعاقُبُ ضحكهِ وبكاهُ رمزٌ لما يلقاهُ في الدنيا الدنيه

وتعديل الملامح فيهِ سرٌّ كأعضاه بخلقتهِ سويه
نضارة جسمهِ وبها المحيا ولين عظامهِ ورضى الطويه
سطيحٌ ليس فيهِ من حراكٍ سوى الأطراف في حال جريه
يجيل الطرف في ما قد تجلى حواليهِ بمقلتهِ النقيه
وكم شبكيَّةٌ العينين تبدو بها الاشباح وهو بلا رويه
يشير الى الرضاع بفتح فيهِ وميلة رأسهِ بقوى جليه
لهُ دردٌ بثغرٍ مستطابٍ بهِ القبلات قد أخذت مزيه
ضعيف العقل والجسم المفدَّى تخرُّ امامهُ الهمم القويه
تربيهِ الأميمةُ فهو ينشا على آثارها بقوى خفيه
فكم أمٍّ لهُ هزت سريرًا بيسراها وباليمنى البريه
وأخرى زادت الكون ارتباكاً بأولاد قد اقترفوا الخطيه
فمعقود بمنشإهِ رجاه يشبُّ بهِ بحالٍ معنويه
فيشبهُ حبةً نبتت بارضٍ علت أوراقها وهي الزكيه
فإما أنبتت للخلق دوحاً يظلهم من الشمس العليه
وإما أنبتت شجرًا صغيرًا بلا نفع بحكم الاغلبيه
ترابٌ والحرارةُ ثم مزنٌ بها تنمو النبات بذي البريه
كذلك حالة الطفل المفدَّى فاما غفلةٌ أو ألمعيه
مراقبةٌ ودرسٌ مع حديثٍ تنال بها قواهُ لوذعيه
ففكر الطفل مطويٌّ خفاه كمون حياة حبتنا النديه
بذاكرةٍ ورأيٍ واختراعٍ صواب مع خطاه في الرويه
وان نباتنا يفنى ولكن نفوس الناس طرًّا سرمديه
فتلزمهُ الوقاية باعتناء لهُ نفسٌ كأنوارٍ مضيه
تفاجئها العوارض مثل ريح فتطفئها بهبَّاتٍ قويه
ولكن الزجاجة ان أحاطت بها كانت بحالتها حفيه
فسبحان الذي أنشاهُ طفلاً ليغدوَ نائل الرتب العليه

زحلة عيسى اسكندر المعلوف

الوراثة

اساليبها العادية

الغالب في الحيوانات الدنيا ان تكون افراد النوع الواحد منها متماثلة في كل شيء حتى كأنها أُفرغت كلها في قالب واحد كما ترى في الذبان والبعوض والنحل والنمل اي ان الذكور تكون متماثلة والاناث متماثلة والخناث متماثلة جرماً وشكلاً ولوناً وهيئة · والذكر يشبهُ والدهُ والانثى والدتها والخنثى اخوالها او اعمامها الخناث . ولكن اذا دققنا النظر وجدنا بينها فروقاً واضحة حتى لا تجد ذكرين منها متماثلين تمام المماثلة ولا انثيين متماثلتين تماماً· وقد يجري ذلك على الحيوانات العليا فالغنم التي تراها في قطيع واحد تجدها متماثلة الخرفان حتى لا ترى فرقاً ظاهرًا بين خروف وآخر منها لكن راعيها يرى فرقاً كبيرًا بينها ولا يلتبس عليهِ واحد بآخر· وقس على ذلك الطيور والارانب والفيران وما اشبه من الحيوانات التي تكون آجالاً او زرافات· بل اذا نظرت الى قوم لا تعرفهم كجماعة من السودانيين فانك تراهم كلهم متماثلين ولعلهم هم ايضاً يرون البيض متماثلين اذا نظروهم اول مرَّة · ولا يخفى ان الفرق كبير بين كل فرد منهم وآخر· واذا كانت افراد النوع الواحد من الحيوان والنبات متشابهة فافراد نسلها متشابهة ايضاً كل عقب منها يشبه سلفهُ وكل ولد يشبه والديهِ

ولكن التشابه بين الوالدين والاولاد غير قياسي فان ابن الطويل القامة لا يكون طويلاً دائماً وابن القصير لا يكون قصيرًا دائماً · والاختلاف بين الوالدين ونسلها امر مقرر كالتشابه بين الوالدين ونسلها كأنَّ احوال المماثلة واحوال المخالفة مجموعة في الجراثيم الاصليَّة التي يتكون الجنين منها والوراثة تنقل هذهِ كما تنقل تلك من الوالدين الى نسلها

والمماثلة والمخالفة صفتان قائمتان معاً في الجراثيم الاصلية وصفة المماثلة التي تحفظ بها مقومات النوع تبقى في النوع غير متغيرة او لا تتغير في ازمان قصيرة فالصفات المقومة لنوع الانسان ثابتة فيهِ والصفات المقومة لنوع الفرس ثابتة فيهِ وهلمَّ جرًّا الّا ان ذلك لا ينفي انها قد تتغير على مرور الزمن رويدًا رويدًا او دفعة واحدة كما ابنا في مذهب ده فريس والتحول الفجائي

وقد تتناول المماثلة صفات عرضية طارئة كالمَنَش وهو وجود ست اصابع في اليد الواحدة فانهُ قد ينتقل بالوراثة في اعقاب كثيرة· والعَسَر وهو استعمال اليد اليسرى فانهُ قد ينتقل في

اربعة اعقاب وقس على ذلك الاستعداد لبعض الامراض كداء المفاصل وداء النقرس وداء الاستسقاء فانها قد تتوارث وتظهر في النسل ولو تغيرت طرق المعيشة . وما يقال عن الخصائص الجسدية يقال ايضاً عن الخصائص العقلية اي انها تنتقل بالوراثة ولكنها ليست ازلية ولا ابدية بل كان وقت لم تكن فيهِ وسيأتي وقت تزول فيهِ . والغالب انها تظهر فجأة كما ظهرت تنوعات القطن العباسي والعفيفي في القطر المصري وقد تزول فجأة كما ظهرت

وظهور الاختلاف في ما يتولد من النوع الواحد ليس اغرب من بقاء ذلك النوع على حال واحدة لان الدقائق الاصلية التي يتكوَّن منها الجنين كثيرة فاذا اتاهُ اربع دقائق من والدهِ واربع من والدتهِ ودخلت في الجرثومة الاصلية التي يتكوَّن منها وتركبت منها تراكيب رباعية الدقائق كان منها ١٦ تركيباً. مثالهُ لنفرض ان دقائق الاب هي ا ب ج د. ودقائق الام هي اَ بَ جَ دَ. فيتركب منها التراكيب الرباعية التالية

ا اَ ب جَ . ا بَ جَ دَ . ب اَ ب جَ . ب بَ جَ دَ . ج اَ بَ جَ . ج بَ جَ دَ . د اَ بَ جَ . د بَ جَ دَ . ا اَ ب ج . اَ ب ج د . ب اَ ب ج . بَ ب ج د . جَ ا ب ج . جَ ب ج د . دَ ا ب ج . دَ ب ج د . واذا تركبت هذه التراكيب الستة عشر على كل صورة ممكنة كان منها ٢٥٦ صورة . واذا كان عدد الدقائق الاصلية ١٢ فيكون مجموع الصور كلها ٦٥٥٣٦ صورة. واذا كان عدد الدقائق الاصلية ٢٤ فيكون مجموع الصور ١٦٧٧٧٢١٦ اي نحو سبعة عشر مليوناً . فوجود التشابه بين افراد النوع الواحد اغرب جدًّا من وجود التخالف . ولكن التشابه في مقوّمات النوع هو القياس ولولا ذلك ما صحَّ قول الكتاب الذي يزرعهُ الانسان فاياهُ يحصد وقول القائل

افعال من تلد الكرام كريمة وفعال من تلد الاعاجم اعجمُ

وهو يريد بالاعاجم اللئام . ثم ان الخصائص التي لا تظهر في الولد قد تظهر في ولدهِ فكأن المماثلة كانت موجودة فيهِ بالقوة ولو لم تظهر بالفعل لوجود شيء آخر عدَّلها او ابطل فعلها او غطاها او اسكتها ثم تظهر في ولدهِ لان ذلك الشيء لم ينتقل اليهِ معها . واذا كانت الخاصة موروثة من جانب الاب فقد يرث الولد معها خاصة من جانب امهِ تبطل فعلها ثم يتزوج امرأة ليس فيها تلك الخاصة الموروثة من امهِ او فيها ما يخالفها ويماثل الخاصة الموروثة من ابيهِ فتقوى وتظهر في ولدهِ . لنفرض ان رجلاً اسمر تزوَّج امرأة بيضاء فولدت لهُ ولداً لم تظهر السمرة فيهِ ظهوراً واضحاً لانهُ ورث ايضاً شيئاً من بياض امهِ ثم تزوج هذا الولد امرأة سمراء فلا يبعد ان يولد لهُ ولد شديد السمرة لان الدقائق السمراء الموروثة اصلاً من جدهِ

تكون قد تقوّت بالدقائق السمراء الموروثة من امهِ. وقد قسمت الوراثة من هذا القبيل الى ثلاثة اشكال ممتزجة ومتغلبة وجزئية

﴿الوراثة الممتزجة﴾ يراد بالوراثة الممتزجة ظهور صفات الوالد والوالدة ممتزجتين في نسلها . فلون الشعر قد يكون في النسل متوسط ما هو في الاب والام فاذا كان الاب اسود الشعر والام شقراء يكون لون شعر الولد في الغالب متوسطاً بين لون شعر الاب ولون شعر الام اي ممتزجاً من لونيهما واذا كان الولد ساكناً ظهرت على وجههِ ملامح ابيهِ واذا تهيج ظهرت عليهِ ملامح امهِ لانهُ جامع بينهما. وكثيرًا ما تتغلب صفات احد الوالدين على الآخر فاذا زاد هذا التغلب ادى الى الشكل الثاني من الوراثة وهو

﴿الوراثة المتغلبة﴾ اذا تغلبت صفة في احد الوالدين على ما يماثلها في الآخر فظهرت وحدها في الولد او اذا ضعفت صفة في احد الوالدين حتى لم تظهر في الولد قيل ان الوراثة متغلبة وتسمى ايضاً مفردة ومستقلة وهي غالبة في المزايا الشخصية . والغالب ان الولد يرث بعض مزاياهُ من ابيهِ وبعضها من امهِ ويقال انهُ يرث قوامهُ من ابيهِ ومزاجهُ من امهِ . والاقوال التي من هذا القبيل كثيرة ويدخل تحتها قول الشاعر العربي

لا تخطبنَّ سوى كريمة معشر فالعرق دسَّاس من الطرفينِ
أوَ ما نظرت الى النتيجة انها تبعُ الاخس من المقدمتين

يريد ان الولد يرث من امهِ اكثر مما يرث من ابيهِ ولو في اخلاقهِ ولكن ذلك ليس قياساً يعوَّل عليهِ

والذين يعتنون بتربية المواشي وتأصيلها يعتقدون ان الشكل والقوام من الاب والاخلاق والاعضاء الداخلية من الام ولكن البحث الدقيق لم يؤيد ذلك . وقال بفون ان البغل يشبه اباهُ اكثر مما يشبه امهُ والنغل (ابوهُ حصان وامهُ اتان) يشبه اباهُ اكثر مما يشبه امهُ . والمألوف ان البغل كبير القد كالفرس امهِ والنغل صغير القد كالاتان امهِ اما في الشكل الظاهر فكلاهما يشبه الحمار اكثر مما يشبه الفرس

ويقول البعض ان الابن سرُّ ابيهِ والابنة كامها ويقول غيرهم ان ثلثي الولد للخال ويقول آخرون غير ذلك . والحقيقة ان الخصائص المتغلبة في الاب تنتقل الى اولادهِ . والخصائص المتغلبة في الام تنتقل الى اولادها. واذا تضاربت الخصائص المتغلبة في الوالدين فلا يعلم لماذا تتغلب خصائص الاب مرةً وخصائص الام اخرى فقد تزوج زنجي امرأة بيضاء في برلين فولد لهُ منها سبع بنات خلاسيات كلهن واربعة ابناء بيض كلهم . وقد يولد الصبي

شبيهًا بامهِ والابنة شبيهة بابيها ثم متى كبرا انقلبت الحال فصار الصبي شبيهًا بابيهِ والابنة شبيهة بامها . وقد لا تكون المشابهة بالوالدين ظاهرة في الصغر ثم تظهر جليًا في الكبر

ذكر ده كاترفاج في كتابهِ المقدمة لدرس طوائف الناس ان المسيو لبله جفروى كان ابوهُ فرنسويًا وامهُ زنجيَّة فورث صفاتهِ الجسميَّة من امهِ وقواهُ العقلية والادبيَّة من ابيهِ . ومن رأي هكسلي ان اكثر ما فيهِ (اي في هكسلي) موروث من امهِ لا من ابيهِ . ومن رأي سبنسر ان اكثر ما فيهِ من ابيهِ وانهُ لم يرث من امهِ الا بعض صفاتهِ البدنية واما اخلاقهُ وقواهُ العقلية فمن ابيهِ . وقيل في ترجمتهِ انهُ ورث من ابيهِ ضعف العصبي واما قوة احشائهِ فمن امهِ

ويظهر لنا ان الصفات التي يتكرر ظهورها في اسلاف احد الوالدين حتى ترسخ فيهم وتضعف الدقائق او الاميال المخالفة لها او تزول تتغلب على الصفات المقابلة لها في الوالد الآخر واذا اتفق ان الصفات المتقابلة كانت قوية في الوالدين على حدّ سوى فالتي يتفق أن توجد منها الدقائق الاكثر في البيضة وقت تلقيحها تتغلّب في الجنين المتولد منها مثال ذلك ان البياض في الرجل الالماني صفة قديمة ثابتة لا يظهر في نسلهِ غيرها والسواد في الزنجيَّة صفة قديمة ثابتة لا يظهر في نسلها غيرها . والبيضة التي يتكوّن منها الجنين تدخلها دقائق من جسم الاب ويكون فيها دقائق من الام فيخرج بعضها حين دخول الدقائق الآتية من الاب فاذا اتفق ان الدقائق الآتية من الاب كان فيها كثير من الدقائق التي يتوقف عليها بياض البشرة وشقرة الشعر والدقائق الباقية في البيضة كان فيها قليل من الدقائق التي يتوقف عليها سواد البشرة وفلفلة الشعر فالولد المتولد من ذلك يكون ابيض الجسم اشقر الشعر. واذا اتفق ان الدقائق الآتية من الاب كان فيها قليل من الدقائق التي يكوّن منها بياض الجسم ولون الشعر والباقية في البيضة كان فيها كثير من الدقائق المكونة لسواد الجلد والشعر فالولد المتولد من ذلك يكون اسود الجسم والشعر . واذا تساوت الدقائق من الطرفين اتى الولد مزيجًا منهما في لون بشرتهِ وشعرهِ او مائلًا الى هذه الجهة او تلك حسب كثرة الدقائق وقلتها

﴿ الوراثة الجزئية ﴾ اذا ظهرت في النسل بعض خصائص الاب وبعض خصائص الام غير ممتزجة بل مجتمعة اجتماعًا قيل ان الوراثة جزئية فقد يولد مهر من حصان ادهم وحجر زرقاء فيكون بعض شعرهِ اسود وبعضهُ ابيض وقد يولد الحيوان واحدى عينيهِ مثل عيني ابيهِ والاخرى مثل عيني امهِ واذا كان اقرن فقد يكون احد قرنيهِ مثل قرني ابيهِ والآخر مثل قرني امهِ

وخلاصة المقال انهُ اذا كان الفرق كبيرًا واضحًا بين الوالدين وكان احدهما اقوى من الآخر جاء النسل مشابهًا لهُ فاذا كان الحصان اصيلًا والفرس برذونة (كديشة) ولدت منهُ

مهراً اصيلاً واذا كانت الفرس فتيَّةً والحصان كبير السن ضعيفاً كان نسلها مثلها لامثلهُ واما اذا كانا متماثلين او كان الفرق بينهما قليلاً جاءت الخصائص ممتزجة في واحد من نسلهما ومتغلبة في ثانٍ وجزئية في ثالث

ومن الامور المقررة التي يبنى عليها تفسير ما تقدَّم من ظواهر الوراثة انهُ اذا كان الاب كبير السن والام صغيرة السن فالاولاد الاوَّل يأتون مشابهين لابيهم والذين بعدهم يأتون مشابهين لامهم · واذا حملت ظبية بعد الغلمة باسبوع او عشرة ايام جاء خشفها مثلها تماماً اي ان الولد يماثل صاحب الجرثومة الاقوى او الابلغ من والديهِ

ويستخلص مما تقدم انهُ اذا كان الوالدان مختلفين نوعاً كالحمار والفرس او تبايناً كالابيض والزنجي او فصيلة كالبرذون والعراب من الخيل فنسلهما يجري غالباً على اسلوب من الاساليب الخمسة التالية

الاول ان تكون صفاتهُ مكونة من صفات ابيهِ وصفات امهِ اما ممتزجة معاً او تتغلب فيهِ صفات احد الوالدين على الآخر او تتغلب صفات ابيهِ من بعض الجهات وصفات امهِ من جهات اخرى ويصدق ذلك على النبات كما يصدق على الحيوان

الثاني ان تكون صفاتهُ مثل صفات ابيهِ فقط او مثل صفات امهِ فقط ولو حسب الظاهر واذا ظهرت فيهِ صفات ابيهِ فقد تكون الصفات الموروثة من امهِ موجودة فيهِ بالقوة ولو لم تظهر بالفعل وكذا اذا ظهرت فيهِ صفات امهِ فقد تكون الصفات الموروثة من ابيهِ موجودة فيهِ بالقوة · ثم ان الصفات الموجودة بالقوة تظهر في النسل التالي

الثالث اذا كمنت صفة من الصفات في النسل بتغلُّب صفة اخرى عليها او اذا شابه الولد احد والديهِ فقط دون الآخر وكانا مختلفين فالصفات الاخرى تبقى فيهِ كامنة ولا تظهر الاَّ الصفات المتغلبة ثم اذا تزوجت افراد النسل التي فيها الصفات الكامنة ظهرت في نسلها فجاء مثل والديها الاولين حسب ناموس مندل الذي وصفناهُ في الجزء الماضي ويكون ظهور الصفات وتغلُّبها وكمونها جارياً على نسبة حسابيَّة معلومة

الرابع ان النسل قد يكون اشبه بجدهِ او احد اسلافهِ منهُ باحد والديهِ حتى لقد ظهر من تضريب انواع الحمام طيور تشبه اليمام البري تمام المشابهة ومن تضريب الدجاج طيور تشبه الدجاج البري

الخامس ان النسل قد يأتي مخالفاً لوالديهِ كليهما تمام المخالفة حتى لقد عدهُ بعضهم نوعاً جديداً وهو المعروف بالتحوُّل الفجائي الذي شرحناهُ في المجلد الثلاثين من المقتطف

الصحافة الهندية

في البلاد الانكليزية امير هندي اسمهُ متّرا وهو من الكتّاب المعدودين باللغة الانكليزيّة كما انهُ من كبار الكتّاب بلغتهِ . وقد قرأنا لهُ الآن مقالة في مجلّة القرن التاسع عشر الانكليزية عن الصحافة الهندية ذكر فيها منشأها والاطوار التي تقلّبت عليها . ومما قالهُ في منشإها ان ملوك الهند كانوا يعوّلون على اخبار عمالهم التي كانت ترسل اليهم بالاضطراد من بلاد الهند نفسها ومن البلدان الاجنبيّة . ثم لما استولى المغول على البلاد نظموا ديوانًا خاصًّا بجمع الاخبار وتدوينها وكان في كل ولاية مدوّن للاخبار وقد جرى الانكليز مجراهم عند اول دخولهم البلاد . وادخل البرتغاليون الطباعة الى غوى من بلاد الهند في القرن السادس عشر وكان في بمباي مطبعة سنة ١٦٧٤ وفي مدراس مطبعة سنة ١٧٧٢ وانشأت الحكومة مطبعة في كلكتا سنة ١٧٧٩ وأُنشئت فيها اول جريدة انكليزيّة سنة ١٧٨٠

واسهب الكاتب في وصف الجرائد الانكليزية في بلاد الهند . والظاهر انها كانت دائمًا ناقمة على الحكومة تقوم بالطعن على رجالها حتى ضاقت الحكومة بها ذرعًا وسنّت لها القوانين الصارمة ثم الغتها ثم اعادتها ثم الغتها . ولا نرى فائدة من مجاراتهِ في تتبُّع تاريخ الصحافة الهنديّة الانكليزيّة فنجتزي بما ذكر ونتقدم الى تلخيص ما قالهُ عن الصحافة الهندية بالذات اي عن الصحف التي نشرت بلغات الهنود انفسهم

قال الكاتب ان مجلس المديرين في بلاد الهند ارتأى سنة ١٧٩٨ ان يعضد نشر المعارف باللغات الهندية فاهتمّ المرسلون اولاً بانشاء جريدة هندية بلغة بنغالا ولم تكن الحكومة راضية عن جرائد الانكليز ولا عن المجلات فخافت ان تكون الجرائد الهندية مثلها او اشد منها وطأة عليها ولكنها سمحت لهم سنة ١٨١٨ بانشاء مجلة باللغة البنغالية مشترطة ان تكون خالية من الاخبار السياسية ولا سيما ما يتعلق منها بالبلدان الشرقية وان تقتصر على المقالات العلمية واخبار الاكتشافات والاختراعات وقليل من الحوادث المحلية حتى يرغب الاهلون في مطالعتها . وكانت شهرية فظهر اول عدد منها في ابريل سنة ١٨١٨ اي منذ تسعين سنة فقوبلت بالاستحسان التام ولما رأى منشئاها ذلك وهما من المرسلين قويت عزيمتهما وانشئا جريدة اسبوعية اصدرا اول عدد منها في ٢٣ مايو من تلك السنة واسمها سمخار دربان وكان المظنون انها اول جريدة بنغالية ولكن ثبت حديثًا ان جريدة اسمها بنغال غازت انشئت سنة ١٨١٦ باللغة البنغالية وعاشت اقل من سنة

وراق منهج السمخار لولاة الامور فاذن حاكم الهند في ان ينقلها البريد بربع الاجرة المعتادة . وكانت المراقبة شديدة على الجرائد ولكن المرسلين الدينيين ابعد الناس عن التحامل على الحكام وعن نشر الاراجيف والاخبار التي تشوش الاذهان فاشتركت الحكومة بمئة نسخة من جريدتهم وزعتها على دواوينها وساعدتها على نشر ترجمة منها باللغة الفارسيَّة وكانت الفارسيَّة لغة البلاط في بنغالا

واول جريدة وطنية في بمباي انشئت سنة ١٨٢٢ واسمها بمباي سمخار وكانت اسبوعيَّة ثم صارت يومية سنة ١٨٦٠ ولم تكد تنشر حتى جعلت تنتقد اعمال الحكومة وتنشر عنها الاكاذيب وتقلب الحقائق وتحث الناس على العصيان والكره لرجال الحكومة . ونشرت جريدتان وطنيتان قبيل الثورة المشهورة مقالات حرَّضت فيها الوطنيين من الهنود والمسلمين على قتل كل الاوربيين فامرت الحكومة رجال القضاء ان يحاكموا اصحابهما وطابعيهما وعزمت ان تراقب الجرائد مراقبة دقيقة ولو الى حين وان تلغي ماينشر مقالات تدعو الى الثورة . فوضع قانون المطبوعات سنة ١٨٥٧ وكان في صرامته كالقوانين السابقة التي الغيت سنة ١٨٣٥ وهو يمنع انشاء المطابع بغير رخصة من الحكومة ويمنع ايضاً نشر الكتب والجرائد التي فيها شيء يدعو الى تشويش الاذهان والإخلال بالامن العام او الى احتقار الحكومة او جعل الناس يكرهونها او يعصون اوامرها او الى احتقار سلطتها الشرعية

وشمل هذا القانون الجرائد الانكليزية كما شمل الجرائد الهنديَّة فشكا الانكليز المقيمون في الهند منهُ وطلبوا ان لا تعامل الجرائد الانكليزيَّة معاملة الجرائد الهندية لكن حاكم الهند رفض طلبهم وقال ان الجرائد كلها على حدٍ سوى لدى القانون وليس من العدل ان يميز بعضها على بعض

ولما كان لورد لورنس حاكماً على الهند بين سنة ١٨٦٤ و١٨٦٩ رأى ان لا بد للحكومة الهندية من ان تنشئ جريدة تكون لسان حالها وتصلح ما ترتكبهُ صحف الاخبار من الخطإِ والخطل فلم يجب طلبهُ . وقد رأى من ذلك الحين ان الرأي العام في بلاد الهند تحركهُ الجرائد فهي التي تقود الافكار وتصوّر للناس الامور كما تشاء وينتقل تأثيرها الى بلاد الانكليز فتتحكم بالرأي العام الانكليزي كما تحكم بالرأي العام الهندي وضرر الجرائد الانكليزيَّة اشد من ضرر الجرائد الهندية لان انتقاداتها في الغالب مطاعن لا اساس لها فتنقلها عنها الجرائد الهندية وتردّد صداها كأنها حقائق مقررة . وقد ابت حكومة الهند ان تنشئ جريدة تخصها باخبارها لئلاَّ تغار منها الجرائد الاخرى فتزيد جرأة على الحكومة وتجريحاً لاعمالها غيظاً منها

وتعززت الجرائد الهندية والانكليزية بين سنة ١٨٥٨ و ١٨٧٨ وزاد تأثيرها خيرًا وشرًّا وبلغ عدد الهندية منها ٢٥٤ والانكليزية ١٥٥ والتي تطبع بالانكليزية ولغة هندية ٦٩ ولم ترد الحكومة ان تقيدها بقانون صارم لانها كانت تعلم فائدة انتقادها وان الموظفين يخشون سطوتها اكثر مما يخشون اي شيء آخر ولكنها ارادت ان تتلافى شرها او تمنعها عن الاضرار بالناس فسنّت قانونًا قالت فيهِ ان كل من يحاول جعل الناس يكرهون الحكومة بكلام يقولهُ او يكتبهُ بقصد ان يُقرأ او بعلامات او باية طريقة اخرى فجزاؤهُ النفي من بلاد الهند مدى الحياة او الى مدة او السجن مدة اكثرها ثلاث سنوات او الغرامة وقد تضاف الغرامة الى النفي والى السجن . واخرجت من ذلك انتقاد الحكومة الذي لا يراد بهِ الخروج عن طاعتها المشروعة بل تعزيز سلطتها وسطوتها . وسنّت قانونًا آخر لعقاب كل من ينشر خبرًا كاذبًا او اشاعة كاذبة وغرضهُ حمل احد من الضباط او الجنود او البحارة على التمرُّد او تخويف الجمهور وحمل احد الناس على ارتكاب امر ضد الحكومة او ضد الامن العام

والظاهر ان تغيير الولاة كان يضعف التدقيق في مراقبة الجرائد فتطرَّفت الجرائد الوطنيَّة في شدَّة لهجتها سنة ١٨٧٨ لما كان لورد لتن حكمدارًا ولم تقصر طعنها على رجال الحكومة بل تناولت نفس الحكومة الانكليزية في بلاد الهند فدعت الحال الى معاملتها بالشدة وأُمر الولاة ان يطلبوا من كل صاحب جريدة ان يتعهد بانهُ لا ينشر في جريدتهِ شيئًا يكرّه الناس بالحكومة او يلقي النفور بين طوائف الناس ولا ان ينشر شيئًا بقصد النصب على احد واذا نشرت جريدة شيئًا من ذلك انذرتها الحكومة اولاً في جريدتها الرسمية فاذا لم ترتدع جاز لها ان تحجز المطبعة التي تطبع فيها الجريدة وكل ادواتها واذا كان صاحبها قد وضع تأمينًا ضبطتهُ الحكومة . وعلى كل صاحب جريدة إما ان يضع تأمينًا كافيًا واما ان يعرض كل نسخة من جريدتهِ لمراقب المطبوعات قبل نشرها ولا ينشر الاَّ ما يجيز المراقب نشرهُ

والغى لورد ربن هذا القانون سنة ١٨٨٢ وظلت الجرائد الوطنية تطعن على الحكومة والحكومة معرضة عنها الى سنة ١٨٩١ فحاكمت حينئذٍ صاحب جريدة ومحررها ومديرها . ولكن المحلفين لم يجمعوا على الحكم عليهم فابى القاضي معاقبتهم واظهروا هم ندامتهم على ما فرط منهم وطلبوا من الحكومة ان تعاملهم بالحلم فابطلت محاكمتهم . وسنة ١٨٩٧ حوكم صحافي آخر لانهُ حاول تكريه الناس بالحكومة فحكم عليهِ بالسجن سنة ونصف سنة

وقد سنَّت حكومة الهند هذا العام قانونًا لمعاقبة الذين يحرضون الناس على القتل والثورة والمكايد الجهنميَّة . ويظن الكاتب ان هذا القانون والقانون السابق الذي يعاقب من

يحرض على عصيان الحكومة وكراهتها ونزع هيبتها يكفيان لكبح جماح الضار منها هندية كانت او انكليزية . انتهى

هذا وقد كنا نرى في ما يأتينا من الجرائد الهندية العربيَّة مقالات ونبذًا لا يقصد بها الاَّ تكريه الناس بالحكومة الانكليزية وتحريضهم عليها وآخر ما رأيناهُ فيها من هذا القبيل كلام على قانون المطبوعات الجديد ووصفها للحكم على الذين القوا القنابل " بالحكم المستبد " مع اعترافها قبيل ذلك بانهم "جناة" وانهم " اعترفوا بما جنت ايديهم ظانين انهم ارتكبوا فعلةً حسنة في سبيل الحرية " واعترافها ايضاً انهُ اعتني بهم وهم في السجن فزاد وزنهم عما كان عليهِ الاَّ انها نسبت ذلك الى شهامتهم ونشاطهم كأن الشهامة تزيد اللحم في البدن . ولم نكن نرى في تلك الجرائد غير العداء للانكليز في ما تكتبهُ وفي ما تنقلهُ عن الجرائد المصرية وفصول التسبيح والتمهيد للظالمين المستبدين من الحكام العثمانيين الذين افتضح امرهم الآن والظاهر ان منهاجها تغير بعد قانون المطبوعات

فان كانت الحكومة الانكليزية في بلاد الهند جارية على غير جادة العدل والانصاف فلا اسهل من انتقاد اعمالها وتنبيهها الى خطإِها بروح الحب والمسالمة . وليس في الدنيا قوم اشد من الانكليز خوفاً من انتقاد الجرائد اذا كان في محلهِ . واذا كانت الامم الهندية قد عقدت النية على اخراج الانكليز من بلادها ورأَت في ذلك مصلحتها فالسبيل اليهِ ان تتعلَّم وتتقوى رويدًا رويدًا حتى يرى الانكليز ان البلاد صارت مستغنية عنهم وان لا قبَل لهم بالتسلُّط على اقوام اقوى منهم

ومن الغريب ان كل الحكومات المتمدنة لا تجيز لطبيب ان يطبب الابدان ما لم يتعلم علم الطب على اربابهِ ويأْخذ شهادة منهم تثبت كفاءتهُ للتطبيب ولا تجيز لمحامٍ ان يحامي عن الناس امام المحاكم ما لم يتعلم العلوم القانونية في مدرسة من مدارس الحقوق وينال شهادة تثبت ذلك ثم يثبت كفاءتهُ بالامتحان اما الصحافة وعليها يتوقف ارشاد الجمهور او تضليلهُ ومعيشة الناس بعضهم مع بعض بالحب والمسالمة او قيامهم بعضهم على بعض بالبغض والمخاصمة فلا تهتم بعلم الذين يتولون امرها وكفاءتهم . واذا ارادت ان تعمل ما يجب عليها من هذا القبيل فلا اقلَّ من ان تنشئ مدرسة للصحافة ولا تجيز معاطاتها الاَّ للذين يتخرجون من تلك المدرسة او يثبتون كفاءتهم العلميَّة والادبيَّة ولا تجيز نشر جريدة ما لم تأْخذ من صاحبها ضمانة مالية كبيرة حتى اذا حاكمتهُ لذنب ارتكبهُ بجريدتهِ يكون عندها الغرامة الكافية والاَّ فقد يكون ضرر الصحافة اكثر من نفعها

الاحياء في المريخ

قرأت للعالم المحقق الدكتور هنكن رسالة في هذا الموضوع نشرت في مجلة نا تشر في العدد الذي صدر في ٧ مايو (لا مارس كما طبعت في ردي خطأ) فرأيت ان الخصها لقراء المقتطف · والدكتور هنكن E. H. Hankin M. A.. Sc. D. من علماء الانكليز المشهورين المعوَّل عليهم في بلاد الهند وقد تخرَّج في معمل كوخ ببرلين ومعمل باستور بباريس بعد ان درس الطب في لندن وكمبردج ونال جائزة هارفي في الفسيولوجيا وله أكثر من اربعين مقالة علمية في اشهر الجرائد الطبيَّة والعلميَّة والادبيَّة · قال في الرسالة المشار اليها

اذا كانت ترع المريخ صناعية صنعتها كائنات عاقلة فيصعب علينا ان نصدق ان تلك الكائنات ليس عندها آلات للبناء والمساحة وان آلاتها ليس منها شيءٌ مصنوعاً من المعادن واذا كانت مصنوعة من المعدن فيصعب علينا ان نصدّق ان صانعيها لا يستعملون النار · ومن المظنون ان الناس اكتشفوا النار اولاً بالفرك ولكن يبعد عن الظن ان تكتشف النار بالفرك حيث ضغط الجلد لا يزيد على اربع عقد من الزيبق (اي نحو سبع ما هو على الارض) وحيث الجو خالٍ من البروق والصواعق كما يظنُّ

ثم ان الاحياء التي وجدت على الارض كان اكثرها خالياً من العقل او قليل القوة العقلية هذا هو القياس ووجود القوى العقلية السامية شاذٌّ عن هذا القياس ولم يحدث الاَّ في برهة وجيزة جدّاً من تاريخ الاحياء الارضية

فاذا قيل لنا ان الحياة موجودة في المريخ لا نكون قد عرفنا شيئاً عنها بل ان وجود ادلة الحياة لا يستلزم وجود انواع كثيرة من الاحياء اذ يحتمل ان تكون احياء المريخ كلها نوعاً واحدًا من النبات الكبير الذي تمتد فروعه وتكتنف ذلك السيَّار كاذرع الاخطبوط فتمتص المياه من الثلوج القطبية حال ذوبانها وتظهر لنا ممتدة كالترع · وقد استنتج لول من استقامة هذه الترع انها صناعية وان كائنات حيَّة حفرتها ولكن استقامتها ليست اكثر من استقامة نتوات بعض الحيوانات الشمسية (Heliozoa) والشعاعية Radiolaria · وليس في طبيعة الاحياء ما ينافي ذلك كما يظهر من الالتفات الى الاحوال التي رافقت اصل الحياة على الارض او على المريخ فانهُ لا يُعقل ان الحياة تولدت بالصدفة من التقاء جواهر العناصر التي تتألف منها الاجسام الحيَّة الآن ولا بدَّ من وجود مركبات آلية قبل ذلك

كحلقات موصلة بين الاجسام الحيَّة وغير الحيَّة . وقد تُعلم حقيقة هذه الحلقات من البحث الجاري الآن عن تثبيت نيتروجين الهواء . ولعلَّ الدرجات الاولى في نشوء الاجسام الحيَّة كانت من نوع المركبات النيتروجية التي تنتشر في الماء وليس في الماء الآن شيء منها لانها لو وجدت لاكلتها الميكروبات . ثم زادت تلك الاجسام حجماً حتى صارت كالغراء الذائب في الماء كلهِ وكانت معرَّضة للتأكسد البطيء وهو اصل التنفس . ولا شيء يمنع ان تكون الاحياء قد تولدت اصلاً على هذه الصورة وكان من الممكن ان يتسع نطاقها رويداً رويداً حتى تنتشر في بحار الارض كلها كالزبد على وجه الماء الاَّ اذا وجدت قوة خارجية تمنع ذلك كما ان بلورات الجليد التي يتكوَّن الثلج منها لا تكبر الى ما لا نهاية لهُ لوجود قوى خارجة عنها تمنعها عن ذلك بل تبلغ حدًّا معلوماً وتقف عندهُ . وعلى هذا النمط تكوَّنت الاحياء على الارض في نقط متفرقة ولم تتكوَّن حيًّا واحداً متصلاً ولعل سبب تفرُّقها المد والجزر والامواج واما في المريخ فلا شيء من ذلك يمنع تكوُّنها هناك جسماً واحداً متصلاً كما يتكوَّن الصقيع على وجه الارض

فيمكن والحالة هذه ان يتولَّد على سطح المريخ حيٌّ واحد نباتي ينتشر على سطحهِ انتشار الجليد على وجه الماء واذا تولدت فيهِ اجزاء غير صالحة للمكان الذي هي فيهِ هلكت واغتذى بها غيرها من بقية الاجزاء فيوفق ذلك الحي نفسهُ لاحوال زمانهِ ومكانهِ حتى اذا جفَّت البحار التي نشأ فيها اولاً يبقى قادراً على امتصاص الرطوبة من الثلوج القطبيَّة . وكل مَن يسلّم باستمرار الكائنات الجرثومية لا يرى مانعاً يمنع بقاء حي مثل هذا

وهناك احتمال آخر وهو لنفرض انهُ بعد ملايين كثيرة من السنين اقتفت الارض آثار المريخ وفقدت ماءها رويداً رويداً . فاذا حدث ذلك اتى وقتٌ صارت فيهِ البحار بحيرات منفصلة بعضها عن بعض ولنفرض ان احد الاحياء نظر اليها حينئذٍ من الزهرة بعين ترى على ابعاد السيَّارات أفلا يرى خطوطاً ممتدة بين هذه البحيرات وواصلة الى القطبين . أوَ لا يراها تتغير بتغير الفصول حتى كأنها ترع حفرتها ايادي كائنات عاقلة وهي في الحقيقة فروع من الاعشاب البحرية العظيمة التي خلفت الاعشاب العائشة الآن في الاوقيانوس الاتلنتيكي او في القسم المعروف منهُ ببحر سرغاسو . اوَ لا يحتمل ان فروع هذه النباتات تطول وتدق على مرور العصور حتى تصير كالترع الممتدة بين الواحات او البحيرات

هذان فرضان ذكرتهما كامرين محتملين ولكنني لست متمسكاً برأي او اعتقاد من قبيل شكل الحياة في المريخ

وقد قاس الاستاذ لول معدَّل جريان الماء في بعض ترع المريخ فهل هذا المعدل هو المعدل الاقتصادي لجريان الماء في ترع مكشوفة او هو اكثر انطباقاً على المعدل الاقتصادي لجريان الماء في انابيب الاحياء النباتية حيث الخسارة من التبخُّر وتشرُّب الارض قليلة جداً

وانا من المعتقدين ان الاستاذ لول قد اثبت بمباحثهِ الباهرة ان الاحياء موجودة في المريخ ونطلب منهُ الآن الادلة على ان تلك الاحياء عاقلة

هذه خلاصة ما كتبهُ الدكتور هنكن اما الدكتور الفرد رسل ولس الذي اختير ممثلاً لعلم البيولوجيا مع هوكر وهيكل وراي لنكستر في احتفال داروِن وولس الاخير فقد قال في كتابهِ الذي كتبهُ حديثاً ردًّا على الاستاذ لول ان الترع التي علَّل بها لول ما يرى من الخطوط على وجه المريخ يتبخَّر منها عشرة امثال ما يمكن ان يجري فيها من الماء نظرًا الى جفاف المريخ ولطف هوائهِ ٠ ولم يبيّن لول كيف كان اولئك السكان يعيشون قبلما اضطروا الى حفر هذه الترع ولا لماذا لم يحيوا الصحاري التي تمرُّ فيها بدلاً من ان يجرُّوها مسافة الني ميل وان كانوا على ما وصفهم من سمو المدارك فلماذا لم يجرُّوا الماء في اسراب يصنعونها لها تحت الارض حتى لا تتبخَّر مياهها وان اجراءهم الماء في ترع مكشوفة لدليل على جهلهم لا على علمهم ٠ وان كانت هذه الترع لازمة لمعيشة السكان فكيف توفرت لهم اسباب الحضارة والعلم وهي لا تتوفر الاَّ حيث تتوفر اسباب المعيشة ويزيد بها عدد السكان زيادة بالغة

ثم ان هواء المريخ لطيف جدًّا لا يزيد على سبع هواء الارض كثافة ويشبه الهواء في الاماكن التي تعلو اربعين الف قدم عن سطح الارض ٠ ومعلوم ان البرد يكون شديدًا جدًّا هناك ولو كنا فوق خط الاستواء ٠ وقد قيل ان البرد لا يشتد في الاماكن العالية اذا كانت الارض سهلاً كما يشتد اذا كانت قنة جبل ٠ وهذا مخالف للواقع فان متوسط الحرارة في كويتو (مدينة باكوادور) ٥٧ درجة فارنهيت وارتفاعها ٩٣٥٠ قدماً عن سطح البحر ومتوسط الحرارة عند الساحل هناك ٨٠ درجة فهي تهبط درجة كلما ارتفعنا ٤٠٠ قدم وقد حسب همبلت ان الحرارة تهبط درجة لكل ٣٤٠ قدماً من الارتفاع في الجبال بسبب لطافة الهواء في الاماكن العالية وعليهِ فحرارة سطح المريخ عند خطهِ الاستوائي ٢٠ درجة بميزان فارنهيت تحت درجة الجليد من هذا السبب وحدهُ ٠ واذا اعتبرنا بعد المريخ عن الشمس فحرارة سطحهِ عند خط الاستواء ٣١ درجة تحت الصفر اي ٦٣ تحت درجة الجليد بميزان فارنهيت واذا اعتبرنا هذين السببين معاً فحرارتهُ ٧٠ او ٨٠ درجة تحت درجة الجليد

وقد علَّل ولس ترع المريخ بانها شقوق في سطحهِ مسبَّبة عن وقوع النيازك عليهِ واشار

بان يمتحن ذلك بعمل كرات من الخزف قطر كل منها ٨ عقد الى ١٠ عقد توضع كل كرة منها في قالب يزيد قطرهُ على قطرها نصف عقدة ويفرغ حولها مادة تكون سائلة وهي سخنة وتجمد اذا بردت كالزجاج او البزموث او الانتيمون او مزيج منهما فيتكون منها طبقة حول الكرة تجمد من الظاهر قبلما تجمد من الباطن فاذا علقت في الهواء حال اخراجها من القالب وادبرت وأُطلق عليها خردق (رش) من بندقية فكل خردقة تصيبها تشقق ما حولها شقوقاً طويلة مستقيمة وتظهر هذه الشقوق عليها كما تظهر الترع على سطح المريخ . هذا فرض فرضهُ ولم يمتحنهُ ولا حتم بحدوث الشقوق على ما قدَّر واذا حدثت الشقوق من سبب مثل هذا فلا صعوبة في تعليل البرك او الواحات عند ملتقى الخطوط ولا في تعليل الخطوط المزدوجة . وستنجلي الغوامض لاهل العلم والعرفان وفوق كل ذي علم عليم

احد القراء

جبل ترودس

والقطن من الصخر

بلغني ان بعضهم يستخرج نوعاً من القطن او الحرير من الصخر في جبل ترودس وبعد ندفهِ يحيكونهُ فيجيء قماشاً غير قابل الحريق ولو وضعتهُ في اشد النيران المستعرة فلم اصدق الخبر حتى ذهبت بنفسي الى حيث يستخرج هذا القطن واليك تفصيل الخبر

بلغني ان المكان المذكور بالقرب من اولمبوس اوتيل حيث اقمت في جبل ترودس فقصدتهُ مع بعض الاصدقاء الافاضل فبلغناهُ بساعة واذا بهِ جبل طويل عريض وبين طبقات صخوره عروق يكسرها العال من بين الصخور ويدقونها فيبقى منها القطن المذكور والذين يشتغلون في هذا العمل نحو خمسمائة وخمسة وعشرين عاملاً وقد بنت لهم شركة القطن المذكور اماكن للنام والاستراحة وسهلت لهم كل الوسائط للاشتغال بالراحة والنجاح

وقد اسعدني الحظ بالتعرف بجناب الافوكاتو ارجوسيلاس ارتاميس مدير ادارة العمل في قبرس فارشدني الى المعلومات التالية قال

منذ ثلاث سنين جاء قبرس جناب الدكتور تروميتا طبيب الاسنان ومعهُ بعض الحجارة الشبيهة بما وجد في جبل ترودس وشاهد الكثير من نوعها في قبرس فاخذ بعضها وذهب الى تريستا (اوستريا) وهناك الّف شركة لاستخراج هذا النوع من القطن وعاد الى

قبرس فبقي سنة يشتغل بهِ ولهُ اجرة شهرية وعشرة في المئة من الربح . ولما رأت الشركة في تريستا ان هذا الشغل من اربح الاشغال بعثت حضرة مديرها المسيو يالنكو الى قبرس فاتى ومكث في اولمبوس اوتل خمسة عشر يوماً عند الخواجات خوري وكان الدكتو تروميتا اخذ امتيازاً من الحكومة باستخراجهِ على شرط ان يدفع لها العشرين من الارباح او يعطيها عشر ما يستخرجهُ واذا تعذر عليها بيع القطن يدفع لها عشر ثمنهِ نقداً فعقد المسيو يالنكو اتفاقاً مع الدكتور تروميتا واشترى منهُ الامتياز باربعة الاف جنيه ثم سافر الى تريستا وارسل مهندسين واتوموبيلين لنقل حجر القطن واتى بالعمال لاستخراج الحجر ودقهِ كما تقدم

وقد اهتمت الشركة الآن بجلب آلات لتنظيف القطن ودقهِ وبها يستغنون عن كثرة العمال ووفرة المصاريف وهذه الآلات تصل الى قبرس في اخر هذا الشهر و يبلغ ثمنها اربعة آلاف جنيه ويقدرون انها متى تركبت يمكن بها استخراج من ثلاثين الى اربعين طناً يومياً من القطن اما الآن فيستخرجون من القطن من ٧ الى ٨ طنات يومياً فيرسلونها الى تريستا لتنظيفها ومتى حضرت الآلات ينظفون القطن بها في ترودس بدلاً من ارسالها الى تريستا و يكتفون بمئة فاعل عن الخمسمائة والخمسة والعشرين

وقد اكتشفوا الى اليوم اربعة انواع من القطن منها شكل ابيض يساوي الطن منهُ من عشرة جنيهات الى ثمانية عشر جنيهاً . والشكل الثاني من خمسة جنيهات الى ثمانية الطن والشكل الثالث ويسمى ساربنتينا ويقسم الى نوعين النوع الاول و يساوي ثمن الطن منهُ من ٢٥ الى ٤٠ جنيهاً الطن والنوع الثاني من ١٥ الى ٢٥ جنيهاً الطن

وزار هذا المعمل الدكتور زدارسكي الخبير بهذا النوع من القطن وقدر انهُ في المستقبل يمكن استخراج قطع كثيرة من هذا النوع لا يقل حجم القطعة عن الانش (العقدة) و يساوي ثمن الطن منهُ نحو ستين جنيهاً

اما شركة هذا المعمل فمؤلفة من اربعة اثناق منهم يونانيان من تريستا وآخر نمسوي من تريستا ورجل اسرائيلي من تريستا ايضاً ورأس مالها ٢٦٠ الف مارك عدا ثمن الآلات التي دفعوها من مالهم الخاص

اما الشغل في هذه الشركة فمن ابريل الى آخر اكتوبر كل عام واذا توفرت لديهم الآلات فيمكن الشغل كل السنة

وقد علمت ان كل ما استخرج من القطن من اول ابتداء العمل الى الآن يقدر بنحو اربعماية طن و يظنون انهُ سيبلغ المستخرج في المستقبل الفي طن كل سنة

اما الحكومة فتأخذ منهم حسب الاتفاق الاول عشرة في المئة من القطن ثم تشتريهِ الشركة منها اذا لم يوجد لديها من يشتريهِ منها

وقد اعطت الحكومة مثل هذا الامتياز لغير هذه الشركة لخمسين سنة كما اعطت هذه واشترطت على كل من يجد القطن ان يخبرها بالحال عن اكتشافهِ واعطتهم امتيازًا من الآن الى خمس سنين حتى اذا وجدوا شيئًا يعقدون الاتفاق معها عليهِ لخمسين سنة وخولتهم الحق بالتفتيش على ذلك في كل مكان بالجزيرة عدا المكان المكتشف بيد هذه الشركة ودائرة اتساعهِ نحو خمسة وستين ميلاً

وسألت كم يمضي من الوقت حتى ينتهي استخراج هذا القطن فقيل لي اكثر من خمسمائة سنة اذا استمر العمل على قياس الشغل كل السنة والقوة مضاعفة

والحق ان من يرى الجبال وكثرة الصخور ومن يشتغل فيها يظن انها لا تنتهي في اكثر من الف سنة

وشاهدت بعيني بعض العمال ينبشون التراب فيجدون تحتهُ صخرًا وفيهِ كثير من عروق القطن ومئات من الاكياس مملوءة لترسل الى تريستا لاجل عملهِ طبق المرغوب وحياكتهِ ثيابًا وقمصانًا فاستغربت الامر

جبل ترودس بقبرس في ٨ اغسطس سنة ١٩٠٨ شاهين مكاريوس

القرنفل في التاريخ

قال ويربارخ الشهير ان تاريخ القرنفل يحتوي قسمًا من تاريخ الانسان وهو قول صدق لاننا اذا انعمنا النظر في التاريخ العام من اقدم الازمنة الى العصر الحاضر رأينا للازهار شأنًا كبيرًا في معتقدات البشر وشعائرهم الدينيَّة وتاريخ رجالهم وهذا يطلق على الهنود والمصريين القدماء واليونان والرومان والفرس والصينيين واليابانيين ونحوهم

ولما انتشرت النصرانية صار اعتبار الازهار مدنيًّا فقط ولكن بقي لهُ اثرٌ في الحفلات الدينيَّة ولا سيما في تكريس الكنائس · وحتى الآن يلقب الايطاليون زهر المنثور بزهر الفصح ولا بدَّ منهُ عندهم لاتمام بهجة ذلك العيد وترى الناس يزينون بهِ موائدهم في عيد الفصح ومعابدهم واذا لم يكن مع احدهم شيءٌ منهُ في العيد تشاءم من ذلك شرًّا · هذا وسأخص مقالتي هذه بزهر القرنفل

يُطلق القرنفل على نبات بستاني لهُ زهر احمر في الغالب طيّب الرائحة . ولقد نُسب اليهِ منذ القدم حوادث تاريخية ومشاهد اكثرها دموي . ولعل ذلك اشارة الى لونهِ الاحمر اما منشأهُ فقد روتهُ الاساطير اليونانية القديمة كما يأتي :

خرجت الالاهة ديانة الى البريّة في طلب الصيد فلم تصطد شيئاً وعادت كئيبة حزينة فابصرت في طريقها راعياً يزمر بمزمارهِ وهو على غاية من الحبور فاشتد غيظها ودنت منهُ وهي تشتمهُ وتتهددهُ بالموت لانهُ نفّر بغنائهِ صيدها . فذعر منها وبكى واستعطفها قائلاً انهُ لم يقصد الاساءة اليها . اما هي فلم تعرهُ اذناً صاغية بل وثبت عليهِ واقتلعت عينيهِ . غير انها ما لبثت ان آب اليها رشدها فندمت اشد الندم على فعلها الفظيع وودت لو اعادت الى الراعي عينيهِ ولكن ذلك كان فوق طاقتها . ولما لم تعد تقوى على النظر الى تينك العينين خطر لها ان تؤبدهما بصورة اخرى تذكّرها على الدوام بفعلتها الشنعاء وللحال طرحتهما على الارض فنبت منهما قرنفلتان حمراوان تشيران بنقشهما الى فعلها القبيح وبلونهما الى الدم الزكي . خرافة استنبطوها للدلالة على لون القرنفل

واعظم قدر حازهُ القرنفل كان في بلاد فرنسا ولا سيما في بعض حوادثها التاريخية الدموية . اما اول ظهورهِ فيها فينسب الى عهد الملك لودوفيك التاسع الذي كان سبباً لتعظيم هذا الزهر وانتشارهِ في جميع الارجاء الفرنسوية . وذلك انهُ لما كان في حرب الصليبيين الاخيرة سنة ١٢٧٠ محاصراً مدينة تونس فشا الطاعون في جيشهِ واباد منهُ خلقاً كثيراً ولم يستطع الاطباء ان يخففوا وطأتهُ بجميع حيلهم وعلاجاتهم . وكان الملك قد اوجس خوفاً من هذا الوباء ولاعتقادهِ ان لكل داء دواء جزم ان في تلك البلاد نباتاً شافياً منهُ وبينما هو يتأمل في ذلك ابصر في بقعة من الارض زهرة ادهشتهُ بلونها الجميل وشذاها الطيب فتفاءل بها خيراً وامر ان يُقطف من نوعها مقدار وافر ويُطبخ ويقدم للموبوئين . ويقال انهم ما كادوا يشربون من مائها حتى شفي اكثرهم واخذ ظل الطاعون يتقلص شيئاً فشيئاً غير انهُ ابى قبل رحيلهِ الاّ ان يصيب الملك لودوفيك نفسهُ ويفتك بهِ ولم تنجهِ تلك الزهرات منهُ . ولما عاد الصليبيون الى اوطانهم حملوا معهم شيئاً كثيراً من زهر القرنفل تذكاراً لملكهم الذي كان مثال الحنو وآية الرأفة ومذ ذاك الحين صار القرنفل من احب الازهار الى الفرنسويين على اختلاف طبقاتهم

وبعد ذلك عاد القرنفل فظهر في تاريخ فرنسا ظهوراً جديداً وصار أحب الازهار الى كوندي العظيم (لودوفيك الثاني) القائد الفرنساوي الشهير الذي قهر الاسبان في معركة

روكروى سنة ١٦٤٩ . وذلك ان هذا البطل أُلقي في سجن فنسن بسبب الدسائس التي دست عليهِ فحبًّا بالتسلية ودفعاً للضجر اخذ يعمل بالزراعة فغرس امام نافذة سجنهِ بضع قرنفلات فزهت وازهرت وخلبت لبهُ الى حد انهُ صار يفتخر بها كافتخارهِ بانتصاراتهِ الباهرة وكانت هذه الازهار سلوتهُ الوحيدة وتعزيتهُ الكبرى في السجن . واتفق ان زارتهُ الشاعرة كوندي (مدام سكوديري) فدهشت حينما رأتهُ بداري تلك الازهار يسقيها ويركس ارضها بمنتهى اللذة والغبطة وكتبت تذكارًا لذلك الابيات التي تعريبها "عندما تشاهد هذه القرنفلات التي يسقيها جنديٌّ باسل بيديهِ القاهرتين اذكرْ ان ابولون كان يبني الاسوار واله الحرب بستاني " . وفي اثناء ذلك كانت زوجتهُ (حفيدة ريشيليه الشهير) تدافع عنهُ اشدَّ المدافعة وتوصلت الى ان حملت رجال البلاط في مدينة بوردو على الاقتناع ببراءة زوجها مما اتُّهم بهِ واخيرًا فازت بانقاذهِ من السجن فلما بلغهُ هذا الخبر هتف قائلاً "اليس هذا الامر من الآيات والعجائب الجندي المجرَّب مهتمٌّ بغرس قرنفلاتهِ واغنائها وزوجتهُ تثير في اثناء ذلك حربًا سياسيةً شديدة وتخرج منها ظافرة ؟ "

ومن تلك الآونة صار القرنفل رمزًا الى اعوان كوندي وذويهِ ولبث دهرًا طويلاً رمزًا الى انقيادهم اليهِ وتفانيهم في خدمتهِ وخدمة آل بوربون عمومًا وعلى الخصوص في تضاعيف الثورة الفرنساوية التي حدثت سنة ١٧٩٣ وقُتل فيها جمهور غفير من الابرياء وذلك ان هؤلاء الشهداء كانوا يزينون صدورهم وهم منطلقون الى النطع بازهار القرنفل دلالةً على انهم يموتون ضحيةً عن ملكهم وانهم ينظرون الى عيون الموت بلا وجل . وفي هذه الآونة صارت زهرة القرنفل تُدعى " ocillet d'horeur " اي قرنفلة الهول . وصار للقرنفل لدى فلاحي فرنسا معنى خاص فان فتيات كل قرية كن يجمعنَ منهُ باقات ويقدمنها لشبان قريتهنَّ وهم منطلقون الى ساحات الوغى اشارةً الى رجائهنَّ بان يعود اولئك الشبان الى الوطن بعد مدة قصيرة فائزين غانمين

وكان الجم الغفير من جنود نابليون الاول يعتقدون بقوة ازهار القرنفل ويعتبرونها حرزًا قويًّا يقيهم من رصاص العدو ويشدد عزائمهم للكفاح والانتصار . وكثيرًا ما كان يُشاهد على صدور القتلى من العساكر باقات من القرنفل كأنها تشير الى جهادهم وتصرح بانهم ماتوا دفاعاً عن الوطن متأسين بمشاهدة هذا الزهر الجميل الذي يحمل اريج الوطن ويرمز الى البسالة والاقدام . وموجز القول ان القرنفل كان لهُ شأن كبير عند عموم الجنود الفرنساوية حتى ان نابوليون العظيم لما انشأ وسام اللجيون في ١٥ مايو (ايار) سنة ١٨٠٢

اختار لربطتهِ لون القرنفل تخلّد هذا الزهر وامتيازهُ في تاريخ فرنسا وشغف الشعب الفرنساوي بهِ منذ قديم الزمن . ومما يجدر ذكرهُ ايضاً ان لزهر القرنفل في فرنسا ذكرًا آخر مرتبطاً بالملك ربني التعس الذي بعد ان حرمهُ لودوفيك الحادي عشر ميراث والدهِ (دوقية انجو) ارتحل الى مدينة اكس (Aix) في بروفانس واشتغل هناك بزراعة القرنفل ولم يمضِ الاَّ القليل من الزمن حتى حذا حذوهُ في هذا الامر اكثر الاهلين فأصبحت مدينة اكس حافلة بهذا النوع من الازهار وظلّت مشهورة بهِ حتى الآن . وكانت زراعة القرنفل أحبَّ عمل الى دوق بورغوند حفيد لودوفيك الخامس عشر . فهذا الدوق شغف بالقرنفل وهو في سن الحداثة وكان يدعو نفسهُ "البستاني العظيم" غير ان هذه التسمية لم ينلها الاَّ بمكر احد حاشيتهِ . وذلك ان البرنس كان اذا غرس قرنفلة يستبدلها هذا الماكر ليلاً بقرنفلة كبيرة مزدهية ويقول للبرنس في الصباح التالي "ما اعظم سلطتك على الطبيعة ايها الامير فان القرنفلة التي زرعتها امس قد نمت وازهرت في ليلة واحدة" . وكان الدوق يختال طرباً وفخرًا ويزداد اعجابهُ بقدرتهِ ويعتقد في نفسهِ القوة والجبروت

هذا هو نصيب القرنفل في فرنسا وهذا هو تاريخهُ كما ترى فلهُ شأن كبير في بعض حوادثها الشهيرة غير انهُ في البلدان الاخرى ليس دون ذلك

ففي انكلترا لم يظهر هذا الزهر الجميل الاَّ في القرن السادس عشر وحال ظهورهِ كان موضوع اعجاب الملكة اليصابات (ملكة الانكليز وقتئذٍ) وجميع اعيان دولتها . فكانوا يزرعونهُ في البساتين والبيوت المسخنة ويتأنقون في زراعتهِ بمنتهى المباهاة والفخر . اما الملكة فلم تكن تفارقهُ لحظة من الزمن بل كان في صدرها طاقة منهُ على الدوام إن في الاجتماعات البسيطة او في الحفلات الكبيرة . وحذا حذوها جميع اهل البلاط . ومما يجدر ذكرهُ ان ازهار القرنفل المختصة بالملكة كانت على جانب عظيم من الغلاء فلم تكن قيمة الزهرة الواحدة اقلَّ من جنيه . وارادت دوقة ديفونشير في احد الاعياد ان تزين رأسها باكليل صغير من زهر هذا القرنفل فلم يتسنَّ لها ذلك الاَّ بان دفعت ثمنها مئة جنيه . والى الآن ترى دوقات ديفونشير مغرمات بزهر القرنفل الى حد انهنَّ لا يدعنَ زهرة اخرى تضمَّ الى طاقات القرنفل التي تزين غرفهنَّ وموائدهنَّ وهنَّ يعتنينَ بهذه الازهار اعتناء غريباً

واول مَن غرس القرنفل في انكلترا جرارد بستاني القصر وكان قد حصل على قرنفلة من بولونيا عام ١٥٩٧ ومن ذلك الحين صار القرنفل ينمو ويزداد في انكلترا ولم تدخل سنة ١٦٢٩ حتى صارت انواعهُ نحو الخمسين . وكان بركنسون البستاني يقسم هذه الانواع الى قسمين

عقيقيَّة ومنثورة · وكان اشهر هذه الانواع وقتئذٍ القرنفلة المسماة " وليم الحلو " تذكاراً لوليم شكسبير الشاعر المشهور الذي اورد في " الحكاية الشتويَّة " التي نظمها ما تعريبهُ " اخر زهور الصيف القرنفلات العقيقيَّة والقرنفلات المنثورة المخططة " وقد ذكر القرنفل ايضاً غير شكسبير من مشاهير شعراء الانكليز مثل تشوسر وملتن وسبنسر ولم ينسوا مدح القرنفل " وشذاهُ الالهي " في كل شعرٍ قالوهُ عن النبات

عُرف مما سبق ان القرنفل كان موضوع حب الطبقات العليا في انكلترا وفرنسا · اما في بلاد البلجيك فاكتسب محبة الفقراء والبسطاء فقط وعلى الخصوص فَعَلة المناجم الذين يقضون أكثر اوقاتهم في اشد عناء الاعمال فهؤلاء كانوا يتنافسون بهذا النوع من الازهار ويعتنون بزراعتهِ الاعتناء التام · وكانوا اذا فرغوا من اشغالهم الشاقة يستنشقون شذا تلك الازهار الجميلة وفي يقينهم انها تعزيهم برائحتها والوانها الحسناء وكأنها تقول لهم " ولكم ايضاً قد أُعد الهناء " وقد فعل القرنفل بين تلك الطبقات الفقيرة في بلاد البلجيك ما لم تفعلهُ الارشادات والمواعظ لانهُ من المعلوم ان البسطاء اذا كانوا بطالين لا يلهيهم شغل او عمل فالغالب انهم يعكفون على المقامرة والسكر وما اشبه · اما في بلجكا فقد ضعفت هذه المفاسد كثيراً بل اضمحلت من بعض المحال وذلك بسبب انشغاف القوم بزراعة القرنفل وتربيتهِ وهذا الانشغاف باقٍ الى الآن في بلجكا وقد انتشر في اكثر انحائها فنما زهر القرنفل في تلك البلاد وكثرت انواعهُ وصارت محببة الى اكثر طبقات الشعب وقلما ترى في تلك البلاد بيتاً خالياً من هذه الازهار الجميلة بل تراها منتشرة في كل مكان تزهو بها الحدائق والرياض ونوافذ البيوت وموائدها · اما في بيوت الفقراء والفعلة فتراها مزروعة في انية عتيقة زاهية بفاخر الوانها · ويحسب اهالي البلجيك هذا الزهر رمزاً الى الهناء العائلي والمحبة الوالدية · وكل واحد من احداث الفعلة اذا كان بعيداً عن بلدهِ وشاهد شيئاً من زهر القرنفل تذكر حالاً والديهِ وحنَّ اليهِ اي حنين · وحينما تريد الوالدة ان تبارك ولدها تقدم اليهِ طاقة من القرنفل كأنها الزينة الوحيدة التي تستطيع ان تمنحهُ اياها مع البركة · وكذلك اذا اراد الولد ان يكافئ والدتهُ بعد موتها فانهُ يغرس القرنفل على قبرها كدليل على اشرف عواطفهِ واشد محبتهِ لها · وطاقة القرنفل تستخدم هناك بين المتحابين هدية سنية وترجماناً فصيحاً للافكار والعواطف ويشاهد القرنفل على كثير من الصور القديمة وخصوصاً صور النساء وترى ازهارهُ في كنيسة فيرار على صور بعض القديسين وتشاهدها مرسومة على بعض الانسجة والمطرَّزات وخصوصاً في مدينة بروسل

ولقد حاز القرنفل اعتبارًا فائقًا عند فعلة النمسا في تيورنغن حتى اذا رأى احدهم نوعًا جديدًا منهُ يتشغف بهِ ويدفع ثمنهُ نصف اجرتهِ عن اسبوع كامل واذا كان لا يملك الاَّ نعجة اعطاها للحصول على ذلك النوع . غير ان الالمان لم يحفلوا بالقرنفل بنوع عام . نعم انهم كانوا يعتبرونهُ على الدوام رمزًا الى الثبات والامانة لان ازهارهُ لا يتغير لونها في الغالب ولو جُففت ولكن شعراءهم امتهنوا القرنفل لما رأوا احتفال الشعراء الفرنسويين بهِ فصار يدعى عندهم " زهر المجد الباطل " و " جمال الجسم " ويُشبَّه بالمرأة الجميلة العارية من المحاسن الادبية . وفي هذا الصدد قال غوتي شاعرهم المشهور " ايتها القرنفلات انتنَّ جميلات ولكنكنَّ متشابهات بحيث لا تفرق الواحدة عن الاخرى فلا يتيسر لي ان اختار شيئًا منكنَّ " اما زمن ظهور القرنفل في المانيا فكان على عهد كارلوس الخامس وذلك انهُ بعد ان فرغ من حروبهِ في تونس وانقذ اثنين وعشرين الفًا من النفوس من رق العبودية وعاد الى بلادهِ ظافرًا ممجدًا احضر معهُ شيئًا من زهر القرنفل وقد شغف بهِ الى حد انهُ لم يعد يفارقهُ فامر ان يغرس في جميع حدائقهِ

واذا تحوَّلنا الى ايطاليا رأينا القرنفل قد اكتسب رضى جميع السكان على اختلاف الطبقات والاميال وحينما يأزف اوانهُ ترى نساء الطليان يبرزنَ من منازلهنَّ زرافات وقد تزينَّ بباقات منهُ في صدورهنَّ وعلى رؤوسهنَّ . وزهر القرنفل في هذه البلاد يُحسب منذ القدم عوذة الحب وخصوصًا بين الفلاَّحين فاذا اراد احد الشبان منهم السفر الى مكان بعيد تقدمت اليهِ محبوبتهُ ووضعت في صدرهِ طاقة من هذا الزهر كأنها تسأل لهُ سفرًا سعيدًا وعودًا حميدًا وهي في الحقيقة تعتقد ان هذه الطاقة سترافق حبيبها في سفرهِ وتصدُّ عنهُ جميع الإِحَن وتذكّرهُ بها كيف سار فيقتبل هذه الهدية ويحتفظ بها كاحتفاظهِ بنفسهِ . وفي مدينة بولونيا أُطلق على القرنفل اسم " زهرة القديس بطرس " . وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر يونيو (حزيران) — يوم تذكار هذا القديس — يزينون بازهارهِ جميع الكنائس والبيوت وقلما ترى احدًا من الرجال او النساء غير متزين في ذلك اليوم بشيء منهُ حتى الشيوخ والجنود يشاركون الجميع بهذه الزينة فترى مع كلٍّ منهم زهرة في عروة ردائهِ . وقد ظهر القرنفل في ايطاليا قبل ظهورهِ في بلجكا بمئة عام ولذلك تراهُ في ايطاليا اكثر انتشارًا وانواعًا مما هو في بلجكا ويُقال ان اول ظهورهِ عند الايطاليان كان على يد متى صلفاتيك سنة ١٣١٠ وانهُ جُلب من المشرق مع غيرهِ من الازهار

وللقرنفل اعتبار عظيم في المخاطبات الحبية السريَّة بين المتحابين في اسبانيا وخاصةً في

ة النسيا حيث يعتني بهِ اربابهُ الى حد انهُ ينبت عندهم على مدار السنة تقريباً غير انهُ في شهر دسمبر (كانون الاول) يبلغ ثمنهُ منتهى الغلاء حتى ان بعض المحبين يدفعون ثمن الزهرة ستة ريالات وهديَّةٌ مثل هذه حينئذٍ تعد اثمن التحف وافخر الطرف عند حسان الاسبان· ويتخاطب الاسبانيون بالوان القرنفل ويتفاهمون كأنها من اللغات المكتتبة

وقد بقيت امور كثيرة في تاريخ القرنفل وكلها تدلُّ على علو منزلتهِ بين الازهار وما كان لهُ من الشأن والاعتبار خليل بيدس



النموغرافيا

اي حل المسائل الحسابيَّة والجبرية بالجداول

لا يخفى ان كل المشتغلين بالعلوم التي تحتاج الى حساب وتدقيق كالفلكيين والمهندسين والمساحين والبنائين والبحارة والمدفعية يحتاجون الى اجراء حسابات عديدية كثيرة قد تكون صعبة وقد تكون طويلة مملة ولو كانت سهلة كعمليات الضرب والقسمة والترقية والتجذير· الاَّ ان الاستاذ موريس دوكاني العالم الرياضي الفرنسوي قد ازال تلك الصعوبة وذلك الملل باختراعهِ جداول تعرف منها نتائج العمليات بسهولة تامة وباقل ما يكون من الوقت وهو واضع العلم الذي فيهِ هذه الجداول ويسمَّى علم النموغرافيا كما ان الاستاذ مونج وضع علم الهندسة الوصفية الذي يمكن بواسطتهِ ايضاح جميع اشكال الاجسام الطبيعيَّة ذات الابعاد الثلاثة بواسطة رسم موضوع على سطح مستوٍ

هذا وقد وعد المقتطف قراءهُ الكرام بانني سانشئُ فصولاً قريبة المأخذ في هذا العلم الجديد افادة لقرائهِ المشتغلين بالعلوم الرياضية وانجازاً لذلك بادرت الآن بهذا الفصل فاقول

لا يخفى ان المشتغلين بالعلوم الهندسية ونحوها يملون من العمليات الحسابيَّة الطويلة ويودون الوصول الى نتائجها من غير تعب · وقد استنبطوا اساليب مختلفة للوصول الى ذلك كالجداول العددية وعملها عسير جدًّا ولا تسمح الاَّ بحل العبارات ذات الكميتين المتغيرتين وكالآلات والمساطر الحسابيَّة وهي في الغالب غالية الثمن لا يتيسر لكل احد الحصول عليها

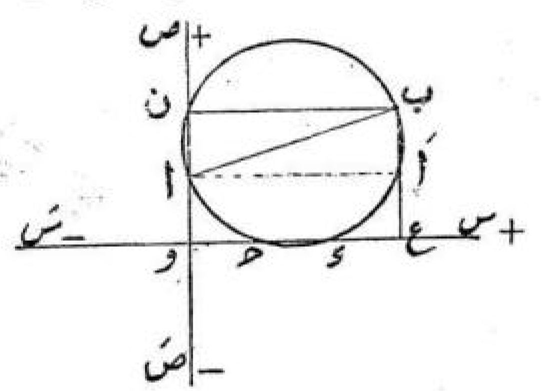
ولا تستعمل الا في العمليات العمومية كالضرب والقسمة والتجذير

وقد التجأ الرياضيون منذ مدة الى اجراء حساباتهم بالطريقة الرسمية (غرافيك) وهي سهلة الاستعمال لان النظر يقوم فيها مقام الحساب العددي . وتنقسم الى قسمين مختلفين احدهما الحساب بالخطوط Le calcul par le trait وسنبينهُ في ما يلي والثاني الحساب النموغرافي La Nomographie وعليهِ مدار هذه المقالة

اما الحساب بالخطوط فمبني على رسم خطوط هندسية بسيطة يمكن قياسها بسهولة هي وما بينها من الزوايا والاقواس بالنسبة الى مقياس يتفق عليهِ ويصنع منها رسم هندسي يسمَّى لوحة (Epure) يستخرج منها مقدار الخطوط الاخرى حسب المقياس المتفق عليهِ . وايضاحاً لذلك نذكر المثالين التاليين

الاول لنفرض اننا اردنا ان نعرف العدد الذي مربعهُ يساوي مجموع مربعي عددين معلومين ا و ب . فارسم مثلثاً قائم الزاوية طول ضلعيهِ مساوٍ لمقدارين ا و ب حسب المقاس المتفق عليهِ فوتر هذا المثلث يساوي العدد المطلوب حسب الوحدة في ذلك المقياس

الثاني لنفرض اننا اردنا حل هذه المعادلة من الدرجة الثانية وهي س٢ + م س + ي = . حيث تكون س رمزًا للمجهول و م و ي رمزين لعددين معلومين فارسم مستقيمين احدهما قائم على الآخر س سَ ص صَ يتقاطعان في نقطة و كما في الشكل الاول ثم نعين نقطة ا في الخط المستقيم ص صَ بحيث يكون طول وا مساويًا للوحدة المأخوذة مقياساً اي سنتمترًا مثلاً ثم نعين على المستقيم س سَ البعد وع مساويًا لمقدار — م وعلى المستقيم ص صَ البعد ون مساويًا للعدد ي ونقيم على النقطتين ع و ن عمودين على



المحورين س سَ ص صَ فيتقاطعان في نقطة ب فيوصل المستقيم ب ا ويجعل قطرًا للدائرة التي تقطع المستقيم س سَ في نقطتي ح د فيكون البعدان وح ود هما مقدارا س اي جذرا المعادلة . ولبرهان ذلك نرمز بالحرف اَ الى نقطة تقاطع الدائرة بالعمود ب ع فيكون وح + ود = ود + دع = — م و وح × ود = وا × ون وون = ع ب = ي . وحيث ان

مجموع الجذرين يساوي المكرر م بالسالب وحاصل ضربهما يساوي المكرر الثاني ي وهذه الخاصية لا تتم الاَّ في المعادلة ذات الدرجة الثانية فيكون الحل صحيحاً مع ملاحظة ان وا = الوحدة اعني وا × ون = ون = ع ب = ي كما تقدم

ولزيادة الايضاح رسمنا الشكل باعتبار ان الوحدة تساوي سنتمترًا وجعلناهُ مثلاً لحل المعادلة الآتية وهي

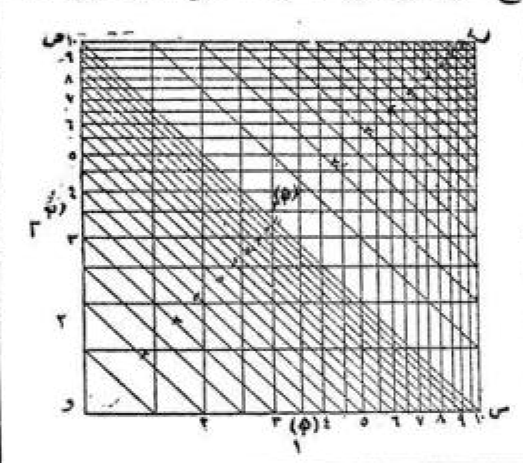
س٢ − ٣ س + ٢ = ٠ ومن الشكل يعلم ان جذري المعادلة هما سَ = وحـ = ١ و سً = ود = ٢ وان المثلثين اللذين تقدَّم بيانهما قد اتَّضح منهما كيفية ايجاد النتيجة بواسطة الحساب بالرسم والآن ننتقل الى علم النموغرافيا بالذات

عُلِم مما تقدَّم انهُ للحصول على نتيجة العملية بواسطة الحساب بالرسم يلزم على كل حال عمل رسم توضَّح فيهِ المقادير بخطوط هندسيةٍ بمقدار الاعداد المتداخلة في العمل ولكن علم النموغرافيا لا يحتاج الى ذلك لان فيهِ جداول ذات ارقام يمكن بواسطتها استعلام النتيجة الحسابية بقراءة الارقام التي عليها وهذه الجداول تُعمل مرة واحدة وتستعمل دائمًا وتُسمَّى باسم اباك اي رقعة او جدول او نموغرام اي قانون او ناموس مرسوم

وهاك وصف ثلاثة من الجداول النموغرافية البسيطة تعلم منها نتائج الضرب والقسمة بثلاثة مقادير متغايرة كما في القانون هـ٣ = هـ٢ × هـ١

جدول الخطوط المتقاطعة لعمليتي الضرب والقسمة

هذا الجدول عبارة عن شكل مربع مثل وس وص كما في الشكل الثاني فيهِ ثلاثة انواع من الاتجاهات كل اتجاه منها مركب من ثلاثة خطوط مستقيمة متوازية عليها ارقام فالاول عبارة عن هـ١ وهو الخطوط العمودية على الضلع وس. والثاني عبارة عن هـ٢ المكون لجميع الخطوط القائمة على الضلع وص. والثالث عبارة عن هـ٣ المكون لجميع الخطوط الموازية للوتر س ص . وهذه الخطوط تكوَّنت من وضع مقدار لوغارتمات الاعداد



من ٢ الى ١٠ على كلٍّ من المستقيمين وس وص مبتدءًا من نقطة و في كلٍّ منها. والنقط التي حدثت رقمت عليها تلك الاعداد واقيم عليها اعمدة على المستقيمين المذكورين فحدثت الخطوط المعبّر عنها بالرمزين هـ١ هـ٢ اما خطوط هـ٣ فتكوّنت من وصل نقط تقاطع خطوط هـ١ هـ٢ باضلاع المربع

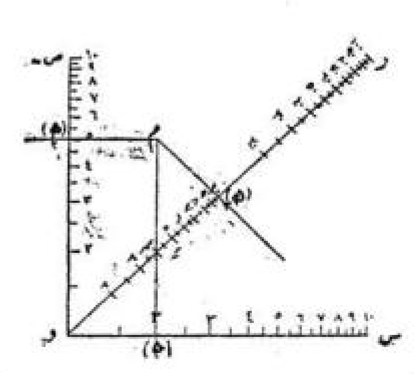
ولنشرح الآن كيفيَّة الحساب بهذا الجدول بتطبيقهِ على قانون هـ٣ = هـ٢ × هـ١ بفرض ان هـ١ = ٢ وهـ٢ = ٤ فانظر الى تقاطع المستقيمين هـ١ هـ٢ المعينين برقمي ٢ و ٤ فينتج مقدار هـ٣ على الخط المعين برقم ٨ الموازي للوتر س ص والمار بنقطة التقاطع المذكورة

وبعبارة اصرح لنفرض انك اردت ان تعرف الحاصل من ضرب ٢ في ٤ فانظر الى الرقم ٢ في اسفل الجدول والى الرقم ٤ في الخط القائم عن الشمال وانظر اين يلتقي الخطان العموديان القائمان عليهما فتجدهما يلتقيان في الوتر الذي عددهُ ٨ فالحاصل من ضرب ٢ في ٤ يعدل ٨ . واذا اردت ان تعرف الحاصل من ضرب ½ ٦ في ٦ فانظر الى النقطة بين ٦ و ٧ في الاسفل واصعد مع الخط العمودي المرسوم عليها الى ان تصل الى حيث يتقاطع هذا الخط بالخط المرسوم على ٦ من اليسار عموديًّا فتجد ان الخطين يلتقيان تحت الوتر ٤٠ قليلاً فالحاصل من ضرب ½ ٦ في ٦ اقل من اربعين قليلاً

ويمكن القسمة بهذا الجدول ايضاً فاذا اردت ان تعرف الخارج من قسمة ٤٠ على ٨ فانظر الى وتر ٤٠ والى نقط تقاطعهِ بالعمودي ٨ والى الجهة الاخرى من الجدول حيث يصل الخط المار بنقطة التقاطع هذه فتجد انهُ قائم على الرقم ٥ فالحاصل من قسمة ٤٠ على ٨ يعدل ٥ واذا كانت المقادير المفروضة غير مبينة في الجدول بان كانت ٢,٣ او ٦,٤ فتعيّن نقطتاها بالنظر حسب التدريج اللوغارثمي الذي على الرسم . وهذه العملية تسمَّى بالتقدير النظري Interpolation graphique

الاباك المسدس لبيان عملية الضرب والقسمة ايضاً

هو عبارة عن الاباك الذي تقدَّم شرحهُ ولكن حُسّن بحذف جميع الخطوط هـ١ هـ٢ هـ٣ وابقاء ارقام النقط التي على وس و وص ووضع النقط والارقام على القطر ور حيث تتقاطع الخطوط القائمة على وس و وص كما ترى في الشكل الثالث . واذا اردت استعمال هذا الاباك او الجدول فارسم على شفاف ثلاثة خطوط متقاطعة مثل م م١ م م٢ م م٣ حتى تكون اتجاهاتها قائمة على الضلعين وس وص وعلى القطر ور ويسمَّي كل خط من هذه



الخطوط الثلاثة دليلاً فاذا فُرض ان هـ١ = ٢ وهـ٢ = ٥ اي اذا اريد ضرب ٢ في ٥ فلايجاد هـ٣ اي حاصل الضرب حرّك الشفاف على الجدول حتى يقع الدليل م هـ١ عموداً على الضلع و س دائماً واستمرّ في حركة الشفاف حتى ان الدليلين م هـ١ م هـ٢ يمرّان بالنقطتين ٢ و ٥ فنقطة تقاطع الدليل الثالث مع و ر هي حاصل الضرب

وهذا الجدول اوضح من الجدول السابق للتقدير النظري غير انهما لا يستعملان الاَّ لبيان معادلات ذات شكل بسيط خصوصي

جداول النقط ذات الاستقامة الواحدة

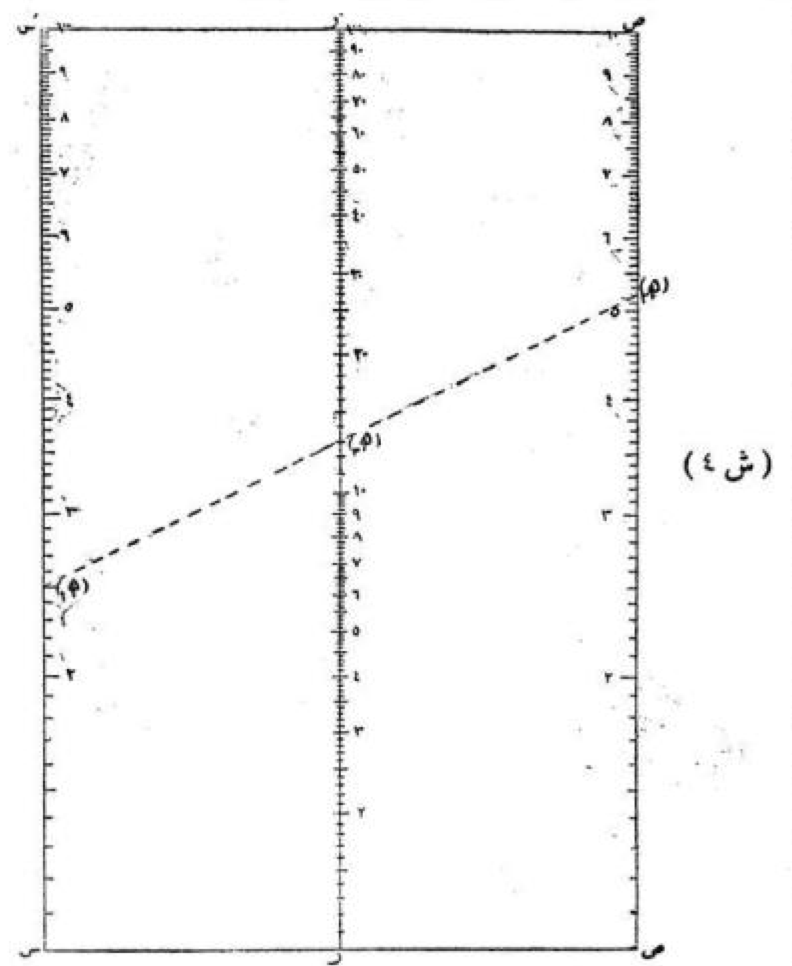
نشرح الآن ابسط نموغرام من هذا النوع وهو اسهل واوضح واتم من الاباكين المتقدمين وفيهِ ثلاثة محاور متوازية كما ترى في الشكل الرابع على الصفحة التالية س سَ ر رَ ص صَ بينها مسافتان متساويتان وعليها نقط وارقام تبعد عن س و ر و ص بمقدار قيمة لوغارثمات هذه الارقام · والمقياس واحد على المحورين س و ص اما المحور ر فالمقياس عليهِ نصف الوحدة المأخوذة للمحورين س و ص

كيفيَّة استعمالهِ — لنفرض ان هـ١ = ٥٫٢ وهـ٢ = ٢٫٥ فاذا اردت معرفة حاصلها فخذ على المحور س النقطة هـ١ بمقدار ٥٫٢ وعلى المحور ص النقطة هـ٢ بمقدار ٢٫٥ وصل بينهما بخيط دقيق يقطع المحور ر فيقطعهُ في النقطة ١٣ فهي مقدار هـ٣ اي الحاصل من ضرب هـ١ × هـ٢ او ٥٫٢ × ٢٫٥ . وبدل الخيط الدقيق يمكن استعمال شفّاف عليهِ خط مستقيم بصفة دليل يمر بين رقمي النقطتين هـ١ هـ٢

ويمكن استعمال هذا النموغرام للقسمة ايضاً بوصل رقم هـ١ مع رقم هـ٣ فيصل الخط الى رقم هـ٢ على المحور ص

وبمقارنة هذا النموغرام بالاباك المتقدم ذكرهُ نجد ان مقادير الارقام هـ١ هـ٢ هـ٣ تكوّن في الاباك على ثلاثة خطوط متقاطعة في نقطة وفي هذا النموغرام نجد انها على ثلاث نقط على استقامة واحدة ويتضح من ذلك انهُ يمكن تحويل الاباك الى نموغرام وبالعكس وذلك بواسطة تحويل هندسي يسمّى تحويل التناظر Transformation corrélative

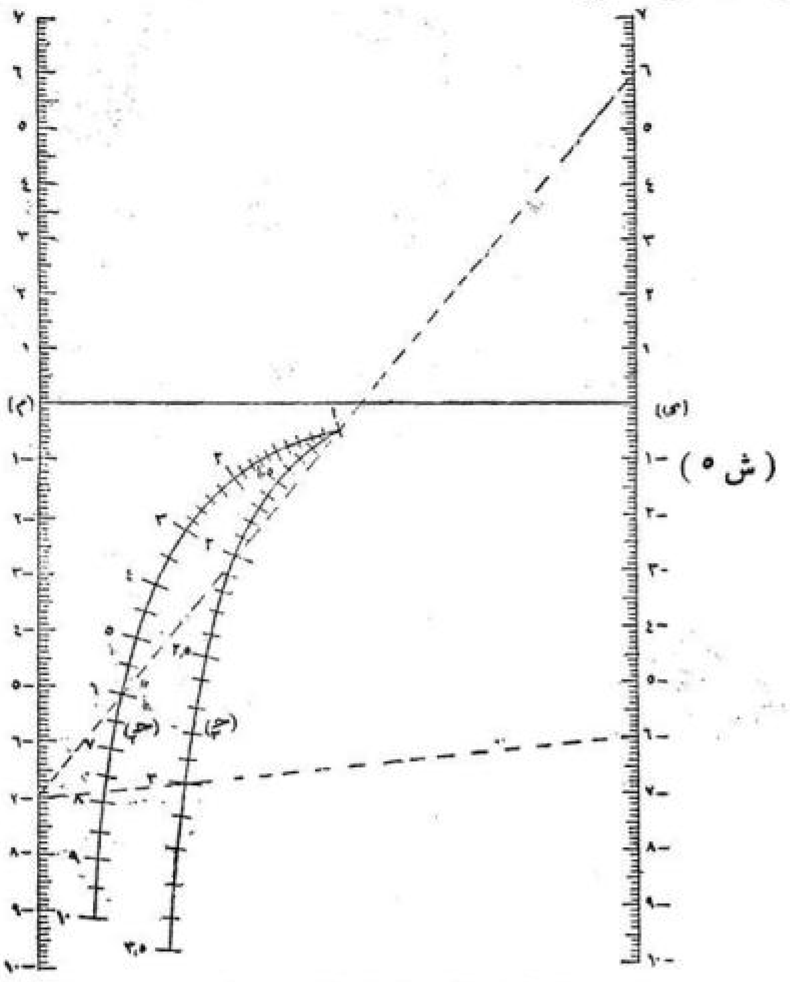
ويمكن ايضاً تحويل النموغرام الواحد الى جميع النموغرامات المبينة لقانون هذا النموغرام وذلك بواسطة تحويل هندسي يسمّى تحويل التناسب Transformation homographique وفائدة ذلك البحث عن الشكل الانسب من تلك النموغرامات



(ش ٤)

ولا يخفى انهُ لا يمكن معرفة المقادير التي تزيد على اربعة ارقام باستعمال هذا النموغرام معرفة تامة ولكن المعرفة التقريبية تكفي في تطبيقات كثيرة ولاسيما في التطبيقات المتعلقة بفن الهندسة . والغرض من علم النموغرام حصر جميع القواعد الاساسية المختصة ببيان المعادلات والقوانين مهما كان عدد متغيراتها بواسطة جداول مرسومة ذات ارقام وهذه الجداول

النموغرافية مكونة من اجزاء هندسيَّة مرقّمة بحيث ان الارقام المختصة بكل من تلك الاجزاء الهندسيَّة تقابل متغايرات القانون او المعادلة المعتبرة وبحيث ان الارتباط الجبري بين المتغايرات الموضح بواسطة قوانين هو نفسهُ موضح على الرسم بارتباط هندسي بسيط بين النقط المرقمة بمقادير تقابل المتغايرات



وعندهم طرق مختلفة للبيان النموغرافي ابسطها واحسنها طريقة المسيو دوكاني للنقط ذات الاستقامة الواحدة فانهُ يشتق منها جملة طرق تؤدي الى الغرض المطلوب . وايضاحاً لذلك نشرح النموغرام ذا النقط التي على استقامة واحدة في حل معادلة الدرجة الثانية

س٢ + م س + ي = ٠ ومعادلة الدرجة الثالثة س٣ + م س + ي = ٠

وهذا النموغرام المرسوم في الشكل الخامس مركب من مستقيمين متوازيين عليهما ارقام بمقياس متري اعتيادي تدل على المعلومين في المعادلة وهما م و ي وهو مركب ايضاً من مقياسين على خطين منحنيين وهما ح٢ وح٣ يدلان على جذري معادلتي الدرجة الثانية والثالثة

كيفية استعمال هذا النموغرام

لحل معادلة س٣ — ٧ س — ٦ = ٠ فيها المعلومان م = — ٧ و ي = — ٦ فلمعرفة الجذر الموجب لهذه المعادلة يكفي ان تأخذ نقطة تقاطع المنحني ح٣ بخيط دقيق يمتد من نقطة رقم — ٧ على المقياس (م) الى نقطة رقم — ٦ على المقياس (ي) فرقم نقطة التقاطع وهو ٣ هو الجذر الموجب لهذه المعادلة • ولمعرفة جذريها السالبين نبدل س بالحرف — س فتنتج المعادلة س٣ — ٧ س + ٦ = ٠ وفيها م = — ٧ و ي = ٦ وبأخذ نقطتي تقابل الخط ح٣ مع الخيط المار بنقطتي — ٧ و + ٦ ينتج جذرا المعادلة السالبان ١ و ٢

وكل ما ذكر عن المعادلة ذات الدرجة الثالثة يطبق على المعادلة ذات الدرجة الثانية وذلك باخذ نقطة التقابل على المنحني ح٢ بدل اخذها على المنحني ح٣ واذا خرج المقداران المعلومان م و ي من حدود النموغرام في الشكل ٥ تستعمل القاعدة الآتية التي بها يمكن تصغير هذين المقدارين لادخالها في حدود الرسم وهي ان يعوّض بالمقدار ه ص في المعادلة المتغيرة مثلاً من الدرجة الثالثة باخذ مقدار المكرر ه عدداً صحيحاً اختيارياً وبقسمة كلٍ من حدود هذه المعادلة على ه٣ فتأول هذه المعادلة الى ص٣ + $\frac{\text{م ص}}{\text{ه}^2}$ + $\frac{\text{ي}}{\text{ه}^3}$ = ٠ باخذ المقدارين $\frac{\text{م}}{\text{ه}^2}$ و $\frac{\text{ي}}{\text{ه}^3}$ كارقام تابعة لحرفي م و ي على النموغراف ينتج مقدار ص على المنحني (ح٣) ويكون مقدار س = ه ص

مثال ذلك س٣ — ١٢ — ١٦ = ٠

عوّض عن س بالمقدار ٢ ص باعتبار ان ه = ٢ واقسم الطرف الاول على ٨ تأول المعادلة الى ص٣ — ٣ ص — ٢ = ٠

وتحل بالنموغرام باخذ م = — ٣ وي = — ٢ فينتج ص = ٢ ويكون مقدار س = ٤

فريد بولاد ومحمد منيب

مهندسان بعموم مصلحة سكة الحديد



الزراعة المصرية

في عهد الاحتلال الفرنسوي

وضع المسيو جيرار الذي كان رئيساً لهندسة الجسور والطرق في زمن الحملة الفرنسوية وعضواً في الاكادمية العلمية الملكية وفي الجمعيَّة الجغرافية المصرية كتاباً في هذا الموضوع . وهو يقع في ٢٢٤ صفحة كبيرة مملوءَة بالفوائد الزراعية والتجارية والصناعية مما يعزّ الوقوف عليهِ في غيرهِ . وبدأَهُ بوصف رحلتهِ في النيل وبيان الغاية منها فقال

تمهيد

عهد اليَّ على اثر احتلال الجيش الفرنسوي لمديريات القطر المصري بركوب النيل حتى الشلال الاول للبحث عن تأثيرهِ في خصب البلاد وجمع ما يتيسر لي من الموادّ والمعلومات اللازمة لتنظيم الري بمقتضى رسم عام يعمل لذلك

فبرحت القاهرة في ١٩ مارس سنة ١٧٩٩ مصحوباً ببعض اعضاء لجنة الصناعة . وفي اثناء سفرنا وجَّه كل منا عنايتهُ الى ما يلائم ذوقهُ الخاصّ من الابحاث . اما انا فكانت غايتي الجلَّى تحسين البلاد وتوطئةً لذلك لم ارَ بدّاً من الوقوف على حالتها الحاضرة والإحاطة بالمنافع التي تعود عليها من الزراعة والصناعة والتجارة . فوجدت امامي متّسعاً للبحث في هذه الشؤُون وجمعت من المواد والمعلومات فوق ما كنت ارجو نيلهُ

فبدأت من اول يوم سافرنا فيهِ بتدوين ما يتصل بي من المعلومات التي كنت اتلقاها تارةً من مشايخ القرى الذين كنت استدعيهم اليَّ لهذه الغاية وطوراً من المزارعين الذين كنت التقي بهم في تجوالهم وادعوهم الى مركبنا

ولم يكن على المترجم الذي استصحبناهُ الاَّ اعادة الاسئلة على من كنت القيها عليهم في اوقات مختلفة فتمكن سريعاً من استيعاب جوهر اجوبتهم وترجمتهِ ولذلك فاذا صحَّ لي الشك بصحة اقوالهم فاني على يقين من صحة نقلها اليَّ

وعند وصولنا الى اسيوط كانت عساكر الجنرال دسكس لم تتمكن بعدُ من احتلال جميع اعالي الصعيد فاقمنا في تلك المدينة من ٢٨ مارس الى ١٨ مايو وشهدت في هذه المدة طريقة الحصاد وتمكنت من مشافهة المزارعين في ما يختص بالزراعة ومقتضياتها في جميع فصول السنة ومن ثمَّ توجهنا الى قنا برًّا متتبعين ضفة النيل اليسرى فبلغناها في ٢٥ مايو . ومن حسن الحظ التقيت هناك بالجنرال بليار الذي كان متوليًا امر تلك المديرية فوجدتهُ على اهبة السفر وقد اعدَّ حملة عسكريَّة للاستيلاء على ميناء القصير . فسنحت لي بذلك فرصة موافقة طالما تمنيتها للوقوف على دخائل الصحراء التي تفصل وادي النيل عن البحر الاحمر ولمعرفة ما انا في احتياج اليهِ من احوال التجارة المتداولة على ذلك الطريق بين مصر وبلاد العرب . وفي اليوم التالي صحبت هذه الحملة الى القصير حيث وضعت حاميةً فرنسوية وعدنا في ١٤ يونيو . ومكثنا في قنا الى ٣٦ منهُ فاتسع لي الوقت للبحث والتثبُّت ممَّا كنت قد علمتهُ عن الاعمال والمحصولات الزراعيَّة واضفت الى معلوماتي ما علمتهُ عن تلك الجهة . ومن ثمَّ سرنا برًّا على ضفة النيل اليمنى حتى انتهينا الى اسنا في ٣٠ منهُ فلم اجد فيها ما يختلف عما كنت قد علمتهُ اثناء اقامتنا في اسيوط وقنا وبعد ان مكثنا فيها ستة ايام رحلنا عنها في ٩ يوليو ميممين الشلال الاول فبلغنا اصوان في ١٢ منهُ وقفلنا عنها راجعين في ٢٦ فوصلنا في ٣٠ الى اسنا حيث اقمنا ايضًا عشرة ايام وغادرناها لمشاهدة سهل طيبة فبلغناهُ في ١١ اغسطس ونزلنا على الضفة اليسرى وامضينا اليوم التالي على الشاطىء المقابل واقمنا في الاقصر حتى ٢٩ منهُ فعدنا الى اسنا حيث لبثنا ايضًا الى ١٤ سبتمبر وبذلك نكون قد امضينا فيها ٢٥ يومًا في ثلاث مرات مختلفة . وفي عودتنا لم اعرّج على قنا لاني كنت قد قضيت لباناتي منها فتوجهت توًّا الى مديريَّة جرجا التي كنت تخطيتها في ذهابنا مع ما لها من الاهمية في الصعيد واقمت فيها من ١٢ الى ٢٠ سبتمبر وبعد ذلك امضيت ثلاثة ايام في اخميم ورحلتُ عنها الى اسيوط فبلغتها في ٢٥ سبتمبر سنة ١٧٩٩ وكانت مياه الفيضان قد اخذت في الانحسار فشهدت الناس يزرعون

وفي ذلك الحين كان الجنرال دسكس قد اتخذ مدينة اسيوط مركزًا لهُ ليشرف على حركات مراد بك . فحمل عليهِ في اول اكتوبر واوغل في مطاردتهِ في الصحراء الى ما وراء الفيوم متتبعًا الضفة اليسرى من بحر يوسف . فصحبتهُ في هذه الغارة بقصد تفقد احوال الفيوم ولكنهُ تلقى بعد ذلك بعشرة ايام خبر عودة القائد العام الى فرنسا وامرًا برجوعهِ هو الى القاهرة فاضطرتني الحال الى العدول عن زيارة الفيوم . وسافرنا حالاً الى المنيا ومن هناك

اقلعنا في النيل في ١٤ اكتوبر فعدت الى القاهرة في ١٦ منهُ بعد غياب سبعة اشهر

وكان الجنرال كليبر الذي كان قائداً للجيش قد غيَّر نظام اعمال الجمعية الجغرافية المصرية ونظام لجنة الصنائع وعيَّن عدة لجان أُخر عهد اليها بمراجعة جميع ما كتب مما يلمح فيهِ النفع وضممت انا الى لجان الزراعة والتجارة فقضيت جانباً من شهري نوفمبر ودسمبر في ترتيب المواد والمعلومات التي كنت قد استحصلت عليها من الصعيد لعرضها على اللجان التي صرت احد اعضائها . وفي اثناء هذين الشهرين زرت الاهرام وسقارة حيث امضيت عدة ايام ووطدت علاقاتي مع مشاهير تجار القاهرة من نصارى ومسلمين فتهيأ لي الحصول على المعلومات التي ستَرد في ذيل هذا التقرير في الباب الذي افردتهُ لتجارة مصر الحالية

وفي ٢٤ دسمبر سنة ١٧٩٩ سنحت لي فرصة موافقة لاكتشاف احوال الطريق الموصل بين القاهرة والسويس مجتازاً وادي التيه . فوصلت الى السويس في ٢٨ منهُ بعد مسير اربعة ايام واقمت فيها الى ٢٢ يناير سنة ١٨٠٠ وظفرت بفوائد جمة اضفتها الى ما كنت قد علمتهُ عن تجارة مصر مع بلاد العرب · وعدت الى القاهرة من اخصر طريق وهو الذي يمرّ بين المقطم وبركة الحاج فبلغتها في ٢٤ منهُ

وفي تلك المدة كانت الجنود العثمانية تتهدد مصر ولم تبطئ ان هاجمتها وكان من الضروري اعادة القتال ونيل الظفر الذي فصل فيهِ الخطاب بموقعة عين شمس

وكنت في ذلك الحين منذ حدوث تلك الموقعة الى ان تمكنت الجنود الفرنساوية من العود للاستيلاء على الصعيد مقيماً في الجيزة فانكببت على تمحيص الاخبار والمعلومات التي استحصلت عليها مما يختص بالزراعة في ضواحي القاهرة

وفي ١٠ مايو سافرت الحامية الجديدة الى الصعيد فصحبت الجنرال زيونشك الذي عين قومنداناً لمديريتي بني سويف والفيوم · فتبعت المشاة على ضفة النيل اليسرى ووصلنا الى بني سويف في ١٣ منهُ . فتمكنت في اثناء سيرنا البطيء من الحصول على معلومات جديدة عن زراعة البلاد التي اجتزناها · وبعدما لزمت الجنرال زيونشك ثلاثة ايام افترقت عنهُ لتفقد احوال مديرية الفيوم فتجولت فيها مصحوباً بقائد الجند الذي كان قد تولَّى امر الضرائب على تلك المديرية فاقمت فيها من ١٧ مايو الى ٢٣ يونيو وعدت الى القاهرة وكان الجنرال كليبر القائد العام قد قتل في ١٤ يونيو وانتقلت القيادة الى غيره · فاقمت في القاهرة نحواً من خمسة اشهر اتحيَّن الفرص لتفقد احوال مصر السفلى (الوجه البحري)

وكان فيضان هذه السنة بالغاً حدَّهُ فبت اترقب انكشاف الاراضي للجولان في الوجه

البحري واخيرًا سافرت في ١٠ دسمبر الى طنطا وجلت في مديرية المنوفية ووصلت الى فرع النيل الذي يعرّج على رشيد مقابل الرحمانية ومن ثمَّ توجهت شرقًا الى سمنود على فرع دمياط مارًّا بالمحلة الكبيرة

وتركت سمنود في ٣١ دسمبر مقلعًا في ترعة التعبانية التي تصبُّ في بحيرة البرلّس . فاجتزت هذه البحيرة ليلاً ووصلت الى بلقيم وهي اهم القرى المبنيَّة على اللسان الفاصل بين هذه البحيرة والبحر المتوسط

وفي ٢ يناير سنة ١٨٠١ استأنفت السفر متتبعًا شاطئ البحيرة الى ان انتهيت الى قرية روس على الضفة اليمنى من النيل مقابل مدينة رشيد. وكان الجنرال زيونشك قومندانًا على هذه المدينة فاقمت معهُ الى ٩ منهُ فبذل وسعهُ في مساعدتي على نحو ما فعلهُ في الفيوم . ثم عدت فعبرت النيل عند مصبهِ وتتبعت شاطئ البحر على مسير يومين الى ان انتهيت الى بوغاز البرلّس وهو المصب الرئيسي لمياه بحيرة البرلّس. ومن هناك ذهبت الى دمياط فوصلتها في ١٣ يناير بعد سفر ثلاثة ايام وكانت هذه المرة الثانية التي زرت فيها دمياط لاني كنت قد تفقدتها منذ سنتين وحدث لي ما اضطرني الى البقاء فيها مدة شهرين . فاكملت هذه المدة ما كنت قد بدأت بهِ من التعرف باحوال التجارة مع سوريا ووقفت على احوال زراعتها الخاصة . فاقمت فيها الى ١٨ منهُ وانتقلت الى المنزلة وهي قرية كبيرة تسمى باسمها البحيرة التي تغطي الجهة الشرقية من الدلتا . ثم تفقدت مصايد السمك في المطرية وفي ٢٣ منهُ اقلعت في ترعة اشمون الى المنصورة فدخلتها في ٢٥ منهُ وخرجت منها في ٢٧ منهُ قاصدًا صان فالصالحية ووصلتها في ٣٠ منهُ وغادرتها في اول فبراير الى بلبيس فالقاهرة فانتهيت اليها في ٤ منهُ

ولم يمضِ على عودتي زمن يسير حتى توقفت الاعمال الحربيَّة وكان لا بد من انضمامي الى احد اقسام الجيش فبقيت في القسم الذي كان بقيادة بليار حتى اجلينا عن القطر المصري فتركنا ابا قير في اوائل شهر اغسطس

فيرى جليًّا مما تقدم اني تابعت البحث في جميع مديريات القطر المصري ووفيت هذا البحث الجليل ما يستحقهُ من العناية والدقة في البحث والتنقيب فقمت بمهمتي الخاصة وهي الوقوف على احوال الزراعة والتجارة والصناعة كما يرى ذلك مفصلاً في الابواب التالية

(١)

مساحة الاراضي المزروعة — الريّ — وسائط الريّ الصناعية

يجتاز النيل في جريهِ شمالاً من اصوان الى القاهرة نحو الف كيلو متر · فيجري في وادٍ عرضهُ نحو ثلاثة فراسخ [1] محصور بين سلسلتي جبال تمتد احداها شرقاً الى البحر الاحمر وتنتهي الاخرى عند حدود صحراء ليبيا · وتفترق هاتان السلسلتان تحت القاهرة فتنعطف الاولى الى جهة البحر الاحمر وتمتد الثانية الى الشمال الغربي حتى البحر المتوسط

والارض بين هاتين السلسلتين وبرزخ السويس مكونة من رواسب النيل اذ كان يخترقها في اماكن مختلفة تبعاً للطوارىء التي كانت تطرأُ على مسيلهِ فتغير جهة جريهِ · فاذا ضممنا هذه الارض المتسعة الاطراف الى اراضي مديريَّة الفيوم والاراضي الواقعة في نفس وادي النيل الضيق المتقدم ذكرهُ يتكون من ذلك مجموع الاراضي الصالحة للزراعة في القطر المصري ومساحتها نحو مليونين ومائة الف هكتار (اي نحو خمسة ملايين فدان)

اما التربة فمؤلفة من طبقة سطحية مكسوة بطينة دكناء وتحتها طبقات رملية مختلفة الكثافة يرتشح من خلالها ماء النيل والمياه التي تغطيها ابَّان الفيضان

فبلاد كهذه واقعة بين الدرجة ٢٤ و ٣١ من العرض حيث لا يقع المطر الاَّ نادراً لا يتأتى اخصابها الاَّ بان تسقى مباشرةً بماء النيل سيحاً (بالراحة) او بآلات

ويبتدىء ارتفاع النيل في المدار الصيفي فيبلغ اشدَّهُ في الاعتدال الخريفي ويعود الى الانخفاض تدريجاً حتى المدار الصيفي من السنة التالية · فيكون زمان ارتفاعهِ ثلاثة اشهر وانخفاضهِ تسعة اشهر · وفي زمن التحاريق يكون علوّ الاراضي التي ينحسر عنها الماء من ٨ الى ١٠ امتار فوق سطح الماء في جهات الصعيد ومن ٤ الى ٥ امتار في ضواحي القاهرة ومتراً واحداً فقط عند مصب فرعي رشيد ودمياط

وبعد شهرين من ابتداء الفيضان اي بين ٢٠ و ٢٥ اغسطس تقطع السدود التي تكون قد اقيمت على رؤوس الترع على جانبي النيل

وهذه الترع تتجه في الصعيد منحرفة نحو سلسلتي الجبال المجاورة لوادي النيل حتى تصل الى سفحها فتمتد اذ ذاك متوازيةً الى الصحراء · وهناك يعترض سيرها سدود تستوقف المياه فترتفع وتغشى جزءاً من الاراضي التي على جانبيها وكلما زاد النيل ارتفاعاً علت المياه في هذه الترع وزادت مساحة الاراضي التي تغطيها

---

[1] نحو ١٢ كيلو متراً

وعندما يبلغ ارتفاع الماء معظمهُ يقطع السد الحاجز فتتجاوزهُ المياه جارية من تلقاء نفسها على حدود الصحراء الى ان تلتقي بسد آخر فتتجمع وترتفع وتطغى على الاراضي المحصورة بين السدين . ثم يقطع السد الثاني فتجري المياه حتى يستوقفها سد ثالث وهكذا الى ان تتغطى جميع الاراضي الواقعة على ضفتي النيل بماء الحياض التي تتكون من تعاقب السدود عليها في هذه الترع . وتؤخذ المياه ايضاً على ابعاد مختلفة من النيل بواسطة ترع خاصة تسقي ما لا تصل اليهِ مياه الحياض فتزيد بذلك مساحة الاراضي التي يغمرها الماء

وتلافياً لانحسار المياه عن الاراضي المغمورة بها ورجوعها الى النيل يقام على شاطئيهِ سدود اخرى تدعى جسوراً فتستخدم ايضاً للمرور عليها اثناء الفيضان اذ تكون الاراضي مغطاة بالمياه التي كثيراً ما يزيد ارتفاعها عن مساواة سطح النيل . فيرى من ذلك ان نظام الري هذا يقوم بانشاء حياض متتابعة اثناء الفيضان يرتفع بعضها عن بعض تدريجاً فيسقى بها ما لا يتأتى سقيهُ من النيل مباشرةً

ولذلك فتحسين نظام الري في القطر المصري لا يتوقف على تعميق الترع بمقدار ما يتوقف على حفظ السدود المعترضة

اما الجسور التي تمتد غالباً من بلدة الى اخرى وتستخدم للمواصلات اثناء الفيضان فيعتني بها اهالي البلاد . ولما كانت مصنوعة من التراب مما يجعلها عرضةً لان تخترقها المياه او تقطعها اذا هاجتها الرياح كان لا بد للاهالي من تقويتها بالحصر وما اشبه يعضدونها بنصائب خشبيةٍ يغرزونها عمودية عليها

وتستخدم هذه الطريقة من الري في الوجه البحري على النحو الذي وصفناه في الصعيد فيرى من ذلك ان مساحة الاراضي التي تغمرها المياه تتوقف اولاً على ارتفاع الفيضان وثانياً على المدة التي يسمح بها لبقاء المياه في الحياض . وبما ان الاراضي الواقعة تحت الحياض تبقى بدون ري حتى تفتح السدود وتأتيها المياه من الاحواض التي فوقها فتأخير فتحها يضرُّ بالبلاد السفلى و يفقدها جميع الامتيازات التي تتمتع بها البلاد العليا ببقاء المياه على اراضيها زمناً طويلاً . وكثيراً ما ادى تضارب المصالح من هذا القبيل الى خصومات دموية كانت عيوب البوليس تزيدها عدًّا حتى استحكم العداء بين اهالي بعض القرى المجاورة منذ زمن لا يحيط بهِ التاريخ

ومعظم السدود التي تخترق مصر العليا وقلب الدلتا تقاطع طولاً بجسور (كباري) تبنى اعتيادياً من الطوب . وهي ذات قناطر عرض الواحدة منها نحو ثلاثة امتار والمسافة التي

بين ركن واخر منها مبنيَّة ايضاً فتمر المياه من فوقها بعد ان تكون قد مكثت مدة كافية على الاراضي الواقعة فوق هذه الجسور

وجميع الاراضي التي تروى بماء النيل منذ اول فتح الترع لغاية قطع السدود تزرع زرعاً خاصاً يطلق عليهِ اسم بياضي وهو ما لا يحتاج الى سقي حتى وقت جناه . اما ما يزرع في نفس الفصل في الاراضي التي لا تروى بماء النيل مطلقاً او تروى ريًّا ناقصاً فيحتاج معهُ الى استعمال الوسائط الصناعية فيسمى بالشتوي

وبعد استغلال الزرع البياضي او الشتوي يبدأ بزراعة الصيفي في زمن هبوط النيل فيلزم لريهِ عناء دائم يزيد مشقة كلما زاد النيل هبوطاً

وعند اول ارتفاع النيل وانتهاء الزراعة الصيفيَّة يبتدئ زرع الدميري وهو ما يزرع في الاراضي السفلى والنباري وهو ما يزرع في الاراضي العليا وكلما ارتفع النيل وزادت المياه في الترع خفّت مشقة الزراعة . وتعاقب الزراعة على هذا المنوال يؤدي الى تقسيم طبيعي للسنة عند سكان الريف في مصر . فيقسمها الى ثلاث مدد كل مدة منها ٤ اشهر . الاولى مدة زراعة البياضي او الشتوي والثانية مدة زراعة الصيفي والثالثة مدة زراعة الدميري او النباري في الخريف

وعند ما تكون الاراضي التي تزرع في المدتين الثانية والثالثة مجاورة للنيل او الترع تسقيها الانفار بالدلو او بالشادوف . وبمدة الزراعة الصيفيَّة تسقى اراضي الصعيد من ثلاثة مواقف متتابعة في كل منها نفران يتعاقبان على انتشال المياه بالدلو . اما في زمن زراعة النباري فلا يستخدم الاَّ نفران في موقف واحد

اما الاراضي البعيدة عن النيل والترع فتروى بواسطة السواقي فيستخرج الماء من آبار تحفر لهذه الغاية بواسطة جبل محبوك الطرفين وقد نيط اليهِ اكواز من الفخار على مسافات متقاربة ولف على عجل تديرهُ الثيران

وفي الوجه البحري وخصوصاً في شمالي الدلتا حيث الآبار التي يحفرونها قليلة العمق يستعملون دواليب خشبيَّة عوضاً عن طريقة الحبل المحبوك الطرفين فتعلق الاكواز على محيطها ويديرها الثيران او الجواميس

وقد سبق طبع اوصاف هذه الآلات على حدة فيكفي هنا القول بانها من ابسط الآلات وانسبها استعمالاً في هذه البلاد حيث اجرة الاعمال اليدوية رخيصة للغاية

وقد علمت من نتيجة التجارب التي عملها المهندس المسيو دويثانوي ان العامل المصري

يمكنهُ ان يرفع بالدلو ٤٩ لترًا و ٢٧/١٠٠ من الماء في الدقيقة على علو مترين و ٨٨ سنتيمترًا وذلك اقل بكثير من قوة الرجل الاعتيادية كما تبين ذلك من الامتحانات التي اجريت في اوربا حيث اتضح ان العامل يمكنهُ ان يرفع في الدقيقة ٥٥ لترًا من الماء على علو ٤ امتار

وجرب المهندس المذكور قوة الساقية ذات الحبل المحبوك الطرفين فوجدها توازي تقريبًا خمسة اضعاف قوة الرفع بالدلو بواسطة نفر واحد . وعلى ذلك فيمكن لخمسة انفار فقط ان يتمموا نفس العمل الذي يقتضي لهُ استخدام ثور واحد

الزراعة في البلاد العثمانية

ليس لدينا احصاء رسمي عن احوال الزراعة في البلاد العثمانية ولذلك يضطر الباحث في هذا الموضوع ان يعتمد على تقارير قناصل الدول الاوربية كما سيجيء

والذي نعلمهُ عن ثقة ان البلاد العثمانية كلها من اخصب البلدان وانهُ يجود فيها كل ما يمكن ان يجود في غيرها في الاقاليم الحارة والمعتدلة والباردة لانها جامعة بسهولها ونجودها وجبالها بين هذه الاقاليم كلها ولكن نظام العشور فيها يغلُّ ايدي الفلاحين وقلَّة طرق المواصلات تمنع نقل الحاصلات فلا بدَّ لاصلاح الزراعة فيها من امرين جوهريين الاول ربط ضرائب محدودة على الاراضي او على الحاصلات ولا بأس بنظام العشور اذا لم يكن التزامًا بل روعي فيهِ العدل التام . والثاني تمهيد الطرق حتى تقل نفقات النقل . وهاتان المسألتان اصعب المسائل كلها ويجب الاهتمام بهما قبل الاهتمام بتنظيم الجيش وبناء البوارج لانهُ ان لم يصر دخل الحكومة العثمانية ثلاثين مليونًا او اربعين مليونًا من الجنيهات فمن العبث ان تهتم ببناء البوارج والبارجة الواحدة لا تبنى الآن باقل من مليوني جنيه . ولا يتضاعف دخل الحكومة الَّا اذا تضاعف دخل الاهالي

ولا نبالغ اذا قلنا ان دخل الحكومة يجب ان يبلغ ٤٠ مليونًا من الجنيهات وهو الآن اقل من ٢٠ مليونًا لان دخل حكومة ايطاليا ٨٠ مليونًا من الجنيهات وعدد سكانها نحو ٣٣ مليونًا من النفوس لا غير ودخل حكومة اسبانيا يبلغ ٤٠ مليونًا من الجنيهات وعدد سكانها اقل من عشرين مليونًا من النفوس . اما الحاصلات الزراعية التي وقفنا على احصائها في بعض الكتب الاوربية فهي ما يأتي

الحراج او الاحراش — في البلاد العثمانية ٢١ مليون فدان من الاحراش ١/٣ منها في اوربا وما بقي في اسيا ومساحة الاحراش في انكلترا لا تزيد على ثلاثة ملايين فدان

وفي المانيا وهي من اوسع الممالك احراشاً تبلغ اقل من ٢٥ مليون فدان · وفي احراش البلاد العثمانية الصنوبر والشوح والشربين والسنديان والارز والجوز ونحو ذلك من الاشجار التي يستخرج منها خشب البناء والنجارة

الحبوب — يبلغ حاصل القمح سنوياً نحو مليوني طن وحاصل سائر الحبوب نحو ثلاثة ملايين طن ونصف اي ان قيمة غلة الحبوب السنوية نحو خمسين مليوناً من الجنيهات

الخمور — صنع فيها سنة ١٩٠٧ نحو ٦٢ مليون كيلو من الخمر ونحو ٩ ملايين كيلو من السبيرتو و ٦ ملايين كيلو من البيرة

الحرير — بلغ موسم الشرانق في ولايتي بورصة واشميد وحدها نحو سبعة ملايين كيلو سنة ١٩٠٧ . وقد صدر من البلاد العثمانية من الحرير سنة ١٩٠٦ ما ثمنهُ نحو ٣ ملايين ليرة عثمانيَّة ومن العنب ما ثمنهُ مليونان و ٣٥٠ الف ليرة ومن الحبوب والدقيق ما ثمنهُ مليون و ٨٨٠ الف جنيه ومن الصوف ما ثمنهُ ٩١٠ آلاف جنيه ومن التين ما ثمنهُ ٩٠٠ الف جنيه ومن البن ما ثمنهُ ٨٩٠ الف جنيه ومن الافيون ما ثمنهُ ٧٣٠ الف جنيه ومن الجلود ما ثمنهُ ٧٣٠ الف جنيه ومن قموع البلوط ما ثمنهُ ٦٢٠ الف جنيه · وبلغت قيمة الصادرات كلها سنة ١٩٠٦ نحو عشرين مليوناً من الليرات واكثرها ان لم نقل كلها من الحاصلات الزراعية هذا عدا التبغ · اما التبغ فبلغ الصادر منهُ سنة ١٩٠٦ اكثر من ١٨ مليون كيلو فاذا حسبنا ثمن الكيلو ثمانية غروش فقط بلغ ثمن التبغ الصادر نحو مليون ونصف من الجنيهات

وقد بلغت قيمة الصادر الى القطر المصري فقط في العام الماضي من البلاد العثمانيَّة مليونين و ٩٧٣ الف جنيه او نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات المصريَّة وكلها صادرات زراعية ولم يرد الى البلاد العثمانية من القطر المصري في العام الماضي الاَّ ما قيمتهُ نحو ٣٣٧ الف جنيه او اقل من قيمة التبغ الوارد الى القطر المصري من البلاد العثمانية لان قيمتهُ بلغت في العام الماضي نحو ٣٥٦ الف جنيه مصري او نحو نصف قيمة كل التبغ والتنباك الواردين الى القطر المصري

الزراعة والعثمانيون المهاجرون

قابل حضرة صديقنا فرح افندي انطون صاحب مجلة الجامعة ناظر الداخلية في بلاد كندا واستعلم منهُ عن اساليب تملك الاراضي الزراعية في تلك البلاد وحث اخوانهُ العثمانيين المهاجرين على السعي في امتلاك الارض واحيائها والاشتغال بالزراعة وحسناً

فعل ولكنهُ لو عرف حينئذٍ ان الامَّة العثمانية نالت ما كانت تصبو اليهِ وهو حكومة دستوريَّة ترجي ان تكون مثل حكومة كندا اهتماماً باصلاح بلادها لو عرف ذلك قبلما قابل وزير كندا لعدل عن مقابلتهِ وبذل همتهُ في حث المهاجرين العثمانيين على الرجوع الى بلادهم وتعميرها

لقد جلنا في جهات مختلفة من ايطاليا وفرنسا وسويسرا وانكلترا وبحثنا عن احوال الزراعة فيها وسمعنا شكاوي الفلاحين فرأينا ان البلاد العثمانية تفضل البلدان الاوربيَّة في جودة تربتها واعتدال حرها وبردها واوقات وقوع المطر فيها. امسكت السماء عن المطر شهراً وبعض شهر في سويسرا في صيف سنة ١٩٠٠ فيبست المراعي وكادت المزروعات تتلف. وتواصلت الامطار في الصيف الماضي ببلاد الانكليز فتعذَّر على الناس حصد مزروعاتهم. وكم من مرة كانت تشرق الشمس في الصباح فيخرج الحاصدون ويشرعون في الحصاد وبعد اقل من ساعتين تغيم السماء ويقع المطر فكنا نراهم ينظرون الى جهات الافق بوجوه باسرة بعد ان كانت باشرة وعيون يكاد القنوط يزيل لألاءها ثم يرمون مناجلهم ويهرولون الى بيوتهم ولا نظن ان حال اهل الزراعة في كندا اصلح من ذلك لانهم تحت رحمة الاحداث الجوية من حر وبرد ومطر وثلج

ولا مشاحة في ان اكثر البلدان التي هاجر اليها العثمانيون في اميركا الشمالية والجنوبيَّة وافريقية واستراليا وجزائر البحر حكوماتها اصلح جدًّا من الحكومة العثمانية كما كانت في العهد الذي ختم في ٢٤ يوليو الماضي. والمنتظر الآن ان تصطلح حكومة البلاد العثمانية سريعاً حتى تضاهي اصلح الحكومات الاوربيَّة وحينئذٍ تزول الاسباب التي دعت العثمانيين الى المهاجرة والمرجح عندنا ان كثيرين منهم يرجعون الى بلادهم لانهم لا يجدون بلاداً اوفر منها خيرات فضلاً من ملاءمة هوائها لما الفوهُ هم واسلافهم من قبلهم. وعسى ان يعودوا اليها مكتسبين همة واختباراً ليساعدوا المقيمين فيها على اصلاحها وابلاغها الدرجة التي تستحقها بين ممالك الارض الراقية

موسم القطن المصري

ثبت الآن ان الموسم الماضي الذي ينتهي الآن بلغ سبعة ملايين ونحو سدس مليون قنطار ففاق ما كان ينتظر ولولا هبوط الاسعار الذي اصاب نصفهُ الاخير لاغدق الخير على القطر المصري. اما الموسم المقبل فنموهُ جيد ولكن الدودة ظهرت في اماكن كثيرة من

الوجه البحري واضرَّت ضررًا كبيرًا ولم تهتم الحكومة بابادتها كما فعلت في السنين الماضية ولذلك يخشى ان يزيد ضررها . ولكن غزارة النيضان هذا العام قد تقنع الفلاحين بان ماء النيل كافٍ فلا يتهافتون على الافراط في ري القطن خوفًا من العطش وان فعلوا ذلك فالمرجح انهم يخلصون القطن من الضرر الذي كان يصيبهُ من العطش ومن الافراط في الري وقت الفيضان فتعادل الفائدة الحاصلة من ذلك الضرر الناتج من الدودة و يأتي الموسم كبيرًا وافيًا كالموسم الماضي او اقل منهُ قليلاً ولكن الاسعار الحاضرة تجعل ثمن الموسم الحاضر اقل كثيرًا من ثمن الموسم الماضي ولا امل بارتفاع الاسعار الاَّ اذا أُصيب القطن الاميركي بآفة فقلَّ محصولهُ وحينئذٍ يستفيد الاميركيون انفسهم من ارتفاع الاسعار و يستفيد القطر المصري ايضًا

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

آداب المعاشرة

للاوربيين الذين نعاشرهم عادات يجرون عليها و يحسبون الإخلال بها من قلَّة الذوق ونقص التربية وكثير منها معقول ولا بدَّ من الاقتداء بهم فيهِ لمن يريد التشبه بهم . واذا كانت عاداتنا القومية تمنعنا من التشبه بهم فيجدر بنا ان نعرف عاداتهم حتى لا نخطئ في سلوكنا معهم اذا زرناهم او عاشرناهم ومن هذه العادات ما يأتي

اذا التقى رجل بامرأة من معارفهِ في الطريق وظهر على وجهها انها تريد ان تتكلم معهُ وجب عليهِ ان يدور و يرافقها وهي تتكلم معهُ لكي لا يوقفها في الطريق . ولها وحدها الحق ان تنهي الكلام معهُ وتأذن لهُ في الانصراف ولكن يجب عليها ان تختصر الكلام تمام الاختصار لكي لا تضطرهُ الى المشي معها طويلاً

اذا صعد رجل وامرأة في سلَّم او نزلا فيها وجب على الرجل ان يتوقف قليلاً لكي تسبقهُ المرأة في الصعود او النزول الاَّ اذا كان السلَّم واسعًا يسع الاثنين ليصعدا او ينزلا معًا بسهولة

اذا التقى رجل بامرأة في مكان ضيق فوقف لكي تعبر امامهُ وجب عليهِ ان يرفع لها برنيطتهُ قليلاً ولو لم يكن يعرفها . ويجب عليها ان تشكرهُ على ذلك باظهار البشاشة لهُ لكن فعلهُ وفعلها لا يحسبان سبباً للتعرُّف في المستقبل فلا يحق لهُ ان يسلم عليها في المستقبل كأنهُ تعرَّف بها ولا يحق لها ان تسلم عليهِ كأنها تعرَّفت بهِ

البيض الجديد والقديم

البيضة الجديدة تكون مملوءة اي ان بياضها وصفارها يملأان قشرتها فاذا ساقتها حينئذٍ لم تجد فيها مكاناً فارغاً . ولكن قشرتها ذات مسام فيتبخَّر منها بعض ما في البيضة ويدخل الهواء فيتحد ببعض دقائقها ويحلها او يفسدها . والتبخر والانحلال اشد في الصيف منهما في الشتاء كما لا يخفى

والبيض الجديد اثقل من البيض القديم لوجود هذا الفراغ في البيض القديم فاذا اذبت اوقية من الملح في ثماني اواقي من الماء ووضعت بيضة جديدة في هذا الماء فانها تغرق فيهِ حالاً واما اذا وضعت بيضة قديمة فيهِ فانها لا تغرق بل تعوم فيهِ او تطفو على وجههِ حسب قدميتها

والبيض القديم لا يحفظ مدة طويلة ولا فائدة من حفظهِ واما البيض الجديد فيحفظ اذا دهنت قشرتهُ بمادة لزجة تسدُّ مسامها كمذوب سلكات الصودا (المعروف بالماء الزجاجي) تذاب اقة من هذا المركب في اثنتي عشرة اقة من الماء البارد ويوضع البيض في اناء خزفي مدهون ورؤُوسهُ الى اسفل ويصبُّ عليهِ المذوب المذكور حتى يغمرهُ جيداً ويعلو فوقهُ ويغطى الاناء ويوضع في مكان مظلم الى حين الاستعمال والاقة من سلكات الصودا تساوي نحو ثلاثة غروش وهي تكفي لحفظ ٣٥٠ بيضة او اكثر

ولا بدَّ من غسل البيض جيداً بماء فاتر حينما يخرج من هذا الاناء لاستعمالهِ

ومن الطرق الشائعة لحفظ البيض ان تصب اقتان من الماء على اقة من الجير (الكلس) الجديد وثلث اقة من الملح ويحرَّك المزيج جيداً وحينما يبرد تضاف اليهِ عشرة دراهم من زبدة الطرطير ويترك المزيج يومين وهو يحرَّك من وقت الى آخر ثم يوضع البيض في اناء من الخزف المدهون ويصب السائل عليهِ

ومنها الطريقة الاميركية وهي ان يذاب صمغ اللك في الالكحول حتى يكون منهُ فرنيش خفيف اويذاب غراء السمك بالماء حتى يكون منهُ غراء خفيف جداً ويدهن البيض بهذا او ذاك فتنسد مسامهُ ويحفظ زماناً طويلاً

اكثر الاوصاب من الطعام والشراب

هذه حكمة قديمة يؤيدها اختبار كل انسان فان سوء الهضم سبب اكثر ما يشاهد من انحراف الصحة والتعب والقلق والغثيان وضيق الخُلق· ودواؤُهُ سهل غالباً وهو الاعتدال في الطعام والامتناع عن الاشربة الروحية· ويراد بالاعتدال تناول الطعام في اوقاته المحدودة والاقلال منهُ على قدر الامكان ومضغهُ جيدًا جدًّا والاكتفاء بما عرف المرء بالاختبار انهُ يسهل عليهِ هضمهُ· فكُلْ ما تستطيبهُ وامضغهُ جيدًا ولا تزد عن الشبع لقمةً واحدةً ولا تكثر من الالوان لئلا تشبع من اللون الواحد ثم تغريك نفسك بالاكل من لون آخر فيكون ما تأكلهُ منهُ زائدًا عمَّا تستطيع معدتك وامعاؤك هضمهُ فيفسد هضمك وتسوء صحتك

ولا تتأخر في العشاء الى ما بعد الساعة السابعة الاَّ اذا كنت تنام بعد الساعة العاشرة ولا تجعل الفترة بين طعام وطعام اقل من اربع ساعات

ولا بأس بشرب الكثير من الماء لانهُ يغسل المعدة والامعاء ويساعد على تذويب الطعام وهضمهِ· وباكل الكثير من الفواكه الناضجة كالعنب والكمثرى (الاجاص) والخوخ (الدراقن) وما اشبه فان الفواكه مغذية لذاتها وفيها مواد تساعد الجسم على هضم غيرها من الطعام وافراز الفضول منهُ · وخير الاوقات لاكل الفاكهة الصباح

تسكير الاثمار

يسكَّر المشمش والخوخ والدراقن والكمثرى وما اشبه من الاثمار هكذا :— ينزع قشر الاثمار وتوضع في اناء فيهِ ماء بارد وتوضع على النار حتى تغلي فيزال الماء عنها ويصب عليها ماء بارد ويزال عنها حتى تبرد ثم تصب اوقية من الماء على اربع اواقي من السكر وتسخن على النار ليذوب السكر ويشتد قوام الشراب ويصير يمتد منهُ خيط اذا رفعتهُ بملعقة فتوضع الاثمار في هذا الشراب وتغلي فيهِ ثم ترفع عن النار وبعد قليل ترد الى فوق النار وتغلي بضع دقائق· ثم تصب الاثمار وما معها من الشراب في وعاء وتترك الى اليوم التالي ويزال الشراب عنها ويغلى حتى يسيل ثم يصب فوقها ويترك يوماً آخر ويزال عنها ثانية ويغلى حتى يشتد قوامهُ جيدًا وحينئذٍ توضع الاثمار فيهِ وتغلي وترد بعد ذلك الى الوعاء

وفي اليوم التالي يزال الشراب عنها وتبسط على لوح واسع حتى تجف ويذر عليها كثير من السكر الناعم واذا جفت يذر عليها ايضاً من السكر الناعم

باب التقريظ والانتقاد

العرب قبل الاسلام

الشك اول مراتب اليقين اما في تاريخ العرب قبل الاسلام فالانكار اول مراتب اليقين لانهُ لم يكن للعرب تاريخ مكتتب فلما فتحوا عيونهم ورأوا لواءهم منشورًا على ممالك كبيرة وكلمتهم نافذة في امم عظيمة جمعوا ما استطاعوا جمعهُ من اخبار اسلافهم المتواترة واوردوهُ على صور تعود عليهم بالفخر ولو بعدت عن المنقول والمعقول حتى انهم انطقوا آدم بالشعر العربي وجعلوا اسلافهم نقطة دائرة الكون ولذلك لا سبيل الى معرفة الحقيقة مما دونوهُ الّا اذا ايدتهُ تواريخ الامم المعاصرة او الآثار القديمة او لم تكن فيهِ مناقضة للمنقول والمعقول ولم يقم حتى الآن من ابناء العربية من اكتشف اثرًا واحدًا من اثار العرب القديمة وقلَّ مَن عثر على فقرة واحدة في تواريخ الاقدمين لم يسبقهُ اليها غيرهُ من علماء الافرنج. فنعتمد على ابحاث الباحثين من الاوربيين وجهد المجتهد منا ان يحسن القياس عليها والاستنتاج منها

هذا وقد وُفق صديقنا جرجي افندي زيدان صاحب مجلة الهلال الى تأليف تاريخ للعرب قبل الاسلام فجمع ما كتبهُ العرب والافرنج في هذا الموضوع وتفهمهُ واستخلص منهُ تاريخًا مسهبًا ذكر فيهِ الاقوال الراجحة والمرجوحة واستنتج منها نتائج معقولة. ومن النتائج التي استنتجها ان حمورابي او همورابي عربي الاصل وهو ما قال بهِ احد مكاتبي النشرة الاسبوعية منذ اكثر من خمس سنوات حينما كشفت قوانين همورابي حيث قال انهُ كان ساميًّا على الترجيح دخل ارض شنعار الخصبة من بلاد العرب وكان قد غلب الكلدانيين واستولى على بلادهم. وقد نقلنا قولهُ هذا الى المقتطف في الصفحة ٤٨٧ من المجلد ٢٨ الصادر سنة ١٩٠٣

ومما اوردهُ المؤلف من الامور التي تستوقف النظر الكتابة التي وجدت على قبر امرء القيس بن عمرو وقد قال انها عربية ولو كان خطها نبطيًّا وهذا نصها

تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو اسر التاج وملك الاسدين ونزرو وملوكهم وهرب مدحجو عكدي وجاء بزجو ؟ في حبج نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه

الشعوب ووكله لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغهُ عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده

قال وهذا لسان عربي تشوبهُ صبغة ارامية وتفسيرهُ

"هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي تقلّد التاج واخضع قبيلتي اسد ونزار وملوكهم وهزم مذحج الى اليوم وقاد الظفر الى اسوار نجران مدينة شمر واخضع معدًّا واستعمل بنيهِ على القبائل وانابهم عنهُ لدى الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغهُ الى اليوم توفي سنة ٢٢٣ في اليوم السابع من ايلول وُفق بنوهُ للسعادة" . اي توفي سنة ٣٢٨ للميلاد

وواضح مما تقدَّم ان العربية التي كانت تكتب في زمن امرىء القيس هذا بعيدة جدًّا عن العربيَّة التي نكتب بها الآن والتي كُتب بها كل ما وصل الينا من كتب العرب واشعارهم فهل كان للعرب لغات متباينة بين التاريخ الميلادي والتاريخ الهجري واللغة المعربة واحدة منها او ان العربيَّة المعربة التي كتبت بها الكتب والدواوين لغة مصطنعة صنعها علماء العرب وعلماء الفرس ووضعوا فيها ما وضعوهُ ونسبوهُ الى الذين سبقوهم ودونوا فيها ما دونوهُ من اخبارهم

ولم نرَ المؤلف اشار الى ان هرقل ولَّى عثمان على مكة بعد ان تنصَّر وذلك سنة ٦١٠ للميلاد اي قبل الهجرة باثنتي عشرة سنة فقط فان لهذا الخبر ان كان صحيحًا شأنًا كبيرًا في تاريخ العرب . ويا حبذا لو ميَّز بمميز ما كل ما نقلهُ عن كتب العرب من غير ان تثبتهُ التواريخ المعاصرة لهُ او العاديات لئلا يظن القارىء انهُ كلهُ او بعضهُ من قبيل ما هو مثبت

وفي الكتاب مباحث طلية حرية بالمطالعة وهو موضح بصور كثيرة مما كشف من الآثار العربية ولم ينشر في الكتب العربيَّة الى الآن . ولم نرَ هذا العام كتابًا عربيًّا عني به اكثر من المنجد وهذا الكتاب فنحث كل احد على مطالعتهِ والانتفاع بهِ

بين القاهرة والسويس

بحث مستفيض في طوبغرافية الارض وجيولوجيتها

The Topography and Geography of the District between Cairo and Suez, by T. Barron, A.R.C.S., F.G.S.

لا تمضي سنة الاَّ وتتحفنا مصلحة المساحة بكتابين او اكثر عن اعمالها في تخطيط القطر المصري وجيولوجيتهِ وهذا الكتاب خاص بالارض التي بين القاهرة والسويس على جانبي

خط السويس القديم وطريق البريد القديمة وفيهِ كلام مسهب عن جبل المقطم والاشجار المتحجرة وكيفيَّة صيرورة الخشب حجرًا برسوب السلكا بدل الدقائق الخشبية وقد كانت السلكا ذائبة في مياه الينابيع الحارَّة المندفعة من الجيامر القديمة ولم تزل آثار هذه الجيامر كثيرة على جوانب بركان قديم كان هناك · وفعل الرياح بالصخور والحصى ومقالع الجبس ونحو ذلك مما لا يخلو من فائدة لغير الباحث في علم الجيولوجيا · وقد الحقت بهِ خريطتان الاولى لشكل البلاد التي البحث فيها والثانية لانواع طبقاتها وهي ملونة بتسعة الوان للدلالة على انواع الصخور والطبقات الارضية

وبعدها رسوم كثيرة لطبقات الارض ونسبة بعضها الى بعض في ارتفاعها وجهات ميلها

ولا نرى كتابًا من الكتب التي تنشرها مصلحة المساحة مثل هذا الكتاب الاَّ ونسأل انفسنا قائلين ترى هل يمكن ان تترجم هذه الكتب الى العربيَّة وما نفعل بالكلمات العلمية التي فيها واكثرها لاتيني او يوناني وهي تعدُّ بالمئات والالوف ولا يستعمل العلماء غيرها سواء كتبوا بالانكليزية او الفرنسوية او الالمانية او الطليانية · انجاريهم في استعمال هذه الكلمات كما هي او نحاول ترجمتها · وهل يُعقل اننا ننفق الوقت والمال على كماليات لا ينتفع بها واحد من مليون من السكان ونحن في اشد الحاجة الى الحاجيات

تقرير عن اعمال مصلحة المساحة

سنة ١٩٠٧

A Report on Work of the Survey Department in 1907

غدت مصلحة المساحة في القطر المصري من اهم المصالح الاميرية بهمة مديرها الكبتن ليونس ورجالهِ فمن اعمالها التي يشعر بفائدتها كل صاحب طين في هذا القطر طبعها خرائط الاطيان التي يعرف بها كل مالك حدود ملكهِ · وقد كان لديها في اول العام الماضي ٧٨٦٠٤٢ خريطة من هذه الخرائط واضافت اليها في بحر السنة ٦٠٩٥١٩ خريطة فصار المجموع ١٣٩٥٥٦١ وهبت وباعت منها ٣٩٤٨٥٠ في مدة السنة وبقي عندها نحو مليون خريطة اي انها وهبت وباعت نحو اربع مئة الف خريطة · ويظهر لنا ان ثمن الخرائط الحالي غالٍ جدًّا وما دام رواجها كثيرًا بهذا المقدار فيحسن بمصلحة المساحة ان ترخص ثمنها فتنتفع الناس ولا تخسر لان الخريطة التي تبيعها بخمسة غروش لا يكلفها طبعها وثمن ورقها

نصف غرش . نعم ان عمل الخرائط يكلف كثيرًا ولكن اذا دُفعت النفقات الاولى فاجرة الطبع وثمن الورق زهيدان جدًّا

ومن اعمال هذه المصلحة حساب الاطوال والابعاد في مساحة الاراضي بالمثلثات وبالخطوط المستعرضة (ترَاُرس) وقد ظهر ان الفرق بينهما لدى التحقيق طفيف جدًّا من نحو نصف متر الى نحو تسعة اعشار المتر في كل كيلومتر وهذا الفرق الطفيف يشهد لمساحيها بالتدقيق

ومنها نشر الارصاد الجوية وكانت تنشرها اولاً شهرية فعدلت عن ذلك وصارت تنشرها سنوية فتضطر ان تتأخر في نشرها والغالب ان تفوت الفائدة الذين يبنون احكامهم على هذه الارصاد لمعرفة مستقبل الاحداث الجوية فعسى ان ترى ذلك وتعود الى نشر التقارير الشهرية

ومن اعمالها حل المواد الكيماوية والبحث عن تركيب الاتربة والحجارة والادهان والمياه وما اشبه . وقد فُوّض اليها البحث عن نقاوة الغاز الذي تنار بهِ العاصمة فوجدتهُ غير نقي سنة ١٩٠٣ و ١٩٠٤ و ١٩٠٥ فغرّمت شركة الغاز في هذه السنوات الثلاث بواحد وعشرين جنيهاً ومن ثم صار الغاز نقياً دائماً حسب المطلوب

والظاهر ان المقاييس التي تقاس بها نقاوة الغاز كثيرة المرحمة فقد جاءنا بالامس احد الاصدقاء وقال ان في الشارع الشمالي الشرقي من ادارتكم رائحة خبيثة جدًّا كأنَّ جثة مدفونة في الارض فذهبنا الى هناك وشممنا رائحة الهيدروجين المكبرت ممزوجة برائحة الامونيا فقلنا لا بدَّ من ان انبوب الغاز مشقوق هنا وهذه رائحتهُ لقلَّة نقاوتهِ وطلبنا شركة الغاز بالتلفون فحضر عمالها حالاً وحفروا الشارع فوجدوا انبوب الغاز مشقوقاً كما قلنا وقد افسد التراب كلهُ فاصلحوهُ وانقطعت الرائحة الخبيثة . فان كان ذلك الغاز نقياً ليس فيهِ اكثر من اربع قمحات من الامونيا في كل مئة قدم مكعبة من الغاز وليس فيهِ من الكبريت اكثر من عشرين قمحة في كل مئة قدم مكعبة فتكون حاسة الشم في الذين كرهوا رائحتهُ الخبيثة قوية جدًّا . الاَّ ان شروط الحكومة مع شركة الغاز خالية من القيود والحدود على ما يظهر من التقرير كأن الذين وضعوها يجهلون ما هو جارٍ في البلدان الاخرى من هذا القبيل . ولا سلطة للحكومة على الشركة اذا كان نور الغاز ضعيفاً او غير منتظم فقد يكون نور الشبكة عشرين شمعة بدل اربعين بل قد يهبط الى عشر شمعات ولا سلطة للحكومة على تغريم الشركة او اجبارها على ابدال الشبكات باصلح منها

عفة الاولاد

لا بدَّ للولد ان يعرف وقتاً ما كيف وُلد وكيف يولد لهُ اولاد · ويقول الاكثرون ان هذه المعرفة تأتي في وقتها متى بلغ اشدَّهُ ولا داعي لتعليمهِ اياها قبل ذلك بل يجب ابقاؤُها سرًّا غامضاً الى ان يصل اليها من نفسهِ · ويقول غيرهم انهُ لا بدَّ من الوصول الى هذه المعرفة عاجلاً او آجلاً وانهُ يخشى ان يسيء الاولاد الى انفسهم اذا لم ينبهوا الى ذلك وتبيَّن لهم المضار قبل الوقوع فيها ومنهم مؤَلف هذا الكتاب وقد جعلهُ على سبيل دروس بسيطة قريبة المأخذ كتب بها الى ولد صغير ودرَّجهُ فيها تدريجاً الى ان اطلعهُ على ما يعلمهُ الشاب · وقد عني بترجمتهِ حضرة الاديب سليم افندي الخوري من كتّاب قلم السكرتير المالي في حكومة السودان فجاءت عبارتهُ طلية قريبة الفهم فنثني عليهِ ثناء جميلاً

ديوان النظرات

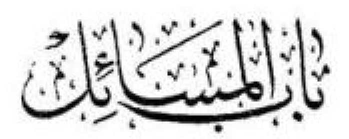
للشاعر المطبوع مصطفى افندي صادق الرافعي ديوان آخر سماهُ ديوان الرافعي صدر منهُ ثلاثة اجزاء وهذا ديوان ثانٍ وقد صدر منهُ الآن الجزء الاول وهو مبدوءٌ بمقدمة في حقيقة الشعر · وفيهِ كثير من القصائد الحسان التي نظمها في العام الماضي وهذا العام من ذلك لاميةٌ وصف فيها حالة الاجتماع في العام الماضي ولام مدعي الوطنيَّة تخبطهم كقولهِ

لنا كل يوم الف رأيٍ وما لنا ... عليها من الافعال فرد دليلِ
نقلّدُ الفاظ السياسة عُمرنا ... ونذهل عند الحزم ايَّ ذهولِ
ولا طَول فينا غير نوع تطاولٍ ... ولا فضل فينا غير بعض فضولِ
فيا عصبة الاحزاب ردوا حلومكم ... وجرُّوا على غير الثرى بذيولِ
فقد سطعت في مصر منكم عجاجة ... ولكنها لاحت بغير صليلِ
عجاجة صيف قد اثارت قتامها ... خيول سباق لا ضراغم غيلِ

والقصيدة طويلة وكلها على هذا النسق وفي الديوان كثير من الموشحات والمقاطيع وقصائد الوصف كقولهِ في زهر الفول

نائمات بروضها في سريرِ ... بين خز وسندس وحريرِ
هزَّها الفجر فاستفاقت كما تط ... رف بعد الكرى جفون الصغيرِ
جال فيها الندى كما حيَّر الدم ... ع دلالُ الهوى باهداب حورِ

والديوان مطبوع طبعاً حسناً وثمنهُ خمسة غروش ويطلب من كل المكاتب



فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤَالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) عقاب يمنع الاستخدام

مصر . فرنسيس افندي فهمي . اذا قضى شخص مدة من الزمن في خدمة الحكومة بصفة مستديمة ثم رُفت منها للحكم عليهِ من المحاكم بالحبس مدة من الزمن في قضية ما فهل يجوز استخدامهُ مرة اخرى في وظائف الحكومة اذا تحصَّل على شهادة دراسية ارقى من التي كان حائزًا عليهِ وقت استخدامهِ في المرة الاولى

ج اذا حكم عليهِ لذنب يتعلق بوظيفتهِ كأن ارتشى او اختلس من اموال الحكومة وهو مؤْتمن عليها او لجناية تمس كرامتهُ كالسرقة والتزوير فلا يجوز استخدامهُ ثانيةً واما اذا حكم عليهِ لذنب اتاهُ خطأً كأن كان يطلق بندقيتهُ على صيد فاصاب رجلاً وقتلهُ فلا نرى سبباً يمنع استخدامهُ ثانيةً سواءٌ نال شهادة دراسية او لم ينل

(٢) منع الملل

ومنهُ . ما هي احسن طريقة يتخذها الانسان حتى لا يمل من السهر في المذاكرة او ما هي الادوية التي يجب استعمالها في مثل ذلك

ج ان الملل ناتج عن تجمُّع الفضول في الدماغ من كثرة تشغيلهِ او في جانب مخصوص منهُ ويزول بالراحة واستنشاق الهواء النقي الى ان تزول الفضول ويستريح الدماغ او بالاشتغال بموضوع آخر لا يتعب ذلك الجزء من الدماغ فاذا ملَّ الانسان من الاشتغال بالمسائل الرياضية ثم طالع قصة فكاهية او كتابًا تاريخيًّا فالغالب ان دماغهُ يستريح بعد قليل ويسهل عليهِ الرجوع الى المسائل الرياضية . والراحة اسلم عاقبة لمن يجد اليها سبيلاً . واذا استعملت المنبهات لتنبيه الدماغ افادت ولكن فائدتها وقتية ويزيد التعب بعدها

(٣) الحذق والنجاح

مصر . اديب افندي شاهين . جاء في كتاب ادب الدنيا والدين الابيات الآتية لابرهيم بن هلال

اذا جمعت بين امرئين صناعةٌ
فاحببت ان تدري الذي هو احذقُ
فلا تتفقَّد منهما غير ما جرت
بهِ لهما الارزاق حين تفرَّقُ
فحيث يكون النقص فالرزق واسعٌ
وحيث يكون الفضل فالرزق ضيقُ

فهل توافقون على هذه القضية وهل لها تعليل طبيعي او هي بخلاف ما يحكم بهِ العقل

ج ان الحذق في الاعمال لا يستلزم الحذق في كسب المال وجمعهِ . ولما كانت قوى العقل محدودة فالغالب ان من يمهر في الاعمال تنصرف قوى عقلهِ اليها فلا يمهر في اساليب جمع المال ومَن ينصرف عقلهُ الى جمع المال لا يمهر في الاعمال . الأَّ ان ذلك غير مطَّرد فان رجلاً مثل لورد كلفن كان نابغة عصرهِ في العلوم الطبيعية حتى فاق كل احد فيها ومع ذلك مهر في جمع المال من طريق العلم اي استفاد مالاً كثيرًا من استخدام مكتشفاتهِ العلمية للاعمال ولم يكتفِ بالشهرة العلمية كما يكتفي كثيرون من العلماء فقول الشاعر صحيح غالبًا وهذا هو سببهُ ولكنهُ ليس قاعدة مطَّردة

(٤) منع اكل الفاكهة

ومنهُ . كثرت الفواكه في هذه الايام من عنب وتين وبطيخ وشمام الخ فهل تكرمون بنشر نبذة في فوائدها ولماذا تمنع الحكومة الاهالي عن اكل الفواكه ايام الاوبئة

ج اما فوائدها فقد نشرنا مقالات كثيرة عنها في السنين الماضية وسنعود اليها ايضًا واما ضررها في زمن الاوبئة فلهُ سبب معقول ولولم تقصدهُ الحكومة وهو ان الفاكهة تؤْكل غالبًا من غير ان تغسل جيدًا وتنظف مما عليها . والذبان تحمل ميكروبات بعض الامراض الوبائية كالكوليرا والتيفو يدوتلقيها على ما تقع عليهِ من الفاكهة فالذي يأْكلها يبتلع تلك الميكروبات وهو لا يدري اما اذا غسلت جيدًا ونزع قشرها فلا ضرر منها . ثم ان الفاكهة غير الناضجة عسرة الهضم غالبًا وعسر الهضم يعدُّ الجسم للاصابة بالامراض

(٥) التزلق والصحة

ومنهُ . في المنتزه الذي بالجزيرة على يمين كبري قصر النيل ملعب يلعب فيهِ البعض لعبة التزلُّق على عجلات توضع في الاقدام . فهل من هذه اللعبة فائدة للصحة وهل منها ضرر في فصل الصيف

ج ان كل الالعاب المسلية التي لا تشغل العقل تفيد في اراحتهِ والتي فيها حركات رياضية كهذه اللعبة تفيد ايضًا في تنشيط الدورة الدموية ولكن تزول فائدتها اذا كان المكان مزدحمًا بالناس لان الفائدة من تنشيط الدورة الدموية قائمة بتنفُّس الهواء النقي فاذا لم يكن الهواء نقيًا فلا فائدة من كثرة تنفسهِ واذا عرق من يلعبها وتعرَّض للهواء من جهة دون اخرى زالت الموازنة من جسمهِ وتعرَّض

للزكام او التيبس او نحو ذلك مما يصاب به من بلفحة الهواء

(٦) الجرح والقلي

نيو اورلينس . الخواجه شديد نعمة عطايا . الشائع ان الجرح يتهيج من رائحة القلي فهل هذا صحيح

ج لا نظن ان احداً حقق صدق هذه الاشاعة ولكنها اذا كانت مبنية على الاختبار اي اذا كان الجرح يتهيج حقيقة من رائحة القلي كما هو شائع فيكون لان دقائق الجسم تطلب الغذاء حينئذٍ وتهيج الكريات البيضاء والحمراء الى حافتي الجرح وتهيجه كما يفرز اللعاب من الفم عند رؤية الحوامض

(٧) سلطة الروس في الشرق

ومنهُ . هل تستطيع الدولة الروسيَّة ان تعيد سلطتها الى الشرق الاقصى كما كانت قبل الحرب اليابانية

ج نعم يمكنها ان تعيد سلطتها الا الى الاماكن التي استولت عليها اليابان وكان نفوذ الروس فيها قوياً قبل ذلك لان اليابان حريصة على تعزيز سلطتها حرص الروس او اكثر. ويقال عن ثقة انهُ لو استمرت الحرب سنة اخرى لعاد الفوز للروس لانهم لم يكونوا قد بعثوا نخبة جنودهم الى ساحة القتال

(٨) الازمة المصرية والاميركية

ومنهُ . هل من علاقة للازمة المالية المصرية بالازمة الاميركية وكيف ذلك

ج لما حدثت الازمة الاميركية وطُلبت النقود من اوربا غلت فيها وصار يصعب ارسالها الى القطر المصري او توسيع الكردتو لهُ فاثر ذلك في اشتداد الازمة المصريَّة ولا علاقة للازمتين في ما سوى ذلك بدليل ان النقود عادت من اميركا الى اوربا فرخصت فيها جدًّا ولا تزال الازمة المصرية مستحكمة

(٩) الكويت والمحمرة

شبراخيت . الدكتور محمد عشماوي لهجت الجرائد في هذه الايام بذكر الكويت والمحمَّرة فالرجاء افادتنا عن موقع تينك المدينتين وما يعرف عنهما

ج الكويت على الساحل الغربي من خليج العجم عند رأسهِ الشمالي وهي من املاك الدولة العثمانية ولكنها تكاد تكون مستقلة وفيها آمن مرفإٍ للسفن في شرق بلاد العرب سكانها نحو اثني عشر الفاً وكان في النية مد سكة الحديد اليها من السويس ومنها الى الهند فتكون اقصر طريق بين اوربا والهند وهي مدينة نظيفة الشوارع كثيرة السفن الشراعية يأتيها العرب من الاحساء ونجد بالخيل والغنم والبقر ويأخذون بدلاً منها المنسوجات والاسلحة والتمر

اما المحمَّرة فمدينة في خوزستان ببلاد

فارس قرب حدود الدولة العلية حيث يلتقي نهر كارن بشط العرب . سكانها نحو خمسة آلاف نفس وسيكون لها شأن كبير في مستقبل بلاد الفرس لان نهر كارن المبنيَّة عليهِ يمرُّ في بلاد كثيرة الخصب مسافة ١١٧ ميلاً لكنَّ زراعتها مهملة الآن

(١٠) التلغرافات المصرية

الدامر بالسودان . محاسب . قلتم في ما كتبتموهُ عن سكك الحديد والتلغرافات في الجزء السابع من مقتطف هذه السنة ان الافرنج المقيمين في القطر المصري على قلة عددهم يرسلون اكثر من نصف ما يرسلهُ سائر السكان . والحقيقة على ما اظن انهم يرسلون اقل من نصف ما يرسلهُ سائر السكان لان ما يرسلهُ سائر السكان هو ٢١٤٧٤٦٥ وما يرسلهُ الافرنج نحو ٨٠٠٠٠٠ فهي اقل من النصف افليس الامر كذلك

ج كلاَّ وظنكم خطأ وسببهُ على ما يظهر انكم فهمتم من كلمة "سائر السكان" جميع السكان مع ان معناها بقية السكان . ولا ندري لماذا يخطئ الناس في القطر المصري معنى كلمة "سائر" مع ان النص عليها صريح ان معناها باقي او بقية من سأر الشارب ابقى والسائر الباقي لا الجميع كما يتوهم البعض . او انكم لم تلتفتوا الى قولنا ان ما يرسل باللغات الافرنجية هو اكثر من ثماني مئة الف لا ثماني مئة الف فقط كما ذكرتم وحقيقة الارقام عند التدقيق هي هذه

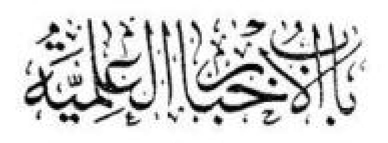
التلغرافات الاوربية المحلية ٨٤٣٧٣٩
التلغرافات العربيَّة المحلية ١٥٣٢١٤١

فالاوربيَّة اي الافرنجيَّة اكثر من نصف العربيَّة

(١) شجر المنجو

ومنهُ . جاء في مقالة شجر المنجو المدرجة في باب الزراعة في ذلك الجزء عينهِ ان حمل شجر الفدان ثمنهُ مئتا جنيه والحقيقة على ما اظن يجب ان تكون ٢٠ جنيهاً لان الشجرة التي تحمل الفي ثمرة يبلغ ثمنها جنيهين لا عشرين جنيهاً باعتبار ثمن الثمرة مليم واحد

ج نعم لو كان ثمن الثمرة مليماً واحداً لكان حسابكم صحيحاً ولكن ثمن الثمرة عشرة مليمات وقد بلغ هذه السنة عشرين مليماً او ثلاثين وقد ذكر في المقالة التي تشيرون بلسان مؤلفها ان الشجرة حملت الفي ثمرة وبلغ ثمن ثمرها من ٣٠ جنيهاً الى ٣٥ جنيهاً اي من ٣٠٠٠ غرش الى ٣٥٠٠ غرش فيكون ثمن الثمرة الواحدة من ١٥ مليماً الى ١٧ مليماً ونصف مليم



التلفون بلا سلك

نجح التلفون بلا سلك ونقل الكلام بهِ بين باريس ودِيب مسافة مئة ميل وبين مكان قرب كوبنهاغن ومكان آخر قرب برلين والبعد بينهما ٢٦٠ ميلاً ويظن البعض انهُ سينقل الكلام بهِ بين اوربا واميركا في القريب العاجل

بعثة شاركو القطبية

سافر الدكتور فرنسوى شاركو نحو القطب الجنوبي فاقلع من المافر في ١٥ اغسطس وهو يحسب انهُ سيبقى في رحلتهِ هذه نحو سنتين وغرضهُ الاول جلب المتحجرات التي وجهَّ الدكتور نوردنسكيولد الانظار اليها واخذ معهُ مؤُونة تكفي عشرين رجلاً اكثر من سنتين وجمهورًا من كبار العلماء وقد وهبت الحكومة الفرنسوية ٣٢٠٠٠ جنيه من نفقات هذه الرحلة

البعثة الدنمركية

يوم سافر الدكتور شاركو بالبعثة الفرنسوية العلميَّة الى الاصقاع الجنوبية عادت بقية البعثة الدنمركية الشمالية بعد ان نفد القضاة برئيسها واثنين من رفاقهِ بردًا وجوعًا

كلف الشمس

عادت الكلف الكبيرة الى الظهور على وجه الشمس ومنها ما يرى بالعين لكبرهِ فان طول بعضها اكثر من مئة الف ميل وقد كان المظنون ان دَوْر الكلف الكبيرة انقضى قياسًا على الادوار الماضية ولكن جاء الامر على غير القياس . ولا بدَّ من ان يضع المرء زجاجة سوداء او مدخَّنة بينهُ وبين الشمس ليستطيع النظر اليها

بلون الكونت زبلن

ذكرنا في الجزء الماضي نجاح الكونت زبلن في اطارة بلونهِ ١٢ ساعة قطع فيها ٢٤٨ ميلاً . وفي الرابع من اغسطس طار بهذا البلون ٣٦٠ كيلومترًا قطعها في ثماني ساعات ولما نزل الى الارض كان قد مضى على بلونهِ احدى عشرة ساعة وهو في الهواء . ثم عاد بهِ في الخامس من اغسطس لكي يزيد هيدروجينهُ لان بعض الهيدروجين افلت منهُ فقضى ثماني ساعات لقطع مئتي كيلو متر واذا بزوبعة شديدة اصابتهُ ونزعت مركبة منهُ ورمت بها الارض

فاشتعل بنزين الآلة المحركة التي فيها وحرق ما يليها من البلون ثم عادت العاصفة ورفعتهُ في الهواء وهو مشتعل وعبثت بهيكلهِ . الاَّ ان الحكومة الالمانية لم تحرم الكونت من الخمسة والعشرين الف الجنيه التي وعدتهُ بها فاعطتهُ اياها واكتتب لهُ الجمهور بخمسين الف جنيه اعترافاً بفضلهِ وعلو همتهِ

طيارة ريط

اشرنا في مقتطف اكتوبر في العام الماضي الى طيارة ريط واخيهِ اللذين قال اكتاف شانوت كبير مهندسي شيكاغو انهما اقرب الى حل مسألة الطيران من كل احد وقد وصفنا طيارتهما هناك بالاسهاب ثم اتى احدهما بها الى فرنسا وطار بها مراراً امام الجماهير وكان يدور في الهواء كيف شاء ثم يعود الى المكان الذي طار منهُ وبلغت سرعتهُ مرة في الهواء ٦٥ كيلو متراً في الساعة

دواء داء النوم

رأى السر هنري هسكث بل حاكم اوغندا ان الاتكسيل الذي وُصف دواءً لداء النوم لا يفيد في شفائهِ وخير منهُ ابعاد السكان عن سواحل فكتوريا نينزا فابعدهم وفصل المصابين عن غير المصابين فلم يمت بهِ منهم في العام الماضي سوى اربعة آلاف نفس ولم يصب بهِ احد من الاوربيين

جثة خنومن نخت

وصفت مس مرغريت مري جثة محنطة وجدت قرب اسيوط يقال في الكتابة التي عليها انها جثة خنومن نخت وهو من عهد الدولة الثانية عشرة وقد نشأ قبل المسيح بنحو ٢٥٠٠ سنة ويتضح من ذلك ان التحنيط قديم جداً في القطر المصري خلافاً للذين زعموا انهُ نشأ فيها سنة ١٦٠٠ قبل المسيح وعلى تابوت هذه الجثة كتابات كثيرة يقال فيها تنبسط الام نوت عليك وتجعلك مثل الهٍ من غير عدو ولُيمنحك انوبس رب صبا ان تقطع السماء وتصل الاماكن الطاهرة . وقد فحص الدكتور كرون هذه الجثة فقال ان دماغها مثل متوسط ادمغة الاوربيين في هذا العصر ولكن عظام البدن فيها بعض الشبه لعظام القرود والظاهر ان صاحبها توفي وعمرهُ بين الستين والسبعين واسنانهُ كلها سليمة ما عدا واحداً ولكنها قد بريت كلها كأَنهُ كان يأْكل اطعمة صلبة تبري الاسنان

السمك في بحر لوط

الاعتقاد الشائع ان بحر لوط او البحر الميت خالٍ من السمك ولكن وجد السمك الآن في بعض جهاتهِ وكتب الدكتور مسترمان انهُ ذهب الى المكان الذي وجد السمك فيهِ فرأَى فيهِ سمكاً من نوع سمك الشبوط (كبرينودن)



الشكل الاول



الشكل الثاني

فهرس الجزء التاسع من المجلد الثالث والثلاثين

٧١٣ البلاد العثمانية
٧١٨ بقايا الوحوش المنقرضة (مصوّرة)
٧٢١ القانون الاساسي
٧٣٤ الراهن والواهن في المادية . لانيس افندي الخوري
٧٤١ هل يوجد الناس في غير الارض
٧٤٧ اسامة بن منقذ وابن السلار
٧٤٩ اسباب الاحتلال البريطاني
٧٥٤ الطفل . للاستاذ عيسى افندي اسكندر المعلوف
٧٥٦ الوراثة
٧٦١ الصحافة الهندية
٧٦٥ الاحياء في المريخ . لاحد القراء
٧٦٨ جبل ترودس . لشاهين بك مكاريوس
٧٧٠ القرنفل في التاريخ . لخليل افندي بيدس

٧٧٦ باب الرياضيات * الفوغرافيا (مصوّرة)
٧٨٤ باب الزراعة * الزراعة المصرية . الزراعة في البلاد العثمانية . الزراعة والعثمانيون المهاجرون . موسم القطن المصري
٧٩٤ باب تدبير المنزل * آداب المعاشرة . البيض الجديد والقديم . أكثر الاوصاب من الطعام والشراب . تسكير الاثمار
٧٩٧ باب التقريظ والانتقاد * العرب قبل الاسلام . بين القاهرة والسويس . تقرير عن اعمال مصلحة المساحة . عفة الاولاد . ديوان النظرات
٨٠٢ باب المسائل * عقاب يمنع الاستخدام . منع الملل . الحذق والنجاح . منع اكل الفاكهة . التزلق والصحة . الجرح والقلي . سلطة الروس في الشرق . الازمة المصرية والاميركية . الكويت والمحمرة . التلغرافات المصرية . شجر الجفو
٨٠٦ باب الاخبار العلمية * وفيه ٩ نبذ

رواية فتاة الفيوم ملحقة بالمقتطف